الهلال

١ يناير ١٩٣٨

مزاجه فسيطر على حياته كلها ، غلو فى الحس يجعله يحس الأشياء على نحو أقوى وأشد مما يحسها غيره، وغلو فى الشعور والعاطفة يجعله يندفع الى الاشياء أو يرتد عنها على نحو أقوى وأشد مما يندفع غيره الى الأشياء أو يرتد عنها ، ثم غلو فى الحكم والتقدير يجعله يقوم الأشياء تقويما لم يتعوده الناس ولم يألفوه ، ثم غلو بعد هذا كله فى تصوير الاشياء والتعبير عنها يجعله يعرض الأشياء على نحو غريب لم يألف الناس عرضها عليه ، وهم من أجل ذلك يقبلون عليه ويكلفون به ويتنافسون فيه

وما اعرف ان أديبا يشذ عن هذه القاعدة أو ينحرف عن هذا الأصل . فالشعراء والكتاب يختلفون فى إيثارهم المبالغة وحرصهم على القصد والاعتدال ، ولكنهم على ذلك متفقون فى مقدار من الغلو لايكون أحدهم شاعراً أو كاتبا بدونه ، فلن تجد أديبا إلا وهو مرهف الحس دقيق الشعور رقيق المزاج ، الى حد لا يشاركه فيه غيره من الناس . وارهاف حسه ودقة شعوره ورقة مزاجه الى هذا الحد غير المألوف هى التى ميزته من الناس ، فتاحت له أن يجد ما لايجدون ويشعر بما لا يشعرون ، ويقول بعد هذا كله ما لا يقولون ويذهب من مذاهب القول وألوانه ما لا يألفون

فاذا أردت بعد هذا أن تعرف أخلاق الأديب فارجع بها الى هذا الأصل وردها الى هذا المصدر ، فستنتهى بها الى الينبوع الذى فاضت منه والى المعدن الذى صدرت عنه . وقد تعود الناس أن يظنوا بالأدباء الظنون وأن يضيفوا اليهم من الأخلاق والخصال ما يخيل اليك أنهم يمتازون به من غيرهم وينفردون به انفراداً . والناس معذورون فهم يرون للادباء أو الممتازين منهم على أقل تقدير أطواراً غريبة خاصة ، وهم يقرأون من شعرهم ونثرهم ما يصور لهم ألوانا من الحياة ينكرونها ويرغبون عنها، أو يؤثرونها ويحرصون عليها ولكنهم لا يألفونها عند أوساط الناس

فهم يعرفون من أمر بشار ما يعرفون : اسرافا فى اللهو وغلواً فى العبث وتهالكا على اللذة وولعا من هذا كله واستهتاراً بهذا كله . فما يشكون فى أن بشاراً رجل شاذ وفى أن شذوذه جاءه من أنه أديب ، وربما كان من الحق أن يروا أن بشاراً رجل أديب وأن أدبه جاءه من أنه خلق شاذاً ، ولولا شذوذ فطرته وخروج الطبيعة به عما ألف من اعتدال المزاج واتزان الحس واستقامة الشعور، لأحس الأشياء كما يحسها غيره من الناس، ولتصرف فيها وحكم عليها كما يتصرف فيها ويحكم عليها غيره من الناس . وقل مثل ذلك فيمن شئت من الممتازين المتفوقين بين الأدباء فى كل بيئة وفى كل عصر وفى كل جيل ، هم قوم شذت بهم الطبيعة عن المألوف وخرجت بهم عن الطور الذى عرفه الناس ، فنحتهم حسا مرهفا وشعوراً دقيقا ومزاجا حاداً ، ودفعهم هذا كله الى التأثر بالحياة وظروفها تأثراً شاذاً والى التعبير عن الحياة وظروفها تعبيراً شاذاً . ولكن الغريب أن الناس لم يقبلوا الأدباء كما هم ولم يرضوا عنهم جملة ، وانما اتخذوا الأدب فشطروه شطرين قبلوا أحدهما فتنافسوا فيه ورفضوا أحدهما الآخر ونعوا عليه أشد النعى ومقتوه أشنع المقت

فالناس يقرأون شعر بشار فيعجبون به أو يعجب به أكثرهم ولكنهم ينفرون من بشار

الهلال

الجزء الثالث ـ السنة ٤٦

أول يناير ١٩٣٨ ـ ٢٩ شوال ١٣٥٦

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

1 January 1938 ;

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 55. — Syria, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-5-0 or $ 6.50.

هدايا الهلال

عشرة أسفار حافلة بنتاج قرائح كبار الكتاب في الشرق العربي ، وكبار المفكرين في العالم ، وخمسة كتب طريفة تتناول شتى نواحي الثقافة ـ هذه هي التي يحصل عليها كل من يدفع قيمة الاشتراك في الهلال

وقد أعد الهلال للمشتركين في هذا العام الكتب الخمسة الآتية :

(١) تاريخ الحب للأديبة الفرنسية مارسيل تينير وترجمة الأستاذ إبراهيم المصري

(٢) الماضي الحي قصة تحليلية للأديب الفرنسي العظيم جي دي موباسان

(٣) تاريخ الفن المصري القديم للأستاذ محرم كمال الأمين المساعد بالمتحف المصري

(٤) تقويم الهلال ـ مجموعة تقاويم الهلال تؤلف دائرة معارف قيمة ممتعة

(٥) زوابع الشباب للأستاذ أحمد قاسم جودة ـ مصدر بمقدمة لمعالي أحمد نجيب الهلالي بك وزير المعارف

كل من دفع قيمة الاشتراك السنوي أرسلت إليه هذه الكتب الخمسة النفيسة

قبيح سيرته وسوء خلقه وإسرافه فى العبث والمجون . وما ينبغى أن نطلب الى الناس ، بل نحن نعوذ بالله أن نطلب الى الناس ، الرضى عما هو معروف من سيرة بشار وأمثاله من أصحاب العبث والمجون ، ولكن الذى نطلبه هو الانصاف ، فلولا أن بشارا قد سار سيرته المعروفة وعكف على ما عكف عليه من العبث لما أنتج هذا الشعر الذى نرضى عنه ونعجب به . وفرق عظيم بين أن نرضى عن سيرة بشار ونغرى بها الناس ونرغبهم فيها ، وبين أن نحقق الصلة بين هذه السيرة وبين ما انتجت من الآثار الأدبية ونردها ونرد آثارها الأدبية الى أصل واحد هو هذا الشذوذ الفطرى الذى طبع الشاعر عليه ، والله كفيل بحساب بشار وأخذه بذنوبه أو التجاوز له عن هذه الذنوب ، وصاحب الأخلاق كفيل بتنبيه الناس الى الفضيلة والرذيلة وترغيبهم عن هذه وتزيين تلك فى قلوبهم ، ولكنا نحن حين نحكم فى الأدب ونقدر آثار الادباء خليقون أن نقرر أن سيرة بشار هذه القبيحة قد انتجت لنا شعره هذا الجميل

وقد أراد الله بالناس خيراً فأعفاهم من الشر المطلق ورفع عنهم ثقل القبح الخالص ، واستخرج لهم من الشر خيراً ومن القبح حسنا ، وجعل ما يكرهون سبيلا الى ما يحبون ، فلنرحم هؤلاء الادباء البائسين الذين تورطوا فيما نكره فانتجوا لنا ما نحب . وقد أحس بشار بعض معاصيه له ونعى عليه وأراد أن يبرىء نفسه وأن يعتذر عما كان ينكر الناس من أمره فقال :

طبعت على ما فيّ غير مخيّر هواي ولو خيّرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وقصّر علمي أن أنال المغيبا
فأصرف عن قصدي وعلمي مقصّر وأمسي وما أعقبت إلا التعجبا

والفلاسفة وأصحاب الكلام أن يجادلوا بشارا وينازعوه فى ميله الى الخير وافتقاره للدعوة اليه ، ولكنا نحن الذين ليسوا فلاسفة ولا متكلمين خليقون أن نرحم بشارا وأمثاله من آثامهم هذه وأن نعرف لهم أنهم قد تورطوا فيها وشقوا بها لننعم نحن بما أنتجوا لنا من آيات الفن وروائع الشعر والنثر . وليس الامر مقصوراً على أمر بشار وأمثاله من أصحاب العبث الذى يأباه الدين وينكره الخلق ، ولكنه يتجاوزهم الى أصحاب الجد الذين شذت بهم الطبيعة عن المألوف فدفعتهم الى ألوان من السيرة والى فنون من الكلام تناقض العبث والمجون ، ولكنا مع ذلك ننكرها ونضيق بها . وإن أعجبنا بآثارها الفنية ، فقد شذت الطبيعة بأبى العلاء عما ألف الناس فى حياتهم والزمته فنونا من القسوة على نفسه وعلى الناس ومن سوء الرأى فى نفسه وفى الناس ما أظن أننا نحتملها مثلا أو نغرى بها الشباب . ولكنا مع ذلك نقرأ اللزوميات فنعجب بها ونحفظ كثيرا من شعرها ، ونجد ألوانا من المتاع فيما حفظت لنا من صور هذه الفلسفة المظلمة . وما اختار أبو العلاء أن يكون متشائما مظلم النفس سىء الرأى ، وما اختار أبو العلاء أن يسير هذه السيرة التى دفع اليها دفعا . فلنرحم أبا العلاء إذن من سيرته هذه التى لم يخترها ، وانما أكره عليها اكراها ،

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

تحتفل مصر في هذا الشهر بزواج حضرة صاحب الجلالة مليكها فاروق الأول ، بسليلة النبل والمجد الآنسة فريدة ذو الفقار . وننشر بهذه المناسبة صورة جديدة لجلالته في لباسه الرسمي (تصوير رياض شحاته)

ولنعرف له أنه شقى النعمد وقفا على نفسه لترفه نحن عن نفوسنا بما ترك لنا من الآثار

والأدباء بعد هذا كله يختلفون اختلافاً شديداً فنهم من تظهر سيرته فى آثاره الأدبية ، ومنهم من يخفون هذه السيرة ويظهرون فى آثارهم ما يناقضها أشد المناقضة . فسيرة بشار ظاهرة فى شعره وسيرة أبى نواس ظاهرة فى شعره أيضاً ، وكثرة ما ترك أبو العتاهية من الشعر تناقض ما نعرفه من حياته . وقد كان الشاعر الفرنسي ألفرد دى فينى ألقى فى نفوس الناس الذين قرأوا شعره أنه صورة الجد والحزم والتشاؤم والشدة على النفس ، ثم أظهر البحث من أمره ما يناقض شعره أشد المناقضة . ومن الأدباء من يتوسط بين ذلك فيظهر من سيرته فى آثاره الأدبية أطرافاً ويخفى منها أطرافاً ، ويكلف الباحثين عن تاريخ الأدب ألواناً من العناء ليستخرجوا الحق من سيرته وآثاره . وهذا الاختلاف بين الأدباء يأتى فيما أقدر من رأيهم فيما يكون بينهم وبين الجماعات التى يعيشون فيها من الصلة ومن شجاعتهم واختلاف حظوظهم من هذه الشجاعة التى تمكنهم أو لا تمكنهم من مصارحة الجماعة بشخصياتهم كما هى . فمنهم من يؤمن بشخصه أكثر مما يؤمن بالجماعة ويحفل بشخصه أكثر مما يحفل بالجماعة فيجاهر الجماعة بنفسه وما يؤلف من العواطف والميول والأحوال متعرضاً فى سبيل ذلك لألوان الانكار والسخط التى تنتهى به أحياناً الى الاضطهاد وربما انتهت به من الاضطهاد الى أقساها . ومنهم الذى يسالم ويوادع ويؤثر العافية فيظهر الجماعة من نفسه ما تحتمل ويخفى عليها من نفسه ما لا يطيق ليتفق حياة هادئة أو كالهادئة . وربما كان هؤلاء المسالمون الوادعون أحق الناس بالرحمة وأجدرهم بالاشفاق ، فليس انكار الشخصية بالشيء الهين على صاحب الشخصية القوية

وقد تسألنى بعد هذا عن أخلاق الأدباء ما هى ، أو ما عسى أن تكون ، وهل يمكن أن يقال فيها قول جامع يختصرها ويجملها ؟ فصدقنى ليس هذا بالشيء الهين بل ليس هذا بالشيء الممكن

فالأدباء ناس من الناس لهم ما لغيرهم من الأخلاق ولكنهم يمتازون بما يمتاز به أصحاب الفن الذين طبعوا عليه من الحس المرهف الدقيق ، والشعور القوى الرقيق ، والمزاج العنيف الحاد ، فيظهر من أخلاقهم على اختلاف ما فيها من الخير والشر ما يخفى من أخلاق غيرهم من الناس . وما أكثر الذين أحبوا اللهو وعكفوا على الخمر فلم يكد يعرف الناس من أمرهم شيئاً لأنهم لم يفطروا على طبيعة بشار وأبى نواس ، وما أكثر الذين يدخنون الحشيش والأفيون فلا يكاد الناس يعرفون من أمرهم شيئاً لأنهم لم يفطروا على طبيعة بودلير . وما أكثر الذين يتشاءمون ويقسون على أنفسهم فلم يعرف الناس من أمرهم شيئاً لأنهم لم يفطروا على طبيعة أبى العلاء . صدقنى أن للأدباء عيباً خطيراً هو الذى يدل عليهم ويغرى بهم ، أو قل ان لهم عيبين خطيرين يخيلان الى الناس انهم فرقة ممتازة بأخلاق لا يشاركهم فيها غيرهم . فأما أول هذين العيبين فهو الفن الذى ركب فى طباعهم وأشيع فى أمزجتهم وجعلهم يقيسون ذراعا كلما ضاق الناس بها . أما ثانى هذين العيبين فهو هذا الذى ذكره المتنبي الذى أحبه وأوثره وهو الثرثرة والاغراق فى الكلام

طه حسين

الجرائم والرذائل ليست كذلك إلا لأنها أعمال هادمة — كلما ارتقت الأمة ترقت أعمال الهدم — اغتيال الكفايات وأعمال التعليم عمل هدام — المنازعات بين الأفراد والطوائف والأحزاب والدول تهدم في بناء الإنسانية

وسائل الهدم في بناء المجتمع

بقلم الأستاذ أحمد أمين

أستاذ الأدب العربي بالجامعة المصرية

إنا نحن أردنا أن نلخص تاريخ الانسان منذ نشأته الى اليوم والى الغد في كلمة، قلنا إن كل أعماله تنحصر في الهدم والبناء. وإذا نحن أردنا مقياساً بسيطاً سهلاً نقيس به الأفراد والأمم فما علينا إلا أن نجمع عمل الفرد أو الأمة في البناء ونطرح منه عملهما في الهدم فباقي الطرح هو مقياسهما. وإذا أردنا أن نقارن بين شخصين أو أمتين نظرنا الى مقدار باقي الطرح في كليهما فما زاد فهو أرقى. وإذا أعيينا الدقة في التقدير لم نكتف بتقدير الكمية في البناء والهدم بل حسبنا في ذلك نوع ما يبنى وما يهدم، فإن قيم البناء وقيم الهدم تختلف اختلافاً كبيراً بحسب نوعهما وصفاتهما وكيفياتهما، كالذي نشهده في البناء الحسي، فلسنا نقدر البناء بحجمه ومساحته فقط بل نقدره كذلك بنوع حجارته ونجارته ونوع هندسته وما الى ذلك من أمور لا تخفى

وقد أكثر الكتاب من القول في البناء. فالوعاظ الدينيون ورجال الأخلاق والمصلحون ونحوهم إنما يتكلمون في البناء ويحذرون من الهدم، فلنأخذ نحن الآن جانب الهدم فنثيره، فكثيراً ما يكون الهدم مقدمة البناء بل ربما كان خير بناء ما سبقه الهدم التام

فيمكننا أن نقول إن الرذائل الخلقية من كذب وظلم، والجرائم القانونية من قتل وسرقة، لم تعد رذائل ولا جرائم إلا لأنها هدم، إما هدم لمرتكب الرذيلة والجريمة، وإما هدم للمعتدى عليه، وإما هدم لبناء المجتمع. ونحن إذا نظرنا الرذائل والجرائم من حيث هي هدم أفادنا هذا النظر فائدة جديدة في تقويم الرذائل والجرائم، فما كان منها أشد هدماً كان أكبر جرماً، ولذلك كان القتل أفظع من السرقة لأن القتل يهدم النفس والسرقة تهدم الملكية. وقد يؤدي بنا هذا النظر الى تعديل في قائمة الرذائل والجرائم، فهل من المعقول لهذا النظر أن الحكومة تعد مجرمة إذا حصلت من الأهالي مالاً لا تستحقه ولا تعد مجرمة إذا لم تمد قرية بالماء الصحي مع علمها أنها تشرب سماً زعافاً يقضي على عدد كثير من الأرواح ويذهب في سبيله كثير من الضحايا؟ — ليس هذا من

المقتول في شيء ، لاننا ان أقررنا عملها قومنا حق الملكية بأكثر من حق الحياة ، وعددنا هدم الملكية مقدماً على هدم النفوس ، وليس ذلك بحق ، وأمثلة ذلك كثيرة

بل ان هذا النظر يعدل رأينا في العقوبة ، فالعمل الذي يهدم أمة أشد مما يهدم شخصاً ، والذي يعرض النظام للخطر أشد مما يعرض ملكية الفرد للخطر ، والذي يسرق لانه جائع ولانه يريد أن يبني لنفسه بجزء مما يهدم ملكية غيره أقل خطراً ممن يسرق لداعي الطمع والشره فيريد أن يزيد ثروته بهدم ثروة غيره

وهكذا ، وعلى كل حال فمن الممكن أن نقول ان احصائية الجرائم في الأمة هي عمليات من عمليات الهدم وليست كل هدم

فلنترك الآن الجرائم والعقوبات لرجال القانون ولننظر لاعمال الهدم الأخرى في المجتمع

فهناك هدم مادي لكل أمة يجتاح مقداراً كبيراً من ثروتها ، فحوادث الحريق حوادث هدم ، والامة التي لا تحتاط لها تترك أعمال الهدم والتخريب في ساحتها ، وكذلك كل أعمال القوى الطبيعية العنيفة الهادمة كالسيل والفيضان العالي والصواعق والرياح والعواصف . وكلما كانت الامة أرقى كانت أكثر احتياطاً وتوقياً في منع أعمال الهدم الطبيعية وتوقيها

وهناك هدم سلبي ليس أقل خطراً من الهدم الايجابي ، وأعني بالهدم السلبي عدم الانتاج مع القدرة عليه ، فالامة التي تترك أرضاً واسعة من أراضيها بوراً فانها بعمل الهدم السلبي ، ومثل ذلك ما اذا كان لديها مناجم لا تستغلها أو قوى طبيعية لتوليد الكهرباء لا تستخدمها أو نحو ذلك ، فكل هذه أعمال هدم سلبية لا فرق في الضرر والاضرار بينها وبين الهدم الايجابي

ومن هذا القبيل أن يكون في الامة قوى كثيرة لا تنتج ، فالعاطلون في الامة قوة الهدم سلبية ، لانهم يأكلون ولا يعملون ، ويستهلكون ولا ينتجون ، ويأخذون ولا يعوضون — وأمثال هؤلاء الاغنياء الذين لا يعملون والذين يصرفون أوقاتهم في الكسل والخمر والميسر ، فهؤلاء — من غير شك — هدامون لا بناءون مهما كانت ثروتهم

والمرضى في كل أمة قوة هادمة ، بقطع النظر عما اذا كانوا معذورين في مرضهم أو ليسوا معذورين ، فهذا شيء آخر غير الحقيقة الثابتة وهو أنهم هدامون . ثم ان بعض المرضى قد مرضوا اختياراً بتصرفاتهم من إفراط في (الكيوف) أو اهمال لقوانين الصحة ، فهؤلاء هدامون مجرمون معاً ، ومنهم من مرض رغم أنفه كمن أدركته الشيخوخة أو مرض مرضاً لم يكن في وسعه أن يتجنبه فهؤلاء هدامون لا مجرمون

ان كان ذلك كذلك فما بالك بقوم صناعتهم في الأمة الهدم والتخريب كتجار المخدرات والمرضين على الفجور ، فهؤلاء وأمثالهم هدمهم وتخريبهم مضاعف ، لانهم يخربون أنفسهم وغيرهم . لهم مدرسة سيئة تخرج المدلين وتسلمهم

فإذا نحن ارتقينا من الذاتيات الى الموضوعيات رأينا الأمر على هذا المنوال

فمن طرق الهدم أن تكون النظم الاجتماعيـة في أمة مضيعة لكفايات أفرادها ، كأن تعطى المناصب لذوى الحسب والنسب ، أو ذوى الملق والمداهنـة ، أو نحو ذلك ، ثم تنحى عنها ذوى الكفايات ممن ليس لهم سلاح الا علمهم وخلقهم ، فهذا - من غير شك - عمل من أعمال التخريب المزدوج ، لأن من شغلوا هذه المناصب لا يمكنهم أن ينتجوا الانتاج الطبيعى ، ولأن من أبعدوا عنها لا يمكنهم أن ينتجوا وقد حيل بينهم وبين الانتاج

ومن هذا القبيل ألا يكون للتعليم في الأمة ضابط ، فلا احصاء ولا توجيه ولا دراسة لحاجات الامة ومقدار انتفاعها بأنواع التعليم المختلفة . فالامة التى يكثر فيها دارسو القانون كثرة تزيد عن الحاجة ويقل فيها الزارعون والصانعون وهى اليهم في أشد الحاجة أمة مخربة ، والامة التى لا تسمح نظمها باكتشاف ذوى الاستعدادات الممتازة فيها وتزويدهم بما يحقق نبوغهم واستغلال نبوغهم في خيرها أمة مخربة ، وهكذا

وكذلك من أعمال الهدم في الامة أن تسود فيهـا أنواع من الآداب والفنون تحطم الغرائز وتميت الشخصيـة ، وتميت الحيوية . فالآداب والفنون التى تنشر اليأس وتبعث على الانتحار أو الترهب ، أو التى تثير الشهوات الى أقصى حدودها حتى اذا انغمس فيها الانسان لم يعد يصلح لعمل ، أو التى تدعو الى الحب الاثم والاخلاق المنحطة ، كلها آداب وفنون مخربة ، هى معاول للهدم لا أدوات للبناء ، وقل مثل ذلك في روايات السينما والتمثيل وأنواع الجرائد والمجلات التى من هذا القبيل

فان شئت مثالا أوضح من هذا كله في أعمال الهدم فانظر الى (العداوات) وما تجره من تخريب ، وأعنى بها العداوات بين الافراد والاسر ، والعداوات بين الطوائف والاحزاب ، والعداوات بين الامم ، فأكثر هذه العداوات ليس لها غرض صحيح ترمى اليه ، وترتقى العداوات صعدا حتى تأتى بأفظع أنواع التخريب : تخريب في النفوس وفي الاموال وفي الاخلاق وفي الحضارة . فكم جرت العداوة بين الافراد والاسر من سفك دماء ، وضياع أموال وضياع زمن في التفكير في الانتقام ، وضياع زمن المحامى في تحضير المقاضاة والمرافعة ، وضياع زمن القضاة في قراءة الملفات وسماع المرافعات وتحضير الاحكام ، فكل من في المحكمة من خصوم وكتبة ومحامين وقضاة انما يشتغلون في الهدم ، فان أحسنت الظن قلت إن عملهم في الغالب يحفظ البناء في المستقبل

وكم جرت عداوة الطوائف والاحزاب من ويلات وخراب ، فكم كانت العداوات الدينية سبب خراب ممالك وخراب حضارات ، وكم عاق حرب الأحزاب الأمم من البناء ، فوجه كل حزب همه لهدم الحزب الآخر ، وكم انصرفت المجهود الجبارة في عرقلة الحزب الآخر ولو أودت بالأمة ، وكم كانت هذه المجهود تأتى بخير بناء ، لو وجهت كلها لخير الأمة

فاذا نحن وصلنا الى العداوة بين الأمم ــ الى الحرب ــ فهناك الطامة الكبرى والتخريب الفظيع والموت المبيد والفناء الذريع . وقد ملئت من الاوصاف الرهيبة والنعوت المفزعة ، فحسبك ان تقرأ ما قام به العلماء من احصاء لما سببته الحرب الاخيرة من خسارة فى الأنفس والاموال والاخلاق لتدرك صدق ما أقول

بل انى أظن أن هذا الاحصاء ناقص لانهم يكتفون فى الاحصاء بالخسارة الواقعة فعلا ، فاذلك لو أحصوا ما يحصل من الضرائب لتصرف فى شئون الحرب حتى فى أوقات السلم ، وما يصرف من وقت الجند فى الاستعداد ، وتفكير رجال السياسة وأشياعهم فى الاحتياط للحرب ، وما يصيب الناس من فزع كلما ساءت الحالة الدولية ، الى كثير من أمثال ذلك ، أليس كل هذا من أعمال الهدم والتخريب فى العالم ؟

قد يقولون إنك تنظر فى كل ما قلت الى جانب واحد من جوانب المسألة ، فتنظر الى جانب الهدم فى العداوات ولا تنظر الى جانب البناء ، فكم أفادت العداوة الشخصية فحفزت النفوس ، وشحذت العقول ، وكم أفادت العداوات الحزبية من دراسات المسائل واظهار عيوب السياسة وتوجيه الآخذين بزمام الحكم الى وجهة صالحة ، وكم أفادت الحروب من إذكاء روح الوطنية والمنافسة بين الأمم فى التقدم والمنافسة بين العلماء فى الاختراع الى غير ذلك !

ولكنى أقول إنى لم أنس كل هذا ولكن السؤال الصحيح هو : هل ما بنت أكثر مما هدمت ؟ وهل هذا البناء الذى بنت لا يمكن أن يتحقق الا بهذه الوسائل الجهنمية ؟ ان التاجر لا يكتفى بحساب ما دخل فى مخزنه من السلع بل لا بد أن يحسب ما أنفق فى سبيلها من الثمن ، وأظن بل أؤكد أن الثمن الذى تنفقه فى هذه العداوات أكثر مما نربح ، وما نهدم لها أكثر مما نبنى ، خصوصا اذا آمنا بأن العقل البشرى لم يعلن افلاسه فى إيجاد طرق شريفة للتنافس بين الافراد والاحزاب والامم ، فتبنى البناء الكثير بلا هدم أو بهدم قليل ، والا فخبرنى بربك : أى شىء فى الوجود يساوى افناء الملايين من الارواح ، وبث الفزع الهائل من حين الى حين بين نفوس البشر ، وتقطيع أكباد الأحياء حزنا على من فقدوا من أبنائهم وأزواجهم ، وما أصيبوا به فى نفوسهم وأموالهم ؟ أظن ان كل ما يلفظون به من مخترعات ــ على فرض أنها لا تنتج الا هذه الويلات ــ لا تساوى الدماء المسفوكة والانفس الكثيرة والقلوب الهالعة

احمد أمين

روجيه مارتن دوجار

الفائز بجائزة نوبل الادبية عام ١٩٣٧

أعلنت أكاديمية استوكهولم قبيل عيد الميلاد أن جائزة نوبل الأدبية لعام ١٩٣٧ منحت للروائي الفرنسي روجيه مارتن دوجار تقديراً لقصته (صيف عام ١٩١٤)

وروجيه مارتن دوجار شخصية فذة في عالم الأدب الاوربي الحديث

فهو رجل هادىء، متئد صموت، وحشي الخلق غريب الأطوار، عاش بمعزل عن الجو الادبي الباريسي وانقطع انقطاعاً تاماً لخدمة فنه وتأدية رسالته والعجيب في هذا الكاتب قدرته الخارقة على الزهد في هذا العالم، وشدة ولعه بالعزلة والتأمل، واحتقاره الصادق العميق لكل سعي في سبيل الشهرة والمجد. فلم يتصل طوال أيام شبابه بأية مدرسة أدبية معينة، ولم يتملق أصحاب المجلات والصحف ليروجوا الدعوة لمؤلفاته، ولم يعرف من كبار أدباء وطنه غير اندريه جيد وجاك كوبو وفرنسوا مورياك

ومن مميزاته أنه عدو السرعة في التفكير والانتاج، هذه السرعة التي تفسد أجمل الاعمال الادبية الحديثة وتجردها من طابع القوة وتنتزع منها خصائص الحياة والخصب والخلود

ولذلك فكر روجيه مارتن دوجار فى توديع العالم ومفاتنه، وتوديع باريس ومباهجها، والفرار الى ضاحية صغيرة يستطيع فيها ابداع قصته الكبرى (أسرة تيبو) التى عقد عليها معظم آماله الفنية، وأراد بها تحقيق عمل أدبى يسمو فوق مختلف الأعمال الناشئة التى لا تلبث أن تظهر ويهتم بها الناس ردحا من الزمن حتى تتضاءل وتتبدد وتغيب آثارها فى ظلمات النسيان.

وحقق روجيه مارتن دوجار يعمل بارادة من حديد لابلاغ عمله الادبى حد الكمال الممكن فأخرج الأجزاء الأولى من قصته الكبرى التى تقع فى نحو عشرة مجلدات والتى تعتبر قصة (صيف عام ١٩١٤) التى فازت بجائزة نوبل قسما منها.

وقصة (أسرة تيبو) تصف لنا الصراع بين فرعى أسرة واحدة أحدهما كاثوليكى والآخر بروتستانتى حول نزعتين اجتماعيتين بارزتين تتمثل فيهما أهم اتجاهات هذا العصر وأفكاره وسادته ألا وهما نزعة الرجعية والمحافظة ونزعة التجدد والتطور والحرية. وقد أحاط الكاتب بشتى الظواهر الاجتماعية والخلقية المقترنة بالنزعتين، ومثلها فى شخصيات واضحة المعالم وثيقة التركيب خالية من الغرابة، فامتازت بالوضوح والدقة وصدق الملاحظة وتوخى الانسجام التام بين ألوان القصة وظلالها، وجميع هذه الفضائل التى اشتهر بها الفن اللاتينى نجدها بارزة فى (أسرة تيبو) وفى شتى الأعمال الأدبية الأخرى التى تمخضت عنها عبقرية هذا الكاتب.

وقد أبدع روجيه مارتن دوجار فى السفر الذى أحرز عليه جائزة نوبل فى تصوير تلك الفترة التى تقدمت الحرب الكبرى، وكان فى تصويره داعية كبيراً من دعاة السلام العالمى. وهذه الظاهرة الانسانية والسياسية زادت فى قيمة عمله ووسعت آفاقه وخرجت به عن المحيط الفرنسى المحدود، وهى التى أشارت اليها أكاديمية استوكهولم بوجه خاص عندما منحته الجائزة اذ قالت انها تقدر فى قصته عملا فنياً رائعاً ودعوة انسانية نبيلة مجردة.

وقد نبغ روجيه مارتن دوجار فى الفن المسرحى كذلك، وتعتبر مسرحيته (وصية الأب ليلو) من أجمل المسرحيات الفرنسية التى تعرض فى صدق تام بعض عادات وأخلاق فلاحى فرنسا. وصفوة القول أن الشرف الخالد الذى أحرزه هذا الرجل هو قوة الخلق، إذ ليس فى مقدور كل أديب أن يزهد فى سنين عمره، وأن ينعزل من أجل هذا الفن، وأن يزدرى الشهرة الوضيعة الرخيصة التى يسهل الحصول عليها من أقرب السبل. ومن كلماته عند ما علم بأمر فوزه قوله لأحد الصحفيين: «يجب ان انسى انى أحرزت جائزة نوبل، لأن الكاتب الذى لا يستطيع أن ينسى مجده، من المحال أن يستطيع تحقيق مثله الأعلى!»

> «... ومن عثر بها لا يجد الى جانبه المرأة التي تؤنس محضرها وحشته، وتمسح بنانها السحري على جبينه المتعب، فقد أبرمت فيه المقادير حكمها القاطع، فمصيره إما الى الانتحار وإما الى الجنون، وكلا المصيرين أفجع من الآخر»

الزوجة في حياة رجل الفن

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

من الحقائق التي شهدت بصحتها التجربة والاحصاء، أن معظم الناس يرجع النصيب الأكبر والحظ الأوفر من نجاحهم أو فشلهم في الحياة الى المرأة التي أصبحوا زوجها. وإذا قلنا معظم الناس فلا نعني بهذا أننا نستثني رجال الفن، بل الأمر يصدق عليهم بوجه أخص. فهم أحوج الناس بما تقتضيهم طبيعة عملهم من الاجهاد العصبي والاعتلال النفسي الى الزواج الموفق السعيد يسكنون اليه ويجدون فيه التسرية والترفيه. فالحياة البيتية الهنيئة جزء من الشهرة وواحد من عواملها، ولولاها لأصبحوا موغري الصدور على الانسانية مستهترين. كذلك دور الشهرة في ذكرهم على الألسنة واستفاضة، ورجع الأسماع وتجاوبت به الآفاق. فانهم لا يلبثون طويلا حتى يحسوا بأنه دون التحصين وصيانة البيت سواء في سواء، وأن ليس فيها عزاء النفس عما يجده الرجل بين زوجه المحبوب وبنيه الأعزاء من راحة عنه بالأحاسيس، هي أنفس ما تهب الحياة المرء، وأعز ما تناله إياه. وإذا امرؤ أظلمت الدنيا عليه وعصفت الزوابع حواليه وهو صامد لها والاستنامة على شدة متكئ على يقين من أن الرجل الحبيب يشع بالحب الصادق فهو مطمئن اطمئنان الساهر على معنى الحلم الى قرب النجاة. ومن عثر بها لا يجد الى جانبه المرأة التي تؤنس محضرها وحشته، وتمسح بنانها السحري على جبينه المتعب، فقد أبرمت فيه المقادير حكمها القاطع، فمصيره إما الى الانتحار مثل الفيلسوف الفتى أوتو فيننجر، وإما الى الجنون مثل الفيلسوف الشيخ نيتشه، وكلا المصيرين أفجع من الآخر.

ونحن نقرأ ونسمع الكثير من شكوى المتزوجين وخاصة رجال الفنون ونميل الى تصديقه، ولكنه مع هذا لا يبعدنا عن حقيقة الواقع. ومثله أننا لا نشعر بالجارحة من جوارحنا حتى الشعور ولا نأبه لها ما دامت كلها إلا اذا اعتلت. فعندئذ نردد ذكرها ونجأر بالتوجع منها «واضرساه» و«وارأساه» — «وارجلاه» ! وهكذا هي الحال في الزواج. فطالما كان الزوجان سعيدين فإنهما في نعمة الغبطة يعيشان بينهما وبين الناس، وقلما يتحدث عن سعادته منهم إلا القليل وفي كلمات موجزة وهمسات نادرة. أما اذا طرأ ما يدعو الى التألم فلن صرخات الألم تشق

القضاء حالة مسموعة . ولا عجب فالناس يحلمون بالسعادة العائلية في عقر دورهم ، فإذا وجدت سواه راحوا يسرعون بالشكوى الى هذا وذاك ، وترددت شكواهم في المجالس وذاعت في الصحف . ومن ثم كان زواج واحد فاشل أشد دويا من مائة زواج سعيد . فإذا كان من بين تعاسة بعض العباقرة المشهورين فلا جرم يكون أمر شقائهم ماثلا للأذهان ملء الأسماع في العالمين أجمعين

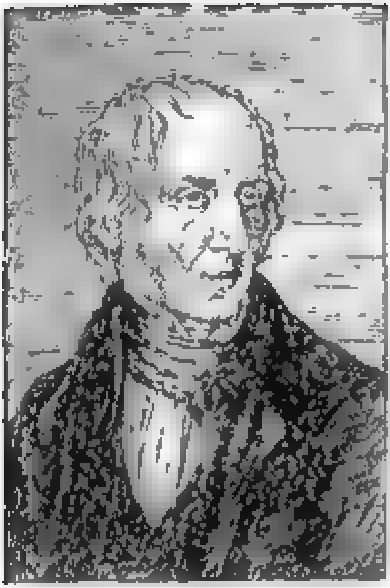
الشاعر الانجليزي وردزورث

هذا ساد الاعتقاد بأن الأحرى برجال الفن على الخصوص ألا يتزوجوا لأن شقاءهم عمق في الزواج كما أن زواجهم أدعى الى الشقاء القريب منه أي إدراكها . ولقد حضرنا هنا الى استقراء الحياة الزوجية لأكثر العباقرة ، وعلى رأسهم الحق ، تتوالى صفحات مليئة بالعبرات مستناطة بالحرقات تمثل سير روائع الفن مشدودين الى زوجاتهم كالمشدودين الى آلة التعذيب

ولكننا شهدنا هنا وهناك على غير انتظار خواطر مستبشرة مؤنسة

فهنا إقليم البحيرات في البلاد الانجليزية حيث يقوم بيت ريفي يكسوه الورق الناضر الخضرة والورد وزهر العسل الساطع الحمرة . وفي حديقة البيت الصغير سائران يسيران جنبا الى جنب خطى رتيبة متئدة وهما في جو من الحنان يلفهما ، فكأنهما الطفلان وان علت سنهما . هذان « وردزورث » الشاعر وامرأته « ماري هتشنسون » . وقد مضت السنون تتلوها السنون على زواجهما وهما يزدادان حبا وترحابا كلاهما نحو قرينه . ولم تك ماري في صباها بالجميلة ولكن كانت لها فتنة الجمال كلها بما رزقته من بساطة وحلاوة . وقد كانت تؤمن بزوجها حتى كأن العالم كله يزري شعره ، وكلما تصايح نقاده لكل قصيدة جديدة جرحها . « فلمس الشعر ، من سيء الى أسوأ » ، هتفت له مهللة . « نعم الشعر ، من حسن الى أحسن » . ومما يروى عن الشاعر في شيخوخته انه أبى الاستماع الى حديث أحد النقاد عن شعره لما عساه أن يكدر خاطره ، فقال له محدثه : « إذن فاسمح لي بأن أنقل اليك من مقال الناقد شيئا واحدا ثم ننتقل الى حديث آخر فقد زعم الناقد أنك مدين بروحك طلبة وجبرا » . فما كادت الكلمة تطرق سمع الشاعر الشيخ حتى لمعت عيناه الكليلتان واهتز في مقعده وهو يهتف متحمسا . « وهذا صحيح الى هنا صدق

النقد ! » . وبان على أساريره أنه أصبح أقل كراهة للناقد وأحسن شعوراً منه . وما أعجب منظراً أوقع في النفس من منظرهما في هذه الشجرة وقد احتضنت الزوجة زوجها الشاعر ثم تعده عند ما زحمته في اليوم المشمس . فإذا هي تلتفت إلى الحديقة ، فتجده ناعساً في الشمس فتهرول ما استطاعت لتلتمس قبعته فتظلل بها رأسه ولا تبرح بجواره حتى يستيقظ

وهكذا كانت هذه الحياة الزوجية جديرة بكلمة صاحبها المأثورة : « إن الرجال لا يحملون الثناء على بيوتهم لأنهم ذوو عبقرية ، بل لأنهم ليس لهم الكفاءة من العبقرية . وهم إذا أوتوا مثلاً وعاطفة من الطراز الرفيع حريون بأن يبصروا ويشعروا بما في الصلات الزوجية من جمال »

وبعد ، فهل ترى يكون سر التوفيق في زواج شاعره وردزورث أن زوجته وهي من ذوي قرابته كانت رفيقة له في المدرسة ، وقد عرفها وأنها طيلة شبابه ، وصحته رأته في مطافه بين النجاد والوهاد في إقليم البحيرات ، وأنها نشأت في نفس القرية التي كان يؤزرها عند ولي أسه ، وذلك إلى رقتها ولطف احساسها وليس صمتها وحسن تقديرها ؟

أتكون إذن وحدة النعت وتشابه التعليم والتنشئة وصباغة الفكرة هي الأركان التي يجب توافرها للسعادة الزوجية ؟

إنه ليصرها عن هذا التحديد أن غير وردزورث من الشعراء زوج على خلاف هذا الوصف وظل مغتبطاً في زواجه سعيداً »

الشاعر الألماني هيني

فقد التقى « هيني » شاعر الألمان بفتاة تبيع الكمبوت (التعدير) في محل صغير بمر شوازيل في باريس فشغف بها . وكانت لا تتجاوز الربيع التاسع عشر من مقتبل عمرها . وقد أتت بها عمتها منذ عهد قريب من القرية التي نشأت فيها لتبدل من كآبة الحانوت وتشع فيه بهجة شبابها وبهاء نضرتها . وهي إذا وصفت قيل في وصفها إنها معطهمة الخلق ، وافية تقاطيع الجسم ، يجل عنها بحرارة الصبا ونمو الصحة ، ناصعة اللون ، نضرة البشرة ، وضاءة الجبين ، لها الواسع حاجب متوفر ، شديدة حمرة الشفتين ، رخيمة رنة الصوت ، ترن ضحكتها عند الضحك رنات ، ضحوك تبسم لكل شيء . وبالجملة تحس منها أنها سعيدة ، سعيدة لمجرد أنها تحيا وتتحرك وتتنفس . ثم هي إلى جانب ذلك جاهلة ، غير مهذبة الحواشي ، هوجاء ، غافلة عن معضلات الأمور جلية البال لاهية ، لا هم لها إلا الاستمتاع بكل ما في الوجود من مباهج وطيبات طال حرمانها منها ، فهي بهجة إلى شيء

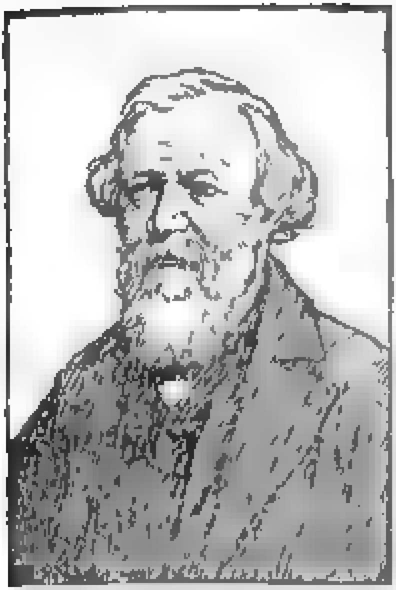

الشاعر الانجليزى براوننج

الطعام والشراب ، مخنوقة حائرة الشباب . وزاد مرضها ونشارح تحت من الأولى قد الانسياق مع النعم والحركة وتؤثر من الثانية الهزل المضحك والاغانى البهيجة . وقد عثرت اليزابيث في ذات يوم عند الاصدقاء على كتاب « لحبيب » في وصف الاسفار حديث العهد بالتحمس ، فأخذت في الصدق ولحت في الالحاح لتراجعها بالترجمة الفرنسية ، فلما صار الكتاب بين يديها عمدت في سطورها فاذا كل ما وجدت منه أن فيه بالنساء تشنيعا وتسفيها ، فتولتها موجة من الحيرة وعلا الشحوب وجهها وجعلت ترتعد من فرعها الى قدمها ، وتوسلت الى الشاعر ألا يتوجه بمثل هذا الهزل الى غيرها . وقد لمس حبيبها مدى جهالتها وغرارتها من عوائق في طريقه في عالم الأدب والفكر الذى هو عالمه ، فاستقر قراره على أن يروضها على الأقل بما يجورها من ثقافة أولية ، ولما كان لا سبيل الى اقناعها من تلقاء نفسها على أى عمل جدى قد عهد بها ، وهى المرأة الناضجة ، الى مدرسة داخلية للشبان فدرست معلمها سنين ووجدت فيه حدثا مسليا . ومع هذا فانها كانت تحكم بالسوى الفكرى تمر في سنين وكانت تشترك في حفلات الرقص للمدرسة مع الصبيات وتحس شعور المرأة الناضجة دون أن تلتفت الى ذلك . وأخيرا غادرت المدرسة وقد أظهرت معلومات أولية كان تعرضها صاحبها كما يعرض الصغار ، وقد تجاوز سرورها كل حد يوم سمعها أنها أعرف بأسماء الفراعنة المصريين من حبيبى المعلم نفسه . وهكذا لم تعمل المدرسة شيئا فى غرارتها ولم تمنحها جبلة الفكر

الشاعرة اليزابث براونج

وتلك هى المرأة التى كتب لشاعر من أعظم شعراء القرن الخامس وأرقهم حسا أن يتزوجها ولا يجد بها أحرى على ما بها من جهل وغرارة

وقد كان يحسه في سنوات مرضه الأخيرة أن يحس حركتها حوله فيسم ابتسامات الخفية الشاحبة ويستشعر في تلك العزاء والرضى

والآن وقد أسلفنا مثالين أحدهما لزواج الفنان بالمرأة المتحلية بالعقل والكمال، والآخر لزواجه بالمرأة الصبية الجميلة مع الجهل والغرارة، وكيف أن التوفيق كان مصاحبا للزواج لا في الحالة الأولى وحدها بل في الحالة الثانية أيضا. فها هي أولاء طائفة من هذا التوفيق حينه في حالة أخيرة هي الجمع بالزواج بين فنان وفنانة. وقد قيل إن الجمع بينهما كالجمع بين هرين مستوحشين في جراب واحد

في مدينة لندن، في شارع ويمبول، وفي غرفة بالطابق الأعلى من منزل الأسرة تطل على أريكة صبية حادة أقعدها السقام من عقابيل سقطة من على ظهر الجواد في صباها ومن أثر صدمة نالتها من وفاة أخيها غرقا. تمر الأيام تلو الأيام وتمضي الشهور والأعوام وهي هنا مع كتبها وأوراقها بين كتاب الأثينة من الإغريق وشعراء عصر النهضة، منطوية عن الدنيا وهي عزلة موصدة الأبواب على الهموم، لا تطرق وحدتها بين الكتبة والقصة غير زائرة واحدة تحدثها عن الحياة الاجتماعية والأدبية في المدينة بالهامس عن مشوقة كالشمعة الحرى في حياة هي. تلك هي الآنسة اليزابث بارت الشاعرة النابهة وقد أخرجت للعالم من عصبها الذهبي مجموعة أشعار رائعة. ولقد شاءت المصادفة أن يسمع ابن عمها صديقا صاحب الشاعر روبرت براوننج وأن تصل إلى كل منهما عن الآخر. واتفق أن ضمنت الشاعرة إحدى قصائدها إشارة لشعر صاحبنا مع آخرين غيره فقالت: «أو رمانة من قطاف حديقة براوننج إذا شقت إلى صميمها كشفت عن قلب نابض بدم الحياة وله كل وشائج الإنسانية». فكان لهذه التحية الشاعرة تقديرها في نفس براوننج، وشجعه ابن عمها على المكاتبة لها، فكتب معربا لها عن إعجابه بديوان أشعارها.

وكانت هذه رسالة صاحبنا حيائية متحمسة، فأحدثها لتلاوة الكتاب نشوة طرب لا يوصف، وأجابت عنه بأخرى في رقة بين الاحتشام والترسل هزة سرور عميق. ولكن أرجئ بينهما المقابلة إلى الربيع لاشتداد السقام عليها في شتاء ذلك العام القارس. واتصلت المكاتبة يتبادلان فيها الرأي والنصيحة في الأدب. ومع أن هذه الرسائل في جملتها تدور على الموضوعات الأدبية فقد أخذ كل منهما يتعرف بها حسنة الآخر وسماته هنا ومع اللقاء بينهما كانا قد عرفا بعضهما من قبل تمام المعرفة. وكانت زيارة براوننج لها في مايو زيارة شبه صامتة وهي تهم بالتطلع المعبر دون استقباله لما هي عليه من الضعف والتقاعد. ولم تمض على هذه الزيارة أسابيع حتى طلب إليها أن يتزوج بها، ولم يكن علمه بحال مرضها المزمن يقلل من عزمها، ثم هو في الثالثة والثلاثين من عمره وهي في التاسعة والثلاثين. فدفعها حياؤها إلى رفض زواجها. وقد كتبت إليه في إحدى رسائلها: «إني رهينة أمرك في كل شيء إلا في أمر إسرارك بك، وعهدي لك ألا يعو

بيني وبينك إلا الله ومشيئتك أنت . واعلمي أنه حتى إذا قضي بخلاصي في مدى غير طويل من رحلة صعود هذا ، فإني أكون لك وقتما شئت أنت أن أكون : صديقة أو أكثر من صديقة ، وأما على كل حال صديقة إلى آخر العمر . فالأمر فيه لك . على أنك في هذه الأثناء حر مطلق الحرية ـ أي غير مقيد (على حد تعبيرهم) بعهد شرف . ولولا أني معتقدة أنك تعتبر نفسك غير مقيد لما كنت أراك ولأبيت هنا على شيء مهما كلفني الأمر .

ولقد ساعدها حبها لروبيج وحسده فيها الرغبة في الحياة . فنالت الغاية وتم الزواج بينهما ، وهجرا إلى فرنسا وإيطاليا وقضيا عمرهما أهنأ ما عاش زوجان

فالناس غير أشقياء بالزواج عامة ، بل منهم من يسعدون به كثيرهم أو هم أسعد حال . وقد يكون لهذه السعادة علل وملابسات ولكنها في رأينا مختلطات متشابهات . ونحن أميل إلى الاعتقاد بأن الزواج السعيد كالرزق يسعى له المرء ولكنه بعد قسمة يقسمها للناس مقسم الأرزاق والحظوظ

عبد الرحمن صدقي

كلمات مأثورة

- كثيراً ما يجهل الرجل ما يمكن أن تقوم به المرأة من رائع الأعمال باسم الحب
- أن تتزوج بلا حب خير لك ألف مرة من أن تتزوج بامرأة تحبها ولا تحبك

  أوسكار وايلد
- الذكاء يرفع الإنسان في عين نفسه ولكن أخلاقه هي التي ترفعه في عيون الناس

  ثورو
- ازدهرت العلوم في هذا العصر ولكن العواطف والأخلاق ما تزال في طورها الهمجي المتوحش . فما لم ترتق أخلاق الإنسان كما ارتقى عقله ، فليس لنا أن نقول إن البشرية استكملت عناصر حضارتها

  جول رومان

ذكريات

بيني وبين حافظ ابراهيم

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري
مراقب المجمع الملكي للغة العربية

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وبعد، فلا أدري ما حيرة القلم في أن تردني على الكتابة فيما كان بيني وبين شاعر النيل حافظ بك ابراهيم، عليه رحمة الله؟

لا أدري ما حيرتها في هذا، وما أعنى بجريها فيه وبدفعها إليه، وكلما اعتذرت ردت الاعتذار، وكلما حاولت التملص سدت علي المسالك، وأخذت علي جميع المذاهب. ويا عجبا! ماذا يكون بيني وبين حافظ إلا ما يكون، في العادة، بين جميع الأصدقاء، أو بين جميع الأعداء!

كنت أصحب حافظا ويصحبني، وكنت ألقاه ويلقاني، وكنت أسمر معه ويسمر معي على أنني لم أكن وحدي الذي ظفر بهذا الحظ من حافظ ابراهيم، فمن صاحبوه ولازموه كثير، وممن عشروا مجلسه، واستمتعوا بلطفه وظرفه أكثر. وحافظ لم يكن شحيحاً ولا منقبضاً عن الناس، ولا زاهداً في لقائهم وغشيان مجالسهم وصنع مجالسه لهم، والتبسط بألوان الحديث معهم بل لقد كان مباحاً ثراً متدفقاً، يسمح بطرائفه، كما يسمح بماله وطعامه، ما يبخل على أحد بما طالت يده ولا بما يطول لسانه، ففيم إذن أتحدث عنه وفيم اختصاصي بالقول فيما كان بيني وبينه؟ على أني ما برحت مقروح الكبد لفقده، ما رقأت لي عليه دمعة، ولا تبرد لي، كلما ذكرته، لوعة. فكيف لي، مع هذا، بالخوض في شيء من شأنه، وما يعجب وما يسر من حديثه وما يطرب؟

في الحق أن تكليفي هذا دون الناس جميعاً عجب من العجب!

• • •

وبعد ، فإذا كانت « الهلال » إنما عرضت على إنشاء هذا لأنها تحسب أني كنت أوثق أصدقائه به وأقربهم مكانًا من نفسه ، فقد خالفها الظن وأخطأها الحدس .

عاشرت حافظًا وصحبته ولازمته أكثر من خمس وعشرين سنة متوالية متصلة ، حتى مضى إلى عفو الله ورحمته . ومع هذا لا أدري أكان لي أصدق الأصدقاء ، أم كان لي أعدى الأعداء ؟ ولا أدري ، من جانبي أيضًا ، أكنت له أصدق الأصدقاء ، أم كنت له أعدى الأعداء ؟ وهل كان يحبني أشد الحب ، ويضمر لي خالص الود ، أو كان يكرهني أشد الكره ، ولا ينطوي لي إلا على أسوأ الغش ؟ كذلك لا أدري إذا كنت أحبه أشد الحب ، ولا أضمر له إلا أصدق الود ، أو إني أكرهه أعنف الكره ، ولا أنطوي له إلا على أقسى الحقد والبغض ؟ أكان يكبرني ويجل موضعي ، وكنت أكبره وأجل محله ، أم كان يزدريني وأزدريه ، ويرى أن لا فضل لي وأرى أن لا خير فيه ؟

وترى أنه كان لا يبغي لي إلا النفع والخير ، ولا أبغي له إلا النفع والخير . أو أنه كان لا يرجو لي إلا الأذى والضر ، ولا أرجو له إلا السوء والشر ؟

ما زلت ، لعمري ، بين الأمرين في أشد الحيرة وأضل الضلال !

كنت لا أستطيع صبرًا على فراق حافظ ، وكان حافظ لا يستطيع صبرًا على فراقي . ولا أستطيب طعامًا شهيًا إلا إذا كانت يده مع يدي ، ولا تطيب له رحلة مترفهة إلا إذا كانت رجلي مع رجله . وهل مهد لأينا مجلس هنء ، أو لهو أو سمر ، فاستوى فيه ، واطمأن إلى موضعه منه ، إلا إذا كان صاحبه معه ، واحتل من المجلس موضعه . لا يخفي أحدنا عن الآخر سرًا ، ولا يكتمه من مداخل أمره أمرًا .

ولقد يدعوني بعض الأمر إلى الشخوص إلى الإسكندرية على أن أبيت فيها ليلة ، فينط من حنق ، ويتميز من غيظ ، ويهون على من سخط طليقي ، وينطلق بذم الإسكندرية ، ورطوبة الإسكندرية ، وضيق ساحة الإسكندرية ، حتى لتلقى من ذكره في اليوم الواحد عشرين مرة في الإسكندرية . فإذا أصاب مني العزم والإصرار ، زم متاعه ومضى معي إلى الإسكندرية ، ما يفتر لسانه طول الطريق لحظة واحدة عن لومي وتقريعي ، والإبانة عن سوء رأيي وفساد ذوقي . يفعل هذا وهو متجهم الوجه بادي الغيظ ! ولقد تدعوه بعض الحاجة إلى سفرة كهذه السفرة ، فأفعل معه مثل هذه الفعلة . وسرعان ما أزم حوائج السفر ، وأمضي معه متى استيقنت من عزمه وإصراره !

وكيف كان الأمر ، فإني أعود فأقرر أن حافظاً رحمة الله عليه ، كان لا يستطيع على فراقي صبراً ولا أستطيع على فراقه صبراً ، ومع هذا فإنه ما جمعتنا خلوة إلا أخذ يصارحني ببغضه ، وأباديه مقته . ويذكرني ما أسلفت من أذاه ، وأذكره ما أسلف من الكيد لي ، ولا نزال على هذا حتى يبدو ناجذ الفتنة ويهيج هائج الشر ومع هذا لا يوسوس لأينا نفسه بالفرقة وطلب الخلاص من هذا البلاء !

لا أذكر أنه صفني به مجلس قط ، سواء كان فيه من نعرف ومن لا نعرف ، وكان فيه من علت أقدارهم ، وجلت أخطارهم ، أو كان فيه من تهون شأنهم ، ولا تسمو أقدارهم إلا استحقارهم والزراية عليهم . لا أذكر أنه صفني به مجلس قط إلا علاه مناضلا ، ونال بين يديه أكره مكارهي فإذا أعوزه المكروه خلقه خلقاً وارتجله ، من غير الخاطر ، ارتجالا !

ولقد يوغل في الكيد ويمعن في الأذى ، فيشرك نفسه معي فيما يرميني به من ألوان التهم، ولو قد صح أكثرها لأفضت بنا كلتا إلى محكمة الجنايات ، والشهيد لله فيقول لقد فعلت أنا وفلان كذا ، ولقد اقترفنا كذا ، وهكذا . وكل هذا ليؤكد على التهمة ويوثق الجريمة . وتراه يمعن في هذا الموضع نفسه ، ويبلغ منها به ما لا يبلغ أعدى عدوه ، ويرمي نفسه معي واصطلاءه علي . ولا آجر الله القائل :

فاقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا معي !

وانظر يا سيدي كيف يكون فعلي ، حتى لأكاد أخرج من جلدي ، ثم فكر فيما يرمي به لساني من منكر القول ، ومستكره اللفظ ، بمحض من صبي ، وشفاء لصدري ثم تدبر ، بعد هذا ، ما يعتريني من الألم ، وما يلحقني عليه من واخز الندم . ولعنة الله على الغضب وما يحمل الغضب !

ولقد يتوافق رأيانا في رجل ، فنذكره بما يعاب به من ثقل الظل ، أو شدة البخل ، أو الكذب والتزيد ، أو التصنع وعرض الدعوى . أو غير ذلك مما يكره الناس أن يذكروا به فيلقاه في سر مني ، ويقول له : « إن فلانا يرميك بكيت وكيت ، فتعال معي أسمعك بأذنك » . ويواريه في غرفة مجاورة ، أو يلبسه من حيث لا أرى ، خلف ستر ، أو تحت سرير ثم يقبل علي فيستدرجني إلى حديثه ، وما عسى أن يكون قد أرسله من الشكاة على جلالة نيته . فإذا ظفر من هذا كل ما أراد ، سل صاحبه من حيث كان ، فطلع على مثير الوجه ، متكرش الجبين ، مغبر الحلق ، بارز الناب !

وانظر ، يا رعاك الله ، في جد يجب على أن أسجله . وقد يمسي حافظ لا ينقذ الموقف (كما يقولون) ، ويصرف الأمر كله إلى النكتة ، حتى تسكن غضب الرجل ، ويفرج عنه ، وتطيب نفسه ، ويشيع البشر في وجهه . على أني إذا خرجت من ذكر شره على سلم ، واطمأنت نفسه إلى الأمن ، فإني لأقضي شطر ليلي سهران وساد الليل قلق النفس مقشعر الجلد مما عسى أن كان يكون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ومن أعجب العجب ، وإن شئت فقل (من بركة السحر) أن هذه الحوادث قد انتهى أكثرها ، إذ لم نقل قد انتهى جميعها ، إلى استيثاق الصلة ، وعقد الألفة بيننا وبين هؤلاء الذين كان يغريهم حافظ بي ، ويثير حفائظهم على بما يسمعهم من حديثي فيهم ، وتناولي لمكارمهم . وقد يزداد هذا الألف ، على الأيام ، حتى يصبح صداقة متينة وودا خالصا !

وأغلب الظن في هذا أننا لم نكن نعرفهم حق المعرفة . ولم نخالطهم حتى نقف على يقين حقيقة شأنهم ، فنسرع إلى الحكم عليهم بما نرى من ظواهرهم ، أو بما نسمع من خصومهم فيهم . حتى إذا عرفناهم وبلوناهم ، تجلت لنا صفاتهم ومزاياهم . وإذا ما ذهبنا إليه إن كان أوهاما في أوهام ، لم نخرج منها واحسرتاه ، إلا بالمكر والآثام ! اللهم اغفر لنا خطايانا وتب علينا واعف عنا ، إنك أنت التواب الرحيم !

على أن ما سرنا ، في هذا الباب ، أن ما تناولنا ، والحمد لله غرضا ، ولا اتهمنا أحدا في ذمة ، ولا رميناه بكبيرة . إنما هي الشهوة إلى التندر على الناس والسلام !

• • •

ولقد كان حافظ يعرف مني شدة الخوف مثلا من سرعة السيارات . فيسرع حتى إلى اعدادي فرصة أو لمسة . ولا أركب حتى أستوثق من أن السائق لا يعجل . وإذا هو قد أوصاه ، ورشاه ، فما يكاد الخبر يسمعه عمل السيارة حتى يجري بها في سرعة الكوكب الهاوي أو البرق الخاطف ، لا يبالي زحمة الطريق ، ولا مواجهة الترام ، ولا يطامن منه أنه يرقى تلعة ، أو يمشي على حافة ترعة . أو نحو هذا مما يغلب توقع التلف فيه على توقع السلامة .

• • •

وقد فارجو ألا تظن أني كنت أتشى مع حافظ ، على شيء من هذا ، بالحكمة الرقيقة القائلة « السمح كريم » ، فإني ما كنت أجزيه الأشرا بشر ، وغيظا بغيظ ، وكيدا بكيد ! ولعلي كنت أحمر الناس بما يخبث نفسه ، ويكدر صفوه ، ويذكي همه وغمه ، ويسود نهاره ،

ونحن في الليل نصحبه قد حرمت شيئاً من هذا شهوة الطعام أيضاً والبادي أظلم !
هذا ولا نتفارق ، لأننا كلينا لا نستطيع عن الفراق صبرا

* * *

وإذا أردت أن تعرف بالضبط والتدقيق نوع الصلة التي كانت بيني وبين حافظ ، فاسمع ما كان يصفني به ويردده على الأسماع عني : « فلان صديق لا ند منه » وكان ذلك رأيي فيه أيضاً رحمه الله ، وألحقني به على الإيمان إن شاء الله

وأرجو ، إذا كان في العمر فسحة ، أن آتي بشيء من التفصيل عن بعض ما كان بيني وبينه من هذا القبيل

عبد العزيز البشري

نظرات في الحب

تظل حب الأنانية متأصلة في نفس الزوج والزوجة [illegible] ، فإذا استمر حب بعد الزواج واشتد استمر ما بعد الإنسال ، فقد نظام العائلة وقضى آخر الأمر على مسئولية الحياة الزوجية لأن أنانية الحب لا تتفق مع واجب التضحية للأسرة وللأبناء

تولستوي

الحب الذي تبرعه المرأة تحب من يحب الرجل وهذا هو السر في عذاب الفلاسفة

ستندال

كلما رأى عقل وإحساس [illegible] [illegible] متعددة للحب [illegible] [illegible] [illegible] من الذي يولد العواطف والإحساسات والخيالات التي تعم على نحب نوعه البشري الجميل . ونحن نرى [illegible] [illegible] في العالم صحبة الحب الجميل ، وأما الجنس فنتيجة [illegible] . ولكن المرأة كثيراً ما تحب الجنس [illegible] وتقر من نفسها شعورها بأنه يطلب منها أكثر مما تستطيع أن تعطي

جورج صاند

بغداد

كما تصورتها وكما رأيتها

بقلم الدكتور زكي مبارك

الأستاذ بدار المعلمين العليا ببغداد

قبل الرحيل إلى بغداد بأيام أوصاني صديق عزيز لدي الدكتور طه حسين فقال: ستقدم بغداد وأنت كاتب معروف، فيقبل عليك الصحفيون يسألونك كيف رأيت بغداد، فإن فعلوا فاحذر يا دكتور زكي أن تصرح بشيء، لأنك موظف في حكومتين، ومركزك دقيق

وقد صح ما توقع ذلك الصديق، وكنت عند حسن الظن، فلم يظفر مني الصحفيون العراقيون بشيء غير التلطف في القول. ولكن مجلة الهلال ستظفر بما لم يظفر به الصحفيون العراقيون، لأن مدير الهلال لم يعرفه مني، فكتب يسألني كيف تصورت بغداد وكيف رأيت بغداد، والهلال على قلبي خفيف، فلأتوكل على الله، ولأصرح مرة واحدة على ذلك المركز الدقيق

على أني لا أتوقع أن يغضب العراقيون من شيء مما سيقع في هذا الحديث، لأن الصدق لا يغضب عقلاء الرجال، وإنما يغضبون من التحامل البغيض الذي تمليه الضغائن أو الأهواء

وليس من الإسراف أن أصرح بأني لست من الغرباء في بغداد، فأنا أغار عليها كما أغار على القاهرة أو الإسكندرية أو سنتريس أو أسيوط، لأنها في نظري وفي حسي من العواصم العربية التي يغار عليها العرب والمسلمون في جميع الممالك والشعوب، وفي نيتي — وأنا صادق — أن أجاهد في سبيل بغداد حتى تبلغ ما هي أهل له من الحضارة والعمران، وتحمل مصابيح الثقافة كما كانت في عهود الخلفاء، ولن أترك هذه المدينة حتى أسمع في صدور تلاميذي وأصدقائي سورة الشوق إلى الحياة العالية، حياة المدنية الصحيحة التي تعشق الأنوار وتبغض الظلمات، فلا يبقى في بغداد شارع ولا حي إلا وحوله ملائكة أطهار يسمون به إلى مناط الجوزاء، والله بالتوفيق كفيل

* * *

أما بعد فقد كنت أفهم جيداً أن بغداد أدت واجبها منذ يوم شاء لها الطالع السعيد أن تسيطر على المشرقين والمغربين، وكنت أفهم جيداً أنها في غفوة الراحة بعد ذلك النضال العنيف، ولم يكن يخطر ببالي أن أراها كالقاهرة أو باريس، ولكني مع ذلك كنت أنتظر أن أجد آثار

المدينة التي أقامها العباسيون، وهنا أصرح والأسى ملء الفؤاد أن آثار العاصمة من بني العباس لم يبق منها إلا رسوم ضئيلة هي في مظهرها ظنون في ظنون، وكذلك قضت المقادير بأن لا يبقى شيء من قصور الخلفاء والوزراء والأمراء الذين سيطروا على العالم نحو ثلاثة قرون، وكانت أيامهم مواسم الدنيا وأعياد الزمان. وقد سألت عن السبب في ضياع تلك الآثار فحدثوني أن نهر دجلة الغادر الصوال كان يطغى من حين إلى حين فيطمس ما يشاد من القصور والبساتين، وقد شاء له عدوانه أن ينقل بغداد من مكان إلى مكان، فهي اليوم في ضفة غير الضفة التي اختارها المنصور على أيامه السلام، فإن شئتم وصف بغداد القديمة فارجعوا إليها في الكتب، فقد كان المؤلفون القدماء يدركون بغير وعي صريح أن مدينتهم سيأتي عليها يوم لا يعرفها فيه غير قراء الأخبار والأساطير

* * *

وكنت أتصور أن بغداد لا تزال فيها بقايا من تقاليد الترف العراقي الذي عرفه العصر، فوجدتها مدينة لا تعرف غير خشونة الخلائق، ورأيت الوزراء يسكنون في قصر ساذج لا يعرف معنى الزخارف والتهاويل التي تعرفها بعض القصور في بعض الحكومات، وقد تحدثت حتى زرت وزير المعارف، وكان أول من رأيت من الرجال يوم وصلت إلى بغداد، فقد رأيتني أمام وزير المعارف فقط، أمام المنطق والعقل، ولم أر في غرفته شيئاً يدل على ذوق الترف في نعيم المعاش، وكذلك كان الحال حين زرت رئيس الوزراء، فقد رأيتني أواجه رجلاً عرف أدب النفس ونسي كل خيلاء وهو رئيس الوزراء

وكذلك يمكن الحكم بأن دور الحكومة في بغداد هي مواطن أعمال لا مواطن لمقال

كنت أتصور بغداد قد تأثرت بالمدنية الحديثة فأصبحت كالقاهرة فيها حي قديم وحي جديد، فلما وقعت عيني عليها رأيتها مدينة شرقية من جميع النواحي، ورأيتها لم تأخذ من المدنية الحديثة غير الإضاءة وتوزيع الماء على البيوت، وفيما عدا ذلك تشبه بغداد مدينة القاهرة قبل جيلين، فتجد فيها الأسواق والخانات على نحو ما كانت القاهرة في عهد المماليك، والشبه كبير جداً بين سوق النحاسين في القاهرة وسوق الشورجة في بغداد، ولا أكتم القارئ أن بغداد تفتن من هذه الناحية أشد الفتون، ففي أسواقها ملاهٍ للنظر والذوق، وفي حاراتها تذكر أحاديث «ألف ليلة وليلة»، وفي مساجدها العتيقة ما يذكر بمجالس أبي الفتح في مقامات بديع الزمان

وقد ثارت نفسي ثورة عنيفة يوم رأيت بغداد، وهممت بأن أقترح على رئيس الحكومة العراقية هدم هذه المدينة وبناءها من جديد، ولكن لم تمض أيام حتى رأيت التطور يأخذ مجراه فقد شرع الناس في الهجرة إلى الضواحي وأخذوا يشيدون منازل حديثة على الطراز الحديث، فإن زرتم بغداد بعد عشرين عاماً فسترونها كالقاهرة تنقسم إلى قسمين عظيمين: قسم قديم وقسم حديث

في أني أصبحت آمن أن لا تفقد بغداد القديمة ، فلأسواقها جاذبية ، ولطرقها الضيقة ملامح من الحسن الأصيل ، وهي فوق ذلك صورة من المدنية الشرقية التي يحرص عليها أستاذنا الدكتور منصور فهمي أشد الحرص ، ويتمنى لو يعود إليها الشرقيون أجمعون

* * *

وكنت أتصور دجلة نهراً صغيراً لم يأخذ عظمته إلا بفضل أخيلة الشعراء ، فلما رأيته أحسست من الروعة كل مأخذ ، وتمنيت لو جاء شعراء مصر فرأوه وعرفوا أن في الدنيا نهراً يشبه نهر النيل . إن دجلة نهر هائل جداً ، وهو حين يساير بغداد يقرب من النيل في الاتساع ، ولا يمتاز عليه النيل إلا بميزة واحدة هي قوة تدفق مائه ، أما دجلة فله مزايا كثيرة أشهرها قيام النخيل على جانبيه ، وحرص أهل بغداد على إقامة المنازل والشرفات تحت مواجه مسطرة النخيل

وقد بحثت عن الجسر الذي قال فيه ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن لي الشوق القديم ولم أكن ... سلوت ولكن زدن جمراً على جمر

بحثت عن هذا الجسر ، فلم أجده ، فوا أسفاه . وإنما وجدت جسراً اسمه جسر مود ، ومود Maude هذا اسم قائد من قواد الإنجليز الذين دخلوا بغداد فاتحين

فيا رئيس حكومة العراق تفضل وسم الجسر الجديد (جسر ابن الجهم) مراعاة لخواطر الشعراء

وعهدي بالماء في نهر دجلة يجعله من أصلح الأنهار للملاحة النهرية ، ولكني بعد الفرص رأيت الملاحة في دجلة تنعدم أو تكاد ، فقد تمر ساعات وساعات ولا تقع العين على سفينة واحدة في ذلك النهر المجنون بالغدوات والروحات . أما الفلك الصغيرة التي يركبها اللاهون والعابثون فلا تزال على العهد الذي عرفه الشاعر المفضال أبو نواس ، ولكن قلّ من فيها اللاهون كما كانوا يصنعون في الأيام الخوالي ، وقد سامرت النجم ليلتين على شاطئ دجلة لأسمع غناء الملاحين ، ثم انصرفت وقد كادت أذني تصم من سكون الليل

وحملني حب الدنيا على التفكير في شراء جنة على شاطئ دجلة فعرفت أن المتر المربع يباع بنحو دينارين ، وكذلك عرفت أن أهل بغداد يعرفون قيمة الأرض على شاطئ ذلك النهر الجليل

وكنت أنتظر أن تكون بغداد مدينة يغلب عليها اللهو واللعب والمجون ، فرأيتها أعجوبة الأعاجيب في الجد والنشاط ، ولقد زرت نحو عشرين مدينة من المدن العالمية فلم أر من صور الجد والاهتمام والمثابرة معشار ما رأيت في بغداد ، فحيثما نظرت رأيت ناساً يسعون إلى أعمالهم عند الظلام ، وشهدت الناس يغدون ويروحون وعلى وجوههم أمارات الجد الرزين . والمدارس في بغداد هي اليوم مصانع لسبك الرجال ، ويندر أن تجد شاباً يضيع وقته على نحو ما نرى في مدارس القاهرة أو مدارس باريس

والبغداديون يتمسكون بمدينتهم تمسك الأملاك، فهم السادة الأعلون، ولا يسود في مدينتهم من الأجانب إلا عدد قليل، وسيكون من حظهم في المستقبل أن يعربوا كما مصرنا مدينتنا ولم يساعدنا على تمصيرها عامل من العالم القديم أو العالم الجديد.

ولقد شهدت آثار هذا النحو حين رأيت تلاميذي في دار المعلمين العالية، فهم شبان أذكياء تكفيهم اللمحة، ولا أحتاج في تفهيمهم أدق المشكلات إلى أدنى عناء.

وكذلك يحدثني الأساتذة المصريون الذين يدرسون في كلية الحقوق فهم يشهدون بأن تلاميذهم فوق ما كانوا ينتظرون، وأنهم يفهمون أدق المشكلات بأقل من البيان.

وكنت أنتظر أن تكون بغداد ميداناً للجدل والسجال على نحو ما كانت في عهود المتكلمين، فكانت كما انتظرت، فهي اليوم تزخر بالأدباء والمفكرين الذين يملأون الأسماع بأجود ما تجود به العقول، ويكفي أن يكون فيها رضا الشبيبي وزير المعارف وطه الراوي مدير التعليم، فهذان الرجلان يصوران ما امتازت به العقلية العراقية في قديم الزمان.

وأشهد صادقاً أني ما صادفت رجلاً من المفكرين في بغداد إلا شعرت منه بأجزل الإمتاع، ولا رأيت كاتباً ولا عالماً إلا تذكرت الجاحظ وابن العميد.

وليت أدباء القاهرة يعرفون أن مؤلفاتهم تقرأ في بغداد، وليت أصحاب المجلات في القاهرة يعرفون أن لهم قراء في العراق، فلو عرف رجالنا في مصر شيئاً من ذلك لحاسبوا أنفسهم حق الحساب، ففي العراق موازين تعرف بها النقصان والرجحان، وفي العراق رجال يميزون بين الطيب والخبيث والغث والسمين، وأدباء مصر لهم في العراق خصوم وأنصار لا يخفى عليهم الحق ولا تجوز عليهم الأباطيل.

• • •

وكنت أتصور بغداد مدينة أثر فيها الاحتلال، احتلال الترك أو احتلال الإنجليز، فوجدتها مدينة عربية في كل شيء، ولا تعرف فيها لغة الترك ولا لغة الإنجليز، فالعراق من هذه الناحية يشبه مصر، فهو يبتلع كل شيء، ولا يؤثر فيه شيء، ولعل للمذهب أثراً في ذلك، فهو لا يزال يعتقد أنه رائد الأمم العربية جمعاء، وهو من أجل ذلك يرفض السيطرة الأجنبية، فإن رأيتموه يستعين الفضلاء المصريين في بعض شؤونه فاعلموا أنه يرى المصريين إخوة أشقاء، ولا يراهم أجانب، وهذا معنى لمسته بنفسي وقابلته بأصدق آيات الثناء.

وكنت أتصور بغداد مدينة شغلتها الحروب عن تقاليد الإسلام، فرأيت أنها أرقى مدينة إسلامية في كل شيء، وما ظنكم بمدينة تعيش في القرن العشرين وهي مع ذلك لا تسمح لإنسان بأن يدخن سيجارة في رمضان، ولا يجتمع فيها مطعم ولا مشرب ولا حانة في أيام الصيام؟

هل تصدقون أن الخروج على آداب الصوم يعرّض الرجل إلى دار الشرطة حيث يلقى سوء الحساب؟

هل تصدقون أن رجال الشرطة في بغداد يراقبون الناس في الطرقات عساهم يظفرون بجاهل يتظاهر بالإفطار ليزجوا به في غيابات السجون ؟ هل تصدقون أن النصارى واليهود في بغداد يحترمون رمضان مراعاة لخواطر المسلمين ؟

أقول هذا وقد سمعت أن الصوم الحق لا يقوم به إلا الأغنياء ، ولكن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن العراق من الأقطار الإسلامية التي تعرف الواجب نحو الدين الحنيف

وكنت أتصور بغداد تموج بالفتنة بين السنة والشيعة ، فلما عرفت الناس حق المعرفة رأيتهم على جانب عظيم من التسامح ، ورأيتهم يمشون جنباً إلى جنب في هدوء واطمئنان ، ورأيت الثقة بينهم على أتم ما يكون من الصفاء ، وتبينت أن المذاهب الدينية لا تصرفهم عن الواجبات الوطنية ، وأن الأخوة العراقية ستكون أساس الوحدة بعد قليل من الزمن

وجملة القول أن بغداد في عهد الصفاء ، والتجارب القاسية التي مرت بها ستجعلها في حرز من تقلبات الأهواء . فمن كان في ريب مما أقول فلينتظر قليلاً ، فستأتي هذه البلاد بالأعاجيب ، وسيرى الشامتون بالحبيبة أنهم كانوا واهمين

ان العراق ينفض عن جبينه آثار السبات القديم ، ويلتفت الى المستقبل تلفت الليث جاعت أشباله ، ويطل على الحياة اطلال الأصيد المهتاج ، ويضطرب في الدنيا كما تضطرب الرعود السواري في عمق الليل ، فمن كانت له عند العراق حاجة فليؤجلها قليلاً ، فإن العراق لا يفكر اليوم إلا في شيء واحد : هو أن يكون أمة تحكم وتستطيل

● ● ●

قد تسألون . وكيف يحيا الصبح في بغداد ؟ . وأجيب بأني رأيت في بغداد لونين من الحياة ، أما اللون الأول ، لون الجد ، فهو ما حدثتكم عنه ، وأهل بغداد من هذه الناحية جبابرة عتاة ، وفيهم من يصل النهار بالليل في سبيل الرزق ، وفيهم من لا يأوي الى فراشه إلا وفي صدره غرض مبيت مدفون

وأما اللون الثاني ، لون الهزل ، فهو يتمثل في المراقص والقهوات ، وما أزعم انى قادر على وصف المراقص ، لأني زرت مرقصاً واحداً مرة واحدة ، وذلك المرقص يعطي صورة صحيحة ، لأنه فيما سمعت كثير الأشباه في بغداد ، وعادة اللهو في هذه المراقص لا تعتمد على الجمال العراقي ، وإنما تعتمد على الجمال الأوربي ، فالراقصات في تلك المواطن من النوع الذي جلبه السفن والسيارات لإيناس اللاهين من المترفين ، والمحنة التي شهدتها في ذلك المرقص تهدي الى كثير من المعاني ، فقد رأيت من الساهرين من يقول : ان ذلك الفتى الذي يراقص تلك الشقراء هو ابن الشيخ فلان الرجل الصالح الذي لا يعرف غير المسجد والبيت ، ففهمت من ذلك أن بغداد تنقسم الى جيلين مختلفين أشد الاختلاف : جيل الشباب وجيل الكهول ، ومعنى ذلك بعبارة أوضح أن الفتيان الذين يرقصون الرقص الأفرنجي في بغداد ليس لهم في ذلك المترك أعمام ولا أخوال

وأحببت أن أرى الملابس البغدادية الأصيلة ، ولكن الصديق الذي أثق به في بغداد نهاني عن ذلك . أيكون معنى هذا النهي أن البغداديين يرون ملابسهم القديمة مما تمجه الأذواق ؟

أما القهوات فشكلها من طراز قهوات حي الحسين ، ويندر جداً أن يشرب فيها غير القهوة والشاي ، وربما كان من الحق أن نقرر أن البغداديين لا يشربون الخمر أبداً على قارعة الطريق ، كما يتفق ذلك لأهل القاهرة والإسكندرية وبور سعيد ، فهم من هذه الناحية عقلاء . ومع أن الحانات تظل في الأغلب مرخاة الستائر مغلقة الأبواب لا يهتدي إليها غير العاشقين ، فقد قرأت في الصحف العراقية كلمات يقترح كاتبوها أن توصد أبواب الحانات إيصاداً مطلقاً في ليالي رمضان

ومع أن البغداديين يتحفظون في شرب الخمر فهم يسرفون في شرب الشاي إلى حد الإسفاف ، ويتفق في أحوال كثيرة أن ينقطع الرجل عن الحديث ، فإذا سألت عرفت أنه لم يشرب الشاي منذ ساعتين ، وأنه من أجل ذلك حيران ، فهم من هذه الناحية يشبهون الفلاحين في مديرية البحيرة ، فمن أهل البحيرة من لا يتحرك ولا يعقل إلا إذا أسعفته بكأس من الشاي الأسود المحمص

وهناك مسألة على جانب من الأهمية وهي الوحدة المفقودة في العراق ، فمن المعروف أن في العراق أجناساً مختلفة . ولكن اللون يكاد يتوحد في تلك البلاد ، فإذا مشيت في شوارع بغداد شاهدت وحدة جنسية يمثلها اللون ، وسبب ذلك فيما أعتقد يرجع إلى جو العراق ، فلذلك الجو سلطان قاهر في لفح الوجوه ووسم البشرة بسمات تقرب ما بين الشكل على اختلاف الأجناس

والمرأة هنا محجبة تمام التحجب ، وهي لا تلبس البرقع كما كانت تفعل المرأة المصرية ، وإنما تغطي وجهها كله بحجبة محكمة فلا ترى الدنيا إلا من وراء السواد ، فإن رأيت امرأة سافرة بعض السفور فثق أنها من بنات إسرائيل . وقد شاع اختلاط الجنسين في المدارس العالية ، ولكنه اختلاط محدود بالتحفظ الشديد ، وهو على كل حال من طلائع العصر الحديث . والوجوه في هذه البلاد وجوه مكدودة أرهقها طول النضال ، فلا تعرف لين الترف إلا في قليل من الأحيان

وهذا الحكم سوف ننقضه لأنا نرجو أن يكون خلف الستار كثير من اللؤلؤ المكنون فيك بغداد ! . أين الحسن الذي أطال في وصفه الشعراء ؟ أين عيون المها يا بغداد ؟ أين مراتع اللهو ، وأين مرابع الفتون ؟ أمن الحق أن قد عفا عليك الدهر فلا يجد الأنيس ؟

بغداد ! كنت أرجو أن أراك أمتع من القاهرة وأجمل من باريس ، فارحمي البشر قليلاً حتى أستطيع أن أغني بحسنك الرائع ، فإن لم تفعلي فسيطول عليك العتب من شاعر مغترب

زكي مبارك

بعد السفور

وجوب تكوين المجتمع المصري المختلط

بقلم الأستاذ ابراهيم المصري

وقف تطور الحياة المصرية الاجتماعية عند حد السفور ولكن السفور وسيلة لا غاية ، وهذا البحث الذي يجب أن نخطوها لتحقيق نهضتنا الاجتماعية هي تكوين المجتمع المصري المختلط في دائرة الأدب والاحتشام . وهذا الموضوع جدير بأن يبحثه أهل الرأي ويعنوا به كل عناية ، وهذا نفتح له باب النقاش فيه

من الظواهر الملحوظة في المجتمع المصري الحاضر والتي تدل أبلغ الدلالة على أننا لم نخط بعد الخطوة الحاسمة في سبيل تطبيق روح الحضارة العصرية في عادات وأخلاق وأساليب حياتنا ، أن سيداتنا العصريات المثقفات اللواتي يطالعن الصحف ويقرأن القصص ويغشين المسارح ودور السينما ، ما يزلن يخجلن ويأبين الظهور في المجتمعات العامة أمام رجل غريب

نحن قد نعد عدداً عظيماً من سيداتنا ولكننا لم نعثر بعد على جسارة هؤلاء النساء على الانتظام في حفل كبير يضم عدداً كبيراً من أفراد الجنسين ويتألف منه مجتمع مصري مختلط أشبه بالمجتمعات الأوربية التي شهدتها في مصر وعهدت الأجانب عليها

والواقع أن أرباب الأسر المصرية على الرغم من ارتقائهم وارتفاع مستوى تعليمهم واختلاطهم في الأوساط الأوربية ، ما يزال معظمهم يخشى الاعتراف ويوجس خيفة منهم ويسيء الظن في أخلاقهم ويعتقد أن غريزة احترام المرأة لم تتكون بعد في نفوسهم ، وأنه من المحتمل جداً لو أنهم اتصلوا بالمرأة الشريفة ، سواء أكانت فتاة أم زوجة ، أن تعصف بهم النوازع الفجة فتتولد من هذا الاتصال فضائح عائلية يكرهها الرجل الشريف ويفزع منها ويسخط عليها أشد السخط ويبذل قصاراه كي لا يصبح ضحية لها

ويدل ثقة الرجل المصري بالرجل المصري ما تزال معدومة في مصر . وقد يكون رب الأسرة صديقك بل من أقرب المقربين الى نفسك ، وقد يكون في نظرك انساناً محترماً ، فاضلاً ، ولكنك مع ذلك لن تظفر منه بدعوة خاصة الى بيته ، ولن تستطيع الجلوس الى امرأته وابنته ، ولن يسمح لك بأن تدخل داره مصحوباً بامرأتك وأولادك ليتم التعارف الكامل بين الأسرتين

وتكون من هذه التجارب نواة المجتمع المصري المختلط المنشود

وصحيح أن بعض الأسر عندنا لم يعد يحفل بهذه التقاليد . ولكن السواد الأعظم من المتعلمين أنفسهم مازال متشبثا بها حريصا عليها معتقداً أن الاستمساك بها صيانة عظيمة وعنوان شرف كبير

وقد ترتب على ذلك أنك أصبحت ترى امرأة صديقك السافرة في الشارع وفي المحل التجاري وفي دار المسرح أو السينما ، ثم لا تستطيع أن تراها في بيتها لتفهم حقيقة شخصيتها وتعرف كيف تعيش وكيف تشعر وكيف تفكر . أصبحت تعترضها في الحياة العامة وتحس بها وتكلمك فإن أردت تهذيب عواطفك وصقل احساساتك ومشاعرك بالتحدث اليها والتحدث معها واشراكها في المسائل التي تشغل عقلك وتمثل مواطنيك ، حيل بينك وبينها واتهمت بسوء النية وسوء القصد .

وليس شك في أن اقبالنا على حياة الكسل والتلاهي في القهوات يرجع الى هذا . وما دام المجتمع المصري غير موجود فالقهوة هي المجتمع . ونحن لا ننطلق الى القهوة إلا لنفر من بيوتنا ونفتش عن عناصر التسلية فيها وننسى ركودها وصمتها وننجو من جوها الخانق المتشابه الذي لا يصل اليه الأعراب طابع البهجة والمرح

والحقيقة أن مجتمع القهوات لا يجمع على شئ ، ولا يرمي الى قصد ، لأنه مجتمع رجال فقط ، ومتى اجتمع الرجال في صعيد واحد ارتفعت الكلفة وتحطم سياج الآداب وزايلت الفرد ملكات الحكم على نفسه وعلى العاطفة وعلى كل ما يمكن أن يصدر عنه

فوجود المرأة هو الذي يشعر الرجل بكرامته ، ويضطره الى ملاحظة نفسه وأقواله ، ويجبره على التزام حد الأدب ، ويرغمه على الارتفاع بشخصيته وحديثه الى مستوى يدعو الى الاحترام والاعجاب

وهذه هي الحضارة في أدق معانيها

فالرجل يظل متوحشا حتى يتصل بالمرأة فيتحضر . والمرأة تظل راتعة في أنوثتها البهيمية لا تفكر إلا في المسائل الأرضية البحتة ولا تهتم إلا بالصور والخيالات الحسية حتى تتصل بالرجل في الحياة العامة ، وعندئذ تتحضر هي الأخرى وتدرك أن هناك أفكاراً وآراء ومشاكل تشغل عقل الرجل أكثر ألف مرة مما تشغله المسائل النسوية ، وهكذا تتعلم كيف تفهمه وتشاركه في حياته وتسعى لمرضاته ، لا باعتبارها أنثى فقط بل باعتبارها انسانا له ذهن وتفكير وروح

فالمجتمع المختلط هو الذي يقرب مسافة الخلف بين الجنسين ، ويقيم علاقات الرجل والمرأة على قاعدة التفاهم الفكري والمنطقي ، ويخفف من وطأة رواج الغرض والمصلحة ، ويجمع بين شخصين مؤتلفين في وضعهما انشاء أسرة متماسكة يسودها الصفاء والوئام في ظل الاخلاص والتضحية

وإني لأتساءل : لمن هم شبابنا ولمن تعليمهم اذا كان علمهم لا يجود على المرأة أو الفتاة بأي نفع ،

ولما كانت ثقافتهم تجمد في أذهانهم أو تتبدد في محيط قهواتهم ولا تصيب منها شريكتهم في الحياة إلا النزر اليسير ؟ ولمن نعلم فتياتنا اذا كان علمهن لا ينهض بأخلاق الشبان ولا يصل عجلة الشبان كي تسمو وتتجدد وتشيع فيها تلك الصورة النسائية العاطفية الرائعة ؟

لقد خطونا الخطوة الأولى حين علمنا أبناءنا وبناتنا في المدارس والكليات والمعاهد الأجنبية العليا ، وواجبنا اليوم أن نخطو الخطوة الثانية ونجمعهم على خير وسيلة يتبادلون بها ذلك العلم وينتفعون به بعضهم بعضا ويشيدون عليه صرح سعادتهم ومستقبل بلادهم ونهضتها

ان الشاب المصري المتعلم ظمآن الى الفتاة المصرية التي تفهمه ، والفتاة المصرية المتعلمة ظمأى الى الرجل الذي يستطيع أن ينهض عقلها ويرفعها الى مستواه ويشعرها بأنها مسؤولة في الحياة مثله وان عليها واجبات كما أن لها حقوقا

فاذا كنا نكره أن نرى حياة شبابنا في القهوات وحياة بناتنا بين جدران البيوت فعلينا أن نسهل للجنسين سبيل التفاهم والالتقاء ، علينا ألا نخشى تأليف المجتمعات المختلطة الصغيرة في بيوتنا ، وأن نجعل أفرادها من جيراننا وأقاربنا على ثقة بسلوكهم وكنا مطمئنين اليهم واثقين بهم شاهدين على حسن نيتهم

ولكن متى يستوثق رب الأسرة ممن يفتح لهم أبواب بيته ، أن يوليهم ثقته وينزع من نفسه جرثومة الشك فيهم ، ويطرد من ذهنه ذلك الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلا بد أن ينهض الشيطان بينهما ويبعث في نفسيهما سموم الريبة والشر

هذا الاعتقاد هو سر تأخرنا وهو من بقايا عصور الجهل والخوف والظلام . إذ ما فائدة العلم اذا لم يكن منه للنفس عاصم ، وما فائدة المعرفة اذا كنا نحوط أبناءنا لا ليشعروا بالحرية بل ليزداد احساسهم بالوحشة والقلق والخوف ؟

أولى بنا والحالة هذه أن نتهم جهة من أن نفتح أبصارهم على نور العلم ثم نحرمهم نعمة التآلف والحرية

وانه لخير لرب الأسرة وقد علم أبناءه أن يعترف لهم بهذه الحرية عن طيبة خاطر ، وأن يشرف عليها وينظم لهم أسبابها ويراقب تطبيقها ، من أن يبرم بها ويضيق أمامهم مسالكها فيضطرهم الى السعي اليها من طريق غير مباشر وغير مشروع

وهذا ما يحدث الآن . فكلما ضيق أرباب الأسر الخناق على أبنائهم ، وكلما حرموا هذه المجتمعات المحتشمة المختلطة في بيوتهم ، فر الأبناء الى الخارج ، وبدل أن يتصلوا بشبان وفتيات من طبقة مهذبة راقية ، انصرفوا الى مجتمع القهوات ثم الى دور الملاهي الليلية ، ثم الى أمكنة المقامرة وأوساط الخنا

ويجب أن نلاحظ ان الشاب الذي لم يعرف المرأة في مجتمع شريف مختلط ، بل عرفها في حال

أو في ماخور ، لايمكنه بأي حال من الأحوال أن يحبها حباً صادقاً ويحترمها ويعتبرها كزوجة وربة بيت

ويبدو لي أن كثيراً من المنازعات التي تحدث في بيوتنا لاسبب لها إلا أن المرأة تجتهد في أن تعامل زوجها كرجل شريف ، والرجل لايستطيع أن يعامل امرأته إلا وفق تلك الأساليب الشائنة التي ألفها أيام الوحدة والعزوبة مع نساء وصبيات ساقطات . ولرب معترض يقول : ويكون حياة العزوبة عند الشاب المصري في حسنها عند زميله الأوربي . وهذه مغالطة ظاهرة ، إذ هناك فارق عظيم بين الاثنين وهو أن عزوبة المصري لا تمضي في الغالب إلا في أوساط مرذولة ، في حين أن عزوبة الأوربي يقضي معظمها في مجتمع مختلط حافل بالكثير من الفتيات والنساء المحصنات الشريفات

وهكذا يعتبر عهد العزوبة عند الشاب المصري عهد انحطاط ، أما عند الشاب الأوربي فهو عهد اختبارات وتجارب وتمرين بالحياة

وكثيراً ماتنتهي عزوبة الأوربي إلى زواج صالح موفق تتوافر فيه عناصر الفكر والعاطفة ، أما عزوبة المصري فتنتهي – إلا فيما ندر – بزواج يبعث عليه الضجر وتدفع إليه المصلحة المجردة . ولقد كنا فيما مضى نحجب الفتاة عن الشاب فلا يراها إلا بعد أن يقترن بها ، ثم تطورنا فسمحنا للخطيبين بالتعارف السطحي ولأمد محدود . ولكن هذا لايكفي ، إذ ليس المهم أن يتعارف الخطيبان وأن يرى كل منهما الآخر ثلاث مرات أو أربع مرات قبل الزواج

بل المهم هو أن نوسع مدى الاختيار أمام الشاب والفتاة

المهم أن نيسر لهما سبل المقارنة والمفاضلة بين عشرات من الشبان والفتيات . المهم أن نربي فيهما ملكات الملاحظة والحكم الصحيح على الأشخاص والأشياء

المهم أن ننقذهما من التردي في أوساط وضيعة تشوه في نفسيهما غاية الزواج ومعناه . المهم أن نتيح لرغباتهما الفكرية والعاطفية فرص التوافق والتلاؤم تمهيداً للتفاهم العميق بعد الزواج

وهذا كله لا يمكن أن يتم إلا في المجتمع المختلط المحتشم المنشود

وإذن فبدلا من أن يعيش الرجال في مجتمع مغلق يتعلم البعض منهم أخلاق البعض الآخر ، وبدلا من أن يعيش النساء في مجتمع مغلق يقلد البعض منهن أخلاق البعض الآخر ، وبدلا من أن يحاول الشبان والفتيات أن يتعارفوا ويتلاقوا خفية متعرضين بذلك لأفانين الكذب والخديعة والنفاق ، أليس من الحكمة وأصالة الرأي أن نأخذ بأيديهم ونشعرهم بكرامتهم ونحملهم مسئولية أعمالهم ونعاونهم على حياة قوية سوية تكره الختل والمواربة وتأبى الانطلاق إلا في جو صريح سليم؟

الواقع أن السفور أصبح لا يعني شيئا لو لم يقترن بوجود مجتمع مختلط ، إذ السفور في ذاته

وسيلة لا غاية ، وأما الغاية فهي انشاء ذلك المجتمع ، وهي القدرة على انشائه سالماً من الأدران نقياً من الشوائب

وعلينا أن ندرك انما بقدر ما سنحقق في تكوين المجتمع المصري الصالح المتآلف ، نكون قد اقتربنا في حياتنا الاجتماعية من تقدير فكرة الحرية

ولكي نقدر الحرية على أصلها ونستطيع تحقيقها والانتفاع بها ، يجب أن نفهم انه اذا كان لنا أن نهدي غيرنا فليس لنا أن نسلبه حريته ولو كان أقرب الناس الينا

ان في كل فرد من كنوز المعرفة وكنوز القوة مالا تظهره غير الحرية

أو لم نطلب الحرية السياسية للأمة لتتمكن في أبنائها من اظهار هذه الكنوز ؟

أولسنا نعلم ان الأمة ستلقى الأمرين قبل أن تألف حياة الحرية والاستقلال ؟

فكيف نتعصب لحرية الأمة من الوجهة السياسية ولا نتعصب لحرية الأفراد من الوجهة الاجتماعية ؟ . .

المشكلة واحدة . وكما أن الأمة التي يهضم حقها السياسي تعيش مقتولة المواهب مخنوقة الروح ، كذلك الفرد الذي يهضم حقه الاجتماعي لابد أن يعيش مقتول المواهب مخنوق الروح !

فلنتدبر أمورنا اذن ولندرك أن الحرية وحدة لا تتجزأ ، وأن قيمتها السياسية ستظل ضئيلة محدودة اذا لم تظهر وتتجلى في حياة الأفراد ممثلة في مجتمع مصري مختلط يتعاون أعضاؤه على النهوض باحساساتهم وعقولهم وعلى تحقيق النهضة الاجتماعية المصرية المنشودة ؟

ابراهيم المصري

كلمات مختارة لاوسكار وايلد

الناس في عصرنا هذا يعرفون ثمن كل شيء ولكنهم لا يعرفون قيمة أي شيء

•••

نحن نعيش في عصر أصبحت فيه الكماليات ضروريات لازمة وهذا هو سر شقائنا

•••

الألم يطهر ويهذب . ولكن الألم الناشيء من الفقر يلوث النفس ويقتل الروح ، فكلما حاربنا الفقر أعدنا كرامة الانسان

افروديت ، إلهة الحب والجمال عند الاغريق

(راجع مقال « فلسفة الجمال » مجال الفلسفة)

فلسفة الجمال

جمال الفلسفة

بقلم الدكتورة أميرة مطر

ما هو الجمال ؟

ما هو الجمال ؟ لم نحس به ؟ ولم نطلبه ؟ يجيب عن هذه الأسئلة أناتول فرانس بالوقوف مكتوف اليدين ، ملجم اللسان ، ويقول لنا في صراحته المعروفة : « هيهات للعقل البشرى أن يدرك ماهية الجمال أو أن يحل السر الخالد . لم يكون الشيء جميلا ؟ » وكل قلب في الوجود يخفق سريعا للجمال ، ولكننا لا نعرف عقلا واحداً يدلنا على سر هذا الخفقان . فالجمال عند الأمم الهمجية في السمنة الدالة على النعمة والصحة ، وعند قدماء الاغريق في الشباب القوى السواعد ، المفتول العضل ، وفي التماثيل الرخامية البارزة العضلات ، وعند الرومان في النظام والسمو والقوة ، وعند معاصري النهضة العلمية Renaissance في الألوان المنسجمة

وقد نفر العلماء ورجال الدين في العصور الخالية من التحدث عن الجمال ، لأنهم حسبوا أنهم الحقيقة والواقع ، خشية أن يؤدي بهم البحث الى تعقب الجمال في تقاسيم الوجوه البشرية ، الناعمة الملمس ، المشربة بألوان الورد ، وفي الجبهات من فاتنات النساء ، فاتنات الرجال . وكل ما صنعه هؤلاء أنهم فسروا الجمال كل تبعا للعلم المشتغل به ، فعلماء الاغريق قبل العصر السقراطي ، وكذلك العلماء من العصر الأوروبي ، نظراً لتأثرهم بالطبيعة والرياضيات قالوا إن الجمال في الموسيقى منشؤه أصوات منظمة متوالية ، والجمال في التماثيل منشؤه نسب منظمة متوالية . والعالم الرياضي فيثاغورس فسر الجمال تفسيراً هندسياً حسابياً فقال انه نسب شكلية عددية . أما أفلاطون ففسره تفسيرا يتفق ونزعته الأخلاقية ، فقال ان الجمال مرادف للصلاح ، وان الصور الحسية في نظره جزء لا يتجزأ من علم الأخلاق . وجاء بعده أرسطو فكانت نظرته للجمال تلائم اتساع الدائرة العلمية التي جمع فيها بين العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية ، فقال ان الجمال في التناسب والتماثل وتناسق الأجزاء التي يتكون منها الشكل ، وانسجام هذه الأجزاء كلها انسجاما يجعل من مجموعها وحدة كاملة

ولنقفز قفزة تاريخية سريعة الى كانت وشوبنهور ، فقد عرف كل منهما الجمال بأنه الصفة التي بها يسر الشيء الجميل الناظر اليه بصرف النظر عن منفعته المادية ، والصفة التي يجد بها المرء لذة وسعادة

تمثال الامبراطور اغسطوس ، ويمثل جمال القوة والعظمة عند الرومان

(راجع مقال فلسفة الجمال ، جمال الصنعة)

لا يتطلب من ورائها نفعاً . ثم جاء بعدهم الفيلسوف هيجل فعاد بنا الى عصر الاغريق وصور لنا الجمال كما صوروه . وحاول بنتنه أن يستعين بعلم الحياة فقال ان كلا من الجمال والقبح يرجع الى عوامل حيوية (بيولوجية) فالشيء جميل لأنه وجد للاستمرار لأنه صالح للسلالة والعكس بالعكس. فالصينيون يأكلون السمك النيء (كما يأكل المتمدنون الجبنة النتنة « روكفور ») لأنها تكاد تكون المادة الوحيدة عندهم الغنية بالبروتين . ولسنا نشتري السكر لأنه حلو وإنما نجده حلواً لأننا نحتاج اليه لأنه يبعث فينا القوة والنشاط . ولا غرابة حيال هذه الآراء كلها ، اذا قال الفيلسوف ديورانت إن أسخف المؤلفات هي التي تبحث في موضوع الجمال ، وإن علم النفس الذي كان خليقاً به أن يحدثنا عن سر الجمال أحال الموضوع الى الفلسفة ، كالمعتاد في سائر الأسرار التي يعجز القضاء عن حلها ، فهي تحال جميعها الى الفلسفة

بيد أننا نستطيع أن نلخص للقراء ما اتفق عليه الناس في تحديد الجمال فنقول : انه كل ما يسر الناظر ، أي أنه صفة لشكل ، أو موضوع ، تؤثر فيمن يتصل بها ، فيحب هذا الشكل ، ويرغب في هذا الموضوع . ويفهم من هذا أن المرء لا يسره الموضوع لأنه جميل ، وإنما الشيء أو الموضوع جميل لأن المرء يسر منه أو يرتاح للنظر اليه . والسرور هنا كلمة عامة تتناول مجموعة من العواطف التي عددها في العلم الحديث نحو عشرة عاطفة . فالطعام جميل في نظر انسان مشرف على الموت جوعاً ، واليابسة جميلة في نظر سابح مشرف على الغرق ، تتلاعب به أمواج اليم . وأعذب الألحان الموسيقية ، لا تعد الجمال حتماً في نظر هذا أو ذاك . ويذكر القراء الحكاية العربية المعروفة عن رجل ضل السبيل في الصحراء ، وكاد يقتله الظمأ ، غير أن بارقة من الأمل لاحت له في الأفق إذ رأى على بعد شيئاً يشبه سطح ماء ، فهرع نحوه حتى بلغه . ولكنه ما كاد يتبينه حتى كادت روحه تزهق ، وصاح بصوت يفري أحشاءه ، وهو يقول « أواه أواه ! ان هذا الا ذهب !! »

الجمال في علم النفس

على أنه يجدر بنا أن نرجع الى علماء النفس لنستلهم من الرأي الصحيح الذي يعرفونه عن الجمال. يقول هؤلاء ان الجمال الذي يتمثل في شخص أو قصيدة شعرية أو دور موسيقي أو رسم أو تمثال أو رقصة أو صوت ، تعلو درجته في نظرنا بمقدار ما نحسه نحوه من الحب والاعجاب . وهناك عنصران يرجع اليهما سبب هذا الحب أو الاعجاب ، أولهما خيالي وثانيهما وجداني . أما العنصر الأول فلا يخفى أن النفس البشرية خزانة مكدسة بالصور والذكريات التي مرت بنا في أدوار الحياة جميعها أو تشابهها ، من أشخاص ، وأحوال ، ومشاهد ، وأفراح وأحزان ، وحوادث ووقائع ، وما اليها من اختبارات انطبعت في أذهاننا انطباعاً . فحسب الأمر حولنا الجمال الدقيقة ، والأشياء الخفية ، ونجد منه ذكريات شيئاً ، حتى نرى تمثالاً أو حسناء ، أو نسمع لحناً ، أو نذوق حلاوة ، أو نشم

رائحة عفنة ، وسرعان ما تبعث هذه من رقدتها ، وتعود إلى الظهور . وهنا يصير لنا ما يسميه الناس الحب لأول وهلة أو « أصل الغرام نظرة » . وفي هذا تكون هذه التسمية غير صحيحة ، لأن كل حب أو إعجاب لا بد أن يكون مصدره صورة سابقة ، أو خيالا لذكريات مرت بصاحبها ، رغم أنها ظلت دفينة في العقل الباطن حتى أنعشتها صورة شبيهة بها

والعنصر الثاني الوجدان ، أو الحساسية باللذة والارتياح . فغير الوجدان الذي يحمل الصور والخيالات وما إليها ، لا تكون حب أو إعجاب . والوجدان ينعكس في حس المحب الحب ، ويسري في دمه سريان الكهرباء ، فلا تقل صاحبه في رقة إحساسه عن المصور أو المثال أو الشاعر . ورغم هذا التحليل فإن العنصر الواحد منهما يتحول في الآخر تحولا يجعل الفصل بينهما مسألة نظرية بحتة . فالذكريات البديعة من رحمة ، وشوق ، وحنان ، وسلوى ، ولذة ، وألم ، كلها متصلة بالخيال اتصالها بالوجدان . وهذا الاتصال هو الذي يثير في الجهاز العصبي أشياء هي أقرب شيء العادة . ولعل التحليل العلمي هو الذي يجعل الناس يؤثرون الحب والجمال كما يراها الفنان ، على الحب والجمال كما يراها العالم ، كما يؤثرون التعصب والخوف كما يراها العالم ، على التعصب والخوف كما يراها الفنان

بيد أن هناك ناحية أخرى جديرة بالاشارة ، وهي أن الناس في نظرهم للجمال لا يعتدون بقواعد العلم أو الفن . فالجمال عندهم وحده لا يتجزأ ، بغض النظر عن الأجزاء التي تتكون منها هذه الوحدة . نسمع في مناقشات الجمال أن هذه الوحدة تتجزأ إلى حاجبين وعينين وأنف ووجه وشعر وغير ذلك من أعضاء الجسم ، بيد أن في الحياة العملية عند المرأة جملة ، إذا أثارت في نفوسنا إعجابا في غض النظر إليه . وقد يكون مصدر الجمال عنده مصوبة على كل شيء آخر ، كطلاوة الحديث ورقة الإحساس ، أو سرعة الخاطر ، أو سمو خلق ، أو نبل العاطفة

العاطفة الجنسية والجمال

هل للجمال علاقة بالعاطفة الجنسية ؟ يبدأ الطفل منذ نعومة أظفاره بملاحظة الجمال في نفسه ، ثم يحس الجمال من حوله من رفاقه ، ثم يبلغ ذلك الحس بالجمال أشده عندما تستيقظ فيه العاطفة الجنسية ، فيحب ويحبه من الجنس الآخر . وهنا يصبح الجمال مركزا في معشوق يسمونه الحبيب ، تنتشر منه أشعة الجمال فتسقط على كل ما يتصل به ، ويفوح منه شذا الجمال كما تفوح رائحة الزهرة ، وتقع على كل ما يتصل به . فكل شكل يشبه الحبيب حبيب ، وكل صورة تقرب من صورة الحبيب جميلة ، وكل لون يرى الحبيب بديع ، وكل زي يرتديه الحبيب حسن ، وكل زهرة في يد الحبيب عطرة ، ذكية ، وكل خطوة يخطوها الحبيب ، الرشاقة بعينها

ونستطيع أن نفهم علاقة الجمال بالعاطفة الجنسية ، إذا علمنا أن « الهرمونات » التي تفرزها الأعضاء التناسلية ، في أثناء تأدية وظيفتها كغدد صماء ، هي التي تمدي أعضاء الجسم التي تفرق بين

الرجل والمرأة ، وإلى نسبتها تكون الجاذبية الجنسية بينهما . وتشتد هذه الجاذبية باتساع مسافة الخلف بين هذه الأعضاء في كل منهما ، فيرى الواحد الآخر جميلا بمقدار ما فيه من أنوثة أو رجولة . فحلاوة الصوت ورقته ، وخلو الوجه من الشعر ، وتكوّر الخصر والثديين ، واكتمال الردفين والثديين في المرأة ، يقابله العكس في الرجل . ومن الغريب أن « هافلوك إليس » من أكبر علماء الاجتماع ، يقول إن أشد الناس ذكاء وعقلا كثيراً ما تكون أشدهم تعلقا بالجمال والحب لأن الصحة العقلية تنمو بنشاط العقل كما تزيد العاطفة الجنسية نشاطا

بيد أنه رغم النسبة السابقة ، فإن التربية والثقافة والحضارة قد هذبت العاطفة الجنسية تهذيبا ، أصبح الجمال معها مبعثا للاحترام والحب والإعجاب، لا لإثارة الشهوات الكامنة ، وإذا عُد الحب والجمال في معظم البلدان الراقية أكثر روحانية وطهارة منهما في التي لم تأخذ من الحضارة والتقاليد الحسنة نصيب وافر ، لأن في الأولى يبلغ الكبت والحرمان وضبط النفس أشدهما ، بعكس الثانية . وربما لهذا يحبون إلى الفن أو حب الجمال يبلغ ذروة الجد كلما طال الزمن بين إشباع النزعة الجنسية وإشباعها . فلا غرابة إذا كان الناس الذين لا يزالون يعيشون على الفطرة لا يحبون الجمال كما يحبه المتمدنون ، لأنهم يستطيعون إشباع العاطفة الجنسية كلما أحسوا بها ، ولأن الحصول على المرأة في كل زمان ومكان لا يحول دونه عائق أو عادات أو مبادىء

ونظرة المتوحش إلى المرأة نظرة الذكر إلى الأنثى في الحيوان تقريبا ، أي أنه لا يكاد يؤثر واحدة على غيرها لأن كل النساء عنده سواء . وقد سئل مرة أحد رؤساء قبائل الهنود الحمر في أمريكا عن أحسن زوجاته ، فأجاب بأنه لم يخطر على باله يوما أن يميز بين بعضهن من تفوق الأخرى جمالا . وأردف ذلك بقوله : قد تكون امرأة أصبح وجها من أخرى ولكنهن في كل شيء آخر سواء .

بيد أن هناك بين هؤلاء المتوحشين من يؤثر امرأة على أخرى بعض الإيثار لميزة فيها يعدّها هو من علائم الجمال ، وقد تكون من علائم القبح عندنا . مثال ذلك ما رواه أحد الرحالة الاجتماعيين من أن الهنود عموما يعدون المرأة حسنة طالما لم تكن نحيفة الخصر ، أي التي يستوي جسمها عرضا من الكتفين إلى الفخذين . وعند بعض الأفريقيين يستحب في المرأة الآذان الكبيرة (آذان الفيل) والبطن المتهدل من كثرة الشحم واللحم ، وفي نيجيريا الجمال والسمن كلمتان مترادفتان ، والمرأة المتوسطة في الجمال هي التي لا تستطيع السير دون أن تتوكأ على عبد يسندها من اليمين وعلى آخر من اليسار . أما المرأة كاملة الجمال فهي التي تثقل عن السير ، فتصيح ، من شدة الألم . وهناك ميزة يعدها معظم المتوحشين من علائم الجمال ونعدها نحن أظهر للتمدين ، وهي الثدي الكبير الطويل المتدلي

ويقول داروين إن رجال الهوتنتوت لا يعجبهم في المرأة سوى ضخامة الصدر وشدة خروجه عن سائر الجسم ، وقال إنه رأى أحسن امرأة في تلك البلاد ، فإذا هي لا تستطيع القيام إذا أجلست،

حتى تزحف إلى أن تأتي إلى منحدر تسند عليه صدرها المتراخي الأطراف . ويروي آخر أن الرجل الصومالي إذا رغب في الزواج صف عدداً من النساء في صعيد واحد ، ووقف خلفهن حتى يتخير أكبرهن ردفاً ، وأجد هذه الأرداف امتداداً إلى الوراء .

ونستطيع أن نستمد من أبحاث العلماء في نفسية الحيوان معلومات طريفة عن علاقة الجمال بالعاطفة الجنسية ، لأن طبيعة الحيوان تقرب من طبيعة الإنسان الأولى ، الفطرية ، التي لم تصقلها التربية ، ولم تهذبها المدنية . ولما كانت البحوث الرياضية والطبيعية بعيدة عن الموضوع فلنرجع برهة إلى علم الحياة . وهنا نجد « داروين » يقول لنا في دقته المعهودة : إن حاسة الذوق والجمال معروفة عند الحيوان ولكنها غير محسوسة . فذكر الطير تبهره الألوان الجميلة في الأنثى ، وكثير من الطيور يقطع أميالاً للبحث عن ألوان مدهشة متناسقة يزين بها عشه . ويؤخذ من تجارب العالم [illegible] في حديقة حيوانات لندن أن جميع الحيوانات تشمئز من الأصوات المتنافرة وتطرب للموسيقى ما عدا بعض البقر (1) ، وأن معظم الحيوانات تؤثر فيها الأشكال والمناظر أكثر من أية [illegible] أخرى ، وأن كلبه كان يعوي إذا سمع لحناً حاداً من وضع شوبان ، ويستغرق في نوم هادئ عميق إذا سمع لحناً مرحاً . والحيات من أكثر الحيوانات طرباً بالموسيقى . وقد كان لكاتب هذه السطور كلب ارستقراطي يعوي عواء مؤثراً حزيناً كلما عزف أحد على الكمان ، ويرتل أسرته إذا سمع عزفاً على البيانو .

بيد أن الحيوان بوجه عام يدرك الجمال بحاسة الشم أكثر منه بحاسة البصر ، وهناك ما يحمل على الاعتقاد أن الإنسان الأول كان كذلك ، في العصور التي كان فيها من دواب الأربع ، ولم تأخذ العين مكانها اللائق في الإحساس بالجمال ، إلا بعد أن سار منتصباً على قدميه ورفع رأسه إلى فوق . ومهما قيل في احتمال وجود حاسة الجمال عند الحيوان فإن العلماء متفقون على أن هذه الحاسة تكاد تكون مقصورة على الناحية بين الذكر والأنثى . وهذا معناه أن الأصل في الجمال أن له علاقة بالرغبة أو الناحية الجنسية . وقد تدرج الإنسان من هذه الرغبة حتى سما بالضرورة إلى نوع آخر من الجمال تمثله في الطبيعة الصامتة حين تسم الجمال ، والطبيعة الناطقة في عرض البحار ، وفي الغابات الفسيحة في لمعات الشمس ، وتلمسه في الرسوم والتماثيل ، والحيوان والإنسان ، وبحث عنه في القامة الممشوقة ، والصوت العذب ، والحديث الحلو ، والعاطفة الرقيقة ، والخلق الشريف النبيل . .

الجمال والفن

ما كان المرء عاشقاً للجمال فإنه لا يقنع بما يراه جميلاً في الطبيعة ، ولكنه يخلق الجمال — وهذا

(1) والغريب أن هذا الحيوان يعد هذه النغمة من الدرجة الأولى في الذكاء ، وهي على الترتيب الشمبانزي ، الأورانج أوتانج ، الغوريلا ، الفيل ، الحصان ، الكلب ، القط .

ما يسمونه فنا . فالفن هو إذاً التعبير عن رأى أو وجدان بأسلوب أو شكل يبدو فى عيون جميلا أو ساميا ، وبذلك توقظ فى قرارات أنفسنا تلك الهزة الأساسية التى توقظها المرأة فى الرجل ويثيرها الرجل فى المرأة . ومهما حددنا الفن من قواعد ، فإنا لا نتقيد بها فى نهاية الأمر ، لأن الجمال يأبى أن يورث عن المنطق ، أو يخضع لقوانين الرياضيات ، وما ذلك إلا لأن المنطق والرياضيات من وظيفة العقل ، والجمال والفن من وظيفة الوجدان (القلب) . وليس على المرء إلا أن يلقى نظرة سريعة على دور الفنون الجميلة الحافلة فى أوربا ، حتى يتحقق من هذا الرأى . إن الجمال كما هو ممثل فى فلورنسا وروما والبندقية وميلانو وجنوا وباريس ولندن وبروكسل ودرسدن وموينخ وفينا وغيرها من عواصم أوربا ، يكاد ينافس جمال الطبيعة ، إن لم يفقه ويبزه . ولا يستطيع امرؤ أن يدرك الجمال بما فيه من أسمى المعانى ، وأعمق الآيات ، ما لم يتعرف على تلك الصور الزاهرة بمعالم الجمال . يقولون إن النحت سيد الفنون لأن الجمال به يجمع بين خلود الرخام وبروز الجسم بروزاً طبيعيا ، وإن العيب فيه أنه لا تدب فيه روح الحياة . بيد أنى شاهدت الكثيرين من عشاق الجمال يقفون أمام تلك الأحجار الصماء مشدوهين ، كأنهم لعظمة الخالق يحمدون ، وبعظمة الله يسبحون

الجمال والطبيعة

قلنا إن للعاطفة الجنسية أثراً عظيما فى تذوق الجمال ، فلم إذاً نحب الطبيعة ؟ يجيب العلماء عن هذا السؤال فيقولون إن الإنسان قد وجد من قديم الزمان أن فى أحضانها ، فى سكونها ، وعظمة جبالها ، واتساع وديانها ، وخرير مياهها ، وصفاء سمائها ، بين الجداول المنسابة من المرتفعات الشاهقة فى بطون السهول والأودية ، حيث الماء المترقرق بين الأعشاب ، والغدير المتلألئ بالماء الزلال ، وشجرة الصفصاف المنحنية فوق الزنبق لتنثر زهوره الفائحة هنا وهناك — فى هذه كلها يزدهر الحب ويترعرع ، وتأنس المرأة لمناجاة الرجل ، وتحتمى بين ذراعيه تاركة الحبيب فى وعد كاذب ، أو عهد بائد ، أو تقسم أيمان الوفاء والولاء له وخلودهما المستقبل

الطبيعة جميلة لأننا نرى فيها حب المرأة ، عطفها وحنانها ، كما نرى فيها قوة الرجل ، وشدة بأسه . فيها نجد السعادة وراحة الوجدان ، ونحس فى أحضانها بحب أنفسنا والغير . من نسيمها نسمع لذات الطفولة ، وفى زهرتها نذكر حرارة الشباب ، ومن شمسها نتلقى قبلات الغرام ، وفى صحرائها الجدبة نتذكر المآسى ، وورق الخريف يذكرنا بهرمنا ، والشيب يخط شعورنا . وفى حرها نذكر الفناء ، خاتمة الحياة . وأخيراً نعترف للطبيعة ضمنا أنها هى التى نفخت فينا روح الحياة ، وهى التى نرقد فى أحضانها بسلام عندما تفارقنا هذه الروح ، ويصبح هذا الجسم الحى الدائب الحركة ، جثة هامدة باردة

ويرتاح نحو الجمال الطبيعية، كما يرتاح الفنان للشكل، لأن فيه يجد ذلك التوازن والتوافق الذي يجده في الزهر والشجر، في سير الدم في الشرايين والأوردة، في تعاقب الصيف والخريف، والليل والنهار، والمد والجزر. ويرتاح الفنان للشكل لأن فيه التماثل، والتماثل يذكرنا بالنظام البديع في خلق النبات والحيوان، والرجل والمرأة. ويرتاح أخيراً للشكل لأن فيه اللون — تلك الخاصة التي تكسب الأشياء بهجة ونوراً وضياء. ومن هذا الشكل الذي تصبو إليه نفس الفنان يخلق بواسطته الجمال، نشأ الغناء، والرقص، والموسيقى، والتمثيل، والنقش والتصوير، والنحت والمعمار، والشعر، والأدب، والصنعة. أليست الفلسفة فنا؟ أليست هي محاولة حرة لخلق الجمال، أو إيجاد الشكل الذي يعبر عن فكرة حائرة مضطربة محاطة بالفوضى؟

الجمال بين الرجل والمرأة

كان الرجل عند قدماء الأغريق مقياس الجمال لا المرأة، لأسباب كانت تقتضيها البطولة والقوة والشجاعة في ذلك العصر، غير أنهم أسرفوا في ذلك إسرافاً أدى إلى الشذوذ حتى غدا لكل وصمة عار في جبين تاريخهم. أما بعد الأغريق إلى عصرنا هذا فالمرأة مقياس الجمال، وإن حب الرجل لها أشد من حبها له، وإن كان حب الرجل للمرأة أقصر عمراً من حب المرأة للرجل. ويقول العلماء إن شدة حب الرجل للمرأة يزيدها جمالا. والرجل يحب في المرأة ما يراه فيها من الجمال المادي والروحي، الحسي أو المعنوي، أو كليهما. بيد أن المرأة لا تجري وراء الرجل لجماله، وإنما تحب فيه القوة والرجولة والصمود واتساع الدائرة التي يعمل فيها، ومقدرته على حمايتها. وقد لا تحس هي في الظاهر بهذه العوامل التي تحبها في الرجل، ولكن هذه العوامل كامنة فيها، وهي بقية من بقايا الفطرة، ومشتق غريزة حب أسد العصر في الغاب. يظن معظم الناس أن السيدات يجرين في غرام المشاهير من رجال السينما لجمالهم. قد يكون ذلك في الظاهر، غير أن التعمق في البحث يدلنا على أن شهرة هؤلاء وذيوع صيتهم واتساع دائرتهم الاجتماعية هي التي تثير إعجاب المرأة بهم، وما أجسامهم الرياضية، أو جمال وجوههم إلا مسألة ثانوية، بجانب ما تراه فيهم من مظاهر القوة الاقتصادية والاجتماعية. وقد تحب امرأة شاعراً رث الثياب، دميم الخلقة، خاوي الجيب، على الأساس عينه، أي أنها تحب قوته التي تتمثل في ذيوع اسمه، كما تحب امرأة رجلا لماله رغم كل عيب فيه، لأن المال مصدر من مصادر القوة لا يستهان به. وموجز القول أن المرأة لا تحب رجلا لا شخصية له في أية ناحية من نواحي الحياة المتعددة مهما كان جميلا.

ومما يؤسف له أن الرجل يهبط مقياس شغفه بجمال المرأة متى تمت له وتملكها، فطالما يشعر أن المرأة لم تهدم أمامه حريته جانبه، وإن كانت « ملكا » له (كالزوجة مثلا) فإن جمالها يبهره ويأخذ بلبه، وإن طال الزمن. ولعل هذه هي الصخرة القاسية في الزواج في معظم الأحوال،

إذ أن الرجل يعلم أن الزوجة ستملكه أولاً وأنه سيغلب عليها ثانياً . ويخرج عن هذا للعداء ، كثير من النفوس الذين يبقى اعجابهم بالمرأة وحبهم لها رغم كل اعتبار في الوجود ما داما في قيد الحياة

ويتبين من هذا أن حب المرأة للرجل أطول أجلاً لأنه يتعلق بمسألة هي مسألة الوجود والحياة ، أما حب الرجل للمرأة — في الغالب من الأحايين — فحب زائل لأنه اعجاب بمفاتنها وحسنها . ومن المشاهد أن الرجال في الغالب يعجبون بأصوات المغنيات من النساء ، بعكس النساء فإنهن يعجبن بصوت الرجل ذي اللحية الكثيفة ، على حد قول هفلوك اليس ، وفي هذا دليل آخر على ما ذكرناه من أن المرأة تحب القوة أيا كان مظهرها والصوت « الخشن » من مظاهر القوة

وهنا نتساءل ، إذا كانت المرأة تعشق الجمال فلم لا تسعى في خلق الجمال ؟ أي لم لا نجد نساء فنانات من المرتبة الأولى ؟ يجيب البعض أن السبب يرجع إلى المقدرات السابقة : المرأة لا ترغب في الجمال ولا تسعى إليه ، إنما الجمال يسعى إليها . المرأة كما أسلفت لا تريد أن تملك وإنما تريد أن تملك

وهناك رأي آخر طريف ، وهو أن المرأة كلها جمال وعاطفة ، وكلها رقة وحنان ، وهذه كلها توزعها على الغير ، على الزوج والولد ، فلا يبقى لها شيء تخلقه ، ومن الجهة الأخرى فإنها هي كلها مصدر الجمال ، وهي الجمال نفسه ، فلا حاجة لها أن تخلق الجمال . أما الرجل فمحروم منه يعوض هذا النقص بخلقه الجمال ، فيصبح فناناً . المرأة توحي إلى الرجل بالجمال ولا يوحي هو إليها وإذا كان الرجل خالياً من الجمال فمن الذي يوحي إليها بالجمال ؟ وما حاجتها إلى الجمال الميت ، جمال الأحجار والتماثيل ، طالما تمثل فيها الجمال الحي ؟

ليست هذه الأقوال مبسوطة كقاعدة ، وإنما هي آراء أدلى بها الكثيرون من العلماء ، غير أنها نظريات لا تستند على حقائق ثابتة ، ويصعب على الإنسان أن يصلوا يوماً إلى حل ألغازها الموجهة حلاً مرضياً . إلا أن هناك نظرية يقبلها المنطق جواباً عن السؤال المتقدم ، وهو أن المرأة لم تنبغ في الفنون الجميلة نبوغ الرجل لأنها لم تعط لها الفرصة الكافية بعد . وما مثل الفنون الجميلة إلا مثل الرياضة والعلوم على اختلاف أنواعها . فالعبقرية من الرجال نبحث عنها بين الملايين من الرجال ، في حين أن العبقرية بين النساء نبحث عنها بين آلاف من النساء المثقفات ، ونسبتهن ضئيلة جداً إذا قسناها بنسبة الرجال المثقفين في العالم كله

الجمال والحرية والحقيقة

الجمال من الكماليات ، ولا تسعى إليه الأمم والأفراد إلا بعد قضاء لوازم الحياة . والفن يزدهر مع تراكم الثروة واستقرار الحياة الاقتصادية واستتباب الأمن عند الأمم . كذلك الأفراد يعشقون الجمال إذا ما خفت عنهم من الهموم والمتاعب الاقتصادية ، ووحشية الأخلاق ، والجمال يخلق الحب كما أن الحب يخلق الجمال . والتاريخ يعلمنا أن الحرية عامل لا بد منه في نجاح الفنون والآداب

بالجمال ، فالفنون بلغت أوج عزها عند الأغريق في عصر الحرية الفكرية . وقد مر بالعالم زمن طغى فيه الاستبداد على بني البشر فانحطت فيه الفنون ، ولعل الألف عام التي تقع بين السنة التي شيدت فيها كنيسة صوفيا (سنة ٥٣٠) وكنيسة القديس بطرس في رومة ، هي تلك التي هبط فيها مستوى الفنون الجميلة ، ففيها حرمت الكنيسة الجمال لأنه كان في نظرها شيطانيا

والموازنة بين الجمال والحقيقة موازنة بين القلب والعقل ، بين العاطفة والمنطق ، بين الفن والعلم ، بين الحب والحكمة . ومجرد الموازنة يبعث الى أذهاننا صورة مشوهة كاذبة ، يظهر فيها أحد الطرفين خصما للآخر . غير أننا اذا نظرنا الى المسألة نظرة عامة خالية من الغرض ، واسعة الأفق ، اتضح أنه ليس ثمة من تصادم بين هذا وذاك ، انما هناك ارتباط بين عنصرين من عناصر الحياة ، حيث أن تكون الحياة بغير أحدهما [illegible] بأن عيلها . ولعل جوهر الخلاف بين المذهب الكاثوليكي وما يمت اليه من الأديان الأخرى صلة ، وبين المذهب البروتستانتي وما يمت اليه من الأديان صلة ، هو راجع بين الجمال والحقيقة ، بين الفن والعلم . فالكنائس الكاثوليكية فضلا عن أنها مكان للعبادة دور فنية جميلة ، والكنائس البروتستانتية فضلا عن أنها مكان للعبادة ، دور علمية . وقد فطنت الكنائس البروتستانتية في أميركا (على الأخص) وأوروبا فأدخلت أخيرا عناصر الجمال في بناياتها وزينتها بالتماثيل والصور ودعت أعاظم منشدي الأوبرا من رجال ونساء ، وأشهر الموسيقيين للاشتراك في خدمة يوم الأحد ، حتى صار العلم والفن فيها جنبا الى جنب العبادة

وما نفع الحكمة إذا لم تعرف كيف تحب الجمال وتعشقه ؟ الحكمة وسيلة ، غير أن جمال الجسم والنفس ، جمال القول والعمل والتفكير ، غاية . الجمال (أو الفن) بغير علم عقم وفقر ، كما أن العلم (أو الحكمة) بغير فن عقم وجدب . وكل فلسفة أو حكمة لا تستوحي الجمال والفن ، فلسفة عقيمة لا تليق ببني الانسان . الحق والحب ، والعلم والفن ، والحكمة والجمال ، يسير الواحد بجانب الآخر . وأولئك الذين يحبون الفن أو الجمال ، في الموسيقى ، والغناء ، والشعر ، وغيرها عفواً لعقل أو هوى ، محببون قبل أن يكونوا حكماء وزهادا

لقد فقدت مصر الفراعنة كل شيء سوى جمال الهندسة في الكرنك وجمال النقوش والصور والتماثيل في مقابر ملوكها ، وجمال الهرم وأبي الهول في الصحراء ، وحكمة حكمائها في أوراق البردي . وفقدت أثينا كل شيء من أمجاد الأغريق القدماء فلم يبق منها إلا حكمة سقراط وأفلاطون وأرسطو وسوفكليس وبركليس وغيرهم من الفلاسفة ، وجمال الفن في الأكروبوليس وغيره من الآثار . وفقدت فينيقية كل شيء ولكن بقي منها حكمة التوراة والانجيل ، وأخيراً فقد العرب كل شيء ولكن بقي من آثار حضارتهم حكمة القرآن وجمال الشعر والنثر . ألا ترى أن الأمم تزول وتطوى صفحاتها ، وتبقى حكمتها وجمالها وعلمها وفنها الواحد يشد الآخر ؟

بشير بشلر

المواد الاولى

وصراع الدول الكبرى حولها

يشتد الصراع هذه الأيام بين الدول الكبرى حول المواد الأولى . وقد يكون الغرض من هذا الصراع زيادة الرخاء الاقتصادى بين شعوب هذه الدول . ولكنه فى الحقيقة يتجه الى تزويد الدول بالمواد الأولى لتقوية حركات التسلح فيها . فألمانيا مثلا تطمع لاستعادة مستعمراتها القديمة ويؤكد رجالها الاقتصاديون أن فى وسعها الحصول من تلك المستعمرات على معظم المواد الاولى التى تستوردها اليوم من الخارج . وهكذا تستطيع أن تقتصد كل سنة ٤٠٠ مليون مارك

وايطاليا تعمل الآن جاهدة لتستخرج من الحبشة البترول والنحاس والرصاص والحديد

واليابان فى الحرب التى أثارتها على الصين تسعى هى الاخرى للحصول على المناجم الزاخرة بالمواد الاولى والكائنة فى مناطق الصين الشمالية

ويتجلى الصراع بين الدول الكبرى حول تلك المواد بنوع على أشده فى الحرب الاسبانية الحاضرة . فايطاليا والمانيا لم تتدخلا فى هذه الحرب إلا لتنازعا الاخرين خيرات اسبانيا

والواقع أن اسبانيا تنتج كميات كبيرة من أهم المواد الاولى . فمنطقة استوريا زاخرة بالحديد وكذلك منطقة بسكاى . والمعروف أن (هويلفا) هى أغنى المناطق الاوربية فى انتاج النحاس ، وأن مناجم (بينارويا) تنتج الرصاص وأن الزئبق وافر فى منطقة (المادن)

وقد حدث فى عام ١٩٣٤ عندما كانت الدول الديكتاتورية منهمكة فى التسلح ان تأسست شركة ايطالية ألمانية للكشف واستغلال ثروات الارض الاسبانية . وقد ساهمت فى هذه الحركة شركات ومصانع تيسن وكروب وسيمنس من الجانب الالمانى ، وأنصار السلطات الايطالية من الجانب الايطالى . ثم عهد بادارة هذا المشروع والاشراف التام عليه الى مهندس من الروسيين البيض . وقد أسرع هذا المهندس فأقام فى برشلونة وما يليها المخطط لمشروعه وبعد المدة لتنفيذه ، ولكنه اضطر الى مغادرة المدينة بعد شهرين من فوز الجبهة الشعبية الاسبانية الديموقراطية فى الانتخابات

وكان ان وقعت الحرب الأهلية فسعت ايطاليا والمانيا الى التقرب من الجنرال فرانكو ومده بالأسلحة والذخائر على أمل الحصول على امتيازات اقتصادية لاستغلال مناجم الريف . وقد تم ذلك وأصبح للشركات الايطالية والالمانية الآن النفوذ الاول فى استغلال تلك المناجم

ولقد استطاعت المانيا أن تحصل فوق ذلك على امتياز خاص لاستغلال الحديد الموجود بكثرة فى منطقة (بيجو) على أن يخصم ثمن هذا الحديد من أصل دين فرانكو لالمانيا ومن قيمة الأسلحة

والمعادن التي يستوردها من الألمان . وكانت انجلترا في نفس الوقت تطمع في الحصول على امتيازات خاصة تمكنها من استغلال عدد كبير من المناجم الاسبانية الغنية بمعدن البيريت . ولذلك تحفظت وتريثت ولم تظاهر الجنرال فرانكو بأي عطاء على استمسكت بسياسة عدم التدخل وأصرت عليها وأبقت على صداقة فرانكو ، وانتهى بها الأمر عندما رجحت كفة الجنرال في الحرب الأهلية الى أن رسمت مندوبيها الى حكومة الثوار في مسألة يسيرون على المصالح البريطانية ويحاولون زعزعة النفوذ الايطالي الألماني مستغلين حاجة الجنرال فرانكو الى قروض مالية جديدة

أما في الحبشة فقد أشركت ايطاليا الألمان معها في البحث عن مواردها المعدنية ، ورصد الايطاليون لهذا الغرض مليون جنيه انجليزي وقدم الألمان نحو ٥٠٪ من رأس مال المشروع . وقد جد المستعمرون الايطاليون في البحث عن البترول في هاماكل ودنقلا ، وعن الحديد والنحاس في كفا ، وعن الزئبق في منطقة هرر . ولكن كبار أصحاب رؤوس الأموال الانجليزية والفرنسية سعوا سعيهم الحثيث لحرمان خصومهم من الغنيمة . فاستطاعوا بعد جهاد طويل شاق مستعينين بحكوماتهم وبموقف هذه الحكومات السلبي من الفتح الايطالي ، أن يساهموا في رأس مال شركة أخرى تعمل نشاطها للعثور على معدن البلاتين في الحبشة . وقد رضي الايطاليون بوجود هذا النفر من الماليين الانجليز والفرنسيين تقربا من انجلترا وفرنسا واغراء لهما بالاعتراف بفتح الحبشة

ولننتقل بعد ذلك الى ما يقع في البرازيل : تصدر ألمانيا الى البرازيل مختلف المنتجات الصناعية ، وتستورد منها القطن والبن . وقد اشترى الألمان من البرازيل عام ١٩٣٥ ما يقرب من ٥٠٪ من محصول القطن سان باولو ، وأصبحوا يحتلون في العام الماضي أول الدول المصدرة الى البرازيل

وعندما حدث الانقلاب الدكتاتوري البرازيلي طرحت دوائر برلين وروما أملها في استغلال مناجم البرازيل ، ولكن رجال الصناعة والمال في الولايات المتحدة كانوا يرقبون عن كثب استئثار تلك الخصوم ، ولذلك استنكرت حكومة وشنطن قيام نظام دكتاتوري في البرازيل واعتبرته خروجا على مبدأ الجانب الامريكي وتدخلا من الدول الاوربية الدكتاتورية في شؤون القارة الامريكية

وهناك منطقة أخرى يتمثل فيها الصراع حول المواد الأولى بشكل خطر مروع ، وهي المنطقة الواقعة في أقصى شمال البلاد الأسوجية حيث تقوم حركة استغلال مناجم الحديد على ساق وقدم

والواقع ان ألمانيا تستورد من أسوج معظم كميات المعدن التي هي في حاجة اليه لانجاز برنامج تسلحها . ولكن روسيا التي تخشى مطامع ألمانيا والتي تخشى توسعها وبسط سيادتها على جزء من أوربا ، تنظر بعين الخوف الى ذلك الموجة الهائلة من الحديد التي تتدفق من أسوج لتصب في ألمانيا

ويؤكد الخبراء العسكريون انه لو اشتبكت ألمانيا وروسيا في حرب ، فسيضطر سلاح الجو الروسي الى هدم المراكز الاسوجية الخاصة بالمعادن ، والتي يستورد منها الألمان حاجات جيشهم ، مع ملاحظة أن هذه المراكز كائنة بجوار حدود البلاد الشمالية أي في متناول سلاح الجو الروسي

سجل الأيام

عرض عام لشئون الشرق العربي واحداث السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

(١) شئوننا الداخلية

الاعتداء على رئيس الحكومة

كان لحادث الاعتداء على رئيس حكومتنا وقع شديد في أنحاء المملكة المصرية جميعها ، وامتد الى ما بعد الحدود المصرية فشاركتنا في شعورنا جميع الممالك المجاورة والبعيدة . فهذا الاعتداء إثم في ذاته ، ويزداد الجرم سوءاً اذا قام به صعلوك لا في العير ولا في النفير ، يريد أن يحدث حدثا في بلاد أحوج ما تحتاج اليه الآن الطمأنينة والسلام

على أنه قدر فجاء الخير من حيث أريد الشر ، فسلم رئيس الحكومة وجاء الحدث للشعور حافزاً لشعور الأمة ، فأظهرت ما تكنه من حب وتقدير لزعيم بذل كل ما آتاه الله من قوة في خدمتها ووفق في ذلك أيما توفيق

ولم يبق علينا إلا رجاء نلتمسه من الحكومة عساها أن تبحث عن العلة النفسية فتستأصلها بما تعده من مشروعات تعليمية واجتماعية تقضي على هذه النزعة الشريرة وهي لا تزال في المهد

فالأمة المصرية والحمد لله سليمة من داء الاغتيال السياسي ، وما هذا الحادث إلا طارئ عارض يصاب به بعض الأفراد فيكفرون عن ذنبهم بما يلاقون من قصاص ويبقى المجموع صحيحا معافى . وإنما كنا نلتمس من الحكومة أن تعمل على مداواة هذه العلة السياسية الاجتماعية قبل استفحالها فانا نعيذها من تشريع مرتجل يرمي الى قتل روح المعارضة أو اضعافها

فالمعارضة واجبة في كل نظام قوامه الحرية والدستور ، وهي قد تطغى حينا وقد تهدأ ثائرتها حينا آخر . ولكنها ضرورية في كل الاحوال لا غنى عنها إذا رغبنا في حكومة صالحة

والحكومة الصالحة تعمل أبداً دائماً لغدها لا ليومها ، وفي مصلحة الشعب لا الحزب . فلئن اخطأت المعارضة اليوم ظهر خطؤها غداً ، وان أصابت أفادت الحكومة منها

فلك تنتوى الروح الدستورية فى البلد، فإن الغرض الأساسى فى حياة النيابة هو أن تخرج ـ الحكومة القائمة بالأمر الآن أو المعارضة التى ستقوم به فى الغد ـ يعملون الخير العام متشبعين بالنية الطيبة

• • •

الاقتصاد والعلم الحديث ليس الاقتصاد علماً ، فقد يعلم الطلبة فى المدارس أن أول عمل يقرأونه فى كتب ما يسمونه بالاقتصاد السياسى يبحث فى هل يجوز تسمية الغرض الاقتصادى علماً أم فناً أو هو قوام بين ذلك . فالمعروف عن العلوم أنها ذات قواعد تكاد تكون مطلقة إذا وضعت الأساس ـ وهو معروف ـ اتحدت النتائج فى الحال . والظاهر أن الاقتصاد ليس فى شىء من ذلك ، وليس هو فناً لأن الفنون تخضع للعاطفة ، وقل أن يسيطر عليها العقل

على أنه قد يكون أقرب إلى الفن منه إلى العلم ، فإن مصدر الاقتصاد كمصدر الفن ميل شخصى أو غرض ذاتى غلب عليه يظهر فى الفنون الجميلة مجرداً من المنفعة المادية ، وفى الاقتصاد كله منافع مادية

وقد دفعنا هذه الكلمة الوجيزة لأننا رأينا الذين يتصدرون لبحث المسائل الاقتصادية عندنا من صحافيين وبرلمانيين وهواة ، يرجعون أحياناً إلى كتب الاقتصاد الأوربية يترجمون لنا منها آراء وأقوالا إن صحت فى عصر فلا تصح فى عصر آخر ، أو وافقت بلداً فلا توافق بلداً آخر

فهذه جريدة محترمة من جرائدنا اليومية تنصح للوزارة أن تأخذ بمذهب تعتبره فى التشريع الاقتصادى وقوامه إطلاق الحرية للفرد يعمل ما يشاء ، لا يقيده إلا ناموس العرض والطلب

ولكنه مذهب أكل الدهر عليه وشرب

فإطلاق الحرية للفرد أنتج هذا النظام الاقتصادى المتهدم الأركان

أنتج الآلة فجعلت من ابن آدم عبداً تتسلط عليه فتمنحه عشرة أيام وتمنعه يوماً واحداً

أنتج شركات الاحتكار فجعلت مصار للتعب وانبعث بعضهم إلى الأسواق يتسولون

وكيف يترك مبدأ العرض والطلب طليقاً والإنتاج لا حد له والاستهلاك يكاد يبوء بما بين يديه ؟

الحقيقة أن النظام الاقتصادى قائم الآن ـ أو يجب أن يقوم ـ على مبدأ التضامن . فالتضامن الاجتماعى أو الاشتراكية للمنفعة هو الدواء الذى يصفه أطباء هذا العصر للأمراض الاقتصادية . وهو يرمى فى مبدئه إلى تعميم نظام المنافع العامة فى كل نواحى الحياة ، أى جعل المرافق العامة وقفاً على خدمة الجمهور لا يستأثر بها فرد أو شركة ، ثم هو يرمى إلى تأمين العامل . العامل يفقده والعامل يفقد ـ فى أيام عجزه عن العمل إما لمرض أو شيخوخة

وما هذا التشريع الذى نعده لتأمين العمال إلا أثر من آثار هذا المبدأ . ومثله التشريع الذى طلبه المعلمون والأطباء ومن إليهم بقصد إعانة المتقاعدين منهم

وهو مبدأ عادل لأنه يحتم على الفرد أي فضلة من الغلات أن تؤدي قسطها إلى خزانة عامة حتى تعود وتتناوله في أيام البطالة والشيخوخة

والحكومة التي تمثل مجموع الأمة تساعد هذه الخزانة ما استطاعت ، وبذلك يتم التضامن والتعاون بين الأفراد جميعا

ولا شك أنه إذا ساد هذا المبدأ العلاقات الاقتصادية جميعها أمن الناس تحكم المادة في حياتهم ، فانه إذا أمن الانسان رزقه في شيخوخته أو مرضه انصرف عن السعي لاحتكار المادة بجميع الأساليب إلى السعي لتحسين حياته الروحية والأدبية

والمجال واسع جداً لسرد فائدة هذا المبدأ ، ولكننا نرجئه الآن لعلنا منتظرين فرصة أخرى حتى نفرغ من الأوهام مكتفين الآن بنصح إخواننا الكتاب أن يذكروا الحديث حانا ومن سبقه من الآدميين :

أتوكم آدم من المعاصي   وطبكم معارفة إحسان

(٢) الشؤون الخارجية

بأس الجنرال

وهذه ضربة أخرى من الضربات طلعت علينا الجمهورية وأعلنت الدكتاتورية وقد كان عهدنا في الجمهوريات القائمة في أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى حتى غدا لا يكاد نشك أنها حكومات اتخذت النظام الجمهوري وسيلة لنظم جمهوري غريب فالأحزاب عندهم تنشأ الجرائد كلاما ، ثم تصبح صدورهم ، فيخرج زعيم منهم لنفسه أتباعه ويستولي على الحكم بقوة السلاح ، فإنهم يرون هذا السبيل في الوصول إلى الحكم أجدى من اتباع طريق إسقاط الوزارات بالتصويت أو بالاقتراع وليس لنا أن نعقد حجة سياسية في أمة من الأمم ، فلكل شعب تقاليد وأخلاق تفرض عليه نظام الحكم مهما كانت النظريات والقوانين المدونة . فالناس تحكمهم طبائعهم وتاريخهم وتقاليدهم لا الكتب ولا ما خط فيها من دساتير

ولكنا نتساءل ـ وقد أصبحت الدكتاتورية ربا حديثا قائلين : ما السر في نجاح هذا الضرب من الحكم في هذه الأيام ، وما السر في إخفاق النظم البرلمانية ؟

كلمة الدكتاتور ثقيلة على السمع

إذا وصف بها موصوف طغت فكرة الاستبداد والتفرد بالأمر على كل الأوصاف وغيبت وقعها مرسومة في النفس

هكذا كانت منذ القدم ولا تزال حتى الساعة

فلماذا ؟

لسبب واحد لا ثاني له

كان هؤلاء المسمون الحاكمون بأمرهم طغاة بعيدا عما آل إليهم السلطان واستأثروا بالمنافع

وضحوا بالنفس ــ حياة ومالا ــ في سبيل مآربهم الذاتية

هذه صورة الدكتاتور

لم ينج منها العبقري نابوليون رغم ما أسداه للعالم من حسنات جلى

ولكنا رأينا بعد الحرب الكبرى طرازاً آخر من هؤلاء الدكتاتوريين ــ طرازاً تجرد من الأنانية والقى نفسه خلف الآلات

وفي الشعوب كما في الأطفال غريزة تدل الفرد على عاطفة الحب فيميز كأنه بجسم الإخلاص ويتذوق العطف من صده، فيتمعن عنه ويبغض الجبار

وهذا هو السر في قيام هذه الفئة الحديثة القائلة التي رأيناها بعد الحرب، تحرر الديموقراطيات وتأبى أن تقيم الطغيان والأثرة عليها

انظر إلى موسوليني كيف تجرد لخدمة أمته فأولاها قسطاً وقل قسراً أخلص للشعب وبذل راحته ولذته في سبيل إسعاده لا يطمع في مال أو في ملك فأحبه له الشعب وأحبه

قل مثل ذلك في أتاتورك، فلو شاء هذا العبقري أن يجمع جميع حواشي الترك لأقام لنفسه ملكاً عالي الذرى ولادعى الخلافة وجلس على عرش آل عثمان

ولكنه تمسك بعقيدة أخرى وقام ليحمي أمة الترك دون سواها ودون نفسه، فتجرد من المطامع الجذابة وقعد على كرسي من العظمة والجبرية بعد كل ما أوتيه من قوة عقل ومن سلطان إرادة في سبيل إسعاد أمته، فعرف له الترك ذلك فأحلوه في القلوب ونصبوه قائداً

ذلك لأن آثار الخدمة تحوم حوله في سبيل الخير على أن يبصر الشعب في خدمته

وكذلك هتلر لألمانيا هتلر مثله مثل هؤلاء الناهضين التصحيحين الذين مر بك ذكرهم، تجرد من الأنانية في سبيل مبدأ قائم على مصلحة الشعب، فكأنه أحد الروح الإنسانية ونفسه وأقام في مجتمعه فصار سيداً أول يخضع عند كل كافة في أوامرهم

فأنت ترى أن هؤلاء الذين تسميهم دكتاتوريين تمرداً لتعسفهم ليسوا في الواقع من ذلك الطراز القديم الذي ذكره التاريخ، حكمه ما هو إلا مبدأ أمته وقد صادفوا عرفوا دهرهم وجيلهم، فأدركوا سر الخدمة لخدمة وهو الخدمة، أو العبرة تحل محل الأدب

وعندنا أن انقلاب الديموقراطية في هذه الأيام راجع سببه إلى أنها دخلت من هذا المبدأ الصحيح

فإنه بعد ما أجل الناس في ثوراتهم هذه الديموقراطيات بأنظمتها البرلمانية محل ملوكهم المستبدين المتمردين ظنوا أن قد حلا أخو الحكم الصالح وأن قد تطهر السلطان من النزعة الأنانية وخدمة الطبقة دون الأمة

وسرعان ما الأمر فريق أو أكثر طوائفهم ــ في معظم بلاد الله ــ أسم تجربة تكاد تكون فاشلة.

تظلموا فرأوا منتخبيهم الذين أقصوهم ولاة أمورهم قد استأثروا بالسلطة دونهم فجعلوا همهم منصرفا الى سن القوانين وأرهقوا الناس بضغط لم يصل اليها الملوك المستبدون

وقد يألف الشعب نظاما ويطمئن اليه والامور سائرة في سيرها العادي . ولكن اذا جد الجد واضطرمت الحرب أو عصفت ريح أزمة اقتصادية رأى نظامه النيابي نتيجة الخطى حاجة للنعمة كثيرة الانفاق بوزراء ووكلاء البرلمانيين يحسبون حاسبين حسابهم في التوكيل حسب عيوبهم وفي المقام الأول ومصلحة الموكلين في المقام الثاني . لذلك كانوا اذا قام فيهم فرد يحمل أعباء هذه المعالي يجمع مقاليدها في يديه ويتولى هو الامر لا ينظر إلا الى مصلحة المحكومين يلتفون حوله ، ناسين نظرية سلطة الأمة ، لا يذكرون إلا مبدأ واحدا هو خدمة مرافقهم والعمل على ترقية الحياة عليهم سواء أكانت هذه الحياة مادية أو أدبية . هذا هو السر في نجاح الدكتاتوريين في هذه الأيام ، انهم أدركوا الغرض من الحكومة وهو خدمة المحكومين ، فتم لهم الأمر

فان حاجة الشعوب حكومة صالحة . وتستوي بعد ذلك عندها الوسيلة سواء أكانت فردية أم نظاما برلمانيا . فاذا نظرنا نظرة مجردة عن الهوى رأينا الذين ينجحون في هذا النوع من الحكم قوما غيريين آثروا المنفعة العامة وضحوا بأنفسهم في هذا السبيل

وهذا كل ما يطلبه هذا المسكين رجل الشارع

* * *

خطة اليابان في الصين

تسير اليابان في غزو الصين على خطة مرسومة ينفذونها بإحكام يكاد يكون كإحكام الساعة الصادقة الصنع . وكأنما هؤلاء الصفر علموا ما في الغيب فأدركوا ما يجب من مناوأتهم ، وعرفوا موطن الضعف في الشعب الامريكي واعتزازه بالسلم وكرهه الحرب ، ورأوا المستقبل أعتابا في كل انحاء المعمور تحاول أن تسترد ما اقتطعت من ثروة وما قام على هذه الثروة من عزة ومكانة ، فخلا لهم الجو فبسطوا سلطانهم على جيرانهم يستمتعون بما لدى جيرانهم من خيرات صناعية وزراعية ، حتى اذا تم لهم الأمر ونظموا الامبراطورية الحديثة خطوا الخطوة الكبرى الى احتكار القارة الاسيوية

وما ذلك بعزيز على شعب أعطته الأقدار التحكم وأول هذه المؤهلات روح التضحية وصلابة الفرد في سبيل ارتقاء المجموع ، ويتلو ذلك عزم صلب يحطم عدة الجبال فتلين له الامور وتنقاد

فاليابان مثل يحتذى ، وقدوة لا بد منها لجميع الشعوب المتطلعة الى الاستقلال فالزعامة التضحية ، بل الغرام بالتضحية في سبيل المثل الأعلى . هذا هو السر في قيام الأفراد والامم هكذا قامت الديانات والحضارات في كل زمان ومكان ـ سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

سامي الجريديني

كان للخديو اسماعيل زوجات أربع

الأولى : شهرت هانم افندى ، ولم تعقب نسلا

والثانية : جانانير هانم افندى ، وليس لها ذرية كذلك

والثالثة : جشم آفت هانم افندى وقد كانت تلقب « كوجك هانم » أى الهانم الصغيرة

وكانت ذات منزلة خاصة عند الخديو اسماعيل ، واشتهرت بوجود جوقة موسيقى وترية خاصة بها وبعض مغنيات . وكانت تتمنى لو رزقت خلفا ، فلما لم يتحقق لها ما تمنته فكرت فى أن تتبنى لها بنتاً ، وقد وقع اختيارها على فاطمة هانم لما رأته فيها من صفات طيبة وأخلاق فاضلة

وجشم آفت هى التى انشأت أول مدرسة للبنات فى مصر هى السيوفية ، وأسندت رياستها للسيدة روزة الزربه المعروفة بد دالى . وكانت تعلم فيها القراءة والكتابة ومبادىء الحساب والأعمال اليدوية وشئون المنزل ، وكان عدد التلميذات قليلا فى بادئ الأمر ، ثم زاد

شهرت هانم
الهانم زوجة
اسماعيل الأولى

جنانيار هانم الصغرى زوجة اسماعيل الثانية

الأعمال عقب أن صارت مهن ، فاعترضت العرب بين أنت مدرسة أخرى ، كبرى ، وتم بناؤها فعلا. وقبل افتتاحها كان اسماعيل قد بارح مصر هو وزوجاته ، فأهمل شأن المدرسة ، وشغلتها الحكومة ببعض الدواوين ، ومكانها الآن تشغله وزارتا الأشغال والمواصلات ودار البرلمان وما حوالها.

والرابعة . والدة الخديو توفيق

وقد أنعم السلطان على اسماعيل بالعقد عقب ، صدور الأمر بمنحه الرتبة وذلك عقب صدور الفرمان السلطاني بجعل ولاية مصر وراثية في أكبر أولاد اسماعيل . وبعد زواج ولي العهد توفيق باشا أقامت معه في سراي القبة

• • •

وكان اسماعيل يقيم أغلب أوقاته مع زوجاته في عابدين ، وفي بعض الأحيان ينتقل الى احدى السرايات الأخرى في الجزيرة أو الاسماعيلية والجيزة فيرافقنه اليها

وكانت كل واحدة من الثلاث تقيم في «دائرة» ، وهو مسكن خاص مستقل ، ولكل منهن « قلفاوات » توزع عليهن الوظائف المختلفة من « خزنداره » و « شهشرجية » . . الخ .

وكان القلفاوات خادمات خصوصيات من الجواري السود وفتيات شركسيات يشرفن على القيام بما تقوم به القلفاوات إذا ما كبرن.

أما اسماعيل فكان له «دائرة» خاص تقيم أتباعه عند دخوله في النساء ، وكانت له كذلك حاشية خاصة من الخصيان والجواري ترافقه في كل سراي من سراياته

• • •

وفي استقبال الزائرات سواء كن من الأمراء أو من أهل البلاد ، كان يتقدم الأغا ويساعدهن

جشم آفت هانم افندي
زوجة اسماعيل باشا

في الدخول ، ويرافقهن إلى باب الحريم ، وهنا تأتي جوار من معتوقات الحال ليتسلمن منهن « اليشمق والفراجية » أو المعاطف ، ويرافقهن إلى « الصالون » في الدور الأسفل وهو مؤثث بالأثاثات الفرنسية الفاخرة ، ثم ترشد الزائرات الى « الصالون » الخاص بالبرنسيسات والدور الثاني

وفي الاستقبالات الهامة تتقدم الزائرات إحدى القهرمانات في زي رجل بملابس مزركشة ، وكانت تختار ذات وسامة وقد رشيق طويل ، تحمل في يدها عصا مطعمة غليظة ، فتسير بين أيديهن الى مكان البرنسيسات ، وكان يطلق عليها اسم « الشاويش »

وكانت البرنسيسات يلبسن الملابس الحريرية الفاخرة ذات الألوان الزاهية ، والأذيال الطويلة ، في زي افرنجي ، وكن يجلسن عند الاستقبال جميعهن بجوار بعض . وتقدم الزائرات الى كل منهن الوصيفة الخاصة بالترجمة عند وجود الأجنبيات وكان يقوم بهذه المهمة بالتناوب وصيفتان هما قوسر خانم وعاره سر خانم

ثم تقدم القهوة في فنجان ذي ظرف مصنوع من الأسلاك الفضية الرفيعة على أشكال جميلة ومرصعة بالماس . وكان يسمى « شمل شفتي » أو « ظرداق »

ولقد كانت الضيفة لأول مرة في سراي عابدين تدهش لمنظر الجواري اللاتي يستقبلن الزائرات في ملابسهن الفخمة ، وتتساءل : « أهؤلاء مملوكات ؟ »

أما في الحفلات الكبرى وفي الأعياد وأفراح الأنجال ، فكانت البرنسيسات يتزين بأبهى زينة في الملابس المزركشة بالجواهر ، مما لا يشاهد حتى عند الملكات الأوربيات

* * *

وكانت زوجات اسماعيل يعشن على وفاق تام مع أنهن ضرائر . فضلا عن وجود محظيات كثيرات له . فقد علمت أن الغيرة لم تكن تصل إلى إحداث شقاق بينهن في الغالب . وإذا حدث شيء من ذلك قام « جنيل أغا » وهو « باش أغا والدة اسماعيل » بإصلاح ما بينهن سريعاً

والفضل في ذلك يرجع لاسماعيل لأنه عمد على من كان يعتقد فيها الرزانة والعقل الراجح . والمحافظة على المقام العالي الذي يرفعها إليه فكن لآخر حياتهن محترمات موقرات من الجميع

من مذكرات الحاج احمد شفيق باشا

زوجة اسماعيل الرابعة
والدة الامير ابراهيم

السلطان صلاح الدين الأيوبي

مؤامرة على صلاح الدين

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

لما قدم صلاح الدين الى مصر لأول مرة مع عمه أسد الدين شيركوه فى سنة ٥٥٨ هـ ، لم يكن يتصور أنه سيغدو بعد ستة أعوام فقط سيد هذه البلاد العظيمة الخالدة . أجل لم يكن هذا الفتى الذى لم يجاوز السادسة والعشرين من عمره يستشعر ذلك المستقبل الباهر الذى يرتبه له التاريخ ، ولم يخطر بذهنه يومئذ أنه بعد الاستيلاء على ملك مصر سيغدو بطل الاسلام وحاميه ومنقذه ومحرره من خطر الصليبيين .

قدم صلاح الدين الى مصر مع الجيش الذى أرسله نور الدين زنكى صاحب الشام الى مصر بقيادة شيركوه لنصرة وزيرها شاور وزير الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله ، على منافسه الخصم ضرغام ، وخاض غمار الحرب الأهلية التى اضطرمت بمصر يومئذ وانتهت بظفر شاور ومصرع خصمه . ولما حاول شاور بعدئذ أن يستقل بالأمر وأن يتخلص من منافسه شيركوه وجنده ، ثار بين الحليفين نضال استعان فيه شاور بالفرنج الصليبيين ، ولكنه انتهى بهزيمته ومصرعه ، وتولى شيركوه مكانه وزارة العاضد ، ولكنه لم يلبث أن توفى بعد قليل ، فخلفه فى الوزارة ابن أخيه صلاح الدين وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م)

وكان ذلك فاتحة عهد جديد فى تاريخ مصر الاسلامية . ذلك أن الخلافة الفاطمية كانت يومئذ تختتم حياتها وتلفظ أنفاسها الأخيرة ، وكانت قد فقدت منذ عهد بعيد سلطاتها الزمنية والروحية فى ظل جماعة متعاقبة من الوزراء الطغاة ، أضحوا فى ظلها القادة الملوكية ، واستخلصوا لأنفسهم كل سلطاتها الحقيقية ، فلم يبق منها حين آلت الى العاضد لدين الله سنة ٥٥٥ هـ سوى رسومها الاسمية ، وكان آخر هذه الشتة من الوزراء الطغاة شاور الذى تلقب بالملك المنصور ، فلما تولى صلاح الدين وزارة العاضد جرى على رسوم أسلافه ، فتسمى بالملك الناصر ، واستأثر بكل سلطة ، وثابت له فى الحال نية القضاء على هذه الدولة المحتضرة ، وهذه الخلافة الشبحية المزعومة ، فحجر على الخليفة ورجال بلاطه ، واضطهد رجال الدولة وزعماء المصريين ، وسلبهم كل سلطة ونفوذ ، واعتقل الكثيرين منهم ، وأطلق يده ويد عصبته وصحبه فى جميع الشئون والنواحى ، وأغدق عليهم المنح

والإقطاعات ، ووهبهم القصور والضياع الغنية ، وأخذ يعمل لمحو رسوم الخلافة الفاطمية ، ولمحات الانقلاب الحاسم

عندئذ جاشت بأهل القصر[1] والزعماء المصريين ثورة من الحفيظة والسخط على ذلك التفوق الأجنبي ، ولم يكن صلاح الدين قد حقق شيئاً من تلك الوقائع العظيمة التي أسبغت عليه حلل المجد وجعلت منه فيما بعد بطلاً قومياً لمصر وللإسلام كله ، ولم يكن يومئذ في نظر الزعماء المصريين سوى أجنبي متغلب يجب مقاومته وإبعاد العرش والخلافة من مطامعه . وفكر في الاضطلاع بتلك المهمة الخطيرة بادىء ذي بدء زعيم من زعماء القصر هو جوهر أحد « الأستاذين المحنكين »[2] فلقب مؤتمن الخلافة ، ووافقه على مشروعه عدة من الأمراء والقادة المصريين ، ورأوا بعث للإغراء إلى الفرنج الصليبيين فكاتبوا آموري (أموري) ملك بيت المقدس ، حتى إذا زحف الفرنج على مصر ، وخرج صلاح الدين لقتالهم وصدهم ، أعلنت الثورة في القاهرة وفتك المصريون بخصومهم وسحقوا الترك ، ولكن ضبطت بعض الكتب المرسلة إلى الفرنج ، ووقف صلاح الدين على سر المؤامرة ، فشعر المتآمرون واستتروا حيناً ، وتربص صلاح الدين بالأستاذ جوهر حتى إذا خرج ذات يوم من القصر إلى بستانه متريضاً حيث انقض عليه نفر من رجاله ، ففتكوا به واحتزوا رأسه وحملوه إلى صلاح الدين ، وكان ذلك في أواخر شهر ذي القعدة سنة ٥٦٤ هـ . فساء الحادث في القاهرة ورأى فيه الأمراء والجند المصريون تدبير الغدر ، فحشدوا جموعهم وأعلنوا الثورة وزحفوا على دار الوزارة ، وكان منهم طوائف كبيرة من السودانيين والعبيد ، وحشد صلاح الدين قواته من الترك وركب مع أخيه وحشمته لقاء خصومه ، والتقى الجمعان في ميدان بين القصرين[3] ونشبت بينهما معركة شديدة ، ورمى أهل القصر عسكر الترك من فوق الأسوار بالنبال ، وكادت تدور عليهم الدائرة ، لولا أن شرع الترك في تصويب النفط إلى القصر لحرقه ، فعندئذ خشي الخليفة العاضد العاقبة ، وبعث أحد الأستاذين ، فأطل من القصر ، وصاح بشمس الدولة أخي صلاح الدين وقائد الترك يبلغه سخط الخليفة ، ويحثه على سحق العبيد من السودانيين وهم عماد الجيش الثائر ، فانكسرت جموعهم وانهزموا أمام الترك ، وطاردهم الترك في شوارع القاهرة مدى يومين وفتكوا بهم

(١) القصر هنا هو القصر الملكي الكبير ، وقد كان مقر الخلافة الفاطمية منذ قيامها بمصر (سنة ٣٦٢ هـ) حتى زوالها في سنة ٥٦٧ هـ .

(٢) هم جماعة من أكابر الخاصة في الخلافة الفاطمية ، وكانوا يتولون في القصر عدة مناصب هامة ومنهم صاحب المجلس الذي يشرف على مجلس الخليفة ، ومتولي شد التاج ، وصاحب الرسالة وصاحب الدفتر ، وسموا بالمحنكين لأنهم كانوا يديرون العمائم على حنكهم

(٣) بين القصرين هو الميدان الواسع الذي كان يفصل بين القصرين الفاطميين الكبيرين ، القصر الشرقي وهو الكبير والقصر الغربي وهو الصغير ، وكان يسع نحو عشرة آلاف جندي ، وكانت تنظم فيه مواكب الخلافة الكبرى والحفلات والمظاهرات العظيمة

شر قتلة ، وسلم من بقي منهم ، وبذلك حطم الجيش الثائر ، وحطمت قوى الدولة المصرية والخلافة الفاطمية ، في تلك الموقعة التي تعرف بواقعة العبيد (٢٨ ذي القعدة سنة ٥٦٤ هـ) واشتد ساعد صلاح الدين وعصبته الغز ، ولم تبق أمامهم قوة يعتد بها أو يخشى بأسها .

ولما اطمأن صلاح الدين إلى صحة مركزه وتوطد أمره ، رأى أن يمضي مشروعه في القضاء على الخلافة المحتضرة ، فقضى ذات مساء على من بقي من أكابر الدولة وأولياء الخلافة ووضع يده على القصور الفاطمية ، وقطع اسم العاضد من الخطبة ، ودعا للخليفة العباسي المستضيء بالله وأزال جميع شعائر الخلافة الفاطمية . فمات العاضد حزنا وغما بعد ذلك بأيام قلائل (المحرم سنة ٥٦٧) واحتوى صلاح الدين على جميع متاعه ، وقبض على أولاده وأهله وسائر صحبه ، وأخرجهم من القصر ، وانتهت بذلك الدولة الفاطمية وبدأت بمصر دولة جديدة .

• • •

وكان سقوط الدولة الفاطمية على هذا النحو مأساة أليمة حزت في نفوس الكثيرين من أوليائها وأنصارها ، وكان فوق ذلك ضربة قاضية لسلطان الزعماء المصريين ونفوذهم . وشعر هؤلاء بشدة الحكم الجديد وعسفه ، ورأوا أولئك المتغلبين الجدد يستخلصون لأنفسهم ذلك التراث الضخم ، ويستأثرون دونهم بكل شيء في الدولة ، وأيقنوا أنهم إن لم يتداركوا الأمر في بدايته ويسعوا إلى تقويض ملك صلاح الدين قبل أن تتوطد دعائمه ، فإن الفرصة ستفلت من أيديهم إلى الأبد .

وكانت خيوط المؤامرة الأولى التي أحبطت وسحقت عقب واقعة العبيد ، لم تقطع نهائيا ، ولكنها كانت في تلك المرة أخطر وأوسع مدى ، وكان قوامها عدة من الزعماء الأقوياء ، منهم داعي الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل ، والقاضي المفضل ضياء الدين هبة الله بن كامل ، والقاضي الأعز سلامة العوريس متولي ديوان النظر ، والكاتب عبد الصمد[1] والشريف الجليس ، ونجاح الحمامي ، والفقيه الشاعر عمارة اليمني ، والواعظ زين الدين بن نجا ، وكانت المؤامرة تقوم على نفس الخطة أعني الاستعانة بالفرنج ، بيد أنها كانت هذه المرة أوسع نطاقا وأبعد مدى ، ذلك أن المتآمرين لم يقنعوا بالاتفاق مع الفرنج الصليبيين في بيت المقدس بل رأوا أيضا مخاطبة الفرنج في صقلية واتفقوا مع وليم الثاني النورماني ملك صقلية أن يبعث بحملة بحرية تهاجم ثغر الإسكندرية ، وذلك لكي تفرق قوى صلاح الدين كل مفرق ، ويتمكن المتآمرون من السيطرة على القاهرة بأيسر أمر . وكان رسول الفرنج الصليبيين المتآمرين في مصر يدعى جورج (جرج) ، كان يتردد على القاهرة بحجة الاتصال بالسلطان والسفارة إليه ، ثم ينتهز الفرصة فيتصل بالمتآمرين ويشترك معهم في تدبير الخطط ، ويلاحظ أن المتآمرين على ذلك لم يكونوا سواء في حمل زعم الإسماعيلية أو الشيعية

(١) كان داعي الدعاة من أهم رجال الدولة الفاطمية ، وكان منصبه دينياً محضاً ، ومهمته السهر على تنظيم الدعوة الفاطمية ومجالسها الدينية ، وكان متولي ديوان النظر والكاتب من أكابر رجال الديوان أيضاً .

فى الشام ، لكى يرسل بعض رجال الفدائية لاغتيال صلاح الدين ، وكانت خطتهم تتلخص فى انه متى غادر صلاح الدين العاصمة بجيشه فى إحدى حملاته الى الشام ، وصلت الفرنج الى القاهرة وبثوا أسطولهم الى الثغور ، وفى الوقت نفسه يضرم المتآمرون فى القاهرة نار الثورة فتثور الحاشية القديمة وبقية العسكر الفاطمى وطوائف السودان ، ويفتكوا بالصحبة الصلاحية وجند الغز ، ويستولوا على العاصمة وينصبوا أحد أولاد الخليفة مكانه ، وبذلك تنتهى دولة المتغلبين ، وتسترد الخلافة الفاطمية ملكها وسيادتها

وكان من أهم أركان هذه المؤامرة الخطيرة فيما يبدو من أقوال الروايات المعاصرة الشاعر الفقيه عمارة اليمنى الذى تقدم ذكره ، وكان هذا الشاعر يمنيا قدم الى مصر لأول مرة فى خلافة الفائز بالله سفيرا ثم وفد عليها مرة أخرى أيام العاضد لدين الله ، وبقى بها ، ولقى من البلاط الفاطمى أعظم رعاية وبقى على ولائه للفاطميين بالرغم من زوال دولتهم ، وله رثاء مشهور للدولة الفاطمية يبكى فيه محاسنها ومفاخرها ، وكان من أقطاب المعارضين للدولة الجديدة ومن المتحمسين لكل حركة تدبر لمقاومتها ، وكان السلطان يخشى قلمه ولسانه ، وينقم عليه ولاءه للفاطميين ودعايته لهم فى قصائده ورسائله

وهكذا كانت المؤامرة محكمة العرى ، بيد أن الخيانة كانت ترقب هذا التدبير المحكم ، ذلك أن أحد المتآمرين وهو زين الدين الواعظ ، خشى عاقبة الافتضاح أو الفشل ، فأفضى الى صلاح الدين بسر المؤامرة وخطط المتآمرين ، فسره صلاح الدين بأمانته ، وأمره أن يبقى على اتصاله بزملائه حتى يقف منهم على كل شىء ، ولما أيقن صلاح الدين خطورة التدبير ، واجتمعت لديه الأدلة الحاسمة ، قبض على المتآمرين ممن ذكرناهم ومن كانت لهم بهم صلة من رجال الحاشية وزعماء العسكر ، وحقق معهم ، فاعترف أقطاب المؤامرة بما اقترفوا ، والظاهر انهم عذبوا ، وأراد صلاح الدين أن يسبغ على تصرفه لون الشريعة والعدالة ، فاستفتى الفقهاء فى إعدامهم فأفتوا له بما أراد بإعدامهم جملة أجمعين ، ولم يعدم الملوك فى أى عصر أمثال هؤلاء المشرعين المطوعين

وكانت هذه المحاكمة الشهيرة فى أواسط سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) ، ونفذ حكم الاعدام بالصلب والشنق فى زعماء المؤامرة ومنهم عمارة اليمنى فى أوائل رمضان ، وأعدم فريق آخر منهم فى شهر شوال ، وأعدم كثير من الجند والحاشية ، وكان بين المحكوم عليهم بعض زعماء الغز الذين اشتركوا فيها ، وأبدى صلاح الدين فى معاقبة المحكوم عليهم قسوة ظاهرة ، فأمر بشنقهم أو صلبهم بين القصرين أو على مقربة من القصور الفاطمية ، وصلب الكثير منهم أمام دورهم على جذوع النخل ، وصادر جميع أموالهم ، ثم تتبع كل من كانت له صلة بهم ، ونفى رجال القصر والجند القديم الى أقاصى الصعيد ، وعذب كثير منهم ، وطورد أولياء الدولة الذاهبة فى كل مكان ، واعتقلوا وشردوا ومزقوا كل ممزق

وهكذا انهارت المؤامرة الخطيرة وسحقت في مهدها . وقد كان انهيارها لحسن طالع مصر وطالع الاسلام كله . ومما يدل على خطرها أنه لم يمض شهران على ذلك حتى هاجمت ثغر الاسكندرية حملة بحرية جهزها ملك صقلية واحتك أهلها ولم تطرده إلا بعد قتال رائع (ذي القعدة سنة ٥٦٩ هـ) وكان مقدمها من آثار المؤامرة ومن ذيولها ، فقد تحالف المؤتمرون كما رأينا مع ملك بيت المقدس وملك صقلية ، والظاهر أن فرنج صقلية لم يعرفوا فشل المؤامرة فكانوا عند تعهدهم ، ولكن الخطر الخارجي سحق في مهده أيضا . وكان للقدر حكمه ، وسرعان ما غدا صلاح الدين بطل مصر ، وبطل الاسلام كله ، وسرعان ما انهارت المملكة الصليبية تحت ضرباته القوية ، وعادت الأراضي المقدسة الى حظيرة الاسلام ، وغدت مصر في ظل الدولة الجديدة زعيمة الشرق ومعقل الاسلام

محمد عبد الله عنان

خواطر أخلاقية

للمفكر فوفنارج

- اذا أردت أن تروق في أعين الناس فيجب أن تتملقهم وتكسب ثقتهم قبل كل شيء الى أن تروق في عين نفسك !
- ان الصبر هو فن الأمل
- لا يعرف المجد كل من لا يعرف قيمة الوقت
- ان الروائي الذي يصور لنا مخاطر الشهوات ومتاعب العواطف يعلمنا قيمة العمل
- الافكار الكبيرة تصدر دائما من القلب
- لكي تتم الأعمال العظيمة يجب أن تعتقد أنك لن تموت أبداً
- ان فكرة الموت تخدعنا لأنها تنسينا الحياة
- السياسي العبقري هو الذي يستطيع أن يحكم دون الالتجاء الى القوة

الرجل والمرأة

أيهما أوفر نصيباً في توطيد الحضارة

بقلم الأستاذ علي أدهم

« مصير المرأة في الأغلب شأن مصير الرجل إذا كان المستوى هابطاً ، فإن ارتفع المستوى واتسع الأفق تقصر عنه ولا تبلغ مداه »

من الحركات الاجتماعية الهامة التي نشطت في أعقاب الحرب الكبرى وقوي أمرها ، الحركة النسائية . وقد خطت قضية المرأة خطوات حثيثة متلاحقة حتى أصبحت المشكلة الجديدة التي شغلتها في طليعة المسائل التي يعنى بها المفكرون وتختلف عليها الآراء ، لما لها من كبير شأن وبعيد تأثير لا من ناحية المرأة فحسب وإنما من ناحية الرجل ومستقبل المجتمع ومصير الحضارة . وقد استردت المرأة الكثير من حقوقها المسلوبة وحريتها المغتصبة وفتحت لها مختلف ميادين النشاط الإنساني الاقتصادية والثقافية والسياسية وكانت من قبل تكاد تكون موصدة في وجهها . ولقد حفلت صفحات التاريخ بشهيرات نساء ممتازات في السياسة والأدب من ملكة تدمر إلى الملكة اليصابات ومن اسبازيا وسافو إلى مدام دي ستايل وجورج ساند . وكثرة الملكات القديرات اللواتي أظهرن في منصب الملك سياسة حازمة وإرادة صارمة وكفاية تفوق المألوف في تصريف الأمور ورياضة المشكلات تكاد تغري بالظن بأن حسد الرجل للمرأة هو الذي عاق ظهورها وحجب ملكاتها . ولقد استأثر الكثيرات من النساء بأعمال باهرة ونمت لهن مواهب سامية حتى اضطر الرجال إلى أن يخصوهن بالإعجاب الخالص والتقدير البريء ، وفي الأساطير اليونانية نساء يمثلن الحكمة وضروب الشجاعة مما يدل على تأثل النبوغ في المرأة وعراقة تقدير الرجل لها

ولكن الإعجاب ببعض النساء النابهات وإكبار شأنهن شيء آخر غير تقدير النساء بوجه عام ، فالمرأة من قديم العصور تسام الخسف وتجشم الهول ، وهي عند القبائل المتوحشة تعامل معاملة ظالمة قاسية وتعيش على ما يسديه إليها الرجل من طعامه وما يلقي لها من فضلات الزاد ، ولا يسمح لها بشيء من الترف والاستمتاع ، وتقوم بأعباء المعيشة من حمل الماء واحتطاب الأخشاب وتهيئة الأطعمة والعناية بالأطفال . ومما عاق تقدم المرأة مسألة الحمل وما يستلزمه من احتجاب عن الحياة العامة وحاجة إلى الرعاية . وبعد انتشار الحضارة ضعفت نزعة الرجل إلى استلاب المرأة كل حق

وحرمانها من كل ميزة قانونية كانت أو اجتماعية وإحاطتها بالحقارة والازدراء . ولا نزاع في أن كل ما يعزى إلى المرأة من وجوه النقص ودواعي الضعف ليس مرده جميعه إلى خلقتها وتركيبها الطبيعي ، وإنما مرد الكثير منه إلى المعاملة التي عوملت بها والاضطهاد الذي لقيته

وقد رفع ظهور المسيحية من شأن النساء ، لأن العذراء مريم منهن ، وأخذ الحس الإنساني يهذب من الغلظة . وساعد ذلك في العصور الوسطى في الغرب على نشوء الأقاصيص الخيالية وانتشار فكرة الفروسية وقيامها على الدفاع عن المرأة وتمجيدها . ولكن هذا التقديس والإكبار لم يكن منطويا على فكرة المساواة بين الرجل والمرأة ، فلم ترتض الكنيسة اعتبار ... من النساء ، وكانت النساء في الأديرة وخلف النوافذ المحصنة تحت سيطرة الرجال ، ولم تكن للمرأة سوى طريقين : إما أن تكون زوجة خاضعة مطيعة وإما أن تلجأ إلى الدير تدفن فيه زهرة شبابها وتقضي بين أركانه البقية من حياتها

وغالى بعض المفكرين في الحملة على الجنس ، وأنكروا على المرأة كل مقدرة ورموا النساء بكل نقيصة ونسبوا إليهن سهولة الفكر وفساد التمييز . فالنساء في رأي شوبنهور طويلات الشعر قصيرات الرأي ، وأنكر عليهن أوتو فيننجر وجود النفس والعقل والمنطق والأخلاق . ولم تصادف هذه الآراء المتطرفة بطبيعة الحال القبول التام والترحيب الكامل من سائر المفكرين ، ولكنها تبين المدى الذي انحدر إليه تقدير المرأة عند فريق من كبار المفكرين

والمكانة التي تحتلها المرأة في العصر الحديث لم تأت فجأة ، بل كانت كسائر الحركات الاجتماعية نتيجة مجهودات سابقة ومقدمات طويلة . وقد ارتفع صوت المرأة مطالبة بالحقوق السياسية في القرن السابع عشر بأمريكا إذ وجهت مرجريت برنت في سنة ١٦٤٧ مطالبة بحقها في النيابة . وفي القرن الثامن عشر طلبت الكثيرات من النساء أن يكن ممثلات في المجالس النيابية ، وفي أواخره كتبت ماري ولستونكرافت كتابها المشهور في الدفاع عن حقوق المرأة ، وأخذت أثر التعميم في مختلف مراحله تتمم أعمالها

ولم يشتد ساعد الحركة ويزهر ثمارها إلا بعد استعمال البخار وتكاثر المصانع ، وهو ما يسمى في عرف المفكرين بالثورة الصناعية . وزادها قوة في خلال القرن التاسع عشر ظهور طائفة من النساء العاملات ودفاع الكثيرين من بعض الرجال . ويضاف إلى ذلك التأثير المباشر لسريان الفكرة الديمقراطية وتغلغلها في جميع الطبقات والأجناس ، لأن التفريق في الحقوق بين الرجل والمرأة ينافي الفكرة الديمقراطية في صميمها ويناقض فكرة المساواة ويهدم قواعد الحرية ، والمساواة والحرية هما الدعامتان القويتان اللتان ترتكز عليهما الفكرة الديمقراطية . وشجع المرأة على الإصرار في المطالبة بحقوقها اشتغال الكثيرات من النساء بأعمال خارج المنزل وعدم اعتمادهن في حياتهن على الآباء أو الأزواج

ولكن برغم الحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي ظفرت بها المرأة ظلت قدرتها في المجتمع باعتبارها مساوية للرجل لا يزال موضوعاً للبحث. فهل المرأة مساوية للرجل من الوجهة النفسية والوجهة الفكرية؟ وإذا كان هناك فرق بينهما فهل هو من الفروق القائمة على التفوق من أحد الجوانب والنقص من جانب آخر؟

لبحث هذه المشكلة في العصر الراهن طريقتان: طريقة الركون إلى التجارب والاختبارات النفسية والاعتماد على مقاييس الذكاء، وطريقة مشاهدة ما يؤديه كل من المرأة والرجل في الحياة واصطناع التجرد والنزاهة لاستخلاص مقدرة كل منهما واستعداده. والطريقة الأولى رائجة في هذه الأيام، وهي طريقة علم النفس التجريبي. ولكن النتائج التي انتهى إليها العلم في هذا الصدد لا تشفي النفس ولا تنقع الغلة، فقد كان معروفاً من قبل ظهور هذه الطريقة العلمية أن المرأة معدلة للرجل في الاحساس بالألم والحرارة والبرودة، وقد أيد علم النفس التجريبي هذا وجعله وراء متناول الشك، ولكن ما هو محصل ذلك؟ وماذا يمكن أن نستخلص منه؟ الواقع أن أكثر النتائج التي انتهى إليها علم النفس التجريبي في هذا الصدد من قبيل تحصيل الحاصل، وإنما الذي يعنينا معرفته هو هل تفكر المرأة تفكيراً منطقياً مثل تفكير الرجل، أو هل هي أكثر إدراكاً للأمور بصادق الحس وألمعية الفراسة، وهل هي أقل توثب خيال وأكثر واقعية وأوفر قابلية الشعور وأقدر على النظر في دقائق الحياة العملية وأصح من الرجل حكماً على الأشياء وأعرف منه بالطبيعة البشرية، أو أن الأمر على نقيض ذلك؟ إن العلم لم يتمكن من رفع النقاب عن أسرار هذه النواحي العقلية السامية بعد، وليس في مستطاع العلماء إلى اليوم إخضاعها لطرائق البحث العلمي الصارم، ولا تزال هي مجال الروائي الموهوب والشاعر الملهم والفيلسوف الموفق ترشدهم في نواحيها البصيرة النافذة والخيال اللامع إذا ما عرت حقائقها في الفضاء وشام ظلالها.

والتوسع في استعمال الأسلوب الآخر، أسلوب المشاهدة ومراقبة الواقع واستنتاج الاستعداد والقدرات والمواهب والملكات من خلال السلوك المتباين والمواقف المختلفة، يقتضي استقصاء حالات كثيرة وجمع حقائق جمة ويستلزم بحوثاً صائبة الدليل. وتنحصر هنا في حصر الموضوع في ناحية واحدة، وهي القدرة على الابتكار: وهل هي متساوية متماثلة في الرجل والمرأة، وأيهما أوفر نصيباً وأعظم بلاء في توطيد الحضارة وإعلاء ذروتها؟

* * *

في تاريخ الحضارة عصران: العصر القديم العاتي الذي تغيب أصوله ومباديه في ظلام ما قبل التاريخ، والعصر الحديث ومعالمه واضحة وضوحاً نسبياً. في العصر القديم لم يكن للمرأة حظ في الزعامة السياسية والاجتماعية، ولم يكن لها نصيب مذكور في الحفلات الدينية ولا في توزيع الثروة، فليس من المنتظر إذن أن تبرز لها مواهب خلاقة مبدعة في هذا المجال أو أن تساوي الرجل فيما

أمره فيه من تفوق واقتدار . ولكن في الفن والصناعة ظهر لنا أثر ملحوظ وتفوق ملحوظ ، ولما تأملت الآثار الفنية والصناعية للقبائل القديمة وجدنا مشتركاً للمرأة والرجل بينة فيه : فالأواني الفخارية والزخارف والتوابل والحلية بالرسوم والطرف الموشاة ، كلها من صنع المرأة ، وهي في كل مكان ترقم الحلل وتنسج الوشي وتغزل الغزل ، وفي الجماعات البدائية هي التي تفلح الأرض وتبذر الحبوب وتقوم بجمع الخضراوات والبقول وتجنيها طعاماً شهياً بأساليب من الأعشاب من منكراتها . وواضح من ذلك أن عمل المرأة في حالة الإنسان الفطرية يشغل معظم الأعمال ويكاد يكون معادلاً لعمل الرجل . ولكن علينا أن نلاحظ هنا أن طابع الصنعة في أمثال تلك المجتمعات يغلب على الميزة الشخصية سواء من ناحية الرجل أو من ناحية المرأة ، ومزيات الخيال والقدرة على التجديد والرغبة في الاختراع مرهقة مكبوحة في تلك المجتمعات بسبب رسوخ العادات وسلامة التقاليد . فإذا ما انتقلنا إلى العصور الحديثة استبان لنا عجز المرأة وقصورها في الشؤون الاجتماعية والسياسية والحربية بحيث لا يمكن الاعتراف لها بمشاركة مأثورة فيها ، كذلك في فن البناء والعمارة ليس لها عمل يذكر ، ولكن مواهب المرأة اتجهت إلى نواح أخرى مثل الفلسفة والرياضيات والعلوم والنحت والتصوير والأدب والموسيقى والدراما .

وفي الفلسفة والرياضيات لم تسم المرأة إلى المرتبة الأولى ، كذلك في العلوم لم تبلغ امرأة الدرجة العليا وإن كانت لبعضهن آثار جديرة بالإعجاب والتقدير . ويلاحظ أن النساء اللواتي برزن في العلوم قد فقن غيرهن في العمل لا في علم التفكير المجرد ومنطقة الخيال الكاشف .

ويمكن المرأة أن تعتذر عن ضعفها المتواضع وقلة انتاجها في هذا المجال بأن الفرصة التي أتيحت لها للاشتغال بذلك في الفلسفة والرياضيات والعلوم ليست كافية لقصر مدتها ، وإن عدد النساء المتوفرات على العلوم جد قليل ، ومن ثم فإنه من المعيب أن يعتبر ما تم في هذا المجال دليلاً نهائياً وحكماً حاسماً ، وهو اعتراض خليق بالرعاية والالتفات .

أما في نواحي النحت والتصوير والأدب والموسيقى فليس هناك ما يبرر عجزها وتفوق الرجل عليها ، فقد رمى حبه أولع النساء بالفن والموسيقى وبعض الأدب والكتابة ، وزاد في العصور المتأخرة إقبالهن على هذه الفنون زيادة مطردة ولم يراعين فيها حدود آداب العرف وأحكام التقاليد ، ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

أما في النحت والتصوير فقد نبغت نساء كثيرات ولكن لم تصل إحداهن إلى مرتبة أمثال رودان أو ميكلنجلو أو رمبرانت ، ولعل حظهن في الأدب والشعر أوفر وأجزل ، فقد برزن في الشعر والنثر إلى مدى بعيد ولم يقصرن إلا عن الأفذاذ القلائل والفحول النوادر .

وفي الموسيقى تبرع النساء في الأداء حيث يكفي القليل من الابتكار ، أما في التأليف فإنهن

فتلقى فشلا ذريعا ، ومنهن من تفوقت في الغناء وجمال الصوت ولكن ليس لهن في التأليف والتلحين نصيب وافر ولا مقدرة ملحوظة

وفي التمثيل وصلت النساء الى القمة وأدين أدوارهن على أحسن الوجوه وأتمها وتحدين به الرجال وتفوقن عليهم في كثير من الحالات ، ولكن في التأليف المسرحي - وان كن قد انتهين الى مستوى رفيع - ولكنهن لم يستطعن منافسة المبرزين من أمثال موليير وابسن وتشيكوف

فاذا ما أعدنا النظر الآن الى ماضي المرأة في العصر البدائي وقابلناه بحاضرها في عصر الحضارة ، اتضح لنا أن المرأة عندما أتيحت لها الفرصة في الحالة البدائية سابقت الرجل في الابتكار ، ولكن في المجتمع الحديث لم تستطع مباراته في أرقى الميادين وأصعب المجالات ، والنتيجة التي يمكن استخلاصها من ذلك هي ان المرأة زاحمت الرجل وجاوزته في الابتكار حيث كان المجال ضيقا محدوداً بسبب حالة المجتمعات البدائية الضيقة ، أما في المجتمع الحديث حيث الفرصة سانحة والمجال فسيح لاظهار الملكات وتشجيع المواهب ، فقد تخلفت المرأة ولم تستطع مباراة الرجل . فقدرة المرأة على الابتكار تعادل مقدرة الرجل اذا كان المستوى ضيقا ، فاذا ارتفع المستوى واتسع الأفق قصرت عنه ولا تبلغ مداه

ولكن تعليل هذه الحقيقة وتحليلها ليس من الأمور السهلة الهينة . ومسألة أن مخ الرجل أثقل وأكثر تعقيدا من مخ المرأة لم تصبح بعد في مرتبة الحقائق العلمية الثابتة ، فانه لم يثبت نهائيا أن مخ المرأة أصغر من مخ الرجل ، وفضلا عن ذلك فان العلاقة بين المخ نفسه والقوى الفكرية لا تزال موضوعا للبحث . والبعض يعلل تفوق الرجل في الابتكار بقوة التفكير واتصافه في عمومية ولا انقطاع . ولكن الواقع أن هذا التعليل غير كاف لأن الابتكار لا يعتمد على قوة التفكير وحدها وانما يعتمد في الأغلب على قوة عنصر التفكير وتوجيهه وجهة معينة وجرأة الخيال وتفتحه ، والفكر المبتكر لامندوحة له من أن يتخلص من كل قيد موهن ويرتفع فوق كل نزعة سائدة ويجمح الخيال بخياله الطليق ، فالابتكار مرده الى الشخصية والخيال لا الى التفكير وحده ، ويظهر أن الرجل ممتاز عن المرأة في هذه القدرة وان كانت المرأة لا تخلو من آثارها

ولننظر الآن الى الميادين التي حققت المرأة فيها آثاراً تذكر لنرى تفاوت تلك الآثار ومقدار تفوق المرأة فيها ، وهنا يلاحظ ان المرأة أقل اجادة للموسيقى وأكثر نبوغا في الأدب وأعظم تفوقا في الغناء والتمثيل

ويمكننا أن نستخلص من ذلك ان المرأة يكثر نبوغها وتفوقها كلما كان المجال أقرب الى التعيين والتخصيص ، وأدنى الى العنصر الآلي الصناعي والتماثل الانساني . فالابتكار في الموسيقى أكثر حاجة الى المقدرة على التجريد من الابتكار في الفنون التصويرية والأدب ، ولذا قل نبوغ المرأة في الموسيقى ، وهي تحسن فيها الأداء بعض الاحسان ولكنها لاتجيد التأليف ، وهي لا تحسن

التأليف المسرحي لا يستلزمه من قدرة على التجريد ولكنها تجيد التمثيل على مسرح يجانبه طائفة ، ويريدها الملا عليه وتجويداً له حضور الجمهور ووفرة العنصر الانساني فيه . وواضح من ذلك أن عبقرية المرأة وكفايتها تتجلى في علم التمييز أكثر منها في علم التجريد ، وفي منطقة العمليات أكثر منها في منطقة المثاليات ، وفي النواحي الانسانية المحضة أكثر منها في النواحي الكونية الخالصة . وهي نتيجة تتفق تمام الاتفاق مع أكثر ما يرد عن المرأة ، وتحليل نفسيتها وشرح سلوكها في القصص المأثورة والروايات التي تجود بها عبقرية المؤلفين المعاصرين

وموجز القول ان المرأة قد اظهرت استعداداً صالحاً للابتكار ، ولكنها عند ما صحت ظروف الثقافة وتوسيع مجال الابتكار أمامها ، ستظهر قوة من الناحية التجريدية، والظاهر أن النظام الفكري الحر لا يستميل نوازع المرأة ، والمرأة بوجه عام أزهد في الابتكار من الرجل وأميل الى التمسك بموضوع الأفكار المعروفة ، وليست شديدة الرغبة في تحدي المألوف والخروج على الطراز المعهود ومن ثم كانت أكثر محافظة من الرجل

ومن التسرع استصغار الابتكار على الحركة النسائية وتطلع المرأة الى التحرر الكامل والمساواة التامة . ومن الآن يصل جهدها في الملاءمة بين عملها وبين الفنون التي اكتسبتها . وأرجح أن من مصلحة المرأة ان تعرف في هذا المقام انها لم تخلق منافسة للرجل وأن عليهما أن يتبعا بواجبين يكمل كل منهما الآخر ، ففي ذلك خير المرأة والرجل وأجدى على الانسانية والحضارة

علي أدهم

كلمات مأثورة

تتجلى عبقرية العظيم في احتقاره صغائر الأمور

رينان

لا تسخر من والديك وإلا سخر أولادك بك

امرسون

لو شئت أن تحب بلا حد فاحبه باعتباره هو الله

ملفور

انا نحتقر أشياء كثيرة تجنبا لنا من أن نحتقر أنفسنا

فوفنارج

عرض وتحليل :

اليابان تزحف على آسيا

للكاتب الكبير روجيه لافين

Le Japon marche sur l'Asie, par Roger Lavigne

« روجيه لافين من أشهر كتاب الغرب الفرنسيين ومن أقدر رجال الصحافة في القيام بتحليلات سياسية وتتبعية في مختلف مشاكل العصر الحاضر ، ولقد تخصص هذا الكاتب في الأمور الآسيوية بدراسة شؤون الشرق الأقصى فقام برحلة طويلة الى آسيا وتفحص بكثير انسانية في الصين واليابان ووقف بنفسه على حقيقة الحال هناك وعلى بواعث الخلاف التي تعصف بالآسيويين والتي أدت الى الحرب الراهنة ، وكتابه (اليابان ترحف على آسيا) يعطي صورة ساطعة على محور النزاع في الشرق الأقصى »

تبلغ مساحة الجمهورية الصينية ٥٥٨ ١٧٣ ١١ كيلو متراً مربعاً ، ويبلغ تعداد سكانها نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٥٣ نسمة ، ويعيش ٨٠ في المائة من أولئك السكان من الزراعة

وقد انشىء النظام الجمهوري في الصين عام ١٩١١ عقب الثورة التي قادها الزعيم المشهور صان يات سن والتي انحدرت منها سلسلة حروب أهلية مشفوعة بالفوضى ومختلف الاضطرابات

ويلاحظ أن السياسة التي اتبعتها الصين هي السياسة المستوحاة من الحزب الوطني الصيني المعروف بالكيومنتانج وأهم أغراضه نشر المبادىء والروح الوطنية وتوكيد النظام الديموقراطي وصيانة أسباب الحياة والرفاهية لمجموع الشعب

ولانستطيع أن ندرك أهمية الحرب الناشبة الآن بين اليابان والصين ورغبات اليابان من هذه الحرب واستبسال الصين في الدفاع عن كيانها واستقلالها ، إلا بعد أن نعرض دراسة وافية لمنطقة الصين الشمالية التي تتطلع اليها أنظار اليابانيين . والواقع أن الصين الشمالية تتألف من خمس مقاطعات ، الأولى والثانية والثالثة أي (هوباي) و (شانسي) و (شانتونج) هي مقاطعات صينية بحتة وأما الرابعة والخامسة أي (شاهار) و (سويوان) فهما تؤلفان الجزء المعروف عموماً بمنغوليا الداخلية

ولكي يتبين القارىء الأسباب التي تدفع باليابان الى بسط نفوذها على هذه المنطقة من الصين نقول إن المواد الرئيسية الأولى مثل الحديد والفحم والقطن متوافرة جداً في الصين الشمالية . والحقيقة أن البلاد الصينية تملك من هذه المنطقة ٥٥ في المائة من مجموع انتاج الفحم الصيني و ٣٤

فى المائة من مجموع انتاج القطن و ٩٠ فى المائة من مجموع انتاج الصوف . ويلاحظ أن فى مقاطعات شانسى وهوباى وشانتونج مناجم فحم وحديد تقدر خيرات عظيمة فى البلاد

وإذن فتوافر المواد الأولى فى الصين الشمالية هو الذى يغرى اليابان ، وهو السبب الأول فى مطامعها الاستعمارية ، وأما السبب الثانى فيتصل بأهمية مركز الحرب ، وإليك البيان :

تعتبر مقاطعة (شانسى) بمثابة قلب الصين ، فإذا ما تمكنت اليابان من الاستيلاء عليها زعزعت الحكومة الصينية المركزية وحالت بينها وبين امكان الاشراف والسيطرة على الأراضى الصينية الواسعة الواقعة فى شمال الصين الشرقى

ولقد تم لليابان منذ عام ١٩٣١ فرض رقابتها فى منشوريا ، وهى تسعى الآن لبسط نفوذها المطلق على الصين الشمالية . ويبرر اليابانيون سياسة الاستعمار والتوسع هذه بأن تعداد اليابان قد ازداد منذ عام ١٩٢٠ الى ١٩٣٠ بنسبة ١٥ فى المائة ، وأن البلاد ضاقت بسكانها وأن من واجبها البحث عن مصرف جديد لأولئك السكان . ومن المهم أن نعرف أن اليابان فقيرة فى المواد الأولى وأن شعارها اليوم هو « انشاء دولة عظيمة على قاعدة الصناعة » وأن الصناعة لايمكن أن تنمو وتزدهر إلا فى بلد يستطيع أن يكفى نفسه من المواد الأولى

أهداف اليابان ومعاهدة الدول التسع

تنص معاهدة الدول التسع على وجوب احترام سلامة الصين وعدم المساس بأراضيها وتحظر اجراء أى تعديل فى جغرافيتها الحاضرة

واليابان تدرك ذلك حق الادراك ولا تفكر فى احتلال أية أرض صينية بصفة مباشرة بل تقصد من وراء الحرب الحاضرة اخضاع الصين لحكم اليابان بأسلوب غير مباشر لايتناقض مع معاهدة الدول التسع ولا يثير حربا جديدة بين اليابان وبين احدى هذه الدول أو مجموعها

ويمكن لمؤلف هذا الكتاب استنادا الى خبرته الطويلة بشؤون الشرق الأقصى ومعرفته الواسعة بأغراض الامبراطورية اليابانية وأهدافها أن اليابان لن تكف عن نشاطها المسلح فى الصين إلا متى حصلت على المطالب الآتية :

أولا — الاستقلال الادارى لشمال الصين

ثانيا — الاستقلال الادارى لمنغوليا الداخلية

ثالثا — التسليم لليابان بأن تشرف على الصادرات والواردات الجمركية فى الصين الشمالية ومنغوليا الداخلية مع فرض الحماية اليابانية عليها

رابعا — توسيع حركة تبادل المصنوعات اليابانية بالمواد الأولية الصينية

خامسا — الاحتفاظ بمختلف الجزر الصينية التى استولت عليها اليابان أخيراً والرما تحويلها الى قواعد دائمة للطائرات الحربية اليابانية

سادساً — ان يحرم على الصين انشاء جيش كبير مع السماح لها بانشاء قوة عسكرية لحفظ الأمن
سابعاً — أن تقبل الصين الدخول في حلف اقتصادي يوثق الروابط بينها وبين اليابان ومنشوريا
ثامناً — أن تعترف الصين باستقلال منشوريا

هذه هي أغراض اليابان في عرف المؤلف . وسواء أكانت الأغراض الحقيقية معتدلة أم مشوبة بالاسراف ، فهي ولاريب قريبة في جوهرها من الأصول التي ذكرها للسير رسبه لايبي . وأكبر دليل على صحة تلك الأصول وصلاحة تلك المطالب أن الصين لم تتردد في محاربة اليابان مع علمها بالفارق العظيم وعدم التكافؤ في القوى العسكرية بين الدولتين

القوى العسكرية عند الصين واليابان

تستطيع الصين أن تحشد أكثر من مليونين ونصف مليون جندي . ولكن كل اعتمادها في الحرب الحاضرة ينحصر في الجنود العصرية المنظمة التابعة لحكومة نانكين

وتستخدم الجنود الصينية بنادق (ماوزر) و (موزر) من طراز عام ١٩١٣ ومسدسات أوتوماتيكية من طراز لوجيه وكمية كبيرة من مدافع مكسيم وهوتشكس

ويلاحظ أن نوع الذخيرة قديم وأن الحكومة تحاول تجديده

ويقول المؤلف إن لدى الصين ما يقرب من ألف طائرة من طراز فيات وبوروتوب ودوجلاس وأن الحكومة لا تملك مدرسة لسلاح الطيران ، وأن الشعب يكتتب في هذا السبيل بالمال الوافر ، وأن في وسع الصين مواصلة حرب طويلة بالانسحاب شيئاً فشيئاً الى المقاطعات الداخلية

وهناك صعوبات ثلاث تعترض هيئة أركان حرب الجيوش الصينية في توجيه حركات الجنود وهي
أولاً — ان مصانع السلاح قائمة في وسط المدن
ثانياً — وأن الأرز وهو أهم غذاء الجنود غير متوافر إلا في مقاطعات الجنوب
ثالثاً — وأن مسرح الحركات العامة الحربية هو في الشمال لا في الجنوب

وأما ما يتعلق باليابان ففي وسعها أن تحشد مليوني رجل . وهي تعتبر الدولة البحرية الثالثة ، وموطن قوتها ان اسطولها البحري كله مركز في مياه بحار الصين لحفظ المواصلات مع داخلية البلاد اليابانية

وقد جددت اليابان في عام ١٩٣٦ معظم قطع اسطولها وأجرت عليه مختلف التحسينات فأصبح اسطولاً حربياً عصرياً من الطراز الأول

وفي وسع اليابان اذا اشتد عليها الخطر واضطرت الى مقاومة دولة عظيمة أن تخرج بواسطة مصانعها المتوفرة شروط الانتاج الحديث ثلاثة آلاف طائرة وعشرة آلاف محرك وألفاً وستمائة دبابة وعشرة آلاف مدفع ضخم و١٥٠ ألف مدفع عادي في عام واحد

ولكنها تستطيع عندئذ حاجتها من المواد الأولى فتضطر الى جلبها من الخارج وتصبح تحت رحمة الأجنبي . ويجب أن نلاحظ أيضا أن هناك ٢٢ مادة من المواد الأولى لابد أن تتوافر لدى الدولة المشتبكة في حرب طويلة . ومن هذه المواد الرئيسية لا تملك اليابان غير ٦ منها

وقد أصيبت اليابان عام ١٩٣٦ بأزمة شديدة من أزمات الحديد فلم تستطع الخلاص منها إلا بعد أن ابتاعت من الروسيا ٥٠٠ ألف طن ، لذلك هي تعمل جاهدة على زيادة انتاجها من الحديد والصلب ، غير ان هذا الانتاج المضاعف يتطلب الحصول على مناجم وافية وهذه المناجم كائنة في الأراضي الصينية . وإذن فحاجة اليابان الى المواد الأولى وخوف اليابانيين من وقوع بلادهم تحت رحمة الغريب هما العاملان اللذان يدفعان رجال الجيش الى الاسراع في انهاء الحرب القائمة خشية أن يصيب الخلل الاقتصادي والمالي جسم الدولة فتطمع فيها روسيا وانكلترا والولايات المتحدة

ويرى المؤلف أن اليابان لم تنضم الى الميثاق الالماني الايطالي لمقاومة الشيوعية إلا لتصرف عن الأنظار هذا الخطر وتبقي الخلافات بين دول أوربا على حالها وتستغل تلك الخلافات لمصلحتها مخافة أن تتألب الدول الأوربية عليها واتحادها على عمل مشترك ضدها

وتدل اتجاهات الرأي العام الياباني على أن اليابان قد نجحت في هذه الخطة أيما نجاح ، وتمكنت بوجه خاص من كسب عطف ايطاليا وتأييد السنيور موسوليني ، الى حد انهم يتحدثون الآن في طوكيو عن احتمال عقد ميثاق ثنائي بين اليابان وايطاليا الفاشستية بجوار الميثاق الثلاثي ويزيد في متانة العلاقات السياسية والاقتصادية بين روما وطوكيو

والحق انه ما دام محور (روما ـ برلين) قائما على أساس مناوأة الدول الديمقراطية بحجة القضاء على الخطر الشيوعي ، فلا شك ان اليابان ستمضي في غزو آسيا وتنتهز كفاءتها فرصة انشغال أوربا لتحقيق برنامجها الاستعماري الآسيوي الواسع النطاق الذي يرمي في الواقع الى الاشراف على الصين واقصاء الأوربيين عن البلاد الصينية

وليس يبعد على اليابان أن تخطو خطوة حاسمة أخرى فتقتص حالة مساعدة الدول التي تجمع هذه الدول أمام أمر واقع وتنتزع منها كل أمل في التدخل في النزاع الياباني الصيني

الدعاية اليابانية في الصين

يقوم اليابانيون بدعاية منظمة في مختلف الأقاليم الشمالية الصينية لحمل الصينيين على الكف عن المقاومة والنضال . فهم يقولون ما معناه : نحن لا نريد سوءاً بالصين ولا بآسيا ، وكل ما نطمح اليه هو تمدين الصين والجمع بين حضارتي الشرق والغرب في محيط واحد هو آسيا التي يجب أن تكون للآسيويين فقط . ولقد اتخذنا مشروعا لندأ نهيئة أفراد الشعوب المثقفة في آسيا الشرقية للتحرر من استعمار واستغلال اخوانهم الغربيين

«ونحن نشعر أن من واجبنا انقاذ فقراء الصين واخضاعهم لروائع الحضارة العصرية التي طبعها بالطابع الآسيوي التقليدي المشترك . ولقد كان في وسع الأوربيين والامريكيين القيام بهذه المهمة ولكنهم تهربوا منها لحسن الحظ كي تصبح آسيا العظيمة ملك الأسيويين وحدهم »

هذا ما يقوله دعاة اليابان وهو عين ما كان يقوله دعاة الاستعمار الأوربي . أما الغاية الاخيرة من دعاية اليابان فهي انعاش الحياة الاقتصادية في الصين الشمالية ليتمكن ملايين الفقراء هناك من شراء الأثواب الجديدة والمصابيح الكهربائية ومختلف المصنوعات التي تنتجها المعامل اليابانية

فاليابان تسعى الى الاستيلاء على مناجم الصين الشمالية وموادها الأولية كي ترد هذه المواد الى أصحابها مصنوعة في قوالب عصرية يحشونها ولا يترددون في دفع ثمنها غاليا . وهذه هي أولى غايات الاستعمار

من هو المارشال شانج كاي شك ؟

تكافح الصين الآن تحت قيادة المارشال شانج كاي شك فمن هو هذا الرجل وما سابقته وكيف غامر بالدخول في حرب ضد اليابان ؟

ولد المارشال شانج كاي شك في عام ١٨٨٦ في صحراء من اقليم شكيانج . وقد تلقى دروسه الحربية في الكلية الحربية اليابانية بطوكيو وكان من كبار معاوني الزعيم سان يات سن وأحد مؤسسي الحزب الوطني الصيني . وقد تولى عام ١٩٢٦ قيادة الحملات العسكرية ضد القواد الصينيين الذين تمردوا في اقليم الشمال . ثم استطاع عام ١٩٢٧ أن ينشىء حكومة مركزية في نانكين ثم شرع في مكافحة العصابات الشيوعية والعمل لتوحيد الصين في شكل دولة ديموقراطية متماسكة ، ثم أصبح رئيسا للحكومة ولجنة الشؤون الحربية التابعة لحزب الكيومنتانج الوطني

ولا يصح أن ننسى أن شانج كاي شك عدو الشيوعيين الألد كان متفقا في هذه السياسة مع حكومة طوكيو ، بل كان من رأيه في الوئام التام مع اليابان وايجاد تسوية سلمية يمكن أن توفق بين مصالح الأمتين ، على شرط ألا تمس وحدة الصين التي كافح المارشال من أجلها طوال حياته والتي حققه في نظر الأغلبية من الشعب الصيني بطلا قوميا

ولعل السر في تزعم المارشال شانج كاي شك وقيادته الحرب الصينية الحاضرة ضد اليابان ، هو أن اليابان بمحاولتها الاستيلاء على الصين الشمالية تهدم الوحدة الصينية التي تهيمن على تحقيقها يد المارشال والتي لا يستطيع التفريط فيها والا غامر بحياته وسمعته وماضيه كله

وليس شك في أن الحرب الناشبة اليوم هي حرب دفاع عن وحدة الصين . فهل تظل هذه الوحدة باقية، وهل في وسع الصين الثبات في حرب طويلة تنهك اليابان وتردها على أعقابها خاسرة ؟ أم ان الاستعمار الياباني سيفوز آخر الأمر ويوطد أقدامه في الصين مرة أخرى ؟

هذا ما سيكشف لنا عنه المستقبل القريب

ا . س .

حضرة صاحب الجلالة امبراطور اليابان

(اقرأ مقالا عنه صفحة ٢٣٦)

الشاعر البلجيكي اميل فرهارن

عاشق الذكرى

تألق نجم الشاعر البلجيكي اميل فرهارن في مطلع هذا القرن ، وكان شاعراً قوي الخيال بعيد أفق التصور، مضطرم العاطفة ملتهب الوجدان تحس في قصائده روح العظمة وصفاء المزاج الحر السليم

ولم يكن فرهارن من أولئك الشعراء الذين أفنوا حياتهم في التغني بعاطفة الحب وفي الشكوى والنواح والأنين ومختلف الانفعالات الضعيفة المرذولة التي تثيرها في النفس اليائسة خيانة المرأة أو الحسرة على حب ضائع أو التطلع الى سعادة غامضة مبهمة لا تمت الى الحياة الواقعة بسبب

والواقع أنه كان يلتمس وحيه الشعري من روح العصر الحاضر من روائع المدنية الصناعية ، من جبروت الانسان العصري الذي تفوق حتى على ظواهر الطبيعة ، من عظمة الرجولة الفذة الشائعة في نفوس البلجيكيين والتي ازدهرت أيما ازدهار وكانت حديث العالم في مستهل الحرب العظمى

والغريب في أمر هذا الشاعر أنه كان في بدء حياته لا يحفل بالمرأة ولا يقيم لها كبير وزن ، وينفر أشد النفور من مصادقتها أو العلاقة التي تمت اليها أو احكام الصلة بينه وبينها أو اتخاذها واسطة حب وغرام كما يفعل معظم الشعراء

كان يعادي المرأة ويتجنبها ويتوجس شراً منها ، ويعتقد اعتقاداً راسخاً أن في وسعه ابتكار شعر جميل لا تشترك المرأة في بواعثه ولا في جوهره ، ولا توجه معانيه وأغراضه وجهة عاطفية هشة تصبغ ضعفها ، وتباعد بينه وبين شتى الأغراض والمعاني الرجولية العميقة التي تزخر بها الحياة

لذلك عاش فرهارن عيشة أقرب ما تكون الى الزهد والتقشف ، عاش من أجل فنه ومن أجل الحياة الكبرى ، يتغنى بكل ما هو قوي وكل ما هو صحيح وكل ما يمكن أن يشعر الفرد العادي بإرادته الانسانية وعظمته الروحية وقدرته على اخضاع نواميس الكون لعقله وسلطانه

ولقد ترتب على هذا الاحساس وعلى تلك الرغبة أن تعلق النساء بحب فرهارن بدل أن ينصرفن عنه .

كبر عليهن أن يسخر منهن الشاعر ولا يحفل بهن ويحيا حياة هادئة سعيدة بمعزل عنهن ، فتألبن عليه وتعقبنه وحاولن النيل منه باغرائه ولكن على غير جدوى

القائد الصيني الكبير شانج كاى شك

رئيس الحكومة الصينية ، وقائد جيوش الصين التي تكافح اليابان

(اقرأ تاريخ حياته صفحة ٣١٢)

عندئذ حقدن عليه وشهرن به وبحثت احداهن ، وهي مدام لاروميه ، الى حد التطاول عليه في حفل عام والقت خطبة عن شعره وأثره في الأدب البلجيكي منوها بالتحامل والتعسف والحنق الذي قاس به صدرها لأن الشاعر كان قد احتقرها واعرض عنها

وضاعفت مدام لاروميه كراهية فرهارن للنساء وزادت من سخطه عليهن وقوت عزمه على العودة الى عزلته والانصراف الى حياة التأمل والتنسك والحلم

وهكذا لم يعرف الشاعر عاطفة الحب ولم يمل اليها ، ولم يعتقد لحظة واحدة أن هناك امرأة يمكن أن تمنحه اياها وتفتح له مغاليق ذلك العالم السحري الذي طالما أشاد به الشاعرون وأقاموا عليه صروح مجدهم وخلودهم

وظل فرهارن يحيا حياته للعزلة الأبية المتوحدة الى أن أشرف على الكهولة وأوشك أن يستقبل نهاية الحياة بقلب المفكر وحس العاقل وحكمة الفيلسوف

وفي تلك اللحظة عصف به القدر . في تلك اللحظة حانت كبرياؤه وزالت صرامته وارتمى بجميع قواه في عاطفة صاخبة جامحة زعزعت كيانه من الأعماق وطوحت به كطفل حيران !

شاهد في باريس في احدى الحفلات فتاة تدعى (مارى دونيو) . وكانت عذراء بديعة المنظر ، لطيفة المعشر عذبة الحديث ، ذات عينين زرقاوين ساطعتين وأنف دقيق وخدين ملتهبين وجبهة عريضة ناصعة لا يشك من يراها أن ربا من ارباب الجمال والصفاء يكلل جبينها

أولع بها فرهارن على الرغم منه . أحس أنها قد احتلت نفسه واستقرت في فؤاده وملكت عليه مشاعره ، وأن ليس في مقدوره ابداع قصائده الرائعة إلا اذا نظر اليها وتملى من محاسنها وأجلسها تجاهه كالنموذج الحبيب أمام الرسام المصور

وشعر على مر الأيام بعجزه عن العمل وعجزه عن التفكير لبعد تلك الفتاة عنه ، فسعى اليها حتى تعرف بها ، فأدركت العذراء بغريزتها المتقدة معنى حبه فارتعدت وتنالت وضجرت واستخفت به وصدته ، واعترفت أن من العار عليها ومن الزراية بها أن يحبها رجل كهل وأن يكون هذا الكهل فوق ذلك من أولئك الحالمين الحمقى الذين يسميهم الناس شعراء

وأحس فرهارن لأول مرة وطأة الفشل وعودة الهوى

كان يذهب الى (ماريا) ويجلس اليها كالطفل ويستعطف ويرجو ويتوسل ، فتثور به الفتاة وتنتهره فيرجع اليها ذليلا حزينا وكل أمله أن تقبله في بيتها كصديق فقط وتتلطف معه وتسمح له برؤيتها كي يستطيع أن يعيش ويفكر وينتج

ثم ذهبت الى منزله ذات يوم حين شعرت بخطرها عليه ورأت أن حبه الشديد سيجعل منها أضحوكة ويصرف الشبان عنها فأغلظت له القول وأغلقت في وجهه باب بيتها

ومضى الشاعر يحمل الحسرة بين جنبيه ويحاول أن يتعزى وينسى . ولكنه لم يستطع فكان

ينطلق هائماً على وجهه في الشوارع والطرقات ثم ينتحي نحو منعزل ثم يقبع في زاوية هناك ويظل يرقب النزل عسى أن يلمحها وأن يرود منها مغفرة

وشاء القدر أن يتمم العذاب فمرضت الفتاة سنة . أصيبت بداء صدري عضال إثر حفلة راقصة تعرضت في أثنائها لبرد شديد

أسرع الشاعر إليها ، أراد أن يطمئن ويعرض عليها خدماته ويؤاسيها ، ولكنها أغلقت بابها للمرة الثانية في وجهه

وزاد ذلك حالت الدنيا في عينيه ولم يدر كيف يشاركها محنتها فصبر واحتمل ، وكان يسأل عنها والديها ويستفسر من طبيبها عن صحتها ويرسل إليها كل يوم باقة كبيرة من الورد الأحمر الصغير

وحدث في ذات ليلة أن سمع الشاعر طرقة شديدة على بابه فهب من فراشه مذعوراً وإذا به يجد شقيق (ماري) يطلب استنجاده ومساعدته للرحيل على أخته ويلتمس إليه أن يرافقه إلى المنزل بناء على طلب الفتاة

أحست ماري أن الموت يتحفزها فعز عليها أن تمضي دون رؤية الرجل الوحيد الذي أحبها ؟

أرادت قبيل مفارقة الحياة أن تطلب الصفح من ذلك الرجل الذي احتملت في حبه كل قوى الحب !

لم تشأ أن تموت وفي قلبه منها تلك الحسرة فشدته إليها كالقط العش الأحمر من يديه !

ولما دخل الشاعر الكوخ وأبصرها صفراء اللون ضامرة القاطع أشبه بهيكل عظمي تسربت منه الحياة ، امتقع لونه واختلج اختلاجاً عنيفاً واغرورقت عيناه بالدموع وحشد الرعب لسانه فكان يتمتم ويرتعش كمن أصيب بالشلل !

وجثا عند قدميها وجعل يلثم يديها ويشجعها ويعدها بالصحة والسعادة والهناء مع شاب يحبها ، ولكنها كانت تحدق إليه وتبكي . وعلى حين غفلة تململت في فراشها ونامت عيناها وأرسلت صيحة مستطيلة ثم تهاوى رأسها وسقطت على الفراش جثة هامدة

ثم صرخ الشاعر ولم ينبس بكلمة بل ظل واجماً تجاهها ساخطاً الشيخ شارد البصر فاغر الفم كأبله أو كمجنون

وتحامل على نفسه وقاوم صدمته واستجمع قواه وشيعها مع أهلها إلى مقرها الأخير ، ثم كر راجعاً إلى بيته ودخل غرفة نومه وتلفت حوله وإذا به يشعر شعوراً قوياً عجيباً أن ليس في مقدوره بعد اليوم أن يعيش !

أدرك أن لا بد له منها ! لا بد له من حبيبته ولو خيالاً ، ولو وهماً ، ولو حلماً وشبحاً ، فيستطيع أن يمضي البقية الباقية من حياته في هذه الدنيا ! أفما فعل ؟

كان عند ما أسرع إلى أهلها وطلب إليهم أن يبيعوه كل ما كانت تمسكه الفتاة ، كل ما وقعت عليه يدها ، كل ما شهده بصرها ، كل ما أحاطت به في حياتها القصيرة التعسة

اشترى منهم أثاث حجرتها وثيابها وقبعاتها ومكتبها الصغير وأدواته ونقل هذا كله إلى داره . وهناك رتب ونسق تلك المخلفات في حجرة خاصة استحالت إلى شبه متحف رائع لماريا !

وفي صدر ذلك المتحف أقام الشاعر صورة رائعة لفقيدته أحاطها بشرائط سوداء وحلاها بأزهار مختلفة الألوان وجعل فوقها مصباحا صغيرا وجعلها شبه هيكل مقدس لعبادة الجمال والذكرى

وتعتقد فرهاري على مر الأعوام أن حبيبته حية وأنها قد أصبحت له ، فكان سعيدا وكان لا يفكر في شيء إلا في حجرة المتحف ، ولا ينظم الشعر إلا وهو مطلع إلى الصورة البديعة ، ولا يجد الهدوء إلا وهو ينظر إلى أدوات (ماريا) وبعض الأشياء التي مست يدها واستمدت منها روح الجمال والحركة والحياة !

وهكذا مضى فرهاري حتى نسي ، عاش وقف الذكرى ، أسير الحلم ، حابس الهمة للخيال ، بعيداً عن كل فتنة ، ناسياً كل شائنة

وكان إذا دعت له أن يغادر متحفه الروحي ويخرج إلى الخلاء ويرى امرأة جميلة ويسحر بها ويشعر أنه على وشك أن يعطف عليها أو يحبها ، كان إذا خطر له ذلك يجاهد ما استطاع يجاهد ليطرد عنه الفكرة ثم يعود يطيف صورتها ويعود مسرعا إلى حيث الحجرة المقدسة ، وهناك أمام الصورة الخالدة التي في رفرف ، يركع ويصلي وينسى نفسه ويجد حواسه في شبه غيبوبة خارقة

ولما كان يحاول أشد امتحانه ، كانت صورة المحبوب حاضرة في أمره ويقلق عليه ولا يجد بداً في الصباح من اقتحام غرفة المتحف ، وعندئذ كانت ترتجف خوفا وذعراً ، إذ تبصر سيدها المسكين فاقد الحول مسلوب القوة ، منطرحا على الأرض وقد أنهكت قواه واستغرق في سبات عميق ، فتدنو منه وتوقظه فيصحو وشعور ثائر ، ولكنه لا يلبث أن يراها ويعرف من هي حتى يرق إحساسه وتهدأ عواطفه فيبتسم من عينيه ويحس لمرأى المحبوب [illegible] ، تلك اليد الأمينة الوحيدة التي سمح لها بأن تتعهد مخلفات (ماريا) وأن تشاركه في تقديم قربانه اليومي لهيكل الذكرى

ولقد انعكس ضوء هذا القربان على آخر ما أبدعه فرهاري من قصائد ورسائل وقصص ، فتجدد شعره وزالت عنه وحشته الأولى وسرت فيه نغمة إنسانية رحيمة لطفت من قوته وهدأت من [illegible] وكسبته [illegible] وأضعفته للرقة [illegible] ذات الطابع الأخير للنشيد !

الذهن الإنجليزي

ينهض على الخلق لا على الثقافة

يقول أمريه سيجفريد الأستاذ بالكوليج دي فرانس والكاتب المشهور بأبحاثه في طبيعة العقل البريطاني وخصائص الأمة الإنجليزية ، أن نظام التربية في إنجلترا لا يرمي إلى إيجاد أفراد شديدي الإحساس بفرديتهم يتوجهون بعقولهم وأفكارهم نحو مبادئ وآراء تفصل بينهم وبين البيئة التي نشأوا فيها والمجتمع الذي يعيشون فيه

فالثقافة في عرف البريطان يجب ألا تؤدي إلى انسلاخ الفرد من أمته وتشبعه بمجموعة أفكار تنم عن استقلال شخصي متطرف ، بل يجب أن تصب في القالب البريطاني التقليدي ، ويجب أن تتكيف بالأنظمة والعادات البريطانية ، ويجب أن تنمي إلى خدمة المجتمع الإنجليزي أولاً ثم إلى خدمة العالم

هذا ما يقوله أمريه سيجفريد ومعناه الواضح أن الإنجليز قبل تعلقهم بالثقافة يفكرون أول الأمر في مصلحتهم كدولة وإمبراطورية مترامية الأطراف ، ثم يفكرون بعد ذلك في مصلحة الإنسانية

ولقد أدركوا بعد بحث واختبار طويل أن نفوذهم وعظمتهم وقدرتهم على الاضطلاع بشئون الأعباء التي تلقي الإمبراطورية على كواهلهم ، كل ذلك يستحيل التحقيق لو لم ينهض الذهن الإنجليزي على الخلق القوي المرن قبل أن ينهض على الثقافة

والواقع أن الثقافة متى اتسعت جوانبها وراجت آفاقها وازدادت شعبها تشعباً واضطراباً ، أوجدت أفراداً مولعين بالحرية في كل شيء ، مسرفين في التعلق بهذه الحرية ، مفرطين في نقد غيرهم ، حريصين عليها ، معتبرين أنفسهم أولى بها

وليس شك في أن حب الحرية طبيعة في الشعب الإنجليزي ولكن الإنجليز مع ذلك يفهمون الحرية ولا يعتبرونها إلا في ظل احترام التقاليد ، واحترام الأنظمة القائمة ، واحترام كيان الإمبراطورية فهم يحترمون حرية الفرد في حياته الخاصة ، وفي الاستمساك بحقه المشروع أمام القانون ، وفي الدفاع عن حقه المشروع في طلب الأمن والعدل ، وفي رغبة الإعراب عن آرائه ومبادئه أياً كانت هذه المبادئ والآراء ، ولكن الإنجليز مع أنهم متى شعروا بأن نشاط الفرد بواسطة ألمت به نزعات التطرف ودفعته إلى الإفراط في نقد الأنظمة الحاكمة ودعوة هدم هذه الأنظمة والاستعاضة منها غيرها في طفرة طائشة وبدون تطور تدريجي ، سرعان ما تراهم ينفرون منه ويتجهمون له

ويسخطون عليه ويحاولون طرده من حظيرتهم كائناً ما كان مركزه الأدبي أو الاجتماعي وكائناً ما كان نبوغه أو عبقريته.

ولقد فعلوا ذلك بعدد غير قليل من عظمائهم كبيرون وشلي وأوسكار وايلد وأضرابهم.

والحقيقة أن الانجليزي الذي يؤمن بمثل التقاليد ويحبها ويحترمها، والذي يهتدي في حياته الخاصة بأخلاق وعادات الطبقة الارستقراطية، يفضل في صميم نفسه الخلق على الثقافة، ويؤثر إنساناً قوي الخلق متوسط الفكر على إنسان موفور الثقافة غزير المعارف حتى ولو دل هذا الإنسان في الوقت نفسه على خلق قوي مستقيم.

ويرجع هذا الإيثار كما أسلفنا إلى الخوف من عنصر التطرف الذي يعتقد سواد الانجليز أنه كامن في كل ثقافة واسعة.

ويجب أن نلفت النظر إلى أن هذه العقيدة لا يؤمن بها مجموع الشعب فقط، بل رجاله وقادة الرأي فيه أيضاً. فهم في الغالب يفضلون الرجل السياسي صاحب المواهب المتوسطة المعروف باعتداله ولباقته وتوافق آرائه مع آراء المتوسطين من زملائه، على الرجل السياسي العبقري الذي يرغب في استحداث شيء جديد والذي يخشى زملاؤه بوارق نبوغه ونزوات عبقريته أن تؤدي بالدولة آخر الأمر إلى التورط في ظروف وأعمال جديدة لم تختبرها التجارب ولم تمتحن صلاحيتها الزمن.

لهذه الأسباب مجتمعة يبني الانجليز على ضرورة تفوق الذهن الانجليزي على الخلق لا على الثقافة.

ولكن ما هو الخلق في نظرهم، وما هي مميزات الخلق القوي التي ينادون بها ويطبعون أفرادهم بطابعها ويحاولون صبها في المثل الانجليزي الأعلى؟

يقول اندريه سيجفريد إن الخلق الانجليزي ينهض على الرياضة والإرادة والجلد وكبح جماح العواطف والغرائز وعدم الخوف من الوقوع في الخطأ والقدرة على الانتفاع بالتجارب ومعرفة قيمة الوقت وحسن تنظيمه وتقسيمه مع استغلال ساعات الفراغ في جمع شيء يسير من الثقافة العامة وفي الإقبال على مختلف أنواع الرياضة البدنية.

فالفرد الانجليزي كما عرفه ولاحظه الأستاذ سيجفريد لا يهاب الإقدام مثلاً على عمل وكل إليه، وهو يعرف حق المعرفة أنه يجهله. نعم لا يهاب، بل يحاول ملاحظة وجوه هذا العمل ودراستها في بطء وهدوء، والإمعان في هذه الدراسة ولو أخطأ بادئ الأمر في فهم بعض نواحيها، وهكذا تراه يتذرع بالصبر والإرادة حتى يصبح ذات يوم وإذا به على رأس العمل الذي وكل إليه.

وقد نجح الانجليز في مستعمراتهم باتباع هذه الطريقة، وكثيراً ما بعثوا إلى تلك المستعمرات أفراداً تهبط عقولهم إلى ما دون المتوسط، ثم ساعدوهم وشجعوهم وأودعوا فيهم ملكة الثقة بأنفسهم فأصبحوا على مر الأيام من كبار الموظفين وصفوة المستعمرين المخلصين.

ويعتقد الأستاذ سيجفريد أن لب التعاليم الخلقية الانجليزية يقوم على مبدأ تفاؤلي عجيب. وهذا

المبدأ متلخص فى أن كل إنسان فى وسعه القيام عند الاقتضاء بأى عمل يعهد به إليه ما دام سليم الجسم سليم الحس دقيق الملاحظة يستطيع الترفع عن المغريات المادية والاكتفاء بمعيشة هادئة متواضعة الرجاء

لذلك يهتم الانجليز بما يسمى أنظمة التعليم بتربية ملكة الملاحظة والاستقراء فى نفس الطالب، وتحرير عقله من عادة الاستظهار الآلى، ودفعه إلى التفكير بنفسه فى شتى ظواهر الطبيعة كى ينشأ نشأة عملية توجهه إلى الواقع المحسوس لا إلى الفكر التجريدى النظرى

أما فيما يختص بالترفع عن المغريات المادية فالانجليز يعتبرون هذه الملكة من الملكات القيمة التى أوجدتها فى نفوسهم حب الأشياء، طبائعهم الارستقراطية التى لمسها ما يكفيها والتى تعبر عن الزهد من ثروتها وجاهها بمظهر عادى غاية فى البساطة

ويرى الأستاذ سيجفريد فوق ما تقدم أن من عناصر الخلق الانجليزى الرئيسية خاصة المرح الذى يبعث على العمل ويطرد اليأس ويجمل الحياة

ومن المهم أن نلاحظ أن مرح الفرد الانجليزى يختلف مثلا عن ذلك المرح المشهور لدى زميله الفرد الفرنسى

والواقع أن المرح الانجليزى دائم ثابت ينشأ عن صحة بدنية تامة تسهر على سلامتها الألعاب الرياضية اليومية. أما مرح الفرنسى فينشأ عن عقل لامع متقد وهو لمعات متقطعة يرسلها هذا العقل ساعة الصحو والارتياح

وقد يبدو لك الانجليزى أول وهلة رجلا متجهما عابسا ولكنك لا تلبث أن تتصل به حتى تراه دمث الطبع رقيق الحاشية تشع فيه الحياة كالأطفال ويكمن فى طبيعته خاصة المرح الدائم ويجد فى حبه العمل مهما كان ثقيلا مرهقا

وإذن فالخلق الانجليزى تؤثر فى تكوينه مصلحة انجلترا ومصلحة امبراطوريتها. وهو مكون فى أصله لخدمة هذه الامبراطورية وتزويدها برجال السلطة أصحاب النهى والأمر. ومما لا يقبل الريب أنك لا يمكن أن تكون صاحب سطوة وسلطان بذكاء خارق وشجاعة ولباقة قد تبعث على التطرف أو على الصدم أو على الاحتقار والاستخفاف أو على التمرد وكره الطاعة لمن هم أعلى منك. لا يمكنك أن تكون صاحب سطوة بكل هذا من الخلق. أى بالنزاهة والاستقامة والصبر والدأب والجد والترفع عن المحسوبية والرشوة، وهكذا يقدرك من هم دونك مركزا وثروة، لأن الناس فى الحقيقة يقدرون الأخلاق أضعاف ما يقدرون العلم

وهذه هى النظرية الانجليزية: العلم شىء شائع أما الخلق فشىء نادر. الخلق القوى هو الذى يوحى الاحترام والتمجيد والهيبة، وهو الذى يمكن أن يكون قاعدة للوطن ودعامة للامبراطورية

• • •

والآن وقد أوضحنا أهم خصائص الخلق الانجليزى العام، وكيف أنه يبنى على الخلق لا على

الثقافة ، وكيف أن هذا الخلق صالح وآثمه وعظيمة ، لا نجد بدّاً من الاشارة الى موطن الضعف في هذا الأسلوب من التربية والتفكير

وموطن الضعف هو في أن العالم لا ينتفع من هذا الاسلوب قدر ما تنتفع به بريطانيا نفسها. وايضاحا لهذه الفكرة نقول :

لقد أدى تغلب الخلق على الثقافة عند الانجليز الى تضاؤل وندرة النزعات والمبادئ، والآراء الاجتماعية الانسانية بين مفكريهم وأدبائهم . فالمفكر الانجليزي قد يتحمس لغاية انجليزية قومية ، ولكنه لن يتحمس أبداً لغاية تعود بالنفع على البشرية ، ويترتب على تحقيقها هدم الانظمة الانجليزية وتقويض دعائم المجتمع الانجليزي

ومن المحال أن نرى أن يقوم الانجليز مثلا بثورة ذات غرض علمي وانساني كالثورة الفرنسية مثلا أو الثورة الروسية

انهم أهل حزم ، وطبيعة أهل الحزم متأصلة فيهم ، وأبرز جوانب هذه الطبيعة هي الحيطة والحذر والتريث والأنانية فهم يتوقون الى خدمة العالم ولكن بعد خدمة أنفسهم ، وهم لا يسمحون أبداً بأن يقوم فيهم نفر من الخوارج يحاولون خدمة العالم على أنقاض أمبراطوريتهم . وهذا هو السر في ولع الانجليز بالاعتدال وبتمسكهم بالحلول الوسطى ووقوفهم حيال المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المعاصرة وقفة الرقيب المحايد، المتحفظ الذي يكد عقله وأعصابه باحثا عن حل مبتكر يوفق بين هذه المتناقضات ويؤدى آخر الأمر الى تعزيز مركزه وتقوية أنظمة بلاده وخدمة مصلحته الشخصية باعتباره مواطنا

فالرجل الكامل الحرية الواسع الثقافة الذي رفعته ثقافته فوق محيط بيئته وجعلته يغلب مصلحة الانسانية على مصلحة الوطن ، هذا الرجل يسمى نجوه الشعب الانجليزي من زمرة الانسانية جميعا ، ولكن الانجليز يسمونه حكمة وقوة . وعلى هذه القوة الأنانية يقيمون صرح الوطن ومجد الامبراطورية

وعليه فالروح الفردية أقل تغلغلا في النفسية الانجليزية منها في النفسية الفرنسية مثلا ومن أنت اذا شئت أن تقارن وتفاضل بين الفرد الفرنسي المتوسط والفرد الانجليزي المتوسط لابد أن تشعر على الفور أن الفرنسي أحد ذهنا وأعمق ذكاء وأغزر ثقافة وأقدر على فهم مختلف جوهر الطبيعة والمجتمع من زميله الانجليزي

ولكن اتساع أفق الثقافة عند الفرنسي يلهب في كيانه جذوة الكبرياء العقلية ويمكنه الاعتداد بالنفس ، وكثيراً ما يحفر هوة سحيقة بينه وبين العادات والأنظمة والعقائد السائدة في بلاده . وهذا هو السبب في وفرة عدد الاحزاب السياسية في فرنسا وفي تنوع آراء العلم الفرنسي وفي

تعدد الثورات والانقلابات الفرنسية وفي سرعة سقوط الوزارات وفي ظهور الفضائح المالية والسياسية بشكل صارخ وصورة منكرة مروعة

وقد قال المفكر الانجليزي لوسيان روميه في هذا الصدد إن كل فرنسي يجهد في تتبع عقله ما استطاع ، وان الغاية رفع مستوى الثقافة العامة غدت الشغل الأخير عند جميع حكومات الجمهورية ، وقد ترتب على ذلك ان كل فرد أصبح معتقداً انه هو الحكومة وان من حقه أن يحاسب الحكومة عن كل شيء ، ويقف منها على الدوام موقف الناقد والمتحكم ، ويطالبها في كثير من الحالات بتحقيق آراء ومبادئ قد يراها صاحبها له كفرد مستقل بصرف النظر عن صلاحيتها لمجموع الأمة

والحقيقة أن الفرنسيين لفرط إيمانهم بتفوق عقولهم وتفوق فرديتهم وتفوق ثقافتهم يظل معظمهم في نقاش وتناحر دائم أيام السلم ، فإذا ما شعروا بالخطر الخارجي يوشك أن يعصف بهم تناسوا مؤقتاً خلافاتهم الفكرية ومشاحناتهم السياسية وتضامنوا لسحق العدو الخارجي

ولا شك أن هذا الطغيان العقلي المطرد يحدد اتجاه الحركة الفكرية الفرنسية ويشعر الأفراد بشخصيتهم وبأثرهم في تصريف شئون الدولة ويجعل فرنسا مركز الثقافة الأوروبية . ولكن هذا الجدل العقلي المتمادي في حرية تامة كثيراً ما يهدد كيان الأمة ويضعف مجموعها ويذري الأهواء بها ويجعل مهمة الزعماء في حكمها عسيرة شاقة إلى أبعد حد

فالسياسي الانجليزي يحكم وهو مطمئن الى غالبيته والى احترام الأمة لهذه الغالبية ، ولكن السياسي الفرنسي يحكم وأنظاره متجهة نحو شعب متعدد النزعات والآراء والأفكار يحدق به التحدي ويجعله يتحمل مهمة كبرى ألا وهي التوفيق بين جميع هذه النزعات والأفكار

وصفوة القول أن الروح الديموقراطية في أظهر صورها أصبحت طبيعة في الشعب الفرنسي ، ومن خصائص الديموقراطية متى تمكنت من النفوس والأذهان أن تحاول السمو بأغراضها فوق محيط الوطن ، وأن توجه التفكير وجهة انسانية قد تتعارض في بعض الأحيان مع مصلحة الوطن . ولذلك يعرف المفكر الفرنسي بنزعته الانسانية المثالية ، في حين يعرف المفكر الانجليزي بنزعته العملية الواقعية . ولكن الظاهرة الغريبة التي يلفت اليها الاستاذ سحريه أنظار مواطنيه والتي تنهض دليلاً ساطعاً على عظمة الأمة الانجليزية ، هي أنه كلما اضطرب نظام الدولة في فرنسا وكادت أو أوشكت نزعات أفرادها وخلافاتهم أن تقضي على كيان الأمة ، حول زعماء الفرنسيين أنظار مواطنيهم الى انجلترا وعدوا من ثبات النظام الانجليزي قدوة لهم ومن تماسكه وحرصه على مصلحة الدولة واسطة لاقرار التعادل بين عناصر الديموقراطية الفرنسية وسبيلاً للتنسيق بين نزعات الأفراد وما يتطلبه مجموع الأمة

الفداء

قصة ملخصة للروائي الفرنسي

جاك دى لاكرتيل

« جاك دى لاكرتيل عضو الأكاديمية الفرنسية من أشهر أدباء الجيل المعاصر في فرنسا ، وهو روائي مشهور بأسلوبه اللامع ، وتعمقه في التحليل النفسي والوصف الشعري وقصة الفداء التي نقدمها للقراء نشرت في الأصل تحت اسم (ماولا) وهي من كتب النقاد الفرنسيين وترجمت الى عدة لغات أجنبية وفازت بجائزة مالية في مباراة كانت قد نظمتها احدى الصحف الكبرى »

نشأت (ماولا) في ضاحية من ضواحي مدينة تدعى (بورتنو) . وكانت فتاة هادئة النفس صافية القلب مطمئنة الروح . توفى أبواها وهي في الخامسة من عمرها فكفلتها عمة لها وسهرت على تربيتها وأحبتها حبا صادقا عميقا وكانت لها بمثابة أم رؤوم

ولم تكن ماولا من أولئك الفتيات اللواتي يعرفن شيئا في العلم عن الحياة الزوجية وملاذها. كانت تعيش منطوية على نفسها تفكر في وحدتها الهنيئة وفي فروضها الدينية المقدسة وفي راحة عمتها وروحها وفي الطبيعة الجميلة التي وهبت ضاحية بورتنو وخلعت عليها أنقى المناظر وأبدع الألوان

كانت تخرج بعد الظهيرة متقدة العاطفة ملتهبة الاحساس فتجلس الى شجرة باسقة بالقرب من ينبوع ماء ثم ترفع رأسها وتتطلع الى السماء الصافية ثم تهبط ببصرها الى الشجرة فتحدق الى الأطيار وتتابعها وتستمع لموسيقاها مغتبطة بخرير المياه الناعمة الساحر

وكانت هذه هي كل سعادتها . لاتطلب من الحياة شيئا ولا ترغب في شيء ولا تتطلع الى شيء

لم تفكر في الزواج ، ولم تلحظ الشبان يرمقونها بعيون نهمة ويحومون حولها ويجتهد البعض أن يفوز منها بنظرة . كانت تحب عزلة عن هذا العالم ، وكان العالم يتمثل أمامها في الينابيع الهادرة، والشجيرات الضاحكة ، والأطيار الصادحة ، والسهول الشاسعة والفضاء الواسع البعيد

ولفرط ما ألفت حياة العزلة والتأمل ، تجردت بعض الشيء من أنوثتها وشاع في أخلاقها ضرب من الخشونة وأصبحت في نظر الناس كالحيوان البري النفور

ولكن هذا الاستكبار أغرى الشبان بها وزادهم حبا لها وأضرم في نفوسهم كبرياء الشباب وغريزة حب الاستطلاع فأسرفوا في الاحتفاء بها والتودد اليها كما أسرفوا في تعقبها ، فضاق صدرها ذرعا بهم وتبرمت كل التبرم بعاطفتهم وآثرت آخر الأمر الانزواء في بيتها مودعة أحلامها الجميلة في رواق الطبيعة معشوقتها الأبدية الخالدة

ووجدت في نفسها وقاحة الشبان نوعا من الحنق المكبوت ، فما كانت ترى واحداً منهم

حتى تفر إلى غرفتها مستنكرة، ولا تلبث أن تسمع في الخارج أصواتهم حتى تغلق النوافذ وترخي الأستار وتلوذ بصلاة طويلة خاشعة

ولاحظت عمتها انطواءها هذا فأشفقت عليها وخشيت أن تتطور أخلاقها تطورا يعود بالضرر على حياتها ومستقبلها، فأخذت عليها تجنب مخاوفها، وتحاول [illegible] عنها وتهدئها، وتجتهد في تحرير عقلها من ذلك النفور الوحشي للشخص وطبيعة المرأة ووظيفة الأنثى. غير أن «جولا» أعرضت وتمنعت وجاهرت عمتها [illegible] الرجل ورغبتها في السكينة والراحة في ظل البيت وفي ظلمات غرفتها

وكانت العمة العجوز قد أشرفت على الثمانين وكان زوجها الهرم يشكو مرضا عضالا يخشى منه على حياته بين لحظة وأخرى. فرأت العمة من واجبها أن تزوج الفتاة وتطمئن عليها قبل أن تفارق هي وزوجها هذه الحياة الفانية

صارحت «باولا» برغبتها فأصرت الفتاة على عزمها وأمعنت في عزلتها وتشددت في كراهية الشبان، فتفهموا لها واتخذت نظرتهم إليها من عطف وشفقة إلى استخفاف واحتقار

ومضت الأيام تتبعها الأيام وانفرجت آفاق الحياة في وجه «باولا»، فعادت إلى حياتها الأولى ناعمة الثغر متهللة الجبهة مشرقة المحيا تمرح في الطبيعة الرائعة أهنأ ما تكون بوحدتها وبانصراف جميع شبان الضاحية عنها

في تلك الفترة أحست الفتاة على الرغم منها أن شيئا هاما ينقصها. أحست كأن فراغا عجيبا يحفر في قلبها. أحست أنها في حاجة إلى قوة تملأ هذا الفراغ، قوة لم تفكر فيها من قبل ولم تخطر على بالها لحظة واحدة أنها يمكن أن تطغى عليها وتحتل حسها وتسيطر على مشاعرها وتقصيها بسلطانها على هذه الصورة الفجائية غير المنتظرة

وأدركت الفتاة بسليقتها أن نفسها تهفو إلى العاطفة وأن فؤادها يتوق إلى الحب وأن جسمها الصحيح السليم يتطلع إلى الأمومة

ارتعدت فرائصها واستعرضت ما كرثها [illegible] الظواهر الخلقية التي كانت قد لاحظتها عند الرجال والشبان، فازداد نفورها وتضاعفت وحشيتها ومضت تقاوم فكرة الزواج وتقاوم طبيعتها وتبذل قصاراها في العمل اليومي كي تهدأ وتطمئن وتنسى

وحدث ما كان في الحسبان

توفي زوج عمتها ذات مساء، فحزنت عليه امرأته أشد الحزن ولم تلبث أن لحقت به عصر يوم كانت فيه «باولا» خارج المنزل تتعهد الماشية وتجمع من الكرم عناقيد العنب

ودخلت البيت وإذا بها تبصر عمتها العجوز مسجاة على فراشها [illegible] الوجه صفراء اللون هامدة وحولها رهط من القرويات يتمتمن ويرسلن صرخات طويلة [illegible]

بهتت الفتاة وتملكها الرعب وشعرت أن القدر قد انتزع منها واسطة حياتها وانها أصبحت حقًا وحيدة لا حول لها ولا طول

فخلع قلبها وهوت على الجثة تبكي بكاء الأطفال ، وعندئذ تقدم اليها شيخ الناحية ورفعها وعرض عليها مساعدته ومؤازرتها ودمع الشفقة والحنان يجول في عينيه اذ عرف انه أوصت لها بمجموع ثروتها

* * *

استفاض النبأ في أنحاء الناحية وعلم الشبان أن « طولا » اصبحت غنية فبكروا راجعين اليها ، وتباروا في التلطف معها وفي التقرب منها وفي الظهور بمظهر المحبين لها . وكانت تدرك حق الادراك الا أحد منهم يحب ولا أحد منهم يقدرها ولا أحد منهم يستحق الحب أو يساوي مجرد الاهتمام ، فأغلظت لهم القول وباعدت بينهم وبينها وبعث أمامهم في مظهر مترفع سرعان ما استثار كرههم لها وحنقهم عليها

غير أن الفراغ النفسي كان يتسع في صدرها شيئاً فشيئاً وكان يقلقها ويتعبها ويعكر عليها صفو وحدتها فأحست بعد طول الصبر والاجتهاد أن لا قبل لها بمقاومة نفسها وأن من الحكمة أن تتزوج على شرط أن تعرف كيف تختار

وكان أن لفت نظرها من شبان الناحية فتى حديثاً مجهول القادمين عريض المنكبين مديد القامة أسمر الوجه تنم مظاهره القوية عن صحة فائقة وطيبة متأصلة

كانت تميل اليه وتخشاه في الوقت نفسه

كانت تلذ سماع حديثه وتضطرب كيانها كله إذ تراه

كانت تستأنس بقوته وترى في أمله كثيراً في مهب العاصفة

كانت قد احبته وهي لا تدري !

وأحس منها الشاب هذا العطف فأقبل عليها وانفق في اغوائها واصطنع مختلف ضروب الرقة ليطرد عنها وحشتها ، فأعجبت به وركنت اليه ورضيت أن تكون زوجته ولكن بعد تمنع طويل

وأقيم العرس في ليلة من ليالي الربيع الشائقة وخرجت طوائف القرويين تمرح وتغني ووردت جموع العذارى في حلل قشيبة رائعة وجعلن يرقصن وتهلل أنغام العريس والعروس

وخيل لـ«طولا» أن العالم قد انفتح لها عن دنيا جديدة وأن ماضيها كان على وشك أن يجرفها وأن حب الطبيعة وحب العزلة كانا حلماً خادعاً لا يمكن أن يقاس بجمال هذه الحقيقة الساحرة

ومع ذلك فقد كانت ما تزال قلقة ...

كانت ما تزال مضطربة غير مستقرة

كأنما قلب يحدثها بأن الحقيقة مهما بدت فاتنة فمن المحال أن تكون أصدق من الخيال روعة وفتنة !

وشاء القدر الغادر أن يتحقق ظنها وأن يقوض صرح حياتها في أقل من خمسة أعوام

كان زوجها يدعى (سيزار) وكان شابا وسيم الطلعة ساهد المقلة مشبوب الغرائز مولعا بالخمر والنساء ، يخفي تحت مظاهر الطيبة والرقة عقلا شريرا وقلبا قاسيا وعاطفة متحجرة وروحا أفسدها الطمع واللؤم والدهاء

كان يهزأ بامرأته ويسخر منها ويبذر نقودها ما استطاع لينفقها على عشيقاته ثم يرجع إليها منهوك القوى محطم الأعصاب وقد عبثت الخمر برأسه وطوحت بعقله وأطاحت بحواسه فاستحال إلى وحش مفترس فظيع يثير منظره الفزع ويبعث في النفس الكراهية والاشمئزاز

حاولت أن ترده إلى السبيل السوي وأن تمنحه أعذب عطف وودا نقيا وحبا ومحبة وإخلاص ، ولكنه كان يتهكم بها ويحتقرها ويحس قيد الزوجية ثقيلا عليه ويطمح إلى حرية تامة تشبع غرائزه وتمكنه من التمتع بكل محرم

وأدركت « باولا » على مر الزمن ألا فائدة ترجى من محاولة إصلاح زوجها ، فصبرت واحتملت ولم تفكر في سوء ، لم تفكر في أن تخدعه أو تسعى إلى رجل آخر . كانت بطبيعتها امرأة رقيقة العاطفة مستقيمة الإحساس شريفة الخلق والضمير عابدة تنطوي على حبها وتذود عن مرارتها وترجع إلى الله الذي ينبع كل حب ويبرئ من كل ألم

وخشيت أن يزداد عذابها وأن تمضي في وحدتها فتسحقها الآلام فتزل بها القدم على الرغم منها ، فابتهلت إلى السماء أن تمنحها طفلا تودعه صفوة آمالها وخلاصة حبها وجوهر ما في نفسها من رغبة حبيسة في التضحية وإنكار الذات . وكانت لا تنفك تصلي وتزور بيوت المرضى ومساكن الفقراء والمنكوبين وتحسن إليهم ، وملء صدرها اليقين بأن الله لا بد مستجيب دعاءها وأن الطفل الذي تنشده لا بد مقبل عليها يجدد حياتها وينقذها مما تعانيه

واتفق ذات يوم أن كانت في حفل تتنزه كعادتها وإذا بها تأخذها هزة وتحس في الصدر تشنجه وتشعر بشيء يتحرك في أحشائها . كادت تجن من الفرح وأسرعت إلى البيت فأغلقت أبوابه ثم دخلت مخدعها ثم جثت على الأرض وجعلت تصلي والدموع تترقرق من عينيها

وشرعت تعيش من أجل ابنها !

تناست وجود زوجها ، لم تعد تحفل به ، أغدقت عليه المال ليصرف عنها ، فهيأت له سبل الابتعاد عن المنزل ، تخلصت منه جهد طاقتها وأرخت جميع قواها في حضن هذا الأمل الساطع الجديد

وكان أن وضعت غلاما سمته (ساندرو) ووجدت غلاما نضر الوجه ملء الجسم جميل الطلعة يفيض حيوية وصحة وصفاء فركزت حياتها فيه وأعطته قلبها ، وأحست أنها أسعد امرأة وأنها لم تكن سعيدة حتى الآن وأنها مهيأة لاحتمال كل أنواع المكاره وشتى صنوف الآلام في سبيل ابتسامة واحدة يفتر عنها ثغر هذا الطفل ! . ولقد ذهب بها الفرح إلى حد أنها عجزت لفرطها

كل شيء ولم تنعم على هذا الزواج الذى اغرق فى الشقاء هذه الثمرة الحلوة المباركة

وكان سيزار فى غضون ذلك يمعن فى غيه سادراً فى عرض القرية يتصيد الفتن ، ويوقع بزوجاتهن ويرتكب الموبقات فى شبه جنون وهو لا يعى ، الى أن اوغر عليه صدور القرويين فأخذوا يترصدون به وينتظرون الفرص السانحة للقضاء عليه

وفى ليلة من ليالى الشتاء هاجت غيومها وتكاثف ظلامها وتساقطت أمطارها وانحدرت فى الليل ، سمعت باولا صيحة هائلة منبعثة من أقصى الحديقة فهبت من فراشها مذعورة ودثرت جسمها ثم خرجت الى الحديقة ، وهناك خلف أشجار السرو وعلى مقربة من البئر العميقة شاهدت زوجها منبطحاً على الأرض مطعوناً فى ظهره بسكين يرتجف ويبكى وقد تدفق منه الدم

ولما دنت منه وحاولت انهاضه تعلق بها واستند الى الأرض وجهد ليتحرك ولكن الألم غالبه فجحظت عيناه ثم تمايل وهوى وأسلم الروح !

• • •

وانحصرت حياة باولا فى ولدها ساندرو . لم تفكر فى المضى . لم تسخط عما وقع لها . لم تحن فى صدرها لنداء العاطفة ولم تستمع لصوت القلب . أجل لم تدرك أن من واجبها العمل بجهد الطاقة على تربية ابنها وعزل الغريزة فى نفسه واستئصال جرثومة الشر التى أودعها فيه والده

لم تهتم بكل هذا . بل طغت عليها عاطفة الأمومة وزاد فى اضطرام هذه العاطفة أن باولا المنكوبة الحظ كانت فى أشد الحاجة الى الحدب على مخلوق ما والعطف عليه واشباعه بكل ما وسعته نفسها من اخلاص وحب . وهكذا أسرفت فى تدليل ولدها ، وأسرفت فى التجاوز عن هفواته واخطائه ، وأفرطت فى تملق رغباته ونزواته ، واعتقدت أن هذا هو الحب وهذا هو الدليل القاطع على تعلق الأمهات الصالحات بأفلاذ أكبادهن

كانت ترى ساندرو يشب ويمرح ويطلق لفطرته العنان فتبتسم ولا تكلف نفسها عناء رده الى محجة الهدى وسبيل الخير والصواب . كانت تراه يتلف أعشاش العصافير ويضرب صبيان القرية ويسرق مختلف أصناف الحلوى ويصر على التمتع بكل ما يريد والحصول على كل ما يشتهى ، فلا تحاول زجره ولا تجتهد فى ردعه ولا تعير أية أهمية على هذه الظواهر التى كانت تعتبرها نزوات طفولة بريئة لا يمكن أن تدوم ولا بد أن تزول وتتلاشى بفعل الزمن

وشب ساندرو وترعرع أرعن ما يكون عربدة ، مسلما نفسه الى أوسع غرائزه ، تاركا عواطفه ونزواته تمرح على سجيتها ، غير عابئ بوالدته ولا بالناس

وكان شرهاً فى مأكله ، خشناً فى حديثه ، فظاً فى طباعه ، لا يحتمل المعارضة ولا يطيق المراجعة ولا يصبر على كلمة نابية توجه اليه من أمه أو من غريب . وكان يعلم حق العلم أن والدته تحبه الى حد العبادة ، فكان يستغل هذا الحب ويسترسل فى عدوانه ما وارعاً من خلق أو من ضمير

وتطورت شخصيته شيئاً فشيئاً وعلت قامته واشتد ساعده وبدا لأمه في يوم من الأيام رجلاً كاملاً فبهتت ثم تطلعت اليه ثم أطالت التحديق الى ملامح وجهه وتقاطيعه فتقشعر بدنها وارتعدت وعندها هذا الانقلاب الفجائي الغريب

شعرت الأم والرعب يملأ فؤادها والحسرة تمزقه أن هذا الابن الموعود، هذا الشخص القوي، هذا الرجل المغرور بقواه للعمر صلابة عضلاته، لا يشبه ابنها ساندرو في شيء .

أحست أنه تبدل تبدلاً تاماً وأنه ينفصل عنها ويتعالى عليها ويرمقها بنظرات مفعمة شرراً، أدركت أنه لم يعد ابنها المحبوب وأنه أصبح على مر الأيام (سيزار) جبار الصميم . شاهدت في ابنها شخص زوجها وقد خرج من قبره حياً وتمثل أمامها بكل ما في نفسه من صلف وعجب وغرور !

ويئست ان لا قدرة لها على صلاح شاب أحبته وأصبح رجلاً ، فعمدت الى عواطفها تحاول بها تهذيب احساسه وكسر شرة ميوله وهدايته الى الحق والخير ، ولكن ساندرو تبرم بها وانتهرها وازدراها محتقراً وجاهر في صراحة منكرة بأنها لم تعد شيئاً يذكر وأنه أصبح السيد المطلق في البيت

وبدأ يستبد بها ويضطهدها ويذلها ويجردها من المال وينفقه على الفتيات متيقناً كما كان يفعل والده ، ثم طفق يشرب الخمر ويمضي لياليه في الخارج ويعود اليها مترنحاً هاذياً ، فلا تستطيع الا أن تنظر اليه ملتاعة وتفر الى مخدعها ثم تستغرق في البكاء

وكانت دورلا قد جاءت في البيت بخادم صبية عليها مسحة من جمال فأولع بها ساندرو لخفة روحها وظرف حديثها ولطف عشرتها ، أولع بها وشرع يتودد اليها ويتقرب منها ويحبوها بشتى الهدايا ويطارحها الهوى . وأدركت الخادم أن في رواجها بسيدها أكبر مصلحة لها فتمنعت منه أول الأمر ثم أذعنت . ثم تمادت في البهجة حتى جن الشاب حبا وصارح أمه ذات مساء أنه قد اعتزم الاقتران بخادمة البيت

دهشت دورلا وانتابها شبه خبال وحاولت لتثني ابنها عن عزمه ولكنه أصر على الزواج ، فأذعنت على مضض وملء نفسها البغضاء لتلك المرأة الصبية التي خاتلت واستلبت منها ابنها

وعقد الزواج ودخلت الخادم البيت دخول الصاحب المتصرف وما إن استمر بهما المقام بضعة أسابيع حتى استطاعت اخضاع ساندرو لسلطانها حتى كشرت عن أنيابها وعمدت في مهجرها الخبيث الى استبعاد الأم من الاخرى ، فعاملتها أسوأ معاملة ، وحاولت تجريدها من كل شيء ، أشرفت على البيت بمفردها ووضعت يدها على كل ما فيه

وأصبحت دورلا ذليلة مهينة تعيش في عقر دارها لا رأي لها في شيء ولا قدرة لها على شيء .

وأوغرت الزوجة صدر زوجها حنقاً على والدته ، وصبت عليها صنوف التهم ، ونسبت اليها أقوالاً وأعمالاً لا يمكن أن تصدر عنها ، فثار سخط الزوج عليها وأمعن في اضطهادها وانقاد لامرأته بجميع احساسه وعواطفه وأصبح هو والمرأة الصبية حرباً عواناً على والدته !

ولم تطق باولا احتمال الحياة في البيت . اسودت الدنيا في عينيها وعضها القلق بنابه وشردها في القرية كالروح اللطيف الحائر

وحدث أن الزوج أمعن في ايذائها كرها للخصومة وزاد احساسه بالخلاء والمرارة بشعوره الباطني بأنه قد اقترن بامرأة دونه مكانة وقدراً . فكان من الاثر أن أفرط في الزراية بالقرويين وامتهانهم وتحقيرهم وفرض سيطرته عليهم حتى تجهموا له وأرادوا الفتك به كما تمسكوا بالطاعة والعهد

وأدرك سامدرو ما بيت القرويون له فأسرع يتقيهم بأن جلب عصابة من المجرمين عاثت في القرية فسادا ونشرت الرعب في أنحائها وفرضت عليها شبه نطاق من الجبروت والظلم

واتفق ذات مساء أن اصطدم سامدرو بشيخ قروي عجوز على مسلك أشد تعسف وأراد تأديبه بالحسنى فتطاول عليه الشاب وسبه ثم لطمه في صدره فسقط الشيخ على حجر وشج رأسه . ولما دخل سامدرو البيت كانت باولا قد علمت بالنبأ فهرعت اليه تقبل يديه وتلثم موطئ قدميه وتلتمس اليه أن يرحم أهل القرية ويرحمها . ولكنه زجرها في عنف لم تحتمل وأعادت الكرة فما كان منه الا أن انقض عليها وأوسعها لكما وضربا

وفي تلك اللحظة سمعت في الخارج صرخات متقطعة وأسرعت باولا الى النافذة وهي تبكي وتئن من فرط الألم فشاهدت جموع القرويين تصيح وتصخب بها وتعصف الرياح الباردة بأسمال الفلاحين الأبرياء الساكنين . وكانت الظلمة وروح سامدرو تنظر الى باولا والى القرويين وهي تضحك فأحست الأم كأن يداً غليظة تقبض على قلبها وتنزعه من صدرها الدامي ولكنها هدأت وكظمت غيظها ورمقت الفلاحين حيرى

وفي مساء ذلك المساء دخلت باولا مخدعها وأوصدت بابه عليها وركعت تصلي . وبعد لحظات صمت طويلة فتحت نافذة المخدع وأطلت منها فأبصرت أباها خارجا الى الحديقة فاستدارت والتقطت شيئا وقع منها . ثم انسلت . ثم فتحت الباب في رفق ولما سمعت غطيط الزوج العميق اطمأنت وتبعت أباها الى الحديقة

ومشت بخطى وئيدة وجعلت تتحامى الاشجار من طريقها حتى وقع نظرها على أبيها فاقتربت منه دون أن يشعر فأبصرته ينحني على النار يشعلها فأمهلته حتى انتهى ثم كشفت عن صدرها واستلت السكين واستجمعت قواها وهوت بها على ظهره فاستقام واستوى ثم تمايل ثم سقط مضرجا بدمه تحت أشجار السرو وعلى مقربة من النار المتقدة وفي نفس المكان الذي قتل فيه والده !

• • •

وتنفست القرية الصعداء وفرت الزوجة المسكينة من المنزل ولم يعلم القرويون أن باولا التاعسة المنكودة هي التي أنقذتهم وهي التي افتدت سعادتهم بحياة أبيها !

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

موسولينى وهتلر

يقارن بينهما الكاتب الجرمانى اميل لودفيج

أمضى هتلر سنى نشأته وشبابه عاطلا ، لا يجد فى نفسه رغبة تدفعه الى العمل والدرس ، وتعوزه عناصر الكفاءة والنشاط والتفكير ، ورضى أحيانا أن يكسب قوته الزهيد من أعمال تافهة كبيع بطاقات الصور فى الطرقات . وكان موسولينى فى سنيه الأولى «صبياً» فى دكان أبيه الحداد . وبدأ يستقل بنفسه ويعول نفسه وكان فى الثامنة عشرة ، وراح بعد ذلك يدرس ويفكر جاداً دائباً ، ولقد امتازت فترة شبابه كلها بنشاط دافق وتطلع دائم الى مرتبة أعلى . وقد سجن قبل أن يبلغ السادسة والعشرين تسع مرات لأنه أثار شغباً سياسياً . ثم لم يلبث أن تولى تحرير أكبر جريدة اشتراكية فى إيطاليا حينذاك

وقد كان موسولينى مشهوراً فى ساحة الكفاح والنضال . أما هتلر فلم يترك فى أثناء شبابه أى أثر ظاهر فى هذا السبيل ، وفى الحركة التى قامت فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ انسحب هتلر من المعركة تاركا وراءه كثيراً من زملائه يقتلون بالرصاص فى الشوارع . وهو لا يظهر الآن فى المحافل العامة إلا حين تكون الطريق محروسة بثلاثة صفوف من كتائب الجند المدججين

ولم يوفق هتلر الى زعامة الشعب الألمانى إلا بفضل موهبة واحدة ــ هى موهبة الخطابة . ذلك أن ألمانيا لم تنجب من قبل خطيباً شعبياً عظيماً ، ولهذا استطاع هتلر أن يأسر أسماعها بخطبه التى تشبه الى حد ما موسيقى «فاجنر» الصاخبة العاتية . فهى تتألف من كلمات وجيزة وجمل متقطعة يلقيها وهو يتنهد ويتأوه تارة ، ويصيح ويصخب تارة أخرى . وتجده يصر فى خطبه صراخا كئيبا تمتزج فيه كلمات الهم والحسرة بأسماء الآلهة والأبطال . وحين يخطب هتلر يضع أمامه جهاز كهربائى يضغط أزراره من آن لآخر ، فتنبثق منه أضواء تنعكس على جوانب وجهه ، فتضفى سحنته القاتمة واضحة مؤثرة . وهو هنا يتعمد أن يهيج ، ويتعمد أن يؤثر فى الشعب بهياجه

أما موسولينى فله حنجرة ــ التى ترن رنين المعدن ــ تنطق بالجمل البسيطة قوية مدوية

وفرق آخر بينهما في أسلوب الخطابة : ففي خطبة النصر التي ألقاها موسوليني عقب أن افتتحت جيوشه الحبشة ، لم يذكر كلمة « أنا » سوى مرتين . أما هتلر فيكرر هذه اللفظة في كل خطبة مائة مرة . وعندما يكون موسوليني واثقاً من نفسه لا يتحدث عنها إلا نادراً ، وهتلر على نقيض هذا ، حينما تترعرع ثقته بنفسه يحب دائماً الحديث عنها .

وموسوليني ـ الى هذا ـ مكتمل « الرجولة » من ناحية الجسم والمظهر . فهو لا يأنف أن يحمل فأساً ويفلح بها الأرض . وعندما بلغ سن الثالثة والخمسين أدى امتحاناً في فن الطيران . أما هتلر فلا يلقي بنفسه حتى في أية رياضة بدنية ، ولا يعرف كيف يقود سيارة ، ولم ير أحداً يؤدي عملاً يدوياً . وكل ما فيه رغبة كرغبة الممثل في أن يؤدي دور ملك من ملوك العصور الوسطى .

وقد نمت ثقافة موسوليني وتشعبت يوماً بعد يوم في أثناء ولايته الحكم . وهو يطلق في حديث بالألمانية والفرنسية والانجليزية ، ولا يخرج من عنده زائر الا بعد أن يضيف موسوليني الى ثقافته شيئاً مما يأتي به زائره . أما هتلر فيأبى الا أن ينفرد بالكلام طول وقت الزيارة ، وبعد أن يقذف في سمع زائره بكلماته المدوية ، ينصرف الزائر شبه مطرود .

وموسوليني أعظم كفاءة من أي عون من أعوانه ، وكل منهم في الواقع « سكرتيره » فحسب . أما هتلر فيحيط نفسه بظلال بعض أعوانه البارزين . وهو لا يفوق أحداً منهم الا في ناحية الدعاية .

ولا يطيق موسوليني الصخب الا قليلاً ، ولا يرتاد الحفلات والولائم ، ولا يستقبل في بيته ضيوفاً ، لأنه يحب راحته أبداً . أما هتلر فيخشى أن ينفرد بنفسه ، ويخشى أن يقضي ليلة صامتاً ، بل هو يخشى أن يجلس الى كتاب يطالعه في هدوء . وهو يقضي أكثر السنة بعيداً عن برلين في بيته الريفي ، وهنالك يظل وسط جمع من أصحابه وسماره الساعات المتواصلة يتكلم وحده . وهذا يظهر روح « الممثل » المتأصل في قرارته ، والذي يدفعه دائماً الى إيجاد جمع يسمع ما يقول . وهذا يفسر لنا كذلك لماذا كانت آراؤه وأعماله تنحو النحو المسرحي من حيث الغرابة والمفاجأة ، فلا يعرف أحد متى يضرب ولا أين تهوي ضرباته .

وموسوليني نموذج السياسي الايطالي ، رجل مفكر ومقدر ومدبر . فهو لا يغامر في أن يقيم حرباً في أوربا ، ولكنه يرقب عصراً مناسباً ، حتى يلمح في الكفتين ترجيحاً فينضم الى أصحابها . وهذه الخطة تناقض خطة هتلر الذي يغامر بكل شيء ليرضي رغبة ألمانيا الطامعة . وهو يعلم أن ألمانيا لا تريد مستعمرات ، ولا تتطلع الى أوكرانيا ، ولكنها تريد أن تنتصر انتصاراً مؤزراً لتقف في فرساي شامخة متكبرة كما وقفت سنة ١٨٧١ والى هذه الحرب يقودها « الممثل الصوفي » هتلر .

فموسوليني لا يسبح في عالم الحلم والخيال ، بل هو سياسي عملي مفكر . وسيجني ربحه من الحرب التي قد يثيرها هتلر . . الذي سيدفع من ثيابه كل ما يأخذه موسوليني لايطاليا

[خلاصة مقالة في مجلة « لوروم »]

عامل فرنسي مثقف

يصف حقيقة الحال في بلاد السوفييت

تضاربت الآراء في حقيقة الحال في بلاد السوفييت . وقد سافر الى هناك عدد وافر من كبار المفكرين والأدباء وحاولوا دراسة الحياة الاجتماعية في الروسيا الحديثة . ولكنهم عادوا بأفكار ونظريات يغلب عليها الطابع الحزبي ، فبعضها يؤيد أنظمة الحكومة الروسية على طول الخط والبعض الآخر يحمل عليها حملات شعواء ويجردها من كل قيمة لمنفعة

ولم يحدث أن عاملا مثقفا سافر الى تلك البلاد ودرس حياة اخوانه العمال الروسيين عن كثب واستطاع أن يبسط الكلام عن حقيقة النظام الذي يعيشون بموجبه ، مثل العامل الفرنسي كلير ليجاي

والمسيو ليجاي هذا عامل مثقف واسع الاطلاع عرف لمشاركته الكبيرة في فرنسا من زعماء النقابيين الواقعيين بالافكار الاشتراكية

على أن اشتراكية المسيو ليجاي تمقت الديكتاتورية وتهوى الحرية وتحاول التوفيق بين تعاليم المذهب الاشتراكي وبين ما يجب أن يتمتع به الفرد من حرية مطلقة في آرائه الخاصة وأسلوبه المستقل في الحياة . وقد عاد المسيو ليجاي من روسيا بعد أن قضى فيها ردحا طويلا باحثا ملاحظا مشتغلا في صفوف عمال المناجم الروسيين . واليك صورة للملاحظات التي دونها عن رحلته في كتاب أخرجه حديثا وأطلق عليه اسم « عامل مثقف في بلاد السوفييت »

يقول كلير ليجاي ان معظم الروس لا يجهلون امكان تحقيق المبادىء الاشتراكية مقترنة بحرية الفرد وباحترام فلسفة هذه الحرية

وهو يلفت أنظار الأوربيين الى أن روسيا كانت حتى مطلع القرن الخامس عشر بلاداً همجية . وان النظام الاقطاعي كان سائداً فيها حتى منتصف القرن التاسع عشر . وان الفلاحين الروس كانوا يرزحون تحت وطأة هذا النظام ويسخرون لسادتهم الأشراف وان البلاد الروسية بأسرها كانت خاضعة لارهاب البوليس القيصري

ويقول المسيو ليجاي ان ارهاب البوليس في عهد القيصر استعيض عنه بعد الثورة بارهاب بوليس سوفييتي لا يقل عن الأول فظاعة وقسوة

هذا فيما يتعلق بالنظام العام من ناحية الحرية والارهاب السياسي . وأما فيما يتعلق بحياة العمال الروس الذين قامت الثورة لاسعادهم والاعتراف بحقوقهم وتحسين أحوالهم ، فيؤكد المسيو ليجاي أن أولئك العمال ولا سيما عمال المناجم يعيشون في بؤس تام وشقاء مستحكم ، وأن الحكومة تمعن في استغلالهم ولا تهتم بدرء أخطار الحياة في المناجم عنهم ، وأن العمل المفروض عليهم شاق وثقيل ،

وأن الحكومة تجبر النساء العاملات على الهبوط الى أعماق المناجم وهو أمر لا تسمح به الحكومة الفرنسية وقد حرمته اطلاقاً

ويقول المسيو ليجاى إن العامل الروسى لا يتقاضى الأجر المناسب لعمله وأنه يعيش فى مسكن غير صحى ويتناول طعاما لا يكاد يقوم بأوده وأن معاملة العمال فى الروسيا لا تشف عن الرحمة واللين بل عن الشدة والقسوة . وقد شاهد هذا العامل الفرنسى بعض زملائه الروس يأكلون الخبز الاسود بلا ادام وبعضا آخر يأكل الخبز مع شىء من شحم الخنزير

والمهم فى مختلف الملاحظات التى أبداها المسيو ليجاى أنه بينما يرى الانسان طبقات العمال بائسة يرى حولها طبقات موظفى الحكومة ورجال الجيش والبوليس ينعمون بحياة رخية ناعمة ويأكلون ما لذ وطاب ويقضون لياليهم فى الحفلات والمراقص

وبالاجمال فالمسيو ليجاى يرى أن حياة العمال فى فرنسا أسعد منها بكثير فى الروسيا وأرفع مستوى وأكثر انسانية . وملاحظ أن كل ما قاله ذلك العامل الفرنسى المثقف يتفق تمام الاتفاق مع مجموع الملاحظات التى عاد بها من روسيا السير ولتر ستربن زعيم الحركة النقابية فى انجلترا

فهذه هى حقيقة الحال فى بلاد السوفيت كما عبر عنها عامل أوربى اشتراكى النزعة يستطيع أن يقدر ويفهم حياة العمال الروسيين وزملائه أكثر من سواه

[من مقال بيير دومينك ، نشر فى صحيفة « نوفيل ليترير »]

هل أوعز دانونزيو

بسرقة صورة الجيوكوندة من متحف اللوفر؟

كانت صورة الجيوكوندة للرسام الايطالى الأشهر ليوناردو دافنشى قد سرقت من متحف اللوفر بباريس فى ٢٢ أغسطس عام ١٩١١ ثم ردها سارقها الى المتحف بعد انقضاء عامين من ذلك التاريخ

والغريب فى الأمر أن المسيو شارل شاسيه وهو من كبار علماء العاديات والآثار الفنية يؤكد أن الشاعر الايطالى جبرييل دانونزيو هو الذى أوعز بسرقة الصورة وهو الذى أشار بردها الى المتحف بعد ان قضى لبانته الفنية منها

ويقول المسيو شاسيه ان دانونزيو أحب الجيوكوندة فى ظرف معين من ظروف حياته حبا خياليا شعريا عجيبا ، أحب طيف امرأة كانت موطن إلهام فنان عظيم فأراد أن يحظى بصورتها

ولن يحيا مع تلك الصورة ولن يسحق عواطفه ابتسامة الجيوكوندة الخالدة ، لذا كان منه إلا أن أوعز بسرقة صورتها وأخفاها في داره بضع سنوات بعد أن عنى بها عاشقها منه فأشار بردها الى المتحف الذى سرقت منه

وهذا لا يستغرب من رجل كدانونزيو عرف بنزواته الغريبة الطارئة وميوله العاطفية السريعة التحول والانقلاب وعبادته لمختلف الآثار الفنية ولا سيما آثار مصوري عصر النهضة في ايطاليا وآثار ليوناردو دافنشي على وجه خاص

ولكن كيف استطاع المسيو شانيه أن يثبت تهمة الإيعاز بالسرقة على الشاعر دانونزيو ؟

الواقع ان هذا العالم المنقب عثر في كتاب لدانونزيو طبع في ميلانو عام ١٩٢٣ على هذه العبارات

« لا يمكن لأى فرنسى ان يفهم ابتسامة الجيوكوندة ، وليس للفرنسيين أن يفخروا بأنهم احتجزوا صورتها في متحفهم إذ الحقيقة التي يعرفها الكثيرون ويخشى البعض الجهر بها ان أنا الذى أشرت برد الصورة الى المتحف بعد ان شبعت منها وانتابنى الضجر من طول التطلع اليها »

ولم يكتف المسيو شانيه بهذه العبارات يبرهن بها على صحة زعمه بل بحث ونقب أيضا حتى اهتدى الى حديث كان جبرييل دانونزيو قد أفضى به الى صحفي يدعى جان جبرييل نيجوان ونشره هذا الأخير في جريدة الإيكو دي باري في شهر يونيه من عام ١٩١٤ بعد ان كانت صورة الجيوكوندة ردت الى متحف اللوفر

وفي هذا الحديث يقول دانونزيو :

« ماذا لا تسلم بأنه من الممكن أن يحب الرجل أو الشاعر أو الفنان امرأة ماتت وطواها الزمن ؟

« الواقع أن هذا الحب لا يمت الى الخيال الروائي بصلة كما يعتقد الكثيرون بل هو حب صحيح حى نابع من الحياة التي تجود بكل شيء وتقبل كل شيء

« وأنا أعرف معرفة صحيحة « رجلا » هام حباً بالجيوكوندة وابتسامتها الخالدة . أجل . لم يعشق الرجل الصورة التي خلفت لنا والتي فقدت مع الأيام روعة ألوانها بل عشق في الصورة شخص صاحبتها أي المرأة الفاتنة التي كانت تدعى في حياتها مونا ليزا

« وهذا الرجل العاشق المفتون هو الذى أوعز بسرقة صورتها »

وأمام هذه الاعترافات التي اهتدى اليها المسيو شانيه بعد عناء وجهد ، لا يسعنا إلا التسليم بقوة الشبهة الحائمة حول دانونزيو . فاذا كان الشاعر الايطالي هو الذى أوعز حقا بسرقة الصورة ثم أخفاها في داره عامين ثم ضجر منها فأشار بردها ، فمن لا يخالجه الشك ان حبه هذا لم يكن حبا حقيقيا صريحا . ولكن حب الأموات كحب الأحياء مصيره أبدا الى الزوال ولو كان الباعث عليه ليوناردو دافنشي نفسه !

[عن مجلة [illegible]]

اذا أردت أن تجاوز سن المائة

فأقلل من أكل اللحم وابتعد عن صخب المدن

قلما نقرأ في صحيفة ما اسم معمر بلغ المائة أو جاوزها، إلا وجدته من أبناء شبه جزيرة البلقان التي يعيش فيها اليوم وحده أربعة آلاف نسمة جاوزوا سن المائة. وفي يوجوسلافيا وحدها وفق الاحصاءات الدقيقة، أكثر من ألف رجل وامرأة بلغوا الآن أكثر من مائة عام

ويكاد يكون جميع هؤلاء المعمرين أصحاء البدن، وافري النشاط، متمتعين بقواهم العصبية وحواسهم كلها. وأكثرهم ما زال يزاول عمله كما كان يزاوله منذ خمسين أو ستين سنة مضت

وقد حار العلماء كثيراً في تعليل تعمير أهل البلقان دون سواهم من أهل الأقاليم الأخرى. خطر لأحدهم أخيراً أن يفحص مائة معمر بلغ سن المائة أو تعداها، ولكنه لم ينته من عمله هذا الى رأي حاسم دقيق، وأعلن أنه لم يوفق الى كشف السر في طول العمر أو قصره

فقد وجد أن هؤلاء المعمرين يختلف بعضهم عن بعض في المأكل والمشرب ولكنهم يتفقون غالبا في الإقلال من تناول اللحوم، بل إن بعضهم لم يذق اللحم طول حياته، ولم يجد من بينهم أحداً يسرف في أكل اللحم. وبعض هؤلاء المعمرين يسرف في «التدخين»، وبعضهم لم يعرف «الدخان» بتاتا. ولكن أكثر أهل البلقان «يدخنون» لأنهم يزرعون الطباق في حقولهم، فيستهلكون كل ما لا يستطيعون بيعه. وهم يبدأون في شرب «الدخان» منذ سن الطفولة المبكرة

أما عن الخمر، فمنهم من يشربها ومنهم من يعافها وقليل منهم من أمضى حياته وربما طاهراً

على أنهم جميعا اتفقوا على ما ينقص أكثرنا، وهو الحياة الريفية الهادئة، التي لا تقلق فكراً، ولا ترهق أعصابا. وكثير من هؤلاء المعمرين لم يغادر قريته الى المدينة أبداً

وجميع هؤلاء المعمرين متزوجون، ولهم أسرات كبيرة يعنون ويعتزون بها

وأكبر هؤلاء المعمرين يدعى بختيال كوزاك، وهو يبلغ الآن ١٣٠ عاما، ومع هذا ما زال يعمل في حقله، وما زال يسير على رجليه ثلاث ساعات أو أربع ساعات كل يوم. وحاسة بصره قوية، ويرى جيداً دون حاجة الى نظارة، ولم يصب حتى اليوم بألم في أسنانه، ولم يمرض طول حياته. وقد تزوج مرتين، وماتت امرأته الأكبر بعد أن بلغت ١٠٥ سنة، وأصغر أبنائه في سن السابعة والثمانين. ويبلغ عدد ذريته ٢١٢ نسمة. وجميع أفراد عائلته يسرفون في احتساء الخمر، ولكن لم يغادر أحد منهم قريته الهادئة الى مدينة صاخبة

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة « بيبر لوبيد » بيوغسلافيا]

سياسة اتلاف البن

في بلاد البرازيل

ليس شك في أن ميزان الحضارة الحديثة أصابه الخلل . فالانتاج في بعض البلاد قد أربى على الاستهلاك حيث أصبح عدد من الحكومات لا يرى طريقة لاجراء التعادل بين الانتاج والاستهلاك إلا باتلاف جزء كبير من الانتاج نفسه

وهكذا نرى العالم في بعض مناطق يشكو المجاعة والبؤس والعطل ، ونراه في مناطق أخرى يشكو التخمة ويبحث ما استطاع لا لزيادة الانتاج بل لاتلافه

ومن ذلك ما يقع الآن في بلاد البرازيل

فقد دلت الاحصاءات الرسمية على أن حكومة البرازيل اتلفت منذ عام ١٩٣١ نزولا على أحكام سياستها الاقتصادية الراهنة ٤٨ مليون كيس من البن أي محصول عامين كاملين من هذه الزراعة .

ومع ذلك فربات البيوت ما زلن أجمعين يرفعن الشكوى من ان أسعار البن قد ارتفعت الآن بنسبة ٣٠ في المائة

على أن الحكومة ما زالت ماضية في سياسة الاتلاف معتقدة انها خير وسيلة لعلاج هذه الحال وقد قررت فيما يتعلق بموسم عام ١٩٣٧ – ١٩٣٨ أن تشترى من المزارعين ٧٠ ٪ من محصول البن أي ما يقرب من عشرين مليون كيس وأن تضيف اليها كل الفائض الباقي من محصول عام ١٩٣٦ – ١٩٣٧

وأن تلقى بها كلها في البحر ..

ويلاحظ أن البرازيل وحدها تنهج هذا النهج وتتبع هذه السياسة ، أما البلاد الاخرى فلا تشكو من أي فائض من محصول البن

وقد ترتب على ما تقدم ان أصبح المزارع البرازيلي لا يجنى البن إلا لتتلفه الحكومة بعد جنيه . وهذه الظاهرة الخطيرة في حياة البرازيل الاقتصادية دعت الساسة الامريكيين والاوربيين الى التفكير في عقد مؤتمر على أثر المؤتمرات التي عقدت فيما مضى لبحث انتاج السكر والمطاط وذلك للاهتداء الى طريقة تقرر التعادل بين الانتاج والاستهلاك وتضع حداً لارتفاع أسعار البن وتقلباتها

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة « نيو »]

اله الشمس المشرقة

هيروهيتو امبراطور اليابان

هذا القزم الضئيل الناحل، الذي لا يتجاوز طوله خمس أقدام وبوصتين، ولا يزيد وزنه عن ١٣٥ رطلا، هو الذي تخضع لسيادته على زهاء ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٦ يابانى و ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ كورى و ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ منشيكى، ويريد الآن أن يبسط سلطانه على ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٥٠ صينى

وهذا هو هيروهيتو الذى نسميه نحن امبراطور اليابان، وتلقبه عشرات الألوف المؤلفة بابن السماء وحفيد الشمس!

وليس امبراطور اليابان من طراز ملوك أوربا الحديثة، الذين يملكون ولا يحكمون، فان سياسة اليابان القومية — كما قالت الحكومة فى رسالة أذاعتها يوم اعتلى عرش بلاده — «تتمثل وتتلخص فى هذه الرسالة المقدسة التى ألقتها إلهة الشمس لحفيدها الامبراطور».

واليابان تخلع على امبراطورها شتى مظاهر القداسة، فلا يجوز أن تمسه يد انسان ليس من رجال الحكومة، فحين يقوم الطبيب بفحص صحته مثلا يغطى يديه بقفاز. وحين يتلو موظفو الحكومة على الشعب أمرا من الامبراطور يجب عليهم أن يولوا وجوههم شطر عاصمة مملكة طوكيو وأن يطأطئوا الرءوس قبل القائها تحية واجلالا. واذا مر موكب الامبراطور فى طريق لم يجز لامرىء أن يقف على شبر من الأرض، فتخلى سطوح المنازل وشرفاتها، حتى عتبات البيوت الواطئة لا يسمح بالوقوف عليها. قيل ان عاملا صعد ذات مرة سارية عاليا، وراح يخطب زملاءه يحضهم على الاضراب، وأراد البوليس أن يقبض عليه ولكن العامل أبى أن ينزل رغم تهديدهم اياه باطلاق الرصاص عليه، فلم يكن هناك من وسيلة ينزلونه بها الا أن يتظاهروا بأن الامبراطور قادم الى هذا المكان، فاذا بالعامل يهوى الى الأرض مسرعا، لئلا يكون على مستوى أعلى من مستوى الامبراطور!

ومن الشائع فى اليابان أن لا مناص لمن يأتى أى عمل لا يرضى الامبراطور أن يكفر عنه بالانتحار. فقد حدث ذات مرة أن تراخى أحد عمال السكة الحديدية فى افساح الطريق للقطار الملكى، فتأخر الامبراطور عن موعد وصوله دقيقتين، فما كان من العامل الا أن أطلق الرصاص على رأسه تكفيرا عن خطيئته وارضاء لابن السماء!

ويوم يتوفى امبراطور اليابان تدوى فى أعقابه أصوات الناحبات، لا حزنا على الامبراطور فحسب، بل حزنا كذلك على كثير من رجال الجيش والحكومة الذين يجدون فرضا عليهم أن يلحقوا بامبراطورهم الى القبر . . .

ولقد تعرض كثير من الدول لغضب اليابان أو بعضها ، لأن أفراداً منها أشاروا الى الامبراطور اشارة لا تتفق ومكانته في بلاده من حقوق القداسة . ففي سنة ١٩٣٥ قالت المجلة الصينية « الحياة الجديدة » ان امبراطور اليابان عالم أكثر منه حاكم . ثم قالت عن « كانج تي » امبراطور منشيكو إنه « لعبة تلهو بها اليابان » . فما كان من قواد الجيش الياباني الا أن وجهوا أمراً الى قائد الجيش « تشانج كاي شيك » يطلبون فيه انزال العقاب بمحرر هذه المجلة المذكورة . فقدم هذا الصحفي الى القضاء ، وسمح لأحد الصحفيين اليابانيين بأن يتتبع مجرى القضية التي انتهت بسجن الصحفي أربعة عشر شهراً . ثم صدر أمر أذيع على أفراده مطلوب منه بأمرهم « الا يدعوا بينهم كلمة واحدة تمس شعور الشعب الياباني » . وحدث هذا مع مجلة « فانيتي فير » الأمريكية حين نشرت صورة هزلية تشير فيها الى أن امبراطور اليابان يريد الحرب ويعادي السلم ، فقد احتجت اليابان احتجاجا رسميا صارما ، ولكن أمريكا اعتذرت بأنها لا تستطيع أن تحجر على صحافتها الحرة

على أن الامبراطور هيروهيتو قد خرج على كثير من تقاليد آبائه العتيقة ، فهو أول امبراطور ذهب الى المسرح وشاهد التمثيل ، وأول امبراطور سافر خارج بلاده وطاف بأنحاء العالم الفسيح ، وهو أول « حفيد للشمس » يرضى بأن يجرد من بعض صفاته ، وبأن تلقى في حضرته بعض الكلمات الفكهة ، وبأن يشارك سواه في الألعاب الرياضية . ولم يسبقه ملك ياباني اختار زوجته بنفسه كما اختار هو الامبراطورة « ناجاكو » ، وقد خالف آباءه الذين كانوا يتخذون عدداً من السراري ، واكتفى بزوجته التي أعطته « طفلين » في الرابعة والثانية

والامبراطور هيروهيتو في طليعة العلماء الطبيعيين ، وهو يمضي شطراً من يومه في دراسة العلوم ، وقد تبحر في علم الخلية واستقصى موضوع الوراثة الجنسية على ضوء قوانين مندل

وهو ـ الى هذا ـ من أغنى ملوك العالم ، فضلا عن مرتبه من الحكومة ، يملك ملايين الأفدنة من غابات اليابان ، تقوم بـ ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، وهو يساهم في أكثر الأعمال المالية الكبرى بشطر من « أسهمها وسنداتها » يبلغ مقدارها ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، موزعة على البنوك الكبرى وشركات البواخر والفنادق وغيرها . أما أملاكه من المباني والتحف فتصل الى عدد الملايين ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه أخرى . . . وهو الى جانب هذا يملك ـ لا نظريا فحسب وانما قانونا كذلك ـ اليابان كلها بمن فيها وما فيها

على أن الامبراطور قلما يتدخل في سياسة حكومته ، وكثيراً ما يهمل مشورتها ، كما فعل حين أنب الجيش تأنيبا شديدا على هذه الثورة التي قام بها سنة ١٩٣٦

ويجب أن نذكر هنا شيئاً عن الجيش الياباني ، فإن تاريخ اليابان الحديث يتلخص في جهاد هذا الجيش ليبسط سلطانه على شتى آفاق الشرق الأقصى

لا يخضع الجيش في اليابان لسلطة الحكومة كما يخضع لها كل جيش في جميع البلاد الدستورية ،

عليه الحق في أن يعمل ضد ، أو ضد ، رأى الحكومة . وله أن يصرح بآرائه في السياسة الخارجية مستقلة عما تصدره الحكومة . وللجيش سلطة كبيرة في تأليف الوزارة وعزلها ، لأن وزراء الحربية يعينون ويعزلون ، لا برأى الحكومة ، وانما برأى الجيش . ويتألف الجيش من ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ جندى و ٧٠٠٠ ضابط . على أن عدد من هم في دور الجندية ، أي من السادسة عشرة الى الاربعين ، يناهز ٦٫٥٠٠٫٠٠٠

ويبدأ التدريب العسكرى في اليابان في دور الطفولة ، أي منذ سن السادسة على أنغام الموسيق والاغانى والاناشيد . ويسلم الطفل أداة حربية حتى يبلغ سن الثانية عشرة ، ويمرن الاطفال في مناورات العسكرية وهم في هذه السن المبكرة . ويدخلون الجيش في سن السادسة عشرة ، بينما تقوم الشركات حينئذاك بتعلم طرق الاسعاف والتمريض

ومستوى الجيش المعنوى يفوق مستوى سائر الجيوش . ولكن معداته الحربية لم تتقدم كثيرا منذ سنة ١٩١٨ ، كما أن موارده لاتمكنه من أن يصمد طويلا ، والحرب القائمة الآن بين الصين واليابان ، كالحرب التى قامت بين ايطاليا والحبشة ، اتضحت فيها عيوب المحارب ، فهل استطاع أن يصبر طويلا ليحتمل الصدمة الاولى كسب المعركة ، وانما وصف الصين الى حيال هجوم اليابان عاجز الى المحال أن تنحسر عموتها وبرد هو أعطب [ملاحظة مقالة من مجلة « بريد »]

ما هو الوحى ؟

رأى طائفة من كبار الكتاب والنقاد

يقول أفلاطون على لسان سقراط ان ليست هى الحكمة التى تهدى الشاعر أو الكاتب أثناء القيام بعملية الخلق والابتكار وانما هو ضرب من العبقرية أو نوع من الوحى الالهى

والشاعر أو الكاتب في عرف سقراط هو رجل أشبه بالساحر أو العراف كثيراً ما صدر عنه أشياء رائعة لا يستطيع هو نفسه تقدير مدى روعتها وصدقها

وقد جمع الأديب « هاى سوافر » عدة ملاحظات طريفة أبداها عدد من كبار الكتاب عن موضوع الوحى وأثره في حياتهم الأدبية . والبك بعض هذه الملاحظات .

قال الروائى الانجليزى جون جولزورذى

« من عادتى الجلوس الى مكتبى وسيجارتى في فمى والورق الأبيض أمامى أحاول ان أكتب فلا أجد شيئاً . ثم أشعر برأسى قد فرغ وأركض خلف الافكار فلا أستطيع العثور على

فكرة واحدة منها فيتملكني شبه يأس ، ولكني أقاوم الضجر واليأس وأنتظر وقد راودني كل أمل في عبقريتي وهدأ القلق المضطرم بين فؤادي

« وفي حين فجأة يخيل الي ان ذهني طرق القصد الذي أنا حائر به وعيني مملوءة بشخصيات رواياتي ثم ارتد الي واسترسل الى كلم وجمل وعبارات وسرعان ما ينطلق معها قلمي على الورق من تلقاء نفسه

« وهكذا أظل ساعة أو ساعتين شبه محموم أكتب وأكتب وأنا لا أعي

« ولما يستوي على النص فأعيد قراءة ما كتبت تتملكني نوع من الدهشة فلا أستطيع ان أصدق اني أنا صاحب هذه العبارات وان جون جوزوروف هو الذي كتب تلك الصفحات الحية الشائقة .

هذا هو الوحي الذي لا أعرف سره ولعله نوعا من الاتصال الصوفي بقوة الله »

وقال الروائي المسرحي الفرنسي فكتوريان ساردو :

« أستطيع ان أؤكد اني لست مؤلف المسرحيات التي تحمل اسمي . ان قوة غريبة عني هي التي أوحتها ، والواقع اني أعيش مع أشباح كبار مؤلفي المسرح القدماء ، وكلما أقدمت على وضع دراما جديدة طافت بي أشباحهم وعلمتها أنفسي واستقيت وحيي منها ومن نفحاتها

« والغريب اني عندما كتبت روايته (الساحرة) كنت أرى شكسبير أمامي وأسمعه يتكلم ويضحك ويوحي الي أعمق الخواطر وأغرب المواقف والملاحظات . ولست أشك في اني لا أستحق الشهرة التي ظفرت بها وفي هي مؤلفاتي هي في الحقيقة مؤلفات غريبة أملتها عقل رجل مجهول »

وقال الناقد الانجليزي شسترتون الشهير بنزعته الكاثوليكية

« ورد في التعاليم الدينية التي تلقيناها أيام صبانا ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله . فأنا أعتقد ان الوحي ما هو إلا لحظة من اللحظات التي تتحقق فيها الشخصية الانسانية ويبرز منها الجانب الالهي الكامن في أعماقها

« وعندي أن الشاعر أو الكاتب كلما كان نقي النفس صافي القلب عف الضمير مؤديا واجبه الاجتماعي والديني على الوجه الأكمل ، كان أقرب الى استنزال الوحي على نفسه لقربه من الذات العلية مبعث كل وحي والهام

« والدليل القاطع على ما تقدم ان الرسل والانبياء كانوا أكثر استعدادا لتقبل الوحي من الشعراء والكتاب . بل ان الوحي كان يهبط عليهم في كل لحظة ، أي في الساعات التي أذاعوا فيها على الناس آيات الله وفي الساعات العادية التي كانت تتألف منها حياتهم اليومية الخاصة . فسهولة تقبل الوحي وسرعة الاحساس به وتوالي هبوطه وتجليه ، براهين لا تقبل النقض على أن الوحي جوهر الهي كامن فينا ، جوهر يزداد ظهورا ووضوحا كلما ازداد الانسان اقترابا من الله وتوغلا في حياة التجرد والتأمل الروحاني »

[ملخص عن مجلة « لو »]

الذين يسمعون بأعينهم

كيف يتعلم الصم استماع الكلام

فرق كبير بين من يولد فاقداً حاسة السمع ، ومن يصيبه الصمم في أثناء حياته ، فذلك لا يدرك أن ثمة شيئاً ينقصه ، وأن سواه يزيد عنه بحاسة خاصة . أما هذا فانه يعيش في دنيا غريبة تضطرب فيها ذكرياته عن الأصوات العذبة المحببة أو النغمة الصاخبة التي سمعها في ماضيه . على أن كل أصم حين يرى شفاه الناس تتحرك ، يريد أن يعرف ماذا تعبر عنه حركتها هذه ، أي ما هي الألفاظ التي تخرج من بينها

وقد انشئت معاهد شتى لتعليم الصم كيف يفهمون حديث الناس ، بملاحظة حركات شفاههم حين تخرج الألفاظ ، أي تمكينهم من أن يستعيضوا — بأعينهم — عن آذانهم التي فقدت حاستها . وأهم هذه المعاهد ما أنشأه « ادوارد نيتشي » في أمريكا

أصيب هذا الرجل بالصمم في حداثته ، فلما استعصى عليه البرء من محنته رأى أن يتخلص من حياته وكان هذا سنة ١٨٩١ حين كان في الرابعة عشرة . ولكنه عدل عن فكرة الانتحار ، ورأى أن يعمل جهده على تخفيف وطأة الصمم على من سواه . فبعد أن أتم تعليمه الخاص منفرداً ، ذهب الى نيويورك حيث تعلم « القراءة بواسطة الشفتين » ، ثم أنشأ مدرسة لتعليم هذه القراءة بطريقة سهلة يسيرة يمكن للأطفال أن يفهموها . ولم تلبث المدرسة أن اجتذبت اليها مئات الصم من جميع الطبقات ، ولم يكتف بجمع تلاميذه الأغنياء بل تقبل نفقات تلاميذه الفقراء وقد مضت الآن خمس وعشرون سنة على تأسيس هذه المدرسة التي صار لها فروع في شتى أنحاء أمريكا ، والتي تعد محور « الحياة الاجتماعية » لآلاف الصم وضعاف السمع

وتشرف على هذه الحركة « جمعية ضعاف السمع بنيويورك » ولها ادارة جميع من فيها من مدرسين وموظفين — الا سكرتيرين — صم الآذان ، ومع هذا لا تسمع في أرجائها صوتاً عالياً ، ولا شخصاً يحمل بوقاً لتضخيم الصوت ، ولا ترى أحداً يطلب الى محدثه أن يعيد شيئاً مما قاله . ذلك أنهم جميعاً يفهمون ادراك كل لفظة بمراقبة حركة الشفتين في أثناء نطقها

وقد أشارت هذه الجمعية منذ عشر سنوات على ادارة التعليم بنيويورك ، أن تعنى بحاسة السمع في تلاميذ المدارس ، فان في أمريكا زهاء ثلاثة ملايين تلميذ معرضون لفقد حاسة سمعهم اذا لم يتداركوا بالوقاية والعلاج . ولكن ادارة التعليم لم تلق بالها الى هذا ، فقدمت الجمعية بياناً بما تتحمله هذه الادارة من خسائر جسيمة بسبب اهمال هؤلاء الصبية المعرضين للصمم . فقد ثبت أن الطفل ضعيف السمع يتخلف عن زملائه عامين أو ثلاثة لانه لا ينتفع كثيراً من شروح المدرس ومناقشاته .

وكل تلميذ يكلف إدارة التعليم كل سنة زهاء ٣٠٠ جنيه ، ولو أنفقت إدارة التعليم بضعة آلاف من الجنيهات على علاج تلاميذها من ضعف السمع أو من عاهة الصمم ، لادخرت آلافا وآلافا تضيع هباء

واهتمت إدارة التعليم بهذا ، فبدأت سنة ١٩٣٤ بإجراء اختبار لقوة السمع في مليون تلميذ وتلميذة ، فخرج منهم ٨٠٠٠٠ نسمة قوة سمعهم أقل من المتوسط ، فوضعت عشرة آلاف منهم تحت العلاج الطبي ، وأرسلت ستة آلاف أخرى إلى مدارس انشئت لتعليم القراءة بواسطة الشفاه . .

وطريقة هذه القراءة أن يحرك المدرس شفتيه بالكلمة دون أن ينطقها . ويراقب الأصم هذه الحركة عدة مرات حتى يحفظها ، كما يحفظ من يسمع تركيب حروفها وكيفية نطقها . ويبدأ المدرس باختيار الألفاظ السهلة المتشابهة مثل بيت ، نات ، فحت ـ دال ، بال ، سال ، وبعد أن يحفظها عدة مرات ، يبدأ التلاميذ بنطقها معا بصوت مرتفع ويراعي المدرس في اختياره الألفاظ أن أكثر حروفها تظهر في حركة الشفتين

ولكن هذه الطريقة لا تمكن الشخص من أن يفهم كل كلمة ، لأن ٥٥٪ من جميع الأصوات لا أثر لها في حركة الشفتين ، لأنها تصدر من الحلق أو من جوانب الفم ، ومن ثم إذا استطاع الأصم أن يفهم الأصوات التي تأتي بها حركة الشفتين ، أمكنه أن يفهم الباقي ضمن سياق الحديث

على أن هذه المدارس لا تقوم فقط بتعليم الصم وضعاف السمع كيف يدركون الحديث وإنما هي مركز النشاط الاجتماعي لهذه الطبقة ، فهي تسعى إلى إيجاد أعمال لهم تلائم تكوينهم هذا . وقد ثبت أن هذه الفئة أصلح من سواها لأداء الأعمال التي تحتاج إلى تركيز التفكير والابتعاد عن الضوضاء ، كالأعمال الكتابية ، والإحصائية ، والعمل على الآلة الكاتبة ، بل إن كثيرا من الناس ما كانوا يوفقون إلى أداء أعمالهم لولا أن بهم شيئا من ضعف حاسة السمع . وقد قالت إحدى المشرفات على هذه المدارس : إن من أصيب بصمم أو ضعف سمعه إذا وجد من يعطف عليه ويستخدمه ، قدر له هذا العطف فكان أخلص إليه من سواه . وهو يتجنب الإطالة في الحديث وقد يظل طول الوقت صامتا ، فلا يضيع من وقت العمل شيئا في لا يجدي . وهو يعمل دائما على نسق واحد ، ولا يحب ، أو لا يستطيع ، أن يغير ويحور في طريقة العمل ، وهذه ميزة حسنة تجعل مجرى العمل مطردا في طريقه . ثم هو مضطر إلى أن يعمل عينيه عمل العينين والأذنين معا ، ولهذا يرهف حاسة بصره ويجعله أدق ملاحظة وأكثر انتباها

[خلاصة مقالة نشرت بتوسع أوفى في مجلة « فوروم »]

لذة الرجل أن ينسى نفسه

فيحاول اضعاف شعوره ليغيب عن رشده

لذة الرجل أن ينسى نفسه ، ولذة المرأة أن تنتبه الى نفسها . فما يسعى الرجل أكثر من أن يضعف شعوره بنفسه فترة ما ، يغيب في أثنائها عن رشده الواعي . وما تسعى المرأة إلا الى كل ما يوقظ شعورها ويرهفه ، لتدرك نفسها وتعي ما حولها . ولهذا نرى كثيراً من الرجال يسرفون في شرب الخمر ، التي تغيبهم عن رشدهم حينا ما ، بينما النساء عامة يمقتن الخمر ، لأنهن يردن أن يبقى شعورهن صاحيا متيقظا يدرك كل ما يجري

ابحث عن الأوساط التي يسعى اليها الرجل ، والهوايات التي يتحمس لها ويمارسها ، تجد أنها انما تستبد بشعوره وتستأثر به ، فينسى غير شاعر بنفسه ، غير منتبه الى ما يجري فيها وحولها

فمن الهوايات التي يمارسها الرجل عادة الألعاب الرياضية ، لا لأنها تقوي صحته أو تنشط بدنه ، بل لأنها تمكنه من أن ينغمس فيها الى حد ينسى عنده نفسه . تراه واقفا أمام المنضدة ، وقد ارتسمت على وجهه أمارات الجد والتفكير ، وتركز كل شعوره في كرة أو عصا مثلا ، ولم يعد سواها يستحق أية لفتة أو اشارة منه ، فلماذا هذا كله ؟ أليعوض عن نقص في جسمه ؟ ليظهر مهارته لمن يراه ؟ كلا ! بل ليصرف كل شعوره عن نفسه الى ما أمامه ، فينسى كل ما يضطرب في نفسه من عاطفة واحساس ، ذلك أنه كلما استطاع أن ينسى نفسه وما يجري فيها ، اقترب الى السعادة التي ينشدها

ونرى الرجل يسعى الى الحفلات والولائم ، والمرأة ليست اقل منه سعيا الى هذه الأوساط ، ولكن لكل منهما قصداً وغاية . فهو يريد أن ينسى هناك نفسه ، وهي تريد أن تعرض نفسها . فبعد أن يحتسي الرجل كأسا أو كأسين من الخمر ، يغيب عن وعيه شيئا ما ، فيبارحه هذا التهيب الطبيعي من المرأة ، ويروح يحدق بنظراته الى الأعناق والصدور والسواعد العارية ، ويروح يتخيل نفسه سلطانا يمتلك حريما عامراً . وتتحرك في نظراته ولفتاته أنه يقول لكل امرأة تعجبه في هذا الحفل :

ألا تعرفين من أنا ؟

مع أنه لو كان متيقظا الى نفسه لعرف أن هذه السيدة التي ينظر اليها في كبرياء وخيلاء ، لو انفرد بها في غرفته لجعلته يرتعد أمامها كما يرتعد التلميذ أمام مدرسه القاسي

أما المرأة فشديدة التنبه الى نفسها . تشعر أن شعرها جميل فتحاول أن تبرزه لكل عين ، وأن يديها غير جميلتين فتحاول أن تخفيهما . وترى قوامها رشيقا معتدلا ، فتقتني أكثر الملابس واصفة

لا محالة . ولا تحل لها طول الحياة إلا أن تعرف وتوازن بين نفسها ومن حولها وتظل دائماً أبداً تسائل نفسها

إلى متى ينظر الرجال ونحن يعرضون ؟ أي الملابس تجتذب الأنظار وأيها لا تلفتها ؟ ما هو مركزها في هذه الحياة ، وهل يرتفع عن مركز سواها أم ينحط عنه ؟

ولكن الرجل لم يفكر في أثناء هذا في أن يقارن بينه وبين الحاضرين في طول القوام وعرض المنكبين ولون البشرة ، ويرى الملابس وهو يشتري لنفسه حلة واحدة لا مرة مرة . فلا يحاول أن يظهر بمظهر غير مظهره بل هو لا يفكر في أن يجذب الناس أو يرضيهم لأنه في الواقع قد غاب عن وعيه ، ولم يعد هناك من صلة بينه وبين الآخرين

ويرى الرجل في حلة كهذه ما تنبه شعوره إلى ما لا يرضيه ، لم يحاول إخفاء انفعاله واكتئابه أمام الآخرين ، ولو كانوا ضيوفاً في بيته . ذلك أنه حين ينسى نفسه لم يجد سبباً أن يظهر أمام الناس في صورة مستحبة أو مكروهة . أما المرأة فتستطيع جرحها وإخفاءها رغم كل ما يحدث ، لأنها منتبهة إلى نفسها تريد أن تعرضها في أحسن صورة ، ولو أنها تتحمل في سبيل هذا ما تكره

الرجل يسعى دائماً لأن ينسى نفسه ، بأن ينغمس في العمل ، أو الخمر ، أو المرأة ، أو الموسيقى أو الرياضة ، أو الحب ، أو الدين . ولهذا كان من الرجال — لا من النساء — الفنانون ، والعلماء ، والفلاسفة ، والأنبياء ، والشهداء . أولئك الذين يستطيعون أن ينسوا أنفسهم وينسوا مما

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة « هاربر » عن المشكلة النفسية سوزان برغر]

وحي مكيافيلي

يسيطر على سياسة العصر الحاضر

كان مكيافيلي من كبار المفكرين السياسيين في عصر النهضة ، وقد لازم الطاغية قيصر بورجيا وأوحى إليه بعض تعاليمه وأودع هذه التعاليم كتابه « الأمير » وكتابه « خطاب تيت ليف »

ولا شك أن هذه التعاليم أحدثت أبلغ الأثر في عقول معظم الساسة في العصر الحاضر ، بل هي الوحي الذي يستمدون منه مختلف الأساليب السياسية المتعلقة بنظم الدولة وغاياته وأغراضه

ولكن ما هي تعاليم مكيافيلي وما هي الأصول والقواعد التي تنهض عليها ؟

في وسعنا أن نلخص تلك التعاليم فيما يلي

يرى مكيافيلي أن كل سياسة لا تقوم على الحقائق النسبية هي سياسة محكوم عليها بالفشل السريع . وهو يبشر في إيمان وحماسة بالمبدأ المعروف من أن الغاية لا تبرر الواسطة فحسب بل

تتطلبها وتسمو إليها وتعرضها على السياسي العملي عرضاً . فإذا كتب سياسياً وكانت غايته ترمي إلى ربح استقلالي مثلاً فله أن يستخدم جميع الوسائل كائناً ما كانت لتحقيق هذا الربح

ويرى مكيافيلي أن هذه الوسائل هي قوة السلاح وقوة العقل وقوة الدهاء . وأن العمل بهذه الوسائل يستلزم من الرجل السياسي الصحيح ألا يحفل كثيراً بمواهب الآداب والشرف

فضائل الأفراد التي يصح لهم التمسك بها كالاستقامة والرحمة والبعد عن النفاق والكذب وعدم استخدام العنف هي بالنسبة إلى الرجل السياسي رذائل يؤدي العمل بها إلى تعريض صرح الدولة

وأما غاية الدولة في نظر مكيافيلي فهي الطموح والتوسع والنمو ومحاولة تحقيق عناصر القوة والسلطان عليه بواسطة غرس مبادئ الطاعة العسكرية في نفوس الشعب وإجبار أفراده عند الاقتضاء على التضامن التام في سبيل مصلحة الدولة ولو باستخدام القوة

وهذا ما يفسر لنا سر إعجاب موسوليني بمكيافيلي وإعلانه من هذا المفكر الإيطالي أستاذاً له ومحاولته إقامة صرح الدولة الإيطالية الفاشستية على قاعدة سياسة مكيافيلي

وقد يتساءل القارئ، عن العوامل الأولى التي تكونت منها شخصية مكيافيلي ، وعن الأسباب الاجتماعية والسياسية التي أوجدت ذلك الداهية ودفعت به إلى تركيز مبادئه على الدعائم التي ذكرنا وهل عجيب على ذلك قولنا إن مكيافيلي كان يعيش في عصر قوة وجرأة وبسالة وإقدام ، ومن إيطاليا في عصره كانت ممزقة تتنازعها أيدي الدول الأوربية وتمزقها في الحين بعد الآخر جيوش فرنسا وإسبانيا . فنشأ من ذلك في ذهن مكيافيلي وفي أذهان قيصر بورجيا والبابا جول الثاني والبابا إسكندر السادس حلم الوحدة الإيطالية . ولما كان هذا الحلم قد بدا مستحيل التحقيق في ذلك العصر بدون القوة وبدون البطش بالجمهوريات الإيطالية المتنافرة وسحق الغزاة الأجانب فقد لقح مكيافيلي بروح العنف وعمد الدعوة تبرير الواسطة وحكمة وجوب إرغام أفراد الشعب الواحد على التضامن ولو بالقوة في سبيل إنشاء دولة عظيمة متماسكة [مقتبسة من مجلة « الميزان »]

شعب يعيش فوق الماء

في عرض المحيط الهادي بين آسيا واستراليا ، عدة سلاسل من الجزر البركانية ، يسكنها أقوام فطرية تحيا حياة ساذجة بسيطة . وأهم هذه السلاسل الجزرية سلسلة « بونسوبو » أو « بونوتو » التي تتألف من وحدة جزيرة مرجانية طولها ١٣ ميل ، ومساحتها ٢٣ ميلا مربعاً ولا يجاوز عدد سكانها أربعة آلاف نسمة يعيشون على أكل الثمار التي تكثر عند شواطئها . ومن طرائف مشاهد الحياة في هذه الجزر أن البيوت لا تقام على سطح الأرض ، وإنما فوق البحيرات والمستنقعات ، على قوائم من جذوع الأشجار فهي بيوت فريدة في نوعها ، لأن جميع الأمم تبني بيوتها منذ القدم ، على وجه اليابسة لا على سطح الماء . ولا تزيد هذه البيوت في هذه الجزر عن أكواخ من الغصون والحشائش ، تحيط بها الأدغال الغابية التي تهب هنالك بين شهري [illegible] و[illegible] . وقد اكتشف هذه الجزر الرحالة الاسباني « بيدرو فرناندي كويروز » سنة ١٦٠٦ ، ولكن ضمتها فرنسا إلى أملاكها منذ سنة ١٨٤٤ ، وهي مشتهرة بنباتها الغنية بأشجار « جوز الهند » ويسكن الجزيرة طيور كثيرة في جبالها ، وأكثر هذه الحيوانات « الفئران » ولا يعرف أهلها الزراعة ، ويسكنهم يربون كثيراً من الطيور المقربة كالدجاج والحمام . وترى هنا صورة لما في هذه الجزر من قرى وبيوت أقيمت فوق البحيرات والمستنقعات التي تحيط بها

منظر عام لقرية في جزائر بونوتو أقيمت فوق إحدى البحيرات ، على قوائم من جذوع الأشجار

تقدم العلم والعالم

ليست الحرب من طباع الانسان

رأت « جمعية البحوث النفسية في المسائل الاجتماعية » — وهي جمعية مؤلفة من أساتذة علم النفس والاجتماع في جامعات امريكا ومعاهدها الكبرى — أن تحتفل بعيد المدنية احتفالا علميا، فطرحت أمام مئات من الباحثين في المسائل النفسية هذا السؤال: « هل الحرب دافع نفسي لا يمكن مقاومته »، فأفتى أكثر من ٩٠ في المائة بأن دراساتهم وتجاربهم أثبتت لهم أن الحرب ليست طبعا من طباع الانسان، وأن غرائزه ليست هي التي تدفعه الى الحرب

فأصدرت الجمعية بيانا بالرأي العلمي، ضمنته القرار الذي انتهى اليه هذا الاستفتاء، نقتبس منه هذه الفقرات:

« نحن علماء النفس نحتج أشد الاحتجاج على هذا الرأي الشائع الذي يقول بأن الحرب نتيجة محتومة تؤدي اليها طبيعة الانسان، فهذا الرأي لا يستند الى أي أساس علمي، وليست هناك أية قرينة تؤيده

« والى هؤلاء الذين يزعمون أن غرائز الانسان هي التي تثير الحرب نوجه هذا السؤال: غرائز من هي التي تؤدي الى الحرب: غرائز الجنود الذين يحاربون، أم غرائز الذين يوجهون سياسة العالم توجيها يؤدي الى الحرب؟ ان الناس مخطئون في الأمر خطأ حين يقولون ان الحرب بين دولتين تشبه شجارا بين فردين، ففي هذه الحالة يعرف كل فرد ماذا يشتجر، وفي وسعه أن يمتنع عن الشجار اذا تبين له أن الأمر لا يستأهله. ويكفي في تلك الحالة ثبت لنا أن أولئك الذين يحاربون لا يعرفون السبب الحقيقي الذي اندفعوا من أجله الى المعمعة، وأنهم يسيرون مدفوعين بمبعث الدعوة والبروباجندا التي تتألف غالبا — كما ثبت لنا — من أكاذيب وافتراءات

« وهب أن الحرب تشبه شجارا، فانا مازلنا نسأل: أيستطيع المجتمع مع من يريد أن يبني تقاليده مع سواه بيديه؟ كلا! ولهذا وضع البشر القانون، وانشأوا المحاكم، بدلا من تلك الطريقة البدائية التي تقول ان « العين بالعين »، وما من أحد ما ينكر أن تقوم هذه القوانين والمحاكم مقامه في علاج كل نزاع بينه وبين الآخر على عرض أو رأي، واذن فانا نصر على أن طبائعنا وغرائزنا يجب أن تطلق لتؤدي الى الحرب »

وبعد أن ذكر البيان ازدياد نسبة الجنون والخبل، والامراض العصبية، والأزمات الخلقية عقب الحرب الكبرى قال: « يمكن أن تبطل الحرب، متى عرفنا كيف نقاوم الدعوة التي يبثها من يريدون أن تنشب الحرب، ومتى عزمنا على أن نترك أمر الخلافات الدولية للتحكيم، كما نترك أمر الخلافات الفردية للقضاء »

الجزء الأعلى من بيت في
جزيرة بومويو ، وقد
سقف الأسرة معرضة
للأمطار والرياح ،
وأرادتها جزاءً الأمن
غلالات رقيقة

بيت من بيوت جزر
بومويو ، وهو كوخ
مسدود إليه حول الماء
بعيد عن الناس

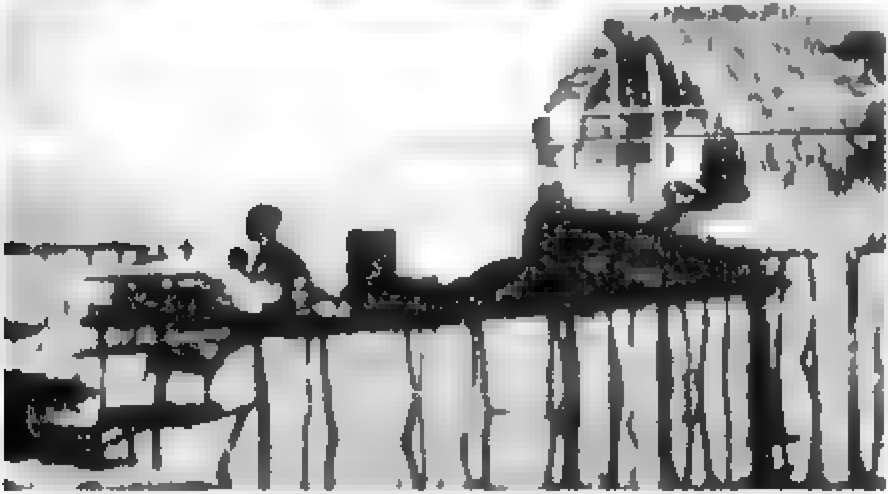

أثر فصل الربيع في المرأة

الطبيعة تنظم النسل المصري

ألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل بك، أستاذ علم الصحة بكلية الطب ومفتش صحة مديرية القاهرة، محاضرة تحدث فيها عن أثر الطبيعة في تحديد النسل وتنظيمه قال فيها:

«كنت منذ نحو ١٥ سنة أدرس بعض الإحصاءات الصحية المصرية، فصادفتني ظاهرة عجيبة رأيتها في نسبة المواليد، ولم أكن أتصور وجودها. ذلك أني رأيت أن المواليد يرتفع عددهم في موسم خاص من كل سنة، أي في

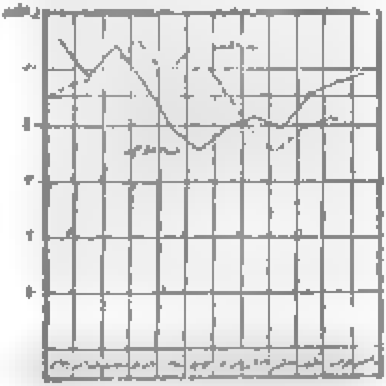

رسم بياني يوضح هذه الظاهرة

أشهر ديسمبر ويناير وفبراير ومارس، فترتفع النسبة في تلك الأشهر كل عام ثم تنخفض بعدها بشكل ظاهر

«وقد بحثت عن ذلك، لأنه إذا كان ارتفاع الوفيات مثلا في موسم خاص، وهو فصل الصيف في بلادنا، أمر مفهوم، لأن ذلك الفصل هو فصل النزلات المعوية التي تحصد أرواح الأطفال، وإذا كان للأمراض المعدية مواسم ترتفع فيها بشكل أوبئة لملاءمة الأحوال الجوية أو الاجتماعية لها أو المنتشرة الفاقة، كالملاريا في الخريف مثلا بسبب الناموس، أو التيفود في الصيف بسبب الذباب، فإن نسبة المواليد بعيدة عن مثل ذلك لأن الحمل ينتج من اتصال الرجل بزوجته وهو اتصال في الغالب دائم على وتيرة واحدة طول السنة

«وحيث أن الولادة نتيجة الحمل، والحمل يحدث قبل الولادة بتسعة أشهر، فلا بد أن هناك أربعة أشهر أخرى في السنة يكون فيها النساء أهلا للحمل أكثر منهن في سواها. وقد اتضح أن أشهر زيادة الخصوبة في النساء هي مارس وأبريل ومايو ويونيو — أي في فصل الربيع، فصل مولد النبات والأزهار

«ولا يمكن إذاً الفرار من الاستنتاج أن للطبيعة في نساء مصر على الأقل — إن لم يكن في رجالها أيضا — تأثيراً سرياً لا نشعر به أحد، وهو أنها تجعلهن أكثر خصوبة في موسم، وأقل خصوبة في موسم. وبذلك تتحدد إذاً النظرية القائلة إن للطبيعة شأناً في تحديد النسل وتنظيمه»

الحضارة الصينية

من الاعتقادات الشائعة بين الناس أن الحضارة الصينية هي من أقدم حضارات البشر إن لم تكن أقدمها. ومن النظريات التي تؤيد هذا الاعتقاد النظرية القائلة إن إنسان «بكين» الذي عثر العلماء على آثاره في الصين هو أقدم إنسان ظهر على وجه الأرض. على أن بعض العلماء الآن يزعمون أن الحضارة الصينية أحدث عهداً من الحضارة المصرية والبابلية بكثير، وربما يعلل ذلك بثباتها على أحداث الدهر حالة كون حضارة المصريين والبابليين انقرضت بسبب كثرة الحروب والثورات

ومما يجدر بالذكر أن المنطقة التي كان يحتلها فيما سلف تكين، هي اليوم إحدى الساحات التي يجري فيها القتال بين الجيوش الصينية والجيوش اليابانية

عمر الأرض

يختلف عمر الكرة الأرضية باختلاف الطرق التي يستعملها العلماء لتقدير ذلك العمر. وأحدث ما اعتمدوا إليه هو النشاط الإشعاعي لتقدير عمر الأرض وقد استخلص العلماء منه أن عمر الكرة الأرضية لا يزيد على ثلاثة آلاف مليون سنة، وهو تقدير يختلف عن جميع التقديرات السابقة ولكن له في نظر العلماء ما يسوغه

هل تغلب الطب على التهاب الرئتين

يعلم القراء أن ضحايا مرض النومونيا أو التهاب الرئتين يعدون مئات الألوف في كل عام، ومع أن الطب قد اكتشف عدة وسائل لمكافحة هذا الداء إلا أنه لم ينتصر عليه الانتصار الحاسم حتى الآن. وقد أشير في أحد أعداد «الهلال» الماضية إلى مستحضر كيماوي جديد يسمى «سلفانيلاميد» وقد اشتهر باسم «بروتونسيل» وهو يقتل جميع الجراثيم من نوع «الستربتوكوك» ومنها جراثيم الصنف الثالث من مرض التهاب الرئتين. وقد ثبتت فائدته بالاختبار

وفي المجلات الطبية الأخيرة أن مباحث بعض كبار الأطباء في ألمانيا واليابان أثبتت أن بعض مركبات الكينا تفيد فائدة كبيرة في مكافحة التهاب الرئتين. ولكن شوهد في بعض الحالات أن لتلك المركبات أثراً رديئاً في حاسة البصر، فأخذ معهد ملون بأمريكا يسعى لتحسين بعض تلك المركبات. وبعد فحص ستة وستين مركباً منها توصل إلى تحضير مركب جديد أساسه الكينا، وأطلق عليه اسم «هيدرو كسيثيلو كيوبرين» (Hydroxyethylapocupreine) وقد جربته عدة مستشفيات فأسفرت التجربة عن خفض نسبة الوفيات بالتهاب الرئتين خفضاً كبيراً وهذا العلاج أقراص تؤخذ بطريق الفم

غاز الهيليوم

غاز الهيليوم هو العنصر الذي يكاد يكون وجوده محصوراً في الولايات المتحدة. وحكومة هذه الولايات تحظر إخراجه من بلادها لاستعماله في ملء المناطيد الحربية حيث ملء المناطيد لأغراض حربية. وهو أفضل من غاز الإيدروجين للمناطيد لأنه غير قابل للانفجار وقوته على رفع الأثقال تزيد عن ٩٢ في المائة على قوة غاز الإيدروجين. أي أننا إذا أخذنا كمية من غاز الإيدروجين ترفع مائة رطل، فإن مثل تلك الكمية ضبطاً من غاز الهيليوم تستطيع أن ترفع ١٩٢ رطلاً

الخلاص من الجراد

يؤخذ من التجارب الواسعة النطاق التي قام بها بعض العلماء الأمريكيين أن الملح الإنجليزي هو خير مادة يمكن استعمالها لمكافحة الجراد بجميع أنواعه ولا سيما النوع المعروف منه بالنطاط. وهو أفضل بكثير من مادة الزرنيخ التي تستعمل لهذا الغرض. وطريقة استعماله هي أن يصنع منه مزيج من ٦٠ – ٦٥ في المائة من النخالة و١٥ في المائة من العسل الأسود و٢٠ – ٢٥ في المائة من الملح الإنجليزي ويضاف إلى هذا المزيج قليل من الماء ثم يرش على الأرض حيث يكثر صغار النطاط فيبيدها إبادة تامة

غاز النيون

هو الغاز الاحمر القرمزي، يتلألأ في الاعلانات التي تكثر في الشوارع. والمعروف عن هذا الغاز أنه نادر في الكرة الأرضية، ولذلك ترى في مختلف البلدان شركات قد أسست لاستخراجه. على أن هذا الغاز النادر يوجد بكثرة هائلة في كثير من الشموس والنجوم التي تسبح في الفضاء وفي بعض السدم الساطعة المنتشرة في ظلام المجرة. والموجود منه في بعضها أكثر من الموجود من عنصر الاوكسجين في جو الكرة الأرضية

آلام الولادة

يلجأ بعض الأطباء الى تخدير الأم في ساعة الوضع لانقاذها من آلام الوضع. ولكن هذا التخدير مضر جداً ويؤدي الى عواقب وخيمة، إذ كثيراً ما يؤدي الى تسميم الطفل وولادته ميتاً. وفوق ذلك ان الأم التي تضع طفلها ولا تشعر بآلام الوضع تفقد — على ما يقول علماء النفس — معظم حنانها عليه. وفي الواقع ان الطبيعة قد رتبت آلام الوضع لغاية سامية وهي غرس العطف والحنان في قلب الام

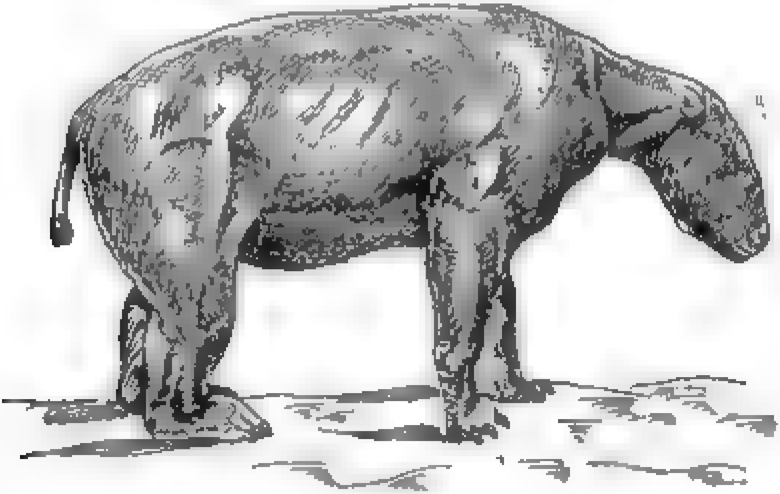

حيوان غريب قبيح عاش منذ ملايين السنين

ما أقبح هذا الحيوان وما أتعسه! فان تركيب جسمه الضخم، والاطراف المرتسمة على وجهه، تدل على شتى مظاهر الغباء والبلاهة والكآبة والتعاسة. ومن الرسام الذي عمل صورته قد أسرف في تشويهه. ولكن العلماء الذين كشفوا عن هيكله العظمي يرون أن هذا الرسم يلائم هذا الهيكل ملاءمة تامة. وقد عاش هذا الحيوان — الذي يسمونه «هومالودوتيريوم» — في أمريكا الجنوبية في العصور الجيولوجية. وكشف عن آثاره بعثة أوفدها أحد متاحف التاريخ الطبيعي بأمريكا. وهو يشبه الى حد ما ثوراً صغيراً. ولعلنا لا نجد الآن حيواناً يجتمع فيه ما اجتمع في هذا الحيوان من قبح المظهر ودمامة الخلقة

كتب جديدة

على هامش السيرة

للدكتور طه حسين بك

مطبعة المعارف في ٢٨٤ صفحة

لا يتيسر أن يدرك القارئ كيف تنشأ هذه الآراء والعقائد الخطيرة التي تثير تطور الإنسانية، وكيف تمد آثارها إلى القلوب وتتأصل في نواحيها، وكيف يبسط ظلها على الآفاق وترسخ فيها دعائمها، أمام جهود البيئة التي نشأت فيها، مهما شملها أعاصير الفكرية والحسية، وأحداثها السياسية والاقتصادية، ليتبين هذه الوسائل التي تهيئ لها وسائل الظهور والتمهيد للانتشار.

فقد يعجب القارئ أن الإسلام دين التوحيد، ينشأ في مكة مركز الوثنية، ويمضي عهد لا بأس به أعواما حتى يغمر سوءه القلوب التي أمضت دهراً طويلاً، فإذا أصوله تمتد من آفاق الجزيرة العربية سريعا، ثم تمتد منها إلى ما جاورها من الأقطار جميعا، فلا تنقضي سنوات حتى تقضي على الوثنية قضاء تاما، ويحل محلها الدين الذي لا شبهة فيه من الشرك بالله. ولكنه لا يدري ما كان يضطرب في عقول الناس وقلوبهم من شتى آراء الشك والإلحاد جميعا، فيفهم كيف وجد الإسلام أرضاً خصبة عاش فيها، وآتى أكله عاجلا.

وهذا الكتاب يصور هذه الحياة الفكرية القلقة المضطربة التي كان يحياها أهل الجزيرة العربية وما حولها من الأقاليم، حياة الشك في الأديان القائمة والتطلع إلى دين أصدق وأسمى، حياة التردد بين ضلال العقل والقلب للآراء القديمة المتشعبة، إيثاراً للراحة والمتعة والعافية، وبين البحث عن الرأي الذي يقنع العقل ويرضي القلب، واحتمال ما تلاقيه النفس في سبيل هذا من الأذى والعدوان، أو قل حياة النضال العنيف بين القديم والجديد، التي تؤذن دائما بانقضاء عهد فاسد، وابتداء عهد صالح.

وهو لا يصور هذه الحياة تصويراً علمياً يرجع إلى الوثائق والأسانيد، وإنما تصور الأديب الفذ الذي يسبح خياله ويحلق فنه حتى إلى حد، فنراه يرسم الشخصيات التي يجري على لسانها أحاديثه، ومشاهد الحياة التي يعرض في أثنائها تلك العقائد واضطرابها، وربما يمتزج فيه خيال الأديب وعقل المفكر معا. وهذا كله يجري في سياق رائع لا يبارى فيه الدكتور طه حسين، فهو أديب أوتي أوفى نصيب من دقة الحس، وسعة الخيال، وغزارة الثقافة.

وإذا كان الدكتور طه حسين مجددا بارعا في ثقافته وبحثه، فهو محدث أروع في هذا الحوار الشائق الذي يجري في فصول كتابه.

ولا شك أن الدكتور طه حسين بكتابه الرائع «على هامش السيرة» قد غذى الأدب العربي الحديث بلون من الفن القصصي الرائع، فيه تحليل الشخصيات وتصوير المشاهد كأروع ما يكون التحليل والتصوير، وفيه عرض للأفكار العميقة الناضجة في أسلوب ممتع شائق.

المسألة الجنسية

لأوجست فوريل

ترجمة الدكتور صبرى جرجس

جزءان الأول فى ٢٨٠ صفحة
والثانى فى ٢٥٠ صفحة

الدكتور أوجست فوريل من أعظم الرواد فى بحث المسائل الجنسية ، ودراساته الذائعة الصيت فى هذا الموضوع الخطير لا تقل أهمية وخطورة عن دراسات هافلوك إليس وكرافت إيبنج وأمثالهما . ويعتبر كتاب أوجست فوريل عن المسألة الجنسية الدعامة الأولى التى استند إليها معظم العلماء المعاصرين فى بحث مختلف الأعراض المتعلقة بالمسائل من الوجهتين الفزيولوجية والاجتماعية

وقد أحدث هذا الكتاب أثراً كبيراً فى العلامة النمسوى سيجموند فرويد الذى صرح فى رسالته عن (علاقة الشعب بالحياة الجنسية) انه لا يمكنك أن تقرأ كتاب أوجست فوريل وتعتبره مرجعا لا يمكن أن يستغنى عنه أى طبيب

ولم يدع فوريل فى كتابه أى مرض من الأعراض الجنسية الفزيولوجية إلا وأفاض فى بحثه وتحليله وشرح أسبابه . وإليك أهم الموضوعات التى عالجها بأسلوب علمى دقيق يقوم على الملاحظة والاستقراء : التناسل فى الكائنات الحية ، الاختلاف بين الجنسين ، الحب والعواطف المنحدرة من الناحية الجنسية ، الزواج والحياة التناسلية ، المسألة الجنسية وعلاقتها بالتربية والاقتصاد والفن

وقد أبدع المؤلف فى دراسة الأثر العميق الذى تحدثه الحياة الجنسية فى أنظمة الجماعة وتقاليدها وعاداتها لم يكن طبيا فحسب بل كان عاملا اجتماعيا أيضا

وليس شك فى أن الشعوب الشرقية العربية أحوج ما تكون إلى مثل هذا الكتاب الذى يلقى ضوءاً ساطعا على حياة الفرد الخاصة فيبين له السبيل المؤدية إلى حفظ التوازن بين غرائزه الجنسية وبين الواجبات التى تطالبه بأدائها نحو المجتمع

وقد اعتاد الناس ما إسدال حجاب كثيف على المسائل الجنسية واعتبار بحثها أو الإشارة إليها خطراً على الأخلاق، ولكن الواقع يدل على أن الجهل بحقيقة المسائل الجنسية هو الخطر على الأخلاق . وما دام الطبيب يبحث تلك المسائل بحثا علميا تجريبيا بحتا ، فلا خوف من أن يؤدى بحثه إلى إثارة الغرائز أو إفساد الأخلاق ، بل هو على العكس يدفع بنا إلى محاولة التحرر من غرائزنا والتسامى بها . وهذا ما يبدو واضحا فى كتاب أوجست فوريل الذى نقله إلى العربية الدكتور صبرى جرجس فى أمانة مطلقة وفى أسلوب علمى بسيط فأدى بذلك خدمة جليلة لمصر ولشعوب الشرق العربى قاطبة

الوحدة السورية ومستقبل العرب

للأستاذ ادمون رباط

مطبعة مارسيل ريفيير بباريس . فى ٤٠٠ صفحة

الأستاذ ادمون رباط من النواب السوريين البارزين ومن أعظم مفكرى سوريا وأغزرهم ثقافة وأكثرهم توفراً على دراسة مختلف المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بحياة سوريا . وهو إلى ذلك وطنى ملتهب العاطفة صادق الإيمان يدعو إلى الوحدة السورية

والى مستقبل سعيد لبلاده ولشعوب العربية جمعاء

وقد وضع كتابه عن (الوحدة السورية ومستقبل العرب) باللغة الفرنسية لتنوير الأوربيين عامة والفرنسيين خاصة عن آمال ورغبات السوريين توثيقاً لعرى التفاهم بين فرنسا وسوريا على قاعدة الحق والعدل وإنصاف السوريين والحركة العربية

وقد عالج الأستاذ رباط في كتابه موضوعات من الأهمية بمكان عظيم وهي (الأمة العربية) و (الاستقلال اللساني) و (الولايات المتحدة العربية) و (فرنسا في سوريا) . وتوخى في إعداده بساطة الأسلوب ووضوحه ودقة البرهنة المستمدة من حوادث التاريخ الأخيرة، فجاء كتابه مرجعاً لا يستغنى عنه كل سوري وكل عربي

ومن أروع ما ورد في كتابه قوله : « إن وحدتنا الوطنية تنشق من العروبة وتمتد وتتراص وتستقر في الشرق العربي »

وأيضاً : « إن الخطر الذي يهدد العمل الفرنسي في سورية ويهدد الرقابة الفرنسية لا يكمن في النهضة العربية بل في مقاومة فرنسا روح هذه النهضة »

أمثال العبارات المقتبسة تدلك أتم الدلالة على قيمة هذا الكتاب وما يمكن أن يحدثه في أوربا وخاصة في فرنسا من أثر نافع عميق

مجلة مجمع اللغة العربية الملكي

المطبعة الأميرية في ٣٢٥ صفحة

أخرج مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الثالث من مجلة المجمع حافلاً بشتى الأبحاث والمصطلحات العربية المستحدثة التي تعود ولا شك بأجزل الفوائد على كل قارىء عربي

وفي هذا الجزء من مجلة المجمع قرار عام عن طبع معجم للمستشرق الألماني الأستاذ فيشر وقرارات أخرى عن المعجم الاصطلاحي العلمي ووضع المعجم اللغوي الوسيط

وفي هذا الجزء أيضاً طائفة من المصطلحات الحديثة في الآداب والفنون وفي العلوم الطبيعية وفي علوم الأحياء لا غنى عنها لكتاب العربية وأدبائها وجميع المشتغلين منهم بالعلوم العصرية والمضطلعين بنقل آثار الفكر الأوربي إلى لغتنا العربية

أناشيد دينية

للأستاذ محمود أبو الوفا

مطبعة مصر . في ٢٥ صفحة

الأستاذ محمود أبو الوفا من أجزل شعراء مصر أسلوباً وأرقهم عاطفة وأصدقهم شاعرية . وقد استفاضت شهرته عندما أخرج ديوان (أنفاس محترقة) و (الأعشاب) وقد ابتكر لأول مرة فكرة وضع أناشيد دينية عن الصلاة والصوم والزكاة وليلة القدر والحج والهجرة والمولد النبوي والإسراء ، فجاءت هذه الأناشيد قطعة شبه جنة عطرية يفوح منها عطر الإسلام

وتمتاز أناشيد الأستاذ أبو الوفا برقتها وسلاستها والصورة المزركشة فيها وشيوع الإيمان الديني الصادق بين أبياتها مما يحض تدريسها على الطلبة فرضاً واجباً

وقد أبدع الشاعر في وضع النشيد الديني لطلبة الثلاث عروش مما يدل أتم الدلالة على أن إخلاصه لمقامات الملكية الكريمة ينبع من إخلاصه للوطن والإسلام

مسبحة الصوفى

Le Chapelet d'un Mystique

للأستاذ راجى الراعى

مطبعة الجليل ـ بيروت ـ فى ٥٠ صفحة

يعرف القراء الأستاذ راجى الراعى من مختلف المقالات والكلمات المختارة الشائقة التى نشرها على صفحات «الهلال»

والأستاذ الراعى يسمو سموا ظاهراً فى الحكم الفلسفية والكلم المختارة المركزة التى يودعها خلاصة تجاريبه ونظراته الى الحياة . وهو أديب حساس دقيق الملاحظة ثائر النفس لا يكاد يقع على عاطفة غريبة أو فكرة خطيرة أو انفعال نفسانى عميق حتى يسرع الى تصوير تلك الفكرة أو ذلك الانفعال سالكا مسلك بعض كبار كتاب الغرب أمثال لاروشفوكو وجوبير وجان روستان

وكتاب (مسبحة الصوفى) هو طاقة من تلك الكلم المختارة وضعه المؤلف بالفرنسية فدل على معرفة واسعة بهذه اللغة لا تقل عن معرفته باللغة العربية وأسرارها

ومن أبدع ما فى الكتاب هذه الكلمات

«إن التأمل يجنب الانسان العمل»

«أزهار الشعر تحمل أحلامها لتحتضر فى النثر»

«الحب يشتعل وينفصل ويتبدد فى القبلات»

«ثبات الانسان فى عمله دليل على تحدى القدر»

وأمثال هذه الكلمات الرائعة فى الكتاب كثير ، ومنها يتضح للقارىء مبلغ المشقة التى عاناها المؤلف فى وضعها بهذه الصورة الدقيقة المركزة

المصاعب اللغوية والثقافية والاجتماعية

التى تعترض الكاتب العربى المعاصر ولا سيما فى مصر

للدكتور بشر فارس

مطبعة جوتنر باريس ـ فى ٢٢ صفحة

عرض الدكتور بشر فارس فى هذه الرسالة التى نشرتها مجلة الدراسات الاسلامية ، لموضوع خطير يصطدم به كل كاتب عربى معاصر وهو موضوع المصاعب المختلفة التى تعترضه وتقف عثرة فى سبيل انطلاقه الفكرى

وقد أجمل الدكتور بشر فارس تلك المصاعب فيما يلى :

أولا ـ نقص المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية الحديثة فى اللغة العربية وعناد كتاب العرب فيما مضى على التهرب من دقة العبارة ووضوحها بحيث نشأت لديهم ملكة الاستعانة بالمترادفات التى يحتجب فيها الفكر الواضح السليم

ثانيا ـ شيوع التنميق فى الأدب القديم والبحث عن الغريب من الاستعارات والكنايات التى لا تنهض على أساس من الواقع

ثالثا ـ تضييق نطاق الحرية الفكرية من جراء تحكم الأفكار والتقاليد المتبعة من عقول بعض المحافظين

رابعا ـ المجتمع المصرى المتردد بين حضارتين

هذه هى أهم المصاعب التى تعترض فى نظر الدكتور بشر فارس الكاتب العربى المصرى المعاصر . والواقع أن الدكتور على حق فى نظريته ، وان كل من عالج الكتابة فى مصر لابد يدرك خطورة هذا الموضوع المتعلق بمستقبل ثقافتنا ، فعسى أن يترجم الدكتور بشر فارس رسالته الى العربية كى يتناولها أدباؤنا بالدرس والتحليل فهى مثار بحث شائق لجميع كتاب العربية

العواطف

للأستاذ محمد صالح بحر العلوم

مطبعة الراعي بالنجف . في ١٠٠ صفحة

يمتاز ديوان (العواطف) للشاعر المحقق محمد صالح بحر العلوم بنزعة اجتماعية إصلاحية تدل على عقل متحرر ونفس زاخرة بالمشاعر الإنسانية . وتبدو نزعة الإصلاح مقترنة بعاطفة الرحمة في قصائد الشاعر مثل (الحلم المتصور أو فلاح القرية) و (ثورة الفلاح) و (الفلاح)

والواقع أن الأستاذ المؤلف يمثل شعراء تحت الانقياد للروح المبدعة في الشعر العربي ، وهو يبحث في ديوانه عن وحي جديد ، ويستمد هذا الوحي من حياة الطبقة المسحوقة ولا سيما طبقة الفلاحين . فهو شاعر شعبي النزعة يعرف كيف يصف ريف بلاده ويحس به ويجيد التعبير عن شقاء أهله . وهذا الشعر الجديد في الشعر العربي يكسب ديوانه لونا طريفا حيا

شاعريات

للأستاذ عبد الحميد مصطفى خليل

مطبعة مصر . في ١٢ صفحة

قد يتسع النثر في بعض الأحيان لألوان من الفكر والخيال لا يتسع لها الشعر . ولا شك في أن مجال التفكير في الشعر ضيق محدود إلا عند كبار الشعراء . أما في النثر فيستطيع الكاتب أن يجمع بين استقامة التفكير وعمق التصور والخيال . وهذا التوفيق بين الخيال والفكر يتمثل في الشعر المنثور وفي كتاب (شاعريات) الذي وضعه الأستاذ عبد الحميد مصطفى خليل

في هذا الكتاب قصائد نثرية بديعة الحبك عزيزة تنم عن روح شاعر حساس وعقل مفكر مثقف . وأجمل هذه القصائد النثرية (صرخة حجر) و (الشاعر المصور) و (الراهبة الحسناء) وكلها تحمل طابع التصور الملتهب والعاطفة المشبوبة وقوة الإحساس بعظمة الكون وجمال الطبيعة

رسائل

للأستاذ عيسى السفري

مطبعة مكتبة فلسطين يافا . في ١٢٦ صفحة

تتجلى في هذا الكتاب روح الشباب الفلسطيني وحماسته وتوقه إلى الحرية ورغبته إلى تشييد مجد قومي عربي ثابت الدعائم موطد الأركان

وقد تناول الأستاذ عيسى السفري في هذا الكتاب موضوعات اجتماعية وسياسية خطيرة أهمها (أركان المجتمع) و (هدفنا في الحياة) و (الدين والعلم) وعالجها بأسلوب تقترن فيه دقة الملاحظة بمتانة العبارة في شيء من النثر الشعري الشائق الجميل

وفي الكتاب خلاصة عدة أبحاث عن التجدد في نفوس الأمة وعن الصور الاجتماعية والقصصية التي تعوق حركة التقدم ، وعن الخلاف بين القديم والجديد . وقد وفاها المؤلف حقها من الدراسة والتحليل ودل بها على ذهن متحرر وعقل مثقف الثقافة الحديثة

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب أيضا بحث مستفيض عن جبران خليل جبران يذكرنا بالأبحاث الطريفة التي وضعها الكاتب النمسوي ستيفان زفايج عن (تولستوي) و (نيتشه) و (دستويفسكي)

الأدب في شهر

ترجمة ابن خلدون الى البولونية

ظهرت في عاصمة بولونيا ترجمة جديدة لمقدمة ابن خلدون ، وقد ورد في التصدير الذي وضعه الناشر أن في نية العناية نقل آثار عربية أخرى الى اللغة البولونية ولا سيما أشعار المتنبي وأبي العلاء ، ومجموعة من النثر العربي الحديث وبعض مؤلفات شوقي

ظاهرة سياسية غريبة

من أغرب الظواهر في الحياة السياسية الفرنسية أن المسيو توريز سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي ألقى في الشهر الماضي خطبة دعا فيها الكاثوليك الفرنسيين الى التعاون مع حزبه . وقد صرح بأن عدداً كبيراً من وجوه الكاثوليك قبل فكرة التعاون ورحب بها . والأعجب في هذا الشأن أن فريقاً من أنصار فرنسا الاحرار قد أيدوا فكرة التعاون وأذاعوا نشرة تقول بالتقرب من هذه الحركة لو تخففت قليلاً من تطرف الافكار الشيوعية وصبغها صبغة ديموقراطية معقولة وتوفق آخر الامر بين روح الاشتراكية وروح الدين

انذار لأوربا

وضع الكاتب الألماني الكبير توماس مان الفائز بجائزة نوبل في الآداب كتاباً بالعنوان تقدم أحدث ضجة كبيرة في الأندية الاجتماعية والسياسية في فرنسا وأمريكا وانجلترا . وقد دافع توماس مان في كتابه دفاعاً حاراً عن حرية الفكر المهتكة في ألمانيا بلاده ووطنه ، ووجه الى الدول الأوربية انذاراً خطيراً يتعلق بحاضرها وكيانها السياسي ومستقبل ثقافتها . ومما قال في هذا الكتاب الرائع ان شعوب أوربا ولا سيما في ألمانيا وايطاليا قد استعاضت عن مبدأ الحرية الفردية وعن حق الفرد في انتقاد أعمال الحكومات وتصرف رجال السياسة ، بمبدأ الخضوع الأعمى لمجموعة أفكار ومبادئ يفرضها الدكتاتوريون على سواد الشعب ويجعلون منها شبه عقائد دينية لا تقبل الجدل

ويرى توماس مان أن الجماهير في ألمانيا وايطاليا أصبحت فريسة مرض أطلق عليه اسم (نشوة الطاعة) ، وان هذا المرض أفقد تلك الجماهير استقلالها الشخصي ، وقضى على مواهبها الوراثية ، وأجهز على حرية الفرد المقدسة التي أعلنتها الثورة الفرنسية ، وجعل تلك الجماهير مهيأة في أية لحظة لاضرام نار حرب عالمية هائلة

ويقترح توماس مان في مقال نشرته صحيفة أسبوعية عقد مؤتمر من كبار ساسة أوربا لتقرير واجبات الفرد وحقوقه تجاه نظام الدولة وتجاه السلطات المطلقة التي تتمتع بها بعض الزعماء في الأمم الفاشستية

وتقول الصحيفة الأسبوعية المشار اليها ان وزير خارجية أمريكا المستر كوردل هول وافق على فكرة عقد هذا المؤتمر

وفاة مؤرخ كبير

توفي المؤرخ الفرنسي المشهور المسيو ابل جوري. وكان من الاختصاصيين في دراسة تاريخ اليونان والرومان. وله مؤلف ضخم عن تاريخ الشرق في العالم يقع في أربعة مجلدات ويعتبر مرجعاً عظيماً في هذا الموضوع، وقد توجت الأكاديمية الفرنسية هذا الكتاب ومنحت صاحبه جائزة مالية كبيرة.

ويلاحظ ان في دار الكتب الملكية المصرية نسخة من كتاب تاريخ الشرق يمكن أن يطلع عليها ويتمتع بها كل من يهمه فيعجب بالعصور وتطورها عند مختلف الشعوب

كتاب جديد عن زولا

وضع هنريخ مان شقيق توماس مان كتاباً جديداً عن حياة وأعمال الروائي الفرنسي اميل زولا

وهنريخ مان لا يقل في عالم الأدب الأوربي شهرة عن أخيه. وهو من أكبر دعاة الديموقراطية وأنصارها والمروجين لها. وقد تناول شخصية اميل زولا بصفته من الكتاب الشعبيين الديموقراطيين، وأظهر في أسلوب شائق وتحليل نفساني عميق كيف أن زولا عاش من أجل الشعب، وصور في رواياته سواد الشعب، وأشعر الشعب العامل المجاهد بقوة عمله ومدى جهوده وعظم تأثيره في تكوين حضارة أوربا الحديثة. ومما ورد في كتاب هنريخ مان قوله: «ان جميع الروائيين الألمان الذين ظهروا بعد الحرب السبعينية وأنشأوا الأدب القصصي الألماني الحديث هم في الواقع تلامذة موباسان وفلوبير واميل زولا»

روسيا السوفيتية وفكرة الأسرة

كان معظم زعماء روسيا السوفيتية من أنصار هدم نظام الأسرة ومنح الزوجين حريتهما الكاملة في الطلاق من دون النزاع بينهما. ولكن هذا التيار الاجتماعي قد تحول الآن وظهرت في روسيا حركة جديدة ترمي الى توطيد صروح الأسرة وتقييد حق الطلاق والاعتراف لرب العائلة بسلطة استثنائية

وقد نشأت هذه الحركة عن اسراف بعض النساء في طلب الطلاق لأتفه الأسباب، ومن عجز عدد كبير من الأزواج عن الانفاق على أبنائهم بعد الطلاق

ومما يدل على شيوع هذه الحركة الجديدة أن المطابع الروسية أخرجت في الشهر الماضي فقط خمسة عشر كتاباً في هذا الموضوع الاجتماعي الخطير

قصة يطبع منها مائة الف نسخة في شهرين

أخرجت كاتبة فرنسية مجهولة هي مدام ريموند سان قصة طويلة عنوانها «الريف» ولم تكد توزع هذه القصة على الأدباء ويتناولها النقاد بالبحث حتى غدت صاحبتها فأصبحت بين عشية وضحاها من أشهر اديبات أوربا

وهذه القصة تمثل في صدق عجيب شخصية فتاة ريفية وتنقلها من الطفولة الى الشباب فالحياة الزوجية. ولقد امتازت القصة بسلاطتها الساذجة وعدم تأثرها بالمذاهب الفنية الحديثة وامتلائها بالاحساسات والعواطف الفطرية السليمة، في اطار من جمال الريف وسحره

وقد بيع من هذه القصة في شهرين فقط مائة ألف نسخة وترجمت إلى أربع لغات أوربية

حداد المسرح الفرنسي

أوقف التمثيل في فرنسا في الشهر الماضي بضع دقائق حدادا على وفاة الكاتب المسرحي فرانسيس دي كروابسيه. وكان هذا الروائي من صفوة أدباء المسرح الكوميدي الباريسي، وقد أحرز شهرة كبيرة عندما مثلت روايته (الملاك) التي عادت عليه بربح يقدر بنصف مليون فرنك والتي مثلت على أحد مسارح أمريكا عامين متواليين. وكان هذا الكاتب من أصدقاء المصريين وقد نشر في صحيفة الفيجارو عدة مقالات شائقة عن مصر الحديثة

اندريه سيجفريد في مصر

استثارت الحركة الأدبية في مصر الشهر الماضي سلسلة المحاضرات القيمة التي ألقاها المفكر الاجتماعي الذائع الصيت اندريه سيجفريد بقاعة مدرسة الليسيه فرانسيه بالقاهرة

والمسيو اندريه سيجفريد من كبار أساتذة الكوليج دي فرانس، وهو اخصائي في دراسة حضارة العصر الحاضر ودراسة تاريخ انجلترا وتطورها في هذا القرن. وكانت أمتع محاضراته تلك التي تناول فيها موضوع الحضارة الصناعية وعلاقتها بشخصية الفرد. فأظهر كيف أن الانتاج الصناعي الآلي الحديث يقضي على مواهب الفرد الخالقة المفكرة، ويحيل الفرد نفسه إلى آلة فيعطل حركة التطور ويرجع بالمدنية القهقرى

ومن رأى سيجفريد أن من الضروري عدم القضاء على الصناعات اليدوية التي يتجلى فيها فن الصانع وتتمثل في جانب عبقرية العقل البشري المتأمل. وقد قوبلت هذه المحاضرة بالاعجاب التام

الأدب المصري الحديث في أوربا

اعتزم المسيو جورج حنين وهو من الأدباء القلائل الذين يعيشون في مصر ويجيدون اللغتين الفرنسية والعربية، أن ينقل إلى اللغة الفرنسية مجموعة من القصص القصيرة لبعض أدباء مصر. والمسيو جورج حنين كاتب معروف في فرنسا وله قصة شائقة عنوان (الأوهام الفائقة) لاقت في فرنسا أعظم تقدير. وقد شرع الآن في ترجمة أربع قصص هي (الشيخ جمعه) لمحمود تيمور و(الخروف) لابراهيم المصري و(سخرية الناي) لطاهر لاشين و(السجين) لحسن محمود

مصير اسبانيا

ظهر أخيرا في انجلترا كتاب لأديب اسباني يحمل عنوان طريقنا يدور موضوعه حول مصير اسبانيا بعد الحرب الأهلية الراهنة. ويرى هذا الأديب الاسباني أن اسبانيا المقبلة ستتجه في طريق الديموقراطية وستناصر الدول الديموقراطية الكبرى حتى ولو انتصر الجنرال فرانكو نصرة نهائية

وحجة الكاتب في هذا الرأي أن كتلة العمال في اسبانيا قوية جدا ومتحمسة على غير وجه وان الجنرال فرانكو سيضطر في حالة انتصاره إلى تملقها وكسب ثقتها ومعاونة رجالها حتى يرضيها ويرضي المحافظين الكاثوليك الذين ساعدوه في الحرب. ويرى الكاتب الاسباني أن فرانكو سيسعى إلى مرضاة الكاثوليك باعلاء شأن هذا

للنهب في اسبانيا وإسناد بعض المناصب الكبيرة وجوه الكاثوليك ، أي أنه سيرضي الكاثوليك في الصمت ، ثم يجتهد في اخماد ثورات العمال واعتصاماتهم عليه بإنشاء نوع من الحكومة الدستورية التي تعترف بحرية الأحزاب ، وتوثيق صلاته بالأمتين الديموقراطيتين الكبيرتين أي انجلترا وفرنسا . ويعتقد الكاتب أن اسبانيا النهضة الحرة لا بد أن تخضع في المستقبل للأحوال الأوربية فتتأثر بحركات البناء والتعمير

جائزة جيته

وضع الألمان جائزة مالية كبيرة باسم جائزة جيته . وقد فاز بها الكاتب اروين جيدو كولبنهاير تقديراً لأعماله الأدبية التي ترسم فيها خطوات جيته ، ويحاول الاقتداء به من حيث وضوح الأسلوب ومتانة العبارة وصفاء الذهن الفلسفي وتمجيد الحضارة الأوربية

موريس روستان ومسرحيته الجديدة

موريس روستان هو ابن الشاعر الشهير ادمون روستان وهو شاعر كأبيه ومؤلف مسرحي وقصصي . وقد مثلت له أخيراً على مسرح « الاوديون » في باريس رواية عن (كاترين امبراطورة روسيا) حاول أن يظهر في تلك المرأة العظيمة بمظهر مخلوقة طغت فيها خصائص الرجولة على مميزات الانوثة فكانت انساناً خارقاً وشخصية فذة

وقد لاحظ النقاد على مسرحية موريس روستان التي يمتزج فيها النثر بالشعر ، ان الجزء النثري منها قوي والجزء الشعري ضعيف ، واستخلصوا مما تقدم أن موريس روستان يجهل سر موهبته ، وأنه في الواقع ليس شاعراً كما يعتقد ، بل هو من أنبغ الناثرين الفرنسيين في العصر الحديث

ولكن موريس لا يؤمن بهذا ، وسيخرج رواية جديدة كتبت كلها شعراً على سنن روايته القديمة التي لم تعجب النقاد

جوليان بندا وشخصية المفكر

يعتبر جوليان بندا في مقدمة أدباء أوربا الذين يقدسون حرية الفكر الانساني ويعملون لتطهير شخصية المفكر العصري من الوثنات التعصبية التي منيت بها

وقد ظهر لجوليان بندا كتاب عنوانه « إيضاحات جديدة » حمل فيه حملة شعواء على أولئك المفكرين الذين يتنازلون عن حرياتهم وكرامتهم واستقلالهم للدفاع عن سياسة حزب من الأحزاب . ويرى (بندا) ان مهمة المفكر هي التعصب للعدل والحقيقة فقط ، وهي السمو فوق الأحزاب للتمكن من خدمة العدل والحقيقة في إخلاص مجرد عن المطامع الشخصية والاهواء المادية

ويعتقد هذا الكاتب أن من الخطر على المفكر الحر أن ينضم انضماماً كلياً الى حزب ما ، لأن الحزب السياسي قد تضطره ظروف الحياة الى التضحية بشيء من مثله الأعلى في العدل والحقيقة ليجمع ويجتذب ويزيد عدد أنصاره . وقد يكون الحزب على حق في اتباع هذه الخطة ، ولكن واجب المفكر ، أي الكاتب الحر ، ألا يتنازل عن حقه على الاطلاق ، وأن يعمل دائماً أبداً ويناضل لبناء الحقيقة المجردة واضعاً نصب عينيه خدمة مثله الأعلى كاملاً . وبهذه الطريقة وحدها يخدم الحزب ويخدم وطنه ومجموع الانسانية

بين الهلال وقرائه

تشييط الشعر وحلقه

(الموصل — العراق) عبد الجليل البصري

أصحيح أن تشييط شعر الرأس وحلقه بالموسى يؤديان إلى نموه ؟

(الهلال) هذه خرافة شائعة بين العامة وبعض الحلاقين يساعدون على رواجها . والحقيقة أنه لا تشييط الشعر ولا حلقه يؤدي إلى إنمائه ولعل العكس هو الأقرب إلى الصواب فقد يتساقط الشعر بحلقه حلقاً متتابعاً

مرارة الخيار والفقوس

(بئر السبع — فلسطين) شكري زرق

لماذا تكون مرارة الخيار في قشرته ومرارة الفقوس في لبه ؟

(الهلال) ليست مرارة الخيار في قشرته فقط بل هي في لبه كذلك كمرارة الفقوس تماماً

سبب هزال الجسم

(بيروت — لبنان) ك

لي صديق عرفته منذ صغره ، كان قوي البنية صلب العود متين العضل ، وما فتئ منذ الرشد هزل جسمه وضعفت قوته وعزبت عنه [illegible] ورونق أعضائه ، فهل تظنون أن سبب هذا ممارسته العادة السرية ؟

(الهلال) هذا هو الأرجح إلا إذا استطاع الطبيب تعليل حالته تعليلاً آخر معقولاً . ولا شك أن ممارسة تلك العادة تجر مع ممارستها بلايا كثيرة ، ولا علاج الشاب منها إلا الإكثار من الرياضة في الهواء الطلق وممارسة الألعاب الرياضية والاقتصار على أنواع خاصة من الغذاء

علم السياسة

(إربد — شرق الأردن) [illegible]

أصبح الآن رسالة في علم السياسة . فهل من أحدث كتب ألفت بالعربية في هذا الموضوع ؟ وما هو الكتاب الذي يدرس بمعهد الحقوق المصري في علم السياسة ؟

(الهلال) لم توضع في العربية كتب كثيرة في علم السياسة . ونشير عليك بكتب : (١) تاريخ النظم السياسية للدكتور زكي عبد المتعال الأستاذ بكلية الحقوق المصرية (٢) علم الدولة للأستاذ أحمد وهبي وهو موسوعة شاملة دقيقة صدر منها جملة أجزاء آخرها جزء خاص بعصبة الأمم

وعلم السياسة لا يدرس في كلية الحقوق المصرية وإنما في كلية التجارة . وليس له مدرس بها أستاذ مصري ولهذا لم يوضع فيه بالعربية سوى الكتابين المذكورين

عبد الله نديم والمسيحية

(الزقازيق — مصر) أحمد الزول

سمعت أحدهم يقول إن عبد الله نديم الكاتب الخطيب المعروف قد ترك الإسلام واعتنق المسيحية في أواخر حياته . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لعبد الله نديم صورة شمسية في مسوح القسس ، وعلى رأسه عمامة سوداء كالتي يلبسها هؤلاء ، ولعل هذه الصورة هي التي جعلت صاحبك يزعم أن عبد الله نديم اعتنق المسيحية . والواقع أن الذي حمله على التزيي بهذا الزي أنه كان مختفياً عقب الثورة العرابية وليس من رجالها ، وكان عبد الله نديم من أبرزهم وأنبههم ، اختفى عن الأنظار تسعة أعوام ، كان في أثنائها يتنقل بين بلدان القطر وقراه ، متنكراً بملابس مختلفة . فتارة يلبس ملابس أهل المغرب ، أو أهل اليمن ، أو عرب الفيوم ، أو قسس الأقباط . وكان ذكياً سريع الخاطر ، يتكلف عند الحديث باللهجة التي توافق زيه ودعواه

وقد أعيا الحكومة أمره ، وجعلت ألف جنيه عطاء لمن يرشد عنه . وبسبب تنكره بهذه الطريقة بعيداً عن قبضة الحكومة ، بفضل ذكائه وبراعته

أولاً ، ويحصل من كانوا حوله ويحذرونه ويكتمون أمره ولا يرشدون عنه . ولكن بعض الفلاحين في القطاء وشى به أميراً مقرباً من الحكومة ، ولكن موعد القطاء كان قد انقضى ، ثم بين من أرشد إليه شيئاً . وقد نفاه الخديو توفيق بعد هذا وقته إلى سوريا حيث نزل بيافا ، ثم عاد إلى مصر في عهد الخديو عباس الثاني ، واستأنف الجهاد ضد الاحتلال الانجليزي ، وأنشأ مجلة « الاستاذ » التي كانت تناصر الخديو وتقاوم العميد البريطاني

ومن هنا ترون أن عبد الله نديم لم يحمل العصبية ولكنه كان دائماً يدعو إلى الوئام بين المصريين ، وهو الذي قال :

« ينضم المسلم إلى المسلم تثبيتاً للوحدة الدينية ، وينضم الإنسان إلى القبطي واليهودي تثبيتاً للوحدة الوطنية . ولكن شعار الجميع مصر للمصريين »

انقلاب جنس الحيوان

(القاهرة — مصر) ا . ح .

ذكر لي صديق أنه كان يملك دجاجة تبيض ، ثم انقطعت عن وضع البيض عدة شهور ، ثم تحول شكلها رويداً حتى صارت تشبه الديك . وقد وجد بعد ذلك أن هذه الدجاجة تؤذي غيرها من الدجاج ، الوطنية التي يؤذيها الحدث ! فهل تصدقون هذه الحادثة العجيبة ، وهل تستطيعون تفسيرها ؟

(الهلال) نعم نصدق هذه الحادثة ، فقد ذكر العلماء حوادث تشبهها . وقد صار من المقرر في علم الحياة وجود حالة تطلق عليها اسم « انقلاب الجنس » Sex Reversal ، أي أن الذكر من طائر أو حيوان يتحول أنثى ، والأنثى تتحول ذكراً . وقد وصف كثير من العلماء عدة حالات التي انقلبت حيوانات شتى وصفاً دقيقاً لا يدع مجالاً للشك فيها

وقد قرأنا في كتاب « الوراثة » الذي وضعه الدكتور محمد ناصر الحفني أمثلة شتى عن هذه الحالة الغريبة ، فقد ذكر من أنه يجوز أن بعض الأسماك عرضة لانقلابات جنسية كثيرة ، فقد أن بعض الإناث صغارها ، تظهر عليها علامات الذكور ، ثم تتحول إلى الجنس الآخر تحولاً تاماً . ويحدث هذا في الضفادع وغيرها من الحيوانات الثانية الأرومة . ولكنه كثر حدوثاً في الطيور . وقد تتبع العلماء تاريخ بعض الدجاج ، وبعض الحمام ، فوصفوا كيف تحولت الاناث مكتملات صفات الأنوثة ، ذكوراً مكتملة صفات الذكورة

وأغرب من هذا ما ذكره كولور سنة ١٩٢٨ عن عنزة حلوب وقد تحولت تيساً بعد أن نبتت قرون ، وسلكت مسلك غيره من التيوس

وقد ذكر عدد من علماء الحيوان أن انقلاب الجنس يحصل في الانسان أيضاً ، ووصفت حالات من حالات هذا الانقلاب

وروى القارئ في عدد مايو الماضي ستة من « تغيير جنس الطير » بواسطة عملية جراحية دقيقة يمكن بهذه العملية وبحقن خلاصة من أن يحولوا الذكور إناثاً ، والاناث ذكوراً ، فنقل الصعد غدة من طير إلى آخر ونتج من هذا التغيير تغير في الظواهر الأخرى كتغير لون الريش ، ونمو أطراف وأعضاء أخرى ، وتغير الصوت والطباع كذلك

السوفسطائيون

(بغداد — العراق) علي الراضي

سمع أحدهم يسب كثيراً أو يتهكم ، فيقول له : أنت سوفسطائي . فما معنى هذه الكلمة ؟

(الهلال) هذه الكلمة يونانية الأصل ، ومعناها حكيم أو مفكر . ولكن الناس أساءوا استعمالها فصاروا يطلقونها على من يكابر ويغالط في ذلك

وقد ظهر في اليونان (٤٥٠ — ٤٠٠ ق . م) جماعة من الفلاسفة أطلق عليهم اسم (السوفسطائيين) أي الحكماء . وكان همهم أن يبثوا في أرجاء اليونان تعاليم الحكمة ، ويعلموا الناس الحرية . وقد أثاروا البحث في هذا الشأن وتفتحهم إلى البحث في أصول الأخلاق ، وقواعد الدين ، فجاءوا فيها بآراء جديدة تركت أثراً ظاهراً في تاريخ الفلسفة . وثار عليهم لهذا كثير من الفلاسفة ، منهم أفلاطون الذي انتقد آراءهم انتقاداً شديداً

ولكن خصومهم يتهمونهم بالتلاعب بالألفاظ ، فيبسطون الباطل بوجه الحق ، ويلمعون بسعي كل من يخالفه

وتلاعب سفسطياً ، وصارت « السفسطة » مثلاً للمكابرة في الحق والمغالطة في الجدل . ولكن الواقع أن مدرسة السوفسطائيين من أبرز المدارس الفلسفية وأبعدها أثراً في تاريخ الفكر الانساني

تاريخ الآداب

(القاهرة — مصر) محمد حمدي

أريد أن أدرس تاريخ الآداب الفرنسية والألمانية والروسية ، فأرجو أن تعينوا لي كتاباً عن كل من هذه الآداب . مع مراعاة أني طالب ثانوي لا أقرأ الانجليزية الا مستعيناً بالمعاجم

(الهلال) نرى أن الكتب التالية تلم بجميع هذه الآداب إلماماً وافياً ، وأسلوبها بسيط الى حد كبير فلا تشق قراءتها على طالب ثانوي متفوق في الانجليزية وهي :

1. Landmarks in French Literature by Lytton Strachey
2. The Literature of Germany by Prof. J. G. Robertson
3. An Outline of Russian Literature by Maurice Baring

إميل لودفيج

(القاهرة — مصر) و. ث

ما هي أشهر مؤلفات اميل لودفيج ؟ وأرجو أن تذكروا نبذة وجيزة عنه !

(الهلال) اميل لودفيج كاتب يهودي ، برع في انشاء « التراجم » واتخذ منها أسلوباً طريفاً . وقد بدأ حياته يكتب قصصاً للمسرح ، ثم فصولاً للصحف ، ولكن اتجاهه الأدبي استقر أخيراً على انشاء التراجم التي أخرج منها عدداً وافراً تمتاز بمتانة تفكيرها وطرافة أسلوبها ، حتى ليخيل الى من يقرأ الترجمة أنه يحيا مع المترجم بعينه ويستمع اليه

وأشهر هذه التراجم : « جوته » وهو يترجم احاديثه في أسلوب جديد ، و « نابليون » و « بسمارك » و « ميكائيل انجلو » و « رمبرانت » و « [illegible] » والمسيح في كتاب أسماه « ابن الانسان » . وكتب كثيراً عن زعماء أوربا الحديثة ، وله فيهم كتب تحدث فيها عن موسوليني وستالين ومازاريك وبريان وهندنبرج وغيرهم

وآخر كتبه كتاب « النيل : حياة نهر عظيم » وقد تحدث الاستاذ العقاد عن ترجمته في أعداد مضت من « الهلال » . وهو يكتب بالألمانية وتترجم مؤلفاته في كثير من اللغات الأخرى عقب صدورها . ولكنه لا يعيش الآن في ألمانيا فقد نفي منها . كما نفي أكثر اليهود — عقب قيام الحكومة النازية

تسجيل الأدوية

(سان باولو — البرازيل) عبد الله ابراهيم

وفق طبيب أعرفه الى تكوين أربعة أدوية ، تناولها كثير من المرضى فشفوا مما ألم بهم . وقد أراد أن يسجل هذه الأدوية في مصر ، فاتفق على أن يسافر اليها . ولكنه يريد أن يعرف ما هي شروط التسجيل بها قبل أن يقدم اليها

(الهلال) اذا أراد طبيب أو صيدلي أن يسجل دواء اخترعه ، قدم طلباً الى وزارة الصحة العمومية مبيناً المواد التي يتألف منها الدواء ، ونسبة كل منها . ويرسل كذلك نموذجاً « عينة » منه ليبحث ويرى خلوها من الضرر . فاذا ثبت لوزارة الصحة أن الدواء وفق البيان الذي قدمه الطبيب أو الصيدلي ، وأنه لا يحدث ضرراً لمن يتناوله ، أقرته وأباحت لصاحبه بيعه للجمهور

ثم يقدم صاحب الدواء طلباً الى المحكمة المختلطة يطلب فيه تسجيل هذا الدواء الذي أقرته وزارة الصحة ، فتسجله المحكمة وتعطيه رقم تسجيل مقابل رسم بسيط . وعند هذا يستطيع صاحب الدواء أن يقاضي من يقلد دواءه ، أو ينتحل اسمه ويطلقه على دواء آخر . وهنا لا نرى ضرورة لسفركم من البرازيل الى مصر . ويمكنكم أن ترسلوا عينات ومواد هذه الأدوية الى وزارة الصحة حيث تفحص فتقبل أو ترفض

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في البرازيل		Snr. M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه عبده سكاف
في انطاكية	سوريا	ايلي افندي انطونيوس لادقاني
في اسكندرونه	سوريا	السيد عبد الله قرى
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندي حسني - غرفة الزراعة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي خبي
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندي طباره ٩ شارع ابي بيروت
في صعيد		زكريا افندي الطراوي، ناظر مدرسة الطراوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب مكتبة العصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي النحاس ص. ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentina)
في جاوه		Mr. Abdullah Bin Afifi—Cheribon Java
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

الروح الجامعي
وكيف نشيعه في نفوس الطلاب

بقلم الدكتور طه حسين بك
عميد كلية الآداب

ان تقدير الهلال لشخصية الدكتور طه حسين بك هو الذي حدا به لاقتراح هذا الموضوع عليه . وما ذلك الا لعلم الهلال بأن الدكتور هو خير من عالج هذا الموضوع الخطير الوثيق الصلة بنهضتنا الفكرية ومستقبل الثقافة . والهلال في هذا لم يكن متجنيا على الدكتور ، بل مكننا من الوقوف على رأى من يحرص على بث الروح الجامعي في مصر

لم أختر هذا الموضوع مادة لهذا الحديث ، وإنما اقترحه الهلال متحكمة به في ومتحمسة به علي ، وما أكثر ما تتحكم الهلال في أصدقائها من الكتاب ، وما أكثر ما تتحمس به عليهم ! وما أشد إذعان هؤلاء الأصدقاء لهذا التحكم والتحمس ، كأنهم طلاب يقترح عليهم أساتذتهم بين حين وحين هذا الموضوع أو ذاك ، ليكتبوا فيه ما يفتح الله به عليهم من الجيد والردىء ، ومن المائل والمستقيم . وما أظن أحدا يستطيع بعد ان تقدمت السن بالهلال أن يثور بها ويتمرد عليها ، ويخالف عما تصدر اليه بين حين وحين من أمر يطاق أو لا يطاق ، ويستحب أو لا يستحب . فلنكتب اذن في هذا الروح الجامعي الذي هبط الوحي على الهلال بأن تقترحه وتتحمس فيه . وليكتب الله لنا التوفيق فيما يدور في نفسنا من رأى ، وما يجرى على قلمنا من لفظ ، وما نسوق الى قرائنا من حديث .

وأول ما أقول في ذلك اني لا أكاد أتبين معنى واضحا دقيقا محدود الأطراف والنواحي لهذا الذي تسميه الهلال روحا جامعيا وتريد أن نشيعه في نفوس الطلاب . فهذا اللفظ في لغتنا حديث ما أعرف أن عهدنا قد بعد به وما أرى انه قد بلغ العشرين من عمره . وأكبر الظن أنه لم يكد يتجاوز الخامسة عشرة ، وأكبر الظن أنه لم يشع في مصر الا بعد ان انشئت الجامعة المصرية الحكومية وأخذ صاحب المعالي الأستاذ احمد لطفي السيد باشا مدير الجامعة يتحدث عن جامعته ، مبينا ما يفهمه من هذا اللفظ وما يجب أن يفهمه الطلاب والأساتذة ، والنواب والشيوخ أيضا ، من لفظ الجامعة ، وأخذ بعض الأساتذة المصريين الذين اختلفوا الى الجامعات

الهلال

١ فبراير ١٩٣٨

الأوروبية يتحدثون عن الجامعة ومثلها العليا، وعما يفهمون وما يحبون أن يفهم عنهم اذا تحدثوا عن الجامعة ومثلها العليا. وقد يكون من المفيد أن نبحث ونستقصى لو أتيح لنا الوقت وهيئت لنا الفرصة عن أول نص عربى حديث استعمل فيه لفظ الروح الجامعى هذا. ولكن الوقت لا يتاح لنا والفرصة لا تتهيأ. ولعل الهلال لا يرضى بمثل هذا البحث اللغوى التاريخى الثقيل

فالشيء الذى لا شك فيه هو أن اللفظ العربى الفصيح فى نفسه أجنبى للمعنى، قد جلب معناه من أوروبا ومن أمريكا وأسبغ عليه لفظ عربى صريح لا غبار على عربيته ولا شبهة فى صراحته. وهو فى ذلك كالسيارة والطيارة والحاكى والمذياع، ألفاظ تستقيم من الناحية اللغوية استقامة حسنة، ولكنها تدل على أشياء طريفة لم تعرف من قبل. ولو سمع الجاحظ وأشباهه لفظ الروح الجامعى هذا لما فهم منه شيئا ولما انتهى منه الى شيء، الا أن نبين له ما نريد وما نقصد اليه حين نستعمل هذا اللفظ العربى القديم فى هذا المعنى الأجنبى الحديث. ومع ذلك فلا بد من أن نلاحظ شيئين فى ملاحظتهما انصاف وتحقيق. الأول ان معنى الروح الجامعى اذا كان مستحدثا طريفا فى لغتنا فعله ألا يكون مستحدثا من جميع الوجوه، ولعله أن يكون قد وجد عندنا قبل أن تنشأ الجامعة الحكومية أو الحرة، ولعله أن يكون قد وجد قبل هذا العصر الحديث فى القرون الوسطى فى مصر وفى غير مصر من أقطار الأرض الاسلامية التى نظم فيها التعليم على نحو ما، والتى اطردت فيها سنن وعادات جامعة للمشتغلين بالعلم والمنقطعين له والعاكفين عليه. لعله أن يكون قد وجد بل قد وجد بالفعل، ولكن لم نحاول أن نشخصه أو نسميه كما يفعل الأوروبيون والامريكيون وكما نفعل نحن فى هذا العصر الحديث

فليس من شك عندى فى أن لطلاب ومتخصصين من أهل الأزهر الشريف منذ العصور البعيدة قد اصطنعوا لأنفسهم عادات وسننا شغلتهم حينا وفرضت عليهم حينا وثبتوا على مضى الزمان واختلاف الظروف ان الخضوع لها والرغبة عن مراعاتها أصل من أصول الأدب الأزهرى الذى لا تليق المخالفة عنه أو الخروج عليه. وقل مثل هذا فى الذين اشتغلوا بالتعليم المنظم من غير الأزهريين فى معاهد العلم الاسلامى وفى غير القاهرة من مراكز الثقافة الاسلامية. وليس التدريج الصحيح للأزهر وأشباهه من معاهد العلم الا تحقيق هذا الروح الأزهرى الذى يشمل المنتظمين له والعاكفين عليه مهما تختلف ظروفهم ومهما تتغير أطوار حياتهم. وهذا الروح الجامعى قد وجد كذلك فى أوروبا أثناء القرون الوسطى فى البيئات التى نشأت فيها الجامعات القديمة، فكان للجامعة الباريسية روحها الجامعى فى القرن الرابع عشر، كما كان

الهلال

الجزء الرابع — السنة ٤٦

أول فبراير ١٩٣٨ — أول ذي الحجة ١٣٥٦

عنوان المكاتبات:

دار الهلال بمصر — البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

1 February 1938

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Su- [illegible]

P.T. 150 or £ 1-7-0 or $ 6.50

هدايا الهلال

خمسة كتب قيمة الموضوع، شائقة الأسلوب، جميلة الإخراج، أهداها الهلال هذا العام من دفعوا قيمة الاشتراك كاملة وهي:

١ — تاريخ الحب — عرض تاريخي لأقوى عاطفة إنسانية، وضعه الأديب الفرنسي مارسيل بريفو وترجمه الأستاذ إبراهيم المصري

٢ — الماضي الحي — أجمل قصة عاطفية وضعها الأديب الفرنسي العظيم جي دي موباسان

٣ — تاريخ الفن المصري القديم — أول كتاب في هذا الموضوع القيم، للأستاذ محرم كمال الأمين المساعد بالمتحف المصري

٤ — شهور الهلال — أحداث الشرق العربي والعالم الخارجي معروضة عرضاً وافياً في أسلوب بسيط

٥ — متاعب الشباب — حديث شائق عن مسائل تعني الشباب، للأستاذ أحمد قاسم جودة

كل من دفع قيمة الاشتراك السنوي أرسلت إليه هذه الكتب الخمسة النفيسة

لجامعة أوكسفورد وكمبردج روحها الجامعي الخاص الذي تطور مع الزمن ولكننا نستطيع أن نتقصى تاريخه ونشخصه على اختلاف العصور والظروف. ومعنى هذا كله أن الروح الجامعي ليس حديثاً ولا هو من الأشياء التي ابتكرها هذا العصر الذي نعيش فيه. ليس حديثاً في أوروبا وليس حديثاً في الشرق. وإنما التكلم عنه والإشادة به والعناية بإشاعته في نفوس الشباب هو الجديد. ومعنى هذا أيضاً أن الروح الجامعي شيء حي فهو يتطور ويتغير، ويساير في تطوره وتغيره ما يحدث في الحضارة الإنسانية من ألوان التطور والتغير. وما أرتاب في أن الأكاديمي التي كان يشرف عليها أفلاطون والوكيون التي كان يشرف عليه أرسطاطاليس ومدرسة الإسكندرية قد كان لكل منها روحه الجامعي الخاص الذي يشترك فيه الأساتذة والطلاب جميعاً والذي تتوارثه أجيالهم حريصة عليه محتفظة به مجتهدة في حمايته أن يدخل عليه ما ليس منه أو أن يصيبه الضعف من التقصير في حمايته والذود عنه.

هذا أول الأمرين اللذين أردت أن ألاحظهما قبل كل شيء. والأمر الثاني أن الذين يذكرون الروح الجامعي الآن من المصريين لا يكادون يتفقون اتفاقاً دقيقاً على ما يريدون منه وما يدلون به عليه. فالروح الجامعي يختلف باختلاف الجامعات، وهو من أجل ذلك يختلف عند الجامعيين المصريين باختلاف البيئات الجامعية التي نشأوا فيها وتأثروا بما لها من العادات والتقاليد. ومن المحقق أن الروح الجامعي الفرنسي ليس هو بالضبط الروح الجامعي الإنجليزي، بل من المحقق أن الروح الجامعي الإنجليزي نفسه يختلف في إنجلترا اختلافاً شديداً. فهناك الجامعات الإنجليزية القديمة ذات التراث العظيم الذي تحرص عليه أشد الحرص وتذود عنه أعظم الجهاد. وهناك الجامعات الحديثة التي أنشئت في القرن الماضي متبعة الجامعات القديمة أو مكملة ما كان ينقصها. وما من ريب في أن الروح الجامعي في أوكسفورد ليس هو بالضبط الروح الجامعي في كمبردج. ثم ما من ريب في أن الروح الجامعي في لندرة بعيد كل البعد عن أن يطابق الروح الجامعي في هاتين الجامعتين العظيمتين. ومثل هذا يقال في فرنسا بالقياس إلى السوربون وإلى الجامعات الفرنسية في الأقاليم وإلى بعض المعاهد العلمية الحديثة في باريس نفسها، ومثل هذا يقال في ألمانيا وفي إيطاليا. فإذا تجاوزت أوروبا إلى أمريكا فالاختلاف أعظم وأوسع مدى. والأوروبي يبتسم عادة إذا ذكرت له كثير من الجامعات الأمريكية، والأمريكي يضحك كثيراً جداً من تقاليد الجامعات الأوروبية.

فالروح الجامعي إذن شيء مختلف أشد الاختلاف متباين أشد التباين، يختلف باختلاف

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

الظروف والبيئات ويختلف باختلاف الطبائع والأمزجة في الأمم التي تنشأ فيها الجامعات .
فالرياضة البدنية مثلاً عنصر مقوم للروح الجامعي في انجلترا ولكنه ليس كل شيء ، فاذا ذهبت الى فرنسا فالروح الجامعي يستغني استغناء تاما عن الرياضة البدنية في تكوينه ، ويستطيع الشاب الفرنسي أن يكون جامعيّاً بأدق معاني الكلمة وأتمها دون أن يشارك في الألعاب الرياضية أو يكون له حظ من العلم بها قليل أو كثير . فاذا ذهبت الى أمريكا فالألعاب الرياضية هي العنصر الأول الذي يقوم الروح الجامعي ويكون الحياة الجامعية

وعلى هذا فالمصريون الجامعيون اذا ذكروا الروح الجامعي لم يكادوا يتفقون على ما ينبغي أن يفهم من هذا اللفظ . فهم منه السوربوني معنى ، ويفهم منه خريج أكسفورد معنى ، ويفهم منه خريج لندرة وليفربول معنى ، ويفهم منه خريج جامعة برلين أو كمبردج معنى ، ويفهم منه خريج الجامعات الامريكية معنى يكاد يخالف كل هذه المعاني أشد الخلاف

وقد تغيرت معالم الحياة الانسانية في هذا العصر الحديث الذي نعيش فيه ، وكان من أشد مظاهر هذا التغير تقريب مسافات الخلف ومحاولة الغاء الفروق بين الجماعات الانسانية في كثير من انحاء الحياة . فنظمت علاقات بين الجامعات تمكنها من التبادل والتعاون ، ونظمت علاقات بين الطلاب تمكنهم من أن يلتقوا ويتعارفوا ويتزاوروا . ويفهم بعضهم بعضا ويؤثر بعضهم في بعض ، هذا الى أنواع من المواصلات القريبة التي لا يستطيع الانسان أن يخلص منها ، بل هو مضطر الى أن يخضع لها سواء أراد أو لم يرد ، كالكتب والصحف والمجلات والراديو والسينما وما يشبه ذلك . كل هذه الأسباب تقرب بين الناس على اختلافهم من جهة وتتيح لاصحاب الصناعات المتقاربة والمهن المتشابهة أن يرددوا تقاربا وتشابها من جهة أخرى

وقد شهدت أثناء الصيف الماضي في باريس محاولة من هذه المحاولات كان لها في نفسي أبلغ الأثر وأعمقه . فقد عقد في باريس مؤتمر التعليم العالي مثلت فيه جامعات الشرق والغرب ، وسمعت فيه ممثلي الجامعات الأوروبية والامريكية والآسيوية والافريقية يتحدثون عن الجامعة وما يفهمونه من الروح الجامعي . وكانت أحاديثهم ممتعة حقا ، لأنها كانت مختلفة أشد الاختلاف متناقضة أشد التناقض ، ولأنها كانت مع ذلك يسيرة سائغة فهمناها جميعا واستطعنا أن نجادل فيها ونستخلص منها نتائج وقرارات

وهذا هو الذي أريد أن أنتهي اليه بعد هذه الاطالة وبعد هذا التفصيل فأجيب في ايجاز على السؤال الذي ألقته على الهلال : ما الروح الجامعي ؟ وكيف نشيعه في نفوس الطلاب ؟

حضرة صاحبة الجلالة الملكة فريدة

الروح الجامعي الذي يسمو على كل الفروق ويرتفع فوق كل لون من ألوان الخلاف ، هو الذي يميز الإنسان ويميزه من الكائنات الحية كلها ، هو حب الحق والبحث عنه ، هو الرغبة في المعرفة والحرص عليها ، هو الإقبال على العلم من حيث هو لا من حيث ما قد ينتج من الخير أو يحقق من النفع . هذا الروح هو الذي يمكن ممثل الجماعات المختلفة في بيئة أشد الاختلاف من أن يجمعهم صعيد واحد ومن أن ينتهوا إلى نتائج وقرارات

هذا الروح من طبعه أن يرفع الإنسان عن الصغائر وينزهه عن الدنيئات ، لأنه يرفعه عن المنافع العاجلة التي تثير الخصومات الرديئة بين الناس وتفسد صلات الود والحب

الروح الجامعي هو الذي يجعل الناس إخوانا في العلم ، ويقيم أخوتهم على المودة والحب ، وعلى الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات ، هذا هو الروح الجامعي فأما السبيل إلى إشاعته في نفوس الطلاب فيسيرة جداً لأنها لا تكلف صاحبها عنتاً ولا مشقة ، هي أن يكون الأستاذ مثلا صالحا لطلابه لا يفرض عليهم نفسه ولا رأيه ولا يأخذهم بشدة الحاكم ولا يسير فيهم سيرة المتحكم ، وإنما يصطنع معهم روح المودة التي تنشأ من حب العلم والتعاون على تحصيله في غير مماراة ولا تهالك على الخصومة ولا اغترار بالنفس ولا اعتداد بالرأي

الروح الجامعي هو التعاون على طلب الحق ، ولن تشيع بين الطلاب إلا إذا ضربت لهم من نفسك أحسن الأمثال وأصدقها في حب الحق والسعي إليه . ثم يختلف الروح الجامعي بعد ذلك باختلاف البيئات والظروف ، ولكن جوهره الذي لا يختلف ولا يتغير مهما تختلف البيئات والظروف هو حب الحق والإذعان لسلطان هذا الحب

طه حسين

الزواج الملكي

فيض من الفرح يغمر كل قلب ، وأمارة من البشر تبدو على كل وجه ، وهتاف صادق ودعاء خالص يترددان على كل لسان . .

هكذا كانت مصر قاطبة يوم احتفلت بزواج مليكها فاروق بعقيلته فريدة ، يوم ٢٠ يناير الماضي الذي كان عيدا مشهودا احتفلت فيه أفئدة الأمة قاطبة بأصدق عواطف البهجة والغبطة [illegible] بالفرح وهي الشعب الذي كان [illegible] أعظم [illegible] الفرح ، وإذا [illegible] للفرح [illegible] بالبشر كما [illegible] العصر الذهبي ، وإذ [illegible] كما [illegible]

ذلك أن مليك مصر حل من قلب كل مصري ، محله عاطفة من الحب الخالص وشعور من الولاء الصادق ، فقد لمست الأمة في كل صفحة من صفحات حياته السعيدة شتى علائم الخير والتوفيق ودلائل الحكمة والسداد ، ومواهب التكامل والجلال [illegible] أن سعد شعبنا بشائر السعد يوم أشرق الفاروق ولي العهد ، ثم أن [illegible] يوم تبوأ الفاروق أريكة العرش ، فلم يكن فرح المصريين إذاً مظاهراً وادعاء ، وإنما كان شعوراً [illegible] من قلوبهم فرداً فرداً ، حتى من كان منهم نائيا في قريته أو منزويا في [illegible]

هذا إلى ما يقترن بالزواج [illegible] من علائم التوفيق والسداد ، فمبادرة جلالة الملك إلى الزواج دلالة على أن أمر مصر في [illegible] يخشى الله ويرعى [illegible] ، فإن الزواج عصمة للمرء من نزوة الهوى ، [illegible] في قرار النفس ، وتهيب به [illegible] الله إلى الهدى والرشاد ، والزواج في إبان الشباب أحصن وأهدى ، إذ يبوء المرء [illegible] يقصدها من طريق لا عوج فيه ولا التواء ، كما أن الشباب هو عهد الفتوة والصحة [illegible] ، وإذاً فزواج جلالة الملك في هذه السن المبكرة أجل مثل يضرب في هذه الأزمة التي أعرض فيها كثير من الشباب عن أداء فريضة الزواج ، فراراً من واجب [illegible] عليهم حقوق الرجولة وحقوق الحياة

وشاء جلالة الملك فوق هذا أن تكون شريكة حياته [illegible] من صميم الشعب الذي [illegible] ورعاه ، [illegible] حلة [illegible] من [illegible] العظيم . وهذا الاختيار الموفق أوضح دلالة على أن على عرش مصر ملكا يؤثر الشعب [illegible] وعطفه ، ويؤمن بأن [illegible] في أخص شؤونه منهجا ديموقراطيا واضحا

وقد أفاء الله على جلالته اليمن والسعد وافراً ، فوفقه إلى اختيار مليكة جديرة بعرشه العظيم ، في عراقة أصلها ، وفي [illegible] ، [illegible] جلالها [illegible] . فجلالة الملكة فريدة سليلة بيت مؤثل عريق

الجيل المصري المقبل

تكوينه من ناحيتي الأخلاق والشخصية

بقلم [illegible] أمير بقطر

تتأثر الأخلاق في جميع البلدان بجميع البيئات التي يتصل بها المرء منذ حداثة أظفاره . ويمكن تلخيصها في البيت والأسرة ، والمدارس الأولية (وتشمل الابتدائية) والثانوية والكليات والجامعات ، وسائر الأنظمة الاجتماعية كالزواج والقانون والحكومة والصحافة والملاهي ودور الحفل والمنشآت الأدبية والدينية

« . . يجب لتكوين الجيل المقبل أن يدور محور التعليم حول استقلال شخصية التلميذ عن شخصية المعلم ، واستشعار التلميذ حريته الفردية وتعويده البحث والمناقشة الحرة ، واستبعاد عوامل الإكراه والاستبداد من برامج الدراسة ، واتصال الثقافة بالحياة الجارية ، وتقوية الميول نحو الفنون لتهذيب المروءة والحس . . »

إن أثر البيئة البيتية في مصر على الجيل المقبل لن يكون أثراً سلبياً محضاً . أما الجامعة فلا يكاد أثرها يذكر إلا في إعداد زعماء الأمة وقادة الرأي فيها وتزويد البلاد بأرباب المهن الراقية . ولست أريد بهذا القول أن أهضم الجامعة حقها في مصر أو في سائر بلدان العالم ، ولكني أريد أن أقول إن أثرها لا يكاد يذكر لثلاثة أسباب : أولها أن الذين يلتحقون بها نسبة ضئيلة من أبناء الأمة ، وثانيها أن الجامعة تقبل الشاب بعد تكوينه ، وتصلب الجهاز العصبي فيه ، ورسوخ عاداته الخلقية والشخصية في أفراده ، وثالثها أن وظيفة كليات الجامعة مهنية غير ثقافية ، ولا يستثنى من ذلك إلا الدراسات الأدبية والفلسفية في كلية الآداب . وحسبي لإيضاح السبب الأول أن أقول إن عدد طلبة الجامعة في مصر اليوم على كثرتها أقل من عشرة آلاف في حين أن تلاميذ المدارس جميعها يقرب من المليون . وفي أمريكا ، وفي معاهد التعليم بها ربع سكانها ، لا يوجد في جامعاتها سوى مليون طالب يقابل ذلك ٢٥ مليوناً في المدارس الابتدائية وخمسة ملايين في المدارس الثانوية ، ولولا ضيق المقام لسردت أرقاماً من انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا واليابان وكلها شاهدة على ما أقول

ونعود إلى مصر فنقول إن تأثير البيئة غير المدرسية في الجيل المقبل لا يبشر بالخير ، فإن البلاد لا تزال في مجموعها بعيدة في أنظمتها الاجتماعية عن الرقي الحقيقي الذي يكون النشء من ناحيتي الأخلاق والشخصية . ولست أبالغ إذا قلت إنه لو عددنا المنشآت الدينية وبعض الصحف والمجلات

الراقية وقليل جداً من دور السينما والتمثيل ، فإن التربية الأخلاقية يصعب تكوينها خارج المدارس الابتدائية والثانوية ولا سيما الأولى منها . ومما يؤسف له أن هذه المدارس على حالتها الراهنة لا تعمل مطلقاً على تكوين الشخصية ولا تقويم الأخلاق . وسيرى القارىء هذه الحقيقة من وصف الوسائل التي تؤدي الى تكوين الأخلاق كما رأيتها في أوروبا وأميركا

ويجدر بنا أولاً أن نفهم معنى الخلق ومعنى الشخصية . يفهم أكثرنا الأخلاق بمعناها الضيق المحدود ـ معناها الروحي الديني ، كالتقوى والصدق والأمانة والعفة . بيد أن الأخلاق تتسع لجميع الصفات السامية النبيلة التي تجعل للمتصف بها مكانة خاصة في الجماعات والهيئات التي يلابسها . ومن هذه الصفات : الثقة ، المثابرة ، الصبر ، الاحتمال ، الإقدام ، الشجاعة ، قوة الابتكار ، التعاون ، محبة الغير ، مراعاة شعور الآخرين ، الإعجاب بكل حسن وجميل ، الذوق السليم ، الاتقان ، المروءة ، إعطاء كل ذي حق حقه ، سعة الصدر ، عزة النفس

هذا هو معنى الخلق . أما الشخصية فيقصد بها مجموعة الصفات التي تكسب صاحبها قوة التأثير ، وتشعر الغير بهذه القوة الكامنة فيه ، في ناحية أو أكثر من نواحي الحياة . والشخصية تختلف عن الفردية قليلاً ، وإن اتفقتا من بعض الوجوه . فالفردية individualism هي مجموع الخلال التي تجعل للفرد ميزة خاصة تميزه عن سواه ، وتطبعه بطابع معين ينفرد به عن المجموع

• • •

في أوروبا وأميركا كما رأيتها مبادىء هامة عامة ، تتخذ أساساً لبناء الشخصية وتكوين الأخلاق في معاهد التعليم ، وسأشير هنا إشارة موجزة الى أربعة منها :

١ ـ ان المحور الذي تدور حوله جميع النظم المدرسية هو التلميذ ، فالجهود التي تبذل ، والأموال التي تنفق ، والعمارات الفخمة التي تنشأ ، والمناهج التي تقرر ، وأساليب التعليم التي تتبع ، والنظار والمدرسون والمفتشون الذين يعينون وينقلون ويرقون ويجازون ، ويحالون على الاستيداع ، هذه كلها وسواها من المسائل ، يكون الهدف الأسمى فيها موجهاً التلميذ ومصالحه ، قبل كل اعتبار آخر . وهنا يتساءل بعضهم قائلاً : أليست جميع النظم المدرسية في مصر كما في غيرها من البلدان تشاد على أساس واحد ، هو صالح التلميذ ؟ أقول كلا . فإنه قد جرت العادة أن تنشأ العمارات ، وتنفق الأموال وتبذل الجهود بحكم العرف . والعادة أن النظام يبالغ في المحافظة عليه للنظام ذاته ، لا مراعاة لمصالح التلميذ . والمناهج والكتب المدرسية تحشى بها المواد والحقائق وغير الحقائق ، وترهق بها روح التلميذ لأن السلف عمل هكذا ، وإن كنا لا ندري لوجودها معنى . والأساليب التي نتبعها في التعليم هي هي الأساليب التي تعلم معلمو معلمي معلمينا ، ومفتشو مفتشي مفتشينا ، ونظار نظار نظارنا ، عملاً بلوائح ترجع الى عهد بائد ، وأنظمة طال عليها الزمن ، وعز على أولي الأمر إعادة النظر في صلاحيتها . والامتحانات توضع أسئلتها ، وتنقد حلولها ، وتصحح

من جدها الأعلى يوسف بك رسمي، وقد عني محمد علي الكبير الذي تعهده بتربية حربية ممتازة أهلته لأن يقود كتائب من الجيش المصري في حربي الحبشة والروس، وكان رجلاً وفيًّا لولاة مصر. فلما اعتزل الخديو إسماعيل عرشه ذهب إليه يوسف بك واستأذن منه في مرافقته قائلاً وأين أنت لا يخدم سواك، فقال له إسماعيل: وأعتقد صدقك يا يوسف أن مثلك لمثلي، وإني في حاجة إليه يومئذ. وقد حملت جلالتها لقب ذو الفقار من رجال القضاء والإدارة البارزين، ووالدها يوسف باشا ذو الفقار من كبار الشرعيين والقضاة في المحاكم المختلطة، أما جدها والد أمها فهو محمد سعيد باشا رئيس الوزارة المصرية أثناء ثورة سنة ١٩١٩ ومن دعاة الحركة الوطنية الحديثة.

وقد ولدت جلالتها في اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٩٢١، وأشرف والدها على تربيتها رغبة منه أن تكون تربية عصرية، فتلقت دروسها الحديثة في مدرسة نوتردام دي سيون، حيث أتقنت اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ودرست في بيت أبيها علوم الدين الإسلامي واللغة العربية، فجمعت جلالتها بين خصائص النشأة الحديثة وعناصر التربية الإسلامية، وربطت جلالتها بين وسائل الرقي الحديثة في ثقافة المجتمع، وتقاليد الأسرة الروحية في عهود أسلافه العظام.

هدية الأسرة المالكة

من أثمن الهدايا التي قدمت إلى صاحبة الجلالة الملكة في زفافه الميمون هدية أصحاب السمو الأمراء والأميرات، وهي صينية وكوبان من الذهب الخالص مرصعة بأحجار الماس الثمين

أوراقها ، لأن هذا هو النظام المتبع وكفى . وليس لأن فى هذا النوع من الامتحان فائدة للتلميذ ترجى . والمعلمون والنظار والمفتشون والمراقبون ومساعدوهم يحيون ويشقون ويرقون ويجزون ويعاقبون على الاستبداد ، طبقا للوائح وأساليب تعنى وأمزجة السياسيين وكبار الموظفين ، لا مراعاة لصالح التلاميذ . منذ زمن بعيد قلب «كوبرنيكس» باكتشافه انتقال محور الفلك من الأرض الى الشمس ، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر انتقل مركز الجاذبية المدرسية من المناهج والدروس والامتحانات والنظم الادارية البيروقراطية الى التلميذ . غير أننا لا نزال نقول إن الأرض ثابتة لا تدور وإن التلميذ بعيد عن مركز الجاذبية . وكيف يستطاع تكوين الأخلاق والشخصية فى جو مدرسى يعنى فيه بالواسطة لا بالغاية ، بالتعليم لا بالتربية ، بالدرس لا بالتلميذ ، تفكيره ، خلقه ، شخصيته !

٢ ـ التعليم فى أوربا وأميركا شطر من عملية التربية ، يكون التلميذ فى كليهما عاملا active لا عاملا passive ، مفكرا لا متلقيا ، طرق التدريس هناك ، وتنظيم المناهج ، والامتحانات ، وجميع نواحى النشاط ، كلها تقوم على أساس واحد ، وهو أن يقف المعلم خلف الستار ، وأن يلعب التلاميذ أدوارهم تارة أفرادا وتارة جماعات تحت إشرافه . وأقل المعلمين دراية بأساليب التربية عندهم هو من يتحدث بما لا يعنيه فيشرح الدروس شرحا لا يحتاج التلميذ بعده الى عناء الدرس ، وأقل المعلمين دراية بأساليب التربية هو من تراه أظهر شخص فى حجرة الدراسة وأكثر كلاما ، من يكون تلاميذه أشد صمتا وهدوءا وأقل حركة . وأكثر المعلمين دراية بأساليب التربية من تبدو حجرته لأول وهلة كمصنع دبت فيه الفوضى . فهنا يشتغل منفردا ، وهنا يستعين بزميله على حل مسألة ، وهنا يجادل هؤلاء ، فيشتد بينهم الجدل وليس ثمة متسع من الوقت للإسهاب فى هذه النقطة ، وحسبى أن أقول إن هذا النظام مبنى على مبدأ ديوى « التعلم بالعمل learning by doing » أو عملا بقول برنارد شو : « إذا علمت أحدا شيئا فانه لن يتعلمه » ، وأنجع الطرق لتعلم السباحة هو أن تسبح ، وخير الوسائل لاتقان الرقص ، هو المران عليه .

هناك فى حجرة الدراسة ينمو التلميذ التفكير كما ينمو التعاون والاعتماد على النفس ومراعاة الغير وما عداها من الصفات ، لا بالاصغاء الى الشرح والنصح والارشاد ، واستظهار قواعد الأخلاق ودروس الديانة

٣ ـ ان عملية التربية (بما فى ذلك تنمية الأخلاق وتكوين الشخصية) يراعى فيها فى الدول الغربية الراقية تهيئة الجو المدرسى تهيئة يتوافر فيها عاملان أساسيان هما الرغبة أولا interest والجهد ثانيا effort . أما فى بلادنا فالجو المدرسى يتوافر فيه على النقيض من ذلك عاملان أساسيان هما الاكراه والاضطهاد violence & strain ، ويعود الفضل فى ذلك الى العناية التامة بانهاء المقرر والعبور فى الامتحان ورؤساء المفتشين والنظار وكفى

٤ ـ المدرسة فى البلدان الغربية الراقية هى حياة اجتماعية مصغرة miniature society ، والتلميذ

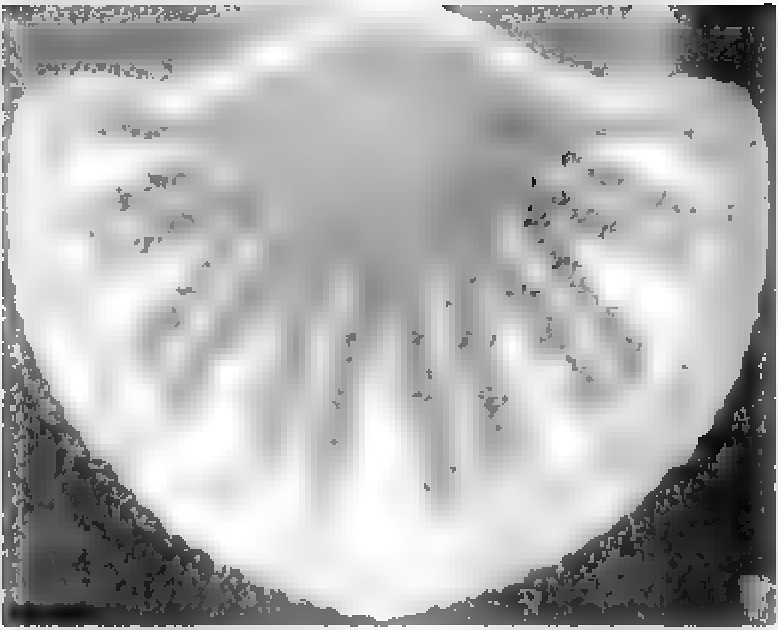

هدية ولي العهد

قدم صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي الى جلالة الملكة فريدة
كأساً قد أهداه الامبراطور [illegible] حين [illegible] مصر الى اسماعيل
[illegible] وكان [illegible] في أوروبا [illegible]
[illegible] ولي العهد أميراً وأهداه الى [illegible] اسماعيل العظيم

وهكذا هيأ الله لصاحب الجلالة أسباب التوفيق والسعادة جميعا، ومكن له من قلوب رعيته الوفية مكانا ممتازا، فكانت أفراحهما الميمونة أعيادا مشهودة في مصر قاصيها ودانيها، فقصد العاصمة أصناف أهلها من وفدوا الجماهير من جميع المدن والقرى ليشاهدوا ما تقر به عيونهم من مناظر الأفراح الباهرة ليلا ونهارا، فرأوا دورها الكبرى وقد تحلت بحرائر الأنوار البهيج، ورأوا كتائب الجيش المصري الناهض يحرسها قائدها الأعلى، ورأوا أسراب الطائرات تملأ الفضاء رهبة وروعة، فتجيش قلوبهم فخرا وأملا، ورأوا شباب الكشافة [illegible] للرشدات [illegible] عن مصر ورمزها الأسمى، وصفوا وسط هذا كله ما اشتهوا له بهجة وحبورا.

وكذلك كانت هذه الأعياد مناسبة حسنة أظهرت ما لمكانة مليك مصر ومليكتها من تقدير ووفاء، فأهدى ملوك الدول ورؤساؤها الى جلالته هدايا ثمينة تدل على أسمى روح في جلالته [illegible] الأسمى ما تفخر به مصر من تاريخها المجيد، وأسمى ما يسمو اليه في جهة الحديثة. وكذلك تسابقت شتى هيئات مصر في رفع الهدايا الى جلالته، دلالة على دلائل ولائها ووفائها. وما كان المرء يسمع طول هذه الأيام السعيدة المشهودة الا الدعاء الخالص بأن يحرس الله ثم صاحب الجلالة الأعلى والآمال، وبأن يجعل عهدها أزهر العهود عصرا وأكرمها عليها

فرد عامل من أفرادها ، يشترك في ملاعبها وأنديتها وجماعاتها ، يدرس ويتعلم ، ولكن ليس هذا كل شيء ، فانه فيها يلعب ويسبح ، ويناقش ويخطب ، ويجري ، وينشد ، ويشرب الشاي ، ويتناول الغذاء ويشترك في حفلات السمر ويرقص . وبينما يتعلم مبادئ الجغرافيا والحساب والكيمياء وعلم الاحياء ، الشرف الرياضي sportsmanship وآداب المعاملة etiquette والنبل gentlemanliness . ولا يرجع الفضل في تكوين هذه الصفات الى هذه المنشآت في ذاتها ، وانما الى الروح التي تسودها ، والى شعور الطالب ، أنه هو الذي يشترك في إدارة شئونها لا المعلم ، وأن المدرسة هي مدرسته أولا لا مدرسة المعلم أو الناظر

وتنتج عن هذه المبادئ العامة انقلاب في الأنظمة المدرسية ، تتجلى آثاره فيما يأتي :

(١) ان كل ثقافة لاتتصل بالحياة والبيئة تستبعد من مناهج الدراسة ، حتى يتسع الزمن للناظر والمعلمين للعناية الفردية بكل طالب ، والعمل على تنمية أخلاقه وتكوين شخصيته . فدروس اللاتينية والاغريقية تحذف من مقررات التلاميذ ، إلا الذين يرغبون في التخصص فيها أو الذين تتصل دراستهم اتصالا مباشراً بهاتين اللغتين أو احداها . ولا يتوسع طالب في دراسة النظريات الرياضية إلا اذا كان يرغب في مزاولة مهنة تقتضي ذلك . والا فليقل لي القارئ من غير المهندسين أي نفع جنيت من معرفة أن مساحة الدائرة تساوي ط نق٢ ؟ وكم مرة أتيحت لك الفرصة لاستعمال هذه المعرفة عمليا ؟

(٢) ان كل نظرية ثبتت على أساسها المناهج ، واتضح فسادها عمليا قضي عليها ، وحذفت المواد التي كانت ترتكز على هذه النظرية . مثال ذلك قولهم ان دروس الرياضة العالية وإن كان لا يستفيد منها الطبيب أو المحامي أو التاجر فانها تمرن العقل وتعين على التفكير وحل المسائل العامة في الحياة . وقد برهن علماء النفس على فساد هذه النظرية ، وحسبنا أن نعلم أن القابضين على دفة الزعامة في جميع الأمم اليوم لا تزيد معلوماتهم الرياضية عن الكسور الاعتيادية . وقد سئل العالم اينشتين عن رأيه في الأزمات السياسية والاقتصادية ، فكانت المقترحات التي أدلى بها لحل هذه الأزمات شبيهة بأقوال صبية المدارس . والحقيقة ان الرياضة لا تمرن العقل الا فيما يختص بالرياضة أو ما يقرب منها ، والمنطق لا يعين على التفكير الا في دائرة الدروس المنطقية أو ما يقرب منها ، ورسالة الغفران لا تثقف العقل بأي وجه من الوجوه ، لأن مفرداتها لا تمت الى حياتنا العملية بصلة ، ومعانيها ترجع الى العصور الجيولوجية ، ولكن هذا لا يمنع الاخصائيين في اللغة العربية ، دون سواهم ، أن يضعوها في حكم المراجع التاريخية

(٣) يتمتع التلميذ في المدارس الغربية الراقية اليوم بنصيب عظيم من الحرية الفردية . ولا نقصد بهذه الحرية الخروج عن القوانين ، لأن هذه القوانين هناك يشترك في وضعها التلاميذ أنفسهم ،

قصر القبه

عقد قران الملك السعيد وأقيمت أفراحه المشهودة في قصر القبة العامر ، وقد أنشأ هذا القصر التاريخي الخديو إسماعيل وخصصه لزوجته الأميرة شفق نور هانم والدة كبير أنجاله الخديو توفيق ، وكان هذا أكبر ولاة مصر منذ ذلك الحين ، ويتألف من ثلاث طبقات وسط حديقة فسيحة ، وقد أفرد منه جناح خاص لصاحب الجلالة

وهم الذين يشتركون في تبعتها تبعا للنظام الذي يسمونه هناك student participation أو student self-government

وهم الذين يصدرون الحاكم المدرسية لتوقيع العقاب على زملائهم . ويحدث في الجامعات والكليات والمدارس الثانوية أحيانا أن يحكم الطلبة على زميل لهم أن يغادر المعهد نهائيا وألا يلتحق بمعهد آخر في جميع أنحاء الولاية . اما الغرض من هذه الحرية تهيئة الجو المدرسي لصفات الصراحة في ابداء الرأي ، والشجاعة في القول والعمل ، وصحة الحكم على الأشياء ، وتحمل المسئولية والاعتماد على الذات ، بدل أن يكون المعلم رقيبا على التلميذ مهيمنا على كل كبيرة وصغيرة . ومن أهم مظاهر هذه الحرية أن يكون التلميذ على العموم موضعا لحسن ظن المعلم ، وأن يكون المعلم موضعا لحسن ظن الناظر ، وهكذا الى آخر السلم . وبهذا يثق التلميذ في نفسه وفي أخلاقه وشخصيته ، وعلى حد قول شكسبير على لسان هملت "Assume a virtue if you don't have it."

ولنقارن بين ذلك الجو الحر وجونا المصري المدرسي . هذا جو خانق كأننا لا نريد به سوى إضعاف الشخصية ، والانتقاص من الرجولة ، وحط الأخلاق ، وغرس البذور التي تبعد صاحبها عن الخلق النبيل السامي . فمهمة الطالب عندنا الاصغاء الى المعلم والتحايل عليه لأنه عدوه بحكم وظيفته . أليس هو الذي يمتحنه كل يوم ويعيبه ويزجره ويبعث باسمه الى ولي الأمر ؟ ومهمة المعلم أن يتملق أمام الناظر ويتملقه ويكذب عليه . أليس الناظر واقفا له بالمرصاد يحصي له الأخطاء ؟ أليست مهمة المفتش الانتقاد ؟ وموجز القول أننا نسعى الى التربية عن طرقها السلبية في حين أنهم يسعون اليها عن أساليبها الايجابية ، لأننا نعتقد أن الأصل في التلميذ المكر والكذب والخداع والغش ، وهم يعتقدون [illegible] أن الأصل في التلميذ البراءة من كل هذه . وكيف نريد منه بعد ذلك الكرامة وعزة النفس ؟

(٤) لكل معهد هناك مطمح سام في الوصول الى مثل عليا ، مثل أو أكثر يمتاز بها عن سواه ، ويسمون هذا the tone of the school وترجمته الحرفية « نغمة المدرسة » وترجمته الجيدة « صبغتها » . فهذه مدرسة شعارها الصدق ، وهذه الامانة ، وهذه الاعتماد على النفس ، وهذه خدمة الغير . ويعمل جميع من في المعهد من المدير الى الخادم يعملون على تحقيق هذا المبدأ . وأضرب للقارىء مثلا واحدا :

وجد ناظر مدرسة بعد اللعب مع مدرسة أخرى أن أحد الطلبة اللاعبين كانت سنه أكبر من اللازم فأعاد الكأس بعد اللعب مع الاعتذار للفرقة المناوئة لأن قانون اللعب كان ينص على سن معلومة

(٥) تعترف المدرسة هناك بالفروق الفردية بين التلاميذ ، فتنوع لهم المناهج ونواحي النشاط تنويعا كافيا يستطيع أن يجد فيه الطالب ما يلائم ذكاءه واستعداده الطبيعي ، وبحسب ما لا يكون كذلك . وقد شاهدت مرة في أمريكا مدرسة ثانوية قسمت فيها السنة النهائية ٢٩ قسما يختار الطالب منها مع إرشاد معلمه القسم الذي يلائمه

(٦) تعترف المدرسة هناك بوجوب تنمية الوجدان والعاطفة وتهذيبهما ، وذلك بطرق عدة منها العناية بالفنون الجميلة كالموسيقى والشعر وفن التصوير والتمثيل والرقص . وليس معنى هذا أن تخرج المدارس من التلاميذ فنانين ، ولكنها تغرس فيهم بواسطتها ملكة الاعجاب والتذوق السليم ، وبذلك تهذب فيهم الغريزة الجنسية الملحة وتعمل على صقلها وتنقيتها ، ومنها تدريس المسائل الجنسية تدريسا صريحا لا تشوبه شائبة ، حتى يشب الطالب واقفا على حقيقة هذه الغريزة القوية الحيوية ، عالما بنفعها وضررها إلماما علميا لا حياء فيه ، ومنها الاكثار من حفلات السمر التي يجتمع فيها الجنسان وتجمع المعلمين والناظر والتلاميذ والتلميذات في صعيد واحد فيتعلم التلميذ كيف يحترم المعلم دون أن يكون له عبداً ذليلا ، وتتوطد الألفة بين المعلم وتلميذه دون أن تفضي الى الاستخفاف ، ويتعلم الصبي أن يجالس الفتاة ويسامرها دون أن يكنّ لها سوى كل احترام واجلال ، ودون أن يطلق أمامها ما لا يطلق به أمام أخته أو قريبته

(٧) لكل مدرسة هناك قاعة للمحاضرات يختلف اليها جميع التلاميذ من جميع الفرق في خلال الحصص الدراسية مرة كل يوم أو ثلاث مرات أو أكثر كل أسبوع ، لسماع الألحان الموسيقية الجميلة والاشتراك في نشيد مدرسي أو قومي أو الاستماع الى خطبة وجيزة أو تنبيهات عامة . وبذلك تقوى الروح المدرسية esprit de corps

كما أن لكل مدرسة قاعة مطالعة كبيرة تتصل بمكتبة عامرة بالكتب والمجلات يختلف اليها كل طالب يوميا بغير انقطاع وبذلك يشبون على الشغف بالكتب والمطالعة

ولكل مدرسة ملعب كبير gymnasium وحديقة فسيحة . ومعظم المدارس الثانوية والكليات لا تمنح شهادتها النهائية لمن لا يحسن فن السباحة . يضاف الى ذلك ان من الوسائل التي يلجأون فيها الى تكوين الخلق الاكثار من المصانع في كل مدرسة وجعل تعليم حرفة اجباريا لكل تلميذ وبذلك يعلمونهم درسا عمليا في احترام الاعمال اليدوية dignity of labour حتى لا يكون منهم جيش عاطل من ذوي الياقات البيضاء ، فضلا عن ان في هذه المعامل تكتشف مواهب الطالب واستعداده

(٨) من وسائل تكوين الاخلاق الشخصية تقوية الصلات بين المدرسة والمنزل ، بين الوالدين والمعلمين . وذلك انهم ينشئون أولا ناديا يختلف اليه الوالدون والوالدات ، يتناولون فيه الشاي أو العشاء أو يعقدون فيه حفلات السمر في فترات معلومة ، تتاح فيها الفرصة للتعارف بين الناظر والمعلمين من جهة وأولياء أمور تلاميذهم من جهة أخرى ، ولا يخفى أن التلميذ الذي يعلم أن المعلم من معارف أحد والديه يستحي أن يأتي في المدرسة عملا لا يروق في عين والديه ، ويستحي أن يأتي في المنزل عملا لا يروق في عين معلمه . وفوق ذلك فان لكل مدرسة معلمة أو أكثر لا تقوم بالتدريس ولكن تنحصر وظيفتها في زيارة المنازل للوقوف على البيئة المنزلية والبيئة التي يعيش فيها

كل طالب وتبذل جهدها التوفيق بين البيئة المدرسية والبيئة المنزلية ما استطاعت الى ذلك سبيلا ووظيفة هذه المادة [illegible]

من زمن ليس ببعيد زار أحد المربين الأجانب المشهور « فلان فولد » وذكر خلاله أنه ينوى افتتاح معهد فى القاهرة فقال « فلان » : « يجب أن تعلم أولا انك ستجد الكثيرين من التلاميذ من غير أمهات » . وكلما ذكرت هذه الواقعة وددت لو أتيح لنا إحصاء دقيق للحالات الزائرات فى بلادنا

(٩) لست أريد ان أتحدث عن مهمة المحلل النفسانى ومهمة الموظفين المختصين باستيفاء سجلات الطلبة الخاصة بتاريخهم الوافى من جميع الوجوه كوسيلة لتهذيب الأخلاق . وحسبى فى هذه المسألة أن أشير إليها

(١٠) من أهم الوسائل فى نظرى التى تعمل على تكوين الرجولة والشخصية ، المناقشة الحرة فى غرف الدراسة أثناء تلك الدروس الاجتماعية كالتاريخ والجغرافية والتربية الوطنية والأخلاق والاقتصاد وعلم النفس الخ ، وفى الجمعيات والأندية بشتى أنواعها . وفى خلال هذه الدروس لا يعتمد على الشرح ولا على المحاضرة ولا على التسميع ، بل على المناقشة الحرة وهنا أضع أمام القارىء أمثلة من الأشياء التى يتحدثون فى قاعة الدرس ، ومما نعلم أنها جميعها تتصل بحياة الطالب وأن المناقشة تسود فيها الحرية التامة وعدم التحيز :

(١) ما الفرق بين الخطأ والصواب

(٢) ما معنى الكذب ، وهل الغاية تبرر الوسيلة ؟

(٣) هل تقوم الدولة بتعليم أبناء الأمة المحافظة على كيانها ، أو تنشىء المدارس كما تنشىء السجون للمجرمين ؟

(٤) هل فى طاقة الشباب أن يعيش عيشة طاهرة ، أم هذه العيشة لا وجود لها إلا فى عالم الخيال ؟

(٥) هل من الصواب أن يسمح للطالب بالتدخين ؟ وإذا كان الجواب سلبا فلم يدخن المعلمون وأولو الأمر ؟

(٦) وهل يجوز التدخين للطالبة أيضا ؟

(٧) هل الرقص مرغوب فيه ؟

(٨) ما معنى أن يكون شعور المرء نحو من يخالفونه رأيا أو مذهبا أو دينا أو سلالة أو طبقة أو وطنا ؟

(٩) متى يجوز للشباب أن يثور على العادات والتقاليد ومتى لا يجوز ؟

(١٠) ما الفائدة من الدعاء لله أن ينزل الغيث (المطر) فى فترات الجفاف علما بأن نعلم أن المطر خاضع لقوانين طبيعية جوية فهيهات أن يعمل الخالق على كسرها ؟

(١١) إذا كان والد الطالب يعتقد أن دور السينما مفسدة للخلق ويحرم على ابنه الذهاب إليها .

والطالب من جهة يعلم أنها وسيلة للتثقيف لا غناء عنها ، فهل يجوز له (ا) أن يختلف الى هذه الدور رغم ارادة أبيه (ب) أو يختلف اليها سراً ويكذب على أبيه (ح) أو لا يختلف أبداً ؟

(١٢) هل من العدل أن تكدس الأموال فى أيدى أصحاب الملايين ويترك الكثيرون فى فقر مدقع ؟

(١٣) أى النظم أصلح للأمة : الدكتاتورية أم الديموقراطية ؟ وأى الدكتاتوريات أكثر عطفا على الانسانية : الفاشستية أم الوثنية ؟

(١٤) اذا تعارض الدين مع العلم فأيهما صدق ؟

وأخيراً أريد أن أوجه الانظار الى أمرين :

(أولا) معظم هذا الكلام عن مدارس الابتدائية والثانوية ..

(ثانيا) لا سبيل الى علاج الأداة التعليمية فى البلاد إلا بثلاثة أشياء ، وكل منها فى مصر أبعد من ذنب الضب وهى :

(ا) ادارة حازمة ناصحة عاملة بجميع أفرادها بين المرونة والروية وحيوية العصر ولذته

(ب) جيش من المعلمين الأكفاء للدين بالطبيعة البشرية ، المتصلين المتبطنين بأحوال البيئة

(ح) رأى عام مستنير يكتسح كالتيار الجارف كل ادارة لا تؤدى الغرض من وجودها

ولنعم أخيراً أن الاخلاق لا يمكن تكوينها بتدريس الاخلاق على حدة لأن الاخلاق ثمرات تمدها جميع المواد وجميع نواحى النشاط وجميع الشخصيات التى تتصل بالمدرسة . وقد أتيح لى حضور مؤتمر الاخلاق الذى عقد فى واشنطون سنة ١٩٣٢ وقد كان ملخص القرارات التى وضعت فيه ما يأتى :

(١) أن كل منهاج مدرسى حسن يؤدى حتماً الى تكوين الاخلاق والشخصية مهما كانت المواد التى يتركب منها

(٢) ان كل طريقة حسنة فى التدريس تؤدى حتما لتحسين الاخلاق والشخصية

(٣) ان كل شخصية قوية بين الادارة للمدرسية ومعلميها متصفين بحسن الاخلاق لابد أن تؤدى الى تكوين الاخلاق والشخصية

أمير بقطر

شبابنا وعاطفة الحب

بقلم الأستاذ إبراهيم المصري

• الحب هو الولاء لامرأة واحدة ، هو رغبة الاحتفاظ بهذه المرأة موفورة الكرامة مطمئنة على حياتها ومستقبلها كزوجة وأم . فما الذي يحول بين شبابنا وبين الإحساس بهذه العاطفة ؟ وكيف نرسخها في نفوسهم ونعدهم من المآسي التي يعيشون فيها ، مأساة التبرم بالحب والنفور من تحقيق الحب في دائرة الزواج ؟ هذا ما يجيب عنه كاتب المقال •

يزعم البعض أن الحب إحساس طارئ، وعاطفة جائحة سرعان ما تستولي على العقل والقلب وسرعان ما تضمحل وتخمد وتموت

ويرى هذا البعض أن من الخير ألا يبنى الزواج على الحب ، وأن تبنى الأسرة على قاعدة توافق المراكز الاجتماعية واشتراك المصالح المادية ، وأن فكرة الزواج هذه تقوم على معنى الثبات والاستمرار ، وهو معنى يتعارض كل التعارض مع نزوات الحب وتقلباته وسرعة نموه

هذا هو الرأي الشائع عند طائفة من المحافظين أنصار التقاليد ودعاة الحرص على عادات الماضي

فهل هم على حق فيما يذهبون إليه ، وهل صحيح أن زواج الحب لا يعمر طويلا وأن زواج المصلحة أصلح وأبقى ؟

الواقع أن اتحاد ذكر وأنثى في غير دائرة الحب الاختياري هو الحط بالكرامة البشرية ، وإسفاف بالعلاقات الجنسية، وتغليب شأن المادة على الروح، وخنق لعواطف الفرد المتحضر، وإجبار له على الرضى بحياة الكبت والنفاق ، ومحاولة إشباع عواطفه خارج دائرة الزواج ضحية واجباته البيتية على مذبح أهوائه وميوله وأنانيته

فالذي لا يتزوج عن حب قد يبحث فيما بعد عن الحب خارج نطاق الزوجية

والذي لا يتزوج عن حب يظل حاملاً في أطوائه نفسه ذلك الفراغ الروحي الذي يهدد الأسرة بشر الكوارث والنكبات

ثم إن زواج المصلحة قد تدفع إليه في الغالب تقاليد الآباء وأوضاعهم الاجتماعية ورغبتهم في توثيق نسبهم بحسب رفيع وارتباطهم بأسرة معروفة المكانة ذات نفوذ وسلطان وجاه عريض .

فإذا ما انعقد ووضحت جرائم الفساد في هذا الزواج أحس الزوج أو الزوجة أنه لم يكن مسؤولا عن شقائه وأن أهله هم علة هذا الشقاء، فتراه يتبرم بهم ثم يسخط عليهم ثم ينحي على نفسه باللائمة كيف

انه أسلم حياته ومستقبله لقوم أعمتهم النظرة المادية الى الحياة

ومثل هذا الشقاء قد يصيب الفرد الذي تزوج عن حب . ولكن هذا الفرد قد تزوج بمحض اختياره واقترن بالشخص الذي يهوى ، فهو والحالة هذه لا يمكنه إلا أن يحمل نفسه مسؤولية شقائه ولا يشرك سواه في أسباب ألمه ، شاعراً أبلغ شعور وأوفره بأن عليه وحده أن يجتر الآلام في الحياة التي اصطفاها لنفسه

فزواج الحب يغرس في النفس معنى المسؤولية الشخصية ، ثم هو فوق ذلك يولد في شخصي الزوجة والزوج استعداداً رائعاً لاحتمال مصاعب العمر وتقلبات الزمن ، ثم هو يروضهما على التفاهم الفكري وعلى التسامح المتبادل والتضحيات المشتركة . فالحب والحالة هذه عاطفة لابد أن يحسب حسابها ، ولا بد أن يقام لها في الزواج كبير وزن

وسواء أكنا من أنصار الحب في الزواج أم من خصومه علينا أن نسلم بمصالحه المتشعبة وعلينا أن نعترف بأنه دليل بالغ من أدلة الاعتماد على النفس والاستعداد لتحمل المسؤولية والنزوع الى حياة قائمة على المثابرة والمخاطرة

ولكن أي حب ذلك الذي يهيء الفرد للزواج ويدفعه اليه ؟

ليس شك في أنه ذلك الحب الوجداني الذي يهذب الفكر ويصقل المشاعر ويسمو بقوى الشخصية ويجعله آخر الأمر هو الامتزاج العقلي والبدني التام . فهل عناصر هذا الحب متوافرة في نفوس الشباب المصريين ؟ وهل تصدم حياتهم الراهنة هذه العاطفة وتدفع بهم لتحقيقها في دائرة الزواج ، ثم كيف هم ينظرون الى الحب والمرأة وكيف يحبون ؟ . .

الواقع أن العوامل التي تخلق ذلك الضرب من الحب في نفوس الشباب المصريين ناقصة كل النقص أو تكاد تكون معدومة الوجود في مجتمعنا المصري

فالشاب يتزوج وبدلا من أن يعيش في أسرة تنقضي حياته في صحراء . فلا امرأة تعطف عليه ولا مخلوق يفهمه ويستطيع أن يودعه سريرة أفكاره وعواطفه

والغريب انه هو نفسه – على الرغم من تعليمه وثقافته – لم يفكر في ذلك قبل الزواج ولم يبحث لحظة عن الحب ولم ينشد في المرأة غير الأنثى الولود ، ولم يسع إلا الى الجاه والثروة وتوطيد مستقبله الاجتماعي وتعزيز مصالحه المادية !

فهو وقد صدمه المجتمع ينساق مع التيار ثم يثوب فجأة الى رشده وتستبين به مؤثرات ثقافته فيشعر ان حياته خاوية من كل فكرة أو عاطفة ، وانه يباشر علاقة لا يمت اليها بأية صلة ، وانه يحيا في الزواج حياة العزوبة ، شريداً قلقاً حيراً ، فيثور ويتمرد ويوشك أن يحطم ويهدم . ولكن الحياة تروضه والعادة تصرعه ، وشيوع هذا النظام في بيوت الغير يؤنسه ويربطه بالتعلل والصبر فيجمع ويستسلم ويطمئن في النهاية لحياته البليدة ويعيش رقماً غامضاً بين أرقام ! ..

تلك هي المأساة المروعة يحدثها زواج المصلحة ويؤدى اليها نقص العوامل التي تخنق الحب وتحول بينه وبين الطريق الطبيعي للزواج

فما هي هذه العوامل التي تحرم شبابنا عن الاحساس بالحب ، وتحول بينهم وبين اللغة الاسرة على الحب ، وتفسد كيان العائلة ، وتحيل البيت المصري الى شبه خندق يأوى اليه عابر سبيل ؟

أهم هذه العوامل هي :

أولا – نظام المجتمع المصرى

ثانيا – مركز المرأة في الأسرة

ثالثا – جهل الآباء بعاطفة الحب

رابعا – اعتقاد المحافظين من الآباء أن الحب عار

خامسا – اللون الغالب على الحب في الأدب العربي

وسنحاول بحث هذه العوامل الخمسة فيما يأتي :

لا ريب أن نظام المجتمع المصرى يقوم على التفريق بين الرجال والنساء . وهذا التفريق ينشأ من تقديس مبدأ المحافظة على العرض وتمجيد فكرة الشرف

فالعرض في نظرنا أغلى جوهرة في تاج المرأة ، والشرف أعلى صفة تتحلى بها الأسرة . ولكن محافظة المرأة على عرضها تبدو لبعض منا مستحيلة التحقيق في جو تسوده الحرية ، واستمساك الرجل بشرف اسرته يلوح مستحيلا أيضا في جو تسوده العلاقات المختلطة

فنحن نفصل بين الرجل والمرأة فصلا تعسفيا لنجبر كلا منهما على الاحتفاظ بعفته . وهكذا تختنق العواطف التي تدفع كلا منا الى آخر وستنعدم عن هذه العواطف علاقات مشروعة ينظمها العقل وتهدى اليها المصلحة

وليس المهم في نظرنا أن تكون الأسرة دار تفاهم فكرى وعطف بين رجل وامرأة ، بل المهم أن تصون الأسرة الأعراض وتحرص على الثروات وتنقذ من مهاوى الفسق وتمكن من الأنسال وحفظ النسب

فكيف يمكن وهذا هو نظام مجتمعنا أن تنمو فيه عاطفة الحب وتنتشر بها نفوس شبابه وتصبح مقترنة في أذهانهم بفكرة الزواج ؟

ان الحب عند شبابنا شيء والزواج شيء آخر . والحب عنده – لاستحالة الاتصال الدائم بين أفراد الجنسين – ينقلب في نظر الشاب الى مجرد عملية شهوية مجردة من كل احساس عاطفى وكل إيثار فكرى أو خلق

هذا هو العامل الأول في نفور شبابنا من عاطفة الحب . فلننظر في العامل الثاني وهو مركز المرأة في الأسرة المصرية

إن إسراف الجيل القديم في استغلال رخص الشرع للانتقاص من حقوق المرأة والعبث بكرامتها وفرض سلطان الرجل المطلق عليها ، قد أوهن شخصية المرأة وأذلها ونزل بها عن مركز ربة البيت وسيدة الأسرة

فالجيل القديم في مجموعه لم يرع أحكام الشرع وأفرط في الطلاق وتعدد الزوجات وفي توكيد سيادة الرجل ، فترتب على ذلك أن تسرب الشيء الكثير من هذه الجرائم إلى الجيل الجديد ، فانحطت لديه شخصية المرأة واعتبرت في نظر الأغلبية منه أداة استمتاع وإنسال فحسب

ولا شك أن شباب الجيل الجديد يكافح ويقاوم ويؤمن بوجوب إنهاض المرأة وتحريرها ، ولكنه في أعماق نفسه ما يزال خاضعاً لتقاليد الماضي ولرواسب موروثات التربية والوراثة ، لا يستطيع أن يرى في المرأة غير صورة الأنثى ، ولا يستطيع أن يتخيل ويفهم أن في وسع التطور بها إلى مرتبة المرأة وإشراكها في أفكاره وإحساساته واتخاذها صديقة ورفيقة عن طريق العاطفة وطريق الحب

وصحيح أن الشباب يحاول تحقيق هذه الأمنية ، ولكن النجاح عز عليه أن يحققه لأن ماضيه يتحكم في تصرفاته ، ولأن المرأة نفسها ـ لفرط ما امتهنت وتعددت ـ أصبحت تحذر الرجل وتتوجس خيفة منه وتنفر منه نفوراً فتعمل على استغلال هذا الضعف كما يريد الرجل حسرة على حسرة ويأساً على يأس

فلا بد من تعاقب بضعة أجيال وترادف بضع سلالات ، حتى يشعر كل من الشاب والفتاة بتلك الاستعدادات الروحية التي تغذي جوانب الشخصية وتحث على الحب وتستقر في محيط الزواج

وأما العامل الثالث وهو جهل الآباء عاطفة الحب فهو نتيجة مباشرة للعامل الثاني

ومن البديهي أن من لا يفهم حكمة الشرع ولا يعنى بالنظر في حقيقة مبادئ الدين الحنيف فيطلق العنان لغرائزه ويستبيح لنفسه الطلاق لأتفه الأسباب ويتمتع بعدة زوجات دون ما وازع من خلق أو ضمير ، لا يستطيع أن يفهم عاطفة الحب أو يتصور أن الزواج يمكن أن يبنى على الحب

والواقع أن الحب هو الولاء والإخلاص لامرأة واحدة ، هو إيثار امرأة معينة على سواها من النساء ، هو إرادة الاحتفاظ بهذه المرأة موفورة الكرامة مطمئنة على مستقبلها كزوجة وأم . ثم هو فوق ذلك اعتراف صريح من الرجل بأن للمرأة شخصية مستقلة وأن لها حقوقاً كما أن عليها واجبات

فهذه النزعات الفكرية والعاطفية لم تكن متوافرة في رجال العهد الماضي ، ولم يكن قد أصابها التطور بعد في نفوسهم ، ولم تكن قد خالطت عقولهم وقلوبهم . إذ كيف كان يمكن أن يشعروا بها وهم على ما كانوا عليه من رغبة في إقامة بنيان الأسرة على سلطة الرجل وحده وعلى تجريد

المرأة من كل شخصية واعتبارها متاعا حلالا وأداة للنسل وحفظ النسب وبقاء النوع ؟

فالآباء والحالة هذه كانوا يجهلون عاطفة الحب . وقد ورثتهم تقاليد السلف جهلا بها ، فضلاً من ذلك ان أصبح السواد الاعظم منهم ينكرها على أبنائه ويحرمها عليهم ولا يهمهم وجوب اقترانها بالزواج بل لا يسمح بها ولا يطيق من الابناء استسلامهم لها أو ميلهم الى تشييد صرح حياتهم ومستقبلهم عليها

وقد يحدث أن يكون الابن راغبا في زواج الحب تواقا اليه شاعراً بأن سعادته منوطة به، فيعارضه الوالد ويلوح له بحياته هو وبالسعادة التي أحرزها بفضل زواج العقل والمصلحة ، فيتمرد الابن ويخرج على طاعة أبيه أو يذعن ويستسلم ويستطرد الحياة التي عاشها والده

والحق أن صراع الأجيال يتجلى في هذا الشكل واضحا مروعا !

فالجيل القديم لايفهم الجيل الحديث ، والجيل القديم يصر على عقيدته ويستخدم نفوذه الأبوي لاقرار نظامه ؛ والجيل الحديث في غروره يخشى التمرد ويتهيب الطفرة وتغريه في نفس الوقت قيمة المال ويغلبه عامل المصلحة فيضحي آخر الأمر بعاطفة الحب ويرضى بزواج المصلحة

وهناك ظاهرة أخرى تعوق الشباب عن تحقيق الحب في الحياة الزوجية . وهي العامل الرابع الذي أشرنا اليه أي اعتقاد المحافظين من الآباء أن الحب عار

هذا الاعتقاد شائع في معظم بيوتنا ، متأصل في عقول ونفوس عدد كبير من آبائنا

وهو في جوهره لايرجع الى شعور باستنكار الحب في ذاته ، بل الى استنكار النتائج الاجتماعية المادية التي تترتب عليه وإيضاحا لفكرتنا نقول .

ان من مميزات الحب عدم الاحتفال بالفوارق الاجتماعية وعدم الاكتراث لفوارق المركز والثروة ، وهذا هو مايستنكره المحافظون من الآباء . إذ هم لو سلموا بقانون الحب لاضطروا الى تضحية قانون المصلحة والتسليم باختلاط الطبقات وبديمقراطية الحياة العامة

فالحب في نظرهم عار لأنه قد ينزل بالفرد عن مركزه الاجتماعي ويسوقه الى التزوج ممن هو غير أهل له ويدفعه الى مصاهرة أسرة دون أسرته حسبا ونسبا وثروة

وهذه النظرة في صميمها نظرة ارستقراطية أو اقطاعية تنكر العواطف وتقيدها لأنها تتعلق فقط بتقاليد الطبقة ووضعها في الحياة الاجتماعية

والآن فلننظر في العامل الخامس والأخير أي اللون الغالب على الحب في الأدب العربي

هذا العامل الثقافي يحدث ولا ريب في عقول شبابنا أبلغ تأثير ويوجه حياتهم الخاصة وجهة تتعارض كل التعارض مع الحب كما بسطناه آنفا

ان اللون الغالب على الحب في الأدب العربي هو اللون الحسي الشهوي المقرون بشتى ألوان الترف ومختلف ضروب اللهو والتسلية

فالمرأة عند معظم شعراء العرب أنثى قبل كل شيء ، أنثى من حيث الجمال وأنثى من حيث الخلق وأنثى من حيث العقل . وما دامت أنثى فحسب فهي مثار لذة وهي وسيلة من وسائل المرح والتفريج عن النفس ومباهج الحياة

هي كالخمر يذهب فيها العقل وتفنى الشخصية

هي كالغناء الشرقي واسطة لاثارة الأعصاب والعبث بالحواس والتحلل من قيود العرف وآداب المجتمع

لذلك يجمع معظم شعراء العرب بين المرأة والخمر والغناء في وحدة فنية ترمي الى الفرار من الحياة الواقعة بواسطة الاحساس بأقوى اللذات جسمية

فمحاولة الفرار من الحياة هي أصدق الصفات فيما يشعر أولئك الشعراء في المرأة ، لا محاولة النهوض بها والسمو بشخصها في سبيل تجميل الحياة وترقيتها واضفاء هالة روحانية عليها

فكيف يمكن أن يولد هذا النوع من الأدب الحسي عاطفة الحب في قلوب شبابنا ؟

انه على النقيض يمسخها ويشوهها ويجهز على البقية الباقية منها لأنه يستخدم قوة الذكاء وقوة الخيال وقوة البلاغة في تمجيد اللذة واعتبارها مثلا أعلى

هذه أهم العناصر التي تشترك في تكوين المأساة التي يعيش فيها شبابنا . مأساة العجز عن الحب والعجز عن تحقيق الحب في الزواج ، والعجز عن تجديد الاسرة واقامتها على صرح النظام العاطفي والفكري

فاذا شاء الشباب أن تثمر ثمرات ويصون مستقبله وينهض بنفسه وبمواطنيه ويسعد الاسرة المصرية بخيره وخير الوطن ، فعليه أن يجاهد لاصلاح المجتمع المصري وتبديل مركز المرأة في الاسرة والتحرر من بعض مؤثرات الأدب العربي ، وإشعار المحافظين من الآباء بإرادته وشخصيته وحقه المشروع في التصرف بحياته

ولكن هذه الاغراض لن تتحقق إلا متى عقد كل شاب متحرر متعلم عزمه على تطبيق هذه في حياته ، وثقافته في تصرفاته ، وعاداته وأفكاره في بيته وعشيرته

أما التشدق بالعلم والثقافة والآراء الحديثة مع التردد في تطبيقها في الحياة العملية خشية اثارة المدرجات واستجلاب السخط ، فذلك هو الجبن الشائن الذي يمكن للمحافظين ويحط من قدر الشباب وينقص من قيمة تفكيرهم ويرجع بالبلاد ونهضتها القهقرى !

ابراهيم المصري

الصحافة والثقافة

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

« ... كما تكونون تكون صحافتكم ، فإن شئتم أن تقوم الصحافة بنصيب كبير في التقدم فلا بد أن تكفلوا لها قراء في حد مستوى ، تتوافر لهم الثقافة الكافية وعلى الأخص ملكة النقد والحكم الصحيح على الأشياء »

الشأن الأول للصحافة تزويد القارئ بخلاصة مفيدة قريبة المنال من الدنيا التي يعيش فيها . فإن هذه الدنيا في مجموعها أشد تعقيداً من أن يجمعها فكر وحده ، وأوسع رقعة من أن يحيط بها نظرة واحدة . وتتولى الصحيفة من الصحف بما لها من محررين مختصين ومكاتبين في مختلف الشئون ومراسلين في أنحاء المعمورة ، موافاة القارئ في كل حين بصورة مجملة واضحة الحدود عن هذا العالم المترامي الآفاق المتشابك المصالح المتعدد الجهود المتعدد التيارات . فالصحافة من ثم وليدة الرغبة في المعرفة وحب الاستطلاع . وهذه الرغبة الملحة الحافزة التي فطرت عليها النفس البشرية والتي هي قوام كل تقدم عمراني وازدهار علمي ، هي نفسها التي أشعرت بالحاجة إلى الصحف وأوجدتها وكفلت نماءها وزادتها اتساعاً وانتشاراً

وكانت الصحف في أول عهدها مقصورة على أخبار الملوك وانتصاراتهم وأسفارهم واستقبالاتهم وحفلات القصر وميلاد أولياء العهد وما إلى ذلك مما يتصل بالبيت المالك ومن يلوذ به من ذوي الجاه . وتوالت الأحقاب إثر الأحقاب وأخذ الناس يقبلون على التعليم والإلمام بأطراف من المعارف والعلوم وتحصيل مادتها العامة ، وإذ ذاك أفسحت الصحافة مكاناً فيها لبعض الكتابات في هذا الباب التعليمي مع بقاء الشأن الأول للأخبار . ثم ما لبثت أن ظهرت بوادر الديموقراطية واشتد شعور الإنسان بحقوقه ، فتلفتت الناس إلى أساليب الحكم وأداة الملك واهتموا بالشئون العامة ، وقام القادة من المفكرين يدبجون البحوث في الصحف بياناً لما يعرض من أمور الدولة وتأييداً لما يدعون إليه من رأي . وهنا انقلبت الصحف انقلابها الكبير من سجل للأخبار الواقعية إلى أداة للدعاية . فاتخذ دعاة المذاهب السياسية والاجتماعية من الصحف ألسنة لهم ، لكل فريق صحف تنطق باسمه وتروج لدعوته وتصل جهودها بالتأثير على الرأي العام اجتذاباً للأنصار والمؤيدين وتمكيناً له من القوة والغلبة

فلما هبت الروح الصناعية التجارية في القرن التاسع عشر هبتها ، وطغت المدنية بطابعها ، وبسطت سلطانها على جميع مرافق الحياة وتحكمت فيها ، كان من غير المنتظر أن تخلو من الصحافة

مع هذا الذى لها من الأثر فى النفس والاتصال بالحياة . وكان على الصحافة الاصطلاح فى هذه الحركة الصناعية التطورية ولا جناح عليها من حصل ولا يد لها فيه ، لأنه ضرورة لازمة من مقتضيات الزمن . وقد أحدث هذا انقلابا فى الصحافة لا يقاس به كل ما طرأ عليها من قبل . فقد كانت الصحافة فى طورها الأول تعنى بنقل الأخبار لقرائها الاقلين للاحاطة ، والقارىء أن يفهم منها ما يشاء ويعلق عليها بينه وبين نفسه أو خاصته بما يشاء . ثم انتقلت الى طورها الثانى وهو أدخل فى حياة الناس وأقرب الى التدخل فى سير الحوادث ، فقد صارت أداة فى أيدى رجال السياسة للتأثير بها على ذوى الرأى يقصدون بذلك الى توجيه سياسة الدولة هذه الوجهة أو تلك ، ويدعون على كل حال خدمة الأمة والصالح العام

فالصحافة كان لها فى أول أمرها رسالة العلم ، ثم تطورت رسالتها ، كالعلم نفسه ، من مجرد الأخبار وتلقين المعلومات الى تربية الادراك بالبحث والمناظرة . فماذا استجد على الصحافة بعد تحولها الحتمى فى طورها الأخير التجارى ؟

قامت هذه الصحافة الأخيرة على أن يكون قراؤها لا صفة الأولى للصفوة بل جمهور الملايين من السواد الأعظم الذين تعلموا اليوم القراءة بفضل التعليم الالزامى ولكنهم لم يتعلموا التفكير بعد ، فلا غرو أنها قد أسقطت من حسابها تلك المطولات السياسية الفلسفية المترجمة التى كانت تدور عليها الصحافة فى طرازها القديم لتنصرف — وهى الصحافة الحديثة — الى ما تمس اليه حاجة القارىء الجديد وترصد ما يستجيب له شعوره . فهذا القارىء يحس لا محالة فى عصرنا الحديث أنه فى مجمع هائل عجيب لا يعرف منه الا القليل ، وهو قد تعلم القراءة الآن ، فتمكن الصحيفة له اذن فى هذا الخضم الزاخر مقام الدليل المرشد ، فتقرب الى ذهنه عجائب العلم ومستحدثات الصناعة والتقدم فى وسائل النقل وتيسير الأسفار وما الى هذا ، كما تروح فى روعه الهول والعظمة لما تم الكشف عنه فى الماضى وبطولة الرحل المستكشفين والطيارين الأولين وما بسبيل ذلك ، وهكذا ومثله تجيبه فى سياق شائق وأسلوب حى بمثلات هذه المغامرات فى جبر تجاربه العملية ومطمراته الشخصية

ثم يأتى بعد هذا — بل قبله بالنظر الى اهتمام الملايين من سواد القراء — تفصيل خبر ما يقع من الجرائم ، فان أقل الجرائم شأنا خالق الصدى لحياتهم . فترى القارىء أشبه ما يكون بكلب الشرطة الراقى المتمرس فى مطاردته للمجرم حتى يمكنه أو هو يتخيل نفسه ذلك المجرم الخارج على القانون كبير الهمة رابط الجأش ، صاحب النجدة والمروءة فى الهوائم ، القائم فى وجه العالم كله ، يسبح وحده فى وحدته وعزته

وهناك بعد هذا عدد ألف موضوع وموضوع مما كانت الصحافة القديمة تعتبره لغوا لا قيمة له ، فاذا هو من دواعى رواج الصحافة الحديثة : كيف تنجح فى الحياة ؟ فى أى سن تتزوج ؟ خير الطرق لاستحمام الطفل الرضيع أو لصنع الحساء الشهى أو لتخفيف الأسف ، وهلم جرا من أمثال

هذه الإرشادات النافعة والوصفات المنزلية . فالصفات الواجب توفرها لنجاح صحيفة حديثة هي ما يتصل بالحياة الخاصة ، وما يحصل في الخيال ، وما يتعلق باللعب والرياضة . أما الحوادث السياسية مهما بلغ من خطورة شأنها فلا تستهوي جمهرة القراء إلا اذا أبرزتها الصحيفة في صورة للمأساة حتى يرى العامل والمستخدم الصغير مآسي حياته فيها . والظاهر أن هذا النموذج من الصحافة جاء مطابقاً لحاجة حقيقية ، فهو امتداد لشخصية القارئ، وفيه إيناس له بما يجلوه من التشابه بينه وبين الملايين حوله في شواغلهم الخصوصية ومشاغلهم العمل واحساساتهم وأحلامهم

ولئن كانت الصحافة القديمة تتابع الموضوعات الاجتماعية والسياسية على نحو الرسم التخطيطي يرمز الى مواضع الأشياء وعلاقاتها ووظائفها دون تجسيمها وإبراز صورها وما كانت عليها ، فإن الصحافة الحديثة أشبه بالستار الفضي تعرض عليه الصور المتحركة منطقة تجتذب الأنظار وتحرك المشاعر ، ثم هي أيضاً للفيد ، ثم هي قبل كل شيء تتوخى الامتاع والادهاش

والصحافة الحديثة في سعيها الى الرواج لا تدع وسيلة ، حتى لتعمد أحياناً الى الترغيب في شرائها بإنشاء جوائز أو توزيع هبات لأصحاب الحظ من قرائها أو بإعطائهم الحق في التخفيض في ثمن ما يبتاعونه من السلع في بعض المحال والأسواق . وذلك أن الصحافة لم تعد أداة دعاية للنفوذ السياسي فحسب كما كان العهد بها من قبل ، وإنما هي تنظر أيضاً من وراء رواجها الى الكسب . فهي اليوم ليست بمعزل عن العوامل الصناعية التجارية بل انطوت في سلطانها كما انطوت السياسة نفسها . وهؤلاء ملوك الصناعة وعواهل التجارة في عصرنا هم المسيطرون الحقيقيون على مصائر الأمور

ولقد اتخذ هؤلاء المموّلون الصحف للإعلان عن مصنوعاتهم ومتاجرهم . ولما أصبحت قيمة الإعلان بين الملايين من القراء المتجددين من جميع الطبقات اشتد حرص أصحاب الإعلانات على نشرها ، وعوّل أصحاب الصحف في أجور النشر على سر رواج صحفهم ، حتى أصبحت الإعلانات الركن الركين في قيام الصحافة والمورد الأكبر لثروتها . وأدى التنافس بين الصحف فيما يزيد من رواجها من مضاعفة عدد أوراقها وأبوابها وكتابها وصورها ، الى أن أصبحت الصحيفة تباع بأقل من تكاليفها وصار المعوّل كله على الإعلانات في سد النقص وتوفير الكسب . ومن فضول القول أن نشير الى ما تستتبعه هذه الحال من أن الصحيفة من هذه الصحف مهما ادعى القائمون باستقلالها فلا مراء أن الشركات الكبرى صاحبة الإعلانات تعنى الأثر فيما يكتب فيها من المقالات والأخبار

وعلى كل حال فإن هذه الصحافة الحديثة يتوخى الكتاب في تحريرها مثالاً يجعلونه نصب أعينهم ، وهو أن القارئ أو القارئة إنما يلقون عليها نظرة في فترات الترسل وخلو البال أثناء تناول فطور الصباح أو في أثناء العودة في الحافلة أو القطار بعد نهار من العمل المتعب . فتتعمد بها تسلية قرائها ، وترضي ما نشأوا عليه من ميول ، وتصانع ما ورثوه من اعتبارات ومزاعم متواترة

وما حسبنا نعدو الحقيقة إذا اجترأنا فقررنا أنه في عهد هذه الصحافة الحديثة تم الانفصال بين «الجريدة» و «الكتاب» . ولأن القارئ منا ليحس من تلقاء نفسه الفارق في القيمة بين الكلمة المطبوعة في كتاب والكلمة المطبوعة في جريدة . وهو يحتفظ بكتبه وقد يراجع القراءة فيها ، وقلما يحتفظ بجريدته أو يعود إليها

ونحب أن ننبه في هذه المناسبة إلى أن المجلات غير ما قصدنا إليه بكلامنا عن الصحافة . لأن المجلات مكانها بين الجريدة والكتاب ، ويختلف الكلام عن مقدار ميلها إلى هذه الناحية أو تلك . والذي يبدو من الأسباب الجوهرية التي تحمل القديمة إلى التوجه بالأثر إلى الصحف قبل غيرها بالتفكير ومطالبتها بالشيء الكثير ولعله التعجيل ، هذا إلى انتشارها الهائل لا يعدله انتشار المطبوعات الأخرى مهما تكن من رواجها

والصحف يصح فيها أسوة غيرها قولنا : « كما تكونون تكون صحافتكم » فلا شك أن تقوم الصحافة بنصيب أكبر في التعليم فلا بد أن تكفل لها قراء في هذا المستوى . قراء تتوفر لهم الثقافة الكافية وعلى الأخص ملكة النقد والحكم الصحيح على الأشياء ، بحيث يتخذون من أنفسهم رقباء على ما تنشره الصحافة من غث وسمين ومطلق ومقيد ويتبصرونها ومعا للعلم والحالة السياسية والقيم الأدبية أجدر بالثقة مما تعمل الصحف اليومية عادة . ولما كان غير لائق بالصحافة أن تقف عندما يستطيبه القراء ويحلو لهم وأن تكون مجرد مرآة لمشاعرهم ، فإنه كذلك من الظلم لها أن يلقى على عاتقها واجب التعليم كله وأن تكون المسؤولة وحدها عن الثقافة . ولا مراء في أنه إذا تضافرت القوى كلها للنهوض بالتعليم بمختلف الطرق على وجهه الصحيح تهيأ للصحافة أن تكون حقاً للترجمة ومعلماً

عبد الرحمن صدقي

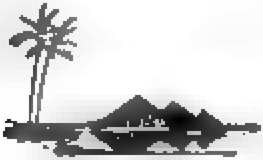

الشعوبية في العصر الحديث

بقلم إسماعيل أدهم

« ليست الشعوبية نزعة أساسها العرقية لأن الأمة وحدة سياسية تمهد أسبابها العوامل الاقتصادية والروابط اللغوية والجنسية والعوامل الجغرافية وذكريات التاريخ . وأن الصفات الأخلاقية الحسنة والمواهب العقلية الممتازة ليست وقفاً على جنس من الأجناس أو على شعب من الشعوب . . . »

الشعوبية في العصر الحاضر في طليعة المشكلات الهامة التي يتناولها المفكرون من نواحيها المختلفة ، وتستأثر بالنصيب الأوفر من عناية الساسة ، وهي من المسائل التي تتأكد أهميتها ويشتد تشعبها على مرور الأيام وتكاثر الأجناس . فعلاقة الأوربيين بالسكان الأصليين في أفريقية لا تزال من مشكلات القرن العشرين المستعصية . وفي الولايات المتحدة رغم كل ما يبذل من جهد لتوحيد العناصر ولم شعث الشمل ، لا تزال المسألة الشعبية تثير الخلاف وتزعج الحكومة وتقلقها ، وفي الجنوب تعد مشكلة الزنوج من المشكلات الخطيرة . وكثرة هجرة الصناع من أوروبا حتى في الشرق مشكلة هامة وفي نواحيها الغربية يثير وجود اليابانيين مشكلات عصبية شديدة وأحياناً كانت خطيرة . وتبرز هذه الصعوبات وتزداد كلما كثر تلاقي الأجناس المختلفة وتقدمت المواصلات واشتد الترابط الدولي وعظمت الحاجة الملحة إلى الهجرة بسبب عدم التكافؤ في توزيع السكان واشتداد الشعور القومي واتساع نطاق التعليم ويقظة الطموح السياسي .

ولتأثير الجنس والقول به ثلاث مدارس ، أحدها تقول إن للجنس أهمية أساسية وأن مستقبل الحضارة قائم على صراحة الجنس وخلوصه من الشوائب ، ومن بين أبناء هذه المدرسة دزرائيلي الوزير المشهور والكونت جوبينو ، ومن أقوال دزرائيلي في ذلك : « إن شعباً خالص الجوهر لم تشوهه الاختلاط هو أرستقراطية الطبيعة » وكان يصرح بأن الأرض سترثها الشعوب النقية وتبيد الشعوب الهجناء ، وأنه لا قوانين العقوبات ولا الآلام الجسدية ولا الاضطهاد الشديد تستطيع أن تجعل شعباً أرقى ينحل ويفنى شخصيته في شعب أدنى ، واسترعى جوبينو التفات الأوربيين إلى ضرورة الاحتفاظ بصراحة الجنس الأبيض وتنزيهه عن الاختلاط بسائر الأجناس . وقد قسم الشعوب إلى ثلاثة أقسام شعوب بيضاء وصفراء وسوداء . والعظمة والنبل والتفوق مقصورة في نظره على الشعوب البيضاء ، وهو في أكثر بحوثه يطيل الأسف ويكثر من النحيب لأن الشعب الأبيض الخالص قد تدنس شرفه وتلوثت دماؤه لتنازله إلى الاختلاط بالشعوب الملونة ،

وهو يذهب إلى أن التزاوج بين الشعوب المختلفة قد يسمو بالشعب الوضيع ويصلح من شأنه ويسفر عن نتائج محمودة ، والعبقرية الفنية في رأيه مزيج من مختلف الشعوب ، وهي إنما نشأت من التزاوج بين البيض والسود ، ولكنه مع ذلك يرى أن انحطاط الجنس الأبيض بسبب الاختلاط شر لا يتخلص منه ولا تزيل آثاره أية ميزة . والتزاوج بين الأجناس الثلاثة هو في نظره سبب تدهور النوع الإنساني

والسياسة العملية التي تقوم على هذه النظرية هي الحرص على الاحتفاظ بالشعب الأبيض القوي وصونه من الاختلاط بمختلف الشعوب حتى يستمر في تقدم مطرد وتغلب دائم على قوى الطبيعة ويسمو بمعايير الأخلاق ومقاييس الفن . ويصل تأثيره بعد ذلك إلى الشعوب المتخلفة فيعلو بها ويقوم من أمرها . وتقدم الإنسانية رهن بوجود تلك الأرستقراطية بين الأمم

والمدرسة الثانية تعتبر الشعوبية بابا من أبواب الشر ومصدر خطر كبير ويبادي أنصارها بأن توطيد السلام والقضاء على أسباب النزاع بين الشعوب والأمم وتقريب وجهات النظر المختلفة ، لازم لتقدم الحضارة واطراد سيرها . ويقتضي ذلك نبذ فكرة الشعوبية ودحضها والعمل على زيادة الاختلاط بين الشعوب وتوثيق الروابط والصلات . وأقوى المناضلين عن هذا الرأي معارضة وأشدهم نشاطا هو الكاتب الإنساني المشهور ولز

والمدرسة الثالثة تنكر صحة فكرة الشعب ، وترى أن الشعوبية من المسائل التي غالبتها سرعتنا في تحديد الأحكام واقتناص الآراء والمبادرة بدون روية ولا اعتدال إلى تعميمها والتوسع في تطبيقها ، ويبين لنا في ذلك التعصب والكراهية والغرور ، وأكثر الصفات التي نعزوها إلى شعب من الشعوب مردها في الحقيقة إلى الوسط الطبيعي والبيئة الاجتماعية والأحوال التاريخية

ويرى بعض الباحثين في طبقات الشعوب وأطوارها أنه قد وجد عدة أنواع من الإنسان ، ولكن الرأي الأغلب أن إيجاد الإنسان يستلزم من الطبيعة قدرة خارقة ومجهوداً ضخماً ، وهي أكثر ضنا بالاقتصاد من أن تستنفد قواها وتفنى حيلها في خلق أنواع أخرى من الإنسان

وفي الماضي السحيق المتوغل في القدم الذي لا يلمع في ظلماته بصيص من النور ولا تتوضح خلاله أضواء ولا معالم ، انتشر الإنسان على سطح الكرة الأرضية ونشأ في ما كان منشأ في إفريقية الزنوج وفي آسيا المغول وفي أوروبا الجنس الأبيض القوقاسي والتقسيم الغالب للشعوب هو تقسيم الإنسانية إلى ثلاثة أجناس : الجنس القوقاسي والجنس المغولي والجنس الزنجي ، فالقوقاسي يشمل أكثر أهل أوروبا وشمال إفريقية وجنوب غربي آسيا ويضم التيوتوني الأزرق العينين والإيطالي الملوح الخد والإسباني والساميين في جنوب غربي آسيا والحاميين في شمالي إفريقية

وليست الشعوبية شرطا أساسيا للقومية ، لأن الأمة وحدة سياسية تقوم على ملامح عنصرية متشابهة سببها تقارب المنشأ واتفاق الوسط ، وتمهد أسبابها المنافع الاقتصادية والروابط الدينية

والعروبة أو التجمع لرد غارة ودفع اعتداء حربي أو اقتصادي . ومن مقوماتها الموقع الجغرافي والاشتراك في الذكريات التاريخية ، والشعور الشعبي قد يكون كبير الأثر في تكوين القومية وتوحيد الأمة ، ولكن الأمة يمكن أن تتم وحدتها وتقوى قوميتها وهي مع ذلك مكونة من شتى الشعوب والأجناس

ومن الأدلة الناهضة على وحدة النوع الإنساني أن الشعوب المختلفة عندما تتكون منها أمة يتقارب تفكيرها ويتشابه مزاجها ويصبح ما بينها من وجوه الشبه أقوى وأوضح مما بينها وبين الشعوب الأخرى المجاورة لها . فالهنغاريون مثلاً وهم من أصل مغولي قد أصبحوا أوربيين في تفكيرهم وهم الآن أقرب إلى الأوروبي القوقاسي منهم إلى المغولي الشرقي . ومما يقرر وجود هذه الوحدة أن اختلاط السلالات المختلفة لا ينتج نسلاً منحرفاً عقيم الذرية . ومن أقوال العلامة الشهير راتزل : « لا يوجد سوى نوع واحد من الإنسان ، والتنوعات على اختلافها وكثرتها لا تنتهي إلى الأعماق »

ويقول طائفة كبيرة من العلماء بتساوي الشعوب ، وأنه لا فضل لأحدها على الآخر . وينكر بعض العلماء ذلك ، فالقائلون بالوحدة الأصلية الجوهرية للنوع الإنساني يفسرون الاختلافات الثقافية والعصرية بالوسط الطبيعي والبيئة الاجتماعية ، ويؤكدون قابلية النوع الإنساني للتغير والتكيف على حسب الظروف وخضوعها للمؤثرات المتواترة . والقائلون بنقيض ذلك يعللون الاختلافات الملحوظة بين الشعوب بوجود تنوعات أصلية مركوزة ثابتة أو على الأقل طويلة الدوام شديدة التشبث بالبقاء . ويمكن القول بأنه لم يمكن حتى الآن الفصل فصلاً حاسماً بين الكامن الأصيل في طبائع الشعوب مما يرد عليها من تأثير البيئة وفعل الوسط وضبطاً تقدير دور كل منهما في الحضارة

والتجارب التي أجريت في دراسة الفروق والخصائص الشعبية لا تزال قليلة ولا تزال نتائجها مظنة التعصب والتحامل وضآلة الروح العلمية والبحث النزيه . وفي حقل الاجتماع وعلم طبقات الشعوب دعاوى عريضة وتعميمات شاملة ونظريات لامعة لا تقوم على أساس وثيق ولا تستند إلى تجارب علمية ، وعمادها ما يكتبه السائحون وما يسجلونه من ملاحظاتهم الخاطفة وخواطرهم السانحة ، وكثيراً ما تتعارض تلك النظريات وتتصادم أحكامها لقيامها على ريوب الآراء ومطاوعتها للنزعات

وكثيراً ما يردون نكوص الزنجي في مضمار الحضارة إلى نقص طبيعي مركب في فطرته ، ولكنه تعليل لا يؤيده الإثبات العلمي . وهناك أسباب كثيرة يمكن أن يعزى إليها تأخر الزنجي ، أهمها احتكاكه القليل بالحضارات الأخرى وطبيعة الأمراض المتفشية في إفريقية وهي من شأنها إضعاف قوى الذهن وحيوية الجسم

ويمكن القول بأن الصفات الأخلاقية الجيدة للرجولة والمواهب العقلية الممتازة ليست حكراً موقوفاً على أرومة من الأرومات أو جنس من الأجناس ، وليس لشعب من الشعوب تفوق داخلي بارز ومواهب طبيعية موروثة . ولقد أحاطت بالأوروبي القوقاسي ظروف تاريخية وأحداث اجتماعية

وردته صفات خاصة وأكسبته فيه مواهب معينة وميزته بالقدرة على التلون والتباعد . وأكثر ابتكارات الأوروبي وما قدمه للحضارة يرجع الفضل فيه إلى بروز تلك الميزة في سلوكه ، فليس هو أول من عثر على الأشكال من الصينيين الذي استعمل الإبرة المغنطيسية والمفرقعات والطباعة وعرف وسائل الري قبل أن تعرف في أوروبا ، وقد امتاز الأوروبي بقدرته على تطبيق تلك المخترعات وإعمالها في مجال واسع ، وأعانه على ذلك غريزة التعاون القوية في نفسه

والنوردي صانع قدير وفنان بارع ومنظم ممتاز وفيلسوف صادق الوحي ملهم الفكر ، فقد ابتدع البوذية والكونفوشيوسية وهما من ديانات العالم العظيمة والنوردي موهوب في الفن والموسيقى ، وشوبنهاور أكثر علاقة بالمدرسة النوردية بسبب الباطنية الفنية ، والنوردي شخصية ممتازة ترجع إلى خلقه الرصين وعاطفته الثائرة ومكانته المشرقة وهي إحدى صفاته وينبوع فياض من منابع عبقريته وله عهد في العمل الشاق المرهق

وقد اشتركت الشعوب المختلفة في بناء الحضارة ونشر المعرفة ، وقد أخذ الأوربيون النجوم من بابل ، وحروف الهجاء عن الفينيقيين ، وأرقام الحساب من الهند ، والدين من اليهودية ، واقتبسوا القوانين من الدولة الرومانية والفلسفة من اليونان ، واستمدوا أسس العلم الحديث من العرب

وقد علل بعض المؤرخين المتشبعين بالفكرة الشعبية سقوط الحضارات القديمة بالاختلاط الشعبي ، وقد عزا هوستن تشمبرلن سقوط روما إلى اختلاط العنصر الروماني الحر بالشعوب الأخرى ، ولم يلتفت إلى أن شر قياصرة الرومان الذين عجلوا بسقوط الدولة الرومانية من أمثال تيبريوس ونيرون وكاليجولا ودومتيان ، كانوا جميعاً من أصل روماني خالص . وسقوط الدولة الرومانية أكثر تعقيداً من أن ينسب إلى سبب واحد ، وهناك أسباب اقتصادية هامة وعوامل سياسية داخلية وثورات اجتماعية كان لها الأثر الأكبر في إحداث ذلك السقوط . وقد توفرت طائفة من كبار المؤرخين على بحث تلك العلل ولم يروا في مسألة الاختلاط الشعبي ما يستدعي عنايتهم وما يكشف لهم عن العلة الحقيقية والسر الغامض في انهيار حضارة الرومان

ولقد ادعى أنصار المدرسة النوردية للنورديين من بارع الخلال وأثير المواهب ما يجعلهم المتفردين على الحضارة وحمل رسالتها ، ولكن الكثير مما كتب في هذا الموضوع يجري إلى عدم استقامة التفكير وشدة التعصب . ويقول فريق من المتمسكين بهذا الرأي إن حضارة الرومان واليونان استمدت وحيها من أصل نوردي ، ولكن المعروف الآن أن حضارة اليونان كانت في جوهرها إحياء للحضارة الإيجية ، والإيجيون على ما يظهر من سكان حوض البحر الأبيض المتوسط ، وقد تمخض غزو أهل الشمال عن عصور مظلمة استلزم إنقاذ أوروبا من دياجيرها عدة قرون ، وكان الفاتحون الغزاة من الشمال أقل مستوى ثقافة وأقرب إلى الهمجية من الشعوب المتحضرة التي غلبوها على أمرها

والنظرية الألمانية الحديثة التي يؤيدها النازيون نظرية الشعب الآري قائمة على أن النورديين يمثلون الوجوه ذوي الرؤوس المستطيلة في شمال أوروبا هم الممثلون للشعب الآري الأصيل ، وأن هذا الشعب هو أرقى أنموذج للثقافة في العالم المتحضر وأسمى ما أنتجته الحضارة سواء في العصور القديمة أو العصور الحديثة ، وأن الطبيعة قد حبتهم صفات جسمية تبين أقصى التطور الذي بلغته الصورة الانسانية ، وحبتهم مواهب عقلية ميزت بها على غيرهم أصبحوا بفضلها سادة وحكاما في العالم القديم والمجتمع الحديث وحرروا بذلك تليد الشرف وطريفه وحموا المجد من أطرافه . واختلاط النورديين بالسلالات الأخرى من شأنه أن يضيع مجدهم ويدخل في تضاعيفه عوامل الركود والانحطاط . فمن أوجب واجبات الحكومة صون الاحتفاظ بالشعب الآري سليما خالصا من شوائب الاختلاط سواء من الوجهة الحيوية أو الاجتماعية أو السياسية . والأدلة الأنتروبولوجية على أن مسألة الجنس الآري التي أسطورة من الأساطير وخرافة من الخرافات التي تتخذ ستاراً لانجاح المآرب السياسية وضربا من الدعاية التي يقصد بها إيقاظ الشعور القومي وإذكاء الروح الوطنية

ومسألة الشعوبية من المشكلات المعقدة التي يعالجها ساسة العصر الحديث ، والمتفائلون منهم يصبون رويتهم في التوفيق بين سير الحضارة وحركة التقدم والاستفادة من المواهب الشعبية المختلفة والمعروف الآن في علاج الموقف ثلاث نظريات : نظرية احتفاظ كل شعب بمقوماته وشخصيته خلال إقامة أفراده بين ظهراني شعب آخر أكثر منهم عدداً ، وتسمى نظرية الاجتماع النير ونظرية الفصل والعزلة ونظرية المزج ، والنظرية الأولى وهي نظرية إبقاء شعبين متجاورين تنتهي في الأغلب بتغلب الشعب القوي ، ونظرية الفصل والعزل وإقامة أفراد كل شعب في حي بعيد عن الآخر أو منطقة منعزلة خاصة جربت في الولايات المتحدة مع الزنوج ولم تأت بنتائج مرضية . والطريقة الثالثة وهي مذهب اختلاط الأجناس المختلفة وتزاوجها تلقى معارضة من بعض الشعوب وتصادف ترحيبا من شعوب أخرى . والنقد الوحيد الجدير بالاعتبار الذي وجه إليها هو أن التزاوج بين الشعوب المتقاربة ينشأ منه نسل قوي ، بخلاف التزاوج بين الشعوب المتباعدة الأصول فإنه ينشأ منه نسل منحرف خليط مستضعف

وخلاصة القول أن أكثر المعاملات بين الشعوب قائمة على المغالاة في التعصب والإغراق في الأنانية وتشويه الحقائق وتغذية روح الزهو والغرور على حساب البحث النزيه والاستفادة من عقلية الجماعات التي لا يؤثر فيها الجهل ولا تعقد المنطق . وتقوية النزعة الانسانية تقتضينا أن نعرف ذلك ونهتدي بهديه

علي أدهم

الجنون أساسه الاختلال في بعض القوى المخية ، أما العبقرية فمنحصرة
في بعض قوى المخ النامية على حساب القوى الأخرى أو بعض الأشياء ، فالجنون
شذوذ أصله اختلال وانحلال ، والعبقرية شذوذ أصله نمو وارتفاع

هل الجنون من مستلزمات العبقرية

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

لكي نجيب على هذا السؤال جوابا صحيحا ، يجب أن نتناوله تناولا علميا بحتا ، أي يجب أن نحدد معنى اللفظين (الجنون والعبقرية) تحديداً علميا سيكولوجيا مبنيا على حقائق تشريحية وفسيولوجية ثابتة ، وبعبارة أخرى يجب أن نفهم عملية التفكير فهما دقيقا ، فبغير هذا الفهم لا نستطيع أن نصل الى شيء ثابت

أما المنطق الأدبي فلا يؤدي الى نتيجة . سيقول الأدباء ، ويقولون دائما ، إن آية العبقرية الشذوذ ، وآية الجنون الشذوذ ، وإذن فالشبه بينهما متين ، ولعل مصدرهما عنصر واحد . وهذا منطق غير معقول . فقد تجد اثنين يتشابهان كل التشابه في تقاسيم الوجه ، وفي أشياء أخرى ، ومع ذلك ليسا ولدين لأب واحد ...

وان الذين يعتمدون دراسة علم النفس سيخرجون بنتيجة مخالفة كل المخالفة لما هو مفهوم أدبيا عند أكثر المتعلمين . وقد كنت أعجب لرأي شوبنهاور حين يصف العبقرية ، فقد أصاب أكثر الحقيقة بتحليل منطقي فلسفي غريب ، وقد أيدت رأيه السيكولوجية الحديثة المبنية على دراسات تجريبية قوية . وسيرى القارىء تفصيل هذا بعد

إذا أردنا ان نتناول دراستنا تناولا علميا وجب علينا أن نبدأ البحث من أوله ، وذلك يستلزم أن نذكر في ايجاز بعض الحقائق التشريحية والفسيولوجية للمجموع العصبي ، ومن ذلك الوصف نمضي الى شرح الحقائق السيكولوجية التي تعنينا في بحثنا

فالمجموع العصبي يتكون من قسمين ، المخ وفيه المراكز العليا ، ثم النخاع وفيه المراكز السفلى ، والثانية تابعة للاولى وتحت تأثيرها واشرافها ، وهي أبسط منها تركيبا ، ويمثل المجموع العصبي الذاتي ، على أن العمل في كليهما تقوم به خلايا عصبية متصلة متشابكة . وفي كليهما وحدة العمل أساسها ما يسمى بالقوس الانعكاسية reflex ، وهي تتكون من محرك ورسول وعضلة ، ومهما اختلف نوع هذه القوس ، فهو اختلاف في التركيب إذ هي في المراكز السفلى بسيطة ، وفي

المراكز العليا متعددة ، ولكن مهم عمليات التفكير والانفعال والارادة ، يهمنا أن نعرض القوى المتعددة فى المراكز العليا

فهذه القوى المتعددة مبنية فى الواقع من طبقتين طبقة عليا وطبقة سفلى ، أما الأولى ففيها التفكير والانفعال والارادة ، وأما الثانية ففيها الوجدان والغرائز ، وتسمى القوى العليا اختصاراً قوى التفكير ، والقوى السفلى قوى الغرائز ويجب أن نعلم أن تلك القوى تعمل معاً عملا منسجما متحداً غير أن القوى العليا تكبح القوى الدنيا وتمسك خطامها ، ومآل كل ذلك الى التنبيه ، وهو ما يسمى عمليا بالسلوك ، أو الخلق . فالسلوك اذن متصل اتصالا وثيقا بالعمليات الفكرية ، وفساد الخلق مظهر من مظاهر اختلال تلك العمليات العصبية ، وهذا السلوك يجب أن يكون أثره الطبيعى « أن يتلاءم الشخص مع البيئة التى يعيش فيها » أى يجب أن تكون التفاعلات العصبية متفقة لهذا الأمر فى النهاية ، والا حدث ما يسمى عدم الانطباق وضع الوتد المستدير فى الثقب المربع ، فتكون النتيجة أن الوتد قد لا يستطيع دخول الثقب ، أو يتكسر الوتد باصطدامه مع الثقب الذى لا يلائمه

من هذه المقدمة يتضح لنا :

١ ـ ان المراكز العليا تسيطر على السفلى

٢ ـ ان القوى الاكتسابية هى وحدة التفكير . وهى فى المراكز العليا تنقسم قسمين : أعلى وأدنى ، والأعلى يسيطر على الأدنى ويكبح جماحه

٣ ـ ان نتيجة التفاعلات العصبية أن يتلاءم الشخص مع الوسط الذى يعيش فيه

٤ ـ ان التفاعلات العصبية مكونة من عناصر هامة أرقاها التفكير والارادة ، وأدناها الغرائز أما التفكير فيتوقف على التذكر ، ويتفرع من ذلك الخيال ، ويتصل بالتفكير اتصالا شديداً ما يسمى بالانفعال ، وعند ما تتكون مجموعة من الانفعالات حول غرض واحد يتكون ما يسمى بالاحساس

والتذكر يحدث بما يسمى « تداعى الافكار » أى ان الكلمة تجر أخرى من مكمنها والفكرة تجذب الفكرة المحببة من مكمنها

وتوجد فى المخ أجزاء تسمى « مساحات التداعى » وكلما زاد ذكاء الشخص كبرت هاته الأجزاء واتسعت مساحتها ، وكلما اتسعت مساحتها ، كان محصولها من الكلمات والافكار والصور أعمق وأكبر . فشكسبير أمكنه أن يستعمل ١٥٠٠٠ كلمة لأنه عبقرى ، وقد لوحظ أنه كلما قل ذكاء المرء قل عدد الكلمات التى يستعملها ويكررها فيها

والوعى هو مركز التفكير ، اما مركز الذاكرة فهو العقل الباطن وهو الذى يرسل الكلمات أو الصور المخزونة ، وعلى مقدار قوته تتوقف سهولة بعث هاته الكلمات أو الصور أو المعانى ،

وإرسالها إلى مركز الوعي ، أي الواضح لدى أن في العبقرية (١) يكون مركز الوعي قويا متماسكا،وتكون قوى التفكير طاغية مسيطرة في قوى الغرائز (٢) يكون العقل الباطن قويا كذلك لا هو يغذي مركز الوعي

ويزيد على ذلك شيء يعده كثير من الفلاسفة وعلماء النفس أساسيا وهاما في العبقري ، وهو (٣) تكون التفاعلات الذهنية عند العبقري على أشد ما تكون التفاعلات حدة وعددا وحيوية. فالشخص العادي تكون عنده التفاعلات الذهنية كل يوم سائرة على نظام واحد لا تتبدل ، أما في العبقرية ، فالصور الذهنية ، والأفكار ، تتبدل وتتغير وتتشكل على آلاف من الأشكال ، تتعالى وتتنافر ، تقترب وتبتعد ، تحترب وتتصادم . وهنا يحق ما يصفه من الأدباء في وصف العبقرية ، فهي « ويل مرات » بعد هذه الحيوية الفكرية أساس كل عبقرية ...

ويقول كارليل إن العبقرية قدرة على الصبر والتعب قبل كل شيء .

ويعد وليم جيمس هذا « التخمر » الذي لا بد أن يحدث حدثا يوما ما ، أساسا للعبقرية يفوق عوامل الوسط والتطبع والتركيب الشخصي . وقد أفرد فصلا خاصا بذلك في كتابه « أوراق في الفلسفة » .

وما شأن الغريزة إذن ؟

هي في رأي الأستاذ كول تزجي إلى « الاتجاه نحو هدف ما غير تبصر ولا تعليم »

وهنا يحسن أن أذكر رأي شوبنهاور الذي أشرت إليه قبلا ، فهو عند ما تكلم عن العبقرية قسم العملية الذهنية إلى إرادة وغريزة ، أي إلى قوتين كما قلنا ، ففي الأطفال والحيوانات تكون قوى الغريزة كل شيء ، وفي الأشخاص العاديين تتساوى القوتان قوة ، وفي النساء (في رأي شوبنهاور !) تطغى قوى الغريزة على قوى التفكير ، وفي العبقرية تتضخم القوى الفكرية حتى تكتسح القوى الثانية اكتساحا تاما

ولذلك تكون من صفات العبقري

(١) أن يرى ما لا يراه الشخص العادي ، لسمو تفكيره وخياله وانفعاله

(٢) أن يرى وجوها للمسائل لا يراها الشخص العادي ، الذي يحكم بالغريزة ، والغريزة عمياء « عشبية » لا ترى غير وجه واحد ولا ترى غير عينها

(٣) أن يكون صادق الهوى غير متحيز لأنه يرى المسائل من جميع وجوهها

(٤) أن يتنبأ تنبؤا صادقا عما سيحدث بعد زمن ، لأنه بعيد النظر دائب التفكير

فالعبقري على ذلك شخص غير عادي لأنه يرى غير ما يراه الناس ويحكم غير حكمهم ، فهو في رأي العامة « مجنون » وفي رأي الطب والسيكولوجية يمثل أرقى طبقات الذهن البشري

والواقع أنه هو الإنسان كما يجب أن يكون

وأين الجنون من الطريق نحو هذا الانسان ؟

ولم يعد من جدال اليوم في أن العبقرية وراثية وأن الوسط والمناخ والعوامل الغذائية والجسمية أثراً بعيداً . وقد أمكن علم الحديث أن يقيس الذكاء الفطري ويضع له درجات . وأكثر الاعتبارات ترمي الى عرفان القوى العصبية الدالة على التفكير والذاكرة والخيال ، مع استبعاد آثار العلم المكتسب

هذه هي العبقرية . فما هو الجنون ؟!

الجنون هو في رأي مرسييه « اختلال في أي عنصر من عناصر القوى العصبية » .

وقد يكون هذا الاختلال تشويها أو توقفا في النمو ، أو اضمحلالا أو التواء أو مبالغة في عنصر من تلك العناصر . والنتيجة أن المجنون لا يتلاءم مع الوسط الذي يعيش فيه ثم يصطدم به اصطداما ضاراً لأحدهما أو كليهما ، ولا يدرك انه يقوم بما لا يجوز .

ولا جدال اليوم في أن للوراثة والبيئة والتربية المنزلية الأولى ، والتركيب الكيمياوي الحيوي للأنسجة العصبية شأنا كبيرا

ويقول مرسييه ان أكثر حالات الجنون سببها تسمم بطيء ، يؤدي الى اختلال المجرى بين المراكز العليا والمراكز السفلى ، ثم يؤدي الى اختلال العناصر التي تكون تلك المراكز ، ويمكن احداث الجنون عمليا باعطاء أي سم من السموم بالتدريج

ويعتقد مرسييه أن السكر ضرب من الجنون ، ويبالغ فيقول ان المجرم لا يرتكب جريمته إلا وهو سكران .. أي مجنون !

وفي رأي فرويد أن العوامل الوراثية وتركيب البنية في المقام الأول ، ثم يتلوها عنف النضال بين عناصر الوعي وغير الوعي ، ثم بين العقل بأكمله والمؤثرات الخارجية ، وبين الذات والذات العليا التي هي بمثابة الرقيب . هذا النضال هو السبب في الأمراض العصبية ثم في الجنون ، ولكن لابد من استعداد خاص كالوراثة والبنية ، ويضاف الى ذلك عوامل أخرى كالادمان والمخدرات والافراط التناسلي والاجهاد العقلي

يتضح مما تقدم أن العبقرية هي تضخم في بعض القوى العصبية العليا على حساب العناصر البدائية الصماء . وأن الشذوذ ناشيء من أن العبقري غير عادي . وأن الجنون أساسه اختلال في بعض القوى العصبية . فالمظهر الخارجي هو الخروج على المألوف في الجنون والعبقرية . ولكن التحقيق العلمي يدلنا على أن الشذوذ في الجنون أصله اختلال أو اضمحلال ، والشذوذ في العبقرية أصله سمو وارتفاع . وشتان بين هذا وذاك ، وان اتحد المظهر في الخروج على المألوف

ابراهيم ناجي

الصراع الغرامي

بين رجولة جورج ساند

وانوثة ألفريد دي موسيه

ظل الشاعر الفرنسي الكبير ألفريد دي موسيه يحلم طوال أيام حداثته بحب امرأة نادرة تجمع الى فتنة الحس جمال النفس والروح . ولقد كان رجلا حاد المزاج سريع التحول متوتر الأعصاب خيالي النظرة الى المرأة والحياة ، قضى ردحا طويلا من شبابه الأول يختلف الى المراقص يلهو ويمرح مع نساء عابثات مستهترات . أمتعته بكل ما في الحياة من ملاذ حسية رخيصة سرعان ما تتبدد ويظل القلب البشري في غمراته الأبدية ، يجد في البحث عن نعيم الحب وسعادة الهوى

والواقع أن إمعان ألفريد دي موسيه في مخالطة أولئك النساء ولده رغبة في المرأة الكاملة المنشودة التي كان خيالها يطوف طيفه ويحتل عقله ويحكر عليه صفو لياليه ويتلبسه ضرب من الحزن العميق الممزوج بالضجر والتبرم والحسرة

كان يخشى أن يموت قبل أن يعرف الحب . وكان يخاف أن يصرعه القدر وهو لم يعرف غير اللذة العابرة التي تزول بزوال الساعة ، وكان شعره في تلك الفترة من حياته رجع صدى نفسه القلقة الحائرة في بحثه الطويل عن العاطفة المنشودة الخالدة

هذا السعي المطرد وراء الحب أضفى على قصائده خصائص شعرية غريبة ؛ فشاع فيها نوع من السماحة القانتة والبراءة الملونة والطفولة الخلابة ، مما أكسبها شهرة واسعة وأجراها على كل فم وكل لسان

وعندئذ تنبهت الكاتبة الروائية النابغة جورج ساند لشخصية الشاعر ألفريد دي موسيه أعجبت به وراعها منه سذاجته وشدة إيمانه بأحلام الحب وتقديسه جمال المرأة وطهرها [illegible] . .

أحبت فيه الشاب اليافع والفتى الغرير والطفل الخيالي والشاعر الملتهب صدقا وحماسة وإخلاصا

وكانت امرأة ناضجة الأنوثة وافرة قوى العقل مسيطرة الحواس جليدة الأعصاب حديدية الإرادة ، عاشت وأحبت واختبرت الرجال وعرفت منهم عدداً كبيراً من صفوة عظماء عصرها ونخبة أفذاذه ونوابغه

والحق أن جورج صاند كانت قد عبثت بالحب في الأخرى وتاقت الى الحب . الى حب صادق ينبع من قلب بريء ، فتوددت لموسيه وتعرفت اليه وافتنت في استمالته وإغرائه ، فهب الشاب وارتمى وتملكته النشوة الكبرى ، نشوة المجد الموفق إذ يستيقظ من تأملاته فيبصر معبوده ماثلا أمامه يتألق حسنا ويختلج حركة وحياة

شعر موسيه أن حلمه قد تحقق وأن المرأة المنشودة الحالمة الى حد البدن ، مثال المثل ، أصبحت له وحده يحلم بها ويستطيع أن يستلهمها أروع القصص وأبدع الأشعار ، فاستسلم لها وانقاد لنزواتها وودع العالم وتبعها وهو موقن أن حبهما سيكون أقوى من الموت لأنه أقوى من الحياة

وأرادت جورج صاند ألا ينازعها في حبيبها انسان . وأراد موسيه أن يباعد بينها وبين معالم باريس ، وأن ينتزعها من أيدي المعجبين بها ، وأن يطمئن في العزلة الى حبه ويتطهر من شوائب الغيرة ولوثات الشك ، فاتفقا على ترك العاصمة والسفر الى البندقية مدينة الهوى والحلم

وهناك ، في تلك الوحدة الزاخرة بالحب المشوبة بالدمعة والأسى ، نشبت بين العاشقين معارك نفسية مروعة ، وتجلت عوامل صراع عنيف بين رجولة جورج صاند وانوثة الفريد دي موسيه أسفرت عن تمزق فؤاد الشاعر وانهيار حلمه وخيبة أمله وتقويض الصرح الذي شاده بنفسه ودمه !

واليك أهم العناصر التي اشتركت في تكوين هذه المأساة كما ذكرها الأديب (روجيه دوتان) في كتابه عن حياة موسيه :

كان موسيه يحب الناس وكانت جورج صاند تكرههم

كان الشاعر مولعا بالحياة في المجتمعات وكانت القصصية تهوى التأمل والعزلة

كان الرجل كسولا يقضي سحابة نهاره متسكعا في الشوارع ، وكانت المرأة جادة عاملة تشتغل أكثر من أربع عشرة ساعة في اليوم ولا تغادر مكتبها إلا لتخرج باحثة عن حبيبها فلا تلتقي به إلا في الحانات سكران معربداً

وكان موسيه أهوج طائشاً رقيقاً ، يعد بشيء ثم ينسى فيخلف الوعد ، يفتتن بفكرة ثم يثأر بنقيضها فجأة ولا سبب ، يهتم بشخص ثم يعرض عنه فجأة وفي غير أدب ، يظهر اعجابه بجنبيت ثم يطري أمامها عاشق من عاصف في البندقية من نساء . وهكذا كان يبقى معها ساعة ويعيش في الخارج ساعات ، يتجول في انحاء المدينة ويغشى احياءها الشعبية ، مصطحباً في جولاته رهطا من السكارى وفئة من الموسيقيين وجمعا متنافسا من المتربين العاطلين وطائفة مختارة من بنات الهوى

والغريب فى أمر ألفريد دى موسيه أن القوة التى جرته الى الاسراف فى اللهو والافراط فى المرح كانت هى نفسها قوة الحب !

كان افراط حبه جورج ساند يود لو استطاع أن يحتق العالم

كان حبه الشديد يغريه بالمرح ويدفعه الى السرور ويدعوه الى التسامح وعدم الاكتراث ويضاعف أخلاقه شباباً ونزقاً ويزيده عبثاً ورعونة كطفل قرير يشتهى فهو يطرب ويهلل ويملأ الدنيا صياحاً وضجيجاً

وأما جورج ساند فكانت هادئة النفس صافية العقل متزنة الأعصاب تنظر الى شاعرها نظرة الملاحظ الصارم فتستجلى بواطن شخصيته وتقف على حقيقة أهوائه وتعد عليه هفواته وتكتشف على الرغم منها معظم الفارق بين خيالها عنه وبين ما هو عليه فى الواقع

وأعجب من كل هذا أن ألفريد دى موسيه ظل يمرح ويعربد دون أن تخطر على باله لحظة واحدة فكرة خيانة جورج ساند ! .

أجل ، وكان يحيا بين أجمل نساء البندقية ، ولكنه لم ير فيهن من تستحق منه ولو نظرة ولم يتطلع الى امرأة غير حبيبته ولم يستسلم لمرارة نزوات صغيرة ، وكان فى لهوه مثال الترفع عن كل ما يمكن أن يسىء الى الخلق الذى يحبه ويعبده

ومع ذلك فقد أعرضت عنه جورج ساند وتنكرت له ورأتها شيئاً فشيئاً حبها الجامح القديم

أعرضت عنه لا لأنه لم يكن وفياً لها ، بل لأن أخلاقه لم تعجبها

أعرضت عنه لأنها لمست فى سلوكه وتصرفاته ، ولا سيما فى طيشه ونزقه وعبثه وسماحته ، أشياء هى فى عرفها من خصائص الأنوثة ، هذه الخصائص التى كانت تنكرها وتحاربها فى ذاتها وتعتزم فى تحرير نفسها منها

شعرت أنها بإرادتها القوية وعقلها المتزن وهدوئها واتزان أعصابها ، تمثل فى هذه المأساة دور الرجل وأن موسيه برعونته وغروره واستهتاره يمثل دور المرأة فكبر عليها أن يستعبدها أضعف لمن هو أضعف منها ، وثارت فى نفسها تلك الرغبة الأبدية ، رغبة المرأة فى الرجل الذى هو أقوى منها والذى تستطيع أن تحبه لأنه يستطيع أن يخضعها ويفرض عليها سلطان رجولته وخلقه ! . .

ولم تعد تحتمل الحياة مع الشاعر ونمت فى نفسها فكرة الانفصال عنه

أرادت أن تسترد حريتها وتتخلص من هذا الطفل المتعلق بها ولكنها أحجمت أول الأمر وترددت

أحست غرامها القديم ينبعث من سباته ويستولى عليها ويقترن بعاطفة جديدة لم تكن فى حسبانها

حيل اليها أنها تحنو على موسيه حنو والدة على ولدها وأن شيئاً من روح الامومة قد سرى في حبها ، فتركت وراجعت حبها واستقر رأيها على وجوب تجنب شخصية حبيبها لتتمكن من الحياة بجواره والاخلاص له

حاولت أن تجعل من الشاعر الكسول رجلاً عملياً ، ومن الفتى الطائش شاباً عاقلاً ، ومن الانسان المتصف الفكر المستهتر للغرور عفواً رفيقاً هادئاً مواصلاً ، فبدأت تعارضه برأيها فيه ، وتنتقد مسلكه بالحسنى ، وتعد مجالس الارشادات والنصائح ، وتدفعه الى حب العمل اليومي ، وتزين له حياة البيت ، وتبذر في عقله وقلبه بذور الارادة والقوة والرجولة ولكن الشاعر استعذب حبها وسحر منها ثم كبر عليه أن تجرؤ امرأة على اقتحام حرمه النفسي ، فتمرد عليها وازعجها حبها ، وانطلق يلهو ويمرح وفق هواه وهي تتبعه وهو يضحك ويهزأ كأنه غير حافل

ويجب إنصافاً لجورج ساند أن نقول إنها أعادت الكرة مرات ، وجاهدت أسابيع طويلة لتبديل شخصية حبيبها ، وأنها استعطفت وتوسلت وبكت ولكن على غير جدوى

حينئذ دب اليأس في فؤادها ، فتغير كل شيء فيه واستحالت الى امرأة أخرى

أهملت الشاعر تاركاً فالتهبت كبرياؤه وكاد يجن !

لم تكترث له وشرعت تخرج مع سواه وتتعرف الى الرجال وتغشى المجتمعات وتطيل السهر في الملاهي حتى ساعة متأخرة من الليل

وأصبح هو الذي يمكث في البيت بمفرده وهو الذي ينتظرها وهو الذي تأكل الغيرة قلبه وعقله وهو الذي يمثل حقيقة دور المرأة المستسلمة المكروبة الحظ

وعصفت به الغيرة وبرح به الألم ، ولكنها لم تشفق عليه وعمدت توفق بين حياة العمل وحياة اللهو عائشة سعيدة طروبة كأن وجوده بالأمس كان عالة عليها

ولم يفهم موسيه أنها بمسلكها الجديد أرادت اشعاره بضرورة الانصراف عنها

لم يفهم أنها أعرضت عنه ليبتعد عنها من تلقاء نفسه

لم يفهم أنها زهدت به وأن من واجبه أن يرحل ، فتمسك بها وازداد تعلقاً بها وآلى على نفسه الا يتركها مهما كلفه الأمر

واحست جورج ساند بثقل وطأة حبه عليها فزادته إعراضاً وجفاء ، فاحتمل ، وزادها لماً وتقرباً وغيرة ، مما أثار حفيظتها عليه وولد فيه النزعة الآثمة في الغدر والانتقام

وإذ ذاك أصيب الفرد دى موسيه بحمى حبيبة ألزمته الفراش وحالت بينه وبين كل مقاومة ودفع نزعة المرأة وهو لا يدري !

سلمته المقادير اليها وتركتها تعمل به ما تشاء !

اصطنعت الحنان وتكلفت العطف وتظاهرت بالاخلاص والتضحية ، وأخلت في البدء تمرضه

، وتسهر عليه وتحرص على معاونته فى كبح المرض ، ثم أراحت ضميرها وقرت عينها واستردت حماستها ، وعادت إلى الخروج لتلاعب أصدقائها ، متناسية ذلك المريض التعس الذى يئن فى وحدته عذابا وحسرة !

ولما اشتد به المرض جاءته ذات يوم بطبيب إيطالى يدعى (ماسيلو) . ولم يكد يبصر هذا الطبيب الجميل الأسمر اللون القوى العضل ، ولم يكد يلحظ نظراتها إليه وينصت حديثه إليها ، حتى ارتعد واهتز كله ، وشعر بالحقيقة المرة تنفذ إلى صدره كطعنة سكين .

أدرك والحمى تلهبه وتسحب قوى عقله أن ذلك الطبيب أصبح عشيقها !

أدرك أنها اتخذت فرصة مرضه ووحدته !

أدرك أنها تعمدت أن ترتكب هذه الخيانة لتجهز على البقية الباقية من أمله وتقطع بينهما فى المستقبل كل صلة !

أدرك هذا إدراكا عميقاً حارقا ساحقا . وفى تلك اللحظة ، فى تلك اللحظة التى حدها فيها بعد فى انتظاره ، أحس موسيه إحساسا طارئا غريبا أن كل شىء قد انتهى ، وأن الكرامة أسمى من الحب ، وأن الحرية أعلى من الهوى ، وأن الحياة أرحب وأجمل من أن تحصر فى شخص امرأة ، فعقد العزم على أن ينقذ نفسه ويحطم قيده ويحلق فى جو حر سماء متى استطاع مغادرة الفراش

ولقد رد الألم إليه وجوده ، ولم تنله الحسرة العنيفة عن عزمه . فلم يكد يبل حتى جمع أمتعته وحزم حقائبه وودع المرأة المشؤومة وعاد بعزمه من حيث أتى

عاد إلى باريس يحمل شخصية رجل ولكن قلبه كان قد مات ، مات تحت عذابات شعراً خالداً على مر القرون والأجيال

نظرات فى الحب

- قبلة واحدة فى وسعها أن تهدم حياة إنسان !
- الفقير الذى يحب ويستطيع أن يكون محبوبا هو الغنى المحسود !
- الحب وحده هو الذى يقى الإنسان أحيانا من الانتحار !
- لا يصح أن تثق بامرأة تصرح بسنها الحقيقية !

« أوسكار وايلد »

حضارتنا عالمية

وكذلك يجب أن تكون ثقافتنا

« . . . إن الأخذ بثقافة معينة صرف عن الشعوبية الفكرية ،
سيوقفنا ما نخشى منه إلى شعوبية سياسية والتعصب . »

وردت فى كتاب للمفكر المجرى هنرى رالف (الوطنية أو الانسانية) هذه العبارة : « أصبحت الحضارة الصناعية الراقية حضارة العالم بأسره . وهذه الفكرة قد فهمتها الشعوب الشرقية وشرعت تأخذ بها وتحاول تطبيقها على أنظمة حياتها . ولكن السبب فى أن تلك الشعوب ما تزال متأخرة ، يرجع الى أنها لم تفهم بعد أن الثقافة أصبحت كالحضارة عالمية أيضا ، وأن كل شعب يحرص على نصيبه من ثقافة محدودة أو عدة ثقافات معينة لا بد أن تتجه ميول أفراده وجهات مختلفة متنابذة تهدد آخر الأمر ذلك الانسجام الضرورى الذى ينهض عليه بنيان الأمة »

هذا ما يقوله العلامة المجرى . والواقع أن الظاهرة التى أشار اليها يلحظها الباحث فى مختلف أمم الشرق العربى ولا سيما فى مصر

فنحن نعيش الآن خاضعين لعدد معين من الثقافات الأجنبية يحتل عقولنا ويسيطر على عواطفنا ويصدر عنه وحى تفكيرنا وإحساسنا

فالذى تثقف منا ثقافة انجليزية ، يظاهر الانجليز ويؤيد المبادىء والتعاليم الانجليزية ويمجد الروح الانجلوسكسونية . والذى تثقف ثقافة فرنسية ينتصر لنزعات الفرنسيين ويشدو بالعبقرية اللاتينية ، والذى أحرز قسطا وافرا من ثقافة الألمان يسحر بالنظريات الألمانية ويقدس فضائل العنصر الجرمانى

فكل فرد من هؤلاء يتخذ فى حياته ومسرحه الفكرى أهدافا خاصة ، ويحاول أن يطبع أعماله وجهوده بصبغة الثقافة الأجنبية التى تشربتها نفسه ، بل هو يجتهد متى تزعم حركة كبيرة أو متى أسند اليه منصب خطير . فى طبع أعماله العامة بطابع تلك الثقافة المعينة التى يدين بها ويرى الخير كل الخير فى ترويجها ونشر الدعوة لها

ولقد ترتب على هذا أن نشأ بيننا التعصب الثقافى الممقوت وانحدر منه نوع آخر من التعصب السياسى للأمة صاحبة الثقافة المفضلة

وأبلغ دليل على ما تقدم أن فى البلد الآن تيارات ثقافية متعارضة تحاول الدول الأجنبية استغلالها فيما يعود عليها بالنفع فى دوائر السياسة والاقتصاد

والحقيقة أن مصر أشبه بمنجم حافل بالكنوز تتسابق الدول الأجنبية لاستثماره من طريق العمل على نشر ثقافتها وتكوين طوائف من المصريين تعتنق هذه الثقافات وتنقسم على نفسها وتتحيز كل منها لدولة دون أخرى مما يعود آخر الأمر بالنفع العميم على نفوذ تلك الدول ومصالحها المادية

ولقد اتجهت مصر صوب أوربا منذ عهد محمد علي الكبير ، وكانت ميالة بوجه خاص إلى اقتباس الأنظمة والتعاليم الفرنسية ، ثم جاء الاحتلال البريطاني فحاول زعزعة نفوذ فرنسا . وراح الإنجليز يبذلون قصاراهم لتغلب ثقافتهم على البيئة المتأثرة من سلطان فرنسا الأدبي

وأما نحن فما زلنا نتخبط بين هاتين الثقافتين وبين غيرهما تخبطاً تبدو آثاره في أخلاقنا وتصرفاتنا وأساليب الحياة في بيوتنا واللغة الأجنبية التي نتخاطب بها في مدارسنا ، بل في إنتاجنا الفكري نفسه

وليس شك في أن هذا التطاحن الثقافي يهدد كيان الوحدة القومية المصرية ويوسع مسافة الخلف بين أفراد شعب واحد ، ثم هو بعد ذلك كله يفقدنا الأصالة الشخصية المصرية التي تضمحل وتتبدد وتغيب معالمها في شخصية الأجنبي وطابعه

ولقد استفحل ذلك التعصب الثقافي في نفوسنا إلى حد أن أصبح تحقيق التفاهم بين عناصر الثقافة أمراً عسيراً شاقاً ، فنحن نرى المتشاحنات الفكرية والخلافات المذهبية وتضارب الميول والأهواء العاطفية والخلقية ، ماثلة في المجالات بين من تلقوا العلم من أمرائهم في انجلترا مثلاً وبين من تلقوه في فرنسا أو ألمانيا

وهكذا شملت الحيرة الحياة المصرية وعمها القلق وأحاطت بها عوامل التفرق والتوزع ، وأمست مضطربة لا تدري إلى أية ثقافة تستقر ومن أية ثقافة تستوحي وتقتبس

ومما لا يقبل الريب أن هذا الداء الذي ينخر هيكل الوحدة المصرية كامن في عجزنا عن إدراك الحقيقة التي أشار إليها الكاتب الحر ، وهي أن ثقافتنا يجب أن تكون عالمية كما أن الحضارة العصرية التي آمنا بها وسلكنا سبيلها وجب الأخذ بها ووطأناها ؛ لأنها أصبحت حضارة العالم بأسره

فواجبنا اليوم وقد سلكنا سبيل هذه الحضارة أن نقتدي بأبطالها وأن نتعصب للفكر لا للفكر ممثلاً في ثقافة معينة ، وأن نتعصب للفكر الحر لا للفكر مقيداً بوجهات نظر خاصة وميول واعتبارات لا تتفق وشخصيتنا ومزاجنا

المهم أن نفهم أن الأخذ بثقافة معينة ضرب من العبودية الفكرية سرعان ما تنتهي بنا إلى عبودية سياسية واقتصادية

المهم أن نقبل على شتى ثقافات العالم ننهل منها ما استطعنا ، وأن نعرف أن ثقافة الهند أو الصين أو روسيا أو إيطاليا أو أسبانيا أو بلاد أوربا الشمالية ، لا تقل عظمة وروعة ولا تقل مدداً لنا وقيمة لنهضتنا عن ثقافة الإنجليز أو الفرنسيين أو الألمان

وأما ثقافتنا العربية القديمة فلا ينبغي أن تستحيل في أذهاننا الى شبه عقيدة تقيد عقولنا وتشل حركاتنا وتستغرق مناحي تفكيرنا وتباعد بيننا وبين العالم

ان تلك المغالاة التقديسية التي يغذيها البعض في الثقافة العربية لمن أخطر الأشياء في حقيقتها ، وان ذلك الوهم الشائع بأن تلك الثقافة قد وسعت المعارف جميعا ، وان الاكتفاء بها فرض على كل شرقي عربي غيور ، لمن أشد المؤثرات وأعظمها خطراً على مستقبل العربية ومصير الشرق العربي

ومن الخطأ أن نتصور أن في تغذيتنا الثقافة العربية تقوية لعصبيتنا القومية ، إذ الواقع أن تضييق دائرة البحث ، وحبسه في محيط قاصر ، وقصره على تمجيد عقلية محدودة ، هذه الفروض لا تقوي العصبية القومية بل تضعفها ، لأنها تقطع صلاتها بعوامل الرقي الخارجي وتحرمها الانتفاع بثمرات عقول الغير وتحيلها الى إيمان أعمى قائم على المكابرة والعناد والجهل

وإذن فليست العبرة في أن نكون متعصبين بل في أن تكون ثقافتنا مطلقة واسعة الأفق رحبة الفسحات مترامية الأطراف ، خالية من شوائب التعصب المرذول تستمد قوامها من مختلف القوى وتتحدر وتنصب آخر الأمر في الطبيعة المصرية والمحيط المصري لتقرر وحدة الأمة واقرار الانسجام الفكري بين أعضائها ومضاعفة شعورها بشخصيتها الممتازة وخصائص كيانها المستقل

فنحن كلما تجردنا من التعصب لثقافة معينة ازدادت مقدرتنا على اقتباس ما يصلح لنا من متعدد الثقافات وازداد احساسنا بحريتنا وتوكيدنا لهذه الحرية

ويجدر بنا أن نلاحظ ان سمونا فوق التيارات الثقافية المتنوعة ، ونظرنا اليها جميعا بعين البحث المجرد ، وتجنبنا اجراء أية موازنة أو مفاضلة بين واحد منها وآخر ، واستعدادنا للاعتراف بما فيها من جوانب القوة ونواحي الضعف ، كل هذه العوامل تساعدنا على الاحتفاظ بجوهر عقلنا الخاص وتنقذنا من شر المحاكاة ووصمة التقليد وتدفع بنا الى الخلق والابتكار بما يتفق ومؤهلاتنا ونظرتنا الحرة الى الحياة

فكما نحن نكره العبودية لسياسة دولة معينة كذلك يجب أن نكره العبودية لثقافة أمة معينة وهذه الكراهة هي سر عظمة الأمم الاوربية الكبيرة التي تنصب ثقافات الأمم الاخرى وتنقلها الى لغاتها وتبحثها وتدرسها وتقدر قيمتها ، لا لتتعصب لواحدة منها بل لتمد عقول أبنائها بلقاح جديد يغذي روح الأمة ويدعم كيانها المستقل ويزيدها شعوراً بقوة شخصيتها

ولقد عرض الكاتب الحماوي سليمان رفاعي لهذا الموضوع في حديث له مع محرر مجلة « الحياة الجديدة » الامركية فقال ما معناه :

« نشأت مولعا بالثقافة الغربية مغاليا في تفضيلها على سائر الثقافات وتعصبت لها ، وذهبت في تعصبي الى حد اني أردت لبلادي أن تنسلخ عن ماضيها وتنكر تراثها الأدبي وتقبل على كل ما هو غربي تعتنقه اعتناقا حتى يصبح على مر الزمن طبيعة فيها . وكنت أعتقد أن هذا هو السبيل

الأوحد لرقيها وأن قادها المعنوي في فرنسا هو سر تجديد حياتها ونشاطها

« والحق أن هذه النزعة لم تضيق في خاطري محيط تفكيري فحسب ، بل ضيقت محيط شخصي أيضا ، فشعرت على الرغم مني أني قد صرت أقل فرنسيين في حياتي وطريقة تفكيري وفي أسلوب الأدب وانتاجي العقلي . الى أن بدا لي في يوم من الأيام أني لم أعد عسكريا وأني غريب عن وطني ودخيل على أهلي ومصري على كل التفكير والانتاج

« وعندئذ أيقنت أن لا شخصية لي وأن نصيبي لثقافة واحدة هو الذي يوشك أن يجهز على

وهنا أحسست هذا الخطر في ساعة من ساعات التأمل وفحص الضمير ، ثبت الى رشدي وفتحت بصري على العالم الواسع وآليت على نفسي أن أكون عالمي التفكير جديراً بالحضارة العالمية التي أعيش فيها ! »

ومثل هذا الذي وقع لستيفان زفايج في مستهل حياته ، يقع لمعظم الأفراد في فترات نضجهم ولمعظم الشعوب في فترات نضجها أي في أزمنة التحول ومراحل الانتقال

ففي عهد التحول تضطرب النفوس وتتداعى القواعد ويسرع الانسان الى كل جديد تشوقه اليه المصادفة ، فيتعلق به ويتشبث بأوضاعه ويؤمن على الفور بقيمه ويعتقد أنه السبيل الأوحد لتحقيق التحول واجراء الاصلاح المنشود

ولكن الاصلاح العميق هو نتاج شتى الثقافات مستخلصة مركزة

والتجديد الصحيح هو نتاج الكل الشامل لا الجزء المنفصل المحدود

فالقدرة على حيازة هذا الكل هي دليل القوة وهي عنوان التأهب لتوكيد الشخصية تمهيدا لاحراز السيادة والتفوق

والذي يسري على الفرد يسري على المجموع

فكما أن ستيفان زفايج بعد إذ تحرر من لون معين من الثقافة ، وبعد إذ تطلع الى مختلف آفاق المعرفة ، استطاع أن يثمر شخصيته ويستغل مواهبها ويؤكد لها السيادة والتفوق باظهار ما كانت تنطوي عليه من ملكات الخلق والابتكار ، كذلك المجموع لا يبتكر ولا يقوى ولا يسود إلا بعد إذ يهضم جهازه الفكري أوفر العناصر وأغزرها كي يحولها الى مادة مستقلة تضمن حياته وتمنح شعوره الى صفة الآخرين . وفي هذا يقول فرانك راتف :

« ان جسم الانسان السليم غذى طعامه عن انه يعيش ويغتذي من كل شيء ، فلا عجب أن يكون الذهن السليم أيضا عالمياً ، وأن تكون الحضارة كذلك مشتركة مع العالمية في تمجيد روح القوة ونزعة العالمية ! »

سجل الأيام

عرض عام لشؤون الشرق العربي ومسائل السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

أفراح الملوك

ملوك الأفراح

ليت لنا لسان الشعراء بل ليتنا أعطينا ريشة الفنانين لنصف أفراح الأمة في فرح مليكها

ولماذا قلنا أفراح الأمة فتلك أفراح الامراء والعمال والفقراء، وأفراح كل من احتوته ضمن مصر الزاهرة

فليهنأ صاحب العرش بما حباه الله واختصه به _ ليهنأ شبابه وزوجته وليهنأ بروحه وبما من الله عليهما به من حب وجمال وليهنأ بمحبة أمته ؛

وليهنأ علاك برشده وبرعيته هو مليكنا مؤيداً بالعدل معززاً بالحرية مكرماً بالمساواة بين الرعية من الآن وإلى أبد الآبدين

شؤوننا الداخلية : الدستور

الدستور ! وما هو الدستور ؟

عندما فرغ القانوني « سانيس » رئيس اللجنة التي نيط بها وضع الدستور في عهد نابليون من مهمته قدم الى الامبراطور في حفل ، والحاجب « تاليران » واقف الى جنب مولاه ، فصمت سانيس قليلاً وقال : « ها قد أنجزنا يا مولاي ما أخذناه على عاتقنا من جهد وأتممنا نصوص الدستور فجاءت شاملة كاملة »

قال تاليران : « ومبهمة »

وهي تكون في الواقع مبهمة ولكن عبقري الاستهتار أراد أن يعبر بكلمة واحدة عما سطره الشارع ولا يزال يسطره من خلاف على الدساتير ، تفسر بشيء الآن وبشيء آخر بعد زمان ، وهكذا الى أن يسود روح الوفاق والتعاون أو تتغلب إرادة على أخرى

وقد قالوا تعليلاً للتعمية ووضع الشرائع في مواد ذات أرقام وأعداد إنها وضعت هكذا لا لتكون في متناول الكافة فحسب بل ليحمي صاحب الدعوى نفسه من قاضيه عندما تطرح لديه الخصومة ، فلا يميل مع الهوى بل يقضي بما هو منصوص في مواد معينة مرقومة

وقرأوا في كتب شرح الدساتير شيئاً كثيراً وفي الأنظمة النيابية شيئاً أكثر، لعل خيرها ما يستخلص من درس تاريخ إنكلترا البرلماني ومطالعة سير رجالهم وأعمالهم باعتبار أنهم طليعة الأقوام الدستوريين وقادة الحكومات النيابية، فقد اجمعوا أمرهم على أن معنى الحكومة النيابية وروح النظام الدستوري هو أن تكون الحكومة حكومة تعاون وتفاهم وتساهل لا حكومة تمسك بمواد ونصوص

سموها بلسانهم Government by Concession

فالدستور روح وليس ألفاظاً جوفاء

أما التمسك بالروح فيحيي، وأما الحرف فيميت

قوام الحكومة الصحيحة في النظام البرلماني الأخذ والعطاء وسبيلها محاولة الإقناع، فشيء من النزول عن بعض الأمر هنا وشيء مثله هناك وهكذا حتى يتفق الفريقان

النظام البرلماني القائم على الدستور ليس مواد قانونية مهما تعددت مواده. إن هو إلا روح سمحة منبسطة تعلم ما لها وتعرف ما عليها فلا تصلف ولا عنت

وهو بعبارة أوضح ذوق وكياسة

حتى تكييف المواد القانونية في المحاكم إن لم يتناوله القاضي في ذوق وكياسة التوى القصد من العدالة وضاعت الحقوق

فالرجال المتمرسون بالحكم المتطلعون إلى خدمة الجمهور يجب أن يجعلوا نصب أعينهم استقرار أداة الحكم واستمرارها حتى تصبح وكأنها تستطيع المشي وحدها إن غاب المدبرون. وفي سبيل ذلك يطلقون التعصب في الرأي ويحبون ويسمحون، حتى قال كثير من رجال الفكر عرضاً إني أعرف الزعيم الحق عند ما أجد رجلاً إذا قال تعصب وتشدد فتعصبه صخرة لا تلين، أما إذا عمل وجلس ينفذ ما قاله في معاملة الناس والأخذ والعطاء فهو متساهل واتئد ولم يتمسك برأي

أو لم يقل رجل من أعظم رجال الدول في التاريخ: لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إن شدوا أرخيت وإذا أرخوا شددت

وليس معنى هذا أن ينافق المرء أو يتحير في أعماله من غير عقيدة مهما شأن الوصوليين لا قيمة لهم بين الرجال. إنما معناه احترام رأي الغير كاحترام المرء نفسه ومعرفة الحد فيما هو مستطاع أو غير مستطاع والنزول عن بعض الشيء في سبيل إدراك الغاية

وما الغاية في عرف الحكومة إلا خدمة الجمهور

لذلك سعى القوم الناظرون في هذه الأيام، أيام حكم الشعوب، إلى استنباط أداة للاستمرار في نظم من حقه التبدل والتغير عند ما أعوزهم الاستقرار الطارئ والطبيعي

ومن حسن طالعنا أن مصر صاحبة عرش ثابت الأركان، والعروش كانت ولا تزال خير دعامة

لاستقرار الحكومات . ويقولون لك إنه لولا العرش لاعتقرنا لما تسنى لها أن تجتاز هذه الحقبة من الدهر بلا تصدع ولا طغيان . ويقولون إن دماء البرلمانات في كثير من انحاء العالم مصدره فقد عامل الاستقرار لفقد نظام ملكي ثابت

ولا يخفى أن آلة الحكم عمل لا نظريات

وأن خير ما تعمد به الشعوب تكييف حكومتها حسب تقاليد الناس وحبة معشرهم

فاذا استقرت هذه المبادىء في الأذهان وجب على المشتغلين بالسياسة منا ــ رجالة وقطعانا ــ أن يأخذوا الامور كما هي وأن يتجردوا من « الكرامة الشخصية » في سبيل كرامة أجل وأبقى هي كرامة خدمة الامة بتهيئة حكومة صالحة وضمان الاستقرار

ولن يتم لنا كيان أو يطمع الثابت في البناء الدولي إلا اذا كان محور الوزارة في سياستنا القومية الاعتراف بما للعرش من حقوق

ولا نقول حقوقا مكتوبة

فانها ان لم تكن مدونة مسطورة فواجب الخدمة العامة به للمصلحة القومية ــ يقضي بأن توحدها ونريد فيها ونرفعها ونوجهها توجيها شعبيا

ذلك أدعى الى الاستقرار . وذلك سبيل العمل أن يجد له ملجأ يرجع اليه اذا حرب الأمر وضاع الصواب وطغى الاستبداد

قد تزول الحكومات على اختلاف الوانها وقد ينقلب دست هذا الوزير فلا يبقى [illegible] صاحبه السياسي . أما العروش في الملك فتبقى ما بقيت الامة سليمة

والعروش في هذا العصر حرة لا يتحرأ من الشعوب ، فهي ليست كما كانت عليه أيام الجاهلية السياسية الاولى منفصلة من الناس مكانا قصيا ومترفعة عن تفهم حقيقة أمرها على أنها رمز الأمة شعارها « الخدمة » لا « السيطرة »

ونحن من الذين يعرفون النية الطيبة ويؤمنون بفعل رجل الدولة عندنا بها

لذلك نعتقد بأن روح الدستور سيبقى بأن يسود

روح الدستور لا حرفه

فرجل الدولة من عمل لغده لا ليومه ، ولأمته لا لنفسه

ونود أن نفرق بين رجل الدولة ورجل السياسة فقد وضعنا هاتين الكلمتين ترجمة « هو في لسانهم statesman أو homme d'Etat للاولى و politician الثانية

فرجل الدولة عظيم يمتد نظره الى أبعد مدى وقد لا يعرف له قومه حقه في حياته ولكنهم يعرفونه قدره عندما يجيء ملء الزمان وتدق الساعة التي عمل لها . ولكنه لم يظهره لنا التاريخ إلا عاملا في ظل نظام ثابت مستقر لا تزعزعه التقلبات السياسية أو الاهواء

وهذا من طبيعة الأشياء ، فالعمل المنتج يؤتى ثمره فى هدوء وظرف استمرار ، لذلك نظروا إلى آثار رجال الثورة فلموا فى ظلال العروش القوية تثبت معالم تلك وعشوا الروح القوى ووحدوا الجهد الشعبى

ويقول أعداء النظم البرلمانية إن هذا الصنف من الرجال أصبح قليلا لا تكاد تجد له أثرا الآن بعد أن ملأ التاريخ كله إشادة بذكرهم فى سالف الزمان

وأما رجل السياسة Politician فهذا الذى نجده وقد عجت به البرلمانات فى هذا القرن ومعظم القرن التاسع عشر ، فهو ابن النظم التى قامت على أنقاض الثورة الفرنسية عقيبة النظم الإنجليزية ما استطاعت فكانت تعم العالم

فهو ابن يومه وليد الظروف يمثل ما فى الحكم البرلمانى من تغير وتحزب وتقلقل

وليس فى هذا القول ما ينعى به على رجال البرلمانات وشعبها ، فإنهم يكادون يكونون مسيرين لا مخيرين

فالحياة البرلمانية وليدة الديمقراطية بشكلها الحاضر تنزع من الفرد سلطانه وتسلمه الحزب وتسلمه الحزب للزعماء وتسلمه هؤلاء إلى الأمة إذا ثاروا وإلى تأييد ما يدينون به فى رأى أو مذهب إذا ساروا

فأنت ترى أن النظام نفسه وهو عرضة التغيير والتبديل وتقلب الآراء والأهواء ، يخلق رجالا على طرازه يضطرون أن يعدوا ويسرعوا إلى المواعيد ثم لا يجيئوا وأن يبالغوا ويشيدوا بما أنتجوه من الخدمة العامة ثم لا يعملوا ، ذلك أن الوقت يكاد يضيق بهم فهم بين جهد فى اجتذاب إلى جهاد فى مناقشات فى مجالس النواب إلى جهاد فى إرضاء الناخبين يعقبه جهاد فى إرضاء النعمة العامة ، فلا يبقى للعمل المنتج شىء من الدقائق أو الساعات

أما ونحن قد أخذنا بهذه النظم التى كثر منتقصوها فى هذا الزمن فقد صار من أوجب واجبات رجال الحكم أن يوفقوا بين ما تنطوى عليه النظريات فى تعاليمها وبين ما تقتضيه الحياة منهم مما أورثتنا من تقاليد وما عودتنا من طرق الحكم لا تتفق الاتفاق كله مع النظم النيابية

وليس الأمر سهلا على رواه فهلا تكاد تتوه به هم الرجل فإنه يستدعى مهارة ربان يسير السفينة فى بحر كثير العثرات مضطرب الأمواج عميق الغور تارة ، وقرارته أخرى . ولا مندوحة أن يكون هذا الربان متمرسا بأهوال البحر يعرف مسالك الأيام فيأمن العثار

وميزاتنا أيام الوفاق المتقطعة

هل يجوز لنا أن نترحم على أيام الحكومة النيابية ؟ وهل آن أن ننسى ما اتصفت به تلك الحكومة من مساوئ فى الإدارة ومظالم فى توزيع العدالة وعسر فى كل مرافق الحياة الاقتصادية ؟

وعندنا لا نترحم على ميت شرير إذا تخلصنا وأسأنا خليفته الحى له ما كان للميت من شر، وليس له ما كان للمتوفى من عزم وحزم وعلم بادارة آلة السيادة الحكومية. فنحن بشر معرضون للنسيان والزمان ينسى. ونحن شعر أمتنا أصحاب الأمل، وإذا بنا لا نعرف إلا ما نحن فيه، وما نحن فيه شر وبلاء. ويحضرنا أصواتنا وأسماء أشخاصنا إذا نطقنا بأسمائهم فانتقدنا ما آلت إليه حالهم على أيدى أولى الأمر فيهم

أليسوا يحضرونا ويدعوهم أثناء الأخطار المتفقة؟ ومن حق الأخ على أخيه الصراحة فى الرأى والاخلاص فى أداء الرغبة رجال ما تولوا الحكومة فى شتى الحكومات والدولات فماذا صاروا؟

رضوا أن يضعوا طرابيش كبيرة واسعة ضخمة على رؤوس صغيرة، ورضوا أن هكذا تكون الدول وهكذا تكون الحكومات!

وزراء وبرلمانات ورؤساء حكومات وموظفون بالمئات، كل ذلك فى سبيل إرضاء المطمع الشخصى والطموح الفردى. ولكن ماذا صنعتم للشعب؟

تؤخذ الأموال وتضرب الضرائب على شعب تكاد مرافق الحياة تسد فى وجهه. فهلا أنفقتم من الأموال؟ وهلا نظرتم نظرة صحيحة إلى تحسين الادارة والأخذ بالعمل المنتج وتركتم هذه المظاهر الخلابة الكاذبة؟

أليس لهذه الشعوب العاملة من حق على أبنائها غير أن تنشئ لقوم مأواه مرتباتهم وليس لأصحابها من نفع إلا القليل القليل؟

إننا نبدأ بحكم أنتم أيها الاخوان لأنكم أبناء هذه الشعوب تعلمون ما كانت تشكوه وتعلمون ما هى الآن فيه فما معنى هذه الانانية والتضحية براحة أمة فى سبيل ملء وظيفة. وما هذه المناول يهتم بها حكم العصر الأخير

ثم نحدركم ونلوم هؤلاء الذين تولوا أمر الانتداب بكم فقد رأوا فى الأخلاق أعوجاجا لم تقوموها بل زادوا فى التوائها. يرسلون حكامهم من طراز لا يصح وضعه فى الدرجة الثالثة، إذا كان الأصل فى الحكم أن يتولاه الشريف النزيه العامل على خير المحكومين. ويعملونه ويجعلونه أنتم وبكم الأهل تسيرون سيرته وتهتدون بهديه، وما أنتم بغافلين، فالناس على دين حكامهم فى كل زمان ومكان، فى بالك وتاريخ هؤلاء الناس حافل بحكم لا يليقون بالحكم منذ مئات من السنين حتى الآن

وقد أجملنا وعممنا ولم نخصص، فالداء يكاد يكون وباء. فمن لنا بسيد مطلق الأمر والنهى (وطنيا كان أم أجنبيا) يتزعم الاصلاح بسيرته وحكومته ويده له فى الأمر وفى النهى حتى تستقيم له قواعد الحكم؟

الموقف الدولي الحالي

لو كان كاتب هذه السطور خصب الخيال مغرماً بكتابة القصص والروايات لحاول أن يخرج رواية يجعل عنوانها « المؤامرة على الامبراطورية البريطانية » وأبطالها أولو الأمر في اليابان وإيطاليا وألمانيا

فقد مر على الناس بعد الحرب فصول من السياسة كان يتمثل القول فيها باضمحلال الامبراطورية البريطانية ودنو أجلها من يوم إلى آخر

وكان أول من نادى به الفرنسيون عندما تخلت عنهم الامبراطورية ولم تشتركهم في سياسة لمع

ثم راجت الفكرة في الولايات المتحدة وأخذ القوم هناك يمنون منهم المفاخر على اللبث في بعض تركته

ولكنها كانت عقيدة متأصلة في نفس موسوليني آمن بها هتلر وأخذ اليابانيون في تحليلها وصاحب التركة حي يرزق . ذلك أن هذه الامبراطورية مترامية الأطراف لا تغرب الشمس عنها ، وشاءت لها سياستها أن تحتمي وراء عصبة الأمم وأن تنشر في الناس دعاية نزع السلاح وتبدأ بالتجرد من كثير منه رغبة أن يحذو العالم حذوها فتطمئن على ما ملكت يداها

فلم تخر الحيلة وعدوا ذلك ضعفاً منها ، فنجح موسوليني في الحصول على ما يبغيه إبطال دولة لم يهددها من قبل ، وأخذ يتسلح في البحر والهواء والبر ، وتبعه هتلر بعد المدة لتسكر عن تحقيق أوروبا ، وشرعت اليابان تكتسح الصين

وهؤلاء قوم جاعوا وطمعوا وعقدوا النية أن يقتسموا فيما نكمل عدده من أيديهم إلى ناحية من نواحي المعمورة حتى تصطدم بالامبراطورية . فأعدوا العدة للنزول معها إلى ساحة القتال

فما بعد العهد ورأى هؤلاء الحربيون أن أعداءهم غير لاهين بهم وأنهم يتسلحون

فهل يصح الأعداء أم ترى الأخطر يصحون ؟

وهم لهم من موقعهم الجغرافي ومن أخلاقهم ومن ثروتهم ومن الزمن حلفاء وأنصار . فهل يسعفهم الوقت ويمكن لهم استعدادهم على أن تتم المؤامرة

لذلك تراهم يناورون . هتلر حيناً عليهم يهادنه عن رمزيته بـ يحصون ، وحيناً يبررون بيوتهم لموسوليني ثم يعودون يتسمرون ، وحيناً يتحدون أميركا في اليابان بل هي موقعة به من ضرب بالقوانين الدولية عرض الحائط لعلهم يأتون بما كشف أمرهم بما هم عليه مقبلون

فهل يسعفهم الوقت ؟

ان نجاح اليابان في الصين يجعلها سيدة خمسمائة مليون من البشر وما ملكت أيمانهم من ثروة معدنية وزراعية

فهل تستطيع الامبراطورية البريطانية أن تصمد في وجه هذه القوة وحدها ؟

وهل تأتي اليها أميركا تقف الى جنبها في حرب لن تغز فيه الانجلوسكسون كل الغنم للاميركيين والاعباء والغرم للانجليز ؟

وماذا تفعل في القارة الاوروبية توليها ظهرها حين تتوجه الى الشرق الاقصى . ومن يحمي لها هذا الظهر وقد كاد ينحني للسنين ؟

في الاقدام على الحرب مجازفة لا تؤمن عقباها منتصرة أو مهزومة

وفي الاستكانة الى السلم والرضاء بالحال الراهنة موت محتم بطيء . حقا انه لموقف لا يحسد رجل لصدره ، فما بالك وهؤلاء البريطانيون حلفاء كرماء علمهم الاستمتاع بالثروة وممارسة السيادة ردحا من الزمن حتى حببوا الى معظم الآدميين ؟

انها لخسارة تبكي لها الدنيا اذا سكت هؤلاء الاقوام

أم تراهم أصبحوا كهذه الخيل الكريمة العريقة في شجرة الاصل الطيب كبرت فسرحت من نزول ميادين السباق واكتفت باعلاف أصحابها من سلها يغلون عليها حتى يقضي القدر أكان ممطولا ؟

سامي الجريديني

كلمات قيمة

• من كنت سياسياً وأردت الاعتماد مقوداً من الجماهير ، فكن حريصاً في اقرار العمل ، ولكن بحسب ما استحسن الاعتماد بالجماهير

« كليمنصو »

• يجب أن نتأمل الرأس في بعض الاعمال لتستطيع من بعد أن تزنه

« فوشيه »

• كثيرون ما يحاولون تخفيف الآلام دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث في أسباب شقائهم . وعندي أن هؤلاء الناس يشبهون الحيوانات تهال عليها عصا سيدها دون أن تفهم السبب الذي تعاقب عليه

« أندريه موروا »

الأمراء القواد

في الأسرة المحمدية العلوية

بقلم الأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

أصدر الجيش المصري في عهد قائده الأعلى جلالة الملك فاروق الأول عدداً خاصاً
بمناسبة ذكرى محمد علي الكبير ، فطلب إلى مؤرخ مصر الكبير الأستاذ عبد الرحمن
بك الرافعي أن يكتب هذا المقال عن أعاظم الأمراء من الأسرة العلوية من القواد العظام

يزدان تاريخ الأسرة المحمدية العلوية بطائفة من الأمراء والقواد الذين جمعوا بين الإمارة وقيادة الجيوش وبعضهم ممن تولى حكم مصر

محمد علي الكبير

لمحمد علي كان قائداً قبل أن يرتقي أريكة مصر ، وقد كان لنشأته الحربية فضل كبير في توجيه عزيمته إلى إنشاء الجيش المصري والأسطول المصري . وقد حضر هو عدة القتال في الحرب التي انتهت بجلاء الفرنسيين عن مصر ، وهو وإن لم يشترك بنفسه في معركة رشيد والحماد التي انتهت بجلاء الإنجليز عنها سنة ١٨٠٧ لكنه كان المدبر للخطط التي سار عليها قواده في تلك

ميدالية محمد علي: ضربت في باريس سنة ١٨٤٠ تذكاراً لمعركة نصيبين التي انتصر فيها الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا على الجيش التركي انتصاراً باهراً

المعارك . وقد اشترك بعد ذلك في الحرب الوهابية وسار الى الحجاز في أغسطس سنة ١٨١٦ ، وهناك تولى قيادة الجيش المصري وبقي يقاتل الوهابيين حتى سنة ١٨١٥ ثم عاد الى مصر بعد ان ظفر بهم . ولم يشترك بعد ذلك في حروب مصر في عهده ، ولكنه كان الرأس المدبر الذي جهز الجيوش والأساطيل وبعثها الى ميادين القتال ورسم لقواده طريق الزحف والنصر

طوسون باشا

هو ابن محمد علي الكبير ووالد عباس باشا الأول . عهد اليه أبوه بقيادة الحملة التي جردها سنة ١٨١١ لاخضاع الوهابيين ، وكانت سنه لا تتجاوز السابعة عشرة . فاضطلع بأعباء القيادة والقتال بشجاعة كبيرة ، وواجه في هذه الحرب الضروس قوات الوهابيين في أوج سطوتهم ، فزحف عليهم بطريق البر نحو ترعة الفرسان وظفر بهم في مدينة الحرب واحتل ... ثم انهزم أمامهم في (الصفراء) فلم تثن الهزيمة عزيمته وبعث يطلب المدد من أبيه فوافاه به . ثم هاجم الوهابيين فاحتل (الصفراء) ثم (المدينة المنورة) وأرسل مفاتيحها الى أبيه في مصر (اكتوبر سنة ١٨١٢) وعاد الى ينبع وأقلع منها الى (جدة) فاحتلها وسار منها الى (مكة المكرمة) فدخلها دخول الظافر وتقدم الى (الطائف) فاحتلها . ورجع الى مصر ووصل الى القاهرة يوم ٨ نوفمبر سنة ١٨١٥ وكان يوم رجوعه يوما مشهوداً واحتفلت به العاصمة احتفالا عظيما

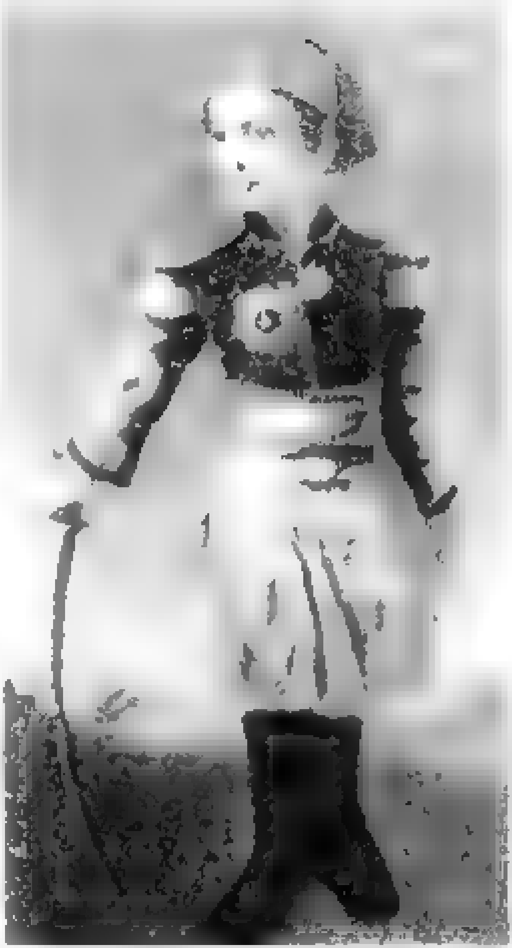

الامير طوسون بن محمد علي الكبير وعليه ثياب عسكرية في صورته

وقد أعدم محمد علي ابن وسال (محمد رشيد) لقتله الفرنسي مراحل على فرع رشيد، وأقام معسكره هناك خمس وأربعين من عساكره للمعارك التي خاضها في الحجاز إلى أن ... ليلة ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٦

القائد البطل ابراهيم باشا

ابراهيم باشا

هو ابن محمد علي وذراعه اليمنى في ميادين القتال وقائد الجيوش المصرية في حروب الاستقلال. اشترك في الحرب الوهابية وقاد الجيش المصري في بلاد العرب سنة ١٨١٦ وظل يتولى القيادة في هذه الحرب الشاقة إلى أن تم له النصر بعد كفاح دام عامين، وعاون أخاه اسماعيل في فتح السودان، ولكن لم يطل مكثه هناك إذ أصيب بمرض شديد اضطره إلى العودة إلى مصر، ودخل في حرب اليونان

معركة عكا

الأسطول المصري يضرب قلاع عكا

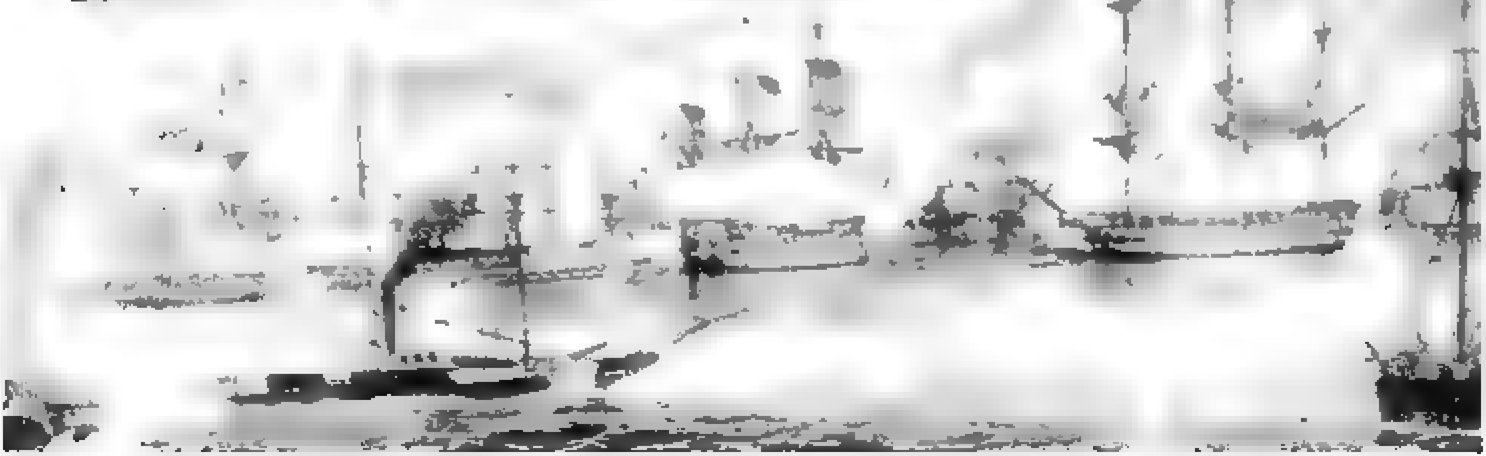

ابراهيم باشا في مقدمة جيشه المصري يهاجم حصن عكا

(١٨٢١ - ١٨٢٨) قيادة الجيوش المصرية في البر والبحر أربع سنوات متوالية ، ففتح بلاد المورة (اليونان) وسط قلب جنود مصر ، إلى أن نشبت عليه الدول الأوروبية فضربت الأسطول المصري في واقعة (نافارين) سنة ١٨٢٧ . وجاءت حروب سورية والأناضول (١٨٣١ - ١٨٣٩) وخاض ابراهيم غمارها على رأس الجيش المصري ففتحت في عشر سنين واقترن اسمه بكبار القواد والفاتحين بعد ظفره بالجيوش التركية في وقائع (عكا) وحمص وبيلان وقونية ، ووصل إلى قلب الأناضول واضطر تركيا إلى عقد الصلح المعروف بصلح (كوتاهية) ٨ ابريل سنة ١٨٣٣ ، وهو يقضي بأن تتخلى لمحمد علي عن سورية وأقليم أدنة مع تثبيت حكمه على مصر وجزيرة كريت والحجاز مقابل جلاء الجيش المصري عن بلاد الأناضول . ثم نقضت تركيا هذا الصلح سنة ١٨٣٩ واستؤنفت الحرب سنة فقاد ابراهيم باشا الجيش المصري في هذه الحرب الجديدة التي انتهت بهزيمة الجيش التركي في واقعة (نصيبين) الشهيرة ٢٤ يونيه سنة ١٨٣٩ . ويعد ابراهيم باشا أكبر شخصية حربية في الأسرة المحمدية العلوية

الأمير اسماعيل باشا

هو ثالث أنجال محمد علي (وهو غير الخديو اسماعيل) عهد إليه أبوه بقيادة الجيش الذي أعده سنة ١٨٢٠ لفتح السودان فاستطاع بجده للمهمة ورجاحة عقله حتى وصل (كورتي) فاحتلها بعد معركة نشبت بينه وبين الشايقية (نوفمبر سنة ١٨٢٠) واستأنف زحفه حتى بلغ (بربر) ففتحها في ٢١ مارس سنة ١٨٢١ م (شندي) ثم (أم درمان) وفتح مملكة سنار (يونيه سنة ١٨٢١) ووصل في زحفه إلى بلاد (فازوغلي) حدث له في (مايو سنة ١٨٢٢) ثم نشبت ثورة في (شندي) وكان عليها الملك (نمر) وهو لندر الثورة ، فجاءه اسماعيل باشا في أواخر أكتوبر سنة ١٨٢٢ وأحضر الملك (نمر) أمامه فعرضه وأسرف في نفسه إذ لطمه بالشبك على وجهه

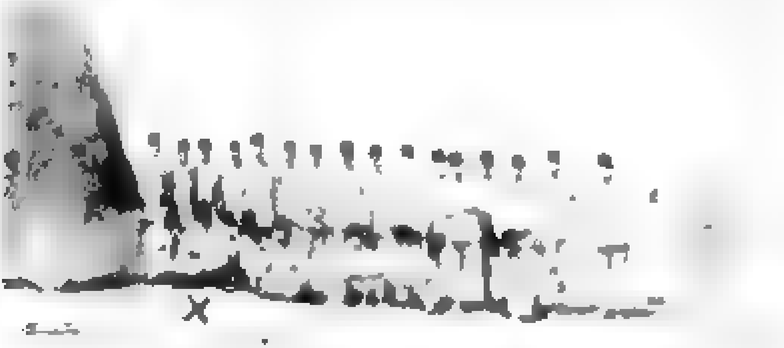

قبر اسماعيل ثالث أنجال محمد علي الذي قتل ودفن في شندي بالسودان وبه
جماعة كبيرة من ضباط الجيش المصري الذين قتلوا معه (١٨٢٢)

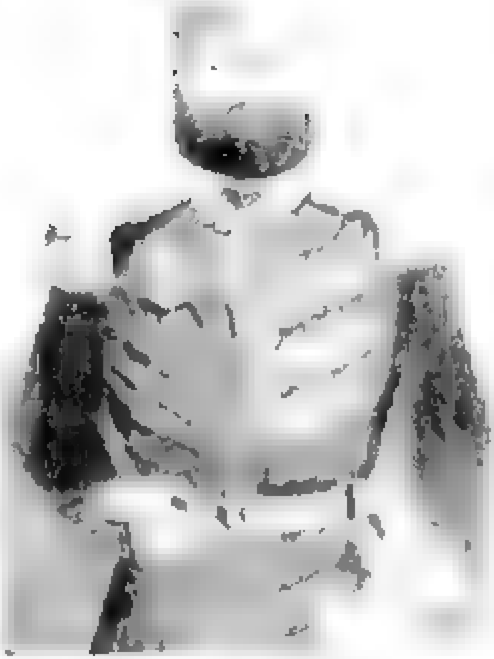

عباس باشا الاول مرتب
رغم اسال حروب
الدوره

حديو سعيد [illegible]
[illegible] المصري
[illegible]
[illegible]

فأسرها ابحر في سفنه وأسير الادعاف والمشوع ثم دعا اسماعيل الى وكيه في قصره تير الجمهوره وبها هو وبطانته ... الى ... من خطب والقش أعدهما من قبل حول القصر عصبة ... حول البناء ... فيها ... من في القصر ... اسماعيل ... حرفة

عباس باشا الاول

اشترك مع ابراهيم باشا في الحروب السورية وقاد فيها أحد الفيالق

سعيد باشا

ابن محمد علي ... نشأ نشأة حربية بحرية ... الملك المصري ودرب على فنونه الحربية واشتغل في خدمة الاسطول المصري بوصفاتا لاحدى البوارج الحربية التي كانت ترابط على مصر وتوقظهر البحار وترقى في المراتب الحربية حتى تولى في أواخر عهد أبيه منصب القائد العام للاسطول . ولما ارتقى عرش مصر كان مولعا بالجيش وقيادته ، وكثيرا ما كان يقضي أيامه في معسكر الجيش ويعرض عليه شؤون الحكومة وهو وسط جنوده وخطب له أن يسير بالجيش متنقلا في أنحاء البلاد ولكنه ... عن القتال

[illegible]

حسين باشا

هو الأمير حسين باشا ابن الخديو اسماعيل اشترك في حرب الحبشة سنة ١٨٧٦ إذ كان من قواد الجيش المصري فيها ولم تكن حربا موفقة و... ثم عهد اليه أبوه قيادة الجيش المصري الذي جرده لمعاونة تركيا في حرب البلقان (ابريل سنة ١٨٧٧) فاستطاع ... القيادة ... شرقا في القتال حتى وضعت الحرب أوزارها في مارس سنة ١٨٧٨ وعاد الى مصر

• • •

والآن وقد ... مصر بحكم جلالة الملك ... فؤاد الاول فقد آن لها أن ... الى ... أخرى ... في عهده الزاهر

عبد الرحمن الرافعي

قائد الجيش الأعلى
صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

بحث نفسي طبي في

دور الكهولة وخطره على المرأة

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد
مدير مستشفى الملك

جاء ترتيب سن المرأة في كتب فقه اللغة كما يأتي :

« هي طفلة مادامت صغيرة ، ثم وليدة اذا تحركت ، ثم كاعب اذا كعب ثديها ، ثم ناهد اذا زادت ثم معصر اذا أدركت ، ثم عانس اذا ارتفعت عن حد الاعصار ، ثم خود اذا توسطت الشباب ثم مسلف اذا جاوزت الأربعين ، ثم نصف اذا كانت بين الشباب والتعجيز ، ثم شهلة كهلة اذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد ، ثم شهبرة اذا عجزت وفيها تماسك ، ثم حيزبون اذا صارت عالية السن ناقصة القوة ، ثم قلعم ولطلط اذا انحنى قدها وسقطت أسنانها »

أما في عرف الطب فالمرأة جنين مادامت في الرحم ، ووليد اذا ولدت ورضيع مادامت ترضع وفطيم اذا فطمت عن لبن الأم أو المرضع ، وصبية اذا دبت وبدأت أن تسقط رواضعها وهي الأسنان اللبنية ، وكذلك هي صبية اذا نمت نمواً فانسجمت من اللعب مع الصبيان وشبهت بالفتيات وهي أصغرهن . فاذا دخلت في عداد النساء وكبر ثدياها ونبت الشعر في مواضع مختلفة من جسمها لم يكن فيها وجاءها الطمث كل شهر فهي فتاة أو جارية

ويمر الرجل بهذه الأدوار : « فهو جنين مادام في البطن ، ورضيع مادام يرضع ، وفطيم اذا فطم من لبن الأم أو المرضع . فاذا دب ونما فهو صبي . فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور . فاذا ترعرع ونشأ وكاد يبلغ الحلم فهو يافع ومراهق . فاذا دخل في عداد الرجال واخضر شاربه وبقل وجهه ونبت الشعر في مواضع مختلفة من جسمه وتغير صوته ، ومال الى النساء فهو فتى وشارخ »

وجسم الفتى أو الفتاة من لدن الولادة الى حين البلوغ ينصرف — وهو يستكمل نموه — لحفظ ذاته متحصناً بأجهزته وقت الخطر من الخطر

أما بعد البلوغ فينصرف جسم الفتى أو الفتاة لحفظ النوع أو النسل . ذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل المرأة لباساً للرجل كما جعل الرجل لباساً للمرأة . وتظل المرأة صالحة للقيام بوظيفة حفظ النسل الى أن تصير شهلة كهلة . أما الرجل فيظل قادراً على حفظ النسل مادامت حياته ، حتى

لقد قال بعضهم انه يستطيع أن يجري التلقيح باحدى خصيتيه بينما تكون الاخرى في القبر . ولسائل أن يسأل : ولم تثبت قوة حفظ النسل في المرأة متى تجاوزت دور الكهولة ؟

والجواب على ذلك لابد أن نعرف أولا متى تصير المرأة كهلة . فقد مر بك أن دور الكهولة يأتي بعد دور النضج . والمرأة النضج هي التي بلغت الاربعين أو خمسين سنة أو نحوها ، فكأن الكهولة لفظ يعادل ما يسمى عند الاطباء سن اليأس . واليأس في عرفهم هو التغير الذي تصاب به المرأة اذا وصلت الى هذه السن فانقطع حيضها وحملها

وتختلف سن اليأس باختلاف النساء ، فهي بين الاربعين والخمسين من العمر . ويقول الاطباء إنه كلما بكر دور المراهقة في المرأة تأخرت سن اليأس . أي اذا بكر ظهور الحيض تأخر انقطاعه فاذا ظهر في العاشرة من العمر انقطع فيما بين الخمسين والثانية والخمسين . وان ظهر في السنة الحادية عشرة انقطع فيما بين الثامنة والاربعين والخمسين . واذا ظهر في الثانية عشرة انقطع فيما بين السادسة والاربعين والثامنة والاربعين . وهكذا اذا تأخر الحيض الى العشرين من العمر انقطع فيما بين الثلاثين والثانية والثلاثين . ومن ذلك يتضح أن مدة الخصب في المرأة هي مدة الحيض وهي المدة ما بين سن المراهقة الى سن اليأس ، وهي نحو ثلاثين سنة على المتوسط . وذلك لأن ظاهرة الحيض التي تحدث كل شهر تلازمها ظاهرة أخرى وهي خروج بويضة من أحد مبيضي المرأة . والبويضة هي التي يكون منها الجنين اذا لقحت . والمبيضان من أعضاء التناسل الباطنة في المرأة ويعتريهما ضمور فيما يعتري سائر أعضاء التناسل اذا دخلت المرأة في دور الكهولة أو سن اليأس

وقد يحدث انقطاع الحيض في سن اليأس دفعة واحدة وقد ينقطع تدريجا إذ يأتي شهرا ثم ينقطع شهرين أو ثلاثة ، ثم يأتي شهرا آخر وينقطع بضعة أشهر ويمكث هكذا نحو سنتين أو ثلاث سنوات ، ثم ينقطع انقطاعا لا رجوع بعده

ولا يقتصر تأثير الكهولة في المرأة على انقطاع خصبها وحيضها بل كثيرا ما تبدو عليها أعراض عصبية مختلفة غير مرغوبة فتصبح سريعة البادرة وتغضب من غير سبب ولا تعرف من غير شيء ، وقد يشق الطعام على معدتها ويثقل عليها فلا تستمرئه ولا تحمد مغبته . وقد تصاب بالامساك أو الاسهال . وقد يهجرها النوم فلا تذوق الكرى ولا يطمئن جنبها الى مضجع . وقد يأخذها صداع أو دوار أو ضعف في البصر الى غير ذلك مما يطول شرحه

ويعلل بعضهم هذه الاضطرابات العصبية بقولهم ان وظيفة المرأة هي الامومة وما اليها ، فاذا حرمت منها في سن اليأس اختل توازنها

ولا يقتصر تأثير الكهولة في المرأة على ضمور المبيضين بل يمتد الضمور الى سائر أعضاء التناسل فيحدث الضمور مثلا في الثديين فيسترخيان في المرأة الممتلئة ذات الثديين المرتفعين نحو صدرها ، وقد يكثر شحم المرأة رشيقة القد ممشوقة القوام مرهفة الجسم رقيقة البطن ، فاذا هي

حية مخشنة مرعاء لا تستلين كثيرها ومراعيها متى كانت المرأة قبل الكهولة حية ناعمة البشرة قد يذوب شحمها ويذهب لحمها فاذا هي هرمة شمطاء

ومن غريب ما يحكى عن سبب الحيض الذي يبدو في البنت حتى المرأة وينقطع عند سن اليأس ما يقال انه أثر لغضب الله سبحانه وتعالى على أمنا حواء لخروجها هي وزوجها عن أمره ونهاه اذ قال لهما في سورة البقرة : « اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وقال لهما في سورة طه : « إن لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى »

فلما أغواهما إبليس وأكلا من الشجرة ناداهما ربهما بقوله تعالى : « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين » فكان الحيض في المرأة على هذا الرأي أثراً من آثار هذه الغضبة

ومن الناس من يقول ان الحيض من فضول الدم التي يتخلص بها الجسم من المواد الضارة التي تتجمع فيه

ومنهم من يقول انه لجسم المرأة كتعلم الأم لآلة الحارة . ذلك لأن المرأة منذ ما تدخل في زمن الخصب وتصبح معرضة للحمل يدخر جسمها غذاء اضافيا لما عسى أن تحمله . فاذا حرمت الزوجة من التلقيح ولم تلقح أصبح الجسم في غير حاجة لما ادخره من الغذاء الاضافي ، وعلى ذلك يتخلص الجسم منه في مواد الحيض ، ويتكرر هذا الادخار وهذا التخلص حتى اذا حلت انقطع الحيض لتحوله غذاء للجنين . ويستدل أصحاب هذا الرأي على صحة قولهم ان الحيض ينقطع في المرأة في أثناء ارضاعها مولودها لأن الغذاء الاضافي الذي يدخره الجسم يخرج منه لبن للرضيع . وهم يتمادون في تأييد رأيهم بقولهم ان الحيض ينقطع أيضاً في المرأة اذا كانت مصابة بفقر في دمها . ذلك لأنها تكون هي نفسها وقتئذ في حاجة شديدة لكل ما يدخره جسمها

وهناك رأي آخر يدعي ان الحيض ضروري لتهيئة الرحم لقبول البويضة الملقحة وعلوقها في تجويفه فيتهتك الغشاء المخاطي الذي يبطن هذا التجويف . فاذا لم يحدث الحمل تقيح البويضة ولم تلتصق وتخرج في مواد الحيض . وعلى هذا الرأي يحدث الحيض حملاً فاشلاً

ولا يبقى الى دهشك أيها القارئ ، ما هو شائع من أن المرأة لا تحمل ما دامت ترضع ولدها . فمن النساء من تحمل ولما يرجع الحيض في أثناء الرضاعة . والمعتاد أن يبدو الحيض في المرضعات اللاتي لا يرضعن أولادهن عقب ولادتهن بستة أسابيع . أما اللاتي يرضعن أولادهن فيتأخر رجوعه عندهن

وان تعجب من حدوث الحمل في المرأة وهي ترضع ولدها ولما يرجع الحيض فعجب أن تعرف أن المرأة قد تحمل في سن المراهقة ولما يبتدئ الحيض عندها ! بل العجب العاجب أن تعرف أن

المرأة قد تحمل بعد انقطاع حيضها لبلوغها سن اليأس . ولعل من هذا النوع ما بشرت به امرأة إبراهيم عليه السلام فقالت : « يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ! ! قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد »

وليس هنا ما يدعو إلى العجب حقاً ، ذلك لأن من أمره تعالى ما هو معروف عند الأطباء مما يحدث أحياناً من خروج البويضات من المبيض في سن المراهقة قبل أن يبدو الحيض في الفتاة . ومن استمرار خروجها حيناً من الوقت في سن اليأس بعد انقطاع الطمث

ومن خطر الكهولة في المرأة تعرضها للسرطان ، إذ كثيراً ما يحدث في عنق الرحم ويحدث نزفاً غير منتظم قد تحسبه المرأة حيضاً فلا تبادر بعلاجه في الوقت المناسب . وقد يحدث في أحد ثدييها ، وهنا أيضاً يجب أن تبادر بعلاجه خشية أن يفوت أوانه

ومن خطر الكهولة في المرأة تعرضها لارتفاع الضغط الدموي بسبب انقطاع الحيض وما قد يصحبها من السمنة الفاحشة . هذا إلى إسرافها في الغذاء باستمرار تناولها ما اعتادت أن تتناوله في شبابها من اللحوم والبيض وما إلى ذلك من المواد النتروجينية بمقادير لا يحتاج إليها جسمها في هذه السن

ولا تحتاج المرأة في اتقاء أخطار الكهولة إلا إلى مراعاة الشروط الصحية اللازمة في نواحي الحياة المختلفة ، وإلا إلى إيمانها في كهولتها بقوتها ونشاطها وحيويتها إيمانها بها في شبابها ، فهل من التعجيل بالشيخوخة اعتقادها بلوغها . وهيهات أن يكون ذلك في المرأة

الدكتور محمد عبد الحميد

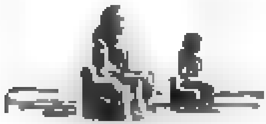

إحراق مكتبة الإسكندرية

التاريخ يبرئ عمر بن الخطاب من هذا الوزر

بقلم الأستاذ حسن الشريف

افتتح «الهلال» هذه السنة الجديدة من سني حياته المباركة بعدد ممتع وقف صفحاته على سيرة ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، ولقد تطوع أئمة الأدب في مصر للوفاء بدين التاريخ لذلك الأمير العظيم فلم يدعوا ناحية من نواحي شخصيته الفذة إلا جلوها للقارئين..

بيد أن اغتباطي بقراءة هذا السفر التاريخي القيم قد شابته شائبة من الأسف إذ رأيته خلواً من مسألة مكتبة الإسكندرية وما قيل فيها من أن عمر قد أمر عامله على مصر بإحراقها، وأحزنني أن أحداً من كبار الكتاب لم يشأ أن يعرض لتلك المسألة على ما لها من الأهمية العظمى في تاريخ الفاروق. لذلك رأيت أن أتدارك هذا النقص وأن أتناول القدر الذي تصل إليه معلوماتي جلاء حقيقة تاريخية لا يجوز أن تبقى معلقة أبد الدهر ولا أن تظل موضوع اختلاف بين المؤرخين

وفي اعتقادي أن من حق عمر بن الخطاب على المؤرخ العصري الذي توافرت لديه المراجع وأكملت عنده وسائل الاستقراء والتمحيص، أن يعرض لقضيته وأن يحكم فيها له أو عليه، فإما أن يحمله وزر الأمر بإحراق دار كتب الإسكندرية وألصق به ذلك الكفر العلمي الذي لا يمحى، وإما أن يبرئه من هذا الوزر فيمحو وصمة علقت بسيرة رجل من أعظم رجال التاريخ

على أني أبادر فأقول إن الذين يصورون إحراق دار كتب الإسكندرية في صورة الجريمة الشنيعة والخطيئة النكراء إنما يحكمون على الواقع ويهيمون في تقدير الأشياء، إذ ينسون أن لكل زمان عقلية تدفع بنيه إلى إتيان أعمال قد نراها اليوم مرذولة ونعتبرها ضرباً من ضروب الوحشية وقد كانت في حينها وفي ظروفها وملابساتها ضرباً من الفضائل يتنافس فيها المتنافسون

ثم فلنعد إلى عمل الإسبانيين حين طردوا من المغرب كان فيه إحراق الكتب وهدم المعاهد وإماتة كنوز العلم والفن فضائل توحي بها روح المحافظة على الدين والخوف على العقائد من أن تتأثر بآراء الخصوم. ولم تقتصر هذه الروح على المسلمين وخصومهم بل تعدتهم إلى أقوام من قبلهم وعاصرتهم فيها أقوام من بعدهم، وهذه صفحات التاريخ حافلة بالأدلة التي تؤيد صدق ما أقول:

فقد أمر الامبراطور تيودوسيوس في سنة ٣٨٩ ميلادية بهدم معابد الوثنيين ومحو هياكلهم وآثارهم ثم تعقب جميع معالم المدنية الوثنية في سائر انحاء الامبراطورية فخرب معبد سرابيوم بالاسكندرية واعدم ما اشتمل عليه هذا المعبد من كتب وتحف ومصنفات

ولما أغار هولاكو التترى على بغداد سنة ٦٥٦ للهجرة أمر بالقاء كتب العلم التي كانت في خزائنها الى نهر دجلة كما أمر بأن تبنى عدة من هذه الكتب اسطبلات الخيل ومداود تعمر بدلا من الآجر والطين (راجع تاريخ ابن الساعي ص ١٢٧ وابن خلدون ج ٣ ص ٥٧٣)

ولما فتح الفرنج طرابلس الشام في الحروب الصليبية أحرقوا دار كتبها بأمر قائدهم الكونت برتران ده سانجيل (راجع تاريخ الامبراطورية الرومانية ج ٢ ص ٥٠٥ للمؤرخ جيبون) وكذلك فعل الاسبانيون بمكتبات الأندلس لما استرجعوها من أيدي المسلمين

وفي عصرنا الحديث لم تسلم أمم عريقة في المدنية من هذه الروح فقد أحرق الفرنسيون كل الكتب المطبوعة والمخطوطة التي وجدوها بمكتبات مدينة قسطنطينة عندما افتتحوا بلاد الجزائر كأنهم من همج الهمج أو من أهل القرون الوسطى (راجع كتاب سيديلو: تاريخ العرب العام ج ١ ص ١٨٥)

فهل يقال بعد ذلك ان الأمر باحراق دار كتب الاسكندرية كان جريمة تستنكرها مدنية العصر الذي فتح المسلمون مصر فيه، أو أن عمر بن الخطاب قد انفرد بجريرة منكرة لم يسبقه اليها أحد ولم يقدم على مثلها بعده أحد؟

على أنه سواء كبرت هذه التهمة أو صغرت، وسواء كانت إجراء عاديا اقتضته صيانة الدين أو جريمة شنعاء يستبشعها إحساس الانسان، فان عمر بن الخطاب برىء منها ولم يأمر بها. والدليل على ذلك سهل بسيط وهو أن دار كتب الاسكندرية لم تكن موجودة حين فتح العرب مصر إذ هي قد أحرقت قبل ذلك الفتح بزمن طويل

● ● ●

لما مات الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٣ ق. م وكان لم يعقب وارثا يرث العرش من بعده، اقتسم قواده أجزاء امبراطوريته المترامية الحدود، فكانت مصر نصيب القائد بطليموس سوتر مؤسس أسرة البطالسة التي حكمت مصر فترة طويلة من الزمان

ولقد كان هذا القائد الملك رجلا مستنيرا محبا للعلم والثقافة يكرم وفادة أهلهما ويجرى الأرزاق على الكتبة والمؤلفين، فتقاطر اليه العلماء والفلاسفة من بلاد اليونان ومن كل صوب وعاشوا في كنفه هانئين فكان يشجعهم على مواصلة البحث والدرس ويحثهم على السهر في شتى فروع الثقافة العامة وجمع الكتب فيها، حتى انحصرت الحياة العلمية بمدينة الاسكندرية وصارت هذه المدينة عاصمة العلوم والفنون ومقر الدراسات والمباحث ومجمع العلماء وملتقى الفقهاء من مختلف البلاد

وكان من بين المقربين الى بطليموس أديب يونانى اسمه ديمتري فاليروس (لعله هو الذى سمع مؤرخو العرب اسمه محرفاً دميرة) وقد أشار هذا الرجل على الملك بتأسيس دار للكتب يجمع فيها ما يتيسر جمعه من الكتب العلمية والأدبية المنتشرة فى أنحاء العالم . وصادفت هذه الفكرة هوى فى نفس بطليموس فعمل على تحقيقها ولم تمض سنوات حتى كانت عشرات الألوف من أنفس الأسفار تشغل جناحاً واسعاً من أجنحة القصر الملكى بالاسكندرية

وجاء بطليموس الثانى الشهير باسم فيلادلفوس فنحا نحو سلفه وزاد أن أرسل رسله الى أقطار الدنيا يبتاعون الكتب القيمة والأسفار النادرة ، فنجحوا فى جمع أنفس مؤلفات اليونان واليهود والاشوريين والمصريين وكل ما احتوته مكتبة الفيلسوف ارسطوطاليس

ثم جاء من بعده بطليموس أورجيتس فأضاف الى مكتبة الاسكندرية كثيراً من الكتب وفرض على كل عالم يقيم بالاسكندرية أو يمر بها أن يهدى مكتبتها نسخة من كل كتاب يملكه . وهكذا ظلت تلك المكتبة فى عهد الملوك البطالسة تنمو وتتسع وظل شأنها يعلو ويعظم حتى بلغ ما فيها من المؤلفات قبل ميلاد السيد المسيح بضع مئات الألوف وذهب معظم المؤرخين الى القول بأنه بلغ زهاء سبعمائة ألف كتاب

ولما كانت سنة ٤٧ ق . م . كان الرومان قد غزوا مصر وثارت مدينة الاسكندرية على يوليوس قيصر لما شاعت بين أهلها صحيحة علاقة هذا القائد بالملكة كليوباطرة فحاصر الاسكندريون القصر الملكى فأمر قيصر باحراق القصر وباحراق الاسطول المصرى الذى كان راسياً فى الميناء أمامه حتى يمنع الأهالى ركوب اسطولهم فيدبر لنفسه مهرباً من القصر أثناء اشتغال الناس بالحريق . وقد امتدت النيران من الاسطول ومن القصر الى الجناح الذى كانت المكتبة تحته فالتهمتها أو التهمت الجزء الأكبر منها

ولما ظهرت النصرانية وعمت الى مصر ثم تبعها اندماج مصر فى الامبراطورية الرومانية ، اصطبغت الحياة العلمية فى هذه البلاد بصبغة الدين الجديد وبدأت العلوم والفنون والآداب الوثنية فى التأخر لتفسح الصدر للعلوم المسيحية وآدابها وفنونها

وقد أسلفنا أن الامبراطور تيودوسيوس المسيحى كان قد هدم معابد الوثنيين وهياكلهم وأباد آثارهم وكتبهم ثم تعقب معالم مدنيتهم فلم يبق منها على شىء قائم ولا على شىء محفوظ ، ونضيف الى ذلك أنه لما كان الجزء الذى سلم من نيران حريق قصر الملوك فى سنة ٤٧ ق . م . قد نقل الى معبد سرابيوم وأعدّ له فيه مكان خاص ، فقد امتد نشاط الامبراطور الى هذا المعبد فدكه دكاً وسواه بالأرض بعد أن أوقد النار فى محتوياته ، وهكذا أعدم هذا المعبد المقدس لديه كل ما يحوى من كنوز العلم والفن التى جمعها الملوك البطالسة من مشارق الدنيا ومغاربها

وفى سنة ٤١٥ ميلادية دار حادث دينى بين امرأة اسمها هيباتيا كانت آخر فلاسفة الوثنية فى

الاسكندرية وكيرلس الأول بطريرق المدينة . ورأى هذا الحبر الجليل أن يضع حداً لذلك النشاط الذي أثار خواطر الناس فأمر بهدم آخر معهد وثني في مصر وباحراق ما يوجد عند الأفراد من كتب الوثنيين

وظاهر أن حملة الرومان على آثار الوثنية وعلومها وكتبها لم تقتصر سلطانها على مصر وحدها بل وجهته أيضاً الى بلاد اليونان . فلقد رأى الامبراطور جوستنيان سنة ٥٢٩ للميلاد أن يطهر الأرض من كل أثر يمت الى الوثنية بسبب ، فأمر باغلاق أبواب مدرسة أثينا الفلسفية وباعدام كل كتاب يتضمن اشارة الى تعاليم الوثنيين في سائر انحاء الامبراطورية الرومانية

بعد كل هذه المطاردة المنظمة، وبعد كل تلك الحرائق والاعدامات المتواصلة ، يحق لنا أن نتساءل : ماهي إذن مكتبة الاسكندرية التي أحرقها عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب ؟ واذا لم تكن بالاسكندرية مكتبة أيام عمر فعلام تلك الضجة التي أثارها بعض المؤرخين قديماً وجاراهم فيها بعض المؤرخين حديثاً ، وما أصل هذه الفرية التاريخية ، وما هي الأدوار التي مرت بها ، وما الذي انتهى اليه أمرها اليوم ؟

● ● ●

انقضى زهاء ستمائة عام على فتح العرب مصر ولم ينقل أحد من الناس ولم يذكر أحد من الرواة أو المؤرخين خلال تلك القرون ان عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية بوحي من عنده أو بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب . فلما كان القرن السابع الهجري ظهر رجل يهودي الأصل اعتنق الديانة المسيحية وترقى في رتب الكنيسة حتى صار اسقفاً وكان اسمه « ابو الفرج الملطي » وقد وضع هذا الرجل كتاباً باللغة السريانية ثم نقله الى اللغة العربية وجعل عنوانه : « مختصر تاريخ الدول » وأورد في النسخة العربية عبارة لا وجود لها في الأصل السرياني هذا نصها :

« ... وعاش يحيى الغراماطيقي الى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب أنسة بها ماهاله ففتن به . وكان عمرو عاقلاً حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكان لا يفارقه ، ثم قال له يحيى يوماً : « انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأصناف بها ، فمالك به انتفاع فلا نعارضك فيه ، ومالا انتفاع لك به فنحن به أولى » فقال عمرو : « وما الذي تحتاج اليه ؟ » قال يحيى : « كتب الحكمة التي في الخزائن الملوكية » فقال عمرو : « هذا مالا يمكنني أن آمر فيه إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » فكتب الى عمر وعرفه قول يحيى فورد عليه كتاب عمر يقول فيه « وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها مايوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى ، وان كان فيها مايخالف كتاب الله فلا حاجة اليه ، فتقدم باعدامها » فشرع عمرو بن

العاص في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها فاستنفدت في مدة ستة أشهر ، فاسمع ما جرى واعجب »

وقد ظن بعض المؤرخين أن هذه الرواية المعيبة فرية دسها في عظيمين من عظماء الاسلام قس مسيحي متعصب لدينه حاول أن ينال من حسن سمعتهما ومن حسن سمعة الادارة الاسلامية في آن واحد . ولكن الحقيقة غير ذلك فان أبا الفرج ملطي لم يخترع ولم يختلق شيئا وانما نقل ما كتبه نقلا يكاد يكون حرفيا عن كتاب « تراجم الحكماء » لابن القفطي المعروف باسم القاضي الأكرم ، واليك ما ذكره هذا المؤلف المصري الأصل ننقله عن النسخة المخطوطة بدار الكتب بالقاهرة :

قال ابن القفطي :

« ... وعاش يحيى النحوي الى أن فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم وما جرى له مع النصارى فأكرمه عمرو ورأى له موضعا وسمع كلامه في ابطال التثليث فأعجبه ، وسمع كلامه أيضا في انقضاء الدهر ففتن به ، وشاهد من حججه المنطقية وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم يكن للعرب بها انسة ما هاله . وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه وكاد لا يفارقه . ثم قال له يحيى يوما : « انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأصناف الموجودة بها ، فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه وأما ما لا نفع لكم به فنحن أولى به فأمر بالافراج عنه » . فقال عمرو : « وما الذي تحتاج اليه ؟ » قال : « كتب الحكمة في الخزائن الملوكية وقد أوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها » . فقال له : « ومن الذي جمع هذه الكتب وما قصتها ؟ » فقال له يحيى : « ان بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليه العلم والعلماء وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها وأفرد لها خزائن وولى أمرها رجلا يعرف بابن مرة (دمتري فاليروس) وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في أثمانها وترغيب تجارها .. الخ .. الخ .. وما زالت هذه الكتب محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم الى وقتنا هذا » . فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه وقال له : « لا يمكنني أن آمر بأمر إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . وكتب الى عمر يعرفه بقول يحيى الذي ذكر ويستأذنه ما الذي يصنعه بها فورد عليه كتاب عمر يقول فيه : « وأما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها ، فتقدم باعدامها » . فشرع عمرو في تفريقها على حمامات الاسكندرية واحراقها في مواقدها وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأنسيتها ، فذكروا أنها استنفدت في مدة ستة أشهر فاسمع ما جرى واعجب »

ويتضح من مقابلة هذه العبارات بالفقرات الواردة في كتاب أبي الفرج الملطي ان ابا الفرج كما قلنا لم يكن مفتريا ولا مختلقا وانما كان ناقلا . وغاية ما يقال فيه أنه نقل رواية لا سند لها من

خليفة ولا من الرواية لحفظ من قدر عمرو بن العاص والخليفة عمر بن الخطاب ، وانه لو توخى شئ فى تدوين وقائع التاريخ لشك على الأقل فى صحة تلك الرواية التى لم يسبق ابن القفطى اليها أحد من المؤرخين طوال ستة قرون والتى لا يذكر لنا واضعها من أين جاء بها ولا السند التاريخى الذى يعول عليه فيها

إذن فابن القفطى — لا أبو الفرج الملطى — هو أول من كتب أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية بأمر من عمر بن الخطاب . ولكن ما هو المصدر الذى استمد منه هذا الرجل تلك القصة ، ولماذا سكت عنها المتقدمون عليه من مؤرخى الفتوحات الاسلامية ؟ يجيب المرحوم جرجى بك زيدان فى كتابه « تاريخ التمدن الاسلامى » الى الأخذ برواية ابن القفطى ويحاول أن يوجد لها سنداً من التاريخ فيذكر ان ابن القفطى نقلها عن كتاب « الافادة والاعتبار » لعبد اللطيف البغدادى الذى زار مصر وكتب عن كثير من مشاهداته فيها . ولكن هذا السند الذى يلجأ اليه منشىء « الهلال » غير صحيح لان البغدادى لم يعرض لمكتبة الاسكندرية ولم يدرس مسألتها وكل ما جاء فى كتابه « الافادة والاعتبار » فقرة أوردها عرضا فى سياق حديثه عن عمود السوارى المعروف فى الاسكندرية وهذا نصها :

« . . . ورأيت أيضا حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف ، وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها . وأرى أنه كان الرواق الذى كان يدرس فيه ارسطاطاليس وشيعته من بعده وأنه دار العلم التى بناها الاسكندر حين بنى مدينته . وفيها كانت خزانة الكتب التى أحرقها عمرو بن العاص باذن عمر رضى الله عنه »

ولا شك أن القارىء لا يجد فى هذه العبارة توكيداً لرواية ابن القفطى ولا مرجعا تاريخيا يؤيد القصة المختلف فيها ولا دليلا يدعمها ، وأغلب ظنى أن عبد اللطيف البغدادى هو الذى أخذ عن ابن القفطى لأنهما كانا متعاصرين وقد كتب فى « الافادة والاعتبار » متأثراً بما قرأه فى « تراجم الحكماء » ولم يشأ أن يكلف نفسه مشقة البحث عن صدق الرواية ولا عناء البحث عن مصادرها

على أنه سواء كان البغدادى هو الناقل أو المنقول عنه فان المرحوم جرجى بك زيدان لم يستطع أن يقول لنا من أين استقى البغدادى وابن القفطى روايتهما ، ولا أن يسوق أى دليل تاريخى يؤيد هذه الرواية . وكل ما ذكره فى هذا الموضوع كلام لا يركن اليه المؤرخ ولا يعول عليه الباحث إذ هو لا يعدو حدود الظن والتخمين كقوله : « .. ولكن لسوء الحظ قد ضاعت تلك المصادر (أى المصادر التى أخذ عنها البغدادى وابن القفطى) فى جملة ما ضاع من مؤلفات العرب »

ولو سئل المرحوم منشىء « الهلال » من أين عرف أنه كانت هناك مصادر حتى تؤكد أنها ضاعت لأحرج ولم يهتد الى جواب . ثم يمضى المرحوم زيدان بك على رأيه فيقول :

«على أننا إذا تدبرنا ما ذكره ابن النديم في كتاب «الفهرست» عن أخبار الفلاسفة الطبيعيين من حكاية انشاء مكتبة الاسكندرية يتضح لنا أن في جملة المصادر التي نقلت عنها تلك الرواية تاريخاً لرجل اسمه اسحق الراهب كان يبحث في أخبار اليونان والرومان وتواريخهما، ومن جملة ما نقلوه عنه خبر انشاء مكتبة الاسكندرية على يد دميرة وهذا نصه: «إن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك فحص عن كتب العلم وولى أمرها رجلاً يعرف بدميرة فجمع له من الكتب على ما حكى أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتاباً وقال له أيها الملك السعيد قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم». ومن نص عبارة ابن القفطي، فالظاهر أن ابن القفطي أخذ انشاء المكتبة عن اسحق الراهب وأخذ حرقها عن سواه»

ولست أرى في هذه الفقرة من كتاب الفهرست دليلاً على أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الاسكندرية. والقارىء لا يخرج منها بأكثر من أن اسحق الراهب يقرر أن البطالسة أسسوا مكتبة في الاسكندرية وهذا أمر مسلم به ولا خلاف فيه، إنما الخلاف كله في أن عمر بن الخطاب أمر باحراق تلك المكتبة فأحرقت وهذا ما لم يعرض له ابن النديم في «الفهرست» بشيء ولم يشر إلى اسحق الراهب بكثير ولا بقليل.

وإذا سلمنا بأن «الظواهر» تصلح لأن تكون أدلة تاريخية وأسانيد يعول عليها المؤرخون حتى في المسائل الخطيرة فمن هو «سواه» هذا الذي يقصد إليه صاحب «تاريخ التمدن الاسلامي» ومن أين جاءه نبأ هذا «السوى» حتى يرجح أن ابن القفطي أخذ عنه نبأ الحريق؟

ثم أليس العرب هم الذين حملوا كتب العلم من بلادها المختلفة ونقلوها الى لغتهم ثم حملوها الى شمال افريقيا وجنوب أوروبا فحملوا اليها بذلك شمس المعارف والعلوم؟ فهل الذين عملوا ذلك هم الذين يصدق عليهم أنهم أعداء العلم وكتب العلم يحرقونها أو يحرمونها!

ثم أليس عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص هما اللذان وضعا القواعد التي يجري عليها حكم مصر من المسلمين في معاملة أصحاب الأديان الأخرى وفي مقدمة هذه القواعد قولهما: «إننا أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما يشاءون، وأن لا نحملهم ما لا يطيقون، وأن نخلي بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتونا راضين بحكمنا بينهم»؟

فهل الذين يؤمنون مخالفيهم في الدين على عقائدهم وتراثهم وكنائسهم وأحكامهم هم الذين يؤذونهم في دور كتبهم ويحرقون كنوزهم ويحرقون مخلفات آبائهم وأجدادهم؟

وفي النهاية ألم يهادن عمرو بن العاص مقوقس هدنة طويلة جعل مداها أحد عشر شهراً لا يدخل الاسكندرية قبل انقضائها وسمح لهم أن ينقلوا الى بلادهم في خلالها ما يرون الاحتفاظ به من أموالهم وأمتعتهم ومقتنياتهم وترك لهم البحر مفتوحاً لا يحول فيه شيء دون ذهابهم وإيابهم طوال

تلك المدينة ؟ فهل يعقل أن يهمل الروم هذه الفرصة ويحملوا عن نقل الكنوز العلمية التي كانت تحويها مكتبة الاسكندرية لو أن هذه المكتبة كانت باقية ؟

وإذا كان عمرو بن العاص قد أحرق المكتبة خشية أن يتسرب ما في كتبها الى عقول المسلمين فاً معنى تلك الخرافة الصحيحة التي تقول أنه وزع الكتب على حمامات الاسكندرية لتحرق في مواقدها وأن عملية احراقها في تلك المواقد استغرقت ستة أشهر ؟ علام تحميل الناس مشقة نقل الكتب من مكانها الى أماكن متفرقة عديدة وتعريضها طوال ستة أشهر لسرقة السارقين وعبث العابثين ونهب الناهبين ؟ ألم يكن أيسر وأسهل ما دامت الكتب قد قضى عليها بالاحراق أن تحرق في مكانها فوق ربوة الاكروبول بمسمى الوالي اعدامها اعداما كاملا لا يبق ولا يذر ؟

الا إن هذه كلها أدلة وقرائن تنفي رواية ابن القفطي وتعلو عللاتها ولا تدع منها الا خرافة وضعها كاتب لم يتأ التثبت من المصادر التى نقلها عنها أو اصطنعها ليخدم بها سياسة له لا نعرفها . وإذا كانت هذه الخرافة قد توارثت واستفاضت حتى أخذ بها بعض المؤرخين المحدثين فهى لا تقف اليوم أمام النقد العلمي البرىء ولا تقوى على مواجهه الأدلة التاريخية التى تضافرت عليها من كل صوب

• • •

وحسبنا في نهاية هذا المقال أن نورد آراء لبعض كبار المؤرخين الأوروبيين في العصر الحديث ممن عرضوا لهذه المسألة الهامة وتناولوها بالبحث والتمحيص فبينوا لهم تلفيقها وكذبها . ولو شئنا أن نورد الى جانب ذلك آراء المؤلفين المسلمين لأوردنا منها الشيء الكثير ، ولكنا لا نريد أن يعترض علينا بأن هؤلاء المؤلفين متأثرون بعقيدتهم الدينية أو عاطفتهم الاسلامية ، ولذلك نترك الكلمة لمن لا يمكن أن يرتاب في صدقهم وحيادهم ولا يجوز أن توجه اليهم مثل تلك التهمة

قال المؤرخ لوكلير في تاريخ الطب العربية :

« ان مكتبة الاسكندرية لم تبق الى عهد الفتح الاسلامي لمصر حتى يقال ان العرب أحرقوها »

وجاء في دائرة المعارف البريطانية :

« ان ما ذكره أبو الفرج الملطي عن احراق العرب مكتبة الاسكندرية ليس في الحقيقة إلا مهاترة وتلفيقا ، لأن مكتبة لم تكن وقت الفتح العربى تحوى شيئا ذا قيمة بعد الحرائق التي انتابتها قبل العرب بزمن طويل وبعد ما أمر البطريرك سوفيلوس فيها احراقا بأمر الامبراطور تيودوسيوس سنة ٣٨٩ للميلاد »

وجاء في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى تحت كلمة « عمرو بن العاص »

« لقد كان عمرو رجلا مهذبا ومثقفا عليس مما يصدق أن يكون قد أمر باحراق بقايا مكتبة الاسكندرية التى كان المسيحيون قد سبموا تأعدموها »

وجاء فيها أيضاً تحت كلمة «اسكندرية» ، قلم المؤرخ الكبير موتامل :

«كانت هذه المكتبة قد أكلتها النيران عندما أحرق يوليوس قيصر أسطول الاسكندريين الذي كان راسياً في الميناء سنة ٤٧ قبل الميلاد»

وقال العلامة المعروف جوستاف لوبون في صفحة ٢٠٨ من كتابه حضارة العرب :

«أما ما رووه من إحراق مكتبة الاسكندرية فزاعمه لا صدقها لأن مثل هذا العمل الوحشي لايتفق وعادات العرب بل هو يتنافر وإياها إلى حد يجعلنا نتساءل كيف رضي بعض المؤرخين أن يتقبلوا هذه الخرافة ويصدقوا صحتها . لقد تولى كثار المؤرخين من معاصرينا ومن سبقانا تفنيد تلك الفرية تفنيداً يغنينا عن تناولها ببحث جديد وإلا فليس أيسر من التدليل بنصوص صريحة وأسانيد لا تناقش على أن المسيحيين كانوا قبل فتح العرب بزمن طويل قد أعدموا الكتب الوثنية التي كانت مكتبة الاسكندرية تحتويها وأنهم أعدموها بنفس العناية التي هدموا بها كل الهياكل والمباني الوثنية حتى لم يبق منها شيء يحرقه العرب»

وعقد المؤرخ الانجليزي الكبير آلفرد باتلر في كتابه النفيس «فتح العرب لمصر» فصلاً ممتعاً عن مكتبة الاسكندرية وحريقها كنت أود لو يسمح لي القلم بنقله كله ، أما والمقام لا يسمح فأني أجتزىء منه بالنتائج التي وصل إليها ذلك المؤرخ العظيم قال :

«... ثم إذا سلمنا بأن تلك المكتبة بقيت إلى عهدها حتى فتح العرب الاسكندرية ، كان أبعد الأمور أن يكون العرب قد أتلفوها ودمروها . ولذلك سبب نورده : وهو أن العرب لم يدخلوا المدينة إلا بعد أحد عشر شهراً من الفتح ، وقد جاء في شروط الصلح التي أمضاها عمرو مع المقوقس أن للروم في مدة الهدنة أن يخرجوا من البلد إذا شاءوا وأن يحملوا معهم كل ما استطاعوا نقله من متاعهم وأموالهم (1) وكان البحر في كل تلك المدة خالياً من العدو لا يمنع شيء فيه بين الروم والقسطنطينية أو سواها من ثغور البحر ، فلو كانت مكتبة السرابيوم باقية إلى يومئذ لطمع الروم في نقل كتبها ولأغراهم بذلك شغفهم بها إن لم يدفعهم إلى هذا دافع آخر من حب الاحتفاظ بذلك الكنز الثمين ، ولسعوا في وقت الهدنة إلى نقل تلك الكنوز الثمينة والفرصة سانحة

«... لم نقصد بكلامنا هذا سوى اثبات الحقيقة . ولا شك في أن العرب عمدوا بعد فتوحاتهم جمع كثير من الكتب القديمة وعبروا عما وقع في أيديهم وعنوا بحفظها وترجموا منها في كثير من الأحوال. ومن الحق أنهم ضربوا أمثلة يجدر بالذين في العصر الحديث أن يحذوا حذوها ، فليس

(1) تنص الشروط على عقد هدنة بين الطرفين مدة أحد عشر شهراً . وتنص المادة الرابعة من هذه الشروط على ما يأتي : «ترحل حامية الاسكندرية وتحمل الروم معها متاعهم وأموالهم جميعاً» وتنص المادة السادسة على ما يأتي : «يمتنع المسلمون عن أخذ كنائس المسيحيين وعن التدخل في شؤونهم بأي شكل من أشكال التدخل»

مما يسهل تصديقه إذن أنهم كانوا من الوحشية بحيث يحرقون كنوز العلم والفن » مصطفى راسم

« . . . لهذا لا نكون مغالين إذا نحن أجملنا هنا بل ما بحثناه في هذا الباب من الحجج والأدلة والبراهين على بطلان قصة احراق العرب مكتبة الاسكندرية

١ ـ ان قصة الاحراق لم تظهر إلا بعد ست وخمسمائة عام من وقت الحادثة المزعوم وقوعها

٢ ـ اننا اذا نقدنا القصة وحللنا ما جاء بها فألفيناها سخافات غير متناسقة يستبعدها العقل ولا يستسيغها المنطق

٣ ـ ان القصة تشير الى واحدة من مكتبتين: الأولى مكتبة المتحف وقد ضاعت في الحريق الذي أحدثه قيصر . . . والثانية مكتبة السرابيوم وهي اما أن تكون قد نقلت من المعبد قبل عام ٣٩١ م، واما أن تكون قد سرقت وأعدمت، فتكون على أي حال قد اختفت قبل فتح العرب بقرنين ونصف قرن

٤ ـ ان كتاب القرنين الخامس والسادس لا يذكرون شيئا عن وجود مكتبة بالاسكندرية وكذلك كتاب أوائل القرن السابع

٥ ـ لو صح أن المكتبة كانت موجودة وأن العرب أحرقوها لما أغفل ذكر ذلك كاتب من أهل العلم قريب العهد من الفتح مثل حنا النيقوسي ولما مر على هذا الحادث من دون أن يكتب عنه حرفاً »

ثم ختم الدكتور بتلر هذا الفصل بقوله: « ولا يمكن أن يبقى في الأمر شك بعد ذلك فإن الأدلة القاطعة تبرر ما ذهب اليه رينودو من رفض قصة أبي الفرج الملطي [1] وعدم تصديقها. ولا بد لنا أن نقول إن رواية أبي الفرج لا تعدو أن تكون قصة من أقاصيص الخرافة ليس لها أساس في التاريخ »

حسن الشريف

تعقيب

(الهلال) عرض الأستاذ حسن الشريف لما ذكره منشئ «الهلال» في كتابه «تاريخ التمدن الاسلامي» من أدلة ترجيح رواية احراق مكتبة الاسكندرية بأمر عمر بن الخطاب، ورأينا أن نعقب على مقاله بكلمة وجيزة نذكر فيها أن المرحوم جرجي بك زيدان عاد الى بحث هذا الموضوع في مقال نشره في «الهلال» أول اكتوبر سنة ١٩١١ أوضح فيه رأيه السابق وأيده بأدلة جديدة فأبان فيه أنه لو ثبتت هذه الرواية لما نقص هذا من قدر عمر بن الخطاب العظيم، ولا ناقض ما عرف من مناقبه العالية، فقد كان إحراق الكتب في عرف الساسة القدماء ضرورة من

(١) والمرجح أن الدكتور بتلر وغيره من العلماء لم يعثروا على المصدر الذي نقل منه أبو الفرج الملطي روايته وهو كتاب ابن القفطي الذي ورد ذكره في هذا المقال ولذلك فهم ينسبون أصل الرواية الى أبي الفرج

ضرورات الفتح والغلبة ، ولاسيما إذا كان الفاتح بين أمتين من مصحفين مختلفين . وأورد أمثلة شتى في هذا ذكر الأستاذ قريب عيسى منها ، فمن ذلك ما فعله عبد الله بن طاهر بكتب فارسية سنة ٢١٣ هـ ، وما فعله هولاكو سنة ٦٥٦ هـ بخزانة بغداد ، وما صنعه الافرنج بمكتبة طرابلس الشام في أثناء الحروب الصليبية ، وغير ذلك من الوقائع الثابتة في التاريخ القديم . وإذا فلا غرابة على المسلمين إذا محوا هذا المحو في إبان تشييد دولتهم ، ولاسيما وقد كانوا يعتقدون ، أن الاسلام يهدم ما قبله ، وقد كان من الأحاديث الثابتة يومئذ « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم » .

ومما يدل على أن احراق مكتبة كمكتبة الاسكندرية لا ينافي ما عرف عن عمر من غيرته الشديدة على الاسلام ، ورغبته الأكيدة في نشره وتأييده ، أن مؤرخي المسلمين وفيهم الأئمة والفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة لم يتعرض أحد منهم للاعتراض على تلك الرواية أو انكارها ، وقد مضى على أقدم كتاب وردت فيه بضع وستمائة سنة ظهر في أثنائها جماعة من كبار العلماء النقديين الناقدين ومنهم إمام المؤرخين ابن خلدون . ومما جاء في هذا المقال :

« لقد وضع ابن خلدون كتابه في آخر القرن الثامن الهجري ، أي بعد ابن القفطي بقرن ونصف قرن ، وعقد فيه فصلا طويلا ذكر فيه ما يعرض للمؤرخين من الأغلاط والأوهام كما شدد النكير على من يلصقون التهم على رجال الاسلام كمن يتهمون الرشيد بشرب الخمر ، وبالغ في انكار ذلك تبرئة للعباسي من المنكرات . وهو بلا شك أكثر تبرئة لعمر بن الخطاب مما يمس سمعته أو يقلل من شأنه . فلو رأى في حرق المكتبات أيام الفتح عارا لما سكت عن نقده وتفنيده ، ولا يمنعه من ذلك نقل بعض الذين اتخذ أقوالهم جماعة من كبار الأئمة والمؤرخين . ولا يقال إن ابن خلدون لم يطلع على ما كتبه ابن القفطي والبغدادي فإنه يجل عن هذا التقصير . ويؤيد ذلك أنه أورد حكاية الحريق في عرض كلامه عن طبيعة العمران وما فيه من الصنائع والعلوم ، وإنما ذكر علوم فارس فقال : « أين علوم فارس التي أمر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح ؟ » .

وقال بعد هذا : « أما خلو ما بين أيدينا من كتب الفتح أو نحوها من خبر ذلك الحريق فلا ينفي صحته بكثرة ما ضاع من تلك الكتب . وإذا وضعنا القاعدة ألا نصدق من أخبار الفتح إلا ما هو مذكور في كتب الفتح التي وصلت إلينا فإنما نبخس الاسلام حقه وننكر على أصحابه كثيرا من الفضائل ، لأن ما ضاع من كتب التاريخ والمرويات التي كتبت في القرون الاسلامية الأولى أكثر كثيرا مما بقي » .

وبعد أن ناقش رواية الحريق نقدا ختم بحثه بهذه الكلمة الفاصلة « على أن هذا كله لا يعد برهانا قاطعا يقينيا على حرق تلك المكتبة على أيدي العرب ، وإنما هو ترجيح يقبل النقض عند الوقوف على ما يناقضه » ، وهذه الكلمة وحدها توضح رأي منشئ المقال في هذا الموضوع خير توضيح .

عرض وتحليل

الرذائل الكبرى

قبائح الإنسان لإدوار شارنتييه

Les Péchés Capitaux par Edouard Charpentier

« إدوار شارنتييه من صفوة المفكرين الأخلاقيين في العصر الحديث . وهو شاعر وروائي وفيلسوف . وله ستة مؤلفات شائعة في (معنى المثوبة) و (قصة الأخلاق في حياة الفرد) و (الأحرار في تاريخ البشرية) وقد وضع هذا الكتاب بناء على رغبة جمعية الإصلاح الخلقي في فرنسا ورسم فيه صوراً دقيقة رائعة لطائفة من الرذائل الكبرى التي تطوح بحياة الفرد وتقوض أسس الجماعة » .

تصدع الشخصية البشرية

يهتم الإنسان العصري بتهذيب عقله فيجاهد ليظفر بأوفر قسط من العلوم ، ولكنه لا يهتم بتهذيب روحه ولا يتكلف مؤونة الجهاد في سبيل الظفر بأوفر قسط من كمال النفس ونبل الخلق وسمو الميول والأهواء .

وثقافة العقل محببة تدر المال وتحرز المركز الاجتماعي وتدني من تحقيق أعظم المطامع والأغراض ، فلذلك يقبل عليها الناس . أما ثقافة الروح فعزيزة تحتاج إلى جهد كبير في تحصيلها ، فلذلك يعرض عنها الناس ولا يكترثون لها .

ولقد ألهب هذا العصر النزعة المادية في القلوب فأضعفت ثقافة الروح واتسعت شقة الخلاف بين العقل والعاطفة وتصدعت الوحدة التي يجب أن تقوم عليها الشخصية البشرية .

فعندما ازدهرت الحضارة الصناعية الراهنة وظهرت أدوات الترف وراجت المصنوعات الرخيصة واتسع سلطان المال ، طغت على الأفراد غريزة التمتع فتزعزع إيمانهم بالدين واشتد إيمانهم بالعلم وأصبحت المادة قبلتهم والمنفعة المجردة مثالهم الأول والأخير .

فسدت عواطفهم وانحطت أذواقهم وتبلدت قلوبهم ، فخيل إلى المصلحين أن الفن قد يحل محل الدين وأن الثقافة الفنية بما تشتمل عليه من دعوة خالصة إلى الجمال والحق والخير كفيلة بتهذيب النفس وتثقيف الروح .

ولكن الفن ذاته أصابته النزعة المادية المستحوذة على العصر فتضاءل وانحط وبدل أن يكون فنا مثاليا يتسامى بالعقل والقلب والسلوك ، استحال الى عرض عابث يعرض الظواهر وروعة الأشكال وهكذا خسر المصلحون وظل البون شاسعا بين رقي الانسان من ناحية العقل ورقيه من ناحية العاطفة والاحساس

فلكي يتم التعادل بين عقل الانسان وعاطفته ، أي بين تفكيره وسلوكه ، يجب أن يستأصل من نفسه الرذائل الكبرى التي تعوق رقي عاطفته كما يعوق التعصب والمكابرة رقي عقله

ولو فطنت الحكومات لخطورة الرذائل النفسية فأوعزت الى كبار رجال التربية بدراستها وتحليل أعراضها في كتب صغيرة واضحة الأسلوب توزع على التلاميذ والطلبة وتدرس في المدارس جزءاً غير منفصل من البرنامج الدراسي ، لو تم ذلك لما لا يقبل الريب أن العاطفة تماشي العقل حينئذ في الرقي تمهيداً لتحقيق وحدة الشخصية البشرية

تلك الرذائل النفسية الكبرى التي ما تزال كامنة في نفوس الأفراد والتي ما يزال يشكو صحبها وطغيانها كل انسان بالغاً ما بلغ من العلم والمعرفة ، هي التي سنحاول شرحها وتحليلها بايجاز فيما يلي :

رذيلة البخل

الحرص فضيلة ، ولكن البخل رذيلة منكرة

والرجل الحريص هو الرجل العاقل المدبر المقتصد ، ولكن الرجل البخيل هو الانسان الوضيع الذي استعبده المال واستغرق جمع المال خلاصة قوى عقله وعواطفه

ويلاحظ في البخيل أنه لا يجمع المال لمصلحة تقتضي ذلك ، بل يجمعه حبا في جمعه وولعا باكتنازه وشغفا برؤيته وتدليله كأنما هو معشوقة يخشى عليها من عيون الناس

والحق أن البخيل يغار على ماله كما يغار على المرأة ، ويظل يقتر ويجمع وهو يعلم حق العلم أن أمواله لن تعود عليه بأية فائدة وانها قد تبدد من بعده ، ومع ذلك فهو يجاهد جهاد الجبابرة للاستزادة منها والاحتفاظ بها والفتك ان استطاع بكل من حدثته نفسه بالسطو عليها

وقد رسم (موليير) في مسرحية البخيل صورة مروعة لهذه الشخصية يعرف منها كل انسان مبلغ رذيلة البخل

ورذيلة البخل تولد رذائل نفسية أخرى لا تقل عنها سفها وخطورة . ومن ذلك أنها تجرد صاحبها من كل خلق جميل وكل عاطفة سخية وكل عمل يبعث على اكبار الناس . ثم هي تضيق في نظر البخيل آفاق العالم وتحصره في حدود معينة وتحرمه آخر الأمر من التمتع – ولو في اعتدال – بطيبات هذه الدنيا

وصفوة القول أن البخيل هو الرجل الذي يعيش وهو ميت والذي تضاءلت في نظره الحياة وضاقت وتركزت في كتلة سلبية لا نفع منها ولا عرض لها

ولكن محارب النحس يجب أن يحسن مخالطة الجيل ، يجب أن يشعر بحبه للمال ، ثم يجب أن تفهمه أن اقباله على الحياة واعتاقه للمال فى وجوه الخير وتأديه الواجبات البيتية والاجتماعية المفروضة عليه ، أشياء يمكن القيام بها مع الحرص والمحافظة على الاقتصاد ودون تبديد للمبالغ الطائلة التى جمعها والتى تمضى فى جمعها الأيام الطوال

هذا مع الاجتهاد فى تهذيب نفسه ورفع مستوى عقله وهدايته الى المتاعب والآلام التى يحدثها بخله فى أقرب الناس اليه أى فى أفراد عائلته

رذيلة الغضب

كثيراً ما يفقد الانسان حبه لدنا ما حبح به الغضب

وسرعة الغضب دليل على ضعف الأعصاب وقصر النظر والاعتداد بالنفس

وليس شك فى أن الحليم يرجع على الدوام وسريع الغضب يخسر على الدوام . إذ غضبة الرجل النفس تشير فى معظم الأحوال اهانة موجهة الى من يخاطبه . أما تؤدة الحليم فتشير أدبا ورجاحة عقل وإن كانت مشوبة بالدهاء والمكر

وقد يتحدث اليك أحد صديق الى شيء حدثنا به كل الخبر اليه ثم يغضب ويحتد فجأة وبدون مسوغ فتشعر على الرغم منك أنك قد صرت تكرهه وتنفر منه . وقد يتحدث اليك عدو لك فى هدوء ورفق واتزان فتشعر أنك تحبه وتنخدع لهذا الميل الطارىء الغريب

سريع الغضب عدو مصلحته ومصلحة الآخرين ، وحليم الطبع يرجع على خصمه ويشبه فى الغالب بابتسامة استخفاف وتهكم

وسرعة الغضب فى فرد من الأفراد لا تفقده حبه فحسب ، ولا تفقده الأصدقاء والمعجبين فحسب ، بل تفقده احترام الناس أيضاً . لأن الغضب فى ثورانه يهبط بمستوى الفكر ويشوه معارف الوجه ويضع الانسان وعليه هرأة تبعث على الاحتقار وتستثير الضحك

وعلاج الغضب فى علاج الاعصاب والمعدة وسلامة البدن أولا . ثم فى رياضة النفس على كظم الغيظ وكبح العواطف وضبط الثورات التى تحتها المشاعر ويطلق بها الفم قبل أن يفحصها الفكر

وقد كان فولتير عندما يشعر بثورة غضب تعصف به ، يطرق الى الأرض لحظة طويلة ويظل عاضا على شفتيه وهو يفكر ، ثم لا يرفع رأسه الى محدثه الا وهو يبتسم

وكان نابليون كلما ثارت نفسه وخشى ثورة الغضب يذرع الغرفة عدة مرات ويتبسط حتى يهدأ

وكان جان جاك روسو يخرج صمته ويختفى عن الأنظار ويظل يتمشى فى حديقته حتى تقر أعصابه ثم يرجع الى زواره ضاحكا متهللا يستأنف الحديث فى هدوء رائع !

والحقيقة أن تعويد النفس على مثل هذه الأنواع من الرياضة الصوفية هو خير وسيلة لعلاج مرض الغضب

رذيلة الكسل

الكسل أكثر الرذائل شيوعا فى طبيعة الانسان لأن الحياة صعبة وقصيرة ، ولأن متاعبها المختلفة المتعددة تغرى بالاستنامة والراحة والانصراف عن مشاق العمل

والكسول فى الغالب رجل مستمتع ، يهوى اللذة ولو كانت خيالا ووهما وحلما من الأحلام . فهو ينشد الراحة لأنها فى نفسها لذة ولأنها طريق ممهد لغيرها من اللذات . فتراه منطويا على ذاته مستغرقا فى جموده خائر الاحساس والعقل متثاقلا متواكلا يؤجل الى الغد ما يستطيع عمله اليوم .

وهو كثير التسويف والتأجيل لخوفه من العمل وتبرمه بالحركة وشعوره بعجزه عن مواصلة السعى واعتقاده النفسى بأن الحياة باطلة وانها لا تستحق التعب والكد

فالكسول يائس ولا يعطى ، يرغب فى كل شىء ولا يمنح من سواه أى شىء . ولكن الكسل متى تأصل فى نفسه اختلطت رغباته وضعفت مشيئاته وأصبح يقنع من الحياة بالنزر اليسير على شريطة ألا يعمل وألا يرهق بالجهاد فيرى أعصابه وعقله

ومن تمكنت منه هذه الظاهرة استحال الى عضو كسيح وأصبح عالة على أهله وعالة على مجتمعه وكان أشبه شىء بطفيلى يعيش ويتغذى من عصارة سواه

ومما يلفت النظر أن عدوى الكسل من أخطر وأفتك أنواع العدوى ، اذ من طبع الكسول ألا يحس لذة الراحة ويتذوق طعم البلادة إلا متى ساق الآخرين فى تياره واستطاع أن يحيا فى مجتمع حافل بالكسالى العاطلين ، فهو والحالة هذه يتعمد نقل ميكروبه الى الأصدقاء ليجد مبررا لكسله ليتمكن من التمادى فيه

ومن أبرز خصائص الكسول اهماله نظافة بدنه وعدم شعوره بضرورة هذا البدن واعتباره الاستحمام عملا مرهقا ومضيعة للوقت الثمين ..

ثم هو الى ذلك محب للثرثرة يقتل الوقت الثمين فى لغو القول أو التحرش بشخصيات العاملين

وإذن فالكسل رذيلة تفصل الفرد عن المجتمع ، وتحرمه شيئا فشيئا من عنصر الانسانية ، وتنتزع من نفسه قابلية التطور والرقى ، ثم تعطله عنه فى سبيل تطور ورقى الآخرين

وخير علاج للكسول أن يبتعد عن أوساط الكسالى ، وأن يندمج فى مجتمعات رجال الكد والعمل ، وأن يمارس بعض أنواع الرياضة البدنية ، وأن يختط لنفسه خطة واضحة وعرضا معينا ، ثم يعمل على مطالعة تراجم العظماء جاعلا منها غذاءه الروحى الدائم

والواقع أن حياة العظماء بما فيها من صبر ودأب وجد وتضحية ، هي أصدق الأمثلة وأروع القدوات وأقوى الحوافز على العمل والجهاد والتفوق

رذيلة الزنا

الزنا جريمة لا رذيلة ، أو هو رذيلة لا يمكن أن تتحقق إلا بالاجرام . والزاني في عرف الناس وفي عرف القانون كالسارق ، لذلك يعتبر مجرما

ولكن كيف تنشأ رذيلة الزنا ومن أين تنبع ؟

الواقع أنها تنبع من ولع الانسان الفاسد العقل والخلق بكل ما هو محرم ، ومن اعتقاده السخيف أن كل ممنوع مرغوب ، ومن شعوره الوهمي أن اللذة المحرمة هي اللذة القوية الجسدية بأن يخاطر المرء في سبيل الحصول عليها

فهذه الفكرة أو الفتنة الخيالية الكامنة في اللذة المحرمة هي التي تدفع الرجل الى اشتهاء زوجة الآخر ، أو المرأة الى اشتهاء زوج الأخرى ، أو الشاب الخليع المستهتر الى إشباع رغباته الجثمانية من طريق غير مشروع

ولا شك في أن هناك عاملين يلهبان في النفس رذيلة الزنا وتتفرع منهما عوامل وحوافز مختلفة الأول سوء التربية وما ينشأ عنه من فساد الخلق وضعف الارادة وعدم اعتياد العفة منذ الحداثة والثاني تهرب الفرد من الزواج ومن حمل مسؤولياته الاجتماعية والاقتصادية

فالزاني يحاول أن يستمتع على حساب غيره ويتوق الى الظفر بسعادة لا تكلفه شيئا ولا تضطره الى تقييد شبابه وحياته ومستقبله . وهذه هي السرقة في أوسع معانيها

ومن المحال أن تتمكن رذيلة الزنا من انسان دون أن تلازمها رذائل أخرى كالكذب والنفاق والخبث والدهاء واحتقار الفضائل والاستخفاف بالآداب والزراية بالقوانين وتحدي ميول الناس وأوضاع المجتمع

ولذلك سمي الرجل المدمن على الزنا فاسقا ، وسميت المرأة فاجرة . والفسق أو الفجور مصيره النهائي الى الاباحية المرذولة ، والاباحية معول الفوضى ومعول الهدم وجرثومة الموت تنخر جسم المجتمع وتبليه شيئا فشيئا

وإذن فالزاني هو عدو الجماعة كاللص أو القاتل ، بل هو أشد منهما خطرا وأبلغ في حياة الأمة والأفراد أثرا ، لأنه لا يسلب الناس أعراضهم فحسب ، بل يسلبهم كرامتهم وصحتهم وراحتهم وشرف اسمهم وجوهر كيانهم الاجتماعي والأدبي الذي لا يقدر بثمن

ولو عرف الزاني أن اللذة المشروعة أصفى وأمتع وأسلم من اللذة المحرمة ، ما أقدم على الثانية وما عاف الأولى

ولذلك يجب تسهيل الزواج كي يقل الزنا

يجب تذليل العقبات الاقتصادية التي تعترض الزواج كي يقبل عليه الشبان بلا وجل

والحق أن الزواج متعة تقابلها في هذا العصر تضحيات ومطالب متعددة . فكلما حصنا من هيبة هذه المطالب من كواهل الشبان ، وكلما عرسنا في نفوسهم عاطفة الغيرة ، وكلما أشعرناهم بأن نزوة اللذة لا تقاس إلا بقيمة ما تصحبه في سبيلها ، زاد اقدامهم على الزواج وتنكبوا من تلقاء أنفسهم طريق الزنا والفسق

رذيلة الشره

من الافراد الذين تنحط احساساتهم وميولهم ، وتتجسد عواطفهم ووجدانهم ، وتزايل أحسهم الرغبات والنزعات الفكرية والروحانية ، من لا يجد له في الحياة مطلبا غير الاستمتاع بلذة المائدة وما يمكن أن تكون حافلة به من مختلف ألوان الطعام والشراب . والحقيقة أن الشره في المأكل رذيلة تنحدر من عدم الرفعة والصوبات . وكلما ضمنت مطالب الفرد المعنوية انشغلت بطبيعة الحال مطالبه المادية وتركزت في معظم الأحيان في شهوة الطعام

والخطر في رذيلة الشره أنها تحمل في تضاعيفها رذائل أخرى قد تجر الويلات على الفرد سواء فيما يتعلق بصحته وسلامة بدنه أو فيما يختص بمركزه في الحياة الاجتماعية

ومما لا يقبل الريب أن الشره في المأكل ظاهرة مرضية تنعكس على سائر الحواس وتحدث فيها أعمق تأثير

والدليل على ذلك أن من كان شرها في مأكله تجده في نفس الوقت شرها في عواطفه وميوله وشهواته ولا سيما الشهوة الجنسية

فالاسراف في تناول الأطعمة الثقيلة المضرة يؤدي بالانسان الى الاسراف في إشباع رغباته الجنسية والغلو في اتباع العادات السيئة المضرة ، والافراط في النظر إلى الحياة على اعتبار أنها متعة فحسب . وهكذا تجف ينابيع الاحساس في نفسه وتتبلد عاطفته ويتحجر قلبه وينحدر شيئا فشيئا إلى درك الغريزة الحيوانية الاولى

والواقع أن الرجل المصاب بالشره هو مثال الأنانية ، لا يعني بآلام الغير ، ولا يتكلف عناء التفكير فيهم ، ومن المحال أن تصدر منه أية تضحية فيها مصلحة كبيرة لسواه ، وقد فشت رذيلة الشره عند الاغريق والرومان أيام انحطاط حضارتهم فكانت نتيجتها الوبيلة ضعف الروح الوطنية فيهم وموت نزعة التضحية الفردية في سبيل الصالح العام

فالشره والحالة هذه داء يفتك بصاحبه وبمجموع الأمة على السواء ومن آثاره في الفرد أمراض الكبد والسكر وضعف الهضم وضعف القلب وما يلازم كل هذه الأدواء من وهن وكسل

وخمول . أما آثاره في مجموع الأمة فمن الأكثرات بمسائلها العليا وعدم الاحتفال بواجب الفرد حيالها مع النظر الى الحياة وملاذها باعتبارها غنيمة تسمو الفرد الى اقتناصها وتمسكها رغبة في محض الاستمتاع

ومن الغريب أن التطرف في شهوة الطعام يصحبه في العادة تطرف في شتى الميول والاهواء . كما أن الاعتدال فيها يلازمه اعتدال في الميول الاخرى وحيث أن الاعتدال هو الدليل القائم على قدرة الانسان على ضبط غرائزه وكبحها في وسعنا أن نقول ان كل رجل شره هو رجل لم تكتمل بعد في شخصيته عناصر التحضر . لأن التحضر هو الاعتدال في كل شيء أو هو على أوسع قدرة الانسان على ادراك وفهم ما يعود عليه بالضرر أو النفع

وليس في مقدورنا أن نحارب رذيلة الشره في الفرد الا بتوجيه عقله وقلبه نحو التعلق بالمعنويات من مطالعة واهتمام بالفنون وما أشبه . وهكذا ينمو عنده أحرى أسمى وأبقى من الفوائد المادية التي تفسد العاطفة وتعصب القلب وتحق الضمير

رذيلة الحسد

لا يشعر عاطفة الحسد إلا كل من فقد ثقته بنفسه وأحس في قواه الخور والعجز عن تحقيق مطامعه . فهو بدل أن يعمل ليصل ، يظل متطلعا الى الذين وصلوا متمنيا ملاشاة غيره وعقوة قواه في الانتقاص من قدرهم والحط من شأنهم ومحاولة اظهارهم في عين الناس بمظهر المشعوذين الدجالين

والحسد في الواقع عاطفة تقتل النشاط وتمي الهمة وتغري الانسان بالحياة القائمة في جو من الكسل والبلادة والخمول ثم هي فوق ذلك عاطفة يشوبها الخبث ويتخللها الشحناء ويسيطر عليها الكذب والنفاق وحب الايقاع والدس

وانه من المحزن أن المحسود الذي لا تطيق نفسه رؤية الناجح يسعى بجميع قواه الى الحاق الأذى بالرجل الناجح ، غريمه وعدوه اللدود . فتراه ينصب له الاشراك ويحيك له المكائد ولا يتورع عن القضاء على حسنه قضاء مبرما كلما سنحت له الفرص

فالحسود لمجرد عن النجاح يتوق اليه من أقرب السبل أي من طريق النميمة والوشاية أو من طريق التملق الشائن بوجيه الى العظماء والكبراء الذين تطربهم الزلفى وتحول بينهم وبين تقدير قيمة عمل الفرد وحقه

والغريب في عاطفة الحسد أنها متى تأصلت في نفس انسان أصبحت لذته الكبرى ونعيمه الأوحد وانتهت به لا الى كره شخص معين فحسب بل الى بغض ومقت جميع العاملين الناجحين . وعندئذ يصبح الحسود مريضا يستوحش خلقه وتعصف عواصف الغلية والهيجان في نفسه وقد يلعب به المرض آخر الأمر الى حد ارتكاب جريمة

ومن الأمثلة الرائعة على خطر طغيان عاطفة الحسد وتملكها من النفس ، ما أظهره شكسبير في رواية (عطيل) ممثلا في شخصية (ياجو)

فياجو هذا وقد تأكلت نفسه حقدا وألهبه الطموح للترقي السريع ، شعر من نحو (ميشيل كاسيو) بحسد هائل فأراد أن يغتصب ليحل محله عند عطيل ويشغل وظيفة ملازم أول للقائد المغربي بدلا منه

أراد هذا فلم يحجم عن الوشاية بغريمه فأسرع وألقى في أذن عطيل أن ميشيل كاسيو يخونه ويغرر به ويطارح امرأته الهوى

وكان ياجو يعلم حق العلم أن عطيل رجل غيور وأن هذه الوشاية قد تفضي إلى قتل كاسيو . ولكنه مع ذلك لم يتردد لأن عاطفة الحسد كانت قد رسخت به وعصفت بعقله وقادته بالرغم منه إلى حد الجريمة

ولكن عطيل استكشف الحقيقة في النهاية وانتقم من ياجو بأن قتله هو الآخر . وهذا ما يحدث في غالب الأحوال . إذ الحسود لا بد يفشل في النهاية ولا بد تفتضح أعماله ويعاقب الأثيم عن مكائده ، لأن الشر لا يمكن أن يؤدي إلى نجاح موطد ، والخبث والدهاء والوقيعة لا يمكن أن تحل محل القدرة الحقيقية والكفاءة الشخصية والعمل الشريف في وضح النهار

فغاية أمل الحسود هي أن ينجح ويصل على أكتاف الآخرين وإن لم يستطع فعلى أنقاض الآخرين ، وهي ظاهرة تتعارض كل التعارض مع نظام المجتمع وسلطة القوانين وناموس التطور نفسه . وهذا هو السر في أن الحسود كثيرا ما يذهب ضحية حسده وفريسة أنانيته السافرة ضد الناس

رذيلة الكبرياء

من الخير أن تكون أبيا ولكن الشر كل الشر في أن تكون متكبرا

والإباء هو الترفع عن الدنايا والشعور بنبل الشرف والإحساس بحس الكرامة ، ولكن الكبرياء هي أن تضع حاجزا بينك وبين الناس ، هي أن تزدريهم وتتشامخ عليهم وتستخف بحقوقهم ولا تكترث لأفكارهم وتنصب نفسك السيد المطلق على نفسك وعلى الآخرين

هذه الرذيلة التي اشتهرت بها جماعات الأرستقراطيين في العهود الإقطاعية ، هي التي أضرمت نار الثورات وأوقدت الأحقاد والحروب وسفكت من الدماء ما لم تسفكه جميع الحروب الموسومة بالتعصب الديني والمذهبي

وذلك لأن الكبرياء بأنانيتها الفردية هي سواء ، تجرد المتكبر من عاطفة الرحمة وتحول بينه وبين الاهتمام بمصالح الغير ، وتمنحه في نظر نفسه حقوقا وهمية كثيرا ما يحاول الغرور بها مغتصبا حقوق سواد الناس . ولقد كانت امتيازات الأرستقراطيين في العصور الغابرة هي التي تخلق

الكبرياء ، وتقيم الحدود والفواصل بين طبقة وأخرى ، وتغري الضعفاء بالخاصة . فأصبحت الكبرياء اليوم تقترن بقوة الثروة ، وتلازم سلطان المال أو أبهة المنصب الرفيع

صاحب الثروة الكبيرة أو صاحب المنصب السامي ، لابد تنتفخ برأسه الكبرياء ان لم يكن على ثقافة واسعة وخلق كريم ، وعندئذ تراه يمثل نفس الدور الذي كان يمثله الارستقراطي فيما مضى ، فيحتقر الشعب ويستعلي عنه ولا يكترث لرغباته ومطالبه ، بل يتحول سلطانه ومجموع ما في يده من قوى ، الى خدمة نفسه وخدمة طبقته وخدمة الطائفة المحسوبة عليه

وهكذا ينشأ القلق وتشيع الزلازل بين الجماعات الملتفة حول المتكبر ، فيزدهي ويطرب ثم يغض الطرف ويتسامح ، فتفسد أداة العمل ، ويتعطل سير الأمور ، وتدب الفوضى في كل ما يتعلق بالصالح العام

وللتكبر رجل يقدر الملق أضعاف ما يقدر الكفاية ، لأن مرجع الملق الى شخصه ومرجع الكفاية الى منفعة الناس ، فهو والحالة هذه انسان خطر على غيره بقدر ما هو خطر على نفسه

والخطر على نفسه يتولد من عجزه — لفرط تمجيد ذاته — عن معرفة مواطن ضعفه فتراه يخطىء وهو يعتقد أنه يصيب ، ويتظاهر بالعمل وهو يعتقد أنه يعمل ، ويقرب اليه المتزلفين وهو يعتقد أنه يكافىء ويقدر جهود العاملين

لهذا يخشى المصلحون كل متكبر صاحب سطوة ونفوذ ، أما الوصوليون فيسخرون منه لعلمهم أن من السهل عليهم خداعه والتغرير به والحصول على أغراضهم منه بأيسر كلفة وأقل مجهود

فالكبرياء إذن — سواء أعلكت فرداً من الخواص أو العوام — هي رذيلة منكرة تنبع من حب الذات ، وتقترن بالاستبداد والقسوة ، وتعمي صاحبها عن رؤية نقائصه وتسمم أخلاق من حوله وتصد الذكي منهم فيقنط من ذكائه ، والموهوب ييأس من تقدير مواهبه ، ثم ينتهي آخر الأمر الى وضع الملق والزلفى فوق الكفاية والمصلحة العامة

ولقد وفق مؤلف هذا الكتاب الى علاج طريف لرذيلة الكبرياء ، وهو أن يذهب المتكبر — ولا سيما اذا كان من العظماء — فيزور المقابر العامة في كل اسبوع مرة . وهناك حيث تضمحل العظمة ويتساوى الجميع في التحلل والفناء ، يستطيع المتكبر أن يلمس حدود نفسه ، ويحس الشقاء العام ، ويدرك ضرورة الرحمة ومعنى المساواة !

• • •

هذه هي الرذائل الكبرى التي تصدر عنها سائر الرذائل والتي يكمن بعضها أو كلها في نفس كل انسان منا وعلى قدر طاقة الفرد في التحرر من هذه النقائص يكون اقترابه من المثل الأعلى أما اذا استطاع بعد صبر ورياضة وجهاد طويل أن يتحرر منها جميعا فهو البطل وهو القديس وهو رمز الكمال الروحي والمثل البشري الأعلى

الشهيد

قصة ملخصة

عن الروائي أندريه تيريه
عضو الأكاديمية الفرنسية

«أندريه تيريه من أدق الروائيين الفرنسيين أسلوبا وأعذبهم عبارة وأقدرهم على رسم أدق خوالج النفس وأدق خلجات الروح، وعرف بوصف المواضع الريفية ولاسيما الغابة ومختلف الأحداث البشرية التي تحدث في جوانبها من مأساة دامية أو ملهاة ضاحكة أو مجرى حادث أو رحلة عجيبة بما يجري حوله من حوادث ويتجه به نحو أفق . وتجد ذلك في قصة (الشهيد) التي هي من أبدع قصصه وأشهرها»

كان الليل حالك السواد ، والريح تهب عاصفة هائجة ، والمطر يهطل ، والشارع مقفراً من الناس . وكانت أضواء المصابيح تترقرق بريقاً باهتاً ينعكس على الأرض المبتلة كلوحة يتألق تألقاً رائعاً غريباً

ودقت ساعة دار البريد فجأة فانتعشت الحياة في الشارع واكتنفه جو من الخيال والشعر ، ثم ساد الهدوء فترة وعادت الريح تصفر والمطر يهمر والظلمة تتكاثف وتبث الرعب في القلوب

وعندئذ انطلق من أقصى الشارع شاب مديد القامة عريض المنكبين عليه معطف قصير وفي يده عصا وجعل يعدو غير حافل بالمطر ولا بالريح التي كانت تصدمه وتطوح به وتحاول صده عن الطريق

وكان يركض كمحموم متجهم الوجه عاري الجبين شاحب اللون يترقرق العرق من جبينه ويلمع في حدقتيه الواسعتين وميض ينم عن حزن هائل كظيم

انحرف قليلا ثم زلقت قدمه فتهاوى على نفسه وكاد يسقط ولكنه ضرب الأرض بقدمه الأخرى ثم أسرع وقفز إلى الرصيف وظل يعدو حتى أبصر بيتاً صغيراً في إحدى زوايا الشارع فرفع رأسه وتطلع إلى النافذة فإذا النور ينبعث منها ضئيلا خافتاً فعض على شفته وجاهد ليقر السكينة في فؤاده ثم انحرف مرة ثانية وتستر خلف جدار البيت وبقي هناك وهو يلهث والماء يقطر من ثيابه

وبعد انقضاء عدة دقائق فتح الباب الصغير وأطلت منه فتاة وجعلت تتلفت ، ولما لم تبصر أحداً أرخت شالها على وجهها وتدثرت بمعطفها وخرجت تعدو هي الأخرى كحيوان مطارد

تعقبها الشاب لحظة وبعد ما اجتازت الشارع وعرجت على زقاق ضيق مظلم واتأدت في مشيتها ولم تعد تخشى عين الرقيب ، دنا منها ولمس كتفها وصاح :

— قفي !

فرفعت الفتاة وجهها مذعورة ولم تكد تتبين وجه الشاب حتى صرخت :

— أنت ؟ ! ..

فاغمض عينيه من شدة الاضاءة وأمسك بها من ذراعها وجعل يهزها هزاً عنيفاً وهو يغمغم :

— من أين أنت قادمة ؟ من أين ؟ ..

فسرت قشعريرة في بدنها النحيل وتأوهت من فرط الألم ولم تستطع الكلام فتأبط ذراعها وقال وهو يدفعها بالرغم منها الى متاهة السير :

— كنت هناك ! .. معه ! .. مع عشيقك ! .. رأيتك وأنت خارجة من الباب الصغير ! رأيتك بعيني !

وصمت فترة ثم اختلج وتهدلت شفته كطفل وانحدرت من عينيه الدموع . فوجمت الفتاة وطفقت ترمقه كمذهولة :

— رويد .. رويد ..

صاح :

— ماذا أسمع ؟ .. الى أين أذهب ؟ .. كنت أحبك بكل قواي ! .. كنت أجعل منك المثل الطاهر صادقاً حياً ! .. كيف تبدلت في هذه الصورة ؟ .. كيف أمانتك الصغرى ؟ .. أكاد أجن !

فتمتمت الفتاة بضعة ألفاظ مبهمة ضيعها صوت الشاب وأضاعها عنه في عنف ثم عاد يجذبها اليه وقال وهو يرتعد :

— أتعرف ذلك الرجل

فاشرأبت عنقها اليه وقالت

— من ؟

فأجاب في صوت خافت :

— عشيقك !

فنظرت اليه لحظة ثم قالت في هدوء :

— وبعد ؟ ..

فقال وهو يحدق اليها تحديقاً هائلاً :

— سأقتله

فوقفت الفتاة عن السير فجأة ونظرت الى شفتيها فترة ثم طوت ذراعيها على صدرها ورشقته بنظرة ملؤها الكبر والزهو والتحدي وقالت

— افعل ان استطعت .. ولكن اعلم ..

وانتظرت دقيقة وهي ترمق صاحبها :

— ماذا ؟ . .

فأردفت وقد اتسعت حدقتاها وزايلتها رقة أنوثتها واستحالت الى وحش مفترس :

— اعلم انى أنا عشيقته سأقتلك !

فأحال بصره فيها وجعل يتأملها وهى مستوية أمامه كتمثال ، وفى تلك اللحظة فقط أحس روجير احساسا قويا عميقا أن هذه الفتاة أقوى منه ، وأنها انحطت الى أسفل درك خلقى ، وأن سقوطها زادها جرأة ووقاحة ، وأنها لاتستحق فى الواقع أن يهتم بها مخلوق وأن يخاطر شاب مثله بحياته من أجلها ويرتكب فى سبيلها جريمة قتل

أجل أحس روجير أن شقيقته مقضى عليها وشعر فى نفس الوقت أبلغ شعور وأوجعه بأنه هو ، هو الذى كان السبب فى هذا المصير ، فارتجف وغشى الهم عينيه وصاح للمرة الأخيرة :

— حسبى يكفى ! . . لولا ذلك للمال الذى أغدقه عليكم الغادر بواسطتى ، ما انتهينا الى هذا الختام الفاجع !

واتجه تجاه أخته وتناول يدها وطفق يقبلها وهو يتمتم :

— ارجعى وارحمى نفسك . . . ثوبى الى رشدك . . . عودى الى ماضى حياتك . . . تخلى عن ذلك الرجل !

فانقبضت عضلات وجهها وقالت فى سكون العزم والثقة :

— ابداً !

حينئذ رفع الشاب يده وهم بلطمها ولكنه أبصرها جامدة ثابتة موقنة رذيلتها راسخة فى الوحل الاسود المعبر عن قرارة حسها ، فتراجع مرتعداً وطفت فى صدره موجة الخزى وسقط ثم دفع الفتاة عنه وهو يردد فى يأس مغرق :

— اذهبى ! . . اذهبى ! . .

واستدار بغتة وطفق يعدو كمجنون ضاربا الريح بذراعيه متلقيا ماء المطر كمسلوب الهدى غير آبه لما يعترضه ، بينما وجهه شطر حان يعرفه فى أقصى الشارع الكبير

وما ان دخل الحان حتى ارتمى على مقعد خائر القوى محطم الأعصاب مهدود القوى ، ثم نادى الخادم وطلب خمراً فناوله زجاجة من الابسنت فاغتصبها وجعل يشرب مغرقا فى الفضاء الملبد بسحب الدخان شاعراً أن حيويته قد تسربت منه وأن ذهنه قد تبلد وتحجر وأن روحه قد انتزعت من صدره وغادرت هذا العالم الصاخب الحافل بمختلف ضروب الرذيلة والاثم

وثقلت على رأسه وطأة الخمر وأرخت عضلاته وتملكه نعاس عميق فأرخى جفنيه ومد قدميه واسند الى المقعد وأرسل غطيطا مستطيلا ثم استسلم للنوم فكان يحسبه الناظر أنه جثة قتيل ألقيت فى عرض الطريق !

نشأ روبير فى بيت فقير . وكان والده كاتبا متواضعا فى احدى الوزارات وكانت أمه تشتغل بالحياكة والتطريز لتعاون زوجها فى القيام بواجبات المنزل . أما أخته هرييت فكانت تقضى سحابة يومها فى صنع قبعات السيدات وهى حانية صابرة تضحك وتمرح لترفه عن حسها وتخفف عن عاتقها عبء العمل

ولم يستطع روبير اتمام علومه فترك المدرسة واشتغل عاملا فى مصرف كبير ثم التحق بمكتب أحد المحامين وشرع يدرس القانون

وكانت الأسرة تحيا حياة هادئة سعيدة يحف بها الصفاء ويسودها التواضع وتزينها القناعة وتخلع عليها القصبة حلة ساحرة الألوان

كان الوالد يدخل البيت متهلل الوجه مشرق القسمات فتستقبله زوجه بابتسامة الاعجاب والترحيب ثم تسرع اليه ابنته فتطوق عنقه وتوسعه ضما وتقبيلا ثم تمد له الطعام وهى تثرثر وتغنى وتملأ الدار بهجة وسرورا

ولما كان يدخل روبير كانت تتصاعد صيحات الفرح وتنهمر البشر وحلو المرح وتضمه الأم حنانا وحبا ، فيحتضنها الشاب ويلثم جبينها ويقدم اليها باقة من الورد أو علبة من البسكويت أو بعض أصناف الحلوى ، فيخفق فؤادها طربا وتقول وهى تبتسم ابتسامة عتاب حلوة :

— متى تقلع عن هذه العادة يا روبير ؟

فيجيبها مازحا :

— عندما أتزوج .

فيضج الكل بالضحك وقد تناسوا الفقر والحرمان وشقاء الجهاد اليومى !

هكذا عاشوا لا يتطلعون الى من هم أرفع منهم ، ولا يتوقون الى تبديل حياتهم ، ولا يحسدون الغنى على غناه ، ولا يخشون انسانا باتقا ما طمع من الجاه والسطوة والجاه العريض

كانت سعادتهم فى القناعة وفى تمجيد العمل وفى عبادة القصبة وفى الرضا بما قسم الله

والحق أن الوالد لم يشك يوما ولم يتبرم . وكذلك الام والبنت لم تبد عليهما فى لحظة من اللحظات أية رغبة فى التطلع الى عالم غير هذا الذى يعيشون فيه أما روبير فكان مثال الصبر والدأب والجلد والنشاط وحسن السمعة وشرف النفس واستقامة الخلق والضمير

وانقضت الحياة أصفى ما تكون سماء حتى توفى الوالد صافى الصدر ذات مساء

عندئذ خيم على البيت سكون رهيب وطرق الاستسلام عبأ الأم واختنقت الضحكات فى صدر البنت وازداد شعور روبير بمسؤوليته ، فاكتأب أول الامر وشاع الحزن فى أعماقه ، ولكنه سرعان ما استجمع قواه وطرد عنه شبح اليأس ثم ضاعف مجهوده ليقر السعادة فى البيت من جديد بكل قصاراه ليعوض النقص الذى أحدثته وفاة والده ، فسعى للحصول على وظيفة أخرى أو على

حتى اسابق فلم يوفق وتمكن منه الأسى والضجر ، فطيبت الأم خاطره وصارحته عزمها على ترك البيت والبحث عن عمل دائم فى أحد محلات باريس المشهورة حيث تقدر الكفاية الفنية وتعطى لنوابغ العاملات مرتبات كبيرة

وكان أن نجحت الام واستطاعت بعد سعى طويل أن تفوز بمركز مديرة لقسم صغير من أقسام الازياء فى محلات جاليرى لافاييت . ولكنها كانت ترنو الى أبعد من هذا فما زالت تعمل وتثابر وتكتسب مشاطرا ثقة الرؤساء حتى تمكنت من الحاق ابنتها هرييت معها فى القسم الذى تعمل فيه

وعادت السعادة الى البيت ، وتجدد الأمل ، وافتر ثغر الام عن ابتسامتها المعهودة ، وتطور فرح الفتاة من الضحك الى القهقهة ترسلها قوية داوية بعد أن يرتفع صوتها بأشجى الالحان

وكان روبير يلحظ كل هذا وهو مغتبط . ولكنه كان فى بعض الأحيان يقف مبهوتا حيال والدته وشقيقته ! . .

كان يلمح فى ابتساماتهما وحركاتهما شيئاً غريبا لم يستطع فهمه

كان يشعر أن مظهر شقيقته قد تغير وأن والدته أصبحت أقل هيبة وأكثر ميلا الى العبث وعدم الاحتفال بشؤون البيت

كان يحس أن روحا جديدة سرت فى المرأتين وأن كلا منهما أصبحت مشغوفة بالحرية ولوعا بالمرح والانطلاق مفتونة بالربح وكسب المال

وأبصر الام تعنى بزيها وتسرف فى العناية ، وأبصر الفتاة تقتدى بوالدتها وتزداد فتنة وجمالا ، ثم استولت عليه الدهشة بعد ما علم أن هرييت تنفق نصف مرتبها على شتى أدوات الزينة والتبرج

لم يعجبه هذا الانقلاب ولكنه عجز عن مقاومة تياره . كان سيل السعادة قد طغى على البيت وكانت الام سكرى والفتاة نشوى ، وكانت ذكرى الفقر والحرمان ما تزال ماثلة فى الاذهان متغلغلة فى أعماق القلوب

صمت الشاب وغض الطرف وتجاوز ثم ألف الحالة الجديدة وأصبح هو نفسه كلما ناجى نفسه ، ميالا الى التسامح ، ينظر الى والدته وشقيقته نظرة الكهول يحسون العذر للشباب وان كانوا يشفقون عليهم من عواقب الطيش والنزق والغرور

ومع ذلك فقد كان روبير غير مطمئن . .

كان يتجاوز ثم يندم ، ويتسامح ثم يلوم نفسه ، ويغفل الزواجر ثم يتحمس ، ويهم بالنصح والارشاد ثم يحجم ويتردد

لم يلحظ فى مسلك المرأتين أى انحراف جوهرى يستوجب اللوم والتعنيف ، وانما كان يأخذ عليهما هو شدة اهتمامهما بالمظاهر وشدة حرصهما على التمتع البرىء بمباهج الحياة . ولذا لم يستطع

الكلام ولم يجد مبرراً له ، وآثر آخر الأمر العودة الى الصمت والتسامح مع شيء من التحفظ ينم عن قلقه وحيرته ويأسه

وأدركت الأم ما يجول في نفسه فكانت تبرأ منه وتسخر من تصوراته ، وأما الفتاة فقد كانت تغريه بالحياة المرحة ، وتزين له الخروج الى الملاهي ، وتتهكم به لبساطة هندامه وتتهمه بأنه عدو اللهو وإلا استعجل شبابه وذوى قبل الأوان

غير أن روبير لم يحفل وظل وفيا لأخلاقه ، مخلصا لمبادئه ورغباته ، محبا للاعتكاف والوحدة ، يقضي لياليه في مراجعة القضايا ودراسة كتب القانون ، بينما شقيقته تمرح في المراقص ، وأمه تلهو في السينما أو المسرح أو تتخطر بثوبها الجديد في حفلة ساهرة أحياها قوم من الأغنياء العاطلين لا يعنون إليها ولا الى جثتها وجسمها بأية صلة

وكانت الأم أو الفتاة إذ تدخل البيت بعد منتصف الليل ، تبصر روبير جالسا الى مكتبه مسنداً رأسه بين يديه ، مستغرقا في المطالعة والتفكير ، فتحييه تحية عارضة ، ثم ترمقه بنظرة أسف واشفاق ، ثم تهز كتفيها وتنطلق الى مخدعها غير حافلة

• • •

وإذ ذاك حدث ما لم يكن في الحسبان . وقع حادث غير منتظر في حياة روبير ، وكشف عن حقيقة التطور الذي تم في نفس والدته وشقيقته ، وصاحب هذا التطور شدة وقوة وأتيح به عوامل صحية زعزعت نظام الأسرة وقوضت صرح البيت

كان لروبير عم ثري لم يعقب خلفا . وكان هذا العم عجلا كل المحل ينثر على حب رأسه ويضع للمال حبا قاتلا ويعيش كأفقر وأتعس ما يمكن أن يعيش انسان

أصيب هذا العم بمرض عضال بعيد وفاة زوجه ، وأحس أنه مشرف على الموت وكان يحب روبير حبا جما ويؤثره على أخته ويعتبره ابنا له . فلما أسرفت شقيقته ووالدتها في حياة اللهو والطرب تبرم بهما العم وازداد حبا لابن أخيه

في ذات صباح تسلم روبير خطابا من عمه يدعوه فيه الى مقابلته في الدار التي يسكنها بمفرده في احدى ضواحي باريس

اضطرب الشاب وخشي أن تكون قد اشتدت وطأة الداء على الشيخ المتوحد فأسرع واستقل القطار حاملا الى عمه بعض الهدايا مصطحبا طبيبا من أصدقائه كان يثق بعلمه ومهارته كل الثقة

ولم يكد يدخل الدار حتى أبصر الشيخ ممدداً على فراشه أصفر اللون ساهم القسمات فانحنى وقبل يده ثم استفسر عن صحته وقدم له صديقه ، فشكره العم على نبل عواطفه ثم أعرب عن رغبته في التحدث اليه على انفراد

وانسحب الطبيب وأوصد الباب على العم وابن أخيه . وكانت الحجرة رحبة يشيع في جوه

الشمس وكان الهواء يهب من النافذة خفاقاً منعشاً ، فاستوى الشيخ على فراشه واعتنق الشاب وبكى ، ثم صارحه بأنه كان بالأمس عند مسجل العقود وبأنه قد وهب كل ثروته الشخص الوحيد الذى أحبه أى لابن أخيه روبير

بهت الشاب وجحظت عيناه وأوشك أن يجن ، ثم تهلل وجهه وأبرقت أساريره وهوى على يد عمه يلثمها وقد اغرورقت عيناه بالدموع

وأبى الله إلا أن يتقبله فى حياته يومين . ولكن مضاعفات المرض برحت بالشيخ فتوفى فى مساء اليوم الثانى ، كأنه لم يكن ينتظر غير مقدم ابن أخيه كى يراه ويحدثه ثم يموت قرير العين مطمئن البال

* * *

وكان أن صححت هذه الثروة غير المنتظرة بالنسبة الباقية من حياة الأم والفتاة

أسرعت كل منهما بتقديم استقالتها والتحرر من عبء العمل اليومى . ثم اتخذتا وسائلنا فى سبيل الحصول من روبير على أوفر مبلغ ممكن من المال . وكان روبير سعيداً بهذا الحظ المفاجئ ، منتشياً بهذه النعمة الطارئة ، مغتبطاً بهذا الحدث الرائع ، فأراد لطيبة قلبه وصفاء نفسه أن يشرك فى سعادته أقرب الناس إليه ، فأغدق على الأم وابنتها المال بلا حساب واستأجر لها مسكناً فخماً وجاءها بسيارة حديثة ومكنهما من شراء أثمن الحلى وأجمل الأثواب

وانفتح أمام المرأتين عالم جديد

أحاط بهما الأصدقاء من كل صوب ، وانهالت عليهما الدعوات إلى الحفلات الكبيرة ، ورحبت بهما المجتمعات العالية ، وتحدثت الصحف عن أناقتهما ورشاقتهما وجمالها الساحر ، وتهافت الشبان على خطب ودها ، وتهالك أدباؤهم وأشهرهم على الفوز ولو بنظرة واحدة من عيني هرييت

وكانت الأم ما تزال حسناء فأحدق بها المعجبون وسعوا إلى التقرب منها ولا سيما وقد واتتها مختلف ألوان الترف والتبرج فتنة واحتيالا !

وأما هرييت فقد اربدت وترعت وضحت بأمها وسخرت من الشبان جميعاً ، وراحت تلهو بهم وتلقى بذور الشقاق بينهم ، وتعرض عن هذا لتقرب ذاك ، ثم تقبل على الأول وتصدف عن الثانى ، حتى تعلقت بها القلوب وأصبحت فى نظر الرجال دمية ماكرة تهون فى سبيل الظفر بها تضحية كل مرتخص وغال !

ونشأت فى ذهن المرأتين أفكار ومبادئ حديثة

طابت نفس الأم استمتاعاً بشتى الروائع التى يجلبها المال ، ولكنها لم تنعم فأرادت التمتع أيضاً بمتعة الحب ونعيم الهوى ، فعقدت بعض الصلات العاطفية مع بعض المعجبين ، وكانت تتنقل من صلة إلى صلة ومن رجل إلى رجل دون ما وازع من خلق أو ضمير

وطغت هنرييت سلوك أمها فأفرطت في اللهو هي الأخرى واستحسنها فكرة الزواج وتمادت في رغبة التمتع بممكنات الحرية ، حتى تصيدها شاب طموح وسيع النفس غليظ القلب ساقط الهمة مدبع الحال ، فأحبته وأغدقت عليه من مال أمها وإن كانت لم تفكر في التزوج منه اتقاء لشره واحتفاظا بحريتها

وبدأ روبير الساذج الطيب يلح في تصرفات والدته وشقيقته أشد ، كانت كل من المرأتين تكتسب وتنافق لاحتفائها به

راقبهما في المجتمعات العامة ولكنه لم يجد طائلا . تحرى عن سلوكهما ولكن في غير جدوى

كل الناس يتحدثون عنهما في غيبته ولكنهم كانوا يشفقون على روبير من معرفة الحقيقة .
كانوا يشفقون عليه ، ولكن أسلهم هـا واحلما كان يعرضه ويحببه ويشعره في لباقة بأنه غير مرغوب فيه ، حتى استطاع الشاب ذات يوم وإذا به يحس أنه يعيش في عزلة ، وإن خطيبته نفسها ، خطيبته التي يحبها ويحبه ، أصبحت تتبرم به وكأنها تهم بالتحدث إليه في موضوع خطير يتعلق بجوهر حياته لكنها تتردد ولا تستطيع !

وكانت الألسنة تلغط بالاشاعات ، وسيدات المجتمعات العالية يتغامزن كلما أبصرن هنرييت أو والدتها ، ويغطين ساهين استنكارا وسخطا كلما وقعت أنظارهن على روبير ، ومع ذلك فالحياة كانت تمضي في مجراها العادي ، حتى تعلقت الأم الكهلة بفتى غرير لم يبلغ العشرين ، وتوثقت علاقة ابنتها بالشاب الذي كانت تهواه وتتظاهر معه على مرأى ومسمع من الجميع ، وعندئذ استفاضت الأنباء من سلوكهما وأغلقت دونهما أبواب البيوت الكريمة واعتبرتا خارجتين على المجتمع ، فأفضى هذا إلى طرد روبير أيضا من كل بيئة محترمة وكل وسط راق وكل بيت شريف ، ولا سيما البيت الذي اختار منه زوجته وشريكة حياته

أجل ، أباه والدها بالسمعة تحقيق الزواج ثم رد إليه خاتم الخطبة بعد أن حرم على ابنته الاتصال به وأوصى زوجته بالامتناع عن استقباله

وفي ذلك اليوم المشؤوم أدرك روبير أن تلك الثروة التي عقد عليها أسباب سعادته كانت سببا شقائه ، لأنها فتحت لأمه باب عالم كانوا يطمحون إليه فسحقت سقوطهم وأمانته هو نفسه شر ما يمكن أن يصاب به رجل كريم حر

واستولت عليه هذه الفكرة وضاعف سلطانها فشله في الزواج من جيوفي ، واصطدامه اليومي بسخرية الناس واحتقارهم ، وتحمله الذل والتعيير والوحشة ، فثارت ثائرته ووطن العزم على قمع بنيه وحرمان أمه وأخته من المال عسى أن تردهما الحاجة إلى طريق الصواب والهدى

واتبع الفكر بالعمل ، فثار جنون المرأتين ودبت المنازعات في البيت وشب صراع هائل ، ولكن روبير ثبت في موقفه وتظاهر بحقه في الاحتفاظ بماله وأصر على اتباع خطته حتى تعدل الأم

وابنتها عن سلوكهما المخزي وقطع كل منهما علاقتها الشائنة بعشيقها

وشعرت الأم بالخطر . وكانت أحد ذكاء وأعمق دهاء وأوفر خبرة من ابنتها فنصحت لها بالتريث والطاعة وتحين الفرص ، ثم راوغت واحتالت وبذلت قصاراها لكسب ثقة ولدها ، ثم كفت عن مغادرة البيت واستنكرت مسلكها القديم وصارحت باستعدادها للتكفير عن ذنوبها وتظاهرت بالسعي لدى ابنتها كي تنفصل عن خدنها

وكان ان أحكمت المرأتان تمثيل الدور فصدق روبير واطمأن وخيل اليه أنه قد فاز وأن ارادته الحازمة القوية قد استأصلت من نفس الأم وابنتها جراثيم الفساد والشر

وزاده ثقة واطمئنانا اعتكاف والدته في دارها واقتداء شقيقته بها وامتناع المرأتين عن الخروج الى الملاهي والمجتمعات العامة إلا باذنه ، فاعتقد على مر الزمن أن كلا منهما قد ثابت الى رشدها وتخلت بصفة نهائية عن عشيقها

وأوشك الشاب أن ينبسط بما أحرز من نصر ، وأن يطلق النفس بالعودة الى خطيبته والتمتع والبت بفكرة الزواج ، ولكن القدر العابث أبى الا أن يميط اللثام عن عينيه ويلقي به أمام الحقيقة وجها لوجه !

أبصر جاستون شقيق خطيبته في أحد الأندية ذات مساء فدنا منه ، ولكن الرجل أشاح بوجهه وأعرض ولم يرد التحية ، فاشتد غضب روبير وكبر عليه أن يحتقر الى هذا الحد ، فقصد الرجل وعاتبه وأسرف في العتاب واللوم ، واذ ذاك صارحه جاستون وهو ينتفض حنقا واشمئزازا ان أخته هوريت ما تزال متصلة بعشيقها وأنها تقابله وتذهب خلسة اليه وأن العار كامن في البيت ، والريبة باقية تعشش في أوكاره كالبوم وتنعق بالخراب العاجل والشر المستطير

اسودت الدنيا في عيني روبير واستهول هذه الخديعة وبعد ان كان مصمما حازما رشيدا انقلب بين عشية وضحاها الى مجرم جبار عنيد

استحوذت عليه فكرة القتل ، تملكه خبال الجريمة ، أراد أن يقتل عشيق اخته بعد ان يتوثق من استمرار علاقتهما ، فيتخلص من عاره ويصون سمعة الأسرة وينقذ شقيقته من ذلك الغرام المسمم الموبوء . ونمت الفكرة في رأسه وانتابته حمى جنون ، فطفق يتعقب العشيق حتى اهتدى الى داره ، ثم راقب الفتاة حتى أبصرها بعيني رأسه خارجة من تلك الدار . ولكنه لم يكد يلمحها ويتقدم اليها وهي تلتفت تأسرها الريبة من خلفها ، حتى تداعت قواه وانهدت أعصابه وأدركه الإعياء فأفلتت الجريمة فترك الفتاة لشأنها وانطلق الى حان وعكف يعاقر الخمر حتى صرعته

وها هو يتحرك .. ها هو يستيقظ . فهو يتحامل على نفسه ويسير بخطى وئيدة متعثرة هو الشاب محدودب الظهر مترنح البدن يرفع رأسه وينظر الى الشارع وهو لا يدري الى أين يذهب !

● ● ●

وكان في ذلك اليوم قد أعرب عن عزمه على السفر لتبديل الهواء عند صديق له في الريف ، وأكد لوالدته أنه سيتغيب عن العاصمة ثلاثة أيام . أقدم على الكذب ليبرر بأهله ويستجلي الحقيقة . وها هو قد أبصرها فاجعة مروعة . ولكن هل هي كل الحقيقة ؟ .. وهل عرف هو في الواقع كل شيء ؟ ...

لازمته هذه الفكرة الجديدة الطارئة وضعت في قلبه بابا وعدته أياما تعذب فأوسع الخطى نحو منزله وصدره يخفق والرعب آخذ منه كل مأخذ . وعندما وصل وطرق الباب لم يجبه أحد فارتجف وعاود الطرق ولكن على غير جدوى . وحينئذ أدرك وهو محطم مسحوق أن والدته قد غادرت البيت أيضا ، غادرته الى منزل عشيقها . فتراجع وكبح جماح سخطه واستدار ، وإذا به يبصر شقيقته مقبلة عليه راجعة الى البيت تتخطر وتثني

لم يستوقفها ، لم يخاطبها ، بل أفسح لها الطريق وأحنى رأسه وانتظر . ولما احتجبت ثاب الى رشده واستجمع قواه وانطلق يعدو صوب الحي متجنبا الوصول نشطت الصلات ، حتى بلغ دار مصلحة النقود فتسلق الدرج وهو يلهث وأيقظ الصحل من نومه وأعطاه نبأ برغبته العاجلة في النزول عن كل ما يملك للفتاة التي أحبها والتي كان سيعقد عليها قريبا له

وهبها كل ماله وجرد أهله من كل شيء ، ثم ودع الصحل وكر راجعا الى بيته . وهناك أوصد عليه باب غرفته وجثا أمام صورة أبيه وصلى ثم نهض وفتح النافذة وألقى على السماء الحالكة نظرة ، ثم شرب قدحا من الماء ، ثم أخرج مسدسه من درج مكتبه وصوبه الى صدره وأطلق النار فتبدل وهوى على الأرض مضرجا بدمائه !

• • •

وبعد انقضاء بضعة أيام علمت الأم والفتاة بمصيرهما وتابت عليهما من جديد وطأة الفقر والحاجة فانصرف عنهما العشاق وهجرهما الأصحاب والأحباب ، وأدركتا أن التمادي في الغي لا يدفعهما الا الى احتراف الدعارة في أحط وأوضع أشكالها . وإزاء ذلك عادت الأم الى صوابها وردت الفتاة الى الطريق السوي وشرعت تبحث لنفسها ولابنتها عن عمل شريف تكفران به عن الماضي والآثام التي أودت بحياة وحيدها

وهكذا أينعت ثمرة الألم وأثمرت التضحية وانبثق نور الحياة من ظلمة الموت والعدم !

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

انجلترا وسياستها الخارجية

لأندريه موروا

ما رأى انجلترا في مستقبل تلك الدول التي أصبحت الآن مثار نزاع وانقسام بين أمم أوروبا؟
للإجابة عن هذا السؤال يجب أن نتفق قبل كل شيء على المعنى المقصود بكلمة «انجلترا».

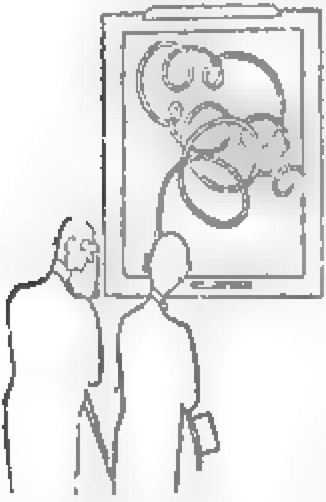

السياسة الانجليزية

فرنسي — ما هذا الرسم الغريب؟ لا أرى انه يدل على شيء!

انجليزي — لا أرى انه يعني شيئاً. بكلمة في سرك. انه رمز السياسة الانجليزية

(عن ميونايق)

الواقع أن الرأي العام في انجلترا كما هو في فرنسا جاهل ومنقسم على نفسه. وفي وسعنا أن نلمح في الصحافة الانجليزية آراء ومبادىء ووجهات نظر متعارضة يؤيد كل منها طائفة كبيرة من الأنصار.

ولكن المهم هو السياسة الخارجية التي تتبعها الحكومة الانجليزية. وذلك لأن الحكومة الانجليزية الحاضرة ستظل على ما أعتقد قابضة على ناصية الدولة متربعة في دست الحكم الى زمن بعيد.

والواقع انها تمثل أغلبية كبيرة من الشعب الانجليزي وان هذه الأغلبية الكبيرة هي التي ألقت اليها مقاليد الحكم، فهي والحالة هذه غير مستهدفة لأي تهديد جدي من خصوم أقوياء يحنقون عليها مركزها الثابت الوطيد، وفي وسعنا أن نقرر ان هذه الحكومة تمثل انجلترا حق التمثيل.

فلنحاول الآن تحديد موقفها من السياسة الانجليزية العامة ومختلف مشاكل أوروبا الراهنة

يجب أن ندرك قبل كل شيء ان الحكومة البريطانية ليست في حاجة ولا هي تريد اتباع سياسة تهيمن على تحديد النفوذ البريطاني في أوربا ثم هي لا تعنى بأي وجه من الوجوه تقسيم أوربا الى معسكرين متنافرين

والحقيقة ان الحكومة البريطانية تعبر أشد النفور من المشاحنات الفكرية والتقاتل حول معتركات كالفاشية أو النازية أو الشيوعية . وهي الى ذلك تمقت الأخذ بالسياسة القائمة على العاطفة دون الحقائق الواقعة

ومن مميزاتها انها تطبق على الحالات السياسية الجديدة أو المواقف السياسية الطارئة تقاليد وقواعد السياسة الانجليزية التي صقلتها الأيام وامتحنها الزمن والتي كان العمل بها في الماضي أكبر ضمان لانقاذ الامبراطورية وخلاصها

وأول هذه القواعد أنه لا ينبغي لانجلترا أن تسمح لأية دولة ولا لأية مجموعة من الدول أن تبسط على أوربا نفوذها وتحاول الهيمنة على الاتجاهات السياسية فيها

وليس شك في أن الاختبارات وحوادث الماضي علمت الانجليز ان كل شعب اتسع في أوربا سلطانه وطمع في الهيمنة السياسية على القارة ، انقلب على الفور خصماً عنيداً لانجلترا

وهذا ينطبق تمام الانطباق على موقف اسبانيا في القرن السادس عشر وموقف فرنسا في القرن الثامن عشر وموقف المانيا في القرن العشرين

واذن فكل ما ترغب فيه انجلترا هو الاحتفاظ في أوربا بنوع من التوازن الواضح بين قوى الدول . وهو مبدأ ابتكره السكرديناك ولسي في عصر هنري الثامن وكان يطلق عليه إذ ذاك اسم (ميزان السلطة)

ولكن كيف يطبق على الظروف الحاضرة هذا المبدأ السياسي الذي ما يزال في جوهره سليماً ونافعاً ؟

ان محور (روما — برلين) يوحد ويلازم بين قوى عظيمة . فاذا تم الاتحاد النهائي بين هذه القوى بحيث تصبح أوربا خاضعة لسيطرتها السياسية ، كان في ذلك أكبر الخطر على انجلترا

لذلك تحاول انجلترا اعادة التوازن المختل بتوثيق عرى الوفاق بينها وبين فرنسا

ومما لا يحتمل الجدل أن الحكومة الانجليزية لن تقبل بأي حال من الأحوال أن تبسط دول أوربا الوسطى المعروفة بنزعتها الفاشية سلطانها على اسبانيا . ولكن انجلترا لن تقبل في نفس الوقت أن تبسط مجموعة من الكتل الشيوعية أو الاشتراكية المتطرفة سلطاناً آخر على القارة الأوربية

وبما انه لا يخفى على انجلترا أن هناك مجموعة مؤلفة من الكتل الاشتراكية المتطرفة توشك أن تبسط على أوربا ذلك السلطان أو يحتمل أن تبسطه ، فمن المتوقع جداً أن نرى الانجليز ينتقلون حالة من قطب الى قطب ويحملون جميع قواهم الى الكفة الأخرى من الميزان أي الى الجانب الفاشي

وعندي أن تقرب انجلترا من فرنسا سيزداد توطداً ورسوخاً ما عدلت السياسة الفرنسية عن التورط في تأييد النظريات السياسية والاقتصادية المتطرفة

تلك هي القاعدة الأولى لسياسة البريطانية الخارجية . أما القاعدة الثانية فهي أن انجلترا تعمل لصيانة مواصلاتها البحرية وإلا استهدفت للخراب والجوع

والحق أنها لا تستطيع أن تعيش وتجد ما يكفيها من المواد الغذائية إلا بأسطولها التجاري ، كما أنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها والحرص على كيانها وصيانة مواصلاتها إلا بأسطولها الحربي

وهذا هو السبب في أن أعمال القرصنة في البحر الأبيض المتوسط دعت بوزارة الخارجية البريطانية الى القيام بحركات حاسمة لم تقم بمثلها مما يتصل بنتائج الحرب الناشبة في ناحية اسبانيا

فالبحر الأبيض المتوسط من طرق التموين التي تعتمد عليها انجلترا ، ومع ذلك فالوزارة البحرية البريطانية تلاحظ الموقف وتحسب حساب المستقبل وتعد العدة منذ الآن في تؤدة وصبر لتنظيم طريق آخر للتموين يمكن أن تستعيض به عن طريق البحر الأبيض اذا ما دق ناقوس الحرب

ولكن ليس معنى هذا أن انجلترا ستتخلى عن البحر الأبيض في زمن الحرب باعتباره ميدانا للقتال ، بل هي على النقيض سترسل اليه الوحدات الحربية بعد تخفيفها من حمول التموين فتصبح مطلقة الحرية في القيام بمناوراتها الحربية المخصوصة

وعلينا أن نفهم من جهة أخرى أن انجلترا ما تزال باقية على اخلاصها لعصبة الأمم بالرغم من بعض الظروف التي خيبت أملها في تصرفات العصبة . ولا ينبغي أن نتوهم كما يعتقد كثير من الفرنسيين أن اخلاص بريطانيا للعصبة هو ضرب من التخلي الفكري العصري شبه الديني يشتد أو يضعف حسب الظروف ، اذ الحقيقة أن عصبة الأمم عمود تحمل القواعد في انجلترا ومن حيث هي الميدان الوحيد الذي تستطيع فيه بريطانيا العظمى وبلاد الدومنيون أن تتلاقى وتتفاهم وتبحث مشاكل العالم بطريقة ترضي جميع شعوب الامبراطورية

وكما لا يخالج الريب أن انجلترا في أشد الحاجة الى مرضاة الدومنيون والى تأييدهم القائم على الثقة وهي تعمل لإرضاء المستعمرات المستقلة وابلاغها روح المساواة والتفاهم بين أجزاء الامبراطورية ، فمكنت من ضمان تأييد الدومنيون لسياستها التي ينتهجها الآن المستر تشمبرلين والمستر ايدن والتي ترمي الى تحرير برنامج التسلح الذي فرضته الظروف مع السعي جهد الطاقة لاحياء روح السلم والثقة بعصبة الامم

وصفوة القول أن الشعب الانجليزي لا يطلب الى وزرائه القاء خطب رنانة مثيرة للشعب ، ولا اتخاذ موقف سياسي ينم عن العداء والتحدي ، بل يرغب اليهم ان يسلكوا مسلكاً تقترن به الكرامة بالحزم وضرورة الحرص ما أمكن على سلام أوروبا . وهذه الرغبات تشبه في جوهرها رغبات ونزعات الأغلبية الساحقة من الشعب الفرنسي [خلاصة مقالة في مجلة ماريان]

أغرب بلاد العالم

لا يسكنها الا العميان أو الاقزام أو الذكور

جنة العميان

جميع رجالها كهول عميان ... هذه هي قرية فتربك بيوجوسلافيا التي أنشأها الملك الكسندر منذ تسع سنوات لإيواء من كف بصره من الجنود الكهول في أثناء الحرب الكبرى

فقد جمعت الحكومة هؤلاء الكهول الأكماء في احدى مناطق الريف ، وأقامت لكل منهم بيتا ريفيا بسيطا ، ومنحته قطعة فسيحة من الأرض ، وما يلزمه من ماشية وأدوات زراعية

ورأى الملك أن يزوج من لا زوج له منهم ، ليهون عليهم آلام العاهة التي منوا بها ، فأهابت الصحف عن سماحة هؤلاء الكهول العميان الى عرائس فتيات ، فتقدم مئات من أجمل بنات يوجوسلافيا اختار منهن عمدة القرية أزواجا ورضين عن رضاء للعميين الأكماء

ويقوم رجال القرية ونساؤها بزراعة أرضها وتربية حيوانها وطيرها ، وقد أقامت الحكومة سوقا خاصة لبيع ما تنتجه القرية وغيرها من غلات مختلفة وهم لهذا منعمون في رخاء عجيب . ولم يفكر أحد منهم حتى اليوم في أن يطلق زوجته ، ولم تبد احدى نسائهم أمارة أي تأفف أو نفور ، وقد أنجبت القرية في خلال هذه السنوات التسع زهاء مائة طفل يشاطرون آباءهم السعادة والرخاء

مملكة الأقزام

من أرذل الأمور الشائعة في الطبقة الدنيا في بعض جهات بلاد المجر أن تجهض المرأة حملها قبل أن تتم مدة الحمل بأسابيع ، ليأتي وليدها قزما . فالقزامة سبيل الغد لجميع العمل في الملاهي الرياضية و « السيركات » التي تكثر في تلك البلاد . ولهذا فإن نسبة الأقزام في تلك البلاد أكثر منها في أي بلد آخر ، حتى انه رؤى أخيراً أن يخص هؤلاء الأقزام الذين يبلغون بضعة آلاف بمنطقة معينة تجرى الأمور فيها وفق أجسامهم الضئيلة

وصاحب هذا الرأي هو مسيو « يوليوس حوث » زعيم الأقزام ، وهو من كبار تجار بودابست ، وله فيها متجر عمم جميع من يعمل فيه من رجال وسيدات من الأقزام ، وجميع ما فيه من مناضد ومقاعد ونحوها ، سفلية لئلا يجهد هؤلاء الأقزام في صعودها وتسلقها . ويبلغ طول هذا الزعيم ٦٨ سنتيمترا فقط

ويبلغ عدد من في العالم من أقزام زهاء ٦٠٠٠٠ نسمة يرى مسيو حوث أن يجمعهم في منطقة

تعاسة ولأن حياتهم مع هؤلاء الطوال المسلم تولد فيهم عقيدة نفسية تشعرهم – خطأ – بالنقص والقصور». وهو يرى أن تكون هذه «المملكة» كما سميها ملائمة لقامة أجسام أهلها، فلا تكون مدنها وكنائسها ومدارسها ومستشفياتها شاهقة ضخمة يشعرون تحتها «أنهم نمال تدب في جحورها». وسيعيش أهل هذه المملكة في رخاء ونعيم، إذ ستقصدها أفواج السائحين من شتى الجهات، ينفقون فيها أموالهم وتجبى عليهم الضرائب والمكوس

جزيرة الراحة

هذه هي جزيرة «سباجها» إحدى جزر اليابان، وقد تحدث عنها الأديب الفرنسي «بيرلون» حديثاً شائقاً رائعاً . . . في أحضان الحضارة في شاطئ المحيط الصاخب، تقع هذه الجزيرة الصغيرة التي تحمل بضعة بيوت سقفت أخشاب سبق، وسط حدائق ناضرة وحقول غناء

وأهل الجزيرة يخضعون لقانون لا مثيل له، إذ لا يعاقب من يؤذي انساناً فحسب، بل ومن يؤذي حيواناً أو طائراً أو نباتاً كذلك. فلا يباح لأحد أن يذبح الحيوان أو الطير، ولا أن يقطع الشجر أو يجتث النبات

وأغرب من هذا أن القانون لا يبيح أن يولد أو يموت في الجزيرة أحد. فإذا ما أشرفت امرأة على الوضع غادرت الجزيرة لتضع وليدها بعيداً عنها، وكذلك يفعل من يشتد به المرض ويشرف على الموت. ذلك ان هذه الجزيرة لا تعرف شيئاً من آلام العالم، بل هي قد خصصت مثابة للسعادة ومنزلاً للسعداء. وإذاً فلا تسمع فيها أنة موجع ولن ترى فيها عبرة محزون. وللطير أن يسرح في صحنها، وللظبي أن يهيم في غاباتها، مستمتعين بالأمن والسلام كيف شاءا . .

دنيا بلا إناث

في أعلى جبل «آتوس» حيث كانت تقيم آلهة الاغريق، يعيش اليوم زهاء ٧٠٠٠ كاهن عيشة غريبة حقاً. فمنذ اتخذت هذه المنطقة مقراً للرهبان في منتصف القرن الرابع عشر لم تطأها قدم امرأة سوى اليزابث ملكة رومانيا التي سمح لها أن تزورها وتلبث فيها خمس عشرة دقيقة

ولهذه المنطقة حرس من الرهبان مهمته مراقبة الحدود خشية أن يخترقها «الدخيل أو النساء». ولا يمنع النساء وحدهن من غشيان جبل آتوس هذا، بل كذلك إناث الحيوان والطير كذلك. ففيها قطعان من الثيران ليس بينها بقرة واحدة، وفيها أسراب من الديكة لا دجاجة فيها

وعلى سفح جبل آتوس أديرة وكنائس ملأى بأنفس الكتب، مزينة بأبهى النقوش، حافلة بأغلى التحف. وكلها من مخلفات بيزنطة التي زحمت الفن الغربي ردحاً طويلاً من الزمن، والتي ظهر فيها كثير من روائع الفنانين والصناع أبدعوا في إقامة كنائس آتوس وأديرته التي تقوم في القرن العشرين نموذجاً دقيقاً للعصور الوسطى [خلاصة مقالة في مجلة ريدرز دايجست]

دين ثوري جديد

ينشأ في الهند الصينية

ظهر في الهند الصينية دين جديد يبشر به من يدعى « دام كلان » ، وهذا النبي لم يره أحد ولكن الشائع أنه يقطن على ضفاف نهر سونج بي . والغريب أن هذا الدين يحمل روحا ثورية وتتلخص تعاليمه فيما يلي :

أولا — وجوب مقاومة السلطات الفرنسية حتى تحين الساعة التي يستطيع فيها دام كلان إنقاذ البلاد منها

ثانيا — وجوب الحرص على الأخلاق الفاضلة ولا سيما التسامح حيال الأجنبي

ثالثا — تحريم القرابين التي تقدم لأشباه الآلهة

رابعا — تحريم أكل لحم الحيوان الأبيض سواء أكان دجاجة أم ديكا أم خروفا

خامسا — وجوب التخلص من هذا النوع من الحيوان بقتله أو بيعه

وينص هذا الدين على أن من واجب كل قرية تحترمه أن تنتخب من سكانها ثلاثة أعيان تخضع لهم كما تخضع للنبي دام كلان ، وتدفع لهم جزية معينة من الفضة . ولكي يستطيع المؤمنون الحصول على بركة وحماية دام كلان ينبغي أن يستقوا من ينبوع كائن في قرية (دالا يون) ماء عجيبا يشفي المرضى ويهيئهم للتدين ، وقد يبعث الموتى من قبورهم في يوم من الأيام . غير أن الحج إلى تلك القرية المقدسة يجب أن تتقدمه سلسلة طويلة من أعمال التكفير والتطهير والتقوى

وقد وعد دام كلان المؤمنين بحماية كل قرية حصلت على ذلك الماء من الهدم والتدمير في اليوم الأخير ، ذلك اليوم الذي سيطلق فيه النبي عناصر الطبيعة من عقالها ، فتظهر في السماء شموس ثلاث ويهب إعصار هائل عجيب يكتسح ما يصادفه من جبال وأشجار وتحاسب طغاة مستبدين من فرنسيين وأناميين

هذه بعض مظاهر هذا المذهب الديني الجديد الذي يخفي تحت ستار الدعوة الروحية نزعة ثورية ساذجة تقترن في العادة عند الشعوب البدائية بسرعة الإيمان وروح التدين

[ملخص مقالة في مجلة الفيجارو]

اصلاح التعليم في فرنسا

تجارب جديدة يجدر بنا أن نقتبس منها

تتقدم نظم التعليم الحديثة في فرنسا خطوات واسعة وتتجه نحو غايتين رئيسيتين:

الأولى — محاولة معرفة مواهب التلميذ الشخصية وتلقينه العلوم التي تتفق مع هذه المواهب

والثانية — مزج العلم بالصناعة حتى يخرج الطالب وهو يحذق مهنة معينة يستطيع التكسب منها إن أعوزه الفشل في الأعمال الفكرية

وقد بذلت الحكومة الفرنسية ومختلف المجالس العلمية والتربوية جهوداً جبارة لتحرير النشء من سيطرة مسألة الاستظهار على عقولهم، وذلك بتنقيح المواد الدراسية وبرامج التعليم وتركيزها وتبسيطها وتعويد الطلبة الاعتماد على أنفسهم وعلى مواهبهم الشخصية وعلى مباشرة الدرس والتفكير بأسلوب يبعثهم على الملاحظة والاستقراء والاستنتاج

ومن الظواهر الحديثة في حركة التعليم الفرنسي أن الحكومة أنشأت في عدد كبير من المدارس الابتدائية فصولاً أطلق عليها اسم (فصول التوجيه) وفيها يعنى المدرسون بتوجيه الطالب إلى العلم الذي يتفق و استعداده وميوله والذي في وسع الطالب أن ينبغ فيه. وقد عين لهذا القسم نفر من الاختصاصيين في فن التربية يراقبون الطالب سنة كاملة ويجتهدون عند نهايتها في تقرير المادة العلمية التي تصلح له وتناسب استعداده ويمكنه التفوق فيها إذا ما توافر على دراستها فيما بعد

وهناك عناية خاصة بصحة الطلبة يقوم بها عدد من الأطباء يعاونون المدرسين والاختصاصيين

أما مزج التعليم النظري بالصناعة فقد فاق نجاحه الحد المنتظر ويوجد الآن في باريس معهد وطني للتوجيه الصناعي أو ما يسمى بتوجيه الحرف ومعهد آخر تابع للغرفة التجارية يبحث في نظام الاتصال للمدرسة بالمصنع الميكانيكي وتقريب مسافة الخلف بين العلوم النظرية والتطبيقات العملية

وهدف المعاهد لا تحصر الطالب في تعلم صناعة محددة أو حرفة معينة، بل توجيهه نحو الحرفة التي يميل بطبيعته إليها والتي أظهر الاختبار الأول استعداده لها، وذلك بالاتفاق مع أهل الطالب بعد أن تعرض عليهم نتائج اختبارات الاختصاصيين فيما يتعلق بمواهبه واستعداده

وخطوة التحول التربوية في فرنسا اليوم تقوم على التعاون الوثيق بين أهالي الطلبة وبين الطلبة والمدرسين والاختصاصيين والأطباء ورجال الصناعة. وهكذا يخرج الطالب شاعراً بقيمة التفكير المستقل الشخصي قادراً على البحث والتنقيب والابتكار قادراً على النجاح في معترك الحياة صحيح الذهن قوي البدن سليم الأعصاب

[خلاصة مقالة في مجلة [illegible]]

نظام حيدر أباد

أغنى رجل فى العالم

أصدرت الحكومة الهندية منذ عهد قريب قرضاً أهلياً كبيراً، ساهم فيه نظام حيدر أباد بأوفى نصيب، فخرج من قصره قطيع عديد من العمال يحمل أكياساً من النقود الفضية، وتحرسه كتيبة من الجند المدججين بالسلاح، ماضيا الى دار الحكومة يحمل ثمن « الأسهم » التي اشتراها. ذلك أن « النظام » لا يحب أن يودع أمواله في المصارف ولا أن يستثمرها في الشركات، بل يؤثر أن يكدسها في خزائن قصوره التي يقدر ما فيها من أموال وجواهر بزهاء ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه!

وقد شهدت حيدر أباد ذات مرة منظراً طريفاً يدل على ثراء « نظامها » فقد امتلأت خزائن قصره كلها بالأموال والجواهر، ثم تم سك عملة جديدة من الذهب تبلغ ١٣٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وضعت في أكياس في فناء القصر تحت حراسة الجند ريثما تنشأ لها خزائن جديدة!

ويمتلك النظام عدة قصور فاخرة منها قصر « فلاكنوما » الذي يعد أجمل وأفخم قصور الهند كلها، ولكنه يؤثر الاقامة في قصر « كوثي » الصغير حيث تقيم زوجاته وأولاده معا

ولم يتزوج النظام سوى عشر سيدات اختارهن « ملكة حيدر أباد ». وقد خرج في هذا على سنة آبائه وأجداده الذين كانوا يتزوجون عشرات النساء ويقتنون عشرات الجواري

ولنظام حيدر أباد من زوجاته عدد كبير من الأولاد يحمل كل منهم لقب « نواب » ويبلغ عدد من يقيمون في قصوره من الزوجات والاولاد والجواري والخدم زهاء ثلاثة آلاف نسمة يرتعون جميعا في ثراء وعيم

وقد احتفل النظام في فبراير من العام الماضي بالعيد الفضي لولايته الحكم. وأقيمت حينذاك حفلة فاخرة في « ميدان الفتح » بحيدر أباد، اجتمع فيها أقيال الهند وكبار الأجانب. وقال النظام في الخطبة التي ألقاها حينذاك: وقد آثرت ان أقتصد في المظاهر الكاذبة الخادعة واكتفيت بهذه الحفلة البسيطة المتواضعة، لينفق ما كان سينفق في هذا المهرجان في انشاء مستشفى أو مصحة أو مدرسة » وقد كانت هذه الخطبة مبهمة وصعبة الى حد أن أكثر الحاضرين لم يفهموها، وذلك أن النظام متمكن من اللغة الهندية، وله فيها أشعار جيدة ترجم بعضها الى الانجليزية، ومنها هذه الفقرة: « انني في الدنيا حرافة حية، يجتمع بها قلب حزين وخاطر متألم. اني شاعر القلوب الكسيرة، هذه القلوب التي تصدع صبر صدري »

والنظام على حظ كبير من الثقافة الاسلامية والأوربية، وقد أنشأ في الهند أول جامعة حديثة

هى « الجامعة العثمانية » نسبة الى اسمه الحقيقى « عثمان » ومدير هذه الجامعة هو رئيس وزرائه المهراجا السير « كشين » وهو قانونى كبير وشاعر معروف ، وله سلطة واسعة ونفوذ شامل ، ولكنه لا يتقاضى مرتبا كبيرا إذ لا يزيد كثيرا عما يتقاضاه رئيس وزارة بريطانيا بينما كان أسلافه يتقاضون زهاء ٥٠٠٠٠ جنيه فى العام !

وما زالت أم النظام على قيد الحياة ، وهى عجوز عمياء تقيم فى قصر رائع على مقربة من قصر ابنها الذى لا ينقطع عن زيارتها وهو شديد الحنو على أمه حبيبا ، فمنذ عهد قريب أحضد حمى ماته الى « مدراس » حيث كان يشترى لهن حصص مخازن الملابس بأسرها . وقد اشترى لكل منهن ثلاثين رداء للسهرة !

وتصحبه أنى ذهب حاشية كبيرة من الحشم والاتباع قد يبلغ عددهم أحيانا ألف نسمة وهم جميعا ينفقون عن سعة ويرتادون أكبر الفنادق والمطاعم ، ويروجون سوق البلدة التى تقصدونها

ولعل « حيدر أباد » أرقى مقاطعات الهند جميعا ، ويرجع معظمها الى ادخال التعليم الحديث والنظم الأوروبية السياسية فيها . وهو يميل شيئا ما الى المبادىء الديموقراطية والآراء الحرة . وقد ألقى أخيرا حفلا تحدث فيه عن المعتقدات الدينية والطبقة المسودة من الهندوكيين فقال :

« انى أرى أنه يجب ألا تكون هناك طبقة على وطنه دنيا . ولا يمكن لى أن أسمح باعتبار طبقة مرذولة ما دامت تؤدى عملا نافعا وخدمة صالحة . الجميع متساوون فى نظم المجتمع ، لأنهم جميعا متساوون أمام الله . وهؤلاء الذين يسمون منبوذين ليسوا كذلك إلا لأن أكثرهم جهلاء أميون ، وليس هذا ذنبهم بل ذنب الحكومة التى تتولى أمرهم » [خلاصة مقالة نشرت برلين فى مجلة ناس]

روما - برلين - طوكيو

ماهى الغايات الحقيقية من تأليف هذا المحور

الواقع أن ليس الغرض من تأليف محور (روما - برلين - طوكيو) هو مكافحة الشيوعية كما يدعى الزعماء السياسيون فى هذه الحكومات الثلاث . ولو كان هذا هو الغرض الحقيقى ما حركت الدول الديموقراطية ساكنا . لأن هذه الدول حملت من تقاليدها تجنب النزعات الفكرية والحرص على عدم التورط فيما يسميه البعض معارك صليبية حديثة قائمة حول مبادىء ونظريات لا تمت بصلة الى الواقع العملية

ويظهر أن الغاية الحقيقية من تأليف هذا المحور هو التعاون العسكرى بين ايطاليا والمانيا

واليابان وروقوف هذه الدول صفاً واحداً عند الاقتضاء

ويرى الساسة الديموقراطيون أنه قد شرع بالفعل في تكوين لجنة ثلاثية مكونة من خمس رؤساء هيئات أركان حرب ايطاليا وألمانيا واليابان ، وأن هذه اللجنة سيكون مقرها مدينة برلين وأنها تبحث مختلف أسباب ومقتضيات التعاون العسكري بين الدول الثلاث

ولكن ما الغرض من هذا التحالف العسكري ؟

أهو تقسيم الجهود المتفقة باستعمار الصين واستبعاد الدول الأخرى من الاتفاقات الاقتصادية المقبلة التي ستتناول تنظيم الوضع السياسي على شواطىء المحيط الهادى ، أم هو انفراد اليابان باستعمار الصين الشمالية مقابل أن ترد الى الألمان مستعمراتهم القديمة الواقعة على المحيط الهادى والتى هي الآن تحت انتداب اليابان ؟

لا شك أن الاتفاق الثلاثى ينطوى على الكثير من هذه الأغراض

ولا شك أيضاً فى أن ألمانيا لو حصلت على ترضية من اليابان على مستعمراتها القديمة فستنشد ساعدها - معاونة ايطاليا - وستمضى في العمل لتحقيق حلمها الكبير وهو الاستيلاء على قمح أوكرانيا وفحم دونيتز وبترول باكو ، بعد أن تستوثق من موقف النمسا وموقف الألمان القاطنين فى بوهيميا ، وبعد أن تفرغ من ارهاب تشيكوسلوفكيا وحملها على الانفصال عن السوفييت وهو الأمر الذى تسعى اليه الآن بكل قواها وبواسطة الدعاية النازية الشديدة التى يبثها الألمان السوديت فى بلاد تشيكوسلوفكيا . أما روما فتعتمد على هذا الاتفاق فى ارهاب انجلترا فى البحر المتوسط وارغامها على توزيع قواها بين البحر المتوسط والشرق الأقصى

وقد وعدت الألمان واليابانيين مقابل هذا باشراكهم فى استعمار الاراضى الحبشية على شريطة أن تكون مطلقة اليد فى البحر المتوسط منفردة بحماية الاسلام والمسلمين ساعية فى الشرق الأدنى للحصول على ما يمكن أن تنتزعه من القطن والبترول من مخالب بريطانيا

هذه هى الغايات الحقيقية من تأليف محور (روما - برلين - توكيو) وقد شعرت انجلترا بخطورتها وخشيت أن تؤدى الى تقوية ساعد ألمانيا واغرائها بالاصرار على تحقيق التحالف الأدنى النمساوى توطئة للهجوم المسلح على تشيكوسلوفكيا كما فعلت ايطاليا فى الحبشة واليابان فى الصين فأوفدت اللورد هاليفكس الى برلين ليستطلع نيات هتلر ثم عززت التحالف التام بينها وبين فرنسا ونظمت رحلة المسيو دلبوس الى أوروبا الوسطى للسعى فى تدعيم المحالفات المعقودة بين فرنسا ودول التحالف الصغير

ومما لا يقبل الريب أن سفر اللورد هاليفكس الى برلين وجولة المسيو دلبوس فى أوروبا الوسطى تدلان أبلغ الدلالة على اشتداد الخوف من نتائج تأليف ذلك المحور الذى راد فى متاعب الدول الديموقراطية

[خلاصة مقالة فى مجلة لومرا]

غرائب الطعام واللباس

رحالة انجليزي يتحدث عن مشاهد اجتماعية طريفة

أعرف وليمة حضرتها كانت في بلاد الحبشة ، إذ كنا نأكل اللحم نيئاً . فقد أتى خادم مضيفنا يحمل بين يديه عجلاً مذبوحاً مسلوخاً ، وراح كل منا يقطع منه بسكينه شريحة من اللحم يغمسها في سائل أذيب فيه كثير من التوابل . ومن أطرف ما يذكر عن موائد الحبشة أن سطحها وجوانبها تغطى بصنف من الخبز الرقيق يأكله الجالسون فيخيل الى الرائي أنهم يأكلون أغطيتها !

أما في الصين فيتهافت الناس على شراء رؤوس الأسماك وذيولها ، وزعانف الحيتان وعظامها ، وهي عندهم من الأطعمة الشهية الغنية التي تقدم في الولائم الكبرى ، بينما تترك لحومها للنساء والأطفال والخدم

ولا أعرف ناساً يسرفون في الأكل اسراف أهل سيام ، وهم يخلطون بين ألوان الطعام خلطاً عجيباً مؤذياً ، ويستريحون في أثناء الأكل عدة مرات يقدم في أثنائها مناشف مبللة بالماء الساخن يمسحون بها وجوههم ورقابهم إراحة لهم مما حملوه من الجهد ، وإثارة لشهيتهم المتعبة ومثلهم في هذا الهولنديون الذين يقيمون في جاوه ، حتى لينعسوا أحياناً وهم جالسون الى المائدة لكثرة ما جرعوا من الخمر وما التهموا من الأرز . وقد رأيت بعضهم يتجشأ من فرط ما أكل ثم يعود الى المائدة فيتخم معدته من جديد !

• • •

أما عن الملابس فأطرفها ما يتنكر به المستعمرون الأوربيون المقيمون في بعض جهات افريقيا وآسيا . ففي سيام مثلاً يتخذ الأميري لباساً خليطاً من الزي الغربي والزي الشرقي ، فقميصه أوربي وسرواله صيني ، وحذاؤه كهذا الذي يتخذ في ملاعب « الجولف » . والفرنسيون في الصحراء الكبرى يقلدون رجال قبيلة « الطوارق » ، فيحجبون وجوههم بنقاب رقيق

وقبيلة الطوارق هذه تشذ عن سائر العالم الاسلامي في أمر النقاب ، فالمسلمون المحافظون على تقاليدهم وشعائرهم يحجبون وجوه نسائهم فلا يراهن من الرجال سوى الآباء والاخوة والاعمام ، أما في الطوارق فالرجال هم الذين يحجبون وجوههم بدلاً من وجوه نسائهم السافرة ، فلا ترى من الرجل سوى عينيه الحادتين الضيقتين ولكن المحجب هناك لا يتخذ لفرض ديني بل لحماية الوجه من أذى الرمال التي تحملها الريح العاصفة ، ومن سفع الشمس الحامية التي تلهب الوجوه وتلوحها . ولهذا فإن النساء لا يتحجبن لأنهن لا يغادرن البيوت والخيام إلا نادراً وديانة الطوارق

من الاسلام مشوبة بعقائد وثنية قديمة . وقد علمت أن للمرأة هناك أن تتزوج عدة رجال معا . ومع أن الطوارق يعيشون في صميم الصحراء الجرداء فان نساءهم يعرفن كثيراً من وسائل الزينة الحديثة فيصبغن أسنانهن وأظافرهن ، ويلون شعرهن ووجوههن بألوان زاهية مختلفة

أما عن الحلى فهن أغرب من نساء قبيلة « ماساي » بكينيا ، فان الواحدة منهن قد تلبس عشرة أقراط في أذن واحدة ، بجانب الأطواق الكبيرة الثقيلة . ومن غرائب هذه القبيلة أن رجالها يطلون أجسامهم ويصبغون شعورهم بصبغ من الطين لونه مائل الى الحمرة ، ويصنعون منه تماثيل وتحوشاً ساذجة يلصقونها بأجسامهم

ونساء بعض قبائل افريقيا لا يكتفين بالأقراط في آذانهن ، بل يتخذنها كذلك في أنوفهن ودقونهن . وقد رأيت بعضا منهن وقد تدلى أنفهن بثقل ما تحمل من الحلقات والأطواق المعدنية ، كما تغطي معظم الوجه قطع شتى من الفضة والصفيح . وهن يقاسين في سبيل هذا التجمل عذابا أليما ، حتى تتجرى على صفحات وجوههن أخاديد عميقة أحدثتها السكاكين والخناجر

• • •

وتعدد الزوجات تقليد قلما يشذ عنه رجل من رجال القبائل الافريقية . والنساء هناك سلع رخيصة لا تكلف أحد الرجال مهراً يبهظه . فقد كان لخادمي في الكونغو زوجتان لم تكلفه احداهما أكثر من قطعة صغيرة من القماش أهداها اياها لتستر بها عورتها ، ولكن مهر الثانية صحن دجاج ، ولباس ، وقلنسوة لأبيها ، كما أقام مأدبة كبيرة . وفي بلاد الكونغو تترك الفتاة بغير اسم الى أن تتزوج ، ليختار لها زوجها الاسم الذي يشاؤه . وقد أسمى خادمي زوجته الثانية « قطار » ، وذلك أنه أيام اقترن بها جرى هناك أول « قطار » ، فأطلق اسمه عليها لفرط دهشته منه واعجابه به !

ومن الشائع هناك أن يبيع الرجل زوجته بدلا من أن يطلقها ، وكثيراً ما يربح الرجل من هذا البيع . والرجل يزوج أمه وابنته وأخته ، كما أن رئيس القبيلة ملزم بأن يتزوج كل امرأة يموت عنها زوجها

ولهم بعض طرائف في نظام حفلات الزواج ومن أغربها ما يجرى في « داهومي » ، حيث يركب الشاب والفتاة التي خطبها حصانا ينطلق بهما بين رجال القبيلة يسددون اليهما السهام ، فان أصيب أحدهما بسهم بطلت الخطبة وطرد الشاب الى أن يتعلم ركوب الجياد واتقاء سهام الأعداء .

ومع سهولة الطلاق وتبادل النساء في الكونغو ، فان زوجات رؤساء القبائل لا ينفصلن عنهم حتى بعد الموت ، فان المقربات منهن الى الرئيس يدفن في قبره أحياء ليكن برفقته في الحياة الأخرى التي يؤمنون بها

[خلاصة مقالة الرحالة الانجليزي [illegible] في مجلة [illegible]]

هل أنت جرىء ؟

أجب عن هذه الأسئلة تعرف نفسك

هذه عشرون سؤالا عن مسائل الحياة اليومية ، أجب عنها تعرف مقدار ما تمتاز به ، أو مقدار ما يعوزك ، من جرأة وشجاعة

وطريقة الاجابة أن تضع أمام كل سؤال أحد الأرقام الأربعة الأولى ، فان كنت تخشى الأمر الى حد الفزع والرجفة فضع أمامه الرقم ٤ ، وان كان خوفك منه لا يتجاوز حد الاشمئزاز والنفور فضع أمامه الرقم ١ ، وضع أحد الرقمين الأخيرين لما هو وسط بين هذا وذاك . ثم اجمع هذه الأرقام كلها واقسمها على ٢٠ ، يبين لك هذا المتوسط مقدار التوافق بين حالتك والحالة العادية التى يكون فيها متوسط الرجل ٢ر٤٥ ، ومتوسط المرأة ٢ر٦٥ . ومقدار الفارق بين متوسطك وأحد هذين المتوسطين يكون شذوذك وانحرافك عن الحالة الطبيعية . وتستطيع أن تعالج الأمر الذى تجيب عنه بأحد الرقمين ١ و ٢ ، ويجب عليك أن تعالج نفسك فى الأمر الذى تجيب عنه بأحد الرقمين ٤ و ٣ . على أن امرا يجب أن يلاحظ : فلو أن فأرا مر برجل وامرأة ، فاقشعر بدن الأول دون أن يجرى أو يصيح ، وراحت الثانية تملأ الجو صخبا وضجيجا ، لما كان هذا دليلا على أن الرجل أشجع وأثبت من المرأة ، وانما هو نتيجة اختلاف بينهما فى اظهار شعور الخوف الذى يحسانه بدرجة واحدة

وهذه هى الأسئلة :

١ – كم تخشى العمليات الجراحية الصغيرة ، كخلع ضرس أو فتح دمل بسيط ؟

٢ – الى أى حد تستاء أو تضطرب حين تشعر أن غيرك يتعقبك أو يحدق بك ؟

٣ – هل تشعر بكثير من الخجل والتهيب حين تطلب الى أحد أن يقرضك مالا ؟

٤ – اذا كان رأى صديقك الحميم يناقض رأيك تماما ، فهل تؤثر أن تظل صامتا أو تجاريه ظاهرا ؟

٥ – الى أى حد تضطرب حين يقع نظرك على فأر أو عقرب أو ثعبان أو ضفدعة أو ما شابه هذه من الحيوانات الصغيرة ؟

٦ – هل تفضل أن ترسل خطابا ، أو تتحدث فى التليفون ، الى شخص بينك وبينه أمر ما على أن تقابله وتجابهه بالحديث ؟

٧ – الى أى حد تحب أن تغمض عينيك أو تلفت وجهك حين ترى منظراً غير جميل ،

كشخص تعرف أكثر منه ، أو حرج من التزام سابق ؟

٨ — هل تهيب أن تعلن رأياً يخالف الآراء المعروفة في حفل حاشد ؟

٩ — اذا دخلت محلاً تجارياً فهل تفضل أن تشتري شيئاً ما حتى ولو لم يكن ما تريده ، على أن ترفض كل شيء يقدمه لك البائع ؟

١٠ — هل تحب أن تقول « إني مريض » أو « إني متعب » كلما واجهك أمر لا تحبه ؟

١١ — هب أنك قابلت شخصاً عزيزاً أو عظيماً معروفاً ، وحدثت نفسك بما جرى بينكما من حديث فهل تحسب من عملك كلمات مكرهة وأخرى فارغة لم تجر في هذه المقابلة ؟

١٢ — إلى أي حد تحب أن تكتم رغباتك ومطالبك لئلا تقابل بالرفض أو بالامتعاض ؟

١٣ — هل تجري هذه العبارات كثيراً في حديثك : « لا أحب أن أسمع شيئاً عن هذا » — « أرجو ألا تحرجني » — « أظن ألا دخل لي في الموضوع » ؟

١٤ — اذا اختصم اثنان في رأي فالى أي حد تحب أن تناصر أحدهما على الآخر ، والى أي حد تحب أن تؤيد الضعيف منهما ضد القوي ؟

١٥ — الى أي حد يلين عزمك على أمر ما اذا ما نصحك أحد بالإبطاء اذا مضيت فيه ؟

١٦ — هل أنت ممن يلجأون كثيراً الى « الكذب الأبيض » أي الكذب الذي يخلصك ولا يؤذي غيرك ؟

١٧ — الى أي حد تحب أن تتفادى ما يوجه اليك من لوم أو نقد بمثل الاعتذارات : « لم تكن الظروف مواتية » — « لو لم يتدخل هذا الشخص في الأمر لما وقع الخطأ » . . . ؟

١٨ — هل تقبل أن تعاتب أو تعاقب مراراً على خطأ لم تفعله أنت وإنما أتاه سواك ؟

١٩ — هل تحتاج الى كثير من الجرأة لتقول لخادم المطعم الذي أكلت فيه إنك نسيت كيس نقودك في البيت ؟

٢٠ — اذا قابلت أحد كبار رجال الأعمال أو السياسة أو المجتمع فهل تتحدث اليه « بصيغة الغائب » حتى ولو تكررت هذه المقابلة عدة مرات ؟

[خلاصة مقالة لاميل لودفيج في مجلة دي كورال الالمانية]

تقدم العلم والعالم

أى الدول أغنى ؟

هل تنتصر الديموقراطية فى الحرب المقبلة ؟

تسعى كل دولة الى أن تخزن فى مصارفها أكبر كمية من الذهب ، الذى مازال — فى النظام الاقتصادى القائم — أكبر ضمان للرخاء والاستقرار المالى ، والذى تعتمد عليه الدول فى سياستها وحروبها قدر ما تعتمد على جيوشها وأساطيلها

وقد وضع الكاتب الاقتصادى الفرنسى « ا . ل . جي » احصاء عن مقدار ما تمتلكه بعض الدول الكبرى من الذهب ، فوجد أن الدول التى تتمتع بالنظام الديموقراطى أغنى من الدول التى تخضع للحكم الدكتاتورى . ولذا فالاولى لا تتمتع بالحرية السياسية والفكرية فحسب ، بل بالرخاء والرواج كذلك ، أما الثانية فتقاسى الأزمة والكساد كما تعانى العسف والاضطهاد

وهذا هو الاحصاء مقدراً بملايين الفرنكات الذهبية :

ألمانيا	١٤١
ايطاليا	٦٣٨
اليابان	١٤١٦
انجلترا	٧٩١١
فرنسا	٩١٦٨
الولايات المتحدة	٣٤٤٣٩

واذا قدرنا ماتمتلكه الدول الديموقراطية الكبرى مجتمعة ، أى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، يساوى ٥١ر٥١٨ مليون فرنك ذهبا ومقدار ماتملكه الدول الثلاث الاخرى ايطاليا وألمانيا واليابان ، وهى الدول التى تجرى فى اتجاه سياسى واحد ، يبلغ ٢ر١٩٥ مليون فرنك ذهبا

ويستنتج من هذا أنه من المرجح أن تنتصر الدول الديموقراطية فى الحرب القادمة ، بفضل تفوقها المالى ، على الدول الدكتاتورية ، وأن العالم سيدين فى المستقبل بالمبادىء الديموقراطية بعد أن عمد الأساليب الدكتاتورية التى يخيل الى صحبها أنها سوف تنتصر وتنتشر

خريطة العميان

لايتيسر للكفيف البصر أن يجيد دراسة الجغرافيا لأنه لايستطيع أن يطلع على خرائطها ، فرؤى أن تصنع للعميان خرائط خاصة يتحسسون بها بأيديهم تضاريس الأرض ويعرفون كذلك أسماء مدنها وأنهارها

فيستطيع الاعمى أن يعرف هيئة الأرض وحدودها ، وما تضمنه الخريطة من جبال وهضاب وأودية وبحار وبحيرات . أما المدن فقد ثبت فى موضع كل منها قطعة صغيرة من النحاس ، وكذلك الأنهار مدت فى مجاريها أسلاك نحاسية

دقيقة . واُلحقت بهذه الخريطة قائمة تشتمل على أسماء جميع المدن والأنهار مكتوبة بطريقة « برايل » التي يتعلم بها فاقدو البصر القراءة ، ووضعت أمام كل اسم قطعة صغيرة من النحاس ، ويعطى كفيف البصر سلكين يجرى في أحدهما تيار موجب وفي الآخر تيار سالب . فإذا أراد أن يعرف اسم مدينة أو نهر ثبت طرف أحد

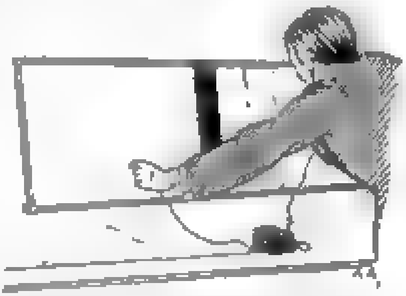

السلكين فوق القطعة النحاسية القائمة في موضع المدينة أو في مجرى النهر ، ومر بالسلك الآخر فوق قائمة الأسماء حتى يمس طرفه الاسم المطلوب فيدق جرس كهربائي ، وعندئذ يقرأ هذا الاسم المكتوب بطريقة برايل . ولا شك في أن هذا الاختراع سيوسع أفق ثقافة العميان كثيراً

نحن في عصر العلم

أمثلة من المخترعات التي تظهر كل يوم

● أول ما يبدأ المرء يتعلم الموسيقى تكون الأنغام التي يصدرها نافرة تشرئب منها الأصابع ولهذا رؤى اختراع آلات موسيقية صامتة يتعلم المتدربون العزف عليها ولا يسمع صوت هذه الآلات سوى المدرس وتلميذه ، وذلك بواسطة سماعات – كسماعات التليفون – توضع على آذانهما

● كثيراً ما يستطيع الفأر ، وهو حيوان شديد الحس والانتباه ، أن يحترس من المصايد التي تنصب له في البيوت وإذا وقع فأر في المصيدة وأطبقت عليه ، صار الفئران الأخرى في مأمن منها ، وراحت تعيث فساداً . فرؤى أن تصنع مصايد أخرى لا تطبق على الفئران ، وإنما تقتلها فقط وهي مفتوحة . وذلك بأن يسرى تيار كهربائي في السلك الذي يوضع فيه « الطعم » فإذا جاء الفأر حول هذا الطعم مسه التيار فصعقه . وتظل المصيدة بعد هذا مفتوحة تقتنص سواه . وهكذا يربح الخصم أو ربات البيوت من عملية قتل الفئران

● يحدث أحياناً في مستشفيات الولادة أن يختلط الأطفال بعضهم ببعض في أثناء الاستحمام مثلاً ، فتخرج الأم من المستشفى وهي تحمل طفلاً غير وليدها . ورأت بعض المستشفيات في أمريكا أن تتفادى هذا بأن يطبع كل طفل علامة خاصة ، وتكون الحرف الأول من اسم أمه مثلاً ، وذلك بواسطة أشعة كهربائية لا تؤلم الطفل ولا تحدث في جسمه أثراً لا يمحى

● سوف يستخدم البوليس الأمريكي قريباً نوعاً من القفاز – لباس اليد – يسرى فيه تيار كهربائي بسيط ، مصدره « بطارية » صغيرة توضع في جيب رجل البوليس . وبهذا القفاز يستطيع رجال البوليس أن يقبضوا على المجرمين أو على المتظاهرين حين يقاومونهم ، فحالما يمسونهم بأيديهم يصابون بصدمة كهربائية تشل حركتهم مؤقتاً ريثما يتمكنون من القبض عليهم ولا يتعدى تأثير التيار هذا الحد ، فلا ضرر منه على حياة من يمسهم

مصحات الروماتزم

يمكن إبراء الجسم من الروماتزم إذا أسرع المريض إلى العلاج أول ما يصاب به . وهنا

العلاج يتطلب الراحة التامة ، واجتناب كل ما يكلفه أو يتعبه . فهو يقتضي أن يأوي المريض الى « مصحة » تتوافر فيها وسائل الراحة والعناية . ولهذا تفكر بعض أطباء نيويورك في انشاء مصحات للروماتزم على نمط مصحات التدرن الرئوي . فقد ثبت أن شفاء المصاب بالروماتزم في بيته أو في مستشفى لا يؤدي الى برئه ، لانه لا تعد فيهما كل ما يلزمه من الراحة والعناية

هذا الى أن مرض الروماتزم يتطلب علاجا مستمرا طويلا ، فتطلب بذلك أعصابه الصحة ، وعلاج أسنانه المريضة ، وما عنده من عسر أو اضطراب في الهضم ، وكذلك تعريضه لأشعة الشمس أو للأشعة فوق البنفسجية

ولا شك أن الاطباء والجمهور يجب أن يقاوموا الروماتزم بشتى الوسائل وبنفس العناية التي يقاومون بها الخبيث والتدرن وغيرها . ذلك أن المرض يمنع الانسان من مزاولة عمله أكثر مما يمنعه مرض الديابيطس أو السرطان أو تصلب الشرايين . وقد ثبت ان العائلة التي يصاب أحد أفرادها بالروماتزم يضيع نصف دخلها . أولا لتحرر المصاب من العمل والكسب ، ثانيا لما تنفق على علاجه من نفقات طائلة . فان هذا العلاج يستغرق مدة طويلة تتراوح بين ستة أشهر وسنتين . على أنه يجب أن يذكر دائما أن علاج الروماتزم ميسور ، وانه يمكن إبراء المريض منه الى حد ما حتى بعد ان يتمكن من مفاصله ، ولكن علاجه عقب الاصابة به مباشرة أيسر وأجدى

السرطان مرض المدنية

رأى شائع ولكنه خطأ

شاع وسمع كثيرا أن السرطان من أمراض المدنية ، أي أن حياة الانسان المتمدن ، وعلى الأخص طعامه وشرابه ، هي التي تؤدي الى انتشار هذا المرض الخبيث

وتكاد يقبل هذا الرأي أكثر العلماء ، ولكن ظلا من الشك قد ألقي عليه أخيرا ، اثر النتائج التي أسفر عنها بحث الدكتور « كارل بويلر » من أساتذة جامعة متشيجان في أهل جزيرة هيتي . فهو بحث عيش الناس حيث بدائية الى حد كبير ، وما زال مستواهم الفكري ونظامهم الاقتصادي عند المرحلة الاولى من درج الحضارة ، ووجد أن السرطان منتشر بينهم انتشاره في البلاد التي بلغت درجة عالية من الحضارة كالولايات المتحدة

فقد فحص هذا الطبيب ١٧٤ مريضا بالقلب ، فوجد بينهم ١١ شخصا مرضى بالسرطان . ولا بد أن تكون نسبة المصابين بالسرطان من غير المرضى بالقلب أكثر من هذا ، لان مرض القلب يودي عن صاحبه غالبا قبل أن يصل الى سن الشيخوخة ، أي حين يتعرض الانسان عادة لمرض السرطان . واذا فمن المحتمل أن تكون نسبة المصابين بالسرطان في هذه الجزيرة كبيرة جدا

وربما كان السبب في عدم انتشار السرطان بين الأقوام الهمجية انتشاره في الشعوب المتحضرة ، أن السرطان لا يصيب المرء غالبا إلا بعد أن تتقدم به السن ، وعلى الاخص بعد تجاوزه العقد السادس . ولما كان متوسط طول العمر في الأمم المتمدنة ، أكبر منه في الشعوب التي أصابت حظا كبيرا من طريق المدنية ، كان أولئك أقل عرضة لهذا المرض من هؤلاء . واذا لا يكون طعام المتمدن وشرابه سبب اصابته بالسرطان ، بل ان فضل المدنية في إطالة عمره هو الذي يؤدي الى هذا المرض أحيانا

فرس النبي

هناك نوع من الجراد ـ أخضر فاتح ـ تطلق عليه العامة اسم «فرس النبي» وللبسطاء منهم خرافات غريبة عنها. وأسراب هذه الحشرة تدفعها الرياح الى المزارع والحقول، ولكنها لا تحدث أضراراً كهذه التي تحدثها أسراب الجراد التي كثيراً ما تنشر آفتها فسيحة من ساحتها

وقد انتقلت أسراب من «فرس النبي» من آسيا الى امريكا واستوطنتها و«تأقلمت» بها. وهي منتشرة هناك انتشاراً كبيراً ولكنهم لا يقاومونها لانها لا تضرهم شيئاً. ومن الغريب أن البسطاء من الامريكيين يذكرون خرافات عنها تشبه ما يذكره بسطاؤنا عنها من خرافات

وأغلب هذه الحشرات اناث، لانها ـ كالنحل ـ تأكل ذكورها عقب أن تلقحها، ولا تبقى منها إلا الاناث

أحذية للبهائم

لعل ما يكسبه الفلاح الأوربي أو الأمريكي من ماشيته يوازي، أو يفوق، ما يكسبه من أرضه، رغم ما تقتضيه زراعة الأرض من مشقة ومال. ولهذا يعنى بالبهائم عناية فائقة ويحافظ عليها كل المحافظة. فمن ذلك أن الفلاحين الأمريكيين وجدوا أن بعض الامراض المعدية تنتقل الى الأظفار والأعظم عن طريق حوافرها، وأن هذه الامراض تقتلها أحياناً وتمنعها من العمل غالباً، فرأى أن تلبس هذه المواشي

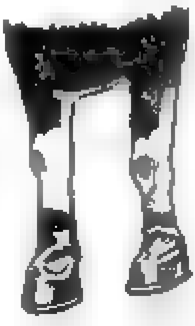

أحذية خاصة من الكاوتشوك. وقد صنعت هذه الأحذية من مادة رقيقة كي تيسر المواشي أن تسير وتجري بها، ولكنها متينة فتحتمل طويلاً. وقد استخدمت بعض المزارع هذه الاحذية لأغنامها فنقصت فيها نسبة الامراض والوفيات نقصاً محسوساً

هل تعلم ؟

طرائف علمية مختلفة

• أن جميع أنواع الثعابين والأفاعي تجيد السباحة

• أن هنود أمريكا، أي الذين كانوا يستوطنونها حين كشفها كولمبس، أكثر الشعوب ـ بعد الصينيين ـ تقديراً للجمال، وشعوراً بضرورة توافره في الحياة

• أن قبائل الهنود في امريكا الجنوبية كانوا يصنعون «الابر والدبابيس» من الذهب في عصور ما قبل التاريخ

• أن الحلاوي يحرمون حاسة الشم وحدها من تشمم الصنف الذي يجهزونه

• أنه قد اخترعت في ألمانيا آلة كاتبة «تايبرايتر» تكتب بها «نوتات» الموسيقى

• أن صبغ أظفار الأصابع ـ المانيكير ـ كان عادة شائعة في شعوب الشرق الأدنى القديمة، ثم امحت الى ان ظهرت وانتشرت أخيراً في شعوب اوربا وامريكا

• أن هناك نوعاً من الحيتان يستطيع أن يأكل في اليوم الواحد طناً كاملاً من الطعام

• وانه تقع في الولايات المتحدة كل عام زهاء ٧٠٠٠٠٠ حادثة اصطدام حافل. وان قرابة ١٥٠٠٠ واحدة تموت سنوياً بسبب هذه الحوادث الجنائية الآلية

كتب جديدة

فى منزل الوحى

للدكتور محمد حسين هيكل بك

مطبعة دار الكتب المصرية فى ٦٤٠ صفحة

عندما يغمر ضوء الدين قلب الرجل فتصفو نفسه ، وتتحدد أسمى عواطفه ، وتتسع آفاق فكره ، فيستطيع أن يرى العالم من خلال إيمانه حافلا بشتى الكنوز الروحية التى لا يلحظها الرجل العادى ولا يحفل بها الرجل المتعلم الذى ابتلاه العلم بالقلق والشك أو بالجمود والكفران

ولا شك أن ثقافة الرجل المتدين تخلع على إيمانه حلة رائعة من طرافة التفكير وتدفعه إلى النظر فى فلسفة دينه عن عقيدة وتهديه إلى أفكار ومبادىء ونظريات لم يكن يحلم بها . وهكذا تتحد قوى الدين فى يديه وتفيد من ثقافته فيشتد تأثيرها على نفسه وعلى نفوس المؤمنين وغير المؤمنين

ولقد أسبغت حماسة الإيمان بالإسلام أجمل الحلل على الدكتور محمد حسين هيكل بك ، فزادت أسلوبه صفاء وتفكيره عمقا ورقة ، ثم تحولت بطبيعتها عن حماسة الإسلام والمسلمين نحو كل إنسان حر خالص من شوائب التعصب يتلمس فى جوهر الدين الحقيقة الكبرى مقرونة بالسلوى والعزاء

وإذا لا يغفل القارىء أن كتاب « حياة محمد » كان صرخة فرح ونشوة أطلقها الدكتور هيكل من صدره التواق إلى الحق ومن نفسه التى اطمأنت إلى هدا الحق بعد جهاد طويل . وأما كتابه « فى منزل الوحى » فهو صرخة أخرى تفيض بالتسبيح والتمجيد وتحمل فيها قوة الإيمان فى أروع مظاهرها !

وهذا الكتاب هو تاريخ الرحلة التى قام بها الدكتور إلى منزل الوحى لتأدية فريضة الحج المقدسة

ولقد وجه أكبر عنايته إلى آثار الرسول الكريم وحاول فيه أن يسير حيث سار وأن يلتمس ما فى حياته من أسوة وعبرة . ولكن الدكتور لم يتقيد فى تفكيره بمنطقه وعقيدته الثابتة الذى كونتها الطريقة العلمية الحديثة ، فهو لا يسلم بالعقيدة الموروثة إذا لم يكن لها أساس غير ما وجد الناس عليه آباءهم . وإذا لم يمحصها ويفحصها وصل إلى اعتبار أنها حقيقة يبيحها عقله ويطمئن إليها ضميره

فالعقل الباحث هو الذى هدى الدكتور إلى الإيمان وهو الذى ضاعف إيمانه بالحقيقة التى انتهى إليها عقله

وهذا الإيمان الصادق العميق تجده ماثلا فى فصول الكتاب ولا سيما فى فصل (وقفة عرفات) و (فى جوف الكعبة) و (فى غار حراء) و (فى زيارة الوداع) ثم فى الفصل الختامى البديع الذى يدور حول خصائص الجانبين المادية والروحية والتى وردت فيه هذه العبارات البديعة بأن يمعن النظر فيها كل مفكر عصرى :
« فى ضياء الروح يهدينا إلى وحدة الكون

ووحدة الحياة ، أي إلى الوحدة بالحب والوحدة بالرجاء في الله وبنوره الذي يضيء الكون كله ، وإلى وحدة الزمان والمكان . ووحدة الصورة الروحية هي التي تصور لنا وحدة الخالق . أما الصورة المادية فانفصالية طبيعتها ولذلك جعل التفكير المادي الانقسام والتقسيم أساس الحياة »

الحبشة المسلمة

محمد تيسير ظبيان الكيلاني

طبع في دمشق في ١٤٠ صفحة

الاستاذ محمد تيسير ظبيان الكيلاني هو منشئ جريدة الجزيرة التي تصدر بدمشق ، وهو أديب ناه مولع بالرحلات والأسفار وقد قام برحلة الى بلاد الحبشة درس فيها أحوال المسلمين هناك واستطاع أن يرسم صورة رائعة من عاداتهم وأخلاقهم ومبلغ تعلقهم بالاسلام ومدى تطورهم الاجتماعي والأدبي . ومن أبدع فصول كتابه « الاسلام في الهضبة الحبشية » و « نموذج من أحكام المسلمين » و « سلطنة جما الاسلامية »

والواقع أن المؤلف أماط اللثام عن جوانب من الحياة الاسلامية كانت ما تزال مجهولة ، فسرد روابط التفاهم والاخاء بين المسلمين وسعى فوق ذلك لدى السلطات الايطالية في الحبشة لايصال مطالب اخوانه اليها ، فأدى بذلك خدمة جليلة للاسلام بوجه عام ولمسلمي الحبشة بوجه خاص

وقد صدر هذا الكتاب بمقدمة شائقة للكاتب الكبير الأمير شكيب أرسلان حمل فيها على الاستعمار الأوربي وأشار الى حقيقة أحوال مسلمي الحبشة الذين هم نصف سكان تلك البلاد ونبه الأنظار الى وجوب الاهتمام بهم ومحاولة الاتصال بالعناصر المستنيرة منهم لتحسين أحوالهم والعمل على رفع مستواهم الديني والثقافي

ويلاحظ أن المؤلف لم يدرس في كتابه عادات وأخلاق مسلمي الحبشة فقط ، بل تناول الحياة العامة في أهم البلاد الحبشية ، فجاء كتابه دراسة كاملة وافية جديرة بأن يطالعها كل مسلم وكل عربي

المريد

لبول بورجيه

ترجمة سليم سعده

مطبعة « علي » في ٤٦٠ صفحة

قصة المريد أو التلميذ من أبدع القصص التي تمخض عنها خيال الروائي الفرنسي الأشهر بول بورجيه . ولقد أراد بها المؤلف تصوير تأثير التعاليم اللادينية في عقل شاب تلقى تلك التعاليم عن أستاذ فيلسوف يدين بها ويروج الدعوة لها

تحت تأثير تلك الأفكار شاءت الحوادث أن يكون الشاب مسؤولا عن جريمة لم يرتكبها بالذات ولم يشترك في ارتكابها وان كان قد دفع اليها مدفوعا بالافكار والتعاليم التي حفظها من مؤلفات استاذه الفيلسوف

وقيمة القصة في أن حوادثها تطرح علينا هذا السؤال الخطير . هل يجب على الفيلسوف أو المفكر أن يصارح بالحقيقة كائنة ما كانت أم عليه أن يحصرها ويحجبها متى أدرك أو شعر أن تطبيقها والعمل بها في الحياة الواقعة قد يجر على الناس الكوارث ؟ . .

يقول بورجيه إن الحقيقة يجب أن تخدم المجتمع خدمة مباشرة وتنتهي الى المنفعة العامة ، وإلا فهي حقيقة مشكوك في سلامتها . ويقول

أحرار الفكر وما لو قيدنا كل حقيقة عقلية أو علمية بنتائجها العملية لوجب أن نقيد حرية الفكر نفسه ولذلك نقيم العراقيل في وجه تطور الذهن البشري

فهذا الصراع بين النزعتين هو لب هذه القصة الرائعة التي نقلها الأستاذ سليم سعده الى اللغة العربية في أسلوب واضح جزل وفي أمانة مطلقة ، وصدرها الأستاذ ابراهيم المصري بمقدمة وافية عن شخصية بول بورجيه

ملكات العقل الباطن

للأستاذ وليم سرجيوس الغالي

المطبعة التجارية بالقاهرة في ٩٦ صفحة

من أوفى الكتب التي وضعت في علم النفس الحديث هذا الكتاب الذي يعتبر خلاصة وافية لأبحاث فرويد ويونج وادلر وغيرهم من أقطاب السيكولوجيا الحديثة . وقد أخذ المؤلف بأهم ظواهر العقل الباطن ، كازدواج الشخصية وسيطرة الفكرة الثابتة ونوم اليقظة وقوة الايحاء والتخاطر أو الاتصال العقلي بدون وساطة الحواس . ثم عقد فصلا رائعا عن توارد الأفكار وسرعة البديهة وما يسميه علماء السيكولوجيا بالعقد النفسية أي حالات النفس التي تنشأ عن الاحتكاك الذي يحدث بين غرائزنا واتصالاتنا الموروثة ، والتأثيرات والايحاءات التي تفيض علينا من العالم الخارجي

وقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في تحري الأدوار التي مر بها علم النفس حتى استقر على التحليل النفسي وعلى دراسة الظواهر العصبية والنفسية دون فزيولوجية العقل وتشريحه . والواقع أن بحث ملكات العقل الباطن جهد يعود بأعظم النفع على الفرد والمجموع لأن غاية علم النفس هي دراسة الانسان أو دراسة حقائق السلوك البشري باعتبارها نتائج لحالات عقلية ونفسية خاصة . فكلما كشف العلم عن هذه الحالات اقترب الانسان من معرفة حقيقة نفسه واستطاع توجيه سلوكه نحو الحق والخير والجمال

تصدع مذهب دارون

للدكتور حليم عطية سوريال

المطبعة الوطنية بأسيوط في ٢٠٠ صفحة

وضع الدكتور حليم عطية سوريال هذا الكتاب ليثبت أن مذهب التحول يخالف نواميس الطبيعة وان العلم الحديث نفسه يؤكد وجود الخالق وقد درس المؤلف في كتابه مبدأ الميكانيزم وعلاقته بنظرية التحول بالبيولوجيا، وتحدث في اسهاب عن الخلية المحدودة وعرض عوامل التحول ، ثم استخلص من كل ذلك عدة مبادىء تصلح قاعدة لفلسفته، وأهمها : ان هناك قوة غير منظورة وراء عالم المادة والحياة ، وان تلك القوة عاقلة مفكرة تصنع كل شيء من لاشيء ، وأن العوامل الطبيعية والمواد الطبيعية الخالدة لا قدرة لها على صنع كائن حي أو على تحويل نوع من الكائنات الحية الى نوع آخر

وخلاصة القول ان كتاب الدكتور سوريال هو كتاب رجل انتقل من العلم الى الايمان واستند في محاربة نظرية التحول الى علماء أفذاذ أمثال كوفييه وأجاسيز وفيرخوف

عملكة الجمال والحق والخير

للأستاذ محمود علي قراعة

مطبعة الفتوح بمصر . في ٢٢٢ صفحة

ألوان الجمال في الحياة كثيرة ومنها ما يتصل بالعواطف والاحساسات والاخيلة ويرجع الى

عالم الأدب والفن ، وبما يتصل بالأخلاق والعادات والأنظمة ويرجع الى عالم الاجتماع . وقد أراد المؤلف في كتابه دراسة مختلف هذه الألوان فعالج موضوع الجمال في روح الجماعة وفي أساليب الحكم وخرج من ذلك الى تحليل فكرة الجمال في الحب والصداقة وفي تكوين الجانب الروحي في الانسان . ويرى المؤلف وهو في ذلك على حق أن غاية الجمال أي غاية الفن الأخيرة هي الاتجاه بالنفس البشرية الى الكمال الروحاني المتحرر المطلق

وهذه النظرة تتفق كل الاتفاق مع نظرة الفلاسفة المثاليين الذين يقربون على الدوام بين الفن والدين ، ويرون أن الفن ينزع نفس نزعة الدين ، من حيث السمو فوق المادة والتطلع الى مثل معنوى أعلى يحرر الفرد من سلطان غرائزه الوضيعة ويتجه به نحو عبادة الكمال أى عبادة الله باعتباره رمز الروحانية الكاملة

روبنسن كروزو

للاستاذ كامل كيلانى

مطبعة المعارف فى ١٢٠ صفحة

سيذكر أطفالنا حين يشبون أن أكثر ما يملأ عقولهم من آراء ناضجة وأخيلة طريفة ، قد استمدوها من هذه المكتبة الحافلة التى أنشأها لهم الاستاذ كامل كيلانى . ففى أيديهم الآن عشرات من الكتب مختارة من أروع كتب الأدب العربية والغربية ، مصرومة فى أسلوب سلس ممتع شائق ، فتغذى عقل الطفل وتنبه خياله وتثير ملكاته

ومن هذه القصص الجيدة قصة « روبنسن كروزو » التى تعد محور الدراسة فى المدارس الأولية الانجليزية ، والتى اختارها جان جاك روسو لتكون غذاء « إميل » الفكرى ، لأنها « أصدق مقياس نقيس به مدى نجاحنا فى الحياة كما نقيس به أحكامنا التى نصدرها » فلا شك أن أطفالنا يحب أن يقرأوا قصة ممتعة كهذه ، ولا سيما وقد ترجمت فى أسلوب عربى طريف وزينت بكثير من الرسوم الجيدة !

وقد كتب الاستاذ نجيب الهلالى بك كلمة ممتعة فى آخر القصة قال فيها : « لئن أدركت الأطفال « رياض الأطفال » مرارا عديدا ، فقد فتحت لهم « مكتبة الأطفال » فتحا جديداً . أدركت أرب نفوسهم ، وأدخلتهم أنسا بين نفوسهم ، وهيأت لهم المجال لأشواقهم ، وحببت لهم وأخلاقهم . . . وإن طفلا تتعهده هذه الكتب ، وينشئه هذا الأدب ، لهو خليق أن يمضى فى مراقى البلاغة قدما ، حتى يطالع فى سمائها نجما » وحسب الاستاذ كامل كيلانى هذه الشهادة !

سعد زغلول التعاونى

للدكتور ابراهيم رشاد بك

المطبعة الاميرية فى ٦٦ صفحة

يطرد سير الحركة التعاونية فى جميع الشعوب مع سير الحركة الديمقراطية ، وتقوم نهضة التعاون دائما على ما كسب للوطنيين النظام الديمقراطى ، فلا عجب اذا كان سعد زغلول — وهو الذى خلق الروح الديمقراطى فى هذه الأمة — من أهم أركان حركة التعاونية . فقد أراد انهاضها ودافع عنها عندما كان فى الهيئة التشريعية ، ومهد لها سبيل النهوض والقوة عندما كان رئيسا للوزارة ، ولولاها برعايته فى كل الظروف حتى قوى أمرها وصارت كما ترى الآن : مبعث الثروة والرخاء فى كل قرية حلت فيها

وقد وضع الدكتور ابرهيم بك رشاد مدير

التعاون كتابا صغيراً عن جهود سعد زغلول في هذه الحركة ، أبان فيه جهوده العظيمة في سبيل نصرة الفلاح والعامل عن طريق التعاون. والكتاب على ضآلة حجمه قيم ممتع ، لأن مؤلفه الذي يتزعم بكفاءته وإخلاصه حركة التعاون، يعد في طليعة مفكريها ، بسعة ثقافة ، ودقة بحث ، ونضج تفكير ، ووضوح بيان

المطالعة التاريخية

للأستاذ محمد بك رفعت ، والدكتور زكي علي

والدكتور محمد مصطفى زيادة

مكتبة الهلال في ١٢٠ صفحة

أحسنت وزارة المعارف حين عدلت منهج التاريخ الابتدائي إلى نحو قصصي ، يستهوي التلميذ الناشئ، الذي لم يألف الدراسة الجديدة فقام جماعة من الأساتذة الممتازين في وزارة المعارف والجامعة بوضع كتاب وجيز بسيط ، يعرض بعض الموضوعات التاريخية صياغة قصصية تقربها من أفهامهم ، بعبارتها البسيطة وعرضها المشوق . وهؤلاء الأساتذة هم :

محمد رفعت بك مراقب تعليم البنات المساعد، والدكتور زكي علي المدرس بكلية الآداب ، والدكتور محمد مصطفى زيادة الأستاذ بها ، والأستاذ أحمد نجيب هاشم المدرس بمعهد التربية للبنات ، والأستاذ سيد أحمد خليل ناظر مدرسة السيدة صفية الابتدائية

ويتناول القسم الأول منه طائفة من عظماء المصريين القدماء ، وبعض الأنبياء الذين تتصل سيرتهم بتاريخنا القديم ، كيوسف وموسى ، عرضوا سيرتهم عرضا مبسطا واضحا ، يمتاز بما يثيره في النشء من روح الفخر بوطنه والاعتزاز بتاريخه

ولعل أجمل ما في الكتاب ما ورد فيه من الحديث عن حضارة مصر القديمة وأساليب الحياة فيها وذلك بما أورده من أحاديث ممتعة تصور كثيراً من نواحي تاريخنا القديم وأبطاله المأثورين

AT RANDOM

للدكتور زكي أبو شادي

مطبعة التعاون بالإسكندرية في ١٢٠ صفحة

تنظم هذه المقالات المختارة التي كتبها بالإنجليزية الدكتور زكي أبو شادي فكرة واحدة هي السعي إلى نقد العالم في شتى نظمنا وأفكارنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية . وهو لا يسعى إلى سعي أصحاب الأحلام الخيالية الحالمين ، بل يفكر فيها على أسس علمية منطقية تعالج تلك المشاكل التي تواجه الشعوب والأفراد في هذه الأزمة العالمية العصيبة ، ونستطيع أن نلمس هذه الفكرة في جميع أجزاء هذه الموضوعات : تربية النوع البشري ، ما الذي يعوز الإنسان ، المصرية ، الديموقراطية والدكتاتورية ، الدين والعلم والتقدم الإنساني ، الدولة بين الحربين ، الديموقراطية الاقتصادية

والأستاذ المؤلف يعرض أفكار الباحثين في هذه الموضوعات ، وينقدها نقداً دقيقاً يثبتها أو يفندها ، ثم يدلي برأيه مدعما بأدلة العالم وصحيح الباحث ، مسوقا في أسلوب الأديب وروعة الشاعر . وهو يرى أن الحضارة الحديثة قد آذنت بزوال لتعقبها حضارة أسمى منها وأرقى

وتتضح في هذا الكتاب ثقافة المؤلف الواسعة المتشعبة ، فقد قرأ كثيراً من أمهات الكتب في السياسة والاقتصاد والاجتماع والعلوم، وأثبت به أنه ليس طبيبا بارعا وشاعراً مجيداً فحسب ، بل هو باحث مفكر كذلك

الأدب في شهر

ختام فاجع

مسز ماجدا رولنس من أنبغ السيدات الأمريكيات. وقد بدأت حياتها بالاشتغال بالأدب الشعري فمثلت فيه كل سبيل إلا أن أخفقت وجهة عصبية وظلت تجاهد حتى أحرزت شهادات كبيرة ممتازة في علمي الطبيعة والكيمياء. غير أن انصراف هذه السيدة إلى العلم لم ينسها الأدب. وقد شعرت أخيراً أن في بلادها عدداً وافراً من شيوخ الأدباء المعسرة للرمق الذين أقعدهم العمر عن مواصلة العمل، واستسلموا وهم في أرذل العمر لشر الأحداث، فعز عليها أن تنتهي حياتهم على هذه الصورة فطافت بهم وجمعت من كل واحد منهم قصيدة أو مقالا ثم جمعتها في كتاب سمته (ختام فاجع) ثم دارت بالكتاب على زملائها العلماء وقامت في وفد منهم إلى رئيس الجمعية ناشدة طبع الكتاب على نفقة الجمعية

وقد طبع الكتاب بالفعل وتخطف الجمهور نسخه وقد جمع وافر جداً أرصدته مسز ماجدا رولنس على بث ملجأ لشيوخ الأدباء المعوزين

حول الاحتفال بذكرى ديكارت

بمناسبة الاحتفال الأخير بذكرى الفيلسوف الفرنسي الذائع الصيت رينيه ديكارت، نظمت المكتبة الفرنسية الوطنية معرضاً خاصاً لأعمال الفيلسوف ومختلف المؤلفات التي وضعت عنه وعن فلسفته. وقد أربت هذه المؤلفات التي وضعت عنه وعن فلسفته على ألف كتاب تولى تنظيمها عدد كبير من أمناء المكتبة الوطنية

ومما يجدر ذكره أنهم عثروا بين ملفات ديكارت على عقد كان أمضاه مع الناشر الذي قام بطبع كتابه الخالد المعروف باسم (دراسة في الطريقة الفلسفية). ويتضح من هذا العقد أن الناشر لم يدفع للفيلسوف أي مبلغ من المال، وأن كل ما ظفر به ديكارت هو ٢٠٠ نسخة من كتابه وزعها على أصدقائه ومريديه

ثروات كتاب الانجليز

يربح كتاب الانجليز أموالا وافرة من مؤلفاتهم، وقد قامت إحدى الصحف الغربية بإحصاء دقيق عما جمعه بعض أولئك الكتاب من ثروات فقالت إن الروائي المسرحي جيمس باري خلف ١٧٣ر٤٦٧ جنيها وهول كين ٢٥٠ر٠٠٠ ورديارد كبلنج ١٥٠ر٠٠٠، وتوماس هاردي ٩١ر٠٠٠ وجون جالسورثي ٨٨ر٠٠٠ وهكذا يغمر الانجليز كبار أدبائهم ويغالون في التثقف والاطلاع

أكاديمية الشعراء

كانت قد تألفت في باريس أكاديمية للشعراء باسم أكاديمية (مالارميه) وهو شاعر فرنسي تألق نجمه في مستهل القرن الحالي. وتعتبر هذه الأكاديمية من أهم الهيئات الأدبية في عصرنا. وقد ورد في الأنباء الأخيرة أنها انتخبت عضوين جديدين هما الشاعر جان

كوكتو والشاعرة جيرار دوفيل

وقد اشتهر جان كوكتو بقصائده القصيرة القاطعة التي تعرض وتصور خلجات العقل الباطن ومختلف الاحساسات التي تطرأ على الحواس فقط ولا تشوبها شوائب العقل المنطقي . واشتهرت مدام جيرار دوفيل بشعر سوى حالم رقيق يمثل عواطف المرأة ولاسيما الحب المقرون بالعزم والولاء والتضحية

نظرات في خلق المرأة

أصدرت الأديبة الانجليزية هيلين جرانس كارليل رسالة بحثت فيها بعض أطوار الخلق النسوي . ومما ورد في هذه الرسالة الطريفة أن المرأة لا تحب الرجل القوي كما يتوهم سواد الناس بل تحب الرجل الذي تشعر بغريزتها أن فيه بعض مواطن الضعف وأن في مقدورها أن ترعاه وتحميه وتجعل من ضعفه قوة . وترى مس جرانس أن غريزة الحنان والأمومة هي التي تسيطر على المرأة متى أحبت ، لا الحوافز والدوافع الحسية المجردة ، فهي تنظر الى الرجل الذي تحب نظرة أم من خلال حبها كأنثى ، ولذلك تنفر من الرجل القوي المعتز بقوته الذي لا يشعر بأية حاجة اليها

فاجعة الفتاة مادلين

هذا هو الاسم الذي خلعته الأديبة الاسوجية مارجا سكمبرت على قصة أخرجتها حديثاً وعالجت فيها بأسلوب شائق مؤثر ظاهرة من الظواهر العائلية الخطيرة

وهذه الظاهرة هي تهاون الآباء في اخفاء مشاحناتهم البيتية عن أعين أبنائهم مما يؤدي الى تسمم أخلاق الأبناء . وقد رسمت الروائية الاسوجية صورة مروعة لفتاة شهدت منذ صباها مختلف ضروب النزاع بين والديها فتحدث بها ونشأت وضيعة النفس ملوثة العاطفة والاحساس تمثل مع زوجها نفس الدور الشائن الذي مثلته أمها مع والدها

وقد أحرزت قصة مدام سكمبرت نجاحاً كبيراً لخطورة موضوعها ولشيوع تلك الظاهرة الاجتماعية المرضية في معظم الأسر المولعة بالاسراف في تقدير الحرية الشخصية

أربع جوائز أدبية

وزعت فرنسا في الشهر الماضي أربع جوائز من أكبر الجوائز الأدبية وهي جائزة جونكور وفيمنا ورينودو وجائزة نخبة الصحفيين

وقد فاز بجائزة جونكور الروائي شارل بليسنيه تقديراً لقصتيه (الزواج) و (جوازات سفر مزورة)

وشارل بليسنيه أديب بلجيكي الأصل معروف بنزعاته الحرة وميوله الاشتراكية المتطرفة . وقد فازت بجائزة فيمنا مدام ريمون فنسان تقديراً لقصتها (الريف) التي أشرنا اليها في العدد الماضي من الهلال . وفاز بجائزة رينودو أديب يدعى جان روجيسار تقديراً لقصته الأخيرة (مرفال) وهي تتناول أيضاً وصف حياة الفلاحين في الريف الفرنسي . وأما جائزة الصحفيين فقد منحت لجورج سلان تقديراً لكتابه (طبقات الحب) وهو دراسة علمية عميقة لعاطفة الحب في تلك الصور

في الأدب الامريكي

جون دوس باسوس من أشهر كتاب أمريكا المعاصرين ومن أبدع الروائيين فيها . وقد أصدر

قصة حديثة عنوانها (عام ١٩١٩) . وفي هذه القصة التي صادفت من الجمهور أعظم الإقبال رسم الكاتب مرحلة خطيرة من تاريخ بلاده وتاريخ أوربا . وهي المرحلة التي اجتازها المجتمع الغربي عقب انتهاء الحرب العالمية وإعلان الهدنة

تداعي المبادىء القديمة وشيوع حمى المرح والاستهتار وانتشار الأخلاق الشاذة ونزعات التمرد والفوضى والناشئة عن ويلات الحرب وآلامها ، كل ذلك عالجه جون دوس باسوس في قصته فسجل بها صفحة هامة من تطور العالم ، وقد ترجمت هذه القصة أخيراً إلى الفرنسية وبيع منها في أسبوع واحد ألف نسخة

هدايا الأطفال في الأعياد

اعتزم ناشر مجري في بودابست إصدار عدد من الكتب المصورة الجميلة تقدم للأطفال في الأعياد

ولم يفكر هذا الناشر في طبع قصص أوربية غريبة الوقائع من أمثال قصص أندرسن وبيرو التي اعتاد أطفال أوربا مطالعتها . ولكنه رأى أن يختار عدداً من قصص « ألف ليلة وليلة » ثم يهذبها ويعهد إلى بعض كبار المصورين برسم حوادثها . وقد أخرج مشروعه بالفعل وأصدر آلاف النسخ من هذه القصص . وتقول صحيفة (سوسوار) الفرنسية إن أصحاب المكاتب تهافتوا على شرائها وإن الناشر باع منها حتى الآن ما يربي على ٢٠٠ ألف نسخة

كتاب عن الحب

يعتبر جاك شاردون من أبرع أدباء فرنسا في معالجة مشاكل الأسرة والزواج والحب . وقد أخرج كتاباً حديثاً هو مجموعة خواطر وملاحظات عن هذه العاطفة وعلاقتها بحياة الفرد . ومن أعمق ما جاء به هذه الخواطر :

الأبوة أقوى في نفس الرجل من عاطفة الحب الجنسي . ومولد الطفل يكشف للرجل عن عالم أرحب وأعمق ألف مرة من ذلك العالم المشوش المضطرب الذي يكشفه له الحب

إن المرأة التي تحبها ولا تحبك تظل في حياتك على الدوام سراً غامضاً

المرأة يغيرها الحب ويبدلها تبديلاً تاماً . وحتى أحسن النساء تتغيرن في الخلق والطبع وفي كل شيء

إن غاية الحياة في نظر الرجل هي عمله وجهاده . ومن المحال أن تجد رجلاً غايته الوحيدة في الحياة أن يحب امرأة . وهذه ما لا تستطيع النساء أن تفهمه

الدهماء والجماهير

أخرج كاتب فرنسي يدعى أندريه جوسان كتاباً عن عصبية الدهماء أثار ضجة كبرى في الدوائر الاجتماعية الأوربية

وهذا الكتاب يبحث على نظرية جديدة تخالف النظرية التي نادى بها جوستاف لوبون قبل مضي ويحاول أن يثبت بواسطتها أن الجماهير لا عقل لها ولا فكر وأن حكومة الجماهير أي حكومة الديموقراطية لا يمكن أن تعيش وتنمو وتعلي أمة قوية متماسكة . ويرى أندريه جوسان أن الجماهير شيء وأن الدهماء شيء آخر . فالجماهير هي الكتل التي تنتظم في شكل هيئات وجماعات وأحزاب تعبر عن مختلف آراء الأمة وتستطيع أن توجه رجال الحكم . وأما الدهماء فهم سواد الشعب الذي لا يفكر ولا يقبل الانتظام في أي هيئة مفكرة بل تبدو ميوله وعواطفه في ثورات

متقطعة يمكن أن تهدد نظام الدولة . فالدهماء هم الذين تنطبق عليهم آراء جوستاف لوبون ، وأما الجماهير فهي القوة الساحقة التي تمزج العاطفة بالفكر وتؤثر في حكومة الدولة . والدهماء فوضويون وأما الجماهير فللنظام تنتمي . ولا شك أن جميع مبادىء الحرية والعدل والمساواة وجميع ضروب الجهاد السياسي خرجت من هذا النوع الناضج من الجماهير

شكسبير الخالد

من أعجب الظواهر الدالة على خلود شكسبير وحاجة كل عصر إليه أن سبع تراجم حديثة ظهرت لبعض رواياته في أمم مختلفة وفي شهر واحد . فقد نقلت الى العبرية رابع مرة رواية (العاصفة) ونقلت (هملت) لخامس مرة الى الألمانية و (عطيل) لعاشر مرة الى العبرية و (حلم ليلة صيف) لثالث مرة الى الهولندية وكذلك أعيدت ترجمة (مكبث) و (ترويض الشرسة) و (عطيل) الى اللغة الرومانية

دانونزيو كاتب فرنسي

لم يبرع شاعر ايطاليا جبرييل دانونزيو في الأدب الايطالي فحسب ، بل تفوق تفوقا ملحوظا في الأدب الفرنسي أيضا . وكان قد وضع منذ عهد مضى باللغة الفرنسية مسرحية (استشهاد القديس سباستيان) التي مثلتها ايدا روبنشتين على أكبر مسارح باريس

وفي الأنباء الأخيرة أن دانونزيو أتم مسرحية جديدة باللغة الفرنسية عن بطلة من أبطال التاريخ الفرنسي تدعى (جان هشيت) وقد شاع بهذه المناسبة أن فرنسا تفكر في ادماج دانونزيو في عضوية مجمع الدراسات الاجتماعية

وفي الكرسي الذي خلا بوفاة المسيو مزاريك رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا السابق

البابا والعلوم البيولوجية

ورد من مدينة الفاتيكان أن البابا بيوس الحادي عشر وضع جائزة مالية تقدر ٢٥٠ ألف ليرة ايطالية تمنح في كل عام لأبدع كتاب يظهر في العلوم البيولوجية

ويلاحظ أن الفاتيكان لم يحدد جنسية الكتاب بل ترك باب المباراة مفتوحا لكل مفكر

أخلاق العظماء

عثروا في مخلفات المؤرخ الشهير هيبوليت تاين على مخطوط لكارليل يبحث فيه الكاتب الانجليزي عن أخلاق العظماء . ومما ورد في حديث كارليل أن عظماء رجال الفكر لم يتمكنوا من ادراك جوانب العظمة المطوية فيما حولهم إلا بالخضوع التام أول الأمر لمن هم أقوى منهم ذهنا وأسمى عبقرية . فالاعجاب هو في نظر كارليل منشأ العظمة ومبعثها . ومن المحال أن يستقر الاعجاب في نفس انسان إلا متى أنكر شخصيته انكارا موقتا وتواضع أمام من هو أعظم منه وراض عقله وروحه على اعتبار سواه مثلا أعلى . وأما الكبرياء فملازمة للعظيم كي لا يفقد ثقته بنفسه ، ولكنها إن طغت عليه وأفقدته ملكة الاعجاب سرعان ما استحالت الى مرض وبيل . وأعراض هذا المرض هي الحسد والغيرة والأنانية . ومتى استحكمت الأنانية وتأصلت في شخصية عظيم أصيب هذا العظيم بالعمى عن رؤية العالم ورؤية الناس ، وتوجه بكليته الى عبادة شخصه ، وهكذا يحول بينه وبين حقائق الكون حجاب كثيف

بين الهلال وقرائه

الاسلام في بولونيا

(الخرطوم — السودان) احمد احمد يعري

قرأت في بعض الصحف أن الدين الاسلامي منتشر في بولونيا انتشاراً كبيراً فما هو عدد المسلمين هناك، وما هو مركزهم الأدبي والمادي، وما حالتهم الاجتماعية والاقتصادية ؟

(الهلال) صدر في مصر منذ عامين كتاب عن « الاسلام في بولونيا » وضعه طالب بولوني يدرس في الازهر هو الاستاذ علي اسماعيل ورووونش، وأديب مصري زار بولونيا هو الاستاذ محمد سعيد الطوى. وقد عرضا فيه تاريخ الاسلام في بولونيا وما لاقاه من اضطهاد الى أن استقر فيها وصار للاسلام مكانة بارزة في الدولة البولونية حديثاً. ونقتبس من هذا الكتاب إجابتنا على هذا السؤال :

يبلغ عدد المسلمين في بولونيا زهاء ١٢ ألف نسمة حسب تعداد سنة ١٩٣٣، وهم يعيشون في نحو ثلاثين قرية منتشرة في الجهة الشرقية الشمالية من أرض الدولة. وفي هذه القرى مساجد كثيرة يقيمون فيها شعائرهم الدينية

وأكثر المسلمين هناك يعملون في زراعة الأرض والفلاحة البسيطة وهم على جانب من الرخاء. وكثير منهم يشغل مراكز رفيعة في الحكومة والجيش. ومنهم مهندسون وأطباء ومحامون كثيرون. وقد انتهى عهد الاضطهاد الديني. وأخذ المسلمون يعيشون في صفاء مع اخوانهم المسيحيين. وليس أدل على ما بين الفريقين من وفاق وتعاون أن الكونت زاموسكي تبرع في منتصف القرن الماضي ببناء مسجد للمسلمين، وأن الكونت بوسلوفسكي منح خوريد الخشب لبناء مسجد آخر وكذلك عمل الجنرال روماتش ثم حين تبرع جوزيف الجيب لبناء كنيسة مسيحية سنة ١٩٣٠

وحالتهم الاجتماعية خليط من العادات الشرقية والنظم الغربية. ولا تعرف المرأة الحجاب وهي تتمتع بقدر كبير من الحرية. ولهم جمعيات كثيرة تعنى بشئونهم الدينية والاجتماعية والثقافية. وليس ما للمسلمين في بولونيا من مكانة، حسبك أن تعرف أن فيها ست مجلات خاصة بهم تصدر بالبولونية والتركية والروسية وغيرها من اللغات. وعلى الجملة فان مسلمي البولونيين على جانب كبير من العلم والرخاء بفضل ما تحوطهم به الحكومة والشعب من رعاية وتسامح

الاذاعة اللاسلكية في مصر

(كاكيباس — البرازيل) توفيق صباغ

ما هي أوقات الاذاعة اللاسلكية في القاهرة ؟ وما هو الفرق في الزمن بين مصر والبرازيل لنعرف في أي وقت جهاز الالتقاط المصري ؟ وما عدد الكيلوسيكل الذي تعمل به محطة هذه الاذاعة ؟ وهل توجد محطة للاذاعة اللاسلكية في فلسطين ؟

(الهلال) تختلف أوقات الاذاعة اللاسلكية في القاهرة حسب اختلاف الفصول وكذلك الأيام. في الصيف مثلاً مبكرة عنها في الشتاء. ومواعيد الشتاء هي من الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين صباحاً الى الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين، ومن الساعة العاشرة الى الساعة الحادية عشرة، ومن الساعة الثانية والدقيقة العاشرة الى الساعة الثالثة والدقيقة الخمسين، ثم من الساعة السابعة والنصف مساء الى الساعة الحادية عشرة. وهذا في أغلب أيام الاسبوع

وعدد الكيلوسيكل اللازمة لمحطة مصر هي ٦٢٠ كيلوسيكل وطول موجتها ٤٨٣٫٩ متراً، وهناك محطة اضافية طول موجتها ٢٢٢٫٦ متراً، وعدد الكيلوسيكل ١٣٤٨

والقاهرة تقع على خط طول ٣٠ شرقي جرينتش والبرازيل تعبرها خط طول ٤٠ غرب جرينتش.

ولذا فالفرق بين مصر والبرازيل ٧٠ درجة طول ، وحيث ان كل ١٥ درجة تحدث فرقاً في الزمن قدره ساعة ، فانما يكون الزمن في القاهرة متقدماً عن الزمن في البرازيل بمقدار ٧٠ ÷ ١٥ يساوي أربع ساعات وأربعين دقيقة ، ويمكنكم على هذا أن تعرفوا أوقات الاذاعة عندكم

ويوجد في فلسطين محطة للاذاعة اللاسلكية [illegible] ٦٦٨ كيلوسيكل وطول موجتها ٤٤٩,١ متراً

قرارات مجمع اللغة العربية

(جبيل — لبنان) الأب [illegible] الشكور [illegible]

أرى أن تنشر « الهلال » في كل عدد منها بعض الألفاظ التي يقرها مجمع اللغة العربية الملكي ، ليتيسر لمن يهمهم الأمر أن يراعوها ويعبروا بها في الحديث والكتابة

(الهلال) يصدر مجمع اللغة العربية مجلة خاصة بالمصطلحات التي يقرها أعضاؤه بعد البحث والتمحيص ويحسن بأبناء الضاد جميعاً أن يطالعوا هذه المجلة لأن الألفاظ التي يقرها المجمع تتعلق بشئون الحياة الحديثة وبكثير من الشؤون العامة . وهي تتضمن فصلاً عن عدد من المصطلحات التي يقترح بعض الكتاب إقرارها وعلى بحوث كثيرة في مسائل اللغة يضعها أعضاء المجمع وكبار اللغويين

ولا يتسع نطاق « الهلال » لنشر كل المصطلحات التي يقرها المجمع أو يقترحها أعضاؤه ، فنكتفي بما يذكره كتاب « الهلال » في مقالاتهم من هذه الألفاظ . ونرى أن يعنى قراء العربية بمطالعة مجلة المجمع التي صدر منها ثلاثة أعداد ، فتطلب رأساً من ادارة المجمع (وعنوانه ١١٠ شارع القصر العيني بالقاهرة)

مجلة عربية لفن التصوير

(جبيل — لبنان) و . س . ه

هل تصدر في مصر مجلة عربية خاصة بفن التصوير ؟

(الهلال) تعنى بعض المجلات العربية بفن التصوير ، فتنشر بعض الآثار التي ينتجها الفنانون المصريون والأجانب ، وتنشر عنهم بعض المقالات والدراسات النقدية . وتسعى « الهلال » قريباً لنشر بعض الآثار الفنية المختارة وشرحها والحديث عن مبدعيها ، ولكن لا تصدر بالعربية مجلة خاصة بفن الرسم ولا بفن التصوير الفوتوغرافي

برنارد شو والاسلام

(كردستان — سوريا) عبد الرحمن بن [illegible]

ما هو الدين الذي يعتنقه برنارد شو ؟ وما الذي حمله على أن يقول ان الاسلام دين المستقبل ، وأن الغرب سيدين به بعد نصف قرن ؟

(الهلال) الدين « الرسمي » الذي يعتنقه برنارد شو هو المسيحية . ولكن المسيحي الذي يرى في كتب برنارد شو ما يعده الحاداً في فلسفته ، وهو وكثير من أمثاله لا يؤمنون بما تذكره الأديان من معجزات وملائكة وصلب وعقاب وجنة ونار ، الخ . بل هو يعتقد أن « الله » ليس سوى « مسير » الانسان [illegible] ، ويرتقي حتى يصبح [illegible] . على أنه في عرف المفكرين رجل مؤمن [illegible] الأخلاق ، بعيد عن [illegible] كل [illegible] ، وهو يحفظ الانجيل جيداً ويتمثل بآياته في حديثه وفي كتاباته

ولا نعرف أن برنارد شو قال ان الاسلام دين المستقبل ، وأنه سيسود الغرب بعد نصف قرن . ولكنه في كتاب « الفتاة السوداء تبحث عن الله »
The Black Girl Search for her God.
ذكر على لسان عربي — أنه رمز للعرب أو الاسلام — أن المسلمين سوف يحكمون الأرض

ولم يقل برنارد شو بعد هذا أي كلمة عن هذا الرأي . ولم يورد من الأدلة ما يثبته ويؤيده . وفي كل حديثه عن الاسلام فيه كثير من التمجيد والاكبار حتى ان بعض ما يعده الآخرون نقائص فيه يراه هو فضائل يشيد بها . فهو يرى أن تعدد الزوجات نظام حسن ، لأنه يتيح لكل امرأة أن تشترك في رجل ممتاز ، ينجب منه أطفالا ممتازين ، بدلا من أن تقترن كل منهن برجل ضعيف الجسم والعقل والخلق . .

السل الفقري

(بيروت – لبنان) م . ا .

أصيب صديق لي منذ سنتين بمرض «السل الفقري» فقد وهنت الفقرة التاسعة من سلسلته الظهرية بعد أشعة اكس مصابة بالسل . وقد أشار عليه الأطباء بالراحة وتناول الدواء ولكن هذا لم يجد نفعاً . فرأيت أن أسألكم : ما سبب هذا المرض ؟ وهل له من علاج ؟ وهل من أمل في الشفاء منه ؟

(الهلال) هناك نوعان من السل : الرئوي والجراحي . والأول يصيب الرئة والثاني يصيب أي عضو آخر من الجسم ، مثل الغدد أو المفاصل أو السلاميات أو العمود الفقري ... الخ وإذا أصيبت به إحدى فقرات السلسلة الفقرية تآكلت شيئاً فشيئاً حتى تزول أو تتلف ، ثم تنخر السلسلة ولكن بعد حدوث تحدب ، وهو ما يعرف باسم الحدبة أو « القتب » . وهذا المرض يبدأ إما من إصابة بالسل الفقري وإما عن إصابة بمرض الكساح

ومرض السل بنوعيه له جرثومة ، ولا ينشأ ميكروبه من الجسم ، وإنما ينتقل إلى الجسم من شخص أو حيوان مريض ، كأن ينام في فراش شخص مصاب به ، أو يشرب من لبن بقرة مسلولة . وقد يتعرض كثير من الناس للإصابة بميكروب هذا المرض ، ولكن أكثر الأجسام تقاومه وتقضي عليه . أما في الجسم الضعيف فيستطيع هذا الميكروب أن يقوى ويتكاثر حتى يودي به ، إذا لم يبادر المريض إلى العلاج

وقد أثبتت التجارب العلمية ألا دواء للسل سوى الراحة التامة للجسم كله أو العضو المصاب به فقط ، ولهذا أنشئت مصحات خاصة يتمتع فيها المريض بالراحة التامة في غرف تدخلها أشعة الشمس ويتجدد فيها الهواء النقي ، ويتيسر فيها التغذية الكاملة ووسائل التسلية والشاغل ، وبذلك تقوى مقاومة الجسم كي يقاوم ميكروب المرض . وقد يساعد المريض بعض الأدوية بقصد تقوية جسمه ، لا بقصد قتل الميكروب

وفي مصر مصحتان : إحداهما في حلوان وهي للسل الرئوي ، والأخرى في الإسكندرية وهي للسل الجراحي . والمدة التي يقضيها فيها المريض تتراوح حسب درجة تمكن الإصابة ، وإن كان علاج السل الرئوي أيسر من علاج الجراحي

ايروس وبسيشيه

(الإسماعيلية – مصر) عبد العزيز محمد عبد الهادي

نشرت في هلال نوفمبر سنة ١٩٣٥ صورة ايروس وبسيشيه « المعروضة الآن بمتحف اللوفر » ، فأريد أن أعرف شيئاً عن القصة التي تعبر عنها

(الهلال) تمثل هذه الصورة أسطورة إغريقية خلاصتها أن « إيروس » – أحد آلهة الحب وابن فينوس إلاهة الجمال – كان يطير في فضاء العالم عندما ينتهي الشتاء ويبدأ الربيع ، فيورق ويزهر كل ما صادفه من الأشجار ، وكذلك كان يلقي سهامه هنا وهناك فتملأ كل قلب تصيبه بالحب والهوى . وعلمت « فينوس » أن فتاة اسمها « بسيشيه » هي ابنة أحد الملوك قد خلبت الرجال بجمالها الرائع ، فانصرفوا إليها عن إلهة الجمال ذاتها ، فغضبت غضباً أشد الغضب وأرسلت ابنها ليلقي في قلبها سهماً ، وسهماً آخر في قلب رجل قبيح دميم ، فيغلب على عقلها لإلهة الجمال وتفوقها عليها

ولكن لم تكد تقع عين إيروس على بسيشيه حتى بهرته روعة الجمال وأدهشته ، فأحبها ، وحملها إلى قصر أقامه فوق ربوة عالية ، وراح يزورها خفية في ظلام الليل ، وقد أوصاها ألا تشعل ناراً ولا نوراً كيلا تراه أبداً . وسمع أخوات « بسيشيه » بهذا فقلن لها إن هذا الحبيب عفريت شرير ، فلما جاء ذات ليلة وسكن إلى فراشها نائماً ، أشعلت مصباح الزيت ، فوقعت قطرة من زيته على وجه « إيروس » فاستيقظ من نومه جافلاً ، وطار حتى يبعد عنها إلى الأبد . .

والقصة كما ترى رمز جميل للحب الذي يخشى أمره ساعة أن يعرف ويكشف سره ، ويرى أفلاطون أن هذه القصة رمز للحب الروحي – الأفلاطوني كما يقال – في أسمى معانيه . وهناك صور كثيرة لهذه القصة التي تروى منها روايات غير هذه ، وإذا كنتم تعرفون الإنجليزية فاقرأوا هذا الكتاب :

The Story of Cupid and Psyche, by L.C. Purser

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr Tofik Habib 85 Washington St 85 New York, N.Y. (U.S.A.)
في البرازيل		Snr M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه طه سكاف
في انطاكية	سوريا	أنيس افندي انطونيوس لاذقاني
في اسكندرونه	سوريا	السيد عبد الله قرى
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندي حمصي ، غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعساني
في الناصرة	فلسطين	عوض افندي حبيبي
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندي طباره ٩ شارع اياس بيروت
في دمياط		زكريا افندي الطراوي ، ناظر مدرسة الطراوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب المكتبة العصرية
في مكة وجده والحجاز		هاشم افندي علي النحاس ص . ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 437 Buenos Aires Argentina
في جاوه		Mr Abdullah Bin Afifi—Cheribon Java
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي قوصي

المصالحة

بقلم الأستاذ أحمد أمين
أستاذ الأدب العربي بالجامعة المصرية

«كثيراً ما يؤدي التعصب لوجهة النظر الشخصية إلى شر النتائج، والخير كل الخير في عقد مصالحة بين الطرفين متخاصمين أو بين فريقين متحاربين بحيث يتنازل كل منهما عن شيء من مطالبه، وهكذا يتحقق الحل الوسط الذي يحسم النزاع ويقرب بين وجهات النظر..»

من الواضح أن اللغة الحية تتبع الحياة العقلية للأمة التي تتكلم بها، فإن استعملت الأمة آلة من الآلات أوجدوا لها اسماً للتعبير عنها وإذا اخترعوا مخترعاً أو استكشفوا عنصراً أو ركبوا تركيباً حدثت اللغة مباشرة فكملت نقصها بوضع اسم لذلك الشيء الجديد، فتمشت اللغة مع العلم والفن والصناعة — وكذلك الشأن في المعاني، فإن استكشفوا ظاهرة في علم النفس وضعوا لها اسماً وإذا شعروا بمعنى من المعاني سموه. ويكثر استعمال الألفاظ في اللغة ويقل بقدر وقوع الشيء في الحياة العملية وأهميته، على حين أن أمة أخرى لا تستعمل هذا اللفظ في لغتها ولا ما يرادفه ويقابله لأنها لم تشعر بهذا المعنى ولم تستعمله

سقنا هذه المقدمة لمناسبة أنا رأينا في اللغة الإنجليزية كلمة تدور على ألسنتهم كثيراً ويستعملونها في كتبهم كثيراً ثم لا نجد لها مقابلاً يستعمل كثيراً في لغتنا العربية، وهذه الكلمة وأمثالها في اللغة الإنجليزية يصقلها الاستعمال ويتحور مدلولها على مر الأزمان تبعاً لما يجري عليه العمل

تلك الكلمة هي Compromise وقد تنقلت في استعمالات مختلفة حتى صارت الآن تستعمل بمعنى حسم النزاع بين فردين أو أمتين أو حزبين، وذلك بتنازل كل منهما عن شيء من وجهة نظره ومن مطالبه واتفاقهما بعد ذلك على نتيجة هي وسط بينهما، أخذت بطرف من هذا وطرف من ذاك وقربت بين وجهة نظر هذا ووجهة نظر ذاك

وهذه الكلمة بهذا المعنى تدور في الكتب وعلى الألسنة دوراناً كثيراً لأن حياة الإنجليز الأخلاقية والسياسية تخضع لهذا المعنى كثيراً، فهو يحكمهم في فض النزاع بين الأفراد في المعاملات اليومية وفي الخلاف بين أفراد الأسرة وبين الأحزاب السياسية وفي المفاوضات بين الدول وهكذا،

الهلال

مارس ١٩٣٨

وعلى الجملة فقد استعملوا هذا المعنى كثيراً في حياتهم فكثر استعماله في لغتهم

ولكنا لا نستعمله كثيراً في حياتنا فلم نشعر بما يلجئنا إلى استعماله في لغتنا ، فإذا ما تنازع فردان أو حزبان صمم كل منهما على وجهة نظره إلى النهاية غالبا مهما كانت نتيجة ذلك من الخراب ، واعتقد الاعتقاد الجازم أن رأيه كله صواب لا محالة ورأي مخالفه كله خطأ لا محالة . والأصل هذا لا يسمح أن يدخل في صوابه شيء من خطأ مخالفه . أما هذا الخلق الذي تدل عليه هذه الكلمة الانجليزية فيتطلب أن يحترم ذو الرأي رأي مخالفه ثم يجيز في نظر نفسه أن يكون رأيه خطأ ورأي مخالفه صوابا ، أو على الأقل يجوز أن يكون في رأيه بعض الصواب وبعض الخطأ وفي رأي مخالفه بعض الصواب وبعض الخطأ فيحملهما ذلك على أن يتقاربا ويلتقيا على حل وسط

لا أجد أقرب في اللغة العربية للدلالة على هذا المعنى من كلمة « مصالحة » ، فمن معاني المصالحة القانونية في كتب الفقه أن يكون بين اثنين خصومة وكل منهما يدعي حقاً فيأخذ كل منهما بعض حقه ويتنازل للآخر عن بعض حقه ، فلو وسعنا هذا المعنى وجعلناه يطلق على المعنويات كما يطلق على الحقوق المالية كانت هذه الكلمة أنسب للدلالة على كلمة Compromise الانجليزية ، ثم إذا أكثرنا استعمال هذا المعنى في حياتنا اليومية اضطر الناس التعبير عنه بهذا اللفظ فصقل وأخذ حيزه من الاستعمال ومن المعاجم

وبعد ، فما الدائرة التي يستعمل فيها هذا اللفظ ، وأي نواحي الحياة يستخدم فيها هذا المعنى ؟

إني أرى أن الحياة العملية في جميع نواحيها مضطرة إلى استخدام المصالحة أو التصالح ، وهذا من أهم الفروق بين المنطق النظري والحياة العملية ، فالمنطق بطبيعته يحكم أحكاما صارمة فهذا أبيض وهذا أسود ولا شيء من الأبيض بأسود ، وهذه القضية صحيحة أو خطأ ولا شيء بينهما ، وهذا الرأي حق أو باطل لا محالة . أما الحياة العملية فليس فيها هذه الأحكام القاطعة الحاسمة ، ولكن فيها المصالحة سواء كان ذلك في النواحي الاخلاقية أو القانونية أو السياسية ، فكل إنسان إن دققت النظر فيه — مسرح صغير تلعب فيه الفضيلة والرذيلة وتتحاربان ثم تتصالحان على أن تتنازل الفضيلة عن بعض تشددها وتتنازل الرذيلة عن بعض استهتارها . وما الفضيلة في الحقيقة إلا رذائل معدلة أو منقحة

فالإنسان المتوحش كان يعيش غرائزه فلما تمدين عدلت هذه الغرائز المتوحشة وسميت فضائل . فالفضائل بالنسبة للرذائل كالزهرة في البستان والزهرة في الوادي أو كالقط المستأنس بالنسبة إلى القط المتوحش . فالشهوة عند المتوحش تحول إلى حب لطيف في المدنية ، والقتل والغارة والانتقام عند المتوحشين دخل فيها التعديل والنظام ، فصارت قانونا وسياسة وعدلا عند المتمدين . والأنانية عدلت فصارت الثقة بالنفس واحترام النفس ونحو ذلك مما يعد فضائل ، والحرب بين الأفراد والجماعات دخلها التعديل فسميت منافسة مشروعة كالمنافسة بين التجار والعلماء والأدباء ، والمنافسة

الهلال

الجزء الخامس — السنة ٤٦

اول مارس ١٩٣٨ — ٢٩ ذو الحجة ١٣٥٦

[illegible]

دار الهلال ، مصر — [illegible]

AL HILAL — Cairo, Egypt

1 March 1938

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and the [illegible] Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. [illegible] — Other countries P.T. [illegible] or £ [illegible] or $ [illegible]

هدايا الهلال

أهدى الهلال من دفعوا قيمة الاشتراك به كاملة هذا العام خمسة كتب قيمة شائقة تتناول نواحي شتى من الثقافة العالية وهي

(١) تاريخ الحب — للأديبة الفرنسية مارسيل تينير وترجمة الأستاذ إبراهيم المصري

(٢) الماس الحي — قصة طبيعية للأديب الفرنسي العظيم جي دي موباسان

(٣) تاريخ الفن المصري القديم — للأستاذ محرم كمال الأمين المساعد بالمتحف المصري

(٤) [illegible] الهلال — مجموعة [illegible] للهلال [illegible] قيمة ممتعة

(٥) روائع الشباب — للأستاذ احمد قاسم جودة

بين الأمم ليتبوأ كل مهاجر مركزه في النسبة . ومالنا نذهب بعيداً ونظرية أرسطو في الأوساط وهي أن كل فضيلة وسط بين رذيلتين ، ليست في الحقيقة إلا من هذا القبيل أي أن هناك رذيلتين تطرفتا وتضادتا فكان منهما الفضيلة ، فالجبن والتهور تصالحا فكانت الشجاعة ، والبخل والسرف تصالحا فكان الكرم ، والفجور والخمود تصالحا فكانت العفة

بل لعل هذا هو الشأن في العلم والأدب . فالخرافات وأوهام المتوحشين صارت خيالاً حسناً عند المتمدنين ينتج الشعر والقصص ، والتنجيم عند الأولين صار علم الفلك عند الآخرين ، والسحر والكهانة في الماضي أصبحا علم النفس في العصور الحديثة ، وتحويل المعادن إلى ذهب في القرون الوسطى أصبح الكيمياء في القرون الأخيرة ، ووصفات العجائز والدجالين بالتجارب أصبحت على مر الزمان علم الطب بعد أن دخلها كلها التعديل والمصالحة

وهذا هو الشأن في القضاء ، في القضية يتولى محامون جانباً من جوانب القضية يبذلون علمهم وفصاحتهم ومهارتهم الخطابية والقانونية في بيان أحقية جانبهم ، ويعمل مثل ذلك محامو الجانب الآخر — ثم يقف القاضي موقف الناظر إلى الجانبين ويعادل بين وجهتي النظرين ، فقد يرجح جانباً منهما ويقضي به ، ولكن في كثير من الأحيان يلجأ إلى المصالحة ، ولست أعني أن يصلح بين الخصمين ولكني أعني أن يرى لكل خصم جانباً من الحق وجانباً من الباطل فيصالح بين وجهتي النظر ويشتق منهما معاً حكماً يراه هو الصالح

فإن نحن جئنا إلى السياسة لمجال القول ذو سعة في التصالح — فالأحزاب السياسية البرلمانية تقوم في قضايا الأمة العامة مقام المحامين في القضايا الشخصية في المحاكم ، كل يؤيد رأي حزبه ويدعمه بالحجج ويبين الخطأ في وجهة نظر خصمه ، ثم يقوم الاقتراع على الرأي مقام القاضي في المحاكم ، وفي كثير من الأحيان تكون المصالحة أيضاً أعني أن يتنازل كل حزب عن بعض رأيه ويأخذ بعض رأي الآخر وهكذا ، نزولاً على قاعدة أن كل حزب يجب أن تسيره مصلحة الأمة لا مصلحة حزبه الخاص

فمعنى الحزب السياسي جماعة لهم مبادئ معينة يرون أن الحكومة يجب أن تسير عليها لتحقيق مصلحة الأمة ، ولهم وسائل معينة في تحقيق هذه المبادئ ، ولهم خطة معينة في ترقية الأمة من ناحية يرون أنها أهم النواحي ، وهم يعملون للوصول إلى الحكم لتحقيق هذه الأغراض النافعة للأمة

والحكم في صلاحية حزبهم أو حزب آخر في صلاحية مبادئهم أو عدم صلاحيتها هو رأي الأمة في الانتخاب

ولكن مبادئ كل حزب إذا نزلت من سماء نظريتها إلى حياتها الواقعية تبين أنها في حاجة إلى تعديل وإصلاح وأن مبادئ الأحزاب الأخرى قد يكون فيها من الخير ما ليس عند غيرها ، فتصالح المبادئ

عيد ميلاد جلالة الملك

صاحب الجلالة الملك والملكة وإلى يمينهما جلالة الملكة نازلي بين سمو الأميرتين فوزية وفائزة ، وإلى يسارها عظمة السلطانة ملك في الحفلة الساهرة التي أقيمت في قصر عابدين مساء ١١ فبراير الماضي احتفالا بعيد ميلاد جلالة الملك

وأساس هذا التسامح والباعث عليه هو « تحصيل الخير للأمة » فمتى أخذ هذا مقياساً تلاشت الى درجة كبرى المصالح الشخصية والاغراض الحزبية ، ودخل هذا الاساس يعدل حدتهم ويقرب بين وجهة نظرهم . وهذا المبدأ — أعني مبدأ المصلحة — يتطلب من الشخص ومن الحزب سعة النظر ، فصاحبه يعتقد أنه يرى المسألة من جانب وأن خصمه يرى المسألة من جانب آخر ، وأن كل جانب قد يكون فيه حق وباطل ، وأنه هو نفسه قد يكون مبطلا ويكون خصمه محقا ، وقد يكون من الخير أن ينظر الى المسألة من الجانبين معاً ويؤخذ منهما مقدار الحق فيهما

فهذا النظر يتطلب سعة كل من المتخاصمين ويحمل كل خصم على احترام خصمه كما يحترم نفسه ، وألا يعتقد أنه هو وحده العاقل الأمين وأن خصمه هو المغفل الخائن ، بل يعتقد أن له وجهة نظر جديرة بالاحترام ولخصمه وجهة نظر أخرى جديرة بالاحترام كذلك

وبعد فلعل ما يصيب الشرق الآن من اضطراب سياسي سببه أنهم لم يعرفوا هذا الخلق — خلق المسامحة — ولم يفهموا سره ، ولذلك لا يجدون أنفسهم في حاجة الى البحث عن كلمة تدل عليه

أعتقد أن الخصومات الفردية تتلطف كثيراً بهذا الخلق وأن الخلافات الحزبية تفقد حدتها إذا سارت عليه

فهذا الخلق يجعل الأحزاب السياسية المتنازعة تحترم وجهة نظر خصومها وتنظر اليهم كأشراف لا مجرمين ، وتعاملهم معاملة الند لا معاملة المتهم ، وترى أن الحزب اذا تولى الحكم فليس يحكم حزبه وحده بل يحكم الأمة على اختلاف أحزابها ، فهو مطالب أن يعدل في خصمه كما يعدل في مؤيده — وهذا الخلق يجعل صاحبه ينظر الى خصمه كما تنظر كل فرقة في لعب الكرة الى الفرقة الأخرى ، كلهم يتسابقون ويتراكضون وكل فريق يود الغلبة ولكن قانونهم جميعاً في اللعب هو قانون الشرف ، فاذا انتهى اللعب سامح كل خصم خصمه ولا غل ولا ضغينة ، وتبين لهم أن الخصومة كانت مصطنعة وأن الفرض قد تحقق للغالب والمغلوب معاً — وهو الرياضة البدنية الصحيحة

كم أتمنى أن ينتبه الناس لهذا الخلق خلق المسامحة Compromise وأن يكرروه وأن يستعملوه في لغتهم وفي معاملتهم وأن يضعوه في أول ثبت الأخلاق بجانب الصدق والشجاعة والعدل

أحمد أمين

الرازى فى امريكا

تعد جامعة برنستون فى امريكا مثابة للبحث فى تاريخ العرب وحضارة الاسلام ، وقد أنشئت بها « دائرة العلوم العربية والاسلامية » التى يدرس فيها جماعة من الباحثين الغربيين ومستشرقين برآسة الاستاذ فيليب حتى . وقد رأت الجامعة أن تخلد ذكرى طبيب العرب العظيم « الرازى » الذى ترك أثرا واضحا فى تاريخ الطب بعبقريته الفكرية ، وكتبه الخالدة فوضعت صورته منقوشة على لوح زجاجى بين مجموعة من صور مشاهير ممن خدموا التفكير الطبى فى جميع العصور . وقد أهدى الجامعة هذه الصورة الطبيب الامريكى « بولند جونز » الذى درس أعمال الرازى وتبين أثره العجيب فى تاريخ الطب ، ومن قبل الرازى بكتب مؤلفه العظيم « الحاوى » التى توجد منه نسخة خطية فى مكتبة الجامعة

سياحة الأوربيين في مصر في القرون الوسطى

بقلم الاستاذ محمد فريد أبو حديد

كانت مصر في القرون الوسطى مركز حضارة تستهوي الألباب والأفئدة . وكان يؤمها الأوربيون لمشاهدة معالم تلك الحضارة وزيارة بقاع دينية كانت لها قدسية خاصة في العالم المسيحي إلى ذلك . وفي هذا المقال وصف شائق لهذه البقاع نقلا عن أشهر من مشاهير الرحالة الأوربيين

ليس من العجيب أن تكون بلاد مصر في الوقت الحاضر مقصداً للسائحين من جميع الأقطار لما في جوها البديع وحده ، ولا سيما في فصل الشتاء ، كاف لأن يجذب أهل الشمال ، فتمتع بالشمس والهواء الجاف والسماء الصافية ، وشروق الشمس وغروبها ، بين السحب التي ترسم ألوان الطيف المختلفة ، بين الذهبية الوهاجة والصبحة الهادئة . ولكن السائح الحديث يجد في مصر فوق ذلك ما يشفي روحه ، ويعمر قلبه بالمشاعر العميقة الشيقة . فإنه يجد في جبال مصر ، إذ يستعرض مناظر القرون الماضية ماثلة أمام عينيه ، تعيد إليه ذكرى عوالم عفيفة مضت ، ولم يبق منها في العصر الحديث إلا تلك الآثار الخالدة التي لا نظير لها في قطر آخر من أقطار العالم . فهو يحيا حينا في حياته في مصر القديمة ويتمثل جيوش طوطمس ورمسيس عائدة بالنصر من بلاد الشام أو من معاقل كوش ، ويحيا حينا آخر في مصر الاسلامية ، ويتمثل أسواق القاهرة المزدحمة بسلع الشرق والغرب ، وقصور السلاطين العظام بما حوت من آيات الترف والبذخ والأبهة . وقد أصبحت مصر في العصر الحديث على قيد أيام قلائل من أقصى أطراف أوربا ، يستطيع المرء القادر أن يصبح في باريس ، ويصبح بعد يومين اثنين في حضن الجبل الأحمر ، على حدود الضاحية الشهيرة القريبة من عاصمة مصر القديمة « مدينة الشمس » . فلا مشقة ولا كلفة غير نفقة القادر على الانفاق

ولكن العالم لم يكن في وقت من الأوقات غريبا عن مصر ، فقد كانت مصر دائما مقصد السائحين في كل العصور ، وكانت دائما مظهر الخيال والروعة في قلوب الشعراء ، أو مثار الأمل والثروة في نفوس طلاب الثروة من التجار . فكان السائح يفد الى مصر في القرون الوسطى بعد سفر طويل في البر والبحر ، يقضي فيه أشهراً ويتعرض فيه الى المخاطر ، فإذا حل بها حمد السرى وامتلأ قلبه بمشاعر قوية ، لا تزال الى اليوم ماثلة في الكتب التي سطروها في لغات متعددة ولهجات متباينة

ولكن المشاهد التي كان السائح في القرون الوسطى يسعى اليها ويهتم بها كانت تختلف كثيراً عن المشاهد التي يسعى اليها السائح في العصر الحديث . لم تكن همة السائح في القرون

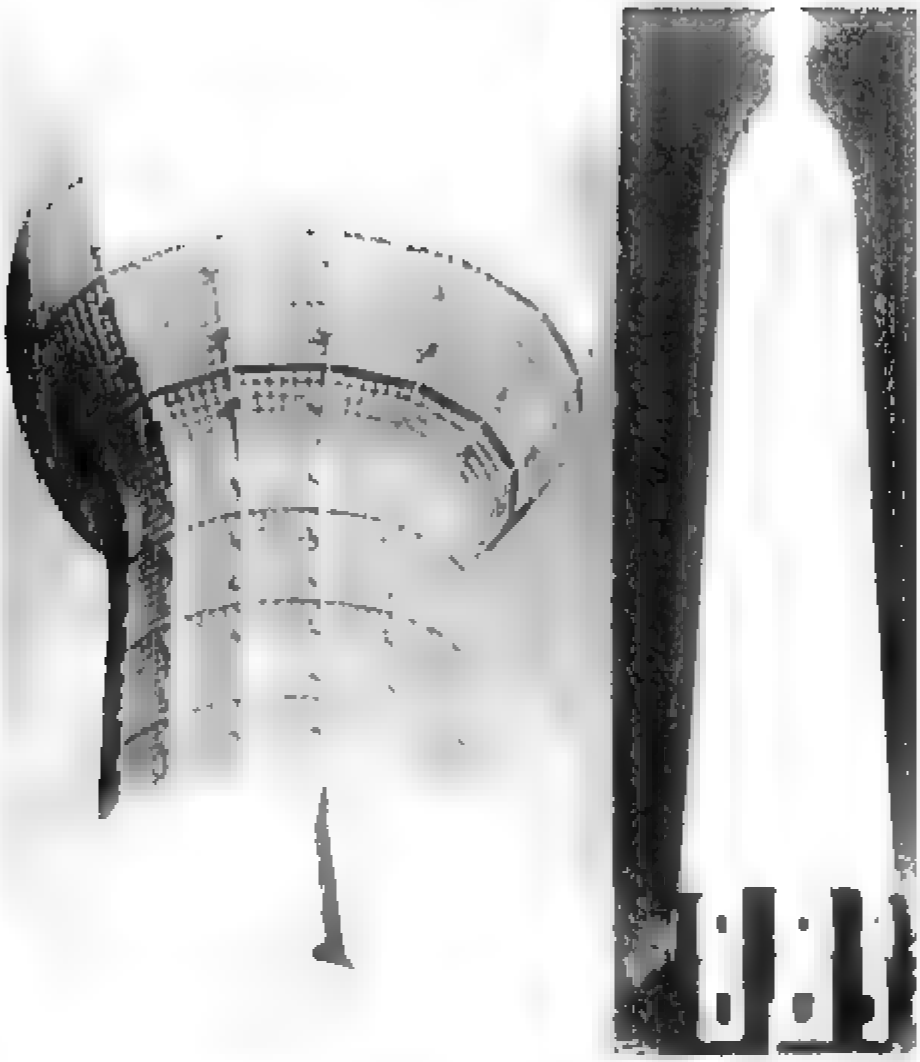

تخليد ذكرى اديسون

من الوسائل التي تحيي بها أمريكا ذكرى رجلها العظيم « اديسون » هذا البرج الذي أقيم مكان أول معهد نشأت فيه تجاربه العلمية التي نشأت عنها كثير من المخترعات الخطيرة . وقد رأيت أن تتوج هذا البرج الذي يبلغ طوله ١٣١ قدماً بمصباح كهربائي ضخم ستكون قوة الضوء الذي يشعه ٥٣٠٠ « وات » ، ويبلغ قطره ١٤ قدماً ووزنه ١٠٠٠ رطل من الزجاج و ٣٠٠ رطلاً من الألمنيوم ، تذكيرا للناس بأن اديسون هو الذي اخترع المصباح الكهربائي الذي يجري ضوءه متى افتقدوا ضوء الشمس

الوسطى تنصرف الى الأقصر وأسوان ، وما فيهما من معابد وهياكل ، إذ كانت تلك الآثار عند ذلك غامضة لايعرف عنها إلا أنها من بناء الأوائل . ولم تكن كتاباتها إلا طلاسم لا يطمع أحد فى إدراك معناها . وكانت كنوز المقابر وما فيها من آيات بارعة الفن محجبة لايعرف عنها أحد شيئاً ، اللهم إلا بعض الأعراب القريبين الى جوارها ، وكانوا بين حين وحين يعثرون على مقبرة منها ، فيسرقون منها تحفة ، فيبيعون منها قطعاً يعزون اليها أسراراً سحرية العلاج ، أو تحفظ تمائم ذات أثر سحرى . ولكن مع ذلك كانت مصر فى العصور الوسطى مقصداً لتيار غير منقطع من السائحين ، يقصدون اليها لأغراض متباينة ، فكان بعضهم يؤمها للتجارة ، إذ كانت عند ذلك مستودع سلع الأقطار الشرقية من الصين والهند وفارس وأفريقيا . وكان البعض الآخر يقصدها لزيارة ما فيها من عجائب وتحف . فقد كانت عندئذ مركز حضارة العالم المعروف ، تستهوى الألباب والأفئدة بما فيها من قصور منيعة ، حافلة بآثار الفن الدقيق ، وآثار اسلامية تملأ الأنظار بما تبرزه من جمال وروعة . فكانت مصر فى تلك العصور بين الدول فى العالم الذى تحل فيه اليوم دول أوروبا الكبرى ، يؤمها الناس لما فيها من معالم المدنية ، وأرقى معاهد الحضارة التى أنتجتها أرقى عقول البشر . وكان البعض يقصدها فوق كل هذه الأغراض لغرض ثالث وهو زيارة مشاهد دينية لها قداسة خاصة فى العالم المسيحى . وكانت عقول أهل أوروبا فى تلك العصور منصرفة انصرافاً قوياً الى الدين وما يتصل به من رسوم ، فكانت أمنية الكثيرين منهم أن يحجوا الى البقاع المقدسة فى فلسطين ، فاذا ما قصدوا الحج عرجوا على مصر لزيارة بعض البقاع المحترمة فيها ، ويعدون ذلك جزءاً متمماً لحجهم . وكانت أكثر تلك البقاع المحترمة أرضاً وهى دير الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا بالصحراء الشرقية ودير القديسة كاترينة فى شبه جزيرة سينا وشجرة العذراء بالمطرية . وقد تخلف عن كثير من هؤلاء السائحين وصف ما شاهدوه فى مذكراتهم وكتبهم . ومن خير هذه الكتب ما ألفه اثنان كانا من خير من يستطيع الكتابة من أهل أوروبا فى تلك العصور ، وهما (جاستون) الفرنسى و (دوميكو ترجيان) البندقى الايطالى (حوالى سنة ١٥٠٠ للميلاد)

وسنبدأ بجزء مما ذكره هذان المؤلفان عن بعض المشاهد الدينية التى عيناها ، نريد بذلك أن نظهر جانباً عجيباً من عقلية أوروبا فى القرون الوسطى :

قال (دوميكو ترجيان) البندقى يصف شجرة العذراء وما حولها : « وفى الناحية الأخرى من القاهرة فى الجهة الشرقية تقع قرية اسمها المطرية ، وفيها لايمكن أن يختمر العجين ، لأن السيدة العذراء عندما حلت بتلك الجهة ، وهى هاربة من بلاد يهودا من ظلم (هيرود) ، طلبت من أهلها خبزاً ، فأخبرها سائلوها أن خبزهم لم يختمر . وهنا شجرة جميز ضخمة ، وهى الشجرة التى اختبأت السيدة العذراء وأسقطت عليها من ثمرها إذ هى حاملة ابنها . والمسلمون يتبركون بها اذا أصابهم مرض ، ويعتقدون أن ذلك يشفيهم سريعاً . وأمام تلك الشجرة قنديل مضاء . وهذه الشجرة

قصة عايدة

لحضرة توفيق بك اسكاروس

أحدث رواية « عايدة » [illegible] من الحفلات [illegible] التي أقامها الخديو إسماعيل حين افتتح قناة السويس ، ودعا إليها ملوك أوربا وملكاتها [illegible] وقد مثلت في الحفلة الإيطالية « لا ليثرو » [illegible] هذه الرواية [illegible] أن أتحدث عن [illegible] « عايدة » .

[illegible] هذه القصة هو [illegible] الأثري « ماريت » [illegible] سنة ١٨٦٩ [illegible] في مسرح القاهرة في ميدان [illegible] الخديو [illegible] .

وفي كتاب [illegible] ماريت [illegible] "Mariette Lettres et souvenirs" [illegible] الفرنسية ، [illegible] .

وقد [illegible] مارييت [illegible] سنة ١٨٧ [illegible] في مسرح الأوبرا المصرية التي أنشئت [illegible] الخديو [illegible] أوجيني ، [illegible] لم [illegible] هذه الرواية [illegible] في نوفمبر سنة ١٨٦٩ [illegible] فردي .

[illegible] في الفصل الثالث [illegible] في دار الأوبرا [illegible] .

[illegible] عايدة [illegible] بالإيطالية [illegible] أوبرا [illegible] مسرح الأوبرا ، [illegible] بالقاهرة لأول مرة في ديسمبر سنة ١٨٧١ ، وعدد صفحاتها ٩٥ صفحة [illegible] نسخة بدار الكتب المصرية .

وقد [illegible] إلى العربية [illegible] أبو السعود أفندي سنة ١٢٨٨ ه [illegible] هذه الترجمة [illegible] الخديو إسماعيل [illegible] .

[illegible] أبو السعود أفندي [illegible] أبو السعود [illegible] المصرية [illegible] سنة ١٢٩٥ [illegible] في كتاب [illegible] سنة ١٣٠٣ [illegible] في الترجمة ، [illegible] الخديوية [illegible] سنة ١٢٨٩ [illegible] بالكتب [illegible] سنة ١٢٩٥ [illegible] الخديو ، [illegible] في المدارس المصرية

كسائر أشجار الجميز في مصر ، تحمل الثمر في كل الفصول ، وليس لها فروع صغيرة ، بل هي مكونة من جذع وأفرع كبرى (١)

« وإلى جوارها بئر عميقة ، غسلت فيها السيدة العذراء ثياب السيد المسيح ، ومنها يسقى نبات البلسم الذي في الحديقة . ولكن تلك البئر فاضت عند زيارة السيدة العذراء حتى أنها روت كل الأرض المحيطة بها

« والبلسم الذي ينبت هناك خير بلسم في بلاد العالم فهو خير مما ينبت في بلاد الهند أو بلاد العرب ، ويستطيع الإنسان أن يعرف البلسم الجيد من صفات عدة ، فهو كثيف ويعقد في اليد إذا وضعت منه قطرة في الراحة ودلكت بها ، وإذا وضعت قطرة في الماء هبطت كتلة واحدة إلى القاع ، ويمكن أن يستخرجها الإنسان بدبوس بغير أن تنحل . وإذا مس بها جسم دجاجة أو أي لحم آخر لم يصبه تعفن »

« وقد أصبح عدد أعواد البلسم قليلا فلم يبق وقت زيارتنا الحديقة إلا نحو اثني عشر عوداً . ويقول المسلمون إن قلة عدد الأعواد راجع إلى زيارة بعض اليهود الحديقة وهم أناس لا يسمحون بدخولهم إليها . »

وقال (حناتو) في وصف حجه إلى دير القديسة كاترينة بشبه جزيرة سيناء :

« وجبل سيناء جبل عال مرتفع بحيث لا يستطاع الوصول إليه ، وفيه حل جثمان القديسة بعد حملها على غير أن يعلم به أحد . ولكن الآباء الرهبان كانوا يسمعون هناك ليلا ونهاراً تسبيح الملائكة غير أن يروا أحداً . وفي أيام الأب (كليماك) رئيس دير سينا الذي بناه الإمبراطور (جستنيان) ، صعد ذلك الأب إلى القمة مع جماعة من الرهبان في ثلاث ليال متوالية ، وكان يسيرهم على هدى ضوء لامع ينير لهم الطريق في ظلمة الليل الحالك ، حتى بلغوا القمة فوجدوا الملائكة وشاهدوها ، وكان ينبعث منها سائل فيه شفاء من كل الأمراض

« ولأجل أن نصل إلى الدير على الجبل يدلى حبل من أعلى السور توضع القدم في عقدة معقودة في نهايته فيرفعك الإنسان بالحبل ويرفع إلى برج في أعلى البناء ، فإنه إذا وضعت قريب إلى الأرض حول الدرب الموصول منه تخرب الدير ، وقد بقيت في أسفل الدير أكثر من أربع ساعات حتى أدلى الديراني الحبل لي ، لأن رهبان ذلك الدير من الإغريق وهم يكرهون اللاتين »

وقال في وصف الكنيسة التي في الدير « وكنيسة الدير جميلة لها جناحان ، وإلى أقصى اليمين فيها يوجد مذبح كبير وصندوق من رخام أبيض فيه جثمان القديسة العظيمة والشهيدة العذراء السيدة (كاترين) ، وسقفها من خشب الأرز والرصاص »

(١) وقال فانسليب في كتابه (وصف رحلة إلى مصر) ص ٢٢١ إن هذه الشجرة قد سقطت في سنة ١٦٥٦ للميلاد وحفظ رهبان (الأرض المقدسة) فروعها في كنيستهم بالقاهرة

وقد ولد أبو السعود أفندي سنة ١٨٢١ ودرس في الأزهر ثم التحق ... في مدرسة الألسن وقد أجاد الإيطالية والفرنسية ... وعين رئيساً لقلم الترجمة، ثم أستاذاً للتاريخ بمدرسة دار العلوم ... وعمل في الصحافة فأصدر جريدة وادي النيل التي كانت تصدر في القاهرة مرتين في الأسبوع، وقد أنشأها سنة ١٨٦٦، وتوفي صاحبها بعد ذلك بست سنوات من صدورها

ونرى هنا صفحة من غلاف ... صورة ... (١) صورة لأحمد ... (٢) وصورة لأحمد كرعانة (٣) وصورة الخديو (٤) وصورة غلاف رواية عايدة في ترجمتها العربية. ولا ندري هل الصورتان الأوليان أخذتا من مصدر موثوق به أو لا

...

La ... Kaiser

mbile pensa lei verdi ... mence de ... de molte ... [illegible]

ca la parte di Amneris era sostenuta dalla signora Grossi e ha domandato ... Mongini ... apprendere ... Aida ... un eccellente tenore ... Verdi non fu ... sua opinione ... proposito una curiosa lettera ... e io non ... a mettere in scena l'Aida per ...

عايدة
لوردي
باسم سعادة خديو مصر
تعريب
... أبي السعود أفندي

Ismail Pascià, Khedive d'Egitto

Il tempo ... questa ... [illegible]

وقال يصف مبيته ومعاملته هناك : « وبعد الصلاة أحضر لي رئيس الدير شيئاً من النبيذ ، وكانت له رائحة ذكية تشبه رائحة المن ، وهو نبيذ لا يوجد مثله في أية ناحية أخرى من أنحاء العالم ، ثم أحضر لي فاكهة من الموز والتفاح والكمثرى ، وسألني عن رأيي في النبيذ ، فقلت له إنه يكفي لتحبيب الانسان في الحياة في ذلك الدير ، وحرص على أن يعطي شيئاً منه ، ولما لم أجد مني مالا بذلك المادي منه حيالة الرشدية كنت أتعطش بها في الصحراء ، وقد أنساني ذلك النبيذ كل ما مر بي من الآلام »

أما أثر القاهرة في نفوس زوارها من أهل أوربا في تلك العصور ، فقد كان شبيهاً بالأثر الذي تحدثه زيارة القاهرة اليوم في نفوس أهل الريف من سكان مصر ، عند أول زيارتهم لها ، فإن مناظرها الخلابة ، وقصورها الشاهقة البديعة الصنع ، وكثرة سكانها ، ورخاء الحياة فيها ، وكثرة الخيرات المتدفقة إليها من جميع الأقطار ، واختلاف أجناس من فيها من القاطنين ، كل ذلك كان يقع عندهم موقع الروعة والدهشة ، لأنه يخالف ما كانوا يشهدونه في بلادهم أو في الأقطار التي سبق لهم المرور بها .

قال « حانتر » في وصف أول نزوله بالقاهرة :

« ولما نصل بولاق ، أتى إلينا أمير من قبل السلطان ، ومعه المماليك يجرون بعض الخيول والحمير لتنقلنا إلى المنزل الذي خصصه السلطان لنزولنا ، وكان ذلك المنزل يحتوي على ستة أبهاء أو سبعة ، فائقة الجمال ، يغطي أرضها الرخام والمرمر والحجر المجزع وغير ذلك من الأحجار الثمينة ، وقد سقفت على نمط لا نظير له من دقة الفن ، وكانت الجدران تغطيها حصيرة من تلك الأنواع ، وقد طليت بالذهب والألوان الزاهية ، وكانت الأبواب مزينة بالعاج والأبنوس وغير ذلك من الطرف ، ولكن دقة الصناعة كانت دائماً تفوق مواد البناء وثمنها في الروعة . وكان في تلك الأبهاء عيون جارية ، في (فسقيات) تقذف المياه الباردة والحارة في أنابيب خفية ، ويمكن للانسان أن يقول ان مثل هذا المنزل قد تكلف من النفقات ما يزيد على ثمانين ألفاً من قطع الذهب . على أن هناك في القاهرة مائة ألف منزل أكثر من هذا بهاء ، لا يقارن بها هذا المنزل ، وقد رأيت منها كثيراً . وكان حول هذا المنزل حدائق فسيحة ، تملؤها الأشجار المثمرة كالليمون والبرتقال والمشمش والتفاح وغير ذلك . وهذه الحدائق ترويها مياه النيل التي ترفعها الثيران والخيول ، ولهذا فإن هذه الحدائق تكلف أصحابها نفقات طائلة ، لا تقل عن خمسمائة أو ألف قطعة من الذهب كل عام . ويوجد بالقرب من القاهرة ما يزيد على ألف وخمسمائة من تلك الحدائق (١) »

وقال المؤلف نفسه يصف القاهرة في موضع آخر :

« وفي الصباح الباكر أتى إلينا أمير وترجمان من قبل السلطان ، ومعهما حسون مملوكاً ، وسرنا معهم في طريق عظيم ، يبلغ طوله مثل طول (طريق طريس) من (سان حاك) إلى (سان دني) ،

---

(١) رحلة حانتر (صفحة) ٣٥ — ٣٦

المؤتمر الطبي في بغداد

عقدت الجمعية الطبية المصرية مؤتمرها العاشر في بغداد خلال الشهر الماضي ، وقد شهده زهاء ٤٠٠ عضواً من أطباء البلاد العربية وعلمائها ، متباحثين في المباحث التي تقوم بأمر الصحة والصحة في أنحاء الشرق العربي ، ومتين جوانب عرى التفكير بين أبناء الأمة العربية . ونرى في هذه الصورة أعضاء المؤتمر يتوسطهم رئيسه الدكتور علي باشا ابراهيم

وكان ذلك الطريق مليئا بالناس فى كل أنحائه ، ويشبه الازدحام فيه ازدحام الناس فى يوم (الباب دى باريس) فى الأيام التى تقرأ فيها المراسيم ، ثم وصلنا الى سراى السلطان،وهى لاتقل فى الاتساع عن مدينة (أورليان) . . ولما دخلنا ايوان السلطان فى شمية بالغة ، مأن لمس الارض بأطراف أصابعنا ثم قبلناها ، ثم قرب السير حتى طرف البساط ولم يتقدم بعد ذلك . . وقدم الترجمان خطابات الملك الى السلطان . فتناولها أولا الامراء واحداً بعد واحد ، حتى اذا تناولها السلطان فض ختمها ، واطلع الجميع عليها ، ثم سألنا عن أحوالنا . وقال انكم فى بلادى آمنون كما تكونون فى بلادكم وأملاككم

« . . . والقاهرة مدينة عظيمة عجيبة ، تبلغ فى السعة ثلاثة أضعاف باريس ، ويبلغ عدد أهلها سبعة أضعاف باريس ، وأظن أن مايوقد بها من الزيت فى تلك العاصمة يبلغ نحو مايشرب من النبيذ فى مدينة أورليان، وهذا الزيت يستخرج من بذر الترمس ، فبالقاهرة عشرون ألف مسجد ، يوقد فى كل منها باستمرار نحو ثلاثة قناديل، ولا يوجد فى المدينة غرفة مسكونة غير أن تكون مضاءة طول الليل ، على أن الطرق كلها توقد بها المصابيح طول الليل . فلا عجب أن يحرق فيها من الزيت ذلك المقدار العظيم . وهذه المدينة أغنى من كل مدينة ، نظراً لخصوبة أرض البلاد،وكثرة مايأتيها من السلع التى ترد اليها كل يوم ، ولكل نوع من السلع سوق خاصة، فهناك سوق الفضة وسوق الذهب وسوق العطارة وسوق الحرير وأخرى للمنسوجات وأخرى للعقاقير أو الصاحيف وسائر الاشياء . . .

« وقيل لنا إن بالقاهرة تجاراً أغنياء كثيرين ، منهم مائتان ممن تبلغ ثروتهم أكثر من مليون قطعة من الذهب ، وألفان ممن تبلغ ثروتهم مائة ألف ، وقصر السلطان وحدائقه شىء جدير بكل الاعجاب من حيث الجمال والعظمة والابهة »

وقال دومنيكو تريفيسان : « ورأينا فى قصر يستحيل أن نجد مثيلا فى هذه المدينة ، ومن باب أولى فى أية مدينة أخرى ، ويقدرون نفقات بنائه بمائة ألف دوقية . فان جدرانه كانت مغطاة بالنقوش والذهب من أعلاها ومن أسفلها ، وكانت الارضية مغطاة بالفسيفساء ، والابواب مطعمة بالعاج والابنوس . وبعد ذلك دعينا الى قصر السلطان ودخلنا فى ايوان فى غاية العظمة والابهة ، وهو فى جماله وعظمته لا يمكن أن يقارن به غير القاعات فى إمارة البندقية موطننا العظيم »

وانه ليطول بنا القول لو أردنا أن نأتى على ملخص ماجاء فى وصف القاهرة وحالها فى أعين هؤلاء الزائرين . وحسبنا هذا القدر لنطلع منه على جزء من عظمة مصر الغابرة

هذه لمحة مما كانت عليه مصر فى تلك العصور الوسطى، وما كانت عليه أوربا عند ذلك ، قبل أن يدور الفلك دورته ، وينقلب الدهر فى سنته . وها هى مصر اليوم آخذة فى النهوض مجداً ، لاسترجاع مكانتها ، ويوشك أن تكون بعد حين قلب العالم النابض ، ومركزه العامر المجيد

محمد فريد أبو حديد

الحرية تقود الشعب

إحدى الصور الرائعة التي أبدعها « اوجين دلاكروا » وصور بها من روح الثورة الفرنسية التي قامت في شوارع باريس سنة ١٨٣٠ وإلى جانبها صورة الفنان العبقري الذي كانت قصة الحرية أروع من روعة الفن كما ترى في مقال « معرض التحف في مصر » صفحة ٥١٩

الاختبار

يعوق التفكير ويعترض طريق النجاح

بقلم الدكتور أمير بقطر

« .. الاختبار – كالنار والماء – اذا أخضعناه صار خادماً لنا وبركة ، واذا أخضعنا سيداً كان نقمة علينا ولعنة ، وبسط علينا سلطانه مستبداً شديد البطش .. »

الاختبار من الناحية العلمية يحتمل معنيين ، أحدهما خاص والثاني عام . فالاختبار بمعناه الخاص التجريب والفحص ، وهو ما يعتمد عليه العلماء في تقرير الحقائق ، وتحري الوقائع ، واخراجها من دائرة الأقوال والنظريات الى حيز العمل والتطبيق . أما الاختبار بمعناه العام فهو المعرفة السابقة ، أو كل ما يأتي الينا اكتسابا عن طريق البيئة ، وكل معرفة تصل الينا من الغير بوساطة الكتب والصحف والحواس ، وتشمل العناصر العقلية والوجدانية والحركية (أو ما يسمونه بالارادة) . وقد يكون المعنى الأول عنصراً من العناصر التي يتكون منها المعنى الثاني ، بيد أن الاختبار بمعناه العام يكون في الغالب صوراً ذهنية مشوهة ، لا ضابط لها ، متنافرة غير منسجمة ، مشكوكاً في صحتها ، مضطربة . والسبب في ذلك أن الحواس وحدها لا يعتمد عليها في تقرير الحقائق لعيب خلقي فيها ، ولأنها ليست من الدقة بحيث تكون الحكم على الاشياء ، كالعين المجردة مثلا فانها لا ترى الاشياء على حقيقتها في كل الاحيان ، وقد لا تراها أبداً . يضاف الى ذلك أن العاطفة وما يتبعها من النزعات والميول تزيد الصور التي يتألف منها الاختبار تشويها واختلالا واضطرابا ، وتكسبها ألوانا مزيفة ، لا وجود لها في عالم الحقيقة . وهذا هو بلا ريب الاختبار الذي تريدني « الهلال » ان أتخذه موضوعا لهذا البحث

بركة أم نقمة ؟ الاختبار كالنار والماء ، فاذا أخضعناه عبداً كان نعمة لنا وبركة ، واذا اتخذناه سيداً ، كان نقمة علينا ولعنة ، وبسط علينا سلطانه مستبدا ، شديد البطش . ولما كانت الناحية الايجابية لا تفتقر الى تبسيط أو إسهاب رأيت ان أركز البحث في الناحية السلبية

الاختبار من أشد أعداء الانسان فهو عدو التفكير ، والتقدم ، والاصلاح ، والتجديد . هو خصم لدود شديد العناد ، قوي الشكيمة ، دائم اليقظة ، يقف بالمرصاد للمغامرة ، والاقدام ،

والمفارقة ، ويحارب التجديد ، والتجمع ، والتقدم ، وحتى وراء يقبل اللطم على الخد الأيمن إذا يصفعه على الأيسر . الاحتكار صديق حميم للقديم من العادات ، والتقاليد ، والمعتقدات السائدة ، شديد الغيرة والمحافظة على الخرافات الشائعة والأباطيل السائدة . ظله يستظل الجهل والتردد ، وفى أرضه يشب التحجر والتعصب ، ويترعرع الغرور والتملق والاعتداد بالذات

الاحتكار يطغى على العيون فيعميها ، وعلى الآذان فيصمها . فهو يرى الليل نهارا ، والحلو مرا ، ويسمع اللحن العذب قبيحا ، والكلام للمسم منفرا ، ويجعل الألم لذة ، والسكر صحوا ، والنعيم وصبا ، والعكس بالعكس . وخطر الاحتكار العام انه يحيل الى صاحبه أن حالة واحدة أو حادثة واحدة تكفى أن تكون مقياسا دقيقا لما يأتى بعدها من الحالات ، وما يجرى بعدها من الحوادث . ولست أنسى ما قاله لى صديق فى زمن الطفولة ، كان قد قضى أياما فى نزل على شاطئ رمل الاسكندرية ، وكانت جارته فتاة روسية الأصل . ذكر لى يوماً احتكاراته الصبية أن السيدات الروسيات أقبح نساء العالم أجمع ، وكان شديد الثقة برأيه ، صادق الاخلاص فيما يزعم . ولست أبالى اذا قلت انه لا يزال مصرا على ما يقول ، رغم أن هذا الحادث مضى عليه عشرون عاما ، ورغم أن روسيا تضم ٨٥ مليون أنثى ، لم تر عيناه منهن سوى واحدة ، وواحدة فقط . لهذا السبب عينه يبنى ، قصورا أو أكواخا فى اسبانيا الخيال ، وقد تبنى هذه القصور قصورا ، والأكواخ أكواخا ، ماضى فى الحياة رمق . ولهذا السبب عينه نكره رجلا أو شعبا أو مذهبا ، أو دينا ، أو شرائعها ، أو اقليما من الاقاليم ، أو نوعا من الطعام ، أو فردا من الأفراد ، أو العكس ، وان كانت معهدنا بها كله لا يتجاوز المرة أو المرات ، لأن عامة الناس يتخذون الحالة الواحدة مقياسا لجميع الحالات وهكذا يدفع الاحتكار صاحبه الى الجرى فى حياته على قاعدة واحدة من قواعد النعم ، لأنه لا يرى لذة فى غيرها . أعرف رجلا فاضلا لا يقرأ إلا التوراة والانجيل ، وأعرف رجلا فاضلا تقيا لا يقرأ إلا القرآن

فى مثل هذه الأحوال يصعب على المرء ألا يسلم ان الاحتكار نكبة على صاحبه ، ويصعب على المرء ألا يعترف أن قوة الاحتكار صعبة على مديها . انظر الى الطفل البرىء الساذج ، وانظر ذهنه الخالى كالصفحة البيضاء . ألا تراه يتنقل فى الآراء والأشياء ، كما يتنقل الطائر الطليق فى غمار السحب ؟ ألا ترى غريزة الاستطلاع فى سن الطفولة فيها من القوة ما تأنس به الفكرة بالفكرة ، ويقترب الرأى من الرأى ؟

الاحتكار يطلق على من يقع فى قبضته باب الاجتهاد ، لأن لصاحبه آراء ثابتة وعقائد راسخة ، صحت أو كذبت ، يبقى عليها أكثر مما يبقى على صداقة الأصدقاء . فاذا حاولت أن تريه الوجه المستتر للصورة المرسومة فى ذهنه ، أخذ يجهر تجاهل العير فى رفاقه ، وهنا من الوجه الظاهر ، وهو يأبى بكيفية قاطعة أن ينظر الى الوجه المستتر . منذ شهور ثلاثة صحبت التقيت برجل على عهد

ليس بقليل من الشهادات الطبية ، ولكنه للأسف لا يفكر تفكيراً علمياً ، لأنه يخلط بين العلم والاختبار . ذكرت له فيما ذكرت أن المدنية الحديثة تقصر الأعمار ، ولما أن أثبت له أن كتب الاجتماع والأرقام الاحصائية تبين جلياً أن متوسط الأعمار يتناقص تناقصاً مطرداً مع حظ البلد من أسباب المدنية (١) ، وأني على استعداد لإعارته هذه الكتب وما فيها من أرقام . أقسم لي بكل صراحة من الإيمان أنه لن يصدق كتب الاجتماع والأرقام الاحصائية ، لأنه رأى بعيني رأسه عدداً من المتمدنين يموتون في عنفوان الصبا ، وعدداً من الفلاحين الذين يعيشون على الفطرة يعمرون الى ما بعد المائة . . . وكلما ذكرت أن الكثيرين ممن يتقنون تعليم الفتى في بلادنا مهنة لهم من ضحايا الاختبار ، قلت عن الآمال والأماني وأسباب المستقبل الملائم . ان مثل هذا الرجل المسكين جدير بكل عطف ، لأن العلم يحاول أن يجد له في صدره عند الباب الصماء منفذاً يحصن منه ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، ولا غرابة اذا ماتت أنسجته الذهنية كما تموت خلايا الجسم في الشيخوخة ، الخلية تلو الخلية .

والاختبار يسجل في قلوب الأمم والأفراد على مدى الأجيال والسنين ألواناً من الحب والصداقات والعلائق ، تصبغ الحياة بعبيرها دلالاً وبؤساً وحباً . غير أنه يحدث أحياناً أن يبلغ السيل الزبى ، فيؤثر الفرد (أو الأمة) أن تهدم الماضي وأمر ما يتصل به من آثار ، وتبني من جديد على صفحة جديدة من الأرض ماسحة الماضي (٢) وروسيا السوفياتية أفضل مثال أستطيع أن أضربه لذلك . وتكاد روسيا تكون الأمة الوحيدة التي يصح لها ذلك النظام الاجتماعي ، لأن القياصرة عملوا من الاستبداد وسوء النظام ما استحال معه كل تقدم في روسيا حقبة عمية وزمنة ماثلة ، فقام السكان الجائرون البلشفيون على أمرهم يهدمون أمر ما شاده السلف ، من حكومة وأسرة وعادة ، وحملوا معاول التخريب يعملون بها في أقرب احصاراتهم الشامخة الى تقويم من دين ، وبيت ، وملكية فردية ، وحرية ذاتية ، وتقليد كله ، وبنوا على أنقاضها نظاماً اجتماعياً غيرها ، ووضعوا حركات جديدة مرنة ديناميكية dynamic بدلا من الحركة المرونة الجامدة static واشتركوا شرائع أخلاقية ، وآداباً سلوكية ، وأدوات حكومية ، وتقاليد متطرفة ، قد يحسبها وجه العلم والتقدم ، جملا ، وبين الجيل الجديد من مواليد سنة ١٩١٤ فأمرق أن هناك في الوجود ديناً غير اللادينية وآداباً وسننا فردية أخلاقية غير آداب الجماعة والدولة ، وعفة غير ما قيل للنص أنها إباحية لا شك فيها (٣) . وبهذا التحول المدهش أطلقت من عقالها مجموعة قوية من المواهب والذكاء ، المكامنة في

(١) زاد متوسط الأعمار في المدن الغربية عشر سنوات للفرد عما كان عليه منذ نصف قرن مضى

(٢) اقرأ ما كتبه عالم من علماء الاجتماع في الكتاب التالي The Lasting Elements of Individualism لمؤلفه William Ernest Hocking (Yale University Press, 1937)

(٣) ان تركنا التعبير جانباً وقرأنا المؤلفات التي يصدرها عنها وحدثنا من السياح الذين يعرفون عقائدهم المالية من الفرص اتضح لنا أن السوفيت كانت تعمم من بينهم ما تسميه المشكلة الحسية وأن الإباحية لا أثر لها في تلك البلاد

الافراد ، وقضت على راسبوتين الداهية وأمثاله ، واستأصلت الاعتقاد بالقضاء والقدر ، والداء الذي كان وصمة عار في جبين البلاد واسمه بالروسية «...» وترجمته بالعربية الدارجة «صديقت المحبوبة» «مطهش» .

وماذا نصنع بمدينة من الخشب تنمو في كل لوح من ألواحها جراثيم الوباء والطاعون ، حتى أصبحت فيها التحاليل الكيميائية للطهارة عديمة الجدوى ؟ النار أنجع دواء و «شراء الصحة خير من تزيينه» ، وما يجري على المصنوع يجري على الأفراد ، في هدم الكثير من اختبارات قديمة ، وبناء اختبارات غيرها جديدة خالية من جراثيم الفناء . والرجل المثقف تثقيفا بالمعنى الصحيح هو الذي لا يذعن للاختبار ، وإنما يكون على استعداد تام لأن يهدم في دقيقة واحدة ما بناه السلف في أعوام ، إذا جاءت التجاريب الصحيحة مبررة لذلك . وهذا ما فعل العالم الإيطالي جاليليو عندما هدم في لحظة اعتقادا ظل أثرا من السنين ، وصاح كالمجنون : «الأرض تدور حول نفسها» ، وظل غيره من العلماء والرعاع «عقلاء» ، لا شك فيهم

ومن سوء الحظ أن الشيخوخة عرضة لتصلب الأعصاب التي تحمل الاختبارات السابقة كما هي عرضة لتصلب الشرايين ، وكلما كبر الإنسان جنح الجمود في تفكيره على الليونة والمرونة ، وجرأت «حكمة» الشيوخ فيه ، و «جلال» الاختبار ، و «طيش» الشباب ، و «سحر» العلم الحديث ، وأصبح وإياه «ساعة» لقبول الاختبارات الحديثة . وقد صدق الوزير الانجليزي دزرائيلي في قوله المأثور : «إن الآراء السائدة التي تسيطر على الشيوخ ، إنما هي آراء جيل زائل ...» ومن سوء الحظ أيضا أن لشره السن طبيعة تحن إلى الماضي حنين الليل إلى مطلع الفجر ، وإذا ما أراد أن يدرس مبدأ جديدا نثر بين أسوار الماضي وأحلام الحاضر ، وإذا ما لفظ مبدأ قديما من قبلته الصوابية الماضية ، كان مثله مثل الفتاة الحيية البكر وهي ترسل من محاجرها أول دمعة من دموع الحب . وإذا ما عقد النية على الاحتفاظ بآرائه القديمة رغم تسليمه بصدقها ، آثر أن يريق في سبيل ذلك شيئا من دماء القلب ، كما تؤثر العذراء جرح العنق على التفريط في أمر صاحبها

إن المهندسين ورجال القانون والقضاء والأطباء وغيرهم من ذوي المهن الراقية (وغير الراقية) سابقون ، متخلفون ، إذا كانت وجوه أمور علمهم الاختبار وحده ، وإذا كانوا لا يرجعون إلى الكتب والمراجع ، ويشتركون في المجلات الحديثة ، ويمشون مع الزمن ، ويطلعون على ما استجد في مهنهم ؛ لأنهم بغير ذلك يستغلون الصحف والحبالات والصور ، ويعتمدون على الذاكرة ، ويحاولون أن يلبسوا الناس اليوم أزياء ملبسهم التي مضى عليها عشرات السنين

الاختبار أداة بطيئة للتعلم ، لأن ما يتعلمه الرجل في ساعة أو ساعات من الكتب العلمية الصحيحة ، لا يستطيع إدراكه من الاختبار في عشرات الأعوام ، ومهما قيل من أن الكتب وحدها لا تعلم الإنسان ، فإنه لا سبيل إلى التعلم بغيرها . ويخطئ الناس إذا قالوا كفاية الطبيب

أو المدير أو الهادي سببه وطول حرصه لأن رقاص الساعة لا تعنى قيمته بقدمه بل بضبطه La perfection d'une pendule n'est pas d'être vieille mais d'être réglée والإلهام كما يقول الفرنسيون لا ينزل على صاحبه بطول السنين بل بالاستمرار في العمل L'inspiration... c'est de travailler tous les jours.

وبعد كتابة ما تقدم وقع نظري على كلمة عالم عاصر كان له الأيادي البيضاء في تقدم صناعة السيارات ومخترعاتها ننقلها بحروفها (١) : « مما يؤسف له أن مواد الدراسة التي نلقنها توهم الطالب أنها القول الفصل والأخير في الموضوعات التي تطرقها . والقلة من الناس يصرحون على العموم مطالبين بالاستمرار ، لأن تفكيرهم تقليدي ، وكل جديد في نظرهم زندقة ، وقد نسوا أن التغيير سنة الحياة . إن المكتبات لا تكاد تسع المؤلفات التي تبحث فيما نعرف ، وكم أود لو كان هناك مكتبات تبحث فيما لا نعرف . لو أتيح ذلك لكانت مؤلفاتها أكثر عددا وأشد ضخامة من سابقتها . إن العالم لفي حاجة إلى جهل مع ذكاء (فهو خير من علم مقترن بغباوة) ، لأن معظم المتعلمين يظنون أنهم ملمون بكل شاردة وواردة في الموضوع ، فيقفون عند هذا الحد ، وهذا ما حدا بالفيلسوف فرنسيس بيكون أن يقول : « إذا أردنا أن نفكر تفكيراً صحيحاً فعلينا أولا مما علق بأذهاننا من المعاني المجردة » (٢) ومن أقوال صديق أن السبيل الوحيد لإنقاذ العقل من جهالته هو أن ننسى ما تعلمناه unlearn ونبدأ صفحة جديدة

ولسنا نريد أن نغفل باب البحث في هذا الموضوع قبل أن نعطي « الاختبار » حقه ، ونشيد بذكره وقيمته في الحياة . ونحن لم نتعمد الكلام عن الناحية السلبية بإسهاب إلا لعلمنا أن الناحية الإيجابية أمر مسلم به سلفا ، ولكن قلما يفكر الناس في المشكلات والمصاعب التي يجرها الاختبار في طريقه وعلى العالم بوجه عام

تبدأ عملية الاختبار منذ ولادة الطفل ، وتستمر طالما كان المرء على قيد الحياة ، والفرق بين الطفل والرجل في مشاهداته الحسية ، أن الأول يعتمد على الحواس وحدها (تجريب) في فهم الأشياء ، في حين أن الثاني يكون جل اعتماده على الاختبار . فإذا نظر القروي إلى ساعة معلقة على الحائط ، لا تكاد تقع عيناه عليها بضع ثوان حتى يحكم أولا أنها ساعة ، وثانيا أنها من الفضة ، وثالثا أنها من مصنع كذا ، ورابعا أنها الساعة الرابعة الخ . . .

أما الطفل الذي لم يسبق له عهد بها ، فإنه لا يفهم عنها إلا ما تنقله عليه الحواس . العين للنظر إلى شكلها ولونها ، والأذن لسماع دقاتها ، واليد للمسها ، والفم لتذوقها ، وكل ما يدركه عنها أنها تشبه شيئا آخر سبق له اختباره ، وقد يكون هذا الشيء ريالا أو بيضة أو صدفة . وهذا لا يكتفي بالنظر إليها بل يفك أجزاءها إذا تمكن من ذلك ، وفي الغالب يكسرها تكسيراً ، ويحاول أكلها

---

(١) عن American Magazine في مقال Charles F. Kettering

(٢) ونعبر عنها بتعبير قوي في عرفه "To think correctly, we have to get rid of your "isms"

أحيانا ، اشباعا لغريزة حب الاستطلاع . ومن هنا يتضح أن الطفل أحوج الى الحواس من الرجل . والرجل الريفي الساذج يكون مثله مثل الطفل ، اذا وقع نظره على مجهر ، فلكي نفهم فانه سرعان ما يراه حتى تتمثل أمام عينيه الجراثيم والأمراض والعلل المرضية ، باستير ، الخ الخ

بغير الاختبار اذاً تبقى الاشياء والحقائق نظرية بحتة ، عديمة المعنى . فدروس الطب مثلا بغير احضار آلات غير مشحونة ، وأقوال جوفاء ، وصور خيالية ، وما الاذهان والحذق والمهارة عند الصانع والجراح والفنان سوى اصابع الاعصاب لصاحبها اصبحا بفضل الجهاز العصبي (النخاع والحبل الشوكي) طوع بنانه ، وهذا ما نسميه اختبارا . ولو وقفت عجلة الاختبار ساعة واحدة من العالم الذي نعيش فيه ، لانقرض الجنس البشري (والحيوان) ونسى الناس كيف يأكلون ويشربون وينامون ويمشون ويستدفئون ويتقون عوامل الجو والمرض ، ومتى وأين .. وما العلوم والمخترعات والاستكشافات الا نتائج لاختبارات سابقة ترجع الى فجر التاريخ الانساني . وما العلوم القائمة في الطب والقانون والتربية والهندسة وغيرها الا اعتراف صادق بفضل الاختبار

ونتيجة البحث ان الاختبار اذا أهملناه كان لنا سيفا ، تعسف وتجبر ، وكان علينا نكبة وورطة واذا اعتمدناه عضدا ، كان لنا عونا ونصيرا

امير بقطر

التعصب والتسامح

كلمات مختارة لارنست رينان

منشأ التعصب هو العاطفة التي لم يهذبها العقل والتي تتخذ صورة حاجة لا وازع لها من ارادة أو تفكير

والتعصب يشتد حدة في الأمم المتأخرة وفي الشعوب البدائية الساذجة . وقد تنحدر اليها هذه الرذيلة من الطبقات المتمولة التي كثيرا ما تلهب التعصب في نفسية الجماهير خدمة لمصالحها وقضاء لأغراضها

والواقع أن التعصب لا يخدم الشعوب نفسها بل يخدم أصحاب المصلحة فيها ، أولئك الذين يربون الجماهير على التعصب لفكرة مرذولة أو لعقيدة فاسدة بحجة أن هذه الفكرة أو تلك العقيدة هي دعامة استقلالهم أو رمز قوميتهم أو عنوان مجدهم وفخارهم

وهكذا تقع الشعوب الجامدة في الفتن وتزداد تأخراً وانحطاطاً

• • •

كلما تسامحنا في قبول آراء الغير وحررنا نفوسنا من لوثة التعصب وحكّمنا عقولنا وعلماءنا في مواجدنا ، استطعنا تجنب الاضطرابات وتفادي الثورات وسفك الدماء

ولا شك ان التعصب أهرق من الدماء أكثر مما أهرقته الحروب . بل هو الذي دفع الى معظم الحروب وما يزال يثير بين الامم كوامن الضغائن والاحقاد

فالرجل المتحضر هو الذي يتسامح والرجل الهمجي المتوحش هو الذي يتعصب

ولن يستقر السلام في العالم الا متى أخذت الدول مبدأ التسامح على قاعدة الحل الوسط أي التوفيق بين مصالحها ومصالح الآخرين بتحمل بعض التضحيات التي لا غنى عنها لتحقيق السلم والرخاء البشري

• • •

ان التسامح دليل بالغ على سعة العقل ورحابة الصدر والتعصب دليل على ضيق الذهن وضآلة النفس

ومن خصائص التعصب متى استولى على شعب من الشعوب انه يجعل هذا الشعب أشبه بقطيع من الأغنام تساق وفق مبدأ واحد ونزعة واحدة

ومما لا يقبل الريب أن الأمة المساقة الى هدف واحد بفعل التعصب لابد أن تفقد قوة الحكم على الأشياء والاشخاص وعندئذ يسيطر عليها أصحاب السلطة سيطرة مطلقة ويجردونها شيئاً فشيئاً من كل حق في مباشرة شؤونها والاشراف على أنظمة الحكم فيها

• • •

لم تقم لأوروبا قائمة إلا بعد اليوم الذي صاح فيه فولتير بوجوب سحق روح التعصب والأخذ بمبدأ التسامح

والحق أن التسامح لا يمكن أن يسود إلا متى سادت حرية الفكر . وحرية الفكر معناها حرية الفحص والدرس وتقليب الاشياء على مختلف وجوهها

فان لم تتحقق الحرية الفكرية وتغرس أصولها في نفسية الجماهير ، عجزت الجماهير عن التحرر من عواطفها التي تدفع بها على الرغم منها الى التعصب الممقوت

ولما كان فولتير يدعو الى حرية الفكر وهو يبشر بالتسامح ، وسر عظمته كامن في هذه الدعوة المزدوجة الرائعة

القضاء والقدر
في رأي العلم الحديث

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

« ... إن حياة الإنسان محدودة من ناحيتيها وفي حدودها تعمل من وراء وعيه وفوق إرادته قوى خارجية من الأجرام الكونية والأفلاك البعيدة ، وفي الداخل عالم النفس الباطنة يصدر عن أغوارها صوت الغريزة القوي وهمسة النوازع الوراثية تتجاوب بها جميعاً نوازع الإنسان وتمس بها كل خوالجه وجوارحه ... »

مما تتناقله الألسن وتتردد في الأذهان أن الشرق بلاد القضاء والقدر . ولا نحب أن نسمع هذا كأنما يحمل حضاً استنقاذاً لهمتنا عن الشرقيين من وصمة الوهن وظلام الفكر ، بل نؤثر أن نسوق هذا سببه شاهداً على ما اطلع عليه الشرق قديماً من عمق التأمل وسداد النظر

فإنه إذا كان من الطبيعي ألا يقتل كل من خاض معركة طاحنة ، وألا يغرق كل من عطبت به سفينة ، إلا أنه ليستوقف النظر أن يصطدم الرجل بجرف قومي أو تتحطم به السفن في المحيط ثماني مرات أو عشر مرات ويخرج في كل مرة سليماً معافى

وليس فينا من لا يعرف أو يسمع على الأقل بامرأة من معارفه أو معارف معارفه كل تزوجت ماتت للنية أزواجها الواحد بعد الآخر . وكذلك ليس فينا من لا يذكر تاجراً من حوله ظل دائم النكبة في ماله من جراء طوارق خارجة عن إرادته لا تنجح في اليوم ولا ترد على الخسائر

ولقد ينشأ الإخوة نفس النشأة ويتلقون عين التعليم سنة وينضجون ويسلكون طريقاً واحدة ، فإذا أحدهم قد أظله الثراء والجاه وأخوه يوشك ألا يجد قوته وقوت أولاده

ومن الناس من لم يتحقق له قط أمل في الرزق أو في الحب أو في حياته الزوجية العائلية أو الاجتماعية مهما دبر وجهد ، على حين تتكفل الأيام برفع غيره كل آن من حيث لا يحتسب حتى تبلغ به ذروة المعالي وتبوئه سلم المجد . والتاريخ حافل في هذا بالشواهد العديدة من كل أمة وفي كل زمان . وما أنا بذاهب بعيداً وآية هذا في أعيننا ، فلو أمعن كل إنسان منا النظر في حياته لما تم أن ينتهي إلى العجب من أنه هو أيضاً كان يلتقي على الدوام اليسر مثلاً أو قل العسر في أمور بعينها

فلا جرم يشق على العقل البشري أن يتصور أن تكرار هذه الحالات الثابتة في حياة هذا الفرد من الناس أو ذاك من موحيات مسلكه الشخصي ورهن تدبيره وتصرفه . ولا مندوحة لنا نحن البشر أبناء الفناء – حين نريد التعبير عن هذا الأفق بالظروف والملابسات والنواميس والمؤثرات ، وبإحاطة هذا التوجيه السائد على حياتنا جميعا – من أن نذكر القضاء والقدر

ولقد كد أئمة الأديان والحكماء وعلماء الكلام والباحثون في الأخلاق جميعا أذهانهم ، وطال بحثهم واشتدت ملاحظاتهم دهورا ليتعرفوا مدى ما هو مفروض على الإنسان من جبرية وما هو متروك له من حرية . ثم هذه هي مسألة « الجبرية والقدرية » لا تزال بعد هذا كله بحثا هي من المسائل الخلافية

على أن الذي نريد ملاحظته هنا أنه كلما تقدمت العلوم الطبيعية كانت أشد قبولا في مجالاتها لفكرة الجبرية . فالكثير مما يراه الشخص العادي عبثا من حركات الطبيعة غير معلقة على شرط ولا مردودة إلى علة ، لا يزال العلم بها على طول الزمن حتى يهتدي إلى مصادرها ومآتيها ويستقرئ حركاتها ومجاريها ويضبط مقاديرها ويتعرف نواميسها . فكل شيء في نظر العلم محكوم بالسببية ، خاضع لسيادة الحكم ، صادر عن علل طبيعية إلى نتائج حتمية

وهذه الجبرية الكونية المحيطة قد يضيف إليها علماء عصرنا جبرية أو جبريات أخرى

ذلك أن الشواهد العلمية والتجارب المتعددة دلت بأجلى بيان على ما بين الخلقة الجسدية والطباع الخلقية من صلة وثيقة في الأحياء كلها من إنسان وحيوان . وقد أجرى بعض العلماء تجاربهم في بعض الطيور مثلا ، فربطوها بعد خصائها بالغدد التناسلية الخاصة بالجنس الآخر ، فإذا التغير الطارئ عليها لا يقف أثره عند صفات التكوين والشكل في الريش والأعراف والأظفار وغيرها ، بل يتعداها إلى الصفات الخلقية . فإذا الدجاجة التي صارت ديكا قد أمعنت في المناقرة والعراك مع الديكة الأصيلة وأقبلت على مغازلة الدجاجات بات يحسبها الساعات

ثم مأساة الفراشة التي ما برحت موضع الوصف والتشبيه في أشعار العشق وهي تحوم حول سنا المصباح حتى تحترق في آخر الأمر بناره . تلك المأساة بعد أن كانت موضوع الشعراء صارت أيضا بحث العلماء . فذهب بعضهم إلى أن دوران الفراشة حول الشعلة دورانا مضطربا مطرد السياق يدل على أنها تتذبذب بين النور والظل كعقرب البوصلة في جسم يتصل كهربائيا ، فهي تارة نحو الموجب وأخرى نحو السالب على حسب ما تصيبه في كل لحظة من شحنة كهربائية موجبة أو سالبة . أي أن دوران الفراشة ينحصر بمحل في نطاق ما يسمونه قانون التذبذب التفاضلي . وهكذا تكون حركات هذا الكائن اللطيف الحي – كلما اتفق وجوده على مسافة معينة من المصباح – خاضعة لحكم القوانين الطبيعية الكهربائية خضوع حركات الكرة الصغيرة المتدحرجة في الصحن للقوانين الميكانيكية

وعدا ما رأيناه من تأثير العنصر الجنسي وحكم العامل الطبيعي في الكائنات الحية ، فهنالك حكم الوراثة . فالكلب مثلاً يدور حول مرقده من السجاد قبل أن يلقي جسمه ، لأن أسلافه المتوحشة كانت تفعل ذلك في الغابة تمهيداً للورق وطرداً للهوام منه قبل افتراشه . وبديهي أنه لا حاجة اليوم لكلاب النعمة أحلاس البيوت الى هذه الحيطة ، ولكنه على الرغم من خلاف الحاجة قد بقيت العادة

وهذه الأحكام غير مقصورة كما قصصنا على مملكة الحيوان ، بل تسري في جملتها على نوع الانسان . إلا أن الانسان يخلع على جميع ما يأتيه لبوس العقل ويعتبره صادراً عن الارادة في حين انه لم يفكر في عمل من الاعمال ولم يرده إلا لأن دوافع طبيعية في دخيلة نفسه اقتضت ذلك . فإرادة الانسان الشيء دليل على الحالة النفسية لا علتها . فهي ليست سبباً موجباً بل نتيجة مباشرة

وبديهي أن هذه الحالة النفسية التي تصدر عنها أعمال الانسان وحركاتها واقعة تحت تأثير الظروف والملابسات الخارجية المحيطة كما انها رهينة بالاستعدادات والنوازع التي يهيء نموها لها نوع التركيب العضوي ومدى قيام الأعضاء بوظائفها وعوامل الوسط والوراثة والعادة وما شاكلها

ولقد أظهر علم التحليل النفسي الحديث في الابانة عما للنوازع الجنسية من الشأن الأكبر في الحياة الفكرية والعاطفية والروحية وغيرها من نواحي الحياة مما لا يدع مجالاً لقائل ، كما أنه في رده خفايا حياتنا جميعها الى غيابة النفس الباطنة لا يدع لنا أدنى حرية في تصرفاتنا . فالرجل منا قد يجرب سوء المصير لنزعة في مسلكه وقد لا تعوزه ارادة التحرر منها ، ولكن ما قيمة هذه الارادة اذا اصطدمت باستحالة التنفيذ ؟ هيهات يجدي هذا شيئاً أن تنعقد الارادة في النفس الواعية اذا كان المركز الحقيقي الكامن في النفس الباطنة لا يشترك في هذه الارادة ولا يصدق على قرارها

وكذلك الوراثة فقد عرف أثرها ملحوظاً منذ أقدم العصور . وقد ترك لنا أبقراط الفيلسوف والطبيب الاغريقي نظرية فيها . وأجرى علماء الوراثة المحدثون تجارب عدة وسجلوا فيها مشاهداتهم وعللوا أسبابها الى أقيسة وقوانين ، حتى ليصح القول اليوم أن الوراثة أخذت تدخل في عداد العلوم التي يطلقون عليها اسم « العلوم المضبوطة »

أما العادة فلا يخفى سلطانها حتى على رجل الشارع . وهي تجعل أكثر ما نأتيه في حياتنا اليومية من أعمال كالسير والمشي وإدارة بعض الآلات ، أعمالاً آلية نأتيها على الوجه الصحيح دون أن يوقظ لها شعورنا أو نوجه اليها انتباهنا . وفوق ذلك فإن هنالك أعمالاً تحتاج الى منتهى الدقة وأشدها في غاية الخطورة يؤديها من اعتادوها وتمرسوا طويلاً بها في ترسل وارتجال دون مبالغة في تكلف الاهتمام وتركيز الذهن ، بل ان هذه الأعمال تتم على الوجه الأدق والأسرع والأحسن كلما قلت حاجة الوعي الى الاستيقاظ لها والتدخل فيها . ثم انا كلما تقدمت بنا السن ودرجت علينا الأيام

تأصلت العادة فينا ، فانما هي مستولية علينا ولانا بنا نستنيم اليها بلا مجهود فكراً ولا عمل روية ، وانما نعمل ما نعمل بحكم العادة لا غير ، تبعا لقانون الجهد الأدنى والتحرك الذاتي . ولا مشاحة في أن كل عمل نقترحه يولد في نفسنا نزوعا من نوعه ، فاذا تكرر اجتراح العمل زاد مجراه في النفس تعمقا بعد تعميق وانساقت في تياره لا تملك لرعواه ولا توقفا بل هي ماضية في الاتجاه الى الغاية المقدورة له

ويخلص مما تقدم أن حياة الانسان يحدوها من داخلها ومن خارجها عوامل من وراء وعيه وفوق ارادته . ففي الخارج المؤثرات الكونية وأحكام البيئة . وفي الداخل عالم النفس الباطنة يصدر عن أغوارها صوت الغريزة القوى وهيمنة النوازع الوراثية تصطرب بها جميعا جوانح الانسان وتستجيب لها كل جارحة من جوارحه . وقد أشار « ماترلنك » الى هذين في قوله : « ان العلاقة قائمة أبداً بين الغريزة والقدر فهما متصاحبان ، يحومان وبيد كل في يد رصيفه حول الانسان الغافل » . والجمع بين هذين المقدورين يتفق واعتبار الانسان في حكمة الاقدمين كونا صغيراً يقابل الكون الكبير ، ويتفق وما جاء العلم الحديث مصدقا له با كتشافه أن تركيب الخلية مثل تركيب الجسم وأن الذرة في كيانها كالنظام الشمسي ، والجملة تقرره المماثلة بين الجزء والكل . فهما قيل بعد هذا من حرية الانسان فلا حرية له في تغيير مراكز الطاقة الطبيعية والاخلال بالنواميس الكونية

فالقدر محيط بنا ، والقدر قائم فينا . وقد صدقت الشرق أدباؤه ، ولم يكذبه وجدانه

عبد الرحمن صدقي

الموسيقى الشرقية

لم تعد تعبر عن روح الشرق الجديد

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

يحاول الشرق العربي أن ينهض ويتجدد منذ الاحتلال صوب الحضارة الغربية الدافقة . وقد جاهد في هذا السبيل حتى الآن جهاداً رائعاً اشتهد مظاهره من مختلف الحركات السياسية التي تقوم بها للمطالبة بحريته وتحقيق استقلاله

ومع الحرية أشعرت الأمم الشرقية بأن لا حرية بدون علم ولا استقلال بدون ثقافة ولا نهضة سياسية صحيحة بدون نهضة فكرية وروحية تحرر قواها وتبرر حق المطالبة بها

ففي ميدان الفكر استطاع الشرق العربي ولا سيما في مصر أن يؤكد نهضته فجدد الأدب وأشربه روح الأساليب الأوربية وانتقل به من دائرة الخيال المطلق الى صفحات الحياة الواقعة ثم أخذ بقسط وافر من العلم فأخرج نفراً من العلماء تمكنوا من اضافة شيء جديد الى المكتشفات العلمية الحديثة

وفي ميدان الفن ولا سيما في مصر أيضاً ارتقى الرسم والنحت والتمثيل وأمّ أصحاب هذه الفنون الى أوربا فاقتبسوا منها الأشكال والأوضاع والأصول ثم تحول بها أذكاهم وأسلمهم عادتها في النهضة الشرقية بغية استخلاص فن مستقل يعبر عن مصر خاصة والشرق عامة

وهكذا سايرت الفنون في الشرق العربي تيار أوربا ما خلا فن الموسيقى الذي بقي جامداً تردد ألحانه صدى الماضي السحيق

فما هو السر في تقدم الفنون الأخرى وركود فن الموسيقى ؟

الواقع أن هذه الظاهرة ترجع الى سبب واضح وهو اننا قبل نهضتنا الحالية لم نكن قد عرفنا فنون الرسم والنحت والتمثيل بمعناها الحديث . كان تصوير الشخوص محرما عندنا وكان حجاب المرأة يحول بينها وبين الظهور على المسرح، فلما أخذنا بأساليب الحضارة الأوربية نقلنا فنون الرسم والنحت والتمثيل من مصدرها مباشرة فكان التطور بها سهلا علينا وكانت هذه الحركة الفنية لنا شبه طفرة فصلت بين القديم والحديث

وأما فن الموسيقى فكان قائما عندنا . كان الشرق العربي فيه الموسيقى الشعبي وعنه الموسيقية

المستقلة تمكنت منه وحلت فيه وتأصلت فى نفوس أبنائه وخلقت لهم أذنا خاصة ومزاجا خاصا وطابعا متفردا فى الاحساس والشعور

فهذا الرسوخ فى الماضى هو الذى عاق تطور الموسيقى الشرقية وهو الذى جعلها اليوم فى مؤخرة الفنون

ولقد ارتقى الشرق العربى فى تفكيره وأدبه ومعظم فنونه التصويرية ولكن موسيقاه بقيت على حالها تدل أصدق الدلالة على اتساع الهوة بين عقل الرجل الشرقى واحساسه ، بين قشرته ولبابه ، بين وجهه المتطلع وقلبه المتخلف ، بين ثقافته العصرية ومزاجه الفنى

فروح الشرق الناهض الجديد لم تعد تعبر عنها موسيقاه . وهذا التناقض الصارخ لابد أن يجهد العقل والتفكير والذوق ، ويجهد فى الصوت حاسة تطورها للنسيم ان تجاوزنا عنه ولم نلفت النظر الى خطره

والحقيقة ان الموسيقى الشرقية فى أوضاعها الحاضرة هى لم تخرج عن طوره البدائى بعد . أو هى لم تصبح بعد فنا بالمعنى المقصود بهذه الكلمة . إذ يشترط فى كل فن صدق التعبير وتنوع غاياته ونبل وحيه وجمال تأديته وعمق أثره وشيوع نزعة التسامى فيه

فما هى غايات الموسيقى الشرقية وما هو وحيها وعم تعبر ؟

يجب فى صراحة انها مجموعة نغمات تنطلق من الغريزة الحيوانية ولا تخاطب غير الغريزة الحيوانية وبعض عواطف معينة تلهبها أو تقترن بها أو تتحرر منها

فالدلال النفسى أمام الحبيب وتملقه والتحبب من أجله واستجداء رحمته بالبكاء والندب والعويل ، هى النغمات الرئيسية المسيطرة على الموسيقى الشرقية . وأما الغاية منها فواحدة لا تتبدل وهى التمتع بهذا الحبيب تمتعا جثمانيا محضا

فالرقة والنعومة والحلاوة الشائعة فى تلك النغمات تموه علينا العواطف وتموه علينا الشعر والخيال ، ولكنها فى جوهرها شهوية الغرض حسية الهدف حيوانية الغاية والمعنى . بل ان نغمات الأنغام الشرقية والتواءاتها وما فيها من تأوهات متلاحقة وأنات متداركة وزفرات وشهقات حادة متقطعة ، لترمز الى النداء الحسى وتعبر عنه تعبيرا شائنا فاضحا لا يجاريها فيه غير رقص البطن البغيض المرذول !

فإن كانت الموسيقى الغربية توحى الينا المجد فالموسيقى الشرقية توحى الينا الحنان . وهى من هذه الوجهة تمثل حسية الحياة وروحه أبلغ وأتم تمثيل

وأكبر دليل على ذلك انها لا تطرب السامع الطرب العميق المنشود إلا وهو سكران . فتلهب عندئذ بأنغامها الحادة حواسه وتشترك مع الخمر فى زعزعة عقله وأعصابه وفى حمله على تناسى الدنيا وما فيها بالاستغراق فى لذة البدن ونعيم الشهوة

فليس هو الحب الذي تعبر عنه موسيقانا إذن بل هي الشهوة . وما الحنين المرهق الساري في غنائنا إلا حنين الرجل الشرقي المحروم من المرأة ، إلى عاطفة الحب التي ينشدها ويتحسر لحرمه من الشعور بها

فالحسرة على حب مستحيل التحقيق في مجتمع يفرق بين الجنسين ، هي التي تخلع على موسيقانا ذلك اللون الأليم الذي يحسبه البعض حنينا ، وما هو في الواقع إلا صدى حسرتنا عن الحب عجزت عنه من نفوسنا بالتخلص منه وإغراقه آخر الأمر في محيط الشهوة

والعجيب في الموسيقى الشرقية أن الرجل يطرب حين يغني ألحانها أضعاف ما تطرب المرأة . وذلك لأن هذه الألحان في أصلها شكاة نائحة ، التي أنشدها الرجل الشقي وبعث وتأوه وتحرق وبكى أو تباكى أثر عيشه بالطبع أكثر من المرأة المفروض فيها الضعف . فكأننا نأبى إلا أن تذل الرجولة أملها كي يستمتعا بالطرب وتشعر بالتأثير العميق . . .

والطرب في الموسيقى الشرقية طرب سماعي ، يقع على الآذان وحده ولا يجاوز تأثيره حد الحواس . وأما العواطف المنوعة المتضاربة المتفرعة من الحب مثلا كالحيرة والقلق والأمل والحلم والغيرة والكراهية والثورة والانتقام وغيرها ، فموسيقانا لا توحي بها ولا تكشف الستر عنها ولا تحاول صقلها وتهذيبها لأنها لا تصورها ولا تعبر عنها ولا تعبر عن الحب نفسه كمجموعة عاطفية منوعة ، إذ التعبير العاطفي المنوع ، المتسلسل ليس من غاياتها وإنما الأثر السماعي ، الحسي القائم على نغمة مطربة واحدة أو عدة نغمات مطربة معينة هو غرضها الأول والأخير

فاللحن عندنا والحالة هذه يسجل في ألحانه الجزء الضئيل التافه من عاطفة الحب ، ويسجله خلوا من مظاهر الانتعاش والقوة في حين أن هذه المظاهر جزء من الفطرة أيضا . ولكنها الروح المتواكلة السلبية المتخلفة في نفس الملحن من عصور الجهل وأزمنة العبودية والاستبداد تدفع به إلى قصر جهوده على تسجيل مظاهر الضعف والتواكل والسلبية في الحب ، والاكتفاء بها واعتبارها أصدق وأكمل صورة لهذه العاطفة

والملحن إذا أدرك مقامه أن الحب مجموعة عاطفية حية بالميول والأهواء المتنوعة الثائرة فلن يجد من أصول وقواعد في الموسيقى الشرقية ما يسعفه على تحقيق ذلك التعبير العاطفي المنوع الذي اهتدى إليه ببصيرته

وإذن فموسيقانا ليست تعبيرية بل حسية . تعنى في أساسها بالتطريب والانتقالات والعقد المتناغمة والصفات والحشرجات المتشابكة المتقطعة . ولما كانت هذه العقد والصفات مستحبة وتلك الانتقالات مصوغة متماسكة زاد طرب الجمهور بها وإعجابه وتهليله لصاحبها

وهذه الظاهرة تدل أصدق الدلالة على أننا متخلفون في الموسيقى الحقة البيان لا التعبير الصحيح عما يشعر به الإنسان

وأعجب من كل ما تقدم انك لا تكاد تسمع قطعة موسيقية شرقية حتى تدهش للتفارق العظيم بين ألحانها ومعانى الالفاظ المقترنة بهذه الالحان . . .

فاللحن يرمى الى غاية والفظ الى غاية أخرى . .

واللحن يسير فى طريق والفظ فى طريق أخرى . حتى انك لو أبدلت هذا اللفظ بغيره وركبت عليه نفس الألحان ، ما أحدث هذا الاختلاف أى أثر فى القطعة الموسيقية ولظلت الانغام حرة مستقلة بنفسها لا تعبر الا عن الأعراض التى تقصد اليها الملحن بصرف النظر عما قصد اليه الأديب واضع الألفاظ ...

وتلك فى الواقع مهزلة شجعها وشغل عليها وطرب لها وصرى للملحنين الاسترسال فيها . ومرجعها كما ذكرنا غلبة فكرة الطرب على الملحن واعتقاده بأن الطرب المنشود يصدر عنه وحده أى عن قدرته على التوفيق والملاءمة بين النغم والانتقالات والقفلات ومختلف ضروب الغناء ، بصرف النظر أيضا عن معانى الالفاظ التى عليه أن يجسمها ويبرزها ويصبها فى الانغام المنطبقة عليها

فالأنغام المطربة المعتدة التى يعرفها الملحن والتى اعتادها سواد الجمهور والف أن يطرب لها هى التى تصب صبا وأساليب متفقة على كل لفظ وكل كلام مهما تنوعت معانيه وتباينت أغراضه

وهذا هو السر فى أن موسيقانا آلية متشابهة ، بل هذا هو السر فى السخط الذى يبديه شبابنا المتعلمون على كل تلك الادوار والمقاطيق التى لا تنفك تكرر أنغامها فى ركود ممل للنفس مثير للاعصاب

يسخط المتعلمون منا ويشتد حنقهم فى السخط لشعورهم بأننا أصبحنا اليوم أرقى من موسيقانا

لقد تقدمنا فى تفكيرنا وتطورنا فخصت منا وتنوعت ميولنا واحساساتنا وما تزال موسيقانا جامدة راسبة متعثرة

ان العواطف الحديثة التى أشاعها العصر فى نفوسنا والاحساسات الحديثة التى ولدتها الثقافة فى عقولنا وقلوبنا ، لم يعد فى وسع الملحن الشرقى المتمسك بالقديم تصورها والتعبير عنها

لقد أصبحنا أرقى من الملحن ولقد انقطعت صلة الملحن بنا ، وبتنا لا نجد فى بلادنا فنا موسيقيا يستطيع أن يخاطبنا ويتبع نفسنا ووجداناتنا

وقد تكون موسيقانا فى وضعها الحالى متفقة وعقلية الجماهير المتأخرة من شعبنا ، ولكن وظيفة الفن أن ينهض بالجماهير لا أن يخاطبها ، أن يرتفع بها لا أن ينحدر اليها ، أن يجدد احساسها وشعورها لا أن يمالئها على جمودها ومراجعها . والحق أن الملحن عندنا عند الجماهير العاطفة الجامدة يستوحيها ألحانه ويأبى الا أن يعرض هذه الالحان على الطبقة المتعلمة وعلى الشعب كله باعتبارها فنا قوميا يعبر عن روح الشرق ويحمل طابع الامة

غير أن الشرق الناهض لم يعد يقنع بهذه الألحان ولم يعد ممثلا فى هذه الموسيقى . فالحق نحن

أخنينا عليها وأغضينا الطرف عنها وخدعنا بواجب الحرص على تراثها الشرقي المزعوم ، فعطلنا نهضتنا وأنكرنا ثقافتنا وغررنا بأنفسنا وبالناس

فواجبنا اليوم أن ندعو إلى فن موسيقي جديد . فن يمثل نهضتنا ويساير تطورنا ويعبر عن المتجدد الطريف من أهوائنا وميولنا

نحن لم نعد سلبيين ولم نعد أذلاء متواكلين . لم نعد نتمتع من الحياة بالتأمل الأجوف والحلم العاطل والرخاوة الخائبة المستسلمة

لم نعد نتمتع من المرأة بالأنثى ومن الحواس بالشهوة

لم نعد نتمتع من الحب بألوان التضرع وخواطر التوجع وصنوف الحسرة والابتهال

إن فينا القوى إيجابية تتحرك وتنطلق وتعمل . ونحن بعد هذا كله أناس كبيرنا لا نتوسل فقط عندما نحب ولا نشتهي فقط ولا نشكو فقط بل نعمل ونفكر ، نحار ونعتقد ، نثور ونتمرد ، نسمو ونتحطم ، نتشجع أو نجبن ، فهذه العوامل جميعا وما يتصل بها ويتفرع منها يجب أن تترادف وتأتلف وتتمثل في القطعة الموسيقية الغنائية الجديرة بأن تحمل اسم الفن

ولكن ائتلاف هذه العوامل في قطعة موسيقية فردة يتعارض مع طبيعة الموسيقى الشرقية . وتلك هي المشكلة !

فموسيقانا تأخذ بنظام الطرب السماعي أي « الميلودي » وموسيقى الغرب تأخذ بنظام آخر هو « الهارموني » أي التعبير من عدة عواطف وانفعالات متباينة يربط اللحن بين أطرافها المتنافرة ويجمعها في قطعة واحدة منسجمة

فهذا النظام هو الذي نحتاج إليه . وما دمنا لم ندخله بعد في موسيقانا فلا يمكن أن نسميها فنا . لأن الفن هو طرب الروح بواسطة التعبير الشامل لا طرب الأذن بواسطة البراعة الصبيانية في ترتيب الأنغام

وقد يعتقد البعض أن إدخال نظام الهارموني على موسيقانا يفقدها طابعها الشرقي ، ولكن الترك أدخلوه على موسيقاهم فتجددت واتسعت آفاقها واستعذبها الأوربيون وظلت مع ذلك تركية صميمة

والموسيقى الروسية في الأساس أوربية الأوضاع ومع ذلك فيها من خشونة الشرق وحدته وشجوه وحنينه وأحلامه الغيبية ورعاته الصوفية الشيء الكثير

فنحن لن نفقد خصائص شرقيتنا إذا جددنا موسيقانا بل نبرزها ونؤكدها ونكشف للعالم المتحضر عن جوانب الصحة والقوة التي أوجدها التطور فينا ، بل لأن نتخذ من أوضاع الموسيقى الغربية واسطة للابتكار لا التقليد ووسيلة لإبداع منظومات أرحب وأكمل وأغنى تحمل بين تضاعيفها حقيقة العواطف الشرقية كما يحسها أبناء الشرق الجديد

وأما ما يجمعه ملحنونا والمصريون ، من نقل بعض النغمات الأوربية الشائعة وترقيع بعض النغمات الشرقية بها يعدون توافر ساق على دراسة أوضاع الموسيقى الغربية ويعدون احداث انقلاب جوهري في أصول وقواعد موسيقانا ، فهذه لا تصدر عنه في الغالب سوى أنغام مشوشة مضحكة لا رابط بينها ولا انسجام فيها ولا معنى لها ، أسلم لا ترمي الى تحقيق التعبير بالمعنى الذي يتطلبه ، بل الى مضاعفة الطرب الشرقي السماعي عن طريق ادخال بعض العناصر الاجنبية الطريفة عليه

فلكي نتحرر من داء الطرب هذا ونظفر الى جو التعبير الفني ، يجب أن نحدث الانقلاب الجوهري في أصول موسيقانا ، ويجب أن نبنيها على أسس وقواعد الموسيقى الغربية . ولن يتم هذا الانقلاب فيما يتعلق بمصر إلا باتباع الوسائل الآتية :

أولا — تنشيط الدعوة للتجديد الموسيقي بشرح الفوارق الفنية العظيمة بين الموسيقى الشرقية والغربية

ثانياً — تعليم الجمهور العربي من الاذاعة اللاسلكية بحث تتخلله أمثلة مختارة من الموسيقى الأوربية تقدم الى المستمعين بكلمة عن الفنان الأوربي وطريقته والمذهب الذي قصد اليها من وضع قطعته . وهكذا يهذب احساس الجمهور العربي وتتربى فيه ملكة الذوق والفلسفة وتتكون له أذن موسيقية جديدة

ثالثاً — توجيه دراسة النشء في معهد الموسيقى الشرقي وجهة أوربية على أيدي جماعة من الاخصائيين

رابعا — ايفاد البعثات الموسيقية الى اوربا

خامساً — انشاء كونسرفتوار يدرس فيه أعضاء البعثات من الموسيقى على أصوله الأوربية أو الحاق أولئك الأعضاء بمعهد الموسيقى الشرقي بعد تجديده

قد تكون هذه الوسائل غير كافية وقد يكون هناك أفضل منها . ولكن الاهتداء الى العلاج الشافي هو نتيجة لحسن تشخيص المرض

ولقد حاولنا في هذا المقال دراسة سيكولوجيا للموسيقى الشرقية وشخصنا جهد استطاعتنا الداء الذي يفتك بها ولفتنا الانظار اليه . فعلى الخبراء ورجال الفن المتشيعين لنقص موسيقانا أو الذين تمكن أن يقتنعوا بوجود هذا النقص فيها بعد مطالعة هذا المقال ، أن يدلوا الآن بآرائهم في خير سبيل تتبع لتجديدها وانهاضها وتحريرها من عنصر الغناء التقليدي وما يحمل من الألوان العاطفية الوضيعة الذليلة المنكسرة ، هذه الألوان التي قال فيها الموسيقي الفرنسي الكبير (رابيل) انها لو سلطت على أقوى الشعوب عزما وأصلبهم ارادة وأشدهم ولعا بالحياة ، لقضت فيه على كل رجولة وكل كرامة وكل حياة !

ابراهيم المصري

حياة الأديب ومبادئه

هل يجب التوفيق بينهما

يعتقد سواد الناس ان حياة الأديب يجب ان تكون قدوة لسواه ، وان أخلاقه يجب أن تكون مضرب المثل في الفضيلة ، وان مبادئه وآراءه وتعاليمه يجب ان تكون رجع صدى حياته بحيث لا يبدو في سلوكه الشخصي ما يدل على تعارض جوهري بين تفكيره وتصرفاته اليومية

فهل أولئك الناس على حق ، وهل من واجب الأديب ان يوفق بين حياته ومبادئه ، وهل يكون انتاجه الأدبي فاسدا اذا كانت حياته في عرف السواد فاسدة ؟ .

هذا ما سنحاول الاجابة عنه في هذا المقال :

الواقع ان الأديب الصحيح انسان لا يؤمن في الحياة الا بحقيقة الاختبار . فهو يتوق الى اختبار مختلف العواطف وشتى الوان الميول والأهواء كي يتسع مدى تفكيره وتتضاعف قوى حياته وتتوافر لديه أسباب المعرفة ويجرب حظه من العلم ويعيش في حياة واحدة عدة حيوات ! . . .

وما دام قانون الاختبار هو الذي يتحكم فيه ، فهو رجل لا يستطيع ان يدعو الى مبادئه كافة ولا يستطيع ان يدعو الى فضيلة الا بعد ان يختبر الرذيلة التي تلهمه هذه الفضيلة وترشده اليها

وهو فوق ذلك مخلوق دائم التحول مطرد التبدل والتطور يأبى الوقوف عند رأي واحد والتسليم بفكرة واحدة تجمع فيها عناصر الحقيقة الكبرى لأن الاختبار قوام حياته ولأن الرغبة في تجربة كل شيء ومعرفة كل شيء هي الظاهرة المسيطرة على شخصيته

فالحقيقة المجردة لا وجود لها في نظره ، والمبدأ الصحيح المطلق غير قابل التصديق عنده ، والنسبية الثابتة الخالدة الصالحة للناس في كل زمن لا يمكن ان تصادف من نفسه الوثابة المتلونة أي هوى

وهذا هو السر في ان حياته الخاصة كثيرا ما تتعارض مع الفكرة التي يدعو اليها في وقت من الأوقات أو المبدأ الذي يروج له في ظرف من الظروف

فهو في حياته العامة ينادي اليوم مثلا برسالة معينة . ولكن حياته الخاصة تنطلق في نفس اليوم بل في نفس اللحظة باحثة عن رسالة جديدة خشية ان تكون قد خدعت برسالته الأولى واطمأنت طمأنينة نهائية الى سلامة الحقائق المنطوية عليها

فحاجة الأديب الثائرة هي عدم اطمئنانه الى صحة الفكرة التي اهتدى اليها ، ورفضه التسليم بأن هذه الفكرة كائنة ما كانت قد احتضنت فيها خلاصة الحقيقة ، واعتقاده الراسخ بأن الحياة

اعتقد وأرحب من أن تحصر في مبدأ محدد أو رسالة معينة

ولذا فهو حر في الاختيار ويفرق بين حياته الخاصة والعامة ليشبع بحرية الاختيار خدمة الفكر وخدمة الحياة

وهو من هذا الجانب شديد الشبه برجل العلم

وكما أن العالم يظل مخلصاً للنظرية العلمية حتى تدعوه التجربة الى نقضها واستبدالها بأخرى ، كذلك الأديب يظل مخلصاً للمبدأ الاجتماعي او الخلقي حتى تدعوه التجربة الى نقضه والأخذ بسواه

ولكن العالم يجري تجاربه في معمله ، أما الأديب فحياته هي المعمل ، وهي ميدانه للتنقل تتراكض فيه قوى المعرفة والاختبار

ولو أننا طالبنا الأديب بتوثيق الصلة أو التوفيق بين حياته ومبادئه ، لجردناه من حقه في الحرية وباعدنا بينه وبين الحياة ، وضيقنا آفاق تجاربه ، وأقمنا الحواجز والسدود أمام بحثه ، وعطلنا حركة الفكر ، ورجعنا بالتطور النطاق التقهقرى

وقد يستنكر البعض هذا الشذوذ في شخصية الأديب ويستقبحه ويرى فيه خروجاً على العرف وثورة على أوضاع المجتمع . ولكن هذا الشذوذ إن عاد بالضرر اليسير على الفضائل المصطلح عليها فهو يعود بالنفع العظيم على الانسانية بأسرها لأنه الوسيلة الوحيدة لخدمة الفكر والحافز القوي الفرد لكل حركة من حركات التطور

ويجب ألا نتوهم أن الأديب يجد هذا الشذوذ للسقوط في شخصيته ويغتبط به ، ويغتبط من إعفائنا من حرية سلوكه ومن التسليم له بهذه الحرية ، مشجعاً على استغلالها والاتجاه بها في طريق الاثم والشر . إذ الواقع أن الأديب لا يتطلع الى الاثم إلا ليفهمه ، ولا يتعرف اليه إلا ليستنطقه ، ولا يقبل على الشر رغبة في الشر بل في معرفة الحياة ، ولا يروح لفكرة تناقض حياته الخاصة إلا وهو معذب بهذا الشذوذ ، مدفوع بغريزة الاختيار ، مساق بعامل التطور

وليس شك في أنه يتعذب لأن حياة الناس تميل بهم الى الثبات والاستقرار وحياته تدفع به الى التقلب المطرد والحركة الدائمة . يتعذب لأن مقالات الناس لا تكاد تغربهم حتى تضمحل وتتبدد وتتلاشى في غيرها . أما مقالاته هو فيجب أن تكون مسمعة . . . أي يجب أن تكون حية ، يجب أن تكون خالقة ، يجب أن تصور وتحلل وتستخلص منها مادة فكر وخير وجمال

يتعذب لأن الحقيقة في نظر الناس يجب أن تكون مطلقة ، أما في نظره فلا يمكن أن تكون إلا سراباً متلوناً أو حية ساحرة تتخذ شتى الصور وتتشكل بأغرب وأروع الأشكال !

عذابه هذا هو الذي يشفع لحريته وهو الذي يضطرنا الى التجاوز عن شذوذه وعن التنافر الشاهد في بعض الأحيان بين حياته ومبادئه

وبعد كل هذا فماذا يهمنا من حياة الأديب إن كان عمله جميلا !

ماذا يهمنا من السماد إن كانت الزهرة جميلة ؟ ماذا يهمنا من الشر إن انتج الخير ؟

قد تنبت الزهرة في مستنقع ، وقد تشتق الحكمة من مخمور ، وقد تكون الرذيلة في مسوح راهب ، وقد تكون العذراء أشد فتنة من بغي !

ومما لاريب فيه ان الأديب الكبير أو الفنان المتفوق يجمع حتى ليخيل أنه لا يستطيع أن يعطي إلا على قدر ما يأخذ . وهو لن يكون عبقريا إلا متى شابه في ذلك الارض ، الارض الأمينة التي تهضم كل شيء لتخرج أبدع الأشياء . وكما أن الارض لا تستحي من أكل الجيف وعظم الرمم ، كذلك الأديب الكبير لا يخجل من استيعاب شر ما في الكون من عواطف وميول يقينا منه أنه سوف يرده الى الحياة مادة ناضرة خالقة !

ومع ذلك وعلى الرغم مما تقدم فللمسألة وجه آخر لا ينبغي اغفال ذكره نظراً لخطورة اتصاله بالحياة العامة

يرى الكثيرون أن التنافر بين حياة الأديب ومبادئه لأسوأ مثل يضرب للجماعات في عصور الانتقال وأزمنة الاضطراب الاجتماعي وعدم الاستقرار الفكري والسياسي ، حيث تكون الأمة في أشد الحاجة الى قادة مثاليين يوفقون بين حياتهم ومبادئهم ويشرفون على هذه المبادئ ويكافحون من أجلها حتى النفس الأخير . فالأديب الذي يظهر في تلك الأزمنة ، ويعيش في حياته الخاصة وفق مبادئ معينة ، ويجاهر في حياته الخاصة بمبادئ معينة ، ثم يروج يوما في الحياة العامة لمبادئ معاكسة ثم ينقلب يوما آخر ليدعو لغيرها ، هو رجل كاذب منافق يسيء الى وطنه ويتلف عقلية الجماعة ويفسد أخلاقها ويشوش في ذهنها ملكة الحكم على الأشياء وينزع منها الثقة ببطولة الفكر والمفكرين ويضعف إيمانها بواجب الثبات على المبدأ

ولا شك ان أصحاب هذا الرأي على حق فيما يذهبون اليه . ولقد قاسينا في مصر وما نزال نقاسي شر النكبات من جراء استفحال هذه الظاهرة في نفوس بعض رجال الفكر عندنا . فمنهم من باع فكره في السياسة الحزبية وأغراضها ، ومنهم من استخدم مقدرة مواهبه العقلية في انتهاز الفرص والتنقل من حزب الى حزب بلا وازع من خلق أو ضمير ، ومنهم من كان رسول مبدأ حر ثم أنكره وناصر نزعة رجعية ، ومنهم من كانت حياته سلسلة تحول متصلة تثير السخط وتبعث على الاشمئزاز ، حتى لقد ضجت البلاد من مفكريها ولم تعد تفرق بين الصالح منهم والفاسد ورمت بهم جميعا وحملها من عمومهم شعور غريب بالحذر الممزوج بالاحتقار

كل هذا صحيح ولكن هل معنى هذا أن من واجبنا أن نحكم على كل أديب متنكر للحياة ونتهم كل أديب متنكر بالكذب والنفاق والخسة لانه خرج يوما على عقيدته أو لانه تقلب مرات عديدة على مبادئ ونظريات مختلفة ؟ الواقع أن التحول أو التطور في طبع الاديب كما ذكرنا وأن من حقه أن يكون حراً وأن ينقض اليوم ما قاله بالامس بل أن يهدم اليوم ما شيده بالامس

فليس هو الجمود الذى ينمى والحالة هذه أن حتبره دليل عظمة فيه ، وليس هو الثبات الجامد الذى يجب أن نطالبه به ، بل التطور ولكن مقترنا بالاخلاص ناهضا على الصدق مستمداً من حب الحقيقة بعد تمحيصها وتقليب أوضاعها على مختلف الوجوه

فللاديب المفكر أن يتحول من فكرة الى فكرة ومن مبدأ الى مبدأ على شرط أن يتم هـذا التحول بعد جهاد عقلى ريه وبعد بحث شامل عميق ومتى وجدت رغبة البحث والتحرى توافر احترام الفكر وتوافرت عناصر النزاهة والصدق وبطلت سرعة التحول من تلقاء نفسها . لان الاديب الذى يحترم فكره لا يسرع فى التحول عنه أو يتساهل فى التفريط فيه واستبداله بسواه

وللاديب المفكر أن يتحول ويعدل على شرط أن يتم اعلانه بمعزل عن كل مصلحة شخصية وعلى أساس انكار الذات والتأهب لاحتمال أقصى التضحية عند الاقتضاء . وهذا هو مقياس الصدق ، بل هـذا هو مقياس الحكم على الاديب متى اشتغل بالمسائل العامة سواء منها ما اتصل بالسياسة أو الاجتماع

فلما كان قد انتقض على مبادئه الاولى رغبة منه فى مصلحة شخصية ، ومدون أى مبرر فكرى نزيه وبعد أن قد هداه اليه البحث الطويل ، فهو الخائن وهو المنافق وهو الوصولى الكذاب

وأما إذا كان يزعم أنه اهتدى الى رسالته الجديدة من طريق الفكر الحر والرغبة الخالصة فى خدمة الصالح العام ، ثم أحب الطريق أدلته وبراهينه واستوثقنا من صدق تحوله ، فواجب إذ ذاك أن نحترم أخلاقه ونقدر استقلاله ونعرب فى الحياة العملية صدقه وعطائه بأسمى التضحية من أجل توكيد رسالته أى تطبيق مبدئه على شخصه وباحتمال نتائج هذا التطبيق أيا كانت ، فان فشل فلا حرف أو تراجع فهو الجاهد وهو القدوة وهو البطل ! . ولن يغفر له الناس تحوله إلا على قدر تبريره القوى لمسلكه ، ثم على قدر تضحيته

وكلما كانت تضحية المفكر شاقة قاسية كان تقدير الناس له أعظم وإيمانهم بصدق تحوله أشد ، واتباعهم له أسرع وأبقى

وإذن فمن الخطأ الأدبي المطلق علينا أن نفرق بين حياة الأديب وفكره وأن نحكم عليه بانتاجه كما نحكم على الشجرة من ثمرها . وأما من الجانب الاجتماعي والسياسى فلا مفر من مطالبة الأديب باثبات صدقه والتوفيق بين حياته ومبادئه على قاعدة أقصى الاخلاص مقترنا بأقصى التضحية

وفى ذلك يقول المفكر والزعيم السياسى المشهور جان جوريس :

« ان الأديب المشتغل بمسائل تتعلق بمستقبل أمة ، يجب أن يطابق حياته فكره ، ويمثل أخلاق مبادئه ، بل يجب أن يهب نفسه ضماناً للمخلص حياته ، وإلا خان الفكر وخان الأمة وجرد الشعب من أقدس العادات البشرية وأنضرها فى رقيه ، ألا وهى عبادة الانسان الذى عاش وفكر ثم استشهد ومات فى سبيل مثل أعلى !

القرية المصرية

وجوب ترغيبها الى الفلاح والمالك

بقلم الدكتور ابراهيم رشاد بك

مدير مصلحة التعاون بوزارة الزراعة

ان الشعور بالحاجة الى امر ما هو أول الخطى للتفكير فيه ، ويعقب ذلك الانتقال به الى وضع الخطط التي تنتهي الى تحقيقه . ولما كان موضوع مقالنا من الخطورة بمكان فقد رأيت أن أستعرضه ليمكن الرأي العام المثقف من الاشتراك في تمحيصه ومحاولة اهتداء رجال الاصلاح الى أقوم القواعد التي يقوم عليها صرح الاصلاح المنشود

وموضوع ترغيب القرية هنا الى الفلاح والمالك ينقسم بطبيعته الى شطرين : الاول — الغاية منه ، والثاني — الوسيلة اليه . أما الغاية من ترغيب القرية الى الفلاح فنوردها فيما يأتي :

أولا — وجوب الاهتمام بمصلحة الانسان بصفته أشرف المخلوقات

انه لما يحز في نفس المفكر حقا أن يرى هذا « الانسان » الذي سخرت الكائنات جميعها لخدمته والذي يحصل بجهده وعمله أخرج الخيرات من بطن الارض ليستمتع بها ، هو — وأعني بذلك السواد الأعظم من بني الانسان — أول المهملين وآخر المنتفعين . فبينما نرى العناية بالجماد والنبات والحيوان متوفرة نرى الشعوب مهملة

وقد كان علماء الاقتصاد الى عهد قريب يوجهون كل عنايتهم الى الثروة من حيث انتاجها واستهلاكها وتوزيعها وتداولها ، مما يدخل تحت ذلك من مسائل شتى وأبحاث متباينة ، شغلت ولا تزال تشغل الحكومات والمعاهد والهيئات ، من الاهتمام بالمواد الأولية الى تنظيم الأسواق الداخلية والخارجية الى البحث وراء الثروة المعدنية ، الى غير ذلك من مختلف شئون الماديات . وقد أدت هذه النزعة بالأمم الى السعي خلف الثروة دون الوقوف عند حد ، ونجمت عن ذلك حروب أهلكت الحرث والنسل فضلا عن التطاحن بين الطبقات من الأمة الواحدة . وبعد ذلك أذعن المفكرون الاقتصاديون الى ضرورة الاهتمام بالانسان من حيث هو انسان ، فحصروا عنايتهم الى جانب دراستهم الثروة ، وما لبثوا أن وضعوا قواعد لعلم اقتصادي جديد سموه بالاقتصاد الاجتماعي

ولقد كان لهذا العلم الحديث أصول بعث طوالعها في عصر « روبرت أوين » الذي نشر تعاليمه في انجلترا وبهر معتنقيها ، فكانت الحجر الأساسي لاحلال العامل الانسان مكانه بين عوامل

الانتاج . وتبع ذلك قيام الحكومات بوضع التشريع الواقي لصحة العمال ، وانشاء جمعيات لخدمة الشعوب من الناحية الاجتماعية ، الى غير ذلك من مختلف النشاط الأهلي ، فالدولي ، والذي سيترتب عليه حتما مع الوقت أن يرقى بأمر الشعوب من جميع نواحيها اقتصادية وصحية واجتماعية وثقافية

هذا هو الذي يدعونا الآن الى التفكير في أساليب للبيئة الصالحة للفلاحين جمهور السواد الاعظم من شعبنا

ولقد كانت هذه النظرة عينها هي التي حركت الفيلسوف الارلندي « جورج وليم رسل » الى التفكير في تهيئة أسباب المدنية لأهل الريف ، خصوصا في البلاد الزراعية ، ليتمتعوا بالمياه النقية والنور والوقاية من الامراض وعلاجها والبيوت الحديثة والطرق النظيفة والثقافة العامة الى غير ذلك . ولقد كانت الولايات المتحدة من أسبق الأمم الى الأخذ بهذه الروح الجديدة مما دفع كثيراً من شعوب الغرب الى ترسم آثارها

واذا وجب أن تقوم مثل تلك الحركة في أمريكا مع ما بلغته من التقدم فما أحوجنا نحن في مصر الى حركة مثلها تدعو الى الاهتمام بالريف والسعي الى رفع شأن أهله

والواقع ان الفلاح المصري ينظر اليه كنظرة أصحاب الزراعات « Plantations » الى عمال الزراعة لا كنظرة المالك الى العامل في مزرعته « Farm » والفرق بين الاثنين بين ، ففي « الزراعات » يكون العامل في اعتبار المالك في مستوى واحد مع الثور والأحصنة والآلات والمواشي ، والقصد من تشغيله هو الاستغلال . أما في « المزرعة » فان المالك يعطف على الفلاح العامل وتهمه هناءته ويعترف له بوجود مستقل عن الأرض ومستوى أعلى من مستوى عوامل الانتاج الاخرى

واليوم اذا رمنا نفع الفلاح وتحسين حالته فانما يدعونا الى ذلك الاعتبار الانساني المحض قبل كل شيء ، لأن الفلاح بشر مثلنا وله الحق الأول في الاستمتاع بخيرات الارض التي يفلحها وفي رغد البلاد التي يخدمها بعرق جبينه . وتحضرني في هذه المناسبة كلمة مأثورة لمستر لويد جورج رئيس حكومة انجلترا في أثناء الحرب العالمية ، قالها بعد ان انتصرت انجلترا : « علينا الآن أن نجعل هذه البلاد جديرة بأن يعيش الابطال فيها » والذي يعنيه أن هناءة الاهالي هي أول ما ترمي اليه انجلترا

ثانيا ـ وجوب تمكين الانسان بصفته منتجا من تأدية عمله على أكمل وجه

ذكرنا الغرض الأول الذي نشده العالم من « روبرت اوين » وقد برهن فعلا ـ عن طريق تطبيق تعاليمه ـ على أن العناية بالعنصر الانساني في الانتاج ، أيا كان نوع هذا الانتاج ، لا يقتصر نفعها على العاملين وحدهم بل يزيد كذلك في الثروة الناتجة ، فلا تنافر اذن بين مصلحة العامل وصاحب العمل بل بالعكس هناك مصلحة واحدة هي زيادة الثروة وتمتع الجميع بها

ولقد أنتجت هذه النظرية أمرين هامين :

أولاهما ، خلق ما يسمى بالمقاول الخير «Benevolent Employer» الذي يرعى الله والوطن فيمن

وكل إليه من مواطنين يعملون تحت إدارته كعمال ، يشرف على مصلحتهم المادية والمعنوية ، فلا يبخس عليهم بالأجور العادلة ، ولا يرهقهم بالعمل ، ويهيء لهم أسباب المعيشة المحترمة في بيوت صالحة ، وأسباب للمرافق ، ويوفر لهم كذلك أسباب الحياة الصحية والثقافية ، إلى غير ذلك مما يجعلهم ليكونوا عمالا أصحاء جسما وعقلا ، رغبة منه في الأقل في أن يكونوا خير أداة لإنتاج أكبر ثروة

ثانيهما ، وضع قواعد للمذهب التعاوني . وهو ذلك المذهب الاقتصادي الاجتماعي القائل إن الثروة إنما هي سبيل لا غاية لسعادة المعيشة . وقد نجح هذا المذهب وأثبتت في كل أمة متمدنة حركة تعاونية تعمل لتحسين حالة شعوبها من الناحية المادية ورفع مستواها الاجتماعي . ولقد كان لمصر نصيب من هذا التعاون جلبه الفقراء

ولا ريب أن العامل الزراعي إذا توفرت له أسباب الصحة والقوة وراحة البال يزيد إنتاجه ويقبل على عمله بنفس راضية ، وقد جرب هذا في مزارع كثيرة في مصر وفي الخارج فأتى بأحسن النتائج ، ولكن مما يدعو للأسف أن الملاك في مصر بوجه عام لا يقدرون العنصر الإنساني حق قدره ، ولا يدركون أن رعاية فلاحيهم تؤدي إلى تحقيق مصالحهم وزيادة دخلهم ، فهم يتصرفون بحكم آفة قصر النظر ، إذ يعهدون الأرض وما عليها من حيوان وإنسان ، أحيانا يتبع سوء أثره بعد قليل من السنين ، ولا تعدو غاية الملاك المباشرة أن يحصل على أكبر ريع مستطاع في الحالة الراهنة وبعده الطوفان

على كل يجب توجيها توجيها آخر حيث يفطن الزراع إلى أن مصلحة أصحاب المزارع والفلاحين واحدة ، كما فطن من قبل أصحاب المصانع والعمال

ثالثا — وجوب إدراك أن الريف هو مصدر حيوية الأمة

في الريف حيث هو منبت الحضر ، ومنه يستمد العناصر الفتية الصحيحة لتحل محل عناصر المدن التي أنهكتها المدنية فقضت عليها بسبب ما فيها من نشاط مجهد وحركة دائمة وعيشة مزدحمة وصحة عصبية ترهق الأعصاب وتهدم القوى وتضعف النسل . فكأنما القرية ينبوع يمد غير المدنية بأسباب الحياة . وعلى قدر قوة أجسام أهل الريف وسلامة عقولهم ومقدرتهم على الإنتاج والابتكار ، يتوقف تقدم المدن واتساع آفاق الجهاد فيها . فرقي الريف يتبعه حتما رقي المدينة وبالتالي رقي الأمة ، وبالعكس إذا ساءت حال الحياة في الريف من صحة وحضارة تبع ذلك حتما انهيار المدنية في المدن ثم في الأمة . ومعناها لا يمكن أن يساوي هيكلها المدني بعد أن جف ينبوع الحياة القادمة من الريف

فينبغي إذن أن نعامل الريف وأهله — مدد الحياة القومية — بأسباب الحفظ والرعاية ، بل وأسباب القوة والتهذيب ، فيتمكن من تأدية رسالته ، وهي تغذية المدن بالعناصر الفاضلة جسما والراجحة عقلا ، تمكينا لها من التكافح في الحياة ، والانتصار في هذا التكافح حتما من نصيب الأشداء جسما وعقلا

رابعاً ـ وجوب وقف تيار النزوح من الريف الى المدن وهو ما يسمونه بالانجليزية Rural Exodus

هناك خطر من نزوح أهل الريف الى المدن طمعاً فيما تسبغه عليهم من رزق أوفر وما تقدمه لهم من متاع المدنية ومباهجها. ولما كان الذين يرحلون الى المدن هم عادة من ذوي النشاط والمقدرة والنفوس الطامحة، فان الريف يفقد كثيراً من حيويته إذا زاد على القدر اللازم لتغذية المدن

لذلك وجب ألا تمد المدن بتلك العناصر الحية القادمة من الريف إلا بقدر، وبقدر معلوم لا يتخطى الحاجة اليه، والا ساءت العاقبة، لأن المدن بطبيعة الحال لا تتسع الا لعدد محدود يشتغل في أمورها، وعندئذ يضطر النازحون إلى البطالة ويصبحون عالة على المجتمع الانساني ان لم يكونوا عوامل هدامة فيه. ومن ثم كان علاج النزوح الى المدن داخلا في الاصلاح القروي الذي يدعونا الى تحسين حال الريف، وتوفير أسباب المعيشة الراضية وسبل الارتزاق وخلق جو للناجح فيه، وبالاجمال تهيئة أسباب البقاء به ليقتنع أهله فيبقوا به راضين مطمئنين

• • •

أما العائق من ترغيب القرية الى الملاك فتلخص فيما يأتي:

أولاً ـ القدوة

ان المثل القائل: «الناس على دين ملوكهم» هو مذهب متأصل في النفوس، فالبيئة الحالية عندنا من رؤوس محركيها وموجهيها تترجمها لا يمكن أن يرتقي منها خير كثير. أما إذا كانت هناك قرية حباها القدر بأن يقيم بها أعيان صالحون، ويكونوا أصحاب رأي مفكرين، فانهم يحدثون فيها أثراً ظاهراً، ويكونون بين الفلاحين بمثابة ملوك صغار يؤخذ عنهم ويقتدى بهم، سواء في اتباع وسائل المدنية أو أسباب الصحة أو النظافة أو طرق المعيشة لأجسامهم ولأسرهم، أو في أساليب الزراعة الحديثة والطرق الاقتصادية المجدية في البيع والشراء. هذا فضلا عن أنهم يتزعمون كل حركة زراعية أو اقتصادية أو اجتماعية تعود بالخير على القرية وأهلها ـ تلك الحركات التي لا غنى عن أن يرأسها امثال هؤلاء الأعيان بما لديهم من ثروة وجاه ومعرفة

ثانياً ـ مصلحة الملاك المادية

لا ريب أن الأرض الزراعية التي يباشرها المالك بنفسه ويشرف على حرثها وزرعها وحصاد محصولها، تكون أوفر خصباً وأكثر وأحسن ثمراً من أرض يهجرها مالكها فلا يزورها الا يوم يقبض إيجارها أو يطلب عليه. فيقوم على زراعتها مستأجر لا يهمه الا أن يحصل منها على أكبر فائدة في أقصر وقت دون النظر الى الابقاء على خصوبة أرضها أو المحافظة على ما فيها، أو يقوم عليها ناظر زراعة لا يهمه الا أن يحصل على مرتبه كل شهر وربما يحصل كذلك على فوائد أخرى قد تكون غير مشروعة على حساب المالك وهو أولى منه بها

ثالثاً ـ مكانة المالك وأسرته

وهي تتحقق بلا مراء من إقامة الملاك في « العزبة » جزءاً كبيراً من السنة ، ففي ذلك يهيء لهم أسباب الصحة والمتعة ويحفظهم بعيداً عن شرور المدن ومتاعبها ، ويكفل لهم الصحة الجيدة والأعصاب الساكنة والقوة الموفورة ، فبينما هم يعمرون ربوع الريف إذا بهم يستعيدون قوة فائتة قبل أن يحسوها في المدن الصاخبة . وها نحن أولاء نرى كثيراً من الملاك في البلدان الغربية لا يتوانون يهرعون إلى مزارعهم حيث يجمعون الأقارب والأصدقاء ، ويباشرون الصيد ويقيمون الحفلات ويحتفون بالأعياد ويمضون في الريف مدة محفوفة بالمتعة والسعادة ، فلا يرجعون إلى المدن إلا وهم يمتلئون حيوية ونشاطاً وإقبالاً على الحياة

وقد بلغ من اهتمام الملاك الأجانب بهذا النوع من الحياة أن جعلوا مثواهم الأول بين مزارعهم وأطلقوا عليه اسم Country seat بينما جعلوا مسكنهم في المدن كثانية لهم فيها وأطلقوا عليها Town residence

رابعاً — الخدمة العامة

إن المالك باتصاله المباشر بالفلاحين كبارهم وصغارهم من أبناء قريته يتعرف حاجاتهم ويشعر بشعورهم ويقدر أحوالهم ويقف على نزعاتهم . فإذا ذكرنا أن الملاك هم عادة وجهاء القرية ورؤساؤها أدركنا فضل ذلك الاتصال المباشر في الإدارة الحكومية وفي الإصلاحات العامة ، فإن المالك يستطيع في تلك الحالة بما له من اتصال بأولي الأمر وجهود في مختلف الهيئات أن يبلغ السلطات مطالب الأهالي ورغباتهم وأن يلفتها إلى مواطن الضعف ومواضع الإصلاح ، فيتحقق على يديه بواسطة نفوذه القائم على الاحترام والمعرفة كثير من الإصلاح والخير وخصوصاً إذا كان المالك عضواً في الهيئات النيابية . أما إذا كان متمتعاً بالاتصال بذوي النفوذ أو حائزاً على شرف العضوية في الهيئات المذكورة دون أن يقيم في قريته ويتصل بالأهالي اتصالاً مباشراً فإن آراءه في تلك الهيئات لا تصدر عن خبرة ومعرفة ولا تصادف ارتياحاً وتقديراً

• • •

كل ما ذكرناه يبين الفائدة من ترغيب القرية لكل من الفلاح والمالك . بقي علينا أن نتكلم في الوسائل التي تحبب القرية إليهما معاً

إن بيان هذه الوسائل على أكمله يتطلب ميداناً أوسع من مقالة ، فإن الريف المصري بحالته الحاضرة يكاد يفتقر إلى كثير مما يحبب الإقامة فيه إلى الإنسان . على أننا نحصر هنا أهم تلك الوسائل ، ومنها ما يتعلق بالهيئة الحاكمة ، ومنها ما يتعلق بالأهلين أنفسهم أعياناً كانوا أم فلاحين ، ومنها وسائل مادية وأخرى غير مادية . وعلى كل حال فهناك أمران يجب أن نشير إليهما في بدء الأمر لضرورتهما باعتبار أنهما في نظرنا عنوان لكل إصلاح في ريف مصر :

أولهما ، اللامركزية

وهي مبدأ أساسي من شأنه أن يجعل كل إقليم بمثابة قطر قائم بذاته ، أدرى بمصالحه وأعرف

بجانبه وأصبر على تحملها وأسرع في انفاذ كل اصلاح مطلوب له . وسيظل الريف محروما من مباهج الحياة ويبقى أهله محرومين من أسباب المعيشة الرغدة حتى يسود ذلك المبدأ ، فلا يتوقف كل اصلاح مهما كان طفيفا وكل عمل مهما كان جزئيا في قرية ما على موافقة السلطات المقيمة في العاصمة

ثانياً ، تعاون الحكومة والشعب

ان الاصلاح الذي تقوم به الحكومة لا يقابل عادة من جانب الأهالي بالارتياح الا إذا كان لهم رأي في وضعه واشتركوا في تنفيذه ، فيشعرون بأنه نتيجة مجهودهم وأنهم مسئولون فعلا عن نجاحه

هذا فضلا عن أنه اذا اشتركت الحكومة والأهالي في وضع مشروع الاصلاح وتنفيذه يكون ذلك أقرب الى تحقيق مطالبهم مما لو انفردت الحكومة به ، وزيادة على ذلك فان إشراك الأهالي في أعمال الاصلاح في الريف يخفف في كثير من الاحيان الأعباء المالية التي لابد من أن تقع على كاهل الحكومة اذا لم يكن للأهالي يد فيها . والأمثلة على ذلك كثيرة أقربها الى الذهن جمعيات التعاون للصحة في بلاد يوجوسلافيا وهي منتشرة في أنحاء الريف تؤدي خدماتها على أحسن وجه ، مما حسن الحالة الصحية عموما في الريف في تلك البلاد ، دون أن تتحمل نفقات ذلك ميزانية الحكومة ، بل أن إدارة وتمويل هذه الجمعيات موكولان الى أعضائها ، وما مهمة الحكومة إلا الاشراف العام وتقديم المساعدات المالية ، فكأن الحكومة والشعب متضامنان في تحسين الحالة الصحية لأهل الريف وكل منهما له حصته الفنية والمالية

أما الوسائل التي تحبب القرية الى ملاكها والفلاح فهي :

أولا ــ هناك أعمال متعددة تقوم بها الحكومة أو السلطات المحلية لخدمة القرى وأهلها كتعبيد الطرق الزراعية وانارتها وتحسينها وتسهيل المواصلات ونشر الامن العام فيها وردم البرك واقامة المدارس والمستشفيات وتعميم الماء الصالح للشرب وغير ذلك مما يعتبر الآن من لوازم الحياة العصرية والتي لا غنى عنها ، فيستفيد الفلاحون منها ويتشجع الأعيان بها على الاقامة في الريف هم وأسرهم من غير أن يحسوا حرمان شيء من هذه الضروريات ، هذا الى جانب توفير وسائل الري والصرف وتعميم أصول الزراعة الحديثة مما يترتب عليه رفع قيمة الاراضي وتحسين حالة الزراعة وزيادة غلتها فتعم الخيرات وتنتعش الحياة الاقتصادية

ثانيا ــ وهناك أعمال متعددة يقوم بها الأعيان وتحملهم على البقاء في القرى مددا أطول ويستفيدون هم منها مباشرة ، وبالتالي يستفيد من ورائهم الفلاحون عموما ، ويترتب عليها زيادة الخيرات في القرى وانتعاش الحياة فيها . هذه الأعمال تمهد الحكومة السبل لاخراجها الى حيز العمل ، إما بأبحاث فنية تعملها بواسطة موظفيها الفنيين ، وإما بأبحاث تجارية يقوم بها ممثلوها في خارج القطر ، وإما بسن تشريع يساعدها على تحقيقها وإما بمنحها امتيازات تشجع على إقامتها ،

وأحسن مثل مصري لمثل هذه الأعمال تعميم مصانع الفاكهة وتنظيم تصريف حاصلاتها في الأسواق الداخلية والخارجية وإقامة المصانع الزراعية المرتبطة بالفاكهة

ويترتب على ذلك تعدد أنواع الحاصلات ، فلا يبقى الفلاح تحت رحمة محصول واحد ، وزيادة الثروة الناتجة عن زراعتها ، وخلق تجارة وصناعة منها تدر الربح على صاحب المال واليد العاملة فتشجع الأول على استثمار أمواله في الريف بدل توجيهها إلى المدن وتشجع الثاني على البقاء في الريف لأنها تعطيه

وهناك أمثلة أخرى في إقامة معامل الألبان ومنتجاتها والمناحل وأعسالها وغير ذلك من حاصلات الريف سواء كانت طبيعية أو مصنوعة . ولا يخفى أن لمصر مكانة ممتازة تهيئها للتفوق في مثل هذه الأعمال نظراً لوفرة المواد الخام ورخص اليد العاملة ومركز مصر الجغرافي وإمكان إمداد الأقطار الشرقية على الأخص بمنتجاتها

هذا إلى جانب ما يجب أن يصحب الأعمال من إقامة القرى النموذجية وإصلاح ما فسد من مساكن الفلاحين وتوفير سبل المسكن الصالح والبيئة الطيبة لهم فيصبحوا رواداً في القرى والعزب لكل ما من شأنه أن يوفر أسباب الحياة الرضية بما فيها من منافع متعددة ومجال شامل

ثالثاً – وهناك ناحية لا يستهان بها فالفلاحون أنفسهم ولا يمكن أن تستقيم الحياة في الريف إلا إذا أيدوها ، فلو أن الحكومة عملت كل ما في وسعها وعمل الأغنياء كل ما في مقدورهم وبقيت الأهالي دون أن يكون لهم نصيب فيما يرمي إليه من إصلاح الحياة عامة في الريف لجاءت الصورة التي رسمت في تصويرها الريف وأهله ناقصة مشوهة

ومن المعلوم أن أهالي القرى ضعفاء بأنفسهم فلا يكاد أحدهم يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ومعلوم كذلك أن في مجموعهم قوة إذا اجتمعت أصبحت عاملاً يعتد به من عوامل التقدم والرفعة في الريف . هنا يبدأ دور التعاون الذي يخلق من ضعفهم قوة ومن قليل ثروتهم كثيراً ، فإذا كان الثلاثة الآلاف نسمة الذين تتكون منهم إحدى القرى ضعفاء في تفرقهم وقلة ذات يدهم ، فإنهم إذا اجتمعوا وتعاونوا حققوا لأنفسهم – جماعة وأفراداً – كل المزايا المادية والأدبية المكفولة للمالك الكبير بفضل ثروته ومكانته . والتعاون هو الذي يحميهم بحوزة من الغش والغبن عند شراء حاجاتهم الزراعية وعند بيع حاصلاتهم ، وهو الذي يحميهم من مخالب المرابين ويحفظ عليهم أراضيهم وحاصلاتهم ، إذ يمدهم بما يحتاجون إليه من قروض قصيرة الأجل أو طويلته ينفقونها على الزرع أو إصلاح الأرض أو اقتناء الآلات والماشية ، فضلاً عما يقدمه التعاون من خدمات اجتماعية مختلفة النواحي ، كإقامة الصالات والمكتبات وإنشاء الملاعب الرياضية وغير ذلك مما يرفع مستواهم ويقرب إليهم أسباب المدنية وما هذا من شئون بلادهم وشئون غيرها من البلاد الأجنبية . كل هذه المزايا المادية والأدبية التي يقدمها التعاون إلى الفلاح تعود عليه بالثروة والهناء

إما أقبل عليه وعمل بمادته وأدى واجبه وتمسك بحقوقه وكان حقيقة مثلا صالحا للرجل المتمدن

• • •

قسمنا فيما سبق موضوعنا الى قسمين : وهما الغاية من ترغيب القرية الى المالك والفلاح ثم الوسائل الى ذلك . وقد يبدو للقارىء أننا أطلنا في الجزء الأول من الموضوع وقصدنا في الجزء الثاني منه ، على أنه سوف يدرك أن الناحيتين من الموضوع متصلتان اتصالا وثيقا وأن كثيراً مما قيل في الناحية الأولى يصح أن يقال في الناحية الثانية فيما كتب عنها في مقالين منفصلين . أما وقد جمعنا بينهما في هذا المقال فيكفي ما كتبناه في الناحية الثانية باعتبار أن الناحيتين مكملتان الواحدة للأخرى

وقبل أن نختم مقالنا يتعين علينا أن نقرر أن الحصة الكبرى من الاصلاحات المشروحة سواء في الغاية أو الوسيلة هي في مصلحة الفلاح . وأن ما كتبناه لمصلحة الملاك أقل مما خصصناه لفلاحيهم . والسبب في ذلك واضح وهو أن الفلاحين هم الذين يكونون السواد الاعظم وانهم هم المحرومون ، بينما الأعيان هم الأقلية وقد أغدقت الحياة عليهم من نعمتها كثيراً حتى علينا أن تكون عنايتنا الأولى بالفلاحين !

ابراهيم سكاكر

كلمات مختارة

• عندما تنظر الى المرآة فترى وجهك ، فكر قليلا هل في وسعك أن تعرف نفسك ؟

(مترلنك)

• المرأة في الحب تفكر في الأبد ، والرجل لا يفكر إلا في ساعة الغرام الراهنة التي يقضيها بجوارها . فالمرأة في الحب خيالية ولكن الرجل عملي

(الفونس دوستان)

• عندما يتحاب شخصان لا بد أن يحب أحدهما أكثر من الآخر ومن المحال أن تجد عاشقين يتحابان بنفس القوة والحرارة . وهذا هو السر في شقاء المحبين

(بول كلوديل)

مرض التعذيب فى الحب

او غرام المصور العبقرى ديلاكروا

> اوجين ديلاكروا من أشهر المصورين الفرنسيين فى القرن التاسع عشر وهو من أقطاب المدرسة الرومانسيكية . وقد تأثر من المصورين الاسبان ولاسيما بأعمال (جويا) و (فلسكيز) وكان من أشد المعجبين بالشاعر الانجليزى بيرون ، وقد جاهد مثله فى سبيل استقلال اليونان . وان ابدع الصور التى تحمل اسم ديلاكروا هى (دانتى وفرجيل) و (عرس يهودية) و (مذبحة شيو) . وفى هذا المقال صورة شائقة لقصة ديلاكروا من خلال حادث غرام كان له اكبر الاثر فى توجيه حياته

من خصائص الحب ان يقترن فيه الخير بالشر ، والفضيلة بالرذيلة ، والبربرية بالانسانية ، والرحمة والحنان والتضحية بالجور والاستبداد والقسوة

وقليل هم العشاق الذين استطاعوا تجريد الحب من عناصره الدنيا وتصفيته لعناصر الخير وحدها وتحريره من شوائب الفطرة المتحكمة فى طباع سواد الناس

ومن الغريب ان الجانب الوحشى فى الحب قد يسيطر على نفس الرجل العظيم اضعاف ما يسيطر على نفس الرجل المتوسط او العادى ، وعندئذ يصل اسراف العظيم فى اطلاق الشر بمن يهوى ويتخذ هذا الاسراف شكلا عنيفا مروعا يقضى على فضائل الحب شر قضاء

والواقع ان العظيم يسرف عادة فى كل شىء . فمتى أحب واشتد به الحب جمح الى الاسراف ، اما فى انكار الذات والتضحية ، واما فى ارادة التملك ممثلة فى الغيرة المسعورة بشتى الوان الجور والعسف والاضطهاد

ولقد كان الرسام العبقرى ديلاكروا مثال العاشق الذى سيطر على قلبه واستأثر بحياته وحده ، واوشك ان يقصى حبه لفرط ما شاع فيه من عوامل الشر ونزعات الأذى

كان رجلا دقيق الحساسية ، متوتر الأعصاب ، واسع افق التصور ، معتزا بنفسه ، مؤمنا بعبقريته ، مصابا بشبه سل فى الحنجرة يصيبه ويكدر عليه صفوه ويدفع به الى سرعة الانفعال وسرعة الغضب وسرعة التبرم بالمجتمعات ولا سيما تلك التى يشغلها النساء

وكان مولعا بسيدة تدعى جورجيت دى لافاليت أحبها وهو يشعر بالهوة السحيقة التى تفصل بينه وبينها . أحبها وهو يخشى الضعف المستمر فى قوته والوهن المتصل فى بدنه والمرض الخبيث الآخذ بخناقه والرغبة الجامحة فى اعتناق الحياة قبل ان يحتويها الموت ويحيا فى ظلماته

وكان ديلاكروا احيانا يعذبه المرض وتخذله الكبرياء

يلمس عبقريته الخارقة فى روعة رسومه فيزداد حنقا ويزداد ملا ويكتنفه الخجل من ...

والخجل من حميته تتصف به الكبرياء الى حد الجنون فيلوذ بالوحدة ويستغرق الأيام الطوال في صمت عميق . ولم يكن له من عزاء في هذه الحياة الشقية غير جورجين

وكانت امرأة نادرة ممتازة خليقة بأن يعشقها عبقري

كانت سيدة بسيطة المظهر وديعة الخلق صافية المزاج موفورة العطف بالغة الرقة عميقة الحنان . هامت بالمصور حبا وآلت على نفسها ان تجود بكل شيء في سبيل اسعاده وان تخلع عليه من حبها ثوبا من العافية يستره مرضه ويرد اليها على مر الزمان سلب قوتها عهد العزم والايمان والشباب

وحمع ديلاكروا السحر ، وراعه منها اخلاصها الشديد له ، وافناؤها المطلق به ، وحرصها العجيب على طاعته ، وسعيها المطرد للتثقف والاطلاع رغبة في فهم اسرار فنه والاشتراك معه في تصوراته واحلامه ، ومحاولة الانسجام التام في شخصه ساعة الابداع والخلق

وكانت بطبيعتها امرأة ذات سليقة فنية وقادة تأخذ عينها ملامح الجمال لأول نظرة ، وتتبين لفورها مواطن الضعف في الاثر الفني ومواحي القوة بل ان الالوان المختلفة واساليب المزج بينها والظلال الثابتة واشباه الظلال وطريقة الجمع والتوفيق بين لمحاتها ، والروح والفكرة والغاية والمعنى ، كل ذلك كانت تبصره في اللوحة الفنية وتعرف كيف تعبر عنه وتعلق عليه وتبسط في شرحه بدقة ووضوح يعجز عنهما الناقد الاخصائي . عرفها ديلاكروا قدرها واحس منها اسجابة روحية نادرة ، واحب فيها المرأة التي اعطاها القدر واودع الله فيها جمال الانثى وقدرتها على التضحية ، مع جمال عقل الرجل وقدرته على الملاحظة والتفكير والادراك

وكانت جورجين تفكر في هدوء ، وتتأمل في صفاء ، وتتحدث في رقة ، وتبتسم ولا تضحك وتبتهج ولا تمرح ، وتعاتب عند الاقتضاء وتبكي بدون حدة وبدون قسوة وبدون اى حنق أو اية عصبية ، وكانت ماهرة كل المهارة في الصبر على نزوات الرجل واحتمال تقلبه ومسايرته في اهوائه والعمل على مشيئته واقناعه بأنه مصيب لأنه سيد ولن ليس على السيد الا ان يأمر كي يطاع

والحقيقة ان جورجين مثلت اقصى ما يمكن ان تبذله امرأة في سبيل الرجل الذي تحب

وفي هذا يقول ديلاكروا في احدى رسائله البديعة اليها : « لقد غمرتني عطفا وحنانا وطوقت عنقي بجميل لا استطيع ان اسدده ابدا

« ان حبك يشرق على حياتي كشمس الربيع ، وسمو اخلاقك يرفعني في عيني نفسي ويعصم شخصي في اعتبار الناس ويطهرني من ادراني ويحضني على ان احيا حياة من الفضل الأصيل

« لقد احببت فيك شتى خصائل الحسن البشري مجتمعة ، وما انا بجدير بك . ولن اكون حقيقا بحبك الا متى جعلت اخلاقي في مستوى هي من حيث العصمة والنقاء والخدمة الانسانية الخالصة لوجه الحق والخير والجمال . وانه لسواء عندي ان احيا الآن او اموت فقد اصبحت عيني رأسي مثل الصبية الاعمى واصبحت مثل اليسوع غروبت منه عيني ظمأى ولكني فنان وطبيعتي اقوى

مني ومهما ارتويت فلا بد ان يتجدد ظمأى ، ولذلك اريد ان اعيش ، اريد ان اعيش قربك وعلى مشهد منك وفي ظل حنانك الوارف ، فقلبي ضمآن اليك واعمرى لي حبي ! . . . »

وهكذا انطوت جورجين في شخصية ديلاكروا ، فنيت في عبقريته ، لم تأنف من مرضه ، خففت عنه عنته ، طردت من نفسه محنة التأمل ، ردت اليه كرامة روحه ، وادته ثقة بموهبه ، لم توجه اليه في ساعات غضبه أي لوم ، لم تصدر عنها اية شكوى ، فانا مثل بها المغرى وكيف احبها وكيف قدر ولاءها التقدير المثل الصحيح ؟ . . .

أقبل عليها أول الامر بقلب صحيح وعاطفة مبتهجة وروح نشوى وعقل عبر مشدوه يكاد يذهب به الفرح من فرط السعادة . ثم تمكن منه الحب ، ثم برح به ، ثم استأثر بنفسه واتصل بحبه اللهيب المضطرم واستحال حبه من الايلام الى رغبة عاتية في التسلط على المرأة والقضاء على شخصيتها وتعذيبها بمختلف الوسائل وعلى شتى الصور ...

وكان ديلاكروا لشدة حبه يتوهم أنه عاجز عن خلق مثل هذا الحب في نفس جورجين . كان يعتقد انها لا تحبه بقدر ما يحبها ، وكان يتناسى الادلة الرائعة التي قدمتها له ويمعن في التعذيب ليرد شعوراً مؤلماً وشعوراً بأنه هو السبب في هذا الألم وانها محبة له راضية به تحبه حبا

وتطورت به عاطفته وأصبحت لذة الحب عنده مشوبة بلذة التعذيب ، لقد بات لا يشعر بالحب إلا وهو مقترن بلذة التعذيب أي بأعراض ذلك المرض المعروف لدى الاطباء باسم « السادزم »

فكان يحرم على جورجين الاتصال بأصدقائها ، ويلومها على أبسط هفوة تصدر منها ، ويعد عليها أخطاءها ، ويحاسبها على كل نظرة أو اشارة ، ويتعمد اثارة أعصابها ، ولمعاملة كرامتها ، واستفزاز غضبها ، كي تخرج عن طوقها فتبادله ثورة بثورة وحقداً بحقد ، فينقض عليها ويتظاهر بأنه يهم بضربها ثم يحتضنها ويوسعها ضما وتقبيلا شاعراً بما في هذا الحب المقرون بالتعذيب من لذة كبرى

وكان على حد تعبير الناقد الموسيقي شاسرو في كتابه عن حياة ديلاكروا ، يحس كلما عذب جورجين انها ازدادت قربا منه واندماجا فيه وابتعاداً عن سواه وانه أصبح بالفعل سيدها

والغريب في أخلاقه أنه كان يطلبها ثم يتركها صبره فيبسم ولا يكاد ينفصل عنها ويرجع الى داره ويأوي الى مضجعه حتى تطوف خيالها بنفسه فيبكي ويمس شعبه حتى يدميها ثم يهب من فراشه ويسرع الى مكتبه ويأخذ في تدبيج خطاب يعتذر فيه عن ذنوبه ويعيب الى شدة غيرته وعظيم حبه ، ثم يطلب الاعفاء عنها ويستجدى الصفح ويقسم كالطفل أغلظ الايمان بأنه لن يعود الى مسلكه القديم مرة أخرى . والحق أنه كان يجاهد ليتحرر من مرضه . وهذا الجهاد يتمثل في الرسالة الآتية التي بعث بها الى جورجين عقب ان أمعن في تعذيبها ذات يوم

« لا أعرف كيف أفر من نفسي ! أنا وحش في صورة انسان ! كلما أحس كلما فكرت انك بطهرك وصفائك عجزت عن تبديل خلقي ، وأن صفاتك أحدثت في نفسي عكس ما كنت أنتظره

منك . هذه الفكرة توشك أن تأتى على ؛ لأنى إذا كنت لم أوفق وأنا بجوار امرأة مثلك الى تحقيق الكمال النفسى الذى أنشده فأى مخلوق فى هذه الدنيا يستطيع بعد ذلك أن يهدينى ! لا تيأسى والا أيأستنى ! لن أقنط . سأجرب . سأحاول . وعدا ، غدا ، بعد غد سأعمل كل شىء فى . لن أمسك بسوء .. لن أخدش مسمعك بعبارة جارحة .. لن أتكلم . سأجلس اليك صامتا وأظل أحدق اليك حتى أن ألهم سر جمالك وأستطيع بعد هذا الشقاء الطويل ان أستمد من عينيك ما أنا فى حاجة اليه من نور الصفاء والطمأنينة والراحة والاستقرار »

وكان لا يلبث أن يكتب مثل هذه الرسائل ويعود الى جورجين ورآها كاملة الخلق بديعة الجمال ، حتى تحتجب به الغيرة ويحاوره المرض ويلهب فيه من جديد ارادة التعذيب

وكأنه كان يخشى أن يفلت منه كل هذا الجمال ويصبح فى لحظة من اللحظات ملكا لغيره ، فكان يعجز عن كبح غيرته والتغلب على نفسه والتجرد من عوامل الشر التى تمكنت منه

ومع ما احتملته المرأة منه وعلى الرغم من كل ما صبرت عليه فى سبيل حبه فقد أقدمت على عمل عظيم تجلت فيه حقيقة شخصيتها

اعتقدت جورجين أن داء السل المصاب به ويلاكروا هو الذى يدفعه الى التنكيل بها

توهمت أن رغبته الجنونية فى تعذيبها وإذلالها ناشئة عن احساس خفى فى نفسه بأنها لا يمكن أن تخلص فى حب رجل مريض مثله وأنها تنوء عليه الحب وقد تهجره يوما

لماذا نسيت هى وكيف قالت جورجين ؟ عرضت عليه فكرة الزواج !

عندئذ تغير غبطا واستشاط غضبا واحتبل حنقا وحسرة ، لأنه فى الواقع لم يكن يغار عليها ويعذبها لاعتقاده بأنها تنوء عليه الحب رحمة به واشفاقا عليه من وطأة المرض ، بل كان يغار عليها ويعذبها لأنه كان لا يطيق ـ لفرط اعتداده بنفسه وزهوه بعبقريته ـ الشعور بأنها من حيث الحياة النفسية أرقى منه وعبقرية مثله . فلما عرضت عليه الزواج بعد أن ساءها من ضروب الخسف ألوانا ، ضاعفت احساسه بتفوقها الخلقى وولدت فيه شعورا بالمهانة والضعة وألمت الفارق العظيم بين شخصيتها وشخصيته ، فثارت به كبرياؤه ورفض الزواج منها !

رفض الزواج من جورجين وأدرك فى الوقت ذاته أتم ادراك وأبلغه حقيقة نفسه التى كان يجهلها وجوهر نفس المرأة العجيبة التى أحبته ! أدرك انه مهما فعل بها ومهما عذبها فلن ينزل بها عن عرشها ولن يدنيها منه ولن ينقص من كمالها شيئا

أدرك انه مهما اضطهدها فلن يتمكن من التفوق عليها ، وانها ستظل أفضل منه وأنبل وأسمى ، ويظل هو العبقرى ألهمها عاطفة تائها وضيعا ، أضأل وأحقر من أن يستطيع التغلب على ميوله الشاذة ونزواته الدنيا والارتفاع بخلقه وعواطفه الى مستوى عبقريته

وزاد ذلك اشتعال من سيئاته وارتد اليه عقله وتمثلت له فى هدأة التأمل أعراض مرضه المزدوج .

السل ينهش صدره ويتصاعد من رئتيه الى حنجرته ، ومرضه التعذيب في الحب تمشي في عصبه ووجدانه وتصب قطرات السم في كل لحظة من لحظات سعادته، فأيقن أن جسمه ونفسه كانا فريسة المرض ، وأن ليس في العالم امرأة يمكن ان تحبه وتفنى وتخلص له اخلاص جورجين

وتحت تأثير هذه الفكرة التي استقرت في نفسه واستحوذت عليه وأحاطته شتى الهواجس، جاشت في فؤاده عوامل السخط على نفسه واستنكار سلوكه والندم الصادق على ما فرط منه ، فتملكه شعور قوي بالخجل والعار ، على الاستبداد بامرأة صبية ملكت « كل شيء » فتوسلت منه بالجحود

ولما أمعن في التأمل وتأمل في تلك الاحساس بالعار وسمرت في عينيه شخصيته وشرع يتعذب ضميره ، وأزحها تحت تبكيت الضمير ، شعر انه لم يعد في مقدوره رؤية حبيبته والتحدث اليها والتطلع الى وجهها الشاحب الحزين ، فاستجمع قواه وألهب ارادته وودع حياته وغادر باريس الى ضاحية قروية هيئة ، وهناك حبس نفسه في داره وعكف على رياضة مرضه ، وكتب الى جورجين هذه الرسالة الخالدة ، رسالة الحسرة والتوبة والتكفير :

« لقد أحرمني المرض يا حبيبتي فلم يعد في وسعي التحدث اليك !

« ان الصدر الناشئ أخطر على بدني ولكني أنا الذي أجهزت على نفسي بيدي ! . .

« كيف لم أشعر بقدرك أيتها الساحرة المتمردة ، وأبدع مثال صنع الفن من صخرة الوفاء !!

« كيف لم أحبك كما كان يجب ان أحب ! كيف لم أفهم انه كان في وسعي لو كنت قد طهرت قلبي على يديك ان أطهر فتى أحب وأسمو به الى ذروة الكمال التام في حبك ! . .

« ولكني كنت أنانيا ، أنانيا متكبرا صلفا مغرورا ، سقطت اليه السعادة بيدها الناضرة ، فأعرض عنها وتركها تسقط ! . .

« آه لو رأيتني الآن . أخشى أن تشمئز نفسك مني وتعاف عيناك النظر الي . ان المرض أنهك قواي وشوه وجهي وقوس ظهري ومحق صوتي وأحالني هيكلا عظميا يحث الى القبر على مهل !

« لقد انتقم لك القدر يا حبيبتي فهأنذا انتقمت وأنا أستحقه ! ولكن اعتقدي اني لم أسيء اليك بمحض اختياري ، لم أكن مسؤولا عما صدر مني، هو حبك الذي اعمى بصيرتي وساقني الى الشر بالرغم مني ! .. فهأنذا انتقمت ادا شئت أو ارحميني ان عرفت ان حرصي هو برهان حبي !

« لن أراك بعد اليوم ولكني لن أنساك ما حييت ! سأعيش في صوتك الساطع وظلك الحي !

« سأعد فيك حلاوة صافية حبك، ولكني لن أشقيك بوجودي، لن أفرض عليك النظر الي، فأنا نفسي بت أفزع من رؤية نفسي ! . . ستكونين سعيدة ، كوني سعيدة مع سواي ولا تحملي في المستقبل بصمة الذكرى ! . . أقبل يدك في احترام وأودعك ! »

وكانت هذه آخر رسائل دبلاكروا الى جورجين دي لافليت

سجل الأيام

عرض عام لشؤون الشرق العربي ومسائل السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

شئوننا الداخلية

وقالت الاحزاب نحن عصر الدستور وأحكامه واجمعوا أمرهم على أن يحتكموا اليه فصرفت النصوص وتناول الفقه أسباب الهوامش وأوحى اللاهوت الى أهله ما أوحى ، وقضى الأمر فاذا مجلس النواب ملحق بمجالس لهم من قبل امثاله ما أصابها . هنا وفي كل بلد آخر يدين أهله بالانتخاب

ويقف ابن البلد صاحب الشأن فيما يجب ان ترى اليه الحكومات ويتلفت قائلا : اين دهشت القوانين التي وعدوني باشتراعها لفائدتي ؟ وأين النظام الذي يؤدي الى الحسب عما أنفق من اموالي وماذا يراد بي ؟ أألغي الفرق بين حطاب تسمى اليه ومعقل يمرّه سواي ويرويه لي حتى آمنت وحسن ايماني ، فتمت الحلف الدستور وأناطت بالسلطة التي زعموها حقا مستمداً مني فاذا ما تم لي الأمر مكتوبا على الورق جاء من أمني وحسبوا في منزلة اعلنت عليهم وعلى اعدائها ما اعلنت ، فاخذوا يؤلفون اللجان ويتنكرون للشروع أثر المشروع ويحكرون في صرائف يمحونها مرة ويثبتونها مرات وانا اعلل النفس بالنجم للنقل وبالفردوس يرد حد ضياع حال وصه

ثم لا أنفك ان الفاعا بانتخاب اكتوي ناره وقروحي لا تزال دامية من آثار نيران الانتخابات الماضية ؟ وهل يرجى الخير من انتخابات تحصل في عنفوان الانفعال السياسي وفي ابان النضال الحزبي ؟

وهنا الذي شرع معركة الانتخاب وهو جالس على كرسيه في مقر داره بعيدا عن العالم المشاهد قريبا من الورق والدواة والمكتب ، هل خطر في باله أن يشاهد الانتخابات ويحضر مجالس التصويت فيرى الناس يبادرونها بالشهوات والتعصب والغاية الدنيئة وبكل عواطف ابن آدم ما عدا التجرد عن الهوى وتحكيم العقل . فيخرج الغالب والمغلوب مروحها من معركة من معارك الحرب . فاذا قصر جماعة أن لا يسارعوا امرهم هناك لأنهم يخشون زعيم متفوق على ارادته . اما بالاصباع أو الامتناع فيكون هو المذهب وهم الأدوات ، اذن ما هو الغرض من الانتخاب وما هي حكمته ؟

ويعود ابن البلد الى ذاكرته فتعود له الأحلام القديمة لما كان عامر القلب عامر الايمان بالمبادئ .

الاربعة عشر التى هجمت على الرئيس ولسن فأفرت خوته وعصفت بمجهوده علم يعير ويبدل ويطلب ان يتولى امره بيده . ثم يعود الى ونجع لمره فيرى انه لا يزال حيث بدأ لم يعد أدراجه خطوة أو خطوتين ، وان ما ضحى به كان فى سبيل غير قليل كرم جرى ، استولى على الضيعة ولم يترك له من الشاة عظامها

ولكنه على شىء غير قليل من طبيعة الناسكين وقد علمه الدهر ان لا عاقبة عنده من التدمر وان الصبر مفتاح الفرج وانه ان كان مغلبة هذا اليوم فقد كان مغلبه لغيره من قبل ، وهكذا الى ان يتاح له فبرق اما يرى عينه ويسمع بأذنه ويشعر بحسه فيعمل على ما فيه خيره

وها هو انه فى البيت الى جانبه ولكنه لا يزال يابسا قليل الحرص تأكلت الحياة حسن الظن بالغير سهل الانقياد ضعيف الخلق . فى اليوم الى أن يتشكل وحوله يجير الله من حال الى حال . فقد تعود اليه تقاليده وما ألفه وورثه من آبائه وأجداده حكومة يجهلها وتجهله فتأخذ منه وتعطيه وتعمل به ما يعمله هو بأهل بيته ومن هو دونه وكما يعمل به من هو فوقه . مرغما من ثم لا الدست قد لا ينطبق على نظرية جان جاك روسو أو مبادىء بنثم أو أعمال بيبى كما جاءت به الانباء من وراء البحار ، ولكنه يطابق هوى حسه ويمهد له طريقا يعرف أين خطواته بها

• • •

الملكية الصغيرة

أما وقد قدر لنا أن ننتقل من أوربا كل أمر نحترمه فى حياتنا السياسية فهلا يحسن أن نأخذ منها نظاما آل الى تحسين حال رجل الشارع هناك وقد جعل نظامنا الاجتماعى أقوى دعامة وأعمق بنيانا

ذلك النظام المؤدى الى الملكية الصغيرة لتشجيع ما هو موجود الآن وخلق ما هو غير موجود فانه لا يخفى أن الطبقة المتوسطة وما دونها هى قوام الأمة . هذا شىء معلوم بالكلية يكاد يمس باليد . فاذا انا شجعنا الملكيات الصغيرة وحصناها ـ ماذا أقول بل اذا اذا خلقنا عدة ملكيات مهد السبيل لعدد غير قليل من الزراع أن يقتنى أرضا تتراوح بين خمسة من الأفدنة وعشرين فدانا يكون قد أوجدنا فئة مكتفية يلبس أفرادها حذاء فى السنة أو حذاءين وعمة أو عمتين وبلدة أو بلدتين ، وهو لا سبيل له الى شىء من ذلك الآن . فضلا الى جانب هذه الملاحة ملكيات أخرى صغيرة تنبه الأحذية والأقمشة وتتداول الأيدى النافع فتقوى ملكة الشراء عند عدد غير قليل من الافراد ـ وهذه هى الطبقة التى أشرنا اليها . وأما الملكيات الكبيرة من ناحية وعددها قليل والفقراء المدقعون من ناحية أخرى وعددهم لا يكاد يحصى فنظام لا يجدى فى القومية شيئا

فاذا اصطدم بالغنى ينفق على دخله فى غير فائدة المجموع ، ينفقه فى غير الضرورى ـ فى أثاثه الظاهرة فى القصور والدور ، وأعمال مالية يعرق معظمها خارج البلاد . والفقير براه الى الحيوان أقرب منه الى الانسان

وهذه حال عرفها القوم في فرنسا وفي سويسرا وفي بلجيكا ، فأسسوا نظامهم الاقتصادي على تكوين سلسلة فقرية قوية تحت أقواما أشداء . وليست هذه السلسلة إلا الطبقة الوسطى ومن دونها من زارع وتاجر وعامل . يكثر عددهم ويزيد فتصبح الأمة في مجموعها على شيء من الراحة الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية والسياسية فيستقر النظام وتبلغ الأمة أشدها

هذه أمنية حسبنا لو أعارتها الحكومة اهتماما جديا وما ذلك بعزيز على رئيس الدولة الحالي فإنه مشهور عنه النزاهة والترفع عما يشين والرغبة الصادقة في إنهاض مجموع الأمة المصرية

فالضروريات قبل الكماليات . هذا مبدأ لم تتغير حقيقته في كل الأزمنة الماضية ، ولا يزال مرعى المناسب حتى الساعة . فتخفيف الديون العقارية عن كاهل الملاك قد يكون في فائدتهم ومن المشكوك فيه أن يكون في فائدة المجموع الاقتصادي ، ولكن توزيع ثروة معقولة على عدد كبير من الأهالي لأمر نفعه أكيد وأثره في الحياة العامة جيد

■●●

شيء جديد في رومانيا

وليس من جديد تحت الشمس . فقد جاءت الأنباء أن رومانيا قد خطت خطوة إلى الوراء فصار رئيس وزرائها رجلا من رجال الدين ، بل الرئيس الأكبر في الكنيسة الأرثوذكسية فيها

ولقد كاد العالم ينسى أن لرجال الدين مجالا في حلبة السياسة فقديما كانوا الكل في مختلف شؤون الدولة . فمنهم يتولى أمورها جهرا كأئمة السياسة في كل العصور ريشليو ومنهم من وراء ستار . ثم طغت الموجة اللادينية على الأفكار عقب الثورة الفرنسية فأبعد رجال الثوب الكهنوتي عن كل ما له مساس بالدنيا ، واقتضى هذا الأمر جهدا عنيفا وكفاحا حربيا لا يزال أثره باقيا حتى الآن في الجمهورية الفرنسية . إن في هذه التجربة الرومانية شيئا يثير ذكريات السياسات الأوربية القديمة . فقد مر على هذه القارة زمن كان رجال الكهنوت فيها يحتكرون الدنيا احتكارهم للآخرة — فالفلسفة والعلم والسياسة كانت تكون وقفا عليهم ، فلما تغيرت الأفكار وبدلت العقائد أقصوا عن مواطن العمل الدنيوي وانصرفوا إلى ما هو أنفع ، فإنك لن تجد مهما جهدت عملا يفوق أعمال الرهبان ومن إليهم في تنظيم شؤون التدريس والتعليم في تهذيب العقول والنفوس فليلزم هؤلاء المنقطعين عن العالم المنصرفين إلى ما خصوا أنفسهم به

وقد يلوح لبعض الناس أن مجال رجل الدين في غير حلبة السياسة . وهذا خطأ مبين فهم بتجردهم عن الروابط العائلية يصبحون أكثر استقلالا في الرأي لا تحكمهم شهوة المال أو البنين ويتجردون للخدمة ويتسع لهم الوقت

وقد نبغ منهم نوابغ لا يزال ذكرهم بين صحف التاريخ وعبره

على أن أعظم الأمثلة قائم في روما حيث يبسط الفاتيكان رواقا من السيادة العالمية لا يعرف الناس

لها مثيلا . فأين هذه الادارة العظمى التي يجمعونها الكنيسة الكاثوليكية لأدارة ثبتت على الدهر وامتدت جذورها وعمت وجمعت العالم ولا تزال موية اليوم قوتها فى شرخ شبابها تزول العروش وتدول الدول وهى ثابتة لا تتزعزع

على أنه من الخطأ فى المنطق أن نأخذ بالقياس

فروما غير رومة . وقد يكون طريرك الكنيسة فى موطرست رجلا عظيما ولكنا موحنا بالحفر وحلف مهمة لترى وحكم فانهم مستنيفون الى أحلامهم يصوبون كل أغراضهم الى تلك ...

فاذا ألف جونا وزارة قالوا سيكون ذلك دكتاتوراً . واذا أقلت وزارته أو استقلت وجاءوا بالطريرك قالوا ان القول هنا ، نصرنا أميل الى الاعتقاد بأن ملكهم هو صاحب الكلمة العليا وقد يكون هو معبراً عن رأى الجيش مرة وعن رأى معلم ليسكو مرة أخرى

• • •

والمشكلة الاسبانية

على أن هذا الغموض الذى شاهدناه فى رومانيا يكاد يعم العالم الاوربى كله . فتونا المشكلة الاسبانية . ما هى ؟ وما هو حقيقة التدخل وعدم التدخل ! وهل يساعد الفرنسيون حكومة اسبانيا مساعدة موسولينى أنصار فرنكو ؟

وهل رأى العالم فى عجب ما يرى دولة ترسل جنوداً تنصر فريقا على آخر فى حرب أهلية . فاذا سئل رجال الدول فى ذلك أنكروا الامر الواقع وظلوا يرسلون العدة والعتاد . فهذه عقدة محكمة الربط لا نحلها . وانا نتحدى أى رجل عادى أن يقول لنا الحقيقة فى أمر اسبانيا . أما الرجال غير العاديين فقاطنون بين جدران بعض القصور يدبرون ويتآمرون . وهذا ما يسماه الزعمون بالديموقراطية عليها

يقولون لها إنك تزعمين أن الحكم للجمهور ، وأن الأمر أمره فى كل الشؤون فما بالك تسلكين سلوك الحكام الآمرين الناهين يدبرون دفة السياسة فى الشعب من وراء ظهره ؟ وما بالك تأخذين أحلامه فتدبر الامور سرا ولا تتسرب حقيقة الأخبار الا عشار يقطر حدمة المعاودة حينا وتحديراً للرأى حينا آخر واستعبراً لخاصة العامة أحيانا كثيرة . فيصبح الرجل العادى ان السائل فى معرفة الحقيقة وهو الذى يؤدى فى آخر الأمر نفسه ونفيسه فى سبيل هذا النزاع ؟

اما كان أجدى وانفع وانت انت الديموقراطية القائمة على مبدأ حكم الشعب من الشعب والشعب بالشعب أن توضحى ما اختفى وتظهرى ما خفى ليعلم هؤلاء المعطلون فى أى سبيل هم سائرون

لقد كان على حق ما جعله حق ذلك للكبير صحبه الديموقراطية الرئيسى ولسن عند ما أهاب بالأمم أن يجعلوا الرجاء السرى فى المحادثات السياسية وأن لا يكون هناك شىء اسمه مفاوضات سرية أو معاهدات سرية

فلو تيسر للانجليزى ان توضح له حكومته حقيقة الوضع وتقول له : قد قام موسولينى فى آخر

الأيام بأرعنت سيادتك على البحر المتوسط فيقطع شرايين الامبراطورية ويمنع عنك الغذاء ويحرمك من امبراطورية ملكت النفس وتنال في مآبك حدود رجلا عاديا ينتمي الى دولة من الدرجة الثالثة

فقد يزمجر ويضحي بكل شيء في سبيل المحافظة على ما ملكت يداه وقد يهز كتفيه ويقول : ما لي وللامبراطورية فأنا لا أزال كما كنت منذ قرن وأكثر من قرن أعمل ليومي ولا أضمن عشاء لغدي ، والذين أفادوا من عظمة الامبراطورية جزء صغير من مجموع ما أغنت الامبراطورية عن فقره شيئا

أو قدر الفرنسي ان تخاطبه حكومته قائلة : ها قد أصبحت لامبراطوريتك الغربية في خطر الضياع ، وكذلك كل ما جاء جنوبا وشرقا حتى مدغشقر والصين الهندية . فماذا أنت صانع ؟

فقد تغلب عليه النزعة الاشتراكية المتركية ويضرب مستعمراته عرض الحائط قائلا : دون بلادي تتسع لضعفي ما بها من السكان يعيشون عيشة في رغد ما بعده رغد . أو تأخذه العزة بالروح العسكرية فيأبى أن ينزل عن شبر من أرض سفك دمه في غزوها

سواء أكان هذا موقف ابن السبيل أو ذاك فلا حكومته تطلعه على ما يدبر له ولا وقته له ليبذله في سبيل ما تناقض من الاخبار والروايات

ولقد صدق القائلون ان الجوهر في حكم الشعوب هو هو منذ الأزل والى الابد ، واما العرض فيتغير ويتكيف . فاذا انت ادركت هذا الحل وهذه جوامع الكلم من قاموس السياسة لم يبق لديك ما تستهوي به الجماهير

● ● ●

نبأ من بعض الجهات الشرقية

ذكرت الصحف ان وزارة فرنسا الخارجية ارسلت الى ممثليها في لبنان تمنعهم من التدخل في شؤونه الداخلية وهو عمل يقاس بشيء غير قليل من الحكمة . على اننا نشك فيما اذا كان المغرمون بالتدخل هم دون الوظائف في لبنان

فقد أسعدنا الحظ في هذه السنة ان زرنا لبنان مرتين فعدنا معتقدين اعتقادا لا يأتيه الباطل بأن الزعيم الجالس على العرش الرفيع ببكركي والبطريك والذين حوله من رجال الدين والدنيا لخير ضمان لحرية لبنان واستقلاله وكرامته . وليس بدعا ذلك فقد كانوا هكذا من قديم الزمان ولا يزالون على تقاليدهم الكريمة حتى الآن

فاذا ما أشرب رجال الحكومة الوطنيون تلك الآراء الروحية وأصبحوا خير تلاميذهم ، اذن لاستقر الأمر للحكم الوطني في لبنان ورفرفت أعلام الحرية الملية والاقليمية

سامي الجريديني

متحف اللوفر

وأجمل آثاره الفنية

متحف اللوفر قصر فاخم أنشأه ملوك فرنسا منذ ردح من الزمن، ويعد من أجمل وأوسع الأبنية في أوروبا. تمتد واجهته زهاء نصف ميل، وتحيط به من جميع الأرجاء حدائق منسقة غناء. يطل هذا المتحف على نهر السين من ناحية ويطل على طريق (ريفولي) [illegible] أنشئ تذكاراً لإحدى المواقع الحربية من ناحية أخرى. وواجهات هذا القصر من أبدع ما أنتجت فنون الهندسة وتناهى في تصميمها وتنفيذها كبار الفنانين، وتبارى في ترتيب التماثيل والنقوش فطاحل المثالين.

ويضم المتحف بين جنباته أثمن ما ورد العالم من آثار كبار الفنانين، وقد تسابق بعض الملوك في إمداده بما في حوزتهم من تحف، وسلبت الشعوب الأخرى مما يملكون إن طوعاً وإن كرهاً كما حدث في أيام الثورة، وحدث له الجيوش الفرنسية الظافرة في فتوحاتها في إيطاليا وألمانيا وروسيا ما وقع في أيديها من أثمن الصور وأبدع التماثيل وأثمن التحف، وكانت جميع الدول في عصور مختلفة من التاريخ تحل بروسه بهذه التماثيل، حتى جاء آية فريدة في نوعها ووحيدة بين متاحف العالم.

والطابق الأول من هذا المتحف خصص للآثار الإغريقية والرومانية من تماثيل وتحف مختلفة في مادتها من برونز وحجر ومرمر ولكنها تتفق في مظهرها الرشيق وروحها الفائقة كما يبدو في تحت ثنيات الملابس التي تشف عن أجسام ساحرة التكوين تشهد بحب الإغريق للمثل العليا للجمال الذي خلقته فيهم الرياضة البدنية. فهذا تمثال زهرة ميلو (فينوس) وهو يمثل فتاة فارعة القوام متناسقة الجسم تكاد تظهر في خطوطها سمات الصحة والقوة والجمال، وهو يمثل إلهة الحب والجمال عند قدماء اليونان. وقد وجد هذا التمثال سنة ١٨٢٠ م في جزيرة ميلو ولكن المنقبين لم يعثروا أثراً للذراعين حتى يمكن وضعهما الأول من الجسم بانثنائه في الجذعين ووضعه الأدنى [illegible] من جانبي أبدع نحته أبداعاً يعبر في عبقرية عن عبقرية الفنان. ولا يقدر جمال هذا التمثال [illegible] أمام تلك اللمحة الطبيعية من الشعور بالحياء البادية على وجهه والتي أحدثت قبلا عن صورة الأنوثة

وفي مكان آخر نرى تمثال النصر، الذي عثر عليه الأثري [illegible] في جزيرة (ساموتراس) سنة ٣٠٥ ق. م وهو يمثل جسم فتاة (لأن رأسها وذراعيها فقدت في إحدى الثورات) وقد اشتركت يد الزمن [illegible] فيه من جسم بديع التكوين، وهنا جناحان [illegible] اشتركا مع الأجنحة البادي على الجسم في إبراز الحركة المقصودة، فهو يكاد ينفرق عن قاعدته طائراً. وقد ذكرت وصف هذين التمثالين الإغريقيين من باب التمثيل فقط

وفي ناحية أخرى من هذا الطابق نرى القسم المصري . وهو يكاد يكون صورة مصغرة لمتحف الآثار في القاهرة من حيث ما تحفل به من الآثار التي تمتاز عن سواها بطابعها الخاص وشخصيتها المعروفة . ومن أجلها تمثال (حوريس واوزيريس وايزيس) وهو على صغره دقيق رائع . وتمثال الكاتب القاعد القرفصاء وهو في انصاته ونظراته النافذة يكاد يقرأ ما في الصدور . على انى أرى فيه شيئا آخر يمت الى التاريخ بصلة ، وهو هذا الشكل الصادق لعضلات الجسم التي روعيت به قواعد التشريح مراعاة تذكرنا بتلك النهضات التي كانت تعترى الفن في بعض حقب تاريخ مصر القديم والتي لا شك في ان هذا التمثال هو في عصور ازدهارها

وفي ناحية أخرى من هذا الطابق تماثيل رخامية لأباطرة الرومان وفلاسفة اليونان وآلهتهم

وفي الطابق الثاني من متحف اللوفر نرى تلك المجموعة الفائقة من الصور التي لا يستطاع دراستها في أقل من عام بل ولا يستطاع مجرد ذكرها في أقل من مجلد ضخم . . آلاف من الصور كل صورة منها لا يسهل تقديرها بثمن ، وهل يستطيع قائل وهو معه رخيصة أن يعادل هذه

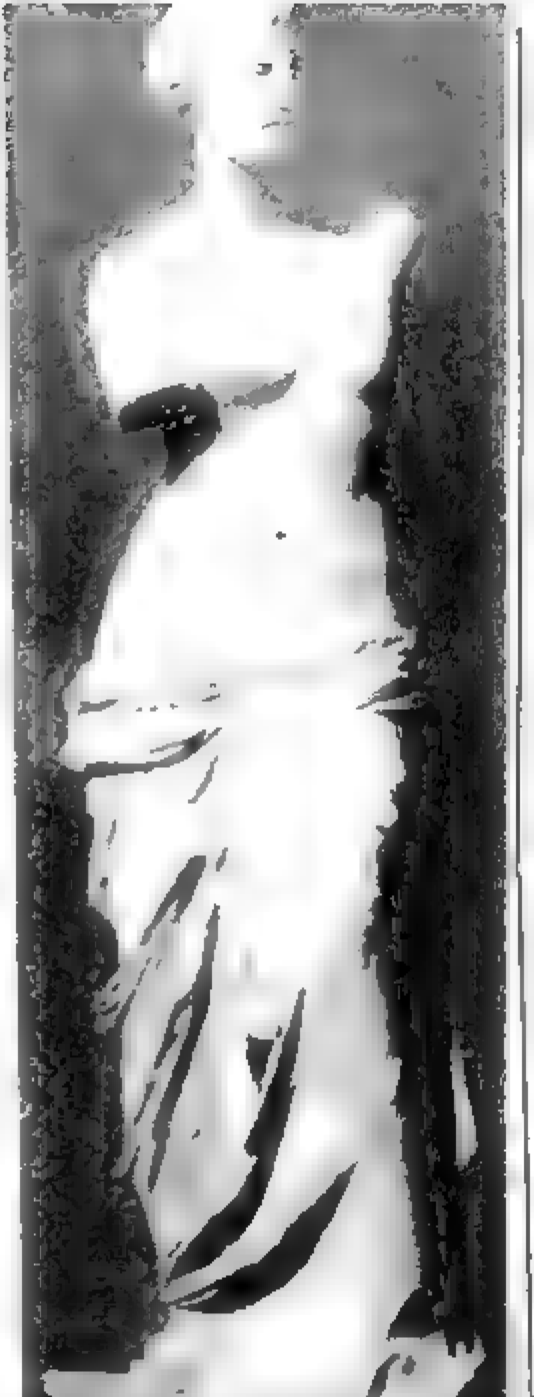

فينوس ميلو
تمثال رمز الجمال .. الاغريقي
يضمه متحف اللوفر

تمثال العصر

يرجع الوهم والذهن طويلا طويلا من الظل ، وترى أسد أمامه ، ومن طراز الآثار الحديثة التي حصل على آثاره الرائعة كثيراً من المال والرواد ، كما ترى في تمثال « العصر » الذي يعد من أروع آثار النحت

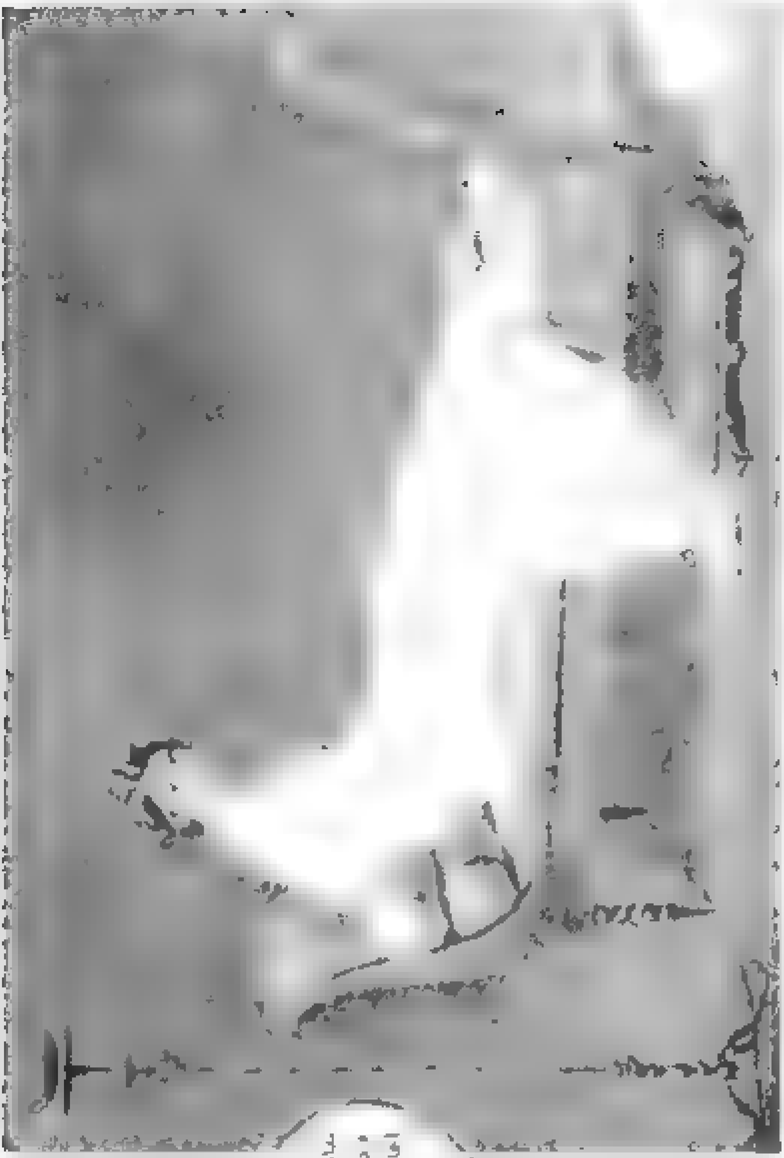

الكبيرة ؛ فبها صور لمصورين قدماء مثل فرا انجلكو وفيليبو لبي وبروجان وغيرهم . وأغلب رسوم هؤلاء يغلب عليها المسحة الدينية ، فقد كان المصورون في تلك العصور أشبه بالرهبان ، بل كان منهم الرهبان فعلا . ومن أشهر التحف في هذه الدار صورة (الجيوكندا) من عمل المصور الشهير « ليوناردو دافنشي » وهي صورة نصفية تمثل سيدة كانت تدعى « مونا ليزا » هام بها دافنشي فقضى في رسمها أربع سنوات . وقد امتازت هذه الصورة بتلك الابتسامة الخفيفة الحائرة تتردد بين زاويتي فمها ، وبسحرها الخلاب وقد احتار فيها الرسام وصفا وفنانا . وقد كانت هذه الصورة في (ميلانو بإيطاليا) إلى أن أحضرها نابليون . وسرقت مرة من اللوفر ثم عثر عليها وسلمت في حفل كبير إلى أن استقرت أخيرا في مكانها الحالي فاطمأنت الدنيا على رجوعها سالمة [illegible] . وإحدى هذه البدائع صورة (مدام ريكامييه) من عمل المصور دافيد . وهي إحدى سيدات المجتمع الفرنسي الراقي في أيام نابليون . صورها دافيد ممددة على سرير في وضع ارستقراطي تغلب عليه روح الفن الاغريقي سواء في ملابسها الفضفاضة وفيما يحيط بها من قطع الأثاث . ومع أن صاحبها لم يتمها إلا أنها صارت آية بين الصور . ومن أبدع ما [illegible] [illegible] [illegible] في غير كلفة .

وفي اللوفر عدة صور لإمام المصورين في عهد النهضة (رفائيل سانزيو) ومن هذه الصور ما يمت إلى الدين بصلة كصور العذراء الكثيرة ، ومنها ما هو خاص ببعض الشخصيات التاريخية . وفي هذه الصور كلها يظهر طابع رفائيل الخاص من رسم قوي محكم وتكوين بديع وتلوين دقيق . وقد مات بعد أن أسلم هذا الأسلوب الجميل كما يموت غيره من البشر ، ولكنه امتاز عليهم بهذه العبارة التي نقشت على قبره في موطنه إيطاليا : « كانت الطبيعة تخشى في حياته أن يهزمها وهي الآن تخشى بموته أن تموت » .

وفي أحد أبهاء اللوفر وعلى حامل مستعرض (رافائيل) صورة « أم ديبلر » من رسم ابنها وعمار [illegible] خطوطها وحواشيها وبساطة أثوابها واحتشامها اللائق بالأمهات . ومن أشهر رسامي اللوفر « [illegible] » مؤسس المدرسة الكلاسيكية و« [illegible] » و« رمبران » و« كورو » وغيرهم . و[illegible] هذه الصور [illegible] من الرسوم ، بعضها بالفحم وبعضها بالقلم الرصاص . ولا ننسى [illegible] صورة [illegible] [illegible] بعرض تاج نابليون وتاج شارلمان . وقد وضعت هذه التحف الثمينة [illegible] في أحد أبهاء اللوفر [illegible] [illegible] البالغ في نقشها وترصيعها . وقد [illegible] هذه [illegible] [illegible] الكثيرين من الزائرين حتى [illegible] ما فيها من صور وتماثيل ، ولا [illegible] [illegible] من الناس من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] للناس [illegible] ، بل أحس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !

[illegible] [illegible]

من كتاب « [illegible] »

أصبح مذهب التحليل النفسي الذي وضعه العلامة النمساوي فرويد مسيطراً على جزء كبير من الأدب الأوروبي الحديث، فما هو هذا المذهب وما علاقته بروح الفن وتطوره وكيف أثر في أعمال كبار أدباء الغرب ؟

أثر فرويد في الأدب الحديث

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

ماذا نقصد بالأدب الأوروبي الحديث ؟ وهل يختلف الأدب الأوروبي الحديث عن القديم ؟ وما هو الحد الفاصل بين العهدين ؟ وماذا نقصد بالأدب على الاطلاق ؟

نجيب أولا عن هذه الاسئلة ، ثم نتكلم عن (فرويد) وأثره في الأدب المعاصر

الأدب في العصر الحديث يشمل « القصة » و « السيرة » و « التاريخ » و « الشعر » و « الأدب » و « المقال » . والقصة أكثر أنواع الأدب ذيوعا ، والسيرة والتاريخ قد احتلا مكانا ممتازا بالنسبة للطريقة الحديثة التي اتبعت في كتابتهما . وقد نضر أدب المقال وصار الشعر الجيد قليلا جداً . وقد صحب تطور الأدب تطور الفن على مر الأجيال

الفن في أصله عبادة ، أصله قربان يقدم لمعبود . وقد يكون القربان كلاما ، أو لحنا موسيقيا ، أو نقشا ، أو تمثالا . ويشترط فيه شيئان :

الاول — أن يعبر القربان عن عواطف المهدي

والثاني — أن يكون الخيال طابعه أو إطاره ، أو الصندوق الذي يقدم به ليليق بالمهدى إليه

التعبير عن الاحساس هو الاصل والخيال لازم له ، أو تابع له . وما دام الفن في أصله قربانا لمعبود ، فقد كان وقفا على الذين جعلتهم الانسانية موضعا للعبادة والتقديس

فالألحان كانت تغنى في هياكل العبادة وفي حضرة الملوك وعند أقدام الابطال . و « هومير » الخالد جعل شعره حاديا لركب الآلهة . و« بتهوفن » و« رافائيل » العظيم وتهاويله كانت تمجيداً للكنيسة

وأكثر القصص كانت تسلية لملك ، أو ترويحا عن عظيم ، أو تمجيدا لبطل . لهذا كتبت « ألف ليلة » ووضع « كليلة ودمنة » ، وأكثر مسرحيات « شكسبير » هي للملوك ، وقد مثلها أمام الملكة « اليزابيث » ، وكان « موليير » يؤلف لتسلية البلاط الفرنسي ...

بعبارة أدق كان الفن أرستقراطيا ، وقد حاول الفن مع الزمن أن يتحرر من عبودية الارستقراطية . وله في ذلك طريقتان : الأول — أن يتملق الشعب فيقدم له ما يحبه ، ويعبر آ

لشيء آخر . كأن يعرض تماثيل النساء الحية والصور الزاخرة بالألوان والأضواء والظلال . . أو القصص الحافل بالخط النابض المتلطف

والطريقة الثانية — أن يتزلف الى الشعب بالتقرب اليه عما هو متأصل ثابت في نفوس الجماهير ، كالأخلاق والعفة والدين ، ومثال ذلك العصر الفكتوري في انجلترا . فالصور في ذلك العصر كانت تمثل الخلق والفضيلة ، والروايات تعظ في مثل ذلك الشأن ، والمسرحيات تؤلف لهذا الغرض

وفي الطريقتين افساد للفن ، ونزول به عن مكانه . وفي الواقع أن الأجيال التي مرت على هذه الحال تعتبر أجيال اضمحلال . ولقد مرت على العالم عهود مظلمة حتى أطل فجر النهضة فكان طابعه الظاهر أن ينقل الاسابة من عادة الارستقراطية ، والتفكير في السماوات وما بعد السماوات الى الاهتمام بالنات البشرية ، هاته الذات التي تلاشى وجودها في ركاب الملوك والاقطاع والكهنة وكان فيها تمجيدا لهؤلاء . يجب اذن أن ينصرف الى التعبير في أمرها هي . لقد حاولت أن تعبر عما يخالجها من السعادة وتعنت ما شاءت من الغرائب ، فهل يحق أن تعبر عما يخالجها من الآمال والآلام ؟ ألم يحق أن ترسم الصورة آمال فرد ، ويصور القصص آلام فلاح حزين ، أو فرح نفس متهلل . . أو يوضح التمثال تعبير قلب بشري يحس بمختلف الرغبات والميول ؟

بهذا يصير الفن ديمقراطيا لا بالتزلف الى الشعب عن طريق الجمال وعادته ، ولا بالتقرب اليه عن طريق الفضيلة والخلق والعفة والدين

يرتفع الفن ويسمو بشيئين : أولا أن يحافظ على أسلوبه الاول ، وهو أن يكون التعبير عن الجمال ، وثانيا أن يكون ديمقراطيا . والشيء الاول مرتبط بالثاني ، فالفن الذي حتى — في أية صورة من صوره — بالتعبير عن خوالج الفرد وميوله هو فن ديمقراطي

هذه ما هي النداء بالديمقراطية ، حظي الفن بكثير من النجاح . فأما الموسيقى فبالرغم من كل ما صنع من أجلها لم تزل ارستقراطية . فان ألحان « بتهوفن » و « باخ » و « شوبان » يتاح سماعها لكل متذوق ، ولكن لا يستمتع بمعظمها الا القليلون

أما الادب فقد نجح في أن يكون ديمقراطيا تمام النجاح ، حتى صار تعريفه الحديث الصحيح « الأدب هو الفرع الديمقراطي من الفن » فان أي فرد متوسط الذكاء يستطيع أن يقرأ أية قصة . فاذا لم يرد ذلك فما عليه الا أن يمشي الى السينما فيجد أمهات القصص على الشاشة البيضاء

عندما صار الادب ديمقراطيا ، عنى — كما تقصد كل الديمقراطية — بالاهتمام بأمر الفرد وتحليل عواطفه وميوله ، غير أن هذا التحليل قد اختلفت أنواعه حسب العهود التي مر بها الادب والبلاد التي رأت تطوره . لقد بدأ التحليل فلسفيا ، ولا شك أن روبلي ، روسو » و « فولتير » فيهما الكثير الرائع من ذلك . كان « روسو » ينادي بتربية القلب البشري و « فولتير » ينادي بتثقيف العقل . فأحد الاول يشرح القلب ، والثاني يشرح العقل ولا يعوزن القاريء كتاب « قاموس

الفلسفة ، فهو كتب ثمين . وفي البدء كان علم النفس جزءاً من الفلسفة ، وكان من أبوابها ، ونقرأ في كتب الفلسفة كفصل من فصولها

وكان الفلاسفة يعرفون كثيراً عن النفس و « العقل الباطن » ، ولكن « العقل الباطن » لم يكن في رأيهم إلا عرضا تنعكس فيه الذكريات والتجاريب . على أنهم كانوا « يرفضون » ما لم يستطيعوا فهمه من حقائق النفس البشرية « ترفعا » فلسفيا

ثم أخذ علم النفس ينفصل عن الفلسفة حتى استقل بنفسه علما ، وصار له مكانه الفريد

وعندما استقل بنفسه وتناولته أيدي العلم بالتحقيق والتجريب ظهرت الرواية « السيكولوجية » في أفق الأدب الحديث . ومن أقطاب المؤلفين في ذلك «هنري جيمس» في انكلترا و « بروست » و « بورجيه » في فرنسا . وظلت الرواية « السيكولوجية » تظهر وعلى وجهها قناع الخلق والحياء والخوف . فإن « ديكنز » كان يجمع « دورا وكوبر فيلد » فلما أوشكا أن يتعانقا ختم الفصل وعلى وجهه حمرة الخجل !

فلما جاء « توماس هاردي » كانت رواياته الأولى عليها ذلك الطابع المتسم بالخجل والخوف ، حتى كتب روايته « تيس Tess » وهو عنود الغريب ، فثارت عليه ثائرة النقاد . فإن «هاردي» في رواية « تيس » المطبعة للمقطعة النظير ، يصف « الذكر » القوى وهو يحمل الأنثيات الرقيقات الجميلات على ذراعيه للتوفيق عبر قناة ، ولا يمنع « هاردي » فتنة من فتن « الجنس » إلا أبدع في تفصيلها إبداعا متأنيا في الجرأة والروعة

ولعل « تيس » هي رمز « الجنس » في الأدب العصري الحديث . وهذه الرواية في رأيي الشخصي ، هي الحد الفاصل بين القديم والحديث . وإني لأنصح لكل متأدب أن يقرأها بتمهل . فقد قرأتها مراراً وأتمنى أن تتاح لي في العمر فرصة أخرى لأعيد قراءتها على مهل . ففيها الأسلوب وفيها التحليل السيكولوجي ، وفيها الفلسفة ، وفيها الجرأة في التحدث عن « الجنس » في عهد لم يكن أحد ليجرؤ فيه حتى على ذكر التقبيل والعناق !

مر القرن التاسع عشر وهو عصر الغرور العلمي لكن يعتبر الكلام عن الجنس جريمة لا تغتفر

كانت هناك مؤامرة واسعة النطاق ، اشتركت فيها الجامعات والصحف والعلماء والأطباء ، تحتقر « الجنس » وجعله كامنا في الجسم الإنساني يجب أن يقهر ، وأنه يمكن قهره بالاحتقار والحرمان . فالمراهقون والشبان الذين جهلوا معنى « الجنس » على أكتافهم كانوا يحملون عبئا جبارا ! لماذا يشكون ذلك العبء الجبار يثقل كواهلهم الرخصة ؟ لا يعلمون غير وجوه متجهمة في مؤامرة عامة

وكان « شاركو » العظيم يعالج مرضاه « الهستيريا » بواسطة التنويم ، فتبوح المريضة بأسرارها الدفينة ـ أسرار جنسية ـ لا تكاد تطرح من قلبها حتى . تلك الأسرار حتى تنال الشفاء وكان « شاركو » يهمس بذلك لمريديه وتلاميذه . وفي ذلك العهد كان « فرويد » تلميذاً

« لشاركو » وكان يترك « فينا » ليستمع الى شاركو فى باريس . وقبل ذلك كان « فرويد » مشتغلا بعلم النفس ، وقد حاول أن يضع له قواعد حديثة . فلما عاد الى « فينا » كان فى ذهنه ذلك السر الرهيب . وهو ان « شاركو » كان ينتزع من مرضاه النساء أسراراً جنسية هى السبب فى أمراضهن العصبية المختلفة

ولما وجد أن التنويم لا يجدى فى كثير من الأحوال علم من صديقه « برنهايم » أنه يمكن للانسان بقليل من الصبر أن ينتزع من مرضاه أسرارهم ، وان الانسان مطبوع على « المقاومة » وأنه يخفى ويحاول أن يخفى ماضيه ورغباته وميوله . فهذه المقاومة حقيقة لاريب فيها مطلقاً ، وهى مقاومة عامة .. الانسان يقاوم الافشاء ويحارب المقاومات الآتية اليه من خارج نفسه أو من داخلها

هاته حقائق ثابتة هى نواة علم النفس الحديث ، ومن تذكرها تذكر بها ألف حقيقة من حقائق العالم . فالعباقرة غرباء أشقياء ، لانهم يأتون بالجديد للعقول فطرت على مقاومة كل جديد . والمصلحون والأنبياء ، اضطهدوا من أجل ذلك . والمصلحون فى كل أمة يحاربون وينكرون !

قلنا انه بالتنويم المغناطيسى أو بالايحاء ، يمكن انتزاع هاته الأسرار ، ويمكن الاستدلال عليها كذلك بكثير من الاعمال التى نقوم بها غير متعمدين ، أى فى غير وعى .. وفى الاحلام أيضاً

وإذن فلا بد من مستقر لها دون « الوعى » . لا شك أنه « العقل الباطن » مأوى « غير الوعى » . فهو ليس مخزنه فقط ، بل هو أساس المقاومة . . هو الذى يحبس هاته الأسرار فى قبره السحيق المظلم

ولماذا يخفيها ؟ هاته الأسرار إما رغبات أو ذكريات ماضية . وهاته الرغبات أو الذكريات عادة تكون جنسية ، ولهذا لا يسمح العقل الباطن لها بمخرج ، لانها تتعارض مع حقائق الدنيا الخارجية ومع ما اصطلح عليه الناس من تقاليد وعوائد . فهى تبقى فى مكانها ، ولكنها لا تنام ولا تموت . ولا يسمح لها بالخروج ، فيكون هناك نضال فى الظلام ، نضال لا يدرى به الشخص الذى يدور فى نفسه هذا النزاع ، بل هو فى الواقع لا يريد أن يصرح به ، ولا يريد أن يعرفه ، وإنما الأثر الواضح له هو « الأمراض العصبية المختلفة » . . . Neuroses

والخلاصة أن الجنس هو المسيطر على الانسان من يوم ميلاده . وأن له تطوراً طبيعياً وأدواراً فى العمر حتى البلوغ ، يمر بها كل مخلوق طبيعى . وهاته الأدوار هى أولا ـ أن يحب الطفل أمه أو أباه جنسياً ، ثم تخف ذلك فترة لا شىء فيها ثم يميل المراهق الى الجنس المماثل له ، وبعد ذلك يحب الجنس المخالف له ، أى أن الذكر يحب الأنثى . . ويتمم ذلك بالزواج الذى هو السنة الطبيعية للحياة . فاذا حدث ما يعترض هاته الأدوار فى مجراها الطبيعى ، أدى ذلك الى الوقوف عند دور غير طبيعى ، أو الى أن يتحول الانسان الى حب نفسه . . والى رغبات مكبوتة ، نتيجة لهذا الشذوذ فى تيار الحياة

هذا هو « فرويد » ملخصا وموجزاً غاية الايجاز : يقوم كل علم النفس الحديث ، الذي خلقه فرويد خلقا ، على أن الحب هو كل شيء . فمن فقد حب الأم والأب وعطفهما ، أثر عليه ذلك فيما بعد تأثيراً عجيبا ، فهو يبحث عن شيء يقوم مقام ذلك ، فاذا لم يجد أحب نفسه وولها ، وقد يطلب العظمة والمجد لما يبلغ من ذلك ما يشاء .

ومن وقف حبه عند دور الأم أو الأب ، لا يريد أن يتعداه الى الأدوار التي بعده ، يتكون لديه ما يسمى مركب « أوديب » وهو الأسطورة الاغريقية الشهيرة عن الملك الذي تزوج أمه

وفي الدور الثالث ، يتحول تيار حبه المصدوم الى داخل نفسه ، فينطوي عليها ويدمن النظر في مختلف نواحيها ليل نهار . وما في تلك النواحي غير رغبات لم تتحقق ، مكظومة فأصلت تعمل عملها الخفي في ظلمات النفس فتحاول أن تجد لها مخرجا من طريق الجسد ، بالتشنج أو الصرع أو بتعطيل عضو من الأعضاء . هذه هي الهستريا أو النوروستانيا

فالآن ننظر الى الأدب في أي ناحية من نواحيه

أما القصة الحديثة فهي وصف لهاته الرغبات وتعقب الصلة الوثيقة ، بين الماضي والحاضر والمستقبل وما من رواية حديثة إلا قامت على فكرة سيكولوجية كما ذكرنا

ثم ماذا نلحظ جيداً ؟ لماذا يقبل الناس على السينما هذا الاقبال ؟ السر بسيط ، فان القوم يشاهدون على الشاشة البيضاء من يحقق لهم أحلامهم ورغباتهم التي لا يستطيعون تحقيقها ، فيضع كل متفرج نفسه موضع البطل فتهدأ أعصابه ، وتخف عنه ما يسمونه « بالضغط الخلقي » Mora. Tension

فأما المسرح الحديث فقائم كله الآن على هذا التحليل السيكولوجي الحسن . ولقد انتهى عهد الصياح والصجيج في المسرح ، وصار في خبر كان . واني لأنصح الذين يريدون الاستزادة أن يقرأوا مسرحية « موحلم » (القاهرة) . فمن أروع ما فيها أن بطلة القصة متزوجة من رجل يبدل لها المال . ويضعها في جو سليم من الغنى والجاه والترف ، ولكنها تفضل عليه رجلا عاديا يقول لها ، اسمعي ، انني رجل فقير خشن . . وربما تختلف وتختصم ، بل ونتماسك ألف مرة في اليوم . . ولكني سأعطيك شيئا لم تجربيه مطلقا ! . . . هي ــ ما هو هذا الشيء ؟

. . . هو ــ « الحب » . . . هي ــ أيها الوحش الجميل . . ! ! !

وانصرفت معه عن علم زوجها بلا تردد . . . !

ورائد هذه هاته الروايات ــ غير منازع ــ هو « لوراس » و « جويس » فهو أمراً . وقد صودرت روايته « يوليسيس » في انكلترا

ومن العجيب أن الكلاسيكيين الحديثين ، أمثال « مورجان » و « هكسلي » ، لا يسلمون من تأثير « فرويد » . . فان « مورجان » في رواية « الينبوع » يصف علاقة الأنثى المتمسكة بالأبوة ، بالرجل المريض المتلول العائد من الحرب ، بأسلوب خليق « بلوراس » وحده ــ فأما « هكسلي »

فانه في مختاراته الاخيرة جمع كثيراً من الشعر الذي يصف العلاقة الجنسية في أسلوب غاية في الاعجاز ، ونهاية في الجرأة ! وفي قريبا ، عند مصرعه « فرويد » لها أروع تأثير . وله مريدون يحطمهم الحصر . أما في القصة والسير فالتأثير أقوى . ويكفي أن تقرأ « لتوماس مان » (الموت في البندقية ، والجبل السحري) وأن تقرأ « لاستفن زفيج » أي سيرة من السير لترى كيف يحلل الشخصية ، ويربط ماضيها بحاضرها

وعلى ذكر السير نقول ان هذا الباب صار كله تحليلا نفسيا وأثره في حياة المترجم له

وأغرب مثال لذلك ما قرأته عن « هتلر » وأثر الجنس في حياته الشخصية ، بقلم « لوراس جراند » في مجلة « التربية الجنسية » ، وهذا موجز رأيه فيه :

« ان صعود ديكتاتور ألمانيا الى المجد سببه ان الحب لم يجر في حياته مجراه الطبيعي . فانه لم يظفر بحنان الأبوين في صغره ، فتحول عنه لنفسه . . وصار يطلب لها السمو

« كانت طفولته شقية لا حب فيها ، فتجنب فيما بعد حب الناس جميعا ، ووجه كل قواه الى تهذيب نفسه وصقلها ، والصعود بها الى أعلى . وقد أفلح فيما أراد ! »

أما التاريخ ، فالمعروف ان تفسير حوادث التاريخ إما تفسير اقتصادي ، وإما له مرجع من أزمات في نفوس أفراد ، أو جماعات . وقد كان الاول هو المعترف به والغالب . أما في العصر الحاضر فالتفسير الثاني وهو هذه الأزمات في نفوس الأفراد هو الأغلب . واني أدعو المستزيدين من هذه البحوث الى قراءة المؤلفات التاريخية الحديثة ، من قلم « هيلير بلوك » و « جون بوكان » فقد أصدر كلاهما في عام واحد مؤلفا عن « كرومويل » ، ومتى تقرأهما تعرف جيداً كيف يكتب التاريخ اليوم

والحق انه فات الوقت الذي كان التاريخ يقرأ فيه لأنه مجرد حوادث ، بل لقد صار يقرأ لأنه سلسلة « أزمات » في نفوس أفراد أدت الى تلك الانقلابات الهائلة التي يعرفها قراء التاريخ .

أما في الشعر ، فليقرأ عشاق هذا الفن قصائد « لوراس » فهي « فرويدية » قلبا وقالبا . خذ مثلا قصيدة (البرق) : « العاشق يقبل حبيبته في الظلام . . فرأى البرق يلمع على وجهها فقال لها : اذهبي ! ان البرق قد كشف لي كل ما « الجنس » ومعبودتي . لقد لمست حبي ونسيت ... اذهبي قبل ان يعود البرق فيكشف لي ذاتك وخضوعك من جديد ! »

هذا أثر « فرويد » في الأدب الأوربي الحديث ، وخاصة في « الشواذ » الذين كثروا بعد الحرب ، بسبب ما أحدثته من صدمة في النفوس ، حتى قامت طائفة من الكتاب لا تعنى بغير هؤلاء الشواذ ! ومهما يكن من أمر « فرويد » — اذا صدقته وآمنت به أيها القارىء الكريم ، أو لم تؤمن — فان أثره ومجاله مجيدان ، ويكفيه انه خلق من علم النفس علما جديداً قامت أسسه على دعائم من المنطق لا تنقض

إبراهيم ناجي

صحبة الورد

قصة للأستاذ محمود تيمور

تركت مدينة « تارابيرا » بعد أن قضيت بها شهراً وأياماً أحاول أن أستطيع من أمر جسمي ما أفسدته الأيام . هناك كنت عليلاً ومتمما . عشت في « تارابيرا » كما يعيش الدب المروض تحت الرقابة : الأكل بميعاد ، والنوم بميعاد ، والاستيقاظ بميعاد ، والفسحة أعد فيها خطواتي بالياردة والمتر خوف الزيادة والنقصان . والماء الذي أتجرعه من النبع يجب أن أقيسه في الكوب بالسنتي والملي . وحجرة الحمام التي أستحم فيها نصف ساعة كل يوم ، معلق على حائطها ساعة كبيرة مستديرة الوجه ، تسمعني صوتها الخفيف مرة كل دقيقة — وأنا قاعد في الحوض (البانيو) محصوراً بالماء الفاتر الفوار — كأنها تعد عليّ دقائق حياتي . .

تركت مدينة « تارابيرا » ، فتركت معها القيود والأغلال . تركتها لأنعم بالحرية ، آكل ما أشتهي لا ما يفرضونه عليّ ، وأسير في الحقول ، فلا أقف إلا إذا تعبت ، ولا أشرب إلا إذا عطشت ، حيث لا تلاحقني دقات تلك الساعة الكريهة التي كانت تكرر على مسمعي أني مريض وأني هالك . . .

حللت في مدينة « شنت » ، وهي قرية جبلية تكتنفها الغابات ليس بها إلا ساحة صغيرة وطريق واحد غير ممهد ، تتعثر فيه السيارات . بها فندقان صغيران ، وشرذمة من دور قروية ، وعلى هضبة غير بعيدة منها — وهي أحسن مواقع المدينة — تقع القهوة والكنيسة . أما الحوانيت فلم يكن فيها إلا اثنان مصنوعان من الخشب ، مقامان في الساحة ، يشبهان أكشاك بائعي الجرائد والدخان في المدن الأخرى

بدأت أحيا في « شنت » حياة راحة واستجمام ، وأطلقت نفسي على سجيتها ، مستمتعا بما يحيط بي من جمال وهدوء وسماحة

وكان الجو بديعا . والجو البديع في عرفي هو الجو المتقلب الذي لا يدوم على حال واحدة . في هذا التقلب سر جماله . إذا ثقلت علينا الشمس بضوئها وحرارتها ، ظهر السحاب لتتكاثف ويجر معه المطر ، فيرطب القلوب ، وينعش الأزهار ، ويطفئ الأرض الملتهبة القاسية . . . حتى إذا ثقل علينا المطر واستطال ، رجعت الشمس ثانية ، تحيينا مبتسمة ، وتغمرنا بدفئها وسناها . . . فالطبيعة في « شنت » طفلة نشطة ، لا تقر لها عين ، ولا يستقر لها ضابط

وكنت أجد نفسي دائما — مع اتساع الوقت أمامي — مشغولا ، فقد وضعت برنامجا مشحونا بمختلف الزيارات والفسح . واكتشفت مواضع عديدة للرائع من المشاهد ، من دور أثرية تحمل طابع

القرون الوسطى ، بزخارفها الدقيقة ، ورسومها الملونة الساذجة ، ومن مواضع فى الغابات مشهورة بمناظرها الرائعة ، ومن بحيرات مترامية الأطراف ، تجثم على قمم الجبال كأنها عيون نجلاء تنظر دائماً إلى السماء . . .

كنت أترك الفندق صباحاً ، ولا عمل لى غير التجوال ، أسير طويلاً مخترقاً الأحراش والغابات والوديان صعوداً ونزولا ، فإذا ما تعبت أو ضجرت ، جلست واستغرقت فى تفكير هادئ ، والنسيم يهب على وجهى محملا بشذا الحشائش الندية

وقد أقطع المسافات الشاسعة ، فلا يقابلنى غير حطاب عريض المنكبين صلب العود — لا يستر جسده إلا قميص مفتوح الصدر ، وسروال من الجلد قصير — يحمل على كتفه حزمة حطب ، فيبتسم لى ، ويحيينى تحية صافية ساذجة ، وتقابلنى بين فترة وأخرى قطعان صغيرة من البقر تجلجل بأجراسها الضخمة ، وترتع فى الوديان مرحة ، تنعم بحرية لا ينعم بها الكثيرون منا — نحن الآدميين — فى عصرنا الحاضر ! ! هذا البقر الجميل لا يرعى غير الحشائش المزهرة العطرة ، فيحيلها إلى لبن عطر شهى ، لا تجد مثيله فى غير هذا المكان ، إذ أن أزهار « شنت » الطبيعية تمتاز بنبل رائحتها من زمن قديم . وإذا طالت غيبتى عن الفندق ، وطاردتنى الشمس فتوارت خلف الجبال ، ورأيت حتى شبح ضال فى ذلك المكان المنعزل ، سرت خلف قطيع من هذه القطعان ، وأنا مطمئن مرتاح ، فأوصلنى إلى « شنت » أو إلى قرية مجاورة لها . وكلما مررنا أمام دار ، رأيت بقرة قد خرجت منا ، وسارت إلى البيت فى خطى وئيدة ، تجلجل جرسها ذى الرنين الخاص ، تعلن لأصحابها خبر قدومها . . .

* * *

وفى نهاية الطريق العام ، عند مدخل الغابة ، حيث تتفرع عدة طرق ، يقوم كشك صغير ظليل أحطأته أول الأمر ، حسبته لبنة من الخشب ، وعلقت عينى بشخص واقف بجواره ، فتاة تبلغ العاشرة ، لها شعر ذهبى ، وعيون زرقاء صافية ، ساذجة لللابس نظيفتها ، اقتربت منى فى خفة ، وعيونها تبتسم ، ثم قدمت لى صحفة ورد صغيرة من صندوق معلق على صدرها ، وهى تقول :

— ألك فى مجموعة من زهور الجبل يا سيدى . . . ؟ رخيصة الثمن ، ثابتة الرائحة ، تعيش مدة طويلة ؟

تناولت منها الصحفة وجعلت أتأملها . كانت صحفة صغيرة لا يتجاوز حجمها قبضة اليد ، جميلة التنسيق ، تحوى عدة من زهور الجبل ، زهور ساذجة المظهر ، لها عطر عجيب ذكى ، يدل على عراقة ونبل . شممت الصحفة وأنا مغتبط ، وقلت للفتاة :

— أأنت التى تجمعين هذه الزهور ، وتنسقين هذه الصحف ؟

— نعم يا سيدى ، إنى أقوم بهذا العمل منذ أعوام

— وجدك ؟ — بالتراف أبى

— أأنتم من سكان المنطقة ؟

— إنها موطننا وموطن أجدادنا من قبل

— وأبوك ، ما صناعته ؟

— كان حطابا ولبانا ، فلما مات احترفت أمى بيع الزهور

وكانت تكلمنى فى لباقة ، وعيونها الزرقاء الصافية تلمع ذكاء . وأعجبتنى خفة روحها ، وهدوء جنانها ، والتفت الى كشكها فقلت :

— إن كشكك يعجبنى يا فتاتى ، فماذا يحوى يا ترى ؟

— تعال أريك إياه

— انه أصغر من أن يحتمل أحدنا

— كلا يا سيدى ، فكثيراً ما احتمى الناس فيه من المطر

وصحبت هامتى ، ودخلت الكشك ، فوجدته كأنه حديقة صغيرة مكتظة بالزهور ، تماثل الحدائق الغابية الصغيرة التى وصفها بعض الكتاب فى رحلاتهم الى بلاد الشمس المشرقة ، وخرجت وأنا أقول :

— كل هذا بديع ، أنت تعيشين كزهرة برية بين أخواتك الزهور

ثم أخرجت من جيبى قطعة من النقود ودفعتها إياها ثمنا للصحبة فقالت :

— إن الصحبة تساوى نصف هذا القدر !

— لا بأس ، لا بأس . .

وودعتها ملاطفا ، وسمعتها تقول وهى تداعب القطعة فى يدها :

— اذا هطلت الأمطار ، أو اشتدت الريح ، وأردت مأوى صالحا فهذا هو الكشك تحت تصرفك

— أشكرك . .

— إذا عدت تعبا حرانا فى يوم شديد القيظ فإنك تجد فى الكشك ما تطلبه من ظل وماء

قلت لها مبتسما وقد أعجبتنى دلاقة لسانها !

— أشكرك يا صغيرتى أشكرك

وسرت وأنا أمسك صحبة الورد ألمها سروراً . ولما عدت من نزهتى ، وضعتها فى زهرية على منضدة الزينة فى حجرتى مستمتعا برائحتها طيلة اليوم

وفى اليوم التالى خرجت الى رحلتى اليومية ، ولما مررت بكشك صديقتى ، بائعة الورد ، ألفيتها بجواره ، تعد الصحب وترتبها فى الصندوق ، فوقفت عندها وقلت :

— أين صحبتك يا جنية ؟ — أترغب اليوم فى واحدة ؟

— حسنا . سأمسها بجانب أختها ، لترى لي حجرتي وتعطرها

— حسن يا سيدي . إني أؤكد لك أن الصحفة اذا وضعت من يعتني بها عاشت أشهراً لا أياما

وأخذت منها واحدة ، وكانت كصحبة الأمس في حجمها ونسقها ، وألوان زهورها ، كأنهما توءمان ، وقلت لها :

— أيظل كشكك مفتوحا طوال العام ؟

— كلا يا سيدي ، بل في أيام الموسم ، ستة أشهر في الصيف ، وبضعة أسابيع في الشتاء

— في الشتاء ؟ ألا يغطى الثلج الجبل بأسره ؟

— ولكن هناك مناطق ينبت فيها الزهر وسط الثلج . إن من السائحين ومحبي الرياضة من هو مفتون بزهور الثلج !

— وهذا الكشك . . . ؟

— انه يقاوم الثلوج والرياح مقاومة أشد الأمكنة وأصلبها

— وما رأيك في الشتاء ؟

— الثلج أحب إلي من خضرة الربيع ... الثلج بهجة ومرح ... لعمرك كم من الوقت يلزمني لأقسم من منزلي الى هنا ؟

— وأين منزلك ؟ — هناك ، أنظر . . .

— انكم تسكنون قرية « كيتان » . انها بعيدة ومرتفعة جداً أيتها الصبية

— انني أقسم منها في مدة لا تتجاوز خمس دقائق

— غير معقول ! كيف ؟

— على زحافتي ! — . . . بديع !

— أما في الصيف ، فاني أقطع المسافة في نصف ساعة

— هذا اذا التزمت الطرق المعبدة غير المألوفة

— إني دائما أسلكها ، ولا أكاد أعرف سواها

ووقفت أتأملها ، وأمور شتى حياتها في تلك القرية النائية المعزلة ، مع ثلوجها وزهورها ، ثم أخرجت من جيبي قطعة النقود ، وأعطيتها إياها . . ومضيت في طريقي ، وقد غمرتني فلسفة جديدة ، فلسفة تأمل عميق ، وبدأت أحس في أعماقي شيئاً من ضآلة تلك المظاهر الدنيوية التي تحيط بنا

ومرت الايام وأنا أرى كل يوم صديقتي بائعة الورد ، فأشترى منها صحبة وأستمتع بحديث لطيف معها . ولكني لاحظت أن الصحفة بدأت تتضاءل في حجمها يوما بعد يوم ، وان احتفظت دائما بعطرها النبيل ، وطابعها الساذج المتميز . . . وقالت لي الفتاة بعد أن حررت ما يجول في خاطري عن صحبتها :

— إن الخريف يا سيدي على الأبواب ، وهو كما ترى قاس لا يرحم . . .

● ● ●

واضطررت أن أرحل عن قرية «دشت» الى «رلندا» على أثر دعوة تلقيتها من بعض أقاربي هناك . ومكثت معهم أسبوعين ، ثم عدت الى «دشت» وأنا أحس لها في صميم قلبي حنينا غريبا . ودخلتها كما يدخل المغترب وطنه بعد غياب طويل . وأول شيء فكرت فيه ، صديقتي بائعة الورد . ذهبت الى كشكها لأبتاع صحبتي فوجدته مقفلا . . . والتفت حولي فوجدت الغابة قد بدأت تتكهل وتتعرى ، والحقول أخذت تشحب وتسهم ، واندفع الهواء البارد القاسي يلفح وجهي وكأني أسمع منه همس السخرية . . .

وقصدت فندقي وأنا آسف مكتئب

وعدت الى رحلاتي أقطع الوهاد والوديان وحيداً لم يعد يحاذيني أصدقائي الحطابون يبتسمون لي ويحيونني ، واحتجبت قطعان البقر ، وصمتت أجراسها في الحقول . لم يبق إلا صفير الرياح يتجاوب صداه على جوانب الجبال . كنت أمر «بكشك الورد» فأجده دائما مغلقا ، وقد غطته أوراق الشجر الجافة . فكأنه قبر مهمل مهجور ، ولربما دارت كآبتي فاعتزمت الرحيل . وقبيل سفري بيوم خطر لي أن أتنزه جهة «كتان» بالرغم من ارتفاعها وبعدها وانعزالها عن باقي القرى ، وسلكت في سيري الطرق الصخرية غير المألوفة ، وما إن دنوت من القرية حتى وجدت فتاتي «بائعة الورد» جالسة على جذع متطوح ترقع ثوبا في يدها . فلما أن رأتني حتى هبت مهللة لي ، فقلت لها وأنا أشد على يدها باسما :

— ما هذا الاختفاء يا صغيرتي ، لم يعد أحد يراك ؟

— وما ذنبي يا سيدي ، ألا ترى فعل الخريف بنا ؟

— حقا إنه قاس لا يرحم !

وجلست على الجذع بجانبها ، وأخذت أستمع الى حديثها عن حياة الخريف ، وعملها في المنزل ، وحلبها للأبقار وما شابه ذلك . حديث ساذج لطيف ، ملأ قلبي بهجة وسروراً . . .

ولما تهيأت للعودة ألفيت يدي تخرج «قطعة النقود» من جيبي وتعطيها الصغيرة ، فأمسكت بها الفتاة متسائلة وقالت في ملاطفة كبيرة :

— ولكن ، ليس لدي يا سيدي صحبة أقدمها لك . .

فأهويت على الفور عليها ، وقطفت من خدها الورد الناضج قبلة حلوة ، وقلت لها :

— إن صحبة اليوم أشهى وأحلى من أي صحبة مضت . إنها لا تقدر بمال

وانحدرت في طريقي الى الفندق ، وأنا أشعر بنشوة الربيع تستيقظ في قرارة نفسي . . . !!

محمود تيمور

عرض وتحليل

شيطان الغيرة

للباحث النفساني ريمون مولر

Le démon de la Jalousie Par Reymond Muller

ريمون مولر من كبار علماء النفس المعاصرين وهو من أصل ألزاسي وقد سبق سوطا ظاهرا في مختلف الدراسات التي عرجها عن (الأمومة في المجتمع الحديث) و (صور العسكرية الخالصة) و (أعراض البورصات) و (وجه جبال الحالة) . وأن كتاب (شيطان الغيرة) يعتبر أقوى أعماله وأصلها وقد أكسبه شهرة وسمعة في عالم الأدب الأوربي

الغيرة والحب

يعتقد الكثيرون أن الحب يولد الغيرة وأن الحب الصادق الصحيح لا يمكن أن يستولى على القلب والعقل إلا وهو مقرون بأشد مظاهر الغيرة . وهذا في الواقع خطأ شائع

فالغيرة في صميمها عاطفة تنبع من حب الذات وتصدر عن كبرياء الرجولة وتتولد عن ذلك الشعور الموروث القديم بحق الرجل المطلق في ملكية المرأة التي حازها لنفسه وأنفق من حر ماله عليها وعلى أولادها

فالرجل يختار امرأة معينة ويفتح لها أبواب بيته ويكد ويكدح من أجلها ، في سبيل أن تكون له وحده ، وأن يحفظ عليها سمعتها ، وأن يحس أوفر إحساس والطمأنينة أن أبناءه قد انحدروا من صلبه ، وأنه إنما يكافح ويجاهد من أجل مجموعة بشرية تنتسب إليه وتحمل اسمه

وهذا هو الأصل في غيرته

وإذن فالباعث على غيرة الرجل ليس هو الحب ، بل هي المصلحة ، أو هي عاطفة الحنق الممزوج بالاستنكار ، لاستنكار الذكر القوي كيف أن الأنثى الضعيفة قد خدعته وغررت به وحملت إلى الأسرة عناصر دخيلة وساقت زوجها المخدوع إلى العناية بأبناء الغير والإنفاق عليهم وإعطائهم من لحمه ودمه

وليس شك في أن الزوج على حق في تمرده وثورته وغيرته ، إذ شرف الأسرة منسوب إليه ،

وصحة الزوجة عالقة بصحته ، ومستقبل الأولاد مرتبط بجهوده ، ولكن هذه الغيرة التي يشعر بها الزوج عن حق لا تمت الى الحب بصلة ولا تشترك عواطف الحب الكبرى في اثارتها والمدها

ويرى مؤلف هذا الكتاب أن سبب الغيرة عند الرجل يرجع الى الفرق العظيم بينه وبين المرأة . فهو قد ألف السيطرة والسيادة وهي قد اعتادت الخضوع والتسليم ، وهو قد ألف العمل والحرية وهي قد اعتادت الحياة عالة على الغير ، وهو قد نشأ عاملا وهي قد نشأت قعيدة بيت

ضعف المرأة الوراثي وحاجتها الى رجل يعولها واعتمادها على الرجل في تشييد مستقبلها ، واحساسها العميق بالتخلف في نفسها منذ عصر الطفولة والشعور بأن الذكر كان يحتقرها ويقاتل من أجلها ويخاطر بحياته للاحتفاظ بها ، كل هذه العوامل التي اشتركت في تكوين شخصية المرأة اشتركت أيضا في تكوين شعور الرجل من نحوها . فهو والحالة هذه لا يستطيع أن يحب إلا وهو خاضع لشعوره بضعفها وقوته ، بضعف انوثتها وقوة رجولته وكبريائها وسلطانها

لذلك هو يغار عليها . يغار عليها لأنه لا يطيق من المرأة الضعيفة أن تذل كبرياءه ، وتمس رجولته ، وتنتقص من قدره ، وتؤثر غيره عليه

وانت اذا امعنت النظر في اطوار الغيرة وفي شخصية الرجل الغيور ، تبين لك أن مثار الغيرة هو تلك الخيالات والأطياف الشهوية التي تمثلها الغيور والتي تصدر عن احساسه بملكية المرأة وعن كبريائه الذليلة الصاغرة

وايضاحا لهذا الرأي نقول :

ان الرجل اذ يحصل على امرأة ويتمكن من اخضاعها والاستمتاع بها ، يزداد شعورا بقوته ويزداد فخرا وزهوا بنفسه ، ويسعى جهد استطاعته للاحتفاظ بهذه المتعة لشخصه كدليل بالغ على قدرة رجولته ، فاذا ما حدث وانصرفت المرأة عنه ومالت الى سواه ، اضطرم خياله والتهبت صور تصوره وبدأ يتمثل تلك المرأة بين احضان رجل آخر يسرق منه ويستبيح ملكه وينعم بلذائذ كانت له وحده

فثمة احساس الغيور بملكية المرأة ، وعلى الخصوص ملكية جسمها وحواسها ، هي التي تشعل في قلبه نار الغيرة ، وهي التي تحشد في مخيلته مختلف صور الشهوة ، وهي التي تنتابه في بعض الأحيان بالاهتياج العصبي والجنون

وقد ابدع شكسبير في تصوير هذا المرض في قصة (عطيل المغربي)

فعطيل وقد تمكن الشك في سلوك زوجه وساورته الريب في اخلاصها له ، يأبى الا ان يتصورها بين احضان غريمه ، ولا يستطيع الا ان يتمثلها وهي تمنح لعدوه جميع اللذائذ التي كانت تبيحها له وحده ، فهذه القدرة في حس الغيور على تصور متاعه ملكا لسواه وعلى الاستمتاع في هذا

التصور امتلاك أعمى والمبالغة فيه إلى حد الهوس ، هي التي عصفت بعقل عطيل ودفعت به إلى ارتكاب الجريمة ثم إلى الانتحار

ولرب معترض يقول : ولكن الرجل قد يشعر بالغيرة على امرأة يحبها وليست زوجه وإذن تكون الغيرة هنا وليدة الحب

وهذا الزعم خطأ شائع أيضاً ، إذ الرجل هو الرجل ، فتسلطه وقوته لا يتغير ، واعتداده بنفسه لا يتبدل ، واستمساكه بحق ملكية المرأة متأصل في كيانه ، وحرصه على كرامته ورجولته هو الذي يولد فيه عاطفة الغيرة

وما دامت الفوارق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية قائمة بين المرأة والرجل فستظل غيرة الرجل شيمة حادة وسيظل الحب مقروناً بالغيرة

وكلما تحررت المرأة ، وتمكنت من التزود بقسطها من العلم ، وأتاح لها المجتمع فرص العمل واعترف بشخصيتها ، واقتضت من الحياة حقها على الرجل ، تهذبت عاطفة الغيرة وتلطفت من تلقاء نفسها وزايلت عاطفتها الوحشية الأولى

وذلك لأن الغيرة قل أن تجد مظاهر القسوة والاستبداد والعنف بين شخصين متكافئين ، يستطيع كل منهما الاكتفاء بنفسه عند الحاجة ، ولا يشعر أحد منهما بأنه مشدود إلى الآخر يحيا بواسطته ويعيش من فضله ويستحيل عليه الاستغناء عنه

دليل الحب

ولكن إذا كانت الغيرة دخيلة على الحب وإذا كانت لا تنم عن صدقه وقوته ، فما هو دليل الحب وما هي غايته المثلى ؟

يعتقد ريمون مولر أن دليل الحب الصحيح هو التضحية لا الغيرة

فالذي يحب ويشتد في غيرته ، إنسان يحب في الواقع نفسه أكثر مما يحب حبيبه

والذي يحب ويشتد في تضحيته إنسان آثر حبيبه على نفسه وهذا هو الحب الصادق العاطفة الصادق الولاء

ويرى ريمون مولر أن غرض الحب إسعاد الحبيب بصرف النظر عن الشخص الذي يمكن أن يكون مصدر هذه السعادة

وسواء في نظره لدى العاشق الحقيقي أن يسعد معشوقه على يديه أو على يد غيره ما دامت غاية الحب تضحية النفس لإسعاد الحبيب

ويعترف ريمون مولر بأن هذا الضرب من الحب نادر إلا في الأوساط الرفيعة وبين الشعوب التي قطعت شوطاً كبيراً في ميدان الحضارة وعند نخبة من رجال الفكر والفن . ولكن هذه

الغيرة لا تدل على شعور الحب المنزه عن الغيرة بل تدل بالعكس على أن الحب العميق الأصيل ، استعاد فى القلوب الكبيرة ونأى فى النفوس المختارة بعد ان تحررت من قيود المجتمع وخلصت من شوائب العرف التقليدى وتحررت من عروض الحياة الاقتصادية وساوت بين الرجل والمرأة وارتدت بكل منهما الى سابق حريته الطبيعية المطلقة

فكأن الحب القائم على التضحية هو النزوع الأصيل فى النفس البشرية

وكأن الحب للقرون الأنانية والغيرة هو حب يقلبه الرجل لفائدته واتخذه لمصلحته ووطد قوته واستند الى سلطانه الاقتصادى ليفرضه على المرأة فرضا

ولكن الغريب فى الأمر أن المرأة لفرط ما تعودت واستطعمت وألفت الذل والعبودية فى عصور الجهل والظلام ، أصبحت هى نفسها شديدة الرغبة فى الإحساس بغيرة الرجل عليها ، بل أصبحت ترى فى غيرة الرجل دليل حب ، وهذا ما يزيد فى كبرياء الرجل ويضعف من شأن الحب القائم على التضحية ويحول بينه وبين الشيوع والانتشار

فالمرأة إذا كانت قد أحبتك ثم شعرت بميل نحو سواك ثم أبصرتك تبيل النفس عالى الهمة متأهبا لاستكمال ما ذاتك فى سبيل إسعادها ، احتقرتك وطمعت فى سحق حبك ولم تحس بألمك ولم تقدر تضحيتك واتهمتك بنقص فى الرجولة وضعف فى الكرامة ، ثم اعرضت عنك وأسرعت فى التقرب الى غريمك على حساب حبك وحنو عواطفك

فهى تطلب اليك أن تتشبث بها ما استطعت ، وتغار عليها جهدك ، وتقاوم وتناضل للاحتفاظ بها ، وإلا فأنت فى نظرها مسلوب الحول مهتوك الرجولة لا تعرف كيف تحب ولا تصلح أن تكون عصويا

فالمرأة لا تنشد الغيرة فى الحب إلا لشعورها الوراثى بأنها متاع للرجل . وهذا ما يفسر لنا احتفاظ بعض النساء الشرقيات بحياة العزلة ورضاهن عن الحجاب واعتصامهن بأرواحهن التقليدي

فالحجاب فى نظر هؤلاء الشرقيات دليل غيرة والغيرة دليل حب ، أما الحرية فبرهان على إعراض الرجل وفتوره وعدم اكتراثه لهن

ومما لا يقبل الريب أن تعلق المرأة بالغيرة وانبهارها بصاحبة الرجل الغيور واعتقادها الصدق فى الحب المشوب بالغيرة ، كل هذه العوامل ساعدت على تشويه معنى الحب الصحيح ومكنت الرجل من مضاعفة سلطانه على المرأة وأخرت حركة التحرير النسوى بواسطة النساء انفسهن

والأعجب من كل هذا أن النساء العصريات ينشدن الحرية ثم يتبرمن بالحب المنزه عن الغيرة يطلبن المساواة ثم يسعين وراء الرجل القوى

يتطلعن الى التكافؤ الفكرى والاجتماعى ثم يبحثن عن رجل يستطيع التفوق عليهن

فهن في مجموعهن – على الرغم من تطور العصر – ما زلن خاضعات لأحكام الوراثة . والحق أن نظرتهن الى الحياة لم تتجدد الا منذ الحرب العظمى . فلا بد والحالة هذه من تعاقب أجيال طويلة قبل أن تتحقق في نفوسهن المساواة العاطفية المنشودة ، وقبل أن يدركن ادراكا شاملا عميقا أن الحرية الشخصية هي أساس الحب ، وأن الاعتراف بحرية المحبوب في اختيار من يهوى هو الدليل الأعظم على الرغبة في اسعاده وهو عنوان الحب الصحيح ممثلا في قوة التضحية !

شخصية الغيور

الغيور انسان تملكه فكرة ثابتة واستحوذ على عقله مرض معين واستأثر بأعصابه انفعال شديد مصحوب بألم شديد يرهقه وقتاً وآخر

فهو أشبه بالبخيل يخاف على ماله ويخفيه عن أبصار الناس ويشك في كل من يحدثونه عنه ويود لو استطاع حرزه في أقصى أنحاء العالم

والغيور كالجاسوس دقيق الملاحظة سريع التصورات يتسقط الأخبار ويتحرى الوقائع ويعيش في ذعر دائم ولا يعرف سبيلا الى الراحة والاستقرار

ومن طباعه التعلق بأبسط الشبهات يبني عليها أخطر الاتهامات . فان غادرت زوجه المنزل بدون اذنه انتابته الوساوس وأحاطت به الشكوك ، وان خالطت شخصا لا يعرفه أحاطت عقله الريبة وحركته الظنون ، وان خرجت يوما على طاعته أسرع فاتهمها بالخيانة ، وان أسرها بعد ذلك مع سواه أيقن من غدرها وقضى على سمعتها دون رحمة

فهو يغار لا لأنه يحب ، بل لأنه يشعر بعجزه عن الاحتفاظ بشيء يعتبره ملكه . فيسرف في الحرص ويسرف في الحنق ويسرف في التعنت والتشدد ، وينتهي به الامر الى حب الغيرة للغيرة والحرص لذاته ، وهذه أدنى مراتب الغيرة

والواقع أن المرأة وان كانت تقدر في الحب بعض مظاهر الغيرة إلا أنها لا تطيق الافراط فيها ، اذ هي تعلم علم اليقين أن حياتها مع الغيور سلسلة شقاء متصلة

فهو متى ركبه شيطانه واحتلت الشكوك الجامحة ذهنه ، انحرف باعث الغيرة عنده ، وبدلا أن يكون مركزا في أعراض الغيرة نفسها أي في سوء الظن والحرص والقلق والتجسس وتسقط الأخبار ، يتركز في دائرة واحدة وهي تعذيب المرأة واضطهادها لأنها السبب المباشر في غيرته

وعندئذ تراه يحرم عليها مغادرة البيت أو مخالطة بعض الصديقات ، أو الظهور بمظهر ينم عن التبرج ومضاعفة الجمال

وقد يغلو في زجرها وتجريحها ، وقد يرشقها بألفاظ بذيئة وعبارات جارحة ، وقد يضربها ويحاول ما استطاع اذلالها ليشعر بقوته ويستوثق من سيادته عليها ويزداد ايمانا بأن في وسعه

لرغامه على الاخلاص له والانقطاع لحبه وتوديع قلبها في سبيل شخصه وحده

وهو كلما ساورته الريب في مسلك امرأته ثم عجز عن التثبت من حقيقتها، أفرط في تعذيب المرأة، لا جزاء لها على خيانة لم ترتكبها بل عقابا لها على انها اهتمت به الشكوك على غير جدوى واثارت فيه ظنونا وهواجس لا طائل تحتها

فهو يريد أن تتحقق ظنونه ليقر الطمأنينة في نفسه ويستريح، ولكنه في الوقت ذاته يعلم أنه واهم ويشعر ان المرأة قد تكون مظلومة فيثور لا على وهمه ولا على خلقه بل على المرأة التي بعدها وجودها والتي لولاها ما عرف الغيرة وما كان تاعسا شقيا الى هذا الحد

فالغيرة تعذبه، لذلك هو يعذب المرأة . والمرأة قد تصبر اول الأمر وتحتمل ولكنها في النهاية تتنكر وتسخط وتتمرد، وقد يدفعها اسراف الرجل في غيرته واصراره على اتهامها خيانة الى خيانته بالفعل ملقية اياه مسؤولية جريمتها

وهذا هو خطر الغيرة على الزواج

فالمرأة تحب الرجل المتمسك بها الحريص عليها ولكنها تحب الاناة أيضا وتحب التحرر وتحب الاستمتاع بشيء من الحرية وتحب ان تحس ان زوجها يحس غيرته ويشعر بقوته ويثق بأن امرأته له . فاذا ما طغت الغيرة على العلاقات الزوجية وترتب على طغيانها سحق حرية المرأة وحرمانها من أسباب التجمل وصرفها عن الحياة البهجة وظهور الرجل أمامها بمظهر الحائر المضطرب غير الواثق بقدرته على الاحتفاظ بها، أصبحت كل نفس من حبها بدون غيرة، واتجهت الى حياة والتمرد

وذلك لأن المرأة تكره الاسراف وتميل الى الاعتدال والتوسط

وكما أنها تكره الحب مجردا من كل غيرة كذلك هي تكره الحب مستنفدا في الغيرة . تكره هذا النوع من الحب لأنها تدرك سلفا أن تسليمها الى غيرة الرجل معناه اطراؤها في شخصه ورضاها بألا تتجمل وتتبرج الا له وحده . وهذا فوق استطاعتها لأنها تحب الحياة وتحب أن يراها الناس جميلة وإن كانت لا تفكر البتة في خيانة زوجها أو حبيبها

ولكن الغيور لا يفهم هذه الظاهرة في خلق المرأة فيسيء الى نفسه ويسيء اليها ويتبع هوى شيطانه فيهدم هيكل حبه ويقوض بيديه مستقبل ابنائه ودعائم أسرته

الغيرة من الماضي

مما يمتاز به الغيور ان حيازة الحاضر والمستقبل لا تكفيه، فهو ينزع ايضا الى حيازة الماضي الذي أفلت منه وغاب في جوف الزمن

انه متى احب امرأة أحس رغبة قوية في الاستيلاء على كيانها كله، على جسمها وروحها وما سلف للماضي في ذلك الجسم وتلك الروح من ذكريات واهواء وميول

(٦)

فهو يغار عليها حتى من ماضيها الذى لم تعد مسؤولة عنه

يغار عليها من علاقاتها القديمة وأصدقائها السابقين وعاهات أفكارها وعواطفها فى الزمن الذى لم يعرفها فيه

يحاول الا يدع منها شيئا لسواه ، يتصور انها خلقت منذ الأبد له وحده ، يعتقد أنها مسؤولة عن مختلف الأعمال التى صدرت عنها قبل أن تتصل به

فهو يحاسبها عن الماضى حسابا عسيرا ، ويعد عليها سابق هفواتها ، ويؤاخذها على ذنوب لم ترتكبها فى عهده ، ويأبى الا ان يحكم صغير هناتها وهناته ويجهز على الحب الذى أرتق فى تكوينه عصارة فكره وقلبه

وهو يتطلع الى الماضى ويطرقه ليستكمل احساسه بملكية المرأة ، متوهما بأن واجب الحب كان يقضى عليها بأن تظل عذراء نقية ، مرتقبة حبه ، منتظرة مقدمه ، حريصة على الا تمنح من ذاتها شيئا لسواه . .

وعبثا تحاول المرأة التى تعيش فى الحاضر ان تفهم الغيور ان الحاضر شىء والماضى شىء آخر فهو لا يمكن ان يفهم ولا يمكن ان يقبل او يتصور أنها كانت فى يوم من الايام متعة رجل آخر وان رجلا آخر كشف لها عن سر الهوى ولذة الحب

والواقع ان لب شخصية الغيور كامن فى هذه الظاهرة ، فى ان يكون أول وآخر رجل عرفته المرأة التى يحبها ، وأول وآخر رجل يكشف لها عن حقيقة الحب وتتلقى على يديه فن الهوى

هذا هو سر غيرته وهذا ما يدفعه الى الغيرة من الماضى الرحب المنقضى السحيق ، حيث يجد لذة كبيرة فى الاحاطة بكل ما يتعلق بشخص محبوبه ، وحيث يتوهم ان هذه الاحاطة تجعلها على رغمها ورغم الزمن ملكا خالصا له !

وفى وسعنا ان نتمثل شقاء امرأة وقعت فريسة لمثل هذا الغيور بعد ان أحبته وعزمت على ان تكفر بهذا الحب عن سيئات ماضيها

انها تخلص له وهو يذكرها باخطاء الماضى ، انها تحبه وهو لا ينفك يذكر أنها أحبت سواه ، إنها تعيش فى يومها الزاهر وهو يصر على الحياة فى أمسها الغابر

أنها تتوق بواسطة الحب الى تجديد الحياة وهو يرمى بواسطة الماضى الى خنق وتشويه الحياة

فمثل هذا الضرب من الغيرة لا يمكن ان يولد الحب ، بل الحقد والنفور والفرار ، فرار المرأة من الرجل كائنا ما كان حبه وبالغا ما بلغ من الاخلاص والولاء .

وقد يحمل الغيور عندئذ على المرأة ويعيى عليها غدرها وعقوقها ، ويتهمها بالمواربة والختل ، ويقول ان ماضيها استعاد وتسلط عليها وانها خانت اليوم لأنها كانت خائنة بالأمس

ولكن الحقيقة هى ان المرأة لم تخنه ، بل هو الذى خانها .. خان عهد الحب ولم يفهم ان كل حب

يعقد بين شخصين انما يقوم على قاعدة الحاضر والمستقبل فقط . لذا تتناسى سرعان ما تتجاهله المرأة وسرعان ما تنساه وتسدل عليه الستار

الفارق بين غيرة المرأة وغيرة الرجل

تختلف غيرة المرأة باختلاف علاقتها بالرجل

فهي ان كانت زوجة كان الباعث على غيرتها خوفها من المستقبل ودفاعها عن نفسها وأولادها وتشبثها بالرجل الذي يعولها وشعورها أن لاحياة لها إلا في دائرة الاسرة

والمرأة قد تكون متعففة وقد يكون في وسعها الاعتماد على ذكائها وعلمها ، والعثور على عمل شريف تستغني به عن الرجل متى طلقها . ولكن حياة الزواج تحبب اليها في الغالب الحياة العائلية حيث المستقبل مكفول وحيث غريزة الانثى تسوقها الى حفظ النسل وتعهده ، والسهر على غذائه

فغيرة الزوجة والحالة هذه تصدر عن عاملين : المصلحة الخاصة ومصلحة الابناء

فهي غيرة لم تستأثر بها الانانية ولم يتحكم فيها حب الذات ولذا كانت أسمى من غيرة الرجل

ومع ذلك غيرة الرجل ترمي الى حفظ مصلحة الابناء أيضا باقصاء عناصر الفساد عنهم وعدم السماح للزوجة بأن تحمل اليهم جراثيم الشر ، ولكن من السهل على الرجل أن ينفصل عن زوجته متى خدعته ، وليس من السهل أن تنفصل المرأة عن زوجها متى خدعها إذ هي أشد تعلقا بأبنائها منه

فهو لا يحتمل الخيانة أما هي فتحتملها في سبيل الحياة مع أبنائها وتربيتهم بنفسها وانقاذهم من أيدي التربية السيئة

وحيث ان المرأة احرص على بقاء الاسرة من الرجل فغيرتها تحمل طابع التضحية أكثر مما تحمله غيرة الرجل

ولذلك شبهوا الزوجة الغيور باللبؤة الغضابة في الدفاع عن أشبالها

وأما غيرة المرأة التي تحب خارج دائرة الزواج فتصدر في الغالب عن كبرياء الانثى واعتدادها بنفسها وقوة عاطفة الزهو فيها وشدة إحساسها بالمهانة لايثار الرجل غيرها عليها

فالمرأة لفرط زهوها وخيلائها ولفرط شعورها الوراثي بالضعف لاتستطيع أن تتصور بعد أن اخضعت الرجل لسلطانها كيف انها غرفت ساحرة صعبة وكيف أن هذا السلطان أصبح لامرأة اخرى

فحرص الضعيف على سلطان أحرزه بعد جهاد طويل هو الباعث الرئيسي لغيرة المرأة بوجه عام

وهذا هو السبب في أن الغيرة النسوية لاتعد غيرة حقة مطلقة كغيرة الرجل بل تشتد

تارة وتفتر أخرى ، وتتخذ فى العادة مظهراً يقترن فيه الحزم بالتهور ويتسم عن روح للمكر والدهاء والسياسة

ولا شك ان هذا المظهر طبيعى لأن المرأة ضعيفة والضعيف متى أحس الخطر يتهدده لجأ الى المراوغة والحيلة وتجنب القسوة والخشونة لئلا تنقلبا عليه وبالا

ومن النساء من تطغى الغيرة على عقولهن وتذهب بأناتهن وتفقدهن حلمة التوازن. ولكن هؤلاء هن القلة ، أما الكثرة فتصانع وتراوغ وتصبر وتحتمل وتغرق فى الدهاء والاغراء لتسترد الرجل وتحتفظ به

على أن المرأة متى كانت وافرة الاحساس بشخصيتها شديدة الخيلاء والزهو ، غيوراً بجمالها ، ذات أبناء تحبهم وتسهر على مستقبلهم ، كانت غيرتها عظيمة مروعة لا تتردد فى ارتكاب جريمة عند الاقتضاء

ولكن الغريب فى علاقات الرجل بالمرأة ان الرجل يبيح لنفسه الغيرة وينكرها على المرأة . فهو متى غار عليها اعتبر ذلك حقاً من حقوقه . ومتى غارت هى عليه تأفف منها وتبرم بها . ومتى أسرفت فى الغيرة أحس ضيقاً فى حريته وظلمة فى حياته فأعرض عنها والتمس بها غيرها

هذه الظاهرة فى نفس الرجل يفهمها معظم النساء ، أما المرهفات العاقلات اللواتى يدعن الغيرة تأكل قلوبهن وتستبد بعقولهن وتضيق على الرجل الخناق وتنتقص من رجولته وتسلبه حريته ، فهؤلاء يعرفن الرجل منهن ويولى عنهن ويمضى الى أحضان غيرهن ، ومتى أحسسن الوحشة تعصف بهن وحاولن اصلاح ما فات ، اصطدمن بالواقع وأدركن أن الرجل قد أصبح سعيداً بدونهن ، فعدن ذليلات خائبات مهزومات

العظماء وعاطفة الغيرة

عرف عدد كبير من العظماء عاطفة الغيرة مدفوعين بطبيعة العظمة التى تحض على انكار الأنانية والتعلق بالتضحية

فالروائى الروسى تورجنيف طهر نفسه من نزعات الغيرة فى حبه الشهير لمدام فياردو ، وكان يعلم حق العلم ان هذه المرأة تحب زوجها وتخلص له ، فلم يسخط عليها ولم يتجهم لها ، بل قدر فيها كرم أخلاقها ونبل شخصيتها ، وكان يشعر بسعادة كبيرة ليقينه أن صورته منطبعة مع سواه

والقصصى الفرنسى جوستاف فلوبير كان يهيم حباً بالأديبة لويز كوليه ، وكان يعلم هو الآخر أنها تؤثر عليه شاعراً متوسط المواهب ، تافه الخلق ، شائع الخيال ، فلم يعاتبها على اعراضها الفعال عنه ، ولم يستنكر عاطفتها ، وأبت عليه كبرياؤه أن يرغمها على قبول حب لا تجد فيه سعادتها .

وكان يتألم فى سكون وصمت ، ولكنه كان يحن لها ولا يسمح للغيرة بأن تفسد نفسه وتفسد حبه وتنكر على محبوبته الجميلة صفو هنائها

والمفكر ديدرو كان مولعا بسيدة نبيلة ذات عقل لامع وذهن متوقد وحس رائع ، فلم يكد يشعر أنها انصرفت عنه ومالت الى غيره حتى أنكر ذاته وأسبغ الجلال على غريمه وظل صديقا لتلك السيدة يلحظها عن بعد ويسعد لسعادتها ويفرح برؤيتها صحة وصبوة ، حتى دب الخلاف بينها وبين غريمه ، فعادت اليه من تلقاء نفسها وقدرت فيه أدبه وتعطفه ورقة نفسه

والموسيقى مندلسوهن كان يعشق فتاة قروية خدعته وغررت به وفضلت عليه عاملا متواضعا من أبناء الشعب ، فلم يشك ولم يتذمر ، وبعد ما جاء يوم زفافها أسرع وباع ساعة ذهبية ثمينة كان قد خصه بها والده ، فاستطاع أن يؤدي واجبه ويقدم لحبيبته هدية العرس

والشاعر الروسى لرمونتوف كان مغرما بفتاة ارستقراطية خدعته أيضا واقترنت بشاب ذى طبع هجرها بعد ان سامها من صنوف العسف ألوانا ، فمرضت بعلة الرئة وأقصيت عن الناس خشية العدوى ، فلم يذكر الشاعر ما فعلته به ونسى خيانتها ولم يحفل بأوامر الأطباء ، وكان يهرع اليها مساء كل يوم حاملا مختلف أنواع الزهور والحلوى فيجلس اليها ويطيب خاطرها ويطرد شبح الموت عنها ويمنيها بحياة سعيدة وهناء مقيم

فهؤلاء العظماء قد ضربوا المثل فى الحب الصحيح . الحب المنزه عن الغيرة ، الحب القائم على اسعاد الحبيب ، الحب النابع من الروح لا من الجسد ، الحب الصادر عن الرغبة العميقة فى الولاء المطلق والتضحية المطلقة

ولقد تمكن أولئك العظماء من تحقيق هذا الحب الأمثل فى نفوسهم ، لأنهم نزلوا عن استبداد الرجولة ، ونزلوا عن حق الذكر فى ملكية الأنثى ، واحترموا المرأة ، واعترفوا بحريتها ، وأدركوا أن الحب الكامل القوى المنشود لا يمكن أن يصدر إلا عن شخصين متكافئين فى حرية العاطفة وحرية الاختيار وحرية الهبة

وهذا هو محور المسألة

فكلما ارتقى الرجل وازداد شعوره بحرية المرأة فى الاحساس والاختيار والهبة ، وكلما ارتقت المرأة وازداد شعورها بهذه الحرية ، تغلب الحب على أوضاع المجتمع ، واهتديا الى قانون الطبيعة الحرة ، وضعفت فى نفسيهما عوامل الغيرة ، وتقلصت وتهدمت ، وقام الحب والزواج بينهما على أساس التبادل العاطفى الاختيارى وتقدير الكرامة المشتركة

وفى هذا السبيل تتجه الآن معظم الشعوب المتحضرة فى أوربا وأمريكا

المنتقمة

قصة ملخصة عن الروائي

جول كلارتي

عضو الأكاديمية الفرنسية

تمتاز قصص الروائي جول كلارتي بأنها تجمع بين الوقائع المشوقة ودقة التحليل النفسي فيكشف للقارىء عن أسرار ميوله ونوازعه من خلال حوادث شائقة تأخذ عليه وتمسه تأثيرها القوي . ولقد صادفت قصة (المنتقمة) نجاحا كبيرا عند ظهورها وقال عنها الناقد المشهور أميل فاجيه أنها مثال القصة التي ترضي الخاصة والعامة على السواء .

كان الجو صحوا والنسيم عليلا والشمس فاترة الحرارة والكون كله يمرح في نشوة الفتنة والقوة كشاب في مقتبل العمر وريعان الصبا

وكانت مدام مورتان تبث خصلات شعرها الأسود للموج وترسل في الفترة بعد الأخرى ضحكات ساحرة قصيرة ، وترشق مادلين بنظرات حادة متهكمة ، ثم تشيح بوجهها الناضر الصبوح وتهز كتفيها رواية واستخفافا

ونهضت مادلين لتخرج فنظرت مدام مورتان حاجبيها وقالت في هدوء مصطنع :

— كيف ! تخرجين ؟ ...

عضت الفتاة على شفتها وكظمت غيظها وأجابت في هدوء أيضا :

— أشعر بصداع ...

فترنحت مدام مورتان في مقعدها ثم قهقهت قهقهة طويلة طويلة ثم قالت :

— يا لك من كذابة !

فامتقع وجه مادلين وأحست الحقد يغشى صدرها ويطغى على صدرها ويوشك أن يخنقها ، ولم تستطع التماسك وصاحت :

— لست مجبرة على الخضوع لأوامرك ! إن والدي زوجك ولكني في بيته ولست في بيتك !

وحاولت مدام مورتان الكلام ولكن الفتاة قاطعتها وأردفت وهي لا تعي :

— لم أعد أحتمل استبدادك وغطرستك . لم أعد أحتمل احتقارك وسخريتك . انك لتجدين لذة في تحديني وامتهاني أمام والدي وأمام الناس . بالأمس انتهرتني على مشهد من صديقاتك ، بعد أن انتزعت مني بواسطة المزاح وبعد أن عرضت بسلوكي وبهتني . والدتي أعف امرأة وأشرف روحا وأطهر خلقا ! لا . لم أعد أحتمل !

وصمتت وهي ترتجف ، فتعرضت لها مدام مورتان وكانت تعلم أن البرود يقتلها فقالت في ابتسامة ملؤها الدهاء والخبث :

— كلا عصت ارتدت فتنة وجمالا ! أنا معجبة بك ! أهنئك على كرم أخلاقك وعلو نفسك وسمو أدبك !

وضحكت مدام مورتان وتصاعد الدم الى محيا الفتاة وغلبها الكمد وهمت بالخروج . ولكن زوجة أبيها لم تمهلها وأردفت على الفور

— يجب عليك طاعتي ! يجب أن تظلي هنا وتساعديني في استقبال أفراد أسرتي ! أريد ذلك !

فانتفضت مدلين وشاع في محياها غضب هائل وقالت :

— لن أمكث اليوم في البيت ! لن أكون هزأة لعائلتك ! . لن أسمح لك بإذلالي على هذه الصورة !

فصاحت مدام مورتان :

— احذرك ! أكثر منك أدبا وأوفر احتراما وأشد تمسكا بقوانين المجتمع وواجب العائلة . كلهم هنا ، وكلهم بجانبي ، فعليك أن تقتدي بهم وإلا عرفت كيف أوفر صبري وأملك عليك وأحطم كبرياءك تحطيما !

فقالت مادلين بلهجة المتحدي وكأنها تلقي عن كاهلها عبئا ثقيلا طالما أرهقها :

— احذري ! ليس فيهم من يطيقك ! ليس فيهم من يحبك ! إنك هنا بالرغم عنهم ! لقد أذللتهم هم أيضا ! تحكمت فيهم . أثرت وتهجمت عليهم . حرمتهم عطف أبيهم . حسبت بدء حبهم . ضيقت عليهم الخناق بغطرستك واستبدادك ومختلف الوشايات الوضيعة التي يصدقها زوجك . أبي . أبي الذي أعرض عن امرأته الكريمة الطيبة الحنون من أجلك أنت ، من أجل تملقك . . .

فوثبت مدام مورتان من مكانها وقبل أن تتم الفتاة عبارتها أمسكت ذراعيها وجعلت تهزها هزاً عنيفا وهي تقول وقد جحظت عيناها واندلع منهما الشرر :

— سأحطم كبرياءك !

ورفعت يدها ولطمت مادلين فأجفلت الفتاة واقشعر بدنها ولسعتها اللطمة وأوشكت أن تهوي وتفقد صوابها ! ولكنها استجمعت قواها وكبحت جماح أعصابها وحاولت الجلوس ثم تعلق ضاق صدرها وجاشت عواطفها وتراخت أعصابها وانهمرت من عينيها الدموع وجعلت تردد كالغريق تتقاذفه الأمواج :

— هذا من فرط عذابي ! هذا من فرط عذابي ! لم أعد أحتمل ! لم أعد أحتمل ! . .

وارتمت على المقعد وطمرت وجهها بين راحتيها وأجهشت بالبكاء ومدام مورتان ترمقها وتزمجر وكأنها تتوق الى سحقها والاجهاز عليها

وفجأة تحركت مدلين وأرسلت تنهدا مستطيلا ورفعت رأسها وجالت بأنظارها الشاردة في أنحاء الغرفة وبعد ثوان حانت منها التفاتة فأبصرت زوجة أبيها تحدق إليها عن كثب وتبتسم ، فلم تطق

وثار ثائرها وصرخت صوتا غليظا أشبه بالعواء ثم نهضت واستدارت ودفعت الباب بعنف وانطلقت مسرعة من الغرفة كحيوان مطارد مكلوم !

• • •

دخلت مادلين مخدعها وأحكمت اغلاق بابه ثم ألقت بنفسها على فراشها وتدثرت بالأغطية وحجبت بها وجهها ويديها وكل عضو فيها . وكانت تحس ارتعاشات عنيفة متلاحقة كارتعاشات الحمى ، وكانت تحس في نفس الوقت أن العار يلاحقها وأن الاهانة قد انطبعت على جبينها وأنها لو ظهرت أمام الناس فسيشعر الكل عارها ويلحظ الجميع ذلها وانحطاطها

حجبت بالأغطية وجهها وجعلت تبكي وتحرق زفراتها وتسب سوء الطالع الذي جعل منها فريسة لتلك المرأة

ولما برح بها الألم وتمكن منها الاحساس بوحدتها ، تبين لها على دهش منها أن أعصابها قد هدأت وزايلتها رجفات الحمى فطرحت عنها الأغطية ونهضت من فراشها شبه مذعورة وطفقت تذرع المخدع وهي لا تدري الى أين تذهب وماذا يجب عليها أن تفعل !

وساقتها قدماها فجأة الى زاوية قصية من الحجرة فتنبهت ورفعت رأسها واذا بها تجاه صورة والدتها تطل عليها بعينيها الصافيتين من خلال الاطار الفضي البديع وتبتسم

ما أعظم الفارق بين هذه الابتسامة وتلك ! هنا الطيبة والعطف والحنان وهناك اللؤم والخبث والقسوة !

وحدقت مادلين الى الصورة وجعلت تتأملها وصدرها يعلو ويهبط والحسرة تمزق فؤادها تمزيقا واضطرم دمعها وتداعت فيه الخيالات والخواطر ، وتراءى فكرها وارتد الى الماضي ومثله أمامها حيا نابضا مختلطا !

شهدت والدها عندما كان يدخل البيت سكران معربدا يبهرها ويضرب اخوتها ثم ينقض على امرأته فيوسعها سبا وشتما ، وما يزال يعنفها بصيحاته ويطاردها بتهديداته ، حتى تخضع وتستسلم وتعطيه المال الذي يريد

وعندئذ كان ينقلب من وحش مفترس الى فتى مرح طروب يغني ويضحك ويرقص ، ثم يودع الأسرة وداع الظافر ، ثم يخرج في صميم الليل متمايلا على نفسه دافعا معطفه الطويل هازا بيده عصاه القصبية ميمما وجهه شطر الحانات والمراقص ودور اللهو الليلي

وكانت والدتها متى ما دخل يضربه ، تجمع حولها أولادها ، وتطيب خاطرهم وتزيل عنهم خوفهم وتبذل قصاراها لادخال الطمأنينة على قلوبهم ، ثم تتقدمهم غرفتها وتجثو على الأرض وتؤدي فريضة الصلاة وهم حولها يرددون صلاتها في وقار وتواضع وخشوع

هكذا عاشوا لا يعرفون الفرح ، ولا يتصورون السعادة ، ولا يخطر لهم ببال أنك في وسع

القدر تبديل حياتهم ولمتاعهم بيوم سكون وصفاء وجمال

وكانت عديلة أكبر الأسماء سنا ولذا فقد كانت أشدهم صرامة فى الحكم على والدها

كانت تشهد عدلات الاسرة وتشعر بشكها واعلالها بأخذ الرعب منها مأخذه ويهلع فؤادها وتخشى سوء المصير

كانت كلما نظرت الى أمها خيل اليها أن فى عينيها بريق الاستشهاد فتثور ثائرها وتتجمع فى نفسها عوامل السخط والحنق والتمرد

وكانت كلما نظرت الى اخوتها تخلعت بلابل قلبها حزنا على مستقبلهم واسفا على ربيع شبابهم يذبل ويموت فى بيت مظلم خانق لا يمسحه الهواء ولا يتخلله النور ولا تمتد اليه أشعة الشمس

ولقد حاولت كثيرا رد والدها الى صوابه وتهديه سواء السبيل ، ولكنه كان يكرهها ويتبرم بها ويستنكر تدخلها فيما لا يعنيها ويطلق لها القول ويحقرها فى عين اخوتها ، فثارت وقلقت واتابها على مر الأيام ضرب من اليأس العميق استوى عليها وتمكن منها وأشاع فى نفسها ضعفا غريبا جعلها شديدة الشبه بأمها

وفى تلك الفترة حدث ما كانت تتوقعه وما كانت ترتعد لمجرد التفكير فيه

تبددت ثروة والدتها وعد المال الذى كان يربطها بزوجها وأصبحت فى نظره قريبا عالة ثقيلة يجب التخلص منها

وكان لا بد للزوج من المال ينفقه فى لهوه ويسخره فى شهواته ويروى بواسطته ظمأ قاتلا ، فلم يجد فى مقدوره الا كتفاء بمرتبه الحكومى المتواضع وأخذ يصرف بصره نحو أهداف جديدة وحياة أخرى

وكان رجلا فاتن الجمال ملحوظ السحر ، يخلب لب السيدات بقامته المديدة ومنكبيه العريضين وعضله المفتول وورقة عصبه الخافقة فى شرة عصبية مرتاعه ، وأعجب ما كان يتصف به شدة احساسه بجماله ، وعظيم ثقته بنفسه ، وقوة ايمانه بسلطان حديثه وأثره البالغ فى قلوب النساء

وكان يمزج الخفة بالجرأة ، والجرأة بشىء من الوقاحة ، والوقاحة بشىء من الفكاهة ، والفكاهة بكثير من النشاط والانشراح . وكل هذا كان يستأثر بمشاعر السيدات ويثير عواطفهن ويجبر أشدهن تحفظا على الالتفات اليه والاهتمام به

وهكذا تعلقت به « سوزان » الفتاة الجميلة الثرية وفتحت له أبواب بيتها وقربته الى أبيها وعقدت معه صلة الهوى ، ثم لوحت له بمالها ، وأثارت حفيظته على العمر كله فى امرأته وأبنائها ، وما زالت به تغريه وتمنيه وتعطيه بأبهة الحياة ونعيم الترف حتى مال اليها وحلم بها

وكان فى غرامه أسعد انسان يتطلع الى الخيال والشباب مغرورين بالجاه والغنى ، ويشعر أن الحياة بأسرها أصبحت طوع يده ورهن اشارة منه ، وأن ليس عليه الا أن يقطع ويصل ويعم

كي يستقل عشا جديداً ما كان ليحلم به

وختم الغرام والطمع على بصره ، وبصيرته ، وأقصاه عاطفة الأبوة ، ودفعا به الى الاسراع في التحلل من الرباط الزوجي

ولما كانت امرأته بريئة فقد شرع يلفق عليها التهم ويختلق الشائعات ويمعن في اضطهادها وتعذيبها ليرغمها على طلب الطلاق منه

ووصلت به القسوة الى حد انه احتجز مرتبه عنها وحرمها المال وقبض يده عن أبنائه وكف عن الانفاق على البيت ثم خير امرأته بين أن يطلقها ويصدق المال عليها وعلى أولادها أو ان تظل معه فينكل بأولاده وبها ... فلم تجد التاعسة بداً من الاذعان فأسلمت حظها الى المقادير ورضيت بالطلاق

في هذه الخواطر والذكريات جالت ذهن مادلين وهي تتأمل صورة والدتها . فأطرقت رأسها حياء ثم تحولت الى فراشها وهمت بأن تعود فتلقي بنفسها فيه ، واذ ذاك اخترق سمعها صوت شقيقها (هنري) يخاطب مدام مورتان في رقة وأدب ، فهاجت عواطفها وضاعفت سخطها وتمردها على أبيها ، على ذلك الرجل الذي أنكر ولاء امرأته وضحى بها ثم بنفسها ، ثم انتزع منها أبناءها ، ثم فرض عليهم الحياة مع الأخرى ، نازلا عن حكمها خاضعا لارادتها ، ناصراً لها في حربها على امرأته ، مؤيداً رغبتها في سحق زوجه الأولى والقضاء عليها

أجل تضاعف سخط مادلين وتمردها ... ولم يكد يطرق سمعها صوت مدام مورتان تتكلف الرقة في حديثها مع هنري حتى زفرت والتهب محياها واصطكت أسنانها وطاردتها فكرة الانتقام

ولكن كيف تنتقم ؟... هل تصارحها بما تعلم ؟... هل تنبئها بأن زوجها ... زوجها الذي حصلت عليه بعد جهاد طويل والذي تحبه الى حد العبادة والذي تعتز عليه من زوجها عن سعة ، قد خدعها هي أيضا واتخذ له عشيقة من أصناف الحرائر اللواتي يتصيدن الرجال الموسرين ويموهن عليهم الحب والاخلاص والوفاء ؟ . . .

لا شك أن مدام مورتان تجهل كل هذا ... تجهل اسم غريمتها وتثق بعفة زوجها ولا تتصور ان هذا الزوج قد جحد فضلها وغدر بها وخان عهدها كما خان عهد امرأته الأولى ! . . .

أجل ان مدام مورتان لم تفهم ان طبيعة زوجها لم تتبدل وأخلاقه لم تتحول وان الشر كامن في نفسه وانه من المحال ان يبر بوعد أو يصدق في قول أو يهب ذاته خالصة لأي مخلوق

فهل تصارحها مادلين بكل هذا ، وهل تقتص منها للشقاء الذي أنزلته بوالدتها ، وهل تطعنها هذه الطعنة النجلاء فتصرعها وتدمر حظها وتقوض بيتها وتشردها كما تشردت هي نفسها مع أمها وأخواتها ؟ . . .

وعت هذه الفكرة في ذهن الفتاة وجالت بخيالها أطياف متنوعة وصور غريبة متلاحقة ،

وأحست كأن قوة مجهولة تمشى فى بدنها وتسرى فى أعصابها وتسوقها الى التمرد والعمل .
فطوت ذراعيها على صدرها وأحنت رأسها وشمخت فى عزم ثابت نحو الباب
وإذ ذاك سمعت صوته الجهورى الرنان ! ...
سمعت صوت والدها يخاطب امرأته متهدداً منفعلا وهى تجيبه بعبارات عطفة عليلة تمتمها فى الآونة بعد الأخرى صرخات توسل أشبه بالاستغاثة
دهشت مادلين ودنت من الباب على الرغم منها وأصاخت السمع وهى ترتعش
وتصاعد صوت أبيها يقول :
— لا أسمح لك بالتدخل فى شؤونى ... لم أزل حراً حتى بعد ما رضيت الاقتران بك !
فقالت مدام مورتان بلهجة الاستنكار :
— حريتك !.. لا .. لا أسلم بهذه الحرية التى تتمتع بها على حسابى !
وصمتت وهى تلهث ثم زادت
— أين كنت بالأمس ؟... أين قضيت سهرتك ؟... ومع من ؟ أجبنى .. لقد تنكرت لى .. أصبحت رجلا آخر .. أصبحت تنفر منى .. تفر منى .. تجلس فى البيت عابساً وتقضى لياليك فى الخارج ثم تعود الى قبيل الفجر سكران مترنحاً ، فلا أكاد أعرب لك عن استيائى وحزنى حتى تنهرنى ثم تصمت وتلوى بوجهك عنى ، ثم تأوى الى فراشك وتستغرق فى نوم عميق كأنك هامدة !.. هل أذنبت فى حقك ؟... وهل هذا هو جزائى لأنى أنقذتك من براثن الفقر وأغدقت عليك المال بلا حساب ؟ .
فقهقه الزوج وأجاب فى سخرية :
— لقد تزوجتنى ودفعت الثمن ... ويجب أن تكتفى بالقدر الذى أعطيه لك . . .
فأرسلت مدام مورتان صيحة حرقة وقالت :
— أنت روحى ويجب ان تكون لى وحدى !
فضحك ضحكة حادة وقال :
— أنا ملك نفسى !
صاحت امرأته بكلمة مروعة دوت فى أنحاء الغرفة :
— حذار !
فقهقه الزوج مرة ثانية وقال فى هدوء :
— سوف نرى
ثم انصرف . وفى تلك اللحظة أحست مادلين ونظرت من ثقب المفتاح وهالها ما رأت !
رأت مدام مورتان وقد عصفت بها نوبة هائلة تلطم وجهها وتضرب صدرها بقبضتيها وتروع

شعرها من جذوره وهي جاحظة العينين فاغرة الفم تجوب أرجاء الحجرة كثائر يرى سجين وتصيح وتهذي وتخاطب نفسها وتشكو نكد الاحتمال

وأمعنت مدلين النظر فأبصرت المرأة وقد انهدت قواها وتقلصت عضلات وجهها وشحب لونها شحوب الموت ، تنطرح على المقعد المستطيل وتشهق ثم تلقي برأسها على كتفها كمن فارق الحياة واستراح

وعندئذ حدث في نفس الفتاة انقلاب عجيب . تطورت حالتها النفسية تطوراً فجائياً تاماً أشفقت على هذه المرأة المنكودة الحظ !. أشفقت على زوجة أبيها وتحول سخطها كله الى الجانب الآخر وامتلأت سخطاً وكرهاً له ! ..

واستغربت هي نفسها هذا التحول المفاجئ في عواطفها وحاولت ان تصرف ذهنها عن الاهتمام بتلك المرأة ولكن شيئاً أقوى منها استحوذ عليها وجرفها كالتيار ونهض بها ودفع بها الى مقعد المتعبة

وتلقفت جسم مدام مورتان بين ذراعيها وجعلت تربت لها على شعرها الغامرة المتشعثة كفرع مبعثر فاستفاقت المرأة وفتحت عينيها ولم تكد تعرف مادلين حتى حدقت بها في دهشة ، ولكن الفتاة ابتسمت لها وطيبت خاطرها فعطفت اليها مدام مورتان ، وعلى الرغم منها رفعت ذراعيها الكليلتين وضمت مادلين الى صدرها وقد خنقتها العبرات

وظلت كل من المرأتين صامتة ترمق الواحدة منهما الأخرى وتتعلق بها كغريق مشرف على الموت يتشبث بغريق طغى عليه الموج وهبط به في جوف المحيط !

* * *

وكان سلام بين مادلين ومدام مورتان

تغيرت زوجة الأب وأصبحت تعطف على أبناء زوجها وأمهم . بل لقد اتخذت من مادلين صديقة لها وجعلت منها موضع سرها وصارحتها بحقيقة الحياة التي تعيشها مع والدها

وأحست الفتاة بعظم شقاء هذه المرأة وأدركت ان في نفسها جوانب طيبة كانت تخنقها عوامل الحقد والغيرة وارادة الاستئثار بالرجل ، فازدادت شفقة وتحولت شفقتها الى اعجاب واخلاص عندما رأت مدام مورتان تغضب من زوجها موقف المدافع عن امرأته الأولى وتطلب اليه ان يرعاها ويقوم بنفقاتها ونفقات أبنائها على خير وجه وأكمله

شعرت مدام مورتان أنها ضعيفة حيال زوجها وانها في حاجة الى من يأخذ بيدها ويشد أزرها فانضمت مادلين واخوتها ووقف الجميع كتلة متراصة في وجه الرجل !

ولم يحفل الزوج بهم لفرط اعتداده بشخصيته

لم يحفل بهم أول الأمر ولكنه عندما أحسهم متألبين عليه سخر منهم وتحداهم ، وتمادى في غيه ، وأسرف في هجر زوجته ، وأمعن في تبذير ماله ، وأبى عليها أن تسمو بالتفوق على امرأته

الأولى وأبنائها ، فأصبح هو الذي يظلمهم وهو الذي يستبد بهم وهو الذي يختلس من زوجه ومنهم لينفق على خليلته

وكانت هذه الخليلة امرأة وضيعة النفس ساقطة المرتبة خليعة المظهر وقحة الفجور متهتكة متبذلة لا تعرف أدبا ولا تحترم عرفا ولا تخضع لأي قانون ، فما أحبها الزوج وأفرط في حبها وفي الظهور معها والاتصال الدائم بها ، شاع أمره في النوادي والمنتديات واستفاض نبأ علاقته ، فافتقد مسلكه وتناولت سمعته وعرضه ألسن أصدقائه ، وتبرمت به الأسر الكبيرة وأغلقت في وجهه أبوابها

ولكن هذا لم يكن ليصرفه عن ملازمة عشيقته ، ولم يأبه للناس وأحكامهم ، بل تحداهم أيضا واستخف بهم وانطلق يلهو ويمرح على حساب امرأته وعلى أنقاض زوجه الأولى وأبنائها

ولم يكن يدري أن مادلين قد تتبعت أخباره وعرفت أمر عشيقته وعلمت باسمها ورأته يرافقها في إحدى الحدائق العامة ذات صباح ولم تتكلم

وكان مطمئنا إلى جهل زوجته بعلاقته ، يخدعها ويغرر بها ويثير مالها وهو معتمد في إخلاصها وتبديد شكوكها على شدة حبها له

وانقضت الأيام ومسيو مورتال يشتد في تضييق الخناق على زوجه الأولى وأولادها ، ويرهق امرأته طلبا للنقود ، ويمعن في تعذيبها واضطهادها ويجتهد في حملها على المطالبة ببقية أموالها التي كانت قد أودعت في أحد البنوك باسم أبيها وتحويلها إلى اسمها الخاص

جاهد طويلا ليحقق هذه الرغبة فما أعيته الحيل تملكه الغيظ والحنق ، وأسرف إسرافا مروعا في التنكيل بامرأته ، وازداد ولعا بعشيقته واتصالا بها واستخفافا بأقوال الناس وأحكام المجتمع

وصبرت مدام مورتال واحتملت ولم تقطع الأمل في عودة زوجها إليها . وكانت لفرط حبها إياه واعتزازها بماله وجماله تعتقد اعتقادا ساذجا قويا بأنه لم يؤثر عليه غيرها ولم يتعلق في علاقته بأية امرأة إلى حد الحب ، ولم يتخذ له عشيقة معينة ، وإنه رجل طائش كثير النزوات يلهو بالنساء جميعا ويطلب اللهو فقط ولا بد أن يسأمه في النهاية فيكر راجعا إلى بيته

وهكذا صبرت مدام مورتال ولكن مادلين لم تصبر !

استفاقت الفتاة ذات يوم وإذا بدوير ... خطيبها ... خطيبها الذي أحبته وعقدت عليه الأمل في إنقاذها من هذه الحياة الملوثة ، يتبرم بها ويتجهم لها ويبدي سلوة والعدم ثم صارحها برغبة أبيه في التفريق بينهما ويعرض بالكرامة أن تستجل أمر والدها ولم يرتد إلى السبيل السوي

جن جنون مادلين . أدركت والخطر يتهددها والشر يملأ قلبها أن أباها هو علة شقائها ، وأنه لولا الطمع في المال ما تعلقت تلك الغانية بوالدها ، وما استمر أبوها في غوايته ، ولقد حطمت ومزق شرف الأسرة في الأوحال . وإذن يجب وضع حد لتصرفاته . يجب تقييد حريته . يجب إرغامه على تعديل سلوكه وإرغام تلك المرأة على التخلي عنه ! .. ولا سبيل إلى ذلك .. نعم

لا سبيل إلا أن تعرف زوجه الحقيقة وتطرد من حسها الأمل الساذج وتقف على كل شيء

واستولى على مادلين إحساس قوى عميق بأن المسألة بالنسبة لها مسألة حياة أو موت . لم تحجم ولم تتلكأ ولم تطل التفكير ، ودهشت من جرأتها فطلبت زوجة أبيها على جلية الأمر . ولما شعرت بارتياب الزوجة وترددها في التصديق نثت حول زوجها العيون والأرصاد واستخدمت لهذا الغرض أسابيع الثلاثة حتى استوثقت من المكان الذي يجتمع فيه بعشيقته فراقبت زوجته اليه عدة مرات . وهناك بجوار مرفق العاصمة وعلى مسافة قصيرة منه وفي ظل الليل الجاثم عليه شاهدت مسيو مورتان زوجها يدخل أو يخرج ضاحكا الثغر متهلل الوجه متأبطا ذراع عشيقته !

تهدم حلم الزوجة وانهار أملها وسرت في فؤادها لوعة مرة مشوبة ببعض الفزع
أحست ريبتها ولكنها اشتدت في الحرص عليه لفرط اعتزازها بحبها وحبها إياه

حرمته بعد إلا بقدر معلوم فثارت ثورته واضطرمت كبرياؤه واستعرت في صدره نار الحقد ، وازداد حقده اشتعالا عند ما أحس عشيقته تنحى عليه وتنصرف بعض الشيء عنه وتتقرب في خبث الى سواه . وازداد غضبه توهجا واشتعالا عند ما أحس في صميم نفسه أنه قد خسر حقاً عشيقته وأنه قد يصبح عاجزا كل العجز عن مرضاتها وأنها قد تمعن في البعد عنه وتخلفه عثيرا مهيبا ، متخبطا في فقره ، ممزقا حسرته ، عبدا لامرأة تلهو وتتحكم فيه كيف تشاء

ولأول مرة أحس أن الغيرة تحرق فؤاده ، وأنه بعد أن كان يتدلل على النساء ويستوثقن من التعلق بأذياله ، ويصبح أحلامهن لشبابه وسلطانه ، يوشك أن يصبح الرجل المردود المقهور الذي لا تكاد المرأة تميل اليه ويقربها منه عجزه عن حمل نفقاتها للنادي مساويا لحسناتها الباطل

وبلغ من حلبته إسرافا في السخرية به وعدم الاكتراث له ، ورغبة جنونية حيثة في تغييره وتخييره ، ثم لاحظ أنها تماطل وتراوغ وتزداد تعلقا بحريتها ومجاهرة بعزمها الشروع في هذه الحرية ، ثم تبين له آخر الأمر أنها تتمتع من سعة وتبتاع أغلى الحلى وأجمل الأثواب ، وأن لا قدرة له على زجرها ومحاسبتها على تصرفاتها ومطالبتها بالعودة الى وفائها القديم له

أدرك أنه فقدها . وأدرك في نفس الوقت أن في وسعه استردادها لو كان يملك النقود ولو استطاع أن يرغم امرأته على إعطائه قدرا آخر من المال

وأرادت العناية أن تنصره انتصارا فقربت اليه من جديد ، ولما شعرت بحبه ناصعا تتأجج ناره تحت رماد السحر واليأس ، أعرضت عنه بجفوة ومارست تكرهها له وتلذذت بوقاحتها المعهودة في الاعتراف عن رغبتها في الاتصال بالشاب الموسر الذي تحبه والذي يحق عليها الآن والذي كان يعتبره (مورتان) من أخص أصدقائه ومن أوثق الناس به

عندئذ استحوذت الغيرة عليه وجنت قلبه وطغت على عقله وأفقدته كل إحساس بالكرامة والمسؤولية ، فهوى من عرش كبريائه ، وطفق يتسمع بعشيقته ويتملقها ويداعبها ويلتمس اليها في

بة الذي في الماضي أن ترحمه وتشفق عليه وتمنحه بضعة أيام أخرى عساه أن يستطيع رد حياتها الى عرضها السابق وبعدها التليد ، ولكن المرأة تجهمت له وأصرت على الانفصال عنه واستنكرت منه كيف يظل النصي بامكان عودتها اليه وهو معدم وهي لا تطيق الفقر ولا تفهم التضحية ولا يمكن أن تحب التضحية . وكانت في صراحتها شديدة الجرأة ، شديدة الصرامة ، بالغة القسوة ، فخرج من لدنها منسحق الفؤاد ، مشرد الذهن ، ثائر النفس ، متوتر الأعصاب ، تحز في صدره الغيرة والاهانة ، ويحنق الحب فيه ارادة عاتية جبارة لا عهد له بها

ويمم وجهه شطر البيت . وكانت الليلة عاصفة والمطر ينهمر والريح تصفر وبوارق الرعد تلتمع في صفحة السماء فتمزق حجب الليل وكان يعلم أن زوجه في البيت بمفردها وأن أبناءه قد مضوا الى المسرح وأن الخادم المخمور يغط في نومه وأن الفرصة سانحة للاعتداء أو التهديد

واجتاز الحديقة وصعد الدرج ودفع الباب في رفق ثم سار في الممشى الطويل ثابت العزم مشتد العطل ، ثم تحول نحو مخدع امرأته وهو مشدوه ثم تريث وحاول أن يجمع شتات فكره ، ثم دخل الحجرة فأبصر امرأته راقدة في فراشها ساكنة الحركة صافية الملامح

وبعد ذلك خيل اليه أنه يسمع صوتاً خفيفاً صادراً من جيده ، فتلفت مضطرباً ثم هدأ من نفسه واطمأن . وكان يجهل أن ابنته مادلين قد استقبلت في المسرح بصداع شديد مصحوب بدوار اضطرت بسببه الى ترك اخوتها ومغادرة المسرح والعودة فجأة الى البيت قبل انتهاء التمثيل

وضرب موريتان الارض بقدمه فاستفاقت زوجه مذعورة ولم تكد تعرفه حتى صرخت وتقدم نحوها وفي صوت ثائر أجش مكظوم النبرات حدد المقاطع ، طلب اليها أن تسمعه على كبر على نحو أو أن تسلمه مطالبه الى شقيقها بسحب جزء من أموالها المودعة في البنك باسمه

وكان موريتان يتكلم بلهجة حازمة ويلقي عبارات تنم عن اليأس وتنم عن نفاد الصبر والتأهب للثورة والانتقام ، فتملك الخوف امرأته واصطكت أسنانها وشحب وجهها واختلج بدنها اختلاجاً متداركاً عنيفاً ، فأخذته الشفقة عليها وخفف من حدته وحاول أن يهدد استعطف بعض الشيء وتوسل ، فاعترت المرأة هذا الانقلاب ضعفاً وتشجعت ونهضت من فراشها وصارحته والعزم يبرق في عينيها أنها لن تسمح له باستغلالها في سبيل عشيقته ولن تعطيه أي مال

فامتقع وجهه وتصاعدت شدته وارتجف ، فتهيبت المرأة وهي تحدق اليه ، فنشبها وأمسك بها محاولة أن تصيح ولكنه أطبق على فمها بكفه فتملصت وتخلصت منه وأرسلت صرخة قصيرة خنقها الرعب ، ففقد الرجل رشده وطاش عن صوابه وانقض عليها وعرس يديه المتشنجتين في عنقها فظلت تجاهد وتناضل وتختلج ، فازداد غضبه وتصاعدت ثورته ، وفي مثل لمح البرق وبدون أن يفكر أو يعي تلفت حواليه كالمخبول فعثر على المخدة الصغيرة منضدة مستطيلا يلمع في ظلام المرأة فالتقطه وانهال على صدرها طعناً به وهو يسبها ويلعنها ويصيح وقد اتسعت حدقتاه

وتصلبت عضلاته وعلا الزبد شفتيه . وخيم السكون حتى على الحجرة وتمايل رأس مدام مورتان وانحنت أمام زوجها فسقط جسمها على الارض والسم يتحرر منه . وفى تلك اللحظة أفاق مورتان من غشيته وارتد عقله اليه ولم يكد يبصر السم المتحرر ويرى امرأته جثة هامدة ، حتى انتفض قلبه واشتد فيه الذعر عاليه ، فجال فى الغرفة عينيه الشاردتين ثم اسرع والتقط قبعته وعصاه وصاره ، وخرج يتعثر فى مشيته ويتسلل فى الممشى الطويل كاللص حتى أدرك الحديقة . وهناك تنفس ملء رئتيه ورفع ياقة معطفه وغطى بها وجهه ، وانطلق عارى الرأس محدودب الظهر يسرع الخطى ويضرب على غير هدى

وبينا كان يفر من نفسه ومن شبح امرأته ، كانت ابنته التى أيقظتها صيحات الأسرة والتى التمست هلع زوجه وشاهدتها ساقطة فى دمها ، تجتاز الحديقة وتعثر اتفاقا على قمقم والدها وقد سقط منه سهواً وفيه السم ، فدسته فى حقيبتها وتسرع الخطى الى منزل والدتها

لجأت الى والدتها كى تختفى وتحتجب عن الانظار ولا تضطر الى اتهام والدها . وكانت تعلم أن التهمة ستنصب على الخادم المسجون المسكين ، ومع ذلك فرت من البيت وخضعت لاحساسها الغريزى واستهولت كيف تكون هى التى تسلم والدها الى يد الجلاد

ولكن القدر أبى إلا أن يحمل منها النقمة ، وإلا أن يجرى القتل مجراه على يدها وبالرغم منها . وبينا كانت جالسة الى والدتها تفكر فى مصير أبيها ومصير الخادم المسجون ومصير الاسرة وقد طلع النهار وضج الشارع بالحركة ، طرق الباب ساعى البريد وسلم الام رسالة من والد خطيب مادلين يبلغها فيه أنه قد فسخ عقد الخطبة استنكاراً لسلوك زوجها وحرصاً على سمعة عائلته

عندئذ اسودت الدنيا فى عينى الفتاة وتداعت آمالها واستعر فى صدرها ضرام الحنق فتمثلت ذلك المخلوق الفظيع ، ذلك القاتل الذى فتك بزوجه وكان السبب فى شقاء امرأته الاولى وشقاء ابنائه وشقائها هى وتقويض صرح مستقبلها ، فتملكتها عوامل السخط والاباء والانتقام ، ونهضت من فورها ، ثابتة العزم ، صلبة الارادة ، مروعة النية ، شاعرة بأن ليس فى الارض قوة تحول بينها وبين تأدية الواجب وتلبية نداء الضمير . ولما أبصرت امها تبكى وتتعلق بأذيالها وتناشدها حق الامومة عليها أن تعدل عن عزمها ، دفعتها الفتاة عنها وقبل أن تستطيع التأثير فى حسها الحساسة واعصابها المتهوكة كانت مادلين قد افلتت منها وغادرت البيت وطفقت تعدو وفى يدها القمقم للموت حتى أدركت قصر البوليس

وعند ما ألقوا القبض على الوالد وواجهوه بابنته ، لم يبد عليه أى حقد عليها بل تفرس فيها لحظة ثم اعترف بكل شىء ثم اغرورقت عيناه بالدموع وتقدم الى الفتاة فقبلها وودعها الوداع الاخير!

وفى تلك اللحظة فقط شعرت مادلين بعد فوات الوقت أن ذلك المجرم أصبح انسانا!..

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

الأحزاب السياسية في انجلترا

عددها ومبادئها

حزب المحافظين – يبدو هذا الحزب لأول وهلة أقوى الأحزاب الانجليزية . وهو الذي يسيطر على الحكومة القومية ويقود سياستها ، وقد اشترك أعضاؤه في هدم مبدأ السلامة الاجماعية في أوربا ثم اقنعوا الرأي العام بوجوب اعادة تسليح بريطانيا وضرورة اعتمادها على قواها الحربية الخاصة لمعالجة مختلف المشاكل السياسية الراهنة

والمحافظون يكرهون الفاشستية ، ولكنهم يميلون الى تعزيز سلطة الطبقات العالية . وهم يقاومون الاشتراكية ، ولكنهم يتسامحون في المقترحات التي تقرب بين العمال وأصحاب الأعمال ، فيخدمون العمال مع الحرص على تدعيم مركز أصحاب العمل . وهم الى ذلك يعتقدون أن في وسعهم الاحتفاظ بالحكم عشر سنوات أخرى سواء أتوطد السلم أم نشبت الحرب

الجناح الايسر لحزب المحافظين – هذا الجناح مؤلف من ٣٠ عضواً لا نفوذ لهم . ولكنهم يمتازون برغبتهم الصادقة في انجاز عدد وافر من الاصلاحات الاجتماعية التجديدية وفي حمل زملائهم المحافظين المتطرفين على أن يكونوا أشد ديموقراطية وأقرب الى المبادىء الحرة والى التخفيف من حدة الاستعمار البريطاني

حزب الأحرار الوطني – هو جزء من حزب الأحرار المستقل انسلخ عنه تحت زعامة السر جون سيمون وانضم الى الوزارة القومية

حزب الأحرار المستقل – تجتمع في هذا الحزب بقايا المبادىء والتقاليد الانجليزية الحرة ، كالتسامح في العقائد والحرية في التبادل التجاري والرغبة في تطعيم أنظمة الدولة بالصالح من الأفكار والنظريات الاشتراكية ، والعمل على توسيع نطاق التعاون الدولي

والاحرار المستقلون لا يميلون الى التحالف مع العمال . وتعتقد الطبقات المستنيرة من الشعب أن اسناد الحكم اليهم هو خير ضامن لاستقرار السلم

حزب العمال الوطني — لا وجود الآن لهذا الحزب . وقد كان فيما مضى جزءاً من حزب العمال ثم انسلخ عنه بزعامة المستر ماكدونالد عندما أنكر هذا الأخير مبادئه الاشتراكية وأقدم عام ١٩٣١ على تأليف الوزارة القومية

حزب العمال — يميل بعض الساسة في انجلترا أن حزب العمال سيحل محل حزب الأحرار في توجيه البلاد نحو سياسة تجديدية عامة وهو سلام ثابت موطد . ولكن هذا الحزب في حاجة إلى زعماء أكفاء يمتازون بالشجاعة والصراحة والثقة في تحقيق أغراضهم . والحقيقة أن حزب العمال قوة تجديدية مشبعة بالآراء الحديثة ومن غاياته المعروفة أن تستولي الحكومة على وسائل الانتاج وتديرها لمصلحة الأمة . ولكن الحزب يخضع خضوعا تاما لجناحه الأيمن المعتدل . وهو مع مقته الأساليب الفاشستية يرفض التعاون مع الأحزاب الأخرى التي تناهض عناصر القوى السياسية لسحق الفاشستية

الحزب الشيوعي — لا أمل لهذا الحزب في احراز سلطة ملموسة في البلاد الانجليزية . وهو مؤلف في الغالب من عدد معين من الشبان المتحمسين أنصار الديموقراطية في سعيها لهدم الفاشيزم وقد شعر أعضاؤه بضعف مركزهم وعجزهم عن القيام بعمل ناجح فسعوا للتفاهم مع حزب العمال . ولكن هذا الحزب أعرب في صراحة عن استنكاره الشديد لمبادئهم ، فانصرفوا عنه وشرعوا في تكوين جبهة متحدة منهم ومن أعضاء حزب العمال المستقل . ومع ذلك فقوى الشيوعيين تصطدم على الدوام بجمود حزب العمال . وهذا هو السر في ضعفهم

حزب القمصان السوداء — هو الحزب الفاشستي الذي تولى زعامته السر اسوالد موزلي والذي جعل شعاره اثارة روح العداء والكراهية ضد اليهود واعتبارهم عنصراً دخيلا يفسد الحياة الانجليزية . وهذا الحزب ينشر الأساطير بأساليب الدعاية الهتلرية ويدعو إلى القضاء على الحريات الفردية . وقد حظرت الحكومة على أعضائه ارتداء شاراتهم الرسمية . وأما بقية الأحزاب فترى في مبادئه خروجا صارخا على التقاليد البريطانية . وكل أمل هذا الحزب ينحصر في استغلال الظروف التي قد تطرأ على انجلترا في حالة نشوب حرب وتحويلها إلى مصلحة مبادئه

حزب الجبهة الشعبية — يحاول أعضاء هذا الحزب تأليف جبهة شعبية من جميع أحزاب اليسار ، لمكافحة الفاشستية وتحقيق بعض الاصلاحات الاجتماعية ذات الطابع الاشتراكي على النحو الذي اتبعته الجبهة الشعبية الفرنسية أيام وزارة بلوم . ولكن العمال والأحرار يرفضون هذه الفكرة . ومع ذلك فليس تأليف هذه الجبهة في انجلترا ببعيد ، ولا سيما إذا اشتد خطر الفاشستية وتضافرت جهود جميع أحزاب العمال في الدول الديموقراطية

هذه أهم الأحزاب التي تسيطر اليوم على الحياة السياسية في انجلترا ولا شك أن قواها تنحصر وتتركز في حزبين رئيسيين هما : حزب المحافظين وحزب العمال

[خلاصة مقالة في النيوز كرونيكل]

أخلاق المرأة الحديثة

العوامل التي أدت الى تطورها

يجب أن نعرض لأمور كثيرة وتحليل التقديم ، اذا أردنا أن نبحث عن المستوى الخلقي للمرأة الحديثة ، ولكن لامناص لنا من هذا الحديث ، فانا جميعا ندرك أن ثورة عنيفة عاتية أصابت أخلاق المرأة منذ بدء هذا القرن ، فأحدثت فيها انقلابا لا يجوز لنا أن نتجاهله ، بل علينا أن نبحثه بحثاً جريئاً رزيناً لنتبين منه ما ربحت المرأة وما خسرت ، وما أصاب الرجل من خير وشر ، ثم نرى مدى هذا التغير الخلقي والوجهة التي يرمي اليها

أستطيع أن أعبر عن الحياة الخلقية للمرأة الحديثة بهذه العبارة الوجيزة : « لا يمكن أن تكون المرأة فاضلة ما لم يكن الرجل فاضلا » أي أن امرأة اليوم تنظر الى العفة والرذيلة نظرة الرجل ، وتطلب أن يباح لها ما يحلل له ، وألا تمنع الا مما يحرم عليه ، أي أنها ارتفعت — أو هبطت — الى مستوى الرجل الخلقي ، وقرر لها العرف ما قرر للرجل من حقوق

فما هي العوامل التي أدت الى توحيد الجنسين في فضائلهما ورذائلهما ؟ أبسط الاجابات عن هذا السؤال أن الحرب الكبرى هي التي أحدثت هذه المساواة الخلقية ، ولكن الواقع أن الحرب لم تؤد الا الى تأييد هذه الحركة التي ظهرت وعمت قبل الحرب بسنين ، وأن المرأة كانت بالغة هذه الغاية ولو لم تنشب أية حرب ، فهناك دوافع شتى أطلقت هذه الحركة ومهدت لها سبيل الظهور

أولها — الاستقلال الاقتصادي الذي وصلت اليه المرأة منذ بدء الثورة الصناعية ، وحققته جيداً في أثناء الحرب الكبرى وفي أعقابها ، فالمصانع والمتاجر تفتح أبوابها للنساء وتؤثرهن على الرجال ، لانخفاض أجورهن وسهولة اخضاعهن . ولم تكن المرأة تطيع الرجل وتخضع لأمره الا لأنه يكفلها ويعولها ، فلما استطاعت أن تستغني عن معونته لم يكن بد من أن تساويه وتكافئه . وكانت نتيجة هذه المساواة المادية أن تحققت المساواة الخلقية من تلقائها

فأخذت المرأة تكيف أخلاقها وفق ما تقتضيه هذه المساواة ، فأبت أن تترك الرجل يستأثر بأخلاق القوة والجرأة والمغامرة ، بينا تحصر تفكيرها وشعورها في أخلاق الضعف والخجل والتبرم والبراءة ، بل شعرت أنه يجب أن تكون « ايمي جونسون » ، و « اميليا ارهارت » ما دام في الرجال « سكوت » و « لندبرج » ورأت من واجبها أن تتحلل من كل خلق ، وأن تثب فوق كل عقبة ، تحول بينها وبين هذه الحياة الجريئة الصعبة

وهنا ننتقل الى نقطة شائكة . فان المساواة لا يمكن أن تجزأ فيؤخذ طرف منها ويترك طرف ، فبدأت المرأة تطبقها في حياتها الجنسية . ولم يعد في وسعها إذن أن تقبل الفكرة التي تقررت منذ

هذه التواريخ ، ان العفاف فريضة محتمة على المرأة ، وأمر مستحب في الرجل ، فيجب لهذا أن ينزل بالمرأة أقسى العقاب اذا عرضته لسوء ، وأن يعاتب الرجل أو يلام اذا انتهكه وفرط فيه . ثارت على هذه المنكرة ، وجابهت المجتمع قائلة : لماذا تفرق بيني وبين الرجل في عمل واحد ؟ . فلما أجيبت أنه : « لولاك ما وجد الرجل من يغويه » قالت ساخرة هازئة : « ولولاه ما وجدت من يراودني . . . »

ثانيا — أن تعميم العلم وانتشاره مكن الفتاة من أن تتغلب على « الطبيعة » التي كانت تخذلها أمام الرجل . فان انتشار وسائل منع الحمل مكنتها من أن تتقي « العقوبة الطبيعية » التي كانت تجرها قهراً لتحمل وحدها جرائر الرذيلة . وهكذا قاومت المرأة الطبيعة كما قاومت المجتمع من قبل ، وأحست كالرجل أنها مثله حقاً فيما ينالها من خير وشر الا أيسر ما بينه

ولا شك ان هذه الحالة ستشجع الرذيلة وتحميها ، ولكن يجب ان نذكر ان المرأة لم تكن قبل هذا تعرف « العفة الصحيحة » . وانما العفة الزائفة التي تعيش في جو من الخوف والجبن ، فاذا ما انتفت أسبابها بدت هذه العفة رذيلة منكرة في مسوح البراءة والطهارة . ويجب ان نهدم العفة التي تقوم على الخوف اذ الخوف أرذل خطيئة تهدم الخلق وتقوض الحياة

ثالثا — الثورة التي قامت في علم النفس الحديث ، اعني التي أقامها هذا العبقري العظيم سيجموند فرويد . فقد زلزل هذا الرجل دعائم التفكير القائمة حين اعلن ان اعمالنا ، صغيرها وكبيرها ، وفي جميع مراحل الحياة ، تجري وفق تفكيرنا وشعورنا الجنسي . وان هذه الأمراض التي نرجعها الى اضطراب الاعصاب يجب ان نحللها تحليلا جنسيا صرفا

هزت هذه الآراء مجرى التفكير ، رغم ان الناس لم يفهموا ماذا يعني فرويد بكلمة « الجنس » وأقبلوا جميعا يطالعون كتب السيكولوجيا التي يحشوها الآن مئات من تلاميذ فرويد وشراحه . وبدأ كل رجل وكل امرأة يحلل نفسه وغيره وفق هذه النظريات الخطيرة التي كان لها أثر واسع في الحياة الخلقية . فقد اقتنع الناس جميعا بأن لهم رغبات لا سبيل الى انكارها وأن اتباع هذه الرغبات ليس عملا وضيعا ولا غريبا ، وان كبتها يؤذي الرجل كما يؤذي المرأة اذى واسعا . وكانت نتيجة هذا ان الفتاة لم تعد تهيب ان تصارح نفسها على الاقل ، بأنها لا تتزوج لتشبع عاطفة الامومة فقط كما كانت تدعي ، بل لتبادل زوجها حبا جنسيا

اما الحرب الكبرى فقد ساعدت على انجاح هذه الحركة التي أنشأتها العوامل الثلاثة . وذلك انه اول ما شبت الحرب زادت مكانة الرجل ارتفاعا ومكانة المرأة انخفاضا . فان ميادين الحرب لا تحتاج الا الى الرجال ، أما مصانع الذخيرة فلم تكن قد فتحت ابوابها حينئذ للنساء ، وكانت نتيجة هذا ان شعرت المرأة انها اكثر ضعفا مما كانت امام قوة الرجل المتزايدة ، فلم يكن عسيراً عليه ولا كبيراً عليها ان ترضخ لرغباته . هذا الى أن كل امرأة كانت تشعر في قرارة نفسها أن عليها أن تضحي

من أجل هؤلاء الأبطال الذين أمن عليهم هول الحرب صحة الجد والخطر ، وأحست كل فتاة أنها تقصر في حق وطنها ان هي صدت عن نفسها بطلا من أبطاله قد يموت دفاعا عن حياتها بعد ساعات أو أيام . وأدت هذه الحال الى شيء من الاباحية التي كاد المجتمع يجمعها فضلا عن أن يحللها

وكان الجندي يعود من الميدان بعد غيبة شهور قاسية ليمضي ليلة خاطفة . فهل ينتظر عقودا تكتب وحفلات تقام ليقضي ثلاث ساعات يعود بعدها الى ساحة الموت المرتقب ؟

ومع ان احدا من الناس لم يفكر في أن الحرب ستمتد عشرين عاما ، فقد قام الكتاب والخطباء في كل بلد يحضون الناس على الاكثار من النسل . . . وآمنت النساء جميعا بأنهن يشاركن أزواجهن عبء الوطنية اذا هن أعطين أطفالا يخلفونهم في ساحة الحرب ، وآمنت معهن الفتيات بأنهن يؤدين واجبا وطنيا اذا هن قدمن أجسادهن للحب وأم الوضع . ! !

وهكذا حطمت الحرب قيود النفسية وأباحت الاقتراب الرديئة . ثم انتهت الحرب فلم يجد الناس ما وعدوا من رخاء وثراء ونعيم ، بل وجدوا فقرا شاملا وعملا مضنيا وعيشا ثقيلا ، فانهمكوا في الملذات قدر ما استطاعوا ، يعوضون بها ما فاتهم وما حرموا ، وقد آمن الرجال والنساء على السواء أن التعويض عن حرمانهم المكبوت هو ذلك الرخاء المأمول والنعيم الموعود

هذه هي الاسباب التي سوت بين الرجل والمرأة في الاخلاق ، وهيأت المرأة أن تحيا حياة خلقية جديدة لها محاسنها ولها مساوئها

[خلاصة مقال للدكتورة مودر وري في مجلة [illegible]]

أرباح أبطال الحرب

من الحرب

أصدر الكاتب الامريكي ريموند لوسوهن رسالة شائقة في هذا الموضوع الطريف الذي لم يسبق ان عالجه كاتب بمثل هذه الدقة في تحري الحقائق التاريخية المؤيدة بالأرقام

ووجه الطرافة في هذا الموضوع ان المستر لوسوهن لم يعرض كغيره من الكتاب للأرباح الطائلة التي فاز بها تجار الاسلحة فقط أو لمختلف رجال المال من مختلف الحروب التي أثاروها أو اشتركوا في استغلالها ، بل حاول ان يبحث في كتب التاريخ عن مقدار الثروات الكبيرة التي

ربحها من الحرب أبطال الحرب أنفسهم أي قواد الجيوش وواضعو الخطط الحربية بما فيهم الملوك والأباطرة والأمراء

ويؤكد المستر لويسوهن في كتابه مستنداً الى مراجع تاريخية عديدة لا تحتمل الشك والتأويل، أن ثروة يوليوس قيصر تضخمت بعد عشر سنوات قضاها في الحروب وبلغت ثلاثة آلاف (تالنت) عملة ذلك العهد أي ما يقرب اليوم من مائة مليون فرنك فرنسي

وأما ثروة غليوم الفاتح فقد قدر دخلها في أواخر أيام حياته بنحو ثلثمائة جنيه انجليزي حصل على معظمها من أرباح الحروب ومن دخل ١٤٣٣ ملكية عقارية كان قد احتفظ بها لنفسه في مختلف أنحاء بلاده

ولقد حدث في عام ١٨٠٧ عندما عاد نابليون الى فونتنبلو أن أصدر أمره بأن يوزع مبلغ ١٢ مليون فرنك على جنوده و ٦ مليون على ضباط الجيش و ١١ مليون على القواد. وأما المارشالات فقد غنموا مدخل مالي قدر بنحو ٤١٠٠٠٠ فرنك

ومما يجدر بالذكر أن القائد المشهور ولنجتون منح خمسمائة ألف جنيه انجليزي تقديراً للنصر الذي حققه في اسبانيا، ومنح أيضاً جائزة شرف مالية عقب معركة واترلو بلغت ٢٠٠ ألف جنيه انجليزي

ولما انتهت الحرب السبعينية بين ألمانيا وفرنسا وزع غليوم الأول مبلغ ١٥ مليون فرنك على قواد جيشه، ومنح بسمارك أرضاً واسعة تعرف باسم الغابة السكسونية، وأعطاه أخرى في منطقة هولشتين تبلغ مساحتها ٨٠٠٠ هكتار ووهبه فوق ذلك قصر فردريكسرو وكانت تقدر قيمته بملايين الماركات

ويلاحظ أن بريطانيا جادت بعد الحرب العالمية فأسبغت نعم المنح ووهبت عدداً كبيراً من قوادها مبالغ عظيمة من المال شفعتها بألقاب الشرف

ويلاحظ أن أرباح أبطال الحرب من الحرب كانت فيما مضى أرباحاً مباشرة. أما اليوم فقد تطورت واستولت عليها حرية الدولة واستحالت عند بعض الدول الى منح وهبات، ولكن القدر الأعظم منها يدخل الآن جيوب أقطاب رجال المال وتجار الأسلحة وموردي التجار والوسطاء

وقد أحصى ما استولى عليه هؤلاء في الحروب الأخيرة في الدول المحاربة والمحايدة فبلغ نحو ١٥٠ مليار فرنك ذهبا [خلاصة مقال في مجلة لوموا]

شخصية رجل العلم

ميزاتها وخصائصها

في وسعنا أن نجمل خصائص شخصية رجل العلم فيما يأتي :

أولاً ـ الولع بالعزلة

كل عالم جدير بهذا الاسم هو انسان مدفوع بطبعه الى الزهد والتقشف والبعد عن مغريات المجتمع والحياة في عزلة زاخرة بالاحلام والرؤى مركزة الجهود في فكرة واحدة أو في مجموعة أفكار تحمل في أحوائها سر الحياة الكبرى

فاحتقار للمظاهر وازدراء للمتع الدنيوية وارتفاع بنزوع فوق الشك والترهب ، كل هذه الأعراض يثيرها في نفس رجل العلم حبه العزلة وشعوره بغناها من صفاء وهدوء وقدرة خارقة على الاشراف من عل على حقل الفكر على مختلف صور الحياة

ثانيا ـ الميل الى التواضع

يتواضع رجل العلم أمام الحقائق ليتمكن من استجلاء أسرارها والنفاذ الى جوهرها ، والتواضع هنا نوع من التحايل العقلي فيه لذة عظيمة هي لذة توقع النجاح الفعلي بعد سلسلة من التجارب الفاشلة . وهذا التواضع العقلي يحدث في نفس العالم تواضعا خلقيا وانما لوازمه النظر في نفسه وفي الاشياء والأشخاص بعين عابدة محتفظة بعيدة عن الغلو والاسراف والتعصب والتكبر ، وهو اليقين بأن العلم دائم التبدل والتحول وأن كل نظرية علمية يعترف بها اليوم قد تنقض في الغد ، يزداد حصرا ويزداد عمقا ويزداد تواضعا وبساطة

ثالثا ـ التكشف بالخيال

في شخصية كل عالم روح فنان وعبقرية شاعر فهو كالفنان يتعجب بنظام الطبيعة ويشغف من طريق الكشف عن أسرارها بتجديد ذلك النظام . وهو كالشاعر يسبح في جو من التصورات ويتخيل افتراضات لا عدد لها ، وكثيرا ما تهديه الصدفة أحيانا شدة التخيل الى استكشاف حديد في الحضر يفكر فيه على غير هدى

لذلك يميل العلماء في الغالب الى الفنون مثلما أن اينشتين مهر في العزف على الكمان وهنري بوانكاريه في الرسم وسليم كوري في قرض الشعر

رابعا ـ رياضة النفس على الصبر

الصبر خادم الارادة والارادة مفتاح شخصية رجل العلم ، فهو لا يعرف اليأس ولا يمكن أن يتطرق الى قلبه وتضعف همته عوامل الخيبة وما تحمل من أسف وحسرة

ان التجربة الفاشلة تمر فى صدره ولكنها عمل أن تصرع ارادته ، تضرم فى النقيض كبرياءه فتضاعف صبره وتسوقه بالرغم منه الى معاودة التجربة مرات

والحقيقة أن معظم الفارق بين قوى الانسان وقوى الطبيعة هو الذى يلهب فى رجل العلم سخامة العناد ، لأنه لو فاز فسيؤكد مرة أخرى قدرة الانسان العصيب على اخضاع العناصر الثائرة عليه من كل جانب . فلذلك هو يؤمن بعصبية الصبر ويعتقد أنها السبيل المفرد الى النجاح

خامسا — النزعة الانسانية

العالم يبحث ويجاهد متخطيا حدود وطنه مشرئب العنق نحو الانسانية . وهذا هو السر فى ترفعه عن المنازعات الحزبية وبعده عن معترك السياسة وميله الحق الى الآراء والمبادىء الاجتماعية ذات الطابع الانسانى

وقد تنتفع الدولة بمخترعات ومكتشفات علمائها وتحولها الى طريق الشر ، ولكن العلماء الحقيقيين الذين يهتدون الى نظريات جديدة لا يمكن ان نعتبرهم مسؤولين عن الأساليب التى تطبق بها نظرياتهم والتى تتعارض مع نزعتهم الانسانية [خلاصة مقالة فى مركوردى فرانس]

روح البطولة

فى العصر الحديث

لقد استحال الشعور الوطنى عند بعض الدول الكبرى الى عقيدة شبه صوفية تمكنت من النفوس وتغلغلت فى الافئدة واستولت على العواطف والعقول بين أغزر الناس فكراً وأعمقهم ثقافة وأشدهم رغبة فى خدمة الحقيقة المجردة ذاتها

والواقع أن الحقيقة أصبحت لا تقدس ولا تحترم إلا متى كانت حقيقة وطنية صبغة الجهود والتضحيات تنبع من الدولة وتنصب فيها . فالشعور بعظمة الدولة ووجوب تفوقها وتضافر قوى الافراد جميعا فى سبيل مجدها ، هو العامل النفسى الصوفى الذى ينهض عليه النظام الفاشى فى ايطاليا والنازى فى المانيا . ولا شك أن هذا الشعور أوجد آدابا وأخلاقا جديدة هى آداب وأخلاق القوة المستمدة من الاعتزاز بالنفس والاحساس بروح البطولة

فموسولينى يبذل جهد استطاعته فى خلق شعب من الابطال الظافرين وكذلك هتلر . وأبلغ دليل على ذلك أن الصيحات التى ترتفع من ايطاليا والمانيا هى دائما صيحات الدفاع عن الكرامة والذود عن الشرف والمطالبة بالمساواة فى الحقوق والغرب فى جهاد موسولينى وهتلر أن كلا

مهما يحاول لأول مرة في تاريخ البشرية ، أن يرغم شعباً كاملاً على الحياة في جو من التوتر العصبي الدائم والشعور اليومي المطرد بمعنى البذل وفضائل المخاطرة والتقشف والتضحية !

والحقيقة أن فلسفة موسوليني وهتلر في حكم الشعوب قائمة على اشعارها بأنها تعيش أبداً في حالة ثورية أو في أزمة من أزمات البطولة ، ولذلك لا ينفك موسوليني يدعو الى التسلح ويلوح بالفتوحات الجديدة ، ولا ينفك هتلر عن المطالبة بحق المساواة وعن اقناع شعبه بضرورة التأهب ، لا لاسترداد مستعمراته القديمة فقط ، بل لتوسيع حدوده أيضاً ولاسترجاع مجد امبراطوريته القديمة

فالايطاليون والألمان يعيشون الآن في حالة حرب دائمة أو في حالة تأهب لخوض حرب بطولية ، والدولة المتحكمة في شؤونهم تبذل جهد طاقتها لاذكاء هذه الحالة في نفوسهم والتطور بها من حالة شاذة الى حالة طبيعية ، خشية أن يدب فيهم دبيب الفتور وتستولي عليهم عناصر اللامبالاة والرخاوة وعدم الاكتراث الكامنة في أعماق النفس الانسانية

ولكن هل في وسع الطبيعة البشرية احتمال الحياة في هذا الجو العاصف مدة طويلة ، وهل في مقدور رجل أو عدة رجال اجبار شعب مؤلف من خمسين مليون نسمة على اتخاذ روح البطولة مثلاً أعلى !

لاريب في أن هذا الارهاق يتناقض مع ما طبع عليه جوهر النفس الانسانية . إن البطولة لم تكن مثلاً أعلى إلا عند طبقة معينة هي طبقة الارستقراطيين . وصحيح أن جمهورية لاسيديمونيا كانت قائمة على فكرة البطولة ولكنها كانت جمهورية متواضعة مؤلفة من ثلاثين ألف نسمة

فلكي نجعل من هذا المثل الأعلى الصالح لفئة صغيرة نادرة تخضع له الشعوب الكبيرة وتدين به وتسير على هداه ، يجب أن نأخذ بخناق هذه الشعوب ، ونحد من حريتها ، ونرغمها على الطاعة العمياء ، ونروضها على التسليم بآراء ونظريات أقطاب رجال الدولة ، ونقسرها على تصديق مختلف ضروب الدعاية التي يذيعها أصحاب السلطة ويقيمونها في الغالب على قاعدة التهويش والتهويل

وهذا هو السر في كراهية أحرار الفكر للأنظمة الفاشية أو النازية . بل هذا هو سر الضعف في هذه الأنظمة . والواقع أن البطولة كانت عاطفة سرية عجيبة تأبى النفوس الكبيرة التظاهر بها وعرضها على قارعة الطريق في مناسبة وفي غير مناسبة

والبطولة كلما كانت صامتة ، كانت أعمق أثراً وأشد استعداداً لاحتمال التضحية . وهي تنمو في نفوسنا بفعل التربية ، وبحكم محبة الخير وحاسة المسؤولية وحاسة الاعتزاز عاطفة ملازمة للمجد وارادة الاحتفاظ بهما للماضي وجعل الحاضر جديراً به ، والمستقبل أروع منه وأعظم

والبطولة الطاغية نادرة كما أن حب الادراك نادرة ولذلك لا يجب أن نطلب من الانسان أكثر مما يستطيع أن يعطي وإلا خدعناه وخدعنا أنفسنا

[مترجمة بتصرف عن بونس جاليه في الجورنال دي جنيف]

ألمانيا تخفض قيمة المرأة

فتزوجها في بيتها وتمنعها من التعليم العالي

تريد ألمانيا من نسائها ألا يؤدين اليوم إلا عملا واحداً : هو إنسال أطفال يخدمون الوطن في الحروب القادمة . ذلك أن النازية – كما قال الفريد روزنبرج أحد زعمائها – تعد المرأة التي لم تنجب طفلا ، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة ، عضواً ناقصاً من أعضاء المجتمع .

فليس التعليم العالي محرما على الفتاة الألمانية ، ولكن وضع في طريقها إليه صعاب تصدها عنه . وقد قال رئيس اتحاد جامعة برلين : « إن الجامعات أنشئت للرجال وحدهم لأن الغاية المنشودة من تعليم المرأة هو إعدادها لأن تكون أماً ، ويجب علينا أن ننفى الآن فكرة تعليم النساء لقصد التثقيف فحسب » .

وإعداد الفتاة للأمومة لا يقتضي سوى ثقافة بسيطة تنالها في المدارس الثانوية التي توجه أكثر همها إلى الشؤون الصحية والرياضية ، لتعد من فتياتها أمهات سليمات البدن فحسب . ففيها تدرس مسائل الوراثة والتعقيم ، وأعمال الطهي والتنظيف ، وقواعد الصحة وتمرينات الرياضة . وروح التعليم بوجه عام قائم على تثبيت المبادىء النازية في نفوس الفتيات ، أي زيادة إيمانهن في تمجيد الحرب ، وإكبار القوة ، وتعظيم هتلر ، وقبول فكرة التفاوت العنصري والخلقي بين الشعوب والأجناس .

وبعد أن تتم الفتاة دراستها الثانوية تقضي فترة من الوقت في ممارسة عمل يدوي ، خادمة في أحد البيوت ، أو عاملة في إحدى المزارع ، أو مربية في رياض الأطفال .

وتحث الحكومة الشبان والفتيات على الزواج ، بأن تقرضهم من خزانتها ما يقيمون به حياتهم العائلية ، ثم يسددون هذه القروض مقسطة على عدة سنين . ويسقط ربع الدين كلما أنجب الزوجان طفلا في أثناء مدة معينة . وهي بهذا تقصي المرأة عن مجال العمل والربح ، وتحول دون تحقيق استقلالها الاقتصادي .

وقد يجد هذا العمل من يبرره ويحسبه لو أن غايته إعفاء المرأة من وطأة العمل المجهد وقصرها على العمل المنزلي الهين ، ولكن الواقع أن المرأة لا تمنع إلا من الأعمال التي يتهافت عليها الرجال ، لسهولة أدائها ووفرة ربحها . أما المصانع والمزارع والوظائف الصغيرة في دوائر الحكومة فتفتح أبوابها للفتيات والنساء حيث يحتملن أعباءها المتعبة التي يفر منها الرجال إلى الأعمال الهينة الرابحة

وهكذا أخرجت المرأة الألمانية من مراكز السياسة والمناصب الإدارية الكبرى ، بينما ازدحمت بهن حجرات الآلات الكاتبة . بل لم تعد ترى في ألمانيا كثيراً من المدرسات والطبيبات لأن أبواب الجامعات موصدة في وجوه الفتيات . ولم يدخل كليات الحقوق في ألمانيا كلها سنة ١٩٣٥ سوى سبع عشرة فتاة ، لأنه « يجب ألا توضع المرأة الألمانية في أية وظيفة قضائية » . وليس هناك اليوم ناظرة مدرسة ولا أستاذة في جامعة ، لأن مناصب الإشراف العلمي مقصورة على الرجال وحدهم

ولا يباح للمرأة أن تلتحق بأية وظيفة حكومية قبل أن تبلغ سن الخامسة والثلاثين . وإذا تعادلت كفتا الرجل والمرأة في جميع الوجهات رجحت الأولى في تقدير الحكومة . أي أن مكانة المرأة الاقتصادية لم تعد خاضعة للمنافسة الحرة ، إنما لرغبة الرجل وسيطرته فحسب

والحكومة تعلل هذا بأنها تريد أن ترغم الفتيات على الزواج ، ولكن لو فرضنا أن كل رجل في ألمانيا تزوج وكفل زوجته لبقي فيها ١,٨٠٠,٠٠٠ فتاة وامرأة بدون زوج وبدون عائل

ولم تعط المرأة الألمانية الحديثة علوماً فحسب ، بل أدباً كذلك . فمع أن مهمتها في الحياة قد انحصرت في دائرة الزوجية والأمومة ، فإنها لا تشعر أنها مسؤولة عن تنشئة أبنائها وتعليمهم . ذلك أن الهيئات الحزبية المختلفة هي التي تتولى أمرهم منذ عهد الصبا ، لتوجيههم وجهة قومية حربية معينة . فمنذ سن العاشرة ينضم الصبي إلى « فرق الشباب الهتلري » ، وهنا يحال بينه وبين أمه ليوضع في رعاية هذه الهيئة التي تغفل التقاليد الاجتماعية وتنكر المبادئ الدينية التي ينشأ عليها سائر أطفال العالم

وقد تتساءل : كيف ترضى المرأة الألمانية بهذه المكانة ؟ والجواب هنا أن الفتيات منهن يقبلن على أمل الزواج بتأثير الدعاية القوية المثابرة ، والمتزوجات منهن قانعات بحياتهن العائلية منصرفات إلى الإنسال أكبر عدد ممكن من الأطفال

أما هؤلاء المتعلمات المثقفات فلا يجرؤن على الجهر بآرائهن فيما وصلت إليه المرأة من ضعة المكانة وشدة الحال . وكل ما في وسعهن أن ينظرن في يأس وحسرة فيجدن أن المرأة الألمانية لم يعد لها إلا أن تكون زوجة وأماً . وأي زوج وأي أم ؟ زوج تؤدي واجب الإنسال ، وأم تؤدي واجب الرضاع ، دون أن تشعر بأنها روح البيت وصاحبة الطفل . . .

[خلاصة مقال نشرتها [illegible] في مجلة أميركان سكولار]

حول كتاب الزواج

للمسيو ليون بلوم

المسيو ليون بلوم من أقطاب رجال السياسة في فرنسا وهو رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي . وقد تولى زمام الحكم قبل قيام وزارة شوتان الحاضرة وكان يستند في حكمه الى الأحزاب الثلاثة التي تألفت منها الجبهة الشعبية الفرنسية ، وهي حزب الراديكاليين والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي

وليون بلوم كان أديبا قبل أن يكون سياسيا ، وقد اشتغل مدة طويلة بالنقد الأدبي والمسرحي ووضع طائفة من الكتب الاجتماعية أهمها كتاب الزواج

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في فرنسا حين ظهوره ، ثم نقل أخيراً الى اللغة الانجليزية فأثار عاصفة من النقد والتقريظ دلت أبلغ الدلالة على قيمة النظريات التي اشتمل عليها

ويرى المسيو بلوم ان الزواج لا بد ينتهي الى كارثة اذا أقدم عليه المرء في غير موعده . وهو نظام يصلح لبعض الرجال وبعض النساء في فترة معينة من فترات حياتهم ، ولكنه لا يصلح للجميع في كل وقت

ويعتقد المسيو بلوم أن عهد الشباب لا يتفق ومسؤوليات الزواج وان الرجل يميل أيام شبابه الى التنقل والغزو – ان استطاع – جملة نساء ، كما أن المرأة العصرية تطمح هي الاخرى الى التمتع بنوع من الحرية قد لا يتلاءم وواجبات الزواج

ولذلك ينصح المسيو بلوم بعدم الاقدام على الزواج قبل أن تخمد في نفس الرجل والمرأة عواطف التبدل والتحول والتوق الى التنقل والتغيير

ويقول المسيو بلوم ان ما يكفل ثبات الزواج وتوطده هو شيوع رغبة الهدوء والاستقرار في نفس كل من الرجل والمرأة . ويرى ان عناصر هذه الرغبة لا يمكن أن تتوافر لدى الرجل قبل سن الثلاثين . فاذا بلغ كل منهما السن الصالحة استطاع أن يتزوج واثقا من قدرته على الهدوء والاستقرار متبرما بعواطف التحول والتنقل الملازمة لطبيعة الشباب

ويحمل المسيو بلوم في كتابه على الزواج الناشىء عن الحب ، ويؤكد أنه في حياته كلها لم يعثر على زواج واحد نشأ عن الحب وتكلل بالسعادة . وذلك لأن الحب نفسه رغبة من رغبات الشباب الأول تحمل في أطوائها جميع ظواهر القلق والاضطراب وسرعة التحول مما لا يتفق ونزعة الاستقرار التي يبنى الزواج عليها

ومع ذلك فليون بلوم لا ينصح بزواج المصلحة القائم على التوافق في الثروة والمركز الاجتماعي

والمجرد في الغالب من عوامل التفاهم العقلي والروحي

وإذن فهذا الضرب من التفاهم هو في رأيه قاعدة الزواج . ولكن السعادة البيتية لا يكفي أن تبنى عليه فقط بل في اقترانه بنوع من رجاحة النفس على توديع مفاتن العالم الخارجية وحصر قوى العقل والقلب في كل ما يعود على البيت بالهدوء والسلام

وهذه الرجاحة يكتسبها الزوجان من تجربة الزواج نفسها على شريطة أن يكونا من الاشخاص المتعلمين المستنيرين

ومن أذكى وأصدق ما ورد في كتاب المسيو بلوم أن تحقيق السلام في معظم البيوت ، لايتم في العادة الا بواسطة معاهدة أو اتفاق شبه سياسي يعقده الزوجان ويتعهد كل منهما بالحرص على التزاماته فهو سلام عقد بعد حروب طويلة . ولكن هذه الحروب تترك على الدوام في نفس الزوجين مرارة الخيبة قد تعكر صفو هنائهما وتمهد لحروب جديدة

فخير سبيل لتجنب تلك المعارك هو الزواج في سن متقدمة ، أي في الوقت الذي يشعر الانسان فيه بحاجته الى الراحة والاستقرار والاخلاد الى السكينة عوناً لخلوق يفهمه ويعطف عليه ويستطيع أن يكون صديقاً وفياً له

والحق ان تحقيق الصداقة العقلية والروحية بين رجل وامرأة هو غاية الزواج عند الأمم المتحضرة في عرف ليون بلوم . ولذلك يجب استبعاد العواطف منه وتطهيره من الميول الطارئة والنزعات الاحساسية العابثة وشتى الأهواء الحسية المضطربة التي تعبث بنفس الشباب وتحول بينهم وبين الاستماع لصوت العقل [خلاصة مقال في العدد نيل]

ثروات ملوك أوربا

مرتباتهم لا تكفيهم فيتاجرون

يملك أكثر ملوك أوربا ثروات خاصة جمعوها من الاعمال التجارية التي زووا الى سرها وجهتهم الى حب أفراد الشعب ، فلم تعد مرتباتهم التي تحددها الحكومات وفق ميزانياتها تقوم بما تستدعيه حياتهم الباذخة ، ولم يعودوا آمنين على هذه المرتبات وسط الثورات والحروب التي تزلزل قوائم عروشهم من يوم الى آخر

ولهذا أخذوا يستثمرون بعض أموالهم في الاعمال التجارية فساهموا في الشركات ، وضاربوا في البورصات ، وموّلوا المتاجر الكبرى

فمن الاسباب التي أثارت استياء على ملكها السابق ، الفونسو ، مضاربته في السوق لحسابه بأسهم احدى شركات البترول ، مما أدى الى نشوب نزاع بينه وبين ، بريمو دى ريفيرا ، ديكتاتور اسبانيا حينذاك . فسقط هذا من منصبه أولا ، وعزل ذلك من عرشه ثانيا . وهو يعيش اليوم في رخاء على دخل يأتيه من أملاكه في مدينة نيويورك

وقد ورث ملك يوجوسلافيا عن أبيه الملك الكسندر ثروة تبلغ زهاء أربعة ملايين من الجنيهات ، يتراوح دخلها اليومي بين ٦٠٠ جنيه وألف جنيه ..!

ولم يرث الملك الكسندر شيئا من هذه الثروة بل جمعها كلها من تجاراته التي كادت تحتكر أسواق يوجوسلافيا . وذلك أن البرلمان — وكان أداة طيعة في يده — قرر له مرتبا سنويا قدره ٢٥٠٠٠٠ جنيه ، فاستثمر منه جانباً كبيراً في تجارة الخمور . فامتلك مساحات واسعة من الكروم ، وأقام مصانع حديثة للتخمير والتقطير ، ثم لم يلبث ان تغلب على جميع منافسيه في هذه السوق ، وصارت جميع الفنادق والمطاعم والملاهي تستورد خمورها من المصانع الملكية . ونمت تجارته وزادت ثروته فأنشأ مصانع أخرى للاسمنت ، والآلات ، والاخشاب ، حتى تم له استغلال يوجوسلافيا الاقتصادي

والناس يعرفون كارول ملك رومانيا مضحيا في سبيل الحب بأغلى ما يملك ، ولكنهم لا يعرفون أنه من أشد الملوك حرصا على المال وتقديرا لشأنه . وهذه صفة عرفها في هذه أيام الشدة التي قضاها مبعداً عن بلاده ، الى جانب حبيبته مدام لوبسكو ، على دخل بسيط علمه قيمة المال ووسائل تدبيره . فهو يتقاضى ٧٣٠٠٠ جنيه سنويا يدخر منها ٢٠٠٠٠٠ ألف لا يفرط فيها أبداً وتبلغ ثروته الآن زهاء ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه يستثمر أكثرها في شركات أجنبية

ولا يعرف بوريس ملك بلغاريا كثيراً من متع الملوك لان مرتبه السنوي لا يتجاوز ١٢٠٠٠٠ جنيه . وتبلغ ثروة زوجته الايطالية ٢٥ مليون ليرة يوازي دخلها السنوي مرتبه . ولكن أربعة وعشرين ألف جنيه لا تقوم بما تستدعيه قصور الملك من تكاليف باهظة ، ولا سيما أنه يدفع منها مرتبات خدمه وموظفيه ، ويقيم منها حفلاته ومآدبه . وقد وافق الملك بين حياته وحياة شعبه الفقير ، فقلما تقام في القصر الملكي حفلة باذخة ، ولا تعرف مائدته كؤوس الشمبانيا كثيراً ، ويتعهد الملك بنفسه حديقة قصره ، ويجمع بيديه حزمة [illegible] ، ويسير في شوارع العاصمة يصافح الفلاحين والعمال

ولكن بوريس أحسن حالا من زوغو ملك ألبانيا ، فان مرتبه السنوي ٤٠٠٠ جنيه فقط . وليس هذا المرتب ضئيلا اذا قيس بثروة ألبانيا ومواردها . ولكن ملكها يعيش مع هذا عيشة بذخ وترف ، لانه استغل ماليا تدخل ايطاليا في بلاده ، وجمع من هذا ثروة تبلغ ٣٠٠٠٠٠ جنيه مودعة في بنوك سويسرا وشركاتها

وقد كان ادوارد الثامن — دوق وندسور — أغنى ملوك العالم جميعا ، إذ مرتبه من خزانة

الحكومة ٤١٠٠٠٠ جنيه ، يضاف اليها دخل مقاطعة كورنول التي يمتلكها « أمير ويلز » . وما زالت هذه المقاطعة ملكه له تدر عليه ربحا سنويا يتراوح بين ٥٠٠٠٠ جنيه و ٨٠٠٠٠ جنيه . وله فوق هذا نصيب من تركة جدته الملكة فيكتوريا التي كانت تبلغ ١٨٠٠٠٠٠ جنيه ومن تركة جدته الملكة الكسندرا التي تجاوز مليون جنيه . وقد رفضت الحكومة أن تدفع له مرتبا بعد اعتزال العرش ، ولكن يقال ان أخاه جورج السادس يدفع له كل عام ٢٥٠٠٠ ألف جنيه من مرتبه الحكومي الذي لا يملك سواه ، والذي ينفق منه على قصر بكنجهام الفاخر وعدد ضخم من أمراء أسرته وأميراتها ، ويحافظ به على مظاهر العرش البريطاني

[خلاصة مقال لمراسله خاص في مجلة باريسية]

وباء الانفلونزا سنة ١٨١٩

أهلك في شهور أكثر ممن أهلكتهم الحرب الكبرى

انتشر في كل عصر من عصور التاريخ المتلاحقة وباء فاتك شديد ، ففي العصر القديم حدث وباء الطاعون الذي أفنى ألوفا من الناس والحيوان في عهد الامبراطور جستنيان ، وفي العصر الوسيط انتشر « المرض الاسود » الذي أقفر أقاليم أوربا الغربية في القرن الرابع عشر ، وفي العصر الحديث أصيب العالم كله بوباء الانفلونزا الذي انتشر في الشهور الأخيرة من الحرب الكبرى

وكان هذا الوباء الأخير أكثرها انتشارا وأخطرها أثرا ، لأنه عم جميع انحاء الدنيا في أثناء أسابيع قلائل ، وأودى من أهلها بأكثر مما أودت الحرب الكبرى ذاتها . ولولا أن هذه الحرب كانت حينئذ قد استأثرت بتفكير الناس وشعورهم في شتى جهات العالم ، ولولا أن صفحات الجرائد وأقلام الكتاب كانت تكرس لنشر أنباء الحرب والحديث فيها ، لعد ذلك الوباء أخطر حادث وقع في تاريخ الانسانية كله

ففي خلال شهرين فحسب أهلك وباء الانفلونزا في الهند خمسة ملايين نسمة ، وفي أمريكا نصف مليون نسمة أي عشرة أمثال من توفوا من الامريكيين في ساحات الحرب الكبرى . ولم ينج منه اقليم في أشد المناطق حرارة وفي أكثرها برودة ، فعم قارة أفريقيا التي تلفح الشمس أهلها ، كما انتشر في شمال أوربا وأمريكا حيث يكسو الجليد الارض أكثر شهور السنة ، وأصاب غرب أوربا وشرق أمريكا ، كما انتقل الى الجزر المتناثرة في أرجاء المحيط الهادي

ففي ألسكا خلت قرى بأسرها من جميع رجالها ونسائها ، وفي جزائر فيجي أصيب بالانفلونزا

وجاء ٨٥ في المائة أو ٩٠ في المائة من أهلها ، وهلك ٧٠٠٠ نسمة في جزائر ساموا في جنوب المحيط الهادى التي يبلغ عدد سكانها ٣٠٠٠٠

وقد ظهرت علائم هذا الوباء أول مرة يوم ٥ مارس سنة ١٩١٨ في ولاية كانساس بامريكا ، فذاعت هناك إشاعة غريبة هي أن الأمر مكيدة دبرها جواسيس ألمانيا ، ولكن لم تمض أيام حتى حدثت الصحف بأنباء انتشاره في فرنسا وألمانيا والصين واليابان . . ثم انتقل في شهر ابريل الى ميدان الحرب فأصيبت به الجيوش البريطانية والالمانية والامريكية المحاربة في أوربا . وفي يونيو انتشرت جراثيم المرض شمالا وجنوبا فشملت اسكتلنده واسبانيا ، ثم طارت شرقا فملأت أجواء الهند والصين ، وطارت غربا فعبرت المحيط الاطلنطي الى امريكا . وهكذا شملت أقاليم العالم كلها ، دون أن تترك في اقليم منها مدينة أو قرية لم تصل اليها

ولا يعرف أحد من الناس حتى اليوم كيف كان ينتقل هذا الوباء ، ولكنهم انصرفوا مذعورين عن الأماكن المزدحمة وآثروا العزلة قدر الامكان . فألغيت المباريات الرياضية وأوقف سبق الخيل ، وأغلقت أكثر الملاهي في أوربا وأمريكا

وكاد هذا المرض الوبائي يوقف حركة العالم ، ولتعرف مبلغ خطورته نحدثك عما حدث في أمريكا حينذاك : أغلقت المدارس والجامعات في مدينة بوسطن وواشنطن ، ومنعت دور الكتب في نيويورك إعارة كتبها ، ومرض من عاملات شركة التليفون بها ١٦٠٠ فتاة فطلبت الى الجمهور الا يلجأ الى التليفون إلا وقت الضرورة الملحة ، ومنع الناس من دخول الكنائس وراح بعضهم يؤدى الطقوس الدينية في الهواء الطلق . وكنت ترى الناس في الطرق والعربات والمصانع قد غطوا وجوههم بكمامات واقية من الجراثيم التي عمت الجو .

وأصيب نصف سكان بعض المدن بالانفلونزا ، فصار الناس في حاجة الى أضعاف الأطباء والممرضات ، وكان الطبيب يلهث ليفحص مريضا فيجد الى جانبه عشرة آخرين . أما المستشفيات فكانت تبث الفزع والرعب فيمن يراها ، إذ تكدس المرضى في طرقها وردهاتها بعضهم فوق بعض ، فالغرفة المخصصة لثلاثين مريضا يكدس فيها ستون أو أكثر . وكانت الممرضة تدخل غرفتها في الصباح فتجد وجوها جديدة لم ترها في المساء الفائت ، وتفتقد وجوها أخرى ماتت في أثناء الليل

وزادت الحالة سوءاً حين عجز الاطباء عن وقاية أنفسهم من المرض فمات كثير منهم . . وبلغ الأمر بالناس أن ارتفعت أثمان الأكفان وصناديق الموتى ، ووجد العاطلون عملا في حفر القبور . . !

ووقع مثل هذا في أكثر بلاد العالم . ولكن لم تلبث هذه النكبة الفادحة طويلا ، وإلا لأخلت الأرض من البشر ، فأخذت وطأة المرض تخف شيئا فشيئا حتى جاء شهر نوفمبر فاذا بالعالم قد خلص من هول الوباء كما خلص من هول الحرب . .

[خلاصة مقال لفردريك لويس الن في سكربنر مجازين]

تقدم العلم والعالم

جبل جديد

قد جهل الى أن الانسان لم يعد يجهل أي جزء من الارض، فقد مكنته الوسائل العلمية المختلفة من أن يصل الى القطبين الشمالي والجنوبي ويسبر ما حولهما من الآفاق، ومن أن يتسلل الى جوف الغابات الاستوائية يصيد حيوانها وسط الظلام الدامس. ولكن «المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي» أعلن اخيراً أن هناك جبلاً شاهقاً في منطقة مأهولة لم يره الانسان من قبل، ولهذا فقد أوفد بعثة ربما ليكتشفه.

وهذا هو جبل «أويسوي» كما أسماه أول رجل رآه وهو في طائرته، ويقع وسط غابات فنزويلا بأمريكا الجنوبية. وهي منطقة يجهل الانسان أكثر أسرارها. إذ تحجبه عنه الغابات الكثيفة يستغرق اجتيازها مسيرة شهرين وسط وحوش وزواحف قاتلة .. ويبلغ ارتفاع الجبل ٨٠٠٠ قدم، ومساحة قمته ٣٠٠ ميل مربع.

وقد ظل مجهولا حتى اليوم، لأن جزءاً كبيراً منه غائر في الارض نتيجة كسر حدث في القشرة الأرضية هناك .. وهو مفرق عن جبلين كشفا منذ سنوات قلائل وهما «[illegible]» في الغرب، و«روراليا» في الشرق، وقد اتخذ القصصي الانجليزي «كونان دويل» ثانيهما مسرحاً لقصته «العالم المفقود».

وستكون مهمة البعثة التي أوفدها متحف التاريخ الطبيعي على نفقة أحد أغنياء فنزويلا، أن تضع رسماً جغرافياً لهذه المنطقة ماحياً من غابات وجبال، وأن ترجع بطائفة من حيوانها وطيرها ومجموعة من أحجارها كذلك. وما زال في فنزويلا والبرازيل وغانا مناطق مجهولة تحتاج الى جهود الرحالة والعلماء.

علاج السيلان في ثلاثة أيام

أعلن الدكتور ألي Prof. E. P. Alyea من أساتذة الطب في جامعات أمريكا، أنه ابرأ عدداً كبيراً من المرضى بالسيلان في مدة ثلاثة أيام بواسطة مركب سلفانلاميد Sulfanilamide فقد عالج به ١٥٨ مريضاً ابرأ اربعة اخماسهم بعد ثلاثة أيام، ولم يصب أحد من الباقين بمضاعفات هذا المرض التي تسبب آلاما لا تطاق

وقد ثبت أن نصف من يعالجون بالوسائل الحالية يتألمون للمرض بعد ذلك، لأنه لا يقضي على جراثيمه قضاء تاما. أما بواسطة هذا المركب الذي لم يجربه أطباء أمريكا إلا العام الماضي فقد عولج ٨٣٠ مريضاً لم ينتكس احدهم حتى اليوم كما أمكن برء نصف من أصيبوا بمضاعفات السيلان، وتخفيف وطأة آلامه عن بقيتهم

ويجب أن يكون العلاج بهذه الطريقة تحت اشراف طبيب يفحص دم المريض مرة كل يومين، لأنه ما يصيب كرات الدم البيضاء والحمراء من جرائها أحيانا

أسرة العلم

صدر أخيراً بالانجليزية الكتاب الذي وضعته الآنسة «ايف كوري» عن أمها العظيمة

« معمل كوري » وهو ترجمة طريفة دقيقة لهذه السيدة التي تمثل بطولة المرأة في أسمى صورها، فقد كشفت عنصراً من أثمن العناصر وأندرها وهو « الراديوم » كما أنها انشأت أسرة يبذل أفرادها أنفسهم وينذرون جهودهم للعلم وحده. فهي التي أعانت زوجها « بيير » أيام الشدة والحث على المثابرة في بحوثه العلمية التي مهدت السبيل الى كشف الراديوم، وشاركته جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٠٣. ولما مات قتيلا سنة ١٩٠٦ استأنفت بحوثه، عاكفة في معملها ساهرة على كتبها، حتى وصلت الى النصر، فنحت جائزة نوبل المرة الثانية سنة ١٩١١. وهي التي أنجبت اثنتين من أبرز الشخصيات العلمية المعاصرة « ايف » التي ترجمت حياة أمها ترجمة علمية بارعة، و « ايرين » التي نالت هي وزوجها « فردريك جوليوت » جائزة نوبل للعلوم سنة ١٩٣٥. وهذه هي الأسرة الوحيدة التي نال ثلاثة من أفرادها اسمى جائزة علمية أربع مرات

لماذا بني سور الصين

كما اختلف علماء الآثار في سبب تشييد أهرام مصر، اختلفوا كذلك في سبب اقامة سور الصين العظيم الذي يعد احدى عجائب الدنيا السبع القديمة

فقال أكثرهم إنه أنشيء لغرض حربي هو صد غارات الشعوب التي كانت تعيش في شمال الصين. وبنوا قولهم هذا على ما ذكره المؤرخون والرحالة القدماء من شرقيين وغربيين

أما عامة الصينيين فيعتقدون أنه أقيم حماية للادم من الأرواح الشريرة التي تهجم عليه من آفاق مقفرة جرداء

ولكن أحد العلماء الحديثين اعلن أخيراً أن الغرض من اقامة السور لم يكن هذا ولا ذاك، ولكن بناء الأسوار كان عادة شائعة في الصين ما بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد. وكانت الصين حينذاك مقاطعات منفصلة يحوط كلا منها سور مرتفع سميك، فلما قام الامبراطور « هوانج تي » بتوحيد هذه المقاطعات وانشاء الامبراطورية الصينية الأولى رأى أن يحيطها بسور يوضح حدودها. وقد آثر تعيين الحدود الشمالية وحدها لأنها تنتهي بمناطق مقفرة تزخر منها قبائل من البربر الذين يعيشون على الصيد والرعي، فيختلفون عن الصينيين الذين كانوا يعيشون عيشة زراعية مستقرة في ظل حكومة منظمة. أي أن القصد من السور ليس منع الرعاة البربر، فالثابت أنه لم يقف في وجه كثير من قبائل التتر، وانما منع الصينيين من اجتيازه الى بلاد متبربرة همجية

تستطيع وحدك إسقاط الطيارات

أظهرت الحرب الاسبانية القائمة كثيراً من وسائل الدفاع وأدواته. فمن ذلك مدفع جديد يستطيع وقف هجوم الدبابة التي كانت أكبر أسباب انتصار الحلفاء في الحرب الكبرى، وانتصار ايطاليا في فتح الحبشة. ومن ذلك أيضاً بندقية سهلة الحمل والتوجيه تستخدم في إسقاط الطائرات التي كان لا يسهل اسقاطها من قبل الا بمدافع ضخمة ثقيلة، تقتضي عربات بعجلة وعدداً من الجنود والمهندسين لادارتها، وقد كان اقتناء هذه المدافع عسيراً، الى حد أن قوة الدفاع المصرية لم يكن بها الى عهد قريب سوى مدفع واحد من هذا الطراز

والسفينة الحديثة يديرها جندي واحد ، له مقعد صغير في الجزء الخلفي منها . وبقدميه يستطيع أن يرفع أو يخفض أسوتها (ماسورتها) وبيديه يستطيع أن يوجهها الى اليمين أو الى الشمال . وهي تقذف قنابلها الى أعلى مسافات بعيدة فتبلغ ما تبلغه قنابل المدافع الكبيرة . ومن مزاياها أن أجزاءها يمكن أن تطوى بعضها على بعض فيستطيع الجندي أن يحملها على ظهره في أثناء سيره . وهي الى هذا لا تتكلف نفقة كبيرة . فينتظر أن تحدث تطوراً خطيراً في أعمال السلاح الحربي

اختبار متانة القماش

تستطيع بعد اليوم أن تدخل محال الأقمشة أو الملابس وأنت واثق من أنك لن تخدع في متانة ملابسك ودقة نسجها ، لأنك لن تعتمد في اختيارها — كما تعتمد الآن — على تجاربك الخاصة أو على أقوال البائع ، وانما على آلة اخترعت حديثاً في أمريكا يمكن بواسطتها معرفة متانة خيوط القماش ودرجة اتقان نسجها . وذلك بأنك تطوق قطعة من القماش في رأس مسمارين ثم ادارة عجلة تباعد بين المسمارين شيئاً فشيئاً . فاذا انقطعت خيوط القماش تواً دل على ضعف متانتها وسوء نسجها ، وكلما استطاعت هذه الخيوط أن تبقى رغم تباعد المسمارين دل على صلاحيتها . ويتحرك المسماران فوق مقياس دقيق يمكن بواسطته المقارنة بين أنواع الأقمشة المختلفة من حيث المتانة . ويرجح أن ينتشر هذا الجهاز البسيط في شتى محال الأقمشة ليقدم اليها المشترون وهم مطمئنون الى أن نقودهم ستنفق في أقمشة تستأهلها

لماذا تغزو اليابان الصين ؟

الحرب التي تدور الآن بين اليابان والصين ليست إلا حلقة من سلسلة طويلة من الحروب شنتها اليابان على جارتها تنفيذاً لخطة مرسومة منذ خمسين عاماً . فقد واجهت اليابان منذ منتصف القرن الماضي مشكلة زيادة سكانها زيادة خطيرة تفوق كثيراً نمو مواردها الاقتصادية حتى بعد ان أخذت بالصناعة الحديثة وتقدمت فيها خطاها السريعة كما ترى من تعداد السكان الآتي :

سنة	مليون نسمة
١٨١٥	٢٥
١٨٥٠	٢٧
١٨٧٥	٣٥
١٩١٠	٤٥
١٩١٨	٥٧
١٩٣٠	٦٤
١٩٣٥	٦٩
١٩٣٨	٧١

ويرجع هذا الى أن نسبة المواليد في اليابان تزيد عنها في أكثر أقطار العالم ، فيولد الآن في اليابان كل عام زهاء ٢١٠٠٠٠٠ طفل . ومع أن نسبة الوفيات مرتفعة كذلك إلا أن عدد السكان يزيد يومياً بمعدل ٣٠٠٠ نسمة ، فكأن اليابان في حاجة الى أن تنشئ كل يوم قرية جديدة . ومع أن صناعة اليابان وتجارتها تقدمتا في الخمسين سنة الماضية تقدماً كبيراً يدل على زيادة حمولة أسطولها من ١٥٠٠٠ طن سنة ١٨٧٠ الى أربعة ملايين طن في العام الماضي ، فان مواردها الاقتصادية ما زالت عاجزة عن التمشي وفق زيادة سكانها

ولهذا اتجهت اليابان قسراً الى جارتها الصين ،

وما فيها من مرافق غنية بالفحم والحديد وغيرها من المواد الخام التي لم تستغل بعد لقلة رؤوس الأموال الطائلة وهبوط مستوى الصناعة الحديثة فيها . وقد حاولت اليابان أن تحل مشكلة زيادة سكانها بدفعهم الى الهجرة الى البلاد الشاسعة الفسيحة مثل استراليا وأمريكا ، ولكن هذه لم تلبث أن أوصدت أبوابها في وجوه اليابانيين بدعوى منع اختلاط السلالات الملونة بالسلالات البيضاء ، وحماية عمالها من منافسة العامل الياباني الذي يرضى بأزهد الأجور مقابل أشق الأعمال

تأثير الحرارة في اللحية

ظل الدكتور بول أيتون من أطباء أمريكا عاما كاملا يدرس تأثير حرارة الجو وبرودته في نمو شعر اللحية ، حتى انتهى أخيراً الى أن هذا الشعر ينمو في الصيف أسرع مما ينمو في الشتاء

وكانت التجربة التي أجراها طريفة حقا .
فقد اختار مساحة قدرها بوصة مربعة من خده الأيمن ، وظل يحلقها صباح كل يوم في ساعة معينة . واتخذ جهازاً خاصا للحلاقة يضمن به أن يكون احتكاك الشعر على نظام معين . وبعد كل يوم يختار ١٠٠ شعرة من الشعرات التي احتشها ، ويقيسها بجهاز الميكرومتر الذي تقاس به الأطوال الدقيقة . ويضع متوسطا لطول هذه المائة شعرة ، ويثبت أمام هذا المتوسط درجة حرارة الجو في اليوم الذي سبق الحلاقة ، أي في اليوم الذي نما فيه الشعر . وقد انتهى من هذا الى أن نمو الشعر يطرد مع درجة حرارة الجو ، وأنه لهذا يطول في الصيف أكثر مما يطول في الشتاء

هل تعلم ؟

• أن عدد من قضت عليهم الزلازل التي حدثت في الصين في الأربعة القرون الماضية زهاء ٥٠٠٠٠٠٠ نسمة ، أي بمعدل يزيد عن ألف انسان في السنة الواحدة ؟

• وأن حاستي البصر والشم في النحلة أقوى منهما في الانسان ، فقد وجدت نحلة تمتص نباتات لا يراها الانسان بعينه المجردة ؟

• وأن ١١٠٠٠٠٠٠ فتاة وامرأة في الولايات المتحدة يمارسن مختلف الأعمال اليدوية والفكرية ، وأن عائلة من كل عشر عائلات في أمريكا تقوم بالانفاق عليها الفتيات والنساء العاملات ؟

• وأن الكتل الثلجية التي تنحدر على سفوح جبال الألب ، وتكتسح أو تطمر ما في طريقها من أكواخ ودواب ، تهوي بسرعة ١٢٠ ميلا في الساعة ؟

• وأن بعض مصانع ألمانيا استطاعت أن تستخرج من الفحم مادة دهنية يصنع منها الصابون ، وانه عرضت في السوق قطع من هذا الصابون ولكنها غالية الثمن ؟

• وأن الانجليز في القرن السابع عشر لم يكونوا ينزعون ريش الأوزة بعد ذبحها ، بل يسلخونها كما يسلخون الشاة ؟

• وأن عدد اللغات التي تتكلمها شعوب أوروبا لا تقل عن ١٢٠ لغة ، منها ٣٨ لغة مجموع المتكلمين بها لا يجاوز مليون نسمة ؟

• وأن كلبا من كلاب السباق قطع ٦٠٠ ياردة في ٣٤ ثانية ، أي أن معدل سرعته ٣٦ ميلا في الساعة ؟

كتب جديدة

أمراء البيان

للاستاذ محمد كرد علي

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . جزآن

في نحو ٦٠٠ صفحة

الاستاذ محمد كرد علي في طليعة الأدباء الذين يسعون لاحياء التراث العربي ودراسة كتاب العرب وشعرائهم دراسة عصرية قائمة على بحث مؤثرات البيئة والعصر وخصائص العبقرية الذاتية

ومما لا يقبل الريب ان انشاء معجم أدبي عظيم يجمع مختلف الشخصيات العربية الملحوظة المكانة في عالم الأدب ، جهد عسير شاق لم يوفق أديب الى تحقيقه بمثل هذه الاحاطة الموسوم بها كتاب الاستاذ محمد كرد علي

لشخصيات عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وعمرو بن مسعدة واحمد بن يوسف الكاتب والجاحظ وأبي حيان وابن العميد ، جميعها ماثلة أمامنا تختلج حركة ونشاطا وحياة

ويلاحظ أن طريقة المؤلف في رسم هذه الشخصيات تمتاز بعرض شؤون العصر ومؤثراته أولا ثم تتناول الاصل والمنشأ ثم الاخلاق الخاصة فالاسلوب المميز للكاتب وطريقته فالاعمال الباقية له والتي حفظت خلوده واستطاع أن يساهم بها في حركة التطور الفكري العربي

ولقد اتبع الاستاذ محمد كرد علي في وضع كتابه الشائق نهجا علميا تحريريا جرد أسلوبه من المحسنات اللفظية وضروب الترف الظاهري وأضفى عليه حلة رائعة من الدقة وبلاغة النقد المتزن ، فجاء سفرا أخاذا خطيرا يجب أن يقتنيه ويتوافر على دراسته كل عربي

وعندنا ان أمثال هذه الكتب تحبب ماضينا الينا وتحفزنا الى احياء الصالح منه وتقربنا بطائفة الأمس البعيد ، وتساعدنا على فهمه وتذوقه واحلاله المكان الجدير به بين آداب العالم

ابن سينا الفيلسوف

بقلم الأب بولس مسعد

مطبعة الاتحاد بيروت في ١٣٠ صفحة

يقول العلامة برتلمي سانت هيلير إن العقل الانساني بطيء في سيره ويحس به وهو سائر في طريقه أن يعود بنظره بين الفينة والفينة الى الوراء ليرى من أين ابتدأ سيره ، وهكذا يستطيع أن يسدد خطاه في المستقبل نحو المقصود الذي ينتظره

ويعتقد مؤلف هذا الكتاب أن لا شيء يبعث على دراسة العقل العربي في خطواته الأولى أكثر من دراسة تاريخ الفلسفة العربية دراسة علمية . وهذا ما أقدم عليه في رسالته الواعية عن الرئيس ابن سينا

ولقد حدثنا الأب الفاضل عن البيئة التي نشأ فيها الرئيس وعن حياته ومصنفاته ومنطقه وتقسيمه العلوم ونظرته الى النفس وأبحاثه في ماهية الله وفي العناية الالهية وفكرة

الخير والشر ، ثم انتهى من هذا كله الى أن فلسفة ابن سينا لا تختلف عن جوهر فلسفة أرسطو . فالرئيس يدرس المنطق أولا ويعلقه وفق طريقة أرسطو ثم يتناول الطبيعيات فيلق عليها نظرة تلائم المعارف التى كانت شائعة فى عصره ، ثم يعالج علم النفس باعتباره جزءاً من أجزاء الطبيعيات ، فيتكلم عن الأنفس النباتية والحيوانية والعاقلة متطرقا الى قواها وعيراتها ثم يتلو ذلك تحليل العقل وسائر الادراكات

ويعترف الأب الفاضل بأن الرئيس ابن سينا جمع فى صدره شتات الحكمة والمعارف العلمية وهضم نتاج للتفكير الأغريقى ورتبها وأضاف عليها ما هدته اليه بحوثه الخاصة

وأبدع ما فى رسالة الأب بولس سعد تفريقه بين شخصية الفيلسوف الحر وشخصية الفيلسوف اللاهوتى المقيد بتعاليم الدين وأصوله ، فالأول يبحث بواسطة العقل المجرد عن براهين تؤيد حقائقه ، والثانى يتجه بأنظاره الى الوحى الديني لاثبات شتى الحقائق . فالعقل شيء والوحى شيء آخر . وقد يسلم العقل بحقائق الوحى ولكنه لا يستطيع اثبات أسراره اثباتا مطلقا . وعندئذ يكون تسليم العقل صادراً عن الايمان . وهذا هو الحد الذى يفصل بين الفلسفة والدين

الحلم

قصة مصرية للاستاذ نقولا يوسف

مطبعة المجلة الجديدة فى ١٠٨ صفحة

لا بد لكل قصصى من استخدام ذكرياته الشخصية ووقائع حياته من أنغم على وضع قصة . ولكن من «روائيين» من يعتمد على تخيل الحوادث العامة أكثر مما يعتمد على نقل وتصوير الحوادث الخاصة

والفن الروائى ينقسم فى جوهره الى قسمين «ذاتى» و «موضوعى» . وقد آثر الاستاذ نقولا يوسف أن يضع قصة ذاتية حشد فيها مختلف الوقائع والعواطف التى مرت به فى مقتبل عمره ومستهل شبابه

وقصة «الحلم» تمثل لنا الصراع الأبدى بين الروح الخيالية الرومانتيكية المتمسكة من خوص معظم الشباب وبين الروح الدنيوية العملية المستمدة من اغراء المادة والتوق الى التمتع بكل ما هو مادى فى الحياة

فالحب الشعرى الخيالى النقى ، والنزعات التأملية التجريدية ، والرغبة فى الفرار من هذا العالم على أجنحة الصور والوهم ، والحلم بدنيا أسمى من هذه الدنيا وأروع صفاء وأكمل خلقا وعقلا ، جميع هذه الاحساسات التى نطوف بنا ونحمل أنغامها فى طور الشباب الأول ، جمعها فى رواية «الحلم» ممثلة خير تمثيل ومصورة بريشة رسام ماهر

والحق ان الاستاذ نقولا يوسف أبدع أيما ابداع فى الجزء الوصفى من قصته ، فهناك مناظر طبيعية مصرية أجاد تصويرها اجادة فائقة ونرى الدقة المتناهية فى ابراز معالمها فأشعرنا بما فيها من جمال هادىء فاتر وسنان

وليس شك فى أن الابداع فى وصف الطبيعة المصرية يرجع الى حب المصرى هذا البلاد وبجاعف تعلقه بها وحرصه عليها وانغماسه فيه واخلاصه لها . وهذه الظاهرة الوجدانية شائعة فى كل سطر من سطور القصة وهى السر فى قيمتها الأدبية واعجابنا الشديد بها !

ولعل مؤلفها يواصل الجهد ويتبعها بأخرى

إن عناصر الفن القصصي متوافرة ولا ريب في أسلوبه ونظرته إلى الحياة

الضرائب ومصروفات الدولة

للأستاذ روفائيل مسيحة

مطبعة المجلة الجديدة في ١٠٠ صفحة

لكل ضريبة مالية تفرضها الحكومة أثرها في حياة الشعب، لأنها تمس صميمه وتتعلق عليه، فينبغي لكل فرد منه أن يدرس إيرادات الدولة ومصارفها ليكون على بينة من أعمال الحكومة النائبة، ولا سيما بعد أن صار تقدير الميزانية ومراقبتها أول حقوق الشعب وأهمها في النظام الديموقراطي. وقد انقضى العهد الذي كان ينظر فيه الشعب إلى الحكومة نظرة الحذر والتوجس والرهبة، ويعتقد أنها قامت لتستنفد مجهوده وتبتز أمواله، لتنفقها على الأمراء والأشراف، وصار يرى أنه هو الذي يقيم الحكومة لتدبر أمره وتوجه نشاطه نحو الأمن والرخاء والحرية

وهذا الكتاب الذي وضعه الأستاذ روفائيل مسيحة خريج كلية الآداب يشرح موضوع إيرادات الدولة ونفقاتها شرحاً وافياً دقيقاً، متوخياً في دراسته الناحية الاجتماعية العامة لا الناحية الإدارية الضيقة. فأورد أولاً آراء الاقتصاديين في تعريف الضريبة وناقش كلا منها، ثم قسم الضرائب أقساماً مختلفة وبين أي نوع منها وكيف يتوزع على أفراد الشعب، ثم تحدث عن مختلف الضرائب المفروضة على الأرض والمباني والرؤوس والمحصول والزكاة، وختم هذا بعرض عام لسائر إيرادات الدولة. وبحث الجزء الأخير من الكتاب مصروفات الدولة والمبادئ العامة التي تحقق وفقها، والوجوه التي تتوزع عليها هذه المصروفات

وليس الكتاب بحثاً اقتصادياً جافاً، بل دراسة اجتماعية قيمة، يحسن بنا جميعاً أن نقرأها، فلا يصح حكمنا على حكومة ما إذا لم نكن على بينة من سياستها في جمع المال وإنفاقه

رأي في تدريس اللغة العربية

للدكتور إسحق موسى الحسيني

المطبعة التجارية بالقدس في ٦٤ صفحة

يرى الدكتور إسحق موسى الحسيني أن لإغناء كل لغة ونموها طريقاً واحداً هو إغناء الفكر وتحرير العواطف وتوليد الظروف الاجتماعية. ولا يمكن أن تكون لغة من اللغات غنية بتعابيرها الاجتماعية إن كانت لغة أمة حياتها الاجتماعية ضيقة محدودة. كما أنه لا يمكن أن تكون لغة غنية بتعابيرها العاطفية إن كانت لغة شعب محدود العواطف. فإن كان هذا حال العرب حيناً في الماضي والحاضر فهو إذن الحال الطبيعي الذي يجب أن تخضع له اللغة العربية

ويعتقد الدكتور أن التطور الاجتماعي كفيل بإغناء اللغة العربية ثم يقترح أن تدرس هذه اللغة جملاً لا مفردات تعجيلاً بإحداث ذلك التطور. وهو يرى أن الجملة هي وحدة الكلام ومع ذلك فقد قلت العناية بالجملة وانصرف النظر إلى المفردات، في حين أن للفظة منتزعة من الجملة مدلولات كثيرة واستعمالات عدة. ولكن الذي يحدد المدلول ويعين الاستعمال هو القرينة ولهذا يجب أن تدرك القرينة لإدراك المدلول وأن تحيا المفردات بإحياء الجمل وأن تدرس اللغة جملاً لا مفردات

ولا شك أن رسالة الدكتور المسيس جديرة بأن يطالعها المدرسون ويمعنوا النظر فيما اشتملت عليه من حقائق طريفة ومزج عصرى فى تدريس اللغة العربية

فرويد والتحليل النفسى

للاستاذ جورج حزين

المطبعة العصرية فى ٨٠ صفحة

ظهر فى مصر عدد وافر من المؤلفات التى تبحث فى السيكولوجيا الحديثة وفى نظريات وتطبيقات العلامة النمساوى فرويد فى التحليل النفسى . ولكن الرسالة التى وضعها الاستاذ جورج حزين تكاد أن تعتبر مختصراً جامعاً وافيا لهذا المذهب ، فقد عرض فيها بأسلوب واضح بسيط لشتى آراء وتعاليم فرويد فى الغريزة الجنسية وعلم اللاشعور وتفسير الاحلام وتأثيرها فى اليقظة

ولقد أجاد المؤلف فى شرح عوامل الكبت الجنسى وتصوير كل مرض عصبى رده الى العمل الجنسى الذى كان السبب فى تكوينه . ثم استدرك وحمل على أعداء فرويد وأوضح كيف أن هذا العالم لم يقل مطلقا بأن اللذة الحسية هى القوة الوحيدة التى تحرك العالم وتسيره ، وانما قال ان جميع أحلامنا تقريبا ترجع الى الغريزة الجنسية التى كبتناها فى نفوسنا تحت تأثير أنظمة المجتمع وقوانينه ، فأصبح اخفاء أخص المسائل الذاتية من أكبر أسباب الجنون النفسى عند الرجال والنساء . فالطريقة الوحيدة لتفادى هذا الخطر هى كشف الستار عن حقيقة هذه المسائل واظهارها فى وضح النور بقوة التحليل النفسى

والكتاب فى مجموعه مركز أصيل وتام تركيز وقد استند صاحبه فى وضعه الى عدة مراجع لطائفة من أكبر علماء السيكولوجيا الحديثة

جهاد المستبدين

للاستاذ خليل ابراهيم الشوت

طبع فى بوينس ايرس فى ٦٥ صفحة

أهم عناصر القصة التخيلية تركيز الحوادث وتحديد الاسباب فى التحليل النفسى ورسم الشخصيات والقدرة على اختراع مواقف تهز الاعصاب ولا تخرج عن دائرة الواقع . وهذه العناصر متوافرة فى قصة جهاد المستبدين التى اقتبسها عن الاسبانية الاستاذ خليل ابراهيم الشوت

وتقع حوادث هذه القصة فى البلاد الروسية وفى العهد الذى طغى فيه سلطان القياصرة وبعض كبار رجال الكنيسة وجار على حقوق سواد الشعب

وتمتاز القصة بشيوع روح التسامح الفكرى بين سطورها واحتوائها على الدعوة الى اعتناق ما تأمر به الاديان جميعا من فضائل الاخوة البشرية والتراحم الانسانى والبحث عن الحق الروحانى الاسمى ، وهى عبارة عن صورة الوقائع شديدة التأثير تتمثل فى صراحة وجرأة ذلك الجهاد الذى تقوم به الطبقات العاملة للتحرر من استبداد الاقطاعيين ومن يناصرهم من رجال الاكليروس الرجعى ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية فى ظل التسامح وعزل عن التعصب الدينى

ولقد أفرغ الاستاذ خليل ابراهيم الشوت هذه الترجمة فى حلة عربية شائقة تدل أبلغ الدلالة على محصول لغوى وافر وذوق أدبى سليم

قصص من الغرب

للأستاذ انور شاول

مطبعة المعارف ببغداد فى ١٠٦ صفحة

الأستاذ انور شاول من أبرع كتاب العراق فى وضع القصة العصرية ذات الطابع العراقى الأصيل . وله مؤلفات قصصية تنم عن مواهب أدبية بارزة وعن قدرة ملحوظة فى تخيل وقائع وحوادث تنبع من الواقع المحسوس وتعبر عن النفس الانسانية

وقد أراد فى كتابه الأخير (قصص من الغرب) نقل بعض روائع القصص الأجنبية وتقديمها لأدباء الشرق العربى كأمثلة لما يجب أن يكون عليه فن القصة الرفيع . فاختار عدة أقاصيص فرنسية وروسية وانجليزية لنفر من كبار كتاب الغرب أمثال جوركى وتورجنيف ومارسيل بريفو ووايلد ووضعها فى أسلوب عربى شائق محكم العبارة متين التراكيب . ولا شك أن وفرة عدد القصص الصالحة المنقولة الى لغتنا العربية هى التى يمكن أن تمهد لنهضة الفن القصصى عندنا وتروض جمهور القراء على فهم وتذوق الأدب العالى والفن الروائى الحديث

صديق أبو الحسن

للأستاذ إلياس قنصل

مطبعة بوغاليو — بوينس ايرس . فى ٦٨ صفحة

فن تصوير الشخصيات من أدق فنون القصة، وهو جزء رئيسى منها وكل من حذقه واستطاع التجويد فيه يستطيع ابداع القصة الجيدة متى أحس من نفسه القدرة على معالجة الأجزاء الأخرى أى الوصف والتحليل والسبك

وقد حاول الأستاذ الياس قنصل اعطاءنا صورة دقيقة أمينة لشخصية رجل من عامة الشعب هو (أبو الحسن) فأجاد الى حد بعيد ، ولا سيما فى رسم أخلاق هذا الرجل وتعبيرات تفكيره وبساطة نفسه التى لم تعكرها المدنية الحديثة

فالسذاجة والمرونة والصفاء هى جوهر نفس (أبو الحسن) وهى سر قوته فى الحياة وهى السلاح الذى يتقى به عوادى الزمن

وأنت إذ تقرأ عن حياته وعن أسلوبه فى النظر الى الأشياء والأشخاص لا بد أن تروعك حكمته وتشعر على الفور انك أمام رجل وضيع فى حياته الاجتماعية عظيم فى خلقه وسماحته ونظرته الفلسفية الى الحياة ، وهكذا تفهم وتحس أن فى وسع الانسان التفوق على نفسه والغير بواسطة قوة الشخصية ، وأن فى مقدور الانسان أن يكون سعيداً بدون مال أو ثروة ما دامت السعادة تنبع من قلبه وإحساسه

المحفوظات الابتدائية

للأستاذ مصطفى محمد ابراهيم

مطبعة الاعتماد بالقاهرة

ثلاثة أجزاء كل منها ٦٠ صفحة

أصدر الأستاذ مصطفى محمد ابراهيم المدرس بالمدرسة المحمدية الاميرية هذه المجموعة من المحفوظات لتكون مثلا يحتذيه التلاميذ ويحتذون به فى فن الانشاء وصوغ العبارة العربية

ولم يقتصر المؤلف على جمع طائفة مختارة من كلام العرب بل أضاف اليها قطعا مختارة لأشهر أدباء العصر الحديث كشوقى والمنفلوطى والعقاد وأضرابهم ، وهكذا أحكم الروابط بين القديم والحديث وأرشد التلاميذ الى روح التجديد فى الأسلوب العربى

الأدب في شهر

فلسفة السينما

وضع الكاتب الأسوجي سيزار يوحن كتابا سماه « فلسفة السينما » وعرض فيه لموضوع شائق طريف يدور حول النزعة الفكرية المسيطرة على معظم الأفلام الامريكية والأوربية

ويتلخص رأى الكاتب الاسوجي في أن الاغلبية الساحقة من الأفلام تنهض على فكرة تمجيد الترف وتمجيد قوة المال والثروة في الحياة. فالمناظر السينمائية التي تنفق عليها الشركات أوفر الجنيهات، وملابس الممثلات الرائعة، ووصف مواضع الحب في الاوساط المترفة، وابتكار أفلام تقوم على غرام بنات الشعب برجل من أصحاب الملايين، كل ذلك يبهر جمهور النظارة ويثيره ويدفعه باغرائه الى الاحتفاء بحوادث السينما والرغبة في حياة الترف التي يحياها الممثلون والممثلات في معظم الأفلام

فالسينما في رأى الكاتب الاسوجي ما تزال ما تنشد حياة الطبقة المترفة وتغري سواد الناس بعبادة المال. وهذا ما يفسر لنا نجاح الأفلام البوليسية التي لا تعجب الجمهور الا لأن جماعات اللصوص فيها يعرفون كيف يغررون بالبوليس ويظفرون بالمال والثروة

ويطلب الأديب الاسوجي في كتابه أن تشرف الحكومات على الانتاج السينمائي وتعمل على محاربة هذا الضرب من الفلسفة المادية المسيطرة على ذلك الانتاج فتحرم عرض الأفلام البوليسية وتكافئ الشركات التي تخرج أفلاما انسانية راقية تصف مختلف جوانب الحياة لا جانبا واحدا منها

أدب الأمومة

من النادر أن تجد امرأة ممن كانت شاعرة مادة الأمومة وحيا لشعرها. بل هي على النقيض تسترسل في رسم الحب ولواعجه وتطوراته كما تشعر به الأنثى. ولكن هذه الظاهرة غير ملحوظة على الاطلاق في قصائد الشاعرة الفرنسية هريت شراسون والشاعرة النمساوية برنا لوري

ولقد أخرجت الأولى ديوانا جديدا من الشعر جعلته وقفا على تمجيد عاطفة الأمومة وما تحس به المرأة أمام طفلها وما يجول في صدرها أيام الحمل وساعات الوضع فابتدعت فنا جديدا متصلا بالفطرة ومستمدا من أصول الحياة الكبرى.

وأما الشاعرة النمساوية فقد وصفت في ديوانها (أزهار الربيع) لهفة الأم على ابنها المريض وحنانها عليه واخلاصها له وقلقها على حياته وتأهبها الدائم للتضحية بنفسها في سبيل انقاذه

ومن الغريب أن حب الأم في قصائد الشاعرة النمساوية يتسامى ويرتفع ويقترب من حب المتصوف لربه، ويشترك مع العاطفة الدينية في الاشادة بعظمة الله الذي منح المرأة القدرة على الأمومة وجعلها في الحياة قوة خالقة!

أكبر مترجم في العصر الحديث

هو الكاتب المجري « رولتان فرابيو » وقد احصى هذا الكاتب في أعمال الترجمة وتمل الى

لغته في عشر سنوات فقط أكثر من خمسين مؤلفا رائعا لأشهر أدباء فرنسا وانجلترا

وهو يتقن الفرنسية والانجليزية والألمانية والاسبانية والروسية والايطالية وقد وهب حياته لترجمة أعمال كبار أدباء العالم الى اللغة العبرية ووهب جزءاً من ثروته لطبع بعض هذه الاعمال على نفقته الخاصة

وكان الى أمد قريب لم ينقل بعد شيئا من مؤلفات الشاعر الألماني جيته ولكنه أخرج فجأة في الشهر الماضي أربعة كتب لهذا الشاعر منها (فوست) و(هرمن ودوروتيه) و(ولهلم مايستر)

والعجيب في شخصية رولتشن فرايبو أنه لا يشتغل إلا في المشارب والقهوات ولا يكتب إلا وهو صائم ولا يصدر أية ترجمة لأي عمل أدبي إلا بعد أن تطالعها امرأته وهي سيدة مثقفة وتجيزها وتعجب بأسلوبها اللغوي

وقد وضع مقدمة لرواية فوست تحدث فيها عن الترجمة فقال ان المترجم أشبه بالممثل يجب عليه أن ينكر ذاته ويتجرد من شخصه ويندمج في الممثل الذي عليه أن يمثله . مثل هذا اندماجه يكون تاما ، بشرط أن يظل محتفظا بخاصة اللون والتشكل ليستطيع الاندماج مرة ثانية في شخصيات مختلفة متنوعة الأمزجة والألوان

ويضيف الكاتب العبري الى ما تقدم انه وهو يترجم عملا لأديب أجنبي يخيل اليه أن شخصية ذلك الأديب قد تقمصت فيه وانه يعيشها حياة شاملة عجيبة ، وهذا سر شعوره بأنه والممثل العبقري سواء

كنز الثقافة

رأت مجلة (الحياة الدولية) التي تصدر في عاصمة الدانمرك أن تطرح هذا الاستفتاء على طائفة من كبار أدباء أوربا : « اذكروا عشرين كتابا يمكن أن تعتبر كنزاً للثقافة الاوربية الأدبية لا يستغنى عنه أي رجل مستحضر مستنير ؟ »

وقد وضعت المجلة جائزة مغرية ..... منحها لأوفى جواب ، وهذا هو الجواب الذي أحرز الجائزة وقد تلقته إدارة المجلة من الكاتب الامريكي والدو فرانك :

« اليكم قائمة بالعشرين كتابا التي اعتقد أن فيها صفوة الفكر الاوربي الأدبي والتي أنا مدين لها بثقافتي وعناصر التحضر التي اشتركت في تهذيب عقلي وحسي : (خواطر المفكر) لمونتاني و (هملت) لشكسبير و (دون كيشوت) لسرفانتس و (الكوميديا الالهية) لدانتي و (فيدر) لراسين و (فوست) لجيته و (القاموس الفلسفي) لفولتير و (العقد الاجتماعي) لروسو و (روح الشرائع) لمونتسكيو و (ترتوف) لموليير و (الأب جوريو) لبلزاك و (غليوم تل) لشلر و (تاريخ الحضارة الرومانية) لمومسن و (الأناني) لجورج مريديث و (آدم بيد) لجورج اليوت و (مدام بوفاري) لفلوبير و (جرمينال) لأميل زولا و (ماريوس الابيقوري) لولتر باتر و (رسائل طاحونتي) لالفونس دوديه و (تاييس) لاناتول فرانس

هذه هي الكتب التي اختارها والدو فرانك واعتبرها كنز الثقافة الاوربية الأدبي ، وقد بحثت إدارة المجلة وتحرت لدى أصحاب المطابع ودور النشر في الدانمرك فوجدت أن جميع تلك الكتب مترجمة الى اللغة الدنمركية ماخلا قصة (الأناني) لجورج مريديث فشرعت المجلة في نقلها وطبعها على نفقتها الخاصة

موجة روحية

من أبلغ الدلائل على حاجة الاوربيين الى

التحرر من قيود الحضارة المادية الزاهية واستكمال أوجه النقص الشائعة في الجانب المعنوي منها ، تلك الدعوة الروحية التي طغت على كثيرين من أقطاب الفكر وأعلام الأدب

وقد أصدر المؤرخ الفرنسي الكبير اميل بريهييه كتابا جديداً عن تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى ينم عن تمكن هذه الظاهرة من عقول كبار المفكرين في فرنسا أيضا وقد قسم المؤرخ كتابه الى خمسة أقسام : تطور الحركة الفلسفية في القرنين السادس والسابع . نهضة الفلسفة في القرنين التاسع والعاشر . نمو الفلسفة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر . ازدهار الفلسفة في القرن الثالث عشر . عوامل انحلال الفلسفة اللاهوتية في القرن الرابع عشر

وقد رسم المؤلف في هذا الكتاب الجامع صورة رائعة للصراع بين العقل والإيمان وأظهر في حيدة تامة مختلف أوجه التعارض والتوافق بينهما ، ثم بحث في شيء كثير من الاسهاب المقرون بالاعجاب والاحترام في شخصية الرئيس ابن سينا وشخصية الفيلسوف ابن رشد وما كان لأفكارهما من أثر عميق في توجيه الحركة الفلسفية إذ ذاك وتوثيق الصلة بين الشرق والغرب

ويدور الكتاب كله حول الجهاد الذي قام به العقل البشري الحر ليجد فلسفة وطيدة تنسجم مع الدين

ويعتقد اميل بريهييه أن هذا الجهاد هو سر عظمة الانسانية ، وأن العودة اليه واجب حتم على رجال الفكر المعاصرين لاستكمال وحدة الحضارة الحديثة القائمة على العلم أي على العقل وحده

مملكة الأفاعي

هو اسم كتاب غريب وضعه الرحالة الامريكي كرومشان بمساعدة زميل له يدعى هنري اتلمسون وكانت الحكومة الامريكية قد أوفدت المستر كرومشان الى بعض المناطق النائية في [illegible] للبحث عن عدد من الافاعي النادرة لحديقة الحيوانات في وشنطن

والكتاب يصف الحياة العجيبة التي يحياها في تلك المناطق جمع من الرجال والنساء استحالوا من أنفسهم لفرط اتصالهم بالافاعي الوافرة العدد في بلادهم الى مخلوقات انسانية شاذة لا تتأثر بتلك الحيوانات السامة القادرة على تعيش معها مستأنسة ما آمنة شرها

ولاولئك الرجال طرائق غريبة في اتقاء شر تلك الافاعي فهم يطلقون لها ويصولون ويرقصون ومنهم من قد اشتهر بصنع نوع من الطلسم مستخلص من عصارة النباتات يشفي من لسع الافاعي ويصرعها ويلقي بها في سبات عميق

ويحكم تلك المناطق سلطان مشهور برجاحة العقل وصفاء القلب واسمه « كالولا » وهو أقدر الرجال على ترويض الافاعي والعبث بها والحياة معها . ولذلك يحترمه أتباعه ويصلون في حبهم له الى حد التقديس والعبادة

ومما يمتاز به كتاب « مملكة الافاعي » ان مؤلفه المستر كرومشان وضعه في أسلوب طريف يقترن فيه البحث العلمي بروح شعرية تنحدر من ثناياه نغمات موسيقية بدائية تنم عن تأصل عوامل الطيبة والسماحة في نفوس سكان مملكة الافاعي . وقد أحرز هذا الكتاب شهرة كبيرة في أمريكا وترجم في الشهر الماضي الى أربع لغات أوربية

كتاب خطير لفيكتور مرجريت

أخرج الأديب الشهير فيكتور مرجريت كتاباً سياسياً دعاه «ضياع النصر» أحدث به ضجة كبيرة في الدوائر السياسية الأوربية وهذا الكتاب هو حملة على سياسة فرنسا الخارجية بعد الحرب الكبرى. وقد جاء فيه أن فرنسا باصرارها على إذلال ألمانيا بمعاهدة فرساي وسعيها المتواصل لتطويقها بواسطة المحالفات التي عقدتها مع دول التحالف الصغير ثم مع حكومة السوفييت، زادت الخطر الألماني قوة وعززت سلطان الأفكار والمبادئ الحربية وحفرت هوة عميقة بين الأمتين المتجاورتين

والمهم في هذا الكتاب أن فيكتور مرجريت يلفت النظر الى ضعف المحالفات الفرنسية والى تدخل ايطاليا في سياسة دول التحالف الصغير وسعيها للقضاء على النفوذ الفرنسي فيها، ثم الى عنف الاضطرابات الداخلية التي تعصف بروسيا والتي تجعل مساعدتها لفرنسا عند خطر الحرب من الأمور التي لا يمكن التعويل في الحصول عليه. وينصح الكاتب فرنسا بالتقرب من الألمان والتفاهم معهم على مشكلة المستعمرات وعدم التعرض للنظام الذي اختاروه لحكم بلادهم بدلا من اتباع سياسة العزل والتطويق التي لا بد أن تؤدي آخر الأمر الى حرب جديدة

أدباء الشرق العربي في أوربا

نشرت مجلة «ألمانيا» التي تصدر ببرلين خبراً مؤداه أن أحد المستشرقين في برلين قد اعتزم طبع مجموعة أشعار الشاعر العربي المشهور فوزي المعلوف. وقد نقلت هذه المجموعة الى اللغة الألمانية نقلة تامة. وستظهر في مستهل العام الجديد

عضو جديد في الأكاديمية الفرنسية

انتخب الأميرال لاكاز عضواً في الأكاديمية الفرنسية وكان وزيراً سابقاً للبحرية. وهو رجل لم يشتغل بالأدب ولم يخرج أي أثر أدبي، ولكنه من كبار مشجعي الحركات الفكرية في بلاده، وقد أغدق مالا وافراً على عدد من نوابغ الشعراء عضهم الفقر

والأميرال لاكاز مشهور بولعه الشديد باقتناء مجموعات نادرة من الكتب الشرقية، ويقال إن في مكتبته نسخة رائعة من شعر عمر الخيام وأخرى من «الشاهنامة». والشائع أن الأميرال يهتم الآن بوضع أول مؤلف أدبي له عن حياة الشاعر الفردوسي

فرنسا واسبانيا

يلاحظ أن الرأي العام في فرنسا منقسم كل الانقسام فيما يتعلق بالحرب الأهلية الناشبة في اسبانيا اليوم

فالبعض ينتصر للثوار والبعض الآخر للحكوميين. وهذا الانقسام يتجلى في مختلف الكتب التي عرضتها المطابع عن الحرب الاسبانية. وقد حدث في الشهر الماضي أن ظهرت أربعة كتب تؤيد الثوار وستة تناصر سياسة حكومة مدريد. والعجيب أن الانقسام الفكري تغلغل في طبقات الشعب وامتد الى البيوت وأصبح يهدد وحدة عدد كبير من الأسر

والواقع أن مسألة اسبانيا أصبحت في نظر الفرنسيين مثار خلاف وشقاق، وهي توشك أن تصبح كارثة فرنسية. ولكن الذي يطمئن من عقلائها هو أن أحزاب اليسار ذات الأثر الدائم في توجيه الجماهير تميل الى مواصلة اتباع سياسة عدم التدخل والاقتداء بانجلترا

بين الهلال وقرائه

أعظم شعراء الفرس

(خليج إيران – كويت) ميرزا جعفر الطاهري
من هو أعظم شعراء الأدب الفارسي ؟

(الهلال) يكاد جميع دارسي الأدب الفارسي يتفقون على أن « الفردوسي » هو أعظم شعراء الفرس ، بعد أن أتم « الشاهنامة » أدب « الملاحم » الذي تجهله سائر الآداب السامية . ولكن « عمر الخيام » طار اسمه أكثر مما طار اسم الفردوسي ، فترجمت رباعياته إلى أكثر لغات العالم ، وتهافت الناس على اقتنائها وترتيبها ، وهو يسمو بحرية الشعور الشخصي إلى أرقى مستوى الشعراء المجددين . على أن من نقاد الأدب من يقدم « السعدي » على الفردوسي والخيام ويرى في كتابه « جولستان » من الأدب القصصي والآراء الحكيمة ما يفوق الشاهنامة والرباعيات . هذا ومن العسير في أي أدب من الآداب أن تفضل شاعراً أو ناثراً على كل من عداه في جميع النواحي ، فلكل ناحية يجيد فيها وناحية يقصر فيها

دلالة الأزياء

(زحلة – سوريا) ميشيل كسحي
هل تدل الأزياء على عقلية الشعوب ؟

(الهلال) اتخذت الملابس أول الأمر لوقاية الجسم من الشمس والبرد والمطر ، ثم لم تكن ذات أزياء مختلفة يدل كل منها على تفكير أو شعور معين . ثم صار الغرض منها التزين والتجمل ، فظهرت سمات الأزياء مختلفة تبعاً لاختلاف مراتب في التفكير والشعور فاختلاف الأزياء إذن دلالة من دلائل اختلاف الشعوب واختلاف الأفراد

فلبس الرأس مثلاً في الشعوب التي تعنى بالظواهر دون الحقائق هو عمامة ضخمة اكتظت حولها قطع من القماش البراقة ، أو قلنسوة طويلة [illegible] جيل ، ولكنه في الشعوب التي تسعى قدماً في السبيل ولعله يراه شيئاً بسيطاً لا يتكلف كثيراً ، خفيفاً لا يعوق عن العمل ، نافعاً واقياً . والطرفة التي لا تعتبر أكثر من الزخرف تدل على أن صاحبها ما زال الطفل طري الخلق ، بخلاف ملابسنا البسيطة الجميلة فإنها تدل على ما حققته أفكارنا من الرقي وشعورنا من النضج . أما دلالة الأزياء على نفسية الأفراد فحسبنا أن نلاحظ ملابس رجال البوليس السوداء المخصصة وملابس الجندي المخصصة [illegible] ، أو نذكر شعورك قبل رجل في ملابس امرأة أو امرأة في ملابس رجل

هذا وقد جاء في مقال الدكتور أمير بقطر في هلال ديسمبر الماضي ما يوضح لك الأمر أكثر من هذا

انتحال الشعر الجاهلي

(سامراء – العراق) صبيح أنور الأورفه لي
قال طرفة بن العبد :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفاً بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقال امرؤ القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا
لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفاً بها صحبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فلماذا هذا البيت الأخير ؟ . أم هل يمكن أن تتوارد خواطر الشعراء هكذا ؟

(الهلال) لقد صح حدسك في السؤال وفي الشعر الجاهلي عشرات من الأبيات تنسب لهذا تارة ولذلك أخرى ؟ ومرجع ذلك إلى أحد أمرين : أما الأول فهو أن هذه الأبيات انتحلها الرواة في العصور

الأسلاب ما اخترعوا من أشعار وأخبار لأسباب سياسية أو دينية أو اجتماعية ، وأساس بحثهم نظرية وضعها لامرىء القيس ، وهي أنها صحيحة ولكنها اختلطت بين الدهور في أثناء عدة أجيال نقلتها في طريق الحفظ والرواية ، لا التدوين والتسجيل

وقلما تجد شاعراً جاهلياً لا تنسب كتب الأدب بعض أبياته ، بل بعض قصائده ، الى شاعر جاهلي سواه . هــذا الى أن كثيرا من هذا الشعر لم يقله شعراء جاهليون وإنما شعراء ظهروا بعد الاسلام ، كان دأبهم تكثير الأخبار والأساطير وروايتها ولقد وفى الدكتور طه حسين موضوع انتحال الشعر الجاهلي بحثا ودرسا في كتابه القيم «في الأدب الجاهلي»

مؤلفات بعض المفكرين

(نيويورك — الولايات المتحدة) الياس الطويل

هل ترجمت الى العربية مؤلفات نيتشه ، وكارل ماركس ، وبول بورجيه ، وأوسكار وايلد ، وفكتور هوجو ، وأناتول فرانس ؟

(الهلال) نشر بعض آراء وبحوث هؤلاء المفكرين في الصحف العربية الراقية ، ولكن لم يترجم من كتبهم الا النزر اليسير

فترجم الاستاذ فيلكس فارس كتاب « هكذا قال زرادشت » لنيتشه ونشره تباعا في إحدى المجلات الأدبية

ولم يترجم كتاب كارل ماركس « رأس المال » . ومن العسير على من لم يتعمق في دراسة الاقتصاد السياسي أن يفهم بحث ماركس في رأس المال ، ولكن في وسعه أن يفهم رأيه جملة بالرجوع الى ما كتب عنه في كتابي « الاشتراكية » للاستاذ عبد العزيز محمد الاستاذ بكلية التجارة بالجامعة المصرية و « الاشتراكية » للدكتور عبد الحكيم الرفاعي الاستاذ بكلية الحقوق بالجامعة المصرية

وترجم الاستاذ خليل مطران قصة « الغريب » لبول بورجيه ، وترجم عنه الاستاذ سليم سعدة قصة « المريد » . وقد ترجمها كذلك الاستاذ عبد المجيد نافع ترجمة ملخصة بعنوان « التلميذ »

وترجم الاستاذ نقولا يوسف كتاب De Profundis « من أعماق السجون » لأوسكار وايلد

وقد نقل المرحوم حافظ بك ابراهيم شطراً من رواية « البؤساء » في أسلوب عربي رصين . ولكن ترجمته تنطوي على كثير من التصرف

وترجم الاستاذ احمد الصاوي محمد قصتي (تاييس) و (الزنبقة الحمراء) لأناتول فرانس . وترجمت له كذلك قصة (جريمة سلفستر بونار)

تراجم العلماء والمكتشفين

(نيويورك — الولايات المتحدة) ومنه

هل يوجد في اللغة العربية كتاب مؤلف أو مترجم يتضمن تراجم العلماء والمخترعين وأهل الفن ؟

(الهلال) للاستاذ فؤاد صروف كتابا « أساطين العلم الحديث » و « فتوحات العلم الحديث » وفيهما حديث وافٍ عن أهم العلماء وما وضعوا من نظريات وأهم المخترعين وما ابتدعوا من مخترعات

وكتاب « تاريخ الفنون وأشهر الصور » الذي أصدرته دار الهلال منذ سنوات يتضمن تراجم كثير من أهل الفن في شتى العصور ، وذلك في أثناء عرضه لتاريخ الفنون وتطورها منذ العصور القديمة الى النهضة الحديثة . وللاستاذين عبد الحميد بك العبادي والياس صدقي سعد كتاب وافٍ في تاريخ الفنون وأشهر رجالها ، وهو مؤلف من جزءين « تاريخ الفنون الجميلة في القرون الوسطى » و « تاريخ الفن الجميل من عصر النهضة الى العصر الحديث »

مجلة انجليزية

(يافا — فلسطين) الياس فرح النمر

أي مجلة تنصحون بقراءتها لشخص له إلمام متوسط باللغة الانجليزية ؟ وما هي الكتب العامة التي يستطيع بقراءتها اتقان هذه اللغة ؟

(الهلال) نرى أن تبدأ بقراءة بعض الكتب السهلة التي تصدرها دور النشر ، ففي الانجليزية كتب تناسب المبتدئين الذين يعسر عليهم فهم أساليب البلغاء . ولعلكم تنتفعون كثيرا بقراءة بعض كتب من مجموعة « Peeps at Many Lands » لبساطة أسلوبها وطرافة موضوعها وتعدد وزيادة المعارف

المصرية بعض هذه الكتب لطرق الأولى من مدارسها الثانوية . وننصح من هذه الكتب بعض للأطفال الذين يتوخون بساطة الأسلوب ومنها كتاب «لورد البورى» ، وبعض مؤلفاته مترجم الى العربية فيمكنكم هذا على فهم الأصل جيداً

أما المجلات فربما تستطيعون قراءة مجلة « Children Magazine » وهي والكتب السابقة تطلب من المكاتب العامة

منابع النيل

(الاسكندرية — مصر) حسن درويش النخيلي

ما هو مصدر مياه النيل قبل وصولها الى بلاد الحبشة ؟ وهل النيل « دامع » كما كانوا يزعمون !

(الهلال) يبدأ النيل من اقليم البحيرات الاستوائية مستمداً مياهه من بحيرتي فيكتوريا وألبرت ادوارد ، وهما تستمدان الماء مما تصب فيهما أنهار صغيرة أهمها نهر كاجيرا ، ومما يسقط عليهما من الأمطار . ثم تجتمع مياه البحيرتين في بحيرة البرت التي تبلغ مساحتها ٥٠٠٠ ك . م . وتحمل سيول الأمطار وتجرى الأنهار الى هذه البحيرات كميات ضخمة من الصخور ستردمها على مر الأيام وتحولها سهلاً منبسطاً . ويخرج النيل من هذه البحيرة معروفاً باسم « بحر الجبل » فيخترق منطقة السدود ، وهي منطقة مستنقعات تنمو فيها الأعشاب الكثيفة المتكاثفة وتعيش فيها أنواع من الحيوانات البحرية الضخمة . ويتلقى النيل هناك روافد كثيرة أهمها نهر الزراف وبحر الغزال . ثم يتجه النيل بعد ذلك شمالاً معروفاً باسم النيل الأبيض حتى يلتقى عند الخرطوم بالنيل الأزرق حاملاً ما يأتي به من المياه المنهمرة على هضبة الحبشة ومن تفرعات حتى يخترق أرض مصر ويرويها

أما « دامع النيل » فحديث خرافة سخيف

حفلات الزار

(صفد — فلسطين) صائل

ما هي حفلات الزار التي تقيمها بعض نساء القاهرة ؟

(الهلال) كانت تعنى هذه الحفلات التي كانت منتشرة بين النساء الجاهلات اللاتى كن يؤمن بأن ما يعانين من أمراض جسمية أو نفسية انما يرجع الى حلول أرواح الشياطين في أجسامهن . فيلجأن الى هذه الحفلات التي تضرب فيها الدفوف وتنشد الأناشيد في أسلوب خاص يسمونه الزجفة ويحييها من يرهب ، ثم تسأل ومن في المرأة عما ترغبه من ثياب أو حلى أو طعام فتجاب الى مؤكدة ترضية لملك الشيطان الذي « ركبها » كما يقولون

وقد تبرأ المريضة من علتها اذا كانت نتيجة أزمة نفسية أو كبت عصبي ، لأن دقات الدفوف وألحان الأناشيد تمكنها من أن تغيب عن « الوعي » فترة من الوقت يظهر فيها « اللاوعي » ويفسح للمكبوتة وتطلب حقيقتها على صورة من الصور . فلو كانت عرس امرأة أخفقت في الحب وكبتت عواطفها كبتاً شديداً أثر في جهازها العصبي ، فانها في فترة الاغماء تستطيع أن تنفس ما كبتته وتخرج ما احتبسته في قرارة نفسها ، وبذلك تبرأ من علتها

ولكن النساء اللاتي يقمن حفلات الزار بجهلهن هذه ولعلها يحسبنها شفاء للمرضى بالأرواح والمكبوتين ويعض منهن أصبحت أداة للعلاج كبيرة اذ يدعون اليها صديقاتهن ويقمن فيها الولائم الدسمة . على أنها قد زالت من أكثر الأوساط وهذا تذهب من أوساط الطبقة الثالثة كذلك

صور كتاب الهلال

يقترح كثير من القراء أن ينشر « الهلال » صور الكتاب الذين يساهمون في تحريره

و « الهلال » يوافق قراءه على هذا الاقتراح فان صورة الكاتب قد تعين القارىء كثيراً على فهم روحه وأفكاره كما قال . ولقد كان الكاتب الانجليزي الكبير توماس كارليل يضع على مكتبه ويضع أمامه صورة الرجل الذي يقرأ أو يكتب عنه ، لأن هذه الصورة قد تعين له كثيراً من النواحي التي لا تتبين له في أثناء دراسة أعماله واستقراء آثاره ، وكذلك فعل المؤرخ الكبير إميل لودفيج حين يدرس ويحلل شخصاً ما

ومع أن أكثر كتاب « الهلال » من المحررين الذين كثيراً ما تنشر صورهم في مختلف الصحف العربية ، فانا سنعنى قريباً بنشر صور ورسوم لهم

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في البرازيل		Snr M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه طه سكر
في انطاكية	سوريا	انيس افندي انطونيوس لادقاني
في اسكندرونه	سوريا	السيد عبد الله ابري
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندي حسني - غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعساني
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي حبيب
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندي طباره ٩ شارع اللنبي بيروت
في دمياط		زكريا افندي الحراوي ناظر مدرسة الحراوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب المكتبة العصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي النحاس ص . ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr Abdullah Bin Afifi—Cherbon Java
في البصرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

التّعبير عن رأى الأمة

خير الوسائل لتحقيقه

بقلم الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى بك
عميد كلية الحقوق سابقاً وقاضى بالمحاكم المختلطة

يجب الإخلاص الحق للأفكار والمبادئ الديمقراطية دراسة خير الوسائل لاستخلاص ممثلين يعبرون عن رأى الأمة أصدق التعبير . وهذا الموضوع الذى يثير اهتمام الرأى العام المصرى فى هذه الآونة ، ويتصل بمستقبل الحياة الديمقراطية فى بلادنا هو الذى يبحثه هذا المقال بحثاً علمياً حديثاً يلائم ما بلغته من الرقى الفكرى والاجتماعى

الديمقراطية والدكتاتورية

يتصل النظام الانتخابى اتصالا وثيقا بالحكم الديمقراطى . وتعانى الديمقراطيــة فى الوقت الحاضر أزمة عصيبــة ، يتوجس المتشائمون من عواقبها ، حتى ذهب البعض الى أن الحكم الديمقراطى سيعلن افلاسه قريبا ، ويحل محله الحكم الدكتاتورى فى ناحية من ناحيتيه المتطرفتين : البلشفية أو الفاشية

على انه لا ينبغى أن يحل هذا التشاؤم من عزائم الانصار المخلصين للديمقراطية ، فلا يزال الحكم الديمقراطى هو خير أسلوب للحكم عرفه البشر حتى اليوم . واذا كانت للديمقراطية عيوب أحدثها تطور النظم الاقتصادية ، وانتشار سلطان المال ، فان هذه العيوب ليست موجبة لليأس ، بل إن هناك مجالا واسعا لبذل جهود منتجة فى علاج هذه العيوب

وعندى أن المعيار الصحيح للديمقراطية السليمة ليس هو فى ضمان الحرية والمساواة للافراد ، فقد علمت الناس بعد تجارب قاسية أن الحرية والمساواة أمر إن أمكن تحقيقه من الناحيــة القانونية ، فهو مستحيل التحقيق من الناحية العملية . وليس المعيار الصحيح هو فى حكم الشعب لنفسه ، فان أفراد الشعب يستحيل عليهم عملا أن يشتركوا جميعا فى الحكم . وأرى ان الديمقراطية لا تأبى أن يحكم الشعب قادة مختارون من صفوة رجال الأمة ، هم الذين يقومون

ابريل

١٩٣٨

الهلال

بتوجيه الرأى العام توجيها صحيحا ، بل يقومون بتكوين هذا الرأى اذا كان لا يزال فى مرحلة التكوين

ولكن الديمقراطية غير الدكتاتورية . فالدكتاتورية تقوم على حكم فرد قوي يستولى على أزمة الامور ، ولا يقبل أن تقوم فى الدولة هيئة معارضة تكون رقيبا عليه . أما الديمقراطية فتقوم على حكم صفوة من الافراد تستولى هى أيضاً على أزمة الامور ، ولكنها تسلم بوجود هيئة معارضة تكون رقيبا عليها ، بل تشجع هذه الهيئة اذا كانت لا تزال ضعيفة ، أو تخلقها اذا كانت غير موجودة . فوجود المعارضة القوية ، التى لا تبغى الا المصلحة العامة ، هو إذن من الديمقراطية وقوامها . أما الدكتاتورية ، صالحة كانت أو فاسدة ، فلا تقوم الا من وراء اخماد صوت المعارضة والقضاء عليها

والديمقراطية المصرية لا تزال ديمقراطية ناشئة ، أشد ما تكون حاجة إلى من يتعهدها بالرعاية ، وينقيها من العيوب . ومهما يكن من مساوىء الحكم البرلمانى فى مصر ، فلا شك فى أن هذا الحكم هو خير نوع ممكن فى الوقت الحاضر ويجب أن يؤمن المصريون جميعاً بهذه الحقيقة . وينبغى الى جانب ذلك ـ تمكينا للحكم البرلمانى الصحيح ـ أن نبحث عن خير السبل للتعبير عن رأى الامة فنسلكه ، حتى يكون البرلمان صدى لهذا الرأى

* * *

وهناك وسائل شتى للتعبير عن رأى الامة ، من أهمها الصحافة الحرة النزيهة ، ثم ما تجمع عليه الهيئات المتنوعة والطبقات المختلفة فى الأمة من آراء وأحكام . ولكن أهم الوسائل فى التعبير عن رأى الأمة ، وأوضحها أثراً ، هو التنظيم الحزبى ونظام الانتخاب

(١) التنظيم الحزبى

أما التنظيم الحزبى فليس وسيلة التعبير عن رأى الأمة فحسب ، بل هو أيضا من أكبر العوامل فى تكوين هذا الرأى . والواقع من الأمر ان الأمة لا يمكن ان يكون لها رأى عام منظم فى شئونها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الا اذا كان التنظيم الحزبى فيها قويا . وكلنا يعلم ان نظام الاحزاب عندنا قد قام على اعتبارات ترجع الى ضرورات الجهاد الوطنى والسعى لتحرير البلاد من سلطان الاجنبى . ثم ضعفت هذه الاعتبارات كثيراً بعد ابرام المعاهدة المصرية الانجليزية . ولكن النظام الذى قام عليها بقى كما هو دون تعديل . والواجب أن يدخل تعديل

الهلال

الجزء السادس ـ السنة ٤٦

أول ابريل ١٩٣٨ ـ ٣٠ محرم ١٣٥٧

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

(April 1938)

SUBSCRIPTION RATES Egypt and Sudan P.T. 60 — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100, — Other countries P.T. 120 or £ 1-4-0 or $ 6.50.

عدد خاص :

أبو العلاء المعرى

يعنى «الهلال» بذكرى أبى العلاء المعرى الذى يحتفل العالم العربى قريباً بانقضاء ألف عام على وفاته ، بعدد خاص يصدره فى أول مايو مدعماً بأقلام نخبة من أعلام الأدب والفكر فى الشرق العربى ، يبحثون شتى جوانب هذا الشاعر الفيلسوف العظيم ، ويجلون جانباً خصباً من الأدب العربى والفلسفة الاسلامية ، بدراسات جديدة مبتكرة ، وبحوث شائقة طريفة

وقد أصدر «الهلال» عددين عن «المتنبى» و«أبى نواس» لقيا من تقدير الأدباء وإقبال القراء ، ما شجعه على أن يصدر عدداً عن «المعرى» ، فلعله أحق شعراء العربية جميعاً بالبحث والدرس ، فلشعره أثر بارز وخطير فى الأدب العربى ، ولفلسفته كبير تأثير فى الفكر الاسلامى ، وحياته الفذة تستثير الدهشة وتستدعى التأمل فى شتى نواحيها

وسيحرص «الهلال» على أن تكون دراسات هذا السفر شاملة جميع نواحى المعرى ، وعلى أن تجمع عناصر الحسن والدقة الى جانب الجدة والطرافة ، وهو مع هذا يرحب بما يأتيه من البحوث ، لتضاف الى هذا العدد الذى سيصدر فى أول مايو القادم

أساسى فى نظام أحزابنا ، فتقوم هذه الاحزاب على برامج معينة تعمل على تحقيقها

ولست أرى أن يرتجل كل حزب برنامجه ، أو أن يستخلص المبادىء التى يقوم عليها من بطون المؤلفات ، أو أن يحاكى الاحزاب الاوربية فيقلدها فيما تنادى به من نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية ، من علاً كهذا لا تكون له قيمة عملية . وعندى ان خير وسيلة للاحزاب فى وضع برامج عملية تعمل على تحقيقها هو أن تستخلص هذه البرامج من الحياة المصرية نفسها ، وأن تتلمس مباحثها فى نواحي النشاط المختلفة التى سنجتازها فى السنوات المقبلة . سيدعى البرلمان للانعقاد بعد قليل ، وستمثل فيه الاحزاب حسب مختلفة ، وستعيش هذه الاحزاب جنبا الى جنب المدة التى يقدرها الدستور للدورة البرلمانية وهى خمس سنوات ، وسيعرض عليها فى هذه المدة الطويلة جميع المسائل الهامة التى تهم الأمة

هناك الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية ، وتتضمن الشؤون الداخلية شؤونا اجتماعية تتصل بالمرأة والدين والعمل والفلاح والأسرة والملكية ، وشؤونا اقتصادية تتصل بمرافق البلاد من زراعة وصناعة وتجارة ، وشؤونا سياسية تتصل بنظم الحكم وتثبيت دعائم الديمقراطية ، وشؤونا ادارية وقضائية تتصل بالموظفين والضرائب واستقلال القضاء وتوحيده ، وشؤونا تعليمية تتصل بمحاربة الأمية وتوحيد التعليم ونشر التعليم الفنى واصلاح التعليم الجامعى . أما الشؤون الخارجية فأهمها شؤون الدفاع الوطنى ، وتنظيم العلاقات السياسية بين مصر وانجلترا ، وبين مصر والغرب ، وتوثيق الروابط ما بين مصر والبلاد العربية بوجه خاص والبلاد الشرقية بوجه عام

هذه هى أهم المسائل التى ستعرض على الاحزاب فى البرلمان طوال الدورة البرلمانية القادمة . فينبغى أن يعنى كل حزب بدراسة هذه المسائل دراسة عميقة ، يتغلغل منها الى صميم الحياة المصرية ، ثم يتخذ بعد ذلك لنفسه موقفا معينا فى كل مسألة ، مستهديا بالروح الذى يلهمه ان كانت تغلب عليه نزعة المحافظة أو نزعة الاصلاح أو نزعة التطرف . فاذا سجل الحزب لنفسه مواقفه فى مجموع هذه المسائل ، فانه يستطيع بعد ذلك أن يتقدم الى الامة بمبادىء عملية استخلصها من الحياة نفسها ، لا عن تقليد ومحاكاة ، بل عن مراس وتجربة . وعند ذلك يستطيع أن يتقدم الى الأمة فى الانتخابات التالية لهذه الانتخابات ببرنامج عملى ، وتستطيع الأمة ان تقف من الحزب موقف المؤيد لمبادىء لا لأشخاص

حضرة صاحب الجلالة الملك يؤدي السلام
الملكي ، وإلى جانبه حضرة صاحبة الجلالة
نازلي أثناء مرورهما برجال الأمن العام .

ولو قامت الاحزاب جميعها بواجباتها فى هذا الصدد ، لوجهت الرأى العام فى الامة أحسن توجيه ، ثم استطاعت بعد ذلك أن تعبر عن هذا الرأى خير تعبير

(٢) نظم الانتخاب

يأتى بعد ذلك نظام الانتخاب ، وهو يلى التنظيم الحزبى فى الأهمية . وعندى أنه ينبغى فى اختيار نظام للانتخاب ان ندخل فى اعتبارنا أموراً ثلاثة جوهرية :

(الامر الاول) أن الديمقراطية الصحيحة تقضى بجعل الاقتراع العام المباشر أساساً لنظام الانتخاب عندنا . هذه هى ثمرة تجارب الامم الديمقراطية ، لا يجوز أن نتخذ عنها بديلا . وأرى أن الاقتراع العام المباشر كل خمس سنوات هو خير مدرسة لتثقيف جمهور الامة تثقيفا سياسيا ناضجا ، وجعله يعنى بالشؤون العامة فيتصل بها عن قرب ، ويفهمها موضحة على لسان الاحزاب والمرشحين

(الأمر الثانى) ان البلاد لا تزال فى حال من الامية والجهل إلى درجة تسترعى النظر ، وتدعو الى التفكير فى تضييق الأثر السيء الذى ينجم عن جهل الغالبية العظمى من طبقات الامة ، بحيث تكون الانتخابات وسيلة صالحة للتعبير عن الناحية المتنورة الرشيدة من الرأى العام

(الامر الثالث) أن من أهم دعائم الديمقراطية السليمة هو قيام المعارضة الرشيدة الصادقة التى تقوم بمهمة الرقابة على الهيئة الحاكمة كما قدمنا . لذلك ينبغى أن يراعى فى نظام الانتخاب ألا تطغى الأغلبية على الاقلية ، حتى تستطيع الاثنتان أن تؤديا مهمتيهما ، الأولى للحكم والأخرى للرقابة

فاذا راعينا هذه الأسس الثلاثة ، جاز لنا أن نقترح تعديل نظام الانتخاب فى مصر ولا نقصد بالطبع أن يسرى ما سنقترحه من تعديل على الانتخابات الحالية ، فهذه يجب أن تجرى طبقا للنظام الحالى ، لأننا نجتاز فى الآونة الحاضرة أزمة دقيقة ، يزيد فى دقتها وحرجها أن نعمد الى أى عمل استثنائى . ولكننا نطمع أن تكون الانتخابات التالية للانتخابات الحالية معدلة على النظام الآتى :

(أولا) نستبقى الاقتراع العام المباشر ، ولكن نضم اليه نظام تعدد الاصوات . وهو نظام عرفته بلجيكا الى عهد قريب ، وبلجيكا هى البلد الذى أخذنا عنه دستورنا . وكان نظام

الانتخاب فى بلجيكا يقضى بإعطاء الناخب البالغ من السن خمساً وعشرين سنة صوتاً واحداً ، وبإعطاء صوت إضافى لكل ناخب بلغ الخامسة والثلاثين وكان له أولاد على أن يكون من دافعى الضرائب ، وبإعطاء صوت إضافى كذلك لكل من يملك عقاراً قيمته ألفان من الفرنكات ، وبإعطاء صوتين إضافيين لكل حاصل على شهادة عالية أو شهادة ثانوية

ونحن فى حاجة إلى نظام كهذا ، يعطى شيئاً من الوزن لأصوات المتعلمين فى الأمة ، حتى لا تكون الغلبة للجهلة والأميين . وعندى أنه ينبغى أن ترفع سن الناخب إلى الثلاثين ، إلا من كان يحمل الشهادة الثانوية أو شهادة معادلة أو شهادة أعلى ، فتبقى السن بالنسبة لهؤلاء كما هى إحدى وعشرين ، ويكون لكل من هؤلاء المتعلمين صوتان إضافيان كما كان الأمر ببلجيكا ، ويعطى الطالب فى المدارس العالية حق التصويت مهما كانت سنه . ولا بأس من تحديد نصاب مالى تعطى من أجله أصوات إضافية . وبذلك تكون الغلبة فى الانتخابات للمتعلمين وأصحاب المصالح دون أن تغل شأن غيرهم من طبقات الأمة

على أن نظام تعدد الأصوات هذا يجب أن يكون نظاما مؤقتا ، نأخذ به مدة عشرين سنة مقبلة أو نحو ذلك ، إلى أن تزول الأمية وينتشر التعليم ، فعندئذ لا نعود فى حاجة إليه ، فنلغيه كما ألغته بلجيكا فى سنة ١٩١٩

(ثانياً) يكون الانتخاب نسبياً بطريق القائمة . ويتلخص هذا النظام فى أن كل حزب يعد قائمة بأسماء مرشحيه ، ويطلب من كل ناخب أن يصوت للحزب الذى يختاره ، وتجمع الأصوات التى نالها كل حزب ، فيعطى من مقاعد البرلمان بنسبة هذه الأصوات . وفى هذا ضمان كبير لأحزاب الأقلية ، إذ ينال كل حزب نصيباً عدلا من مقاعد النيابة ، كان لا يناله فى النظام الحالى القائم على تحديد الدوائر الانتخابية . وبذلك يكفل للأحزاب جميعها أن تكون ممثلة تمثيلا صحيحاً فى البرلمان ، فلا تطغى الأغلبية على الأقلية ، ويتسنى للمعارضة أن تقوم بمهمتها على خير وجه

ولا يعترض على هذا النظام بأن البلد لا يفهم حتى اليوم النظام الحزبى ، فيطلب من الناخبين أن يصوتوا للأحزاب دون الأشخاص ، وأن الأحزاب فى مصر غير منظمة تنظيما كافياً حتى ينجح فيها هذا النظام ، فقد قدمنا أن الأحزاب ينبغى أن تنظم نفسها تنظيماً قوياً ، وأن تضع برامجها العملية فى مدة خمس السنوات المقبلة ، وأن المتعلمين الذين يفهمون معنى

الاحزاب والمبادىء ستكون لهم كلمة عالية في الانتخاب . على أن كل حزب سيتقدم الى الأمة بمرشحيه ، فالناخبون لا يصوتون للحزب وحده ، بل للحزب والمرشحين معاً

وان قيل ان هذا النظام يبعد النواب عن تمثيل لمصالح المحلية ، قلنا ان هذا هو الذى نبغيه ، إذ لا ينبغى ان يشغل نواب الامة أنفسهم بالمصالح المحلية ، بل يجب أن يتركوا ذلك لمجالس المديريات والمجالس البلدية ، وأن يتعرضوا للشؤون العامة التى تهم المصريين جميعاً

وقد يكون من شأن هذا النظام ألا يعطى أى حزب أغلبية مطلقة . ولا نرى فى هذا ضرراً . فان ائتلاف حزبين أو أكثر لتأليف الهيئة الحاكمة ، أمر ميسور ، بل هو أمر مرغوب فيه ، حتى لا يطغى حزب الاغلبية على سائر الاحزاب

ومن فوائد هذا النظام انه لا تكون أمر اختيار النواب بأشخاصهم يترك للاحزاب لا للناخبين . فلا تضطر الاحزاب فى هذا الاختيار أن تراعى الاعتبارات التى تراعيها فى النظام الحاضر ، ولا تجبرها الاعتبارات المحلية على أن تترك العلم والكفاية الى العصبية والمال ، وذلك على حساب المصلحة العامة

بقى أن نعرض لنظام مجلس الشيوخ وما يجب أن يتوافر فيه من ضمانات ، ونترك ذلك الى فرصة أخرى

عبد الرزاق أحمد السنهورى

ابو العلاء المعرى

نلفت نظر القراء الى الكلمة المنشورة فى الصفحة الاولى من هذا العدد عن العدد الخاص الذى يصدره الهلال فى أول « يونيو » القادم احياء لذكرى أبى العلاء المعرى

رسالة الأديب من جنس رسالة الفيلسوف ، كلاهما يجب أن يرمى إلى

إبراز الحقيقة ، الأولى عن طريق الخيال والأسلوب والثانية عن طريق المنطق

الصدق في الأدب

مهمة الأديب تصوير المثل العليا في صور واقعية

بقلم الأستاذ أحمد أمين

أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب

شاع في الأدب العربي القول المأثور : « أعذب الشعر أكذبه » ويقول ابن رشيق القيرواني في العمدة : « من فضائل الشعر أن الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه حسن فيه » ، ونجد في كتب الأدب كثيراً من هذه الأقوال

ويمكن تفسيرها بأحد أمرين أو بهما معا

(١) أن الشاعر في كثير من مواقفه يعتمد على المبالغة والغلو فيها كقول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق

ووجه المبالغة أنه جعل ما لم يخلق يخافه

وقول أبي تمام :

وقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه

فجعل عقارب الليل لا تدب خشية من عبد الله ،

وقول المتنبي :

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني بنى الإسكندر السد من عزمي

ويقول الخبزأرزي :

ذبت من الشوق فلو زج بي في مقلة النائم لم ينتبه

وكان لي فيما مضى خاتم فالآن لو شئت تمنطقت به

ونحو ذلك كثير

والذي أرى أن المبالغة ليست كلها كذبا ولا كلها صدقا ، فلو كان الممدوح شجاعا فجعل الشاعر له جرأة كجرأة الأسد لم يكن كاذبا ، ولو كان العاشق هزيلا فبالغ الشاعر في وصفه حتى جعله لا يرى إلا من صوته لم يكن كاذبا ، وقد عبر الله — وهو أصدق القائلين — بتعبيرات من هذا

القبيل فقال فى وصف الرعب والخوف : « وبلغت القلوب الحناجر » فما ان كان للممدوح جيلا جثمه الشاعر سحابا قاتما ، أو ماشقا هينا صمه كعود المظلال ، أو جبانا رعديداً فصنه أسداً مقداماً ، فكل هذا كذب صريح يثير السخرية بالممدوح لا الاعجاب

(٢) والمعنى الثانى أن الشعراء يوصفون بالكذب لانهم ينسبون الى أنفسهم اعمالا جليلة لم يأتوا بها ، ويرمحون مرامى لا تستند الى حقيقة ، ثم يهجون فيصمون المهجو بكل رذيلة ، ويمزقون الاعراض ، ويقدحون فى الانساب ويرمون المحرم ، وهؤلاء هم الذين عابهم القرآن بقوله : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ »

لكن ليس هذا ولا ذاك من الشعر الزائل فى شيء ، فلا النابغة ولا سبعة شيء الى غير فاعله كما يرى الشعر ويصمه ، وانما نشأ قولهم : « ان أعذب الشعر أكذبه » من تصور ناقص لمعنى الشعر ، لقد كان الشعر عندهم يجول أكثر ما يجول فى المدح والهجاء ، ورأوا أن هذا المدح وهذا الهجاء لا يجودان بذكر الحقيقة المجردة ، انما يجود المدح اذا حسن الشاعر من الحقيقة ، ويجود الهجاء اذا قال الشاعر فأفحش ، وسب فأقذع . ولكن من الزمان على هذه النظرية ، وأصبح هذا النوع من الشعر أحط أنواعه ، وأقلها استحقاقا لاسم الشعر ، فالشعر كما يقول (وردسورث) : « هو الحق ينقله الشعور حيا الى القلب » وكما يقول (رسكن) : « الشعر ابراز العواطف النبيلة عن طريق الخيال »

وليس هذا قاصراً على الشعر ، فكل الادب من هذا القبيل ، وتعريف وردسورث ورسكن هما تعريفان للادب جميعه لا للشعر وحده

فانى أرى أن رسالة الاديب هى من جنس رسالة الفيلسوف ، كلاهما يرمى أو يجب أن يرمى الى ابراز الحقيقة ونقلها الى السامع أو القارىء . وغاية ما بين الفيلسوف والأديب من فرق أن الفيلسوف ينقلها الى عقل السامع أو القارىء ، والأديب ينقلها الى قلبه ومن أجل هذا يستعين الفيلسوف بالمنطق وما يتبعه من مقدمات محكمة ونتائج متلازمة ، فهى بالعقل أليق ، والأديب يؤدى الحقيقة من طريق الخيال الجميل والأسلوب الجميل ، لأنهما بالقلب أليق

والصدق بمعناه الواسع وبكل ما تحتمله الكلمة من معنى جمال للادب وشرط من شروط قوته ، فلو عبر امرؤ القيس عن شعوره نحو المرأة أو عبر أبو نواس عن شعوره نحو الخمر ، فهو أدب صادق قوى ، وإن كانت الأخلاق الاجتماعية لا ترضى عن النحو الذى سلكاه فى التعبير ، ولكنه من الناحية الأدبية أدب صادق قوى . وإن شعر شاعر فى الورع والزهد ولكنه فى نفسه ينطوى على دعارة وفجور ، لم يكن شعره صادقا ولا قويا وإن رضيت عنه الأخلاق الاجتماعية . نعم إن الادب الذى ينبعث من عاطفة انسانية سامية أرقى وأسمى ، ولكن ما دمنا نتكلم فى دائرة الصدق فكل ما يصف عواطف الانسان أدب صادق

والصدق يمنح الأدب قوة ، لأن الأديب اذا عبر عما تكنه نفسه ويختلج به قلبه كان قوله أقوى تأثيرا ، وأشد حياة . والأديب الحق هو من تأثرت نفسه بالحياة ومظاهرها تأثراً عميقاً يتفق وحسه ومزاجه ، ثم هو يحاول بأدبه أن ينقل هذا التأثر الى الناس ، ويجعلهم يشعرون بما يشعر وينفعلون بما ينفعل ، فإن هو لم يتأثر وحاول أن يؤثر كان أديبا مزيفا ، وكان الفرق بينه وبين الأديب الحق كالفرق بين النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة

وهذا الصدق في التعبير هو الذي يسبغ على الأدب صبغة الخلود ، فالشعر الذي قيل في المدح والهجاء أقل قيمة وخلوداً مما قاله الشعراء في وصف عواطفهم ، ورثاء ابن الرومي لولديه أبقى من هجائه خالد بن قحطبة ، واعتداد المتنبي بنفسه في شعره أقوى من مدحه لغيره

بل ما لنا نذهب بعيداً ونحن نرى من الكتاب المحدثين من تنوع أدبهم بين أدب سياسي وأدب قومي أو عالمي ، فأما كتاباتهم السياسية فميتة وقتية لا تعيش كثيراً الا في ظرفها وبيئتها وزمانها ، وأما أدبهم القومي أو العالمي فكثير منه يستحق الخلود والبقاء ، صالح لأن يقرأ ويردد على اختلاف الزمان والمكان

* * *

كتب كاتب أمريكي فقال : « يسألني كثير من الشبان أن أضع لهم مبادئ تساعدهم في الكتابة ، فلهم أقرر هذا المبدأ وهو : اكتب في الموضوع الذي تجيد معرفته والشعور به . ثم اكتب ولا تنتظر أي نظر لما تحدثه كتابتك من نتيجة وأثر ، وكل ما يجب أن تعنى به أن تعتقد أن ما تكتبه حق ، ولتكن نتيجته ما تكون ، وليكن مرشدك في كتابتك الحياة ، ولا تخش من نقد يوجه اليك الا من ناحية أنه حق أو ليس بحق »

وهذا القول صحيح كل الصحة من حيث نصحه للكاتب ألا يكتب الا ما يعتقده الحق ، ولكنه غير صحيح من حيث الا ينظر الى ما يترتب على عمله من نتائج . فإن أراد أن الكاتب لا يهتم بنقد ناقد له من جهة الأسلوب ومن جهة العيب عليه والازدراء به ونحو ذلك ، فهذا صحيح الى حد كبير ، فإن أرضى الكاتب ضميره وعنى بالموضوع بحثاً ودرساً وإخراجاً فلا ضير عليه من نقد الناقدين ، وعليه الا يخشى بأسهم ، وأن ينتفع بما يوجه اليه من نقد صحيح . أما ان أراد هذا الناصح أن الكاتب يجب الا يهتم إلا بقول الحق من غير نظر الى الموضوع الذي يكتبه وما يترتب على كتابته فيه من نتائج فغير صحيح ، اذ ليس كل حق يقال ، وليس يقال الحق للناس جميعا في أدوار حياتهم المختلفة ، فالكاتب الحق أو الفنان الحق يجب أن يسائل نفسه عن مقدار العواطف التي تثيرها كتابته أو فنه ، فهناك قوم مرضى بأعصابهم ، ومرضى بشهواتهم ، ومرضى بحياتهم العقلية والاجتماعية ، ومن الخطر أن يمد هؤلاء بأنواع من الأدب تزيد في هياج أعصابهم وشهواتهم ، وان كان ما يقال حقاً وصدقاً . فنحن اذا طالبنا الأديب ألا يقول الا الصدق فنحن

طائفة أيضاً — لا من الناحية الأدبية بل من الناحية الاجتماعية — ألا يقول إلا الصدق الذى يتفق والصالح العام

وربما جرّ هذا الرأى على بعض الكتاب، فتعرضوا لشرح عار اجتماعية فى رواياتهم أو مقالاتهم واحتجوا بأنهم يقولون صدقاً، ويصفون واقعاً، أو كما يفعل بعض كتاب السياسة لم يتحرجوا من أن يقولوا كل ما يعلمون عن خصومهم، واكتفى أشرافهم بالوقوف عند الصدق، واعتقدوا أنهم ما لم يختلقوا فقد أرضوا ضمائرهم وبرّوا بأنفسهم

وهذا وذاك خطأ بيّن، فكم من الحقائق لا يصح ذكرها ولا عرضها عرضاً أدبياً، وإذا قيلت أو عرضت فلا تحل لكل إنسان وفى كل زمان، وخير الكتاب من لم يعرض من مظاهر الحياة إلا ما يصح عرضه، واتجه فى حياته الأدبية إلى أن يصور المثل الأعلى للحياة فى صورة واضحة، وسخر قلمه ولسانه وعواطفه لخدمة القومية والإنسانية

أحمد أمين

كلمات مختارة

• الصداقة أعز من الحب، لأن الصديق المخلص يحبك ويفهمك، أما المرأة فقد تحبك ولكنها من المستحيل أن تفهمك

اميل فاجيه

• لا تطلب من المخلوق أكثر مما يستطيع أن يعطى. لا تطلب حباً كاملاً وإخلاصاً تاماً وولاء مطلقاً، وإلا خيبت الحياة ظنك وأثقلتك بالحسرة والأسى. فأعرض عن المخلوق واتجه نحو الخالق، وعندئذ تأمن الخديعة وتدرك معنى الراحة والصفاء

طاغور

• المرأة الجميلة دمية، والمرأة المثقفة فاكهة، أما المرأة الفاضلة فهى غذاء الحياة

الشاعر الصينى هوشيه

• اقتران العقل بالخلق هو المثل الأعلى. فمتى كنت على عقل واسع وعرفت كيف تحسن التفكير، ومتى كنت على خلق قوى وعرفت كيف تعمل فى سرعة ومهارة وحزم، فأنت الرجل المنشود، وأنت البطل المعد للعظائم

ألبرت لوديه

ماذا يجب أن نقرأ وكيف يجب أن نقرأ وما قيمة المطالعة وأثرها في حياتنا النفسية والعصبية والخلقية ؟

جميع هذه الأسئلة يجيب عنها هذا المقال

لماذا لا نقرأ

بقلم الدكتور أمير بقطر

سؤال غريب ، هذا الذى عهدت الى الهلال أن أتخذه موضوعا للبحث . غير أننا إذا حصرنا المسألة فى حدود المعقول اتضح لنا جليا المعنى المرمى اليه . فمن المعلوم أنه ينتظر من كل فئة متعلمة من الناس أن تقرأ ، كمية ونوعا ، ما يتفق وتربيتهم واستعدادهم كمية ونوعا . فليس من المعقول أن يقرأ الحوذى الذى لم تتجاوز تربيته نصف مرحلة التعليم الابتدائى ، ما يقرأ الموظف الذى أتم دراسته فى كلية التجارة . وليس من المعقول أن يقرأ غبى — بلغت درجاته العلمية ما بلغت — ما يقرأ عصامى متقد الذكاء ، مهما خلت يده من الدرجات العلمية

من هنا نضع السؤال بهذه الكيفية : « لم لا يقرأ الناس ما ينتظر من أمثالهم قراءته ، كمية ونوعا ؟ »

ماذا نقرأ

على أنه يتعين علينا قبل الاجابة عن هذا السؤال أن نحاول تحليل المادة التى ينبغى أن يقرأها المتعلم ، ولا يتأتى لنا ذلك الا بتقسيمها الى أقسام . وتشكل ثلاثة أنواع :

أولا — ينبغى أن يوالى كل امرىء قراءة الكتب والمجلات التى تتعلق بالمهنة التى يزاول ، أو العمل الذى يعيش منه

ثانيا — ينبغى أن يقرأ الكتب والمجلات التى تمت الى هواه ويلهو به فى أوقات فراغه hobbies كالتصوير أو الرياضة ، أو الموسيقى ، أو صناعة يدوية ، أو فن من الفنون

ثالثا — ينبغى أن يقرأ الكتب والمجلات والصحف التى تتصل بالثقافة العامة ، والتى يتعرف بواسطتها الى العالم الذى يعيش فيه ، ويستطيع أن يحادث أصدقاءه وخلطاءه ومعارفه ، عما يتحدث فيه الناس من اجتماع ، وعلم ، وأدب ، وسياسة ، واختراع ، وروايات تمثيلية ، وسينمائية ، وصور

فنية ، وغنائية مشهورة ، وأوبرا ، وموسيقى ، وموضوعات أخلاقية ودينية ، ومقطوعات نثرية وشعرية ، وفكاهات أدبية ، وألغاز رياضية

أجدرنا باللوم

ولعل أقل الناس عذراً ، وأجدرهم باللوم ، أولئك الذين يهملون النوع الاول من الكتب والمجلات ، فالرجل الذي يعيش من مهنة الطب أو الهندسة أو القانون أو التعليم أو التمثيل ، أو الموسيقى ، أو غيرها من المهن والفنون والصنائع ـ الرجل الذي يعيش من مهنته على ما تلقاه من المبادىء في زمن الدراسة ، انما يسيء الى نفسه ، والى الجمهور المتصل به ، والى مهنته ، والى المجتمع بأسره ، لأنه يغذي من عهد اليه تغذيته بطعام يحتمل ان يكون فاسداً ، فضلا عن حرمانه إياه من المواد الحيوية الجديدة ، التي تمكن العقل البشري الثاقب من استكشافها . مثل هذا الرجل لا يقف نموه وحسب ، وانما يقصر فيما يكثر فيه غيره ، وينقص فيما يزيد فيه سواه . هو عضو اشل في جسم مهنته ، فلا هو يعمل على ترقيتها ، ولا يستفيد من جهود زملائه ، بما أدخلوا فيها من وجوه الاصلاح . وقد تعزى أسباب النقص الى طبيعة الشخص ، كتواكله ، وكسله ، وقناعته بالنزر اليسير من المعرفة ، والبيئة الخاملة الميتة التي يعيش فيها . بيد أن جل السبب يعود إلى التربية المهنية التي تلقاها . فالكليات والجامعات ومعاهد التعليم العليا نوعان . منها ما يجمع همه في تزويد الطالب بالمعلومات والمواد التي تعينه على مزاولة مهنته وكفى ، ومنها ما يجمع همه في اذكاء نار البحث في نفس الطالب ، وتشويقه الى المطالعة والوقوف على أهم المراجع والمؤلفات والمجلات الخاصة بمهنته ، والالمام بأسماء الكتاب والاخصائيين الذين يلزمه معرفة آرائهم وما توصلوا اليه في تجاربهم من نتائج . والرجل الذي يزاول مهنة راقية ، ولا يضيف الى مكتبته الخاصة عاما بعد عام عدداً من أحدث الكتب الفنية ، ولا يشترك في مجلتين فنيتين على الأقل ، علاوة على الكتب والمجلات العامة ، هذا الرجل لا تزيد ثقافته كثيراً على ثقافة الحداد أو النجار . ولست أغالي اذا قلت إن صغار الصناع في أوروبا وأميركا اليوم يشترون الكتب ويشتركون في المجلات التي تخص صناعاتهم ، وإذا لم تمكنهم ماليتهم من ذلك ، قرأوها في الأندية والمكاتب العامة . ومما أدهشني مرة ما قاله لي أحد كبار الموظفين في مكتبة نيويورك العمومية المركزية ، من ان اكثر الناس قراءة لكتب الاقتصاد السياسي هم طبقة العمال ، وما ذلك الا لاتصالها بأعمالهم ، وعلاقتها بالمشاكل القائمة بين رجال المال ورجال العمل

لماذا لا نقرأ

لنترك الآن هذا التقسيم جانبا ونبحث الاسباب التي تمنع الناس من القراءة بالقدر المنتظر من أمثالهم

أولا — من الناس من لا يقرأ لأنه لا يحسن القراءة . ولست أقرر غير الحقيقة إذا قلت إن نسبة كبيرة من « المتعلمين » في البلدان الناطقة بالضاد لا تحسن القراءة . وأعني بالقراءة هنا الصامتة ، التي يكون الغرض منها أن يسمع القارئ نفسه لا غيره ، وأن يستوعب ما يقرأ بدرجة معلومة من السرعة . ومهما قيل من أن القراءة العربية بصوت عال على جانب كبير من الصعوبة ، فإن الناطقين بالضاد بارعون نسبيا فيها ، في حين أنهم لا يحسنون النوع الأول منها ، أي القراءة الصامتة ، ويكاد يكون أعظمهم أميا فيها . وكيف يستطيعون القراءة وطريقة التعليم فيها في القرن العشرين هي بعينها الطريقة التي كانت تتبع قبل أن يخترع جوتنبرج الألماني حروف الطباعة منذ أربعة قرون مضت ؟ ألا يقرأ الطالب في مدارسنا صفحات معدودات من كتاب للمطالعة ، في العام ، في حين أن زميله في أوروبا وأميركا يقرأ عشرات الكتب ؟ ألا يقضي المعلم هنا طيلة العام في درس المطالعة في تقويم لسان التلميذ وتمرينه على الإعراب وقواعد النحو والصرف ، في حين أن زميله في بلدان الغرب ، يعنى بتعويد الطالب القراءة الصامتة في كتب ومراجع كثيرة في العلم والأدب والسياحة ، واستجلاء المعاني ، والوقوف على كنه العالم والمحيط الذي يعيش فيه ؟ كان هذا النوع من المطالعة البطيئة يصلح في الأيام التي كانت فيها الكتب تعد على الأصابع . وكانت تعاد قراءتها مرات وتتناولها الأيدي حتى تتمزق أوراقها ، وتمحى حروفها . وأنى لمن لا يحسن القراءة السريعة أن يلاحق هذه المؤلفات والكتب والمجلات والصحف التي تخرجها لنا المطابع عشرات الألوف في شتى اللغات ؟ وكيف يتسنى « للمثقف » يريد أن يفهم ما يجري في العالم من حوادث ، وعلم ، وأدب ، وفن ، واختراع ، واكتشاف ، أن يستوعب عدداً من الكتب والمجلات والصحف وهو يقضي ساعات في قراءة صحيفة يومية ، لا تستغرق من رجل متعلم أكثر من دقائق معدودات ؟ إن المثل الأعلى في المطالعة في العصر الحديث هو كتاب كل أسبوع في المتوسط ، هذا عدا ما يقرأ من مواد المطالعة المتصلة بالمهنة (كالكتب الهندسية للمهندسين والقانونية للقاضي أو المحامي) وعدا الصحف والمجلات . فهل أنت على هذا المقياس رجل مثقف حقا ؟

ثانيا — ومن الناس من لا يقرأ لأنه لا يفهم . وقد يخيل للكثيرين أن هذه النقطة كسابقتها مبالغ فيها . والحقيقة غير ذلك . الحقيقة المؤلمة أن البحث في الموضوعات الاجتماعية والعلمية لا يفهمه خريجو مدارسنا العليا ما لم تبسط تبسيطا تقرب به إلى السذاجة . ولا يستثنى من ذلك إلا السياسة ، فإننا نكاد نكون فيها ملمين بأشهر مؤلفات العلوم السياسية ، ومثلنا في ذلك مثل دول البلقان وأوروبا الوسطى ، التي علمتها الأيام ، والثورات ، والحروب ، والتعصب الأعمى ، السياسة منذ القدم ، فأصبح أبناؤها سياسيين بالفطرة . والفرق بين الكتب الحديثة والقديمة أن الأولى مليئة بالآراء العلمية ، غنية بالعلوم والفنون ، محررة بالأرقام ، متأثرة بالمذاهب العلمية الحديثة ، والنظريات الاقتصادية والاجتماعية الحديثة ، بعكس السالفة فإنها جل عنايتها بالألفاظ المنمقة ، والعبارات

الزخرفة ، كانت تكاد تنحصر أبحاثها فيما وراء المادة والسحر والتنجيم والرجم بالغيب

والثقافة المنتشرة بيننا لم يتح لها دراسة للمواد الاجتماعية والعلمية الحديثة التي تعينها على تفهم الكتب الحديثة ، فمعاهد التعليم العليا عندنا لا تعنى بدراسة هذه المواد . ولا يطلق فيها العنان للعاطفة الحرة الخالية من القيود التقليدية ، والنتيجة أن الناشئ بيننا يقرأ ولا يفهم ، وإذا فهم فإنه يكون سريع التأثر عن طريق الإيحاء ، ويصعب عليه معرفة ما فيها لتمييز بين الغث والسمين . لأن معظم ما درسه كلاسيكي لا يتصل بالحياة في هذا القرن . ونظرة واحدة إلى الكتب الأخلاقية الحديثة مثلا تبين لنا بوضوح أن الآراء التي بها تكاد تكون غريبة على الأسماع ، كما أن كتب الأخلاق القديمة المنتشرة بين ظهرانينا لا يفهم لغتها الجيل الحديث المتمدن في أوربا إذا ما ترجمت إلى تلك اللغات . ولست أبعد عن الصواب إذا قلت أننا إذا ترجمنا مجلة شهرية مترجمة إلى العربية اليوم ، من المجلات التي تبحث في موضوعات عامة ، علمية أدبية فنية اجتماعية ، فإني أراهن أن قراء الهلال من خريجي المدارس العليا في مصر لا يفهمون أكثر من ١٠ في المائة مما ينشر فيها ، وذلك لأن الثقافة العامة التي عليها تشاد الدراسة العليا تكاد تكون لا ثقافة فيها

ولابد قبل ختام هذه النقطة أن نستدرك في أمرين : أولهما أن بين الذين لم يتلقوا التعليم العالي من يستطيع بفطنته وذكائه وحده أن يثقف نفسه بدراسة المواد والوسائل التي تعينه على فهم ما يكتب في عصرنا الحديث ، وثانيهما أن هناك من خريجي المدارس العليا النجباء ومن استطاعوا بفطنتهم واستعدادهم الشخصي أن يتغلبوا على عيوب التعليم في بلادنا ، وأمكن لهم أن يقرأوا ، وأن يقرأوا قدراً مناسباً ، وأن يفهموا

ثالثاً — من الناس من لا يقرأ لأنه لا يتذوق حلاوة الكتب ، ولا يستطيع أن يحس جمالها . وما القراءة إلا فن من الفنون الجميلة ، لا يحس بها إلا الذين راضوا نفوسهم على هذا الاعتراف ، وهذبوا أذواقهم ، فصارت إليها كما يصير الظمآن إلى ما يستسيغه من الشراب العذب . وكيف يتمتع المرء بالشعر والموسيقى ما لم يفهم المعاني التي تحملها ، والألحان التي تتكون منها ، وما لم يعود نفسه على سماعها ؟ وكيف يولع سائح بالصور الزيتية البديعة والتماثيل المرمرية الجميلة في متاحف باريس وروما والقاهرة ولندن ونيويورك وفينا ما لم يدرس شيئاً عن الفنون الجميلة والفنانين في مختلف العصور ، ويرى أسرار الجمال في القطع الفنية المعروضة في ما لها من سحر ؟ وكيف يتذوق النشء في بلادنا حلاوة المطالعة الهادئة الممتعة ، وهو لا يجود في معاهدنا إلا قراءة الكتاب الذي يمتحن فيه — ذلك الكتاب الذي كلما ذكره رأى شبح الامتحان ماثلا به ، فيكره موضوعه طول حياته ؟ في حين أن الأطفال في أمريكا مثلا يؤمون جماعات إلى المكاتب العامة كل أسبوع ، وهناك تقرأ لهم فتيات جميلات المنظر والصوت الهامس قطعاً نثرية وشعرية من كتب موضوعة أمامهم ، يستطيعون قراءتها بأنفسهم ، ويشجعون على استعارتها ، فضلا عن المكتبة المدرسية

التي تعج غرف المطالعة فيها بالتلاميذ في كل ساعة من ساعات النهار

رابعا – من الناس من لا يقرأ لأن للقراءة مزاحما عنيداً ومنافسا شديد البأس . ويتمثل هذا المزاحم في الراديو والسينما والسيارة وغيرها من مستحدثات هذا العصر . فمن الناس من لا يقرأ الاخبار العامة في الصحف ، وهو كل ما كان يقرأ ، لأنه يستطيع أن يسمعها بواسطة الراديو . ومن الناس من كان يتمدد على كرسي مريح بعد العشاء ويتصفح كتابا أو مجلة ، فأصبح يؤثر الاستماع لأغاني الراديو ، أو مشاهدة رواية سينمائية ، أو التنزه في سيارة مع أصدقائه ، وقد يكتفي بمشاهدة الصور الجذابة في مجلة مصورة أو جريدة سيارة

بيد ان هذه الظاهرة لا تنال الا النفوس الضعيفة . والتي تبلغ الثقافة في دورها مبلغ الطلاء السطحي من قطعة الاثاث الخشبية . لأن من المبادىء الاجتماعية المعروفة ان كل نشاط جديد يؤدي الى ناحية من نواحي النشاط ولا يحل محلها (activity leading to further activity) ومعنى ذلك ان انتشار الراديو والسينما والسيارة يؤدي بالرجل المثقف الى مضاعفة القراءة ، لأنه يفتح أمامه أبوابا جديدة وموضوعات طلية عديدة هو في أشد الحاجة الى تفهمها

خامسا – ومن الناس من لا يقرأ لأن ميوله محصورة في دائرة ضيقة لا يكاد يتعداها . فمنهم من لا يقرأ الا الأدب المحض الذي يسمو فيه اللفظ ، ويصبح أمامه للفن سببا مستقلا . والكتب الحديثة قلما تعنى بهذا الجانب من الثقافة ، فلا غرابة اذا نظر اليها البعض نظرتهم الى الحقيقة العارية التي تسمو عنها الانظار الحية . ومنهم من لا يقرأ الا الصحف اليومية ، وقد يكتفي فيها بقراءة الوفيات دون سواها ، او اسعار القطن وحدها . ومنهم من لا يقرأ الا الروايات الغرامية أو البوليسية ، ومنهم من لا يقرأ الا المقالات أو الكتب التي « بالتوابل » أي التي تثير فيهم عاطفة الحب والغرام أو الميل الجنسي أو تشبع ميولهم السفلى ، أو تبعث الفكاهة فيها ، للضحك والمجون . ومنهم من لا يقرأ الا الكتب العلمية البحتة ، فلا يحب الادب ولا الفنون ولا السياسة . ومثل هؤلاء مثل الرجل الرياضي الذي يقوي ساعديه دون ساقيه او العكس . هو رجل منحرف غير كامل الاستدارة ، ناقص التكوين ، سمين مغرق في السمن في ناحية ، وضعيف مسترسل في النحافة في ناحية أخرى . ومنهم من لا يقرأ الا الكتب الدينية والاخلاقية ، وهذا لا يقل عيبا عن أولئك الذين لا يقرأون الا الروايات الغرامية أو الذين لا يقرأون في الجريدة اليومية الا الوفيات

ومن المسائل المسلم بها ان الأمة لا تنهض نهوضا فكريا ما لم تكن نسبة القراء فيها كبيرة أولا ، وما لم تكن الكتب والمجلات الراقية منتشرة ومتنوعة ثانيا . وليس من سبيل الى رفع مستوى المؤلفات والكتب والمجلات غير عدد كبير من القراء . فمجلة « لايف » الاميركية يسمح لها عدد قارئيها ان يستخدم رئيس تحريرها عشرين موظفا لجمع المعلومات التي يستعين بها على كتابة الصفحة الاولى وحدها ، ويكون عملهم مقصورا على جمع هذه المعلومات التي تستلزمها هذه الصفحة لا غير .

وكيف لا نرى مجلة يبلغ قراؤها مئات الألوف وقد يتجاوز الملايين ؟

* * *

ان فن القراءات في عصرنا الحاضر في مقدمة العناصر التي تتألف منها حياة الرجل المثقف ، بل هي الحياة بأسرها . والرجل الذي يستولي عليه كابوس السآمة في أوقات فراغه ، ولا يستعين بكتاب يجد فيه العزاء ، رجل بائس ، جدير بالاشفاق

ألا يجد الرجل المثقف بين دفتي الكتاب ، وبهجة حواشيه ما ينسجم فيه خياله وحسه ؟ ترى ما ضر الناس لو راضوا نفوسهم على المطالعة ، تفريجا عن ألم ، او ترويحا من كرب ، ان لم يكن للعلم ذاته ؟ ألا يجدون في الكتاب مسكنا لقلوبهم الثائرة ، ومهدئا لأعصابهم الهائجة ؟ لشد ما يتلع الافئدة الحزينة أن يمر دموعها على الكتاب الذي يصادف هوى في نفوسهم ، فترسل عيونهم العبرات وتحت صوره الزهرات ، فلا يلبثوا أن يلقوا فيها جميل العزاء ، وبلسم الشفاء . ألا تجد ذلك الشاب المسكين في حال الاثب أسعد خلق الله ، وهو مضطجع على بساط الخضرة ، يستمع الى هدير الجداول ، ورغاء مساقط الماء ، وهو يتصفح كتابه تارة ، ويضمه الى صدره أخرى ؟ لعمري ، هل كان عمر الخيام مخبولا حينما حصر جميع رغباته في ديوان من الشعر ورغيف من الخبز ، وابريق من النبيذ ، وصديقته ؟

امير بقطر

كلمات

• اذا تزوجت الأرملة منك لأنها كانت تكره زوجها الأول . واذا تزوج الأرمل منك لأنه كان يعبد زوجه الأولى

اوسكار وايلد

• اذا أردت أن تروق في عين المرأة فلا بد أن تملقها وتكذب . فأين هي المرأة التي يمكن أن نحبها ونحن صادقون

مارسل بريفو

• اذا لم تكن غايتك عظيمة واذا لم تكن جديرة بمجهودك فانصرف عنها بلا أسف ، اذ ليست العبرة في أن تكون عاملا بل في أن تكون سعيداً ، وجوهر السعادة كامن في اصابة الهدف المعظم

جوبير

هتلر

بطل الانقلاب النمسوي

شوشنج

رئيس وزارة النمسا السابق

ميكلاس

رئيس جمهورية النمسا السابق

سايس انكوارت

مستشار النمسا الحالي

الانقلاب النمسوي

اجتاحت جيوش هتلر أرض النمسا على حين غرة ، وقضت على بقايا امبراطورية هبسبورج الشهيرة ، التي خلفتها الحرب الكبرى جمهورية صغيرة ضعيفة تنازعها الأطماع. وقد عرضت هذه الثورة لفاتحة السلم الثاني لأخذ خطر استهدف له منذ انتهت الحرب الكبرى ، وبذلك حققت هتلر شطراً من سياسته التي قامت على اعلاء قوة ألمانيا وهيبتها. وقد أدى هذا الانقلاب الى استقالة مستشار الجمهورية الهر شوشنج ، وتنحي الهر ميكلاس ، وتعيين الهر سايس انكوارت زعيم النازي في النمسا ، كما هذه الخاتمة التي أصبحت الى الرايخ (راجع سجل الأيام صفحة ٦١٢)

روح السياسة البريطانية

ولماذا تبدو غامضة معقدة [١]

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

ما هو روح السياسة البريطانية ، وما هي العوامل التي تملي على الانجليز سياستهم الخارجية المشهورة لدى العامة بالغموض والابهام والتعقيد ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه فيما يلي :

الانجليز أهل جزر ، يعتمدون على المواصلات البحرية في الحصول على موادهم الغذائية وعلى ما هم في حاجة اليه من مختلف المواد الاولية . فاذا فقدوا السيادة على البحار ساعة الحرب تمكن منهم اعداؤهم وقضوا عليهم شر قضاء . لذلك يخشى الانجليز كل دولة أوربية تنشيء اسطولا بحريا قويا ويعتبرون هذه الدولة خصما لهم

ولقد جرت العادة — والتاريخ يشهد بذلك — أن كل دولة أوربية استطاعت الظفر بتفوق عسكري ملحوظ وأحرزت انتصارات برية عظيمة ، سعت بعد ذلك الى انشاء اسطول كبير يكفل لها السيادة في عالم البحر . فاسبانيا عندما بسطت سلطانها على أوربا بفضل جيشها البري ، انشأت اسطول « ارمادا » البحري الهائل ، ونابليون بعد أن احرز النصر في ايطاليا وألمانيا انشأ هو الآخر اسطوله ، وغليوم الثاني بعد أن استكمل عناصر التفوق في جيشه البري عمد تحت تأثير الاميرال فون ترپتز الى انشاء اسطول بحري عظيم . ولقد هددت تلك الأساطيل الثلاثة مركز بريطانيا ومصالحها ، فما زال بها الانجليز حتى تخلصوا منها ودمروها أو استولوا عليها في سلسلة حروب طاحنة . والواقع أن هذا الخوف من تفوق بري يؤدي الى رغبة في التفوق البحري ، هو الذي يدفع بانجلترا الى أن تأخذ في سياستها الاوربية بمبدأ « توازن القوى » المعروف

فكل دولة أوربية تنزع الى التفوق وتحدث الخلل في هذا التوازن ، تسرع انجلترا بتأليب الدول عليها وعقد المحالفات ضدها حتى تتمكن منها وتهزمها . فاذا ما تحقق هذا الغرض وانهزمت الدولة المتفوقة قامت بريطانيا نفسها للأخذ بيدها وانهاضها رغبة في إضعاف الدول المنتصرة حليفاتها وخشية أن يستولي الغرور على دولة منها فتحاول أن تتفوق بدورها وتهدد مصالح بريطانيا

وأبلغ دليل على ذلك أنه في عام ١٨١٥ عندما عقد مؤتمر ڤينا وقفت انجلترا موقف المدافع عن فرنسا عدوتها المنهزمة وأخذت بيدها وناصرتها برغم إرادة الحلفاء ، وسعت لعقد صلح

---

(١) رجعنا في كتابة هذا المقال لبحوث (موروا) و (سيجفريد) و (بير دومنك)

تحول فرنسا حتى الاحتفاظ بالألزاس واللورين وبعض مستعمراتها الافريقية التي كانت قد انتزعت منها . وفي الفترة التي تلت الحرب العظمى أي منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٠ حاولت انجلترا انهاض ألمانيا غير حافلة باعصاب الفرنسيين ــ حتفاتها بالأمس لمصلحة الأمس فانجلترا صديقة الدول الاوربية الضعيفة لأن هذه الدول لا تستطيع أن تبني أساطيل بحرية قوية

الدفاع عن الامبراطورية البريطانية

ان انجلترا امبراطورية كاملة ، امبراطورية عالمية ، وأقطاب السياسة فيها يتجهون في سياستهم الى العالم وجهة عالمية . وأول الأهداف التي ترمي اليها سياسة امبراطورية عالمية هو الاحتفاظ بالممرات ، كما كان يقول دزرائيلي أو حراسة الابواب البحرية . واليك بضعة أمثلة على ذلك .

ان أقصر الطرق وأهمها من انجلترا الى الهند هو طريق البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر . ولهذا الطريق أربعة أبواب : جبل طارق عند مدخل البحر المتوسط ، ثم مالطة الواقعة في الممر المؤدي من غرب البحر المتوسط الى شرقه ، ثم السويس ، ثم عدن الواقعة بين البحر الاحمر والأوقيانوس الهندي . فهذه الأبواب الأربعة في قبضة انجلترا وقد انشأت فيها أربع قواعد عسكرية وبحرية ، ولكن ليست العبرة في نظر الانجليز بالقاعدة الحربية بل بما يتوافر فيها من عناصر التوطد والرسوخ وضمان المستقبل

فجبل طارق مثلا قاعدة قوية ، ولكن لو ان فرنسا عندما غزت مراكش وضعت يدها على البلاد المراكشية بأسرها ، لكانت قيمة جبل طارق قد سقطت وأصبحت انجلترا وأمامها مناطق خطر في هذا الطريق . لذلك عقدت مع فرنسا الاتفاق المشهور الذي تخلت لها فيه عن جزء من مراكش متصلة لتسلمها مصر ولاسبانيا أيضا حظهم من الغنيمة . وهكذا أصبحت طنجة ذات وضع دولي وربحت أقسام الاسبان في الريف المراكشي

ويلاحظ أنه عند ما نشبت الحرب الاسبانية المراكشية وحيث أن يفقد الاسبان الريف شجعتهم بريطانيا على الاحتفاظ به . ولو أنهم كانوا قد اضطروا الى التخلي عنه لكانت حكومة لندن دعت بايطاليا الضعيفة وتنازلت الى احتلاله خشية أن تغزوه فرنسا القوية فيزول سلطان انجلترا على « الممر » وتجبرها الظروف على الرضا بأن تشاركها فيه دولة عظيمة

وماذا ابتغت انجلترا من وضع يدها على مالطة ؟ لاشك انها قصدت من وراء ذلك ألا تقع صقلية وتونس في قبضة دولة واحدة . ولهذا السبب اشتد سخطها على موسوليني أيام كان يناوىء فرنسا ويتطلع الى تونس قبل حرب الحبشة . ولقد ناصرت انجلترا الفرنسيين إذ ذاك لا حبا فيهم ، بل دفاعا عن مصلحتها هي ، عن الممر الحر ، عن سيادتها على أحد الابواب البحرية الهامة

وأما قناة السويس فقد سعت انجلترا لضمان اشرافها عليها ، بأن حصلت على الانتداب الفلسطيني بحجة انشاء وطن قومي لليهود ، ثم وثقت عرى المودة بينها وبين حكومة شرق الاردن ، ثم

حدثت النقمة ، ثم عقدت معاهدة التحالف مع الدولة المصرية

وأما بوغاز باب المندب فقد أرادت بسط سلطانها عليه أيضا فوضعت يدها على عدن ثم على جزيرة بريم ثم على جزيرة سوكوتورا ثم على الصومال الانجليزي بما فيه ميناء زيلع وبربره . وكانت للنشآت الايطالية إذ ذاك جيبة من البوغاز ولم يكن أمام انجلترا من ناحية خطر غير فرنسا في أوبوق وجيبوتي ، ولكن أوبوق وجيبوتي كانتا مجردتين من السلاح وفرنسا كانت قد أصبحت صديقة انجلترا وعدلت نهائيا عن التطلع الى مصر

فمصلحة انجلترا والحالة هذه تتطلب منها المحافظة على الابواب البحرية وعلى حرية المرور في كل مكان وعلى تحريم حق المرور على الدولة التي تناقضها وتهددها . ولقد أملت هذه الاغراض على بريطانيا سياستها فجاهدت جهاداً مطرداً حتى تمكنت من تحقيق مصلحتها وصيانة مواصلاتها البحرية الى الهند . ولكن حدث فجأة ان ظهر موسوليني واشتد ساعد ايطاليا ورمقت البحر المتوسط بأنظارها ، فبدل الموقف ولاح للبريطانيين شبح الخطر

والواقع أن استقرار ايطاليا في الحبشة وتحصينها جزيرة بانتاليرا القريبة من مالطة والواقعة في منتصف الطريق بين صقلية وتونس ، يمكن الايطاليين في حالة الحرب من محاولة قطع الصلة بين طريق قناة السويس وغرب البحر المتوسط . ثم ان استقرار ايطاليا في الحبشة وتحويلها مصوع الى ميناء حربي وقربها من منابع النيل ومن الحدود السودانية ، كل ذلك يهدد المواصلات الانجليزية في البحر الاحمر ويهدد السودان أيضا . وهذا هو أكبر خطر واجهته بريطانيا منذ الحرب الكبرى . فلما فطنت لانتباه والى أية سياسة لجأت وكيف تصرفت ؟

ان الاشارة الى هذه النقطة تساعدنا على إماطة اللثام عن الأساليب التي تطبق بها السياسة البريطانية الخارجية ، وعن روح هذه السياسة وطرائقها الخاصة في تحقيق أغراضها السالفة

أساليب السياسة البريطانية

يخطىء من يقول ان السياسة الانجليزية بعيدة النظر تحسب على الدوام حساب الغد وتعمل على دفع المخاطر قبل وقوعها . إذ الحقيقة انها تتباطأ وتتثاقل وتتريث حتى يستفحل الخطر وعندئذ تهب لدفعه هبة رجل واحد . والانجليز يسلكون هذا المسلك مدفوعين بعاملين :

أولا — اعتقادهم بأن من الحق والرعونة تعجل الظروف واتباع المنطق والتقيد بآراء وأعمال سابقة لأوانها . فهم رجال عمليون يؤمنون بما في العالم من حاجة الاطراد في التحول ، فيعتمدون على الوقت في احداث هذا التحول عند خصومهم واتجاهه الى خدمة مصالحهم . فاذا كنت اليوم عدوهم أو صديقهم فليس معنى ذلك أنك ستظل في الغد كذلك . إذ من يدري ما سيقع في الغد ، وأية ظروف ستطرأ عليك ، وأي موقف طارىء جديد يمكن أن يقفوه منك . . .

فسياستهم هي سياسة اليوم ، بل سياسة الساعة ، وهذا ما يفسر سرعة تقلبهم واشتهارهم بالغدر

والانجليز تجار قبل كل شيء يحبون الكسب ، ويحبون انتهاز فرص الكسب ، ولكن بدون الاقدام على مغامرات خطرة أو التسليم بمصالح عزيزة

لذلك يعمدون الى الصبر والمطل والتأجيل والتسويف لكسب الوقت حتى تبدو أمارات الضعف على خصمهم وعندئذ يشرعون في مساومته ومصالحته على الوجه الذي يرتضون

وليس المهم في نظرهم أن تكسب بواسطة الحرب ، بل المهم ألا تحارب ، وأن تظهر بمظهر القوة الحادثة الواثقة ، وأن «تهوش» على خصمك بقوتك وان لم تكن قوة حقيقية ، وأن تعرف كيف تصبر عليه وتماطله وتهوشه ، حتى تربح منه بالمساومة أضعاف ما كان يمكن أن تربحه بالحرب ، لأن مصير الحرب أمر قابل للشك ولأن الحرب عدوة تجار الحرير الذين يخشون على أساطيلهم والذين تتوقف حياتهم على حرية البحار . وأبلغ دليل على ذلك ما وقع أخيراً

لقد « هوش » الانجليز على الايطاليين أثناء حرب الحبشة وحشدوا أساطيلهم الكبيرة في البحر المتوسط ، وتظاهروا بالقوة والاستعداد للحرب ، في حين أنهم كانوا بعد ضعفاء ، ثم لاذوا بعصبة الامم ، ثم وقعوا العقوبات ، ثم فشلت العقوبات واحتلت ايطاليا الحبشة ، ثم نشبت الثورة الاسبانية وظهرت فيها اصبع ايطاليا فطأطأ الانجليز رءوسهم أمام العاصفة وتقوا صلاتهم بالفرنسيين وشرعوا في مضاعفة التسلح

شرعوا في التسلح لا رغبة منهم في الأخذ بالثأر والشغال نار حرب هائلة ، بل رغبة في التأثير على عدو مغامر خطر بقوة حقيقية تتناسب مع خطره وجرأته ، وتمكنهم في النهاية من ارهابه ورده الى صوابه وانتهاز فرصة من فرص ضعفه واحساره على الدخول معهم فيمفاوضة أو مساومة يرسمون هم خطتها ، بحيث يخرجون منها بأعظم ربح وأقل تضحيه ، أو تضحية لا تقاس بتلك التي ستحتمل ملاءمة نتائجها البعيدة لو أنها اشتبكت في حرب وأحرزت فيها مع ذلك نصراً محققاً

وعندما اعتقد الانجليز من الخائفين وكثر التعلم بعد أن طال صبرهم على أعمال موسوليني وهتلر ـ أن الفرصة قد حانت وأن محور (روما ـ برلين) قد أخذ في التصدع ، وأن الايطاليين يخشون أن يهدم الالمان بالتوغل في النمسا ، وأن ايطاليا قد ضعفت وأصبحت تشكو الحاجة الى المال ، دعوا بتشمبرلين الى التخلص من ايدن صبير مبادئ، عصبة الامم ونظريات السلم الاوربي الاجماعي ، ثم اشاروا على الأول بالاعراض عن تلك المبادئ، والنظريات والاقبال فوراً على مفاوضة الايطاليين . ويلاحظ أن انجلترا كانت قد أوصدت الورد هاليفكس الى برلين قبل اعتزامها الدخول في مفاوضات مع ايطاليا . ويلاحظ أيضاً أن هذه المفاوضات لم تكد تبدأ حتى اجتاحت جيوش الالمان بلاد النمسا . فكيف نفسر هذا الحادث الجلل ؟

يلوح لنا ان أقرب تفسير يجول بأذهان المطلعين على أساليب السياسة البريطانية ، هو أن الانجليز الذين لا يبالون في اهتمامهم بشؤون أوربا الوسطى ، شجعوا الالمان من طرف خفي على

احتلال الحبشة ، لا ليصرفوهم – ولو موقتاً – عن فكرة المطالبة بمستعمراتهم القديمة ، بل ليحدثوا صدعا في محور (برلين – روما) وهكذا يشعر موسوليني بالخطر ويزداد صدعا على صدع فيضطر الى معاونتهم وهو في مركز لا يحسد عليه ، فيتمكنون منه ويعرضون عليه شروطهم

وقد يبدو هذا التفسير غريبا بل قد تبدو هذه الخطة أشبه بسلاح ذي حدين ، إذ من المحتمل جدا ألا يقنع الالمان بما ظفروا به اليوم إلا ليستجمعوا قواهم في سبيل الظفر بأكثر منه في الغد ، ولكن ماذا يهم الانجليز من الغد ؟ . اليوم هو الذي يهمهم وأما الغد ففي وسعه أن ينتظرهم ، وفي مقدورهم أن ينتظروه ، ويجدوا عند حلوله الطريقة لحل نفس مشاكله

هذا هو اعتقادهم وهو الذي يجعل تفسيرنا الحدث الحماوي متفقا وأساليب سياستهم

ومع ذلك فروح هذه السياسة يجب أن لا نلتمسه في تفسير الحدث الحماوي ، بل في الخطة الجديدة التي أوجدته ، أي في تضحية الانجليز عامدين، عصبة الامم بعد أن كانوا من غلاة أنصارها، وفي استغلالهم لخيبة سياستهم وفي رضاهم ثمة بحكومة الايطاليين . أجل . لم يحفلوا بكرامتهم ولا بمصير العصبة ولا بنظرية السلم الاوربي الاجماعي ولا باضطراب الدول الصغيرة وخوفها، واقدموا على هذا العمل مدفوعين بروح سياستهم القائمة على توخي المصلحة الخاصة والصبر على الخصم وانتهاز فرصة ضعفه ثم تجربة شتى وسائل الصلح معه قبل الالتجاء الى وسائل القوة والعنف

ولقد صبروا طويلا على غليوم الثاني وأبوا إلا أن يفاوضوه في تخفيض أسطوله البحري على يد اللورد هالدان ، وكان هذا قبل الحرب العظمى بعام واحد . فهم يؤثرون جهد الطاقة إذن ولا يحسبون حساب الغد ولا يقطعون الأمل في تحويل خصمهم الى صفهم ابدا

لماذا ؟ لأنهم قوم شديدو الاحساس بتفوقهم . وهذا هو العامل الثاني المسيطر على سلوكهم فاذا كانوا يستخفون بالمستقبل ويتركون عدوهم يقوى ولا يكترثون لفضائل الحيطة والحذر ولا يعبأون لاتقاء الخطر البعيد ، فذلك لشعورهم بأنهم على قوة كافية لدرء هذا الخطر عند وقوعه

ولقد كان في وسعهم تهديد غليوم الثاني بالحرب صراحة اذ هو امعن في انشاء أسطول بحرى ضخم . وكان في وسعهم عرقلة ايطاليا الفاشية وصد مطامعها في البحر المتوسط بتقوية الحبشة وتقوية مصر وبذل شيء من التضحية في سبيل التسليح ، ولكنهم لفرط اعتدادهم بانفسهم ويقينهم بما هم عليه من قدرة لدفع الخطر ساعة الخطر ، غضوا الطرف عن جهود المانيا في الماضي ، ثم فاوضوها ففشلوا فاضطروا الى محاربتها . وها هم الآن قد عادوا يفاوضون مع ايطاليا نفس الدور

فموطن القوة فيهم هو مركز الضعف

وعندي ان الانجليز مصابون بمركب « الزيادة » اذا كان غيرهم مصابا بمركب « النقص »

والحقيقة ان احساسهم العميق بهذه الزيادة في قواهم ، هو الذي يجعلهم واثقين متفائلين ، وهو الذي يطمئنهم الى الغد ، وهو الذي يسوقهم الى التباطؤ والتلكؤ والانتظار ، وهو

الذي يغرى الخصم بهم ويلقى في روعه أنهم مترددون جبناء

ولا ريب في ان هدوءهم وتريثهم واحتقارهم الزهو والخيلاء، وعدم تبجحهم بقوتهم، كل هذه الخصائص لا تشجع الخصم الناس على ان ينصاعوا فحسب، بل تشجعه ايضا على ان يتحدى من هم أضعف منهم وعلى ان يسرف في تحديه وتحرشه اعتماداً على برودهم وترددهم وطول صبرهم، وهكذا يستهدف سلم العالم للخطر بسببهم كما تستهدف لهذا الخطر مصالحهم نفسها . . .

ولقد اغترت بهم اخلاقهم الألمان، فظلوا يتوهمون قبل الحرب الكبرى ان الانجليز لن يأخذوا بوسائل الشدة ازاء ما الخطر داهمهم وكانوا في نفس الوقت متخبطين في مشاكل هامة

منعهم من الانجليز اشاعتهم من التورط في منح فرنسا وعداً صريحاً بمعاونتها في حالة نشوب حرب. منعهم ما يعرف عن تقاليد الساسة البريطانيين من الرغبة في عدم التقيد بوعود ومواثيق دقيقة تعوقهم عن حرية اتخاذ قرارات مستقلة تلائم مصلحتهم وتتفق مع الظرف الطارىء . .

فالألمان قد خدعوا، وعسى ألا يخدع موسوليني، او الواقع ان هناك حدوداً لصبر الانجليز، فإن اصطدم بها خصمهم، حلت عندهم رغبة السلم والجهاد عن ارادة المصالحة والمساومة ثم انقلبت بنوع غريب من الدأب وضرب مدهش من الجلد والاصرار والعناد تتجسم فيه فضائل الصبر متجهة نحو الانتقام واحراز الظفر. ولكن متى ينفد صبر الانجليز، وما هي حدود صبرهم، وأي تحرش يمكن أن يستفزهم الى الحرب؟ لا ريب ان امعان النظر في المبدأين اللذين أشرنا اليهما وهما « توازن القوى » و « الاحتفاظ بالأبواب والممرات البحرية » يساعدنا على الاجابة عن هذه الأسئلة

والآن وقد وضحنا الخطوط الرئيسية للسياسة الانجليزية لا يسعنا ان نختم هذا المقال بدون التحدث في إيجاز عن الدور الكبير الذي يلعبه في توجيه هذه السياسة تجار مدينة لندن وكبار المموّلين وأصحاب الشركات المنتفعة منها

وقد ورد في كتاب البروفسور ريمون كانيه عن تاريخ انجلترا الحربي، ان شركة خليج هدسن هي التي ساقت ملك الانجليز الى محاربة الفرنسيين في كندا وهي التي مونت تلك الحرب بالمال اللازم، وان تجار لندن هم الذين قاموا بنفقات الحرب ضد نابليون، وهم الذين دفعوا الحكومة الى حرب البوير متطلعين الى ذهب الترنسفال، وهم الذين شجعوا على سحق ألمانيا القيصرية ثم اوعزوا الى الحكومة عقب الحرب الكبرى أن تعمل على انهاضها لئلا تفقد قوة الشراء التي تجعل من دولة الريخ سوقاً انجليزية هامة. واليوم تريد لندن أن يفاوض تشمبرلين ايطاليا لسببين :

أولاً — وضع حد للنزاع الاسباني كي تتحول معادن المناجم الاسبانية وتتخذ من جديد طريق ميناء لندن. وثانيا — استقرار مركز انجلترا في البحر المتوسط كي تتفرغ لمعالجة مشاكل الشرق الأقصى حيث للماليين مصالح واسعة

ابراهيم المصري

بين كارلايل ونيتشه

البطل والإنسان الأعلى

بقلم مصطفى على أدهم

يحاول كارلايل أن يوفق بين البطل وبين الشريعة والأخلاق وأن يجعل البطل من خلق ميراثاً حقيقياً نافعاً لأمته وللحضارة . أما نيتشه فيرى أن البطل أو الانسان الأعلى يجب أن يسمو فوق الآداب ويصعد الى ما وراء الخير والشر ويحل البطولة المطلقة بصرف النظر عن الاخلاق والآداب التي اصطلح عليها المجتمع

« عندما نسأل الانجليز — لا سيما هؤلاء الذين لم يبلغوا بعد حد الاربعين — عن كبار المفكرين عندهم ، يذكرون أول ما يذكرون « كارلايل » ولكنهم فى نفس الوقت يصارحون لنا بالاقرار وبضرورتنا العجز عن فهمه ، ويرجعون ذلك الى استحضار الشعور جداً من تواليف كارلايل وهى ما بين نقد وتاريخ ورسائل وفلسفة ومراث أدبية ، ونقبل على قراءتها ونكب على دراستها وتعالجنا فى أثناء ذلك عواطف متضاربة عجيبة ، من كل صالح تناقض الرأى الذى انتهينا اليه فى البيئة السالفة ، وننتهى أخيراً الى أننا فى حضرة حيوان عجيب من بقايا السلالات البائدة ، وإذا تلقاه عملاق هائل الأعضاء ضخم الاجزاء علم على وجهه فى ذنب لم تخلق له ، وتحتويه الدهشة وتشيع فى نفوسنا الفرح لهذا الطالع السعيد والتوفيق لليمون الذى صادفناه فى علم الحيوان ، ونشرع نحيل فيه النظر وقد استعرنا حب الاستطلاع والشغف بالبحث ، ونجهد أنفسنا بانعام النظر عنه ، ونتحرك فى بادىء الأمر الحيرة ويضربنا الذهول ، فكل شيء هنا جديد سواء فى ذلك الافكار والاسلوب واللهجة وتركيب الجمل ونمط اختيار الالفاظ ، وإنك لتراه يأخذ كل شيء بمعناه المقلوب ولا يترك شيئاً دون أن يباحثه ويعكس نظامه ويخرجه من مداره ، فالمتناقضات عنده مبادىء مسلم بصحتها ، وما وقع عليه الاجماع واصطلح عليه العرف سخف وهراء ، ويخيل لنا أننا قد قذفنا الى عالم مجهول يمشى سكانه على رءوسهم وأقدامهم فى الهواء راقصين فى حلل مزركشة كالسوقة المتطرفة والمجانين المسرورين ، فهم لا ينفكون يترنحون ويتصايحون هائجين ثائرين مضطربين مرتفعى العقيرة ملطلى الصخب ، وسرعان ما تشدها هذه الأصوات الثائرة للدهشة فنحاول أن نصم أسماعنا فى آذاننا ونغمض الدوار ، ونرى أنفسنا مضطرين الى حل رموز لغة

حديثة ، ونحس أن كارلايل انما يتكلم بالأحاجي والألغاز ولا يرحب بالتعبير السلس البسيط ، فهو يستعمل المجاز في كل خطوة ويحاول تجسيم كل فكرة ، وتطوف به الرؤى كالشرقة اللامعة أو الشكاية الدائمة ويغلب عليه التطرق والتصنع ، ولكل فكرة في نفسه هزة راعشة ، ويثار من العاطفة المشتعلة الدائمة يتكفأ عابراً الى تحته الجياش الصاخب ، ويثوب من الزلال والصور يتعثر ويهمر ويحصر في الأقدار والأوحال ، ويرى عيالي العظمة وشواهق الجلال . وهو لا يستطيع أن يحلل ويفسر وانما يعمد الى التصوير والتمثيل ، ويرى الجليل والحقير عنده خطوة ، واعجابه يتنبى بتهافت وسخر ، والوجود في رأيه معبد مقدس ومهبط وحي ونسكه في نفس الوقت مطبخ ومدود وهو يهب من الصوفية ويكرع من الحيوانية . . .

بهذه اللهجة الساخرة التي لا تخلو من تصور صادق وتعرف دقيق استهل النقادة الفرنسي القدير « تين » نقده المستوعب وتحليله الفاحص لكتابات توماس كارلايل . وأخص ما يسترعي النظر في هذا الوصف اللاذع الجامع وهذا التحليل الدقيق البارع ، أنه جدير بيسير من التعديل والتبديل ينطبق تمام الانطباق ويصدق الصدق كله على كتابات فردريك نيتشه أحد كبار فلاسفة الألمان وفي طليعة المفكرين المحدثين الذين كان لهم تأثير كبير في توجيه الفكر الألماني خاصة والثقافة الأوربية عامة

ولقد ولد كارلايل في سنة ١٧٩٥ ومات في سنة ١٨٨١ ، وولد نيتشه في سنة ١٨٤٤ ووقف عقله عن التفكير وشاع فيه الاضطراب سنة ١٨٨٩ ووافت منيته قبله في اغسطس سنة ١٩٠٠ . فعندما بدأ نيتشه يبسط رسالته ويذيع فلسفته كان كارلايل قد استقرت مكانته واستفاضت شهرته . ويبدو من كتب كارلايل ورسائله وأحاديثه أنه لم يعرف نيتشه وربما لم يطرق اسم نيتشه سمعه ، ولو أنه سمع به وقرأ شيئاً له لكان على الأرجح حسبه من كارلايل غمزة من تلك الغمزات التي كان يقذف بها كارلايل كل من لا تشبه رحمته ولا يتسع صدره لتفكيره ، وقد كان كارلايل واسع الاحاطة بالأدب الألماني ، ولكن اعجابه بذلك الادب كان مقصوراً على ما انتجه الألمان في صدر القرن التاسع عشر ، أما ما تلا ذلك فلم يكن حظه موفوراً من اعجاب كارلايل وتقديره ، فهو يشكو مثلا في تاريخه لهيني وهو أكبر شعراء ألمانيا الغنائيين بعد جيتي بأن يقول عنه « المسماه هيني » ، أما نيتشه فقد عرف كارلايل وألم بكتبه وأفكاره ولعله تأثر الى حد ما بكتابه عن الأبطال وعبادة البطولة ، ويرد ذكر كارلايل في مؤلفات نيتشه ولكنه كان يذكره ليعيبه وينتقصه وينعته باضطراب الفكر وشوش الذهن ويفضل عليه صديقه الأمريكي « امرسن » . والواقع أن كلا من كارلايل ونيتشه كان يعيش في عالم خاص ودنيا مختلفة من الخواطر والأفكار والأماني والعواطف ، وكانا يستمدان ثقافتهما كذلك من ينابيع مختلفة بعض الاختلاف ، وبرغم الكثير من أوجه الشبه بينهما في المنهج والآراء ، وتغلب الأسلوب الشعري على الطريقة المنطقية في التفكير ، فان بينهما فجوة واسعة وهاوية عميقة ، فقد كان كارلايل يؤمن بعدالة الكون وبالعناية الالهية المتجلية في سير

الحوادث ، وقد تلازمه من أجل ذلك الوجديون والقائلون بمذهب وحدة الوجود وسريان روح الله فى مختلف مظاهره جليلها ودقيقها وخيرها وشريرها ، وكان مؤمناً كذلك بجوهر المسيحية وهى فى رأيه عقيدة عبادة الحزن . أما نيتشه فكان ملحداً أشد الحاد منكراً الألوهية كل الانكار كارهاً لآداب المسيحية شديد التحامل عليها . ولكنهما مع هذا التباين الكبير قد انتهيا الى نتيجة متشابهة وفلسفة سياسية اجتماعية متقاربة ، وقد سلكا الى ذلك طريقين جد مختلفين وبدآ بمقدمات متباعدة ، وقد انتهى كارلايل الى فكرة البطل ، واستقرت آراء نيتشه عند فكرة الانسان الأعلى . وسأحاول أن أوضح كيف ساقهما التفكير وأدى بهما البحث الى هاتين الوجهتين المتقاربتين من وجهات النظر وجوانب التفكير

قدم كارلايل أدنبره فى سنة ١٨٠٨ وظل يطلب العلم بها الى سنة ١٨١٤ واشتغل بالتدريس مدة سنتين فى كيركلدى مع صديقه ارفنج ، ومن سنة ١٨١٨ الى سنة ١٨٢٢ كان يعطى دروساً خصوصية ويشتغل بالتحرير ويعالج الكتابة ، وفى سنة ١٨٢٦ تزوج وأقام بعد ذلك فى كريجنبتوك وهناك أنشأ كتابه المشهور عن فلسفة الملابس ، وقد ركز هذا الكتاب مكانته الأدبية وأبعد شهرته ، وكان أهم ما يشغل بال كارلايل فى تلك السنوات هو الدين وموقفه حيال الكون والمسألة الاجتماعية ، وكان كارلايل قد أعرض عن تعاليم المسيحية مثل نيتشه وأستاذه شوبنهور ، وكان يرى أن المسيحية دين قد تصرم عهده . وقد صور صراعه ومحاولته الخلاص من ارهاق العقيدة وما ساوره من شكوك وما انتابه من لواعج وآلام فى كتاب فلسفة الملابس وخاصة فى الفصل الشائع الصيت الذى أسماه « لا الأبدية » ، وأتى فيه على وصف التكافح بين اليأس والأمل ، وكيف أن النفس الانسانية هى الحصن المنيع الذى نلوذ به ونحتمى فى حماه مهما ساءت ظنوننا بالكون ، وأنها هى التى نستمد منها معايير الآداب وقيم السلوك ، فهو يقول : قالت « لا الأبدية » انظر الى نفسك يتيماً شريداً وهذا الكون الرحيب ملكى وطوع بنانى ، فيهب كيانه كله ويجاوبها : « لست طوع بنانك وانما أنا حر طليق وأمقتك الى الأبد »

بعد ذلك خطا كارلايل خطوة أخرى أحجم عنها نيتشه وشوبنهور ، وقد تكفل بشرحها فى الفصل الخامس « نعم الأبدية » وفيه يسجل جنوحه الى المثالية الألمانية واستمداده العون على الايمان من الفلاسفة الألمان : كانت وشلنج وفشت ، وهو يعلل شقاء الانسان بأنه صادر من فرط عظمته ولأنه يحمل اللانهائية فى أطواء نفسه ويكاد يتوه بجسمها فى خلال التهاويل المحدودة برغم حسه ، وفى الانسان قوة أسمى من طلب اللذة والتماس السعادة ، وطلب أن نحب الله لا اللذة ولا المسرات ، وبذلك انتهى كارلايل الى اليقين واطمأن الى وجود عدالة فى الكون كامنة فى صميم الأشياء

وقبل أن نعرض لعلاقة هذه الفكرة برأيه فى البطولة سنرى كيف كان موقفه حيال المسألة الاجتماعية وحالة الناس فى الحضارة الصناعية

نشأ كارلايل فى أسرة فقيرة وعرف مشكلة الفقر عن قرب وشاهد فى أدبرة مصير العمال الفقراء وما يعانونه من الفاقة المدقعة والأزمات الملحة وصور ذلك فى مختلف كتبه ورسائله وهو يعلل فساد تلك الحالة بالامعان فى الفردية وشدة الاستمساك بنظرية ترك حبل الأمور على غاربها

وعقيدته فى البطولة تستمد جذورها من آرائه الدينية ونظراته الاجتماعية ، وعنده ان روح الله تظهر فى الانسان وهى أكثر وضوحا فى العظماء وأبطال التاريخ ، وهو يحاكى قول صاحبه المتصوف الالمانى نوفاليس : « ليس هناك سوى معبد فى الكون وهذا المعبد هو جسم الانسان » ويقوله : « اننا نلمس الله عند ما نلمس الانسان » ، والانسان فى رأيه معجزة المعجزات ولغز الله الغامض المستتر ، واذا كانت عبادة نجم من النجوم الكثر الساطعة فى الفضاء تنطوى على معنى فما أكثر المعانى وأجلها فى عبادة الابطال ! وعبادة الأبطال هى اعجاب سام مستغرق بالرجل العظيم ، والرجل العظيم لا يزال موضعا للاعجاب ولا شيء سواه حقيق بالاعجاب ، وجوهر المسيحية عند كارلايل هو عبادة البطل وهو من ثم يضفى على البطل برداً من القداسة ويحفه بهالة من النور

ونيتشه يسخر من هذه الفكرة الدينية ويهزأ بتلك القداسة التى يسبغها كارلايل على أبطاله ، ولكنهما يلتقيان فى نفس الموقف ، وذلك لأن قضية البطل قائمة على أن كل التقاليد والأفكار والتصورات ان هى الا أشعة صادرة من الرجال العظماء ، وليس هناك أفكار ولا مثل عارية مجردة فى ذاتها ، ونحن لا نستبين الفكرة الا اذا تجسمت فى رجل من الرجال ، وكل شيء جليل اهتدت اليه الانسانية فى عالم الفكر والابداع انما انحدر الينا من ناحية الأبطال سواء كان اختراعا نافعا أو قصيدة بارعة أو معيارا راقيا للآداب أو مثلا ممتازا من أمثلة الأخلاق والسلوك ، وهؤلاء الأبطال لا يطغى عليهم الفناء ما داموا قوى حية ومؤثرات فعالة . والمعانى والتصورات والأفكار لا تثير فى نفوسنا الحب ولا تدعونا الى العبادة والاجلال الا اذا تجسمت فى العظماء ، ولذا قال لسنج : « ديانة العقل خالية من العقل والديانة » وحقيق بالدين الذى لا يقوم على أساس من الخوف والرجاء والحب واليقين انه لا يكون له نصيب من الوجود

ولقد ساءت كارلايل الفوضى التى كان يتخبط فيها عصره وأثر فى نفسه ما كان يشاهده فى الاوساط الصناعية من التكالب الرائع بالفاقة الجامحة والحياة التى تموج بالشقاء ، وكان الرأى السائد أن إذاعة المبادىء الديمقراطية وتعميمها هى العلاج الناجع الوحيد ومتى أصبح لكل فرد صوته فى الحكومة استقامت الاحوال واستقبلت الانسانية عصرها الزاهر السعيد ، ولكن كارلايل كان لا يهش الى هذه الافكار وخامره الريب فى صحتها ، وقد بدأ حياته متحمسا للمظلومين متحمساً للديمقراطية ، ولكن ذلك فيما أخذ يضمحل وتخبو جذوته حتى انقلب الى النقيض فأخذ ينكر على الشعب حق اختيار حكامه وقادته ، وصار يرى ان كل تقدم لا يقوم على الايمان بعظماء الرجال هو موضع شك ، وفى تطور أفكاره السياسية كان يتزايد شكه فى الديمقراطية واعتقاده

بانتفاء الفائدة من صلاح التصويت للاتيان بالحكومة الصالحة ، ومن أمثلة أقواله فى ذلك : « هناك رسالة أو نظام مقدس للكون فكيف نقف عليه ونهتدى اليه ؟ يقول سواد الناس : « احص الرءوس وأجر التصويت العام وهو قمين بأن يدلك عليه ويرشدك اليه ؟ » . وما برح الكون منذ آدم الى الآن غامض السر حتى للناس لا يكشف اليسير من أسراره إلا الرجل الراجح الحصاة النبيل العقل وأمثاله قليلو العدد ، فما فائدة الحمقى والأوشاب فى تيسير الوصول الى الرأى الصائب ومعرفة منقطع الحق ؟ وانه لمن العجب العاجب أن يجول فى خلدنا ويدور فى أخلادنا أن نستخرج الحكمة من صناديق الانتخابات ! وانما تلتمس الحكمة بالتماس كل نسمة أصوات من الاصوات التى يجمعها عشرة من الرجال ، واستشارة لفيف من الناس فى أمر من عوالى الأمور وعوادح المشكلات مشهد مستنكر من مشاهد الحمق والسخف الانسانى . والرأى الذى نصل اليه من هذا الطريق قلما يدنو من الصواب ويلمس صميم الحق . وأعتقد أن الواحد الأحد شجبه ، إذ كيف يسوغ لى أن أتابع الكثرة فى اقتراف الباطل ومقارفة الشر ، والكون بطبيعته ملكى ؟ فالنبيل فى الامارة كى الستقراطية السلبية والوضيع فى التذرع بالقبيلة السفلى ، وهذه سنة الله فى شتى الأزمنة ومختلف الأمكنة ، والديمقراطية تحاول أن تعكس وضع الامور وتلغى نظامها فلا تخلف وراءها سوى الفوضى والتهلكة والشقاء والتدمير » .

فنظرية الابطال عند كارلايل قائمة على أن مقاليد الامور يجب أن تدفع الى أيدى الافذاذ ذوى الألباب الراجحة والبصائر النافذة ، وعلى بقية الناس الانقياد لهم والخضوع والطاعة . وهذه هى خلاصة فلسفته السياسية وعصارة رسالته فى الاصلاح ، وهو لا يدلنا على طريقة ايجابية للاهتداء الى البطل ، وانما يكتفى بأن يؤكد لنا أن الأغلبية أقل كفاية وأهون شأناً من أن يكون لها صوت فى اختياره . واسراف كارلايل فى التعصب للابطال جعله من أنصار مذهب القوة والمؤيدين العبودية ، وسول له أن يعارض فى العتاد الرقيق حتى حرج بذلك شعور الكثيرين من أصدقائه ومريديه وخيب ظنونهم ، وزين له تبرير استبداد القياصرة والسخرية بآراء صديقه الزعيم الوطنى الكبير مازينى

والأساس الذى تقوم عليه فلسفة كارلايل السياسية هو نفس الاساس الذى تقوم عليه فلسفة الفاشيين والديكتاتورية الشيوعية ، لان كارلايل يرى انه ما دام المجتمع عصرياً معقداً فليس من الميسور أن يكتنه غوامضه ويفقه شؤونه جميع الناس ، وحتى النوابغ القلائل يدركون غوامضه ويقفون على أسراره فى عناء بالغ وجهد شديد ، فكيف تنتظر الحكومة الصالحة من وراء اسناد الحكم الى الاكثرية ؟ ونحن نحاول أن نعلم الناس أن يفكروا بأنفسهم ويديروا الأمور بعقولهم ، ولكن هل يستطيعون جميعاً ذلك ؟ وهل تطيق الأغلبية أن تفكر بنفسها ؟ ان الناس فى حاجة الى أن يتعلموا كيف يفكرون وفى ماذا يفكرون وهم فى حاجة الى اليقين والسادة وعبادة البطولة غريزة من غرائز النفس وحاجة من حاجات الروح

ونيتشه يقر كارلايل على هذه الآراء ، وهو يكثر من التحدث عن الحسد الذي يشعر به العبد المستضعف والطبقات الدنيا للعظيم القوي ، وقد نظر نيتشه الى عصره فساءته حالته وكبر عليه أمره وراعه ما شاهده من ضعف العزائم ووهن الارادة وانحطاط الاخلاق والجنوح الى الراحة وحب اللذة والاقتناع بالتفه والاستغراق في الاوهام والترهلات وتعليق العصبية على الاسباب التي تعين على استجلاب الراحة والخمول الى الحياة . فالرجل الصالح في عرف الناس هو الذي يأمنون شره ولا يخشون بوادره ، فهو صالح لانه لا يكدر صفوهم ولا يضطرهم الى الحركة والكفاح ، فعمد نيتشه الى ايقاظ القوم وهز شعورهم واستثارة حميتهم . فالصلاح عنده هو الحرب والاقدام والشجاعة . وحياة المخاطرة والكفاح هي التي تولدت منها جلائل الامور وأمجاد التاريخ ، وحب الناس حصيم بعضاً ، وأمثال ذلك من الآداب المألوفة هي آداب التطبيع لا آداب الاشراف . وعمد نيتشه الى التفكير في كيفية رفع الانسان الى مستوى أرقى وتخليصه تحديراً أسمى للحياة يؤدي الى خلق جيل أرفع وأجل من الجيل الحاضر الضعيف الواهن ، وهو يرى انه يلزم لذلك آداب جديدة والعمل على ايجاد فئة أصلب عوداً وأقوى نفساً من القادة الذين تعودناهم وألفناهم ليتولوا قيادة الجيل والتسامي به الى آمال القمم . وقد كان لاطلاعه الغزير ودراسته العميقة للأدب الاغريقي أثر كبير في توجيه فكره الى فكرة الانسان الأعلى وحثه على عطف الطغاة الرومانيين في التاريخ اليوناني

ويأخذ نيتشه على كارلايل تأكيداته المكررة عن عدالة الكون وهو يتساءل من تعمد كارلايل ترديدها في ألفاظ قوية ونغمة عالية على انه كان يشك في صحتها ، فهو يحاول أن يغالط ضميره ويخدر نفسه بهذا الاعتقاد التناهي بأهل اليقين القوي والعقيدة الراسخة ويغضب على كل من شكك في عقيدته وزعزع ايمانه ، وهو في حاجة ملحة الى احداث الجلبة واثارة الضوضاء ليقنع نفسه

وشوبنهاور ونيتشه يشكان في تلك العدالة الكامنة في الكون التي يؤكد وجودها كارلايل ويقيم عليها دعائم فلسفته ، والعدالة عند كارلايل هي مطلب كل قلب انساني ، والثورة الفرنسية في رأيه حادث رائع يكشف لنا عن طرائق الله وأساليبه حيال الانسان ، فقد جاءت الثورة بطيئة متأخرة ولكنها أتمت انتقام الفقراء المحرومين من السادة الظالمين

على أن هذا الايمان المطلق بالعدالة الكونية يدني كارلايل من نيتشه من بعض الوجوه ، فالعدالة لا تبرر ثورة الفقير المظلوم على القوي الظالم فحسب ، بل تبرر كذلك صنيع البطل الفاتح ، لان الفاتح العظيم لا يبغي الجور والعسف وانما يلتمس العدل وان بدا هذا العدل مشوه الصورة ، ولو شك الانسان في الغاية التي يحارب من أجلها لما استطاع مطاولة الكفاح ، وكبار الفاتحين لا يحفزهم على الفتح الجشع وحب القوة وحدهما ، وليسوا مجرد قوى هادمة مخربة ، وبرغم ما قد يتورطون فيه من أخطاء فان غريزة حب العدل هي التي تحركهم ، والايمان بأنهم يستطيعون أن يقوموا الاعوجاج ويصلحوا الفاسد ، وانما نحكم عليهم بنتائج أعمالهم

وقد تناول كارلايل فى فصول كتابه عن الأبطال وعبادة البطولة صنوفا عدة من البطولة، وأبطاله فى مناطق الحياة المختلفة وميادينها المتعددة يكاد يكون فى طليعتهم نوعان من البطولة وهما البطل فى صورة النبى والبطل فى صورة الملك أو الحاكم، والشعراء المجردون من عنصر النبوة لا يخصهم كارلايل بالكثير من مدحه، وهو باعتباره مصلحا اجتماعيا يهتم اهتماما خاصا بالبطل فى صورة الملك والحاكم

وألمانيا هى مهد فكرة البطل الممزوجة بالصوفية، ولكن اعجاب كارلايل ببطله كرمويل وفرط ايثاره له يكشف لنا عن جانب هام من جوانب شخصيته وميزة بارزة من ميزات الانجليز بوجه عام فى تقديرهم العظماء وهى العناية بالناحية الخلقية عند النظر الى قيم الأبطال. والانجليز لا يبجلون مقادم البطل إلا اذا ثبتت قيمته الخلقية وفائدته العملية، والألمان لا يخضعون الأبطال لمقاييس الآداب فلا ينقص عندهم قدر البطل ما قد يزهق من الأرواح وما يسفك من الدماء، ونابليون عند كارلايل نصف بطل، ولكنه عند نيتشه بطل مكتمل النواحى، وكارلايل يضع كرمويل فى مرتبة أعلى من مرتبة نابليون وقيصر لأنه كان يمثل لديه دين ونزعة خلقية

وانسان نيتشه الأعلى خطوة أخرى الى الأمام عن بطل كارلايل. وكارلايل يرى أن الحق للقوة لأن القوة فى المدى المتطاول ان لم تكن حقا تكشفت عن وهم كاذب وخيال خادع، واذا لم تكن قوة الانسان قوة حقيقية مستمدة من الطبيعة فان الفشل نصيبه، واذا انحرف عن السبيل القويم باء بالخسران والحرمان

أما نيتشه فقد تعلم من أستاذه شوبنهاور أنه ليس هناك عناية الهية مشرفة على شؤون الدنيا، وليست هناك قوانين مكشوفة للمصائر فى صحف قوة خارجة عن الانسان تحسن الى من اتبعها وتعاقب من خرج عليها، ونحن لأنفسنا الهداة والمرشدون وواضعو قيم الأشياء، وهو يقول إن الحق للقوة لأن القوة فى نظره يجب أن تسود وتعلو. وقد كانت الآداب المسيحية السامية فى نظر نيتشه مؤامرة طويلة دبرها الضعفاء المهازيل ضد الأقوياء النبلاء لأنها تكبر صفات التواضع والرحمة والوداعة وتؤثرها على الفضائل الجوهرية فضائل القوة والكبرياء والشجاعة

بل يتطرف نيتشه الى أكثر من ذلك، فهو يضع انسانه الأعلى فوق الآداب ويذهب به الى ماوراء الخير والشر، وينتهى به الأمر الى أن يرى فى شخص ممسوخ الطوية منتكس الغريزة مثل شيزارى بورجيا بطلا من الأبطال ومثلا أعلى من الرجال. وهو لا ينكر العلاقة بين انسانه الأعلى والمجرم، والمجرم عنده مثل الرجل القوى الذى نشأ فى بيئة غير ملائمة فهو رجل قوى مريض

على أن نيتشه كان يعتقد ان انسانه الأعلى لم يوجد بعد وان أبطال التاريخ المرموقين يتضاءلون الى جانبه وهو من ثم يسخر من اجلال كارلايل لأبطاله

ونستطيع أن نستبين من خلال ذلك الفرق بين تقدير الانجليز وتقدير الألمان العظماء،

فالالمان يمجدون العظيم الذي يثير خيالهم ويطلق عواطفهم قيمة مطلقة ، أما الانكليز فيطالبون مستمسكين بالناحية الخلقية والجانب العملي ، فنابليون وقيصر عظيمان عند الالمان لما يبدو عليهما من مظاهر قوة العقل وصلابة الارادة ، ولكن الانجليز يطلبون اليهما أن يبررا سلوكهما ويقدما الدليل على قيمتهما الأدبية . فقوة العظيم عند الالمان كالبحر الزاخر في جلاله أو العاصفة المزمجرة في روعتها لاسبيل الى انكارها ، أما الانجليز فانهم يطالبونها بأن تبرر حسنها عمليا ، وتزكى نفسها خلقيا

وكارلايل يحاول جهده بأساليب مختلفة أن يوفق بين البطل ورجل الاخلاق والنصيحة وقد أدرك أن صعوبة التوفيق بين البطولة والعظمة الخلقية مصدرها النظر المجرد الى العصبية ، صار لا يقتصر في تقديره للعظماء على صفاتهم الشخصية ومزاياهم الخلقية بل يعني بالنظر الى الأثر الدائم الذي خلفوه والميراث الخالد الذي تركوه لامتهم أو للحضارة بوجه عام ، ويدخله في حسابه ويضعه نصب عينيه عند وزن قيمتهم وتقدير مكانتهم . والانجليز في الأغلب لا ينظرون الى البطل على أنه منظر باهر الجلال ، وانما ينظرون اليه من ناحية الاخلاق . أما الالمان فان رونق العظمة يستطيرهم وبريقها يخطف أبصارهم . فالفرق بين بطل كارلايل وانسان نيتشه الأعلى هو الى حد ما الفرق بين نظر الانجليز الى الابطال ونظر الالمان

علي أدهم

الحرية طريقنا الى المثل الاعلى

ان مثل الحضارة الأعلى هو أن يتفوق الشعب على عواطفه وغرائزه ويقود الحكومة برأيه وفكره ويشرف على تصرفاتها اشرافا مستمرا دائما

ولكن هذا التفوق مستحيل التحقق مادام الشعب يخضع لموروثات قديمة وأفكار ومبادىء تقليدية يتعصب لها ويؤمن بها إيمانا أعمى

فاذا شئنا تكوين الديموقراطية الصحيحة فيجب أن نعلم الشعب ونروضه على حسن استخدام حرية الفكر . ومتى تعلم وتحرر استقل الفكر من عبوديته جرثومة التعصب وقاده على مهل الى الغاية التي سنضعها له وهي الاشراف على اعمال الحكومة وتوجيهها الوجهة الصالحة

ونحن ان فرضنا على الشعب الخضوع لسلطان الحكومة وقيدنا حريته الفكرية وباعدنا بينه وبين الاستقلال العقلي ، انحدرنا به الى حيط غرائزه ودفعناه بأيدينا الى التعصب الأعمى لتقاليده

والمشاهد في حوادث التاريخ أن كل شعب أجبرته الحكومة على الطاعة انقلب رجعيا واشتد في تعصبه لكل قديم

ارنست رينان

أدب الرياضة والطيران

لون جديد في الادب الاوربي

هناك بعض الشبه بين ما كانت عليه حياة الاغريق منذ عصور وبين ما تنهض عليه الحياة اليوم في مختلف أمم أوربا وأمريكا . فالقوة والصحة والنشاط والمرح في الهواء الطلق أصبحت من مستلزمات الحياة العصرية ومن أهم أغراض التربية الحديثة

والواقع أن أوربا تمزج الآن بين الروح الاغريقية في التربية وبين نزعات الجرأة والاقدام والمغامرة المنتزعة من تقاليد عصر النهضة والفتوة مع تقدم العلم واتجاهات الحضارة الصناعية الراهنة

فالعناية بالالعاب الرياضية ترجع الى فكرة تمجيد البدن القوى الجميل وتحقيق مذهب الاغريق القائل بأن العقل السليم في الجسم السليم . والعناية بإذكاء نزعات الجرأة والاقدام والمغامرة في نفوس الشباب ترجع الى طبيعة الحضارة العصرية العلمية القائمة على الكشف والبحث والتجديد والسعى لتسخير العناصر الطبيعية واخضاعها لارادة الانسان . فالفرد المتفوق على بدنه ، المسيطر على جسمه ، المتغلب على حسه ، المتأهب لتضحية ذاته في مغامرات جريئة تؤكد شخصيته وتحرر قوته وتخدم العلم أو الوطن ، هذا الفرد هو اليوم في نظر الغربيين مثل الانسان الاعلى

ولقد اعتنقت هذه الفكرة جميع الدول الدكتاتورية على أن الدكتاتورية الحديثة لم تقم إلا عليها ولم تستطع النجاح إلا بها ، ولم توطد دعائمها إلا بعد أن غرستها في نفوس شبابها

والحق أن الدعوة الى قوة البدن وبطولة الروح ، ظهرت في أوربا عقب الحرب الكبرى وكانت دعوة يراد بها وقف تيار الانحلال الخلقي التي أصاب الدول العظمى بعد أن خرجت من الحرب منهوكة القوى . وقد فترت هذه الدعوة لحظة من اللحظات ثم عاد فتجدد نشاطها تحت تأثير النظم الدكتاتورية ، حتى أصبحت الآن أهدافها شيئا عاما لدى معظم شعوب أوربا وامريكا

وكان طبيعيا أن تتمثل هذه الظاهرة في فكر جديد وأدب جديد . وهكذا أبدع الاوربيون أدب الرياضة أي أدب الصحة والنشاط والجمال ، وأدب الطيران أي أدب القوة والبطولة والمغامرة ..

وقد يتساءل القارىء كيف يمكن أن تكون الالعاب الرياضية مادة للفن والادب ؟

والجواب على هذا نجده واضحا في أعمال أدباء أفذاذ مثل هنري دي مونترلان ومارسيل برجيه في فرنسا ، وموريس بكهارت في ألمانيا ، وليونيد راكوفسكي في روسيا ، وفرانك لارت في بلاد المجر وأضرابهم

وهؤلاء الأدباء يصورون أبدع تصوير ، شعور الكبرياء والعظمة المتدفق من امتلاء أجزاء البدن واستطعام مرونتها وليونة حركاتها ورشاقة العقل المتنبه لحسن استخدامها في سرعة تتم عن الذكاء العقلي كما تتم عن توافر القوى البدنية . وهم يرون في النهاية تجميل البدن وقوته في ملاعب الرياضة ، واسطة لتهذيب الغريزة الجنسية وتلطيف الميول الشهوية وإحلال الصداقة الخالصة بين الرجل والرجل محل الصداقة المشوبة بالرغبات العاطفية أو الجنسية بين الرجل والمرأة

فالرياضة في نظرهم تضاعف إحساس الرجل برجولته ، وتزيده بسطا لأعصابه ، وتضرم فيه شعلة الثقة بالنفس ، وتنبه كوامن ذكائه ، وتطلعه أثر إرادته ، وتدفعه إلى السرعة والرشاقة والمهارة في العمل ، ثم تعاونه آخر الأمر على التحرر من أوهام وخيالات الغريزة الجنسية التي تبدو جذة في مظهر الحب العاطفي الرخو الذليل ، فتستولي عليه وتخضع رجولته لسلطان المرأة

ويجب أن نلاحظ أن هذه المسائل هي القاعدة التي يقيم عليها أولئك الأدباء صروح أدبهم الرياضي . فالبعض منهم يرسمها رسما لا مداورة فيها ويضفي عليها من روائع تصويره ما يجعلها شبه قصائد حية ، والبعض الآخر يمثلها في شخصيات قصصية ذات عوامل نفسية جديدة وذات انفعالات وتصرفات خاضعة في صميمها لشتى معاني القوة والبطولة والرجولة

ولقد أسرفت طائفة من أقطاب أدب الرياضة في تمجيد رجولة البطل الرياضي وتمجيد الصداقة بين أبطال الملاعب الرياضية ، إلى حد أنها احتقرت شخصية المرأة ، واحتقرت غرام الرجل بالمرأة ، وفضلت عليه صفة الصداقة الحرة الأبية بين الرجل والرجل وبين البطل والبطل ، هذه الصداقة التي لا تعرف ما في الغرام من الذل في الحب ، والتضرع في الرجاء ، والمداهنة في خطب الود ، والمكر والخبث والدهاء في سبيل المتعة والغرور

وليس شك في أن هذا الإسراف لن يبدل من قانون الطبيعة شيئا . لكنه يدل أبلغ الدلالة على مبلغ ولع الأوربيين بكل ما هو سليم وقوي ، وشدة رغبتهم في خلق الإنسان الحديث الذي أنهكت أعصابه حضارة الآلات يعوق سلامته على صحته النفسي توطئة لخلقه في النهاية على هذا العصف أيضا

هذا فيما يتعلق بأدب الرياضة . وأما أدب الطيران الذي يتزعمه أنطوان دي سانت اكزوبيري وجك كيسل في فرنسا ، ورامون كالاس في إسبانيا ، وروجيه كلرمون في البلجيك ، ومارتا إحارت في ألمانيا ، فيمتاز عن أدب الرياضة بأن روح القوة فيه مقترنة بعنصر المغامرة وعامل التضحية ومكرة الموت

فطولة الطيار ، واقتحامه الفضاء الغادر ، وتحديه لثورة العناصر ، وإقدامه على تعريض المسافات الجوية الشاسعة خدمة لغرض حربي أو علمي أو لمحض الرياضة وتجربة القوى والشعور بلذة الجرأة والمخاطرة ، هذه المسائل هي التي تستمد منها أقطاب أدب الطيران مادة أدبهم ووحي منهم

ولا ريب أن فكرة الموت الواقف للطيار بالمرصاد ، يستهوى عزمه ويشحذ همته ويمتحن حيلته ، ويهدده فى كل لحظة بالفناء ان هو ارتبك أو تخاذل او فقد توازنه ، هذه الفكرة تخلع على هذا الأدب لونا من العظمة يلحقه بجوهر الأدب الاغريقى من ناحية تصوير الصراع الخالد بين قوة الانسان وقوة القدر

ويمتاز أدب الطيران فوق ما تقدم بالجاذبية فى الصور حاسة المسؤولية وعاطفة الشعور بالواجب وصيغة الاندفاع فى تأديته كائنة ما كانت التضحية وبالغا ما بلغ الثمن . فالطيار الذى تعهد اليه مهمة حربية خطيرة من استطلاع أو دفاع او مهاجمة ، والطيار الذى يكلف نقل مستندات أو ودائع او بريد ، والطيار الذى يجوب الصحارى أو يحلق للكشف العلمى فى طبقات الجو العليا ، كل هؤلاء تحتل عقولهم تلك الفكرة العظيمة التى شاد عليها الانسان مجده ، وهى ان ليست العبرة فى تأدية الواجب بل العبرة فى التأهب الدائم لاستقبال الموت من أجل هذا الواجب

فكلما كان الواجب خطيراً ، شاق التأدية ، عسير التحقيق ، متطلبا تضحية مروعة ، محتفا بالفناء والعدم ، كان أحمز للهمم وأدعى الى الاغراء والتأثير

هذه هى فلسفة أدب الطيران وقد عبر عنها الكاتب الفرنسى انطوان دى سانت اكسوبيرى فى قصته المشهورة (طيران الليل) أبلغ تعبير . ومع ذلك فهى لم تحدث فى نفوس عامة القراء الأثر الانسانى العميق الذى احدثته قصة (ملك الجو) للروائى الانسانى رامون كالاس

فهذه القصة ترسم لنا شخصية طيار شاب فى الخامسة والعشرين من عمره ينتمى الى الجيش الاسبانى الملكى ، قام بأول معركة حربية له فى يوم صحو سرعان ما تلبدت سماؤه واكتنفتها السحب وهبت فيها الرياح والاعاصير . وكان على الطيار الشاب حديث العهد بالطيران أن يسرع بالعودة الى حظيرته حالما يبصر الجو قد تلبد واكفهر . وكان عليه أن يلقى قنابله ان اسعفه الجو على خط معين من خطوط الأعداء يعلم علم اليقين أن شقيقه الأصغر موجود فيه . وكان يحب شقيقه أعظم الحب بل كان هذا الشقيق قد انقذه من الموت فى حادث سيارة وقع له قبل ابتداء الحرب الأهلية

لماذا قبل الطيار الشاب وكيف تصرف وكيف أمضى الساعة التى قضاها فى الجو حتى لقى حتفه ؟

لقد حلق أول الأمر فى اتزان وهدوء متمثلا السماء الصحية ناسيا وجود شقيقه فى خط العدو فرحا بنفسه منتشيا بقوة شبابه وساعديه ، ثم أحس فجأة أن الجو قد تغير والضباب قد تكاثف والريح هدأت تزأر والمطر أخذ يهطل ، فاضطرب ولم يعد يبصر شيئا وخطر له أن يدع الأمر ويعود من حيث أتى وعندئذ تملكته فكرة الواجب . الواجب الذى لم يفرضه عليه أحد . الواجب الذى فرضه بنفسه على نفسه . الواجب المفضى الى الموت المحتم . فاستجمع قواه ودفع بالطائرة وسط الضباب . وفى تلك اللحظة فقط لاحت فى مخيلته صورة شقيقه فطرده اضطرارا

وساوره القلق وخالجه شعور غريب بالمرة والأسى . كبر عليه أن يعود فيقال عنه في المعسكر إنه كان قادراً على المغامرة فتراجع ، وقادراً على تمام الواجب كطفل فانكمش وتقهقر ، وأنه كان جندياً جباناً انتهز فرصة اكفهرار الجو وكر راجعاً خشية أن يرى العدو خديعة تقضي على حياة أخيه

استحوذت عليه هذه الفكرة فلم تزده الا جرأة واقداما ، فاخترق الضباب غير حافل ثم نظر في ساعته وقاس مدى الوقت المتبقي لبلوغ خط العدو ، ولما خيل اليه أنه قطع المسافة المحدودة تشجع وأرسل ثلاث قنابل الواحدة تلو الأخرى ، فطرق سمعه دوي هائل ، فتنفس الصعداء وكر راجعا ولكنه استقبل الضباب فضل طريقه وجعل يجاهد ويتخبط وإذ ذاك عاجله البرق بصاعقة هائلة ثم أحس أنه يصطدم بشيء ضخم فحاول أن يقاوم ولكن الطائرة كانت قد احترقت والقت به فسقط ميتاً في مؤخرة صفوف جيشه . وكان الجيش في غضون ذلك قد تقدم وشاهد ضباطه الأثر الذي أحدثه الشاب في خط العدو ، وأبصر بعضهم شقيقه جثة هامدة مشوهة ، فحملوا اليه النبأ وعندما علم به أبرقت أساريره وأرسل النفس الأخير مطمئن القلب هادىء الفكر ناعم البال !

هذا هو موضوع القصة . وقد تكون فكرة الواجب الاجباري المسيطرة عليها فكرة وحشية في نتائجها . ولكن مما لا شك فيه أن تمجيد البحث من تلوث - أياً كانت نتائجه - تفانياً في تأدية الواجب ، هي عقيدة رائعة تسمو بالانسان فوق المحيط البشري وترتفع به الى مرتبة البطولة ، ونجد في أدب الطيران مادتها البشرية وأرضها الخصبة وميدانها الفسيح

ولقد طابق هذا الأدب نفسية الأوربيين كما خلقتها الحرب وكما صاغتها العقائد والنظم الديكتاتورية ، فراج وانتشر وسرت روحه في أعمال طائفة من الأدباء الاشتراكيين مثل (اندريه مالرو) و (لويس جيو) و (شارل بليسيه) فانطلقوا يمجدون في قصصهم نزعة المغامرة وينادون بأن الحياة غير جديرة بأن يعيشها الانسان إلا اذا قام فيها بواجب عظيم أو مجهود جبار يجعله مستهدفاً للموت في كل لحظة . وهذا المجهود في نظرهم يجب أن يكون بالطبع في سبيل تأييد النظم الاشتراكية . فالحياة الرائعة في الصدق والتي لا يمكن يتهددها الموت لأنها رائعة في الصدق ، هي الغاية النفسية التي تولدت من أدب الرياضة وتمثلت في أدب الطيران وتركزت في التعاليم الفلسفية والنظرية ثم حولها الأدباء الاشتراكيون لخدمة الفكرة الاشتراكية

والواقع أن معظم الأعمال الأدبية التي يخرجها اليوم كبار كتاب أوربا ولا سيما الشباب ، ما هي في الجوهر الا ترجيع أصداء تلك الغاية التي أصبحت في نظرهم مثلاً خلقياً أعلى . وهكذا استطاع أقطاب أدب الرياضة والطيران أن يمجدوا الأدب ويمجدوا الأخلاق والحياة النفسية أيضاً

صراع بين الكبرياء والحب

أو غرام الشاعر الروسي لرمونتوف

> يعتبر لرمونتوف من أعظم شعراء روسيا في القرن الماضي . وهو شاعر مرهف العاطفة قوي الخيال ، حر الفكر ، اشتهر في مستهل حياته الادبية بقصيدة رثى بها الشاعر الكبير بوشكين فاعتقل بسببها ونفي الى القوقاز . وقد استمد لرمونتوف شعره من آفاق القوقاز ومن مختلف الاغاني الشعبية الروسية القديمة حتى لقب شاعر القوقاز الشاهق . واما قصائده فابدعها (اسماعيل بك) و(الحاج عبرك) و(الاريك) ولقد انتهت حياة لرمونتوف بسلسلة من حوادث الحب العاصفة ، انتهت بان قتله في مبارزة غرامية يد صديق له

كان الشاعر لرمونتوف في مستهل حياته شابا أهوج طائشا معتدا بنفسه مغرورا بعبقريته يصيد أفئدة الحسان ثم يسحرهن ولا يلبث أن يعرض عن أجلهن

وكان يرى في الحب لهوا رائعا ، وينظر الى النساء باعتبارهن عرائس ودمى ، ولا يتورع من التغرير بهن كلما استطاع أن يخدع واحدة منهن

ولم يكن ميالا الى الحب العاطفي كغيره من الشبان بل كان شهوي النزعة ، ملتوي النظرة ، حسي الهوى ، يمزج في الغرام الجد بالهزل ، ويضحك ويمرح ويستمتع غير حافل بمصير حبه ولا بمصير المرأة التي ركنت اليه ووثقت به

وكان شديد الكبرياء يملأه الزهو والغرور ، وضاعف انتصاراته الغرامية اعتداده بنفسه واعتزازه بقواه ورغبته الجامحة في التقلب والتلون وعدم الاستقرار

ومن غريب أخلاقه أنه كان في مطلع حياته ينظم قصائد الحب دون أن يعرف الحب

ينظم قصائد الحب متخيلا أحلام المحبين ، متصورا آلامهم وأفراحهم ، متوهما تجربة هذه الآلام والأفراح في نفسه ، مكتفيا بوصفها والتغني بها من طريق الوهم الشعري المجرد والتصور الفني المحض

وكان يعتقد اعتقادا راسخا انه ليس من الضروري أن يختبر الشاعر العواطف كي يحسن التعبير عنها ، وأن في خيال الشاعر الكبير من صور العواطف وألوان الخيال ما يغنيه عن التماسها في الواقع والسعي للاحساس بها في الحياة اليومية من طريق مباشر شخصي

وهكذا قضى شبابه الأول في اللهو والمرح والاستمتاع

كان يتوهم أن من واجب المرأة أن تمنحه قلبها اعجابا به وتقديرا لشأنه واعترافا بنبوغه وتفوقه . وكان يغضب إذ يبصر امرأة تعرض عنه أو تتجنى عليه أو تطيل المقاومة والنضال قبل أن تذعن له . وقد ولدت هذه النزعة في نفسه ضربا من القسوة ونوعا من الغلظة وشيئا من

روح الاستهتار التى كان شائعاً إذ ذاك بين الطبقات الارستقراطية فى روسيا

والعجيب أن بعض الفتيات والنساء كن مولعات بهذا الخلق فى الشاعر، كن معجبات به، مشغوفات بالتقرب اليه، متهالكات على الفوز بنظرة منه، يزددن حباً له كلما ازداد عبثاً بهن، وتهكما وقسوة عليهن

وهذا التقدير الذى صادفه من النساء ألهب فيه غرائزه الشاذة وحال بينه وبين النظر الى أية امرأة نظرة حب خالص وولاء عميق

وظل لرمونتوف يحتقر الحب ويعبث بالقلوب ويرد المستلذى حائلات يائسات، حتى ألقت به المقادير تجاه فتاة تدعى (سوبا بوروبوف) وعندئذ تغيرت حياته وتبدلت شخصيته وأوشك أن يفقد عقله ويجن!

تعرف الشاعر الى سوبا فى ليلة عيد الفصح فى حفل حافل كبير . وكانت الفتاة صديقة احدى قريباته، فأعجبه منها شعرها الأسود المموج، وفمها العريض، وأسنانها البيضاء الساطعة ولون بشرتها الشمعى المشرب الى الصفرة، وبعض الحيوية المائل فى اتقاد نظراتها وعمق حديثها

راعه جمالها فابتسم لها وحياها فى أدب ثم حادثها أطراف الحديث ثم استسلم لغريزته فشرع يجرب عليها أفانين سحره، والفتاة تستمع اليه مأخوذة بأقاصيصه الطريفة ونوادره الشعرية الشائقة وأسلوبه البديع فى القاء النكتة وحبك القصة واستثارة العطف واحداث التأثير

وكانت قد سمعت عنه وعرفت من صديقاتها أنباء مغامراته . ولكنها لم تستطع أن تتصور أن هذا الشاب الوديع الساحر الرقيق، يمكن أن يكون جاف القلب غليظ الاحساس متحجر العاطفة كما يزعمون

والحق أنها بادلته اقبالا بحذر، ولكن اسرافه فى التودد اليها أضرم صدرها غبطة وفرحا وزهواً فاستسلمت له وأقبلت بسرورها عليه وكادت تثق به . وفى تلك اللحظة، فى تلك الحظة التى تغلب فيها غرور الفتاة على عقلها، نهض الشاعر فجأة وحياها تحية عرضية باردة، ثم انصرف عنها دون اعتذار، وانطلق يغازل غيرها، وخلفها جالسة على مقعدها جاحظة العينين فاغرة الفم شاردة اللب، تنظر اليه مبهوتة وتستعطفه، ورمقها فى الوقت بعد الآخر بنظرة عابرة كأنه لم يحادثها قط ولم يعرفها أبداً! . .

كان يعتقد أنها كبقية الفتيات اللواتى أحببنه، لا بد أن تسعى اليه وتتهافت عليه وتبذل كرامتها فى سبيله وتجد نعيمها فى تعذيبه وعداوته . ولكن (سوبا) اعتبرت تصرفه اهانة لها . وكانت أشد منه كبرياء، وأصلب عزيمة، وأقوى ارادة، وأقدر على التهكم والسخرية فحنقت عليه وأضمرت له الشر وآلت على نفسها ان تخضعه لسلطانها وترغمه على حبها وتثأر منه لبنات جنسها وتعلمه كيف يحترم المرأة وكيف يشفق على الضعيف وكيف يعرف قدر النفوس!

واستحوذت على الفتاة طبيعة الأنثى ، واصطرعت فيها عوامل الحقد واللؤم والدهاء . وأرادت أن تمثل دور العاشقة كي توهم الشاعر أنه قد انتصر ليسهل عليها فيما بعد تمزيق فؤاده وإصابة كبريائه في الصميم . وعزفت الموسيقى وبدأ الرقص . فأسرعت سونيا واتجهت نحو الشاعر والتمست إليه في ذلة واتضاع أن يراقصها

وكان يحتسي كأساً من الخمر ويلهو بالنظر إلى أسراب الحسان غير مبالية أمام عينيه ، فلما أبصر الفتاة مطرقة الرأس منسكبة الحسن حيية خجولا ، تنتظر أمره وتصدف عن الشبان جميعاً ، وتقبل عليه وحده مضحية كرامتها وعزة حسنها ، انفرجت شفتاه عن ابتسامة فوز هادئة ، فقام إليها متثاقلا وبسط ذراعيه وأمسك بيديها ثم دفع بها إلى حلبة الرقص

وافتنت سونيا في تمثيل دورها

أرخت عضلاتها ، وأرخمت صوتها ، وأشاعت الوسن والذبول في عينيها ، وجعلت تميل إلى الشاعر الوقت بعد الآخر كالغصن طوحه النسيم ، وترسل إليه نظرات باسمة تائهة حيرى تحاول أن تودعها كل ما تلهمها إياه الفطرة النسوية من ابتهالات الحب وصرخات الهوى

وكانت ترقص خطوات متزنة ، وحركات متئدة محتشمة ، ورشاقة ملحوظة في التثني ، وليونة نادرة في الوثب والانحناء ، وخفة ساحرة في النهوض والانفتال وملاحظة نوع الراقصين والراقصات

واتجهت إليها أنظار المتفرجين واشرأبت نحوها أعناقهم ، فأحس الشاعر أن إعجابهم بها يرتد إليه وينعكس عليه ، هو الذي ميزته واصطفته وأبت إلا أن ترقص طوال السهرة معه . وزهاه نصره السريع ، وبدأت تتكون في قرارة نفسه عناصر تلك العاطفة التي شاءت الفتاة أن تخلقها فيه

وعندما انتصف الليل وفترت حركة الرقص واستشعرت سونيا أن قلب الشاعر قد صحا وأوشك أن يستيقظ . ابتسمت له وشكرته على مهارته ووفرة أدبه . ثم اعتذرت إليه في رقة . ثم تخلت عنه وارتمت بنفسها في حلبة الرقص مع سواه . وكان التعب قد أخذ من الراقصين مأخذه . فتفرق معظمهم في أنحاء البهو ، ولم يبق منهم في الحلبة غير عدد قليل

وإزاء ذلك نشطت سونيا وحررت نفسها وأشعلت لهبا متوهجا في أعصابها وانطلقت تنادي الراقصين وتحمسهم فلم تمض لحظة حتى كانت الحلبة قد امتلأت بهم . فعاد الرقص إلى عنفه الأول وسونيا تضحك وتمرح والمتفرجون يصفقون والشاعر ينظر إلى الشاب الجميل الذي يخاصرها نظرة ملؤها الغضب والحنق والسكر

ولما برح التعب بالمدعوين ، واستولى عليهم الضجر ، وداعب النعاس جفونهم وتاقوا إلى النوم ، حاول الشاعر أن يجرب نفس العمل الذي قامت به الفتاة كي ينتقم من عنادها ويتفوق عليها . فوثب بدوره في الحلبة ونادى الراقصين ولكنهم أعرضوا عنه واعتذروا لصاحب الدار ثم تسللوا إلى الخارج الواحد بعد الآخر وفي مقدمتهم سونيا بوروبوف !

وكظم الشاعر غيظه وتحين الفرص لينتقم

ومرت الفتاة بما فعلت وتهيأت لمواصلة النضال . تعرفت الى أسرة الشاعر ، واتصلت بأقاربه واندمجت فى الأوساط التى يغشاها وشرعت تضرم فى صدره نار العاطفة

كانت تقبل عليه ثم تعرض ، تحبه ثم ترده خائبا ، تلاطفه ثم تغلظ له القول ، تطلعه على فوره ثم تسخر منه ، تظهر اعجابها بشعره ، ثم تطرى النقاد أعداءه . تتعرف اليه بكليتها ثم تتحول عنه فجأة الى من يكره من الشبان . فتثور ثائرته عليها ولا يعرف كيف يخضعها وينتهى به الأمر الى التألم فى حنق وصمت . وصفعت به كبرياؤه وعز عليه أن تلهو به امرأة لأول مرة ، فبادلها حبا بغش ، وسخرية بسخرية ، واعراضا باعراض ، فما كان منها الا أن اختفت تماما وظلت مختفية اسبوعا كاملا ، ثم ظهرت فى احدى الحفلات مع شاب صبوح الوجه مفتول العضل أبيق الهندام . فتميز الشاعر غيظا وغرق فؤاده واستعر فيه ضرام الغيرة

ولم يكن قد أحس الغيرة مدى حياته أو عرفها أو تصور أن فى الامكان أن يصبح فريسة لها ، فاستهول شعه واشتد حقده على الفتاة وأراد أن يقاوم ولكن على غير جدوى . كان يفكر فى سوبيا آناء الليل وأطراف النهار

احتلت عقله وملكت عليه مشاعره واستبدت بحبه وخالطت منه اللحم والاحساس . فكان ـ وهو الشاعر الواسع أفق التصور ـ يتمثلها فى خرير المياه وحفيف الاشجار وهدير الموج ورفيف الرياح وفى كل ما تقع عليه عيناه من مباهج الطبيعة ومعانى الكون

وكان لا يلبث أن يذكرها فى وحدته ويناجيها فى ممسكه ويتخيلها راضية مستسلمة بين ذراعيه حتى يصور ، الآخر ، وتصورها معه يفقد عقله ويفقد كبرياءه وتنتابه أزمة عصبية شديدة فيظل يصرخ ويجأر ويدور فى أنحاء حجرته كثيرة ، ثم تخور قواه وتتهاوى أعصابه فيسقط على فراشه عاجزا ويطمر وجهه بين راحتيه ويبكى بكاء الاطفال !

أحب ترموتتوف « سوبيا » وبذل نفسه الفرح وغادرته بشاشته وتسربت منه قوى المرح والاستبشار ، ولم يعد يدرى كيف يتكلم وكيف يهرأ وكيف يحتقر ويتملق ويسترد هدامه القديم

بوجه الاتى وصرعته . فأسرع يخشاها ويهرع منها . ويتجنب النساء اطلاقا ويفر منهن ، وتستيقظ فى ذهنه التصورات الدينية التى جلتها فى انطوائه نفسه تعاليم القساوسة ، فيرى فى النساء رمز الخطيئة ومعدن الشر وأصل الشقاء ، ويتمثلهن شياطين أحدقت به متألبات عليه يحاولن اهلاكه جسما وروحا كرهط من أبالسة الجحيم . واستحوذ عليه هذا الخيال الدينى ـ كما يقول الناقد (هنرى ميرامون) فى كتابه عنه ـ فملكه الوساوس وجمحت به تلك الخيالات وساقته الى الوحدة . ولكنه كان فى وحدته أشبه بالقديس أنطونيوس فى صمرائه : يرى المرأة ماثلة فى كل شىء ويبصر الانثى القادرة لاحقة به مطاردة إياه متحلة أبدع الصور متشكلة بأروع وأجمل الاشكال

ولازمه شبح سونيا . وأرق عينه وأقض مضجعه فلم يعد يحتمل الصبر والانتظار . وفي ذات ليلة وقد سهده الحب ونهشته الغيرة كتب اليها هذه الرسالة التي أعرب فيها عن حقيقة حبه ، ونزل عن كبريائه ، وامتهن كرامته ، ونسي بين سطورها عزه التالد أيام كان يسحر بالحب ويعبث بأفئدة العذارى . وهذا ما كتب :

« ما عرفت الحب قبل أن أعرفك ! . . أية نشوة من الاسكار ؟ . . أية نشوة من الظهور بمظهر القوة ؟ . . . لقد كنت أشعر بسعادة كبيرة كلما امتلكت فؤاداً أو عرفت قلباً ، سعادة الغرور والتكبر والانانية . ولكني الآن وقد امتحن قلبي أحس ضرباً آخر من السعادة ، سعادة الألم والتفكير والتضحية !

« اني لأفكر فيك بعدد ما في اليوم من دقائق وساعات

« اني لأشتاق صوتك ومرحك ، بل اني لأستعذب في موقف الذل ان كان فيه يرضيك ويجود على بنظرة واحدة منك ! . . . لقد عرفت عالم الحب من قبلك أية امرأة ، فلا تسرق وكبري من تحدي ، امسك نفسي حائمة وأهبها عليك وحدك ! . . لن أحول عنك الآن . . . لن أغضب وأثور ، لن أخدع وأكذب ، لن بحث عن الزهر الذابل والنصر الزائل واللذة الفانية ، لن أرى العالم الا من خلال عينيك انت ، ولن أشهد الجمال الا في نور وجهك وصوت ضحكتك ! . . .

« لقد علمتني معنى الحب ، وهديتني الى ضفة الاستقرار ، واجبرتني على الاخلاص والوفاء ، وغرست في قلبي زهرة الرحمة ، وحببت الي عالم الروح وقد أوشكت أن احترق في حمأة المادة

« فأين عطفك علي واستكمل خلاصي اذ لا حياة لي ولا خلاص الا لك ! . . »

وكانت سونيا شديدة الحذر من دهاء الشاعر . تحفظ مناوراته وتزيد على الدوام في صدقه وتخشى أن تؤخذ على حين غرة في شرك خاطئ ينصب لها ، فتقع في حبائله ثم تستيقظ واذا بها قد خدعت كبقية أترابها

ولذلك ما ان تسلمت الخطاب حتى علاوجهها الشك وان كانت قد تأثرت بعض الشيء وجال بخاطرها أن الشاعر قد يكون حقاً أحبها . وتنازعتها عوامل التأثر والشك فكرت في امتحان صدق هذا الحب ، وتجربة قواه ، ومعرفة المدى الذي يمكن أن يبلغه . فماذا صنعت ؟

شهرت بالشاعر . فضحت عاطفته . أعلنتها لصديقاتها . أطلعتهن على الرسالة ، كي يبلغ النبأ مسامع لرمونتوف فيعرف سونيا الى أي حد يحب . وأي ذل في وسعه أن يتحمله من أجلها . . .

كانت صارمة في القصاص ولكن الحب كان قد بدأ يراود قلبها ! . . .

أحست من نحو الشاعر شفقة غريبة وبدا لها أنها قد أسرفت في امتهانه وخالجها شعور حي بالندم . ومع ذلك فهي لم تأسف الأسف كله لأن خوف الغدر كان ما يزال مستوليا عليها يحفر الهوة السحيقة بينها وبين الرجل الذي تود أن تحبه وتحبه ! . .

والواقع أن لرمونتوف كان صادقا في حبه هذه المرة ، عازما على التفاني في هذا الحب الى حده الأقصى ، يفكر في وصل حياته بحياة سونيا ويخشى أن يتخذ منها زوجة له . ولكنه كان في نفس الوقت شديد الكبرياء قوي الشكيمة لم يعرف الضعف ولم يألف الذل ولم تستبد به امرأة

على ملأ من الناس . فلما بلغه النبأ وعلم أن سونيا ازدهت بنصرها وانتشت بهزيمته وانتهكت أمام الكل حرمة قلبه وأشمتت فيه الجميع ، اسودت الدنيا في عينيه وصغرت نفسه في نظره وأحس العار يجلله والاهانة تكاد تفقده صوابه وتتركه شر حال

واستحال حبه لسونيا الى بغض هائل واحتقار مروع . حرم على أفراد أسرته استقبالها ، حتى أصدقاءه بينه وبينها ، وراض نفسه على الفرار من كل مجتمع يجمعهما فيه ، شوه صورتها وأرسلها اليها ممزقة ، قطع صلته بكل من كان يذكر له اسمها ، اجتثها من عقله وقلبه واعتبرها كأن لم تكن . وكان يتألم ، كان يتألم ويلعنها دون أن يفكر لحظة واحدة في أنه السبب في شقاء نفسه وشقائها

والعجيب أن سونيا كانت إذ ذاك أشقى من الشاعر وأتعس حظا وأعمق ألما وحسرة . .

أحبته . . . أحبته بعد أن كانت تخشى أن تحبه وتحاول ألا تحبه . .

أحبته لأنه أخلص في احتقارها وأخلص في الاعراض عنها وأمعن في كراهيتها وبغضها

رأت في بغضه الشديد أبلغ دليل على حبه ، صدقته وآمنت به ومالت بنفسها اليه ، ولكن بعد فوات الوقت . وبعد أن كان هو الذي يتوسل أصبحت هي التي تلتمس وتستجدي

سعت اليه فوصدت بابه دونها ، اتصلت بأصدقائه فتبرموا بها خشية أن يفقدوه ، زجت به في الملاهي التي تعلم أنه يغشاها فلوى عنها وجهه وأبى أن يخاطبها ، أوفدت اليه احدى صديقاتها فانتهرها وطردها شر طردة ، وأخيراً ضاقت بسونيا السبل فكتبت اليه هذا الخطاب تستمد فيه بجسورها الرحمة والمغفرة :

« ما ذنبي ان كانت سخافة الدعة هي التي دفعتني الى الشك في حبك ؟

« ما ذنبي ان كان صمتك المطبق القاتل هو الذي ساقني الى الاسراف في تجربة حبك ؟ لم أشأ ان أدس كرامتك ولكني أردت الاستيثاق من صدقك . أنا امرأة والمرأة لا تؤمن الا ببرهان ، ومن سوء طالعها أنها تبحث عن الرجل فتعثر بما يحمل في سبيلها من عذاب . ولقد صدقتك لأني أريد ان أحبك ولأنك انت تملك أمر قلبي [illegible] الا وهو مغمور بالألم . فاعف عن ذنبي وان كنت شريكي فيه [illegible] فلا راحة الا بعد تعب ، ولا هناء الا بعد شقاء ، ولا حب الا بعد تناكر وخصومة وعداء . وقد تجاوزنا الكذبة ولم يعد في قلبك ولا في قلبي أي موضع لعصبية أو للحقد او للانتقام . . . فأنا أتقدم اليك اليوم ولا شفيع لي الا حبي ، [illegible] وعلم ان ما احتملته منك يساوي ما [illegible] أو يزيد . . ومع ذلك لا أطلب [illegible] بل [illegible] . . ومن حقي الآن ان أتفوق عليك وقد أصبحت أحبك ولا أستطيع الحياة الا لاصقة بك . [illegible] ما أردت فحسبي [illegible] الى الأبد ! . . . »

واعتقدت سونيا أنها بهذه الرسالة ستثير عواطف الشاعر وتسترد حبه ، ولكنها اصطدمت بقلب مغلق وصدر صلد . طالع رسالتها ولم يسعه أن يشهر بها كما شهرت به ولكنه عدل وآثر أن يردها اليها في ذات اليوم

ثم أمعن في اتباع خطته فأفرط في احتقار الفتاة ، وأفرط في تجنبها وطول الحقد في استبعادها .

أصدقائه عليها فتجهموا لها ونفروا منها ، فأحست أن وجودها بينهم غير مرغوب فيه ، وأن عشيقهم قد نبذها من حياته لأن الرجل الذي تمرد قد نبذها من عقله وقلبه

وبعدئذ استولى عليها يأس شديد وضاقت بها الدنيا على رحبها وشاعت في أخلاقها مظاهر التبرم والأسى ، وتملكتها السوداء وانتابها الوسواس واستحوذت على عقلها وخيالها فكرة الانتحار

وفي نفس الوقت الذي استبدت بها فكرة الموت فيه واستحالت الى شبه مريض ، تضاعفت قوى الحياة في نفسها كما تتضاعف في كيان المصدور قبل أن يشرف على التلف

أحست بدافع يدفعها نحو لرمونتوف ويحرضها على القيام بتجربة أخيرة . وفي ذات ليلة والريح تعصف والبرق يلمع والمطر يتساقط ويتدفق من السماء كالسيل ، ألقت الفتاة عليها معطفها وانسلت من البيت وأهلها نيام يغطون ووضعت وجهها شطر الدار التي يسكنها الشاعر

وطرقت الباب ومكثت لحظة تنتظر وصدرها يعلو ويهبط وأنفاسها اللاهثة تتدارك تكاد تخنقها . وبعد انقضاء فترة طويلة فتح الباب وأطل منه الشاعر ، فلم يكد يبصرها حتى قطب حاجبيه وتراجع ودفع الباب في عنف ثم أوصده بالمفتاح ، فسقطت مغشيا على الأرض وانهمرت من جفنيها الدموع

وظلت على عتبة الباب ذليلة منبوذة تبكي في صمت ، وفكرة الموت تستغرقها وتسحر أعصابها وتستهوي عقلها ، حتى أحست رطوبة الارض تسري في عظامها ، فنهضت مذعورة وانطلقت تعدو حتى أدركت البيت ، فصعدت الى مخدعها وهناك ارتمت على السرير فترة ثم نهضت كالمخبولة وأمسكت بالسلاح الريش المعلق فوق أيقونة العذراء ، ثم جثت على مركع خشبي وصلت ، وعند انتهائها من الصلاة قامت والعزم يبرق في مقلتيها ومشت بخطى ثابتة نحو النافذة ففتحتها ، ثم وثبت على مقعد ، ثم ألقت نفسها في الفضاء ، فسقطت على أرض الحديقة بين الورود والأعشاب جثة هامدة !

ولما طلع الصبح وعلم لرمونتوف بانتحار سونيا ، تبلد فكره وزاغ بصره وظل فاغر الفم منعقد اللسان كمن أصيب بمس من جنون

وإذ ذاك ، إذ ذاك فقط ، أدرك الشاعر أن لعنة الله قد حلت عليه ، وأنه قتل المرأة الوحيدة التي أحبها ، المرأة التي لم ير في حياته أكمل منها مثلا للجمال ، وأنقى منها عروسا للشباب والخيال والشعر !

سجل الأيام

عرض عام للشؤون الداخلية ولمسائل السياسة العالمية

بقلم الأستاذ سامي الجريديني

(١) الشئون الداخلية

الانتخاب

لا تزال معركة الانتخاب قائمة في طول البلاد وعرضها بغية التوصل الى معرفة رأى الناخبين

ولقد كنا ولا نزال من القائلين بأن الانتخاب كما نشاهده هنا وكما هو هناك في البلاد التي سنته لا يؤدي الى تعرف رأى الأمة مهما تلطف التفنن.

ذلك أن الانتخاب على الأسس البرلمانية ما كان قط حرا ولن يكون في بلد أكثريته الساحقة من المزارعين الأميين. وإن الانتخاب في معظم بلاد الله (دع عنك انجلترا وفرنسا الآن) تعمل فيه عوامل شتى تفقد الناخب حريته

فالحكومة يمثلها وزير الداخلية تكون من طبيعة الأشياء عينا متحيزة لحزبها تعمل على انجاحه، ولها في ذلك من وسائل الاقناع ما لا يملكه حزب آخر من الأحزاب الخارجة عن الحكم. هذا أمر طبيعي في النظم الانتخابية نرى آثاره في كل حكومات القارة أوروبا، حتى كان يبلغ الأمر في أحزاب حكومية مؤتلفة أن يختلفوا على الوزير الذي يتولى وزارة الداخلية فيود كل حزب أن يجعله من أهله لعلمه باليد التي تكون له في تسيير دفة الانتخاب

ولو شئنا لضربنا الأمثلة العديدة على هذا الأمر من فرنسا ومن ايطاليا قبل موسوليني ومن تشيكيا ومن رومانيا ومن جاراتها في البلقان. فاذا خضع الناخبون لسلطان الحكومة مهما قيل في حكمة هذا الخضوع أو في غايته ظل الأمر كما قدمنا ليس من الحرية الانتخابية في شيء

واذا أطلق الحبل على الغارب وكفت الحكومة يدها وبرزت الأحزاب تسيرها الأشخاص طغت الشهوات وانقلب الجمهور الساذج إما قطيعا طائعا يسير وراء زعيم حزبي يغريه بالوعود أو يغدق عليه من جاهه ومن ماله فلا يستطيع الخروج عن رأيه الى رأي حر له. أو عصبة تركب العواطف رؤوسها فيضيع التعقل ويصبح الأمر التعصب والعناد، حتى قال قائل إنك في أرقى

المتصلات الاجتماعية قد تستطيع اقناع السامع وحمله على تغيير رأيه ، ولكنه لا يغير صوته ولا يعطيه الا لمن كان قد تعزب وآلى أن يعطيه إياه

أو لنوع جديد من الانتخاب هذا الذي يسمونه انتخابا بالتزكية أو بالترشيح

فان نؤمن برجل يتقدم للانتخاب للاعضاء في منطقة تعد ستين ألفا من الرجال ، مبارزاً يتحداه ، إن كنا نؤمن بهذا الرجل وبأن الناخبين يجمعون أمرهم عليه دون سواه ، فيكون رأيهم قد ظهر واستبان ، فلا نستطيع أن نؤمن بانتخاب يتم بالتملق بين مرشحين يتنازل أحدهم للآخر ، وهذا للآخر حتى يخلو الجو لواحد بعد أن ينقطع عليه الخوف من مزاحم . إننا لا نستطيع أن نتذوق طعم الانتخاب في مثل هذه المناورات ولا يتبين لنا معرفة رأي هذا الفريق من الأمة مهما وضعنا على أعيننا من النظارات المكبرة

فالمرشحون اذن لا يمكن أن يمثلوا الناخبين في أمانيهم ومشاعرهم بل يمثلون أنفسهم ومطامعهم ورغبتهم في التزعم وتولي السلطان ، هكذا كان الأمر في غير هذا البلد وهكذا هو هنا

وانا نزعم أن مثل هذه الحال الاجتماعية تخلق حكومة تتولى الأمور فيها فئة قليلة منفصلة ذات بيئة بعيدة عن الجمهور ، مؤلفة اما من رجال البرلمان أو من الموظفين ، وهكذا حتى نتقاد الى حكومة طبقة خاصة وهي شر أنواع الحكومات Oligarchie

وانا نزعم أن حكم الطبقة الخاصة يتنافى مع منفعة الجمهور وأن ما تكسبه من نفوذ أو ثروة هو حق لهذا الجمهور . وانا نزعم أن التاريخ علمنا أن ليس من مصلحة هذه الطبقة الحاكمة أن تعلم الجمهور أو ترقيه ، لانها ترى في ذلك تهديداً لمكانتها

اذن ما العمل وكيف يسلس الناس في السلطة المصرية ؟

لقد يجد القارىء الذي اتبع ما تقدم من هذه الفصول شيئا يوضح رأينا في هذا الصدد

فنحن نؤمن ايمانا حسنا أن الشعوب لتستقيم شؤونها اذا تولى أمرها من يسير على حكم تاريخها وتقاليدها وعاداتها مستندة كلها الى توخي العدل والى ما فيه خير المحكوم لا خير الحاكم

ونحن نؤمن ايمانا شديداً بحكم الاعمال لا بحكم القوانين المسطورة في ورق ، والنظريات الاوربية تنقل الينا وتكال جزافا

ونحن نتسل إذا قلنا شيئا أبهم علينا النور فيه ، متعمدا أن نتنبه عما كان عليه الآباء والاجداد لا عما يعمل القوم في بلجيكا أو في الغرب أو في انجلترا . فخير لنا ان كان لا مناص من الاستبداد أن يأتينا من فوق حيث لاحدنا أن نراه ، من أن يأتينا من تحت فتفرز النفوس

ولقد أشرنا من قبل الى حسن طالع مصر باحتوائها عرشا عالي الاركان

فانا لا يزحزحنا عن عقيدتنا اعتبار حزبي أو مأرب شخصي . وقد كنا ولا نزال ولا مطمع لنا الا أن نرى القومية المصرية رفيعة الشأن متحضرة آخذة بأسباب العدل والمساواة

ولا نرى سبيلا للحكم للنتيج الا حسباننا العرش « منتخب » شعبيا انا لا نستطيع أن نتصور عقلا يمثل ما فى صدور تسعة أعشار المصريين ــ وهم الفلاحون ــ من رجاء فى العدل وأمل فى عيش سادج هنىء ومفرح يمرحون اليه فى اللذات ــ الا العرش

فالعرش بارتفاعه عما قد يطمع فيه الزعماء الشعبيون من مال أو جاه أو سلطة ــ يمثل المصلحة العامة خير تمثيل

فاستقرار العرش وجاهه قائمان على حسن ثقة الفلاح والعمل على ما فيه خيره الحقيق ــ الخير الذى يحمله خير يومه ثم يتدرج الى ما هو أجل ، لا الخير الذى يعرضه بهرج السياسة والالفاظ الخلابة الجوفاء

فمصلحة الجمهور المصرى ومصلحة العرش واحدة لا تنقسم

فتكون السياسة الجديرة بالاتباع هى السياسة التى يكون العرش فيها صاحب كلمة عليا ورأى مطاع فلنك نرى أن الدستور الذى ينادى به بعضهم من أن الملك يملك لا يحكم لدستور عقيم مضلل فى هذا البلد

انه من المضحك أن نأخذ آية حملها القوم فى انجلترا دستورا لسياستهم بعد تاريخ طويل حافل بالحروب والنزاع ، وفى بيئة اجتماعية مقسمة منذ القدم تقسيما خاصا يشمل أمراء وأشرافا وطبقة وسطى وطبقة دونها ــ ان نأخذ هذه الآية ونجعلها عنوانا لسياستنا وهى لا تتفق مقدماتها عندنا مع نتيجتها وهى لا يعمل بها الا فى انجلترا

نعتبر هذه الحالة مع تعبير اللغة الدستورية التى تقول بأن الأمة مصدر السلطات يجب أن يتفق مع الواقع ومع التاريخ ومع التقاليد ومع المعقول ، ومع المنقول

(٢) الشؤون الخارجية

زوال امبراطورية وقضى الأمر واستوى هتلر على عرش هابسبرج بعد أن استوى على عرش هوهنزلرن وزال مجداً لسبة الأمم ولشيمها التسعين

وقد كان حلما من أحلام الامبراطورية الالمانية أن يتسنى لها اتحاد جركى مع النمسا ، وكانت أمنية من أمانى رجال المال والاقتصاد ، فاذا ما والأمر واقع ما له من دافع

صحيح ان امبراطورية النمسا كانت أوسع رقعة وأعز نفراً فى العهد السابق منها الآن ، ولكن هذا القدر الذى اقتطع منها عقب الحرب لا يلبث أن يقع تحت النفوذ الالمانى وتحدده القوة الاقتصادية الى حدود سيكون صاحب القول الفصل فى حاضر أوربا ومستقبلها الى أن يقضى الله امراً كان مفعولا

ولقد عاشت أوربا منذ انحلال الامبراطورية الرومانية وبدء عصر القوميات يتنازعها سيادتان

واحدة افرنسية والأخرى نمساوية ـ أو نمساوية ممزوجة بالاسبانية . فقد عبر الافرنسيون فى أوضاع لهم لا تعد ولا تحصى . وأما سياستهم القائمة على توازن القوى فهى هى من عهد ملك الحاكم رشليو حتى عهد الأقوام الذين حلوا محله فى آخر الأيام فى قصر « كاى دورسيه »

فرنسا كانت دائما ابدا تؤلف بين الدويلات وتنصر حمى الامارات تارة ثم تحملها أخرى بغية إضعاف الامبراطورية النمساوية أو الوقوف فى سبيل نمو قوتها خشية أن تطغى عليها

وكانت امبراطورية آل هابسبورج قد نمو نفوذها فيسيطر على معظم أوربا ، فما هو المانيا اليوم لم يكن إلا إمارات مبعثرة لا تستطيع القيام على أرجلها وحدها فكانت تستند الى فرنسا مرة والى النمسا كرة

وما هو ايطاليا الآن كان معظمه ملكا لامبراطرة هابسبورج . فلو رجعنا الى خريطة أوربا قبيل الحرب العظمى لرأينا امبراطورية المانية ومملكة ايطالية متحدة ، وهما لم تصلا الى ما كانتا عليه إلا بالساعد الافرنسى يمتد ضد النمسا ثم يقوى ذلك ، حتى اذا اشتد ساعد روسيا رمت فرنسا بعد أن رمت النمسا ، وصارت صيحة العنصر الجرمانى فى أوربا وانقلبت السياسة الافرنسية من بعد الهزيمة التى منيت بها فى سنة ١٨٧٠ فصارت تسعى الى حلفاء يؤيدونها على المانيا بعد أن انتقل الخطر الجرمانى من فينا الى برلين

فانت ترى ان فرنسا كانت تسعى كل تاريخها الى السيطرة على أوربا علوا : أية دولة كانت تنمو فترى فيها خصما يقف فى سبيلها . وكانت كلما كاد الأمر يتم انبرت لها انجلترا مع النمسا أو مع اسبانيا تنتزعان منها السيادة

كذا كان الأمر والمجد الافرنسى فى ابانه أيام لويس الرابع عشر ، وهكذا كان والبرق النابوليونى يسطع ملأ فى سماء العالم . وأدال الله الأيام بين الناس ـ فلا فرنسا ولا مطمع لها إلا أن تحافظ على كيانها خوفا من السبع الجرمانى الذى كان لها يد مباشرة فى ميلاده

فالخطر الجرمانى أصبح منذ أكثر من نصف قرن يسير بزعامة برلين الى أن كانت معاهدة فرساي ومعاهدة سان جرمان فزالت الامبراطورية النمساوية وبقى ما بقى منها يتطلع الى اللحاق ببرلين

وقد مرت بنا أيام ليست بالبعيدة وفرنسا ذات جيش قوى لا ند له فى أوربا . كان لها همس هامس بمطمع المانيا بالنمسا أو بضم النمسا الى المانيا تمادويا من املاكها وهلا كها ـ تقوم قيامة الافرنسيين ويعدون الأمر تحديا لهم ومدعاة الى الحرب فيجرى الهامسون

وأما الآن وقد انضمت ايطاليا الى المانيا من سوء ما جنته من الانجليز والافرنسيين ووقف انجلترا تتبع تقاليد تاريخها منذ القدم ، تحت بمعزل من أوربا وتدع القوم يأكل بعضهم بعضا فلم يبق فى ميدان القوة إلا فرنسا وليست بمعارضة مجربة غير مأمونة العواقب وحدها

وقد كان الذكاء الافرنسى والمصلحة الافرنسية قبيل الصلح يلحان على الحيش وعلى الحلفاء

أن يخنقوا ألمانيا ويمهدوا السبيل الى ارجاعها أملاكها ومستعمراتها. فلو كانت أوروبا شعرت بشر كظلتم التوبة لما أخضعوا، ولكن الاعياء بعد الجهد واختلاف وجهة النظر الانجليزي عن النظر الفرنسي مهد الى الحالة التي نحن فيها الآن . فعصبة الامم ونظرية التجرد من السلاح شيء حسن في قاموس الأخلاق اذا كان المتشدقون به مخلصين

وأما اذا كان أبناء هذا الشعب يتآمرون به ابقاء على ما في ايديهم وقد امتلأت . أو تخضيعا من الاعياء ثالثة وقد كانت التجارة والصناعة أن تنوء بها . صار من حق المتطلع الى ما في أيدي الغير ومن واجب المتفوق تحسوه الرغبة في استعادة مكانته بين الأسياد أن يقتنص الفرصة ريثما يخضع الامر

فكان ان أخذت ألمانيا تتسلح في السر وفي الجهر وعين الانجليز (لا عين الفرنساوي) نائمة ، وقامت ايطاليا تبني الأساطيل الجوية والبحرية ، والقوم في الحرب يحاولون أن يصلحوا ما أفسدت الحرب من تجارة وصناعات . وأنت ترى كيف أصبحنا واذا بموسوليني من ناحية وهتلر من ناحية يتحديان العالم ولا يخضع واقف في سبيل ماهما معتزمان

أما هتلر (وهو القوة الرهوبة الجاسر) فقد بدأ بأن نقض خطأ وقع فيه ملبوم ، ثم يطلب قوة في البحر ولم يستعد اسطوله كما استعاد قوة جيشه ، فأثم بهذه الحيلة مخاوف الانجليزي العادي ، وهل ظهر هذا النوع من الانجليز تخوم القوة الانجليزية

ولما أس من هذه القوة أخذ يستعيد مجد ألمانيا وجعل ما كان حلما حقيقة لا تصدق

حتى بدأ الناس يرون أن هذه الحرب التي يسمونها العظمى لم يكن لها إلا نتيجة واحدة باقية هي تقتيل الملايين من الناس وتشويه ملايين آخرين مثلهم

فهذه أمة كانت بالأمس لا تعد في مصاف الدول العظمى من شر ما وصمتها به معاهدة فرساي ، اذا بها الآن أقوى أمة في أوروبا بفضل عزم لا يلين وحزم لا يقاوم وقوة تخر أمامها الطبيعة

فاذا نظرنا الى الامر نظرة ثاقبة متجردة لما خطر لنا ان نجزع لما تم أو نحزن على ما فات . اذا تجردنا عن عوامل العاطفتين الانجليزية والفرنسية وما كانتا تذيعانه عن همجية العنصر الالماني . ثبتت حقيقة سافرة ماثلة أمامنا وهي ان هذا الجنس التيوتوني من أرقى العناصر الاوربية وانه قد كان من مفاخر الانجليز فيما مضى ان ينتموا الى شيء من هذا الدم في كيانهم ، وانه شعب شديد الحيوية يأبى الضيم متفوق في كل أسباب العلم والصناعة والفن عزيز النفر تجمعه في أوروبا أرض تتسع لنحو ثمانين مليونا ، له كل مؤهلات الشعوب المخلوقة القابلة للهيأة الزعامة

فهل يصح أن تقف العناصر الاخرى في سبيله وتصده عن الاخذ بقيادة أوروبا الى حضارة أقوى وأنبل من هذه التي أصبحنا نراها تتمرغ في الحضيض ؟

على اننا لا يسعنا اغفال ظاهرة أو ظاهرتين علمتهما لنا الحوادث فيما تعاقب علينا من النكبات منذ ان وضعت الحرب أوزارها حتى الآن

من ذلك ان المبدأ للقصص السامى لا يزال حقا مهما كرت السنون وتعاقبت الاجيال ، وهو ان الثقة سواء فى الافراد أو فى الشعوب تلد العزم الحديدى لا يلين حتى يخترق سبيله الى غرضه ، وان السماء والارض تخران أمام الإرادة من حديد . والامثلة على ذلك فى اتاتورك وموسولينى وهتلر

ومن ذلك ذكاء رجال السياسة فى فرنسا وحسن فهمهم للامور مع ضعف خلق يأنف المبارزة أو يأبى تحمل التبعة شأن الغنى المترف لا مطمع له فى الزيادة فى هذه الحياة

ففرنسا أمس شعب فى أوربا وأصفه وأشده ذكاء . شبع حتى لا يكاد يحسن استغلال ما ملكت يداه ، و ب حتى قل نسله واقتطعت أسباب نشاطه . فها هو ذا الآن جيشهم قوى مكين لا ند له فى أوربا فقل عدا متصلبع ولكنه يحتوى عنصراً كبيراً من السود ، ان جمع منهم من هو تحت السلاح الآن فليس الامر كذلك فى الاحتياطى منهم

وان هؤلاء السود لايغنون عن البيض شيئاً اذا كان النصر فى الشعوب قوامه الاخلاق والقوة والايثار . فقول الشاعر :

بيض الوجوه كريمة أحسابهم   شم الأنوف من الطراز الأول

حق فى الماضى وفى الحال وفى الاستقبال

ومن ذلك هذه السادة الانجليزية بدأ ظلامها فى سنة ١٩١٤ ولاتزال عبثة على الأفق حتى الآن فانه عند ما وقعت الواقعة وتسابق الشباب الانجليزى الى صفوف المتقدمين كانت نخبتهم وزبدة رجالهم من أبناء الاسر التى تمرست بالحكم فى انجلترا سنين عددا ، فى طلائع من أبادتهم المدافع الالمانية . وظل حاصد الأرواح يعمل عمله فى هذا النبت الكريم ذى الأرومة العريقة فى حب الوطن وفى التضحية وفى الاقدام وفى السيادة حتى كاد لا يبقى ولا يذر

فلما جاء عهد الصلح تطلع الانجليز فاذا بهم عرضة للشعبية واذا بأموالهم تسربت الى غير جيوبهم واذا بهم متمصرين ليسوا خيراً من الالمان المتهورين

فما وفقوا الى زعيم يجيء لهم أيام بت وامه أو دزرائيلى أو ولسن أو درايك فتزعمهم لويد جورج وهو مثال السياسى ابن أواخر القرن التاسع عشر فيه غرب اللسان واسع الحيلة غاب عنه ذكاء الافرنسى ، فخلف ان يعيد الى فرنسا مجدها أيام نابوليون فتنها ان تحتل المانيا بقصد الى ترك أوربا فريسة الانقسام والتحرب حتى يخلو الجو لانجلترا لتستعيد ما فقدت من مال وقوة

وها هو قد عاش فرأى مسعيه تتضح ما جنى واتيار ما أقام

وليس خيراً من هذا أولئك الذين خلفوه على رأس السياسة الانجليزية كبونارلو وبلدوين وتشمبرلين ومن اليهم من باعة السلع لا يحسنون الأساليب الشيقة ولا يأخذون بأسباب زعامة قوية . يعملون كأنهم فى علم مستتر سلمت اليهم فيه ادارة مصرف ناجح يديرون أمواله ويجيئون

ميزانيته باحكام واتقان والعمل عليهم في كل أنحاء القصور . غافلين عن أ كبر أركان الثورة ومن أعظم عامل في تسيير السكون ألا وهو العمود أو الاسم الصحيح أو القوة المعنوية مما يسمونه Prestige وانه لا يتأتى لمن أظهر ضعفه فكسر قوسه وحطم سهمه فقام متحيرو الفرصة يهاجمون الفارس السانح يسعون الى أغراضهم بقوة وبأس

وهكذا يتبوأ المصور الحازم أمره مكانه في زعامة الامم ويبقى المتردد الخائف واقفا الى ان يجرفه سيل التاريخ

• • •

المملكة السعودية انه يحق لنا ونحن نندب سوء طالع البلاد الشرقية جميعها ان نرى نوراً منبثقاً في جو حالك مظلم . فهذه الدولة العربية الوحيدة التي يصح ان يطلق عليها وصف الاستقلال . وقد نالته بالسبيل الوحيد المؤدي الى الاستقلال ــ قوة الارادة تدعمها قوة السلاح

ولم يخف عامل هذه الدولة الفتية عند هذا الحد ، بل أخذ يظهر للملأ انه رب ادارة وتنظيم مثله رب سيف . فجعل من بلاد كانت مضرب الامثال في اضطراب حبل الأمن والخوف على النفس والنفيس بلاداً يخيم عليها النظام

فقد ان كان يصح فيها الحجيج ويضج الحرم من سوء ادارة الحكام ومن عبث العابثين بالأمن اذا به يجعلها كأحسن ما تكون عليه دولة منظمة متمدينة

ويزاد على هذا العامل الأساسي أنه مهد المواصلات وعبد طرقها وأقام الفنادق وأنشأ المصارف

فاذا قال قائل بأمبراطورية عربية يجب ان يذكر ان أول حجر في بناء الملك هو وضع أسس الأمن واستقرار الحكم وصيانة العدل ، وأما ما زاد على ذلك فهو أوهام الخيال لا يطيق البناء اذا صدمته الحقيقة

سامي الجريديني

وكيل الهلال في البرازيل

علمت ادارة « الهلال » ان السيد ميخائيل اسعد فرح لا يزال وكيلا لها في البرازيل ، ومن رجوه من حضرات المشتركين ان يتصلوا به من الآن فصاعداً رأساً في كل ما يختص بالاشتراك الى حين صدور اعلان آخر

صيد السلحفاة وصناعة عظامها

السلحفاة حيوان مائي يعيش في البحار المالحة والأنهار العذبة ، وبعض أنواعها برى يعيش في أرض المناطق الحارة أو المعتدلة . وتختلف السلاحف في حجمها اختلافا كبيرا ، فمنها ما تسعه قبضة اليد ، ومنها ما تبلغ زنته عشرة قناطير . وكذلك تختلف أطوالها من بضعة قراريط الى ما يبلغ أكثر من مترين . والسلاحف البرية أصغر عادة من السلاحف البحرية ، ومنها نوع يعرف « بالسلاحف الفيلية » يعيش في المناطق الصحراوية والجبلية ، ولكن لم يبق منه سوى قليل يزيد وزن الواحدة على ٦٠٠ رطل

وأكثر أنواع السلاحف تحمله « صندوق » من العظام الصلبة ، وقليل منها تغطيه « كيس » من الجلد الناعم اللين . وقد تكون هذه الصناديق ألوان زاهية مختلفة ، أجملها ذات اللون الأصفر الفاتح تتخلله خطوط سوداء قاتمة . وتتألف هذه الصناديق العظمية من ظهر وبطن وجانبين ، وعظام الظهر أصلب وأجمل من سواها ، ولهذا تستخدم في صناعة بعض الأدوات الزخرفية

غير أنه لا تصلح للصناعة سوى عظام أنواع معينة منها ، تعيش في بحار المناطق الحارة ، ولا سيما

جماعة من أهالى مدغشقر يصيدون عند شاطىء جزيرتهم حيث تكثر السلاحف ، وقد اصطادوا إحداها وربطوها بأحبال الشبكة

هذه سلاحف ضخمة [illegible] من أعلى جزيرة [illegible] وبعض
المصريين [illegible] من [illegible]

حول شواطئ إفريقيا وأمريكا الجنوبية وما حولها من جزر كثيرة، وهي ذات ألوان حمر وصفر وسمر زاهية. وتصنع منها أمشاط وتحف والزينة. ويكاد ظهر هذا النوع من السلاحف عليه من ١٣ قطعة يبلغ وزنها حوالى تسعة أرطال، ومساحتها أكثر من مائة بوصة مربعة.

وصناعة عظام السلحفاة من الصناعات المصرية القديمة التي مهر فيها صناع بعض البلاد الأوربية ولا سيما فرنسا، [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] من الحرارة في [illegible] و [illegible] فيفصل ظهرها من سائر الأجزاء، ثم تنظف عظام الظهر وتغلى من كل ثلاثة [illegible] ثلاثين حداً وسطه الحرارة الشديدة، كي تكون منها أشكالاً مختلفة. ويمكن أن تكون [illegible] في [illegible] حرارة، [illegible] الشكل المطلوب، [illegible] أو [illegible] [illegible] [illegible] ذلك [illegible] صنعة الأشكال، فيصنع منها أدوات [illegible]، و[illegible] قطع الأثاث.

وقد عرف صنعة عظام السلحفاة منذ العصور القديمة [illegible] في عهد الفراعنة [illegible] منها [illegible] ([illegible]) [illegible]، ومن [illegible] الأسرة الثامنة عشرة [illegible] من عظام السلاحف، وقد صنعوا منها [illegible] الأصوات في الآلات الموسيقية. وكانوا يأتون بالسلاحف من بلاد [illegible]، ولكنهم [illegible] كانوا يتشاءمون [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]، [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]، و[illegible] منه دواء لعلاج سقوط الشعر. وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صناعة [illegible] السلحفاة في عصور [illegible] الحديثة، و[illegible] [illegible] من الصناعات [illegible] في [illegible]، حيث تصنع منها [illegible] و[illegible]، و[illegible] الصور، و[illegible] [illegible]، و[illegible] [illegible] و[illegible]، وغير ذلك من الأدوات [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible]

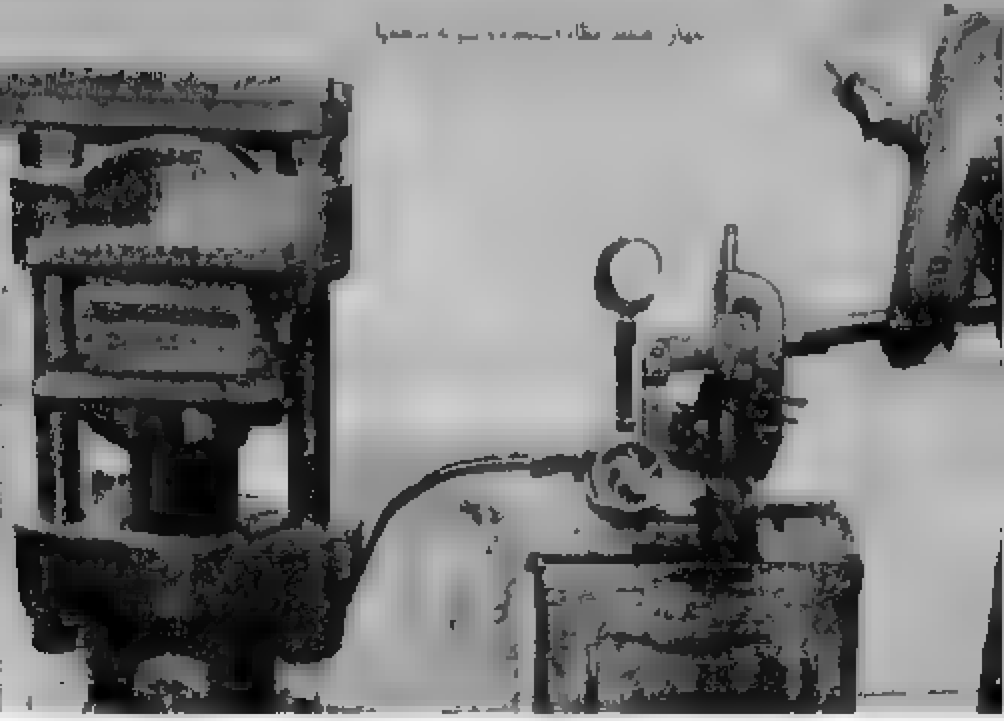

القاهرة كما ترى من الطائرة

تمثل في القاهرة خصائص الحضارة الشرقية القديمة، ومظاهر الحضارة الغربية الحديثة. فإنك ترى فيها أحياء تدل على قدم عهدها وما مر بها من حضارات شتى، كما أن بها أحياء لا فرق بينها وبين أرقى الأحياء في مدن أوربا وأمريكا الكبرى. إذ أن القاهرة من أقدم مدن العالم فسيحتفل قريبا بانقضاء ألف عام على تأسيسها، وهي إحدى مدن العالم الكبرى إذ يبلغ عدد سكانها زهاء ١ ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة. وترى في هذه الصفحات عدة صور أخذت من الجو لأحياء القاهرة وضواحيها، ينم بعضها عن عراقة تاريخها وقدم حضارتها، ويبين بعضها ما حققته مصر في نهضتها الحديثة من رقي وثراء وعمران

الهرم الأكبر يطل على جانب
سرب من طائرات الجيش المصري

« مصر الجديدة » التي نبتت وسط
الصحراء منذ [illegible] وصارت
أكبر ضواحي القاهرة وأحدثها

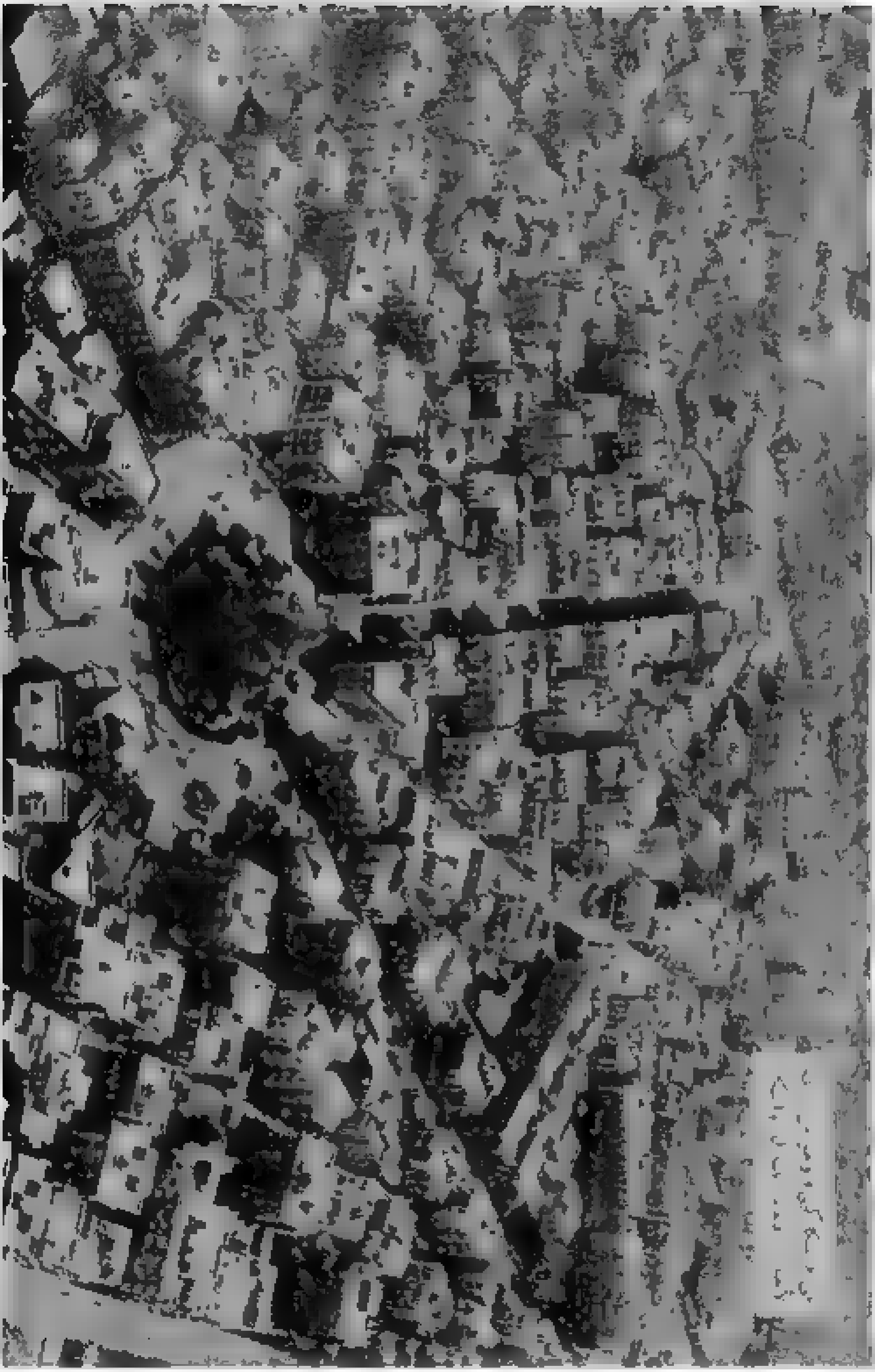

ان كيدهن عظيم ..

أسرار العروش

بقلم الأستاذ حسن الشريف

كانت ستيفاني وحيدة أبيها الكونت كلود بوهاربيه الذي هجر فرنسا بين مهاجريها بعد ما هبت ريح الثورة الكبرى وجردت حكومة الشعب أشراف البلاد وسلبتها من الألقاب والأموال ، ثم لم يعد اليها إلا بعد أن هدأت العاصفة واستقرت الأحوال ووليت الأمر حكومة القناصل برياسة القنصل الأكبر بونابرت

وكانت أمها مريضة تشعر بدنو الأجل ، وقد خافت على طفلتها أن تعيش في ذلك البلد المضطرب الذي لم يبق لها فيه أهل ولا مال ، فخلفتها وديعة عند صديقة لها إرلندية الأصل تدعى الليدي لورا بات

وقضت الأم نحبها بعد هجرة زوجها بعامين ، وانتقلت ستيفاني الى كنف السيدة الإرلندية المحسنة ، وظلت تتمتع ببرها وعطفها الى أن شرعت الحكومة الثورية في اضطهاد الأجانب ونفيهم من أرض الجمهورية ، فاضطرت ليدي بات الى الرحيل عن هذا الوطن الثاني الذي أحبته وهنئت بالحياة فيه . ولقد كانت تود مخلصة لو تستطيع أن تصطحب الى بلدها هذه اليتيمة العزيزة التي اتخذتها سلوة لشيخوختها وأنساً لوحدتها ، ولكن كانت الهجرة محظورة والرقابة شديدة والقوانين جائرة تعتبر المهاجر عدواً وتعاقبه بالاعدام . فلما لم تستطع أن ترحل بها أوصت عليها راهبة نبيلة من راهبات دير سانسير تدعى مدام تريليباك ووعدتها أن توافيها الفينة بعد الفينة بما يقوم بأود الفتاة ويكفيها ذل السؤال

بيد أن أهوال عهد الارهاب التي لم تقف عند حد قضت باغلاق الأديرة والكنائس والغاء الشعائر والأديان وباهدار دم القساوسة والرهبان ، ففرت الراهبة النبيلة من دير سانسير الى بيت أهلها في الريف واصطحبت الفتاة لتعنى بها وتربيها الى أن يقضي الله في أمرها بما يشاء .

ونشأت ستيفاني نشأة ريفية لا أثر فيها من الترف والرفاهية ، وكانت لا تنتظر من الحياة شيئاً ولا ترجو من الأيام أمراً سوى أن تسمح الحكومة بفتح الأديرة فتدخل واحداً منها تنقطع فيه للعبادة والصلاة . ولقد كانت تقنع بهذا القدر المتواضع من السعادة والهناء لولا أن للأيام روات

كروان القادر العابث الذي يعطي ويسلب ويمنح ويمنع بلا مقدمات ولغير ما نتيجة وبغير ما حساب

ولقد كرت السنون وبلغت ستيفاني الحادية عشرة من عمرها ، فكانت قسمات وجهها وجسمها تنبيء بجمال فتان لا يزال في دور التكوين والاكتمال ، وتبشر بطلعة حسناء سوف تشخص الى حسنها العيون وتخفق لرؤيتها القلوب . ولم تكن أخبار باريس إذ ذاك تتراءى الى أقاصي الريف ، واذا تراءى بعضها اليه لم يصل الى العزلة الموحشة التي كانت فتاتنا تعيش فيها . فلذلك لم ينته الى علمها أن جوزفين أرملة عمها الجنرال بوهارنيه قد تزوجت برجل اسمه نابليون بونابرت كان الناس يرددون اسمه ويكثرون من التحدث عنه في تلك الايام . ومن يدري ؟ فلعل مدام دوزيلبياك لم تشأ ان تؤلم عزة حفيدتها فكتمت عنها نبأ ذلك الزواج الذي لا يتوافر فيه شرط المكافأة من ناحية الزوج والذي لا يشرف أسرة عريقة في النبل كأسرة بوهارنيه

ولكن كانت دهشة ستيفاني كبيرة يوم وقفت مركبة ضخمة أمام البيت الريفي ونزل منها رجلان مهيبا الطلعة مرتديا الثياب ، فتقدم أحدهما الى مدام زيلبياك بصفته مدير الاقليم وأفضى اليها أن لديه أمراً مكتوباً من القنصل الأكبر بونابرت بأن يتسلم الآنسة ستيفاني دي بوهارنيه وبأن يرسلها اليه مع الأمين للوعد معه لهذا الغرض لتعيش مع عمتها جوزفين في قصر التويلري

أما كيف انتهى خبر هذه الفتاة الى مسامع بونابرت فشيء لا نعرفه على وجه التحقيق ، ولكنا نعرف أن جوزفين كانت شديدة الاهتمام بأمر النبلاء المهاجرين وأنها طالما توسطت بنفوذها لدى زوجها في السماح للكثير منهم بالعودة الى الوطن بعد طول الاغتراب . فاذا كان هذا شأنها مع الغرباء عنها فلن للفضول مناعة أنها مدت بأهلها وأقاربها وعملت على أن تعوضهم عما أصابهم من البلاء في زمن الثورة وعهد الارهاب

واذ كان بونابرت كثير البر بأهله ذات العناية بأقرب امرأته فقد طابت كرامته أن تعيش فتاة تمت اليه بهذا النسب عالة على سيدة ريفية تتصدق عليها . واذ كان أيضاً في ذلك الوقت مهتماً بأن يشق لنفسه الطريق الى العرش ويمهد لقيام امبراطوريته فقد رأى ان يؤوي اليه تلك اليتيمة وأن يجعل لها مكاناً في شكل المصاهرات التي اعتزم أن ينصبها ليربط بها أسرته الجديدة الى الاسر المالكة في أوربا ويقوي بها سلسلة المعاهدات السياسية التي عقدها مع بعض الدول الأوربية

ولقد أراد أن يهيئها للحياة الجديدة التي يعدها لها ، فعهد بها الى مدام كمبان مربية أولاد الملك السابق لويس السادس عشر لتهذبها وتلقنها آداب الحياة الاجتماعية وأصول المعيشة في القصور . ولبثت الفتاة في معهد مدام كمبان بضع سنين خرجت منه بعدها مكتملة الجمال ذكية مرحة تنشر البشر والانس في قصر التويلري

وكان الجنرال بونابرت في تلك الأثناء قد قفز إلى العرش باسم الامبراطور نابليون الأول وفرغ من بعض حروبه مع النمسا وغيرها وعاد إلى باريس ليستجم ويستريح . فوجد أمامه تلك الفتاة الناشئة وأعجبه منها الحسن وإشراق الطلعة والرشاقة وحلو الحديث ولذعة النكتة وعبث الأطفال ، فهفا لها قلبه وارتاحت إليها نفسه وقربها منه ورفع الحواجز من بين مقامه ومقامها وأعفاها من بعض القيود والتقاليد وأخذتها سلوة له يداعبها ويمازحها وينصرها ظالمة أو مظلومة على الجميع

ولقد أحست الفتاة سمو مكانتها في قلب الامبراطور وعرفت ما يروقه منها فكانت تزيد من عبثها ومجونها وتتقرب منه بكل ما تعلم أنه يرغبه فيها ويشدها إليه ، حتى إذا شعرت أنه يحاول تجاوز الحدود التي رسمتها لعلاقتها به وآنست أن نفسه تحدثه باختطاف تلك الفاكهة التي طالما رنت إليها عيناه ، أجفلت منه في تمنع يزيده رغبة فيها وأفلتت من بين ذراعيه بلباقة تغريه بالتمادي وتشجعه على الاسترسال

كانت طامحة النفس كثيرة المطامع . وإذا لم تكن تعرف ، لحداثة سنها ، شيئاً معيناً تحصر فيه مطامعها وتوجه إليه مساعيها ، فقد كانت تعرف أن الامبراطور قادر على كل شيء حتى ليحقق لها ما لا تعلم وما لا يخطر لها في الرؤى والأحلام . لذلك حصرت همها في أن تترضاه وتكتسب مودته وعطفه ، واضعة خيالها الثر وحسنها الشمس أمام عينيه كالطعم السهل الممتنع ، قاصرة علاقاتها به على نوع من المهادنة الشائعة تستباح فيه أشياء كثيرة ولكنه يقف عند حد معلوم

ولقد كانت جوزفين زوجة نابليون ترقب هذه الحالة في ضجر وقلق ، وقد بدأ لهيب الغيرة يتلوى في صدرها وينهش فؤادها ، فندمت على الحسنى التي أسلفتها لستيفاني ولعنت اليوم الذي أدنتها فيه من الامبراطور . ولكن ما حيلتها في هذه الصبية الطيبة التي لها من شبابها وجمالها درع لا تنفذ منه السهام ، ومن منزلتها في قلب نابليون حصن لا يرقى إليه الكيد ولا تصل فيه السعايات

وشاورت جوزفين نفسها فرأت أن تنفر الفتاة من حياة القصر عسى أن تضجر فترحل ، فجعلت تزدريها وتهون من شأنها أمام الناس ، واستعانت على ذلك بالأميرات شقيقات زوجها اللاتي كن يتغضن من سلوك ستيفاني حيالهن ويضقن صدراً كلما رأينها تتخطى الحدود في حضرتهن . ولكن الفتاة الذكية كانت تستخف بكل ذلك وتتعامى عنه فتتمادى في مرحها وزهوها غير عابئة بأحد ولا آبهة لاعتبار ، عالمة أن لها من حب الامبراطور وحمايته ما يقيها كل سوء

ولقد حدث ذات ليلة أن كان بهو الاحتفال في قصر التويلري يموج بضيوف نابليون ، وقد جلست جوزفين بين لفيف من الأميرات واصطف الرجال والنساء صفوفاً لاستقبال الامبراطور ، ولاحظت الأميرة كارولين أن ستيفاني ليست بين الواقفات فتفقدتها فألفتها جالسة على أريكة

لا يجوز لغير الاميرات أن يجلس عليها ، فهرعت اليها وسلطت عليها عينين تطفحان مقتاً وازدراء وصاحت في وجهها : « ان من كان مثلك يا هذه لا يجوز له أن يجلس في حضرة الامبراطورة والاميرات » فنهضت ستيفاني وقد احمر وجهها خجلاً من أثر الاهانة وجعلت تبكي وتشهق في البكاء . وفي هذه اللحظة اقبل نابليون وجال جولة بين الحضور يحييهم بالايماءات والبسمات ، فلما صار أمام ستيفاني ورأى الدموع تنحدر من عينيها رفع بسبابته طرف دمعها وقال : « انك تبكين يا بنيتي فما الذي يبكيك ؟ » وحاولت الفتاة النبيلة أن تتكلم ولكن العبرات حبست الكلام في حلقها فلم تنطق . وولى الامبراطور وجهه شطر جوزفين مستفهماً ، فلما علم ما كان من أمر شقيقته هتف قائلاً : « يا لها من وحش ! » واقتاد الفتاة من ذراعها وجلس على أريكته وأجلسها على ركبته وجعل يمسح شعرها بكفه ثم قال بصوت مسموع : « اجلسي هنا يا بنيتي فانك لا تزاحمين أحداً في هذا المكان » وإذ رأى امرأته وشقيقاته يتميزن من الغيظ استطرد فقال : « مادام هؤلاء الناس يضنون عليك بكرسي تقتعدينه فو الله لأجعلن لك عرشاً تجلسين عليه » وبدي كبير أمنائه وأملى عليه هذا النطق الامبراطوري :

« بما أن مشيئتنا اقتضت أن تتبنى الآنسة ستيفاني ده بوهارنيه فقد تعين أن تمنح ابنتنا هذه كل حقوق صاحبات السمو الاميرات وامتيازاتهن ، وعلى أن تتقدمهن جميعاً في الحفلات الرسمية والاستقبالات ، وعلى أن يكون مكانها في المآدب الرسمية الى جانبنا مباشرة وعلى يمين جلالة الامبراطورة في حالة غيابنا »

وربت بكفه على كتف ستيفاني ومسح دموعها بمنديله وقال : « لاتبكي يا حبيبتي ان هذا كل شيء ، فسأعد لك عداً عن عرش يليق بك وستكونين أجمل الملكات . . يا حضرة الدوق رئيس الديوان . . ضع على مكتبي غداً قائمة بأسماء ملوك أوربا وأمرائها غير المتزوجين الذين تتراوح أسنانهم بين العشرين والخامسة والثلاثين »

ولا يدهشن القارىء هذا الجبروت ، فان خريطة أوربا كانت أمام نابليون كرقعة الشطرنج والملوك فيها كقطع تلك الرقعة ينقلها كما يشاء ويضعها حيث يشاء . فقد نصب أخاه ملكاً على اسبانيا ، وأخاه الثاني ملكاً على هولاندة ، وأخاه الثالث ملكاً على وستفاليا ، وأحد قواده ملكاً على نابولي ، وقائداً آخر ملكاً على السويد ، ونصب ابنه ساعة مولده ملكاً على روما . ثم عاد فوزع أخواته وقريباته على عروش أوربا وفرض التزوج بهن على الملوك كأنما كانت أوربا أسرة واحدة هو كبيرها المهيمن على شؤونها

واذ كان نابليون اعتزم اعلان الحرب على بروسيا فقد رأى أن يضمن وقوف ملوك الدول الألمانية في صفه أو أن يضمن على الأقل حيادهم لئلا يميلوا للعطف عليها ، ووجد أن خير وسيلة لبلوغ هذا الغرض انما تكون بربط هؤلاء الملوك اليه بروابط المصاهرة

وكان قد حدث قبل ذلك أن خطب الغراندوق فردريك صاحب امارة بادن الأميرة أوجستا بنت ملك بافاريا لتكون زوجة لحفيده وولى عهده الامير شارل ، فلما انتهى مشروع هذا الزواج الى مسامع نابليون كتب الى الملك يأمرها بفسخ الخطبة ويقول انه أعد لأوجستا زوجا من عنده وهو الامير أوجين ابن زوجته جوزفين . وقد حاول الملك أن يصرفه عن الاعتراض قائلا إن مشروع ذلك الزواج قديم وإن الخطيبين متحابان يشق على كل منهما الافتراق عن الآخر ، ولكن نابليون لم يشأ أن يقيم لهذه الاعتبارات وزنا وأبى إلا أن تزف الاميرة الاغابة الى ربيبه فزفت اليه

وهكذا بقى الامير شارل ولى عهد بادن عزبا لا يملك حتى تزوجه بامرأة التى يريدها . وقد ارتأى الغراندوق من الخير أن لا يقدم على مغامرة أخرى تنتهى الى الفشل والخيبة كما انتهت سابقتها ، فكتب الى الامبراطور نابليون يسأله رأيه فى زواج هذا الشاب الذى انتزعت منه خطيبته قسرا فأجابه نابليون بأنه قد أعد للشاب زوجة من عنده وهى الاميرة ستيفانى ده بوهارنيه

واستسلم الشيخ لمشيئة ذلك الجبار المستبد الذى يزوج الناس رغم أنوفهم . ولئن يخطر أن تهبط عليه تلك المشيئة بأوامرها ونواهيها.أما الامير ولى العهد فقد كانت أميرات الدنيا كلها لستوين لديه لانه كان يحصل عليهن جميعا خادمات أمه وبنات عساكر الحرس وما يتيسر له صيده من نساء الحاشية . ولكن غضبت أمه المرجرافة آميليا [1] وقد كبر عليها الامر وهال كبرياءها أن يرغم ابنها على التزوج بفتاة ان تكن نبيلة فهى ليست من سلالة الملوك . وقد عارضت الاقتراح معارضة أعلنت أنها لا تطيق هذا التدخل ولا تصبر عليه ، وقالت إنها — وهى التى زوجت ابنتها الكبرى بملك السويد وابنتها الصغرى بقيصر الروسيا — لا ترضى أن تزف الى ابنها فتاة ولا تدرى من أين جاء بها نابليون ،

وكان الامبراطور يعرف من كبرياء هذه المرأة الشيء الكثير ، فسرّ عليها الى أن عرج على مدينة كارلسرو وهى عاصمة بادن فى عودته الظافرة من معركة أوسترليتس ، وهناك التقى بها واستفسرها سر معارضتها تزويج ابنها بالفتاة التى اختارها له وقال : « كنت أحسب أنكم سترحبون بهذه المصاهرة أو ترحبون بها فإلى أراكم مترددين ؟ » فتلعثمت المرجرافة ثم استجمعت شجاعتها وقالت : « كيف نرحب بها أو نرجوها يا مولاى وأنا كما تعلم أميرة ألمانية وبيتك لا تزالان تقطران من دم أبنائنا ؟ وقد عانت تجارب اثنين من أصهارى : قيصر الروسيا وملك السويد ، فهل ترى جلالتك أن الظرف مناسب لقيام هذه المصاهرة ؟ » فنظر اليها نابليون مدهوشا من جرأتها وقال : « ثم ماذا ؟ » قالت : « ولو كانت الفتاة التى تقدمها الينا من أهلك أو على الأقل تمت اليك بسبب لقبلناها راضين مغتبطين ، أما وهى غريبة عنك يا مولاى فكيف نلزمنا بها وتفرضها علينا وتريد أن تقحمها فى أسر الملوك ؟ » فسلط عليها نابليون وهج عينيه وصاح : « حسبك يا سيدتى ! لقد

(١) المرجراف «Margrave» لقب من ألقاب الامراء فى ألمانيا القديمة

تنتبها ... فهل يترع آل بادن من مصاهرتى ؟ ... انى أريد هذا الزواج وسيتم لى ما أريد وإلا محوت بجرة قلم اسم مملكة بادن من تحت الممالك المستقلة »

عندئذ بهتت الرجرافة وأطرقت ولم تستطع أن ترفع رأسها أمام ذلك الأفاق المتوج الذى يجهد المتول محو اسمها من سجل ممالك، والذى يخلع على ختة تكاد تكون من عامة الناس لقبا لا يكتسب إلا بالوراثة على مر القرون . وانتهز نابليون فرصة اضطرابها وكشفت سواها فنهض وقال وهو ينصرف : « أريد جوابا قبل هذا المساء »

وجاءه الجواب قبل المساء عما ينتظر . فلقد اجتمعت الأسرة المالكة ووازنت بين الأمرين اللذين لا محيص لها من مواجهة أحدهما وهما قبول مشروع الزواج والتعرض لزوال العرش والتاج ، فرضيت بما فرض عليها وتقرر أن يقام مهرجان العرس بباريس عقب وصول الامبراطور اليها

وأقيم المهرجان وغادر العروسان باريس ووصلا فى شهر يوليو سنة ١٨١٠ الى مدينة كارلسروهى عاصمة دوقية بادن . ولم تكد الشابة تدخل القصر الطويل الذى ستعيش فيه حتى أحست الفرق بين وحشة هذا القصر وبهجة قصر التويلرى وشعرت بانقباض شديد حاولت أن تتغلب عليه بقوة ارادتها وصدق رغبتها فى أن تعيش عيشة زوجية هادئة

بيد ان الأيام لم تلبث حتى كشفت لها عما لم تكن تعرف من أخلاق زوجها ، فلقد عاودت الأمير شارل ميوله الخبيثة فأطلق بصيد الخادمات فى القصر والفلاحات فى الحقول وهجر زوجته وتجنب منها فلا يكلف نفسه مشقة الطعام والاعتذار

ولقد كانت ستيفانى تعانى كل ذلك بحسرة وألم وتحاول أن تصبر وتتشجع آملة أن تتملك قلب زوجها يوما بحبها وكللها ولطف خصالها ، ولكن الزوج لم يزدد إلا تماديا فى غيه وانهماكا فى شهواته غير مبال بذلك القلب الذى فطرت الحيرة نياطه ولا تلك العيون التى ارهقها طول السهر وفرط البكاء

على أن همومها وأحزانها وقفت عند هذا الحد لهانت ولكن كان ينتظرها ما هو أدهى وأمر

كان الغراندوق فريدريك صاحب الدوقية قد جاوز الستين وأرمل منذ سنين ومع ذلك خطر له أن يتزوج . ولقد خافت الرجرافة أميليا ـ التى كان لها حق التقدم على سائر أميرات البيت المالك بصفتها أم ولى العهد ـ أن يصاهر حموها احدى الأسر المالكة الأجنبية فتأتى الزوجة الجديدة وتنزع منها هذا الحق الذى تعتز به وتحرص عليه

ولقد أوحى اليها ذكاؤها أن تتحاشى هذه المصاهرة فعمدت الى أحسان حينا حالة من وصيفاتها اسمها لويزة جاير وهى شابة يتيمة فى العشرين من عمرها كانت تربيها وتحسن اليها وتثق بولائها ووفائها ثقة كبيرة ولا تتوقع أن يقوم بينهما خلاف فى يوم من الأيام . وظنت الرجرافة أنها أحدثت

الى حبها امرأة لا خطر لها ولا قيمة ستعرف لسيدتها الكريمة ما أسلفت لها من المروءة والاحسان، واطمأنت الى ذلك وشكرت لله نجاح سعيها وباتت هادئة الفؤاد كمن دفع عن نفسه شراً واستراح

ولكن لوره جايير كانت فتاة جميلة فاتنة ، تبدو في ظواهر ساذجة بريئة وتخفي في ثنايا نفسها روحاً طماحة شريرة . فما لبثت بعد زواجها حتى استولت على عقل الغرانبوق الشيخ وتسلطت على ارادته فصارت لها الكلمة النافذة عنده توجهه كما تشاء وتنال منه كل ما تشاء

ولقد أنجبت في خلال السنوات الأولى لزواجها ستا وثلاثة غلمان كان مولد كل منهم يثير الدهشة والعجب في نفوس الناس ويبعث الاشاعات الى شفاه الدولة والأمراء الذين كانوا يعلمون أنها انما رزقتهم من عشيقها الكونت لودفيج ابن عم زوجها . ولكن لوره جايير لم تكن لتحفل بما يقال ولا لتأبه لما يشاع وانما كان كل همها في أن توطد مركزها على دعائم ثابتة تكفل لها المستقبل وتقيها شر تقلبات الأيام

ولقد سعت لدى زوجها المخبول سعي الطامعة المغامرة فنالت منه لقب « بارونة » أثر مولد ابنها البكر ، ثم لم يلبث زوجها حتى رفعها الى لقب « كونتيس » ثم أسبغ عليها لقب « أميرة » فصارت تسمى الأميرة هوخبرج . ولم تكتف تلك المرأة الوضيعة بهذه الألقاب الضخمة فحملت الغرانبوق على أن يجعل أولادها أمراء فكان لها ما أرادت ، وكان نجاحها في ذلك بمثابة الخطوة الأولى في سبيل تحقيق مطمعها الاكبر وهو اجلاس ابنها البكر على عرش بادن يوما من الايام

ولكن كيف يتحقق لها هذا المطمع ما لم تنتقل وراثة العرش من أصل الدوحة المالكة الى الفرع الجديد الذي نشأ ثمرة لزواجها بالغرانبوق فريدريك ؟ وكيف يكون هذا الانتقال ما دام الامير شارل زوج ستيفاني وولي العهد الشرعي حيا وقد يرزق غلاما يسد أمام أولادها السبيل ؟

الطريق اذن واضحة مرسومة ومراحلها معينة معلومة : فلا بد من التخلص من ستيفاني عقب زواجها بولي العهد قبل أن ترزق منه أولاداً ، أو التخلص من ولي العهد نفسه بقتله قبل ان يكون له وارث . فاذا تعذر هذا وذاك لسبب من الأسباب وشاء القدر للعاهل أن يهب ولي العهد من ستيفاني غلاما لم يبق بد من التخلص من هذا الغلام بقتله أو خطفه واخفائه ، وبذلك تنحسر ولاية العهد من الامراء الاصليين وتنتقل الى الامراء الفرعيين وفي مقدمتهم أولاد الاميرة هوخبرج

وانطلقت المرأة الداهية تحيك الشباك للأميرة الفرنسية وتنصب في طريقها الفخاخ وتدبر حولها المكائد والمؤامرات . وانضم اليها سائر أمراء البيت المالك يظاهرونها ويشدون ازرها مدفوعين بعامل الحقد على ابنة ذلك الامبراطور الجبار الذي أذلهم وأخضعهم لارادته . فكانوا يوافون ستيفاني بأخبار زوجها ويطلعونها على خياناته عسى أن تثور فترحل ، ولكنها

كانت تصبر وتتريث آملة أن يثوب شارل الى رشده ويقلع عن غيه . فلما أعياها الصبر وأعيتها الحيل وضاقت بها السبل ثارت أعصابها من فرط السهر والبكاء فمرضت وراح أعداؤها يشيعون أنها جنت وأن شفاءها من الجنون محال . بيد أن الله أراد لها أن تبل فأبلت وعادت لتكون قذى فى أعينهم وغصة لأنفسهم فماذا يصنعون ؟ حاولوا أن يسلطوا عليها سلطان الحب ليخرجوها من عفافها وشرفها وليشهروا بها بعد ذلك شر تشهير ، فقربوا اليها ضابطا شابا من ذلك النوع من الرجال الفاتنين الذين لا تمتنع عليهم أمنع حصون الطهر والعفة ، وكانوا يزعمون أن ستيفانى تخصه بكثير من عطفها ومودتها وقد ظنوا أنها ستجد فى تعشق هذا الفتى الجميل عزاء لقلبها الموجع وانتقاما من زوجها لكرامتها المهدرة فلا تلبث حتى تقع فى شرك غرامه وعندئذ تتم الفضيحة الكبرى ويكون الطلاق . ولكن ستيفانى فوتت عليهم هذا القصد السيء ولم تنطل عليها الخديعة فتحصنت وبقيت طاهرة نقية تتظاهر بأنها لم تفهم مرادهم ولم تدرك ما بيتوا لها من كيد عظيم

عندئذ لم يبق أمامهم الا أن ينغصوا حياتها ويبغضوا اليها الاقامة بينهم ، فطفقوا يتفننون فى اهانتها ويعنتون فى الاساءة اليها ولا يتورعون عن تعمد تحقيرها وتصغير شأنها ، فكانوا يسخرون من مشيتها وجلستها ومن هندامها وزينتها ، ويهزأون بالصدقات التى تجود بها وبالحفلات التى تقيمها ، ولا يدعون شيئا مما تفعله أو تقوله يمر دون أن يصبوا عليه جام تهكمهم اللاذع وانتقادهم المرير . وكانت الشابة تجاهد نفسها لكى لا تنهار فتتظاهر بالتعالى عن هذه الصغائر ولا توليها اهتماما ، وتغض النظر عن تلك العيون الشريرة نحوها كالسهام المسمومة وعن هذه القلوب التى تنبض غيظا منها وحقدا عليها . وكانت تحاول أن تسرى عن نفسها كآبة الوحدة وتهون على قلبها ثقل الهموم فتقيم من وقت لآخر مأدبة عشاء أو حفلة رقص تدعو الجميع اليها فلا يلبى دعوتها الا القليل . حتى زوجها كان يعرض عنها فى تلك الليالى وينصرف الى مغامراته غير مبال بكرامة امرأته ولا عابىء بالمركز الحرج الذى يضعها فيه . وكانت الأميرة المحزونة تصطنع المرح وتتكلف الطرب طوال تلك السهرات لكى لا تشمت أعداءها بها ، حتى اذا ما آوت الى حجرة نومها أسبلت دمعها للتفكر وقاست آلام قلبها الجريح

على أنها اذا كانت قد عدمت الأحباب والأصدقاء فى بلاطه فقد بقى لها فى فيينا صديق لم يتخل عنها ولم ينسها فى البأساء وهو أبوها الامبراطور . فقد أبلغه سميره الذى لاحظ بنفسه ما وصلت اليه حالها فتناول القلم وأرسل الى فرانسوا فردريك كتابا من تلك الكتب التى كانوا يسمونها صواعق نابليون قال فيه :

« علمت يا صاحب السمو أن ولدكم يسيء الى ابنتى ويسبب كثيرا من المتاعب لهذه الأميرة المغررة التى أراه غير كفء لها وغير أهل لحبها . وقد أميل الى الظن بأن ما يعترى سموكم من الملل والامراض هو الذى يجعلكم تتهاونون بالاهانات التى يعاملها بها أهلكم ورجال حاشيتكم . لقد

أحسنت الى جميعكم ورضيت أن أشرعه بمصاهرتي فلا كان بين أعضاء ذلك البيت من لا يشعر بهذا الشرف أو من لا يقدره فاني هنا لأعلمه كيف يشعر به وكيف يقدره . وإذا لم يكن في استطاعة حموكم أن تحملوا حبيدكم على أن يسلك نحو امرأته مسلكا آخر أقرب الى المروءة والشرف فاني استرد ابنتي ربما أرى لي رأيا في أولئك الذين سببوا تعسها وشقاءها »

ولقد نزلت هذه الصاعقة على رأس الغراندوق المحرور فأذهلت الثبة الباقية من صوابه فانطلق يعدو في حجرات القصر بخطواته المتعثرة حاملا الكتاب بيد ترتجف من الهول وهو يبكي ويردد كالمجنون : « الويل لنا جميعا من نابليون فلن تقوم لنا بعد غضبته قائمة » أما الدوق لودويج عشيق الأميرة هوخبرج ففر من بادن كلها ولجأ إلى مكان قصي لا تصيبه فيه ضربات الامبراطور . وأما الأمير شارل زوج ستيفاني فاعتكف أياما في غرفة نومه لا يبرحها منتظرا ما سوف يجيق به مشدوها طائر الصواب

وطودت القوم فكرة عن موقفهم من خريطة أوروبا مرة ثم محطها نابليون فأوحت اليهم أن الحكمة كل الحكمة هي في أن يلتمسوا امنه وأن يستعطروا لعلها تمر ويترسموها لعلها ترسى . ورأى الدوق شارل أن لا سلام له الا بالتقرب من امرأته فأخذ يعهد لهذا التقرب ويسعى اليه ، ولم يمض طويل زمن حتى ظهرت على الأميرة علامات الحمل فما أعلنت حملها أدرك الجميع أن التصالح والتعطف قد حلا بين الزوجين محل التنابذ والجفاء

ولقد كانت شهور حمل ستيفاني شهور قلق وهم وعناء للأميرة هوخبرج التي شهدت أن صرح أمانيها يتداعى وينهار . فلئن وضعت الفرنسية غلاما فالعرش له بعد أبيه وعفاء على الآمال التي عقدتها على أبوة هذا العرش الى أحد أولادها . ولكن الله سلم ووضعت ستيفاني حملها فاذا هي أنثى لا ترث العرش ، فطربت الاميرة هوخبرج واستبشرت خيرا وتجدد في نفسها الامل وأيقنت أن الله معها يهيء لها السبيل الى مطامعها الكبار

وتوفى الغراندوق فريدريك عقب ذلك بأيام قلائل من العمر ثلاثة وثمانين عاما وتبوأ الدوق شارل عرش بادن غير منازع واقتسمت ستيفاني هذا العرش الى جانبه تحمل لقب الغراندوقة ولا ترجو من الله أكثر من أن يهب لها غلاما يكون وليا للعهد ويرث العرش بعد أبيه

أما زوجها فلم يكن لم يقلع عن خبث طبعه ولم يكبح جماح شهواته وظل يجرى وراء الخادمات والفلاحات ، فقد كان تهديد نابليون يطن في أذنيه ويحدثه في كل لحظة أن هناك سيفا معلقا فوق رأسه وأن هذا السيف كقضاء الله يهوى على غير موعد فيجز الرقاب . ولقد أدته حكمة الجبان أن الخير كل الخير في مصافاة امرأته والجد في ترضيتها ، وأوحى اليه الحرص على عرشه أن لا يدعه نهبا للادعياء من أولاد الاميرة هوخبرج الذين سيرثونه حتما إذا لم يلد غلاما يرثه من بعده ، فلم تمض شهور حتى أعلن حمل زوجته ، وفي التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨١٢

ووضعت الغرانددوقة ستيفانى طفلا ذكراً قرر الاطباء وقرر الذين رأوه أنه سليم التكوين قوى البنية لا عيب فيه

وسعادات قوم عند قوم مصائب ! ولعمرى أى سعادة لستيفانى أعظم من مولد هـذا الطفل الذى رزقته بعد يأس فأمنها على مستقبلها ووقاها كيد أعدائها وربطها الى بعلها برباط وثيق ؟ وأى مصيبة أعظم على الأميرة هوهبرج من هذا الطفل الذى هدم مولده صرح أمانيها وعصف بعظامها وموت عليها عرشا كرست له حياتها وعقدت عليه كبار الآمال ؟

فبينا كانت ستيفانى نفساء فى سريرها راضية النفس قريرة العين تنظر الى المستقبل نظرة الطمأنينة والرضاء ، كانت عدوتها الاميرة هوهبرج هائجة قلقة مضطربة ، تروح وتغدو كالتى يتخبطها الشيطان من المس ، لا يهدأ لها بال ولا يستقر لها قرار . ماذا ؟ أيعيش الطفل ويرث العرش ويسد أمام بكرها الطريق ! لا . لا بد من التخلص من هذا الطفل بأى ثمن وبأية وسيلة ومن أى طريق !

ولقد ظلت خمسة عشر يوما تفكر وتدبر وتحكم التدبير فتتصل بأناس ذوى سحن غريبة وحركات مريبة وتطيل الاختلاء بهم ، وتختلف الى بيوت حقيرة فى أزقة المدينة من دون أن يعلم أحد سر اختلافها اليها . وبالها من ساعات مريرة كانت تقضيها شاردة الفكر مقطبة الجبين شاخصة الى الأفق كأنها تحاول أن تستشف ما وراء الحجب أو أن تقرأ الغيب فى لوح السماء . ويالها من ليال طوال كانت تقضيها مسهدة قريحة الجفن محمومة تنتفض كالملسوع وتتلوى كشلو تنهشه أنياب الهموم

لم يكن قتل الطفل أو اختطافه من غرفة نومه أمراً ميسوراً ولا مأمون العاقبة ، لأن أبويه لا محالة سيثيران الأرض والسماء فى سبيل معرفة القاتل أو الخاطف وستتجه الظنون أول ما تتجه الى أعداء ستيفانى والى الذين لهم مصلحة فى زوال هذا الطفل من الوجود

لا مندوحة اذن من اللجوء الى طريقة لاتثير الريب ولا تحمل على البحث والتحقيق ، ولكن هذه الطريقة أن تستبدل بالطفل السليم الباقى الراقد فى فراشه الوثير طفلا آخر مريضا محكوما عليه بالموت القريب تضعه فى سريره فيلبث يوما أو بعض يوم ثم يقضى نحبه فيبدو موته طبيعيا لا يدعو الى التقلق والارتياب

وظل الطفل يقيم بين مرضعته وحاضناته فى حجرة بعيدة عن حجرة نوم أمه وقد رضع لآخر مرة قبيل منتصف الليل ثم نام نوما هادئا فحق للمرضعة والحاضنات أن تأوين الى فراشهن وقد كن جميعا يشكين من شىء كالدوار أصاب رؤوسهن وأثقل جفونهن بالنعاس فما كدن يستلقين على سررهن حتى غططن فى نوم عميق

ولشد ما دهشن عندما أفقن قبيل الفجر على صوت بكاء الطفل وقمن من نومهن يترنحن

كالمخمورات مصدعات الرءوس متخاذلات السيقان فأنين الطفل يتلوى ويئن ، وقد تشنجت أعصابه وتقلصت عضلاته وبردت أطرافه وتغيرت ملامح وجهه وبدت على محياه أمارات مرض طارىء شديد

لقد أودعته الفراش منذ ساعات وكان سليما لا يبكي ولا يتوجع ولا تظهر عليه أعراض مقلقة . فماذا حدث له خلال تلك الساعات ؟ وما هذا المرض الذي قلب صحته وغير قسمات وجهه حتى ليكاد الناظر إليه يشك في حقيقته أو لا يعرفه ؟

ذلك هو سر الأميرة هوخبرج . فلقد دست للمرضعة والحاضنات المخدر في الطعام أو الشراب ، حتى إذا فقطن في نومهن جاءت برجل من أولئك الذين كانت تختل بهم في القصر أو تختلف إلى بيوتهم في المدينة ، فاحتمل الرضيع من سريره ووضع في مكانه طفلا آخر لم يكن لدى أبويه شك في أنه لن يمضي سحابة اليوم على قيد الحياة فأعطاه لقاء مبلغ من المال

ولقد حاولت مرضعة الطفل وحاضناته أن يسعفه بما تيسر لهن من وسائل العلاج ، ولكن الداء اشتد به حتى خشين عليه أن يموت بين أيديهن ، فلم يشأن أن يخطرن أمه النفساء لكيلا يتأثر شعورها بهذا الخبر المزعج واكتفين بأن يبلغن الأمر إلى سيدهن الغرانديوق الذي هاله الخبر فأسرع فاستدعى الطبيب

وجاء الطبيب وفحص الطفل وحار في وصف الداء إذ استحال عليه أن يوفق بين الأعراض الظاهرة أمامه والحالة التي تؤكد المرضعة أنها تركت عليها الغلام منذ ساعات ثم قرر أن الحالة جد خطيرة لا تحمل على التفاؤل ورجح أن يقضي الطفل نحبه قبل المساء

وفي عصر النهار مات الطفل بعد آلام مبرحة ونزع مرير . واحتشد أمراء البيت المالك وأميراته حول الغرانديوق شارل يعزونه ويهونون عليه وقع المصاب ، ونصحت له الأميرة هوخبرج وأيد الآخرون نصحها أن يترفق بصحة الغراندوقة ستيفاني فلا يفاجئها بنبأ وفاة ابنها حتى لا تنتكس ، ولم ير الغرانديوق في كل ذلك إلا عاطفة نبيلة توحيها الرحمة بالأم والرفق بصحتها

وكان يومئذ قد انقضى على وفاة الطفل لما دخل الغرانديوق شارل على زوجته وهو يحاول أن يكفكف دموعه التي تتساقط من عينيه ، ولقد جلس إلى جانبها يربت بيده على رأسها وكتفها ، ولم يكد ينطق بكلمات يمهد بها لنبأ الفاجع حتى أدركت ستيفاني بحس الأم الذكية أن مصابا قد نزل بها فصاحت : « كيف حال الولد ؟ » ولما أيقنت من بكاء زوجها ومن ضمه إياها إلى صدره أن حدسها لم يخبها قفزت من سريرها وهرعت إلى غرفة الطفل مولولة : « ولدي . ولدي . » ولكنها لم تكد تقترب من الباب حتى تلقتها الأميرة هوخبرج بين ذراعيها وناشدتها أن ترحم نفسها وشبابها وأن تبتعد عن هذا المنظر الأليم . وأقبلت الأميرات الأخريات يشاطرن صاحبتي الرأي ويلاطفن الأم الثكلى ويدفعنها في رفق ولين إلى حجرتها مظهرات من دلائل العطف والمواساة ما جعلها تنقاد

حزن وتعود ادراجها من دون ان ترى ابنها المسجى على سريره . وهكذا حمل القوم الغلام وواروه التراب ولم يسمحوا لأمه ان تتزود منه بنظرة أخيرة ولا ان تشيعه الى القبر بقبلة الوداع

ولقد طاب للاميرة ستيفانى اول الأمر ان تعتقد ان اعداءها قد لانت قلوبهم لمصابها ورقت عواطفهم لآلامها حتى اشفقوا عليها ان تتعرض مختارة لسوء اذا هى صحبت جثة ابنها الميت فحالوا بينها وبينه مدفوعين بذلك الخلق الانسانى الذى تسقط أمامه الضغائن وتمحى الاحقاد ولا يبقى على الا العطف على المصاب والرثاء للمنكوب

بيد انها اذ خلت بنفسها اخذت تستعرض الظروف العجيبة التى توفى فيها طفلها الصغير وتحاول ان توفق بين الحالة التى تقول الوصيفة انها تركت الغلام عليها والحالة التى وجدته فيها عند الصباح فلا ترى سبيلا الى التوفيق . واستذكرت ما قيل لها من أن سحنة الطفل قد تغيرت وملامحه تبدلت حتى كادت مرضعته تنكره أو تشك فيه ، وما نقل اليها من حيرة الطبيب فى وصف الداء . وعجبه من ان يستشرى بالغلام إلى هذا الحد فى بضع ساعات وغير مقدمات ، ووصلت أملم ذهنها الى سبب كل ذلك حيلولة اعدائها بينها وبين ابنها وهو على سرير الموت ، وفكرت فى ماضى الأميرة جوزفين معها وتمثلت سلوك هذه الشيطانة نحوها وعجبت لتلك المرأة الشرسة كيف تنقلب حيال الأم انسانا مواسيا رحيما ، وتلك العواطف المتحجرة كيف تستحيل ما بين ليلة وضحاها عواطف لينة كريمة تفيض عطفا وحنانا وتتفجر رقة واخلاصا !

وقد جعلت تقلب هذه الافكار فى رأسها وتزن الأشياء بميزان عقلها واحساسها ، بدت فى عقلها فكرة هائلة مروعة لم تستطع أول الأمر أن تواجهها لفرط بشاعتها فصارت تسائل نفسها رويداً رويداً وفى حرج ولهفة . ترى هل الطفل الذى حملوه الى القبر هو ابنى حقيقة أو هو طفل محتضر استبدل به ليوهمونى أن ابنى مات ؟ ولقد أخذ هذا الهاجس ينمو فى ذهنها ويتجسم ويقوى ، وكلما حاولت أن تصرفه عنها عاد يساورها فى نومها وفى يقظتها فلا يدع لها قدرة على التفكير فى شيء سواه

ولكن أين الدليل الذى يؤيد وساوسها وهواجسها وأين القلب الشفيق الذى يحنو على لوعتها فتبثه شجونها وتشركه فى أمرها ، وأين الصديق الوفى الذى يؤمن بوحى قلبها ويصدق حدسها فيعاونها على استكشاف الحقيقة وازاحة الستر عن السر الرهيب ؟ لقد كانت تعيش فى جو من عداوات وأحقاد لا ذنب لها فيها سوى انها غريبة فى وسط قوم يكرهون الفرنسيين ، فهل من الحكمة وسداد الرأى أن تصارح هؤلاء الناس بما يساور نفسها من الريب والشكوك فيرمونها مرة أخرى بالهوس والجنون ؟

كان ذلك فى سنة ١٨١٢ وقد أخذ نجم نابليون ينحدر فى الأفق ويؤذن بقرب الأفول اثر عودته من حملته على الروسيا التى هلك الجزء الاكبر من جيشه فيها تحت الثلوج ، وقد أدركت

أوربا ان الحوادث كلها تنذر بسقوط الصلاق ، فكان من الطبيعى أن يتأثر مركز ستيفانى بين أهل زوجها بانحطاط مركز أبيها ، وأن يرى أعداؤها فى انشغال الامبراطور عنها بالحوادث الجسام المحيطة به فرصة للعود الى إذلالها وإيذائها . ولكن المصيبة المشتركة كانت قد جمعت بين قلبي الزوجين وربطتهما برباط من الحب المتبادل والعطف الأكيد ، فكان لستيفانى من عواطف زوجها عزاء فى بلوائها وسلوة لأحزانها وحصن يقيها ضربات الأعداء ويدفع عنها كيد الكائدين

بيد أن زوجها كان أميراً ألمانيا قبل كل شيء . ولما كانت أوربا قد بدأت تأتمر بنابليون لتجهز عليه وأخذت تسير الجيوش لتضربه الضربة القاضية قبل أن يستجم ويسترجع قواه ، رأى الغراندوق شارل نفسه مضطراً الى مسايرة السياسة الألمانية فى خطتها والى الاشتراك فى الحملة المسيرة على فرنسا . وهكذا ألفت ستيفانى نفسها مكرهة بحكم مركزها السياسى على أن تكتم ميولها وتكبت عواطفها وتقف فى الصف الذى شاءت الأقدار أن يقف فيه زوجها ضد أبيها وولى نعمتها المحبوب

ويالله ما أقسى ذلك اليوم الذى ذهبت فيه مع زوجها لتستعرض الجيش المسافر لغزو وطنها وتحيي أولئك الجنود الذين سيحاربون أباها وتخطبهم فترجو لهم النصر والتوفيق وهى تتمنى فى قرارة نفسها لو ينزل الله صواعقه على هذا الجيش وعلى كل الجيوش المناصرة له فتجعله كعصف مأكول !

ولما انخفض نجم نابليون بعد هزيمته فى واترلو عن تلك القمم التى طالما انحسرت لها الرءوس ، وغابت شمسه عن تلك العيون التى لم تألف قبل ذلك أن تنظر الى مافوق مواطىء النعال ، ولما لم يعد شبحه الهائل يبعث الهلع الى القلوب والفزع الى النفوس ، خلع الألمانيون برقع المداراة والرياء وبرزوا لستيفانى بوجوههم المتجهمة وأنيابهم الحادة وكشفوا لها عن خبيء صدورهم وناصبوها العداء جهرة وفى وضح النهار

ولقد صارحوا الغراندوق شارل بأنه ليس مما يجمل به أن يستبقى بجانبه على عرش بادن دخيلة فرنسية ، تنتسب الى الطاغية الذى طالما استعبدهم واستذلهم ، وزينوا له أن يقصيها عنه بالهجر أو بالطلاق . ولكن ستيفانى كانت قد أسرت زوجها بوفائها وحبها ومصائبها وتضحياتها ، فلم يكن لنصائح أهله من أثر إلا ازدياد تعلقه بها وتقديره إياها فأقبل عليها بعصمة قلبه يجيش عليها من علامات حبه آيات بينات

وشاءت الأيام أن تبسم لها مرة أخرى وأن تجبر خاطرها الكسير أو أن تلوح لها فى وسط الظلام المخيم على حياتها بريق من النور يبعث فى نفسها الأمل والرجاء فوضعت غلاما فى سنة ١٨١٨ وآلت هذه الثمرة لتحيطه عنايتها وتحرسه بنفسها وتقيه كل سوء . ولقد أحست ملح الكمد الذى حل بقلوب أعدائها حين مولد هذا الطفل الجديد ، وقاست بنظرها مدى اليأس الذى استولى على نفوسهم بعد ما تلألأ فى سماء القصر نجم ذلك المولود ، وأدركت أن خدمهم يلاحقه فى المهد كما لاحق أباه من قبل ، فحرصت عليه أن تمتد اليه يد غريبة وخصصت له شقة فى طبقة من القصر

لا يصعد اليها أحد إلا بإذنها وأقامت حوله حرسا من الرماة والحارسات اللاتى تثق بولائهن وتعتمد على اخلاصهن ، ولم تتحرج فى اظهار مخاوفها والجهر بالحذر من أعدائها وحسبت أنها بذلك قد حمت طفلها فى حصن حصين . ولكن هذه الاحتياطات كلها لم تجدها نفعا ومات الطفل بعد مولده بأسابيع اثر مرض مفاجىء قضى على حياته بعد ظهور أعراضه بساعات

ومصائبها اما نزلت لا تزال تترى بل تتلاحق وتتوالى كأنها على موعد . فلم يكد الحول يتم دورته على وفاة الطفل حتى أصبح الغراندوق شارل ذات يوم فاذا به يحس مغصا فى أحشائه ونارا تلهب جوفه ، واذا بنيته القوية وشبابه الغض لا يقويان على مقاومة هذه الاعراض الطارئة فيقضى نحبه آخر النهار . ويجىء خادمه الخاص فى اليوم التالى فيتجرع كمية كبيرة من السم تودى بحياته ولا تمكنه قبل أن تقبض روحه من أن ينطق بأكثر من هذه الكلمات : « لقد خنت سيدى ولم أطق العيش بعد هذه الخيانة . . . »

وهكذا انهار آخر صرح كانت ستيفانى تحتمى به . وألفت نفسها مكشوفة فى العراء وحيدة عزلاء مستهدفة للضربات من كل صوب . فاستسلمت لقضاء الله واختارت لنفسها عزلة قصية فى قصر قديم بمدينة مانهايم وكتب عليها أن ترى ولاية العهد تنتقل الى أكبر أولاد عدوتها الاميرة هوخبرج ولأن تشهد بعينيها ملك الزنيم يجنى ثمار جرائم أمه ويعتلى العرش ويستهل المراسيم بقوله : « نحن ليوبولد الأول غراندوق بادن بنعمة الله ... »

حسن الشريف

كلمات

- اذا أحببت المرأة وعرفت كيف تنجح فيما تمت لك السيطرة على صوابك

(كارليل)

- حب الأصدقاء كالملابس : تبليها كثرة الاستعمال

(بورجيه)

- قبل أن تصدر الحكم على الآخرين ، احكم على نفسك

(تولستوى)

عرض وتحليل :

قوة الشخصية

La Personnalité Par Henri Massé

للباحث الاجتماعي فوزي ملب

يمتاز هنري ماسيه بدعاته الأخلاقية بين الصلة الوثيقة بالحياة اليومية . وهو مفكر يرمي بدراساته الى تقويم سلوك الفرد وتنمية كفاياته وإعداده للنجاح في الحياة . وأهم مؤلفاته : « كيف تعيش أحراراً » و « كيف تكون منتصراً » و « هنا حياة الروح والأعصاب » و « قوة الشخصية » . ويعتبر كتابه الأخير الذي نقدمه للقراء خير مؤلفاته وأشدها اتصالاً بحياتنا العملية

ليس فينا من لم يتأثر برجل من الرجال ويخضع له ويشعر حياله باحترام مقرون بالتقدير والاعجاب . وليس فينا من لم يتهيب النظر الى متفوق أو التحدث اليه أو التقرب منه أو مناقشته أو معارضته سواء أكان هذا المتفوق رجلاً أم امرأة

فهذا الاحساس بالهيبة المشوبة بالخوف هو الدليل القاطع على اكتمال قوة الشخصية . والواقع أن القدرة على تكوين عناصر الشخصية من الاعراض العسيرة الشاقة التي لا نستطيع الفوز بها إلا بعد جهاد طويل . ولكن الظفر بها آخر الأمر يفتح أمامنا أبواب الحياة ويمكننا من تحقيق مثلنا العليا ويوحي الى الغير الثقة بنا ويعيننا حتى الاضطلاع بعظائم الاعمال

وما تاريخ العالم في الحقيقة إلا تاريخ الرجال أصحاب الشخصيات القوية . وقد تحدث ظروف البيئة وأساليب التربية وأنواع الثقافة وتطورات الحياة الاقتصادية أكبر الأثر في تكوين الرجل العظيم ، ولكن شخصيته القوية هي التي تنتفع بالحوادث وتوجه الظروف وتسير المقادير وتخلق حالات استثنائية حديثة تتطور بالامم والشعوب تطوراً يقيم حضارة ويهدم أخرى ويفرض نظاما ويلغي آخر

فصاحب الشخصية القوية يشارك الطبيعة في عملية التطور . وكلما كان عقله ثاقباً وخياله متقداً وإرادته حديدية صلبة ، كان أعمل في التأثير على محيطه وأقدر في توجيه شعبه وحضارة عصره وجهة خصبة جديدة

ولقد كان (يوليوس قيصر) يقول : « لم أحتج في شتى ظروف حياتي التي اعترضت خطورتها إلا الى نظرة ألقيها من عيني المتقدتين على انسان كي يخضع هذا الانسان لأمري وينزل على إرادتي ويصل عشيقتي وسلطاني . ولا يتوهمن الناس أني أذكى الذين كانوا يخضعون لي لأني قيصر ، فأنا نفسي كنت أتوهم ذلك ، ولكني بعد أن خبرت شخصي وأمعنت النظر في أخلاقي وفي أسلوب تفكيري وفي حماس مسلكي حيال مرؤوسي ، أدركت أن قوة شخصيتي ، قوة شخصيتي التي استمدتها من حضارة فكري وارادتي ، هي التي كانت تشع مني بالرغم مني وهي التي كانت تسيطر على كل من يتصل بي ! »

ومثل هذه القوة تحدث عنها نابليون وولنجتون وكرومويل وريشليو وبسمارك ومعظم القادة والمفكرين الذين خلقتهم الطبيعة فخلقوا أنفسهم ثم خلقوا التاريخ

وليس للفرد العادي أن يتوهم في نفسه العجز عن مجاراة أولئك الأبطال . ففي وسع كل منا أن يكون بطلا في ميدانه . وفي مقدور كل منا أن يساهم في تطور بلاده وعصره ، وفي مستطاع كل منا أن يكون قوي الشخصية موفور عناصر الارادة والنجاح على شرط أن يعرف كيف يهذب شخصيته وينميها ويتبين جوانب قوتها وضعفها ويجاهد جهاداً يومياً مطرداً لاكتسابها ذلك الطابع التأثيري الذي يحس به الناس ويشهده المجتمع وتدين له الظروف وتتحقق بواسطته الاعمال الجديرة بأن يعيش الانسان ويفكر ويتألم ويضحي من أجلها

فخير الطرق لاحراز شخصية قوية والتفوق بهذه الشخصية على النفس والغير ، هو موضوع هذا الكتاب وهو ما سنحاول عرضه وتحليله

• • •

ان حوادث الحياة تمر بنا كما تمر السفن على سطح المحيط . فنحن ملك العالم الظاهري يتصرف فينا ويوجهنا أي الوجهات يريد . وما حياتنا إلا حلم من أحلام اليقظة ولهذا السبب نجهل في الغالب حقيقة أنفسنا

وانه لمن أشق الأمور علينا أن نكتشف بواطن شخصياتنا طالما لم نتحرر من مؤثرات الحياة الظاهرة ولم نفصل بين عقلنا والعالم ولم نستفق من ذلك الحلم الذي تنقضي فيه أعمارنا

فأول شرط من شروط الفوز بشخصية قوية هو أن نبتعد عن صخب الحياة ونقصي أوضاع المجتمع ونهبط الى أعماق أنفسنا مجردين من كل غاية ، منزهين عن كل غرض ، حاملين مصباح العقل كما يحمل الغواص مصباحه في قاع اليم

ولا ريب في أن لكل منا خاصة ممتازة أو ملكة نادرة أو موهبة بارزة ، فهذه الملكة أو الموهبة هي التي يجب أن نستوثق منها قبل كل شيء ، وهي التي يجب أن نبحثها ونحللها ونلاحظ أعراضها ، ونرى ما اذا كانت وثيقة الصلة بالواقع متفقة وأسباب الحياة العملية ، فاذا ما أدركنا بعد

طول المرس والاختبار أنها كامنة فيا حتا وأنها زاخرة بالنشاط حافلة بالحركة ، فلبرزها ولنصقلها ولتهيء لها الظروف الصالحة لنموها ولتخضع سائر قواها وسحرها لخدمتها . وفي غضون هذا السعي المتواصل ينبغي أن نلم إلماماً تاماً بما فيها من مواطن الضعف التي قد تعطل حركة مواهبنا وتعرقلها وتحول بينها وبين الظهور والاكتمال

وأشد ما يعطل المواهب ويضعفها ، فساد الاخلاق . وقد يكون الرجل ذكيا ثم يكون بليداً ، وقد يكون نابغا في علم من العلوم أو فن من الفنون ثم يكون خائر النفس منهوك الأعصاب بالسا عابراً متبرما ، وقد يكون من كبار الساسة ومن أقطاب رجال الدولة ، ثم تستحثه الزلفى ويطربه الملق ، وقد يكون من أئمة الدين وأعلام الفصاحة ثم يعبث بالعصبية فيصيب الدين في الصميم

فمعرفة النفس حق المعرفة والوقوف على ما فيها من مواطن النبوغ والتفوق ثم تغذية هذا النبوغ بتفجير الطاقة ثم تمهيد السبل أمامه وارتحاله بالحرص على الاخلاق القويمة ، تلك هي العناصر الرئيسية الاولى التي لابد من توافرها لتكوين الشخصية القوية

* * *

اذا كان من المعجز أن تنهض الشخصية القوية على قاعدة التفوق في علم أو أدب أو فن ، فإن العبث اظهار قوة الشخصية بدون أخلاق . فالعلم وحده لا يكفي والتفوق الفني أياً كان لايكفي وليست العبرة في أن تكون نابغا بل في أن يقترن نبوغك بأخلاق ممتازة تؤكد قيمتك وتعزز سلطانك وتحمل الناس على الثقة المطلقة بك والتسليم لك بمعالجة أدق المشاكل وأخطرها والاعتماد عليك في تحقيق عظائم الامور

والظاهرة الملحوظة أن عدد النوابغ كبير ولكن عدد النوابغ المشهورين بالخلق القوي والذين يمكن الاعتماد عليهم ساعة الشدة جد قليل . فالمجتمع لا يقدر النبوغ الفني إلا مقترنا بالاخلاق ولا يعترف لصاحب هذا النبوغ بقوة الشخصية إلا متى اكتمل فيه سلطان الاخلاق

ولكن ما هي هذه الاخلاق التي يعرف بها صاحب الشخصية القوية ؟ هي :

أولا — حب العمل

ولا شك في أن حب العمل والانكباب عليه والاستمرار فيه والدأب على تجويده ، من الخصائص التي تثير الاعجاب وتستثير شعور المحاكاة وتتخذ مثلا وقدوة وتدل على الثقة وتبعث على الثقة

ثانيا — الترفع عن مغريات المادة

هذه الخاصة يعلق عليها المجتمع أعظم اهتمام ، إذ الولع بالمادة لا بد أن يخلف في الفرد مصلحته

الخاصة على مصلحة المجموع ، ومتى تغلبت المصلحة الخاصة وتمكن من النفس حب المال وسادت المحسوبية وفشت الرشوة ، تعطل العمل وفسد ، وتبلد الضمير واضمحل ومات

فالاخلاص التام للعمل ولو لم يتناسب الجهد مع الأجر ، والاستعداد الدائم لمقاومة الاغراء المادى ، والامتناع المطلق عن استخدام المنصب أو النفوذ لكسب ربح شخصى ، والتوجه المطرد بالفكر والقلب والضمير صوب الخدمة العامة ، كل هذه العوامل المنطوية على روح البذل والتضحية تؤلف فى الواقع جانبا رائعا من جوانب الشخصية الفذة القوية

ثالثاً — الصراحة فى القول

من حق السياسى وحده أن يراوغ بل قد يكون هذا واجبه وبرهان قوته أما غير السياسى فصراحة القول يجب أن تكون شعاره

والصراحة من أدلة الاباء وعزة النفس وعلو الهمة وحب الاستقامة . وأما المراوغة والمماطلة والتسويف وإخلاف الوعود والتردد فى ابداء الرأى الحاسم أو كتمانه وإيثار حجبه تحت ستار المجاملات ، فمن أدلة ضعف الفكر وضعف الخلق ونقص الشجاعة

وهى فى الغالب بأن الصارحة برأيك الصحيح فى مسألة من المسائل خشية أن تخرج على مألوف عادات ومعتقدات راسخة وتؤلب عليك الغير وتصطدم بممارسة قوية وتثير الزواصف حول أنفسنا . وقد يكون الجهر بالرأى فى مصلحتنا فنضحى بهذه المصلحة الخاصة خشية الاحتفاظ بهدوئنا . وقد يكون الجهر بالرأى فى مصلحة وطننا فنضحى بهذه المصلحة العامة ونسىء أبلغ الاساءة الى بلادنا وهكذا نشر الجبن ونمضو الى النفاق ونروج رذائل الغش والتملق والاستخفاف وعدم الاكتراث

فالقوى حقا هو الذى يفكر ويحول وينفذ ، هو الذى يصارع ويتحدى ويتحمل . وقد تختلف نسب المصارحة باختلاف القدرة على تحمل نتائجها . ولكن المهم أن يوفق الانسان بين قدرته على المصارحة ومدى استعداده لتحمل نتائجها . وما دام قد وطن العزم ولو على تحمل بعض تلك النتائج فقد دنا من الغاية وشارف حد الشخصية القوية

رابعاً — الثبات على المبدأ

لا ريب فى أن الثبات على المبدأ من أظهر سمات الرجل القوى . ولكن حب الحق من أخص سماته أيضا . وكما تبدو قوته فى استمساكه بفكرته وثباته عليها وصلابته فى الدفاع عنها ، كذلك هى تبدو فى رحبته الشديدة فى الاذعان للحق متى اهتدى اليه بعد تفكير طويل . فهو فى الحقيقة لا يثبت على مبدأ معين الا ليقينه بأن هذا المبدأ هو الحق ، ولو طالبناه بالثبات على غير ما أصبح يعتقد أنه الحق ، لطلبنا منه رجلا متعصبا وجردناه بالتالى من احد مظاهر العظمة والتفوق

ومن الناس من لا يفرق بين صفة الثبات على المبدأ ورذيلة التعصب للمبدأ . وهما جد مختلفين شأناً . إن الثبات على المبدأ قوة إيجابية تنبع من الفكر لتستقر في العاطفة . أما التعصب للمبدأ فقوة سلبية تنبع من العاطفة لتستقر في العاطفة

وإذن فبقدر ما يشترك الفكر في تكوين المبدأ يكون حظ المبدأ من التوحد على أساس الحق ، وبقدر ما تشترك العاطفة في تكوينه يكون حظه من الرسوخ على أساس الباطل . لأن العاطفة تؤخذ بالظواهر وتخدع بالألوان وتفتن بالصور ، وقل أن يتكلف أصحابها مؤونة البحث عن حقائق الأشياء

فسر القوة والحالة هذه ينحصر في الثبات على مبدأ يوحى به العقل الثاقب ويستخلصه الفكر الناقد ويمحصه الذهن الحر الخالص من شوائب التعصب الباطل الممقوت

خامساً — احترام النفس

إن لم يحترم الإنسان نفسه فلن يحترمه الناس

واحترام النفس معناه أقامة حاجز من التحفظ النفسي بين الفرد وبين من هم أقل منه إدراكا وأضأل عقلا وأضعف شخصية وخلقا . واحترام النفس معناه أيضا تجنب الهون واتقاء شر التبذل وعدم الاسترسال في المزاح واتباع روح الجد والظهور على الدوام بمظهر الوقار والرصانة . ولا ينبغي أن يتطور شعور احترام النفس فيبلغ حد الغطرسة والكبرياء . بل يجب أن يكون شعورا بالكرامة نقيا سليما يقترن به الترفع بالتواضع والشدة باللين عند الاقتضاء . ولكن احترام النفس لن يكون عميق الأثر في النفس الا متى تمثل في احتقار الملق وازدراء المداهنة وكره التمسح بالكبراء ذوي الجاه والنفوذ

وليس شك في أن صاحب الشخصية القوية يعرف بالكتفائه بنفسه واعتماده على ذاته وتعويله على عمله وتبرمه التام بمختلف أساليب الكذب والنفاق وشتى أنواع المداجاة والرياء

سادساً — خشونة الحياة

من أروع مميزات الشخصية القوية نفورها من الحياة الناعمة الرخوة وإقبالها على كل عمل فيه جهد وفيه خشونة وفيه رجولة . فازدراء أسباب الترف والعزوف عن أبسط المتع والتجرد والتقشف عند الحاجة ، من الفضائل الدالة على أساس متأصل بالقوة وعلى رغبة صادقة في الاخلاص للفكرة والتضحية من أجل مبدأ أو عمل

والحق أن الحياة الفاترة المادية المرفهة بألوان الرفاهية والنعمة تخنث الطباع وتقضي على واهب وتفسد الرجولة وتضعف حاسة الاقدام والمغامرة وتزعزع الارادة من الاعماق

فالقوة والحالة هذه تقتضي في بعض الأحيان التغلب على معاني ومباهج المدنية ، والعودة بالنفس والجسد الى بعض نوازع الفطرة السليمة ، والارتداد بالحياة الى أصولها الوحشية الاولى خدمة للفكر وخدمة للحياة !

سابعا — كبح الاعصاب

التحكم في الأعصاب ميزان القوة . فكلما استطعنا كبح أعصابنا ازداد تأثيرنا على الغير ورسخت في النفوس عظمة شخصيتنا . ورياضة الاعصاب تمكن من رياضة العقل ، لأن ضبط انفعالاتنا يسهل علينا مراجعة تفكيرنا والتعمق فيه واقناع خصمنا بصوابه واتجاهنا الى العثور عليه

والملاحظ أن لا شيء يقلق الناس ويربكهم ويستفز احترامهم ويوحي اليهم الهيبة أكثر من شعورهم في حضرة انسان قادر على كبح أعصابه . وذلك لأن هدوءه يضطرهم الى الهدوء ويرغمهم على التعقل ويضطرهم الى استعمال الفكر في حين منعهم بدلا من استخدام التهيج والعنف

وحيث أن الناس في مجموعهم لا يحسنون التفكير لفرط خضوعهم لسيطرة أعصابهم ، فالذي يعرف كيف يكبح أعصابه يتفوق عليهم بعمق تفكيره ، وهكذا يسوقهم الى طاعته ويجبرهم على احترامه . فمهما حاولت فلن تكون قوي الشخصية إذا كانت أعصابك أقوى منك

وأما الاساليب التي تؤدي بك الى التسلط على أعصابك فيجب أن تبتكرها بنفسك وتوفق بينها وبين خصائص مزاجك

ولقد كان فولتير يعض شفتيه ويطرق برأسه الى الارض ويلوذ بالصمت دقائق طويلة كلما أوشكت أن تعصف به أزمة عصبية

وكان مونتسكيو يردد في خاطره بعض مقطوعات شعرية يحبها كلما احس أنه سيهتاج وينفعل

وكان تولستوي في مثل تلك اللحظات يرفع بصره الى السماء ويتمتم صلاة قصيرة

وكان الروائي ستندال يقتفي نابوليون فيذرع الحجرة جيئة وذهابا ليطرد منه دوافع الغضب

وأما موليير فكان لشدة خوفه من عواقب ثوراته يقهقه قهقهة حادة يقذف بها من صدره ويرتد بواسطتها الى عقله كلما جمحت به أعصابه وكادت تفقده سلطانه على نفسه

فهذه الأساليب التي اتبعها العظماء في وسعنا أن نأخذ بها أو نبتدع غيرها تفاديا لنا من التضحية ساعة الانفعال بجميع الفضائل التي أقمنا عليها صرح شخصيتنا

• • •

وصفوة القول ان العوامل السبعة التي ذكرناها هي التي تشترك في تكوين الشخصية القوية . فكل من استطاع توفير عناصرها في نفسه ، واستكمال جوانبها في طبيعته واحساسه ، والتوفيق بينها وبين مقتضيات مزاجه ، واجادة تطبيقها على الحياة الواقعة ، فهو الرجل المعد لجلائل الاعمال ، وهو الانسان العظيم المتميز بقوة الشخصية !

العاشقة الثائرة

قصة ملخصة عن الروائي الكبير ميشيل كورداى

اشتهر ميشيل كورداى فى فرنسا بقصصه القصيرة الشائقة التى يرسم فيها بريشة فنان مصور مختلف الأزمات العصبية والنوازع النفسية بأسلوب يقرب به روعة الصورة مثلة للاحظات دقيقة وعميقة. وقد كان ميشيل كورداى من تلامذة أناتول فرانس وقد أعجب أناتول بقصته (العاشقة الثائرة) واعتبرها أجود أعمال تلميذه وصدرها بمقدمة من قلمه فأكسبت القصة شهرة واسعة

أطرق المسيو روجيه برأسه لحظة ثم رفع بصره الشارد وقال فى همهمة :

— أشعر .. أشعر منذ من عشرة أعوام ! ..

فحملق فيه صديقه جاستون وقال مستنكراً :

— وكيف صبرت ؟ .. إنك لمدهش !

فهز روجيه كتفيه هزة اليأس وتمتم :

— وماذا كان فى وسعى أن أصنع ؟

ثم انتفض بغتة واختلج اختلاجا عنيفا وهوى على المقعد منهوك القوى وأردف :

— منذ عام وأنا أحس الخديعة هنا ... فى جنبى .. فى شخص امرأتى يعصف بى الشك ويتملكنى الغيرة وأردت أن أبحث وأتحرى ولكن على غير جدوى ! .. كنت أخاف الحقيقة .. أخاف أن أستقر على الحقيقة لئلا أفقد كل شىء .. وكيف كان يمكننى أن أعيش مع امرأة أحبها أعظم الحب وأثق فى نفس الوقت أنها تخدعنى ؟ .. لم أستطع .. كذبت على .. طردت هذه الفكرة عنى .. اعتبرتها وهما من الأوهام ، وهكذا عشت .. عشت معصوب العينين ولكنى عشت ناعم البال قرير الفؤاد سعيدا ! ..

صاح جاستون :

— إنها السعادة الحق للمتزوجين !

فقال روجيه :

— هو ذاك . أنا رجل محروم . لا قدرة لى على الثورة والانتقام . أحب امرأتى بل أعبدها وهذا الحب هو سر ضعفى !

فابتسم جاستون وقال :

— وامرأتك تستغل هذا الضعف وتمعن فى غيها وتسخر منك

فبدت على وجه روجيه دلائل الحنق المكظوم ولكنه سرعان ما هدأ وقال :

— أعرف أن غريتا وأعرف أنها أقوى مني وأعرف فوق ذلك أنها ماتزال تحبني . ولكن ذلك السر الرهيب .. تلك الوصمة الماثلة .. ذلك العار الفظيع الذي يجللني .. آه .. ليس في مقدوري ان اتصور ... كمي ... كمي .. أكاد اختنق .

ونهض روجيه وأغلق صوت النافذة وفتحها على مصراعيها واستنشق من الهواء ملء رئتيه ثم كر راجعا نحو صديقه ثم امسك بذراعيه وقال في صوت متهدج فاتر عميق :

— لقد تعذبت سنة طولها .. كنت أروض نفسي على الصمت والتناسي .. كنت أرى أشياء غريبة حولي فأتعامى عنها وأطرح بوهمي . أما الآن وقد علمت منك بعد مطالعة هذا الخطاب الذي سقط في بيتك سهواً من حقيبة روحتي ، أن هنري ... هنري ... هو ابنها ... ان عشيقها وليس ابني ... الآن وقد وقفت على هذه الحقيقة المروعة فسأعرف كيف انتقم كما عرفت كيف اصبر واحتمل !

فتقدم جاستون الى صديقه وحدق اليه وهو يرتعد وقال :

— وعلام عزمت ؟

ضحك روجيه ضحكاً متشنجة وأجاب :

— على العدو أيضاً !

— لا أفهمك !

فتقلصت عضلات الزوج وامتقع لونه وقال في صوت يشبه الهمس :

— سأنتقم منها في شخص ولدها

فتراجع جاستون وصاح ·

— ولكن هذا غير جدير بك

فقطب روجيه حاجبيه وقال :

أصبحت أكره هذا الشاب من أعماق نفسي ! انه صورة ذلي وعاري ! .. انه ثمرة الخديعة غذيتها بدمي ورويتها من عصارة قلبي وروحي ! انه الطفيل الدخيل الذي عاش على حساب حياتي ! وسأنتقم منه جهد استطاعتي . وسواء لدي أكان بريئا أم بريئا فقد أصبح حقدي عليه أقوى من كل عاطفة في صدري !

فاقشعر بدن جاستون لهذه المصارحة النكرة وقال :

— ان انتقامك من هذا الفتى البريء لن يرد امرأتك الى السبيل السوي

فقهقه روجيه طويلا ثم قال :

— سوف ترى وكما عذبتني في حبي وهو أعز شيء لدي سأعذبها في شخص ولدها أقرب الناس وأحبهم اليها بعد عشيقها !

فقال جاسون وهو يتأمله :

— وإن لم ترجع ؟

فأجاب روجيه في هدوء :

— كشفت مؤامرة اتفاقي واحتفظت بها ! ..

— ما أشد حبك لها !

فأرسل روجيه تنهدا مستطيلا وغمغم :

— بل أتعلق بها ! .. لن أفرط فيها ! .. لن أدعها لسواي

ثم أردف بعد لحظة وهو يجول ببصره الشارد في أنحاء الغرفة :

— أقبل كل شيء .. ما أحلا هنا ! ما أحلا هنا ! ..

وجذب صديقه من ذراعه واستدار واتجه نحو خزانة كبيرة ففتحها وأخرج منها زجاجة افتتحها وصب معظمها في قدحين ، ولما رفع القدح وأبصر ضوء المصباح الساطع ينعكس على الخمر الذهبية المتألقة ، لمعت عيناه كأنما هو قد وجد خلاصه ، وأدنى القدح من شفتيه واجترع ما به حتى آخره ! ثم تنهد وأمال رأسه على كتفه وظل يتأمل القدح الفارغ ، ثم التفت الى صديقه وتأبط ذراعه فجأة وخرج به من الحجرة وهو يتكلم بلا معنى ويضحك بلا سبب ويقهقه قهقهة حادة مرعبة كمن أصيب بمس من جنون !

• • •

كان هنري مستلقيا على فراشه عاقدا أصابعه خلف رأسه يتأمل فناء الحجرة مطلقا لخواطره العنان :

أي قدر جائر تسلط على حياته ؟ أية قوة تلك التي ناصبته العداء ؟ لماذا هو يتألم وماذا فعل وفي حق أي إنسان أذنب وكيف يمكن أن يطارده الدم على هذه الصورة المروعة النكراء ؟

بالأمس كان أصدقاؤه يفرون منه ويرشقونه بالنظر الشزر ويسخر به الناس منهم ويعته البعض الآخر بالسخف والغباء . واليوم أصبح والده . . . والده الرقيق الوديع العطوف ، يتبرم به ويمس شممه ، ويزجره لغير ما سبب ، ويعد عليه أخطاءه ، ويعامله معاملة الغريب ! .. بل لقد أصبح والده يكرهه ويمحو عيانه من البيت ويقصد تحويله أمام الناس ويوغر صدر أقاربه حقدا عليه .. والآن .. الآن فقط .. منذ لحظة واحدة ، صرخ به لأول مرة وحرمه النقود وحال بينه وبين النزهة الخلوية التي كان يعلل النفس بها طيلة الأسبوع !

والأعجب من كل هذا أن والده تبدل تبدلا تاما وانقلب انقلابا غريبا وأمسى يجد لذة ظاهرة في اضطهاده وتحقيره أمام امرأته .

إنه ينادي روجيه ثم يضاحكها فترة ، ثم يتحول إليه هو . . إلى ولده ، ويتخذ منه مادة مزاح

وبطل بصره بوجهه المستطيل وشعره الطليقة المتهدلة ودمامة سحنته التي لم يرها غير الآن ، ثم يبهره فجأة حتى يثير كرامته ويستفز أعصابه ويحمله على البكاء

هذا والزوجة تحدق الى زوجها وتضم شفتيها حنقاً وسخطاً !

هذا والأم تتفرس في ابنها كأنما هي تخشى أن يفهم حقيقة الباعث على هذا الاضطهاد وسر الدافع الى هذا التعذيب !

ان في الأمر لسراً ما في هذا شك !

ولكن هذا السر كيف يكشف عنه الشاب الشاب ؟ كيف يستنبطه ويهتدى اليه وينتزعه من صدر والدته أو والده ؟ .

هذا ما ينغص معيشته ويطلق الأرق على عينيه ويشرده في الشوارع هائماً على وجهه حيراً قلقاً لا يعرف الراحة ولا يذوق طعم الهدوء والاستقرار

وها هو الساعة وقد برحت به هذه الأفكار يحاول النوم فلا يستطيع ، يتقلب على فراشه فتحمله الخواطر السوداء الى الهوس ! يلتحف بغطائه ويكتئب في بطن الظلام فلا يزداد إلا تمثلا لشخص والده وهو يبهره وشرر الغضب يتطاير من عينيه

واستحوذ الاضطراب على الفتى واستهول ما حل به واستنكر كل هذا الظلم يصب على رأسه ، فقفز من سريره وجعل يرتدى ثيابه وملؤه الرغبة في الخروج والمشي الطويل والاستمتاع بالوحدة في الشوارع والأزقة يخيم عليها الليل

وكان القمر يرسل من النافذة أشعة بفضية ساطعة وكانت الغرفة تتلألأ كأنها هي سابحة في بحر من النور ، فدنا فجرى من المرآة ونظر فيها ثم اجتل وتراجع

لقد كان وسيما حقا ولكنه لم يلحظ هذه الوسامة في شخصه غير اليوم ! كان محبوبا من والده محسوداً من أمه فكان يعتقد أنه جميل وكان في الواقع سعيداً . كان سعيداً على الرغم من رفاقه ، أما الآن فقد أصبح والده أشد احتقاراً له من أولئك الرفاق . فالى أين يذهب وكيف يمكث في هذا البيت وكيف يعيش في دار يشعر أن ربها يطرده منها شر طرد ؟ .

وتناول قبعته والقى على نفسه في المرآة نظرة ثابتة ثم هم بالخروج ولكن فكرة طرأت عليه فتوقف

لا ... لا سبيل الى الانصراف من هنا !

هنا موضع السر لا في الخارج !

هنا محل البحث والملاحظة والتفكير لا في الأزقة والشوارع

وعند هذا الخاطر في دهنه سار يخطى وئيدة حافظاً أعصابه طاويا رأسه على صدره ، ولما اقترب من الباب فتحه في رفق ثم انسل في الممشى الطويل واتجه صوب مخدع والديه

وقبل أن يصل إلى بابه أحس قلبه يوشك أن يثب من صدره وخيل إليه أنه يسمع شبه صيحات يتخللها أنين ، فاستجمع قواه واقترب من الباب وحبس أنفاسه وأصاخ السمع

وحينئذ ارتفع صوت أمه يقول :

— لن أعترف بهذا الشك الآثم أبداً

فقال الزوج :

— اعترفي وإلا نكلت بابنك أفظع تنكيل

فقالت الأم في غضب :

إنه ابنك أيضاً !

فضحك زوجها ضحكته الخبيثة وقال :

— وما رأيك في هذا الخطاب ؟

ثم أردف :

— أليس هذا الخط هو خطك ؟

وساد سكون رهيب . وكان صدر هنري يعلو ويهبط فطرق وأرهف أذنيه ولكنه لم يسمع جواب والدته بل سمع والده يقول في صوت ملىء بحنق مهشم للصدر والجراب :

— كتبت هذا الخطاب لعشيقك !.. المسيو اندريه موريتان . . . تحدثت فيه عن هنري . . من ابنك .. ابنكما ! . . ذلك الفتى الذي كنت أعتقد أنه من صلبي أنا والذي أودعته خلاصة أملي وعصارة حبي

وتحشرج صوت الزوج لحظة ثم ردد :

— عشت أحسب أكثر من عشرين سنة !.. عشرين سنة !..

ثم ارتفع الصوت حاداً قوياً :

— وفي خلال هذه العشرين سنة انفصل عنك أندريه وسافر إلى الجزائر ومكث هناك مدة طويلة ثم عاد إليك . عاد إليك منذ شهر فعدت إليه ... ثم عدت .. وأنت الآن عشيقته !

وتضاربت الأصوات واختلطت الزفرات والتأوهات في أذن هنري فأحس أن ظلاما كثيفا يغشى بصره وخبالا طارئا يطوح بعقله ، فتقهقر ملتاعا واستدار وكر راجعا إلى حجرته . ولما أبصر نفسه في الحجرة وحيداً وهدأة الليل تسحقه ونور القمر يعمي عينيه ، والسر الرهيب يدوي في مسمعه ويثقل دماغه ويقع على رأسه كالكليل ويقع كالطارق ، أدرك أن الحياة أصبحت مستحيلة عليه فخارت قواه وانهدت عصاه ولم يستطع مواصلة التفكير ، فاتجه بالرغم منه نحو سريره وتهاوى عليه ثم تمدد ، ثم سحب وجهه بالأغطية ، ثم ران عليه الكرى فاستغرق في سبات عميق مشعث الشعر جامد الجسم أصفر اللون أشبه بجثة هامدة !

واستفاق هنري في اليوم التالي ولم يكد يصح عيبه حتى تمثلت له الحقيقة بتفاصيلها . وكانت أن النمس طاهر الذيل حر الضمير عادلا شريفا ، فاستنكر مسلك والدته واشتد سخطه عليها ورأى فيها سبب شقائه ، وتطورت عواطفه تطورا مباغتا عجيبا،فأحس أنه يشفق على المسيو روجيه ويفهمه ويقدر عذابه ويغفر له عن طيب خاطر اضطهاده إياه

أجل ، ترب الشقاء بين الرجلين ، وشعر هنري أن من حق الزوج أن يثور ومن حقه أن يحقد ومن حقه أن ينتقم . ولكن لماذا ينتقم الزوج المخدوع منه هو ؟ .. لماذا لا يثأر من امرأته أو من عشيقها ؟ .. هو ذاك .. انه ضعيف .. انه جبان .. انه يحب ! .. انه يرضى بالخزي والعار على شرط أن يحتفظ بالمرأة التي يحبها مكتفيا بالثأر منها في شخص ابنها ! .. ولكن هذا الموقف لا يمكن أن يدوم . لايمكن أن يحتمله هنري . وكيف يسعه احتمال الذل في البيت والزراية والاحتقار والتعيير في الخارج ؟

كفاه ما أصابه حتى اليوم . ان أصدقاءه يطلقون بيوتهم في وجهه ، وأقارب المسيو روجيه يتبرمون به ويتحسونه كأنه مرض موبوء

نعم . انه ابن سفاح والوصمة عالقة به والجميع قد أبصروها ولا سبيل الى محوها من جبينه إلا بالمغامرة والاقدام ، بالجرأة والشجاعة ، بالوقوف موقف الحزم والقوة حيال والدته وحيال الرجل الذي أغواها والذي هو والده الحقيقي !

وليس شك في انه لو تسامح أو تخور فلن تزداد حياته الا شقاء ولن يزداد مستقبله إلا تجردا من كل شرف وكل كبرياء وكل كرامة

واستحوذت عليه فكرة العمل فشرع يتأمل في خير وسائل التنفيذ . وبينا هو يجوب غرف البيت ساهيا في تأملاته هاتفا كروح معذب حائر ، اذا به يبصر المسيو روجيه خارجا من مخدع امرأته محدودب الظهر منفرج الجبين مريد الصحيفة يحمل على منكبيه شقاءه اليومي ، تتبعه امرأته مشرقة الوجه متهللة الجبين ومعة الحركة والاشارة مزهوة كمالك آمرة ناهية ، فأحس الشاب نحو الرجل بشفقة عميقة ممزوجة بالأسف والحسرة،وأحس نحو أمه بكراهية هائلة مقترنة بالحقد والاحتقار

فأشاح بوجهه وأسرع الى حجرته وأكب على مطالعة كتب القانون وهو يردد :

— هنري مورتان ! هنري مورتان ! . .

وأردف وهو يرتعد :

— هذا هو اسمي الحقيقي !

وطافت بخياله صورة المسيو روجيه ثم اختفت وحلت محلها صورة والدته فشعر كأن يدا قوية تقبض على قلبه وتلويه وتعصره ، فأن أنين المطعون وقال يخاطب نفسه بلهجة حازمة أدهشته :

— سأنشر السلام في هذا البيت وأنقذ شرفي ومستقبلي أو أموت !

• • •

وانقضت بضعة أيام وهنري لا ينفك يراقب والدته

وفي ذات مساء تجملت المرأة وتطيبت وغادرت البيت مصحوبة بصديقة لها ، فتبعها ابنها كعادته ، وظل يسير من بعيد خلف المرأتين حتى لمح والدته تنفصل عن صديقتها وتلتفت يمنة ويسرة ثم تستقل سيارة ، فاقتفى أثرها وتعقبها حتى أبصرها تهبط من السيارة في زقاق مظلم وتلتقي بعشيقها الذي احتضنها وأخذ بها نحو منزل مهدم مهجور في أقصى الزقاق . وعندئذ وثب الشاب إليهما فذعرت المرأة وأجفل الرجل واستدار ، فصاح هنري :

— مسيو مورتان !

وأمسك بذراع والدته ونظر إليه مواجهة ثم تحول إلى أمه وغمغم :

— سيروا بنا ولنتحدث في هدوء ...

وتأبط ذراعها بالرغم منها وقال وهو يلهث :

— أعرف كل شيء !

فتوقفت المرأة عن السير فضغطها واستطرد :

— إني لأكتم أعصابي ما استطعت فاحذري !

والتفت إلى الرجل وقال رابط الجأش :

— يجب أن تنفصل عنها ! إن صلتك بها أفقدت زوجها وأتعست حياتي ولوثت شرفي وهي توشك أن تقوض مستقبلي . فدعها وشأنها . اتركها إن كنت تحبها وارحمني فأنا ابنك وأنت أبي !

فأطرق مورتان وهز رأسه وتردد في الجواب فاحتد هنري وصرخ :

— تكلم !

وعندئذ وقفت المرأة ووطدت قدميها في الأرض ونظرت إلى ابنها بعينين جاحظتين متقدتين تلتهبان سخطا وحنقا وقالت بصوت أجش حاد ينطلق من حلق مستعر كالمرجل :

— إني أحبه ولن أنفصل عنه !

فبهت الشاب لهذه الصلابة التي لم يكن ليتصور مبلغ قوتها وتمتم :

— ولكن زوجك يعذبني . والناس تعيرني . وليس من حقك أن تضحي بذلك الرجل ولا بي

فضربت الأرض بقدمها وردت :

— لن أتخلى عن أشعره !

فقال هنري متمهلا :

— اذن فلنسلك سبيل الشرق . اقنعي زوجك بضرورة الطلاق ومتى أصبحت حرة فلك أن تقترني بوالدي

ضحكت المرأة ضحكة وحشية وقالت :

— زوجي لن يطلقني لأنه يحبني !

ثم ابتسمت ابتسامة ملؤها الدهاء والخبث وأردفت :

— وأنا نفسي لا أريد الطلاق لأنه ليس في مصلحتي ...

حدق اليها هنري وقد أدرك ما ترمي اليه وقال في لهجة متأنية مفعمة بالاحتقار :

— بل لأن الطلاق ليس في مصلحة غرامك ؛ أنا أعرف عشيقك ؛ أعرف أبي يا أسماء ! . راقبته هو الآخر ... تحريت عنه .. . وقفت على حقيقة حياته . انه طفل . انه مصدوم . انه يعيش عالة عليك . بل على زوجك الغني . فكيف يمكنك الاسفاف عليه ان سعيت الى الطلاق من زوجك ؟ أجل .. يجب أن يرضى زوجك بالعار وترضي به أنا أيضا وترضين به أنت نفسك وكل ذلك في سبيل عاطفة مجنونة عمياء !

فقالت :

— بل في سبيل والدك !

صاح هنري :

هذا الرجل الذي وسمني بالعار هو عشيقك . أما والدي فهو قتيل روجه ولا أعرف لي والداً سواه !

قهقهت المرأة وقالت :

— كن هديانا . اولى بك أن تنصرف

— لن أنصرف الا معك !

قطبت حاجبيها المرسومين وقالت بصوت هادر :

— قد اطيعك الآن خشية الفضيحة ، ولكني سأعود في الغد إلى أبيك . سأعود اليه رغم الجميع .. أتسمع .. أتسمع .. اني احبه وهو يحبني . وأما أنت فاذهبت تناصر الغريب على ولي والدك فأنا أكرهك .. اكرهك من صميم قلبي !

فاقشعر بدن هنري وشعر بالاشمئزاز منه ورائحة صمت العشيق حقدا وكراهية ويأسا فقال وهو يمسك بكتف والدته يهزها هزاً عنيفا :

اذن فانت تريدين تصحيق ؟

— لن أتخلى عن والدك !

فدفعها عنه في عنف وقال وهو يزفر :

ـ لتكن التضحية !

وتراجع ولم يلق على والده نظرة ثم تحول عنهما وخلفهما جامدين حائرين وتقدم بضع خطوات وهو يترنح كالشارب الثمل ثم رفع رأسه وتعس واستجمع قواه ، ثم سار بقدم ثابتة ميمما وجهه شطر المنزل

•••

وظل يخترق الشوارع وهو تائه النفس مشرد الفكر ممزق القلب ، وحانت منه التفاتة فأبصر مشربا صغيراً غاصا برواده ، فدخله وطلب قدحا من الخمر احتساه بسرعة وخرج مضطرداً سيره وقد تملكته فكرة ثابتة أجهزت فيه على كل احساس بالأمل وكل رغبة في المقاومة

وبينا هو يسير أبصر شابا من رفاقه في المدرسة حياه برفع قبعته ولكن الشاب أغضى عنه ولم يرد له التحية ، فاختلج هنري ونفذت الاهانة الى صدره كطعنة سكين وماتت شعوره بالأمل والصحة وبإرادته تشبثا بالفكرة الطارئة التي بدأ يبتسم لها ويحتضنها ويجد فيها الملجأ الأمين والخلاص المنشود

وقادته قدماه من حيث لا يدري الى ضفة نهر السين ، فتمهل لحظة ووقف يتأمل صفحة الماء واستحل هبوط جسمه وغطس أعضائه في قاع اليم ، فتقدم خطوة ، وأوشك الجنون أن يعصف به والدوار يطوح بعقله ، ولكن شبح الزوج . شبح المسيو روجيه ، تمثل له صوب النهر منفرج الجبين مسبوك القوى ، فتمالك نفسه وتراجع وآثر أن يقوم بالتجربة الأخيرة قبل أن يقدم على العمل الفاصل ويستريح

وتغلب عليه هذا الخاطر الثاني وأقصى الآخر في عقله الباطن ، فأسرع الخطى ثم انطلق يعدو حتى شارف البيت

ولما التقى بالمسيو روجيه الفاه جالسا يصطلي حرار الوقدة وبصره عالق الى النار وبه رعشة ، واليأس قد خيم عليه وناء على رأسه الكليل الذي وخطه الشيب ، فانعقد لسان هنري وأخذ منه التأثر مأخذه فاهتز عند قدمي الرجل وطوقهما بذراعيه وصارحه بكل ما علم ورأى ، ثم توسل الى المسيو روجيه أن يصفح عن امرأته ، أن يطلقها ، أن يسهل عليها حياة الاستقامة والشرف ، أن يضحي نفسه ان كان حقا يحبها !

وكان هنري يتضرع الى الزوج ويبتهل على قدميه صبا وتحنا ويبسط له في عبارات واضحة رقيقة ألمه ، مبلغ عنائه واحتماله وصبره وتعيير الناس له وانفضاض أصدقائه من حوله وكل ما عاناه من ذل وشقاء

وكان الزوج يتأمله ويذكر أنه طالما حمله بين ذراعيه ، وطالما سهر عليه أيام مرضه ، وطالما أحبه حبا أبويا خالصا من كل ريبة . وعلى حين فجأة حانت من هنري فانحدر الدمع من عينيه

وعندئذ لم يقو الزوج على كتمان عواطفه فصاحت نفسه هو الآخر واحتضن الشاب واغرورقت عيناه بالدموع وجعل يردد :

— انى أحبها ! . . . انى أحبها ! . . .

ثم حدق الى الشاب وهو يلهث وأردف بصوت أجش :

— سامحنى ! . . سامحنى يا بنى ! . . أما هى فلا أستطيع . . . لا أستطيع ان أتخلى عنها وان كنت أود أن أنقذك لأنى فى الحقيقة أحبك !

فتفرس هنرى فى المسيو روجيه ثم طوى ذراعيه على صدره وقال والعزم يبدو فى صوته ويبرق فى حدقتيه :

— اذن حياتى لا معنى لها ويجب أن تنتهى !

فارتجف الرجل ونهض وأمسك بيد الشاب وصاح :

— ماذا تقول ؟

فأجاب هنرى :

— هذا ما عزمت عليه . فابق انت راتعا فى جنة الوهم ، قانعا بفضلات غيرك ، راضيا بالهوان ، أما أنا فلن أرضى ولن أطيق ولن أنتظر !

وتناول يد الزوج وقبلها فى احترام ثم استدار وهم بالخروج ، واذ ذاك تحرك المسيو روجيه وهفت نفسه الى الشاب ومد يديه ، فوقف هنرى وتطلع اليه فقال روجيه بصوت خافت أشبه بالهمس :

— سأطلقها !

فبهت الشاب له ولم يصدق سمعه ، ثم تنبه فأشرق محياه وتهللت أساريره وانحنى مرة أخرى ليقبل يد الرجل النبيل ، وفى تلك اللحظة فتح الباب ودخلت مدام روجيه تختال فى ثوبها الحريرى الجديد الذى كانت قد ارتدته لأول مرة من أجل عشيقها !

وما ان عرفت ما تم حتى امتقع لونها وشحب وجهها شحوب الموتى ثم اندفعت نحو زوجها جاحظة العينين متدلية الشفتين وقد أخذها الكمد والحنق دميمة منفرة ، وطفقت تسبه وتسمه وتعيره بالعار الذى جلبته هى وبالوصمة التى علقت به منها هى ، ثم اتجهت نحو زوجها ، وتحت تأثير حبها الشديد لعشيقها ورغبتها العمياء فى الاحتفاظ به ، وارادتها المهزومة فى اسعاده والحرص عليه ، تفحشت فى وجه الزوج بكل قذارتها واكدت له فى قحة مجانتها ، وصارحته بأنها لم تحبه يوما وانه لم يكن فى حياتها غير صاحب مال . . صاحب المال الذى يحلو للمرأة استغلاله واستنزاف دمه فى سبيل من تحب ! .

واسترسلت فى ثورتها ، ثم أحست أنها جاوزت الحد فتأدت وشرعت ترجو وتستعطف ،

بل شرعت تبكي وتتوسل ، ولما شاهدت ابيها جامدا ، وروحها ثابتا راسخا ، حق حوتها وتملكها اليأس وأدركت أن لا بد لها من الادعان والتسليم ، فاختطفت معطفها وعلت فارتدته ثم اتجهت نحو الباب وهي تصيح :

ـ لا أخشى شيئا ! . . انه يحبني ! . . وحبه أقوى من الفقر وأقوى من الحياة ! سأتزوجه وسأكون حرة وسعيدة ، فالوداع !

وانطلقت تعدو وروحها يحاول أن يتبعها وهي تمسك به وقلبه يخفق وخفه مطلقة والابتهاج بما وقع يملأ صدره سرورا وفرحا

وبعد ما بلغت الزقاق المظلم ووصلت الى البيت وتسلقت الدرج الخشبى ، انتابتها نشوة فدفعت الباب ودخلت وهي تلهث

وكان عشيقها جالسا الى المائدة يتناول طعام العشاء ، فلما أبصرها عرته الدهشة واسرع اليها يستصرها سبب عودتها في مثل هذه الساعة ، فلم تتكلم بل عانقته طويلا وضمته الى صدرها في رفق وجعلت تهدهده كالطفل ، ثم خلعت معطفها وألقت بقبعتها على السرير وقالت :

ـ سأنتظرك حتى تنتهي

ـ فتأملها لحظة ثم قال :

ـ وبعد ؟

فأجابت :

ـ نذهب الى منزلك !

فصاح : ـ منزلي ! !

فأجابت وهي تبتسم : ـ نعم سأقضي الليل معك !

ثم ضحكت طويلا واردفت :

ـ بل سأقضي الحياة معك !

واستولى عليها فرح مفاجئ ، فصفقت بيديها طربا وقالت :

ـ زوجي طلقني ! . . أصبحت حرة ! . . يمكني الآن أن أتزوجك ! . .

فتجهم وجه العشيق وتقلصت جبهته وأطرق برأسه ولاذ كعادته بالصمت ، فاضطربت المرأة وأقبلت عليه واحتضنته وطفقت تردد :

ـ تكلم . . . تكلم . . .

فخرج من صمته وقال في برود وعدم اكتراث :

ـ وهل مثلي يصلح للزواج ؟ . . لم آلف العمل . . . لا أستطيع أن أعمل شيئا . . . لقد أخطأت . . . يجب . . . يجب أن تعودي الى زوجك ! . .

فحملقت فيه واستطار لبها وغشى الحنق عينيها وقالت :

— أعود الى زوجى ؟ . . تقول : أعود ؟ . .

فأجاب فى حمق :

— الآن ! . . يجب أن تعودى الآن . . ! ان ما فعلته حماقة !

فأجالت بصرها الشارد فى أنحاء الغرفة ثم نظرت اليه ، الى الرجل الذى عقدت عليه كل آمالها فألفته موليا ظهره اليها ، متكئا على المائدة ، منصرفا الى أكلة الطعام ، يزدرد اللحم فى نهم ، ويرشف من كأس فيها خمر ، وينتشى مستمتعا بالطيبات التى أغدقتها عليه وضحت فى سبيلها وحدها بكل شىء.

وأحست جنة بالاشمئزاز يتصاعد من صدرها ويأخذ بخناقها ، فقالت فى هدوء وهى تطل عليه من أعلى كتفيه :

— ألن تتزوجنى ؟

فضحك ضحكة قصيرة ساخرة وقال :

— أنت مجنونة !

فلم تعد تفكر فى شىء ، أو تعى على شىء ، وطغى عليها الحنق وأثارها الجحود وألهبها الفشل وحز فى قلبها اليأس ، فاستمر الرجل أيضا فى صمته يحدق الى الكأس النصفة وكأنه يناجيها ، بل كأنه قد نسى العالم أجمع وانصرف اليها ، فاستهولت منه هذا الاعراض وأهاجتها سخريته الباردة اللاذعة ، وأحست فجأة انه لم يعد فى وسعها الاتصال به أو رؤيته أو التحدث اليه وانها تمقته وان هذا المقت يملؤها ويرهقها ويسد أمامها سبل الراحة والهدوء ، فاقتربت للمرة الثالثة ، وخيل الى الرجل أنها تريد أن تقبله فدفعها عنه بشىء من العنف ، وحينئذ لمعت عيناها واتسعت حدقتاها ومدت يدها بسرعة البرق واختطفت من المائدة سكينا طويلة لتقشير الفاكهة حادة النصل ثم غرستها فى ظهر الرجل ، وقبل أن يستطيع كانت قد انتزعت السكين وانهالت عليه طعنا بها وهو يتحامل على نفسه ويخار ويحاول التعلق بأثاث الغرفة وهى تتبعه وتناوشه بالطعن كلما أفلت حتى نزف دمه وانهكت قواه وخر على الأرض جثة هامدة . .

• • •

ولم تفكر هيام زوجة حسان فى الفرار بل جلست على مقعد تنتظر مصيرها ، وعندما توافد الجيران وحطموا الباب واقتحموا الغرفة ، استقبلتهم فى هدوء وابتسمت لهم واعترفت بجريمتها ، ثم ذهبت معهم وسلمت نفسها الى البوليس !

قيد الأدب الإيطالي

صورة داونزيو محفورة على الخشب

داونزيو في مكتبه

(ريشة استولفو دي ماريا)

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

كليوباترة

كتاب اميل لودفيج الاخير

قليل من النساء من حظي بما حظيت به كليوباترة من تمجيد الشعوب وإشادة الشاعرين . فاسمها يتردد في أفواه الجماهير متواتراً من جيل الى جيل ، وذكرها تخلده روائع الشعر والقصص والموسيقى والتمثيل ، وقد استأهلت تقدير لفيف من عظماء المؤرخين والأدباء ، نشأوا في أجيال وشعوب مختلفة ، فتحدث عنها بلوتارك ، وغناها شكسبير ، وحللها برنارد شو ، وصورها إميل لودفيج صورة واضحة الاجزاء بينة الأطراف

وقد كتب لودفيج قصة هذه الملكة بعد أن ترجم حياة النهر الذي عاشت في واديه ، ولكنه لم يوفق في كتابه الثاني قدر ما وفق في كتابه الأول ، ويخيل الينا أنه لم يحب كليوباترة قدر ما أحب رعيتها ، وأنه لم يكن في وسع من عبد الفلاح المصري الثائر أن يشيد بامرأة التي كانت تطأه بقدميها كأنه حشرة تافهة مؤذية . ومع هذا فمن الأرجح أنه لا يسع أحداً من الناس ، لا ينطلق لخياله العنان ، أن يصور كليوباترة صورة أوضح وأدق من هذه التي رسمها لودفيج ، إذ أن ما نعلمه عنها لا يمكن الباحث المؤرخ من ترسم خطاها وتمثل روحها ، وأكثر ما نعرفه من هذا القبيل لا يعطف عليها قلب رجل أو امرأة منا . فاذا كانت شهرة كليوباترة قامت على أنها حية فاتنة ، فما أوفر الجمال والفتنة ، أو على أنها شقيت وأخفقت في الحب ، فما أكثر من برح بهن الغرام ، أو على أنها نفست وهي في نضارة الشباب ، فاللوم عليها لا على سواها !

ولم يشأ لودفيج في قصته أن يعرض لأحداث العالم ومناورات روما حينذاك ، بل قصر جهده على تصوير كليوباترة في صورة المرأة التي تتنازعها عواطف الحب وأطماع الحياة . ذلك أن كليوباترة — على عكس ما يظن أكثر المؤرخين — لم تترك أثراً في سياسة العالم القديم ، ولم تهيء لروما أن تبسط ظلها على أرض النيل ، فإن الرومان كانوا سيغزون مصر ويمتلكونها ، ليصدروا غلتها الى بلادهم سواء وجدت كليوباترة أو لم توجد

الهر البرى

اقتنصت امرأة احدى السيدات الامريكيات — هي مسز رث هاركنس — هراً برياً عثرت عليه في هضبة التبت. وقد سبق أن اصطادت سنة ١٩٣٦ هراً برياً آخر يعيش الآن في حديقة الحيوان بواشنطن، وهو أول هر تقتنيه حدائق الحيوان. والهر البرى نادر الوجود، صعب الاقتناص، لأنه لا يعيش إلا في مرتفعات التبت التي يشق على الرحالة ارتقاؤها ويبلغ ثمن هر حديقة واشنطن وحده ١٠٠٠٠ جنيه وهي ثمن رحلتها هناك لأجله، فلا يلمسونه إلا بقفاز، ويقيسون حرارته عدة مرات كل يوم!

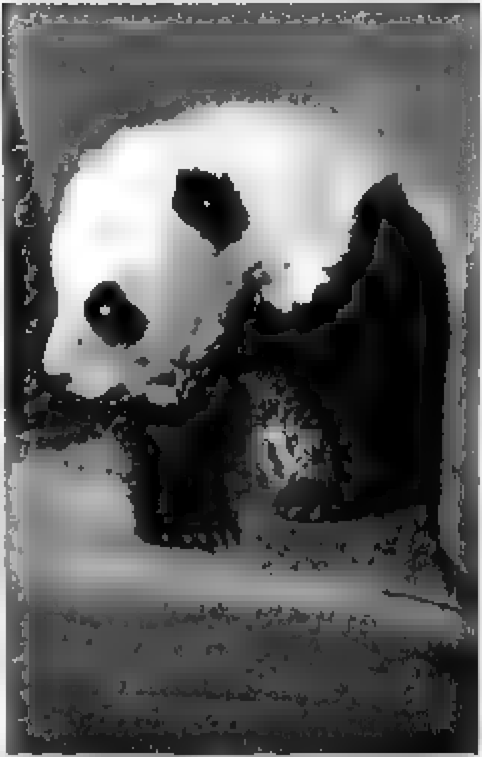

ثعلب ثمنه ١٢٥٠ جنيهاً!

هذا أحد ثعالب بيع أحدها بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه، لأنها من الثعالب البلاتينية، أي التي يلمع فراؤها لمع البلاتين، وهي أغلى وأندر أنواع الثعالب، تتسابق الأثرياء على شراء فرائها بأعلى

واستطاع لودفيج أن يبين لأيهما كان النصيب الاوفى من مغامرات كليوبطره : نشوة الحب أم دهاء السياسة . فأوضح انها كانت تنظر الى انطونيو وقيصر نظرتها الى فرسي رهان ، فتمنح حبها لمن يواتيه التوفيق ويقترب غايته . ولكنها كانت في قرارة نفسها تؤثر انطونيو حبها ، فقد فتنتها منه حرارة الشباب ، وفتوة الرجولة ، وبطولة الفروسية . ومع هذا فكانت حين تجلس الى قيصر الذي جاوز سن الخمسين تطلب اليه أن يتبادلا النظر الى أسنانهما الجميلة . . ! وكم كان لهذا من أثر في نفس رجل قارب حدود الشيخوخة المقفرة من حب المرأة وتدليلها . ولا شك أنه قد مرت عليها فترة أحبت فيها قيصر حب الاعظام والاكبار ، ونظرت اليه كما تنظر كل امرأة الى فاتح قوي قاهر

وقد ندرك شيئاً من شعورها قبل الرجلين إذا ذكرنا أنها حين قابلت قيصر أول مرة لتشكو له ظلم أخيها كانت مخبأة في كيس من الخيش ، أما حين قابلت انطونيو أول مرة فكانت في قارب صنع بصفائح من الذهب ، وصنعت مجاديفه من الفضة ، وعطرت أرصفه وجوانبه بسطة وتيرة ، وقد تزينت ـ كما قال بلوتارك ـ بزي « افروديت » ، وجلست على أريكة من الذهب الخالص ! ولاشك انها أرادت بهذا أن تستميل القائد المنتصر اليها أولا ، وأن ترضي عاطفة الأنوثة عندها قبل رجل لعلها أحبته قبل أن تراه

على أن أبرع صورة رسمها لودفيج في كتابه هي صورة قيصر ، فقد اظهره رجلا شهما جليلا يستأهل التقدير والاعجاب ولم يستطع أن يضفي مثل هذا الرواء على كليوبطره ، بل جعلها امرأة تحب اللهو والمرح ، وتسعى الى الشهرة والظهور ، وتتحايل وتكيد كما يفعل سواها من النساء

والرجل الحديث لاتعجبه هذه الصورة ، ولا سيما اذا قرأ في ثنايا الكتاب أنها أتت أعمالا تدل على القسوة والغلظة ، فقد قتلت احدى جواريها لترى مقدار اخلاصها لها ، وقتلت لفيفا من عبيدها بسم الثعابين لترى أثرها على إماتتهم توا ، وقتلت اخوتها واخواتها لتنفرد بالعرش وحدها . فالمرأة كهذه يعسر على الرجل منا أن يعجب بها فضلا من أن يحبها ويعطف عليها ، ولولا ماقي سياق القصة من اسلوب شعري أخاذ لانتهى الانسان منها كارها كليوبطره الساحرة الفاتنة ، منكراً ما أسبغه عليها بلوتارك وشكسبير من جاه ورواء

[خلاصة مقال في مجلة نيويورك تايمز عن لودفيج]

أسباب رخاء اليابان

وتقدمها الاقتصادي

تغمر المنتجات الصناعية اليابانية أسواق العالم . وتكاد اليابان تمثل اليوم نفس الدور الذي كانت تمثله ألمانيا قبل الحرب العظمى عندما كانت منتجاتها تقتحم مختلف الأسواق وتبيع فيها بأرخص الأسعار . واليابان رغم الرسوم الجمركية الفادحة التي تفرضها الحكومات على منتجاتها ، ما تزال تصدر الى الخارج كميات عظيمة منها وما تزال تتمتع برخاء تحسد عليه

فما هي أسباب هذا الرخاء ؟ في وسعنا اجمالها فيما يلي :

أولا — نظام الطبقات الذي يبرز سلطة أصحاب المال ويغرس في قلوب سواد الشعب حب العمل وحب الطاعة في سبيل رفاهية الدولة ومجدها

ثانيا — كفاية العمال اليابانيين

ثالثا — تفوق العمال الفنيين الاخصائيين

رابعا — رخص الأيدي العاملة واعتياد العامل الياباني حياة التقشف وعدم تطلعه الى مستوى أرفع من مستواه العادي

خامسا — رقي الصناعة اليابانية واستكمالها أسباب التحسين الفنية الحديثة

سادسا — وضع المصانع تحت قيادة مالية منظمة

سابعا — منح الجوائز لكبار المصدرين

ويجب أن نلاحظ أن اليابان كانت من أكبر عملاء أوربا وكانت تنفق الأموال الطائلة لشراء المواد الاولى رغبة في تحويلها الى منتجات مصنوعة . وكانت أوربا لا تلبث أن تغتبط بما تبيعه اليابان من تلك المواد حتى تضطرب وتقلق عندما تبصر موادها الخامية وقد ارتدت اليها في شكل منتجات مصنوعة تباع بأرخص الأسعار . والحق ان فقراء أوربا والعالم كانوا ينتفعون بتلك المنتجات ولكن اليابان كانت تنافس بأسعارها الرخيصة منتجات الامم التي باعتها المواد الاولى ، فتثور عليها ثائرة أصحاب المصانع ويطالب انصارها بفرض الرسوم الجمركية الفادحة على وارداتها

ولو كسبت اليابان الفوز النهائي في حربها الراهنة وتمكنت من وضع يدها على بعض أجزاء من بلاد الصين ، فستصبح غنية بالمواد الاولى ، وعندئذ تكف عن الشراء من أوربا وتكتفي بأن تبيعها انتاجها الصناعي . وهذه هي الغاية التي ينشدها رجال الاقتصاد ورجال الجيش في اليابان

[خلاصة مقال من مجلة الاقتصاد الدولية]

اعرف نفسك

تهيء لها أسباب النجاح

يقسم علماء النفس الناس قسمين متباينين : قسم يدير تفكيره ويقصر شعوره على ما فى دخيلة نفسه وقرارتها ، وقسم لا يفكر فى نفسه قدر ما يفكر فى غيره ، ولا يعنى بمسائله قدر ما يعنى بما حوله . ويسمون هؤلاء « الخارجيين » ، وأولئك « الداخليين »

والخارجيون يصلحون للاعمال التى تقتضى مظهراً يلفت الناس ويجذبهم ، وتستدعى تدبير التقاليد والاخلاق الاجتماعية ، كاللباقة والمجاملة ، والثقة والتنبه ، والدهاء والرياء ... أى يصلحون فى أعمال التجارة والسياسة وما شاكلها . أما الداخليون فيصلحون للاعمال التى تقتضى اعتمادهم على أنفسهم ، دون تقديرهم ما حولهم من مظاهر ، ومنهم العلماء والفنانون وأمثالهم

ويجب على المرء أن يعرف الى أى قسم ينضوى ، ليتخذ الطريق التى تلائم فطرته وتوافق استعداده . وهذا اختبار بسيط يمكن المرء أن يعرف حقيقة نفسه ، فيختار من الاعمال ما يستطيع أن ينجح فيه ويتفوق

والشطر الأول فى الاسئلة التسعة الاولى يدل على أنك من الخارجيين ، وكذلك الشطر الثانى فى الاسئلة التسعة الأخيرة . وما عدا ذلك يدل على أنك من الداخليين فإن اتفق لك أربعة عشر سؤالا من طراز واحد فأنت لا تصلح إلا لذلك الطراز ، وإن قل عدد الاجابات المتشابهة عن ذلك فأنت تصلح للطرازين ، ولكن الى حد غير بعيد

(١) هل أنت مشبوب العاطفة مستعر الاحساس (٢) أو هادىء الطبع خافت الشعور غير مكترث صلاتك بأهلك وصحبك ؟

(٢) هل تبدو كما أنت حين تقدم الى شخص لا يعرفك (٢) أو هل تبدو عليك أمارات الخجل والارتباك ؟

(٣) هل تترك أمورك تجرى الى غاياتها غير عابىء بها (٢) أو تفكر ملياً فى عواقب أعمالك قبل أن تقدم عليها ؟

(٤) هل تستطيع أن تبادل زملاءك فى العمل وفى النادى شعور التعاون والتضامن (٢) أو تحب أن تنفرد بنفسك لتنكب على عملك أو تستأثر بلهوك ؟

(٥) هل أنت على شىء من سرعة الخاطر وفكاهة الحديث (٢) أو تنقصك هذه الموهبة الاجتماعية ؟

(٦) هل تصارح صحبك بأمورك (٢) أو تؤثر أن تبقيها سراً فى طويتك ؟

(٧) هل تقدر رأى الناس فى زيك وحديثك وحركتك (٢) أو تؤثر أن تتخذ طريقاً خاصاً بك يخالف طريق الجماعة المألوف ؟

(٨) هل تلذ لك المسرات العادية مثل الطعام الشهى والملبس الأنيق والسهرة البهجة (٢) أو يلذ لك أن تنفرد بكتاب أو تخلو بنفسك مفكراً ؟

(٩) هل أنت تقبل الحياة كما هى وتعيش ليومك دون غدك (٢) أو انت تتطلع دائماً الى المستقبل راجياً خائفاً ؟

(١٠) هل تحب أن تنظر الى الجوانب المظلمة فى الحياة وما فيها من زلات وآلام (٢) أو انت رجل متفائل تتوقع خيراً ولا تتوجس خوفاً ؟

(١١) هل تستطيع أن تحتفظ بهدوئك وسكونك ومن حولك صاخب هائج (٢) أو انت تجارى من حولك فى ثورته واضطرابه ؟

(١٢) هل تحتفظ بحالتك النفسية طويلاً (٢) أو انت سريع التحول من شعور الى نقيضه ، من الفرح الى الحزن مثلاً ؟

(١٣) هل تحب — وهل تستطيع — أن تسمر الناس وتجهر بأحلامك (٢) أو تؤثر أن تحتفظ باعتقاداتك سراً ، أو بينك وبين نفسى من أصحابك ؟

(١٤) هل يأتيك حلم اليقظة كثيراً فتفكر فى هناءة الحب وسعادة المستقبل (٢) أو تحتفظ دائماً بصحوك وتفكيرك ؟

(١٥) هل تحب أن تخلو بنفسك (٢) أو تحب أن تكون وسط جماعة من الناس ؟

(١٦) هل لك قليل من الاصدقاء الأوفياء (٢) أو كثير من المعارف الذين لا تربطهم بك رابطة وثيقة من الحب والمودة ؟

(١٧) هل تستطيع أن تقاوم تأثير الخمر طويلاً (٢) أو تغلبك على ارادتك وعقلك ومبلك قليل منها ؟

(١٨) هل تفضل كتب التفكير والتأمل والتحليل وما يتعلق بالاخلاق والمبادئ والنظريات (٢) أو الكتب التى تتعلق بأعمال الناس مثل كتب الرحلات وقصص المخاطرات ؟

[خلاصة مقال لجون موطولاند فى مجلة سيكولوجيست]

سباق الدول الى التسلح

يستهلك ذهب العالم

بلغت نفقات التسلح العالمي عام ١٩١٣ مليارين ونصف مليار من الدولارات الذهبية . وكان الاقتصاديون يصيحون مشيرين الى خطر الحرب . وقد وقعت الحرب بالفعل وخلفت وراءها كومة هائلة من الانقاض ما نزال نعثر فيها

ومع ذلك فقد ارتفعت نفقات التسلح عام ١٩٣٦ وبلغت سبعة مليارات ومائة مليون من الدولارات الذهبية . وفي وسعنا أن نقول استناداً الى أدق الاحصاءات ان الدفاع الوطني في مختلف دول العالم يكلف هذه الدول نحو مليار من الفرنكات الفرنسية كل يوم . . فاذا كانت النفقات في عام واحد تبلغ ٣٦٠ مليار فرنك فهذا المبلغ يمثل ولا شك قيمة أعلى من قيمة الذهب الموجود في مختلف بنوك العالم

وهكذا أصبح ذهب العالم لا يكفي لسد نفقات التسلح في سنة واحدة

ونحن لا نورد أرقاما خيالية بل نضع أمام القارىء الارقام المسجلة في الاحصاءات الرسمية التي وضعها القسم العسكري التابع لعصبة الامم

ومتى أدركنا أن معظم الدول الكبرى تزيد ميزانياتها العسكرية وتدمج بعض اجزائها في ميزانيات وزارات الاشغال أو الداخلية أو المستعمرات أو التربية الوطنية ، تبين لنا أن احصاءات عصبة الامم ما تزال بعيدة عن الواقع الحق

ويلاحظ أن هناك سبع دول تتنافس في التسلح وتنفق عليه أكثر من سواها بل يكاد البعض منها ينفق عليه معظم جهوده وقوته . وهذه الدول هي روسيا وايطاليا وانجلترا والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة واليابان

ففرنسا تنفق الآن على تسلحها ٢٠ مليارا من الفرنكات كل عام . والمانيا ٧٥ والولايات المتحدة ٨٩ وأما انجلترا فقد أعدت العدة لانفاق ١٩٥٠ مليون جنيه استرليني على التسلح ، وقررت حكومة الولايات المتحدة أن تضاعف ميزانية أسطولها البحري اتقاء لشر اليابان التي اعربت عن رغبتها في تجديد بحريتها وعدم التقيد بنوع البوارج أو حمولتها

وهذه الاحصاءات الاخيرة مسجلة في قسم الاحصاء التابع لاتحاد الصناعات البريطانية . ومنها نستدل أن نفقات التسلح العالمي ستبلغ في هذا العام (١٩٣٨) نحو عشرة مليارات من الدولارات الذهبية أو ١٦ مليارا من الدولارات الورقية أو ٤٨٠ مليار فرنك

وربما يلفت النظر أن الدول الديموقراطية تشكو من هذا التسابق في التسلح مر الشكوى لأن أنظمتها المالية حرة ورءوس أموالها حرة ، وهي في حاجة لتوطيد النقد وكسب ثقة أصحاب رءوس الأموال والانتفاع بأموالهم . وأبلغ دليل على متاعب هذه الدول ان تلك مضطرة لقرض لا يملك من الذهب في خزائنه ما يمكنه من دفع رسم نفقات بريطانيا العسكرية خلال الخمس السنوات القادمة

وبذا فالتسابق في التسلح على هذه الصورة يهدد مقدرة الدولة على فرض الضرائب ويعطل حركة الاعتمادات ويضر المالية الوطنية ويؤدي الى هبوط النقد ويستنفد مخزون الذهب

ولقد حدث عندما طلب الحلفاء الى ألمانيا عام ١٩١٩ دفع تعويضات الحرب ، ان سقط المارك سريعة الى الصفر لأن قيمة التعويضات كانت تساوي أكثر من مخزون الذهب في العالم خمس مرات . وتلك نصيحة من نصائح خبراء المال ، ومظهر من مظاهر الخوف الذي استولى على الدول حينذاك

ولا يجب أن ننسى أن موقف الدول الديكتاتورية فيما يتعلق بمشكلة التسلح ومخزون الذهب يختلف الآن عن موقف الدول الديموقراطية . فالأولى تتحكم في النقد وتراقب حركة التجارة وتسيطر على موارد العمل ولا تسمح للشعب بحرية التنقل أو بتشكيل دور التحكم لشؤون المال والاقتصاد . والمعروف أن ألمانيا توشك أن تصبح اليوم بلا ذهب . وما دام في وسعها الحصول على مواد أولية وآلات وعمال ومهندسين من استطاعتها اعتماداً على قوة الدولة وسلطانها المطلق أن تسير مصانعها الحربية وأن تخفض أجور عمالها الى الحد الأدنى ، دون ما حاجة الى اقتحام رؤوس الأموال الخاصة في الموضوع والتلويح لها بالربح الشخصي ، أو الى الاتكال على الأموال المدخرة عند الأفراد ، أو الى التسليم بحرية التعامل النقدي . فالموارد كلها في الدول الديكتاتورية أصبحت والحالة هذه في يد الحكومة ، والحكومة هي التي تحدد الأجور وتفرضها وهي التي تشرف على النقد وهي التي تشغل المشروعات العامة ، وهي التي تتسلح بدون حاجة الى مخزون كبير من الذهب

وقد شعرت الدول الديمقراطية الخاضعة لمبدأ الاقتصاد الحر بهذا الخطر فحاولت وضع الاتفاقات النقدية العامة والمعاهدات التجارية المشتركة ، ثم أوحت بها الديكتاتوريات ووعدتها فوق ذلك بالتساهل معها في عقد شتى القروض ، ثم جعلت من قبول تلك المشروعات شرطاً أساسياً للسلم العالمي . ولكن الدول الديكتاتورية المسيطرة على اقتصاديات شعوبها المتصرفة في عملتها المتحكمة في مواردها ، ما تزال معرضة عن الدخول في مفاوضات نقدية وتجارية عامة حتى تسوى مشاكلها على الوجه الذي ترضاه

وهكذا أهمل تقرير المسيو فان زيلاند في الوقت الذي يشتد فيه التسابق الى التسلح بل في الوقت الذي يتعرض فيه هذا التسابق للجنون باستنفاد ذهب العالم وهبوط قيم النقد وتزعزع ميزانيات الدول واصطدامها آخر الأمر بحرب هائلة تجر دعائم الحضارة من الأعماق

[خلاصة مقال لبول جيلان من غرنجوار]

ارملة المارشال لودندورف

ترثي قرينها أمام نعشه

كان المارشال لودندورف قد اعتنق في أواخر أيامه النظريات النازية ووضع مختلف الرسائل والكتب يؤيد بها حكومة هتلر ، فقربه المستشار اليه واحاطه بعنايته واستمع لارشاداته ونصائحه

وعندما توفى المارشال اشتركت الحكومة في تشييع جنازته واعتبرته بطلا قوميا . وقد حدث اذ ذاك لأول مرة في تاريخ القواد العسكريين في المانيا ان تقدمت ارملة الفقيد والقت أمام نعش قرينها بحضور عدد كبير من عظماء رجال الدولة هذه المرثية الشعرية الرائعة :

مات اريك لودندورف ! واني لأسارع أهله والاجيال القبلة بأنه لفظ النفس الاخير مالكا جميع حواسه محتفظا بصفاء عقل عظيم

ولقد كانت آخر كلماته لي : « انا مشرف على النهاية . فرأى لصحيح أن أموت مؤمنا ايمان الالمان بقدرة الله . فاحرصي على ألا يشوه أحد جهادنا المشترك واعملي على مواصلة هذا الجهاد ! »

مات اريك لودندورف ! واني لأعلن النبأ في هيكلنا المقدس حيث ناضل البطل خلالا مطرد القوة في سبيل حرية الشعب الالماني وخير شعوب العالم

أعلن النبأ لشعبه ، هذا الشعب الذي حماه البطل من بطش اعداء الوطن في الميدان ، والذي استطاع البطل بفضل روحه المتدفقة في أروع حدودنا الواسعة ، ان ينقذه من التدهور والانسحاق في قلب اوربا الالمانية . ولقد كانت روح لودندورف تشع نورا على حدودنا فقاموا بالمعجزات ، حتى انبثت الخيانة بين صفوفهم فانتزعت النصر من يد القائد !

مات اريك لودندورف أعظم قواد الشعوب في اعظم حرب ! واني لأعلن النبأ للشعوب التي حاربت معنا من العالم والتي كانت برغم عدائها الشديد لنا تنحني في احترام امام عظمة هذا القائد

مات لودندورف المجاهد العسكري للشعب ، والرجل الذي سعى لتحرير جميع الشعوب المتمدنة من سلطان الخيالات والاوهام

فاذا تمكن الذين عرفوه من أن يحيئوا في قلوبهم نورا من قبس روحه ، فحينئذ تسترد المانيا مجدها القديم وتعود شمسا خدرا ساطعا وتتحقق النبوءة الجرمانية القديمة التي تقول : « الليلة تنقضي ، والفجر يطلع ، والشعب الجرماني النبيل يتجه في الطريق التي يسلكها الشباب للنصر »

لا تبكوا ، أيها الالمان ، يا من فقدتم أعز عزيز عليكم . لا تبكوا لأنكم ستردون بطل المانيا الى أرض المانيا أمكم . . . !

[خلاصة مقال عن مجلة ليو]

كلاب الحرب

وأعمالها في الجيوش الحديثة

قلما يخلو جيش حديث من فرقة من الكلاب مدربة تدريباً حربياً . ففي الجيش الألماني وحده ٥٠٠٠٠ كلب موزعة على جميع الكتائب وهي تدرب في مدارس حربية أهمها مدرسة فرنكفورت التي تضم أكثر من ألفي كلب . ويعنى جيش أوستريا بالكلاب في كثير من أعمال الدفاع والهجوم ، وقد زود كل واحد منها بكمامة واقية من الغازات السامة . وأنشأت انكلترا مدرسة « ركسبرسون » لتدريب الكلاب ، وهي تعد من أهم معاهدها الحربية

ويرجع تاريخ استعمال الكلاب في الحروب الى العصور القديمة . فقد وجدت نقوش ورسوم في معابد مصر القديمة تبين ان الفراعنة استخدموا الكلاب المفترسة في غزواتهم . وكانت قبائل « السلت » في أوربا تصدر جيوشها صفوف من الكلاب مدججة بالخناجر والسكاكين . وأدرك فردريك الأكبر أهمية الكلاب في الحروب الحديثة فاستخدمها في نقل المؤن والرسائل ، والبحث عن القتلى والجرحى

وقد أدت الكلاب في الحرب الكبرى خدمات جليلة في معونة جماعات الصليب الاحمر . ذلك أن قوة الكلب على الشم والسمع توازي عشرة أمثال قوة الانسان ، فكانت تستطيع أن تشم رائحة الجثث والجروح ، وتسمع أنين المصابين الخافت . وكان الكلب يعرف من غريزته الروح فيدعه مكانه ، ويعرف الجريح فلا ينبح ولا يعوي لئلا يزعجه ، بل يجتذب قطعة من سترته برفق ويجري بها الى فرق الاسعاف لتسحب الى مكان الجريح . وقد انقذت بعض الكلاب مئات من الأرواح ، وثبت في سجلات الجيش البلجيكي ان كلباً من كلابه أنقذ في سنة واحدة ألفي جريح

والكلب من أذكى الحيوانات عقلاً ، وأكثرها الفة بالانسان ، ولهذا سهل تدريبه ورياضته ، فيستطيع أن يميز بين الجندي الذي من جيشه والجندي الذي من عدوه بالنظر الى ملابسه ويستطيع بعضها أن يفهم أوامر تبلغ عدد كلماتها ٢٠٠ لفظة ، وينفذ كل ما يرد فيها . وهو خير الوسائل لنقل المؤن والذخيرة في المناطق الوعرة . وقد استخدمها الجيش البلجيكي في حمل البنادق وتهريبها في بعض مواقع الحرب الكبرى . ويحمل الكلب وحده خمسين رطلاً ويجري بها أسرع مما يجري الانسان مسافات طويلة

وقد كرمت بعض الحكومات الكلاب التي أدت خدمات جليلة في الحرب الكبرى ، فمنحتها من أوسمتها ، وأقامت لها قبوراً ، ونصبت جثثها في متاحف عسكرية

[خلاصة مقال في مجلة أمريكان ليجيون]

هل تصبح تشيكوسلوفاكيا

اسبانيا ثانية ؟

لا تنفك ألمانيا تنشر الدعاية النازية فى تشيكوسلوفاكيا وتثير فى صحفها حرباً عواناً على الجمهورية التشيكوسلوفاكية الناشئة ، مما جعل البعض يتخوف من أن يقدم الالمان بعد أن مرنوا مطامعهم ووسائل على اجتياز الحدود التى فرضت على حكومة الريخ الثالثة . ولقد ضاعفت سياسة الالمان مخاوف الدول الأوربية المتمسكة بالوضع الحاضر الاوربي الحاضر . وهذه السياسة التى أفضت الى عقد الميثاق الالمانى النمسوى ، ثم الى تأليف محور برلين روما ، ثم الى اسقاط المسيو تيتولسكو السياسى الرومانى المشهور صداقته لفرنسا ، ثم الى تأليف محور برلين - روما - توكيو ، قد أثارت شكوك الدول الديموقراطية وفى طليعتها فرنسا ذات الصلة العسكرية الوثيقة بالجمهورية التشيكوسلوفاكية

ويزعم الالمان فى نشراتهم بهذه الجمهورية أن المبادىء الشيوعية سرت فيها وأن السياسة الروسية قد سيطرت عليها وأن عدداً من ضباط السوفييت قد صرح لهم بالتجول على الحدود التشيكوسلوفاكية المجاورة لجوار ولفستال وبرقعة الجبال لوترا التشيكوسلوفاكى

فألمانيا والحالة هذه ترى الى اتهام تشيكوسلوفاكيا بأنها تمنح لموسكو باب أوربا ، وأنها تمثل خطراً شيوعياً يحتم ضرب الالمان ويهددهم ويدفع بهم على الرغم منهم الى تعزيز الجبهة الفاشستية فى روما ولشبونة وبورجوس وبودابست وتوكيو ، فى سبيل القضاء على مكمن الشيوعية وعلى مساعى الكيومنترن فى تشيكوسلوفاكيا

ولقد صرح الدكتور جوبلز فى احدى خطبه أن مطارات روسية أنشئت فى تشيكوسلوفاكيا وأن هناك أسطولا روسيا جويا يهدد البلاد الالمانية ، فلم يكد المسيو بنيس يقف على محتويات هذه الخطبة حتى أسرع بتكذيبها وعرض على الدول أن ترسل لجنة عسكرية محايدة للتحقق من بطلان المزاعم الالمانية

ومما زاد فى هواجس الدول الديموقراطية وارتيابها فى نيات ألمانيا أن جزءاً كبيراً من الاقلية الالمانية فى تشيكوسلوفاكيا مركز بعضه على الحدود ، وأن طائفة عديدة من عملاء النازى ما تزال تروح وتغدو ساعية لتوثيق الصلات بين تلك الاقلية وبين حكومة الريخ ، وأن الجمعية النازية التى أنشأها كونراد هنلين فى تشيكوسلوفاكيا وعزز بها نفوذ الاقلية الالمانية ما تزال تعتبر نفسها طليعة الشعب الالمانى فى بلاد التشيكوسلوفاك

وجميع هذه الظواهر بعث الرعب فى أفئدة الساسة الديموقراطيين وتضرب على قربها رواقاً من

الحيرة والاضطراب والقلق ، حتى أن يصمم هتلر في يوم من الأيام أصادره في تشيكوسلوفكيا بالهجوم على هذه الجمهورية بحجة مكافحة الخطر الشيوعي وتحويلها الى أسبانيا ثانية

وقد ورد في الاتفاق الأخير المعقود بين برلين وطوكيو أن كلا من الدولتين قد تعهدت باتخاذ التدابير الصارمة ضد كل من يقومون بخدمة الدولة الشيوعية في الداخل أو الخارج ، فاستناداً إلى نصوص هذا الاتفاق وإلى متانة محور برلين ـ روما ، قد يفكر هتلر في التدخل المسلح ، وعندئذ تصبح تشيكوسلوفكيا معزولة عن فرنسا بواسطة ألمانيا وعن روسيا بواسطة بولونيا ورومانيا ، ولا سيما وجهود الفرنسيين والانجليز موزعة في الوقت الحاضر بين البحر الأبيض المتوسط والشرق الأقصى . والواقع أن تشيكوسلوفكيا توجس خوفاً من بريطانيا نفسها وتخشى تردد الانجليز وإحجامهم عن زج بلادهم في حرب تقوم في أوربا الوسطى ، بل هي تعلم حق العلم أن عدداً كبيراً من الحافظين البريطانيين يرى أن تطلق يد هتلر في أوربا الوسطى على شرط أن يتعهد مقابل ذلك بالعدول عن مطالبة بالمستعمرات الألمانية السابقة

فانتظار المساعدة من انجلترا وفرنسا بعيد الاحتمال ، نظراً لمشاكل التي ألمت بهما في وجهيهما حرب اسبانيا وحرب اليابان ، وأما المساعدة الروسية فصيرة شاقة إذ هي تستلزم من الروسيا أن تخطر رومانيا لتحصد حليفتها . وقد كان من رأي المسيو تيتولسكو أن يسمح الروسيين باجتياز الاراضي الرومانية ولكن سياسة برلين وروما تغلبت عليه وأقصته من الحكم وأحلت محله رجالا من حزب اليمين عارضوا برنامجه ثم استبعدوه

وفي وسعنا أن نجمل نظرة برلين الى الموقف الحاضر فيما يأتي :

يعتقد الألمان أن روسيا لا ترغب في التورط الآن في مشاكل الغرب لئلا تشتبك في الشرق مع اليابان ، وأن بريطانيا منهمكة في معالجة الخلاف الانجليزي الإيطالي ومراقبة أعمال وتصرفات الايطاليين ريثما تفرغ من تسلحها ، وأن يوجوسلافيا قد تنفصل عن دول التحالف الصغير بتأثير ايطاليا ، وأن رومانيا ستحاول الاحتفاظ بحيادها لتحتفظ بالاراضي التي حصلت عليها بموجب معاهدة فرساي ، وأن بولونيا لن تسمح لجيوش أجنبية باجتياز بلادها ، وأن فرنسا لن تقدم على التدخل المسلح بدون معاونة انجلترا ، وأن في تشيكوسلوفكيا ثلاثة ملايين من الألمان والمجر ينتظرون أول اشارة للعمل بأوامر حكومة الريخ . فهذه الاسباب مجتمعة ترتعد فرائص التشيكوسلوفاك وتخشى الساسة الديموقراطيون أن يتطاير في أوربا شرر جديد يمكن أن يحرق العالم

ولكن حفظ السلم في تشيكوسلوفكيا يتوقف الآن على تقرير مصير الحرب في الشرق الأقصى ، اذ كلما طالت هذه الحرب وكلما ضعفت اليابان ، ازداد الروسيون قوة وازداد الألمان تردداً في هجومهم على تشيكوسلوفكيا . وهذا هو السر في توسطهم لعقد الصلح في الشرق الأقصى قبل أن تنهك قوى اليابان وتنضب مواردها وتقع تحت رحمة الدول الديموقراطية الغنية بالمواد الأولى

[عن مجلة ليفنج ايدج الامريكية]

العلم والحضارة

للعلامة اينشتين

كيف يمكن أن ننقذ الانسانية وميراثها الروحي، بل كيف يمكن ان ننقذ أوربا والحضارة من كارثة جديدة قد تعصف بنا فجأة وتردنا بين يوم وليلة الى غياهب القرون الأولى ؟

إن ساسة الدول العظمى وقد أرهقتهم مسؤولياتهم يتلفتون ذات اليمين وذات اليسار فلا يبصر اقدرهم وأذكاهم وأحدهم نظراً وأجدهم فكراً ، سوى الغيوم المتلبدة في الافق لا يتراءى من خلالها شعاع واحد من نور

ومع ذلك فبعض أولئك الساسة يكافحون في سبيل النظام والسلام كفاحاً صادقاً لا يسعنا الا ان نعترف به شاكرين مقدرين ولكن ما قيمة الساسة بدون شعوب ؟ ... ما قيمة الساسة إذا كانت الشعوب قد بدأت تنسى الأصول والقواعد التي نهض عليها العلم وارتفعت صروح الحضارة ؟

والواقع ان الكوارث التي حلت بنا والتي يمكن ان تهبط في الغد علينا ، قد تولدت من جهل الشعوب أو من تجاهلها مبدأ الحرية . فالشعوب في هذا العصر قد اعتادت ان تساق ، وهي توشك ان تسوق صدورها اشد الساسة كلفاً بالديموقراطية والحرية . فالعودة الى تمجيد الحرية ونشر اصولها بين الشعب وغرسها في الناشئة النشء باعتبارها اصل العلم والحضارة ، هذا هو الجهاد الذي يجب ان نقوم به من جديد ان اردنا الاحتفاظ بميراث الانسانية وانقاذ مستقبل النوع البشري

وليعلم كل من يطالع هذه السطور انه لولا « الحرية » ما ظهر لنا شكسبير وجيته ونيوتن وفاراداي وباستور ولستر ، وما استطاعت جماهير الناس ان تنعم بالبيوت الصحية والطرق الحديدية وأجهزة الراديو والكتب الرخيصة الأثمان ووسائل الوقاية من الامراض المختلفة ، وما اصبحت العلوم والفنون في متناول الجميع ، وما وجدت الآلات التي خففت عن كاهل العمال عبء العمل وأحالت العالم اليوم الى مسرح رائع لكل انتاج عجيب

ولولا الحرية لكنا نعيش الآن أذلاء مستعبدين كما كان يعيش اسلافنا في ظل الاستبداد الاسيوي

والحق ان الرجل الحر هو الذي يخلق ، هو الذي يستطيع ان يبتكر ، هو الذي يمكن أن يبدع الاعمال الفنية التي توجد الحضارة وتتمثل فيها قيمة الحياة

ومن اغراض الحضارة تلك تحقيق العدل . ولكن الشر كل الشر في محاولة تحقيقه خارج دائرة الحرية

فاذا كانت الطبقات العاملة ما تزال تشكو استبداد أصحاب المال ، فلا خير في اقامة نظام طبقية

أو نازية أو شيوعية متطرفة ، تحاول انصاف العمال او خير العمال بالقضاء على مبدأ الحرية

ان فى مقدورنا رفع مستوى العامل والاتفاق على تحديد الانتاج واجراء التعادل بين العرض والطلب ، دون السيطرة على مشاعر الناس وعقولهم وانتزاع ما لديهم من قوى التفكير والادراك

ولكن الانسان كالحيوان ينزع بطبعه الى البلادة والرخاوة فلو لم ننشطه ونبعث فيه الروح لكف عن التفكير واستسلم الى العادة وانساق معها ثم لوقعنا فى النهاية على متابعته فى الزعم بما بلغناه من قوة العزم وصدق الارادة

فالمهم أن تفهم الشعوب انه فى وسعها ان تعيش سعيدة مع احتفاظها بالحرية

المهم أن تفهم الشعوب أن كل خير مادى تصيبه فى ظل النظم الرجعية هو خير موقت لا بد أن ينقلب الى نقيضه ولا بد ان تدفع ثمنه غاليا من حضارة عقلها وكرامتها وشرفها

ولقد اوجد آباؤنا الحضارة لا لأنفسهم فقط بل للجميع . وما كان فى استطاعتهم خلق الجميع بها الا لأنهم أقاموها على فكرة الحرية ولأنهم أرادوا ان يكونوا قبل كل شيء احرارا

فلا حضارة ولا علم والحالة هذه بدون حرية ، كما ان لا حرية مع التعصب الاعمى لعقيدة أو جنس او وطن . وما دامت الحرية مفقودة ومادام التعصب العنصرى والوطنى قد حل محلها فالسلام حلم باطل وروائع الحضارة مستحيلة التحقيق

ومعنى ان الشعب للقيد الحرية الذى استمرأ الطاعة والخضوع لايمكن أن يعتبر شعبا متحضرا بالغا ما بلغ رقيه المادى . وذلك لأن الرقى المادى الشائع أصبح ملكا مشتركا للجميع فى وسع اى كان جلبه بالمال . أما شرط الحضارة الأول والاخير فهو أن تكون حرا لتستطيع ان تعطى لا ان تأخذ فقط ، ان تنتج لا أن تتمتع فقط ، ان تخلق وتفكر وتبدع وتضيف الى ميراث البشرية كنزا جديدا خالدا ، فهذا هو الاصل فى مولد الحضارة ونشأة العلم

[خلاصة مقال من لاريفيو]

رجال الديكتاتورية فى المستقبل

خلفاء موسولينى وهتلر وستالين

من الذين ستقبض أيديهم على زمام ايطاليا والمانيا وروسيا حين يختفى موسولينى الذى يبلغ الخامسة والخمسين ، وهتلر الذى قارب سن الخمسين ، وستالين الذى يمشى فى حدود الستين ؟

لقد اختار الديكتاتوريون الثلاثة خلفاءهم الذين ستتردد اسماؤهم يوما على ألسنة الناس جميعا ،

مقرونة بألفاظ الحب والتقدير، أو عبارات الحنق والغيظ، لأنهم سيصبحون نجوم أسلافهم ويوطدون مبادئهم ويسعون الى غاياتهم . وهؤلاء الأخلاف هم :

الكونت شيانو

هذا هو الذي اختاره موسوليني خلفاً له ، وهو زوج ابنته الكبرى « ايدا » ، ووزير خارجية ايطاليا ، ومن أبرز الساسة العالميين ، ومن أمهر الطيارين المغامرين . وقد أعلن موسوليني سنة ١٩٢٧ أن خلفه لم يولد بعد ، ولم يكن شيانو حينذاك قد ولد في ميدان السياسة ، فلم يشغل أول مركز سياسي إلا بعد ست سنوات ، استطاع في أثنائها أن يرقى درج السياسة عالياً

وشيانو سليل أسرة نبيلة عريقة مارست القرصنة حول شواطئ ايطاليا منذ قرون . وكان أبوه أميراً للبحر ، ثم عمل في الحركة الوطنية مؤيداً موسوليني في مستهل حركته الفاشستية ، فنشأ شيانو وقد أشرب روحه المبادئ الوطنية التي رسخت في قرار تفكيره وشعوره ، فكان في إبان شبابه يأبى إلا أن يبارز بحسامه خصومه في الرأي

وكان أول عمل زاوله بعد دراسته القانون الكتابة في إحدى الصحف الفاشستية الأولى ، فأصدرته ناقدها الأدبي والمسرحي ، ثم درس العلوم السياسية والتحق بإحدى وظائف التمثيل السياسي في أمريكا ثم في الصين . ولما نجح موسوليني في التوفيق بين الحكومة والبابا ، وفض ما كان بينهما من نزاع طال أمده ، عين شيانو سكرتيراً للمفوضية الايطالية في مملكة البابا . ومنذ ذلك الحين بدأ يخطو في مجال السياسة خطاه الفسيحة ، وتوثقت صلاته بموسوليني فزوجه ابنته ، وبعثه قنصلاً الى شنغهاي حيث وضع أساس السياسة التي تنتهجها اليوم ايطاليا حيال الصين واليابان . ثم عاد الى ايطاليا وعين فيها رئيساً ووزيراً للمطبوعات . ولكنه لم يوفق في عمله هذا الى حد بعيد ، إذ لم يكن يرى مانعاً تعارض بعض الصحف الاجنبية مبادئ الفاشستية وتقاوم سياسة ايطاليا ، وكان يعتقد أنه يجب على جميع العالم أن يكون فاشستياً ايطالياً !

ولما قامت الحرب الحبشية كان شيانو في مقدمة الطيارين المغامرين ، وقد تعرض هو وابنا موسوليني لأخطار الموت عدة مرات . ورأى صهره أن يكافئه على جرأته وولائه فعينه وزيراً للخارجية ، فبلغت في عهده سياسة ايطاليا العالمية ذروتها من القوة والتوفيق ، إذ اعترفت أكثر الدول بسيطرة ايطاليا على شرق افريقيا ، وتوثقت العلاقات الاقتصادية بين ايطاليا ودول العالم الكبرى ، وصارت ايطاليا قوة يرهبها ويتملقها الفريقان المتنازعان في حلبة السياسة العالمية

وشيانو يشبه موسوليني في هيئته وصورته ، ويتشبه به في أسلوب حياته العامة والخاصة ، وهو يقف أمام زعيمه وصهره كل يوم ساعة أو أكثر يعرض عليه شؤون السياسة العالمية وما ينبغي أن تجري عليه ايطاليا حيالها

الجنرال جورنج

يقال إن هتلر يريد أن يقصر جهده على زعامة الشعب ، أما ادارة الدولة وتوجيه سياستها فيكلهما الى رجل من رجاله . فاتجهت الأنظار الى رجلين : جورنج رئيس قوى الدفاع ، وجوبلز وزير الدعاية . فهؤلاء الرجال الثلاثة يؤلفون وحدة قوية لاتنفصم عراها ، ويفهم كل منهم روح أخويه فهماً صحيحاً . ومع ان جوبلز أوسع ثقافة وأنضر فكراً ، إلا أن جورنج يفوقه في نظر الرجل الألماني الذي يحني هامته اذا رأى بذلة جندي ، فما بالك ببذلة قائد !

وأهم خصائص جورنج التي يحبها الألمان ثلاث : فروسيته ، ورقته ، وكراهيته لليهود

فأما فروسيته فتتمثل في أنه التقى في الحرب الكبرى بجندي من عدوه ، فصوب اليه مسدسه وهم بقتله ، ولكنه لما رأى ان عدوه مجرد من السلاح ، أنزل يده توا وحياه تحية جميلة وانصرف باسما . أما رقته فتبدو في حياته العائلية الهادئة وفي حبه ومعاملة الحيوان والطيور والأطفال . اما كراهته لليهود فغريزة متأصلة فيه حتى انه كان في صباه يأمر كلبه ألا يعض إلا من لا يجري في عروقهم الدم الآري النقي !

ومن عادات جورنج التي تدل على رقة الخيال وتقديره الفن أنه إذا أحس فتوراً أو تخاذلا جلس يسمع « مارش الأبطال » لفاجنر ، فاذا به ينهض قويا نشيطا جريئا

وهناك كثير من أوجه الشبه والخلاف بين جورنج وهتلر : فكلاهما رجل حزم وصلابة وعناد ، ولكن هتلر شديد التعصب لرأيه ، فلا يرى عليه من نقص ولا يدرك ما في رأي خصمه من خير . أما جورنج فيزن كل رأي وزنا عادلا يتبين منه شتى المزايا والمساوىء . وهتلر عصامي عظيم يمثل السواد من جمهرة الشعب الألماني ، اما جورنج فسليل أسرة رفيعة شغلت مراكز كبيرة في الحكومة والجيش ، وهو يمثل الارستوقراطية الألمانية الحديثة . وهو الى هذا رجل متعدد الجوانب ، إذ هو جندي ، وسياسي ، وخطيب ، وإداري ، ورياضي ، وفنان ، ومغامر في مجال الهوى والغرام ! وهو كموسوليني يحب أن يبهر أهل الشعب في مظاهر التفخيم والتعظيم ، ويرى لها من التأثير في حس الجمهور اكثر مما للحقائق المتروية ، ولهذا يتخذ الأسلوب التمثيلي في زيه وهيئته وفي حديثه وخطابته

وقد قضى في الحرب الكبرى على اربعين من اعدائه ، ولما هزم الحلفاء ألمانيا من حيثها ترك وطنه وهاجر الى الدانيمارك والسويد حيث عمل فيهما طياراً أجيراً . وقد سقطت طيارته ذات مرة على مقربة من قلعة البارونة « كارين فون فوك » ، ولم تمض أيام حتى تزوجها . وقد ماتت سنة ١٩٣١ فتزوج الممثلة « إمى سونيمان » سنة ١٩٣٥

وقد انضم الى هتلر سنة ١٩٢٣ ، وأصيب بقذائف الرصاص في المظاهرات النازية الأولى .

وقد اضطر الى أن يمر من للنابا مرة حوفا من اضطهاد الحكومة ، ولما تقلد هتلر الحكم رشح جورنج لرئاسة الرخستاغ ، فأيدته جميع أحزابه . وكان له الفضل بعد ذلك في كبح جماح العناصر المتطرفة من الهيئات النازية القوية ، وقد اضطر الى أن يلجأ الى سفك الدماء أحيانا مما قد يجعل حكم التاريخ عليه قاسيا . وهو الآن يتولى الاشراف على جميع قوى النابا الحربية في البر والبحر والهواء ، وقد نظمها على أسس وطيدة اعادت اليها مهابتها القديمة . الا أن فيه عيبا واحداً ، هو انه يستمد جميع قواه من هتلر ، فإن غضب عليه هذا يوما ما ، قضي على مكانته في نفس الشعب دفعة واحدة ، كما قضى القيصر السابق على مكانة بسمارك العظيم

المارشال فوروشيلوف

اختار ستالين صديقه أليم الشدة والعنف « كليمنتي فوروشيلوف » خلفا له في حكم روسيا وتوطيد الشيوعية . وذلك لما يعهده فيه من صفات عالية أدت به الى ان يدافع عنه ألوى دفاع ضد خصيمه تروتسكي في مستهل عهد الثورة

ولد فوروشيلوف سنة ١٨٨١ فهو يصغر ستالين عامين . وكان أبوه جنديا في جيش نقولا الاول ، وعمل بعد ذلك في احدى المزارع ، ثم في مصانع السكك الحديدية . ولما تقدمت به السن وعجز عن التكسب ، اضطر ابنه وابنته الى ان يجوبا القرى يستجديان الفتات . ثم عمل كليمنتي راعيا لانعام احد المزارعين ، ثم عاملا في أحد المصانع الصغيرة . فعرف شظف الريف ، كما عرف بؤس المدن ، وصار روحه مزيجا من روح الفلاح الساخط الحانق ، وروح العامل المتمرد الثائر

وكان يجهل القراءة حتى سن الثانية عشرة ، ولكن الفترات الطويلة التي قضاها في السجون مكنته من ان يتعلم القراءة وان يطالع كثيراً من الكتب القيمة التي أفاد منها ثقافة واسعة

وقد شارك في ثورة سنة ١٩٠٥ زعيما لاحدى فرق العمال ، وفي ثورة سنة ١٩١٨ قائداً لبعض كتائب الجيش الاحمر . وقد قضى في سنة ١٩٢٠ على من بقي من الجنود البيض . ثم زحف بكتائبه على حدود بولندا فشتتها . ثم الى القوقاز فطهرها من دعاة القيصرية وأنصارها

ولعل سبب اختيار ستالين إياه ليخلفه أنه رجل تتمثل فيه جميع العناصر التي تتألف منها الجمهورية الشيوعية ، فقد عاش في جميع نواحي روسيا سنوات طويلة اختلط فيها بمختلف أوساطها وطبقاتها ، وهم ما في جميع أنحاء بلاده من مشاكل معقدة مضطربة . فهو يفهم الارمن والتتار ، كما يفهم اهل موسكو ولينجراد ، وكما يفهم اهل فيافي القوقاز

وهو الى هذا خطيب بارع ، يتكلم عن ظهر قلب احصاء دقيقا عن الجيش او السلاح ، ثم يتبعه بأبيات رائعة من الشعر الرصين ! ولكنه لا يفكر في مستقبله كثيراً ، ولولا ثقة ستالين به وحمايته اياه ، لقضت عليه المكائد التي يحيكها له خصومه الكثيرون

[خلاصة مقال في مجلة باريس]

شيانو ←

ختنة موسوليني

جورنج

حبيبة هتلر

فورشيلوف

حبيبة ستالين

تقدم العلم والعالم

قاموس للغة الحيوان!

هل للحيوان لغة يتفاهم بها؟ وهل من صلة بين لغته هذه ولغة الإنسان؟

سؤالان يحاول أن يجيب عنهما طائفة من العلماء المحدثين، يمضون الشهور والسنين في حدائق الحيوان أو في الآجام والغابات. ومن هؤلاء الأستاذ الألماني جورج شوير زكي الذي وضع منذ سنوات كتاب «هل تستطيع محادثة الشمبانزي؟»، ويحاول أن يبين فيه أن لغة الإنسان قد نشأت وتطورت من أصوات الحيوان، مستدلاً على ذلك بأننا نعبر عن بعض الأشياء بالأصوات التي تعبر بها بعض الحيوانات العليا. فالقرد مثلاً حين يغضب أو يثور يصدر هذه الألفاظ «تس تس تس»، وهي نفس الأصوات التي يصدرها الإنسان بلسانه تعبيراً عن غضبه أو دهشته أو امتعاضه

وقد حاول الأستاذ جارنر من علماء الحيوان في أمريكا أن يبين ما بين صوت القرد وحديث الإنسان من صلة وتشابه، فأرسل بين غابات أمريكا الوسطى حيث أمضى بين قرودها المختلفة عدة شهور، ليسجل أصواتها على أقراص الجراموفون. وقد تبين الأستاذ أن للقردة لغة تتألف من ألفاظ وأصوات مختلفة، يعبر كل منها عن معنى معين. فإذا غضب وثار لفظ هذه اللفظة «في في»، وإذا ضحك وابتهج أصدر هذا الصوت «ها ها». واللفظة الأولى تشبه زمجرة الإنسان ساعة غضبه وتذمره، والصوت الثاني يشبه قهقهته حين مرحه وطربه. وقد استطاع الأستاذ جارنر أن يجمع طائفة كبيرة من ألفاظ القردة وأصواتها، وأن يؤلف منها قاموساً..!

وأراد جارنر أن يتثبت من أن هذه الألفاظ والأصوات تعبر عن معان تفهمها القردة، فذهب إلى حديقة الحيوان بمدينة لوس أنجليس وأدار أحد أقراص الجراموفون التي سجلت عليها ألفاظ الغضب وأصواته، فإذا بالقردة تثور في أقفاصها صائحة هائجة، وتزمجر حانقة مغيظة.. فلما أدار قرصاً سجلت عليه ألفاظ الفرح وأصوات البهجة، هدأت القرود واستكانت ثم تولتها نشوة من الفرح والطرب، فقامت تلهو وتقفز وترقص!. واستطاعت قردة الحديقة أن تفهم سائر الأقراص التي سجلت عليها أصوات الحب، والخوف، والتهديد، والتحذير.. الخ

ومن أغرب ما أسفرت عنه أبحاث جارنر أن هناك ألفاظاً مشتركة بين بعض أنواع القردة ولا سيما الجيبون، وبعض القبائل البدائية التي تسكن الغابات. فمن ذلك لفظة «هيو» ومعناها الخطر في لغة الجيبون ولغة قبائل الغابات في أمريكا الوسطى. بل إن بعض هذه الجماعات الفطرية ليست له لغة تتألف من ألفاظ كجميع لغات البشر، بل تتفاهم بأصوات مختلفة كهذه التي

الرئة الحديدية

تصاب الرئة أحياناً بشلل عضلاتها شللاً يمنعها من أداء عمل التنفس، ويؤدي ذلك إلى الموت خنقاً. فاخترع جهاز «الرئة الحديدية» لتقوم عنها بمهمة عملها في حالة الخطر، وذلك أنه يحرك رئة المصاب تحريكاً آلياً يمكنها من أن تؤدي عمل التنفس، ريثما تنتهي فترة الإصابة وتعود إليها حركتها الطبيعية. فيوضع المصاب وسط هذا الجهاز الذي يرفع صدره ويخفضه في حركات تشبه حركات الشهيق والزفير، مما يؤدي إلى تحرك الرئتين ودخول الهواء وخروجه منها قسراً. وقد انتشر هذا الجهاز في كثير من المستشفيات، وأنقذ أرواح كثير من المرضى، ونرى هنا طفلاً وسط «رئة حديدية» في مستشفى لندن، وقد أنقذت حياته رغم أن عضلات رئته شلت وعجزت عن التنفس عدة ساعات. ويبلغ ثمن هذا الجهاز [illegible]

تتفاهم بها الحيوانات ، مما يدل على أن لغة الانسان قد نشأت وتطورت من صوت الحيوان

حين تتخطى الرؤوس !

حين تزدحم جماهير الناس في طريق أو ميدان حول مشهد من المشاهد ، لا يستطيع المرء أن يراه الا اذا زاحمهم بمنكبيه وساعديه ، محتملا كثيراً من العناء متعرضا لكثير من الأذى . ورؤى أن يصنع جهاز يمكن المرء من أن يرى هذا المشهد وهو واقف خلف هذه الجماهير آمنا دفع الأجسام ولكمات الأيدي

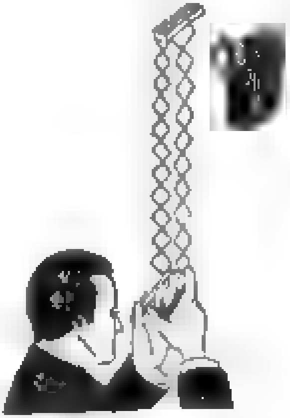

وهذا الجهاز الطريف يشبه البريسكوب ويتألف من مرآتين تعكس العليا منهما صورها على السفلى ، خلال عدد من المرايا موضوع بينهما . فيرفع الرجل المرآة العليا حتى تعلو رؤوس الجمهور ، وتطل على المشهد المحجوب ، فتنعكس صوره على المرايا الوسطى وتظهر على المرآة السفلى ، وهي التي ينظر اليها الرجل وهو واقف في مكانه ...

ومن مزايا هذا الجهاز أن مراياه يطوى بعضها فوق بعض بحيث تضمه حقيبة صغيرة يتسع لها أحد الجيوب !

أجور الأطباء

في العصور القديمة

أول من قرر أجورا للاطباء والجراحين هو حمورابي ملك بابل ، فرض لهم قانونه الذى وضع منذ أربعة آلاف سنة أجوراً تختلف باختلاف مكانة المريض والمرض . فالغني منهم يدفع في علاج كل مرض أو جرح خمسة أرطال من الفضة ، والمتوسط رطلين ونصف رطل ، والفقير رطلا واحداً . ولا تدفع هذه الأجور الا بعد ابلالهم من أمراضهم ، أما ان اخفق الطبيب في علاجهم فلا يكفى حرمانه من أجره بل تفرض عليه غرامة تقدر كذلك حسب مكانة المريض ، وان أدى علاج الطبيب الى موت المريض جزاؤه ان تقطع يده

ولم تحدد مصر أجور الاطباء ، ولكنها اتبعت قانون حمورابي فحددتها حسب ثراء المريض ومكانته . وقد عرف المصريون القدماء الطب البيطري ، وكان الاطباء المصريون يزاولون علاج البهائم

وقد حددت الهند أجور الأطباء ، فجاء في كتاب « فيداس » ان الطبيب يتقاضى من رجل الدين دعوة صالحة ، وممن يملك أرضا فسيحة أربعة ثيران ، وممن زوجته ناقة ، وممن يملك بيوتا أو متاجر جواداً أصيلا ، وممن روحه حمارة ...

أما المستشفيات فلم تعرف قبل عهد الاغريق الذين أقاموا في كل مدينة من مدنهم « بيتا للطب » أعدت فيه غرف لفحص المرضى ، وأخرى لاجراء العمليات الجراحية . وأشهر أطباء

الاغريق هو «جالينوس» الذي برع في طب العيون، وحل في أنحاء آسيا وافريقيا وأسبانيا حيث أغدق عليه الأثرياء هبات طائلة، كما انه أثرى كثيراً من المرضى الذين لم يرهم، عما وصفه من علاج في رسائله اليهم

وأغنى أطباء العهد القديم هم أطباء الرومان إذ كانت كل أسرة مثرية تتخذ طبيبا خاصا تنقده أجراً عظيما. وقد ذكر بليني ان دخل أحد هؤلاء الأطباء كان يبلغ ما يعادل ٧٠٠٠ جنيه كل عام

تيسير تعليم الحروف الهجائية

يلاقي الطفل مشقة كبيرة في تعلم كتابة الحروف الهجائية، ويقضي عدة شهور في استذكار رسومها وأوضاعها، فرأى بعض رجال التربية في امريكا أن يبتكروا طريقة تريح الطفل من هذا العناء، وذلك بأن صنعوا من المطاط نماذج كبيرة لهذه الحروف، يراها الطفل حينما يحملها بيديه ويلهو بها وقت عمله ومراحه، فتنطبع صورها في ذهنه سريعا، وتترك في ذاكرته أثراً أعمق مما تتركه كتابتها على الورق أو السبورة. كما أنه يستطيع أن يثنيها ويشكلها كيف شاء ليصل بعضها ببعض. كما ترى في هذا الرسم الذي يمثل مدرسة تصل حرفين من حروف الهجاء اللاتينية

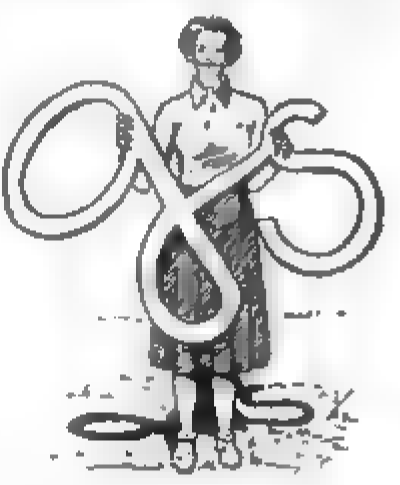

البحر الأبيض المتوسط

وما فيه من القوى الحربية!

لا يصم من الخطر على السلم العالمي مما يدور في أوربا من معارك دامية، ولا مما يقوم في الشرق من حرب لاهبة، قدر ما يحوم حولها في البحر الأبيض المتوسط من تنافس وصراع بين ثلاث دول، هي بريطانيا وفرنسا وايطاليا

وهو اليوم يزخر بأساطيل هذه الدول التي تنفق أكثر أموالها، وتسخر أكثر رجالها، لتكون أقصى ما تستطيع من البوارج والغواصات والطائرات والمدافع. وهذا احصاء دقيق عما لهذه الدول الثلاث من قوى حربية في البحر الأبيض المتوسط:

بريطانيا:

١٥ طراداً
٦ من حاملات الطائرات
١٦٩ مقاومة للمسالك
٥٤ غواصة

فرنسا:

٦ طرادات
١ حاملة طائرات
١٩ مدرعة
٦٨ مقاومة للمسالك
٧٥ غواصة

ايطاليا:

٤ طرادات

٢٢ مدرعة
١١٤ مقاومة الغواصات
٨١ غواصة

ولا تزال كل من هذه الدول تضيف الى قواها ما تصل موانئها ومصانعها ليل نهار في انشائه من البوارج. ونحن مقارنة هذا الاحصاء باحصاء آخر عن قوى هذه الدول في البحر الابيض المتوسط قبيل الحرب الكبرى لتتبين ما طرأ على مركز كل منها من تقدم أو تأخر:

كانت حمولة جميع سفن بريطانيا ٢ر١٧٦ر٠٠٠ طن صارت ١ر٢٩٦ر٣٠٣ طنا. وحمولة سفن فرنسا ٧٦٨ر٠٠٠ طن صارت ٥١١ر٨١٧ طنا، وحمولة سفن ايطاليا ٣٢٠ر٠٠٠ طن صارت ٤٢٩ر٢٤٣ طنا. أي ان بريطانيا وفرنسا أنقصتا من قواهما، بينما تقدمت ايطاليا شوطا طويلا

صحة الأسنان

يجب أن تكون الاسنان قوية نظيفة ملساء السطح، لأن تلوثها وخشونتها تؤديان الى كثير من أمراض الصحة. وخير الوسائل للمحافظة على قوة الاسنان وسلامتها وسيلتان:

(١) تناول المواد التي يكثر فيها الفيتامين «أ» مثل اللبن والخضراوات، والفيتامين «ج» مثل البرتقال والليمون والطماطم، والفيتامين «د» مثل زيت كبد الحوت. والمواد الكلسية كذلك تزيد الاسنان صلابة ومتانة

(٢) تعرض الجسم لأشعة الشمس، فقد ثبت أن اسنان الذين تتعرض أجسامهم للشمس أقوى وأسلم من أسنان من حرموا هذه النعمة الجليلة. ووجد بعض أطباء أمريكا أن كل طفل سليم الاسنان من اطفال المدن المحرومين من أشعة الشمس، يقابله ١٧ طفلا سليم الاسنان في قرى الريف التي تغمرها الشمس بضوئها وحرارتها

وقد وضع أحد الاطباء سبع قواعد تؤدي الى تقوية الاسنان وصحتها وهي:

١ — شرب كمية من اللبن كل يوم
٢ — تناول عصير الفواكه
٣ — تناول كمية من زيت كبد الحوت
٤ — تعريض الجسم لاشعة الشمس كثيراً
٥ — الاقلال من تناول السكر والحلوى
٦ — غسل الاسنان بالفرشاة ثلاث مرات في اليوم
٧ — استشارة طبيب الاسنان مرة كل ستة أشهر

نحن في عصر العلم

بعض المخترعات الحديثة

• لم يعد نقل البيض في حاجة الى أيدي العمال لعد البيض وترتيبه في صفوف، فقد أخرج أحد مصانع لندن أخيراً جهازاً يعد ويرتب ٥٤٠٠ بيضة في الساعة الواحدة، أي بمعدل ٩٠ بيضة كل دقيقة

• صنع مهندس أمريكي سيارة للرحلات الطويلة مؤلفة من طابقين، في أدناها أربعة مقاعد تحول ليلا أرائك للنوم، وفي أعلاها مكان للاغتسال وآخر للطهي وثالث للامتعة، بحيث يتكون منها منزل متنقل معد بأثاث كامل ولا يزيد ارتفاع السيارة كثيراً عن ارتفاع السيارة العادية، ولا تستهلك من البنزين كثيراً

كتب جديدة

سارة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة حجازي بالقاهرة في ١٩٠ صفحة

أصبحت القصة في أوربا اليوم فنا رحب الأفق ، غزير المادة ، جم الحيوية ، تصب فيه الحكمة والفلسفة والبحوث الاجتماعية والنظريات السياسية ومختلف مذاهب الشعر والتأمل الصوفي والتحليل السيكولوجي

والقصة إما شعبية رخيصة تعنى بالوقائع العنيفة والمفاجآت المدهشة والحوادث الخارقة التي لا يقبلها العقل ولا يسيغها المنطق والتي وضعت لتسلية الجماهير والهاب أعصابها ، وإما نصف شعبية تأخذ من عنف الوقائع بقسط ومن التحليل والتفكير بقسط ، وإما فنية خالصة تنهض على البحث المنطقي النفساني أو على الصراع الفكري بين نظريات اجتماعية أو فلسفية مختلفة أو على تصوير ميول ونزعات العصر الحاضر

وقد شاعت في مصر القصص الشعبية الى الطراز الأول وأقبل عليها الناس وتهافتوا على مطالعتها ، حتى لقد اختلطت القيم الروائية في أذهانهم وبات من الصعب عليهم التفريق بين القصة الفنية الصالحة والقصة الشعبية الموضوعة لمحض التسلية وتزجية أوقات الفراغ

وكان الذنب في ذلك ذنب كبار أدبائنا الذين اهتموا بالدراسات والبحوث وانصرفوا عن معالجة القصة ، ولكن نقص هذا العنصر في أدبنا العربي الحديث وانصراف القراء في مطالعة القصص الرخيصة حفز أدباءنا الى سد النقص فتوافر البعض منهم على معالجة فن القصة وفي طليعتهم الاستاذ عباس محمود العقاد

وتمتاز قصة العقاد (سارة) بأنها قصة خالصة من شوائب العنف المفتعل ، بريئة من عناصر « التهويش » الحسي ، قائمة على التحليل فقط وعلى براعة الكاتب في تصوير أدق نزعات النفس وأبعد خلجات القلب البشري

والقدرة على التحليل تتطلب عمقا في الملاحظة ووفرة في الثقافة وسعة في الخبرة بالحياة وتنوع صورها وألوانها

وهذه الخصائص اجتمعت في شخصية العقاد واستقرت في هذه الطريقة الشائقة

وأما موضوع (سارة) فيدور حول غرام (همام) بها ووصف تطورات هذا الغرام من أعراض وانفعال وحصر وحيرة وقطيعة

والواقع أن الاستاذ العقاد قد تطاول الى مرتبة كبار أدباء أوربا . وهو من هذه الناحية أشبه بستندال وفرومانتان ومدام دي لافاييت

ويلاحظ في قصة (سارة) فوق ما تقدم أن عنصر التفكير يقترن فيها بعنصر التحليل ويدل على أن العقاد الناقد قد اشترك في وضع القصة مع العقاد الروائي . وهذه الظاهرة تذكرنا بأسلوب بعض الروائيين المعاصرين الفرنسيين في وضع القصص

وليس شك في أن تجديد الحركة الروائية

في مصر يتوقف على كبار أدبائنا ومبلغ اهتمامهم بهذا الفن ومدى نبوغهم فيه . وهم كما أقدموا على وضع القصص تؤيدهم ثقافتهم الواسعة وخبرتهم الطويلة بالحياة ، رفعوا مستوى هذا الفن وانتشلوه من وهدته وأرشدوا القراء الى الغاية الاساسية المنشودة منه

وقد قام الاستاذ العقاد بواجبه في سبيل نهضة القصة في بلادنا على اكمل وجه مستطاع

النهضة العربية في العصر الحاضر

تأليف الامير شكيب ارسلان

مطبعة دار الفكر بمصر في ٤٦ صفحة

تمتاز شخصية الأمير شكيب ارسلان بحقوق معروفة في شتى دوائر الفكر . فهو سياسي خبير عرك أساليب السياسة العصرية وحنكها وبرع فيها نبوغا واثقا يقدره كل من يعرف جهاده المفرد في سبيل النهضة العربية . وهو أديب مشرق الديباجة شائق الاسلوب جمع بين الثقافتين العربية والاوربية واستطاع التوفيق بينهما مع الاحتفاظ بخصائص الروح الشرقي ، وهو كاتب اجتماعي عميق الفكر بعيد مرمى النظر قدير على العرض والنقد والتحليل في ايجاز محكم وتركيز قوى

وهذه المقدرة على التحليل والتركيز واضحة كل الوضوح في رسالته القيمة عن النهضة العربية في العصر الحاضر

وقد بذل الامير قصاراه في جمع تاريخ هذه النهضة وتبسيطه وتلخيصه في أقل من خمسين صفحة ، فتحدث عن مطلع النهضة الشرقية العربية في عهد محمد علي الكبير وعن تاريخ الصحافة ونشوء الحركة العلمية وانتشار المجلات والصحف في العالم الاسلامي ، ثم تدرج من ذلك الى بحث شؤون التربية وعدد المدارس في العالم العربي ، ثم أسهب في وصف النهضة العلمية والعمرانية في المملكة السعودية وفي اليمن ثم انتهى الى معالجة المشكل الخطير الذي يقلق خواطر المفكرين في مختلف الامم العربية وهو : أتأخذ امة العرب بالثقافة الغربية أم تبقى معتصمة بثقافتها الشرقية الأصلية ؟

ورأيه في ذلك أن ثقافة العرب المستقبلة ستكون عصرية آخذة من التجدد بأوفى نصيب ولكن مع الاحتفاظ التام بالطابع العربي . وهنا أشبه ما سبق الثقافة العربية ان أخذت به في زمن بني العباس وفي زمن بني أمية بالاندلس حينما نقل العرب حكمة اليونان الى لغتهم واطلعوا على علوم الفرس والهند وجعلوا من هذه الثقافات الثلاث ومن الثقافة العربية الأصلية ثقافة جديدة كانت أرقى ثقافات القرون الوسطى

وليس شك في أن خطورة الموضوعات التي عالجها الأمير شكيب ارسلان في رسالته تدل أبلغ الدلالة على قيمة هذه الرسالة التي تعتبر خلاصة حديثة أسداها الأمير لشعوب الشرق العربي كي تتعرف تاريخها الحديث ومدى التطور الذي بلغته في نهضتها

مصر والطرق الحديدية

تأليف الاستاذ محمد امين حسونة

مطبعة الشمس بمصر في ٤٠٠ صفحة

الاستاذ محمد امين حسونة أديب وباحث عمراني . وقد أخرج طائفة من الدراسات الأدبية القيمة ومجموعتين من القصص المصرية الشيقة وطبعت مكانته كناقد وروائي

وهو بهذا الكتاب يعني بتاريخ المواصلات

المصرية وعلى الأخص الطرق الحديدية جيلا حتى من حقبات النهضة المصرية المعاصرة منذ التفكير فى انشاء طريق حديدى بين عين شمس والسويس حتى اليوم

والواقع أنه لم يسبق لكاتب مصرى أن توافر على دراسة هذا الموضوع أو افرد له ميدانا لبحث فكرى منظم . فأكثر المؤلفات العربية التى دون فيها تاريخ مصر الحديث خالية من البحوث المتصلة فى شؤون الطرق الحديدية مع أن هذا التاريخ جزء من حياة مصر الاقتصادية فى مطلع نهضتها

وتعتبر مصر فى طليعة البلاد التى سخرت البخار فى المواصلات ورحبت بالقطار فى ساحاته، ولقد كانت عناية الاستاذ محمد امين حسونه بتاريخ الطرق الحديدية عناية نابعة من أخطر وأروع أدوات العصر الحديث أتيح لمصر أن تسبق الأمم فى استعمالها ورقيها . فالقطار فى مصر مازال يؤدى مهمته العظمى فى سبيل العمران وبث الحضارة فى ارجاء وادى النيل وما برحت مصر مسايرة الرقى الموصول فى أعظم الطرق الحديدية فى العالم ، مقتبسة أحدث النظم والمخترعات علمية بها متصلة شتى وسائل التحسين عليها . ومما يذكر للسكك الحديدية المصرية أنها على سعة خطوطها وكثرة فروعها ، أقل السكك الحديدية فى العالم حوادث وأهونها خطراً

فهذا الرقى هو الذى يصف الاستاذ حسونة مراحله فى فصول كتابه الرئيسية الثلاثة : (المواصلات المصرية) و (شركات السكك الحديدية) و (السكك الحديدية بعد الحرب)

وقد توخى المؤلف فى وضع كتابه الالمام بشتى الوقائع التاريخية وتقريبها الى القارىء وشرحها وتبسيطها بحيث تجمع للمسائل الفنية الصحة موقع الاستساغة من أذهان المطلعين فيقبلون على مطالعتها بلا اجهاد أو ملل

فالتقريب الى القارىء مع الاحتفاظ بالصبغة العلمية الفنية التى يتطلبها الموضوع ومع الاحاطة باطرافه ، هى الميزة التى يشعر بها القارىء . هذا الكتاب الذى لم يوفق صاحبه فى وضعه على هذه الصورة الأخاذة الفاتنة إلا لأنه أديب يعرف كيف يجمع بين جمال الحقيقة وجمال العرض فى أسلوب ناصع لامع جذاب

تذكرة الجراثيمى

الجزء الرابع

بقلم الدكتور احمد حمدى الخياط

مطبعة الترقى بدمشق فى ٤٠٠ صفحة

لا غنى للاطباء والمشتغلين بالعلم عن امعان النظر فى هذا الكتاب الذى قام صاحبه بمحاولة علمية جريئة تستحق كل اهتمام وثناء

فقد حشد فى كتابه ولا سيما فى هذا الجزء منه طائفة كبيرة من البحوث الجرثومية فتكلم فى أسلوب دقيق واسع مستفيض عن خصائص الجرثوميا والهواء والتراب والفم والسائل النخاعى الشوكى والبول والقيح ، ثم أفرد فصلا رائعا خاصا بالتفاعلات المصلية وآخر عن الدم وكرياته وسرعة رسوب الكريات الحمر وتقدير مقاومتها لعوامل الانحلال فى البدن

وينتهى هذا الجزء بارشادات لا بد من اتباعها فى المعمل أو المخبر كما يدعوه الدكتور ، وأهم تلك الارشادات ما يتعلق منها بطريقة سد القوارير وتعقيم ابر الفولاذ وحفظ القطع التشريحية والمحافظة على المستحضرات المصبوغة من العطب

وصفوة القول أن هذا الجهد الشاق الذى

قام به الدكتور احمد حمدي الخياط يجود بأجزل النفع على الاطباء خاصة وعلى الحركة العلمية في الشرق بوجه عام بل على النهضة اللغوية ايضاً . وذلك لأن الدكتور ابتكر ألفاظاً عربية واشتق أخرى ليعبر بها عن المصطلحات العلمية الحديثة، وهكذا استطاع أن يضيف ثروة جديدة الى كنز اللغة العربية

قصص مختلفة للاطفال

من العادات التي درج عليها المربون المتعجرفين تربية ملكات التصور والخيال في عقول أبنائهم من طريق القصص

والقصة في الواقع متى كانت شائقة الاسلوب مسلسلة الحوادث منطوية على حكمة خلقية أو على مغزى اجتماعي ، قربت الى أفهام التلاميذ شئون الحياة وساعدتهم على الملاحظة والاستنتاج وقوت في أذهانهم ملكات التصور التي تدفع الى الابتكار ، وجمعت في نفس الوقت بين عنصر الفائدة وعنصر التسلية . وهذه الاغراض متوافرة كل التوافر في مجموعة من قصص الاطفال رائقة الاسلوب طريفة الحوادث مزينة بأجمل الصور ، وضعها الاساتذة حسن محمد جوهر المفتش بوزارة المعارف ومحمد عطية الابراشي المفتش بوزارة المعارف ومحمود السيد عبد اللطيف المدرس بدار العلوم . وقد تولت مطبعة المعارف بمصر طبع هذه المجموعة وسمتها (أحسن القصص) ، وهي تشتمل على أقاصيص وطنية أجلها (في سبيل الوطن) وأخرى خيالية مثل (الحصان المسحور) و (حليمة في الجبال)

وهناك مجموعة ثانية لاتقل عن الأولى جمالا وفائدة وقد وضعها الاساتذة سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران من خريجي دار العلوم وجعلوا عنوانها القصص المدرسية، وتوخوا فيها غرابة الحوادث واتساع مدى الخيال وحسن السبك ودقة التصوير . وأجلها (مصمل الذهب) و (سكة الجان)

ومن أمثال هذه القصص أيضاً قصة وضعها الاستاذ مصطفى محمد ابراهيم خريج دار العلوم وأسماها (قاهر البحار) واجتهد في أن يجلو على حوادثها الحافلة من البطولة تمرين الجسارة والاقدام وتحض على القوة والمغامرة وتغرس في النشء روح الشجاعة والاستهانة بالمخاطر

ولقد وفق كذلك هذا الاستاذ حسن أبو رحاب ناظر مدرسة فاروق الاول الابتدائية الى وضع قصة من سير العظماء سماها (ملك) وأراد بها توجيه النشء الى وجوب الاقتداء بشخصية جلالة الملك فاروق وما يشيع فيها من آيات الديموقراطية ومن معاني الحب والاخلاص والولاء لمصر

والحق ان وفرة عدد هذه الأقاصيص الشائقة تعد أبلغ الدلالة على روح حديثة في التربية ونزعة حديثة في توجيه ملكات الصبيان واستخدام حبهم للخيال في سبيل تقريبهم من ادراك حقائق الحياة

أمثلة الحروف

للاستاذ محمد الفراوى

مطبعة المعارف بالقاهرة في ٤٠ صفحة

ابتكر الاستاذ محمد الفراوى أسلوباً شائقاً في تدريس حروف الهجاء للاطفال ، وذلك أنه أرفق كل حرف بصورة معينة لجماد أو حيوان ثم صب التعبير في أسلوب شعري بسيط حرك بجمع حرف الهجاء في ذهن الطفل بالصورة التي ألفها واعتاد رؤيتها والتحدث عنها

ومن أمثلة ذلك :

والسين مثل ساقية ذات مياه جارية

وهذا الأسلوب التصويري هو قاعدة التدريس اليوم في الغرب وقد أسفر عن نتائج باهرة

الصحة والقوة

لمصطفى عبد الحليم ناشد

مطبعة حجازي بالقاهرة في ٢٥٠ صفحة

ليس شك في أن الجيل المصري الحاضر أحوج ما يكون الى الاهتمام بكل ما يتعلق بشئون الصحة وإنماء القوى البدنية التي لا يمكن بأي حال من الاحوال أن يزدهر العقل السليم إلا بها . ولقد وضع الاستاذ مصطفى عبد الحليم ناشد هذا الكتاب لهداية الشباب المصريين الى مختلف قواعد الرياضة البدنية . فتحدث عن الالعاب السويدية وعن التمارين بواسطة الأدوات وعن بعض الحركات الرياضية التي يمكن القيام بها دون حاجة الى أدوات أو أثقال . ثم أفرد فصلا طريفا لأساليب التدليك المصرية وآخر لمعالجة السمن والترهل . والكتاب في مجموعه جدير بأن يقتنيه كل شاب يحرص على سلامة بدنه ويقدر أهمية المثل القائل : « ان العقل السليم في الجسم السليم »

معلومات مدنية

لمحمود العابدي

طبع بدار النشر الفلسطينية بصفد في ٢٣٨ صفحة

هذا الكتاب مجموعة مقالات في شتى الموضوعات التاريخية والاجتماعية . وهو أشبه بموسوعة حافلة بعدد وافر من المعلومات العامة التي لا غنى عنها لكل مثقف

وقد وضعنا أن تقسم فصول الكتاب الى ثلاثة أقسام . الاول خاص بالحضارتين الاغريقية والرومانية والثاني بنظام الحكم عند العرب والثالث بأنظمة الحكومات المصرية . وقد أنشأ الكاتب فصلا اضافيا خاصا بفلسطين وادارتها والحياة السياسية والاجتماعية فيها

ويمتاز أسلوب الاستاذ العابدي بغزارة المادة ووفرة الفصول التي وسهولة العبارة ووضوحها ودقتها العلمية القائمة على الاقتصاد والتركيز

ولا ريب في أن هذا الكتاب فريد في نوعه وأن المعلومات التي جمعت به قل ان جمعت في كتاب عربي آخر بمثل هذا التوسع وهذه الاحاطة المقرونة بحسن الترتيب والتنسيق

مذكرة عصبة العمل القومي

بشأن فلسطين

مطبعة الكشاف ببيروت في ٦٠ صفحة

أصدرت عصبة العمل القومي ببيروت مذكرة ترد بها على تقرير اللجنة الملكية الانجليزية بشأن فلسطين، سردت تاريخ فلسطين وأشارت الى علاقتها الوثيقة بالأقطار العربية وأظهرت كيف أنها أرض عربية وأنها ملك أهلها . ثم عرضت لبحث خطر الصهيونية على العرب وفندت اقتراحات اللجنة الملكية وقالت ان العرب يفضلون احتمال العنت والارهاق مدة طويلة ليظفروا باستقلال ملائم كاملا صحيحاً على أن يحصلوا على استقلال شكلي يدفعون ثمنه بالتخلي عن جزء من بلادهم

وهذه المذكرة جديرة بأن يطالعها كل فلسطيني وعربي لما اشتملت عليه من أدلة مقنعة وبراهين لا تحتمل الجدل

الأدب في شهر

وفاة جبرييل دانونزيو

توفي في أول مارس المنصرم شاعر إيطاليا الكبير جبرييل دانونزيو. وقد كانت حياة هذا العبقري حافلة بشتى الحوادث العظيمة والمغامرة بمختلف الأعمال الجليلة التي أكسبت شخصيته طابعاً ممتازاً وخلدت اسمه على مر الأيام.

والغريب في هذا الرجل أنه كان شاعراً وبطلاً في نفس الوقت. فقد خلد الأدب الإيطالي روائع أشعاره وقصصه وجدد شعور الإيطاليين بقوميتهم وحقهم في السيادة والتفوق عندما زحف بنفر من أنصاره على مدينة فيومي عام ١٩٢٠ فاحتلها وأنشأ بها حكومة خاصة إلى أن تمكن من إلحاقها بالدولة الإيطالية. ولا شك في أن هذه الحركة التي قام بها الشاعر مهدت لحركة موسوليني والزحف الذي قام به الفاشست إلى روما.

وأما من الناحية الأدبية فقد كان جبرييل دانونزيو سيد الشعر الغنائي في عصره وأقدر أديب إيطالي على رياضة اللغة الإيطالية وصياغتها والتعبير بها عن أغرب الخيالات والتصورات الشعرية.

ويمتاز أسلوبه بالقوة الموسيقية والصنعة المتقنة وبعض الحرارة والحماسة المنبعثة من أعصاب دائمة التوتر وخيال دائم الاضطرام والغليان.

وأسلوبه الأدبي يشبه أسلوب فلوبير في موسيقاه. ولذلك سمي بحق «فلوبير الأدب الإيطالي الحديث».

وقد كان دانونزيو عبقرياً متعدد المواهب والملكات، استطاع أن يبدع في الشعر والقصص والمسرحيات والأقاصيص الشعرية والدراسات الأدبية والنقد التحليلي.

وكان فوق ذلك يجيد اللغة الفرنسية كأعظم كتابها وقد وضع بها مسرحيته الشهيرة «استشهاد القديس سباستيان» التي قامت بالدور الأول فيها الممثلة والراقصة المشهورة مدام إيدا روبنشتين والتي مثلت في باريس أكثر من ألف ليلة متوالية.

وأبدع أعمال دانونزيو في عالم القصة «النار» و«انتصار الموت» و«فتى الشهوة» وكلها قصص ترسم أدق وأخفى تطورات عاطفة الحب من خلال الاستعارات والتعبيرات الشعرية المجردة، وتعزل عن الأسلوب الواقعي الذي لا يحفل في العادة بالروح الشعرية ويكتفي غالباً بالملاحظة المباشرة العادية.

والواقع أن دانونزيو كان يكره رسم الحقائق على علاتها وكان يأبى إلا أن يضفي عليها حلة من الشعر منسوجة بطبعه وعبقريته.

وأما مسرحياته فأهمها «فرنشسكا دي ريميني» و«الجيوكوندا» و«المجد» وكلها تنهض على فكرة البطولة في الحب والبطولة في الحياة. وقد خدم دانونزيو المسرح كما خدمه الكاتب البلجيكي موريس ماترلنك، وذلك بتحريره من

رسم الواقع المحسوس ومن التحاليل النفسية التجريدية وأقامته على تصوير المواقف تصويراً عميقا صادقا ، ولكن في قالب شعري يبرز الحقائق من خلال الأحلام والتصورات

وقد تأثر دانونزيو في مسرحياته بالأدب الشكسبيري والأدب الاسباني القديم . وتأثر في قصصه بالكاتبين الفرنسيين بول بورجيه وموريس باريس . ولكن سر عظمته كامن في قدرته الخارقة على التخيل وفي جرأته في الاستعارة الطريفة الغريبة وفي استعداده المدهش للتعبير عن أدق حالات الحب، وفي مقدرته الفذة في تصوير المناظر الطبيعية

وهو في هذه النواحي جميعا يتزعم كتاب أوربا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

لماذا يتزوج الرجل ؟

هو عنوان كتاب وضعته الأديبة الأسوجية مدام ريهارت وحاولت أن تثبت فيه أن الرجل قل أن يتزوج المرأة الجميلة، وأن المرأة الذكية التي تعرف كيف تخفي جمالها وكيف تتجنب إظهار هذا الجمال بواسطة المساحيق وكيف تتواضع ولا تحاول توكيد شخصيتها ، هي التي تروق غالبا في عين الرجل وهي التي ينتهي به الأمر إلى التزوج منها

فالرجل في نظر مدام ريهارت يطلب الجمال في عشيقته ولكنه يخاف هذا الجمال ممثلا في امرأته . وخوف الرجل من الجمال ظاهرة لا تفهمها المرأة التي كثيراً ما تغالي في التجمل لتروق في عين رجل ثم تبصر بعد هذا الرجل يتحول عنها ويقترن بغيرها

وترى مدام ريهارت أن الجمال أو ارادة التجمل كلاهما يخلق في نفس المرأة نوعا من الزهو والغطرسة والاعتداد ، ينفر الرجل منها ويخيفه من معاشرتها . فاقتران الجمال بالتواضع هو المثل الأعلى عند الرجل ، ولكن ندرة هذا المثل في الحياة الواقعة تنتهي به آخر الأمر إلى التزوج من المرأة المتوسطة المحاسن . وكثيرا ما تكون هذه المرأة شراً من الجميلة ، غير أن الرجل يظل معتقداً في صميم نفسه أنه لو كان قد تزوج الجميلة لكانت حياته أصعب مراسا وأشق احتمالا

وإذن فالمرأة الحسناء يجب ألا تغتر بحسنها ويجب ألا تتوهم أن الرجل يتمنى أن يكون عبداً لهذا الحسن . وإلا أشعرته بضعف رجولته حيالها وفقدته كزوج

حقوق المؤلفين في الدانمرك

كثيرا ما تستباح حقوق المؤلفين ويسطو البعض على أعمالهم فينتسب أو ينتفع بتلاوتها دون أن يفكر في أصحابها وفي تعويضهم بعض الشيء عن المتاعب التي قاسوها في سبيل إبداعها، وقد فكرت الحكومة الدانمركية في حظ المؤلفين وما يلحقهم من غبن فقررت أخيرا زيادة دخلهم المادي تشجيعا لهم على مواصلة العمل والانتاج

ومن التدابير التي اتخذتها لهذا الغرض أنها فرضت رسما على كل من يطالع أي كتاب من المكاتب العامة أو في نوادي المطالعة وفرضت رسما آخر على كل من يقتبس جزءاً من كتاب ويذيعه بواسطة الراديو أو اسطوانات الفونوغراف

وهذه الرسوم تجمع بعد انقضاء فترة معينة وتوزع على الكتاب الذين انتفع بمؤلفاتهم للاذاعة أو المطالعة

وقد أحس المسيو جان زاي وزير معارف فرنسا هذه التدابير والحقها بغيرها عن إصلاح حال الأدباء الفرنسيين ورفع مستواهم المادي

دستوفسكي أمريكا

هو القصصي المشهور وليم فوكنر الذي يعتبر اليوم أكبر أدباء أمريكا والذي أثار اعجاب نقاد أوربا بقصته الرائعة (نفس الانسان)

وهذا الروائي تفوق تفوقا عجيبا في رسم أدق وأخص انفعالات النفس البشرية، ووصف تلك الظلمة الكبيرة التي تسبح بها العواطف المكبوتة في أعماق العقل الباطن. وقد أصدر منذ بضعة أسابيع روايته الأخيرة (سارتوريس) فعزز بها مركزه الأدبي وارتفع بواسطتها إلى مصاف كبار أدباء الروس ولا سيما دستويفسكي

وفي هذه القصة يصور لنا وليم فوكنر فردا من سلالة سارتوريس عصفت به الحرب الماضية وحطمت أخلاقه وأعصابه وجعلته في صورة إنسان، ثم هبط عليه ذات يوم وحي الحب الصادق فتمكن منه واستولى على قلبه واضطرمت فيه شعلة الصراع بين الخير والشر

وتدور حوادث القصة حول هذا الصراع وحول عاطفة الحب المثلى في اصطدامها بنزعات الشر التي خلقتها في نفس البطل فظائع الحرب. ولكن ختام الرواية القاتم يدلنا أبلغ الدلالة على أن قوة الخير الكامنة في الحب لم تستطع التغلب على قوى الشر التي ولدتها أهوال الحرب، فظل البطل وحشا كما كان وظلت غرائز العنف والقسوة مسيطرة عليه متحكمة فيه

ومغزى هذه القصة الرائعة أن نفوس البشر قد تذهب فريسة الحرب كأجسامهم وأن ما تعمله الحضارة في تهذيبهم وتثقيفهم تذهب به الحرب وتقضي عليه حياة الخندق شر قضاء

أدب الحرب الاسبانية

بين صفوف جيش الحكومة الاسبانية عدد وافر من نوابغ الأدباء حاولوا ابتداع أدب جديد يدور حول الصراع القائم بينهم وبين جيش الجنرال فرانكو

وفي مقدمة أولئك الأدباء الحكوميين «رامون سندر» مؤلف قصة «هجوم مضاد في اسبانيا»

ورامون سندر جندي وأديب، وقد اشترك في معظم المعارك الكبيرة التي خاضها جيش الحكومة. وكان يكتب قصته في الخنادق وتحت وابل من رصاص العدو. وتعتبر هذه القصة صورة مصغرة مروعة للحرب الأهلية الاسبانية. وقد وضعها بعض النقاد في مستوى قصة (النار) الخالدة التي رسم بها الكاتب الفرنسي هنري باربوس فظائع القتال أثناء الحرب العظمى

وأروع ما في قصة رامون سندر وصف الحياة في مدريد الجريحة غير المكترثة للغزوات الجوية المتتالية، ووصف الجهود التي قام بها الحكوميون لصد هجمات الثوار، ووصف المعمعات الفتاكة التي خاضوها في برونيت وبينارويا ولواسون والتي أسفرت عن حيرة الجنرال فرانكو وقلق ايطاليا وألمانيا على مصير الحرب الاسبانية

وتمتاز قصة «رامون سندر» بأنها ترسم في دقة تامة روح الجهاد العسكري الشائع في أفراد جيش الحكومة، فهذا الجيش يحارب الثورة من أجل فكرة وفي سبيل مبدأ هو مبدأ الحياة الديموقراطية الحرة تسعى للتغلب على نفوذ

الأشراف وسلطة الاكليروس تتمثلين في أعمار الجنرال فرانكو

وكل من يطالع قصة رامون ساندر يشعر بأن الحرب الاسبانية الأهلية هي حرب بين فكرتين . فكرة الاتجاه بالشعب الاسباني نحو الانظمة الحديثة أو نحو نظام جديد يوفق بين الديموقراطية والاشتراكية . وفكرة العودة بالشعب الى أنظمة الحكومات الفردية في القرون الوسطى

وقيمة القصة كامنة في تصوير مختلف ظواهر هذه الحرب الفكرية من خلال الحرب الحقيقية التي جعلت البحر المتوسط مسرحا للصدام بين ايطاليا وانجلترا

الاسلام في العالم

صدر في باريس كتاب بهذا الاسم للعلامة ارثور بيلجران وهو بحث مستفيض عن عقائد الاسلام ونظمه وأثره في الحياة الاجتماعية والسياسية

وقد أشاد فيه مؤلفه بقابلية المسلمين المصريين للتطور واستعدادهم للحياة الحديثة ورغبتهم في مجاراة الحضارة الناهضة مع احتفاظهم بالاسلام وحرصهم عليه وبقيتهم بأنه دين مبرأ عن شوائب الجمود يحمل في تطوراته مختلف عناصر التقدم

ومؤلف هذا الكتاب قضى ردحا من حياته في افريقيا الفرنسية ، وهو لا يؤمن بامكان تحقيق الجامعة الاسلامية وان يكن عطفه على الاسلام والمسلمين واضحا في تفكيره واسلوبه

ويلاحظ على الرغم مما تقدم ان المؤلف فرنسي النزعة يسرف في امتداح عمل فرنسا في مستعمراتها الاسلامية ولا سيما في دوائر الثقافة والاقتصاد ، ويرى بالطبع أن انصار الحرية والاستقلال من المسلمين خطر على فرنسا ، ولذلك يتهمهم بالدعوة الى الجامعة الاسلامية

والكتاب في مجموعه ينصف الاسلام وان تكن بعض صوره مشوبة بالروح الاستعمارية

اعلان الحرب على الفقر

كسب الاديب الامريكي توم كرومر خمسة عشر الفا من قراء نيويورك وعقد العزم هو وجمع من أنصاره على اعلان حرب شعواء على الفقر والعطل . وقد أخرج كتابا عنوانه « طريدو الجوع » رسم فيه صوراً مروعة من حياة رجل أمريكي عاطل شريد

وقد تناول المؤلف بطل قصته في حياته اليومية فأظهر لنا كيف يجوع ومع من يجوع وماذا يأكل وكيف يلهو وفي أية أمكنة يقضي لياليه وكيف ينحط جسمه وينحط عقله وتفنى كرامته حتى يستحيل الى آلة صماء

وقد أعجبت هيئة أعضاء العمال الامريكيين بهذا الكتاب أيما اعجاب واتخذت منه وسيلة لمكافحة الفقر والدعاية للطبقة العاملة ومحاربة العطل ، فطبعته على نفقتها ووزعت منه آلاف النسخ بثمن زهيد ليكثر انتشاره ورواجه بين العمال ومعشر الموظفين

ومن الظواهر التي أحدثها هذا الكتاب اهتمام الرئيس روزفلت ، واعترافه في جمع من الصحفيين بقيمته ومصارحته لهم بأن توم كرومر هو أول أديب شعبي ظهر في أمريكا ، وأول قصصي استطاع التحرر من دراسة أخلاق وعادات الطبقة الوسطى وأقدم على دراسة حياة العامل والفلاح من الجانب الاجتماعي الاقتصادي الذي يسيطر في هذا العصر كل السيطرة

بين الهلال وقرائه

مؤسس الطيران

(سامرا – العراق) صبيح أنور الاورفه لي

هل يمكن أن نعد عباس بن فرناس مؤسس الطيران ؟

(الهلال) يروي التاريخ أن عباس بن فرناس لبس لباساً على هيئة الطائر ، له جناحان منصوب فيهما ريش طويل ، فاستطاع بتحريكهما أن يرتفع عن الأرض فترة ثم هوى بجسمه على مقعده فتألم . وعلى هذا فلا يمكن أن نعده مؤسس الطيران ، أولاً لأن محاولته لم تأت بنتيجة ما ، وثانياً لأنه لا صلة بين فكرته والفكرة التي قامت عليها الطائرة الحديثة

أما من يرجع إليهم الفضل في تأسيس الطيران من متقدميهم الاخوان الفرنسيان « أورفيل رايت » و « ولبر رايت » فقد صنعا طائرة – ما زالت موجودة في أحد متاحف لندن – من الخشب الخفيف وكسوها بقماش أشرعة السفن ، وطار بها أحدهما لأول مرة يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ ، وارتفع بها ٨٥٢ قدما ، وبقي في الجو ٥٩ ثانية أي أقل من دقيقة وكانت قوتها ١٠ أحصنة ، وفي جناحيها مروحتان مستعملتان ، وليس بها مكان يتسع لجلوس الطيار ، فكان يضطجع على جناحيها

وصنعت أول طائرة بمحرك « موتور » . أما البالونات فقد عرفت قبل ذلك ، وكانت تملأ بالأيدروجين الذي تقل كثافته عن كثافة الهواء ، فترتفع ، وقد شهدت القاهرة البالونات حوالي منذ ١٤٠ عاما ، أطلقها نابليون في أثناء حملته على مصر ترهيبا لأهلها

أشهر رجل في العالم

(الخرطوم – السودان) ا . ب

من ترونه أشهر رجل في العالم ؟

(الهلال) ذكر الأديب المؤرخ اميل لودفيج في مقال كتبه منذ سنوات أن أشهر رجلين في العالم هما . ممثل السينما شارلي شابلن ، ثم زعيم الهند المهاتما غاندي

على أنه يتعذر معرفة أشهر رجل في العالم إذ أن هناك بضعة مئات من الرجال المشهورين جداً . ولكن رجال السياسة أمثال غاندي وموسوليني وروزفلت ، ورجال الأعمال أمثال فورد وروكفلر ، وعظماء الفنانين والأدباء والعلماء ، أمثال شارلي شابلن وبرنارد شو وأينشتين ، وكذلك كبار المجرمين أمثال آل كابوني وديلنجر .. هم أوسع الناس شهرة . وكلما كان عمل الشخص متصلا بالجمهور تردد اسمه وذاع صيته ، ولهذا كان ممثلو السينما وممثلاتها ، وزعماء السياسة ورجال الصحافة ، أعظم شهرة من العلماء والفلاسفة والمفكرين المغمورين في جامعاتهم أو مكاتبهم أو معاملهم

وراثة الأخلاق

(بورسعيد – مصر) فوزي الفاضل

هل يرث الابن فضائل أبيه ورذائله ؟ ولماذا لا يرث أخلاق أمه وهي التي تلازمه طول طفولته وصباه ؟

(الهلال) كان رجال التربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر يرون أن الأخلاق نتيجة البيئة وحدها ، وأن لا أثر للوراثة في تكوينها أو توجيهها أي أن الطفل يولد حراً من كل صفة وراثية ، ثم تتكون أخلاقه وفق الوسط الذي يحيط به في البيت والمدرسة والمجتمع . ولهذا وجهوا همهم إلى إيجاد الوسط الصالح لتنشئة الطفل تنشئة صالحة ، فدعوا لإصلاح الحياة العائلية والمدرسية ، وتقويم النظم الاجتماعية المختلفة . وقد تزعم هذا المذهب روسو في فرنسا ، وسبنسر في انجلترا

ولكن البحث العلمي الحديث أثبت أن الوراثة هي العامل الأول – بل لعلها العامل الوحيد – في تكوين

أخلاق المرء. لكنا أن الطفل يرث من أبيه وأمه صفات جسمية كبيرة، فهو يرث عنهما صفات خلقية شتى، فينشأ مفطوراً على الجرأة أو الجبن، على النشاط أو الخمول ... الخ. أما البيئة فلا تكوّن الأخلاق ولا تنشئها، وإنما تحورها أو تصقلها

ومن التجارب التي أجريت هنا أن طفلين شقيقين نشأ أحدهما في بيت أبيه الفقير الخامل، وتبنى الآخر رجل ثري متعلم، فلم يؤد الاختلاف الكبير بين بيئتي الطفلين الى اختلاف في طباعهما وأخلاقهما، بل ظلا متشابهين في أكثر الصفات، مما يدل على أن الوراثة، وليست البيئة، هي التي تكوّن الأخلاق وتوجهها

والطفل يرث عن أبيه كما يرث عن أمه، ولكن قد تغلب أخلاق أحدهما — كما تغلب ملامح الجسم — أخلاق الآخر. ولا عبرة في الوراثة بالملازمة والمعاشرة، فالطفل يرث من أخلاق أبويه، ولو لم يعش معهما

حرف الظاء

(سان باولو — البرازيل) طنوس عبده

من الناس من ينطق حرف « الظاء » كحرف « الزاي » ومنهم من ينطقه كحرف « الضاد » فأيهما أصح ؟

(الهلال) كلا النطقين خطأ، والصحيح أن يكون وسطاً بين حرف « الذال » وحرف « الضاد » وذلك بأن يخرج حرفاً من طرف اللسان من بين ثنايا الأسنان

الماء المثلوج

(صبح — فلسطين) سائل

تذكر كتب الأدب العربي القديمة « الماء المثلوج » فكيف كانوا يصنعونه ؟

(الهلال) لم تعرف العرب الثلج الصناعي، وإنما عرفت الثلج الطبيعي، أي الذي يسقط من السماء كما كانوا يقولون، وبهذا الثلج يبردون الماء. فجاء في لسان العرب: « ماء مثلوج مبرد بالثلج، والثلج الذي يسقط من السماء معروف ». ولم يجهل الإنسان الثلج منذ وجد على الأرض، فقبل المدنية بآلاف السنين كان الثلج يغطي سطح الأرض كله، أي في العصر الجيولوجي الذي يعرف « بالعصر الجليدي ».

جوستاف لوبون

(صبح — فلسطين) وهبه

ما هي أشهر مؤلفات جوستاف لوبون، وماذا ترجم منها الى اللغة العربية ؟

(الهلال) كان جوستاف لوبون من الطراز « الانسكلوبيدي » الذي أحاط بشتى العلوم وطرق مختلف المباحث. فكتب في التاريخ والاجتماع والفلسفة والعلوم الطبيعية. وأعظم شأنه يرجع الى ما كتبه عن نفسية الجماعات وطبائع الأمم وأخلاقها النفسية. فكتب عن تاريخ الحضارات القديمة عدة أسفار وافية دقيقة، بحث فيها نوعي حضاراتها، وأسباب تقدمها وعوامل انهيارها. كما كتب في النظم السياسية الحديثة منتقداً الديموقراطية مهاجماً الاشتراكية. وقد ترجم كثير من كتبه الى العربية. فنقل الاستاذ أحمد فتحي زغلول « روح السياسة » و « روح الاشتراكية » و « روح الثورات والآراء والمعتقدات ». وترجم له الاستاذ صادق رستم كتاب « الحضارة المصرية القديمة ». ومن أهم كتب لوبون التي لم تترجم الى العربية كتاب « [illegible] في العصر الحاضر » الذي جمع فيه خلاصة تفكيره الاجتماعي وتلخيص آرائه المبثوثة في كتبه الكثيرة. وقد لخص « الهلال » هذا الكتاب في عدد فبراير سنة ١٩٣٢ أي عقب وفاته مباشرة

رسم كلمات القرآن الكريم

(صبح — فلسطين) وهبه

لماذا لا ترسم كلمات القرآن الكريم وفق الهجاء المعروف ؟

(الهلال) أخذ رسم المصحف المعروف من خط المصاحف التي بعث بها عثمان بن عفان الى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذي جعله لأهل المدينة والمصحف الذي اختص به نفسه. وكذلك من المصاحف التي نسخت منها. فكلمة « الصلاة » مثلا تكتب « الصلوة » وهكذا

وقد طلب الكثيرون أن ترسم كلمات القرآن الكريم وفق قواعد الهجاء المعروفة لئلا يخطئ المرء في قراءتها خطأ يفهمه المعنى على غير حقيقته. ولكن المحافظين يؤثرون تقليد أسلافهم واتباع الهجاء القديم

سكان البلاد العربية

(ماريو — داكوتا) ف . ج

هل سكان البلاد العربية عرب خلص ، أم خليط من شعوب شتى وكم يبلغ عدد العرب في العالم ؟

(الهلال) فحص بعض علماء التاريخ المصرى القديم جماجم عشرات الالوف من سكان مصر الحاليين ليقارنوا بينها وبين جماجم الشعوب والاجناس المختلفة ، فوجدوا ان سكان مصر خليط من عدة شعوب ، وان كان اكثرهم في بعض الجهات من سلالة المصريين القدماء ، وفي بعض الجهات من نسل العرب الفاتحين والمهاجرين . والجمجمة أدق وسيلة لمعرفة الجنس والشعب لأن لكل جمجمة مميزة يسهل تمييزها عن سواها ، بمقارنة الاشكال والحجوم وضخامة العظام

وكما أن مصر خليط من شعوب مختلفة ، فكذلك سوريا والعراق وسائر البلاد العربية ، وإن كان العنصر العربي يغلب في مناطق ويقل في أخرى . ولعل الشعب الوحيد الذي نستطيع أن نعتبره عربياً خالصا هو شعب الجزيرة العربية ، ولا سيما من يعيش منه في البادية بعيداً عن المدن التي يقطنها اليوم أخلاط من ابناء الشعوب الاسلامية المختلفة . وعلى هذا فلا نستطيع أن نعين عدد العرب في العالم ، اذ أن في كل قطر من الاقطار العربية عرقاً خاصاً يختلف عن غيره . أما عدد سكان الاقطار العربية كلها فزهاء ٤٦٠٠٠٠٠٠ نسمة موزعين هكذا على وجه التقريب :

مصر	١٦٠٠٠٠٠٠ نسمة
سوريا وفلسطين وشرق الاردن	٤٠٠٠٠٠٠ »
العراق	٣٥٠٠٠٠٠ »
الجزيرة العربية واليمن	٧٠٠٠٠٠٠ »
السودان	٦٥٠٠٠٠٠ »
بلاد المغرب	٩٥٠٠٠٠٠ »

تغير لون البشرة

(النجف — الاشرف) قارىء

لماذا يضرب لون الوجه الى السمرة كلما تقدم المرء في السن ؟

(الهلال) يتغير لون البشرة من البياض الى السمرة بسبب تعرضها لضوء الشمس . وبشرة الزنجي حالكة السواد لطول تعرضه هو وأسلافه لشمس ساطعة تلفحها ، بينما بشرة الاوربي مثلا بيضاء لأن الشمس لطيفة نحوها . وسمرة الوجه لا تأتي نتيجة لتقدم العمر وإنما نتيجة تعرضها للشمس على توالي الايام . ولهذا نرى السيدات المخدرات تظل بشرتهن في سن الكهولة بيضاء كما كانت في سن الشباب

على ان لتقدم السن أثراً في تغير لون البشرة تغيراً ظاهرا . وذلك ان بشرة الوجه المنبسطة المشدودة في سن الشباب ترتخي وتتهدل كلما تقدم المرء في السن ، فيتداخل بعضها في بعض فيخيل الى الرائي أن البشرة قد ضربت الى السمرة

الملاحة في عهد الفراعنة

(بور سعيد — مصر) يوسف هالي

هل عرف المصريون القدماء السفن الحربية ، والسفن التجارية الكبيرة ؟

(الهلال) اتخذ المصريون القدماء السفن في حروبهم ، فترى على جدران معبد مدينة « هابو » منظر معركة حربية وقعت في عهد رمسيس الثالث . وكانت هذه السفن كبيرة الحجم ، تتسع لكتيبة من الجند

ولقد كان لمصر في عهد الدولة الحديثة أسطول تجاري كبير يسير بعضه في نهر النيل ، وبعضه في البحرين الأبيض والأحمر . وكانت سفن النيل تحمل الاثقال الكبيرة مثل احجار الاهرام والمعابد ، والمسلات والتماثيل . ونرى على جدران معبد الدير البحري صفينة طولها ٨١ مترا ، وعرضها ٢٧ مترا ، حملت عليها سفن المسلات من محاجر الجرانيت باسوان الى الكرنك حيث نصبت . وكانت هذه السفن تسير بدون مجاذيف ، تجرها عدة سفن صغيرة يتقدمها عظيم الدولة فرعون . وكانت تسير في النيل كذلك سفن أخرى تنقل الغلال والماشية والاثقال الصغيرة

ولقد سيرت الملكة حتشبسوت أسطولا تجاريا في البحر الاحمر وأوصلته الى بلاد « بونت » لتأتي للبلاد بنوادر من حاصلات هذه البلاد ، ولا سيما اشجار البخور الذكي . ونرى مناظر هذه الرحلة التجارية منقوشة على جدران معبد الدير البحري

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N Y (U.S.A.)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه حنا سكاف
في انطاكية	سوريا	اميل افندي انطونيوس لاذقاني
في اسكندرونه	سوريا	السيد عبد الله قري
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندي حمصي - غرفة القراءة الامريكية
في حمص	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي خميس
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندي طبره ٩ شارع اياس بيروت
في دمياط		زكريا افندي الحراوي ، ناظر مدرسة الحراوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب المكتبة العصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي النحاس ص . ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr Abdulah Bin Afifi—Cheribon Java
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

أخلاق السياسي

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

حدث الدكتور أحمد زكي قراء الهلال عن « أخلاق العلماء » ، ثم حدثهم الدكتور طه حسين بك عن « أخلاق الأدباء » ، وها هو الدكتور عبد الرحمن شهبندر وزير خارجية سوريا في عهد الملك فيصل يحدثهم عن « أخلاق السياسيين » ، صنف أصحاب السياسة ، ومشاهير رجالها في تدبير شؤون الدولة

هنالك فرق في الاصطلاح متفق عليه عند الكتاب الغربيين بين السياسي Politician وبين الداهية Diplomate . فالسياسي هو الذي يستخدم حنكته في معالجة شؤون الدولة داخلا وخارجا من حيث التنظيم والتعريب والتدبير . والداهية هو الذي يستخدم حصافته في تدبير علائق دولته بالدول الاجنبية ، ولم يكن هذا التفريق ضروريا عند ما كان رجال السياسة على نوعيهم يستبيحون الخداع والتدليس في تمشية الامور ، حتى رسخ في أذهان الناس يومئذ أن الكذب هو الأصل ما لم يقم الدليل على الصدق ، على ان داهية عظيما من دهاة القرن الماضي وهو بسمارك كان يتذرع بالصدق للتضليل والتعمية وذلك لاعتقاده أن خصومه يحرصون كذبه وانما يحتملون خططا تقاربته تنتهي بالاخفاق والبعد عن الواقع . ثم ان الدهاء على حديث اجلالا تولد مثوه الوطنيات وقيام الدول العصرية وتعيين حوزتها وتحديد حدودها . وهو ينظر اجلالا الى قضايا الحرب والسلم والمطامع والهجوم والتجسس ، الى أن ارتقت الصناعة فأصبحت التجارة شكلا جديدا وشأنا خطيرا فصارت القضايا الاقتصادية من قضايا علم الدهاء الاساسية

ثم لما أحس رجال السياسة بهبوب ريح الديموقراطية في أوربا وبشعور الشعوب بحقها في الاشراف على تصريف أمورها أصبحوا يحتاطون لأنفسهم فلا يتدخلون في تيار الكذب والخديعة في شؤونهم الداخلية المسؤولين عنها مباشرة كما كانوا يعملون — اللهم الا في البلاد التي لا يزال أهلها في جهالة القرون الوسطى — وصاروا يراعون شيئا من المثل الأخلاقية للتحقق منها ليبرأوا بها عن أنفسهم تهمة الغش والتضليل التي تسقطهم في النظر العام ، على أنهم لم يتقيدوا بمثل هذا القيد في الدهاء الدبلوماسي بل ظلوا الى زمن قريب جدا يعدون الغش والايهام والتآمر وضروب الكذب والبهتان قوام السياسة الخارجية

ومما يستوقف الانظار كثيرا أن « فلسفة » البريطانية ، وهي سجل الحضارة الانكليزية التي فاقت سائر الحضارات بالبراعة في الشؤون الخارجية ، تحول عن الدهاء واستنكار الانكليز اياه

الهلال

مايو
١٩٣٨

ما يأتي : « والواقع أن في الطبيعة الانكليزية إعراضا عن الاعتراف بمثل هذا الفن وهو فن التعامل أو اجراء الصفقات بين الدول باعتباره صنعة تليق بالسياسي البريطاني المحنك أو أنه يخول صاحبه سمعة حية مشرفة . فالناس ينظرون الى هذا الفن اجمالا بانه يقوم على أخلاق لا تستحب في معاملة الناس بعضهم بعضا وانه يتخذ واسطة لاستعمال الحيلة والتوسل بها حيث تعجز القوة عن تحقيق الغاية السياسية . ويقال في الرد على من زعم أن عظمة الدولة تقوم على قوة حيلتها في السياسة الخارجية أن مصدر هذه العظمة من الداخل لا من الخارج — من حسن صحة أفرادها وتفوقهم في الصناعة والاخلاق ومن أنظمتهم السياسية المتقنة وحكوماتهم الصالحة ، فاذا كانت هذه الامور مفقودة فلن يمكن أن يقوم مقامها أي دهاء في الشؤون الخارجية واذا هي وجدت فهذا الدهاء لا يزيد قوة الدولة التي تتسلح به شيئا » . ومن رأي الصحف البريطانية — وقد أملى رأيها هذا من لا يعتقد بسياسة السلطة والتوسع — ان تمثل الدول القوية والمحاربة وظيفة أسمى من التوسع أو العظمة فقط ، وهذه الوظيفة هي الحيلولة دون سحق الدول الضعيفة من طغيان جيرانها الاقوياء عليها ، والدفاع عن السلام العالمي مادام الدفاع عنه مشروعا ، وملاحظة العدل بين الامم — وكل ذلك بطريق المفاوضة المتبعة المشروعة للصدقة

ومن أشهر من حلل الاخلاق التي يجب ان يتصف بها رجال السياسة بالمعنى الصحيح الدجال السياسي الكاتب المشهور نيقولا مكيافيلي من كتاب أواخر القرن الخامس عشر في كتابه « الامير » ، ونحن اذا أشرنا الى هذا النوع من الأخلاق فلا نعني أن مكيافيلي مارق منها ، بل قد كتب ما كتب تحليلا للاخلاق التي يليق بالسياسي في ذلك العصر ان يتصف بها ، على أنه هو القائل : خير للمرء والعب خير ان ينال محبة الشعب من أن يعتمد على الحصون . ومن ألطف ما أشار اليه الشبه التام بين المرأة وبين الحظ ، وأن الرجل المقدام — لا الرجل الحذر — هو الذي يحصل عليهما كليهما ويحتفظ بهما

وذكر الطريقة التي يجب أن تسلك بها البلاد التي كانت تتمتع بحريتها وباحكام شريعتها الخاصة قبل أن يتولى عليها الأمير الفاتح . فكأنه ذكر الطرق الاستعمارية التي تسير عليها دول أوربا من حيث المبدأ والتطبيق في هذا العصر . قال : « هنالك ثلاث طرائق أمام من يروم اخضاع هذه البلدان لأمره والاحتفاظ بها ، فالطريقة الأولى هي : أن يحطم الأمير معالم هذه البلدان ويجعلها قاعا صفصفا ، والطريقة الثانية : أن يقيم بها ، والثالثة : أن يسمح لها بالتمتع بشرائعها الخاصة وان يضع عليها جزية ، ويؤسس فيها أقلية من أبنائها تكون همزة الوصل بينه وبينهم وتضمن له ولاءهم وخضوعهم »

وأنا لنرى تطبيق مثل هذه القواعد في الاستعمار الأوربي في الوقت الحاضر ، فهنالك أقطار في الشرق حلت بها السلطة الاوربية الاستعمارية فتعست دهرا وأضربها حتى جعلتها في حكم الرمس الممهد ، واصطنعت من أبنائها نفرا عدوا أعراضها وخضعوها بكل ما أوتوا من قوة ، وتمتعوا بها سلطانها ولم يتورعوا أن يتخذوا ستارا من الوطنية للفرقة الكاذبة لتكون كل خدمة يخدمونها

الهلال

الجزء السابع – السنة ٤٦

اول مايو ١٩٣٨ – اول ربيع الاول ١٣٥٧

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر – البوسطة العمومية

AL HILAL Cairo, Egypt

[1 May 1938]

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 60 — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100, — Other countries P.T. 100 or £ 1-7-0 or $ 6.50.

عدد خاص

ابو العلاء المعرى

لعل أحسن الأعداد التي تصدر من «الهلال» باستطراد ، هذا السفر الذي سيخرجه في أول الشهر القادم عن أبي العلاء المعري ، بمناسبة انقضاء ألف عام على ميلاده ، إذ يجتمع فيه صفوة الأدباء والمفكرين في الشرق العربي ، فيبحثون ما خلفه هذا الشاعر من آثار فيه دوحة زهو بها الأدب العربي ، ويعرضون ما تركه هذا الحكيم من تراث فلسفي يعتز به الفكر الإسلامي ، ويحللون حياته الفذة التي تستدعي التأمل في جميع نواحيها ، ويرسمون في أثناء هذا صورة تشمل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية حينئذ

وذلك كله في مجموعة كبيرة من الدراسات المبتكرة الشائقة ، التي دبج كلا منها كاتب توافر على دراسة إحدى نواحي المعري المتعددة ، مما يجعل هذا العدد كتابا نفيساً من خير كتب النقد والتاريخ : دقة وعمقا ، وجدة وطرافة ، ووفاء وشمولا ، ويجعل «الهلال» حاملاً نصيباً من الأدب العربي والحكمة الإسلامية ، ويمجد ذكرى هذا الشاعر العبقري والفيلسوف العظيم

لها مطبوعة بالطابع القوى وصحة فى المستندات الوطنية . قال مكيافيلى يؤيد نظريته « وكل من يصير السيد الطاع فى بلدان تعودت الحرية ولم يملك صرحيها، عليه أن يوطد نفسه على الانهيار بيدها، ذلك لأن شعارها الذى تجتمع كلمتها حوله فى ليلى الثورة هو الحرية والمصالح السالفة التى كانت تتمتع بها ، وهى أشياء لا تقوى على محوها الأيام ولا تستطيع المنافع باتة ما شئت أن تنسيها إياها . ومهما حاول المرء صرف الانظار عنها فالمغلوبون على أمرهم من الأهلين لن ينسوا ذلك الاسم ولا تلك المصالح ما لم يفرقوا ويبعثروا وتقطع أوصالهم ، ولكنهم عند كل فرصة سانحة يجمعون كلمتهم حالا كما فعلت (بيزا) بعد مرور مائة سنة قضتها فى ربقة الاستعباد الفلورنسى

ثم ان مكيافيلى قارن بين الاقطار التى يحكمها أمير من أمرائها وبين التى تتمتع بالحكم الجمهورى ، فقال عن تلك : « ان زوال أميرها مع انقراض بيته يحول دون اتفاق أهلها على أمير جديد من بينهم، وعلى ادارة أمورهم فلا يقدمون على امتشاق الحسام فى وجه الامير الفاتح فيسهل اكتساحهم والاستيلاء عليهم . واما الجمهوريات ففيها قوة حيوية أشد وبغضاء أنكر وشوق الى الانتقام أعظم ، وهذه أمور لن تنسيهم ما كانوا يتمتعون به من حرية واستقلال ، فالطريقة السليمة المثلى لذلك هى إبادتهم والقضاء عليهم وذلك صرحهم أو بالاقامة بينهم »

ولا حاجة بنا بعد الآن ان ننبه أنظار القارىء الى ان اوربا قد تسلك الطريقتين فى آن واحد : قد تفقر الأهلين وتقضى عليهم من ناحية، وترسل رهبانها وجيوشها للاقامة فيما بينهم من ناحية أخرى

وأوصى مكيافيلى الامير الفاتح بالابتعاد عن التجديد ويصمم الاعراض عن السنة المتبعة والطريقة المألوفة خشية تألب أرباب المصالح من المحافظين عليه . وقد رأينا فى عصرنا بعض الدول الاستعمارية فى الشرق تتظاهر بالمحافظة على بعض التقاليد العلية البالية ـ وإن كانت من شر ما خلفه الآباء للابناء ـ اكتسابا لعطف المحافظين من اهلها وارضاء لعواطفهم وسعيا وراء استقرارهم فى تمدن وتحول . وعند مكيافيلى كما عند غيره ممن يعانون الشؤون السياسية أن القوة هى الكل فى الكل . قال : « فاذا أردنا أن نوفى موضوع القوة حقه من البحث وجب علينا ان نتساءل : أفى مقدور هؤلاء المجددين للتجديد أن يعتمدوا على أنفسهم أم ان يعتمدوا على غيرهم ؟ بمعنى إذا هم أرادوا ان يقوموا بمشروعهم التجديدى أعليهم أن يستعينوا بالأدعية والصلوات ام ان يعمدوا الى القوة والبطش ؟ فى الأولى يخفقون اخفاقا معيبا ولذا فلا يعملون عملا يذكر ، وأما فى الثانية فهم إذا اعتمدوا على انفسهم واستعانوا بالقوة قلما عرضوا أنفسهم للخطر . ولا جرم ان جميع الانبياء المسلحين ظفروا والانبياء العزل اخفقوا واندثروا » . وهذا ما يؤيد قول نابليون ان الله يلتزم فى الحروب جانب المدافع المتينة ذات القنابل الاقوى

ولم يتورع مكيافيلى عن نصح الامير بالشح والمساك اليد إذا كان فى الكرم ضياع المال وما يؤول اليه من الفقر وزوال الهيبة ـ والظلم والبطش خطة النظام ، ذلك لأن الفوضى وما يتبعها

افتتاح البرلمان

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول في قاعة البرلمان عند افتتاح دورته السابعة يوم ١٢ ابريل الماضي ، ويسمع خطاب العرش الذي يلقيه رفعة رئيس الوزراء والى يمين جلالته حضرات أصحاب السمو أعضاء البيت المالك الكريم

من قتل وسرقة واضطراب في حبل الأمن تعود بالضرر على مجموع الأهلين ، في حين يتناول الظلم والبطش الأفراد فهو والحالة هذه ذو أثر محدود وعنده أن المثل العربي القديم (رهبوتى خير لك من رحموتى) هو المثل الصالح من الوجهة العملية التطبيقية ، وإن كان « كتـاب القلوب » من الوجهة النظرية خيراً من اقتحام الحصون

وخلاصة القول إن مكيافيلي يرى أن على الأمير الذي يطمع في الاحتفاظ بمكانته أن يعرف كيف يتصرف في استعمال الشر فيجربه بالناس في الساعة الملائمة ويمتنع منه في الساعات الأخرى . قال : « فإذا أردنا أن نضع جانبا الخيالات التي يتوهمها الناس في الأمير وأهملنا التأملات التي يألفونها واقتصرنا على الواقع لوجدنا جميع الناس ولا سيما الأمراء إذا ما ذكروا يولع في شأنهم وفي مكانتهم وفي المقام الذي يشغلونه في النفوس بسبب بعض المزايا التي تجلب لهم سوء السمعة من ناحية أو طيب الأحدوثة من ناحية أخرى ، وهكذا نرى الواحد من هؤلاء الأمراء الخطيرين الذكر موصوفا بالكرم والآخر موصوفا بالبخل ، والواحد مطرما قاسيا والآخر رحيما ، والواحد صاحب وفاء والآخر لا عهد له ، والواحد جبانا مخنثا والآخر شجاعا مقداما ، والواحد أديبا لطيفا والآخر فظا غليظا ، والواحد شهوانيا والآخر عفيفا طاهراً ، والواحد مخلصاً والآخر محتالا ، والواحد صعبا شرسا والآخر هينا لينا ، والواحد رزينا والآخر خفيفا ، والواحد دينا والآخر كافراً ، وهلم جرا . . . وليس للأمير أن يضطرب من نقد لاذع يصب عليه أو توبيخ يصيبه على آثام ارتكبها لا مفر له منها حيث ، لو وضعت الأمور في نصابها المعقول لوجد أن ما تبادر إلى الذهن أنه فضيلة لو اتبعه الأمير لكان منه القضاء عليه في حين لو اتبع شيئا آخر يشبه الشر لكفل به النجاح والسلامة »

أما العهود والمواثيق عند مكيافيلي « فإن الأمير العاقل ليس في مقدوره بل ليس من الواجب عليه أن يتمسك بعهد قطعه إذا كان في هذا التمسك شر يعود عليه ، أو إذا كانت الأسباب التي حملته على قطعه أصبحت مفقودة ... ولكن من الضروري أن يعرف كيف يستر هذه الحقيقة في نفسه ويخفيها عن أعين المراقبين وأن يكون دعيا عظيما ومنتحلا ماهرا ، فالناس في حالة من البساطة والغرور المؤقت والحاجة الملحة تجعلهم على استعداد ليكونوا دائما فريسة لمن يسعى لخديعتهم »

هذه هي الأخلاق أو المبادىء المكيافيلية . وقد يكون مكيافيلي نفسه غير مؤمن بها كما أشرنا في صدر مقالنا ، بل ذكرها من باب من يذكر الحقيقة والألم آخذ منه مأخذه ، فيقول : « ومن سوء الحظ أنها سر النجاح في هذا العالم الفاسد ولا مفر من الالتجاء إليها » والشر كل الشر أن المجتمع السياسي الحاضر على الرغم من هذه الظواهر الدالة على ارتفاع المقاييس الأخلاقية لا يزال في السياسة الخارجية حتى في لب الحضارة الغربية طافحا بالمكيافيليين الذين أطلقوا السلم العام من عقاله وعرضوا المدنية إلى الانقراض . وأما في الشرق فالظاهر أننا لا نزال نطبق هذه المبادىء في سياستنا الداخلية من غير أن نشعر بشيء من التبعة الملقاة على عاتقنا تجاه من نسوسهم ، وهذا دور

منحط قد نبذته أوربا منذ زمن بعيد فقد رأينا في بعض برلماناتنا الكذب الصراح والتدجيل على أنواعه بل التلبس بالجريمة والخيانة يجري حتى على مسارح مجالس النواب – في الشؤون الداخلية البحت التي تتعلق بحياة الأمة مباشرة – أعلم العشرات والمئات من النواب الشاهدين الذين قد لا يفهمون، وإن فهموا فقد لا يجرؤون على النبس بكلمة واحدة لخور عزيمتهم أو للمصالح الحقيرة التي يصونها سكوتهم، والبلاء من السكوت أنه يشجع الجاني على المضي في جناياته في حين أن الحماسة الصارمة هي التي تضع الأشقياء ضمن الحدود التي لا يجوز أن يتعدوها، ولنا في المقال الآتي نأتي ببعض الشواهد البارزة على من طبقوا هذه المبادئ في سياستهم فكان الاسم الذي تركوه في التاريخ من جدير عنوان التمدن والاحتفاظ

عبد الرحمن شهبندر

حكم شتى

• إن أردت الاحتفاظ بكرامتك في عين نفسك والناس، فقم بالواجب الشاق من تلقاء نفسك وبدون استشارة أحد

هنري فورد

• ليست العبرة في أن تكون محبا بل في أن تكون مخلصا ودودا

روكفلر

• أبسط عمل تؤديه خير لك ألف مرة من التحسر على الحظ الضائع

هنري بوانكاريه

• إن لم تحمل السعادة في نفسك فلن تحملها إليك الحياة

ماترلنك

• كنوز العالم بأسره لا تساوي المرأة العاقلة المتعلمة

مثل صيني

• إذا أردت أن تحبك المرأة احترم نفسك واكتم عواطفك وإياك أن تشكو لها حبك بدموع كدموع الأطفال. إذ الشكوى في نظر المرأة ضعف والحب المختلط بالدموع يبعث على الضجر ويدل على الميوعة

فامبير

تجارب جديدة في التربية

للناس فيما يدرسون مذاهب

بقلم الدكتور أمير بقطر

يرى رجال التربية الحديثة أن للمدرسة مهمة أسمى من مهمة التعليم ، من وسع الطفل أن يحصل بمطالعة الكتب وهو في بيته . مهمتها الاولى أن تهيء الطفل للحياة الاجتماعية المتشعبة المعقدة ، أي أن تؤدي المهمة التي يتطلبها المجتمع في حدود الصداقة والمحبة ، كما يرى في هذه المدارس الجديدة التي أنشئت حديثا في أوروبا وأمريكا لاجراء تجارب مبتكرة في التربية والتعليم

تجانس التعليم المركزي

في البلدان التي تشتد فيها وطأة المركزية وتستحكم حلقاتها ، كمصر واليابان وفرنسا الى حد ما ، نرى التجانس في كل مرحلة من مراحل التعليم ماثلا في كلياته وجزئياته ، في كل كبيرة وصغيرة . فكل مدرسة ابتدائية في طول البلاد وعرضها نموذج لكل مدرسة ابتدائية سواها ، وكل معهد ثانوي ، أو صناعي ، أو تجاري ، أو زراعي في أي اقليم من الأقاليم ، صورة طبق الاصل لمثله ، نوعا ومرحلة ، في غيره من الاقاليم . وكل منهاج تسير بمقتضاه الدراسة في سنة دراسية معلومة أو في مرحلة معلومة ، هو هو عين المنهاج الذي تسير بمقتضاه الدراسة في كل سنة تماثلها نوعا ومرحلة . وما يقال عن المناهج يقال عن أساليب التعليم ، ونواحي النشاط ، وطرق الادارة ، والنظام العام ، والفلسفة والمبادىء ، والأغراض التي شيدت على أسسها كل من هذه المعاهد

بيد أنه حتى في البلدان التي تبلغ فيها المركزية أقصى حدها ، توجد مدارس خصوصية ، غير المدارس العامة (الحكومية) تتنوع فيها أنظمة التعليم تنوعا يسد الحاجات التي تقصر المدارس العامة عن القيام بها . ففي اليابان مثلا تدخل السنة الأولى من مدرسة ثانوية ، فتجد أربعين طالبا ، وكما ووصفهم شاهد عيان من كبار رجال التربية ، كأنهم صبوا جميعا في قالب واحد ، زيا ، وعمراً ، ولغة ، وملامح ، وشعراً . فاذا انتقلت من هناك الى السنة الأولى من معهد آخر ثانوي ، خيل اليك أن الأربعين طالبا الذين أمامك هم عين أولئك الذين تركتهم منذ برهة . بيد أنك اذا توجهت الى معهد آخر خصوصي في المدينة عينها ، شاقك ما تراه من مظاهر التباين والتنوع ، وخيل اليك أنك في مملكة أخرى غير اليابان . ويكاد يكون الحال كذلك في فرنسا . أما في مصر ، فاننا إذا استثنينا عدداً قليلا من المعاهد الأجنبية ، استطعنا ان نقول إن التعليم ، في جميع مظاهره ، يسري

فى جميع معاهد التعليم ، فى مراحله المتدرجة ، على وتيرة واحدة ، ونمط واحد . وكأن رءوس أبنائنا تصلح كلها للطرابيش من زى واحد ، وقياس واحد ، وكأن أقدام أبنائنا كلها تصلح لها أحذية من زى واحد ، وقياس واحد .

ولعل أساس الفاقة فى مراعاة التجانس فى معاهد التعليم هو الجهل بمدى الفروق الفردية ، واختلاف الصغار والكبار فى مقادير ذكائهم ، وميولهم واستعداداتهم ، وفى تباينهم فى القامة ، والوزن ، والملامح ، والشعر ، ولون العيون . ومعرفة هذه الفروق ، والاعتراف والعناية بها ، كلها مسائل حديثة ، لم تنتشر انتشاراً يعول عليه الا منذ ربع قرن أو اقل ، وهى لا تزال مجهولة فى كثير من أنحاء العالم الى اليوم .

ولست أريد أن أصدع رءوس القراء بتفاصيل لا طائل تحتها فى البيداجوجيا ، والتجارب السيكولوجية ، التى قضت على الكثير من أنظمة التعليم السائدة ، وأدخلت من الانظمة الحديثة ما يهيء الفرصة لكل طفل أن يلبس اللباس الذى يلائمه ، رباً ، ونوعاً ، ومقداراً . لأنى أعتقد أن مثل هذه الموضوعات الفنية خاصة بالمشتغلين بالتربية ، ومكانها مجلات التربية دون سواها . بيد أنى اسرد للقارىء العزيز شيئاً من معاهد التعليم الحديثة فى أوربا وامريكا ـ تلك المعاهد التى لم ينشئها القائمون بأمرها الا وفقاً لحاجات الافراد والجماعات ، وتوفيراً لشتى النواحى التعليمية التى تناسب كلا ، على قدر ما له من الكفاية والميل والاستعداد .

شعب زنجى مستقل

من أبدع ما رأيت من هذه المعاهد ، تلك التى تنشأ بمثابة وحدة اجتماعية كاملة ، يقوم الطلبة فيها بما على الأفراد من واجبات وبما عليهم من حقوق على المجتمع ، ومن أمثالها معهد همتون فى ولاية فرجينيا بامريكا . ومن الغريب أن جميع طلبته من الزنوج . اما أساتذته فيكونون من البيض أو السود على السواء . تبلغ مساحته الف وخمسمائة فدان ، وعدد مبانيه مئة وخمسين ، بيد أن المعهد بدأ بناء واحداً ، وبنيت الأبنية الأخرى تدريجيا حسب الحاجة اليها . ومن العجيب أن نعلم أن جميع هذه البنايات عدا الاولى ، قد بناها الطلبة بأنفسهم ، اذ أن مبدأ هذا المعهد أن يكون وحدة اجتماعية مستقلة فى كل شىء . فلا يوجد فيه بناء أو نجار ، ولا يدخله حائك ، أو مهندس ، أو حلاق ، أو خادم ، أو زارع ، أو طاه ، إذ أن جميع الحرف والصناعات عنة فى الطلبة البالغ عددهم أربعة آلاف نصفهم من الاناث . ويحرث الطلبة الذكور الارض ويزرعونها ، ويربون الماشية ، ويغرسون الأشجار والزهور ، ويحصدون الغلة ويطحنونها ويخبزونها ، وتقوم الطالبات بحلب البقر وصناعة الالبان ، وطهى الطعام ، وغسل الثياب ، ويتناوب الطلبة جميعهم كنس الحجور وتنظيفها ، واعداد غرف النوم ، والخدمة على المائدة . ويتولى البعض الحرف على

الآلات الموسيقية والغناء ، وبعضهم الآخر لتفصيل الثياب ، والآخر لاصلاح السيارات وقيادتها من مكان الى مكان . وبالجملة فان هذا المعهد يكفي نفسه بنفسه ، ولا يكاد يحتاج دونه الى شيء من الخارج ومن الغريب أن الطلبة الذكور يرتدون الملابس الحربية ، ويحملون البنادق ، ويركبون الخيل ، ويتقنون السباحة والرماية . ويتلقى البنون والبنات معا في المواد الثقافية ، ويفترقون في المواد الصناعية والزراعية والتجارية . ثم يجتمعون على المائدة ، ويفترقون أخيراً في عنابر النوم . ويعطى بعض الطلبة في هذا المعهد نصيبا وافرا في الادارة ، والتأديب ، وحفظ النظام ، والسياسة العامة

وحدات اجتماعية كاملة

وتوجد صورة مصغرة لهذا المعهد في عدة مدارس حديثة في انجلترا ، كما يوجد ما يشبهه ، أو يعرفه في أنحاء أخرى من ولايات امريكا المتحدة . ومن المعاهد المعروفة في انجلترا من هذا النوع المدرسة الغريبة التي يديرها برتراند رسل ، الفيلسوف والرياضي الانجليزي المشهور ، بالاشتراك مع زوجته الفاضلة ، وقد أنشئت سنة ١٩٢٧ . والذي يسترعي الأنظار في هذا المعهد أنه يقبل الاطفال ، ذكورا واناثا في أعمار تتفاوت بين الثانية فقط ، والثامنة عشرة . والمدهش فيه أيضا أنه يختلف عن معهد هستون السالف ذكره بأن الاسرة المخصصة للنوم ، يؤمها الذكور والاناث مختلطين . ومع ذلك لقد مر على هذه المدرسة أكثر من عشر سنوات ، ولم يسمع عنها ما يخل بالآداب ، أو ما يشتم منه رائحة كريهة . ويوجد في انجلترا مدارس كثيرة مثل هذه المدرسة التي يديرها الفيلسوف واسمها « بيكون هل » (١)

ومن المعاهد البديعة التي أتيح لي مشاهدتها في فرنسا ، والتي تقوم على مبدأ الأسرة ، أو الوحدة الاجتماعية ، هي مدرسة دي روش ، وتبعد بضع ساعات من باريس (٢) . وليس هذا المعهد حديثاً ، إذ أنه تأسس سنة ١٨٩٠ أثر ظهور مؤلف حليل عنوانه « سر تقدم الانجليز السكسونيين » (٣) للكاتب دي مولان ويعرف قراء العربية أن هذا الكتاب قد نقله الى العربية المرحوم احمد فتحي زغلول باشا ويعد هذا المعهد طلبته لنيل البكالوريا الفرنسية . ولكنه يعنى عناية تامة بالصناعات والأعمال اليدوية والسباحة والفنون الجميلة واللغات الأجنبية . ومما يذكر في هذا الصدد أن الطالب لا تمنح له الشهادة قبل أن يقضي ستة شهور في البلد الاجنبي الذي يتعلم لغته . فاذا كانت اللغة الاجنبية التي اختارها هي الانجليزية فعليه أن يقضي ستة شهور في أسرة انجليزية في انجلترا تحت اشراف أحد الاساتذة شرط الا يكون معه طالب آخر فرنسي ، حتى لا يتاح له

(١) انظر وصف عدد من هذه المدارس في Modern School Handbook (1934)

(٢) École des Roches, Verneuil, Avre, Eure

(٣) A quoi tient la supériorité des Anglo-Saxons

التكلم بغير الانجليزية . وهكذا الحال إذا تخير الالمانية أو العربية . ويعيش الطلبة جماعات في منازل المعهد ، ويصحب كل جماعة منهم معلم وأفراد أسرته ، أو معلمة . ولما كان التعليم في هذا المعهد مختلطا فان الأساتذة كذلك من الذكور والاناث ، ويعيش الجميع كأسرة واحدة . غير أن هذا المعهد أرستقراطي لأن الطالب يدفع في العام بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ جنيه بالعملة المصرية

دراسة لا منهاج لها

وشاهدت في ضاحية من ضواحي بروكسل ، عاصمة بلجيكا مدرسة دكرولي الشهيرة ، لمؤسسها الطبيب الذكر ، دكتور اوفيد دكرولي . ويطلق عليها اليوم اسم (Ecole l'Hermitage) ولا يوجد لهذا المعهد منهاج خاص كالمألوف في مدارسنا . لأن التلاميذ يطلب منهم درس وحدة علمية تكون مركزا لنشاط يهتم (Centre d'intérêt) وهذه الوحدة موضوع عام كالطفل والحاجة ، والطفل والكون ، والطفل وعالم النبات . ويتفرع من هذه الوحدات موضوعات صغيرة يتعاون الى جمعها ودرسها كلما دعت الحاجة . ولا يستطيع من ألف المدارس المعروفة أبدا أن يفهم كنه هذا المعهد اذ أنك تجد فرقة الدراسة كالمصنع . وكل طالب يؤدي فيه عملا ، وتجد اللغة أو العلم والتعليم هنا مختلط أيما اختلاط يجعل منظرها ليس كمنظر الفصل . واذ ما رأيت التلاميذ يرعون في أرض الحديقة خيل اليك انهم يلعبون ، واذا ما رأيتهم يربون الحيوانات ، ويداعبون الطيور خيل اليك انهم يلهون ، واذا ما شاهدتهم في حجر الدراسة يتزاحمون حول الخادم ، ويتشاورون في جو واسع من الحرية ، ويتحدث بعضهم الى بعض في غير كلفة ، ويرسمون بالألوان الصور الرمزية على الحوائط ، ويلصقون بجانب ما يدونون في كراساتهم قصاصات وصورا من المجلات والصحف ، وقطعا صغيرة من الاصواف والأقطان ، وغيرها من المواد الخام . إذا ما رأيت ذلك كله خيل اليك ان طلبة هذا المعهد ومعلميه هازلون أكثر منهم جادون ، والى العبث أقرب منهم الى العمل

ومن الغريب في هذا المعهد ان كل معلم ملزم ان يكون ماهراً في الطباعة ، وان كل طالب يجب ان يتعلم الطباعة وبواسطتها تطبع موضوعاتهم الانشائية وأعمالهم التربوية . ومع أن الطلبة من بيوتات راقية فانهم يأكلون بالمدرسة كالعمال في أزيائهم ، ولا يدفعون الا مصروفات قليلة سنويا تتراوح بين ١٣ و ١٨ جنيها مصريا

ومع عدم وجود المنهج الدراسي الحكومي ، فان الثقة في هذا المعهد بالغة حدها ، حتى أن الحكومة والجامعات البلجيكية تبيح لخريجيها من نيل شهادة البكالوريا البلجيكية استعدادا للالتحاق بالدراسة العليا

وكذا لا يختلف كثيراً عن هذا المعهد مدرسة لنكولن في نيويورك ، التي لا يوجد بها منهاج ،

والتدريس فيها مبني على تجارب مستمرة يدور دولابها خلية العلم المدرسي . ومن العجيب أن هذه المدرسة تشترط على طلبتها أنها لا تضمن نجاحهم في امتحانات الدخول لكليات أميركا وجامعاتها ، نظراً لتفاوت بين العلم فيها والمدارس الأخرى ، ومع ذلك يستعد طلبتها لامتحانات الدخول من تلقاء أنفسهم وينجحون ، وبرغم أنها مدرسة تجريبية وأن المصروفات المدرسية تبلغ نحو ١٥٠٠ جنيه مصري في العام فإنها لا تقبل إلا ثلث ما يقبل عليها من الطلبات

حرية مطلقة للفتيات

ومن الكليات التجريبية الغريبة في بابها كلية سارة لورنس بأميركا . هذه الكلية لبنات الطبقة الارستقراطية اللاتي يرمين أن تكون الكلية صورة مصغرة من العالم الخارجي ، ففيها تجد الحرية بكل ما فيها من تطرف ظاهر ، وإسراف واسع ، تمثل تمثيلاً كاملاً ، فللطالبة أن تبيت خارج الكلية إذا شاءت شرط أن تكون هي المسئولة عما يترتب على ذلك من النتائج . ومنهاج هذه الكلية يشمل مجموعة وافرة من الفنون الجميلة ، وركوب الخيل والسباحة والرقص ولعب التنس ، والحياة الاجتماعية بما فيها من حفلات ومآدب وولائم وأزياء صاخبة ومسابقة الخ . وبالاختصار فإنني بعد أن قضيت فيها اليوم الأول خلت أني في قصر منيف لأحد أرباب الملايين . ولما شاهدت الفتيات يملأن قاعة التدخين برائحة التبغ ودخانه الأزرق المنعقد فوق الرؤوس ، سألتهن إذا كان منهن من لا تدخن ، فكان الجواب « لا يوجد هنا مثل هذا الحيوان » . بيد أني أيقنت بعد مدة قضيتها هناك أن أخلاق أولئك الفتيات رغم هذه الحياة الصاخبة ، لا تقل قوة عن أخلاق سواهن ، والدليل على مزايا تلك الكلية أن الإقبال عليها من جميع الولايات شديد جداً ، ولا سبيل إلى قبول أكثر من ربع الطلبات التي تقدم إليها . والمبدأ الفلسفي الذي تقوم عليه هذه الكلية هو أنها خادمة شطر خاص من المجتمع ، وتسد حاجة فتيات من طبقة خاصة

وما كان الناس فيما يتعلمون مذاهب ، فإن المدارس الخصوصية هي التي توجه سياستها تبعاً لحاجات أولئك الناس

مدارس العري والرقص

ولقد اتفق مرة أن قبض رجال الشرطة في أميركا على ناظر مدرسة في نيويورك ، لأنهم شاهدوا من خلال النوافذ الأطفال عراة . غير أن التحقيق أظهر أن هذه المدرسة ليست جديدة وأنها أنشئت بناء على طلب عدد كبير من الأفراد الذين يعتقدون أن بقاء أطفالهم عراة في حجر الدراسة قبل سن البلوغ ، أدعى لصحة الأبدان ، وسلامة الوجدان ، ورشاقة الأجسام ، وحسن الخلق . وقد أطلق سراح الناظر لأنه اتضح أن مبادئ مدرسته نزيهة ، ونيته حسنة . ولا يخفى

أنه توجد مدارس من هذا القبيل فى سويسرا وألمانيا (ضد التعرى) ، غير أن الاطفال لا يجردون أنفسهم من الثياب إلا فى خلال الالعاب الرياضية

وتوجد فى جميع أوربا مدارس كثيرة تعنى بنوع واحد من الرياضة فوق كل شىء آخر ، وهو الرقص التوقيعى الذى يسمونه Eurythmics على طريقة دلكروز المشهورة . ولو وجدت مثل هذه المدارس فى الأوساط التى لم تألفها ، لرمى دعاتها بالجنون والشذوذ

ولا يتسع القلم للتحدث عن المدارس التى يبدأ التلاميذ فيها تعلم الكتابة على الآلة الكاتبة قبل أن يتعلموها بالقلم ، أو المدارس التى لايقبل فيها إلا ماتجرب رقم « ذكائهم من رقم « المائة » ، والتى يتعلم فيها الاطفال ضعف ما يتعلم غيرهم من العاديين كمية ، وصعوبة ، والمدارس التى لا يقبل فيها إلا من هم دون المتوسط فى الذكاء ، وما يتلقونه من الدروس والساعات التى تلائم استعدادهم

وكنت أريد أن أكتب كلمة عن التجربة التعليمية العظيمة التى قامت بها صديقتى العالمة الدكتورة مِرو ، والتى استطاعت بواسطتها أن تعلم الاطفال التزلق على الجليد Skating قبل بلوغ السنتين من سنهم والسباحة قبل السنة الاولى من أعمارهم

ولا يوجد سوى مغزى واحد لهذه التجارب وهو أن للمدرسة خدمة الاجتماع ، وما عليها إلا أن تؤدى الخدمة التى يتطلبها هذا المجتمع فى حدود اللباقة والحكمة والعلم الحديث

أمير بقطر

كلمات مختارة

• مهما حاولت فلن تظفر من المرأة التى تحبها بغير الجسد الفانى والجمال المادى السريع الزوال ، فانه يطلب دائما عن الفكر والروح وهكذا تحتفظ من حبيبتك بالجمال الصورى الباقى حتى ولو خدعتك

أمرسون

• لا يطلب منك ان تكون عبقريا اذ العبقرية موهبة نادرة . وكل ما يطلب منك ان تكون نابغا . والنبوغ فى متناول الجميع لأنه ينهض على قوة الخلق ، اى على العمل المتواصل فى صبر وجد وتضحية

جوليير

• الرحمة من فضائل الآلهة ولذلك يجب ان يتعلمها الانسان منذ أول

أناتول فرنس

موقعة أبي قير البحرية

حيث قضى الاسطول الانجليزي على الاسطول الفرنسي

بقلم حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون

هذا بحث تاريخي نفيس للامير الجليل عمر طوسون ، عن معركة أبي قير البحرية ، التي تركت أثراً عظيماً في تاريخ مصر الحديث ، ووطدت دعائم سيادة انجلترا البحرية ، وقضت على أطماع نابليون الواسعة في الشرق ، ووجهته الى تحقيقها في ميادين أوربا . يظهر اليوم بمناسبة مرور [illegible] المعركة التي انتهى بها الاسطول الفرنسي الذي استقر في البحر عند ساحل الاسكندرية . وقد تفضل الامير الجليل كذلك ببعض الصور التاريخية النادرة لهذه المعركة وقوادها [illegible] القارىء في الصفحات التالية

حركات الاسطول الانكليزي

اتصل بالحكومة الانكليزية في ١٢ مايو سنة ١٧٩٨ م خبر سفر الجنرال بونابرت في ٤ من الشهر المذكور الى طولون حيث حشد جيشاً وأسطولا ، فساورتها الظنون ورجح في رأيها ان هذه القوة ما حشدت الا لكي تذهب لاحتلال موضع ما في البحر الابيض المتوسط ، ولهذا بعثت بعشر سفن حربية للاميرال نلسن الذي كان وقتئذ يجول في ذلك البحر بقسم صغير من السفن مؤلف من ثلاث سفن حربية ، وأمرته ان يقاتل هذه الحملة أين وجدها ويحول دون وصولها الى غرضها

وحالما وصل الأميرال نلسن هذا المدد أبحر الى طولون فوصل تجاهها في ١٢ يونيه سنة ١٧٩٨ م ، وهناك علم ان الاسطول الفرنسي سافر منها في ١٩ مايو ولم يستطع معرفة الوجهة التي ذهب اليها ، فوجه أسطوله شطر نابولي فوصل اليها في ١٨ يونيه ، وعلم في هذه الفرصة ان الجيش الفرنسي كان يقوم بحصار مالطة ، وفي الحال ولى وجهه شطر مسينا ، وفي هذا الثغر أخبر ان الجيش الفرنسي بعد ان استولى على مالطة سافر منها مع أسطوله متجهاً الى الشرق ، وعندئذ ظن الاميرال نلسن انه لابد ان يكون قد ولى وجهه شطر مصر ، وعلى هذا مر من مضيق مسينا

فى ٢٢ يونيه ، وقصد ثغر الاسكندرية وسار بسرعة تفوق سرعة الاسطول الفرنسى وسفن المؤن والبحارة التى كان يقوم بحراستها ، فبلغه فى ٢٨ من نفس هذا الشهر

وشاءت المقادير ان يمر الاميرال نلسن بأسطوله فى رحلة من الرحلات على مقربة من الاسطول الفرنسى دون ان يراه ، ولولا ذلك لفتك به بالهجوم وغالبه وشتت شمله قبل أن يحتل مصر

ولم يستطع نلسن ان يحصل على أية معلومات من ثغر الاسكندرية لان الأسطول الفرنسى لم يصل اليها الا فى اول يوليه أعنى بعد وصول الأسطول الانكليزى ثلاثة أيام

وعاود نلسن السير موليا وجهه شطر الاسكندرونة اولا ، ثم نحو المورة ، فدخل البحر الادرياتيكى ، وفى ١٨ يوليه ألقى مراسى أسطوله فى سراقوسة من صقلية ليتمون بكفيه من الماء ، وبعد ذلك سافر فى ٢٤ يوليه الى قورون من بلاد المورة ، وفيها استطلع من سفينة يونانية كانت عائدة من الثغر الاسكندرى ، فقيل له انه بعد قدومه الى ذلك الثغر بثلاثة أيام قدم اليه أسطول فرنسى وأنزل اليه جيشاً عرمرما تاريخ ٢ يوليه واستولى على المدينة ثم زحف بعد ذلك الى القاهرة ، وان هذا الاسطول ملق مراسيه أمام شاطئها الغربى وحالما وقف الاميرال نلسن على هذا الخبر وجه أسطوله شطر شواطىء مصر فبلغها فى أول أغسطس سنة ١٧٩٨ م

حركات الاسطول الفرنسى

ولدى قيام الجنرال بونابرت الى القاهرة أوصى الاميرال بروبس « Brueys » الذى كان يقوم بقيادة الاسطول الفرنسى ان يتخذ لاسطوله مرفأ فى ميناء الثغر الغربى ولكن كان من رأى هذا القائد الذهاب الى خليج أبى قير والقاء مراسى الاسطول فيه ، الا انه تخلصاً من احتمال أعباء المسئولية على عاتقه كلف ضابطا من ضباط البحرية ان يقوم بسبر غور الماء فى الممرات لكى يتحقق مما اذا كان فى الاستطاعة الدخول فى البوغاز بدون ان تتعرض السفن للاخطار

وقدم هذا الضابط تقريراً عن مهمته خلاصته انه ولئن كان عمق الماء فى الممرات لا يؤدى كل الضمانات المرجوة الا انه فى الاستطاعة مع ذلك ادخال السفن باتخاذ بعض الاحتياطات

ولما كان الاميرال بروبس لم يزل على رأيه فى الذهاب الى أبى قير والقاء المراسى فيه ، أرتأى انه من اللازم عرض الحالة على الجنرال بونابرت قبل مباشرة أى عمل من الأعمال، وعلى ذلك بعث اليه بتقرير الضابط وذهب الى أبى قير وألقى مراسى أسطوله

وبعد ما وصل هـذا التقرير الى الجنرال بونابرت اغتم وتكدر ، وأرسل على الفور من القاهرة الكابتن جوليان أحد ياورانه وأمره ان يركب السفينة الاميرالية للسفينة اوريان (الشرق) ، وان لا يبارحها قبل ان يرى بعينى رأسه الأسطول بعينه وتصيبه ألقى مراسيه فى الميناء الغربى

وسار الكابتن جوليان فى الحر والساعة عمرانه لم يصل الى أبى قير لأن المركب الذى استقله أغار عليه المصريون قرب قرية علقام (مركز كوم حمادة من أعمال مديرية البحيرة) ، وقتلوا الكابتن جوليان وحق على فرض ان هذه الواقعة لم تحدث فما كان فى استطاعة جوليان ان يصل فى الوقت اللازم بل كان يصل فى اليوم التالى لحصول الكارثة التى حلت بالأسطول الفرنسى

وقد كان الأميرال بروبس يعتقد ان أسطوله فى موقع حريز لا مطمع فيه لحصانته ، ونه مع تولية وجهه شطر الجزيرة التى كان قد وضع عليها مدفعان وحصون حصينها كان متحققا الى حد بعيد من ان الأسطول الانكليزى لا يستطيع ان يخاطر بالمرور بين الجزيرة و بين سفينته الأولى . غير انه كان مخطئا فى تقريره هذا لأن ذلك هو ما حدث فعلا

وكان أيضاً من الأمور التى ينبغى الوقوف عليها كذلك معرفة ما اذا كان فى حالة ظهور الأسطول الانكليزى تدور رحى الحرب وسفن الأسطول الفرنسى راسية مراسيها أم وهى ناشرة أشرعتها . ثم تقرر الرأى الأول

القتال

ولاح الأسطول الانكليزى فى أفق أبى قير فى أول اغسطس سنة ١٧٩٨ م حول الساعة ٣٫٣٠ بعد الزوال ، ولما كانت نيران الحرب لا يمكن أن تبتدىء فى الاشتعال الا بين الساعة الخامسة والسادسة بعد الظهر ، كان الرأى العام السائد فى الأسطول الفرنسى ان الحرب لابد أن تنشب فى الغد لا سيما ان الأسطول الانكليزى كان أقل عدداً من الأسطول الفرنسى . ولكن هذا الرأى الأخير لم يتحقق وابتدأ القتال فى الحال

وفي الوقت الذي وصل فيه الاسطول الانكليزي أمام الاسطول الفرنسي انقسم الى قسمين بعكس ما كان يتوقعه الاميرال الفرنسي ، ومر قسم منهما بين الجزيرة والسفينة الأولى والقسم الثاني اقترب من الأسطول الفرنسي من ناحية البحر لكي يضع قسم الاسطول الفرنسي الذي في المقدمة بين نارين . وبما ان السفن الفرنسية الخمس التي كانت في مؤخرة الخط لم تشترك في الحرب ، فقد صارت قوة الاسطول الانكليزي مع قلة عدد سفنه عن عدد سفن الاسطول الفرنسي أكثر من ضعفي هذا الأخير ، لان كل سفينة فرنسية أمست بين سفينتين انكليزيتين

وقد حدث ان شحطت السفينة الانكليزية الاولى التي مرت بين الجزيرة وأول سفينة فرنسية وهي المسماة « كولودان Culloden » ولم تتمكن من الاشتراك في القتال ، وهذا ما أدى الى زيادة عدد السفن الانكليزية ، ولكن السفن الاخرى مرت

وذكر ياتس Yates المؤرخ الانكليزي في مؤلفه « تاريخ مصر الحديث والحالة فيها » ج ١ ص ٦١ « The modern History and Condition of Egypt » أن الذي قام بارشاد الاسطول الانكليزي في خليج أبي قير صياد اسكندري يسمى مصطفى حامد ، وان هذا الرجل فقد اصبعه في أثناء الموقعة ، وان الحكومة الانكليزية رتبت له معاشاً يتمتع به طالما كان على قيد الحياة ، وان المؤلف المذكور عند ما قدم الى الاسكندرية في سنة ١٨٤٢م كان مصطفى حامد لم يزل حياً يرزق

وابتدأ القتال بين الساعة الخامسة والسادسة واستمر الى ظهر اليوم التالى . فاشتعلت النيران في سفينة الأميرال الفرنسية المسماة « لوريان ـ الشرق » وكان عليها ١٢٠ مدفعاً ، ونسفت في الساعة العاشرة مساء وسمع لانفجارها دوى هائل يصم الآذان . ووقفت الحرب نصف ساعة ثم عادت سيرتها الاولى وانتهت بتدمير الاسطول الفرنسي تدميراً تاما عدا السفن الخمس التي كانت في المؤخرة خلف الخط هي التي أفلتت في الغد قبيل الظهر

ولقد كان من المحتمل ان تتغير نتيجة الحرب لو أن هذه السفن الخمس اشتركت في القتال

وكان الاسطول الفرنسي مؤلفا من ١٩ قطعة تحمل ١٢١٨ مدفعاً ، بينما كان الاسطول الانكليزي مكونا من ١٤ قطعة عليها ٩٥٢ مدفعاً

عمر طوسون

التعبير عن رأي الأمة

٢ – وجوب تعديل نظام مجلس الشيوخ

بقلم الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري بك

عميد كلية الحقوق سابقاً والقاضي بالمحاكم المختلطة

نشرنا في العدد الماضي رأي الدكتور السنهوري بك في أفضل الوسائل للتعبير عن رأي الأمة ، وقد تناول مشكلة اختيار ممثلي الأمة في مجلس النواب . ثم عرض في هذا المقال لنظام مجلس الشيوخ ووجوب تعديله بحيث يلائم ظروفنا الاجتماعية ومدى تطورنا السياسي والثقافي

مجلس الشيوخ ، أو المجلس الأعلى ، موجود في الغالبية العظمى من النظم البرلمانية في العالم ، لا يكاد يخلو منه نظام برلماني . ويقصد من وجوده أن يكون سياجاً يقوم دون اندفاع مجلس النواب وتطرفه ، ويزن من خطواته ، ويخفف من حدته . ولذلك يلاحظ عادة في اختيار أعضاء مجلس الشيوخ أن يكونوا أكبر سناً من أعضاء مجلس النواب ، وأوفر حظاً

وإذا كان وجود مجلس أعلى في النظم البرلمانية مفيداً ، فهو في مصر ضروري . فقد رأينا أن الجمهور في مصر غير متعلم ، وأنه لم يتوافر له النضوج السياسي الكافي . فإذا كان هذا الجمهور هو الذي ستكون له الكلمة الغالبة في اختيار أعضاء مجلس النواب ، بحكم مبدأ الاقتراع المباشر الذي لا نرى العدول عنه ، فلا بد إذن من وجود مجلس آخر إلى جانب مجلس النواب ، يلاحظ في تكوينه تدارك ما عسى أن ينجم من النقص من وراء جعل اختيار النواب في يد جمهور الأمة . فأمر اختيار الشيوخ يجب أن يكون موكولاً إلى الخاصة الذين يستطيعون أن يقدروا مسئولية الحكم وتبعاته ، ويجب أن يكون هؤلاء الشيوخ هم الممثلون للكفايات الفنية وللرأي العلم الناضج المتعلم

فلننظر الآن على أي الأسس قام النظام الحالي لمجلس الشيوخ

يقوم هذا النظام على أسس ثلاثة :

(١) يشترط في عضو مجلس الشيوخ أن يكون من إحدى الطبقات الآتية :

أولاً — الوزراء ، الممثلين السياسيين ، رؤساء مجلس النواب ، وكلاء الوزارات ، رؤساء ومستشاري محكمة الاستئناف أو أية محكمة أخرى من درجتها أو أعلى منها ، النواب العموميين ،

موقعة

نقباء المحامين ، موظفو الحكومة من درجة مدير عام صاعداً سواء فى ذلك الحاليون والسابقون

ثانيا ـ كبار العلماء والرؤساء الروحيين ، كبار الضباط المتقاعدين من رتبة لواء صاعدا ، النواب الذين قضوا مدتين فى النيابة ، الملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيها مصريا فى العام ، من لا يقل دخلهم السنوى عن ألف وخمسمائة جنيه من المشتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصناعية أو بالمهن الحرة

(ب) يؤلف مجلس الشيوخ من عـدد من الأعضاء ، يعين الملك خمسيهم ، وينتخب الثلاثة الأخماس الباقون بالاقتراع العام على مقتضى أحكام قانون الانتخاب

(ج) ينتخب الناخبون فى كل دائرة من دوائر الانتخاب عضوا واحداً لمجلس الشيوخ

ونحن نرى أن هذه الأسس فى أشد الحاجة الى التعديل ، لا سيا ما يعدد منها فى سبيل الحصر ، الطبقات التى يكون منها أعضاء مجلس الشيوخ . فهذه الطبقات تكاد لا تعدو كبار الموظفين وكبار الأعيان

ونرى أن يعاد النظر فى نظام مجلس الشيوخ ، ونقترح أن يقوم هذا النظام على أسس جديدة نلخصها فيا يأتى :

أولا ـ يلاحظ فى تكوين مجلس الشيوخ أن يكون أعضاؤه ممثلين الكفايات الفنية فى البلاد ، ويسعى أن يمثل مجلس الشيوخ الى جانب ذلك الجمهور المنظم وأصحاب المصالح ، حتى يكون هذا المجلس مكملا لمجلس النواب الذى يمثل رأى الجمهور وعامة الشعب

ثانيا ـ يبقى مجلس الشيوخ كما هو الآن : ثلاثة أخماس أعضائه منتخبون والخمسان معينون

ثالثا ـ يكون الناخبون لأعضاء مجلس الشيوخ طائفة مختارة ، يشترط فيها توافر نصاب معين من العلم أو من المال

ويسهل بعد ذلك تطبيق هذه الأسس . فيخلص لنا من تطبيقها نظام يقرب من النظام الآتى :

(١) تحدد الدوائر الانتخابية لمجلس الشيوخ على أساس أن يندمج فى الدائرة الواحدة ثلاث دوائر انتخابية لمجلس النواب . فيكون عدد أعضاء مجلس الشيوخ المنتخبين ثلث عدد أعضاء مجلس النواب

(٢) يشترط فى الناخب أن يكون حاصلا على الشهادة الثانوية (أو ما يعادلها) أو ان يكون دخله السنوى لا يقل عن مبلغ معين (مائة جنيه مثلا)

(٣) يشترط فيمن يرشح نفسه عضوا منتخبا فى مجلس الشيوخ أن يكون حاصلا على شهادة عالية أو ان يكون دخله السنوى لا يقل عن مبلغ معين (خمسمائة جنيه مثلا) ، ولا تقل سنه فى الحالتين عن أربعين سنة

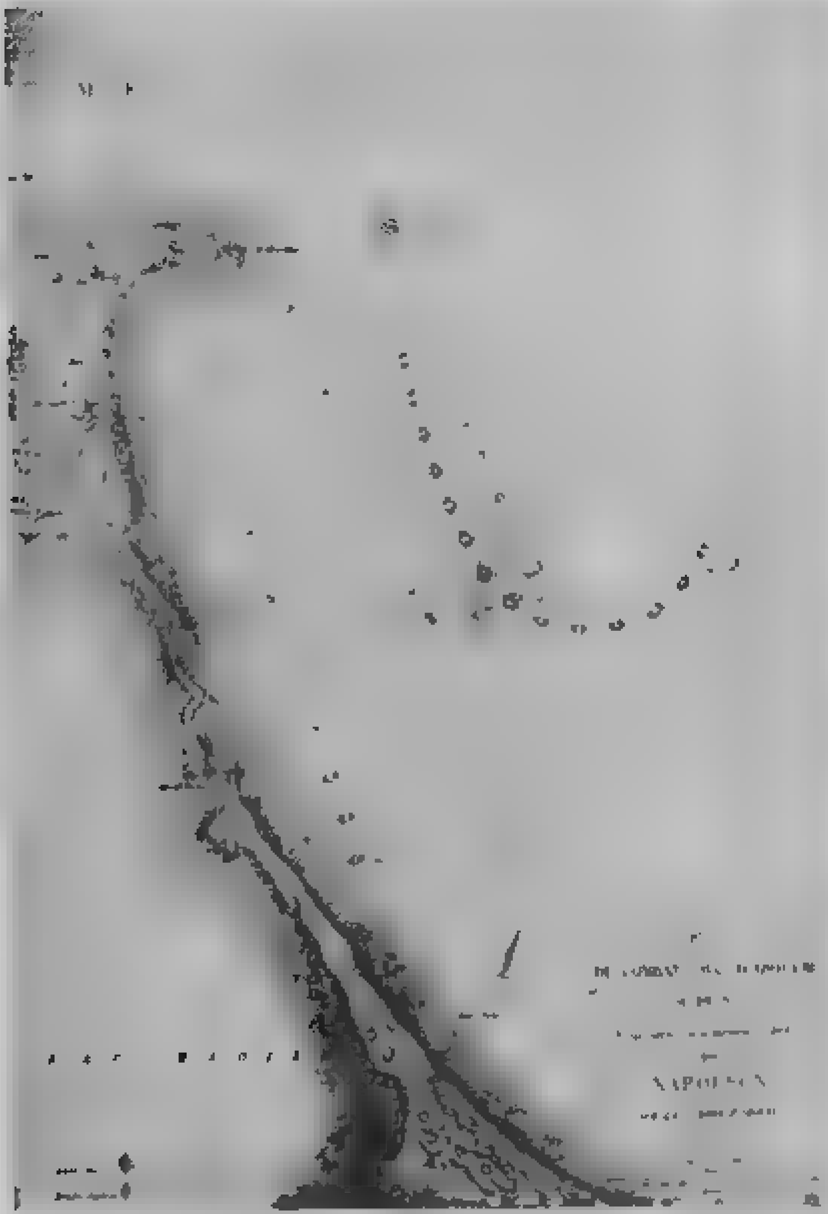
NAPOLEON

(٤) يعين من الاعضاء فى مجلس الشيوخ عدد يساوى ثلثى عدد الأعضاء المنتخبين

(٥) يرشح مجلس الوزراء الأعضاء المعينين ، ولا يكونون أعضاء الا بعد موافقة الملك

(٦) يستأنس مجلس الوزراء ، بقدر الامكان ، فى ترشيح الأعضاء المعينين برأى الطوائف والهيئات التى ينتمى اليها هؤلاء الاعضاء

(٧) يلاحظ مجلس الوزراء فى ترشيح الأعضاء أن يكونوا منتمين الى الطبقات الآتية ، بحيث تكون كل طبقة ممثلة تمثيلا كافيا فى مجلس الشيوخ ، سواء كان ممثلوها من الاعضاء المعينين ، أو من الاعضاء المنتخبين ، أو من الفريقين معا :

المشتغلين بالأعمال الزراعية ، والمشتغلين بالأعمال الصناعية ، والمشتغلين بالاعمال التجارية وبالأعمال المالية

رجال الدين ، ورجال الجيش ، ورجال السياسة ، ورجال الصحافة

رجال التعليم ، ورجال القانون ، والاطباء ، والمهندسين

الجامعتين المصرية والازهرية

ويتبين جليا مما قدمنا أن النظام المقترح يختلف اختلافا بينا عن النظام الحاضر :

فالناخبون لأعضاء مجلس الشيوخ فى النظام المقترح غير الناخبين فى النظام الحالى . هؤلاء هم نفس الناخبين لأعضاء مجلس النواب ، أما أولئك فناخبون اشترطنا فيهم العلم أو المال ، وبذلك كفلنا أن يكون اختيارهم لممثليهم أسد وأحكم

وأعضاء مجلس الشيوخ فى النظام المقترح فريقان :

(ا) فريق منتخب ، يمثل المتعلمين وأصحاب المصالح . ولم نشترط فى هذا الفريق ما يشترطه النظام الحالى من ان يكونوا من كبار الموظفين أو من كبار الاغنياء ، إذ يكفى أن يكون العضو حاصلا على شهادة عالية ، أو ان يكون ذا دخل سنوى ليس من الضرورى أن يبلغ المبلغ الذى يشترطه النظام الحاضر . وبذلك نكون قد جعلنا أعضاء مجلس الشيوخ المنتخبين نخبة من متعلمى الامة وأهل الثراء فيها ، دون أن نحصر اختيارهم فى الطبقات المحصورة التى حددها النظام الحالى

(ب) فريق معين . وجعلنا أمر تعيينه موكولا فى آخر الأمر الى الملك ، وهو فوق الاحزاب ، ولا يتأثر الا بالمصلحة العامة ، وبذلك ينتظر ان يجىء التعيين على يديه خاليا من الهوى الحزبى . وان يكون الاعضاء المعينون هم الذين يمثلون الكفايات الفنية فى البلاد تمثيلا صحيحا مستقرا ، لا تمثيلا يحمل أثر النزعات الوقتية والملابسات السياسية . على اننا جعلنا ترشيح الاعضاء المعينين من عمل مجلس الوزراء ، بعد ان يستأنس بآراء الهيئات والطوائف التى ينتمى اليها الاعضاء ، وفى هذا ضمان لجعل الاعضاء المعينين يمثلون بقدر الامكان الهيئات والطوائف التى ينتمون اليها

أما الأعضاء المعينون أنفسهم فقد توجبنا فيهم أن يكونوا خلاصة الكفايات الفنية في البلاد، دون تقيد بسن أو ثروة. فإن أمور التشريع والشؤون العامة في العصر الحاضر تقتضي أن يوجد رجال الكفايات الفنية الى جانب ممثلي الأمة المنتخبين، يعاونونهم على الاضطلاع بالمسئوليات الخطيرة الملقاة على عاتق البرلمان. ولم نقصد أن يمثل الأعضاء المعينون طبقات معينة في الأمة بقدر ما يمثلون كفايات فنية ممتازة. فالعبرة في اختيار عضو معين، أن يكون متوافراً على الكفاية الفنية المطلوبة لا أن يكون منتمياً الى طبقة من الطبقات.

ولا شك في أن النظام المقترح أوفى بحاجات البلاد من النظام الحالي. على أننا لا نتشدد في الأخذ بجميع التفصيلات التي قدمناها. بل إن ما يعنينا الوقوف عنده من كل هذا هو أن يكون مجلس الشيوخ ممثلاً للمتعلمين ولأصحاب المصالح ولذوي الكفايات الفنية.

ولا ريب في أن مجلس الشيوخ الذي يضم كل هذه العناصر الرشيدة يجب أن يكون مجلساً قوياً يعتد برأيه في إدارة شؤون البلاد. ونرى ألا يقل شأنه في الرقابة على السلطة التنفيذية عن شأن مجلس النواب. فتكون الوزارة مسئولة أمام المجلسين، ويجوز لكل مجلس أن يقترع على الثقة بها، فإذا لم تنل الوزارة ثقة أحد المجلسين وجب عليها أن تستقيل. وبذلك يكون لمجلس الشيوخ حق لا يتمتع به في النظام الحالي. ويبرر إعطاءه هذا الحق أنه يصبح طبقاً للنظام المقترح ممثلاً تمثيلاً صحيحاً للرأي المتعلم ولأصحاب المصالح والكفايات الفنية في البلاد، فوجب على الوزارة إذا أرادت أن تبقى في كراسيها ألا تقتصر على التمتع بثقة مجلس النواب، بل ينبغي أيضاً أن تتمتع بثقة الهيئة التي تمثل الرأي العام المتنور، فتكون حائزة لثقة الشعب عامته وخاصته. وبهذا تأمن البلاد طغيان حزب قد يحصل على ثقة مجلس النواب بالوسائل السياسية الملتوية، ويحكم البلاد بمقتضى هذه الثقة، دون أن يعبأ بالرأي العام الرشيد ممثلاً في مجلس الشيوخ. وليس إعطاء هذا الحق لمجلس الشيوخ بدعاً في النظم البرلمانية، فإن مجلس الشيوخ في فرنسا كثيراً ما يسقط الوزارات، حتى دون أن يقترع على الثقة بها، وأقرب مثل لذلك وزارة بلوم الأخيرة.

والذي تهم ملاحظته في كل هذا أن البلد الذي تكون عامة الشعب فيه محرومة من التعليم يحسن أن يكون له مجلسان، مجلس يمثل عامة الشعب، وآخر يمثل المتعلمين، وأن يكون لكل مجلس قسط من النفوذ والهيمنة على الشؤون العامة يعدل القسط الذي يتمتع به المجلس الآخر. حتى يتم بذلك التوازن بين نفوذ العامة ونفوذ المتعلمين، وحتى يستقر الحكم الديمقراطي، ويتوطد النظام البرلماني، رغم الجهل الذي يخيم على سواد الشعب. ولا يزال هذا هو الشأن، حتى ينتشر التعليم في البلاد، وحتى تتثقف الجماهير التثقيف السياسي الكافي فحينئذ يتضاءل أمر مجلس الشيوخ، ويعظم شأن مجلس النواب.

عبد الرزاق أحمد السنهوري

الاسطول المصرى

حسن أن تتعهد الدولة الفن بوصايتها ورعايتها، على ألا تسلبه حريته وتجرده من استقلاله، وتكرس الفنانين لخدمة أغراضها السياسية أو مناصبها الاجتماعية، فيبقى أسخف من الفن « الرسمي » الذي تسيطر عليه الأداة الحكومية

الفنّ والدّولة

بقلم الأستاذ محمد ناجي

ناظر مدرسة الفنون الجميلة العليا

كان الكهنة فيما مضى يقومون بوظيفة رعاة الفنون، فيحمون الانتاج الفني الفردي ويكرسونه لخدمة الدين وخدمة الملك . وكان يؤمن بالفن أفراد القبيلة بأسرها ويصورون مظاهر خلق الفكرة التي كانوا يعبرون بها عن مختلف ظواهر العالم . وكان الفن في مبدأ الأمر أشبه شيء بتعبير صوفي عند مبادئ الوصول، ثم انتهى بأن اعتنقته القبيلة وآمنت به

والواقع أن لغة الفن الاجتماعية هي وسيلة من وسائل التفاهم والتضامن بين الشعب، ولذلك أشرف عليها واختص بها جميع أصحاب النفوذ ممن يمثلون السلطة والنظام في الأمة

وهذا هو السبب في أن الدولة أخذت على عاتقها مهمة تشجيع الفنانين فقربتهم إليها وفتحت أمامهم ميادين العمل والنشاط

وطالما حدث في الساعات الخطيرة حيال الرغبة في الاحتفاظ بأمثلة الشعب العليا ووقايتها من عبث الزمن الذي يطغى على كل شيء ويضع جميع الأشياء على حد سواء، أن هرعت الدولة إلى الفنانين وأوصتهم بإبداع آثار فنية تخلد الأعمال العظيمة والأمثلة العليا

والواقع أن العمل الفني يتغلب على الموت والنسيان ويحمل في تضاعيفه من قوة البقاء ما يمنع رمل الصحراء من أن يكتسحه ويجرفه . وهو إلى ذلك يحمل سراً مستغلقاً : سر الأصول التي انحدر منها واشتركت في تكوينه

ولقد كانت الحكومات الدينية تحرص الحرص كله على خلاص العنصر وتتخذ من الفن واسطة لوضع ذلك العنصر تحت رعاية الله

ولذا فقد كان الفن المقدس أو الديني الذي ترعاه الدولة ضرورة من الضرورات السياسية التي

ترى فى ايجاد ذلك التجانس الناطق والديني بين أفراد ينتمون الى عنصر واحد وجنس واحد

وأما الفن غير الديني فهو واجهة عاطفية أخرى تعبر أصدق التعبير عن العبقرية المشتركة

وقد حرصت الدولة المصرية — رغبة فى تدعيم وحدتها أو انسجامها السياسى والديني — على الاحتفاظ بتقاليد فنية لها . وقد شاء أحد الامراء ان تزدهر تلك التقاليد فانبعثت تحت شمس اخناتون الساطعة

فالدولة احتضنت عمل رعاة الفنون وبحثت فى تشجيعه ومنذ ان بدأ مبدأ تعليم الفنون الجميلة اقبل عليه ابناء الشعب وظهر انهم بحكم الوراثة أشد ميلا الى فن النحت وأقدر على النجاح به منهم على النجاح فى الفنون الاخرى

أما فن الرسم فهو مكتسب ، واستقراره يرجع الى البحث والاستعانة بوسائل تعبيره الحديثة وليس هناك سبب يحول بين ظهور أثر البلد والعصر فى العمل الفنى . ولكن الفن القومى المحض لا أثر له فى الرسم أو النحت المصرى لأن مميزات العصر مبهمة خفية . والحقيقة أنها تكمن فى جوهر العمل الفنى وتتجلى عادة فى القوة العاطفية التى تنبع منه وفى خصائص المذهب الفنى المعين الذى اختاره الفنان فالمذهب التعبيرى مثلا (Expressionnisme) وجد أرضا خصبة فى ألمانيا ، ومذهب المكعبات (Cubisme) صادف هوى من نفوس أهل البلاد اللاتينية ، وذلك لأن الشمس فى هذه البلاد تحدد الاشكال والاوضاع أما فى ألمانيا فان الجو القاتم يخفى حقيقة تلك الاشكال

وأما فيما يختص بنا الآن ، فالدولة المصرية لا تحتكر الفنون ولا تحاول ان توجهها وجهة معينة ، بل تساعد على اجراء نوع من التبادل الفنى بين هيئات تنشر الفن وتروج بالجمال

والواقع أن الدولة المصرية الراعية أصدق الرعاية فى نشر تعليم الفنون الجميلة ، يقودها منطق صارم هو تحقيق الثمرة المنشودة من هذا التعليم

فى مصر جيش من الفنانين متأهب لتزيين مدينة القاهرة وتجميلها بأروع التحف المستلهمة من تاريخها ولا شك فى أن شوارع العمران وآيات فن النحت والآثار الفنية عموما ، تكاد توحى الثقافة الفنية الى نفوس المواطنين . ومما لا يقبل الريب أن القروى الذى يعيش فى منطقة تجاور مدينة فنية هو ألطف حسا وأرق اخلاقا من ذلك الذى لم تقع أبصاره على أثر فنى قط

ولقد أخذ الفضل على الحكومة المصرية استمرارها فى استخدام الاجانب لتعليم الفنون الجميلة حقبة طويلة التأثير الاجنبى ورغبة فى نشر مبدأ الحركة الفنية

ولكن المؤثرات الاجنبية لم تعد غير النفعاء . ولقد اختلطت الاجناس والعناصر أيام الحروب الصليبية ثم حل هذا الاختلاط بين عبقريتها وبين النمو والازدهار

والملاحظ فيما يتعلق بنا أن آثارنا الاسلامية تولدت من حضارة عرفت بالتسامح ، حضارة تفخر بأن فى وسعها أن تهضم وتستوعب خصائص العبقرية الاجنبية

وعندي أن السبب الرئيسي في عظمة فن الرسم الفرنسي هو أنه استطاع أن يستوعب مختلف النزعات الفنية العالمية

ومما يجب لفت النظر إليه أن رعاية الحكومة المصرية على الفنون الجميلة لم يترتب عليها إيجاد فن رسمي كما حدث في بعض الحكومات . وذلك لأن الحكومة المصرية لا تسرف في اتباع رغبات الأصحاب ولا تسعى الى فرض أسلوب معين على فن من الفنون أمر يتعارض كل التعارض مع حرية الفن في الأداء والتعبير

ومن جهة أخرى فهناك حكومات ديموقراطية وغير ديموقراطية تجهل الغرض المقصود من الفن وترغب في أن يخدم الفن دعوة سياسية أو أخلاقية أو عسكرية . ولكن تجريد الفنان من حريته وإجباره على الوقوف موقف التدليل والتراضي من جمهور الشعب أو من الديكتاتور هو عمل تعسفي ينزع من الفن خاصة الاشراف على المستقبل ويجرده من كل وحي شخصي

فليس لنا أن نقحم الفن في السياسة إذن ، ونتخذه وسيلة لتمجيد آراء ورغبات باطلة ، ونخلع عليه من زهونا وخيلائنا ونجعلنا ثوبا زريا لا يتفق وجلاله وروعته والغاية المنشودة منه ، ألا وهي التعبير عن أخص عواطفنا وتجميل حياتنا وتمجيد حقنا البشري مهما كان بسيطا متواضعا

وفي رأيي أن مدرسة الفنون الجميلة العليا تتوافر فيها الشروط والأسباب الكافية لبحث شتى المسائل الخاصة بالفن بحثا قوامه التعمق ورعايته الجلال

فهذه المدرسة المؤلفة من هيئة من الاخصائيين الفنيين تعاونهم طائفة من النقاد ، في وسعها أن تهيىء الأذهان لفهم المسائل الفنية بأسلوب يجعل هذه المسائل في متناول الجمهور ويخدم في نفس الوقت جماعة الهواة الذين كثيرا ما يشرعون في الحكم على عمل فني أو يتجاوز بعضهم الحد فيحكم على التعليم الفني نفسه ويطالب بإصلاحه وهو يجهل عن الفن كل شيء

فمدرسة الفنون الجميلة العليا تحرص والحالة هذه على غذاء مختلف أشكال الجمال ومبادىء الفن حقل نحرثها الذي لا بد من الاستناد إليه والانتفاع به ، سواء في أزمنة التأخر الفني أو في عصر كالعصر الحاضر نحاول فيه تنظيم ثقافة بلادنا الجمالية على أسس وقواعد صحيحة

ولا شك أن الحكومة تدل على سعة عقل وحكمة عندما تعهد بالشؤون الفنية الى رجال مثقفين من أهل الفن . والواقع أن أولئك الرجال المشهود لهم بالاخلاص والنزاهة هم الذين يستطيعون تغذية النهضة الفنية وحمايتها من الحملات الكاذبة الجوفاء ومن روح الوصولية التي فشت هذه الأيام بين نفر من أنصاف العقول والمواهب المتوسطة

ويلاحظ في هؤلاء أن نقص ثقافتهم يدفع بهم الى الخروج بآراء منكرة ، وأن حب الفن قد تخلص من نفوسهم وحلت محله مطامع وأغراض لا يستطيعون الاعراب عنها إلا مستورة بستار وطني كاذب مصطنع

وهكذا أصبح الفن عندهم طريقا من طرق الوصولية

وإذن فلا بد للفنون الجميلة من استقلال أدبي ومالي يجعلها بمأمن من التقلبات السياسية وهذا الاستقلال تتمتع به الجامعة المصرية الآن

ولذا يجب أن تنشأ مصلحة أو إدارة الفنون الجميلة تنظم هذه الفنون في مصر وتكفل لها اطراد الحياة والتقدم . ولكن أعمال الحكومات لا تتوج إلا بعبقرية المليك الذي يود دائما أن يطبع العمل الفني بالطابع المستقل الإنساني المعبر عن عقلية شعبه وجهوده

ولنا وطيد الأمل في أن تتحقق نهضة الفن في مصر وشيكا على يد جلالة الملك الفاروق

محمد ناجي

الخاصة والعامة

• لا تبقى الحضارة إن تركزت في الخاصة . وكل أمة لا يهتم خاصتها بسواد الشعب مصيرها إلى الاضمحلال والفناء

• من خصائص الأمم المتحضرة أن يشمل حضرها مختلف طبقات الشعب . ورفع مستوى العامل والفلاح هو الدليل القاطع على أن الأمة قد استكملت عناصر حضارتها

• كلما كان الخاصة قدوة العامة في تقديس معنى الواجب وخلق روح التضامن . توطد النظام وحرص العامة عليه واحترموه وماتوا في سبيله بشتى التضحيات وكلما تبرأ الخاصة عن الواجب واستأثروا بثمرات العمل حقت الفوضى وتولدت في نفوس العامة عوامل التمرد والثورة

ديدرو

سكرتير نابليون

بقلم الأستاذ حسن الحريف

لم تطل خدمة الشاب كلود ميفار للامبراطور نابليون الأول أكثر من نصف ساعة، ومع ذلك فقد كانت تلك الدقائق الثلاثون كفيلة بأن تجعل لصاحب ذلك الاسم ذكراً على ألسنة المعاصرين وبأن تضع له مكاناً في كتب التاريخ، ولولاها ما وصلت الينا هذه الطرفة الظريفة التي نرويها اليوم والتي تكشف عن ناحية مجهولة من نواحي شخصية نابليون

أتم كلود ميفار دراسته الثانوية في سنة ١٨١٠ ولكنه لم يأنس في نفسه استعداداً لأصول الخطابة وفنون الكلام، فلم يشأ أن يمتهن المحاماة التي كان أبوه يعده لها ويحسب أن سيكون له فيها شأن كبير، وآثر أن يوجه نفسه وجهة أخرى يحقق بها لشخصه مركزاً سامياً في باريس فسعى سعياً موفقاً انتهى به الى أن عين كاتباً ملحقاً بمكتب وزير الحربية

كان ذلك في عهد الامبراطور نابليون الأول، وكانت كمية العمل المفروضة على الموظفين ثقيلة مرهقة تقتضيهم اثنتي عشرة ساعة من اليوم وتقتضيهم أغلب الأيام أن يتناولوا طعام الغداء وطعام العشاء في الديوان. وكان المرشال برتييه، وزير الحربية إذ ذاك، يضرب المثل بنفسه لمرءوسيه فيصل ساعات النهار بساعات الليل في الاشراف على عملية وضع قوائم التجنيد وتوزيع القيادات وتوسيع الثكن وتدبير وسائل النقل والتموين، لا تأخذه في ذلك رحمة بنفسه ولا رحمة بمعاونيه

ولم يكن عجيباً والحالة هذه أن يتمنى موظفو مكتب الوزير لو تتاح لكل منهم فرصة الانتقال من هذا العمل المضني الشاق الى أية وظيفة بديوان آخر تسمح طبيعة العمل فيه بفترات للاستراحة وترويح العناء عن النفوس. لذلك كان فرح أولئك الموظفين المكدودين عظيماً يوم استدعاهم الوزير وأفضى اليهم بأن السكرتير الخاص للامبراطور قد أصيب بمرض صيره غير صالح لتأدية أعمال وظيفته، وبأن جلالته كلفه أن يختار له شاباً تتوافر فيه المزايا التي تؤهله لأن يكون سكرتيراً له. وأضاف الوزير الى ذلك أنه سيعقد لهم فور الساعة امتحاناً في سرعة الكتابة مع جودة الخط وضبط قواعد النحو والاملاء

وانعقد الامتحان وأملى الوزير على موظفيه صفحة كاملة اجتهد كل منهم في أن يخرجها على أحسن حال. وحمل المرشال برتييه أوراق الامتحان الى قصر التويلري ولبث الشبان في انتظار

النتيجة ساعة ، كانت قلوبهم خلالها تمشي في صدورهم ، وأمخاخهم تلتهب في جماجمهم كلما فكروا في أن إحدى تلك الأوراق ستنتشل صاحبها من جحيم وزارة الحربية لترفعه الى نعيم مكتب الامبراطور حيث ينتظره المجد والراحة والعظمة والثراء

وعاد الوزير بعد انقضاء الساعة وتوجه الى حيث يجلس الشاب كلود سبار بين زملائه وقال: « اهنئك يابني فقد وقع اختيار جلالة الامبراطور عليك وأرجو أن تسمو نفسك لتصلها في مستوى الشرف الذي أتاحته لك الأقدار . . . اذهب يا ولدى فان جلالة الامبراطور ينتظرك . . . »

ونظر كلود الى الوزير نظرة من يسمع شيئاً مذهلا ، أو نظرة من يرى قصور أمانيه تهبط عليه فجأة من السماء ، وحاول أن يتكلم فلم يسعفه لسانه بالكلام ، فمد الى رئيسه الأعلى يداً متراخية مترددة وجعل يتمتم بكلمات متقطعة غير مفهومة ويجيل الطرف في ما حوله كالمشدوه ، ثم أخذ يقبل تهانى زملائه ويجاوبهم بحركات آلية لا تدل على شيء سوى الاضطراب الشديد ، ثم جلس أو قل ارتمى على كرسيه في حالة تشبه الحلم لم يخرجه منها إلا صوت الوزير يهيب به مرة أخرى : « عجل يا بني الى القصر فالامبراطور ينتظرك » ونهض الشاب مترنحا وتناول معطفه وقبعته وقفازيه وودع زملاءه ببعض الايماءات وركب مركبة أقلته الى قصر التويلري

ولقد جلس الزملاء يتحدثون عن صاحبهم المحظوظ ويرونه بعين الخيال . وهو في طريقه الى المجد يقفز من سلم المركبة الى عتبة القصر ويجتاز الردهات والابهاء . ثم يرونه وهو يقتحم بخطواته المترددة باب الامبراطور ليتقلد منصبه السامي الجديد وليجلس على كرسي حسبه الجلوس عليه ساعة من الزمان ليخلد اسمه في التاريخ على مر الأزمان وأخذ كل منهم يتكلم عما غلبت عليه عواطفه . فهذا يستعظم اسراف القدر في العطاء ، وذاك يشك في أهلية الشاب المختار لما اختير له ، وذلك يقرر في لهجة الحكيم الوقور ان الحظ أعمى يصيب الغبي ويسعده ويخطئ الالمعي فيعيش مغموراً ، ثم يتفق الجميع على أن يرجوا من الله أن ييسر لصاحبهم أمره ويوفقه لما ندبته له الأقدار بينما يتمنى كل منهم في قرارة نفسه أن يعسر الله على الشاب هذا الأمر حتى لا يكون منهم فاصل ومفصول

واسترسل الشبان في التحدث عن الصاحب المحظوظ وتعرجت شجون الحديث وتنوعت الفكر وكثرت التعليقات . وبينما هم في شغل شاغل عن عملهم اذا بالباب يفتح واذا بالشاب كلود سبار يجتاز عتبته مطأطىء الهامة ويسير الى مكتبه بخطوات وئيدة متعثرة ويقتعد كرسيه مهموما كمن تجمعت على رأسه مصائب الدنيا ومصائب الآخرة

نظر الزملاء الى صاحبهم مذهولين وقد أدهشهم ان رأوه شاحب الوجه مقلوب السحنة زائغ البصر بلا قبعة ولا معطف ولا قفاز ، فتهافتوا عليه يسألونه ما خطبه وماذا دهاه وهو يشيح عنهم

برأسه ويتأوه ويتلوى كالملسوع . ويمر عليه أعوانه ريثما يعود اليه صوابه ويسترجع قواه ثم عادوا يسألونه ويلحون في السؤال . وأخيراً أدار الشاب عينيه في ما يحيط به وابتسم ابتسامة محزونة تنم على ما في قلبه من هم شديد وأخذ يقص نبأ محنته على الأعوان :

قدم كلود سيار نفسه الى رئيس الديوان واستأذنه في الدخول على الامبراطور ، فلما أذن له دخل على نابليون في حجرة مكتبه فألفاه يسير خطوات سريعة وقد جعل يديه وراء ظهره وأمال رأسه على صدره شأن من يفكر في أمر خطير . ولما أغلق الشاب الباب وراءه وحنى رأسه بالتحية تفقده الامبراطور بنظرة فاحصة شملته من ذروة الرأس الى أخمص القدم وقال : « هذا أنت . لقد أبطأت . . اجلس هناك . . » وأشار بيده اشارة سريعة الى مكتب صغير قائم في احدى زوايا الحجرة بين نافذتين كبيرتين

جمع الشاب أطراف ثوبه بيديه واتخذ الكرسي الموضوع أمام المكتب الصغير ومد يده فتناول ورقاً وقلماً ولبث ينتظر

أما الامبراطور فتحول عنه ليستأنف سيره ذهاباً وجيئة في الحجرة الواسعة ، وكأنما نسي وجود السكرتير الجديد فاقترب منه فأخذ يجمجم بعبارات يصحبها باشارات من يده ثم يعقبها بكلمات متقطعة تتلوها جمل سريعة وتتخللها زفرات ودمدمات يدمدمها في نفسها فتجيء غير مفهومة ولا يعلم سامعها أهي شتائم يصبها على شخص مجهول ، أم ايمان يقسمها على شيء غير معلوم

ولقد لبث السكرتير يرقب هذه الحالة برهة طويلة ويتعجب من هذا الامبراطور العظيم الذي يحدث نفسه كالمجانين ، ثم انتهى به الأمر الى أن ظن أن نابليون مشغول البال مهتاج الخاطر أو متوعك المزاج ، ورأى ان الأدب واللياقة يقتضيانه التظاهر بعدم سماع ما يقول ، فحنى رأسه على أوراقه وظل ينتظر أن يوجه اليه الامبراطور الكلام أو يملي عليه رسالة يكتبها . وطالت نزهة نابليون في الحجرة وهو لا ينفك يتمتم حيناً ويجمجم حيناً آخر ثم حانت منه التفاتة الى سكرتيره فأقبل عليه ووقف الى جانب مكتبه ، وأحس الشاب أن عيني الجبار مسلطتان عليه فجعل ينكمش ويتضاءل ويدخل عنقه في كتفيه ويشد أصابعه على القلم لكي لا يقع من يده للرعشة الى أن قال الامبراطور « اقرأ علي ما كتبت » فرفع الشاب عينيه الزائغتين وأجاب مرتبكاً :

— ماذا أقرأ يا مولاي ؟
— اقرأ ما أمليته عليك
— ما . . ما . . ما أه . . ولكن جلالتكم لم تملوا علي شيئاً يا مولاي
— كيف لم أمل عليك شيئاً يا ولدي ؟ إذن ماذا كنت تعمل طوال هذا الوقت ؟
— كنت أظن . . كنت أحسب . .

ولو أن صاعقة هوت على قصر التويلري ودكت جدرانه دكا لما كان وقعها على الشاب كلود ميناڤال أعظم من وقع صيحة الغضب التي صاحها الامبراطور في وجهه فأدهشت رشده وأذهبت صوابه حتى أنه لم يع شيئا من ألفاظها ، وكل ما يذكره هو أن يدا انقضت على عنقه فقبضت بأصابعها كما تقبض يد الأسد على أرنب أو هرة ، وأن هذه اليد اقتلعته من كرسيه واقتادته الى الباب ودفعته الى الدهليز دفعة قوية ، وأن الباب أغلق وراءه بعنف وأنه هرول الى فناء القصر وظل يعدو كالمذعور حتى قطع المسافة الواقعة بين التويلري وسراي وزارة الحربية تحت المطر الشديد عارى الرأس بلا معطف ولا قفاز ، وأن الضرورة قادته بلا وعى ولا تفكير الى مكتبه لا لشيء إلا ليفر من وجه الخطر ويختبئ وراء الأبواب والجدران بين الزملاء والاخوان

ولقد أثرت الحادثة على أعصاب الشاب فرض ولزم الفراش خمسة أيام لم يكن خلالها يسمع في منامه إلا الصيحة التي أذهلت رشده وأذهبت صوابه ، ولا يرى في سحرته إلا اليد القوية التي دفعت به الى الدهليز . ولقد عاش بعد موت نابليون ثلاثين عاما لم يطاوعه قلبه في يوم من الأيام على أن يجتاز حديقة التويلري ، ولم تقع عيناه مرة على قباب القصر من بعيد إلا أحس برعشة تسرى في جسمه وتذكره بذلك اليوم المشئوم

* * *

ويظهر حقيقة أن مهمة السكرتير الخاص للامبراطور نابليون كانت مهمة شاقة عسيرة الأداء على من يتولاها . فمن يقرأ الآن مذكرات صاحبنا البارون « فان » Baron Fain الذي أمضى في هذا المنصب سنوات عديدة من حياته . ولهذه المذكرات قيمة تاريخية كبرى . فلقد عاصر صاحبها كل الحوادث التي يرويها وعرف جميع الرجال الذين لعبوا دوراً فيها ووقف على معظم الاسرار التي أحاطت بها . ومذكراته من هذه الناحية متعة عقلية تطيب لكل قارئ، وتمد المؤرخ بذخيرة وافرة من التفاصيل الشائقة التي لا غنى عنها في مطولات التاريخ

ويصور لنا البارون « فان » حياته في خدمة نابليون كأنما هي سلسلة جهود عنيفة مضنية أقل ما توصف به أنها تقصر العمر أو تورث الجنون . فقد كان يدخل حجرة مكتب الامبراطور عند مطلع الفجر من كل يوم ويتخذ كرسيه أمام المكتب الصغير بين النافذتين موليا نابليون ظهره فلا يراه وانما يسمع وقع اقدامه وهو يذرع الغرفة بخطواته السريعة رائحا غاديا ويسمع دمدمته وجمجمته وصوت الأوراق التي يمزقها وينثرها فتتطاير حوله ذات اليمين وذات الشمال . وكان الامبراطور يباشر عمله اليومي عند الساعة السابعة من الصباح فيستقبله سكرتيره واقفا ثم يجلس من دون أن ينبس بكلمة ويتناول القلم والورق وينتظر حتى يقول له نابليون : « اكتب » وعندئذ يبتدىء العمل المرهق الشاق الذي يكاد العقل لا يتصوره .

كان الامبراطور وهو يملي رسائله أشبه الناس بشخص يتحدث الى نفسه حديثا سريع الالفاظ

متقطع العبارات . أما سرعته فى الاملاء فكانت بحيث يستحيل على أسرع الكاتبين أن يلاحقه فيها ، وأما النطق فكان مزيجاً من همهمة ودمدمة وصيحات لا يميز السامع منها شيئاً إلا اذا طال تمرسه عليها . وكان الامبراطور يتوقف عن الاملاء فجأة ليمزق بعض الأوراق وينثرها على أرض الحجرة ، أو ليصب بعض اللعنات على شخص مجهول أو على أمر غير معين ، ثم يستأنف املاءه العصبى مؤيداً عباراته باشارات من يده أو ضربات من قبضته على المكتب

ولم يكن فى استطاعة السكرتير أن يجارى بالكتابة سرعة الامبراطور فى الكلام ولا أن يلتقط ، وهو فى هذه الناحية من الغرفة ، جمجمة النطق وهو فى الناحية الاخرى منها . لذلك كان كل همه ينحصر فى أن يترك على الورق مسافات بيضاء بين الجمل ليجتهد بعد ذلك فى أن يملأها بما علق فى ذاكرته من الاملاء . ولكن الصعوبة كانت فى استذكار الارقام واسماء الأعلام والاصطلاحات الفنية التى كان السكرتير يدونها بسرعة على هامش الورق ليضعها فى أمكنتها بعد ذلك

وكثيراً ما كانت أسماء الاعلام تختلط فى ذهن الامبراطور فيخطىء إذ يضع الواحد بدلا من الآخر فيقول « سولتسك » بدلا من « سلسلة » ويقول « الابرو » بدلا من « الالب » و « باسادوس » بدلا من « جيوفسكى » وهكذا . وكان على السكرتير أن يدرك هذه الاخطاء بذكائه ويصححها بنفسه وبدون الرجوع الى نابليون فى أمرها ، والا فالويل له اذا هو لم يفعل

ومتى توقف الامبراطور لحظة عن الاملاء عمد البارون « فان » الى المسافات البيضاء التى تركها بين الجمل فيملأها بجهد ما تصل اليه ذاكرته أو بما يسعفه به ذكاؤه مما يوحيه اليه سياق الكلام ، ثم يعود فيفحص تلك المسودات التى ما هى الا خطوط بعضها مستقيم وبعضها متعرج يكاد الناظر اليها لا يتبين منها كلمة ولا حرفا . ولكن الامبراطور لا يلبث حتى يعود الى العمل فيلقى اضبارة على مكتب سكرتيره مصحوبة بكلمة « التنفيذ » وأخرى مصحوبة بكلمة : « يهمل » ثم يلقى على البساط اضبارة أو بعض اضابير لا يصدر بشأنها تعليمات ويتحتم فى هذه الحالة على السكرتير أن يفهم معنى هذا السكوت . ثم ينهض فيسند ظهره الى المدفأة ويبتدىء فتح المكاتبات الواردة اليه فتتطاير الظروف والغلافات فى أنحاء الغرفة وتتبعها المكاتبات نفسها وتخرج بالأوراق للمرفقة وتكون أكداسا فوق البساط . فاذا خرج لحظة هرع السكرتير اليها فجمعها ورتبها وحاول ان يفهم ما يعنى تصرفها فيه ، ثم يعود الامبراطور ويقول : « اكتب » فتبدأ عملية الكتابة من جديد ...

ويزداد الأمر تعقيداً على السكرتير عندما يدخل فوشيه وزير البوليس حاملا ملفاته الضخمة ليعرض تقاريره اليومية على الامبراطور ، إذ يجلس بجوار المكتب ويبدأ تلاوة أوراقه وكلها متعلقة بمؤامرات تدبر لاغتيال حياة نابليون ، وثورة الملكيين فى مقاطعتى بريطانيا والفانديه ، وزعماء الثوار المتنقلين خفية فى أرجاء باريس ، والأموال التى تنثرها حكومة انجلترا لمساعدة أولئك

الثوار . فيمضي الامبراطور الى كل هذا وسائله جملة وتفصيلا ، ولكن الاسماء والمناقشة لا يحولان دون استمراره في إملاء رسائله على السكرتير وإملاء تعليماته وأوامره على الوزير فيختلط عليهما الكلام ويتعسر على كل منهما ان يعرف ما هو موجه اليه منه

وبينما هو يملي تمتد يده الى اضبارة فوق المكتب فيقلب أوراقها بأصابعه ويتصفح بعض ما فيها ويهز رأسه ويقول : « لا . لا ... هذه أثمان مبالغ فيها . ان هذا الرجل يسرقنا ... » وينظر الوزير فوشيه فاذا الاضبارة التي بين يدي الامبراطور تحوي « فواتير » ومطالب من بعض التجار الذين يوردون للامبراطور ثيابه واحذيته وللامبراطورة مختلف الثياب والعطور والمساحيق

وليتصور القارىء موقف هذين الرجلين والامبراطور واقف بينهما لا يسمح لأحدهما ان يقطع عليه تفكيره باستعادة كلمة لم يسمعها ولا بالاستفسار عن اسم أو رقم لم يتبينه ، وهو يملي عليهما اشياء من الخطر بمكان ولا يكلف نفسه الاشارة الى أحدهما بأن الكلام موجه اليه ولا يرفع رأسه عن الاوراق التي في يده حتى يدرك الواحد منهما من نظراته أو ايماءاته ان هذه العبارة أو تلك تعنيه ولا تعني الآخر ، بينما تتخلل تلك العبارات تعليقات على موضوعات أخرى لا علاقة لها البتة بما هما منهمكان فيه فيجيء كلامه مرتبا هذا الترتيب العجيب :

« ... ويهمني ان أوجه نظر سموكم الملكي الى أن الحماية الشاملة بروح العطف والتأييد التي يلقاها المهاجرون الفرنسيون من حكومة لوندرة . هذه المرأة قد جاوزت اسرافها كل حد معقول . ترسل تجريدة قوية لتعزيز حامية القادسية وحراسة شواطىء بريطانيا قد انتهى الى أن الكونت دارتوا يزمع .. من شأنها ان تشجع المجرمين الذين يعدون على فرنسا عدة .. قيمة اثنين وستين فرنكا .. النزول الى الشاطىء مع شرذمة من المهاجرين .. وهو معذور في وضع هذه الأثمان لأنه لا يجد من يحاسبه .. يحسن ترك هذا الرجل حرا ورصد العيون حوله لمعرفة الذين .. قلب نظام الحكم واغتيال حياتي .. تدبير طريقة لمنع أولئك التجار من الوصول الى القصر جوزفين لا ترفض منهم شيئا ولا تردهم خائبين »

وعلى الوزير أن يتبين ما يخصه من ذلك فيهتم بأمر التجريدة والقبض على الكونت دارتواه شقيق الملك السابق . وعلى السكرتير أن يلفت نظر الوصي على عرش انجلترا الى مسألة تشجيع المهاجرين والمجرمين . وعلى الاثنين أن يحملا عبء التهمة واسراف الامبراطورة

ولا يحسب القارىء أن فترات حروب نابليون العديدة كانت فترات راحة لسكرتيره الخاص ، فما كانت خيمة الامبراطور تنصب في ميدان القتال حتى يخصص جزء منها لمكتب السكرتير ، وما كانت أضواء الفجر تشع على السكون حتى يكون العمل معدا والأوراق مجهزة والمكاتبات مرتبة والآلة الآدمية التي يسمونها « السكرتير » جالسة أمام المكتب مستعدة للحركة عند أول اشارة . فما يكاد ضوء النهار ينفذ الى الخيمة حتى ينهض الامبراطور ويتناول الملفات والاضابير فيتصفحها بسرعة

ويقرأ ويمزق ويوقع ويطوح وهو يقول للسكرتير : « ارسل هذا .. وهذا للحفظ .. وهذا مستعجل . وهذا يعرض على في الوقت المناسب ... » وينهض السكرتير المسكين ليجمع من فوق بساط الخيمة أو ليلتقط من الهواء تلك القطعات المبعثرة والأضابير الطائرة وما يكاد يجلس ليجمع شتاتها ويرتب محتوياتها حتى يفاجئه الامبراطور بقوله : « اكتب » فيتناول القلم والورق ويكتب

وكان العمل يمتد أحيانا الى منتصف الليل وأحيانا أخرى الى الهزيع الأخير منه حتى ليجهد السكرتير نفسه في المحافظة على توازنه لكي لا يقع على الارض من فرط التعب وتحت سلطان النوم ..

أما خيمة الامبراطور فكانت تنصب أينما يحل بسرعة لا يتمكن معها ناصبوها من تمهيد الارض وتسويتها ولا من كنسها وتنظيفها . وكانت مكونة من شقتين احداهما يوضع فيها سرير صغير ينام عليه نابليون والأخرى ينصب فيها مكتبه ومكتب السكرتير . ولعلنا اذا قلنا مكتب السكرتير فانما نقول ذلك من قبيل التجوز لأن هذا المكتب لم يكن في الحقيقة الا منضدة واطئة وبجانبها حشية صغيرة يجلس عليها البارون فان

ويذكر البارون فان ان الاجهاد كان يصل به في بعض الاحيان الى حد يجعله يكتب ورأسه يترنح ممض العصب . ولقد حدث ذات ليلة ، وكان ذلك أثر الانتهاء من احدى المعارك الحربية ان طال به السهر وثقل عليه عبء العمل حتى عجزت يده عن الكتابة فانتهز فرصة تحول الامبراطور الى مخدعه فارتمى على الارض وزحف متسللا من تحت قماش الخيمة ومن بين حبالها ، فما صار خارجها في العراء صادفت يده شيئا لينا ظنه ربطة من الحشايا او كومة من الثياب فتوسدها غير قادر على تعرف حقيقتها ونام . ولشد ما كانت دهشته عندما أفاق من نومه فاذا تلك الوسادة جثة جندي مقتول !

تلك كانت مهمة « السعيد المحظوظ » الذي يقع عليه اختيار نابليون ليكون سكرتيرا له .

ولقد حفظ التاريخ أسماء أربعة وقع عليهم هذا الاختيار وهم : بوريين وميفال وفان وذلك الشاب المنكود كلود سيار الذي لم ينعم بتلك السعادة المتعبة أكثر من نصف ساعة

حسن الشريف

مسألة القضاء والقدر أو

معضلة الكون العظمى

هل الإنسان مُسَيَّر أو مخيَّر؟

رأي العالم الفلكي الكبير كميل فلامريون

بقلم الأستاذ إدوارد مرقص

عضو المجمع العلمي العربي بسورية

كتاب « أسرار الموت » من جمع ما خطه يراع العالم الروحاني الفلكي الطائر الصيت « كميل فلامريون » الفرنسي وقد نقله إلى اللغة العربية الأستاذ إدوارد مرقص عضو المجمع العلمي العربي بسورية وهو الآن تحت الطبع ورأينا أن نقتطف منه فصلاً عقده في معضلة الكون العظمى وهي مسألة القضاء والقدر . فيه يسمو شأنها وذكر حيرة العلم والعقل في كشف سرها وهتك حجابها إلا على سبيل التقريب . وهو تقريب ظفر به المؤلف وعرضه عرضاً سهلاً يطرب به الطبع ويرضى به الوجدان . لا سيما وقد خرج منه إلى نتيجة جلية تنطبق على عقيدة الإسلام وعقيدة النصرانية . تلك النتيجة هي أن للإنسان حرية محدودة في إجراء الأمور وتصاريفها ، وهذه الحرية يتفاوت مقدارها وأثرها حسب طبيعة صاحبها وأخلاقه والأحوال المحيطة به عند إتيانه أمراً ووقوعه في حادث . ومما تجب الإشارة إليه أن فلامريون ليس من رجال الإيمان ولا من رجال الإلحاد ، ولكنه مستقل في اعتقاده غير متعصب فيه ولا متصلب ، فهو يقف عند ما تصدره أحكام العقل والعلم المبني على الحس والتجربة . وقد جاهر بذلك وبسط الكلام بشأنه في مقدمة كتابه المذكور قائلاً أنه لا يعني إلا بالحقيقة حسبما تلوح له فلا هو يقصد نصرة رجال الدين ولا التحامل عليهم ولا تأييد الملحدين ولا السخرية بهم

قال فلامريون :

من حوادث الاطلاع على المستقبل أن زوجة الجنرال الروسي تونشكوف حلمت سنة ١٨١١ كأن والدها — وكان حيا — جاءها ممسكا بيده أخاها الوحيد وقال لها وعلامات الحزن ظاهرة على وجهه : « انتهى عهد هنائك يا ابنة فقد سقط زوجك صريعا في بورودينو » فانتبهت مذعورة ثم تملكت وزال خوفها تدريجا لما رأت زوجها نائما بقربها وهو على خير ما يكون من قوة وعافية

وعادت الى النوم فرأت الحلم نفسه . فازداد خوفها وقلقها وقصت الحلم على أبيها فاستغربه ولكنه لم يهتم به مثلها وأخذ كلاهما يفتشان في الخريطة الجغرافية عن اسم « بوروديو » الذي ذكر في الحلم مرتين فلم يجداه وقالا : « اما ان يكون هذا المكان غير موجود في روسيا واما انه صغير فلم يجعل له نصيب من الخريطة » . ثم انقضى على هذا الحادث ثلاثة أشهر واذا بالجيش الفرنسوي تحت قيادة الامبراطور نابليون الاول يقتحم روسيا مغامرات شديدة ، واذا بالجنرال توتشكوف يسقط قتيلا مع كثيرين من أبناء وطنه قرب نهر صغير اسمه بوروديو وقرية صغيرة تسمى أيضا باسم النهر . ومن ذلك الحين اشتهر اسم تلك الجهة بسبب المعركة الهائلة التي جرت فيها . وقبل ان تدري المرأة بمصرع زوجها دخل عليها أبوها ممسكا بيده أخبار وقال لها والدموع في عينيه « وا أسفا عليك يا بنية . انتهت الايام هنالك . فقد قتل زوجك في بوروديو »

وفي أيام الثورة الفرنسوية الكبرى اتفق لاحدى السيدات أن تخيلت زوجها في خطر اذ اتهم تهمة شنيعة وسيق الى محكمة الثوار ولكنها تمكنت بالجهد ان تدافع عنه دفاعا مقبولا وتتضرع لأجله حتى تمكنت من انقاذه وأخلي سبيله . وهكذا جرى لزوجها بعد أيام قليلة

وكتبت الى فتاة ايطالية تقول أن روحا أحضرتها بضربات للنضدة احدى المشتغلات بهذه الطريقة ، وأجابت الحضور حالا على أسئلة بعضهم أن فلانا وهو زوج خالة الفتاة — وكان صاحب الروح زوجا لها قبله — سيخسر ثروته الطائلة بعد سنتين ، وبعد فقد ثروته بخمس سنوات يموت على الفور دون أن يمرض . وهكذا جرى . فالرجل خاطر في مضاربات البورصة فخسر فيها ماله جميعه . وبعد ذلك بخمس سنوات وفي سنة ١٩١٧ دخل الحرب العظمى في جيش وطنه ايطاليا ولم يلبث ان أصابته رصاصة في رأسه قضت عليه لساعته

كتبت الي الفتاة الايطالية ذلك وعقبت عليه بقولها : « إذا كان أبناء الزمان الحاضر يعلمون الاستقبال كما جرى لنا في ما رويته لك وكما جرى لكثيرين غيرنا كما رويته أنت في مؤلفاتك القيمة . اذا كان الامر كذلك فهو دليل على أن ما سيجري لا بد أن يجري مهما اجتهد المجتهدون وسعى الساعون . وهنا هو القضاء والقدر بحذافيره ، فهو وحده اذن المتسلط على الكون . فما أشقى الانسان حينئذ وما أتعسه وما أحقره ما دام محروما كل حرية واختيار . ما دام محروما حق السلطة على تصوراته وأفكاره ونياته ، فهو فيها مسوق وعليها مرغم . بربك أخبرني ما رأيك في هذه المعضلة يا استاذنا العظيم »

فكتبت اليها أقول : « ان هذه المسألة أدق المسائل وأصعبها مسلكا كانت وما زالت شغل العلماء الشاغل . والذي أراه فيها لا يخرج عما يراه جمهور من العلماء ، وهو أن الزمان بحد ذاته غير موجود جوهريا ولكنا نحن أوجدناه سببا لسهولة التعبير ولأن مداركنا محدودة . فليس هنالك ماض وحاضر ومستقبل بل كله حاضر بحكم طبيعة الاكوان . وحوادث الاكوان كلها

مترابطة بأسبابها ونتائجها . فلا تكون نتيجة إلا وقد سبقها سببها . ولارادتنا نصيب كبير في اختيار هذا السبب . حريتنا الشخصية غير مفقودة بل تعد عاملا يضاف الى غيره من العوامل الخفية التي يتألف منها النظام الاعلى لترابط الحوادث والحالات بعضها ببعض

ثم ان للانسان جزءاً من الحرية وجزءاً من الاختيار فيما يخوله ويتويه ويأتيه . وهذا الجزء له تأثير على قدره في مجرى الأحوال والحوادث . جزء لا يمكن أحداً أن يجحد وجوده أو يرغمنا على انكاره لأنه أمر وجداني لا سبيل لنفيه . فهو ثابت ثبوت التصور والفكر والشعور . أنا الآن جالس على كرسي في مكتبي بين أوراقي ودفاتري أحس تمام الاحساس بأني أستطيع أن أكتب أو أقرأ . أنا أكتب في هذا الموضوع على تلك الصورة أو أقرأ كتاب كذا أو أقوم أو أقعد أو أترك مكتبي على الفور أو أبقى فيه ساعات متوالية الخ الخ . هذه احساسات واقع أثرها فعلا . فكيف يصح أن أقول أو يقال لي انك مع ذلك بالعكس ليس لك شيء من الحرية والاختيار في قراءتك وكتابتك وقيامك وقعودك ومكثك طويلا أو يسيرا في مكتبك . وإذا قيل لي ان هذا الاختيار الذي يلوح لك هو ظاهر سطحي لا حقيقي ، أجبت القائل: نعم أنه ظاهر مثل وجود هذا الكرسي تحتي وهذا المقعد أمامي وهذا الباب الذي عن يميني الى غير ذلك من الأشياء فهل هي وهمية ؟ كلا وحاشا . ولكنني لا أنكر أن حريتي فيما أنويه أو أقصده هي حرية لا كلية مطلقة ، إذ ينازع ارادتي في الشيء المقصود عوامل أخرى منبعثة من طوارىء عني ، وميول واخلاق بي ، ومن تأثير الجو والمجتمع والعادة ، وغير ذلك من سلسلة الاسباب المحسوسة التي تتسلط على حوادث الكون وتربط النتائج بأسبابها والمستقبل بالماضي ، ولكنها تحتل أيضا في جملتها حيزاً للارادة البشرية . فاذا قيل : لو كان للارادة البشرية شيء من التأثير لتحولت حوادث المستقبل المسطورة في لوح الغيب الى شكل آخر حسب تأثير تلك الارادة . اذا قال المعترض ذلك أجبناه : ومن أعلمك علم اليقين ان شكل الحوادث والحالات المسطورة في عالم الغيب ليس هو الشكل الآخر ، الذي نسبه اليه . ليس هو الشكل الذي عدلته قليلا أو كثيراً الارادة البشرية . ولولا سلطة هذه الارادة لكان الشكل المذكور منحرفا عما هو عليه

والصحيح عندي ان حرية الانسان في اجراءاته ليست مطلقة ولكنها ليست معدومة وتقتضي نصيبا من تلك التبعات يترتب على الانسان التبعة الادبية . هذا هو المذهب المتوسط الذي يحاكي العقل والصواب في هذه المسألة العظمى . وبهذا المذهب يمكن التوفيق ولو بوجه تقريبي بين حقوق الخالق وواجبات المخلوق . والى هذا المبدأ أشار المثل اللاتيني القديم القائل : « ان أعنت نفسك فالله يعينك »

ولو كانت حرية الانسان مستقلة تامة، واختياره مطلقا ، لم يبق معنى القدرة الالهية أو لنواميس الأكوان العليا وأحكام القضاء والقدر . ولو كانت حرية الانسان معدومة ولا أثر البتة لارادته لما

حتى حين مؤاخذته ولم يكن فارق أدبي بين وجوده ووجود الجمادات . بل لكان من الاوهام الصبيانية والترهات تفرقتنا بين الخير والشر ، وبين الفضيلة والرذيلة . . . وهل من فوضى أهول وأفظع من هذه الفوضى التي تسود الارض والسماء لو ذلك

لا شك أن لكل انسان مصيراً ، وان مصيره هو نتيجة عدة أسباب ومؤثرات ، ومن جملتها ارادته ومساعيه . ولا شك أن كل حادث كبير أو صغير يحدث في العالم تتقدمه أسباب وبواعث في سلسلة متصلة الحلقات ، وهذه السلسلة لا بد من حصولها ولو اطلعنا في حاضرنا على ذلك الحادث الاستقبالي

مهما بلغ اعتقادك في القضاء فلا أظنك تستسلم اليه وتقول : انه واقع لا محالة كيفما كان الامر ، بحيث أنك لا تلجأ الى الطبيب حين يقع ابنك أو أخوك في مرض شديد ، وبحيث لا تستغيث برجال المطافئ حين تبدو علامات الحريق في بيتك . ومساعيك هذه هي حلقات في سلسلة الاسباب لوقوع ما سيقع . ولا تنس أن الحرية الحربية أو الحرية النسبية التي يتمتع بها كل انسان يتفاوت مقدارها في الشدة والضعف على قدر ما في المريد من جوهر روحاني وما يطرأ عليه من المؤثرات الخارجية ، وقد يكون للمرء الواحد في أمر من الأمور حرية نسبية تزيد أو تنقص عن حريته النسبية في أمر آخر

ثم أن ما نسميه قضاء وقدرا في هذا الكون ليس من الصواب أن نتصوره قوة عمياء تتخبط في سبيلها ، بل هو خاضع للنظام الكوني الأعلى في الأسباب والنتائج ، وبهذا الاعتبار يليق بنا أن نسميه « الوجوب الأعلى » أو « القوة التسببية العليا » لما كان بعض الناس يفهمون من اسم « القضاء والقدر » معنى التحكم والتعبد الاستبدادي . وبين المبدأين فرق ظاهر ، انتبه اليه المثاليون

ولننتبه الى أن الزمان ليس له قوام ثابت بحد ذاته . فهو شيء نسبي اصطلحنا عليه لأننا محتاجون اليه في معايشنا وفي أعمالنا مقياس لحركاتنا . الزمان عندنا ناجم عن دورة الكرة الأرضية فلو كانت سرعة هذا الدوران ضعف ما هي عليه لكانت مدة كل يوم من أيامنا نصف مدتها الحالية . ولولا دوران الأرض والكواكب لما وجد الزمان . كما أن الأوقات في كل كوكب من الكواكب تتفاوت مددها في الايام والشهور والسنين وذلك حسب سرعة دورة كل كوكب . فاذا علمنا ذلك ، اذا علمنا أن الزمان شيء وهمي لا قوام له ، فكيف نهتم به ونجعل شأناً عظيماً لاعتباراتنا في ماضيه وحاضره ومستقبله مع أن الثلاثة هي على مستوى واحد في نظر الحقيقة المجردة . ومن ثم فأية غرابة اذا لمحت القوة الروحانية اليوم أمراً سيجري غداً أو بعد غد أو بعد سنة أو بعد سنين . وليس هنالك مستقبل حقيقي انما بل هو مستقبل اصطلاحي ألفته قوانا الجسدية ولاءم قواها المحدودة

هذا يقال عن الزمان باطلاقه . واما المكان المطلق فليس هو مثله بل له وجود عند ذاته . ومرجع وجوده هو الى هذا الفضاء الذي لا ندرك تخومه

ان اطلاعنا على الحوادث قبل حدوثها لا يفيد حدوثها على كيفية مخصوصة ولا يسلب شيئاً من حرية القائمين بهذه الحوادث ولا حرية الذين لهم دخل فيها . ولسهولة استيعاب هذه النظرية نقول للقارىء : هب انك على سطح هضبة تشرف منها على جميع ما حواليها فالتفت الى احدى الجهات فرأيت رجلا بيده سلة وهو يسير قاصداً البلدة التي في الجهة المقابلة اذ لا بلدة أخرى ولا مكان معمور آخر في تلك الجهة . فعلمت أنت ذلك . علمت أنه سيمر تحت الهضبة حيث أنت لم يتأت الطريق الى البلدة المذكورة . اذا اطلعت على ذلك قبل وقوعه وأخبرت به أحد الناس فهل علمك به واطلاعك عليه سلفاً بفضل مركزك ذاك يحسب سبباً لقيام الرجل وسيره وحمله السلة وقصده الى تلك الجهة . وهل يكون في اطلاعك المسبق شيء يمس حرية الرجل في ما نواه وفعل من قيامه وسيره واتجاهه وحمل ما يحمل ؟

كلا . لا علاقة بين ما علمته وبين حرية الرجل واختياره . فان علمك بالأمر تابع ذلك الأمر ولم يكن الامر تابعا بكثير أو قليل لعلمك المسبق به

وهكذا يقال وانت واقف على تلك الهضبة اذا رأيت قطاراً حديديا سائراً بسرعة البرق ثم التفت ورأيت قطاراً آخر يسير بمثل سرعته على الخط نفسه في الجهة المقابلة . وعرفت من عدم توقف أحد القطارين اللذين أصبحا على لمحة الالتقاء أنه لم تعط لهما أشارة لاتخاذ الحيطة سهواً من مأموري المحطات أو لسبب آخر . اذا رأيت ذلك كله فلاشك أنك ستعلم من أمره بأن القطارين سيصطدمان اصطداما هائلا بعد دقائق قليلة وسيتحطمان ويقتل ويجرح ويشوه كثير من الركاب . تم ذلك فيحصل وقوعه ثم تقع الكارثة كما رأيت . فهل كانت رؤيتك سبباً لوقوعها . وهل كان علمك بالحادث مؤثراً على سير القطارين أو على حرية القائمين بهما في تقصيرهم باتخاذ الحزم والتدبير . هيهات ، هيهات ! فان لكل انسان حرية وحق الخيار ، ولكن بمقدار نسبي قد يزيد في هذا الشخص وقد ينقص في ذاك . وقد يزيد في هذه الحالة وقد ينقص في تلك . واما أن تكون له الحرية المطلقة والخيار التام في أموره فهو شيء لا مطمع فيه إذ لابد أن يكتنف هذه الحرية عدة مؤثرات وأسباب وهذه الأسباب والمؤثرات هي عينها حلقات من سلسلة النظام الكوني الأعلى لترابط الحوادث والعلات . وبناء على ذلك لا يصح لنا أن نعد الانسان مسيراً تام التسيير ، ولا مخيراً تام التخيير . بل هو في مرتبة متوسطة بين الطرفين . وهذه المرتبة شرعة كافية لحمله على الاجتهاد والتنبه مما يساعده في مواقف كثيرة على استزادة نصيبه من تلك الحرية النسبية . ولا يخفى ان هذا التحليل ينطبق على أحكام العقل والوجدان ويلائم ناموس العمران أتم الملاءمة . . .

ترجمة
الدولي مرقص

صراع بين الفن والحب

أو غرام القصصي جوستاف فلوبير

بقلم الأستاذ ابراهيم المصري

جوستاف فلوبير هو القصصي الفرنسي الكبير مبتكر المذهب الواقعي في الأدب وصاحب القصة الخالدة « مدام بوفاري »

كان جوستاف فلوبير يقدس فنه ويعيش من أجل هذا الفن ولا يخطر بباله لحظة واحدة أن في العالم لذة مهما عظمت من الجلال والروعة يمكن أن تباعد بينه وبين فنه وتصرفه عنه وتستبعد من حياته ولو بضع ساعات

وكان رجلا عصبيا به لوثة ، يحب العزلة ويكلف بالتأمل ويفر من الناس ، ويقضي سحابة يومه في داره يطالع ويكتب ثم يتلو على نفسه ما يكتبه كله بصوت جهير داو يملأ قلبه بهجة ومرحا

ولم يكن جوستاف فلوبير من أولئك الأدباء الذين يعتقدون أن وحي الفن مصدره المرأة ، وأن المرأة في وسعها أن تلهم الشاعر أو القصصي أو الفنان ، بل كان يؤمن إيمانا راسخا عميقا أن خيال الفنان هو كل شيء ، وأن الحياة بأسرها قد جمعت في جبلة الفرد ، وأن الطبيعة حشدت في ذهنه الخارق من الأشكال والألوان والظلال ما يغنيه عن المرأة وعن التطلع الى الحب الباطل الذي تمثله المرأة في نظر طائفة كبيرة من أهل الأدب والفن

فالملهم عند فلوبير هو العمل لا المرأة . ولذا فقد كان يعمل الساعات الطوال ، ويظل بالعبارة الواحدة يصقلها ويهذبها اليوم كله حتى تخرج مصقولة كاملة كما تخرج الجوهرة الكريمة من بين يدي الصائغ الماهر

وكان في ذلك يقتدي بالروائي العبقري بلزاك ولا يفتأ يردد مثله : « إن أجمل بدن لأجمل امرأة لا يساوي سطراً واحداً يخطه قلمي . . . . »

وكان فلوبير سعيداً كل السعادة بهذا الاعتزال ، لا يتوق في الحياة الى أية لذة ، ولا يسعى الى أي نعيم ، ولا يرنو الى أي ترف طارئ ، ولا يطلب من الدنيا أكثر من حياة متواضعة يستطيع أن يستخدمها جميعها لابتداع روائع الأعمال التي يزخر بها عقله . ولطالما نصح له أصدقاؤه بالزواج

ولكنه كان يكره أن تستلب منه المرأة ولو جزءاً من وقته ، وأن تهبط به فتعكر مجرى حياته وتحول بيانه وتفسد جمال وحدته وتملأها صخبا وضجة وعبثا

ومع ذلك فقد كان فلوبير رجلا مديد القامة مفتول العضل جم الحيوية يفيض نشاطا وقوة ورجولة ، وكان يحس من نفسه في بعض الأحيان رغبة شديدة في المرأة . ولكنه على الرغم من شعوره بوطأة حواسه كان يتألم في سكون ويجاهد في صمت ويكبح جماح أهوائه في اطراد ويلجأ الى (البروموور) ليخفف من نفسه حدة ميوله ويستطيع أن يقر السلام في بدنه ويستريح

وشاء القدر أن يحب هذا الرجل وأن يخضع لسلطان المرأة وأن يجن فيه ويحرق ايمانه ويتناسى واجبه المقدس أياما عدة من أجل امرأة

أولع فلوبير بسيدة تدعى (لويز كوليه) مديدة القامة مثله عريضة المنكبين ناصعة الصدر مختالة صحة وجمالا وحيوية

كانت أديبة وكانت تحب باحساسها وتفهمها ومتانته فيها وتستطيع أن تتحدث عنها بأعمق وأجمل مما كان يتحدث عنها صاحبها . وكانت الى ذلك ملكة من ملكات الصالونات خفيفة الروح أنيقة المظهر حاضرة البديهة بارعة النكتة فأحبها فلوبير وأنزلها من قلبه منزلة خاصة وفكر في لحظة من اللحظات أن يجعل منها قرينته

وتوثقت بينهما الصلات فكانت تكتب اليه رسائل شائقة وكان يبعث اليها بخطابات يتجلى فيها صراعه النفسي العنيف . ذلك الصراع الذي قام بين حبه لفنه وإخلاصه له وتفانيه فيه ، وبين حبه تلك المرأة وهيامه بها ورغبته فيها وحنوه الشديد عليها ، ومن أن يطغى عليه حبها فيفقده خاصة العمل ووسائل الراحة والسكينة والتفكير المنتظم في هدأة العزلة

وأوشك فلوبير أن ينسى كل شيء في سبيل لويز كوليه على حد تعبير الناقد (جول ليمتر)

أوشك ان ينسى كل شيء . انطلق من عقاله وشرع يقفو خطوات المرأة . احتل فنه وحل بجنبي الصالونات حيث يراها . تبرم بكتابة القصص ومضى يكتب لحبيبته رسائل غرام . . .

احتلت المرأة ذهنه ، ملكت عليه مشاعره ، أحاطت بجوى حياته ، أحدقت به من حيث لا تشعر وضربت الحصار حول عنقه فتضايق الأديب ذات يوم واذا به على شفا الهوى والانحدار

ولم تفطن لويز كوليه الى ما جره حبها على فلوبير من شقاء نفسي كان يحجبه عن الأبصار بجهد الطاقة ولا يصارح أحداً به

والغريب أنها وقد كانت تجهد كل الجهد ما أمكن صديقها ، لم تحاول الهبوط الى قرارة نفسه وتعرف سر شخصيته ، بل استسلمت لأنوثتها واستسلمت لكبريائها وزهوها ، ورأت أن تسرف في السيطرة على حبيبها كي تبقيه لها وحدها ، وتحتفظ ابدا به وتجعل منه متعتها

ولو أنها كانت بعيدة النظر حكيمة ما حطت الكرامة بحبها . بل لو أنها أدركت حقيقة نفس فلوبير وأعفت بعض الشيء عن حبها وتركت للأديب متسعاً من الوقت للتفكير والعمل ، ما تبرم بها وما أحس خطرها وما نفض هذا الحب عن صدره وطرده آخر الأمر شر طرد

ولكن لويز كوليه كانت امرأة طموحاً كمعظم النساء . ولقد أرادت أن تظفر من حبيبها بكل شيء مرضاة لكبريائها وطموحها وما فيها من أنانية وحب ذات . وعندئذ ثارت ثائرة الأديب عليها فصدف عنها وهجرها وتحول حبه الشديد لها إلى نفور مشوب بالحنق والبغض والكراهية

وأحست منه الصد فأمعنت في أن تستثير عاطفته ، ولكن إلحاحها لم يزده إلا كرهاً لها وازدراء لأخلاقها ويقيناً من أنها لا تحبه لنفسه بل لها ، ومن أن هذا الحب لو انتهى إلى صلة وثيقة دائمة ، أو إلى زواج ، فلا بد أن يجهز في عقبه على كل إرادة وكل نبوغ وكل تفوق

ويقول (جول لميتر) ما معناه إن رغبة لويز كوليه في حيازة فلوبير والاستيلاء على فكره وعواطفه ، هذه الرغبة النسوية المعروفة ، هي التي أنقذت الأديب وردته إلى صوابه وألقت به مرة ثانية في أحضان العمل والعزلة

والغريب أن لويز كوليه على الرغم من أنها كانت أديبة ، لم تستطع أن تفهم كيف يمكن لفلوبير أن يحبها ثم يحب في ذات الوقت فنه أكثر من حبه لها

وهذه الظاهرة في شخصيتها هي التي قضت على ذلك الغرام ، بل هي التي جعلت فلوبير نفسه يقول : « إذا كانت المرأة المثقفة الأديبة تغار من حب الرجل الأديب لفنه وتعمل على انصرافه عنه ، فكيف يمكن أن تكون المرأة العادية التي لا هم لها في الحياة إلا حيازة الرجل ؟ . ألا إن الخير كل الخير في توديع المرأة ومعانقة الوحدة والتفكير والعمل ! »

وهكذا استيقظ فلوبير ، ولكن لويز كوليه حقدت عليه أشد الحقد ولم تغفر له أعراضه الصادق عنها . وبينما كان الأديب يخفي شعوره منها ولا يذكرها أمام الناس إلا بالحسنى ولا يفكر فيها إلا ليشفق حسرة عليها ، كانت هي تتناوله في المحافل العامة ، وتعرض به ، وتهزأ بأعماله الأدبية ، وتحاول الحط من شأنه في عيون زملائه ، شاعرة أعمق شعور وأوفره بلذة الانتقام السلبية المنكرة

على أن فلوبير لم يجاهر بنقمه ولم يصارح بحقده ولم تصدر منه أية لفظة تنم عن حقيقة عواطفه نحو لويز كوليه

بل لقد تناسى آخر الأمر حبه وعكف على العمل المتواصل في وحدته وظل يتمثل حبيبته كما ود أن تكون ، حلوة جميلة وادعة لطيفة تحب التفكير وتقدر العمل وتدرك معنى التضحية وتخلص لتلك العقيدة التي جعلها فلوبير شعار حياته وهي : « الإنسان لا شيء ، والفن هو كل شيء ! .. »

ابراهيم المصري

مختارات من الشعر الغرامي

من الأدب الفرعوني

هبطت النهر . .

هبطت النهر هاربة وانطلقت أضرب الماء بمجدافي حاملا على كتفي باقة كبيرة من الأزهار والأغصان

وعندما أصل الى منفيس ، سأتوجه الى رب الحقيقة (فتاح) واستصرخه قائلا : امنحني أختي هذا المساء !

ان منفيس لأشبه بكوبة من الاعطار وضعت عند قدمي الاله الجميل

وان الصخر في منفيس لبشبه خال أختي

فاذا لم ألتق بها اليوم فسأذهب الى مرقدي وأتمدد على سريري مريض الجسم من هذا الظلم الذي حل بي

ولا شك ان الجيران سيتوافدون مستفسرين عني ، فاذا اتتني وكانت أختي بينهم مستهزأ ولا ريب بأطبائي لانها وحدها تعرف دائي وتعرف أيضاً دوائي ! .

غنيات العاشقة

آه يا أخي ! يا الصدوقة التي أحبها اذ أهبط النهر معك ، واستحم فيه أمامك

اني لأود أن أكشف لك عن محاسني كلها عندما أكون في النهر تسترني بدلي غلالة رقيقة يبلها الماء

أود أن أهبط الى الماء معك وأخرج من الماء معك حاملة سمكة حمراء تبدو رائعة الجمال وهي بين أصابعي

تعال ، تعال وانظر الى ! . .

غنيات العاشق

لو كنت عبدها الأسود الذي يتبع خطواتها لاستطعت أن أتبين لون بشرتها

ولو كنت أعمل في دارها ماشطاً ولو ميقات شهر واحد لاستطعت أن أحمل الشعر الذي تعصب به عصابة رأسها

ولو أتيح لي ركـت ذلك المأتم الذي يشبه الظلم ويعم أصبحها ، لفرحت وحاً عظيما تندرق على تجميل حياتها !

■

من الشعر الصيني

لن أعشق

للشاعر الصيني هوشيه

لن أعشق ، فالعشق ضعف وبلادة وخمول لن أتحسر في الربيع ، ولن أحزن في الخريف . لتتفتح الازاهير أو لتسقط اذا شاءت بل لتلتهب الشمس ، أو تتقلص أو تغيب ، ماذا يهمني ؟

العشق يحمد السماء ، ولا يملك يشدو ملؤها الصافي . ولكني أود أن أعتليها وأسخرها لمصلحتي وأشرب منها على العالم !

لماذا أندب سوء حظي وأظل راقداً أبكي كالعبيد ؟

ينبغي أن أحمل الراية وأدرب ساعدي على القتال ! . . .

ينبغي أن أفرغ الأجيال ما أودع الظلم في نطوسها من عبودية ! . .

ينبغي أن تفتح أمام قدمي أبواب العصور !

ينبغي الا أترك فرصة الظفر بالطرقة لسواي !

الحياة قصيرة والموت بالمرصاد ويجب أن أنهض مذكري والخلد برغم الموت والحياة ! . .

فلا كتسح ، فلا كتسح كل ذلك الضعف ، ولأتفوق على نفسي ، كي أخلق للصين روحا جديداً وحياة جديدة خالدة !

■

من الشعر الهندي

خطرة

لشاعر شعبي مجهول

اذا اهتم الانسان بنفسه
أحس مطر السماء خفيف الوقع على منكبه .

وانا فكر فى الحب
أحس عبئاً ثقيلا على كتفيه
واذا ذهب لملاقاة حبه فى ليلة من ليالى الشتاء
أحس ريح الجدول باردة والعصافير تبكى
ومهما جد العاشق فى طلب عشيقته ، ومهما تعب واحتمل
فلا بد أن يطرق سمعه صوتها المتبرم يقول :
لشد ما استبد انتظارك . أما كان فى وسعك
ان تأتى مبكراً ؟ ! . .

الحب زهرة

الحب زهرة
وبينما كنت أنفق حياتى فى الاباطيل
ذبلت واأسفاه هذه الزهرة
ذبلت ثم انطوت ثم ماتت قبل ان أعرف لونها

من الشعر الهندى

الماشقة

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور

انى احبك يا حبيبى ، فسامحنى على حبى
كنت عصفوراً ضالا فآويتنى ، وروعت قلبى حتى سقط عنه قناعه
فاصره بالشفقة يا حبيبى ، وسامحنى على حبى !

• • •

اذا لم تستطع أن تحبنى يا حبيبى ، فسامحنى على ألمى . لا تنظر إلى من بعد بازدراء ، فسأقبع فى زاويتى ، وأظل جالسة فى الظلام أحجب عارى بكلتا يدى
فلا تلو بوجهك عنى يا حبيبى ، وسامحنى على ألمى !

• • •

اذا أحببتني يا حبيبي ، فاعطف على فرحي

ومتى رأيت قلبي وقد اجتاحه سيل السعادة ، فلا تبسم لاستعلاء الخطر ،
ومتى رأيتني جالسة على عرشي استبد في حكمك يا عزابي ، واسمعك كآلهة سمحى ،
فاحتمل كبريائي يا حبيبي ، وسامحني على فرحي ! ...

□

من الشعر الفرنسي

ضحكتها ! ...

للشاعر الفرنسي ادموند هاروكور

ترن ضحكتها في أذني كالنغمة أو الطور

ما أشبه ضحكتها بالمشعل الوهاج ، أو وسوسة الحلي ، أو بالنور ينشق فجأة من صلب الظلام !

•••

ضحكتها نزوة من نزوات الشمس ، فرح من أفراح الربيع ، نافذة مفتوحة أبدا على الهواء الطلق !

ما أشبه ضحكتها بالشراع المنصوب على صفحة البحر ، بهدير الموج ، بلمع البرق ، بطنين النحل ، أو بصليل السيوف

•••

ضحكتها أنغام توارت فيها عناصر الخصب
ضحكتها عود ومزمار وطبل
ضحكتها مأدبة للجسوم وبهجة القلوب وعيد للآذان !

•••

ولقد سمعت ضحكتها وسكرت بها وعشت منها ولها
طوبى لمن عاش وسمع وسكر ! ...

[من كتاب للاستاذ ابراهيم المصري يضم مجموعة منتقاة من أعذب الاشعار الغرامية لكبار شعراء الحب في شتى شعوب العالم ، وسيصدره الهلال ويهديه لقرائه قريبا]

سجل الأيام

عرض عام للشؤون الداخلية والمسائل السياسة العالمية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

(١) الشؤون الداخلية

مهمة البرلمان

التأم البرلمان بعد غيبة قصيرة . وسواء على الباحث المتنزه عن الغرض أكان البرلمان وليد ما يسمونه انتخابات حرة أم ابن التعيين والاختيار ، فانه يستوى لديه اللون الحزبي الغالب على الاعضاء

فالعبرة الحقيقية هي في أن هناك ملأ من المصريين تفرض عليهم الوطنية وواجب الخدمة العامة أن يكونوا عند حسن ظن الله بهم

فالمملكة المصرية لا تعجز عن أن تحوي لرحابة برلمان يجمعون أمرهم على خدمتها ، وسيان عندها انتخبوا أم عينوا ، فالعبرة في مقاييس الأمم ليست في صبغة الحاكم الحزبية أو طريقة توليته الخدمة العامة ، بل بالأعمال ، والأعمال وحدها دون سواها

وانا نرجو مخلصين أن ينصرف الجهد كله الى خدمة المرافق العامة وفي مقدمتها أمورنا الاقتصادية فتوضع في المقام الأول

ولقد فرص الاستقلال التي ظلت مصر تسعى اليه منذ تولى أمرها ذلك العبقري رأس العائلة المالكة عندنا ، تعرضت به أمم الغرب أحقابا طوالا فالفوه — أعني الضرائب تجبى من كل الناس على شتى المنابع والأرزاق

فالضرائب كانت منذ القدم من أهم أسباب الثورات الشعبية ، وهي لا تزال واجبا مكروها يحوطه رجال الدول بمختلف الأساليب حتى يمر بالذين يؤدون الجزية مراً خفيا لا يشعرون به ، وهنا تحل العبقرية الحقيقية

فالقول بتوزيع الضرائب توزيعا عادلا جميل كقولك إن الله حق ، وإن العلم خير من الجهل

ولكن ما هو السبيل الى اجراء هذا العدل ؟ وكيف يكون ؟ هذه هي العقدة

ولقد كنا حتى البارحة نكتفي بالضريبة على الأرض الثابتة والبناء الثابت

ولكنا وقد فككت قيودها أصبحنا نرى أن تعم الضرائب حتى تشمل كل مال ثابت ومنقول ، وحتى يشترك كل أحد في العبء الوطني

والصعوبة في فرض الضرائب قائمة في أن الذين يفرضونها يتجاهلون كثيراً عن الحقيقة الاقتصادية في سبيل عاطفة يدعونها وطنية وقد تبعث لهم ، أو في سبيل ارضاء فريق من أبناء الوطن يخشون انتقاضه من حولهم فتنجح حكومتهم

والأمر مران وتجربة

على أن فرض الضريبة على الشيء الثابت لا يجر ، ثم يفترضه الناس عبئاً ، فهو أحسن الضريبة أولاً ، ثم هو على ظاهره يلحق صاحب العقار ولكنه على حقيقته يشترك فيه المالك والمستأجر والتاجر وعابر السبيل

وأما المنقول فكأنه يفر ساعة الى هنالك ، وساعة هنا فالتعلق به صعب والتضييق عليه اما أن يحبسه فلا ينتج أو يطلقه فيطير الى بلاد أخرى

فالمهارة الاقتصادية تقوم كلها في تشجيع الثروات المنتجة وفي زيادة ما يمكن أن يكون ثروة وفي تنويعها وهذا لا يكون إلا بحرية خفيفة تكاد أن تخفى فلا يتضرر بها المؤدون . والعدل في الضرائب في حكم المستحيل

لحق السياسة المطلقة بالاتباع سياسة الأمر للواقع ومصلحة الحزبية

فنحن اذاً ، والعهد حديث بنظام فرض الضرائب ـ أحوج الى ادارة مالية عملية ربحية منا الى براعة مالية فالبراعة المالية القائمة على ترتيب الأرقام وتسوية الميزان بنقلها من باب الى باب واقتباس ما يعمله القوم في أوربا في نظام الضرائب وأنواعها وطرق جبايتها ـ هذا نوع اعتدنا أن نسميه براعة مالية في الادارات الحكومية لافتقارنا الى البراعة ولبعدنا عن ممارسة الشؤون المالية ولكنها في الواقع ليست من البراعة في شيء

فنحن الفرص بالاستقلال والتعلم المبادئ التجارية الحرة وتحمل العبء المالي أن يخلق لنا رجالاً ماليين يقومون خطانا في صراط ربح وطني مستقيم

ولعل في رأس ما نحتاج اليه تأمين التوفير السلم ، أي حمل الرجل العادي أبناً على ما يوفره بأن تضمن الحكومة له قانوناً عادلاً شديداً يأخذ كل من يزعزع الثقة المالية بيد لا تلين

وهذا أمر كان ولا يزال حتى الساعة في حكم العدم في كثرتها

فراقبة الذين يحترفون الاعمال المالية في أسهم شركات أو سندات أو اقراض نقود واجب أول على حكومة تغار على توفير أبنائها من الضياع

وكان من سوء حظ البلد أن الذين احتضنوا بمثل هذه الاعمال المالية قوم تساهل غيرهم

جنسيات متنوعة فلا يجتمعون إلا على حب المال وكسبه . ولما ساءت الأخلاق في تداول المعايش راج الغش الساذج صحبة المال الكثير البارع

فلو أمن الأفراد شر بعض الذين يتزيون بزى الماليين وعلموا أن حكومتهم بالمرصاد ترقب إصدار الأسهم وتلاحظ المصارف ولها الكلمة العليا في أعمال البورصات ـ اذاً لشجع ابن البلد على الإقدام توفيره في الأعمال المالية المثمرة فكثرت الثروة وسهل اقتطافها خلال المرتبة ريعين اثنين بدلا من ريع واحد

على أننا نؤمن بأن أول الأعباء على الحكومة هو في تخفيف النفقات العامة وضغطها ضغطا كبيرا سواء بتسريح الجيوش التي تتقاضى أجورها من الخزينة العامة أو بتنقيص هذه الأجور فمما لا شك فيه أن العمل الحكومي في غنى عن كثير من عماله وأن بعضهم يعمل قليلا ويأخذ كثيرا

وهذا النظام ميراث آل إلينا من الإدارة الإنجليزية التي سنت سنة الإكثار من العمال وإغداق الأموال العامة عليهم ثم جعلت التعليم سلما إلى هذه الأعمال

فإذا صح أن عزمنا قد عقد على تدعيم الاستقلال فلا بد من تضحية تصعب الآن وتصير نعمة عما قليل

فالنشء يجب أن ينصرف عن العمل الديواني بتكثير ساعات العمل وتقليل الأجور وإلغاء الامتيازات التي يتمتع بها الموظفون على حساب الجيب العام

عندها ينصرف المصريون مكرهين إلى ميادين الأعمال التي عملها كل الشعوب الحية من صناعة وتجارة وزراعة ومهاجرة

فالحاجة تولد الاجتهاد والاجتهاد أساس كل تقدم مادي وأدبي

والأمر كله منوط برجال منا تأخذهم الجرأة في الحق والشجاعة العمل للغد لا لليوم . رجال لا يبالون بالثناء يكال جزافا أو بالذم لا يتورع فيه . يضحون حب أنفسهم للخدمة العامة حيث الذين يبيعون العاجلة بالآجلة . وعلى مثل هؤلاء تقوم عظمة الأمم

(٢) الشؤون الخارجية

جرمانيا فوق الجميع

قد يظن بعض الآخذين من الأمور بظواهرها أن هتلر جاء بمبادئ جديدة جعل الجرمانيين يعتنقونها في السياسة والحرب والاقتصاد وانه على اعتبار كونه الحاكم بأمره قد سير الشعب الألماني سيرة فذة

وليس الأمر من هذا في شيء

فهتلر شأنه شأن كل العبقريين تجمعت فيه مبادئ عنصره ومذاهب بني جنسه فتوحد في نفسه فكرة متغلغلة في قرارة النفس الجرمانية

والرجوع الى تاريخ ألمانيا الحديث ـ بل القديم ـ يبعث أسئلة كثيرة . ولكن القدر اختار هتلر كما اختار من قبله قوادا ورسلا وأنبياء بعضهم يبشر بالفكرة ـ وبعضهم يأخذ بالسيف

وليس أدل على تفسير عقلية هتلر وبالتالي العقلية الجرمانية من قراءة كتابه المشهور «كفاحي» فهو انجيل كتبه هتلر معبراً به عن خواطر العنصر الجرماني ومعبراً عن أمانيهم

عقيدة الجرمان ومطمع آمالهم كانت منذ القدم منصبة على جمع شمل عنصرهم وبلده في وحدة حكومية تضم كل من مت الى جنسهم بسبب

فهم يؤمنون بتفوقهم العقلي والخلقي على سائر الشعوب ويعدون العدة لجمع أفراد عنصرهم في بقعة أوربية واحدة خاضعة لحكومة منهم حتى يأخذوا بأسباب القوة ثم أسباب التحكم في أوربا وبالتالي في العالم

وأنت اذا قرأت كتاب هتلر وجدته يضع هذا الأمر غرضا أولا من أغراضه ، أو بالحرى غرضا يجيء بعد التخلص من قيود معاهدة فرساي الأدبية والمادية ، وها هو قد أدرك الأمرين إلا قليلا

ويبسط المذهب الجرماني في كتابه فيقول : اننا اذا وفقنا الى توحيد العنصر الجرماني تحت راية واحدة ، ترتب علينا أن نضمن لهذه الكتلة القوية معاشا واسعا على الأرض التي تسعهم ، فهم ان كانوا ثمانين مليونا الآن سيصبحون مائتي مليون بعد قرن أو بعض قرن فتضيق بهم على ما وسعت فنضطر الى الضرب في مضطرب الارض بالقرب منا ، فلا نرى إلا ما هو الآن في بلاد الروس من اوكرانيا البيضاء فنرجع هؤلاء القوم الاسيويين الى أوكارهم الآسيوية ونخلو لنا وجه أوربا جمعاء

وهو لا يرى حائلا يقف في سبيل الأمة الجرمانية الا فرنسا فهي هي العدو التاريخي لا يهنأ لها البقاء وجرمانية قوية

على أننا (والكلام لهتلر) لن جمعنا جموعنا وتمت لنا الوحدة ثم اتخذنا عدتنا من سلاح وطعام لأصبحنا القوة ما يجعلنا قوة في أوربا لا يجسر أحد منها على مناوأتنا

وهو لا يطمع في مستعمرات الآن ولا يتكلم عن قوة ألمانيا عبر البحار . ولذا يلتفت فلا يرى له خلفاء في العالم الا انجلترا أو ايطاليا . خصصت انجلترا وأنت المخالفة لم يبق له الا ايطاليا

وليست النظرية الجرمانية في التخصص عن الاستعمار صادرة عن تقوى وقناعة ولكنها قائمة على الحقيقة المادية التي لا يجلس الالمان سواها

فهم إذا تجمعوا في البقعة الاوربية التي تضم عنصرهم كله أصبحوا سادة أوربا لا تجسر عليهم دولة أو مجموعة من الدول

فاذا ما سادوا أوربا سادوا بعد ذلك العالم

لذلك اجمعوا أمرهم على ان يتناسوا صحوة صيوم الثاني لم تم يتحدى انجلترا بانشاء الاساطيل البحرية وصرفوا همهم الى القوة البرية والجوية ليحصروا الاعصاب الانجليزية فطمعاً الى غلو البحار المجاورة ممن يتحداها . ويتم لهم الامر فيستعدون لما عقدوا عليه العزمة

فان تعجب لشيء فعجب أمر هؤلاء الساسة الانجليز الذين لا يأخذون للامر عدته الا بعد ما تقع الواقعة

فالحال لا يخلو من أمرين : اما انهم لا يرضون السيادة الالمانية على اوربا او انهم يريدونها

والامر الثاني في حكم المستحيل فلا السيادة الالمانية ولا أية سيادة أخرى مما يروق التقاليد الانجليزية أو يتفق مع بقاء القوة الانجليزية . فقد قضوا عمرهم الطويل يناحرون كل دولة تصدت للسيادة على القارة لانهم ان سلموا بهذه السيادة سلموا أوطانهم ومعايشهم لأية غريبة عنهم وأصبحوا أرقاء مستضعفين

بقي الامر الاول وعليه سياستهم منذ البدء حتى الآن وهي انهم لا يرضون عن سيادة الدولة على أوربا سواء أكانت المانية أم غير ذلك

ولقد تهيأ لهم الأمر عقب الحرب العظمى عندما رغب اليهم الافرنسيون ان يخضعوا المانيا ويقتلوا روح العسكرية فيها فيعيدوها الى ما كانت عليه قبل بسمارك

فأبى الانجلوسكسون ذلك واستعصموا بحبل عصبة الامم وما انطوى عليه من المبادىء الولسنية بل خافوا سيادة افرنسية تحل محل الالمانية في القارة ولو حكموا العقل دون التقاليد والعواطف ، ولو احكموا النظر لتبين لهم أن السيادة الافرنسية لا تنشر فلسفت حالمة مطغى على حق رخاء وترف لا يخشى بأسها . وها قد مرت الايام فاذا بهم يلجأون الى فرنسا وايطاليا عسى ان يقفوا مرة أخرى في وجه الجبار الجرماني

• • •

والوفاق الانجليزي الايطالي ؟

وقد طيرت لنا الاسلاك نبأ توقيع هذا الاتفاق . فاذا به يسر الانجليز ويفرح الطليان ويطرب الالمان ويكرب له أسرة الافرنسيين . وعسى الله ان يجعل هذا خيرا وأن يجعل بعد عسر العالم يسرا

على أننا لا نزال جاهلين مجرى هذا الاتفاق في نواحيه ولكن التفاصيل ليست مما يهتم له المؤرخ السياسي ، فهو ليس صحافيا يروي الاحاديث يوما بعد يوم وحصرها طبق هواه أو هوى ما ينقله اليه البرق . ان نظره الحالي عام يأخذ زبدة الأمر الواقع ويضعه على ضوء تاريخ الامم ومطامعها . فهناك حدث تاريخي لا قبل للناس به . تلكم القوة الطليانية برزت الى العالم وأعدت لها قاعدة في هذا البحر المتوسط منشىء المدنيات ومبيدها

ولقد ظن الذين الفوا الهين الطلياني فيما مضى من القرون القريبة أن هذه الامة الناشئة عرض

أوجده فرد يحسن التمثيل فلا يلبث هذا الطلاء ان يزول عندما يتعب الممثل من لعب دوره

ولكن الجيوش الجرارة والأساطيل تكاد تملأ البحر المتوسط ، والقلاع والحصون تقام في قواعد في جزر وفي شبه جزر ، والحبشة تجري بين عشية وضحاها ، وأسبانيا تكاد أن تعود ولاية من ولايات الامبراطورية الرومانية . هذه الوقائع فتحت عيون الانجليز فرأوا الخطر يحيق بهم من ناحية الألب فالطليان اليابان

فاخذوا يستعطفون ود موسوليني عسى ان يصدوه عن حلفائه ، أو أنهم لمسوا قوة جبار لا يستطيعون قهره ، واليد التي لا تستطيع كسرها قبلها

وهكذا عملوا ضد سنة قرن ونصف قرن

لقد عقدوا معاهدة اميان مع نابليون بعد ان رأوا بطشه وقوته وخشي العالم أن السلم قد أرخى سدوله وأن الجزيرتين ستخضعان لسلطانه وانحنتا على كل ما احتلتا به

ولم تمنع معاهدة اميان في سنة ١٨٠٠ من وقعة ووترلو في ١٨١٥ . ذلك أن « المصلحة » الانجليزية مظلم قاس اعتاد التحكم في أمور العالم فهؤلاء القوم يضحون بالدنيا وما فيها في سبيل ابقاء الرجل الوجيه البريطاني متمتعا بمستوى من العيش أنه فلا يزول عنه

ولقد جاورتهم فرنسا مئات السنين عدوة مرة وصديقة كرة ، فما زالوا حتى أصبحت حليفة تابعة

فهل يستطيعون ذلك مع الطليان

انهم يحاسبون الزمن . والحكم الطلياني المعاصر قائم على الفرد ومشيئته والاعمار محدودة

فهل من شيء يضمن الاستمرار في الخطة الطليانية بعد اربعين أو ثلاثين من السنين

ان استمر الجهد وصار قوميا لا فرديا يقبل الانجليز حكم الأمر الواقع ، فيا حبذا او حسنا واما تحديا تحسمه معركة حربية لا بد منها

أم فتحت أوروبا عينيها وعادت الى سياسة القرن التاسع عشر : تختلف الدول فيما بينها حتى يظن ان لا مفر من الحرب ثم تصطلح على حساب افريقيا وآسيا وما الى ذلك من بلاد تتحلى فيها شعوب كتب لها القدر ان تكون في عداد الأكلة

والناس منهم اناء كرامة ومنهم اناء هوان

ومهما تمخضت الاحداث بعد زمن ليس ببعيد سواء أتخلص الفريقان ام عادا يتزاحمان ويتسابقان فما لا شك فيه ان هذا العقد الذي وقع في روما نور لموسوليني مبين

لقد تم له ان عاد القوم الذين قاطعوه واستعدوا عليه جامعة الامم وكادوا ان يهموا به ، عاد هؤلاء القوم يقولون له حييت الله ، نعم ما صنعت . انك كنت صادقا وكنا في الكاذبين

سامي الجريديني

خطرات وذكريات عن :

غرناطة وقصر الحمراء

بقلم الأستاذ ا . ليفي بروفنسال

المستشرق الفرنسي الكبير

« من لم ير إشبيلية ، لم ير من روائع الحياة شيئاً »

« ومن لم ير غرناطة ، لم ير في حياته أي شيء ! »

« مثل جار في أسبانيا الحديثة »

إن سر حبي لأسبانيا لا يرجع فقط إلى لعشرتي عصور الاسلام في الاندلس من الوجهات السياسية والاجتماعية والثقافية وأعدوي من ذلك الماضي مادة لدراستي . إذ الواقع ان أسبانيا في ذاتها مجموعة متناقضة صارخة تكاد تعد من أكثر أقطار العالم حلاوة وسحراً

فالذي يسعده الحظ بزيارتها يجد نفسه حيال ضروب مختلفة من الآفاق الرائعة تتمثل في قمم الجبال الصخرية الشامخة ، وفي الأغوار العارية تلفحها الشمس في الصيف ويغمرها الثلج في الشتاء ، وفي الاراضي الضاحكة الخصبة الواقعة على الشواطئ .

والحق أن ليس في أسبانيا من منظر طبيعي إلا والعظمة الصارمة تنبعث منه تارة ، والسحر الرقيق ينبعث منه أخرى . وكل ذلك في جو شائق صاف رقيق يبعث إلى لذة النظر لذة التأمل والنجوى

وإني لأود ان أصرف اليوم نفسي عن مواضع المأساة الحاضرة التي تدمي تلك البلاد الحبيبة ، وأرغب في ألا أذكر إلا في الأيام المقبلة التي يتمنى الجميع ان تسترجع فيها أسبانيا هدوءها ورخاءها ، فتسري فيها الحياة من جديد كما كانت تسري في الماضي ، وعلى نسبة لينة في بعض الأحيان ، تحمل في أطوائها العجيبة روح التقاليد العربية

كان المسلمون فيما مضى قد أطلقوا على القسم الذي امتلكوه من أسبانيا اسم الاندلس ، و « اندلوسيا » اليوم تمثل جنوب أسبانيا وهي المنطقة التي منحتها الطبيعة أبهج الحلل والتي كانت مدى ثمانية قرون وطن العرب المفضل

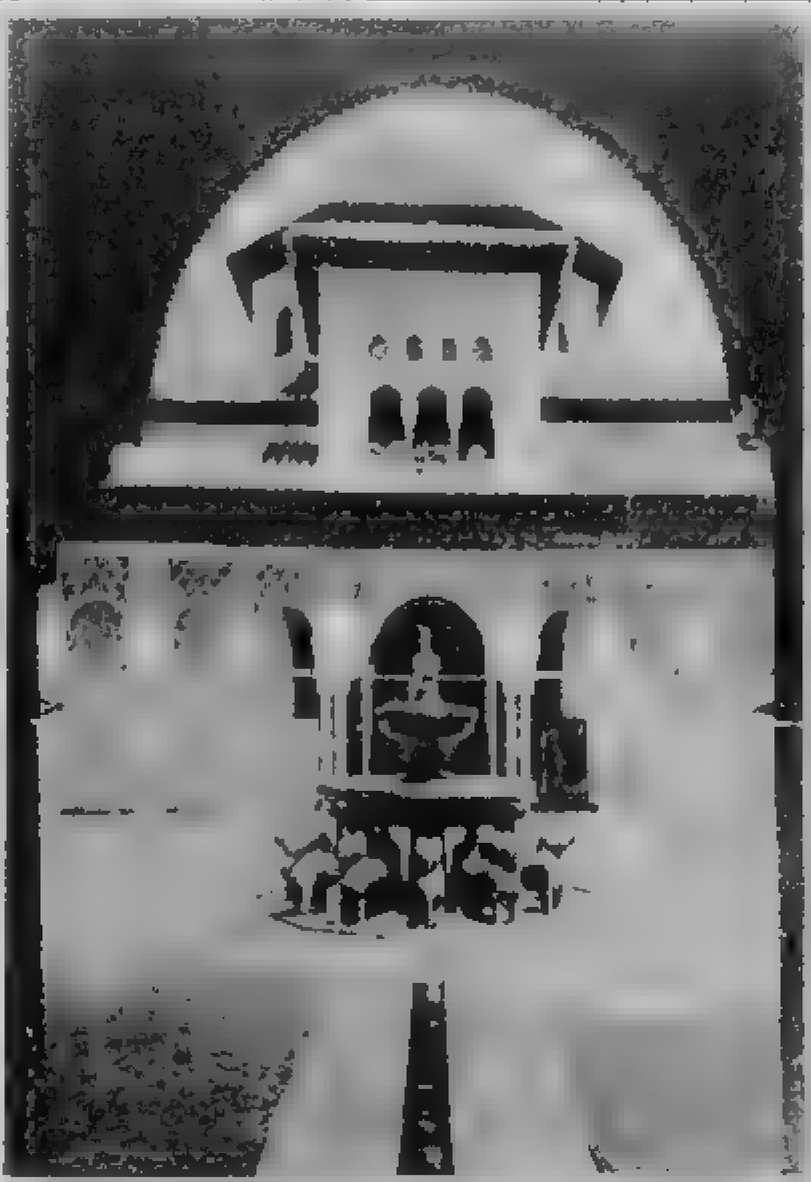

فالمدن الكبيرة الآهلة الصاخبة المختلفة الأشكال والألوان، تمتزج وتتشابك فيها كما تمتزج وتتشابك قطع الجواهر، وذلك في سهل أخضر وافر خصيب، أو تتمايل وتمتد في رخاوة الى ضفاف حتى الشطآن الصخرية في البحر الأبيض

فهذه المدن تعد اليوم أكثر من سواها مستودع التراث الاسلامي وهي قادس والجزيرة الخضراء ومالقة ولبيرة ولا سيما اشبيلية وقرطبة وغرناطة

ويلاحظ أن هذه الحواضر الأخيرة الثلاث التي ما زالت تحفظ طابع المدن العربية القديمة، لتزهى على الدهر قبل أن يحطمها، وذلك بفضل ما اشتهر منها في الماضي وما حواه تاريخها من ذكريات مجيدة اسلامية ومسيحية

فاشبيلية هي مدينة البساتين الغناء، مدينة القصر (Alcazar) وبرج الذهب الذي أبدعه فن العمارة الاسلامي

وقرطبة هي عاصمة الأمويين القديمة في اسبانيا وآثارها الرائعة تنم عن حضارة الاسلام ويتمثل أجلها في الجامع الكبير حيث تنهض في ظل الأروقة المعمدة شبه غابة من أعمدة تحمل أقواسا مزدوجة تبعث ظلالها الذهبية وطلاؤها الناصع أعمق مواطن الاعجاب في نفوس المشاهدين

أما غرناطة فهي مليكة تلك الحواضر وهي تشبه الرمانة المفلوقة وفي هذا الشبه يرجع تسميتها Granada وهي مدينة تتصاعد بيوتها وتتعالى بساتينها ورياضها على المنحدرات الوعرة المتجهة نحو الوادي الذي يجتازها

ولقد كانت غرناطة آخر المدن الاسبانية الاسلامية التي بقيت في يد المسلمين فلم يزل حكمهم عنها الا بعد أربعة قرون. وربما كان هذا هو السبب الذي جعلها حتى اليوم أبعد ما تكون في مظهرها عن بلد أوربي عادي وأقرب ما تكون شبها ببعض مدن المغرب الأقصى مثل فاس التي ظلت هيأتها حتى يومنا هذا كما كانت في القرون الوسطى

على أن غرناطة تمتاز بشيء آخر وهو أن اسمها المجيد مقرون على الدهر باسم قصر الحمراء، ذلك القصر الذي يلهم الأحلام والذي تهيم فيه حتى الآن أرواح فرسان الأندلس والذي اتخذه نوابغ الكتاب والموسيقيين والمصورين وحيا لهم وملهما لخيالهم

فبفضل قصر الحمراء أصبحت غرناطة مدينة ذات شهرة عالمية، مدينة من تلك المدن المختارة التي تعرف كما لا تعرف سواها كيف تخاطب الخيال وكيف تبعث الى الذهن أروع جمالها الرقيق التالد وسحرها الخالد القديم

فمن ذا الذي يجهل في الدنيا اسم قصر الحمراء؟ وهو الذي أوحى لكتاب عظام أمثال واشنطن ارفنج وشاتوبريان وتيوفيل جوتيه من روائع التأملات ما سيظل على الأبد خالدا!.

● ● ●

بهو ملكي في قصر الحمراء

وإني لا أملك إذ أذكر أولى زياراتي لغرناطة

كان ذلك في يوم ربيعي عطر، وكنت مستقلاً قطاراً مشتد السير يبسط أمام عيني سندس الحقول الأندلسية وهي سابحة في نور ساطع

وكنا قد سافرنا من قرطبة صباحاً وأشرفنا في المساء بعد اجتياز مراحل ملتوية متعددة على سهل غرناطة

وكانت تتألق في جوف الأفق أبراج قصر الحمراء وقد انعكست عليها من شمس الغروب آخر الأشعة فأرتنيها أشبه بمنارة متلألئة وسط بحر يغمره الظلام

ولم أكد أترك القطار – وكان الوقت ليلاً – حتى انطلقت أسرع إلى قصر الحمراء

والواقع أن قصر الحمراء، وإن كان يعرض أمام الناظر في وضح النهار طائفة من أعجب المشاهد والرؤى تثير في النفس خاصة الخيال والشعر، فهذه المشاهد والرؤى تتضاعف قوة وتتجدد مظهراً عجيباً وهي في ضوء القمر. وعندئذ لا يسع الناظر إلا أن يرجع بذهنه إلى الماضي، ومتى استولت عليه الذكريات لم يستطع إلا أن يعجب بأولئك الذاهبين الذين شادوا تلك القصور والساحات والذين كان التأمل الروحي أعلى في نظرهم وأرق وأعمق وأقرب إلى الطبيعة ومن الأبدية من الولع بتحقيق هذا التأمل في الواقع وإخراجه من حيز الفكر إلى دائرة العمل

في ذلك المساء فقط أدركت سر ذلك الألم الذي يملأ اليوم قلوب من أبعدوا عن الأندلس حسرة على غرناطة الضائعة

ثم أخذت أردد تلك الأنشودة الزاخرة بالحنين الباكي على المجد الضائع التي طالما سمعتها تنحدر من أفواه أعيان فاس ووجوه تطوان، أولئك الذين يحتفظون حتى الساعة بأسرار تلك القصور التي كان يقطنها أسلافهم

ولقد حيي قصر الحمراء من شعراء العرب عشرات وإليك ما قاله ابن مالك الرعيني

رعى الله بالحمراء عيشاً قطعته ... ذهبت به للأنس والليل قد ذهب
ترى الأرض منها فضة فإذا اكتست ... بشمس الضحى عادت سبيكتها ذهب

وهناك غيره من شعراء مجلس السلطان في غرناطة أمثال لسان الدين بن الخطيب وتلميذه ابن زمرك

ومع ذلك فقصر الحمراء يمتاز بنقوشه وكتاباته من أشعار عربية تحمل خطوطها الأبواب والنوافذ ومن الحنايا الصغيرة التي كانت توضع فيها قلل الماء الفراغ يروى به الزائر لعطش ظمأه. ومن كل هذا شعار حكام غرناطة في هذه العبارة الدالة على استسلامهم لسلطان القدر «الا رضي ولا غالب الا الله».

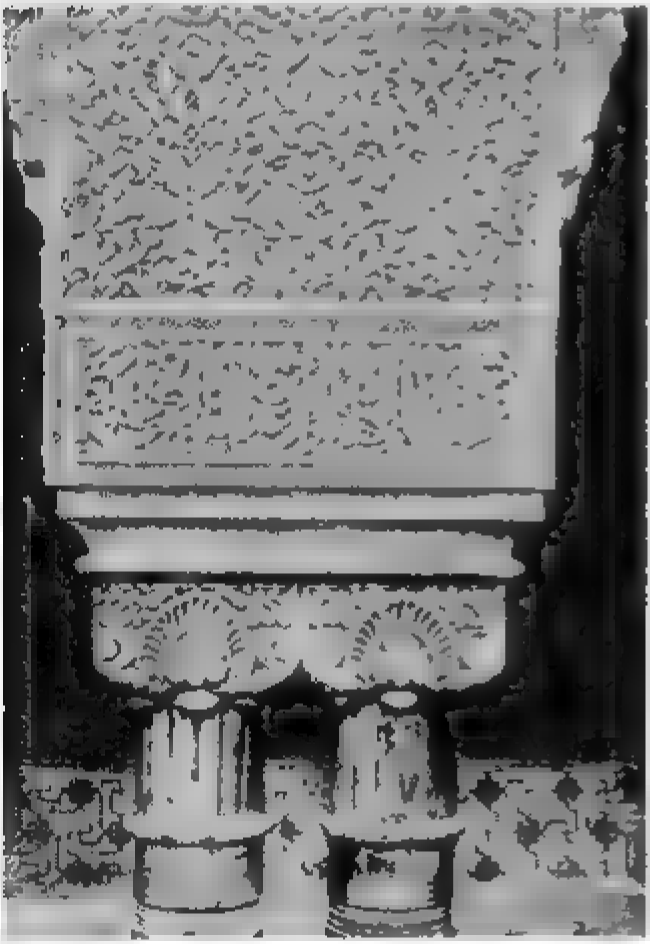

تاج عمود من أعمدة صحن السباع كتب عليها بالخط النسخي الأندلسي [illegible] مولانا السلطان أبي عبد الله الغني بالله .

ومن ذا الذي يعرف أسماء كل هذه الأبهاء وهذه الردهات ولا يعيا؟ لأنني يحول بيننا وبين اختيار تلك الأسماء حقيقية: هذا بهو السباع، وذاك بهو الرياحين وتلك ردهة السفراء وذاك بهو الملوك. والحق أن مجرد ذكر هذه الأسماء يبعث في هذه الأماكن أشباح سكانها القدماء تختلج عبثاً وجيئة

هنا بهو ضيق مستطيل مدبج في وسطه نافورة مؤلفة من حوضين مستندين الى عمود صغير من رخام

فلنستعن بالخيال ولنملأ هذا البهو بالأرائك المنجدة والأسماط الحريرية والطنافس النادرة.

ولنتصور سيد القصر ممدداً على أريكته يتحدث الى نفر من أصحابه في شأن من الشؤون

ثم لنتخيل السيد وقد أصدر أمره فأقبلت على الفور جارية سكبوها الحلي وتقدمت اليه من عتبة الباب فاهتز وأسر اليها أمراً أو أوصاها خيراً بإحدى الحظيات. ثم لنتصور تلك اللحظة الرائعة التي ينقطع فيها الحديث ويسود الصمت إمعاناً في الحلم الطويل، عميقاً لا تعكره غير خرير الماء. ثم لننظر الى السيد وأصحابه. هاهم ذاهلون جامدون، تسبح عيونهم التائهة في تأمل مشهد جميل أو تنزلق من النافذة الى الخارج لتستقر على شجرة السرو وهي تبرز من خلال بهاء زرقة الأديم

• • •

ان أكبر الموسيقيين في اسبانيا الحديثة وهو المشهور مانويل دي فايا قد اتخذ من غرناطة موطناً له. وأنا لا أعرف أنشودة أوحى اليه بها جلال قصر الحمراء من حيث الفتنة والسحر أكثر مما أوحت بها أنشودة ذلك الموسيقي المعروفة باسم «ليالي في جنات اسبانيا».

هنا الموسيقى كجميع الأساليب للتعبير يعرف ويعبر كل ما تدين به اسبانيا للعرب. بل ان أسماء السلاطين العرب لتتردد الآن في غرناطة على ألسنة الشعب وفي الأغاني التي ينشدها حملة (الجيتار) بصوتهم الخشن الأجش في المقاهي المكتظة حتى الليل

والله وحده يعلم إذا كان واضعو تلك الأغاني الشعبية التي ترجع الى قرون خلت قد شوهوا الحقيقة التاريخية ليحلوا محلها أساطير أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة

ولكن هل للحقيقة التاريخية فيما يختص بقصر الحمراء تلك الأهمية التي يعلقها البعض عليها؟

ألا يمكن أن تعتبر الرغبة في تقرير هذه الحقيقة نوعاً من التدجيل وحرق القصبات؟

الأفضل في نظرنا تجنب البحث عن حقيقة تلك الأساطير الجميلة، وترك الخيال السائد على تلك الأماكن يصور كيان الساحر وهو يتأمل من شرفة مواجهة لقصر الحمراء أضواء الغروب تتوهج وتنعكس على هذا القصر موطن الأمراء المسلمين في القرون الوسطى، أولئك الأمراء الذين أحبتهم الحبرة، وشغفهم القلق، واستحوذوا بالمجد، وكانوا مع ذلك يعشقون غاية العشق مدينتهم الرائعة بجنانها البهيجة وسمائها الزرقاء!

ا . ليفي بروفنسال

«... الجماهير سريعة التصديق كثيرة الخطأ ضعيفة ملكة النقد، ومع ذلك هي الحاكم في كل جهة. ولن يصلحها غير التعليم والتربية، ثم المثل الأعلى تضربه لها الطبقة العالية في مظهر واضح محسوس...»

الجماهير كالأطفال

لا يقودها الفكر بل يحركها الشعور

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

كثيراً ما نرى كلمة «الرأي العام» في معرض الكلام عن حركات الجماهير وأعمالها وثوراتها ولكن رأينا أن إطلاق هذه الكلمة في هذا الغرض فيه كثير من التجوز. فإن هذا الذي تصدر عنه الجماهير ليس هو الرأي العام بل هو الشعور العام. وذلك أن الرأي لا يكون إلا بتقليب النظر وإعمال الروية في مجموع الوقائع، وهو ما لا يتسع له الوقت ولا تسمح به طاقة الذهن ومستوى التعليم عند الدهماء والعامة. ثم إن المفكرين مهما يكن اجتماعهم على جهة الرأي فإنهم مختلفون شتى في تفصيله. فالتفكير مؤداه التميز الفردي في الأصول أو الفروع. وأما الذي يؤلف الألوف من الجماهير فهو الشعور الواحد يعمها ويملك عليها مشاعرها. والجماهير يسهل تحريكها على من يعرف مخاطبتها باللغة التي تفهمها وتؤثر فيها، وهي لغة حاجاتها ورغباتها وأمانيها، وأحياناً لغة مطامعها وشهواتها ومنازعات إعجابها أو أحقادها. وهو بتهييجه ما فيها من هذه العواطف الطيبة أو الخبيثة، عواطف الأثرة أو الإيثار، يذهلها عن عقلها ويستولي على قيادها

وهذا الاستيلاء في الجماهير لا يكتسب من غير الدعاية المكررة. ولما كان الشعب المدعو إلى الرأي أو الوضع المقترح الأخذ به مستعصياً على الخطيب بعيداً عن مواطن اقتناعها كانت الحاجة إلى الدعاية أشد وأوجب. وهذه الدعاية تقوم على كل حال في بساطة الأفكار وفي الغالب على الترديد والتكرار والذي يتتبع أقوال الفصحاء من الخطباء في مختلف الأقطار يلحظ أن الساسة الأمريكان حين يخطبون الناخبين مثلاً يحذفون من كلامهم كل ما ينافي البساطة المطلقة، فلا يحملون الألفاظ غير معانيها الأولية ولا يرمون بها إلى غير مدلولاتها اللغوية ولا يعبرون من الأفكار إلا ما يتقلب في الخيال إلى محسوسات. وأما في فرنسا فالملحوظ أن الساسة يكثرون من استعمال العبارات العامة والكلمات المموهة، على أنهم في استعمالهم لها يراعون اقترانها في أذهان الجماهير بعواطف شعبية متقررة من ودية وعدائية، كترديدهم كلمات الديموقراطية والإخاء والمساواة وسيادة الشعب، وعكسها كلمة كالدكتاتورية

والفاشية . ومرجع هذا طبعا الى ان الامريكان شعب عملي والفرنسيين شعب منطقي . على أن هذا الاختلاف وأمثاله لا يبرران من طبيعة الدعاية ومن المغالطة والتكرار كما قدمنا . وهذه شهادة هتلر في كتابه « كفاحي » تدل على ان الحال في كل مكان على هذا المنوال ، حيث يقرر « أن الشأن في الدعاية المغالطة الأولية ودوام الملاحة » .

ثم إنه كلما كان اتجاه الخطيب بخطابه الى السواد الأعظم حيث الجهل أعم ، كانت الفرصة أنسب لكلام الفخم الأجوف والتركيبات المنمقة والمبالغات الجوفاء . وان خطيبا يجتمع له في خطابه الجماهير بساطة الأفكار ووضوحها ولهجة اليقين وقوة العبارة وحرارتها لقمين أن يسترعي أسماع الجماهير ويملك عليهم حسهم . فاذا هو عاودهم كل حين ولم يمل منهم يردد عليهم نفس الأفكار بنفس هذه الحرارة وهذا اليقين ، فانه لا محالة بالغ من تحريك عواطفهم واستحثاثهم الى غرضه من مشاطرتهم رأيه والتفافهم حوله وتفانيهم في سبيل نصرته وتغليب مذهبه .

وان المرء ليعجب ولا ينقضي له عجب من سلطان الألفاظ على الجماهير وحلولها في أذهانهم محل الحقائق . وهم أبدا مصدقون لها مخدوعون بها ، وذلك لأنهم انما يحكمون على الظواهر ولا يستقصون قط أمرا . فاذا استرسلوا الى اللفظ المنطوق لم يبحثوا وراءه الى الحقيقة التي لا تتفق والطمأنينة ، كما أنهم يهاجمون ويطير طائرهم ويثور ثائرهم فلا يلوون على شيء حين يكون اللفظ المستعمل مقترنا في أخلادهم بما يكرهون من مزاعم مقررة أو ذكريات أليمة .

ويروي التاريخ أن القوم في فرنسا كانوا في هم شديد حين شاع فيهم أن نابليون قلب الادارة الشعبية ونادى بنفسه « دكتاتورا » ، ولكنهم تنفسوا الصعداء حين علموا أنه انما نصب نفسه « قنصلا أول » ، ومثله كرومويل في بلاد الانجليز حين خلع الملك شارل الأول ، فانه تسمى باسم « السيد حامي الحمى » .

ونحن نرى ساسة اليوم في انحاء العالم يعمدون الى تسمية ما هو مستكره من الاجراءات بأسماء حديثة مستساغة . فاذا ارادوا الضرائب زعموا أنها اعادة نظر في التقدير مقصودا بها الى تصحيح الخطأ وتسوية الحال فسموها « تحرير الضرائب » . كما أن قولهم ضغط المصروفات وتوفير الايرادات قد يكون كناية عن التخفيض في مرتبات الوظائف والزيادة في الضرائب . ولقد حذقوا أخيرا كلما أرادوا التسليم النهائي بتدهور سعر العملة الى حيث تدهورت ، أن يتظاهروا بمواصلة الجهد ليل نهار ، ثم لا تسمع منهم عن اعادة السعر الى سيرته الاولى شيئا وانما تسمعهم يتنادون « بتثبيت العملة » ويدعون لأنفسهم في ذلك فضلا .

والحق أن استحسان الجماهير رخيص ، ويعرف ذلك خطباؤهم كل المعرفة فيحشون خطبهم طائفة من هذه العبارات المحبوبة الرنانة التي تعود الشعب التهليل لها كلما ارتفع بها صوت القائل في جهارة وطنطنة . وليس أدل على سرعة آلية الاستحسان عند الجماهير مما يرويه الرواة عن هذا الممثل الذي كان يقوم بدور القطب الشعبي في احدى مهازل موليير وذلك في أعقاب الثورة

الفرنسية وأول العهد بقيام الجمهورية . فلما أخذ الطبيب في الرواية ينحني للتسمع على قلب المريض شأن الأطباء جميعاً ، فيمد الى ناحية الصدر اليمنى ، فلما أظهر القوم دهشتهم ورجع الطبيب الى موضع القلب في الجانب الأيسر ، صاح بالمتعجبين من حوله : « نحن مسحنا كل هذا » إلا أن صاحبنا الممثل الجمهوري خطر له أن يزيد : « نحن مسحنا كل هذا . . . منذ قامت الجمهورية ! » ولا تسل وقتئذ عن حماسة الجمهور البالغة وتصفيقه العاصف لهذه الكلمة على الرغم من سخافتها وما يحمله مدلولها من الاشارة الى تلك الأوضاع حتى لتصلح تعريضاً بالجمهورية لا اشادة بها . ولكنه الجمهور يهتز للكلمة التي يحبها ولا يحب سياقها

ومع هذا المعهود في الجماهير من تصديق الكلم المعسول والانسياق مع ما يزين لهم من الأماني فان الجماهير عميا الأول النتائج ، ولئن يطول تعلقها مدة غير مشفوعة بالانجاز ، ومن ثم لا يلبث الشعب المغرور به أن يستدرك أمره ويبصر رشده معتبراً بالحوادث ، وهذا هو الشاهد الملحوظ في أعقاب كل ثورة . فهؤلاء الذين حرزوها بآمالهم وجدوا في سبيلها أعز ما لديهم سرعان ما يتبرمون عليها ويتنكرون لها ، بل هم أشد من غيرهم عليها نكيراً . والجماهير يبالغون في تمجيد ماضي الثورات اعتقاداً منهم بأن المصير الطارئ كله متاعب ونكبات ، وأنها تواتيهم أكلها في أيام معدودات . ولما كان ارضاء الآمال التي تعقدها الجماهير صعباً عسيراً وكان دونه رجائم أصعب وأعسر ان لم يكن من المستحيلات . ثم إن الجماهير كالأطفال من شغف بالمحاكاة حسنت الشيء أو ساءت . وإن مجرد امكان وقوع الشيء يغريها أحياناً بمحاكاته . فليس من شك في أن نجاح ثورة الاستقلال الأمريكية ضد انجلترا كان من عوامل تشجيع التغير الفكري والعاطفي وقتئذ في فرنسا والتي عنه صدرت ثورتها الكبرى عام ١٧٨٩ . وهذه الثورة الروسية الأخيرة تبعث منذ سنوات بوقائع العنف في المجر وبافاريا ، وقد اتصلت شرارة منها بالطرف الآخر من أوروبا ، فاضطرمت الحرب الأهلية في اسبانيا حيث يتطاحن أبناء الأمة الواحدة ويبيد بعضهم بعضاً ، ويطول هذا الفريق وذلك أنه لا يتقل كاهله ويعوق حركته بالأسرى فالقتل المعجل فيها مصير الجميع

على أن هذا الروح القلق في الجماهير توازنه فيهم طبيعة أخرى هي طبيعة التسليم بالواقع متى قامت الشواهد على استقراره ودوامه . وهذا حكم الفاشية في ايطاليا قد جعلها تلاقي القبول في الغالب ، وهذا موسوليني بعد أن كان الكافة ينظرون اليه نظرهم الى الأفاق المغامر ، أصبحوا وهو في نظرهم مثال الرجل ذي الهمة الذي أعد لكل شيء عدته ولم يقصه الرهب من طلعته

فالجماهير تدين بالنجاح ، وهذا الاطمئنان منها الى التسليم لمن يتحقق له النجاح ويستتب الأمر ، حمل الأمة الفرنسية مثلاً بعد ثورتها الكبرى وارتضائها حكم مجلس وكلاء الشعب ، تنضوي تحت ألوية نابليون ابن الثورة الخارج عليها وترتضيه امبراطوراً ، ثم تنقلب الى الملوك البوربون ثم ترتد منهم الى الامبراطور نابليون الثالث وأخيراً الى الحكم الجمهوري مرة أخرى . وليس بين القادة

من يجهل هذه الطبيعة في الجماهير، فتراهم يحرصون أشد الحرص على عدم اظهار التشكك في استمرار حكمهم ومتانة مركزه ورسوخ دعائمه وطول عهده. والجماهير أبعد ما يكونون عن ادراك المبادىء والمعاني، وانما هم يتحركون فيما تقتضيه مصالحهم، فقد تقوم المظاهرة للاحتجاج على اعتداء الحكومة مثلا على الحريات الفردية، فاذا المتظاهرون يكرهون التجار على اغلاق حوانيتهم والصناع على ترك مصانعهم، واذا هم يرغمون غيرهم بالارتباط تحت لواء التظاهر ساخرين من الوطنيين لعدم اضرابهم، وهذا كله في حين ينادون بحرية الافراد ويتظاهرون من أجلها

والجماهير في نفسها لا تستمع الى من يحدثها حديث العقل والروية، بل هي اذا تحمست لا تسمح لأحد الا بتحمس مثلها. فواجب لازم على العاقلين اجمعين أن ينكروا تفكيرهم ويتحمسوا للأمر لحماسها له، وأن يريدوا ما تريده، ومن لم يفعل فهو عدوها. فاذا الجماهير رأت أن هنالك تآمراً على حقوقها لم يصدق هذه المؤامرة الوهمية بعض الناس فقد صح عندها ان هذا البعض من المتآمرين ووجبت عليه عقوبة التآمر. ومهما يمض من البينات على خلاف زعمها فلا وزن له عندها، كأنما يعز عليها الشك في نفسها. فهي مصرة اصرار الحيوان على عنادها وقد استولت عليها كالمابين احدى الفكر، فهي تبدىء فيها وتعيد وان كانت ظاهرة البطلان ملموسة التناقض. ولا يزال عالقا بالاذهان موقف الجماهير في قضية الضابط دريفوس. فقد حكمت محكمة المجلس العسكري عليه لاتهامه بتسليم الوثائق الهامة الى الدولة الاجنبية، فما قامت الظنون عند البعض في صحة الاتهام وبعد هذا البعض أن الحكم الصادر خطأ من القضاء تحتم مراجعته، عمد الزعماء الى مقاومة الجماهير على النعر للطالب بالمراجعة، فهاجت مرددة ما الحق في زعمها من أن محاكمة قضاة المجلس العسكري سبة للجيش، كأنما اثبات تهمة الخيانة على الضابط ليس سبة للجيش أشنع منها وأشد عاراً وأذهب في الصميم، لتعلقها بالشرف العسكري وأمانة الجندي على سلامة وطنه. ولعل أبدع تصوير لسير الجماهير عن الاحساس بما تأتيه من التناقض ما يعرضه شكسبير في مأساته من مصرع «يوليوس قيصر»، وكيف ان الصديق بروتس حرصاً على الجمهورية من طمع صديقه ان يقلبها ويستبد بالأمر، قتله في دار الندوة ووقف بين الجماهير مندداً بطمع القتيل الذي نال جزاءه. فتحمست جماهير روما اعجاباً بتخلصهم من ذلك الطامع في تنصيب نفسه قيصراً عليهم وهللوا لبروتس وهتفوا في نشوة اعجابهم: «فليحيا بروتس. فلنجعله علينا قيصراً»

هذه هي الجماهير، وهذا مبلغ سلطتها وسرعة تصديقها وكثرة تقلبها وسهولة تحريكها وافتقارها الى التعقل والتفكير وضعف ملكة النقد عندها وانسياقها الى المحاكاة واحترامها السلطة القاهرة وتقويمها المناصب والرجال على قدر النجاح. ومع هذا كله فالجماهير هم العتاد في كل نهضة مرجوة. ومن الواجب استصلاحهم بجهد المستطاع بالتعليم والتربية من ناحية، وبالمثل الاعلى يضربه لهم جماعة الخاصة وأهل الطبقة العالية

عبد الرحمن صدقي

التمدن الحالى :

وهل يمكن أن ينقرض ؟

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

> « . . الطبيعة البشرية مصابة بمرضين ، الاول مرض المطامع غير المحدودة ، والثانى عدم التعقل الاجتماعى الذى لم يدرك حتى الآن ان فى الطبيعة من الخير ما يكفى لغذاء سبعة أضعاف عدد سكان العالم . فاذا لم نشف من هذين المرضين فقد تنتهى حضارتنا الى الفناء والانقراض . . »

يقال ، وشاهد القول حاضر فى التاريخ ، أن للامم أعماراً . فهى تولد ثم تنمو ثم تزول زوال عاد وثمود ، إذ تقرضها أمم أخرى أقوى منها ، تارة إفناء وتارة استعماراً

وكذلك يقال ، وشاهد القول فى العاديات والآثار والأحافير ، ان للمدنيات أعماراً أيضاً . تنشأ فتعيش حقبة ثم تضمحل ، ولا يبقى منها إلا أثر بعد عين . والمراد بالمدنية مجموعة تقاليد الامة وعقائدها وطرائق فنونها وأساليب معيشتها وحياتها الاجتماعية

أما ان المدنيات تعيش حقبات من الزمن ثم تبيد فأكثر ما قبل التاريخ وروايات التاريخ القديم ملأى من أخبار مدنيات مختلفة ازدهرت حيناً ثم دوت وانطوى خبرها . فما من مدنية قديمة بقيت الى اليوم اذا استثنينا المدنية الصينية التى عاشت مستمرة نحو أربعة آلاف سنة من غير أن تطرأ عليها صروف خطيرة إلا فى العصر الحديث

مدنيات مصر وعيلام وبابل وآشور وفارس والحثيين وفينيقيا والهند الحوية والهند الصينية وحطوا وكريت القديمة الخ ـ كل هذه المدنيات الشرقية بادت ولم يبق منها الا آثارها تشهد عليها . وكذلك مدنيات أواسط أميركا من المكسيك الى بيرو اضمحلت ولم يبق إلا ما حفظته العاديات من الأدلة عليها وما بقى من خرائبها فى حفدة أهلها ، حتى فى شرق أفريقيا وأواسطها آثار تدل على ان أقواماً عاشوا هناك متحضرين وكانوا على جانب من الرقى المناسب لعصرهم . ثم فى تاريخ دائرة البحر المتوسط وأواسط أوروبا أخبار انقراض حضارات عاشت حقبة من الزمان ثم انقرضت أيضاً وعمرت مواطنها ظلمات الجهل والانحطاط مدة غير قصيرة

ان دراسة هذه المدنيات الغابرة المعهود تفضى الى حقيقتين هامتين رئيسيتين : الاولى أن

جميع معالم تلك المدنيات على تباعد مواطنها وتخالف عصورها متشابهة تشابهات كلية فى صورها ونموها وعادات أهلها وعقائدهم كأنها كلها مأخوذة عن أصل واحد

واذا تقصينا الى أصولها فى المكان والزمان رأينها ترجع الى أصل أول موطنه مصر . وهذا بحث طريف فى موضوع جليل الشأن طرقه العلامة « بري » استاذ الانثروبولوجيا الثقافية فى جامعة لندن فى مؤلف خاص يظهر وحدة أرومة النوع الانسانى ووحدة أرومة حضارته

والثانية ان أسباب انقراض تلك المدنيات المتقدمة والمتأخرة متماثلة ، كأن علة نشأة الحضارات واحدة كما أن علة تسلسلها ونموها واحدة . واليك بيانا موجزاً لهذه الحقيقة الثانية

عوارض انقراض المدنيات القديمة

فى آثار أية حضارة من الحضارات القديمة نرى أن فناء تلك الحضارة لم يكن تدريجيا بسبب نضوب أسباب الرزق منها ، تلك الاسباب التى أغرت أقوامها على التحضر فيها واستيطانها وانما كان مباغتاً ، لظروف طوارىء خارجية قضت به . نرى مثلا على ذلك فى خرائب روديسيا — نرى آثاراً تدل على أن القوم القدماء اكتشفوا هناك مناجم للمعادن الثمينة وغير الثمينة . والادوات التى تركوها تدل على انهم بلغوا الى درجة من المعرفة والفن تقدرهم على استخراج تلك المعادن واستعمالها . ولكن المناجم لم تنفد بعد ، ولا صار استخراجها متعذراً حتى يقال انهم هجروها بسبب نضوب معين الرزق فيها . فترى ماذا طرأ حتى باد أولئك القوم واندرست معالم مدنيتهم ؟

كذلك الأمر فى مناجم الذهب القديمة فى الهند وفى شبه جزيرة ملاى التى تجدد التعدين فيها فى العصر الأخير وظهر أنها لاتزال غنية بالذهب . وفى أحافيرها آثار قوم عاشوا هناك مدة طويلة وكانوا يستخرجون ذهبها ويتجرون به . فما الذى ترحهم وقرض حضارتهم قبل أن يجف ينبوع رزقهم ؟ . مثل ذلك أيضا فى مناجم غينيا الجديدة البريطانية . فان مناجم ذهبها غنية بالذهب وبآثار الذين كانوا يستخرجونه وآثار أسلافهم من أهل العصر الحجرى إذ وجدت بين آثارهم أدوات حجرية متنوعة . فلماذا انقرضوا وانقرضت معهم حضارتهم وبقيت تلك المناجم مدة غنية ولم تمسها يد بشرية دهراً طويلا . إذ سدل العفاء على تلك الديار الى اليوم ؟

نرى الجواب فى أسباب فناء حضارات أخرى فى أماكن أخرى أشد تلك وعدنا أخبارها فى التاريخ . من ذلك ان قوما يتكلمون اللغة السامية ، لا يعلم حتى الآن من أين جاؤوا ، احتلوا أرض أكاد من حدود بابل ثم جعلوا يغيرون الممالك المجاورة . فغزوا بابل وعيلام وتوغلوا فى الغزو الى البحر الابيض وآسيا الصغرى . وكان ملكهم سرجون أول من انشأ دولة حربية فى ذلك القطر . وكان ملوك بابل وغيرها كهنة مستكينين لا رجالا حربيين . فدمر أولئك الغزاة مدنيات عيلام وبابل واشور الى أن انطوت تلك الممالك فى عصور مظلمة

كذلك الرعاة الذين وفدوا من ناحية جزيرة العرب غزوا المملكة المصرية وهي في أبهة مدنيتها منغمسة في علومها وفنونها ونظاماتها الاجتماعية . ودمروها وسادت الهمجية عليها أكثر من قرن . وما استردت مجدها السابق إلا بعد بضعة قرون . والدولة الرومانية التي بلغت من العظمة شأواً لم يطاول في تاريخ الامم سقطت لدى غزوات التيوتون الذين وفدوا من أواسط أوروبا أو من سكندينافيا واجتاحوا أوروبا الى أن سحقوا جميع الحضارات المحيطة بالبحر المتوسط

وإذا درست أسباب سقوط جميع الدول القديمة ومدنيات الامم القائمة وجدتها تجتمع في سبب واحد وهو غزو قبائل رحالة أو أمم غازية للامم المستقرة الآمنة . والغالب بل المطرد هو أن الامم الغازية كانت أحط حضارة من الامم المغزوة . لأن هذه كانت مستقرة منصرفة الى فنونها وعلومها ومنغمسة في ظلال نظمها وغير مستعدة للقتال . فاذا طغت عليها أمة غازية سحقتها . وأما الامة الغازية فكانت في الغالب متبدية مترحلة ، فما تشتغل بالفنون والصناعات ، بل تنصرف الى رعي الماشية والغزو . فسنة الطبيعة هي أن الحرب عدوة الحضارات والمدنيات . كانت كذلك وتبقى كذلك في الأزمنة الماضية لم يبطئ سير المدنية على سطح الارض لان الحضارات لم تكن معاصرة حتى يكون فناؤها في عصر واحد ، بل كانت تنقرض الواحدة هنا بينما تكون الحضارة الاخرى مترعرعة هناك . كذلك الحروب لم تكن منتشرة في كل العصور بل كانت منطفئة هنا ومتقدة هناك تلتهم هشيم الحضارات حيثما تتقد . ترى هل يطرد هذا الناموس الطبيعي الاجتماعي في عصرنا هذا وفي العصور القادمة ؟ هذه هي القضية التي استطلعناها من البحث الآتي

تباين الحضارتين القديمة والحديثة

كانت الحضارات القديمة غير متعاصرة بسبب تباعدها وصعوبة المواصلات بينها . ولهذا لم يحدث فناؤها في زمن واحد بل كان متوالياً تتعاقب الازمنة . أما الأمم المعاصرة فجميعها تقريباً ذات مدنيات متقاربة الشكل ، ولكنها متفاوتة في الرقي ومشتركة في كثير من معالم المدنية . وارتقاء العلم في العلم والاختراع يعجل في تقاربها وتشابهها في طراز التمدن حتى تكاد تتراءى ذات حضارة واحدة

يمكن أن تلقب حضارة هذا العصر حضارة البذخ والترف من حيث أن جميع طبقات الأمم تقريباً تتمتع بالقسط الوافر من أنواعها . حقاً ان هذا العصر عصر البذخ والترف لأن تقدم العلوم الفائق أنار السبيل امام الشروع العقلي وأطلق له العنان في استكناه أسرار السنن الطبيعية واستغلال قواها واستخدامها في الحصول على أسباب التمتع الوافرة

لذلك لم يبق الباعث الى الغزو طمع القوم المتبدين الرحل في ثروة القوم المتحضرين المستقرين كما كان الأمر في العصور المتقادمة . بل صار الباعث للحرب تنازع الأمم الراقية موارد الثروة حيثما كانت وتنازع الأمم القوية على جهاد الأمم الضعيفة . صار الأمر كذلك بعد ما وفرت وسائل الاتصال

بين الأمم وتهدمت أسوار الانفصال بينها وتدفق بعضها الى بعض واشتبكت في المعاملات الاقتصادية والسياسية وطمت لجج المطامع فيما بينها . لذلك اتسعت ميادين الحروب واستطالت صفوف المحاربين بسعة تعاظم القوى الحربية وتعدد فنونها وأساليبها وصنوف عددها وعتادها . فالحرب الأخيرة لقبت « بالحرب الكبرى » لأن ميدانها شمل معظم أوروبا وبعض آسيا . وفي المستقبل سيصبح لقبها « الحرب العمومي » إذ يكون ميدانها حينئذ معظم المعمور على سطح هذا السيار الأرضي

كانت العلوم والفنون في القديم توجب الحصر على أهلها أو تحبسهم مواطن رزقهم فتشغلهم الى حد ما عن الحرب والغزو . ولكن المعارف والفنون في هذا العصر فتحت السبيل للاختراعات التي أراحت الأدمغة والعضلات من عناء الكد في سبيل الرزق . فانصرفت قوى الأمم الى الحروب لاشباع المطامع والشهوات الجسدية والعصبية التي لا يعرف لها حد ، وساعدتها على ذلك اختراعات العدد الحربية الجهنمية . لأنه لو اقتصر البشر على قضاء حاجة الجسد والنفس من التمتع الى أقصى حد لما كان ثمة داع للتنازع ، لأن خيرات الطبيعة مع مقدرة الصناع على استخراجها بأهون الوسائل تكفي لهذا الغرض وتزيد . ولكن طمع الناس بأن يستغلوا ثمرة جهاد آخرين كأنهم متمنون أن يكون نعيمهم ملقى على شقاء غيرهم – هذا هو روح حياة الحروب ، أي ان الحروب الجهنمية التي توقدها تلك المطامع الجنونية لا موجب لها ما دامت أسباب الرزق ووسائل التمتع والمسرة ميسورة لكل فرد وقوم وأمة وشعب وجنس

فمسألة سلم العالم هي مسألة قناعة بكل ما يحتاج اليه الجسد وترغب فيه النفس من التمتع ، واقتناع العقل بأن الطبيعة غنية جداً بهذه الحاجات

مرضان اجتماعيان

ولكن الظاهر أن طبيعة البشر مصابة بمرضين : الأول مرض المطامع غير المحدودة ، والثاني خطل العقل الاجتماعي (أو قصوره) الذي لا يدرك حتى الآن أن في الطبيعة من الخير ما يقضي كل حاجة في النفس من التمتع مهما تضاعف عدد سكان المعمور . ولا يمكن أن يزيد عدد سكان المعمور على ما تستطيع الطبيعة أن تمنحهم من الخير . لأن في الطبيعة سياسة كافلة حفظ التوازن بين ناسها وخيرها . وهذه السنة تعمل عملها من غير أن يجهد الانسان نفسه لتدارك خلل التوازن . فاذا قلق الانسان لتحوطه من هذا الخلل فحسبه هذه السنة

والى اليوم لا نرى دليلا ساطعا على أن السلالة البشرية شرعت تتعافى من هذين المرضين بل بالضد نرى المرضين يزدادان خطورة وخطراً . فقد كنا نظن ، وكان الساسة يقولون إن الحرب الأخيرة المنقضية « الكبرى » ستكون آخر الحروب والقاضية على كل أسباب الحروب . ولكن الحوادث التي تلتها الى اليوم أثبتت عكس ذلك الظن والقول . والقارىء يعلم حق العلم ان

فالمشاكل الدولية تتفاقم يوما بعد يوم ، والسلم يزداد تقلقلا ، وجمعية الأمم التي كانت قبلة صلاة الأمم لأجل السلام ورجاؤها في الحرص على الأمن ، تهن وتضعف كلما طرأت عليها قضية دولية حتى تكاد تصبح خيالا لا ظل له . والدول تتنافس في التسلح وعدده والتوسع في الاستعدادات الحربية تنافسا لم يسبق له مثيل ، حتى يخيل لك أن جميع رجالها صاروا شاكي السلاح يترقبون صوت نفير الحرب الهجوم ، وأن جميع الممالك أمست ميادين حروب . وبروق المفاوضات الدولية تنذر برعود حرب تمطر سحاب العمران وابلا من نيران جهنمية يحترق فيها كل ذي حياة ، وأدوات الحرب المستحدثة تمثل لنا دولة الأبالسة طاغية على ملكوت الانسان بكل ما في قدرة إبليس الشر من عوامل التدمير والابادة . ولذلك ترى شعوب الارض ترتعد فرقا من نذر الهلاك والفناء

زد على كل ما تقدم ان قادة الأمم وقواد الجيوش متخلقون بأخلاق حربية شر من أخلاق أهل الجحيم ، يستحلون أن يستخدموا جميع قوى نظم العمل في معامل معدات القتال وينفقوا نتاج عمالهم وثروات بلادهم في صنع السفن والطيارات والأسلحة والذخائر وفي بناء الاستحكامات العسكرية والحصون والانفاق في اعمال حربية مدهشة ! وكذلك يستحلون اتخاذ كل وسيلة شريرة لابادة الاعداء جنوداً ومحاربين وأناسا آمنين في مواطنهم ، حتى اذا حم القضاء أبيد جميع الانام عن آخرهم بحيث لا تبقى على الأرض من يكون له وجوداً !

اذا شبت الحرب رأيت في الجو أسراب الطيارات كالجراد تحجب عن الارض السماء . تمطر القنابل والمفرقعات وتنفث الغازات السامة . واذا تحرج الأمر فلا يتورع مثيرو الحرب أن يسموا في مياه الخصوم الجراثيم المرضية الخبيثة كجراثيم الكوليرا التي يكاد يستحيل اتقاؤها وعلاجها

أما أن هذه الحرب الخبيثة التي تكاد تقرض العمران قد أصبحت على قاب قوسين أو أدنى من كل يوم لنا من أنباء الصحف البرقية نذير بها . وحين كتابة هذا المقال نشر في نمسا مرسوم بأنه يجب أن يظل جميع ضباط القوات المسلحة سواء أكانوا متقاعدين أو غير متقاعدين رهن الخدمة العسكرية الاجبارية غير المحدودة ، ومثل هذا المرسوم يصدر كل يوم في دولة من الدول

وقرأت أيضا أن المستر لانسبوري أشار في مجلس نواب انكلترا الى اختباراته الشخصية في أثناء زيارته لأوروبا فقال : « لم أستطع إلا أن أسائل نفسي قائلا : ألم يصب العالم كله بالجنون ؟ ها هي بلاد في قلب أوروبا عادت الى أغلالها وتأسست من جديد ، ومع ذلك ترى حكومتها مع كل جهودها في اصلاح حالها انه ليس أمامها إلا التسلح والاستعداد للحرب التي ينتظر وقوعها »

المصير الى الحرب وبعدها

فاذا تيقنت أنه لا شرف ولا دين ولا ضمير ولا عاطفة انسانية تكف قادة الامم عن ارتكاب هذه الشرور الجهنمية ، فمتى شبت الحرب وصح حسبان قادة الامم وقواد الجيوش ، فلا يتورع

هؤلاء عن أن يرسلوا الى عدوه أعدائهم أسراب الطيارات لكي تمطر البلاد جنوداً وعيون جنود وابل الدمار ، لأن الطيارات سلاح هجوم لا سلاح دفاع . والمثل السائر : « النصرة لمن سبق »

واذا تصورت الأمم جمعاء مشتبكة في حرب عامة فلا تستطيع أن تتصور نصراً لواحدة وكسراً لأخرى ، لأن وسائل الدمار لا تتعطل قبل أن يهلك الجانبان المتقاتلان . فالحرب لا تنتهي بإنفاق آخر دينار ، ولا النصر لمن يبقى معه آخر دينار كما قال نابوليون ، بل تنتهي بهلاك آخر انسان

ترى هل هذا ممكن ؟ اذا كانت مقدمات الأزمة صحيحة فهذه النتيجة ممكنة جداً . واذا لم تنتزع الامم من الزمن القريب قدر الامكان آدابها ويرجع زمام الأمر من أيدي الساسة ورجال الحرب ويسلم لأيدي أهل العلم والنصيحة فالخطر على سلام العالم أكيد . هب أن القضاء نزل وشاء الله أن يطهر الارض من أرجاس الانسان فماذا يكون مصير المدنية الحالية ؟

قد ينقضي جيل أو أكثر وبد التدمير تعمل في بني الانسان وفي عمرانهم . وفي تلك الاثناء يشبح هلاك الانسانية وجهه أو يولي ظهره مدحوراً — فلا علم ولا ثقافة ولا تفكير . أهل العلم والفن والفلسفة والتفكير يهلكون في ذلك الجحيم مع من هلك ، وقد لا يبقى إلا حثالة الناس الذين فروا الى البراري والقفار حيث قد لا تصل اليهم يد الفناء . وهكذا تنقطع الصلة بين القديم والحديث وتنتهي سلسلة المدنية المنصرمة . وتبتدىء بقية الجنس البشري حياة اجتماعية جديدة قد لا تختلف عن حياة أناس ما قبل التاريخ

تندرس المدنية التي نعتز بها الآن ولا يبقى منها إلا آثارها . ولكن أية آثار ؟ — حطام أدوات وآلات وعدد لا يفهم منها خلفاء صاحبها شيئاً . ينسى هؤلاء الخلفاء الى رزقهم عما يعنيه هم الزرع والضرع . وكلما تقادم العهد عفت تلك الآثار لأنها سريعة البلى ، وآلت أخبارها الى أساطير وخرافات

فاذا عاد الانسان الجديد يرقى في سلم حضارته ومدنيته فلا يفهم من بقايا المدنية المضمحلة شيئاً كما نفهم نحن من آثار مدنيات مصر وبابل وغيرها لأن مدنيتنا محفوظة في أوراق سريعة البلى ومدنيتهم منقوشة في صخورهم ومنحوتاتهم ومصوغاتهم . وبقايا مدنيتنا في حطام لا يسهل فهمها لما فيها من التركيب والتعقيد ولما يعتورها من سرعة التفكك والتفتت فضلاً عما خفي فيها من أسرار كأسرار الكهرباء . وأما بقايا فنون أولئك الأسلاف فمحفوظة في المنحوتات المصمتة كما قلنا آنفاً

فقد ينقضي عصر طويل جداً قبل أن يستعيد أولئك الخلفاء معالم مدنيتنا الحاضرة . وقد لا تعود كما كانت بل يجب أن تعود في اشكال وطرائق أخرى . واما العلوم ولا سيما العقلية والتصورية فالله أعلم بعد أي دهر تعود . هذا ما نتحبه اذا كان الله يريد أن يطهر الجبلة البشرية من أرجاسها وشرورها بحرب كالتي نتوقعها

ان هذه المدنية الحالية التي نعتز بسموها وعظمتها لا تحمل في طيها روح خلودها بل بالعكس تحمل في صدرها عوامل فنائها

نقولا الحداد

خطورة المراهقة في حياة الشباب

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

دور المراهقة أخطر الأدوار التي يجتازها حياة الشباب ، وهذا المقال يلخص آراء بعض كبار علماء العصر في أثر المراهقة في حياة الشباب من النواحي الجسمية والعقلية والحسية والخلقية

المراهقة هي الحقبة من العمر التي تبدأ بزوال دور الطفولة ، أي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالنضج. أما البدء ، فيمكن تحديده على وجه التقريب ، وإن اختلف قليلا حسب الاقليم والبيئة وغير ذلك من العوامل ، وأما نهاية المراهقة فيصعب تحديدها ، ويمكن أن يقال اجمالا إنها قرب الخامسة والعشرين عند ما يكمل الجسد نموه التشريحي ، أي عند ما يصير الغضروف عظاما ، وبذلك يصل النمو الجسدي الى أكبر مراحله

والمراهقة هي أعقد أدوار الحياة ، والمشكلة التي لم تحل بعد . فإذا كانت الطفولة قد نالت درسا وبحثا وتمحيصا ، فلا تزال المراهقة قيد الجدل والمناقشة ، وليس ذلك بمستغرب في مرحلة من الحياة يتغير الناشىء فيها تغيرا تاما إذ يتبدل حسا وعقلا وخلقا ، وتأخذ الحالة الجسمية عنده في التطلع والاستعلام والاطلاع

وعلى ذلك يمكن الكلام عن المراهقة من نواح أربع : الجسمية والعقلية والحسية والخلقية ، ويمكن اعتبار النواحي الثلاث الأخيرة متصلة اتصالا وثيقا ، ويحسن الكلام عليها مرة واحدة

الناحية الجسمية

في الذكر ينمو الجسم نموا يتناول كل أعضائه ، وبخاصة أعضاؤه التناسلية ، وتنشط الغدد الصماء ويميل الصوت الى الخشونة ، ولا يتخلف عن ذلك النمو إلا المخ والغدد التي تغذيه . وكذلك تكثر الاكلة ، أو حب الشباب ، وعند بعض المراهقين يكون النمو الجسدي سريعا ، بحيث يصعب على القلب والأعضاء الاخرى الهامة أن تماشي ذلك النمو السريع ، فيصابون بفقر الدم أو خفقان القلب ، ونوع من الزلال يسمى زلال المراهقة . وفي بعض الأحيان ينمو الجسم نموا سريعا وتتخلف الحالة العقلية فيصاب المراهق بأدواء عصبية وعقلية خاصة بتلك السن . ومعنى كل ذلك ، أن على المربين والوالدين الى أن لا يرهقوا أولادهم في هذه الحقبة من العمر . وإن وجب أن يتعهدوهم بالعناية في الأكل والشرب والرياضة المعتدلة في الهواء الطلق

فى الأنثى – بينا يتجه النمو فى الذكر نحو الفتوة ، يتجه النمو فى الأنثى نحو الأمومة . ويجرى عليها ما يجرى على الذكر من نشاط الغدد الصماء ، وصحوة الغدد التناسلية . ويأخذ دم الحيض فى الظهور

فى هذا الطور يتطلع المراهق الى حقائق الجديدة ويأخذ فى التساؤل . فان كان قد تعود فى طفولته الهدوء لوالديه والثقة بهما ، توجه اليهما سائلا كعادته ومتوقعا النصح والارشاد . فعليهما أن يشرحا له هاته الأمور بلا مواربة ويفسرا للفتاة معنى الحيض وما يختص به ، كل ذلك فى جد واحترام حتى يشعرا أن يحترما بدورهما المسائل الجنسية ، لا أن ينظرا اليها نظرة قذرة مريبة

ويرى الباحثون ويقولون هل يجب أن يتهيأ الفتى والفتاة قبل البلوغ لما سيحدث لهما ، على رغم أن الحالة الجنسية فى ذلك الطور تكون نائمة ، فلا تكون لذلك الشرح ما قد يكون له من الأثر بعد البلوغ والحالة الجنسية منتبهة . ويمكن الاستعانة بالرسوم فى ذلك التفسير

ومن أراد الاستزادة من ذلك البيان فعليه بكتاب «العائلة» تأليف «سانت أوبين» – الفصل الخاص بالمراهقة – ففيه بيان دقيق وشرح واف لما يجب أن يقال وما يجب أن يحجب . وقد يلوح ما ذكرنا غريبا على من لا يألفه منا ، ولكن الآفة الكبرى تنقسم الى قسمين ، الأول الجهل وهو طامة كبرى ، والثانى العلم المشوه الناقص الذى يتلقاه الناشىء همسا وخفية عن أفواه تصنع له المسائل الجنسية فى قوالب مغرية خبيثة

الحالة العقلية وما يتبعها

يصير الناشىء أكثر جدا ورزانة ، ويبدو عليه طابع الحياء والتطلع والمسؤولية ويختلف عن الطفل بكون الطفل تعود أن ينقاد ، أما المراهق فمؤداه سؤال النقد الذى يكون رأيا وعقيدة ، وقصده من السؤال أن يناقش ويتحقق ولا يصدق طائعا ما كان يلقى اليه . والنقطة الثانية أن عقلية الناشىء متقلبة غير مستقرة ، وينقض غدا ما يقرره اليوم ، وهو سهل التأثر بالايحاء . وان كان يبدو على شىء من الصلابة ، يظهر غريبا وغير متوقع لدى الوالد الذى ألف من الطفل الطاعة والانقياد

والنقطة الثالثة ، أنه يغلب على هذه العقلية الخيال ، بل الأصح أن نقول الانفعال المقرون بالخيال . ويشرح ذلك « هافيلوك اليس » فى كتابه (رقصة الحياة) فى الفصل الذى عقده على فن التفكير اذ يقول :

ان العاطفة الجنسية تنصب فى المبدأ على « خيال حسى مثالى » يجمع فيه المراهق كل أحلامه وهواجسه وأمانيه . فهذا الخيال لا يلبث أن يتحول الى عاطفة فنية ، أساسها عاطفة الجمال والكمال ،

هي النواة التي يجدها في المستقبل من التفوق في العلوم والآداب والفنون ، ويزيد على ذلك «هافلوك إليس» — ويناصره «كيبرلنج» — أن العلم والفن والفلسفة أساسها ذلك الذوق الحسي الذي يتجمع في المراهق.

من هنا يتضح كيف يجب استغلال ذلك الخيال الرحب ، وتهذيبه وصقله ، والتسامي به حتى نخلق ما نشاء من النبوغ والاجادة.

ها نحن نتحدث عن العاطفة الكبرى : يقول «فرويد» ومريدوه الكثيرون أمثال «هورمان هير» و«بازيل هود» وغيرهما إن العاطفة الجنسية هي كل شيء ، وهي التي توجه الحياة وتسيطر عليها . وإنها في أول عهد الطفولة ، منصرفة الى نواح مبهمة أو شاذة جنسية كما يسميها «فرويد» منها الفم والشرج . ثم تأتي حقبة يسميها تستمر خاملة حتى البلوغ ، فإذا جاء البلوغ تنبهت الحواس الجنسية الخاصة بأعضاء التناسل تنبها قويا . ويختلف هذا التنبه باختلاف البيئة ، والوراثة ، والوسط ، والمناخ . فهناك الشخص البارد المزاج ، وهناك المعتدل ، وهناك العنيف العارم . يقول «فرويد» إن هذه الحاسة الجنسية يمكن تحويلها الى نواح علية ، ولا يضر كبتها ولا إطلاقها ولا الجهل بها . وما الشعر والموسيقى والعاطفات الا أمثلة من ذلك التسامي المنشود.

ويرد المعترضون قائلين : إن هذه العاطفة تبلغ بعض الأحيان حد الجنون ، وعن الأطباء عرف ونطلع نوعا من الجنون يدعى جنون المراهقة . فيعترف «الفرويديون» بذلك ويكونون واجمين.

ومن المحاولات الطريفة المشهورة رأي القاضي «لندسي» الأمريكي القائل (بزواج المعاشرة) وهو نوع من الزواج يبكر به على سبيل التجربة ويبيح به الحمل بالطرق الحديثة ، وقد استقال ذلك القاضي من منصبه بسبب الحملة التي قامت ضده من جراء ذلك الرأي الجريء الذي اقترحه حل مشكلة المراهقة.

يأتي الآن رأي «أدلر» ، وهو ينكر ما للعاطفة الجنسية من الأثر البالغ الذي يؤكده «فرويد» . وأما سيكولوجية «أدلر» فتقوم على ثلاثة أعمدة : حب التفوق ، والقصد ، ومركب النقص . وموجز هذه السيكولوجية ، أن الطفل يولد عاجزاً ذليلاً حتى أثناء الثالثة — وهو غض رأى نفسه — ثم بالتدريج يتكون رأيه وأهدافه وقصده في الحياة ، وبعد ذلك يشعر بموضع الضعف فيه ، ويحاول أن يعطيه بالتفوق . وما دام الأمر كذلك يجب أن يربى الطفل على حرية وثقة تساعدانه على التفوق وملء النقص . فإذا لم يكن قد اعتاد في طفولته الثقة بوالديه فليس من المحتمل أن يجد فيهما إرشادا أو معاونة في حالة المراهقة . ويجب على الأم والوالد بناء على ذلك أن يكونا صديقين له . وهو يتدرج من الطفولة الى المراهقة الى الشباب.

فأساس التربية على هذا المبدأ ، هو الأخوة الرشيدة الناصحة التي تأخذ بيد الناشيء في رفق

ولين وحذر . وبذلك يصدق القول المشهور « أدب ابنك سبعا ، وراقبه سبعا ، وآخه سبعا ، ثم ألق له الحبل على الغارب »

نأتي الآن الى المدرسة الثالثة وهي مدرسة المسلكيين ، فهم يقولون إن كل كلام عن النفس والعاطفة لا معنى له ، وانما هي أعصاب وأفعال منعكسة واستجابة آلية ، وعلى ذلك يمكننا ان نوجه الناشىء كما نشاء ، فنخلق منه الرياضي أو الفنان أو العالم أو العبقري ، أو ننحدر به الى المجرم أو اللص اذا شئنا .

ومما قرأت في لطائف السمر أن « جون ستيوارت ميل » العلامة المشهور كان والده يؤمن بذلك المبدأ قبل المدرسة المسلكية ، فكان يعلم أبناءه كما يشاء ، ويحشد في عقولهم ما يشاء ، فاذا صرح ابنه « جون » بمثابة أسماء الرياضة أخذ يناقشه في التاريخ والمنطق والفلسفة مناقشة صارمة ، والصبي لا يزال في دور المراهقة لم ينضج بعد ، على انه إذا جاز ذلك لعبقري جبار الذهن مثل « جون ستيوارت ميل » فلا يجوز مطلقا أن يطبق على العقول والنفسيات العادية

والخلاصة من ذلك انه يجب الاخذ بما ارتآه علماء التشريح والفسيولوجيا وعلم النفس الحديث . فأخذ من « فرويد » مبدأ التسامي ، ومن « ادلر » مبدأ الاخوة ، وننسى مدرسة المسلكيين لان آراءها غير مقبولة . ويجب أن نتعهد هذه الاجسام النامية بالرياضة في الهواء الطلق ، ونزحم العقول الآخذة في النضج ، فلا نرهقها بحشد العلوم فيها حشداً ، ولا ننسى الارشاد الجنسي ، فنشرح فسيولوجية التناسل وتشريحه ، ونتكلم عن أخطار العادات السرية والامراض التناسلية ونخص الفتاة بالكلام عن الأمومة والحمل

أما صحتي كطبيب ، فاني أوصي بالغذاء الجيد المكون من اللحوم والبيض واللبن ، لان الجسم في طور النمو في حاجة الى ما يساعد الأنسجة على البناء ، والمواد الزلالية ألزم الأطعمة لذلك

أما الرياضة فيجب أن تكون باعتدال وفي الهواء الطلق ، ولا بد من ساعات كافية للنوم لا تقل عن تسع ساعات في الليلة

وقد يحتاج الجسم النامي الى بعض المقويات كالحديد والجير والفسفور لبناء العظام

الآن نقطة أخيرة : في هذا الوقت من العمر يتجه التفكير الجنسي كاتجاهين : ناحية حب الجنس المماثل ، وناحية حب الجنس المخالف . ومن هنا أن نصرف المراهق عن الناحية الاولى ، ولا يكون ذلك الا باختلاط الجنسين في معاهد الدرس ، ففي ذلك تخفيف للكبت وتعويد على الألفة المتطرة وانصراف بالعاطفة الجنسية لغرضها المرتقب

ابراهيم ناجي

أيهما أذكى: الرجل أم المرأة ؟

بقلم الاستاذ محمد عبد القادر طبارة

> «... تختلف وظيفة المرأة في الحياة عن وظيفة الرجل فهي أقل منه ذكاء وأضعف جسداً وأسرع تأثراً . ومن طبعها أن تطل من جانب القلب وأن تنظر الى الأشياء بعين الاحساس . ورقي المجتمع الانساني يقوم على ذكاء الرجل وسكنى حيه وحيه ينبع من قلب المرأة ومن هنا كان تجددها..»

ان المرأة تتذوق أعلى الخير والجمال والحب والعدل في الانسانية ، وإن التحدث عن هذا التذوق الذي يشعل فيه السحر واللهفة والجلال يستغرق أبحاثا مطولة اذا أردنا أن ندرس نواحيه المختلفة . المرأة كالرجل تتألف الانسانية منهما مناصفة ، وتبقى الحياة ناقصة اذا تخلى أحدهما عن صاحبه . وسنقتصر الكلام عن الذكاء ، فهو الرقي الاجتماعي قوامه الذكاء ، ولا تنهض أمة من الأمم إلا اذا كان ذكاؤها عجباً من التهذيب ، كالانتاج الصناعي والزراعي لا يسلم من المزاحمة اذا كان نصيب المهارة مفتوحا

ان المباحث التي تهتم بالمقارنة بين ذكاء المرأة وذكاء الرجل بصورة علمية مؤيدة بالاحصاء ، حديثة العهد ويرجع تاريخها الى العلماء المعاصرين ، وليس للانسان ميزان كميزان الحرارة مثلا يقيس به الذكاء ، وقد أبدع علماء التربية منذ أواخر القرن التاسع عشر في اكتشاف معايير الذكاء لطلاب المدارس ، وما زالوا يحسنون في المقاييس والمعايير ، أما ذكاء الراشدين فقلما أثار اهتمامهم ، فما علينا والحالة هذه إلا أن نحول أنظارنا الى أعمال الرجل والمرأة فنمتحن ذكاء الجنسين في الحياة كي نرى أن الرجل يتفوق على المرأة ذكاء ، وان كانت هي بدورها تتفوق عليه احساسا

فلنشرع في وزن الدماغ فان الطفل الذكر عند الولادة يزن دماغه (٣٣٨) غراما ويزن دماغ الطفل الأنثى (٢٨٣) غراما ، فتكون النتيجة في جنب الرجل (٥٥) غراما زيادة عن المرأة منذ الولادة ، وهذا هو أحد فوارق الذكاء . واذا بلغ الرجل الخمسين من عمره كان وزن دماغه (١٣٣٤) غراما ووزن دماغ المرأة في هذه السن (١٢٢١) غراما فيكون الفرق (١١٣) غراما بجانب الرجل (الأرقام مأخوذة عن كتاب « أزمة المراهقة » العالم في التربية الدكتور مركش في جامعة الأرجنتين »

ونرى أيضاً التفوق الجسدي من جانب الرجل اذا قارنا بين قوة الرجل والمرأة كما يتبين من الاحصاء الكامل الذي قام به الاستاذ (كاتلت) بواسطة (الدينامومتر) باليدين معاً بعد أن امتحن عدداً كبيراً من الفتيان والفتيات

العمر	الفتى	الفتاة	العمر	الفتى	الفتاة
٦	١/٥	—	١٤	٤٧/٩	٣٣/٤
٧	١٤	—	١٥	٥٧/١	٣٥/٦
٨	١٧	١١/٨	١٦	٦٣/٩	٣٧/٧
٩	٢٠	١٥/٥	١٧	٧١	٤١
١٠	٢٦	١٦/٥	١٨	٧٦/٢	٤٣/٦
١١	٢٩	١٩/٥	١٩	٧٩/٤	٤٥
١٢	٣٣/٦	٢٣	٢٠	٨٤	٤٥
١٣	٣٩/٨	٢٦/٧			

ان قوى الرجل الجسدية تكاد تكون ضعف قوى المرأة في هذا الاحصاء ، فلا غرو اذا رأينا الرجل يسمو في العلوم والفنون سمواً تقصر عنه المرأة . فان العالم (ماتشكرا) لم يجد في قاموس أعلام العلماء أكثر من ٤ الى ٨ في المائة فقط من النساء . وان (بورنا) لم يجد في خمسين ألفاً من الاختراعات المختلفة سوى ستة فقط للنساء والبقية للرجال

ان هذه الاحصاءات لاتنفي مطلقاً مشاركة المرأة في العلوم والفنون والفوز بنصيبها من النجاح ، كما عرف عن سوفيا جرمان وسونيا كوفاليفسكي لاسيما هذه الأخيرة التي كانت تعد في طليعة العلماء في الرياضيات في القرن الثامن عشر ، كما تعتبر مدام كوري في مقدمة العلماء . غير أن سبع سيدات أو عشر سيدات لاتعد قياساً للعامة والحكم . إلا أن امراً استرعى اهتمام العلماء فقد وجدوا ان المرأة متوسطة الذكاء تتفوق على الرجل المتوسط ، وتقصر المرأة النابغة عن الرجل النابغة ، بدليل ان الاختراعات والاكتشافات هي من نتاج قرائح الرجال ، ولذلك لم تبلغ المرأة مطلقاً مستوى سقراط وافلاطون وارسطو وكنفشيوس ونيوتن وقيصر ولم يكن بينهن أنبياء ولا رسل ولا حكم وأبطال من طراز عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ومعاوية والمأمون والرشيد وغيرهم . أما البلادة فتكون في الطبقات العاملة بين الرجال أكثر منها بين النساء . وقد قام احصاء الحكومة البروسية عام ١٨٨٠ دليلاً على صحة هذه النظرية حيث وجدت ٩٨٠٩ أبله بينما كان عدد زميلاتهم ٧٨٢٧ بلهاء.

ان العائلة تهتم دائماً بتربية الأنوثة في البنت والرجولة في الفتى، ملائمة بين كيان كل منهما الطبيعي، وقد رأينا العالم يقفل أبواب المعاهد في وجه الفتيات حقبة طويلة من الزمن ، وكان الأهل يعدون

مصر في ادخالهن المدارس للتعلم . ولما أجازت لهن الأوضاع أن يدخلن في المدارس جنبت الجامعات لا تقبلهن طالبات فيها . وقد حدث أخيراً في عصرنا أن جلست الفتاة بجانب الشاب في الجامعة . وقد حرم أيضا عليها بعض العلوم كالطب مثلا ، ولم تحصل على قدم المساواة مع الشاب إلا منذ أمد قصير حيث أجيز لها أن تختار الفرع الذي تحبه . فهذا الحرمان الذي نال المرأة من المدارس والجامعات لا يوهمنا مطلقا انه السبب في التفاوت بين ذكاء الرجل والمرأة ، انما هذا التفاوت كامن في طبيعة المرأة نفسها التي أعدتها الطبيعة للأمومة في الدرجة الاولى وجعلت ميدان كمالها غير ميدانه . ان المرأة اذا درست علما من العلوم التي تتطلب الاجهاد كالرياضيات مثلا لا تتقدم كالرجل الذي يتحمل الاجهاد ، وقد قالت السيدة طومسون عن نفسها إنها لا تشعر بلذة في أية عملية رياضية رغم اشتغالها بهذا الفرع . ومما يدعو بك الى التصديق أن السيدة حبا ومرورو قد تعلمت الطب ومارسته ، وقالت عن نفسها إن الاهتمام لا يبدو على محياها ولا تظهر أمارات التأثر على وجهها عندما يصف لها المريض مرضه بل عندما يكشف لها عن شعائه وتعتنه وما يعانيه من ألوان العذاب في الحياة . وان أكثر ما يدعونا الى الاستغراب ما نعرفه عن العالمة كوفلوسكي من أنها في السنة التي أرادت أن تتقدم لنيل الجائزة في الرياضيات أخذت تنصرف الى أشغال الابرة ، فكانت وصيفتها تعمل بكل ما لديها من حجة واقناع لتصرفها عن هذه الأشغال الى متابعة دراستها العلمية

ان فريقا من العلماء أمثال (كريكوف) في كتابه « المرأة في الجامعة » الذي صدر عام ١٨٩٧ وبعضاً من محرري المجلات العلمية (كالجلة) عام ١٩٠٣ قاموا بدراسة عميقة للفتيات في الجامعات فأسفرت مباحثهم القيمة عن أن الفتاة وان كانت تنال النجاح في الامتحان وتبرهن على الاجتهاد غير أن الابداع ينقصها . وان العالم الهولاندي (هيانس) قام باختبار في عام ١٩٠٩ أجراه على طلاب الجامعة في موطنه البالغ عددهم ٤٣٤٣ طالبا بينهم ٦٥٦ طالبة بمختلف فروع الجامعة ، فظهر له بعد التدقيق والبحث الشاق أن الفتيات كن متفوقات بعامل الواجب الى الدرس فيتفوقن تفوقا حسنا . غير أن التفوق الأول كان من حظ الطالب ، وقد علل ذلك تعليلا فلسفيا مطولا في كتابه القيم (المرأة وعلم النفس)

ان الناس اذا نسبوا الذكاء للمرأة فلا يقوم زعمهم على أساس ثابت ، فقد شاهدوا كما نشاهد نحن في المدارس الابتدائية ان الفتيات يتفوقن بالذكاء فيها ، فقالوا ان الفتاة أكثر ذكاء من الفتى ، ولو كان لهم شيء من المعرفة العلمية لعلموا أن الفتاة أسرع بلوغا من الفتى ، حيث يتم البلوغ عند الفتيات في الثالثة والرابعة عشرة لا يتم عند الفتيان إلا ما بين الخامسة والسادسة عشرة في رأي بعض العلماء ، ومنهم من يقدم أو يؤخر عاما ، إلا أن كلمتهم أجمعت على ان البلوغ في الفتيات أسبق ، وفي هذا الطور وقبله تنمو الفتاة حسا وعقلا وفيهما ينتج ذلك طبيعة الطفل اجتهاداً وتفوقاً . ولئن تفوق المرأة على الرجل لان من طبيعة المرأة ان (تغفل) من جانب (العقل) وأن تنظر الى الأشياء

معين (الاحساس) ولا يمكن أن تساويه دقة ، ووظيفتها في الحياة تختلف عن وظيفته فإن الامومة تفصل بينهما وان كانت الوظيفتان تتحدان في الأهداف . فتفكير المرأة وشعورها واحساسها ومثلها الأعلى خاضع لهذه الامومة التي تحفظ الجنس البشري . فالمرأة لا تنظر الى العالم إلا بقلب الامومة التي أودعه الخالق في صدرها حالا حساسا يحس بلا وعطفا ، ولا تحمل نفسها على (التفلسف) إلا نادرا ، ولا يتجه نظرها إلا الى ما في العالم من جمال وعدل وحق وما فيه من شقاء وأنين وصراع . ولذلك رأينا الفتاة كالفراشة تحوم حول أبيها وأخيها وزوجها ووليدها ، لأن الاكتراث من أجمل صفاتها ولأن قلبها يجب أن يستوعب كل ما في العالم من ألم ولذة

ان العلوم والفنون تثير اهتمام الرجل حتى الذين لم ينالوا إلا نصيبا ضئيلا من الثقافة ، ومن منا لم يلاحظ الحلقات التي يعقدها القرويون ولم تطرق اسماعه المباحث التي يتداولونها كالبحث في الله والدين والسياسة والعلوم ؟ من منا لم يسمعهم يتناقشون في هذه الموضوعات التي تشغل أدمغة العلماء ، ولم ينتبه الى أن في طبيعة الرجل استعدادا للبحث وأهلية للاكتشاف ؟ أما المرأة فتسرح نظرها الى السماء تلتمس الالهام والاسترسال في الأحلام اللذيذة ، ويمكن لاصحاب الجرائد والمجلات — لاسيما العلمية والأدبية منها — أن يقفوا على استعداد المرأة اذا قاموا باحصاء المشتركين والمشتركات تأكيداً لكلام كرولوسكي التي تعد من أكبر علماء الرياضيات عندما كتبت في مذكراتها ما يلي : « ان العمل العلمي والابداع الفني لا قيمة لهما لانهما لا يزيدان في الرفاهية ولا يدفعان الانسانية الى التقدم ، وانه من الجنون أن تضحي شابة في الدرس ، وانه من الحماقة بنوع خاص للمرأة ان تكون لها ملكة تدفعها الى اجراء الاعمال التي لا يمكن أن تجد فيها السعادة المنشودة » .

ان السيدة جينا لومبروزو في كتابها القيم (روح المرأة) تقول ما معناه « انها درست الطب لأن حديث الطب كان يكثر في بيتها ، وقد كان أبوها العالم يهيم بكل ما وهب الله من ذكاء بهذا الفن ولما مات أبوها انعدم حب الطب في نفسها » ، ثم أردفت قائلة : إننا إذا رأينا كثيرا من النساء يهتممن بالأمور السياسية فما ذلك الا لأنهن زوجات أو بنات الملوك وأمراء ووزراء ونواب وغيرهم

الا نعرف جيدا أن النساء يهمن بالفن والموسيقى وأن سواد النساء يعرفن أكثر من نوع من أنواع الموسيقى ، أما ترقية الفن والموسيقى فإن الرجل وحده هو الذي يعمل لها وهو الذي ابتدع الألحان واخترع آلات الموسيقى ، وريشته لا ريشة المرأة هي التي خلفت لنا أجمل ما في العالم من رسوم ، وذكاؤه أنتج أجمل الروائع الفنية

وأغرب من هذا أن ذكاء الرجل يتفوق على ذكاء المرأة حتى في الأمور التي خصتها بها الطبيعة كالطهي والخياطة ، فإن مهرة الطهاة والخياطين هم من الرجال لا من النساء ، لأن التفوق في كل أمر من أمور الحياة يتطلب ذكاء كذكاء الرجل . أما ميزة المرأة فهي أن الطبيعة التي أعدتها للأمومة جهزتها في الوقت نفسه بالوسائل الخلقية لتأمين حياة العائلة ، فغرست فيها ملكة الحمية

ومكنتها من أن تخيط أثواب وليسها بدون أن تتعلم الخياطة وأن تعد الطعام بدون أن تدرس الطهي ، ولكنها تبق قاصرة عن مجاراة الرجل في مضمار التفوق . بدليل أن الثورة الفرنسية لما طردت الطبقة الارستقراطية من فرنسا استطاع نساء هذه الطبقة في الخارج كسب عيشهن بالأعمال اليدوية ، أما الرجال فنهم العجز مستوليا عليهم يتضورون جوعا ، وهذا ما شاهدنا كذلك يحصل مثله في الطبقة الارستوقراطية التي طردتها الشيوعية من تركيا في كفاحها الحديث ، وهذا ما نسمعه حينا بعد آخر عن الطبقات الارستوقراطية في العالم التي شردت من أوطانها في الآفاق ، فكم قرأنا في الصحف أن أميراً مات جوعا في كوخ حقير ، وقلما عرف للمرأة مثل هذا المصير لأنها تحتال على الحياة وهي بطبيعتها أقرب الى التكيف من الرجل

وبعض أرباب الفكر يرجح أن المرأة لا الرجل في الجماعات الأولية هي التي استنبطت وابتدعت أهم ما يحتاجه الناس ، بينما كان الانسان الأول — وأعني به الرجل — يرتاد البراري والقفار والصحارى للقنص والصيد ، فان المرأة التي أعدتها الطبيعة للأمومة وحفتها بالأمومة هي التي كانت تقوم بوظيفة الطهي وصنع الخيام وخياطة الاثواب ، وهي أول من فكر في أن يغرس النبات والزهور قرب المنزل ، وهي التي ربت المواشي ، وهي أول من عرف أن حليب البقر أو الغنم يقوم مقام حليب ثديها في تغذية الوليد ، وهي أول من غزل الاصواف وعمل السلال لحفظ الغلال ، وهي التي عرفت الحشائش الطبية ، وهي التي ربت دودة الحرير للانتفاع منها . أجل من أرباب الفكر من يرجح — ولا يستطيع طبيعة الحال أن يثبت — أن المرأة في الجماعات الاولى هي التي استنبطت هذه الاشياء وابتدعتها ، كما قادتها وسيرتها فطرتها الساذجة دون أن تستعين بذكائها ، فجاء الرجل واستثمر عفوا ما صنعته المرأة فطريا . لأن قوام رقي المجتمع الانساني يقوم على ذكاء الرجل كما يقوم خيره وبله في قلب المرأة

م. عبد القادر طبارة

مدير دار الأيتام الاسلامية بيروت

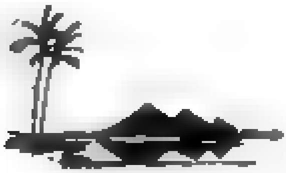

إصْلاح الهجاء العربي

طريقة جديدة لرسم الكلمات العربية

قال قاسم أمين : « في اللغات الأجنبية يقرأ الإنسان ليفهم ، أما في اللغة العربية فيجب أن يفهم الإنسان ليقرأ » . وذلك بسبب إهمال الحركات وغموضه ، مما يؤدي إلى صعوبة الثقافة العامة وقصورها . كإجابة لما اقتضته من حاضرة ... وزير المعارف الدكتور بهي الدين بركات باشا . ومما يجدر ذكره أن التفكير في إصلاحه بوسيلة كهذه التي يقترحها الدكتور أبو ... في مقاله التالي ، والتي ينشرها « الهلال » لقرائه ليبدوا رأيهم فيها

تمهيد للدكتور بهي الدين بركات باشا

يعرف الولد الأجنبي للكلمة الواحدة طريقة واحدة للنطق ، فهو بمجرد وقوع بصره على كلمة يعرف معناها ، فكأنه ينطقها ليفهم مدلولها

على أننا قد نجد بعض الكلمات (المتشابهة في نطقها) ترسم بطريقتين مختلفتين وأحيانا بثلاث طرق أو أربع تبعاً لما تحويه من المعنى ، فكأنهم حرصوا على أن تكون لغة الكتابة أدق في مدلولها وأقرب في فهمها من لغة المشافهة ، مثال ذلك mère بمعنى أم و mères بمعنى أمهات و mer بمعنى بحر و mers بمعنى بحور أو ami بمعنى صديق و amie بمعنى صديقة و amis بمعنى أصدقاء و amies بمعنى صديقات ، وغير ذلك من الألفاظ التي تكتب على عدة أشكال تبعاً لمدلولاتها المختلفة

أما في اللغة العربية فإننا نكلف الطفل مجهوداً فوق طاقته لأننا نضع أمامه طلاسم ونطالبه بكشف معناها . فإذا وجد الطفل أمامه لفظ (ع ل م) مثلا حار في أمره هل كانت عَلَم او عِلْم او عُلِمَ او عَلِمَ او عَلَّمَ وإذا وجد لفظ (ان) حار في قراءتها أنَّ او أنْ او إنْ او إنَّ وإذا وجد لفظ (م ص ر) حار هل هي مِصْرُ او مُصِرٌّ او مَصَرَّ أو غير ذلك من كلمات وأوزان قد لا يكون لها وجود في اللغة

نشأ عن ذلك أننا لا نجد — حتى بين من تعمقوا في اللغة وفي الاصطلاح — من لا يخطئ في ضبط الكلمات لأن طريق الضبط وعر ، يحتاج إلى أبحاث ومجهودات قل من يستطيع التفرغ لها أو الوصول إليها

كما نتج عن ذلك — وهو الأهم في نظري — أن الطفل الأجنبي إذا ما بدأ القراءة والكتابة كان ذلك مدعاة لتنمية قوة ملاحظته ، وتوسيع ملكة الإدراك عنده ، وتعلمه كل يوم شيئاً جديداً ، لأنه يستطيع في وقت قصير أن يقرأ ، فكلما وقع نظره على كتابة سواء كان ذلك في الطريق أو في المدرسة أو في الإعلانات أو في جريدة صغيرة ، استطاع أن يدرك معناها وأن يزيد في معلوماته عن طريقها

أما عندنا فإن الطفل لا يستطيع ذلك لأنه يحتاج لشارح يلازمه من الخبرة من يستطيع أن يرشده إلى طريقة قراءة الكلمة ، وغني عن البيان ما يستتبع ذلك من تعسير على الطفل فلا يختار النطق بالكلمة طريقا دون

تمر . وهكذا من الشقاء الذى يحمل الطفل عندما يريد القراءة لأنها لا تعينه بل تراعيه فى أن يكون صحيحا ليقرأ

ولذلك أيضا تجد جميع الاشخاص الذين لا يسمح لهم الظروف بالاستمرار فى المدرسة لا يستطيعون أن ينموا معلوماتهم بالقراءة إلا بمجهود شاق لا يتيسر إلا للأفراد النبهاء . هذا فى الأمة ، وأما باقى الشعب ، فلا يستطيع الاستفادة من تعلم القراءة والكتابة لأن ما حوله لا يشجعه عليه من غير أن يسمح مداركه لما فى ذلك من مجهود لا يطيقه

وهذا بخلاف الفرنسى مثلا فإنه يستفيد ويتسع معلوماته حتى من غير قصد ، دون أن يشعر بالمجهود الذى يبذله لأنه يكاد يكون ميكانيكيا وطبيعيا

ولقد كان من نتائج ذلك أن الواحد منا لا يستطيع أن يعبر الفكرة أو أن يضبط ألفاظها إلا إذا عرفت من طريق السماع . أما تعلم القراءة فلا يمكن أن يكون إلا إذا وجد اللفظ مشكولا ، ولو أن عرف جميع قواعد النحو والصرف واستذكرها وحفظها بالاستمرار ، وجعلها فى حلة الأوزان التى توجد لها قواعد فى الكتب دون جميع الألفاظ غير القياسية التى تكون السنة فيها على السماع وحده

ولقد تقترح لمعالجة تلك الحال على ما أعلم طريقان : الأول هو الشكل . وهو طريق عسير على أنه شئ فى الكتابة جدا ، ولأن الشكل أدق من الحروف المختلفة فهو أيضا متعب للبصر وليس من المستطاع تيسيره تيسيرا . أما الطريق الثانى ، فهو الاستعاضة عن الشكل بحروف العلة ، وهو طريق ترد عليه اعتراضات عدة . ولست مقصودى من هذه الكلمة أن أشير بطريقة منه مثل شأن الفنيين ، وإنما الذى أريد الإشارة إليه والمطالبة به هو وجوب الأخذ فى الإصلاح ، وهو عبء يقع على عاتق الحكومة المصرية ووزارة المعارف والمجمع اللغوى بصفة خاصة ، وعلى العلماء بصفة عامة . فعلى الحكومة أن تقرر القدر ثم تشكل اللجان وتعد المسابقات للوصول إلى أحسن الطرق التى يمكن اختيارها لتنفيذه ، لا عن طريق الثورة ، فكتابتنا يجب أن تظل عربية وشكلها يجب أن تكيف بما يلائم مقتضيات روح العصر

وليست صعوبة الشكل أو النطق الصحيح هى وحدها التى يقوم عليها الاعتراض فى الكتابة العربية بل إن الهمزة أيضا وطرق رسمها من المسائل المعقدة التى يبذل تلاميذ المدارس مجهودا شاقا فى فهمها وحفظ قواعدها ومع ذلك فكثيرا ما يقع الخطأ فيها حتى من جانب من لا ينتظر أن يقع فيه . والدليل على ذلك هو أن وزارة المعارف احتفل بعيد المدرسة الخديوية الثانوى ووزع على طلبتها الحاليين استمارات كتب فيها لفظ « عنونها » خطأ إذ رسمها على (الف) بدل الواو ! أليس ذلك دليلا على أنه لا سبيل إلى تعميم قواعد رسم الكلمات لما فيها من تعقيد ومجهود شاق ؟

أو ليس من المعقول أن يتغير رسم الهمزة حسب شكلها ، فإن كانت مكسورة رسمت على ياء ، أو مضمومة رسمت على واو ، أو مفتوحة رسمت على ألف . وبذلك نحل صعوبتين فى وقت واحد : صعوبة الشكل وصعوبة الرسم ؟

هذه نقطة جديرة أوجه إليها النظر ، وقد يقال إن ذلك قد لا يتفق تماما مع وجهة النظر الدينية لارتباطها برسم المصحف الشريف . ولكن هذا الاعتراض مردود

أولا — لأن رسم الكلمات فى تطور مستمر ، حتى ذلك فى المصحف والرسائل الموجودة بدار الكتب والتى يرجع تاريخها إلى القرن الأول وتكاد من الهمزة تكون خالية من النقط خلوا تاما

المصحف مثلا من غير نقط أصلا . فتصور صعوبة تلك الآية :

« وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » . وتصور قراءة هذه الآية من غير نقط أصلا ومن غير وجود همزة بها . وأول ذلك فإن لفظ الباطل والظالمين وخسارا يكتب فى جميعها من غير ألف

وكما نلاحظ ذلك في مصحف عثمان فإننا نلاحظه أيضاً في الرسائل التي كتبت في ذلك العهد . فتحيل لفظ حبيب او حبيب او حيث او حبس او حبيب ، الى غير ذلك من الالفاظ غير المتشابهة في النطق ولا في معناها . بل من الخلط ما لا يكون لها وجود في اللغة . ثم تطور النسخ الكوفي والنسخي الى الخط الذي كتبناها باتباع النقط حتى صرنا لا نتصور كتابة تخلو منه . فكما خطا أسلافنا تلك الخطوة المباركة ، كذلك يجب علينا أن نخطو خطواتهم لترقية حتى تكون القراءة سبيل الفهم والاستنارة

ثانياً ـ أننا في يومنا هذا لا نجد في كتابتنا العادية رسم المصحف الشريف . فكثير من الكلمات ترسم غير الرسم الحروف في المصحف . إذ ليس فينا اليوم من يكتب الصلاة والزكاة بالواو . ولا من يرسم صراطاً أو القرآن او الحاكم بالياء ، ولا من يزيد الالف قبل الهمزة في مئة او ملئهم (ملائه او ملائهم) ولا من يصيب ياء بعد ما في كتابة (من نبأى المرسلين) ولا من يحذف الفا بعد امرؤ في (ان امرؤا هلك)

ورسم الكلمات يجب ان يتطور ليتفق مع الروح التي تسود العالم اليوم من ضرورة التبسيط والتسهيل . فبذلك وحده نستطيع مجاراة الامم فيما وصلت اليه من التقدم ، ونصرف جهودنا ومجهوداتنا فيما يجدي من العلوم والفنون التي تقوم عليها المدنية في العصر الحاضر ، بل هذا وحده هو سبيل الديمقراطية ، حتى لا تكون الاستفادة من المعرفة وقفا على طبقة الاغنياء وحدهم

● ● ●

يعلم الذين لا يعرفون سوى لغة أجنبية أن تعلم اللغة العربية أمر شاق مجهد ، وأن قراءتها صحيحة غير ملحونة مطلب عسير ، لا ينال إلا بالسليقة السليمة ، أو بالتمكن من علوم الصرف والنحو وما اليها تمكنا كاملا . فأما السليقة فليس منا من يستطيع ادعاءها اليوم ، علمنا كلنا عربا خلصا ، ومن كانوا كذلك فقد فشا اللحن فيهم بعد اختلاطهم بالأمم المجاورة . أما اتقان علوم الصرف والنحو واللغة والرسوخ فيها جميعا ، فلا يتيسر إلا للقلائل المتوفرين على دراستها أعواما تلو أعوام . ولا يخفى أن الغاية من تعلم القراءة هو أن يتمكن المرء من المطالعة لتوسيع ثقافته وزيادة معارفه ، لا أن يقضي شطراً كبيراً من حياته في البحث والدرس والتنقيب كي يتمكن بعد هذا كله من ان يقرأ صحيحا

والراغب في تعلم القراءة العربية الآن ، سواء كان عربيا أم أعجميا ، لا بد أن يقضي عدة سنين طويلة في تعلم ضبط الكلمات التي لم تمر عليه ، بالرجوع الى معاجم اللغة واستظهارها ، ولا بد أن ينتبه دائما الى اعراب أواخرها وفق ما يعرفه من قواعد الصرف والنحو . ومع ما يبذله في هذا من الجهد والمشقة ، فقد لا يسلم من الخطأ عندما تصادفه كلمة لم يثبتها القاموس ، كأن كانت اسما اجنبيا مكتوبا بالحروف العربية

ولعل هذه الصعوبة كانت من جملة الأسباب التي حملت بعض الأمم الاسلامية على أن تستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، التي تسهل قراءتها على الوجه الصحيح

ولم تخف صعوبة الهجاء العربي على أبناء اللغة العربية قديما ، فقد أمر الحجاج بوضع التنقيط الذي كان مهملا حتى عصره ، فكانت الحروف ذات الرسم الواحد ـ مثل الباء والتاء والثاء والنون ـ متشابهة مختلطة ، والتعرف على تمييزها بعضها من بعض على ذكاء القارىء وفطنته الى

القرآن بل كان التنقيط حينئذ يعد عيباً، إذ يشير الى قصر القارئ، وقصوره. ثم جاء الوزير ابن مقلة فاستصعب كتابة الخط الكوفي، فحوره الى الخط الذي نعرفه الآن. كما أنه وضع الفتحة والضمة والكسرة وغيرها من الحركات والاشارات بقصد ضبط اللفظ والاعراب. ولكن تلك صعوبة النطق الصحيح قائمة حتى اليوم، مما حمل كثيراً من المفكرين على نقدها وعلاجها، ولا سيما بعد أن استبدل الكماليون الحروف العربية بالحروف اللاتينية

فمنهم من رأى أن تضاف الى الأبجدية العربية حروف صوتية يمكن معها لفظ الحروف صحيحة دون الاستعانة بحركات أو إشارات. ونشرت الهلال منذ سنوات مقالا عرض فيه كاتبه عدة آراء في إصلاح الحروف العربية، كان أحدها أن تعتبر نصف الألف فتحة، ونصف الياء كسرة، ونصف الواو ضمة، وذلك بوضع خط مائل فوق هذه الحروف. ولكن لا شك في صعوبة هذه الطريقة، إذ فضلا عن كتابة حرف جديد، يكتب خطا هو بمثابة «الحركة». وقد اطلعت على مقال عنوانه «حروف أديب»، ذكر صاحبه أنه أوجد حروفا عربية منفصلة كالحروف اللاتينية، وأضاف اليها حروفا صوتية تغني عن الحركات وتدخل في صميم الكلمة، فتضبط نطقها ولا تدع مجالا للخطأ فيها. ولكني لم أعثر على رسم هذه الحروف فأبدي رأيي فيها. وقد كتب الدكتور «شوكة الشطي» منذ أشهر مقالا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، يقرظ فيه رسالة كتبها الأب «انستاس الكرملي» ثبت فيها حاجتنا الى حروف صوتية تدخل في صلب الكلمة العربية، فتجعل نطقها سهلا صحيحا، دون حاجة الى وضع الحركات، أو الى دراسة علوم اللغة وقواعد الاعراب

ويظهر من هذا أن مسألة اصلاح الحروف العربية تشغل أفكار الكثيرين، رغبة منهم في تبسيط دراستها، وتيسير سبل تحصيلها. ولا شك أنه لا يقصد من اصلاح الهجاء العربي وتغيير رسم كلماته، أن يستغنى عن علوم اللغة وقواعدها لأن قراءة الكلمة صحيحة الاعراب شيء، ومعرفة سبب رفعها أو نصبها شيء آخر. فالقصد أن يقرأ كل انسان قراءة صحيحة مهما كانت درجة علمه باللغة، وبذلك تقرب لغة التكلم من لغة الكتابة، وترقى درجة الثقافة العامة

واني على اليقين أن إدخال أي تعديل أو تحوير على الحروف العربية يقابل من كثيرين بالاعراض أو الاستنكار، محافظة على التقاليد واتباعا لسنة الاسلاف، ولا سيما أن هذه هي حروف المصحف الشريف التي حافظ فيه على املاء الصحابة، «تبركا» كما يقول ابن خلدون. ولكني اعتقد أنه يمكن التغلب على هذه الصعوبة باحدى طريقتين

__أولاً: الطريقة المحافظة__ وهي أن نحافظ على الشكل الحالي المقبول من كل الأمم العربية، على أن نضبط لفظ الكلمات بالفتحة والضمة والكسرة والسكون ضبطا كاملا، وأن نبدأ بطبع كتب المدارس في جميع مراحلها بهذا الشكل الكامل. وبذلك يسهل

القراءة الصحيحة بالمدارس حتى لتلاميذها المبتدئين ، فلا يمضي زمن طويل حتى تصير اللغة الفصحى هي لغة المدارس التي يتكلم بها المعلم والتلميذ

وإذا طبعت الجرائد والمجلات مشكولة كذلك ، استطاع قراؤها جميعا – مهما كانت درجة علمهم باللغة – أن يقرؤوها على وجهها الصحيح . فتستقيم لغة العامة يوما بعد يوم ، وسنة بعد أخرى ، دون أن نبدل شكل الخط أو نغير رسمه

ولا اعتراض على هذه الطريقة إلا صعوبة طبع الكتب والصحف وغيرها . فتحتاج إلى زيادة حروف المطابع وعمالها ومصححيها . كما أنها لا تفي بحاجة المسلمين غير العرب – كالفرس والأتراك سابقا – كما يؤثرون معه اتخاذ الحروف اللاتينية . وأعتقد أن بقاء وحدة الهجاء بين المسلمين يوثق أواصرهم ويوطد بناءهم المشترك

ثانيا – الطريقة الجديدة وهي تقوم على المحافظة على الحروف العربية القديمة ، على أن يضاف إليها حروف الحركات ، بشرط أن تكون مأخوذة من شكل الحروف الحالية بعد تحويرها . فتعتبر « الألف » بالخط الديواني فتحة و « الواو » المعكوسة ضمة ، و « الياء » المعكوسة مع إمالة بسيطة كسرة ، أي هكذا على التوالي : ﻪ ﺗ ﻻ

وإليك أمثلة من هذه الكتابة :

قال خالد . نزل بالقلم . يقرءون بالقرطاس .

نصر . بالصلاة . سد . ملائكة

ويتضح من هذه الأمثلة أن « حرف » الفتحة يأتي بعد الحرف المنصوب ، وحرف الضمة بعد المرفوع ، وحرف الكسرة بعد المجرور . أما الحرف المشدد فتوضع عليه الشدة كما هو الحال ، وهمزة الوصل ، نحو همزة « ال » التعريف ، فتتقدمها « ه » صغيرة تدل على أنها همزة وصل ولا تقرأ

ونون التنوين تكتب بعد حرف الحركة الخاصة بإعرابه نحو :

جاء زيد . جاءت زينب . واشتريت كتاب عمرو وقد مررت بالمتنبي

كتبنا بالعربية . ورأيت قمرا . وقد رأيت المعلمين

ويلاحظ أن الهمزة كتبت هكذا : ء

أما « التاء » المربوطة التي تأتي في آخر الكلمة وتنطق « هاء » فتكتب « هاء » متوسطة

وعليها نقطتان . ثم يليها حرف الحركة حسب موقعها من الاعراب ، فنون التنوين ، على ألا نقرأ نون التنوين عند الوقف بل نقف على الهاء . أما الألف المقصورة فتكتب « ياء » بدون نقطة ، ولكن فوقها ألف قصيرة هكذا :

تبدو هذه الحروف غريبة فى بادىء الأمر . ولكن إذا قبل الأساس وهو اتخاذ حروف صوتية تدخل فى صلب الكلمة ، أمكن دعوة الفنيين والخطاطين لأجل تهذيبها وتوضيحها وتجميلها

واعتقد أن فى وسع من يعرف القراءة أن يجيد هذا الهجاء كتابة وقراءة بعد تمرين بسيط أياما قليلة . لأن الحروف هى هى ، ولم نزد عليها سوى حروف الحركة ، وهى غير غريبة عن الحروف المعروفة . ولا يقصد من هذا الرسم الجديد إلغاء الرسم الحالى ، بل تضبط القراءة الصحيحة لكل فرد مهما كانت درجة علمه ، ويظل الخط الحالى نوعا من الاختزال ، منسجما مع أصول الخط العربى ، فنحافظ على مكانته بين الشعوب الاسلامية ، ونمنع مزاحمة الخط اللاتينى

ولو استعملنا الحروف الآتية لتمكنا من كتابة الأسماء الأجنبية بصورة قريبة مما يلفظه أهلها ، وليسهل على المسلمين غير العرب كتابة لغتهم بها :

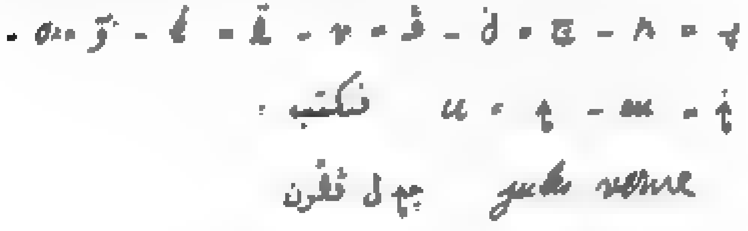

وإليك مثالاً باللغة الفارسية :

برسيدم از طبيبى احوال دوست گفتا

دكتور أبو فاضل

(باريس)

لماذا نقرأ القصص

في الحياة الواقعية نبتغي الهدوء والاستقرار، ولكنا في الخيال نلتمس اثارة شعورنا وايقاظ غرائزنا، ولهذا نقرأ القصص ونشاهدها في المسرح والسينما

يحسب الناس أننا نحب أن نقرأ القصص، وأن نشاهدها على المسرح أو الشاشة، سعيا وراء متعة الترويح عن النفس المتعبة، وتهدئة الاعصاب المكدودة، وانفاق زماننا للسهرة الناعمة. ولكن الواقع أننا نسعى من قراءة القصص ومشاهدتها إثارة نفوسنا وإيقاظ غرائزنا الأولى التي فطرنا عليها. ففي العصور البدائية كان الناس يشبعون هذه الغرائز بالصيد سعيا وراء القوت، أو بالقتال دفاعا عن النفس، أو بالضرب في الأرض وراء مرتع خصب أو الوقوف على شيء مجهول، وغير هذه الدوافع الفطرية مما استطاع الانسان الاحتفاظ بكيانه ونسله.

أما انسان اليوم الذي يعيش في جماعة متحضرة آمنة لم يعد في حاجة الى هذه الغرائز الأولى لكسب قوته، ولكنه لم يستطع أن يضعف من شأنها ويخضد شوكتها، بل بقيت مستقرة في نفسه تسعى دائما الى الظهور كلما واتتها الظروف. غير أن حياتنا الحديثة قد هذبت كثيرا من تلك الرغبات الأولية، فأصبحت الفنادق والمطاعم ترضي فينا حاجات الأكل والراحة، وأصبحت ألعاب الثقافة ككرة القدم والمصارعة والملاكمة تشبع غريزة المقاتلة، كما أن غريزة السيطرة وجدت متنفسا لها في الملابس والوظائف. وشغلت غريزة حب الاستطلاع منا رحالين وكاشفين.

فلا يطلب الانسان المتعة في قراءته تلك القصة أو مشاهدتها، بل يسعى وراء إشباع احساسات دفينة وغرائز كامنة.

ثم ان هناك ما يسمى في علم النفس بالاستغراق أو التقمص Empathy وهو وصف لحالة القارىء أو للشاهد الذي يفقد شعوره بذاته وهو يتمثل نفسه أحد أشخاص القصة.

وكثيرا ما نضع أنفسنا ـ في الخيال ـ مكان أبطال القصص، فنشعر بشعورهم ونفكر بتفكيرهم ونتألم لآلامهم، حتى تصبح القصة حقيقة واقعية أو جانبا من الحياة نسير فيه بأجسامنا وعواطفنا.

أجل، قد نشعر من قراءتنا أو مشاهدتنا القصص، بأنواع أخرى من المتعة، بوقوفنا على أوضاع حياة للملوك الخاصة، وأوصاف الاحتفالات الفاخرة، ومشاهد الطبيعة بصورة واضحة. ولكن هذه اللذات لا تقف بجانب الارتياح التام الذي نشعر به عندما نتمثل أنفسنا ـ بطريق لاشعوري ـ احدى تلك الشخصيات العظيمة التي تمثل دورها في الحياة.

قد نسمع أحيانا شخصا يقول : « فى قراءة تلك القصة كنت غائبا عن نفسى » ، فلماذا يشعر الانسان بلذة وهو غائب عن نفسه ؟ إن هذا مرجعه الى الشخص يتقمص احدى شخصيات القصة يكون قادراً على اشباع رغباته التى لم تشبع فى الحياة الواقعية إذ تقف أصفاد العرف وتقاليد المجتمع فى سبيله

فالانسان مخلوق متعدد الجوانب ، ويتعذر عادة على الحياة الواقعية أن ترضى كل تلك الجوانب التى فى طاقتنا . فاذا أرضينا جانبا خيبت هذا جوانب أخرى كثيرة من غير إشباع

فتلا قد يحب انسان حياة الهدوء والاطمئنان ، وفى الوقت نفسه يميل الى حياة العنف وركوب الاخطار . فكيف يقضى على هذا الصراع الناشب بين رغباته المتضاربة ؟ لا شك أنه يبحث عن الطمأنينة والهدوء فى الحياة الواقعية ، ثم يعود الى القصص والافلام لتثير غرائزه وتمكنه من أن يحيا حياة البطولة فى الخيال

ثم لماذا يستمتع كثير من الناس بالمسرحيات الهزلية والقصص المضحكة ؟ والسبب فى هذا هو أن أنظمة التعليم والتربية والعرف قد نجحت فى أن تجعلنا نسلك سلوكا خاصا لا ينقد ولا يعاب ، ولكن وراء هذا السلوك الاجتماعى لا تزال تلك النوازع الاولى ترجع بنا الى الطريق الطبيعى القديم . وعلى هذا نشعر بكثير من الارتياح والرضا عندما نترك أنفسنا تتقمص تلك الشخصيات المرحة المستهترة ، التى لا ترعى عرفا ولا تخشى تقاليد . فتطرح عنها قيود المجتمع الثقيلة وتسير كالمخلوقات الفطرية التى لم تتهذب ولم تتألف ولم تعرف طرق المدنية بعد

لقد استبد بنا العرف فأشبع جانبا من طاقاتنا وترك جانبا آخر خاصا مكبوتا هو الجزء الفطرى أو الصبى غير المسئول ، لا يجد له تنفيسا الا عندما تتمثل أنفسنا الممثل الهزلى أو البطل المستهتر الذى يأتى من الاشياء ما تتوق طبيعتنا الفطرية المكبوتة الى تأتيها . فيسخر من المتأنقين المسرفين فى التأنق ، ويتحدى السلطة ، ويقلب مائدة الطعام ، ويطيح بالادوات جميعا ، ويختطف كل ما يحتاج اليه ويسير فى الشارع « يعاكس » النساء أو يهزأ بالرجال ، وبالجملة يأتى جميع الاشياء التى كنا نرغب فى عملها عندما كنا أطفالا ، ثم صرفنا التهذيب والعرف عنها

• • •

ثم ان القصص والصور تعوضنا النقص الذى نشعر به فى الحياة الواقعية . فان القصة أو الصورة التى ترضى انسانا ما توقفنا على رغباته التى يعجز عن الافصاح عنها أو اشباعها فى الحياة الواقعية . ان الناس يفصحون عن أنفسهم — دون أن يشعروا — عندما يتحدثون عن أحب القصص الى نفوسهم . . .

ثم ان هناك كثيرين من الرجال والنساء لا يجدون فى حياتهم الواقعية الحب الخيالى الذى يتوقون اليه ؟ ومن أجل ذلك نجد المرأة تستمتع بالقصة التى بها البطلة — التى تتمثلها نفسها

طريق لا شعوري ـ يمثلها رجل من ذلك النوع الذي يثير ميولها نحوه . فقد يحدث كثيراً أن تتزوج امرأة برجل رقيق الحاشية وديع الخلق لين الجانب ، بينما تميل طبيعتها الى رجل قوي الشكيمة مكتمل الرجولة شديد السطوة ، فتلجأ من أجل ذلك الى القصص تطلب فيها ما عجزت الحياة عن تحقيقه لها

قبل سنوات أخرج القصصي الانجليزي الكبير «توماس هاردي» مجموعة من القصص تدور كلها حول امرأة جاوزت سن الشباب وأشرفت على عهد الكهولة ، أغرم بها شاب فتى وسيم من أصحاب الطباع الدقيقة الحالمة ، الفرحة الشاعرة . فلم تكد تظهر هذه القصص حتى كانت موضع اعجاب السيدات اللاتي في سن الاربعين ، إذ وجدن فيها مجالاً للخيال الطليق البهيج يعوضهن عن الواقع المضني الثقيل

• • •

هناك عدة أمان يعجز كثيرون من الناس عن تحقيقها في الحياة الواقعية فيلجأون عادة الى القصص ليعوضوا من الخيال ما فاتهم في الواقع . ولذا كانت معظم الافلام تدور حول هذه الاماني : الحب ، والثروة ، والجاه ، وحب الظهور ، وحياة المخاطرة والبطولة . فاذا عجز الانسان عن ادراك واحدة من هذه الاماني في الحياة الواقعية لجأ الى القصص يحرزها ويشاهدها ، وان لم يشعر بنوع من القصور فانه لن يجد في القصة ما يبعث به السرور أو ينبه نفسه

فالقصص على هذا تعيننا كثيراً على فهم أنفسنا وفهم أصدقائنا ، إذ تدلنا على الرغبات التي لا يمكن الافصاح عنها في الحياة الواقعية . اي ان ميل الانسان الى نوع معين من القصص ، ونهافته على مطالعته ومشاهدته كثيراً ، دليل على رغبته في تصوره هذه القصص من متع ، وقصوره عن تحقيق هذه الرغبة المكبوتة . وكلما تعددت ميول المرء في قراءة القصص ، كان عجزه أوسع وأقوى ، وكانت حاجته الى التعويض ألح وأشد

ثم ان عقل الانسان يحتاج دائماً الى التنشيط والتجديد . فهو لا يتعب من العمل مهما طالت مدته وثقلت وطأته ، انما يفقد الميل اليه والرغبة في المضي فيه . ولهذا يتطلب مثيراً يبعث فيه هذا الميل كلما ضعف ، فيعود الى العمل كلما انصرفت عنه نفسه . وليس هناك اقدر من « القصة » الفنية الدقيقة على شحذ العقل ، واثارة الميل ، وتنشيط قوى التفكير

لهذا كله كانت القصص ـ منذ العصور البدائية السابقة الى عصر الحضارة القوية المتقدمة ـ مبعث اللذة ، وموئل المتعة ، ومثابة جمهرة القراء

نظمي خليل

جِنّيَةُ الغَرام

قصة للأديب الفرنسي الكبير « اميل زولا »

[من كتابه « حكايات نانون »]

اسمعي يا نانون ! أتسمعين المطر يضرب النوافذ ، والريح تتنهد خلال الرواق الطويل ؟ انها ليلة ليلاء ، يقف فيها البؤساء على أبواب الأغنياء الذين يمرحون ويرقصون في الحجر الغنية ، المضاءة بالثريات الذهبية . . اخلعي حذاءك الحريريين ، وتعالي اجلسي فوق ركبتي قرب نيران المصطلى المتأججة ، والقي بالزينة والثياب الفاخرة عنك ، وأعيريني سمعك . فاني أريد أن أقص عليك في هذا المساء أقصوصة من أقاصيص الجن الطريفة

في سالف الأزمان قامت قلعة قديمة العهد ، متجهمة البنيان ، على قمة جبل عال . وقد كانت كتلة من الأبراج والأسوار والأبواب ، يحرسها عشرات من الرجال المدججين بالسلاح ، اكتسوا بالفولاذ من الرأس الى أخمص القدم . ولم تفتح القلعة يوما أبوابها لملتمس ، إلا من كان فارسا محاربا ، فان الكونت أنجوراند ، سيد القلعة ، يقابله فيها بكل بشر وترحاب

ولو تيسر لك يوما أن ترى هذا المحارب القديم يتبختر في أروقته الواسعة ، وسمعت صوته الجاف الأجش يتصاعد بين الدبابة والقبة كهدير الويل ، لارتعدت فرقا كما كانت ترتعد ابنة أخيه أوديت ، تلك الغادة الجميلة الطاهرة . أرأيت يوما الموانة بين أشواكها ، تفتح عند بلاج الصبح أوراقها ، لتتلقى قبلة الشمس الأولى ؟ ذلك مثل أوديت التي أقامت بين الفرسان الأشداء في رعاية عمها . لقد استمدت قامتها ، وأشرقت طلعتها ، وكانت تنتهد أحيانا مدفوعة برغبة مبهمة ، لم تدرك لها كنها . غير أن رؤية الكونت أنجوراند كانت تملؤها رهبة وذعراً ، فكلما وقع بصرها عليه ، وقفت صامتة عن لعبها ، وطفحت عيناها بالدموع

كانت غرفتها في برج في ركن بعيد من القلعة ، تمضي فيها وقتها توشي الرايات الأنيقة . وكانت تواسي حبسها بالصلاة الى الله ، وترفه عن كربها بالقاء نظرها الى ما وراء النافذة ، على المناظر الزمردية والسماء الزرقاء النقية

وما أكثر الليالي التي أمضت فيها تناجي النجوم في وحدتها ! وما أكثر ما حلق قلب هذه الفتاة ابنة الستة عشر ربيعا في أجواز الفضاء ، تسأل أخواتها المتلألئة في السماء عما حل بها فأقض مضجعها ! وربما اشتعلت بها ثورة العاطفة — وهي ليست إلا دوافع حبها المجهول — فدفعتها الى

معانقة عمها الشيخ الخشن . إلا أن حولها منه متصبا ، أو نظرة منه حمراء ، صدتها عن غايتها ، فعادت الى ارتها حزينة واجمة . انك تزين لحالها يا ناتون ، ولا ريب ، فانها كانت كالزهرة الناضرة ، أهل جمالها ، وانتهى ضيق عرضها

وبينما كانت المسكينة ذات يوم جالسة قرب نافذتها تتبع بصرها يمامتين تسبحان فى الهواء ، سمعت صوتا حلوا آتيا من بعيد ، من أسفل القلعة فاتجهت الى المخرج ورأت شابا جميلا يستعطف الثائرين فى القلعة ، مستعطفا ابواب الحديد . فرهفت أذنها ولكنها لم تسمع من كلامه حرفا واحداً . غير ان الصوت الجميل أثقل قلبها واغرورقت عيناها بالدموع ، فسالت على خديها وتساقطت على عود الصنوبر الذى فى يدها . أما أبواب القلعة فلم تتزحزح ، وصاح حدى شاكى السلاح من أهل الحائط : « اليك عنا ! فلا ينزل بنا إلا المحاربون ! »

وأطالت أوديت النظر اليه ، ثم اسقطت شمعة الصنوبر المبللة بدموعها ، فوقعت بجانب قدمى الفتى . فالتقطها ورفع عينيه حيث رأى غدائر الكاهب ، فقبل الشمعة وثنى راسه وهو يقف عند كل خطوة ليلتفت اليها . وبعد أن تلاشى عن ناظريها عادت الى ربها تصلى صلاة حارة ، وتشكر السماء ولا تدرى لشكرها سببا . لقد أحست بأنها سعيدة ، ولم تشك لحظة فى سبب سعادتها

وحلمت فى تلك الليلة حلما جميلا . . رأت شمعة الصنوبر التى رمت الشاب بها ، ولدا من وسط الوريقات المرتعشة تمور حبة رقيقة ، متلمعين كألوان الذهب ، وعلى مفرقها اكليل من النار ، متدثرة بثوب ضعفاى أحمر ، والحمرة لون الأمل . ولما هى تخاطبها بصوت حلو : « لا تفرقى يا أوديت ، فأنا جنية الغرام ، وأنا التى بعثت اليك ذلك الشاب ، واسمه « لوا » صاحب الصاه الساحر ، وأنا التى رأيت دموعك فأردت أن أمسحها وانى لأطوف فى البلاد لأجمع القلوب التى صدع البين شملها ، فأحل فى أكواخ الفقراء كما أحل فى قصور الأغنياء ، وقد أجمع بين عصا الراعى وصولجان الملك . وأنثر الورود تحت أقدام من أحبهم ، وأقيدهم بسلاسل يجد لهم لمسها ، حتى ترقص قلوبهم طربا . وأما سكناى فبين الخضرة النامية وفى النار التى تشق النبات ، وعند الشتاء بين كتل الخشب المضطرمة فى المواقد ، فى غرف الأرواح والزوجات . وأنى زلت برل العطف وحلت القبل . فكفى يا اوديت عن البكاء ، فانى جنية العشاق جئت لأمسح دموعك »

ثم تعود من حيث أتت وتختفى بين الوريقات التى اضحت ثانية الى شكلها الجميل

انك يا ناتون تصدقنى ، ولا ريب ، بوجود جنية الغرام . فلرؤيتها يوما تلهو وتمرح فى بيتنا ، ولكن الساكنين الذين لا يؤمنون بها

وفى الصباح التالى استيقظت أوديت من سباتها ، وقد ملئت غرفتها بأشعة الشمس المسجدية وبين حدرانها تتردد أغنية عصفور مطربة ، وسمت الصبح العطرة بقبلات الورود تداعب عذائرها المتاوجة . كانت جذلى مفؤها الأمل بأن تبر الجنية بوعودها . فأحست تميل الصبر فى

أنحاء المشاهد الريفية آملها ، وتبتسم لكل طير يجيب النداء ، وقد غمرها فيض من السعادة ، حتى ليدفعها الفرح الى التصفيق

ولما حل المساء دنوه دلفت الى القاعة الفسيحة ، حيث رأت عمها الكونت أجوراند يتحدث الى الفارس يصغي اليه بوقار . فجلست قرب النار التي كانت تلتهم الحطب بأزيز مسموع . فرأت شعبة الصعتر التي كان ممسكا بها ، فخجلت من تلك الشارة ، ومن الصوت العذب ، ان ذلك الفارس انما هو رجل حبيبها . فكادت الدموع تطفر من عينيها ابتهاجا ، ولكي تخفي اضطرابها وشوقها دنت من النار ، وجعلت تعبث بجمرها بقضيب من حديد . فاشتعلت النار الى أعلى بألسنة متوهجة ، وانتشرت الشررات منه من جنية الغرام سافرة ضاحكة . ومست أجزاء الحطب المحترقة من ثوبها الأحمر بعد أن كانت تبرق فوقه كحبات الذهب . ثم انسلت الى القاعة واستقرت خلف الحبيبين الشابين ، والشيخ الحارب لاهيا في قصة حروبه الطاحنة مع الكفرة

وهمست الجنية بصوت ناعم : « أي ولدي ! اغتنما هذه اللحظات ، وقولا : دعوا الشيوخ وذكريات الشباب ، وقضيا طوال الحكايات قرب الطاقة ولا تبرحا غير صوت الفلات مع فرقعة الحطب ، فيكون لكما في حمى الحرم دهر من الذكريات الحلوة تخفف عنه الشيخوخة وآلامها . انكما لم تحتفلا في السادسة عشرة ، لا تغضبن لكما الحكايات طويلا ، فنظرة لحظة تغني عن حديث ساعة . فليصب كلاكما صاحبه وليترك الثرثرة للعاجز . . . »

ثم حضنتهما بجناحيها ، فلم ير الكونت ، وهو يشرح لضيفه كيف قصت جيوشها بسيفها الثقيل على المائة من الرأس الحديدي بضربة واحدة — لم ير « لوا » يقبل جبين أوديت وهي ترتجف . .

يا لله ! ما أغرب أمر هذين العاشقين ! يقال إن الفتيات يحتفظن حولها عهما ، وان فتاة سعت ذات مرة الى حصر نفسها حلمهما من أعين عميها الحرمين . أليس كذلك يا نانون ؟

وأخيرا . . . بعد أن فرغ الكونت من حديثه الشهير ، تسللت الجنية تائبة ، واختفت بين النيران ، وآوى « لوا » الى مخدعه بعد أن شكر لضيفه نعته ، وأرسل قبلة وداع لأوديت ، وكان فرح الصبية لا يوصف ، فرأت تلك الليلة في منامها حقلا مرصعا بالزهور ، وقد أشرقت بالنجوم المتوهجة ، والنجم منها يصل الى نحو سيرة !

وفي الصباح التالي هبطت الى الحديقة ، وأخذت تنتقل من شجرة الى شجرة . وبينما هي كذلك ، اذا حبيبها واقف ينتظر ، فحيته باحناء رأسها ، وكادت تمر عنه لولا أنها لحظت شعبة الصعتر في يده ، وهي ما زالت مبللة بعبراتها ، فعرفت فيه حبيبها « لوا » ، الذي جاء ثانية الى القلعة متنكرا بزي جديد . فأخذ بيدها واقتادها الى عين ماء ، وأجلسها في الحشائش الناعمة قرب الجدول ، وقد شغلتهما النظرات عن الحديث . وكلاهما مغتبط برؤية حبيبه في وضح النهار وحدها لوحده ، وشرعت البلابل تبث في الهواء أغانيها ، وأحس العاشقان بأن طيف جنية الهوى يحوم حولهما

ولكنهما صحا ، في حين فجأة ، وقع القلم الكونت أعوراند تقترب منهما فامسكت بركبتيها فزعا ، غير ان حرير المندول علق بحياته ، وانشقت مياه النهر عن الحية سافرة ضاحكة . فخمدت منهما ركبتهما فتلاحيا ، وخفة الطير وقفت دون الكونت ودونهما . فجمعنا عصا ، وصار ، لشدة دهشته ، يسمع همسا ولا يرى أحدا . ثم احتوتهما في حضنها ، وأعادت قولها :

« انا التي أحرس الحب ، ومن لم يحب أغلقت عينيه وسددت أذنيه . . . ومن يعبث بالأوامر المقدسة لن يقوى على الاخلال بنواميس الحب . ان الله أعطاني هذين الجناحين ، وأرسلني بين البشر قائلا : « امضي وأسعدي قلوب الشباب ! » فلا تخافا شيئا أيها العاشقان الصغيران ، واشربا كؤوس الحب مترعة . في الشمس الراقصة ، وفي الليالي الخضراء ، وعلى جوانب عيون الماء ، وحينا وصدقا ، فأنا معكما أقيكما شر العدا ! »

عندئذ نهضا وشبكا أذرعهما ، وأخذت تطوف بهما بين الأزهار والأشجار مرحين يضحكان وهي ترتشف الندى – طعامها الوحيد – من على الأغصان والأوراق

ولعلك تتساءلين الآن : ماذا حصل بعد ذلك ؟ اني في الحق يا عزيزتي لا أحرز أن أقول ، اذ أخاف ألا تصدقيني ، أو أن تحسديهما على سعادتهما ، فترفضي صداقتي القبل . ولكن ما لك من حيلة ! انك تتوقين للمعرفة . أليس كذلك ؟ اذن فلا مفر لي من أن أروي استمرار قصتي :

قصت الحية بهما تطير من هنا الى هناك ، حتى اذا ما قدم المساء ، وحاولت أن تفرق بينهما ، تذمرا ، وطلبا منها البقاء سويا ، فرضيت بعد تردد ، ثم أخذت تحدثهما همسا حديثا شائقا ساحرا ، الى أن أشرق وجهاهما بشرا ، واتسعت ابتساماتهما جذلا . . . وبعد أن فرغت هي من قولها ورضيا بما رأيا ، مست جبينيهما بعصاها السحرية ، وبغتة . . . أوه يا نون ! ما أوسع عينيك ! وما أسرع ما تصيرين الأرض بقدميك الصغيرتين لو رغبت أن أدنو اليك بالخاتمة ! – وبغتة انقلبا وأودعت الى غصني شجر عشرتين وارفتين . ولا يمكن لغير حية أن يفعل ذلك . وهناك نبتا متلاصقين جنبا جنب ، حتى اشتبكت فروعهما وأوراقهما . ويا لفتنة أزهارهما ! إنهما شجرتان خالدتان ، ستزهران الى الأبد ، وسيمتزج عبيرهما وشذاهما الى الأبد . . . !

والآن يا نون ، اذا ذهبنا في سياحة الى القرى البعيدة ، سنبحث عن هاتين الشجرتين السحريتين ونسألهما : « في أي وردة تعيش حية الغرام ؟ »

عزيزتي ، قد تنطوي هذه الحكاية على شيء من الغرابة ، غير أني ما رويتها ، ونحن هنا مصطحبان أمام نيران الموقد ، الا لأسمعك المطر الذي يضرب نوافذنا ، وكلي أمل أن توحي اليك بأن هي الفتى الذي قصصتها عليك حبا جما

جبرا ابراهيم جبرا
الكلية العربية – القدس

من مشاهد مصر

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى المجلات الغربية

هتلر وموسولينى

فى حياتهما الخاصة

لا تعرف الجماهير هتلر وموسولينى إلا من الشاشة البيضاء حيث يظهر الأول مستعرضاً بعض فرق المحموم الالمانية ويطل الثانى على الشعب الايطالى خطيباً من شرفة أحد القصور

والواقع أن هذه المشاهد لا يمكن أن تعطى الجماهير فكرة واضحة عن شخصيتى الزعيمين . بل هى كثيراً ما تلقى فى روع الناس أن هتلر وموسولينى لابد أن يكونا من أولئك المخلوقات الشاذة المجردة من الاحساس والعاطفة التى لا تفكر كما نفكر ولا تشعر كما نشعر ولا تتخلل حياتهما ساعات فرح وأوقات هم ولحظات شقاء

ومع ذلك فهتلر مثلا ، ذلك الرجل الذى يبدو لنا جامداً صلباً ، هو فى الحقيقة انسان حساس لا يكلف نفسه فى حياته العادية مؤونة كبح أعصابه وضبط انفعالاته والسيطرة على أهوائه وعواطفه

والغريب فيه أنه لا يكاد يتحدث عن جهوده الأولى وعن النفقات التى اعترضته أيام شبابه حتى تتقلص عضلات وجهه وتنهمر من عينيه الدموع . فهو رجل ميال الى الحزن راغب الى التأمل والأسى ، لاينفك يردد هذه العبارات كلما هنأه صديق على النجاح العظيم الذى أحرزه فى عالم السياسة : « أجل . أنا فى حياتى السياسية أسعد انسان ولكنى فى حياتى الخاصة شقى كمعظم الناس ! »

ومما يمتاز به هتلر بساطة رائعة فى الاخلاق والعادات . فهو كثيراً ما يتناول الطعام فى الأماكن المتواضعة البسيطة ، والمعروف عنه أنه لا يدخن ولا يشرب غير الماء ولا يأكل غير الخضروات . وأما داره الخاصة فى ميونيخ فبسيطة المظهر تشبه دار رجل من رجال الاعمال متوسطى الحال

جهاز لكشف الجرائم

هذا جهاز من الأجهزة التي اخترعت للفحص عن المجرمين واكتشاف الجرائم ، وقد اخترعه جماعة من العلماء الباحثين في سيكولوجيا الاجرام . وهو يتألف من اسطوانة شبيهة بأسطوانات الجرامفون ، عليها سلسلة مستديرة من النقط الصغيرة . [illegible] هذه الاسطوانة ويطلب الى الشخص المراد امتحانه أن يؤشر بقلم من الرصاص على جميع هذه النقط ، وذلك في أثناء سؤاله ومناقشته في الجريمة المتهم بها وعلاقته بحوادثها ، فاذا كان بريئاً مرتاح البال متمالك قواه الفكرية ، يجيب على الأسئلة الموجهة اليه وفي الوقت نفسه يؤشر على جميع النقط المرسومة على الاسطوانة ، أما اذا كان مذنباً اضطرب واختلج فترك من تحت يده نقطاً لم يؤشر عليها . وقد استخدم هذا الجهاز « معهد البلاغ العلمي للجرائم » الذي أنشئ بلندن

رأس كالساعة

جماعة من الأطباء الامريكيين يفحصون رأس الطفل « جاك مرفي » من أطفال جورجيا ، ليعرفوا علة هذه الأصوات التي تصدر من داخل جمجمته متشابهة منتظمة كأنها دقات الساعة . وقد حاروا جميعاً في تعليل هذه الظاهرة الغريبة وعجزوا عن ايجاد

ويلاحظ أن كتاب (كفاحي) يدر على هتلر مبالغ طائلة ولكن إيراده السنوى يقرب من عشرة ملايين فرنك ، ومع ذلك فالزعيم الألمانى يؤثر البساطة ويحتقر الترف ويفضل الحياة الساكنة المتواضعة

وهتلر يحب الأطفال حبا كبيرا ويسر عليهم بتحف الهدايا وعندما يلتقى فى أحد المطاعم بفريق منهم يسرع فيدعوهم للجلوس الى مائدته ثم يقدم لهم شتى أنواع الشوكولاته والحلوى

وأغرب من كل هذا أن الزعيم الألمانى لا يكاد يتأثر وينفعل ويشعر بالسرور حتى تضطرم فيه عاطفة الكرم

ولقد حدث فى صيف عام ١٩٣٦ عندما كان يتجول بسيارته فى بافاريا العليا أن ترجل فجأة وانطلق يتأمل جمال الطبيعة . وإذ ذاك تقدمت فلاحة ناضرة وحاولت الاتصال به فمنعها حراسه فانخلعت وأجهشت بالبكاء . ولكن هتلر أسرع اليها واستفسر عن حالها فصارحته بأن خطيبها قد طرد من الجيش بسبب ميوله النازية وأصبح بلا عمل ولم يعد فى وسعه أن يتزوجها

فوعد هتلر بالاهتمام بها ثم أنجز الوعد فأسند أحد المناصب لخطيبها ثم أهدى العروسين يوم الزواج دارا جميلة فى ميونيخ ، فحضرت الفلاحة الناضرة هذا الصيف وبعد عقد الزواج ذهبت الى دار المستشار وكافأته على صنيعه بأن أرقدت بين أحضانه طفلة فتية بريئة ساذجة

وأما حياة هتلر الغرامية فنستطيع أن نجملها فى هذه العبارة : « الإخلاص للحب الأفلاطونى ممثلا فى صداقة المرأة »

والحق أن هتلر شعر بهذا الضرب من الحب النزيه نحو فاتنتين انجليزيتين هما يونتى ميتفورد ودايانا جينيس

وقد التقى بالأولى عام ١٩٣٤ أيام كانت تدرس الفنون الجميلة في ميونيخ ، فأعجب بجمالها ورقة حديثها واتخذ منها صديقة له وراقه تعلقها به وأنها لم تتحدث اليه فى السياسة أبدا

ومالت الفتاة الى صداقة (الفوهرر) وانخرطت فى الهيئات النازية وأصبحت تغشى الآن الحفلات الرسمية عاقدة حول ذراعها شارة رسم عليها الصليب المعقوف وانتقش فى ظهرها توقيع هتلر

وبقدر ما يحيا هتلر حياة هادئة متأملة يعيش موسولينى فى حركة عقلية وعضلية دائمة

والحقيقة أن موسولينى رجل لا يعرف الراحة . واليك مثلا فى ذلك نقتطعه من سلسلة أعمال قام بها فى يوم أحد من عام ١٩٣٧ :

بدأ الزعيم فى الصباح فاعتلى متن طيارته ثم تفقد بنفسه خمسة مطارات . وبعد أن استراح قليلا زار مدرسة الطيران فى فاروسا ثم زار إحدى المصحات ثم شاهد بعض التمارين الجوية فى مينا

ثم ذهب للاستجمام فى جاراجيو ثم زار معهد التربية الذى يحمل اسم والدته ثم عاد الى روما لسماع حفلة موسيقية أقيمت فى الهواء الطلق

وبالرغم من هذا الجهد العقلى والتنقل المطرد فموسولينى رجل حساس كزميله هتلر ، وهو مثله يحب الأطفال ويكاد يعبد ابنته الصغيرة (أنا ماريا) . ولقد حدث عندما كانت مريضة وكان موسولينى يرأس حفلة أقامها الصحفيون الأجانب ، أن نهض صحفى خطيبا ثم قدم باقة الزهور هدية كبيرة وقال إنها هدية الصحفيين لانا . وحينئذ شحب وجه موسولينى وللمدار ليخفى تأثره ولكنه لم يستطع المقاومة فانحدرت من عينيه الدموع

فما أبعد هذه الحقائق التى يعرفها كل من اتصل بالديكتاتورين ، عن تلك الصور والمشاهد الوهمية التى تحيط بهما فى الشائعة اليوم !

[خلاصة مقال بقلم وارد برايس عن مجلة « أوكورانت »]

انقاذ الذكاء

مدرسة خاصة بالأطفال النوابغ

الطفل النابغ ـ كالطفل الشاذ ـ فى حاجة الى مدرسة خاصة ، تلائم مناهجها وأساليبها تفوقه العقلى

هذا ما فكرت فيه الدكتورة « ليتا هولينجورث » إحدى عالمات النفس بأمريكا ، بعد أن أمضت عدة سنين فى دراسة عقول الأطفال وتحليل نفوسهم ، رأت فى أثنائها ضرورة تمشى مناهج التعليم مع مستوى التلميذ ، ووجوب انشاء مدارس مختلفة البرامج وفق اختلاف القوى العقلية

فأنشأت هذه العالمة فى نيويورك مدرسة للأطفال المتفوقين فى مستواهم الفكرى ، تضم خمسين صبيا وبنتا تتراوح أعمارهم بين الثامنة والحادية عشرة ، اختارتهم من بين عشرة آلاف تلميذ هم خلاصة تلاميذ المدينة كلهم الذين يبلغ عددهم مليون نسمة !

ولم تراع فى اختيارهم سوى شرط التفوق العقلى ، فجاءوا أبناء شعوب وأجناس مختلفة . فمنهم الانجليزى والروسى ، واليهودى والسويدى ، والالمانى والزنجى . . الخ . وكل منهم قد حصل فى اختبارات الذكاء على أكثر من ١٣٠ درجة (ومتوسط الذكاء هو ١٠٠ درجة) ، وفى المدرسة صبى وصل حوالى ٢٠٠ درجة ، وهى أعلى درجة سجلتها اختبارات الذكاء منذ ابتكرت

وتفتح هذه المدرسة أبوابها ليلا ، ويتوزع تلاميذها فى أرجائها تحت اشراف مربيهم . فترى

هناك اثنين منهما يحاولان حل مسألة من معضلات لعبة الشطرنج ، بينما انهمك آخران في فهم جهاز الراديو ونظرية اللاسلكي ، ورفعت احدى البنات تتلو قصيدة من الشعر وزميلها ينقدها ، أو تعزف قطعة من موسيقى شوبرت وصديقها يشرحها ، وقد احتشد الباقون حول مدرستهم وهي تلقى عليهم درسا في التشريح أو الكيمياء ، أو تشرح لهم سياسة روزفلت في شراء الذهب وتثبيت العملة .. كل هذا في السن التي يبدأ الواحد منا يتعلم فيها كيف يؤلف كلمة من ثلاثة حروف ، أو يجمع أرقاما لا تتجاوز عدد أصابع اليدين !!

وقد وجد هؤلاء التلاميذ في مدرستهم مجالا لاظهار مواهبهم الفذة الممتازة . فمنهم من بدأ يبرع في فهم العلوم الطبيعية أو الرياضية ، ومنهم من اظهر قدرة فائقة في فن الرسم أو في عزف الموسيقى ، ومنهم من يبشر بالنجاح في عالم التجارة أو السياسة لقدرته على الابتكار والتجديد والتنظيم ، بأساليب يبدو فيها الحرص والتنبه والدهاء .

ومما لوحظ في هؤلاء التلاميذ أنهم أنمى جسما وأسلم صحة وأقوى بنية من ذوى الذكاء المتوسط ، كما أنهم جميعا أقرب الى الدقة في ملابسهم والى الاستواء في قوامهم . وتتجلى فيهم كذلك روح التآلف والمؤاخاة ، وتتملكهم فكرة التعاون والتآزر . وهذه كلها خصائل لا تتوفر في أكثر المدارس العادية

وقد اثبتت تجارب الدكتورة «هولنجوورث» خلال ثلاثة عشر عاما أنه ما من طفل نابغ ينحدر من أسرة وضيعة . فتلاميذ مدرستها جميعا ينتمون الى آباء من ذوى المهن التي تتطلب ذكاء وعلما وخبرة ومهارة ، كما أنهم جميعا على حظ من الثراء أو الرخاء . وكثير منهم بكر والديه أو وحيدهما . وقد بدا ذكاؤهم مبكرا ، إما في مقدرتهم على فهم الالفاظ الغامضة المكتوبة أو التعبير بكلمات موجزة دقيقة ، وإما في مقدرتهم على استعمال الأرقام وفهم التقاويم ومعرفة الأوقات

ومن الآراء الشائعة التي أثبتت خطأها كذلك ان أطفال اليهود أذكى من سواهم . وأن الزنجي يتفوق على الأبيض في دور الطفولة فقط ، ويتخلف عنه فيما بعده من مراحل الحياة . ففي مدرستها ثلاثة زنوج سيحافظون على تفوقهم العقلى مدى حياتهم

ولا شك أنها قد وفقت في اختيار تلاميذها جيداً . اذ أن اختبارات الذكاء لا يعتمد عليها قبل سن السادسة وبعد سن السادسة عشرة ، أما فيما بين هاتين فقد أثبتت دقتها وكفايتها . ويكاد يكون من المؤكد أن ذكاء الطفولة يستمر مدى الحياة ، ما لم تعترضه طوارىء شاذة . ولهذا ينبغي المحافظة على هذا الذكاء من كل عائق يصده عن سبيله ، وتنبغي تنميته وتقويته باتاحة الفرص وتهيئة الوسائل له ، ولا يتحقق هذا الا بانشاء مدارس خاصة للمتفوقين في ذكائهم وتفكيرهم ، تتمشى مناهجها وأساليبها مع قوتهم العقلية العلمية المطردة

[خلاصة مقال لمرجا بلز في مجلة ليترارى دجست]

الفرنسي والامريكي

وكيف ينظر كل منهما الى المرأة

الفرنسي رجل تشترك في تكوين عقليته النزعات المعنوية والنزعات الحسية . فهو يعرف كيف يتذوق بيتاً من الشعر ويعرف أيضاً كيف يتذوق لوناً من الطعام وهذه الظاهرة تتمثل في حكمه على المرأة وفي نظرته اليها

فالمرأة في نظر الفرنسي لا يمكن أن تكون انثى فقط ولا يمكن أن تكون خيالا وشعراً فقط ، وانما تراه يحاول الجمع في المرأة المنشودة بين العاملين : عامل الجمال الشعري وعامل النداء الجنسي

واذا كانت المرأة فاتنة المظهر حسنة الاهاب متناسقة البدن مرنة الحركة والاشارة ، فالفرنسي لا يعنى بها ويظل يلاحقها بنهمه الدائم لها . واذا كانت حلوة الحديث أنيقة الملبس متناسقة التقاطيع في غير ما دل ولا أنوثة ولا إغراء ، تبرم بها أيضاً وانصرف عنها

يريدها أن تكون جميلة على شرط أن يستوفي جمالها عناصر الفن أي تناسب التقاطيع

ويريدها أن تكون شهية مغرية على شرط ألا يميز اجزاءها من تقاطيع دون أخرى ، من الوجه دون الصدر مثلا ، أو من الصدر دون الردف ، أو من الساقين دون مجموع البدن

فهو فنان يود أن يتأمل ويعجب ، وهو انسان يود أن يجرب ويستمتع

واما الامريكي رجل العمل والدولار فمخلوق ساذج بسيط يجد في المرأة لذة الأنوثة ودماثة الخلق ، ويمثلها في شكل زهرة رائعة رقيقة ، ويحبها لذلك ، ويولع بها طفلة

ومن خصائص الامريكي أنه خيالي الحب ، يرهقه العمل ويضنيه الكدح فيهرع الى المرأة متناسيا بها ، مجللا كل حركة تصدر عنها ، متخيلا اياها على غير حقيقتها ، ناظراً اليها من خلال الاطار الشعري الذي يخلعه عليها . وكثيراً ما يحب الامريكي امرأة وهمية ، صورة يرسمها له الخيال ، يحبها ويخلص لها ويكتفي بها ولا يبحث في الواقع عن سواها

والامريكي تفتنه العذراء ، أما الفرنسي فتسحره المرأة . وحب الامريكي للعذراء يصدر من حب الخيال والشعر ، وحب الفرنسي للمرأة يصدر عن عوامل من اكتمال اجزاء البدن ونضوج العقل

فالامريكي يؤمن في الحب بالمثل الاعلى ويجسم هذا المثل من معنى الجسم والروح في شخصية العذراء . وأما الفرنسي فيعرف ان الحياة لا تتسع لمثل الاعلى وان المرأة في نضجها الجسدي والعقلي أقرب تعبيراً عن الجمال وأوثق صلة بالحياة وأعمق أثراً في توجيه ملكات الرجل

الامريكي انسان فطري مثالي يضع القلب فوق العقل ، والفرنسي انسان متمدين معقد يضع العقل فوق القلب ويحب أن يجمع الفكر كل شيء

[خلاصة مقال من مجلة اسكوير]

الدولة المقترة

أو الحياة الاقتصادية في ألمانيا

يفرض القانون على كل ألماني أن يغل يده الى عنقه . . فلا تجد في ألمانيا اليوم أي أثر للتبذير والاسراف ، ولا تجد أي شيء يلقى ويهمل مهما يكن هينا تافها

فالباعة قد أمروا أن يرسلوا سلعهم في السلال بدلا من الأوراق ، لأن السلة تحتمل وتبقى والورقة تتمزق وتتلف . وزجاجات الأدوية وصناديق المساحيق يكتب عليها : « لا يجوز إلقاء هذا ، فيصنع منه شيء نافع » . ولا تجد ربة البيت قطعة من الكاوتشوك تصقل بها أوانيها وتنظف أثاثها ، فمن وسعها أن تجد خرقة بالية وتترك الكاوتشوك لما هو أهم وأجدى . وقد منعت « بالونات » الاطفال ، لأن ما يصنع فيها من مطاط يجب أن يصنع منه ما ينفع الرجال

وكل ربة بيت مكلفة بأن تقدم للحكومة ستة أنواع من فضلات بيتها وحثالاته ، مثل الخرق البالية ، والزجاجات الفارغة ، والمفاتيح المهشمة ، والأواني القديمة ، والأوراق الممزقة ، وجلود الأرانب ، وعظام اللحوم . . ويمر بالبيوت عمال الحكومة فيجمعون هذه الحثالات الى حيث يصنع منها ما تحتاج اليه الدولة

وتبذل السيدة كثيرا من الجهد والحيلة اذا أرادت إعداد وجبة دسمة شهية ، فقد قالت لي صديقتي ذات مساء : « لم أذق الزبد منذ ثلاثة أسابيع . . ولم آت بهذه القطعة إلا بعد أن أوصيت بقالي منذ أيام بأن يختصني بقليل مما يأتيه ، إكراما لضيفي الأجنبي »

ولا يجوز للمرء أن يشتري من الحاجات كما يريد ، بل لكل بيت مقدار معين لا يجوز أن يتعداه . ويضع التاجر قوائم بما يشتريه كل بيت ، لتراجعها الحكومة في نهاية العام ، فتحاسب المشتري المبذر والبائع المقصر

أما الجبن والزبد والزيت فيجب أن تشترى من محل واحد ، واذا انتقل المرء من أقصى برلين الى أقصاها فيجب أن ينتقل الى محله القديم كلما أراد أن يشتري شيئا ، ريثما يستصدر أمرا بالشراء من متجر جديد

وقد حددت الحكومة لكل فرد في الاسبوع الواحد نصف رطل من الزبد ، ونصفا آخر من الزبد الصناعي . ومن أغرب ما في ألمانيا أن بعض الزبد الصناعي يصنع من لباب الخشب ، وكانت « تزيت » به الآلات أولا ، ثم قدمته وزارة الصحة الى الجنود ، فلما لم يؤذ صحتهم قررت إطعام الناس منه . وكذلك اللحم يجب أن يشترى من قصاب واحد ، لئلا يشتري المرء كما يشاء بينما يجوع سواه

ولا تعرف ألمانيا دقيق القمح الخالص ، فقد فرض القانون أن تضاف إليه نسبة كبيرة من دقيق البطاطس ، بل ومن دقيق الخشب !

وقد برع العلماء هناك في استغلال الخشب ، حتى أصبح منه الملابس ذاتها . .

وقد كان مضيفي يلبس بنطلونا وقميصا ليس فيهما خيط من القطن أو الصوف . . !

والملابس الصوفية نادرة غالية ، ولا يشتريها إلا الأثرياء المترفون . وقد رأيت كثيراً من السيدات يلبسن ملابس خشبية ، ناعمة الملمس أنيقة الزي !

ولعل أغرب أساليب الاقتصاد في ألمانيا أن الحكومة أمرت مصانع الملابس أن تقصر من طول قمصان الرجال سنتيمترين ، ادخاراً للدخل الأهلي !

وتضطر ألمانيا سياستها إلى الاكتفاء بلحوم الخيول ، « فقد كان أجدادنا التيوتون يؤثرونها على سواها ، ويقدمونها في ولائمهم وأعيادهم » . وقد صيرت هذه الدعوة من شهية القوم ومذاقهم ، فذبح هناك في العام الماضي ١٢٥ر٠٠٠ حصان

ولعله لا يبدو غريبا بعد ذلك أن أذكر أن حلاقي ألمانيا يجمعون كل عام ما يزن زهاء ٣٠٠ طن من الشعر الذي يبلغ طوله ثلث بوصة أو أكثر لاستخدامه في صنع اللباد وبعض أنواع القماش

وقد أصدر جورنج أمره إلى أصحاب المناجم ألا يهملوا قطعة من الفحم أو المعادن ، مهما كانت غائرة في باطن الأرض ، ومهما كانت تكلفة استخراجها ، لأن مصانع ألمانيا لا تطيق ترك تلك المعادن أو الوقود

وعلى الجملة فإن ألمانيا تعيش في شبه حالة عصبية تدفع كل كبير وصغير ، وكل غني وفقير ، إلى أن يقتر على نفسه ويضيق عليها الخناق ، ادخاراً للدخل الأهلي ، وتضحية في سبيل الدولة .

وقد استطاعت ألمانيا بفضل هذه الحالة الشعبية الغريبة أن توفق إلى سد حاجتها إلى المواد الخام من مرافقها ومواردها القومية ، كما نجحت في اختراع مواد صناعية تحل محل المواد الطبيعية التي تفتقر إليها ، مثل الصوف والمطاط الصناعيين

ومن إحدى طرائق الاقتصاد التي تتبعها ألمانيا أنها لا تدفع ثمن وارداتها نقداً بل تقايض عليها بمنتجاتها . وكثيراً ما يقبل عملاؤها سلعا غريبة لا حاجة بهم إليها ، فشركة « ستاندرد أويل » نيوجرسي بأمريكا قبلت أن تستوفي ثمن بترولها ٤٠ر٠٠٠ر٠٠٠ طاقم أسنان صناعية ، وشركة مترو جولدوين ماير السينمائية قبلت « فرسا نهريا » باعته إلى أحد الملاهي الرياضية ، بينما قبلت إحدى الشركات الصناعية الأمريكية مائتي ألف من طيور الكناري . !

وقد أدى إغلاق أسواق ألمانيا في وجه منتجات الدول الأخرى إلى عرقلة التقدم الصناعي إلى حد بعيد ، وإلى خفض مستوى المعيشة عدة درجات ، ولكن الشعب ـ في حالة العصبية الراهنة

التى خلقتها الدعاية القومية الملحة ـ راض عن هذه الحياة التى تقبض أيدى الحكومة على جميع أطرافها وتمسها فى جميع نواحيها ، حتى ليبلغ به الأمر أن يغتبط ويبتهج حين تصدر الحكومة هذا الأمر . « من واجب كل مواطن أن يقتصد قدر الإمكان فلا يكتنز موئله فى أكياس وصناديق خالية » !!

[خلاصة مقال لروبن ماكري مدير مدرسة الصحافة بجامعة واشنطون فى مجلة ريدرز دايجست]

رأى لويد جورج

فى المارشال فوش

كان للمستر لويد جورج الفضل الأكبر فى تعيين المارشال فوش قائداً عاما لقوات الحلفاء فى الحرب العظمى . ولقد أدرك لويد جورج بنظره الثاقب مبلغ النبوغ العسكرى التى كانت منطوية عليه شخصية فوش فسعى لدى المسيو كليمانسو كى يعين هذا الأخير فى منصب القيادة العامة

وقد رسم لويد جورج فى الجزء الخامس من مذكراته عن الحرب الكبرى صورة دقيقة للمارشال فوش تدل أبلغ الدلالة على حقيقة رأيه فى القائد العظيم

وبعد ما حمل السياسى الانجليزى على المارشال هايج ، أطرى عبقرية فوش ووصفه بأنه طليعة القواد النوابغ الذين أظهرتهم الحرب الأخيرة

واليك ما قاله عنه فى مقارنة بينه وبين كليمانسو :

كان فوش كاثوليكيا مستمسكا بدينه شديد الحرص عليه ، وكانت الأحزاب القابضة على زمام السلطة فى فرنسا تكره الاكليروس وتحاربه وتنزع نزعة حرة واضحة . وكان كليمانسو من أشد أعداء الاكليروس ومن أكثرهم مجاهرة بهذا العداء وقد أمضى معظم حياته فى محاربة سلطان الكنيسة ومنعها من التدخل فى شؤون الدولة . ويحكى عنه أنه لم يدخل كنيسة أبداً ، وعند ما أقيمت الصلاة فى كاتدرائية ستراسبورج احتفالا بتحرير الالزاس وعودتها الى حضن الوطن رفض كليمانسو حضور القداس فجر به على الشيوخ وعدل عن انتخابه رئيسا للجمهورية فى الوقت الذى كان فيه أشهر رجل فى فرنسا

وأما فوش فكان مؤمنا خالص الايمان ، يؤدى شعائر دينه على أتم وأكمل وجه ، وكان شقيقه يسوعيا . ولهذه الأسباب كان كليمانسو يتجهم له فى بعض الأحيان ويحذره

والواقع ان كليمانسو كان يحذر جميع القواد الكاثوليك ويوجس خيفة منهم ويأبى منحهم سلطة كبيرة لئلا يستخدموا هذه السلطة فيما بعد في التدخل في الشؤون السياسية أو في التمكين لنفوذ الكنيسة أو في انشاء ديكتاتورية عسكرية كتلك التي فكر فيها الجنرال بولانجيه

وهذا الخوف الناشيء من قوة المبدأ هو سبب الخصومة بين كليمانسو وفوش وهو الذي كان يدفع بالأول الى المماطلة والتسويف كلما طرحت مسألة تعيين فوش قائداً عاما على بساط البحث

ومع ذلك فقد رضخ كليمانسو في النهاية ووضع مصلحة بلاده فوق مبدئه وانتهى بأن ناصر فوش وأيد تعيينه قائداً عاما ولكن بعد صراع نفسي طويل

وعندما انهزم الجيش البريطاني الخامس وأحس الحلفاء أن الالمان قد يهددون الجناح الفرنسي الأيسر في منطقة نويون عقد مؤتمر حضره اللورد ملنر وكليمانسو والوزير لوشور والقواد بيتان وفوش وهايج . وكان هايج شديد التشاؤم ينذر بالكوارث والنكبات ويقترح فصل الجيش الفرنسي عن الجيش الانجليزي والتقهقر الأول لحماية باريس وقطع عنها

وفي تلك الساعة الرهيبة تجلت شخصية فوش . لم يفقد الرجل توازنه ولم تفارقه ابتسامته المشهورة . كان يفكر بوضوح ونظام ، ويتكلم بدقة ، ويشير الى الخرائط باصبع ثابتة ، ويصوب النظر من يقول كأنه يخاطب شخصا لا يراه إلا هو ، شخصا يستطيع أن يفهمه ويقدره ويثق به

والغريب فيه أنه كان في تلك اللحظات الحاسمة أبعد الناس عن السخرية بالقواد زملائه أو تعييرهم أو انتقاص أعمالهم أو الالقاء باللائمة عليهم

كان منصرفاً بجملته الى بسط فكرته وشرحها والاستعانة بشتى الحجج والبراهين لاثبات صحتها . .

وبينما كانت تبدو على وجهي القائدين بيتان وهايج ملامح القلق والاضطراب ، كان فوش هادئا ثابتا يتكلم ويفكر كأنه كان على ثقة مطلقة بأن مصير الامور سيتوقف في الغد عليه وحده

وعندئذ اقتنع الجميع ولا سيما ملنر وكليمانسو بأن فوش هو رجل الساعة وهو وحده القادر على انقاذ الحلفاء من مأزقهم والتعجيل بانهاء الحرب واحراز الظفر

وفي اليوم التالي عقد في دولانس مؤتمر آخر حضره بوانكاريه وكليمانسو وبيتان وفوش واللورد ملنر والمارشال هايج والسير هنري ولسون . وفي هذا المؤتمر تقدمت لأول مرة فكرة القيادة العامة وعهد بتحقيقها الى القائد فوش

[خلاصة مقال عن مجلة ليزانال]

بلاد نود رؤيتها

فيها أغرب جهات العالم

مملكة الحيوان

هى حديقة حيوان لا أسوار لها ولا حراس ، تهيم فيها الوحوش الكاسرة ، وتجنبها الى جنب الاوربى المتمدين . . .

فى جنوب أفريقا حديقة اسمها « حديقة كروجر » ، تبلغ مساحتها ٩٠٠٠ ميل مربع ، قد اتخذتها فصائل الحيوانات المفترسة مقراً لها تعيش به آمنة شر الانسان ، الذى يجرى بين جماعاتها فى سياراته وعرباته آمنا غدرها . فترى السيارة تشق طريقها على قيد خطوات من مسمع زئير أسودها ، دون أن تفكر الوحوش فى مهاجمة السيارة التى ألفت رؤيتها ، بل دون ان تنظر الى شكلها الغريب أو تنصت الى دويها وصفيرها

وقد قدر عدد سكان هذه الحديقة سنة ١٩٣١ بستمائة أسد ، ومائة فيل ، ومائتى زرافة ، ومائتى فرس نهرى ، وثمانمائة جاموسة برية ، ومائة وعشرين الفاً من الغزلان والنامر ، وعدة آلاف أخرى من مختلف أنواع القرود . وتعيش هذه الحيوانات اما من رعى أعشاب الحديقة ، واما من افتراس بعضها بعضا ، ويقدر ما تفترسه الاسود وحدها بخمسة آلاف حيوان كل سنة ، دون أن تفكر فى افتراس أى انسان أو ايذائه . فكأنها تأنس بالانسان وتألفه ، وتستوحش من السباع وتفترسها !

وقد شقت فى هذه المنطقة طرق ممهدة للسيارات ، وأقيمت فى جوانبها خيام يؤمها آلاف الرحالة والعلماء الذين يقصدون « مملكة الحيوان » ، ليشاهدوا حياة الوحوش فى غاباتها ، أو ليدرسوا حياتها وطباعها . وأجمل المشاهد هناك حين تلعب الغزلان والجواميس فى الصباح الباكر ، والفيلة والاسود فى ظلمة الليل ، تمشى بين الشجيرات ، وقد سار بعضها وراء البعض فى صفوف طويلة ، لا تنقطع عند قدوم سيارة ، ولا تضطرب عند رؤية انسان ، لأن وحوش تلك الغابة تألف الانسان أكثر مما تألف وحوش الملاهى ومروضيها

مدينة العبيد الاحرار

لعلنا لا نجد منطقة من مناطق الزنوج لا يسكنها ويستغلها قوم أجانب . ولكن مدينة « أكوسونغ » بجزيرة جامايكا لا يسكنها سوى الزنوج ، ومع ذلك فهى من أكثر بلاد العالم تقدما بحريتها المطلقة

فهى أشبه « بجمهورية مستقلة » فى أمريكا ، فقد نالت حريتها قبل ان تحظى الولايات المتحدة باستقلالها بمائة عام . وظلت منذ ذلك الحين ترتع فى حريتها ، دون أن تمتد اليها يد مستعمر أو دخيل ، رغم أن جزيرة جمايكا كلها خاضعة للاستعمار الانجليزى

وسكان هذه المدينة — ويطلق عليهم اسم المارون — هم أحفاد جماعة من الأرقاء جاء بهم المستعمرون الاسبان ليفلحوا أرض جمايكا . ولما استولى الانجليز على الجزيرة وطردوا الاسبان منها سنة ١٦٥٥ ، قام هؤلاء الزنوج فحاربوا الانجليز حرب عصابات بارعة عنيفة ، استمرت ٤٢ عاما متصلة ، مما أرغم الانجليز على ان يعقدوا معهم معاهدة ظلوا يحترمونها حتى اليوم

ولهذه المدينة حاكم من أهلها مستقل فى جميع شؤونه ، لا يشاركه فى الامر حاكم الجزيرة الانجليزى ، ولا تجبى منه أية ضريبة

ويعيش المارون عيشة هادئة هانئة ، فى أكواخ نظيفة مرتبة . ولكل منهم قطعة أرض يزرعها ويعيش منها ، ولا يسمح له ببيعها ، فان مات من غير وريث انتقلت الى حاكم المدينة ، الذى ينتخبه مجلس الشورى المؤلف من نخبة من رجال المدينة ونسائها . وفى المدينة مدرسة صغيرة يتولى أمرها معلم واحد ، وملعب كبير يجتمع فيه الاهالى يرقصون ويغنون على انغام « الارغول »

والمارون من أكثر الناس رعاية للشعائر الدينية ، ولا تكاد تجد فى كنيستهم موضع قدم خاليا ، ولا يقع فى بلدهم شىء من هذه الجرائم الخطيرة التى تقع فى البلاد المتمدنة ، ولم تحدث هناك — منذ استقرت أمورهم ونالوا حريتهم — جريمة قتل واحدة ، بينما تقع مئات من جرائم القتل كل يوم فى مدن العلم والنور

جزيرة البلابل

منذ مائة عام ونيف كانت صخرة قاحلة تتكسر عليها أمواج المحيط على مقربة من ساحل هولندا ، ولا يقيم بها الا جماعة فقيرة من صائدى الاسماك ، أما اليوم فهى روضة ناضرة تؤمها أفواج السائحين المترفين ليروا الطبيعة فى أبهج مشاهدها

ذلك أن أحد هؤلاء الصائدين أراد ان يجعل من جزيرته القفرة أرضا خضراء ناضرة ، فزرع وسط صخورها مائة شجرة تعهدها برعايته ، فنمت وسمقت رغم البرد القارس والرياح العاصفة ، ثم أخذ كل عام يزرع مثلها فلما مات خلف هذه الصحراء غابة حافلة بالزهور والثمار

ولم تكن الطيور تألف الحياة فى تلك الجزيرة ، فليس فيها ما تقتاته ، بل ليس فيها مكان تأوى اليه ، وتتقى فيه شر الريح العاتية . فلما نمت تلك الاشجار وفدت اليها أسراب الطيور ، وبنت أعشاشها فى زواياها الخفية ، فأصبحت تلك الجزيرة التى لم يكن بها طير واحد منذ مائة عام ، مقصد علماء الطيور من شتى جهات العالم ، ليدرسوا ما فيها من مختلف أنواع الطيور

ومع أن اسمها « جزيرة البلابل » فإنها لم تعرف هذا الطائر المغرد إلا منذ بضعة أعوام ، حين وفد إليها زوجان من البلابل تناسلا سريعا حتى ملأ نسلهما جو الجزيرة بصوته الشجى . وفى كل يوم يجتمع أهل الجزيرة بعض الوقت فى أحد ميادينها حيث يسمعون غناء البلابل ، ويرتلون أناشيدهم على أنغامها

وقد زار هذه الجزيرة كثير من الفنانين ليرسموا مناظر غاباتها وحدائقها الفاخرة ، ومنهم الفنان الامريكى « ولبر تشيز » الذى استصحب جماعة من تلاميذه ليرسموا مشاهد « أجمل مكان على سطح الأرض كلها »

[خلاصة مقال فى مجلة ريدرز دايجست]

فلسفة البطولة والموت

فى الصين الحربية

تكافح الصين كفاح المستقتل فى سبيل الدفاع عن وحدتها وقهر اليابان التى عقدت العزم على غزوها واستعمارها

والصين فلسفة خاصة فى معنى البطولة ومعنى الموت تتمثل ظواهرها الرائعة فى الشباب الصينين المتحمسين الذين يقاتلون فى الطليعة ويجودون بكل مرتخص وغال فى سبيل حرية بلادهم واستقلالها

وقد نشرت صحيفة (تيان هسيا) التى تصدر فى شنغهاى مقالا لشاب صينى متحمس يبسط الكلام عن تلك الفلسفة ويكشف عن عقلية الجيل الصينى الجديد ويدل على مبلغ استعداده لاحتمال التضحية ومواصلة الكفاح

وإليك خلاصة هذا المقال :

أمطرتنا الطائرات اليابانية وابلا من القنابل ، ولكن طائرات الصين صمدت لها وطاردتها والحقت بها شر الخسائر . ولقد شعرنا بعد هذه المعركة الجوية الهائلة أن فى الصين رجالا وأن فى الصين فلسفة تفهم معنى البطولة وتعرف كيف تتحدى الموت

أجل . الموت هو سيد الحياة ، تلك هى عقيدتنا . فلكى نعيش يجب أن نعرف كيف نحارب ، وإن كنا نمقت الحرب من صميم نفوسنا

الحرب من الظلام ، ولكن العالم اليوم لا يؤمن إلا بمن يستطيع أن يحيا وهو فترة معينة في الظلام . .

هكذا تريد حضارتنا ، ولقد فهمنا تعاليمها واستخلصنا منها المبدأ الصالح لنا

لا يجب أن نقتل الوقت في الكلام . الكلام لا يجدي وكل لحظة يحتلها الفكر منا محسوبة علينا ومطروحة في قائمة الذل والهزيمة

فليعلم الجميع ، جميع أهل الصين من عباد السلام والخير ، أن الشر مرض ضروري ، وأن الحرب هي التي تدفع الحرب ، وأن صديقك الذي كان قد جن فلا يمسك إلا أن تقابله بنفس الجنون إذا شئت أن ترده إلى جادة الصواب والهدى

يجب أن نقتل الحرب ونقضي البتة على الشر وإن كانت الحسرة تمزق قلوبنا

واللهم ألا ننسى الخير ونحن نرتكب الشر

اللهم ألا نصبح متوحشين ونحن نقاتل

اللهم أن نحتفظ في قرارة نفوسنا بحب الخير ، وألا نحارب ونتشوق للموت إلا ونحن نأمل في السلام ونعد العدة لجمال المستقبل

فينبغي أن نحب الحرب على شرط ألا يطغى هذا الحب على الجوهر الإنساني الكامن فينا

يجب أن نقاتل بعقولنا لا بقلوبنا وتلك أروع ضروب البطولة

ان الحرب عادلة متى كان لابد منها دفاعاً عن الوطن ودفاعاً عن الحرية . والصين مجبرة في هذه الأيام على الحرب ، ولكن مصممة في أن تقاتل بدون لذة وان تمسك الصين عن حرب وأن تحارب وهي تعلم علم اليقين أن الحرب جريمة مهما كانت

والواقع أننا لو امتنعنا عن الحرب تجنباً للسلام ، فقد يصبح اليابانيون سادة ويعلمون علينا أعظم الانتصار . ولكن كل صيني سيحتقر في تلك الساعة نفسه ويلعن أهله ووطنه ويعيش منتهك الكرامة ذليلا ، وإن كان سيبدو في نظر المتكبرين بطلا من أبطال الخير والسلام

فلنكن لا نحتقر أنفسنا ولنكن نحتفظ في الوقت ذاته بحب الخير والسلام ، يجب أن نقاتل بدون لذة ، نقاتل ونحن نعلم أن القتل جريمة ، نقاتل قتالا عقليا مشبوب الإرادة مطرد القوة . نقاتل لا طمعا في أرض ولا حبا في مجد عسكري باطل، نقاتل في سبيل الواجب محتفظين بأرواحنا خالية من شوائب الوحشية والشر

بهذه الفلسفة لا نتغلب فقط على أعدائنا بل نسمو عليهم . وعندما تضع الحرب أوزارها نستطيع ان نقول ان الحرب لم تمسنا وإنه في وسعنا أن نستطرد السير في طريق الحرية لخير الإنسانية ومجد الصين .

[خلاصة مقال من مجلة كورونا]

اذا نفد الفحم والبترول

فهل تحل محلهما البذور والاعشاب ؟

نستطيع أن نسمي حضارتنا الراهنة حضارة « القوى المحركة » التي نستمدها من ثلاثة مصادر : الفحم ، والبترول ، ومساقط المياه

فأما الفحم فقد استنفدت مناجمه حتى لم يعد ما بقي منه في باطن الأرض يفي بحاجة الصناعة أكثر من مائة عام أخرى . وكذلك آبار البترول كادت تنضب ، ولا يمكن ان يعتمد عليها أكثر من نصف قرن آخر . اما مساقط المياه فلا تستطيع الانتفاع بها إلا المناطق التي توجد فيها ، وكلها ـ باستثناء الولايات المتحدة ـ أقاليم لم تزدهر فيها الصناعات الكبيرة . كصناعة النسيج والآلات والسيارات

وهذا ما ينذر حضارتنا الراهنة بأخطار شديدة قد تأتي عليها ، مما دعا رجال الأعمال الى السعي وراء مصادر جديدة للقوى المحركة تحفظ للصناعة الحديثة حياتها وتهيء لها وسائل النمو والانتشار . وأكثرهم اهتماما بذلك رجال الأعمال في امريكا ، إذ ان حياتهم ومستقبلهم رهن بالحضارة الصناعية وحدها ، فعليهم أن يوطدوا دعائمها ويحافظوا على أسباب حياتها . ولهذا فقد تقرر ما ستنفقه أمريكا خلال الأعوام المقبلة في إجراء التجارب العلمية لابتكار مصادر جديدة للقوى المحركة بما يبلغ مائتي مليون من الجنيهات

ويتزعم هذه الحركة العلمية الخطيرة مستر هنري فورد الذي أقام معملا علميا بارعا في مدينة ديترويت ـ الى جانب مصانع سياراته ـ لاجراء تجارب علمية يقصد منها إيجاد مادة تحل محل البترول

ويقال إن التجارب التي قام بها فريق من كبار الكيميائيين قد أثبتت لهم ان بذور بعض النباتات ـ ولا سيما بذور الصويا ـ هي مصدر غني بالقوى المحركة ، إذ يمكن أن تستخرج منها عصارة تستعمل بدلا من البترول في تحريك الآلات . ومن المعروف أن بذور الصويا مادة هامة في عالم الصناعة ، إذ يصنع منها كثير من الادوات

ومن القائمين على رأس هذه الحركة كذلك « شارل كترنج » مدير إحدى شركات السيارات الكبرى ، ولكنه يتجه في بحوثه وجهة أخرى القصد منها أن يعرف : « كيف تكتسب جميع النباتات اللون الأخضر ؟ »

وقد يبدو هذا غريبا عن موضوع القوى المحركة ، ولكن الواقع أنه اذا أمكن الاجابة عن

هذا السؤال ، حلت المسألة التي يتساءل عنها العلماء منذ قرون وهي : « كيف تستطيع النباتات أن تمتص أشعة الشمس ، وأن تحتفظ بها في خلاياها ؟ »

وإذا عرفت الطريقة التي تمتص بها أشعة الشمس ، حلت مسألة القوى المحركة حلا نهائيا ، لأن الشمس هي أعظم المصادر وأغناها بالقوى المحركة التي لا تنضب ولا تنقص ...

[خلاصة مقال طويل منشور في مجلة باري سوار]

مرض السرقة

اعترافات امرأة مصابة بالكلبتومانيا

الكلبتومانيا هو مرض السرقة والنشل ، يصيب الإنسان الضعيف الخلق المضطرب الأعصاب وإليك اعترافات سيدة تملك منها هذا الداء فوصفت أعراضه وصفا دقيقا مؤثرا :

اليوم الأول — لا أستطيع أن أبصر شيئا مغريا جميلا حتى تحدثني نفسي بسرقته ، ومع ذلك فأنا امرأة طيبة القلب أؤدي فروضي الدينية على الوجه الأكمل . والعجيب في أخلاقي أني أتوجه إلى الله كل مساء بصلاة حارة تصدر عن فؤاد تقي ، ولكني لا ألبث أن أستيقظ وأرى ضوء النهار حتى تعاودني رذيلتي وتستحوذ على تفكيري بالرغم مني

اليوم الثاني — سرقت اليوم أشياء تقدر قيمتها بمائتي فرنك . أشياء تافهة لا يمكن أن تعود علي بأية فائدة . سرقت خاتما من نحاس رخيص مع أني أملك عددا من الجوهرات الثمينة النادرة . على أن ما يؤلمني هو أني أحترف مهنة التدريس وأن علي اليوم أن أشرح للطالبات فصلا في تأثير (العادة) من الوجهة السيكولوجية . والواقع أني أتعب ، أتألم وأشعر بالخجل والعار لأني قد أصبحت فريسة لعادة ممقوتة لا أعرف كيف تمكنت مني ولا أدري كيف أسيطر عليها ، ولا أكلف نفسي عناء مقاومتها وأنا امرأة مثقفة تطالع وتفكر وتتأمل ويعهد إليها تربية الفضائل في نفوس النشء

بعد يومين — كنت قد عقدت النية على ألا أسرق أشياء تتجاوز قيمتها خمسة فرنكات . ولكن رذيلتي أقوى مني وقد ربت قيمة ما سرقته بالأمس على ألف فرنك

بعد خمسة أيام — لم أغادر بيتي طوال هذه الفترة ولذلك لم أسرق شيئا جديدا . ولكني أشعر بأن لا بد لي من الخروج والتجول في المتاجر ومسابقة الجمهور والرقباء والتطلع إلى أدوات طريفة ومحاولة لمسها وإضافتها إلى ما عندي . وأنا أعلم أني قد أسرق أشياء مماثلة لتلك التي سبق أن اختلستها ، ولكني أعلم أيضا أن ذلك لن يثنيني عن عزمي ولن يبعث في نفسي أية قوة على المقاومة

في اليوم التالي – سرقت اليوم أشياء جديدة ، اسطوانات فونوغراف ، وهكذا تجاوزت مبلغ الألف فرنك الذي كنت قد حددته لنفسي

يوم الأحد – أحمد الله على أن المخازن اليوم مغلقة . ويا ليت أيامي كلها تصبح أيام آحاد

بعد أسبوع – شعرت أني مريضة فاستدعيت أحد الأطباء ، ولكن المرض في نفسي لا في جسمي ، وما متاعبي وآلامي إلا نتيجة الجهاد الثقيل الذي أقوم به ضد رذيلتي

بعد ثلاثة أيام – خرجت لشراء بعض الحاجيات ، ووصلت الى قطعة من المجوهرات فرأيت صاحبتها وتنقلت عيناي بين حلية صغيرة ثمينة أخفيتها تحت قفازي . لم فعلت ذلك ؟ ألم أجاهد نفسي على المقاومة ؟ إن مرتبي كبير وفي وسعي أن أحصل على ما أشتهي ، فأي عار يكون عاري وأي شقاء يكون شقائي لو قبض علي ؟ . . .

سأفصل عن عملي والحق العار بالمدرسة وأطفالها وأسرهم ومستقبل ، ومع ذلك فهذه المخاوف لشخصي وأنا أسخر منها وأمضي في رذيلتي

في اليوم التالي – حدث ما كنت أتوقعه . أردت أن أختلس قطعة من الحرير الدمر فاضطربت ولم أحسن إخفاءها فقبضوا علي وساقوني الى حجرة المدير ، وبعد أن أرهقوني بالأسئلة رأوا عالي فدفعت ثمن ما سرقت وأنا أكاد أبكي . أشفقوا علي وتركوني أنصرف ، ولكني وقعت باسمي على وثيقة اعترفت فيها بأني اختلست قطعة الحرير وأشياء أخرى لا قيمة لها

في اليوم التالي – أزعجتني تلك الوثيقة وأقضت مضجعي وهدمت قواي فذهبت الى طبيب وعرضت عليه أمري ثم دفعت له مبلغ كبير من المال أن هو أعطاني شهادة تثبت أني كنت بالأمس منهوكة الأعصاب مريضة . وما أن قبل الطبيب وتسلمت الشهادة حتى أسرعت الى المخزن الذي اختلست منه قطعة الحرير ، وهناك قابلت المدير واعتذرت اليه عما صدر مني وأبرزت له الشهادة فأشفق علي مرة ثانية وصفح عني ومزق الوثيقة أمام عيني وهو يبتسم

في تلك اللحظة سري عني وأحسست كأن حياة جديدة توشك أن تنفتح أمامي ، فلم أتردد وذهبت من فوري الى منزلي فأحصيت الأشياء التي اختلستها وأحصيت أسعارها ثم استدنت من إحدى الصديقات مبلغا من المال ثم أرسلته الى إدارات المخازن مصحوبا بقوائم بالأشياء التي سرقت مصحوبة بقيمتها

وفي ذلك اليوم ، في ذلك اليوم فقط تنفست الصعداء واطمأنت نفسي واستطعت أن أنام الليل بسلام

ولقد شفيت الآن من مرضي لا بقوة جهادي بل لأني كنت على وشك أن أفقد صحتي ومستقبلي منذ الساعة التي أبدأ الجهاد الحق ، الجهاد الصادق المطرد كي لا أقع مرة ثانية بين براثن رذيلتي

[خلاصة مقال من مجلة ذي ليتراري دايجست]

تقدم العلم والعالم

نفقات الحرب المقبلة

تنذرنا الحروب القائمة في أوربا وآسيا، والخلافات العميقة الناشئة بين شتى الدول، بأن الحرب العالمية قادمة عن قرب. ولكن الواقع أن الدول حينما تسعى الى ارجاء هذه الحرب قدر ما تستطيع، لأن ما استنزفته الحرب الكبرى من مواردها يحمل أكثرها على أن يحول حربا تقدر نفقاتها بأربعة أمثال نفقات الحرب الماضية

ذلك أن الجيش المتوسط الذي يتألف من ١٥٠٫٠٠٠ جندي يحتاج على الأقل الى ثلثمائة مدفع تستهلك يوميا ٣٫٠٠ طن من البارود، تتراوح قيمتها بين ٤٠٠٫٠٠٠ جنيه و ٦٠٠٫٠٠٠ جنيه. وكل طلقة من مدفعية عرض فوهتها ٧٫٥ سنتيمتر تساوي جنيهين، أما مدافع اسقاط الطائرات الكبيرة التي لا يوجد منها في كل بارجة من بوارج الاسطول البريطاني سوى أربعة فان الطلقة الواحدة تكلف أكثر من مائتي جنيه

أما السلاح الجوي فأكلافه أثقل من نفقات الجيش البري، إذ أن الفرقة الجوية العادية تحتاج الى ستين طائرة، تلقي مائة طن من القنابل، ثمن كل طن منها ١٩٠ جنيها.. والقنبلة الواحدة من هذه القنابل الثقيلة يتكلف صنعها ٨٠ جنيها. ويضاف الى هذه الاكلاف نفقات نقل الذخائر والجنود، وأثمان الطائرات المهشمة والمعطلة

وقد قدر رجال الاحصاء في أمريكا أن اسطولهم يحتاج في معركة حربية واحدة، لا تمتد الى أكثر من يوم واحد زهاء ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات، أي ضعف ما كانت تتطلبه معارك الحرب الكبرى. فما بالك بنفقات اسطول كالاسطول البريطاني أو الياباني، في معارك تمتد شهوراً وسنين؟

دخان ملون

قد تستطيع السيدات قريبا أن يدخن سجائر، ينبعث منها دخان ملون ألوانا مختلفة، إذ تحاول احدى شركات الدخان بأمريكا أن تخرج نوعا من «السجاير» يحمل مادة كيماوية تكسب دخانها القاتم لونا زاهيا

وستجد السيدة في هذا مجالا جديداً للتأنق فتوفق بين لون ثوبها وزينتها ولون دخان «سجايرها»، ويجد به المتأنقون من الرجال كذلك ضربا من التسلية حين يستطيعون أن ينفثوا من بين أصابعهم دخانا مختلف الألوان كأنه قوس قزح، ولا شك أن هذا سيكون من أكثر أسباب اغراء الشبان والفتيات بتدخين الدخان

ويقول رجال الشركة التي تزمع تنفيذ هذه الفكرة أنه قد ثبت لعلماء النفس أن أكثر الناس يدخنون ليشاهدوا سحائب الدخان تنبعث من بين أصابعهم فحسب، فمن الواجب ألا يكون هذا الدخان شبحا قاتما منقبضا، بل زاهيا بهيجا يستريح النظر الى رؤيته

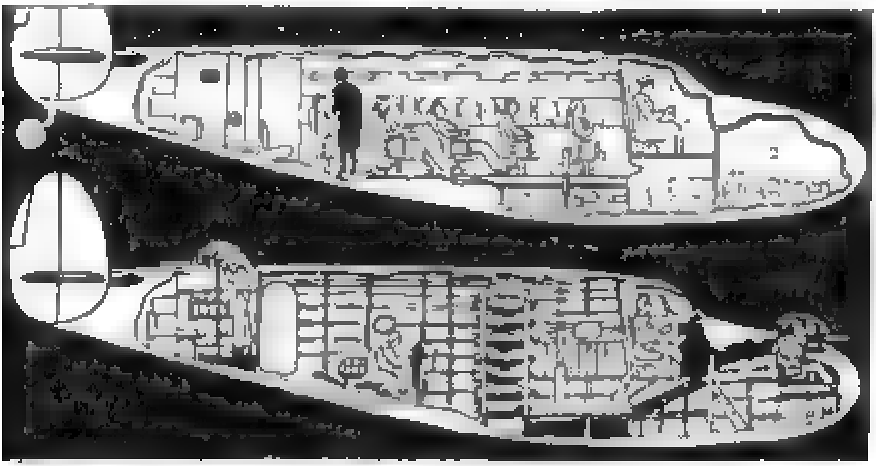

طائرة للسلم والحرب

أخرجت المصانع الامريكية اخيراً طرازاً من الطائرات ، يعد من أحدث وسائل النقل أيام السلم ، ومن أقوى وسائل الهجوم حين تشب الحرب . فعندما تعد للطيران المدني تتسع لاحد عشر راكباً ، فضلا عن قائدها ورفيقه وخادمها ، كما ترى في الرسم الاعلى . وعندما تحول طائرة حربية تتسع لأربعة رجال مسلحين بمدفعين كبيرين وكمية ضخمة من القنابل ترص وسطها ، كما ترى في الرسم الأدنى . وتبلغ سرعتها العادية ٢٣٠ ميلا في الساعة ، ويمكن زيادتها وقت الحاجة الى ٢٦٠ ميلا ، مما يجعلها من أقدر وسائل الحرب للتخريب والتحطيم

التداوي بلحم الافاعي

من العادات الشائعة في اليابان أكل لحوم الأفاعي ، زعما بأن فيها شفاء من أمراض الصدر والروماتزم والسرطان

ويقدر عدد ما يؤكل من الأفاعي في مدينة طوكيو كل يوم بألف أفعى . وفي هذه المدينة زهاء ١٠٠ متجر لبيع الافاعي ، ويبلغ عدد ما يبيعه احدها في العام الواحد مائة الف من مختلف أنواع الثعابين . ويحتفظ هذا المتجر في مخازنه بما لا يقل عن عشرة آلاف أفعى ، يعرض بعضها للجمهور في « فترينات » أنيقة !

هل البراكين مناجم ؟

قرر جماعة من علماء الجيولوجيا في أمريكا أن كثيراً من البراكين الخامدة مخبأ لكميات كبيرة من الذهب والفضة والبترول والماس ، وأن استغلالها أجدى على الصناعة من استغلال كثير من المناجم التي كادت ينفد ما فيها

والبراكين من أغنى المصادر التي أمدت العالم بكثير من ثروته المعدنية ، فقد قذف أحد براكين كلورادو مثلا كميات من الذهب تبلغ قيمتها زهاء ٧٥٬٠٠٠٬٠٠٠ مليون من الجنيهات . وقدر ما قذفه بركان آخر في تلك المنطقة من

الذهب والفضة بمقدار ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥ من الجنيهات . ويشتمل كثير من البراكين على ينابيع عذبة من البترول ، ومنها سلسلة من البراكين تمتد في ولايات تكساس واركنساس ومسسبي بامريكا فقد تفجرت منذ غابة ملايين من السنين ومع هذا لم يكتشف ما فيها من ينابيع البترول الا سنة ١٩١٥ . وفي مكسيكو الحديثة براكين مطمورة في جوانبها كميات من النفط الفاخر ولهذا ينتظر ان يلجأ العالم الى استغلال البراكين لئلا تحدث الفاجعة

مخترعات جديدة

• كثيراً ما يمنع الدخان الكثيف المنبعث من الحرائق رجال المطافىء من اداء مهمتهم في انقاذ الارواح والامتعة ، فاخترع أخيراً جهاز مكون من أسورة تلقى فتحتها في الأماكن التي يتكاثف فيها الدخان فتمتصه على عجل ، فيستطيع رجال المطافىء أن يدخلوا اليها ويؤدوا واجبهم فيها

• أخرج أحد المصانع الامريكية قفازات مصنوعة من المعدن الصلب الرقيق ، لتحمي بها أيدي من يزاولون أعمالاً تعرضها لضربات السكاكين والزجاج وما شابهها . ومع صلابة القفاز ومتانته الى حد مقاومته حد السكين وشظايا الزجاج ، الا أنه لين مرن فلا يعوق العامل من ثني أصابعه واستعمالها كيف شاء وينتظر انتشار هذه القفازات بين عمال مصانع الأسلحة ، والزجاج ، وكذلك بين القصابين والنجارين والحدادين وغيرهم

الصداع : سببه وعلاجه

الصداع البسيط الذي يأتي عقب يوم مجهد أو ليلة مضطربة يمكن ازالته بطرق جواب الرأس وبتؤخره بالأصابع طرقاً خفيفاً . فهذا أيسر وأصح من اتخاذ الأدوية التي يترك كثير منها أثراً سيئاً في الجسم

ولكن هناك أنواعاً من الصداع تنتاب الرأس من آن لآن ، وتؤلمه ألماً شديداً لا يحتمل ، وعنده تصيب غالباً بعض أجزاء الرأس الداخلية ولا يجدي فيها أي طرق ولا أي دواء . فمن الواجب أن يعرض أمرها على الطبيب يرى أين موضع الصداع قبل أن يشتد خطره

وأسباب الصداع كثيرة ، فقد يكون نتيجة لاضطراب في الجهاز العصبي ، أو نتيجة الاسراف في تدخين التبغ أو احتساء الخمر ، كما قد يأتي من اجهاد الجسم في عمل مرهق ، أو اجهاد الاعصاب في تفكير طويل ، ولهذا كثيراً ما ينتج من الانفعالات النفسية الشديدة وكل هذه العوامل ان لم تخفف من حدوثها فلا يمكن علاج الصداع علاجاً ناجحاً مفيداً

الاختزال

في عهد الاغريق والرومان

من طريف ما أثبته علماء الآثار اخيراً ان اختزال الكتابة عرف قبل أن يعرف الورق . فقد أخذ الرومان نوعاً من الاختزال لتسجيل ما كان يجري به خطباؤهم كل آن وفي كل مجال ، وكان الفضل في ابتكاره ، لماركوس تيرو ، صديق شيشرون الحميم ، وذلك قبل الميلاد بثلاث وستين سنة . وكان الاختزال يدرس في مدارس روما ، وكان الأباطرة يتلقونه على أساتذتهم ، وقد أجاده كثير منهم

على أن الاغريق قد عرفوا نوعاً من الاختزال قبل هذا ، وتوجد منه نماذج كثيرة في مكتبة الفاتيكان بروما ، والمكتبة الأهلية بباريس ،

ومتحف البريطاني بلندن . وكان المنزل يتخذ لوحا من الشمع وقلما من المعدن ، اذ لم يكن الورق قد عرف حينذاك

وقد كان ليوليوس قيصر ورقة كبيرة من المنزلين ، يملى عليهم معا ما يريد إثباته من خطب وأوامر وقرارات ، وذلك اعتبارا لكثير من الاعمال في أقصر فترة

طرائف متفرقة

● عدد من جاوزوا سن المائة في كل مليون نسمة من سكان بلغاريا هو ٤٣٦ نسمة وكولومبيا ٣١١ ، والبرازيل ١٤٠ ، والسويد ٦٥ ، وبلجيكا ٢٥ ، وألمانيا ٢ ، وسويسرا ١ . أما بريطانيا وفرنسا فيندر فيهما من عمروا الى هذه السن

● يموت في الولايات المتحدة كل عام من الاطفال الذين لم يجاوزوا السنة الأولى من أعمارهم ٨٠٠ مصابين بالنار والدخان ، و ١٢٠٠ في حوادث الطرق والتصادم

● شرع بعض أطباء الأسنان يصنعون أسنانا من الزجاج الصلب الملون ، وأنه ثبت أنها أسهل تنظيفا وأيسر صنعا ووضعا من الاسنان الطبيعية أو المعدنية ، ولهذا ينتظر انتشارها قريبا

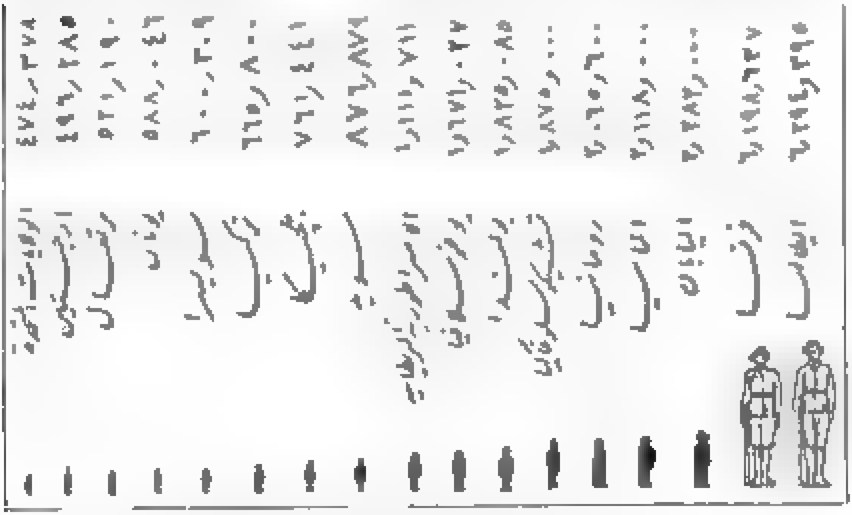

قوات الدول في الحرب القادمة

وضعت مجلة « الدفاع الاهلي » الامريكية احصاء دقيقا عن عدد الجنود الذين تستطيع الدول المختلفة أن تحشدهم لخوض معارك الحرب القادمة ، أي عدد من يصلحون لحمل السلاح من الرجال والشبان اذا نشبت اليوم الحرب العالمية . ودل الاحصاء على أن أكبر الجيوش سيكون جيش روسيا السوفياتية اذ يقدر عدده بما يربو على تسعة عشر مليونا من الجنود ، وأصغرها سيكون جيش الولايات المتحدة اذ لا يبلغ عدد جنوده نصف مليون . وقد استقت المجلة أرقامها من أصح المصادر وأدقها ، لأنها مجلة شبه رسمية ، ووضعت الرسم السالف لبيان احصائها هذا

كتب جديدة

الري في مصر

بقلم صاحب المعالي حسين سري باشا

المطبعة الاميرية في ٥٠ صفحة

يعد معالي حسين سري باشا حجة في شؤون الري في مصر . وقد اجمل في هذا الكتاب تاريخ الري وتطوراته في اسلوب علمي دقيق يدل أبلغ الدلالة على وفرة المادة وسعة الاطلاع والقدرة على معالجة الموضوعات الصعبة في عبارة واضحة تسيغها أفهام الجميع

وقد عرض سري باشا لتاريخ الري في مصر خلال العصور الغابرة ثم تبسط في شرح عوامل تقدم الري في العصر الحديث ثم تحدث عن التوسع الزراعي في المستقبل وعن شتى أعمال الوقاية من غوائل الفيضان وعن الصرف ومختلف الاعمال الصناعية الكبرى المقامة على نهر النيل وشفع كل ذلك برسوم بيانية وخرائط تحرر البحوث وتوضحها وتقرن بين النظريات وأساليب تطبيقها . وليس شك في أن هذا الكتاب الفريد في نوعه يرشد القارىء المصري الى تعرف جزء خطير من تاريخ بلاده ويكشف له عن حقائق فنية تتعلق بصميم حياته أي بذلك النهر العظيم الذي يوليه نعماته ويغمر الخيرات على وادي النيل فيسبغ على حسه حبا ويمده من قوته وحياته

السير

بقلم الاستاذ محمد سعيد لطفي بك

مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة في ٢٣٠ صفحة

من كتابة السير من الفنون التي ذاعت في أوربا هذه الأيام وعالجها طائفة من أكبر كتاب الغرب أمثال (اميل لودفج) و (أندريه موروا) و (دريكوتر) واضرابهم

والواقع أن كتابة سير العظماء تتطلب الجمع بين عنصر التاريخ وعنصر القصة . وهذا هو وجه الطرافة فيها كما أن هذا هو وجه الصعوبة في احداثها

فالكاتب الذي يستطيع التوفيق بين العنصرين المشار اليهما بحيث لا يطغى عنصر التاريخ على القصة أو عنصر القصة على التاريخ هو الأديب البارع المتمكن من أصول هذا الفن

وقد اشتهر الاستاذ محمد سعيد لطفي بك بما أذاعه بالراديو من مختلف سير عظماء الاسلام . وقد توخى في وضع هذه السير الجمع بين التاريخ والقصة في اسلوب شائق وعبارة جزلة وقدرة ملحوظة على ابراز مواطن القوة في حياة أولئك العظماء بحيث يتأثر بها الجمهور ويسمو الى منزلتها ويتخذها مثلا أعلى

ومن الشخصيات التي وفاها حظها من البحث والتحليل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد

وقد عرض المؤلف هذه الشخصيات مجددا أعمالها شارحا عظمتها مضفيا ضوءاً ساطعا على شتى الحوادث التي صدرت عنها واتصلت بها وهكذا بعث حياة جديدة في تاريخ العرب والاسلام

وأما فكرة اذاعة سير العظماء من طريق الراديو فقد شاعت في اوربا واستمرت هناك عن

نتائج رائعة اذ هي توثق الصلة بين الماضي والحاضر وتشعر الأمة بمجدها السالف وتحفزها لمواصلة الرقي واستطراد الجهاد

ولقد كان الأستاذ محمد سعيد لطفي بك في طليعة من فكروا في مصر في اذاعة سير العظماء وفي مقدمة من توفقوا في وضع هذه السير وليس شك في انه أسدى بكتابه الرائع أجل الخدم للأدب وللاسلام

وطنيتي

نظم الأستاذ علي الغاياتي

مطبعة مقتطف مصر في ١٤٢ صفحة

أصدر الأستاذ علي الغاياتي الطبعة الثانية من هذا الكتاب المشهور الذي ظهر في منتصف عام ١٩١٠ فصودر وحوكم المؤلف من أجله وحكم عليه غيابيا بالحبس سنة

ويعرف القراء ان الأستاذ الغاياتي فر من مصر سرا قبل المحاكمة ثم سافر الى جنيف وأنشأ هناك صحيفة منبر الشرق العربية التي طالما روجت الدعوة في الخارج لقضية استقلال مصر

وأما كتاب (وطنيتي) فمجموعة قصائد وطنية ملتهبة تستمد روحها من مبادىء الحزب الوطني وتسجل في حرارة وصدق مختلف الحوادث السياسية التي اثارت كرامة المصريين في ذلك العهد والتي ألهبت نفوسهم ووحدت شعورهم وهيأتهم للمطالبة بالاستقلال

فجهاد مصطفى كامل ، وقضية دنشواي ، وطغيان قانون المطبوعات ، ومساوىء الاحتلال البريطاني ، ومشكلة قناة السويس ، كل هذه الذكريات وما تحمل من سخط وتمرد وشعور قوي بالاباء الوطني والعزة القومية ، نجدها ماثلة في قصائد الأستاذ الغاياتي التي تشبه في حماستها الوطنية تلك القصائد الحماسية التي كان ينظمها الشاعر الفرنسي بول ديروليد ويستنهض بها عزائم الفرنسيين ووطنيتهم قبل الحرب العظمى

أخلاق وعادات الفلاحين المصريين

تأليف الأب هنري حبيب عيروط

طبعة باريس في ١٨٤ صفحة

هذه رسالة وضعها باللغة الفرنسية الأب الفاضل هنري حبيب عيروط اليسوعي وأحرز بها اجازة الدكتوراة من جامعة ليون

والأب هنري حبيب عيروط عاش في مصر واندمج في صفوف الفلاحين واتصل بهم عن كثب وبذل قصاراه في اعطاء صورة صادقة عن عاداتهم وأخلاقهم ومستوى حياتهم الاجتماعي والاقتصادي

والواقع أن رسالة الأب الفاضل هي صرخة صادرة عن نفس كريمة وقلب رحيم ورغبة صادقة في لفت أنظار المسؤولين الى شقاء الفلاح المصري وحثهم أن يضاعفوا الجهود المبذولة لانعاشه ورقيه

ويرى المؤلف ان الدوائر المصرية الرسمية تعير مشكلة الفلاح اهتماما كبيرا ولكن التدابير الحكومية كثيرا ما تنتهي الى الفشل للاسباب الآتية :

أولا ـ أن مختلف الاصلاحات المتعلقة بالفلاح يضعها نفر من الموظفين أبعد ما يكونون عن حياة الريف ، فهي اصلاحات تخرج من المكاتب وتغلب عليها النزعة البيروقراطية النظرية

ثانيا ـ ان واضعي تلك الاصلاحات لا يهتمون

في وضعها بعقلية الفلاح نفسه وأسلوب تفكيره وخصائص عقليته

ثالثا — ان الفلاح يشعر كأن تلك الاصلاحات غريبة عنه وكأنها فرضت عليه فرضا ، وانما هو يتبرم بها ولا يساعد الادارة مساعدة قلبية على تحقيقها

ويعتقد المؤلف ان الاصلاحات الفردية هي التي تجدي وان الملاك المستنير المثقف الرحيم المتصل اتصالا يوميا بحياة الفلاح هو الذي يستطيع انهاضه ورفع مستواه بالتعاون مع معلمي القرى

فإيقاظ الحياة الأدبية وبعث الكرامة وروح الثقة وحماية الفلاح من السلطة الشخصية في نفس الفلاح المصري ، أمر يتوقف في نظر المؤلف على جهود الملاك ومعلمي القرى إذ هم الذين يمهدون الطريق أمام الاصلاحات الحكومية باشعار الفلاح بشخصيته وتنمية استعداده لقبول تلك الاصلاحات والعمل بها

فالمهم أن نعنى بتربية الفلاح أولا . وكل من يتصل به يجب أن يعرف كيف ينهض بهذا الواجب سواء في ذلك الملاك ومعلم القرية والمهندس الزراعي وموظف البنك وموظف الحكومة

وقد يكون فلاح مصر أسعد حالا من بعض فلاحي سهول أوربا الشرقية ، ولكن العبرة ليست في المقارنة والموازنة بل في انسجام حياة الفلاح مع مستوى الحياة العامة في بلده ، وفي مبلغ قدرته على التمتع بنتاج عمله . وليس من ينكر أن هذا التمتع المشروع ضئيل ، وأن موارد الفلاح المصري التي لا تشمل شوق رقيه المنشود وتجبره على الحياة كما كان يحيا أيام الفراعنة

وصفوة القول أن المهمة الكبرى ملقاة على عاتق الملاك ، وأن الفلاح لن ينهض إلا بعد أن يصبح هو نفسه المستهلك المصري الأكبر لمصنوعات التجارة المصرية . ومتى أغنانا فلاحنا عن الاتجاه الى الزبون الاوربي فعندئذ يمكننا أن نقول إنه قد ارتقى وتحضر وإننا قد قمنا ببعض الواجب نحو ذلك المخلوق النشيط القوي الصبور الذي منه عيشنا وبفضله نستمتع بنعيم الترف ومباهج المدنية

ولا يسعنا إلا أن نشكر الأب الفاضل هنري حبيب عيروط على اهتمامه الصادق بمشكلة تتصل بصميم حياتنا ، ونتمنى أن تنقل رسالته الى اللغة العربية كي تحدث في البيئة المصرية الأثر المطلوب

مقاييس الكفاءة للاستقلال

نشر الدكتور والتر هولاز رتشر

أستاذ العلوم السياسية بجامعة بيروت الأمريكية

المطبعة الأمريكية ببيروت في ١٠٠ صفحة

يبحث هذا الكتاب في جملة مقاييس لمعرفة كفاءة الأمم الصغيرة وتقرير مؤهلاتها للاستقلال والأمة حين تظاهر تتجه نحوه في سبيل هذه الغاية

وقد عرض المؤلف تلك المقاييس بالنسبة الى العراق وجزر الفيليبين والهند ثم تطرق الى بحث مقاييس الاعتراف بالدول الحديثة ودخولها في عصبة الأمم

وأهم هذه المقاييس هي :

أولا — أن يكون للبلاد المرشحة لتحريرها حكومة مستقرة وادارة قادرة على تسيير شؤون الدولة بصورة منظمة

ثانيا ـ أن تكون الدولة متمكنة بواسطة قواتها العسكرية من المحافظة على سلامة أراضيها في وجه عدو خارجي

ثالثا ـ قدرة الدولة على المحافظة على الأمن العام

رابعا ـ وجود مصادر مالية للدولة تكفي لسد حاجات الحكومة

خامسا ـ وجود قوانين وأنظمة قضائية تضمن العدل للجميع على السواء

فهذه المقاييس وإن اختلفت في الشكل باختلاف الوضع السياسي في العراق فهي التي تقرر مؤهلات الأمة لحياة الاستقلال والحرية

ويتضح مما تقدم أن كتاب الدكتور وتشر من الأهمية بمكان عظيم لشعوب الشرق العربي ، وهو سفر يجب على كل عربي مثقف مطالعته وإمعان النظر فيه رغبة في استكمال عناصر الحرية السياسية ومؤهلات الاستقلال القومي

رسل الثقافة

بقلم الأستاذ ذو النون أيوب

المطبعة العربية ببغداد في ١٠٠ صفحة

أصدر الكاتب العراقي الأستاذ ذو النون أيوب تحت العنوان المتقدم مجموعة قصصية طريفة نحا فيها نحواً مستقلا يدل على اطلاع واسع في شتى مناحي الفن القصصي

ويميل الأستاذ إلى تسجيل صور مستمدة من حوادث الماضي ، ويعتقد أن صور الماضي لا تقل أهمية عن صور الحاضر بل قد تفوقها معنى وتأثيراً لاتصالها الوثيق بالحاضر وقدرتها على توجيهه . فإذا كان الحاضر عظيما والماضي حقيراً كانت المفاضلة بين الاثنين أشد حافز على التحرر من الماضي والآمال في الحاضر وإلا فالعكس بالعكس

فهذه النظرية هي التي أقام عليها المؤلف بنيان قصصه وأهمها « الملك المغتصب » و« الفرحات النهائية » و« السيد عبيد في لحوم » و« قلب المرأة »

ويمتاز أسلوب المؤلف القصصي بالقدرة على ملاحظة الأخلاق والعادات الشائعة في المجتمع العراقي والمنحدرة إليه من أصول وعنعنات الماضي

والحق أن الروح الفكاهية الناشئة عن نقد العادات والتقاليد القديمة تملأ تلك القصص الشائقة وتضفي عليها حلة قشيبة ساحرة وتذكرنا بطريقة الروائي الإنكليزي تشارلز ديكنز ولاسيما في قصته المشهورة (أوليفر تويست)

محاضرات دينية

للأرشمندريت بولس الخوري

مطبعة كرى بالقاهرة في ٣٢ صفحة

تحدث الأرشمندريت بولس الخوري في هذه المحاضرات عن أهم الحوادث التي مرت بحياة المسيح عليه السلام واستخلص منها طائفة من الحكم والمواعظ والإرشادات الخلقية ، ثم عقد فصلا عن فلسفة الدين دلل فيه على أن الدين والمدنية لا يختلفان وأن الدين لا يبحث في الطقوس فقط بل في ضرب من الإعداد الروحي لله وفي فكرة الحق وما تنطوي عليه من مبادىء عالية وأخلاق سامية يقر بها الكل ويسعى الجميع إلى تحقيقها . وهذه هي غاية المدنية كما أنها غاية الدين

تاريخ الصيدلة

بقلم الصيدلي صابر جبره

طبع في مصر في ٨٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعة محاضرات كان الصيدلي الكيميائي الأستاذ صابر جبره قد ألقاها في جمعية الصيدلة المصرية التي يشرف عليها عميد الأسرة الطبية في مصر الدكتور علي باشا ابراهيم

والحق أن الموضوع الذي طرقه المؤلف جديد ولم يسبق ان عرضه باحث مصري بمثل هذه الاحاطة . وقد تناول المؤلف الفاضل تاريخ الصيدلة والعصر الذي نشأت فيه وعلاقتها بالعقائد والفلسفة والسحر وأثرها في حياة قدماء المصريين والطرق التي كانت تمارس بها عند شعوب الشرق الأقصى وعند اليونان والرومان والعرب وفي القرون الوسطى حتى تطورت ونمت وازدهرت في العصر الحديث

وأمتع ما في هذا الكتاب باب الصيدلة عند الفراعنة وفيه نجد ان كهنة مصر الأطباء كانوا يرسلون وصفاتهم الى الكهنة الصيادلة في معابد ايزيس . هؤلاء كانوا يقومون بتحضير الدواء لمرضاهم ولإبعاد الأرواح الشريرة التي كانت تسكن في عرفهم النباتات الطبية

وقد روى بلينوس أن المصريين استخرجوا من الشلجم واكتشفوا خواص العقاقير وقال هيرودوتوس ان المصريين كانوا يزاولون الطب والصيدلة بتفنن . وأكد العالم ريكارد دلوس ان صيادلة مصر القديمة كانوا ماهرين في التعدين والصناعة والصباغة وصنع الزجاج والصابون والسائل وان كلمة chemistry اشتقت من اسم مصر القديم وهو Khemi

هذه المعلومات وأمثالها يزخر بها كتاب الأستاذ صابر جبرة وهو كتاب لا يهم الاطلاع عليه أهل الصيدلة والطب وحدهم بل كل قارىء مثقف مستنير يرغب في الوقوف على تطور فرع عظيم من فروع العلم المصري

آثار نينوى أو تاريخ تلكيف

للاستاذ يوسف هرمز جمو

مطبعة الأمة ببغداد ١٢٠ صفحة

تلكيف هي مدينة صغيرة في شمال العراق يسكنها الآن نحو عشرة آلاف من النفوس . وهي البقية الوحيدة الباقية من آثار نينوى العظيمة . وقد هجرها معظم سكانها وانتشروا في مدن العراق وغير العراق ولكنهم ما زالوا ينتسبون اليها

تاريخ هذه البلدة هو الذي بحثه المؤلف في كتابه الطريف وقد تحدث عن عادات وأخلاق سكان هذه المدينة وأزيائهم وألوان طعامهم وطرائق تفكيرهم وعاداتهم في الزواج والمآتم والملاهي، مما يدل على تحقيق علمي واسع تحرى فيه المؤلف دقة البحث معززة بأوثق المراجع والمستندات

ولم يهتم المؤلف بتاريخ هذه المدينة إلا لأن أكثر من هجرها من سكانها يقطنون اليوم في عاصمة العراق ويشغلون المناصب الكبيرة في الدولة . فكأنه بهذا الكتاب قد كشف عن جانب من تاريخ العناصر التي تتكون منها الدولة العراقية الحديثة

الأدب في شهر

آخر قصة لدانونزيو

كانت آخر قصة وضعها الشاعر الإيطالي دانونزيو قبل وفاته هي (رماد) التي قال عنها إنها أبدع وأقوى ما كتب

ونقرأ في مجلة (العصر الجديد) الباريسية أن هذه القصة لا تمت على الإطلاق بأية صلة إلى روح دانونزيو القديمة ونزعته الأدبية المعروفة القائمة على تمجيد الحب مقترنا بالشهوة

وتؤكد المجلة الباريسية أن القصة المشار إليها شعرية الروح صوفية الفكرة تنهض على تمجيد الحب الروحي وتشيد بمعاني الزهد والتجرد من متع الدنيا في سبيل تحقيق مثل نفساني أعلى

ويظهر أن دانونزيو أمعن في أواخر أيامه مطالعة شعر الجليل وتأثر به فعاف ملذات اللذة وانتهى إلى ضرب من التقشف ساقه إلى فكرة الفناء والعدم

ومما يلفت الأنظار في قصته الأخيرة أن أسلوبها الأدبي هادئ متزن رصين تشع به نفحة شعرية ألمعية عريقة تنم عن المقت للحياة وازدرائها واحتقار أباطيلها والتطلع في حماسة وجدانية عريقة إلى قوة غير منظورة وإلى نوع من الحب المطهر العلوي

أندريه جيد والزنوج

يعتبر الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد من ألد أعداء الاستعمار ومن أكبر أنصار أولئك الزنوج المساكين الذين يقطنون في المستعمرات الأوربية ويحيون فيها حياة الذل والبؤس تحت سيادة الأجنبي

وكان جيد قد سافر فيما مضى إلى الكونغو ودرس أحوال الزنوج هناك وحمل على الاستعمار الفرنسي في تلك المنطقة حملة شديدة

وفي الأنباء الأخيرة أنه قام برحلة طويلة في أفريقيا الوسطى ليدرس أساليب المدارس الإنجليزية والفرنسية والبلجيكية الخاصة بتعليم الزنوج، فاستطاع أن يجمع طائفة من المعلومات يقال إنها ذات قيمة كبيرة في الدلالة على عقلية الزنجي وفي الإشارة إلى خير الوسائل لرقيه وإنهاضه وإشعاره بما عليه في الحياة من واجبات وما له من حقوق

ومما يؤسف له أن أندريه جيد أصيب بمرض خبيث في أثناء رحلته فاضطر أن يسرع بالعودة إلى فرنسا قبل أن يستوفي دراسته

وقد أعلن ناشر باريسي أنه سيصدر عما قريب كتاب جيد عن رحلته في أفريقيا الوسطى

فن المجانين

يقول العلامة الإيطالي لومبروزو في كتابه عن العبقرية والجنون إن بعض المجانين يبدعون إبداعا خارقا في ميادين الفنون كالرسم والنحت والموسيقى. وقد صدر كتاب للطبيب البرازيلي (الجبار وبتاكر) يعزز هذه الملاحظة ويدعمها بالبرهان

ويقول هذا الطبيب وهو من مديري مستشفى المجاذيب في سان باولو إنه شاهد مجنونا مصابا بالصمم يرسم الشخوص والمناظر الطبيعية رسما دقيقا يحس حركة وحياة ويعتبر من مثله أكبر الرسامين

ويزعم الطبيب أن وجه الطرافة في رسوم ذلك المجنون هو أنها صحيفة الصدق تعبر أتم تعبير عن أخلاقه وعاداته وأسرار جنونه كما تعبر في نفس الوقت عن مميزات الشخص أو المنظر الذي يرسمه

وقد لاحظ الطبيب أن جمال تلك الرسوم كامن في بساطتها وسذاجتها وبراءة الشعور الفطري للتمثيل فيها وعدم تأثرها بأحكام المنطق وقوانين العقل من تناسب وتوازن وانسجام

والذي يفهم من كلام الطبيب أن العبقرية (الفنية) قريبة من الجنون لفرط اعتمادها على وحي الخيال والغريزة ونفورها من العقل وسلطته الحساب الجاف

حياة ميكل أنجلو

يشتغل الكاتب الإيطالي جيوفاني بابيني بوضع ترجمة جديدة لحياة المثال والشاعر العبقري ميكل أنجلو

وقد صرح بابيني في حديث له أنه لن يعني في كتابه الجديد بتصوير ميكل أنجلو كمثال بل بتصويره كرجل

ويزعم الكاتب الإيطالي أن حياة ميكل أنجلو لاتقل روعة وعظمة عن أعماله الفنية، وأن تلك الحياة يسيطر عليها عاملان: التضحية في سبيل الفن والتضحية في سبيل حب نقي شريف خالص من كل شائبة

والواقع أن ميكل أنجلو احتمل مختلف صروف العذاب وذاق مرارة البؤس من أجل فنه، واحتمل أيضا شر ضروب الحسرة والألم والذل لأنه كان يحب. وكان يحب سيدة نبيلة تدعى فيتوريا كولونا، وكانت مخلصة تعطف عليه مع ولائها لزوجها ورغبتها الشديدة في الاخلاص له حتى بعد أن توفي

هذه المأساة، مأساة الرجل العظيم الذي يحب امرأة مخلصة لذكرى زوجها، والذي يشعر ويفهم أن هذه المرأة لن تكون له أبداً، والذي يرضى بحبه ويتسامى بحبه ويجرده من كل شهوة، هذه المأساة هي التي يرغب جيوفاني بابيني في تصويرها ليخلد ميكل أنجلو الرجل كما خلد ميكل أنجلو الفنان

الانسان والآلة

ظهر في باريس هذه الأيام كتاب بالعنوان المتقدم أحدث ضجة كبيرة في دوائر الأدب والاقتصاد. وقد وضع هذا الكتاب باحث اجتماعي ملحوظ المكانة يدعى جاك دوبوان

وأهمية الكتاب تنحصر في الحل الذي اقترحه المؤلف لمشكلة الآلات ووجوب اخضاعها لسيطرة الانسان والانتفاع بها في القضاء على العطل

ويرى المسيو جاك دوبوان أن خير أسلوب لمكافحة العطل هو العمل على استبدال الانسان بالآلة. وذلك بتشغيل جميع الآلات التي تملكها الأمة بدون توقف. ومن ثم هنا يصبح في الامكان استخدام جميع العمال ثلث اليوم أو ربعه أو سدسه فقط

وهكذا تتهيأ أسباب العمل للكل بتخفيض ساعات العمل اعتمادا على ادارة جميع الآلات بدون توقف

وقد استرعى هذا الاقتراح اهتمام الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي

نهضة الادب فى امريكا الجنوبية

فى امريكا الجنوبية حركة أدبية جديرة بالبحث والاهتمام لأغلبها وجهة عربية خاصة وتحررها من مؤثرات الأدب الاوربي

وفى طليعة زعماء هذه الحركة الكاتب (ارموليم) الذى يعتبر بحق عميد الأدب فى امريكا الجنوبية

وقد أصدر هذا الأديب فى الشهر الماضى قصة سماها (تقدمة يوس ايرس) . وفى هذه القصة العربية نلمح روحا جديدا يقترن به التفكير العلمى والنقد الاجتماعى والتحليل الشعرى والقدرة على التحاليل النفسية ، والرغبة القوية فى تصوير خصائص عقلية سكان امريكا الجنوبية ورسم طبيعة بلادهم وأثر هذه الطبيعة فى تكوين أخلاقهم التى تختلف كل الاختلاف عن أخلاق وعادات أهل أوربا

وتمتاز تلك القصة فوق ماتقدم بأن أبطالها يرغبون فى الحياة نزعة مثالية عالية ويسمون الى تطبيق حياتهم اليومية على أمثلتهم العليا . فالشاعر منهم يأبى إلا أن يكون شاعراً فى الخيال وفى الواقع . وكذلك الأديب أو الفنان أو الفيلسوف يود أن تكون حياته الخاصة رجع صدى أفكاره ومبادئه كى يعيش صادق الفكر والاحساس مترفعا عن الملق متحرراً من أكاذيب المجتمع

الحكومة الفرنسية والثقافة

تجتاز فرنسا هذه الايام أزمة من أخطر أزمات الفكر . وتتجلى أعراض هذه الأزمة فى ضعف اقبال الجمهور على شراء الكتب القيمة واحجام الناشرين عن طبع عدد وافر منها

وترجع أسباب الأزمة الى طغيان الصحف على الكتب ، والى اكتفاء جمهرة القراء بالمعلومات السطحية العامة التى ترد فى الصحف ، والى شيوع نزعة السرعة فى المطالعة والتفكير

وقد روعت للمفكرين خطورة هذه الأزمة وخشى البعض على مستقبل الثقافة فى فرنسا وأوجسوا خيفة من انحطاط المستوى الفكرى فى البلاد . فقام جماعة منهم على رأسه الكاتب المشهور جورج دوهاميل بدعاية واسعة النطاق لحمل الحكومة على التدخل فى الأمر وانقاذ الكتب مستودع الفكر وواسطة الثقافة

وقد أحدثت تلك الدعاية تأثيرها المنشود فاهتم وزير المعارف العمومية حال رأى بهذه المشكلة ووضع مشروعا لتشجيع « الكتاب » وتشجيع الناشرين على القيام بطبع الكتب بتزويدهم باعانات مالية تعوض عليهم بعض نفقاتهم فى حالة الخسارة

وسيتطلع جورج دوهاميل فوق ماتقدم تأليف لجنة الدفاع عن الكتاب مؤلفة من كبار الادباء وبعض الشخصيات الحكومية البارزة . وستحمل هذه اللجنة مهمة الطواف فى الاقاليم الفرنسية والقاء شتى المحاضرات عن الفارق بين مهمة الكتب ومهمة الصحف فى الحياة العصرية وأثر الكتاب فى توجيه عقلية الفرد وفى مستقبل الامة ومصير الحضارة

احياء القرن الثامن عشر الفرنسى

فى فرنسا اليوم نزعة ادبية ترمى الى العودة بالحياة الفرنسية الى مبادىء وآراء فلاسفة القرن الثامن عشر الذين تقدموا الثورة ومهدوا لها ونادى معظمهم بالحرية والاخاء والمساواة

وقد ساعدت الجبهة الشعبية العربية في احياء تلك النزعة فظهرت عدة مؤلفات عن ديدرو وفولتير وروسو واضرابهم وشرعت المجلات والصحف تعيد النظر في أعمال هؤلاء المفكرين وتحللها وتنقدها في ضوء الحياة العصرية والمطالب الاجتماعية الجديدة

وقد ظفر ديدرو من اهتمام مواطنيه بأوفر قسط ، وأخرجت المطابع في الشهرين الماضيين خمسة مؤلفات تبحث في آرائه وفلسفته ، وبينها مؤلف لكاتب روسي الأصل حاول تصوير شخصية ديدرو وتطبيقها على المادية والمثاليم التركية

والظاهرة الملحوظة في فرنسا الآن أن الثقافة الملمة تتجه صوب دراسة المفكرين والفلاسفة الذين نادوا بالديموقراطية وبحرية الفرد واستقلاله وحقه في نقد انظمة الدولة والاشراف على أعمال الحكومة . وهذا الاتجاه جدير بعناية رؤساء الأمم الفاشستية التي تقول ثقافتها الجديدة بوجوب فناء حرية الفرد في الدولة واعتبار الدولة قوة مطلقة من حقها أن تطغى على الفرد وتستوعبه وتمحيه في ذاتها متى وجدت ان حريته تتعارض مع توسعها في النفوذ والسلطان

جورج دوهاميل ينقد الحضارة

يمتاز جورج دوهاميل بقدرته على نقد الحضارة القائمة نقداً طريفاً لا يخلو من عمق وحيوية ولا يمكن لاعداء الحضارة من الحملة عليها. وقد أصدر كتاباً بعنوان « على دراسة الحضارة » عدد فيه مساوىء المدنية الصناعية الحديثة . فقال ان الاعلان يطغى اليوم على جودة الصناعة ومتانتها، فصاحب رأس المال أو صاحب المصنع ينفق في الاعلان عن منتجاته أضعاف ما ينفق على صنعها وأما المنتجات نفسها فسريعة العطب لا يكاد يقتنيها الفرد حتى يشعر بما بها من ضعف الصناعة وفسادها، فما يرغب في اصلاحها يضطر أن ينفق عليها ما يساوي ضعف قيمتها الاصلية، وأخيراً يتبرم بها وترغمه ظروف الانتاج على شراء غيرها . فالصناعة الحديثة تخدع المشترى بمظهرها الظاهري ، وهي في الواقع صنعة تمليها رغبة السرعة وتخضع لقانون السرعة ، ولذلك تفتقر الى عنصر الجمال وعنصر المتانة . ولا يدعو جورج دوهاميل الى محاربة الحضارة القائمة بل الى مراقبة الانتاج وتحويله واشاعة عنصر الجمال والمتانة فيه . ويقترح أن تنشأ في فرنسا وزارة يطلق عليها اسم (وزارة الحضارة) تتعهد الانتاج ومتانتها وتشعر المنتجات الصناعية الثابتة وتكاتفها وتخلق في الحياة الاقتصادية سلطة أوسع النفوذ على سلطة النقابات التي كثيراً ما تتحكم في صناعة تحملها وكثيراً ما تفرض على اصحاب المصانع قبول عمال لا يحسنون من الناحية الفنية تأدية الوظائف التي يكلفون القيام بها

عاية العبقري

تناول هذا الموضوع الكاتب المجري فرانك رالف وبحثه في رسالة أخيرة له واستخلص منه أن العبقري هو أحد الناس من النعمة وأنه يفكر وينتج ويضحي لا للشهرة ولا للمجد بل لأنه مجبر بطبيعة تكوينه على التفكير والانتاج والتضحية

وهذا ما لا يفهمه الناس وما قد لا يفهمه العبقري نفسه في بعض الأحيان

بين الهلال وقرائه

قيمة النقود

(القاهرة — مصر) محمود ياسين

هل اذا كثرت النقود فى بلدنا ارتفعت الأثمان ؟

(الهلال) نعم . من المبادىء المقررة فى علم الاقتصاد أن كمية النقود المتداولة فى بلد ما تؤثر فى قيمتها تأثيراً عكسياً ، فتؤدى الى تغير مستوى الأثمان وفق هذا . فاذا تضاعفت كمية النقود ، هبطت قيمتها الى نصف ما كانت عليه ، أى ارتفعت الأثمان الى ضعفها ، وبالعكس اذا نقصت كمية النقود بمقدار النصف تضاعفت قيمتها ، أى هبطت الأثمان الى النصف

ومما يدل على ذلك أنه فى خلال القرن السادس عشر كثرت كمية الذهب والفضة فى أوروبا على أثر اكتشاف أمريكا والعثور على مناجمها ، فارتفعت الأثمان على أثر ذلك ارتفاعا كبيراً لم يستطع الناس حيالها فهمه أو علاجه . وفى منتصف القرن التاسع عشر اكتشفت مناجم كاليفورنيا واستراليا فأدى هذا الى ارتفاع عام فى الأثمان استمر الى أن قل انتاج الذهب فهبطت الأثمان نوعاً

بل انه اذا زادت كمية النقود الورقية قلت قيمتها . ومن البلاد التى التجأت الى اصدار كميات كبيرة من النقود الورقية فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ارتفعت فيها الأثمان ارتفاعا مطرداً مع كثرة هذه الأوراق . وحدث هذا كذلك عقب الحرب الكبرى فارتفعت الأثمان فى المانيا والنمسا والروسيا ارتفاعا لا مثيل له فى التاريخ بسبب اصدار كميات هائلة من النقود الورقية

قصور العقيق

(قنا — مصر) السيد احمد هاشم

ما هى قصور العقيق التى شيدت بالمدينة المنورة ؟ وهل بقى من آثارها شىء يرى اليوم ؟

(الهلال) العقيق واد خصيب يمتد غرب المدينة ، تتفجر فيه عيون الماء وتجرى جداوله وغدرانه فكان متنزهاً ومسرح الأثرياء حيث أقاموا القصور ، ومرحوا فيها الترف والنعيم

وقد كان هذا الوادى خلواً من السكان حين قدم المدينة رسول الله ، فأقطعه بلال بن الحارث المزنى ولكن هذا لم يزرعه ولم يصلحه ، فنزعه منه عمر ابن الخطاب وأقطعه الناس ، فتنافسوا فى غرسه حتى صار روضة حافلة بالنخيل والرياحين

ولما أثرى المسلمون فى عصر الدولة الأموية ، وتدفقت عليهم الغنائم والأسلاب المختلفة ، أقاموا البيوت والقصور الشامخة ، وكان وادى العقيق مقر الأثرياء والمترفين . وأبدع القصور التى شيدت به قصر « سعيد بن العاص » أمير المدينة فى عهد معاوية وكان مبنياً بالحجارة المطلية بالجص من الداخل والخارج ولا تزال آثاره باقية حتى اليوم . وكان محاطاً برياض وجنات فيحاء ، استمتع فيها سعيد بشتى متع الحياة .

ومن أشهر قصور وادى العقيق قصر « سكينة بنت الحسين » وقصر « عروة بن الزبير » وقصر « مروان ابن الحكم » ، ولكن لم يبق منها سوى احجار متهدمة

وقد تغنى الشعراء كثيراً بجمال قصور العقيق ، وقص الرواة كثيراً من أنباء ما جرى فيها من أسباب الترف والنعيم

القافية فى الشعر العربى

(دمشق — سوريا) شاعر ناشىء

هل يمكن أن يرقى الشعر العربى الى المرحلة التى بلغها الشعر الغربى ، ما ظل مقيداً بأغلال القافية التى احتكرت والترمت فى عصور وجد أهلها فراغا من الوقت للزخرفة التافهة والتأنق الزائف ؟

(الهلال) ليس شعر الماء فى العربية أجل منه

في أية لغة أخرى ، اذ تضيع فيه القافية كثيراً من رقة الجرس والتناسق الموسيقي . والشعر العربي يحترم القافية في أبياته المتوالية الى حد ما ، ويصعب عليه الشعر المرسل Blank Verse ولا يستسيغونه الى الشعر الراقي . فالقافية على حسنها من أسباب جمال الشعر العربي ورونقه ، وهي ليست عسيرة الأداء على الشاعر المطبوع ، اذ تكاد تكون اللغة العربية أغنى اللغات جميعا بالمترادفات

على أنه لا ينكر أن القافية قد أدت الى ضيق مجال الشعر العربي في كثير من ضروب الشعر . فلم يعرف « الملاحم » مثلا اذ يستحيل على الشاعر أن ينظم الآلاف المؤلفة من الأبيات على قافية واحدة . ولم يعرف الشعر التمثيلي الا في عصرنا هذا حينما خرج « شوقي » على قيود القافية . وقد كانت القوافي عقبة في سبيل شعراء العربية القدماء والمحدثين ، فتركتهم منها يرغبون حطها ، ولكن لم يوفق أحد منهم الى اظهار شعر مرسل قوي يغنينا عن الشعر المقفى

والأفضل ان تحترم القافية في شعر الغناء وحده ، ويرسل ما عداه من ضروب الشعر من أغلال القافية ، ولا سيما وقد عرف العرب قديما « الشعر المرسل » وجاءوا منه بقصائد مرصعة مختلفة القوافي وان كانت قريبة مخارج الروي . وليست الموشحات التي ابتكرها أهل الأندلس الا ثورة على القافية يراد بها افساح المجال لخيال الشاعر الطليق

زواج المريض

(نابلس — فلسطين) سائل

هل يصح منع المريض من الزواج ؟ وهل تجوز ضرورة الطلاق اذا ما أصيب أحد الزوجين بمرض عضال ؟

(الهلال) يصح منع الرجل من الزواج اذا كان مصابا بمرض معد أو وراثي . فلا يصح أن يبيح القانون أو العرف زواج رجل مصاب بالزهري أو السل أو الصرع ، الا اذا صرح له أن يصح بشرط أن لا يعقب أولادا . والفرق بين الزواج المريض والمرض الطارئ أن هذا قبل عقده على حين أن ذلك بعده بالألم وصحبه ، وبذلك يخذل أقرب الناس اليه — أي زوجه وأولاده — بعد أن يجمعهم الشمل طويلا

أما اذا أصيب أحد الزوجين بمرض عضال ، فمن من واجب الزوجية وحقوق الزوجية ، أن يقف على ما بينهما من صلات ، على أن يبذل السليم حسب جهده للمريض على قدر استطاعته ، كما يجب الأب أو الأم السوي من الابن اذا مرض

واذا كان المرض وراثيا — كالصرع مثلا — فمن واجبهما أن يلجآ الى الطبيب لمنع تناسلهما ، وربما يورثهما من هذا المرض . فلا يليق أن تكون غاية الانسان من الزواج أن يخلف نسلا يعذبه المرض ويمضه الألم

العمى الوراثي

(القاهرة — مصر) ا . ح .

أعرف عائلة رجلها يصاب أكثر أطفالها بالعمى فهل العمى مرض معد أم وراثي ؟

(الهلال) بعض أمراض العين سريعة العدوى ، ومنها الرمد الحبيبي والرمد الصديدي ، وما أكثر انتشارها في بلادنا . ويجب أن يعزل المريض بأحدها حينا ، والا يصح للسليم أن ينام معه في فراش واحد أو يستعمل أدواته وملابسه

وهناك نوع من العمى وراثي ، ويصاب به الأطفال عادة في سن الثانية والثالثة . وقد عكف ... الأطفال من ذوي العمى آباؤهم بصحبة أمهم ومرضهم على طبيب العيون كثيرا . على أن بعض الأطباء يرى وجوب تعقيم المصابين بالعمى الوراثي كيلا يتناسلوا . وقد نقصت نسبة العمى الوراثي كثيرا بفضل الجهود العلمية للوقاية فصارت الآن نصف ما كانت عليه في أوائل هذا القرن

لغة المستقبل

(الخرطوم — السودان) أحمد بدوي

أريد أن أتعلم لغة أجنبية يحتمل أن تكون أكثر اللغات انتشارا في المستقبل ، فهل أتعلم الانجليزية أم الفرنسية أم الاسبرانتو ؟

(الهلال) نعتقد أن لغة الاسبرانتو لن تنتشر

كثيراً ، ولن تكون يوماً ما لغة الساسة أو الثقافة العامة . فهي لغة صناعية لا ترتكز على ماض من الآثار الفكرية ، كما أنها — رغم ما أضيف إليها أخيراً من تحسينات جديدة — لغة جافة ثقيلة لا تنتج أثراً فنياً جميلاً

وإذا قدر للعالم أن يتكلم يوماً ما لغة واحدة ، فمن الأرجح أن تكون الانجليزية ؛ أولاً لأنها أكثر اللغات الحية انتشاراً ، وأغلب المتكلمين بها من أرقى الشعوب وأقواها ، وثانياً لأن علماء اللغة يرونها من أصلح اللغات للأداء الفني الدقيق ، ومن أغناها بالمرادفات والمصطلحات والمشتقات ، ومن أكثر اللغات اتصالاً بغيرها من لغات أوربا

وقد انتشرت الانجليزية في العصر الحديث انتشاراً كبيراً جداً ، فهي اللغة السائدة في أمريكا الشمالية كلها ومعظم أمريكا الجنوبية ، وقد انتشرت وتمكنت في استراليا وافريقيا الجنوبية وفي أكثر مستعمرات بريطانيا وممتلكاتها . ولا تكاد تجد في اليابان صبياً لا يعرف الانكليزية

ولا ننسى أن معظم الأفلام السينمائية — وهي الفن الديموقراطي الذي يعشقه العالم جميعه — تعتمد اللغة الانجليزية ، مما يعين بتفوقها على سائر اللغات

دولة الاختراعات

(بغداد — العراق) ج . س

ما هي أولى الدول في عالم العلم والاختراع ؟

(الهلال) إذا نظرنا إلى كمية المخترعات ، نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية هي أولى الدول ، إذ أن عدد المخترعات المسجلة فيها أوفر منها في أية دولة أخرى

ولكن هذه الأسبقية تتغير إذا نظرنا إلى قيمة المخترعات . فقد نجد مخترعاً واحداً أفضل وأجدى من مئات الأجهزة . وما من شك في أن القطار والتلفون والتلغراف والراديو أهم كثيراً من هذه المفاتيح والأزرار الصغيرة التي تحفل بها سجلات المخترعات في أمريكا ، وعلى هذا نستطيع أن نجمع انجلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا في صف الولايات المتحدة ، أو في مقدمتها ، من حيث قيمة المخترعات وأهميتها

على أنه يلاحظ أن بعض الدول تمتاز بقدرتها على ابتكار النظريات العلمية المجردة ، بينما تمتاز دول أخرى بقدرتها على تطبيق هذه النظريات وإقامة مخترعات على أساسها . وأوضح مثال لهذا القبيل من الدول العملية هو أمريكا ، فإن أعظم مخترعيها على الإطلاق « أديسون » لم يضع أية نظرية علمية ولكنه أظهر مئات من مختلف الاختراعات النافعة . أما « أينشتين » مثلاً فقد وضع نظريته « النسبية » التي يحار في فهمها كبار علماء الرياضة والفلك ، ومع هذا لم يخرج جهازاً واحداً . وعلى ذلك هناك دول تتفوق في التفكير العلمي أي وضع النظريات ، ودول تتفوق في التطبيق العملي أي اختراع المخترعات

الأسماء عند المتوحشين

(شعلو — العراق) ومنه

متى عرف الانسان « الأسماء والألقاب » ، وهل هي ضرورية الآن عند القبائل البدائية المتوحشة ؟

(الهلال) من المرجح أن الانسان لم يعرف الأسماء إلا بعد أن ترك طور الهمجية وبدأ دور التمدين ، أما في حالته البدائية فكان شأنه شأن الحيوان يميز الناس بعضاً من بعض بهيئاتهم لا بأسمائهم

وكانت الأسماء في أول الأمر تشتق من صفات المسمى ومكانته . فزعيم القبيلة يسمى « الزعيم » ، وابن عمه يسمى « ابن عم الزعيم » ، وأحد أفرادها الطوال يسمى « الرجل الطويل قريب الزعيم » . . . وهكذا

على أن بعض القبائل الهمجية ما زالت تمتنع عن التسمية ، على زعم أن الأرواح الشريرة تستدل على الناس بأسمائهم ، فتؤذيهم أو تهلكهم . فهم يتجنبون هذا إما بعدم التسمية بتاتاً ، وإما بإطلاق أسماء تدل على صفات معيبة لا تغري الروح الشرير بالانتقام ، فتسمي الأم طفلها « الجبان » أو « القذر » . . . إلخ

وموضوع الأسماء في الشعوب البدائية موضوع طريف مستحب طرقه كثير من العلماء في مقدمتهم « فريزر » مؤلف الكتاب العظيم « الغصن الذهبي »

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه طه سكاف
في انطاكية	سوريا	ايلي افندي اخلوسوس لاذقاني
في اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قري
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندي حمصي - غرفة القراءة الاميركية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي حمصي
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وهبه افندي طباره ٩ شارع اللنبي بيروت
في دمياط		زكريا افندي الحراوي، ناظر مدرسة الحراوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب المكتبة المصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي العاني ص. ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr. Abdullah Bin Afif—Cherribon Java
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

الهلال

يونية ١٩٣٨

أبو العلاء المعري

عدد خاص

أبو العلاء المعرى

[فى خيال الرسام

تمهيد

يغتبط « الهلال » إذ يخرج هذا الجزء الخاص للاشادة بذكرى علم من فحول الأدب العربى وقطب من أقطاب التفكير فى العالم

ولاغتباطه هذا أسباب نجملها فيما يلى :

أولا ـ ان فى إصدار هذا الجزء مساهمة فى إحياء مفاخر العرب الذهنية وجدير بنا نحن الناطقين بالضاد على اختلاف مواطنها أن نحدث العالم مثل هذا الحديث بين حين وآخر ، ففيه رفع لمكانتنا وتذكير بنصيبنا من الرقى الفكرى والثقافة الانسانية

ثانياً ـ انه تكريم الفكر والتفكير وتمجيد للرفعة الشعرية ـ فى زمن شغل الناس فيه عن المعنويات بهام العيش وصراع البقاء . « والهلال » يغتبط إذ يذكر بالأقدار الرفيعة والقيم الذهنية ، وإذ ينادى بتفوق النشاط العقلى على المشاغل الوضيعة التى يستوى فيها البشر على تفاوت مراتبهم

ثالثاً ـ جاء هذا الجزء من « الهلال » كالمؤتمر الفكرى العربى فقد اجتمع على صفحاته المفكرون من أبناء البلاد العربية على اختلاف منازعهم ـ وما أحوجنا الى تقريب المسافات بيننا وتلاقى العقول والقلوب !

• • •

وفى اعتقادنا ان « الهلال » يحسن أداء رسالته بمثل هذه المجهودات من حيث لا تهمل من « أن مصر جزء من أوربا » يجب كذلك ألا يفوتنا أننا قد استودعنا ميراثاً أدبياً حقيقاً بأن نفاخر به الأمم وأن يحفزنا هذا الميراث على السير فى الطريق للوصول الى أسمى مراتب الحياة وأرفع درجات الرقى

• • •

وبعد « فالهلال » يقدم هذا الجزء الى قرائه الكرام وعداً بمواصلة سعيه من هذه الناحية ، باصدار أجزاء خاصة كهذا الجزء حيناً بعد حين ، شاكراً الزملاء الأفاضل والاصدقاء الكرام معاونتهم فى إخراج هذا السفر الأدبى القيم ـ وفقنا الله جميعاً الى ما فيه صلاح العقول والنفوس ، والسلام

اميل زيدان

تحيـــــة

بقلم صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا

وزير المعارف العمومية

تفضل حضرة صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا بافتتاح هذا السفر الممتاز بهذه الكلمة الرقيقة البليغة، فنشكر لمعالى الوزير تحيته الكريمة لعهد «الهلال»، ورعايته المشهورة للحركة الثقافية

عزيزى محرر «الهلال»

أشارككم مشاركة صادقة فى الاحتفاء بذكرى المعرى لمرور ألف عام على ميلاده وإذا كنتم قد تعجلتم هذا الاحتفاء سبع سنوات — لأن المعرى قد ولد سنة ٣٦٣ هـ — فلا ضير من ذلك ونحن فى القرن العاشر بعد ذلك الميلاد . . .

وإنما يدعونى الى مشاركتكم فى الاحتفاء بهذه الذكرى العظيمة ما لها من معنى سام ومغزى كبير. فالاحتفاء بذكرى العظماء إنما هو احتفاء بالمجهود الانسانى الكبير الذى قاموا به ونفعوا للانسانيــة ثمراته. ونحن إذ نحتفى بذكرى هؤلاء العظماء إنما نؤدى لهم واجب الشكر على ما تمتع به أشخاصنا من هــذه الثمرات، كما يشكر أحدنا صاحبه حين يقوم له بعمل نافع . . .

والمعرى جدير بالاحتفاء بذكراه فى كل مناسـبة. فهذا الرجل الذى عاش فى فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى، والذى كف بصره من جـدرى أصابه فى الثالثة من عمره، قد توفر على تمثل المعارف الاجنبية — اغريقية كانت أم فارسية — مما نقله العرب فى تلك العصور، ثم صاغه شعراً عربياً، وأدخلها فى حياة

قومه ، فأصبحت اليوم بعض ميراثهم ، و بعض ما يفاخر به الناطقون بالعربية غيرهم من الامم

وقد نقل المعرى الشعر العربى فى عصره نقلة واسعة المدى . حمل الشعر من المعانى الفلسفية العميقة ومن الآراء النظرية المتشعبة ، ما لم يسبقه اليه غيره من شعراء العرب إلا لماما . وقد اتهم لذلك بالزندقة آناً ، وبالالحاد آخر ، على حين اعتبره قوم على رأس أشد المؤمنين غلوا فى إيمانهم . ولا عجب فى هـذا ولا فى ذلك . فتقليب الافكار وعرضها على الناس ، مطبوعة بطابع من يعرضها مبتكرة فى كثير من الأحايين ما وجد الناس عليه آباءهم ، قد كان فى عصور كثيرة وفى بلاد مختلفة ، موضع الريبة والظن ، بل موضع الاتهام والتجنى . ذلك أمر لم تنفرد به البلاد العربية ولا البلاد الاسلامية ، بل جرى حكمه على الامم كلها فى الأزمان المختلفة ، وكان فى بعض الامم سبباً فى تعذيب أصحاب الرأى لرأيهم ، مما نجا منه العرب والمسلمون فلم يتورطوا فيه كما تورط أهل أوربا فى القرون الوسطى

ولقد كان بودى أن أزيد فى مشاركتكم الاحتفاء بذكرى أبى العلاء على هذه الكلمة القصيرة ، لكنكم تعلمون أن التوفر على الدرس يقتضى من الطمأنينة ما ليس فى يتيحه القدر لى فى هذا الظرف من حياتى فأعتذر لكم ، وانما بى أن هـذا العدد من « الهلال » سيتناول من البحوث ما يغنى قراءه عن غناء .

ولكم منى أصدق التحية

محمد حسين هيكل

أبو العلاء المعرى

سطور من تاريخ حياته

• هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، فهو عربي النسب من قبيلة تنوخ إحدى قبائل اليمن

• ولد في معرة النعمان، بين حماة وحلب، في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلثمائة للهجرة (٩٧٣ م.). وكان أبوه عالماً بارزاً، وجده قاضياً معروفاً

• جدر في الرابعة من عمره، فكفت عينه اليسرى وابيضت اليمنى، وظل ضريراً لا يرى من الألوان إلا الحمرة، إذ كان آخر لون رآه لون ثوبه المعصفر الذي لبسه وهو مريض

• تلقى على أبيه مبادىء علوم اللسان العربي، ثم تتلمذ على بعض علماء بلدته. وكان حاد الذكاء قوي الذاكرة فيحفظ كل ما يسمع من مرة واحدة

• ثم اعتكف في بيته حتى بلغ سن العشرين، منكباً على درس اللغة والأدب، حتى أدرك من دقائق التعبير وخواص التركيب ما لا يطمع فيه لغوي أو أديب. وقد بدأ بقرض الشعر وما زال في سن الحادية عشرة

• وفي سنة ٣٩٢ هـ غادر قريته قاصداً بلاد الشام. فزار مكتبة طرابلس التي كانت في حوزة آل عامر، وانقطع إليها فترة طويلة فانتفع بما فيها من أسفار جمة

• ثم زار اللاذقية ونزل على دير بها، وأقام فترة بين رهبانه يدرس عليهم أصول المسيحية واليهودية، ويناقشهم في شتى شئون الأديان، وبدأ حينئذ شكه وريبه في الدين

• وقصد بعد ذلك بغداد، وهي مستقر العلم ومثابة العلماء فاحتفى به البغداديون وأقبلوا عليه. فأقام بينهم فترة طويلة يدرس مع علمائهم الأحرار الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية، ويدرس آراءه ويذيع مبادئه على جمع من التلاميذ لازموه وتشيعوا له

• وكان قد فقد أبيه في سن الرابعة عشرة ، فلما فقد أمه كذلك وهو في بغداد وجد عليها وجداً مبرحاً ، وأحس الخطوب الفادحة تترى عليه بغير ذنب جناه ، فبدأ ينظر إلى العالم نظرة السخط والمقت والازدراء ، ورأى من الخير أن يعتزله ويزهد فيه

• فعاد إلى بلدته سنة ٤٠٠ ، واحتجز نفسه في كسر داره ، وسمى نفسه رهين المحبسين: العمى والمنزل

• وظل معتزلا عن الناس ما عدا تلاميذه ، دائبا على البحث والتعليم والكتابة . فأخرج مجموعة ضخمة من التواليف ذهبت بأكثرها ريح الحروب الصليبية

• وأشهر كتبه : (١) ديوان سقط الزند ويضم شعر شبابه (٢) ديوان اللزوميات ويضم شعر كهولته (٣) رسالة الغفران وهي قصة خيالية فريدة في الأدب العربي (٤) ديوان رسائله ورسالة الملائكة والعرضيات (٥) كتاب الفصول والغايات . وقد فقد كتاب « الأيك والغصون » ، وهو موسوعة في اللغة والأدب تتألف من مائة جزء ، شرح ديوان المتنبي « معجز أحمد » ، وشرح ديوان البحتري « عبث الوليد » ، وشرح ديوان أبي تمام « ذكرى حبيب »

• كان زاهداً في متاع الحياة ، فظل ٤٥ سنة لا يأكل الحيوان ولا ما ينتج من لبن وبيض ، قانعا من المطعم بالعدس ومن الحلوى بالتين ، ومن المال بثلاثين ديناراً في العام يستغلها من عقار له

• كان متوهج الذكاء ، مرهف الذاكرة ، وكان كريم الخلق رقيق القلب ، ولكنه كان يسيء الظن بالناس وبعلومهم ، ويمقت الدنيا ولا يرى فيها إلا الشرور والآثام

• أما عقيدته فقد اختلف فيها الناس فمنهم من زعم أنه متصوف ، لكلامه باطن وظاهر ، ومنهم من زعم أنه كافر ملحد ، والغالب أنه كان متشككا متحيراً في شعره ما يدل على الإيمان وما يدل على الكفر

• وقد أبى أن يتزوج لئلا يجني على ابنه ما جناه عليه أبوه . ولما مات سنة ٤٤٩ وقف على قبره مائة وثمانون شاعرا فيهم الفقهاء والمحدثون والمتصوفون ، وقد أوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبي علي   وما جنيت على أحد

المعرّي:
أشاعر أم فيلسوف

بقلم الدكتور طه حسين بك
عميد كلية الآداب بالجامعة المصرية

«... أبو العلاء شاعر في فلسفته وفيلسوف في شعره، فقد جمل الفلسفة بما أسبغ عليها من الفن، ومنح الشعر وقاراً ورزانة بما أشاع فيه من الفلسفة. وهو من هذه الناحية فذ في أدبنا العربي ...»

سؤال كان يلقيه عليّ أحد الأصدقاء ذات يوم كما تحدثت إليه عن هذا العدد الذي تخصصه «الهلال» لأبي العلاء، وعن بعض ما سينشر فيه من الفصول.

وكان صديقي يريدني على أن أجعل هذا السؤال موضوعاً للفصل الذي سأرسله إلى الهلال لأشترك في هذه التحية التي يهديها الأدباء إلى شاعر الأدب العربي. وقد ألقيت هذا السؤال على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة، وأجبت عنه بأن أبا العلاء شاعر وفيلسوف معاً، وبأنه أكثر من الشاعر والفيلسوف، فهو كاتب، وهو أديب، وهو عالم باللغة على أدق ما كان العرب يفهمون هذه الألفاظ في عصره.

وقد مرت الأعوام واختلفت الظروف وعرفت أشياء كنت أجهلها، وجهلت في أكبر الظن أشياء كنت أعرفها، ولكن رأيي لم يتغير في أبي العلاء، فما زلت أراه شاعراً وفيلسوفاً وكاتباً وأديباً وعالماً باللغة أيضاً. ولعل رأيي فيه قد ازداد قوة، ولعل اقتناعي بإضافة هذه الخصال إليه لم يكن في يوم من الأيام أقوى مما هو الآن، كما يقول المتحاورون في السياسة عندنا بين حين وحين.

ومن الحق أن أحداً من الناس لم يجادلني في أن أبا العلاء شاعر أو كاتب أو أديب أو عالم باللغة، ولكن من الناس من جادلني في أن أبا العلاء فيلسوف، ولعل أشدهم لي مجادلة في ذلك الأستاذ نيكولسن المستشرق الإنجليزي المعروف. فهو لا يرى في حكمة أبي العلاء التي تمتلىء بها اللزوميات والتي تشيع في غير اللزوميات من كتبه مظهراً من مظاهر الفلسفة كما يفهمها أهل هذا العصر الحديث، وإنما يراها حكمة عادية تقوم على التأمل والتفكير.

وأحسب ما يحول عنده بين أبي العلاء وبين لقب الفيلسوف أنه لم يقم لنفسه مذهباً فلسفياً واضح

الأعلام متميز النواحي متصل الأجزاء ، نستطيع أن نبينه ونرسم حدوده كما نبين المذاهب الفلسفية ونرسم حدودها حين نتحدث عن أفلاطون أو أرسطاطاليس أو أي فيلسوف من فلاسفة العصر الحديث

فالأستاذ نيكولسن يرى إذن من الإسراف وصف أبي العلاء بأنه فيلسوف ، ووصف اللزوميات بأنه كتاب من كتب الفلسفة . ومع ذلك فأبو العلاء فيلسوف وكتاب اللزوميات كتاب فلسفي ما أشك في ذلك ولا أتردد في إعلانه والجدال عنه ، وكل ما في الأمر أننا مختلفون في أن نتفق على معنى الفيلسوف وعلى معنى الفلسفة حين نضيف إليها كتاباً كاللزوميات . وقد أذكر أني حددت منذ أكثر من عشرين سنة هذين المعنيين حين أضفتهما إلى حكيم المعرة ووضعتهما على نحو ما كان يفهمهما القدماء من اليونان والعرب . فالفيلسوف عندي هو الرجل الذي يبحث عن الحق ما استطاع ، فإذا استكشفه أو استكشف ما يعتقد أنه الحق ، لاءم بين نفسه وبينه ورتب حياته اليومية على ما يهديه إليه عقله من حقائق الأشياء وأصول الأخلاق . وفهمت من الفلسفة ما كان يفهمه منها قدماء اليونان والعرب أيضاً ورتبتها على نحو ما كانوا يرتبونها ، فقسمتها إلى فلسفة طبيعية وفلسفة رياضية وفلسفة إلهية وفلسفة عملية . ثم رأيت أن أبا العلاء قد كان فيلسوفاً بهذا المعنى الذي كان به فلاسفة اليونان والعرب فلاسفة ، وأن كتاب اللزوميات قد كان فلسفياً بالمعنى نفسه الذي كانت به الكتب المختلفة التي وضعها الفلاسفة كتباً فلسفية . ولكنه كان يزيد عليه شيئاً يرفع من مرتبته ويعلي من منزلته ويجعله ممتازاً بين كتب الفلسفة بهذه الخصلة التي امتازت بها قصيدة لوكريس في طبيعة الأشياء ، وهي الميزة الفنية العليا — ميزة الشعر

أما أن أبا العلاء كان فيلسوفاً بهذا المعنى القديم فما أحسب أن أحداً يستطيع أن ينكر ذلك أو يجادل فيه ، فقد أنفق أبو العلاء عمره باحثاً عن الحق ، وبذل في ذلك من الجهد الشخصي الممتاز ما لم يبذله كثير من الفلاسفة الذين لا يجادل أحد في إضافة الفلسفة إليهم . ذلك أن أبا العلاء لم يكن فيلسوفاً مقلداً ، أو قل — إذا أردت الدقة في التعبير — إنه لم يكن منتمياً إلى مذهب بعينه من مذاهب الفلاسفة يؤمن بأصوله المقررة ويضيف إليه ما يستكشفه بعد البحث والاجتهاد ، وإنما كان مفكراً بأوسع معنى لهذه الكلمة ، يُعمل التفكير في كل ما يعرض له من المسائل ، وكان مستعرضاً لكل المذاهب الفلسفية التي عرفها المسلمون في عصره يلم بها جميعاً ويأخذ منها ويدعها ، ثم يدع ما أخذ ويأخذ ما ترك ، حتى كانت حياته كلها — ولا سيما بعد العزلة — تفكيراً متصلاً ونقداً مستمراً وتنقلاً بين الآراء والمذاهب الفلسفية ومشكلات الأشياء لعل القدماء لم يسبقوه إليها . فأنت لا تستطيع أن تقول إنه كان أفلاطونياً ، أو أنه كان من أصحاب أرسطاطاليس ، أو أنه كان من أصحاب الرواق ، أو أنه كان من أصحاب أبيقور ، ولكنك تستطيع أن تقول إنه كان من هؤلاء جميعاً ، يأخذ من كل فريق منهم ما يرضيه وما يلائمه في اللحظة التي يفكر فيها . بل أنت لا

تستطيع أن تقول انه كان فيلسوفا على الطراز اليوناني ، أو على الطراز الاسلامي اليوناني ، ولا أن تقول انه كان فيلسوفا على الطراز الهندي ، أو على الطراز الفارسي ، ولكنه كان فيلسوفا على طراز هذه الامم جميعا . يأخذ من فلاسفة اليونان ومن فلاسفة المسلمين ومن حكماء الفرس والهند ، ثم لا يكفيه ذلك فيشارك في فقه الفقهاء وحديث المحدثين وكلام المتكلمين وتصوف المتصوفة وتشيع الشيعة ، ثم لا يكفيه هذا كله حتى يشارك في علوم اللغة ويقرب هذه العلوم الى الفلسفة ويخضعها للفلسفة ، ويستخرج منها نظاما فلسفيا طريفا ما زال في حاجة الى من يفرغ له ويوفيه حقه من البحث والدرس

لم يكن ابو العلاء إذن فيلسوفا متبعا أو مقلدا ، أو مقصوراً على مذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق ، وانما كان متخيراً : كان أشبه بالنحلة التي تتنقل بين الزهر لا في هذه الروضة أو تلك ، بل في كل ما يمكن أن تلم به من الرياض ، فتأخذ من كل زهرة تقف عندها ، ومن كل روضة تلم بها ، وتسيغ هذا كله وتستخلص منه هذه الفلسفة الغريبة المختلفة المتناقضة التي تمتلىء بها اللزوميات والتي تنتثر وتنتظم فيما خلف من الكتب المختلفة

كان الرجل مجتهداً في التماس الحق والبحث عنه ، وكان صادق الجهد خالص النية في هذا البحث ، وكان ملائما بين ما يستكشف من الحق وما يأخذ نفسه به من قوانين الحياة اليومية . وأغرب ما نجده عند أبي العلاء هو أنه على كثرة تنقله بين مذاهب الفلسفة التي عرفتها الأمم المتحضرة كلها ، وعلى كثرة ما نجد في آرائه من التناقض والاضطراب ، قد رسم لنفسه خطة عملية لم تتغير ، وفرض على نفسه سيرة لم يبلها الاضطراب ، وانما لزمها منذ عاد من بغداد الى أن فارق الدنيا ، لم ينحرف عنها يوما أو بعض يوم . فقد اضطربت حياته العقلية أشد الاضطراب ، وهدأت حياته العملية أشد الهدوء ، وكان هذا التناقض بين الحياة العملية الهادئة الراكدة والحياة العقلية الثائرة الجامحة ، مظهر شذوذ أبي العلاء ، ثم مظهر نبوغه وتفوقه وامتيازه على كل من أنتجت الحياة العقلية الاسلامية من الفلاسفة والشعراء . ذلك أنه لم يكن فيلسوفا فحسب ، ولو كان شاعراً ليس غير لاضطربت حياته العملية كما اضطربت حياته العقلية ولكنه جمع بين الصنفين . جمع التصوف العقلي الذي هداه الى مرور الحياة وأتبعه الهدوء والعزلة والتحصن من الأثقال ، الى التصوف الفني الذي دعاه الى التفكير في كل شيء والنقد لكل شيء والتصوير لكل ما أمامه والتعبير عن كل ما تصوره في صورة فنية رائعة ، كما كان الناس يتصورون الروعة في ذلك الوقت

وقد كنت أقرأ منذ حين فصلا رائعا لبول فاليري عن الفنان العظيم ليونارد دي فنشي . وقد حاول بول فاليري في هذا الفصل أن يقرب بين ليونارد وبين الفلسفة ، بل أن يجعله فيلسوفا ، غاية الأمر أنه أعرب عن فلسفته بآثاره الفنية التصويرية ولم يعرب عنها بما تعود الفلاسفة أن

(البقية في صفحة ٩٥٦)

خصائص أبي العلاء ـ دلالة شعره ونثره على لغويته ـ مشاركته في مباحث اللغة ـ مؤلفاته في النحو ـ شروحه للدواوين ولكتب ـ لغويته في رسالة الغفران ـ مثال من رائع تمكنه من اللغة ـ الدعوة إلى البحث

أبو العلاء اللغوي

بقلم الدكتور محمد توفيق رفعت باشا
رئيس المجمع الملكي للغة العربية

— ١ —

جميل أن يحتفي رجالات العلم والأدب بمضي نحو من سنين ألف ، على ولادة أبي العلاء ، فإن الاحتفاء بذلك وسيلة إلى تهيئة الأذهان للتزود ، وتجريد الأقلام للبحث ، وبعث الهمم للاطلاع . على أنه ما يكون لهذا الاحتفاء أن يعزى إليه فضل إحياء ذكرى الناثر الشاعر المفكر ، فتلك ذكراه حية منذ كان ، وستبقى حياتها ما امتدت حياة اللسان العربي ، والفكر العربي ، فلقد كان أبو العلاء أحد أولئك الذين عاشوا مظهراً لنفاذ البصيرة ، وسمو التفكير ، وجعلت آثارهم صورة رائعة لبلاغة الفصحى

ولقد اتجهت عناية الباحثين في خصائص أبي العلاء إلى ما تركه من رائع النثر والشعر ، وما حواه شعره ونثره من خطرات في الحياة تخالف مألوف الناس ، فأداروا الحديث في عقائده وآرائه ، واتخذوا من ديوانيه : اللزوميات والسقط ، ورسائله في الحكمة والأدب ، مرجعاً يصدرون منه ما شاءوا ، ويتأولون فيه ما أرادوا . وجرى بينهم ـ تبعاً لما تبين لهم من ذلك ـ ألوان المناقشة والخلاف . وكأنما استوعبت هذه الناحية جهد الباحثين ، وميول الكاتبين ، فلم يعرجوا عنها ، ولم يلتفتوا بأعنة أقلامهم إلى غيرها من خصائص أبي العلاء ، وإنها لكثيرة متشعبة ، وكلها حري بالنظر ، حري بالبحث ومناقلة الكلام . وهكذا الشأن في كل رجل تتسق له مواهب شتى ، ويسمو في غير واحدة من نواحي النبوغ ، فإن إحداها لتطغى في أعين الناس ، حتى تشغل عن أخواتها . فإن عرف الرجل بغيرها عرف لماماً ، لا على جهة التلبث والاستقصاء

— ٢ —

ومن خصائص أبي العلاء التي لم تحفل بها الأقلام حفولها في شاعريته أو عقيدته ، أنه كان لغوياً حقيقاً بهذه الصفة في أوسع دلالاتها ، وما يتهيأ لشاعر يرصف القصيد نظاماً عجباً ، ونسجاً محكماً ، إلا

يكون قد ضرب في اللغة بسهم، وطلب له منها القسم، وغذي من مادتها بما يوسع محصوله من صيغها، ويحرر علمه بمسائلها، حتى تستوي له ملكة الابانة، وتتسع أمامه طرق التعبير.

وهذا المتنبي لم تؤثر عنه مباحث في اللغة تدل على اتجاهه اللغوي، ولكن شعره يشهد بأنه قد قاسم اللغويين علمهم نتائج البحوث، وما تجتمع عليه الكلمة من بين الآراء، وما يستخلص من وجوه الخلاف، وان كان لم تستدر حوله حلقة من طلاب اللغة، ولا جرى قلمه بشيء من مباحثها. وأبو العلاء: يبارع المتنبي وأضرابه عند الخصيصة. فمنظومه ومنثوره يشهدان أنه قد وسع اللغة بحثا ولفظا، وبعد شأوه فيها رواية وحفظا. الا أنه يزيد على ذلك انه قد أودع ما انتهى الينا من جمهرة آثاره المنثورة، أطرافا من المباحث تقطع بأنه قد شارك اللغويين في علمهم وتصرفهم، وطاولهم الرأي في موضوعات النحو والتصريف والاشتقاق. فما هو بمستمع الى اللغة لتخلص له رصانتها، تمسكا لقوله من السلامة، وتوسلا الى عصمة لسانه من الخطأ. ولكنه يتروى أصول الالفاظ وصورها، ويصعد الى مسالح الاشتقاق ومخارجه، ويدلي دلوه فيما حول ذلك من ضروب التعليل، وفنون التأويل، وما يزال كذلك حتى يخرج: إما بالترجيح بين الآراء والاختيار، وإما بالابتكار.

فهو في الحقيقة لغوي ثابت التحصيل، بارع التخريج، وان ما وصلتنا به الحدثان من آثاره ونوابغه في هذا الباب، ليبوئه — بين اللغويين الأئمة — المكان العلي.

— ٣ —

يقول ياقوت: «كان أبو العلاء عالما باللغة حاذقا بالنحو[1]».

وحقا لقد كان أبو العلاء يعرف من نفسه ذلك العلم والحذق، فسمت به همته الى التأليف في فروع اللغة، وكان أهل عصره يعرفون ذلك منه، فاقترحوا عليه أن يؤلف وأن يشرح ما ألف غيره. وهذا ثبت كتبه يقول: انه ألف في النحو كتبا ثلاثة: «الظير النافع»، و«الظهير العضدي[2]»، و«شرح سيبويه».

وكذلك كان أبو العلاء يعرف من نفسه بصره بغريب الالفاظ، واحسانه تفسير المعاني، ولباقته بتوضيح الاشارات، وحسن عبارته في تحرير ذلك كله. فاتجه الى دواوين الشعر يشرح من ملتبسها، ويكشف من خافيها، ومما يذكر من كتبه في ذلك: «الرياش المصطنعي»[3] و«اللامع العزيزي»[4] و«ذكرى حبيب[5]».

وخليق بمن يجود على آثار غيره بابانة وشرح، الا يضن على آثاره بمثل ذلك من الشرح

(١) معجم الأدباء — الأول — ص ١٦٢ (٢) تعليق ونكتة على كتاب يعرف بالعضدي (٣) شرح مواضع من الحماسة الرياشية صنعه لأمير الجيش مصطنع الدولة (٤) شرح شعر المتنبي ويقال هو مختصر أملاه عمله للأمير عزيز الدولة (٥) شرح الغريب في شعر أبي تمام

والإبانة . ومن ثم أبى المعري لنفسه إلا أن يملي كتبه الشروح والتفاسير ، حتى تكون منه في أكفائه بنفسه ، وترفعه عن عون الناس له ، وخدمتهم إياه . فمن كتبه : « ضوء السقط (١) » و « راحلة اللزوم (٢) » و « السادن (٣) » و « خادم الرسائل (٤) » إلى غير ذلك من الكتب التي تروى لنا أخبارها ، ولا ترى آثارها

ونحن إذا استثنينا ما كان من صنيع أبي العلاء في رسالة الملائكة ، جاز لنا أن نقول إنه ليس فيما علمنا من آثاره تأليف لغوي محض ، أو بحث في كتاب مستقل . وإنما استثنينا رسالة الملائكة ، لأنها على ثوبها الخيالي ، وما هي مسوقة فيه من أسلوب قصصي ، تأليف لغوي محكم في اشتقاق أسماء الملائكة وما إليها مما يكون في الدار الأخرى . على أن أبا العلاء لم يتخلص قط من الصبغة اللغوية الغالبة في كل ما ألف وما أملى . فالدلالة على لغويته تتمثل فيما بين أيدينا من آثاره ، وفي هذا الذي نجد ، بعض العوض عما فقد ، وإن لم يكن سوى مباحث متناثرة في تضاعيف كتبه ، على جهة الاستطراد والوصل والالحاق ، لا قصداً في الكتابة اللغوية والتصنيف

— ٤ —

ترك أبو العلاء فيما ترك « عبث الوليد » وكان أحد الرؤساء أرسل إليه نسخة من ديوان أبي عبادة البحتري ، ورغب إليه في مقابلتها ، وإصلاح ما يكون من الأغلاط بها . فأملى أبو العلاء كتابه هذا إجابة لتلك الرغبة . وقد قرأنا النسخة المخطوطة منه ، فإذا مقدمتها : « أثبت ما في ديوان البحتري مما أصلح من الغلط الذي وجد في النسخة ، وإنما أثبت ذلك ليكون مولاي الشيخ الجليل كأنه حاضر القراءة »

ولو اقتصر أبو العلاء على هذا لكان قد نزل من رغبة الرئيس ثانيها ، ورأى له أن يجتزيء بإصلاح ما عبث به ناسخ الديوان وحده ؟ وكيف لا يجد له مطلع شعر البحتري المثير من الرأي في الألفاظ والأساليب ، وهو المتحمل علما ودراية ، الوقاد ذكاء وفطانة ؟ لا جرم أنه يملي في مجلس القراءة عفو القريحة ، وما يسنح للخاطر لذلك قال في أثناء المقدمة : « وقد وصل به ذكر شيء مما أجراه أبو عبادة من الضرورات وما يجتنب لمثله »

وفي الكتاب فوق ما يفي بالشرط الذي اشترط أبو العلاء من ذكر الضرورات والأغلاط ، أطارف من البحث اللغوي لا يلحق بها غلط أو ضرورة ، وليس على البحتري سبيلها . وإنما هي تفسير لكلمة ، أو تذكير عما يقول القائل صيغة ، أو عرض لرأي مأثور في فعل ، أو توجيه ألفاه أبو العلاء لم يسبقه عليه أحد من قبل

وردت كلمة « الخيين » في بيت ، فتابع الكلام على لسان أبي العلاء في تحريمها ، فأرسله

(١) شرح ديوان « سقط الزند » (٢) شرح ديوان « لزوم ما لا يلزم » (٣) شرح كتاب « الفصول والغايات » (٤) شرح مجموعة رسائله الطبية والأعرابية

رأيا طارفا لم يسبق اليه فيما علم ، ذلك أنه يقول : « اذا حمل التنين على أنه عربى ، فاشتقاقه من الثنى ، يقال : فلان ثنى فلان : أى مثله . فكأن هذه الحية لما كانت لها أرؤس يشبه بعضها بعضا أخذت من الثنى ، لأنها متشابهة »

ولقد كان الرأى بادىء الرأى أن نعدو متن كتاب « الفصول والغايات » الى شرحه ، لنتبين فيه جوانب من لغوية أبى العلاء . وانما نعدو متن هذا الكتاب لأنه غير مظنة لبحث لغوى ، اذ كان فى تمجيد الله والمواعظ . على أن أبا العلاء قد طالعنا فى فصوله تلك بإثارة من النحو والتصريف ، وهذا برهان تضلع أبى العلاء من تلك العلوم كل تضلع ، فهو يزحم خواطره اذا فكر ، ويسرع الى لسانه اذا أملى

إنك لتجد من الاقرار له بالتجديد فى القول ، تكأة يتخذها الصرفيون فى كتبهم يجمعون حروف الزوائد فى كلم منها ، مقترحا أخريين يقول — ويبدع — : « والله مسعد القائلين جمع من معنى حروف الزوائد ، ومثلها « اليوم تنساه » وتلك طيرة المتطيرين . وقال بعضهم « هويت السمان » ، وتلك دعوى يحتمل أن يخطىء قائلها فى دعواه ، فجمعتها فى لفظين ، لا يكذب قائلهما فيما قال أحدهما : « التمس وهو » والآخر « تهاون أسلم » ورضا مزيل الشبهات » (١)

ولأبى العلاء شرح ما جاء من الغريب فى كتابه « الفصول والغايات » ، ولم ما شئت من دقة واحكام ، الى جمال فى الصياغة ورونق . وأبو العلاء لا يقنع بالكلمة يشرحها حتى يجمع معناها ، ولكنه يتسع ويتعمق ، فيذكر ما قد يطرأ عليها من زيادة أو نقص ، وما قد يكون لها من مختلف الصيغ ، وربما أتبع ذلك بالكشف عن وجوه اشتقاقها ، فجاء من ذلك بما يورث العجبات

جاء فى شرح لفظ « الروى » وهو الحرف الذى تبنى عليه القافية ، فأبى أن يقتصر على هذا الشرح ، كما اقتصر عليه صاحب القاموس وصاحب لسان العرب بعده ، ومضى يقول فى اشتقاقه . « قال قوم : أخذ من رويت على الرحل بالرواء ، اذا شددته ، والرواء : الحبل . ويجوز أن يكون الحرف فعيلا فى معنى مفعول : كأنه هو الذى يربط ، لأنه يعاد فى كل بيت ، وقال بعضهم : هو مأخوذ من قولك : رويت الشعر أرويه اذا حفظته (٢) »

— ٥ —

فأما رسالة الغفران ، فحشوتها مباحث لغوية نفيسة ، وانما أراد ابو العلاء أن يجهر برأيه فى هذه المباحث ، فاتخذ من الصور الخيالية وسيلة الى الجهر والبيان . وأنطق الشعراء والعلماء فى الدار الأخرى بما يرى أنه الحق فيما يتعلق بهم ، من الاحتجاج لقول ، أو ابطال حجة ، أو

---

(١) ص ١٤٦ وانظر ص ١٢٢ و١٢٣ وص ٩٠ ففيها فصول تدخل فى هذا الباب

(٢) ص ٤٦٤ وانظر ص ١١٢ ، ١٨٢ تجد مثل هذا

تصريف نادر من لفظ ، أو شرح غريبه ، أو تبيين وجه من وجوه الإعراب ، إلى غير ذلك مما يدخل في هذه الأبواب

تخيل أبو العلاء ابن القارح ينشد عمرو بن أحمر قصيدة له على الراء ، وجاء فيها كلمة « البرجد »(١) فثار النقاش في اشتقاقها ، ومظنة العلاقة بين كلمة (البرجد) وبينها

وتخيل مجلسا حضره الأصمعي والفارسي ، قرئت بينهما إيوزة (٢) ، فأخذا يبحثان في وزنها ، يستعر بينهما الجدل ، ويشتد الخلاف . ويستطرد أبو العلاء في مطاوي الكلام إلى لفظ « أيل » (٣) فيبحث في أصل وضعها ووجوه في تصغيرها

وجاء في شعر كلمة (السكل) (٤) فاستنكر أبو العلاء إسكان الكاف والكلام عليها ، وذكر من يجيز ذلك من ذوي العلم ، وما يستدل به على الجواز من شعر القدم

وفي رسالة الغفران مثال رائع ، يتوضح به ما أوتي أبو العلاء من غزارة المادة من اللغة ، والاقتدار على الألفاظ ، والإحاطة بالغريب ، والبراعة في نظم الكلام . وما أحق هذا المثال بأن ينوه به ، وأن يكون في طليعة النوادر التي يتهاداها الأدباء .

ذكر أبو العلاء ما يحكى عن خلف الأحمر مع أصحابه في هذين البيتين :

ألم بصحبتي وهم هجوع خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى إذا شاءت وحواري (٥) بسمن

ومعنى ذلك أن خلفا قال لأصحابه : لو كان موضع أم حصن : أم حفص ، ما كان يقول في البيت الثاني ؟ فسكتوا ، فقال : حواري بلمص . واللمص : الفالوذج (٦) . وكأنما تحدى أبا العلاء أن تؤثر عن خلف هذه الطرفة ، وهي ـ ما يستطيع ويقدر ـ لا عنت في طالبها ولا استعصاء . فطفق يسرد الألفاظ التي يجيء بها هذان البيتان على مختلف حروف المعجم جميعا ، لكل حرف زوجان من اللفظ ، الأول من أسماء النسوة ، والآخر يصلح أن يكون إداما للحواري . وختم كلامه بقوله : « وهذا فصل يتسع ، وإنما عرض في قول علم ، كخيال طرق في المنام (٧) » .

والحديث عن أبي العلاء المعري ، لا يستقل به فصل محدود ، وليس ما أسلفنا ذكره إلا إشارة مجملة إلى هذا الأفق الرحيب من كون أبي العلاء . وعسى أن يكون في هذه الإشارة ما يدعو المشتغلين بعلوم العربية إلى استئناف البحث ، والاستعانة فيه ، وما يحرمهم عطالة منثور هذا العالم المحرر ، ويشحذ لنبواته في مواقع أماليه . فإن كان ذلك ، فقد بلغت الغاية التي قصدت إليها بهذه العجالة . والمستعان الله !

محمد توفيق رفعت

---

(١) ص ٥٢ (٢) ص ٢١ (٣) ص ١٣٣ (٤) ص ١٠١ (٥) الحوارى : الخبز يكون من لباب البر ، وهو السميد (٦) ص ١٣ (٧) البحث بتمامه على الصفحات ١٤ و ١٥ و ١٦

التشاؤم مزاج أولاً ، وظروف خارجية ثانياً . وتشاؤم أبي العلاء كان نتيجة لعقيدته وحياته الخاصة ، وأثراً من آثار فساد النظم السياسية في عصره

نظرة أبي العلاء الى العالم

بقلم الأستاذ أحمد أمين
أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب

كان أبو العلاء فيلسوفاً متشائماً ، يرى ان الدنيا لا تستحق البقاء لحظة ، فليت العالم الانسان يفترس في لحظة ، وليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء .

وان كان ولابد فليت الناس لا يتزوجون ولا يتناسلون فيكون عمر الدنيا جيلاً واحداً ، وأمداً قريباً . فالناس كلهم كذب ورياء وظلم :

وأفضل من أفضلهم صخرة ... لا تظلم الناس ولا تكذب

فلماذا يكون لهم الحق في البقاء !

بل ليس الانسان وحده هو الشر في هذا العالم ، فكل ما فيه شر ، وشر ما فيه الانسان :

قد فاضت الدنيا بأدناسها ... على براياها وأجناسها
والشر في العالم حتى التي ... مكسبها من جسم مرناسها (١)
وكل حي فوقها ظالم ... وما بها أظلم من ناسها

ولا يظن ظان أن العالم كان يوماً ما رأى صغيراً ، أو صالحاً فسد ، بل كان هذا دأبه منذ خلق ، وطبيعته منذ وجد ، فما فسد الناس ، ولكن اطرد القياس :

وهكذا كان أهل الأرض مذ فطروا ... فلا يظن جهول أنهم فسدوا

فأبو العلاء لا يقول كما قال غيره : « ليس في الامكان أبدع مما كان » ، بل يقول العكس « ليس في الامكان أسوأ مما كان » .

كان هذا النظر التشاؤمي عند أبي العلاء نتيجة لمزاجه ونوع تفكيره أكثر مما هو نتيجة لظروفه الخارجية ، نعم كان أبو العلاء أعمى فقيراً دميم الخلقة ، ولكن هذه وحدها لا تكفي في تكييف أبي العلاء هذا التكييف التشاؤمي ، ففي الحياة عمي فقراء مشوهون ، وهم مع هذا كله فرحون مرحون ، ينظرون الى الحياة نظرة ابتهاج وسرور ، وغبطة وحبور ، ويتذوقون من لذائذها ما استطاعوا ، ويتهاونون من شقيها ما قدروا . ولو كانت هذه الأشياء علة ، ما تخلف المعلول ولا في جزئية واحدة — انما هو مزاج طبيعي لابي العلاء يألف الحزن ويأنس اليه ، ويرى في الوجود جوانب

(١) المرناس : المغزل

الشر ولا يرى جوانب الخير ، ويحرك أسوده ، ولا يبرز أحمره وأبيضه .

لقد كان « شوبنهور » فيلسوف التشاؤم في العصر الحديث ضريراً ، وفي صحة جيدة ، وثروة واسعة . ومع ذلك كان كأبي العلاء في نظره إلى العالم ، فهو شر كله ، « فأينما توجهت ألفيت عراكا وقتالا ومنافسة ، فكل نوع يقاتل لينتزع من الآخر ما يملكه من مادة وزمان ومكان ، وليس الانسان الا ذئبا للانسان ، وهو تعس اذا تزوج ، وتعس اذا لم يتزوج ، وخير للعالم أن يقف النسل وتنقطع الحياة » .

اذن فالتشاؤم مزاج ، أولا ، وظروف خارجية ، ثانيا . فما لا شك فيه أن ظروف أبي العلاء ساعدت على تشاؤمه ، وزادت في تلوينه الدنيا بهذا اللون القاتم ، وكذلك كانت الظروف الخارجية حول شوبنهور أثر من هذا القبيل ، فقد أصيب في أسرته ، فقتل أبوه منتحراً ، وسارت أمه سيرة لا ترضيه ، وعاش كأبي العلاء عيشة فراغ الا من التفكير والتأليف ، فلا زوجة ولا ولد ، ولا مشغلة في عمل من الأعمال الخاصة ، انما يدور في الحياة حول نفسه ، وهذا في كثير من الاحيان مبعث التشاؤم والضجر ، والتبرم بالناس والحياة . يضاف الى ذلك ان سوء الحالة الاجتماعية والسياسية في عصر من العصور يعدي للتشاؤمين ، فيظهرون في المجتمع ظهوراً بينا ، فعلى أثر حروب نابليون وهلاك الحرث والنسل ، وضياع الامل في الثورة الفرنسية علت نغمة التشاؤم في أوربا كلها ، وكان لسانها الناطق بيرون في انجلترا ، ودي موسيه في فرنسا ، وهيني وشوبنهور في ألمانيا — وكذلك كان الشأن في عهد أبي العلاء : فساد في النظم السياسية ، ومصادرات للأموال ، وحروب متصلة بين الدويلات الاسلامية — كل هذه وأمثالها اذا عرضت لمزاج كمزاج أبي العلاء كانت مادة صالحة ليبني عليها بناءه الحزين .

● ● ●

علم أبي العلاء الواسع ، وقراءته الكثيرة في الديانات والفلسفة والأدب ، وذكاؤه النادر ، جعلته يرسم للعالم مثلا أعلى في منتهى الرقي ، وجعلته يتخيل كل جزء من أجزائه غاية في الكمال . فهذا العالم الذي رسمه خير لا شر فيه ، ولذة لا ألم فيها ، وعلم لا جهل معه ، وعقل لا تشوبه خرافة ، وصلاح ليس فيه شية من فساد ، وعمل صرف ، وحكمة بالغة ، وتعاون على الخير ، وسير على الجادة . فلما فرغ من رسم هذا المثل نظر الى الواقع فصدمته صدمة عنيفة لبعد ما بينهما ، فأخذ يلعن هذا العالم الواقعي بالنسبة الى العالم المثالي ، ويصب عليه جام غضبه ويسبه جملة وتفصيلا

نظر الى الملوك وهم رأس المجتمع وقوامه وقادته فتخيل أنهم يجب أن يكونوا مثال العدل المطلق ، والحكمة البالغة ، وأنهم انما يعينون خيرسائق الدولة نظير قيامهم بأجل عمل وأكبر خدمة ، وأنهم من اجل ذلك ، اجراء الرعية ، استأجرتهم لعمل جليل ، فأعطتهم الاجر الجزيل فاذا لم يؤدوا العمل لم يستحقوا الاجر ، في ضوء هذه الصورة الكاملة نظر الى ملوك عصره فرأى

ترة ولا عمل ، وحقا ولا غرم ، وكثيرا منهم بتأثيره عبودية من رعيتهم . وليتهم إذ ظلموا سموا الظلم باسمه الصريح ، ولكنهم جمعوا إلى ذلك الخداع فسموا الظلم سياسة ، . هذا كله أخذ أبو العلاء يسبهم في لزومياته إذ لم يخشوا منه بل لم يحترموا منه

مل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

يسوسون الأمور بغير عقل فينفذ أمرهم ويقال ساسة
فأف من الحياة وأف مني ومن زمن رئاسته خساسة

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سابقهم أضل وأجور
يدعون في جمعاتهم بسفاهة لأميرهم فيكاد يبكي المنبر

إن العراق وإن الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الأنام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خمص الناس كلهم إن بات يشرب خمرا وهو مبطان (١)

إن شاورت الأمراء جاء مؤمر أعمى وأحور يستضيء ويكلم (٢)
كهام ظلت ملوك أحدل من كف مائلة ظالم أظلم (٣)

• • •

وكان مما تصوره أبو العلاء في مثله الأعلى للمجتمع رجال دين التزموا أوامره واجتنبوا نواهيه ، وآمنوا بالله سرا وجهرا ، وأخلصوا له حقا ، ودرسوا الدين وعرفوا أسراره ، وميزوا بين ما أتى به حقا ، وما ألصق به خرافة ، وكانت أعمالهم الظاهرة وفقا لعقائدهم الباطنة ، فلا رياء ولا غش ولا خداع ، إن قضوا بين الناس حكموا بما أنزل الله وتحروا العدل لا يشوبه ظلم ، وقوة في تأييد الحق لا يخالطها ضعف ، وإن خطبوا أو وعظوا صدر قولهم من قلوبهم ، وعبر أصدق تعبير عما في نفوسهم ، تتطابق أقوالهم وأعمالهم وقلوبهم ، ثم صوت الله لشعبه ، لا يخافون عقابا ولا يجبرون أمام الحق كبيرا ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلا

ثم نظر فرأى في عصره رجال دين قد اتخذوا الدين حرفة ، واصطنعوه وسيلة للكسب : فالقضاة جائرون يرعون مصلحتهم أكثر مما يرعون الحق ، ولا ينصفون الملاء ، وإنما يريدون الثناء :

وأي امرئ في الناس ألفي قاضيا فلم يمض أحكاما كحكم سدوم (٤)

والخطيب يخطب في يوم القيامة وهوله وهو لا يؤمن بحساب ولا يصدق عقاب :

طلب الثناء وادعى في منبر صعب حساب الأمة ليهونها
ويكون غير مصدق بقيامة أمسى يخل في النفوس دعوتها

والواعظ يعظ في تحريم الخمر صباحا ويشربها مساء

---

(١) الخمص : الجوع ، والمبطان : كبير البطن من كثرة الأكل (٢) يكلم : يجرح (٣) الأحدل : الصقر
(٤) سدوم : قرية من قرى قوم لوط وقد يسمى قاضيها أيضا بسدوم وقد ضرب به المثل في الظلم

رويدك قد غُررت وأنت حرّ ... بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرّم فيكم الصهباء صبحاً ... ويشربها على عمدٍ مساء

والفقيه فقهه مريب، وعلمه مموه، قد انصرف عن روح الفقه وسر الدين إلى جدال لفظي وحوار حرفي:

وقالوا فقيه والفقيه مموه ... وحتف جدال والكلام كلوم

وقد كذب الزهاد في دعواهم، فليس فيهم زاهد حقا ولا متصوف صدقا، وكلهم مراء متصنع يتزهد ليسرق، ويتصوف ليحوز:

لعمرك ما في عالم الأرض زاهد ... يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع

هؤلاء هم رجال الدين الذين حسبهم الله ليكونوا أدلة الحق، ودعاة الصدق، وهداة الضالين، وحماة المظلومين، وردعى الظالمين!! فأف من الناس! كلهم خرب، تساوى في التخريب عالمهم وجاهلهم، وآمرهم ومأمورهم، وبدوهم وحضرهم، وتاجرهم وواعظهم، فقوم يخربون المال وآخرون يخربون الدين.

في البدو خرّاب أذواد مسومة ... وفي الجوامع والأسواق خرّاب

• • •

ويتصور أبو العلاء العالم الذي ينشده عالما محكوما بالعقل، وبالعقل وحده، لا يخضع إلا للمنطق والتفكير الصحيح، لا يؤمن أهله بنحس ولا تخريف، ذلك بأن العقل هو السراج الوحيد الذي يضيء ما في الدنيا من ظلمات، فيجب أن يظل مشتعلا أبدا:

جدوا في سبيل العقل تهدوا بهديه ... ولا يرجون غير المهيمن راج
ولا تطفئوا نور المليك فإنه ... ممتع كل من حجى بسراج

فالعقل هو المرشد إذا لم يأت دين، وهو المرشد إذا اختلفت أحاديث الدين، وهو المرشد إذا اختلف رجال الدين:

يدين أحاديث عن نبي لها ... شأنا ولكن فيها ضعف إسناد
فشاور العقل واترك غيره هدرا ... فالعقل خير مشير ضمه النادي

إذا رجع الحصيف إلى حجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما أداه لب ... ولا يغمسك جهل في صراها (١)

وكانت حياة أبي العلاء مثلا لإيمانه بسلطان العقل، فقد كذب الناس في خرافاتهم، ورسم له في الحياة طريقا أرشده إليه عقله، ورأى الخير في أن يرجع لأولاده تركهم في جنة العدم ففعل، وألا يأكل لحما ففعل، وأن يعرض كل خبر وكل مأثور على العقل حتى يتميز ويحكم ففعل.

هذا هو العالم الذي يحبه أبو العلاء، يسطع فيه العقل، وتذوب فيه الخرافات والأوهام ذوبان الثلج إذا سطعت عليه الشمس.

ولكن وا أسفاه! ماذا في العالم الواقعي الذي يعيش فيه؟ لقد غلب كل سلطان إلا سلطان العقل، وانقلبت الأوضاع فحكم العقل بالخرافات والجهالات بدل أن يحكمها، وتغلبت عليه بدل أن يتغلب عليها، فالصادق الخير مكذب، والكذوب المحتال فينا مصدق

---

(١) الصرى: الماء يطول مكثه

وما آفة الأخبار إلا تكذيب صادق ... على خبرة منا وتصديق كاذب

وجميع الناس خضعوا مطلقا للعادات والتقاليد ، فهم يعتنقون دينهم بالعادة والتطبع ، لا بالعقل والتفكير ، وهم يعيشون كما يعيش آباؤهم لا كما يهدي العقل

في كل أمرك تقليد رضيت به ... حتى مقالك ربي واحد أحد

وقد أمرنا بفكر في بدائعه ... وإن تفكر فيه معشر لحدوا

وأهل كل جدال يمسكون به ... إذا رأوا نور حق ظاهر جحدوا

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن ... يعلمه التدين أقربوه

ماشوا كما عاش آباء لهم سلفوا ... وأورثوا الدين تقليداً كما وجدوا

فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ... ولا يبالون من غي لمن سجدوا

ولو حكم الناس العقل ما اختلفوا في دياناتهم ، ولكانوا أمة واحدة ، ولرفضوا كل كذب وخرافة اعتاد أسلافهم أن أماتوا عقلهم ، وأحيوا شهواتهم ، وأنهم دانوا بما أملته عليهم الرغبة والرهبة

لو يفكرون وهنا الله ما افتقروا ... ما يطلبون لكن شالت نعامتهم (١)

أتوهم بأحاديث وبين لهم ... لو واصفت ولا أروى المخذم (٢)

وأرضعتهم حلوب مؤمنة ... وأرضعتهم حلاب الشقى ردم (٣)

ثم ما عسانا الذي يسود العالم من إيمان بالخرافات وتصديق بالتنجيم ، وكلها دجل في دجل ؟ فهذه امرأة تذهب الى المنجم ليخبرها كم يعيش طفلها فيقول مائة عام ثم يموت من شهره :

سألت منجمها عن الطفل الذي ... في المهد كم هو عائش من دهره

فأجابها مائة ليأخذ درهما ... وأتى الحمام وليدها في شهره

وهؤلاء يأتون للمنجم يستخبرونه عن موعد المطر فيقول غداً أو بعد غد كأنه عالم بأسرار الكون مطلع على مكنونات العالم ، وهو لو سئل عن أقرب الأشياء اليه لظهر جهله ، وتبين حمقه ، فكيف يجهل القريب ، ويعلم البعيد :

يقولون غداً أو بعده ولع دعة ... يكون عبابا أن [illegible]

ويوهم جهال الخليقة أنه ... يخال لأسرار الغيوب سراجا

ولو سألوه ما تجن عروق صدره ... لخاب غبي أو أرم وجمجما (٤)

وما هذا الذي ساد في أذهان الناس من إمام معصوم يأتي فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ؟ وقد زعموا أن العلة لهذا الأمر في خفاء الدعوة الفاطمية ستكون في عام القران (قران المشترى بزحل) ، فلما أتى القران ولم تتحقق النبوة زعموا أن ذلك أخر لسنوات معدودات :

وعوم [illegible] في القرس [illegible] فلما مضى [illegible]

كلا أيها القوم لم ينصب الله إماما كالذي زعمتم يهدي الناس ويعلمهم الحق والباطل ، والعدل والظلم ، فالله تعالى جعل لكل أولئك العقل وحده ، فهو الذي يهدي الضال ويرشد الى الحق ، ويبين

(١) شالت النعامة كناية عن خفة العقل (٢) المخذم السيف (٣) ردم ، مهدومة (٤) أرم ، سكت وجمجم ، عيي

الرشاد من الغي ، فاذا أردتم تحقيق ذلك كله فارجعوا الى العقل وارجعوا عنه حججه وحكموه في كل ما يعرض لكم مثل أن تلجئوا الى السخافات فترتقبوا إماما مزعوما :

يرتجي الناس أن يقوم إمام ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء

لقد فسدت عقول الناس ، وأهم ما أفسدها أمور : إيمانهم بعلم الكيمياء من تحويل المعادن الى ذهب ، واتلافهم أموالهم وأعمارهم فيه من غير جدوى ، وعلم التنجيم وربط كل ما يحدث في العالم بحركات الكواكب ، وتفسير الأحلام وبناؤهم عليها تصرفاتهم . ومن هذه الاوهام التي أفسدت العقل اعتقاد الناس في الصداقة وأنها ممكنة محققة ، وجريهم في شئونهم على أساسها مع أن الصداقة الخالصة الصادقة احدى المستحيلات :

أزرى بعقلك دعوى الالف أربعة بها كل أنامكم حب الجهالات
ود الصديق وعلم الكيمياء ورأي علم النجوم وتعبير المنامات

هذا الى مجموعة من الاوهام تنتشر بين الناس فتفسد عقولهم ، وتفسد تفكيرهم : فهؤلاء يزعمون أن الاحبار يطيرون في الجو أو يمشون على الماء ، ألم يروا الى السعدين (سعد بن معاذ وسعد بن أبي وقاص) والعمرين (أبي بكر وعمر) وهم من الهدى ما هم ، لم يفعلوا ولم يدع لهم أحد شيئا من طير في الهواء أو سير على الماء ، وهؤلاء يزعمون للمصريين الأولين سحراً ينكره العقل ويكذبه القياس ، وآخرون ينسبون للاجيال السابقة طولا كطول النخل وأجساما هائلة الحجم ولا شيء يصح من ذلك ، وغير هؤلاء يزعمون رؤية الجن ويقصون عنهم القصص ويلفقون عليهم الاخبار ويخشونهم ويتقون شرا منهم ، وكلها أخبار كاذبة لا تصح في العقل :

فاخش لليلك ولا توجد على رهب ان أصبت بجني في الظلماء منتجا
فانما تلك أخبار ملفقة لخدعة العقل الموهي حوشيا

كل هذه وأمثالها سموم سممت العقل وجعلت حياة الناس ضروبا من الخبل

* * *

ولو كان هذا العالم يجري على المعقول لكان أكثر الناس حظا من نعيم الحياة ومتع العيش أعقلهم وأكملهم . ولكن تعال معي ننظر الى هذا العالم الوضيع نجد عجبا : نجد أن الدجل في كسب العيش هو يانع حقله وخصيب شرفه ، وأن من تمسك بهما كان الفقر حليفه ، فهذا صادق محروم وهذا كاذب مرزوق ، وهذا صادق أسلمه صدقه الى الفقر والعيش المر ، وصاحبه كاذب يمرح بكذبه في النعيم المقيم والخير العميم :

والناس شتى فيحظى نقص صادقهم من الأمور ويحظى الكاذب النفق
يغدو الى ظلم من قبح مواضعه فيصبح قال ما يرى ويختلق
وربما عمل الانسان مهجته في أصدق حيث يرى حد الحق يلق (١)

(١) يلق : يسوق الكلام في كذب

وهذه الدنيا غريبة في أطوارها، عجيبة في مظالمها، فهذا فقير دخل عليه الشتاء فلا يجد سترا وهو في أشد الحاجة اليه، وهذا محدود يهطل عليه المال انهيالا وهو غنى عنه:

قد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرى أو أمير مدوج (١)
وقد يرزق المجدود أقوات أمة ويحرم قوتا واحدا وهو أحوج

وماذا هذا الذي يسمونه الحظ؟ قد كان للمعقول ألا يكون، وأن يكون الجزاء على العقل والكفاية والخلق، فإذا ما نرى هذا الحظ قد طوح كل هذه المبادئ: فظالم يملك الكنوز وعادل لا يملك القوت، وعاقل أعيت مذاهبه وجاهل مرزوق، وأمور تحير العقل وتذهب باللب:

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنونا وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ رأى منك ما لا يشتهى فتزندقا

وليس هذا شأن الانسان وحده، بل هو العالم كله فيه الحظ أكثر مما هي على العقل، فهذه الأنهار تجرى بالماء العذب وخصت بالاكرام منها زمزم المالحة:

تبارك أنهار البلاد سريرة بعذب وخصت بالملوحة زمزم

وهذا الأسد قد يأكل الجيفة، وهذه الذبابة قد تأكل العسل.

رعت الأسود بموت جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو حبيب

وهذه الصخور: بعضها تقبل وتستلم، وأخواتها تهشم وتحطم:

وقد عظمت حظوة حتى صخور يزرن فيستلمن ويلثمه
كركن البيت أو ركنى قريش وأخرى أحجار تطى (٢)

• • •

وهناك طائفة الأدباء والشعراء كان يجب أن تكون لها وظيفة سامية في المجتمع — فتخدم الحق بلسانها وقلمها، وتدافع عن الحقيقة بحسن بيانها، وتعبر عن آمال المجتمع وآلامه فتحول تعبيرها، ولكنا — مع الأسف — نرى الأدباء وقفوا موقف الذئب من الراعي كل همه أن يفترس شياهه، فهم جعلوا مدائحهم شباكا يقتنصون بها أموال الناس، ويمدحون بها أخلاق الأمراء والأغنياء، بما يصوغون من مديح مختلق ووصف مزيف:

بنى الآداب غربكم قديما زخارف مثل زمزمة الذباب
وما شعراؤكم الا ذئاب تلصص في المدائح والسباب

كلا لا أتبع سبيلهم ولا أسير على آثارهم ولا أهتدى بهديهم:

ترون بقصد المديح فطلى وأملق قصيده على بابه
معاذ الله قد ودعت جهلى مديحى من تميم والرباب

وليس الانسان وحده هو الشر في العالم بل كل العالم شر، فالانسان يجير على الحيوان فيذبحه ويغتصب منه رفقه، ويغتصب لبنه الذى أعده لولده، ويلهو بالصيد والرمى. والليث مسلط على

(١) مدوج: لابس أحسن الثياب (٢) تطى: تحتقر وتدوس

للهواء ، والبازي على بغاث الطير ، وكل قوي مسلط على ما هو أضعف منه ، فالعالم سلسلة مظالم ، ومجموعة مهازل .

وفي كل الطباع طباع نكر ... وليس جميعهن ذوات سم (١)
فقد ثبتت على فرس وضرس ... كما حمل الوقود على القبس (٢)

يقول أبو العلاء إن كان هذا هو العالم : ملوك تظلم ولا ترحم ، وتنعم في النعيم ولا تشعر بمن يتألم ، وقضاة تعسف ولا تنصف ، وفقهاء ووعاظ ونساك تتخذ من دينها ستاراً لاقتناص الأموال وشباكاً للاستغلال ، وعقل مغلوب على أمره لا يسمع نهيه ولا أمره ، وناس إن نطقوا بالصواب خفتوا أصواتهم ، وإن نطقوا بالمحال رفعوا عقيرتهم ، ومخلوقات تحول وتصول ، ومملكة تغصب وتزول ، وكل ما في العالم ظلم يسلم إلى ظلم ، إنسان يفترس أسداً وأسد يغتال ذئباً وذئب يفترس شاة ، فأي خير في الوجود يستحق البقاء ، وأي عمل فيه يستوجب الثناء .

لا لا ، والخير للعالم أن يفنى في لحظة ، ويمحق في لمحة :

يا رب أخرجني إلى دار الرضى ... عجلاً فهذا عالم منكوس
ظلوا كدائرة تحول بعضها ... عن بعضها فحضيضها منكوس

فإن كان ولا بد فالفرار منه والعزلة عنه . ولأرسم لنفسي برنامجاً أعيشه في محبسي إن لم أستطع أن أنفذه في غيري ، فلا زواج ولا نسل ، ولا إيذاء لحي ، فلا آكل لحم حيوان بحري ولا بري ، ولا أمسه في نتاجه ، فلا عسل ولا لبن ولا بيض ، بل لا ألبس الجلود ولا أنتعل بها ، وإنما أكتفي بالنبات . فليكن طعامي العدس وفاكهتي التين ، وحسبي الكمأة والفول ، وشربة من ماء براحتي أو قدح من خزف ، وليكن ملبسي من القطن الخشن لا لون فيه ولا تزويق ، وليكن مركبي رجلاي فلا خيل ولا إبل :

فدرك لأهل الملك لذاتهم ... فحسبنا الكمأة والأحبل (٣)
ومشرب الماء براحاتنا ... إن لم يكن ما بيننا حبل (٤)

ناسي العرس فلا أعصر ولا حول ولا أذكى (٥)

رحمة الله عليه فقد ضيق واسعاً ، وحرم مباحاً ، وحمل نفسه ما لا يطيق الناس ، والتزم ما لا يلزم ، ولون العالم كله باللون الأسود وخلع عليه قطعة من حسه القاتمة ، ثم أخذ يندب عليه ويبكيه ، فكان لنا من بكائه وعويله نغمات شجية ، وتوقيعات فنية ، وقطع موسيقية ، تعبر عن أحزان أمثاله من عاشوا بين الشكاكين والطغاة ، والريح والليالي اللاح

أحمد أمين

استدراك : وقع في الصفحة الأخيرة من مقال الدكتور عبد الوهاب عزام أن ختمت الفقرة التي بدأ بكلمة «وعند فيها تخيل» وتنتهي بكلمة «صفة الرخيص» ، ووضعها الصحيح أن تختم بها المقال

---

(١) نكر مصدر منكرة ملبية من لمفتة (٢) الفرس : الأفلاك ، والضرس : الضرس (٣) الأحبل : اللوبيا
(٤) الحبل : قدح غليظ من خشب (٥) أجرى الفطر

ما أثر البيئة العائلية والسياسية والثقافية في شعر المعري ؟ وكيف كونت شخصيته واتجهت نفسه الحساسة نحو الأحلام المختلفة والتبصر بما حولها ؟

بيئة المعري

وأثرها في شعره

بقلم الأستاذ أنيس المقدسي
أستاذ الأدب العربي بجامعة بيروت الأمريكية

مما لا ريب فيه أننا لا نستطيع فصل الشاعر عن الجو الذي ينشأ فيه . ولو قابلناه من هذه الناحية برجل العلم لوجدنا بينهما فرقاً بيناً . فالعالم قد ينصرف الى مبحث من مباحث بيئته المعنوية أو المادية فيقوم بدرسه ويجدُّ في التوصل الى أبعد غاياته . فاذا بسط لنا الحقائق أو المعلومات التي توصل اليها لم نجد فيها ما يدل على أنه تأثر بها تأثراً يحرك جهازه العصبي ويحدث فيه اتجاهات عاطفية خاصة . وأي علاقة مثلاً بين أحكام النور والكهرباء ، أو طبائع الحيوان والنبات ، أو قواعد الصرف والاعراب ، وبين شخصية الباحث فيها وحالات نفسه . تلك أحكام وقواعد لا تقوم على التأثر النفسي ، بل على حقائق راهنة قد يتوصل اليها كل باحث ، وليس فيها ما يميز شخصية من شخصية أو روح عن روح . أما الشعر فحركة نفسية يثيرها ما يحيط بالشاعر من احوال وحوادث . ولا بد لنا لفهمه من أن ندرس البيئة التي تتصل مباشرة بتلك الاحوال والحوادث

فما هي بيئة المعري — ما هي تلك العوامل التي تؤثر في حياته الشعرية ؟ سؤال نحاول أن نجيب عنه هنا بكلمة وجيزة نعرض فيها الحقائق عرضاً يلذ لجمهور القراء دون أن يرهقهم بالتقصي الدقيق من تحقيق وتخريج ، وعرض نظريات ، وعرض ومقارنات ، مما لا يتسع له المقال ولا يلذ الا الخاصة من المتخصصين ، وانما هي خلاصة ما توصلنا اليه من درس الاحوال العامة التي يظهر أثرها في نفس المعري وأدبه . وها نحن نعرضها من نواح ثلاث :

١ — بيئته العائلية والتربوية

لم يولد المعري من أسرة وضيعة . فقد كان آله — بنو سليمان — بيت علم وفضل ورئاسة . ويرجع نسبه الى بني الساطع وهم فرع من تنوخ ، وكانوا يعرفون بالشرف والرئاسة والشجاعة . وأكثر بيوت المعرة منهم كبي

سليمان ، وبني حصين ، وبني عمرو ، وبني المهذب ، وبني زريق ، وبني جهير . وأكثر قضاة المعرة وعلمائها من بني سليمان : تولى المعرة منهم جد جد شاعرنا وقد اتصل القضاء بأولاده وأحفاده حتى والد المعري ، وكان من أهل العلم والوقار . وقد خلف ثلاثة بنين أبو العلاء أوسطهم . ومعلوم ان ابا العلاء مات غير متزوج . ولم يخلف أخوه الأصغر الا ولداً وهذا خلف ولدا وبه انقطع نسله . أما أخوه الأكبر فبه بقيت شجرة الأسرة ، وفي أولاده وأحفاده اتصل القضاء والجاه سنينا طويلة

وقد شهد المعري موت والديه وإخوته جميعا . ويظهر من مراسلة أحواله ان أولاد أخيه كانوا يحترمونه ويعظمونه ويأخذون عنه . ولم يتصل بنا ان الشاعر ورث ثروة تذكر ، على أن ذلك لا يعني انه عاش كل حياته مسكينا فقير الحال ليس له الا دخل زهيد يقسمه بينه وبين خادمه . فكما كان آباؤه من أهل الوجاهة كان هو كذلك . وكذلك كان أولاد أخيه ، نذكر منهم على سبيل المثال ابا مسلم ، الذي ولد قبل موت الشاعر بنحو ١٨ سنة وصار رئيس المعرة وكبيرها المقدم فيها ، وقد ولي القضاء بعد أبيه وكان مشهورا بالجود والعلم

أما ما ينقل عن فقر الشاعر فانما هو خطأ في تفسير معنى الزهد الذي سلك طريقه . فان المعري أخذ منذ السابعة والثلاثين من عمره في طريقة الفلاسفة المتقشفين

وقد كان في ميسوره ان يعيش رخيا وان يجمع ثروة طائلة ، يزكي ذلك شهادات كثيرة نكتفي منها بشهادة الشاعر الفارسي ناصر خسرو الذي زار المعرة سنة ٤٣٨هـ ، أي قبل موت المعري بعشر سنوات ، فوصف حاله بقوله : « انه رجل ذو جود عظيم في بلده ، وهو غني يعطف على الفقراء والمعوزين مع أنه هو يعيش عيشة الزهد والتقشف » وفي رسائله وأشعاره عدة اشارات الى هبات مالية كان يمنح بها بعض ذوي الحاجة من الأدباء ، كقوله يعتذر لنقيب عن رد الهدية التي أرسلها إليه أقل من قدره ، وكان شاعرا في الخمسين من عمره :

يا ليتني أهديت غير هدية ... [illegible] لي فيها صحتي وشبابي
وقلت له ... [illegible] ... حتى ما يكشف عنه [illegible]
لعل الذي أهديت يكفيك سنة ... لاسباغ طهر حان أو شراب

فالرجل على ما تثبت أكثر المصادر عاش أكثر حياته وجيها وكان سمح اليد جم التواضع . وقد بلغ غاية الوجاهة بعد أن استقر في المعرة وعكف على العلم والتعليم ، فقصده الطلاب من الآفاق وكاتبه أو زاره الكبراء والأمراء حتى عظم شأنه وحسنت حاله . على انه لم يكن يستعمل من ماله الا القليل ويصرف الباقي في سبيل اللاجئين والمعوزين

(البقية في صفحة ٩٦٢)

نصيب المعري من الفلسفة الشرقية

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدي

لا مشاحة أن لأبي العلاء المعري شخصية طريفة عرفت قيمتها في حياته، وبقيت حافظة مكانتها بعد وفاته، وبعض هذه الشخصية قد ازدادت بروزاً في عصرنا الراهن عما كانت عليه في العصور السالفة، على نسبة تنبه الناس لتحليل الشخصيات الفذة.

لا يخلو شعر في الأرض، حتى الأرسال العامية، من خروج شاعر من أصحابها الى بعض النظرات الفلسفية، ولم يعتبر واحد منهم في زمرة الفلاسفة لهذا السبب وحده، حتى ولا المتنبي الذي تتلألأ في ديوانه — مئات من عيون الحكم.

وقد غص شعر أبي العلاء بكثير من جوامع الكلم، ولكنا لا نستطيع لهذا وحده أن نعتبره فيلسوفاً إلا إذا ثبت في شعره مذهباً مؤسساً على قواعد ثابتة. وقد عرف من تاريخ أبي العلاء أنه أخذ الفلسفة اليونانية عن الرهبان الذين كان يصادفهم في معرة النعمان. وثبت أيضاً أنه لما شخص الى بغداد سنة ٣٩٨ هـ. اطلع فيها على فلسفة الهنود والفرس.

> «المعري شاعر لا فيلسوف. وأثر الفلسفات الشرقية ضعيف في تكوينه. وقد تكون الفلسفة الدهرية منها هي التي أثرت فيه»

فإذا أردنا أن ندرس شخصية أبي العلاء في ضوء الفلسفات التي كانت معروفة الى عهده، لنرى هل أثرت واحدة منها في تكوينه، عدنا من بحثنا الطويل بغير طائل. فإن الذي كان يعرف من الفلسفات الشرقية أنها على اختلاف وجهاتها كانت متأثرة بمذهب التشاؤم، حتى أن الهنود الذين بلغ احتقارهم للدنيويات حداً لم يبلغه في أمة أخرى، كانت ترمي من وراء ذلك الاحتقار الوصول الى سمو روحاني لا تقارن به سعادة — مهما جلت — من السعادات المادية. ولا يظهر لهذه النزعة أثر في شعر أبي العلاء. فقد أكثر من ذم الدنيا ومن احتقاره لها، وتوسع في ذكر أحداثها وكوارثها، ولم يذكر أن لذاتها قاطعة للمرء عن سمو روحاني يجل عن الوصف لا يجوز التنازل عنه في سبيل التمتع بلذائذ مادية منحطة، على مثال ما كان يقول به الهنود ولا يزال يردده شاعرهم المعاصر «طاغور». بل الذي يؤخذ من شعر المعري أنه كان يذم الدنيا لا لأن لذاتها تقطع الانسان عن بلوغ كماله، ولكن لأنها موقوتة خداعة وسريعة الزوال. ونحن نعرض طائفة من شعره في هذا الموطن تدليلاً على ما نقول، قال رحمه الله:

عش صحبتك الدنيا مسرحة ... ومن طالب عليك عنا تعب
وانك منذ كون النفس عنها ... تورع في الضلالة أو تعب
ولو طال الرقاد من البرايا ... فإن الراقدين لهم هبوب
غرامك بالحياة شقى وغم ... وليس يسر من يشتاق غب
لو ان سواد كيوان حصله ... تكلفك والمنى في الأفق حب
لما نجاك من قدر الليالي ... سماك طارح وثنى غرب
وما يجديك عز أن تسمى ... ولو أن الكلام عليه سب

الى أن قال :

ولم ينفع ردى سقراط قصد ... ولا بقراط حامى عنه طب
لقد آسيتني بقنا صريحا ... تمنى كل ذى أمل يتب
ولا تدعب هنك الطير عنى ... ولا تطل بعدك فما يصب

وهذه كلها معان سبق بها أبا العلاء جميع من جاء قبله من الشعراء ، وهى لا تخرج عن ذم الدنيا ، والحض على التفرق بها ، وذكر مساوى الايام وجناياتها على الأحياء ، فلا شيء في هذه الأقوال مما يجب أن يتصوره الحكيم من وراء هذه الحياة ، سواء أكان ذلك من ناحية تشبيها النفس الى سعادتها من وراء ذلك ، أم اتفاقها لأسمى مواطنها التي ذللها كلها من طريق تحويلها عن الغرائز العلوية الكامنة فيها

ثم انه ذكر ان وراء متاعب هذه الحياة حياة أخرى فقال :

تعب كلها الحياة فما أعـ ... ـجب إلا من راغب في ازدياد
إن حزنا في ساعة الموت أضعا ... ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت ... أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما ... ل إلى دار شقوة أو رشاد

ولكنه عاد فأنكر ذلك في موضع آخر فقال :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد له سبك

فهو هنا ينكر البعث صراحة صريحة لا تحتمل التأويل ، فإن أردنا أن نعرف أثر الفلسفات الشرقية في تكوينه لم نجد غير الفلسفة المصرية منها ، ولكن اتباعها يبنون ما ينعتون الله ، ويقررونه تقريراً حسياً ، ولا يتلاعبون فيه بالألفاظ ، فلا يعثر الباحث في الوقوف على حقيقة مذهبهم في شعر أبي العلاء ما يستدل منه على أنه لم يكن منكراً للخالق فقد قال من قصيدة :

لم يبق للظالمين عيب ... يشكل في الأعظم الرفات
أرى اسكندر في البلايا ... أعنى من الأسرة الكفاة
أثبت لي خالقاً حكيماً ... ولست من معشر نفاة

هذا قول صريح لا وجه لصرفه الى غير معناه ، ولولا أن له قولا آخر يبين هذا بيانا في قالب من التهكم ليس وراءه مذهب ، فقد قال :

قلتم لنا صانع قديم ... قلنا صدقتم كذا نقول

ثم زعمتم بلا مكان ولا زمان ، ألا فقولوا
هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

هنا قد يقول بعض المتعصبين لأبي العلاء إن هذه الأبيات الأخيرة مما وضعه بعض خصومه عليه ، ودسوه إليه لينالوا من كرامته عند الناس

إن ما كان يعرف عن المعري من عزوف نفسه عن التغذي بلحوم الحيوانات ، لا ينهض دليلا على أنه كان متأثراً بالفلسفة الهندية ، ولكنه حدث له كما حدث لغيره من الأقدمين كفرط كراهة في تعذيب الحيوانات بالذبح . أما تحريم لحوم الحيوانات في الفلسفة الهندية فله سبب آخر مبنى على اعتقادهم في تناسخ الأرواح . فقد كانوا يقولون إن الأرواح الشريرة تتقمص أجساداً حيوانية لتعذب فيها على ما جنت في حياتها السابقة ، ولم يكن أبو العلاء يقول بذلك

وقد بحثنا عن أثر الفلسفات اليونانية في تكوين شخصية أبي العلاء فلم نصادفه في واحدة منها ، حتى ولا في فلسفة التوقف « لبيرهون » اليوناني . فإنها مبنية على الجزم بعدم إمكان الإنسان الوصول إلى الحقيقة ، بسبب أن الكائنات في الطبيعة تخضع لناموس التجدد المستمر ، فلا يمكن أن نعرف منها إلا ظواهرها . لذلك يقع الناس دائماً في الأخطاء والمتناقضات ، فالبحث عن الحقيقة لا يقوم والحالة هذه على قرار ثابت ، فإزاء كل قضية عقلية يمكن أن توضع قضية أخرى معارضة لها . فالحكيم لا يسعه إزاء كل هذا إلا التوقف عن إبداء حكم ثابت فيها ، فعليه أن يجرى مع الظواهر دون أن يعلن حقيقة واحدة منها

أما من الناحية الخلقية فتؤدى فلسفة « بيرهون » أن يصل الإنسان إلى سعادة سلبية ، أي إلى الخلاص من الارتباكات النفسية ، وهذه في رأيه أقصى غاية يمكن أن يصل إليها الفيلسوف في حياته الأرضية . وهنا تختلف هذه الفلسفة عن فلسفة الشك التي دعا إليها ديكارت ، فقد جعل الشك مرقاة لليقين ، لا أنه جعله غاية لجهود الحكماء

فإذا حاكمنا ما نقرأه من شعر أبي العلاء إلى هذه الأصول وجدناه يشذ عنها كل الشذوذ ، بل لا نجد بينه وبينها أية علاقة . فأبو العلاء يجرى في شعره في المضمار الذي جرى فيه جميع شعراء العربية قبله من ذم الدنيا وتحقير شئونها ، والتفنن في عذل الإنسان والاستهزاء بما يستهدف فيه من طلب السعادة ، وخيبته في الوصول إليها ، ولا يزيد على ذلك شيئاً مما يجب أن يقف الإنسان عنده من مذهب مقرر ، أو فلسفة معلومة ، أو توقف متواضع

ولو اعتبرنا فلسفة زينون الفيلسوف اليوناني القديم ، وحاولنا أن نجد بينها وبين فلسفة المعري صلة ، لتعذر علينا ذلك أيضاً . فإن الحكيم الإغريقي كان مذهبه أن الخير كل الخير هو فيما يبذله الإنسان من الجهد لكيلا يخضع لغير سلطان العقل ، غير آبه بما يصادفه من الأحوال الخارجية

كالثروة والفاقة ، والصحة والمرض ، والنعيم والبؤس الخ ، حتى كان من أتباعه من قتلوا أنفسهم تخلصا منهم من استمرار الكوارث المادية

وأبو العلاء يلوم الدنيا لأنها تخدع الإنسان ، ويقدح في الإنسان لأنه يقع في الفخاخ التي تنصبها له المطالب النفسية ، ولكنه لا يقرر أملا للخير يجب التعويل عليه للوصول إلى صحو روحاني ، فشعر أبي العلاء يخلو من تقرير مذهب فلسفي أو حسب مثل أهل الفلسفة الشرقية . ويمكنك أن ترى ذلك حتى في الأبيات التي يحاول فيها بيان مذهبه ، فقد قال

من مدعي أني لا أخذ جمعة لسعي ولا أمشي لضرب مسوع
لكن أقضي مدة حتم بني وأخرج بالنسيم الأروع
هيهات وست تود أي دائم بأملك في ثوب امرء مترع

فإن سألته ولأي شيء تؤثر هذه القناعة ، وإلى أي غاية أوصلتك وقد بلغت من دهرك ؟ لم يجبك إلا بشكوى يجول بها كل مجال ، لا يتبين منها الفائدة الثابتة التي يرمي إليها ، كقوله من قصيدة :

يا دهر يا منجز إيعاده ومخلف المأمول من وعده
أي جديد لك لم تبله وأي أغراضك لم ترده
تستأثر الضب في جحرها وتنزل الأعصم من فنده
أرى ذوي الفضل وأضدادهم يجمعهم سبلك في مده
من لم يكن رشد الفتى نافعا عيب تعمى من رشده
مهرة الدنيا وأنالك حسب سنا الزهد على زهده
والقلب من أهوائه عابد ما يعبد الكافر من نده
فلا رماني وريحه لي صبري أمرّ في فقده
كأنما في كفه سله يعلق ما يختار من قده
لو عرف الإنسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
أمس الذي مر على قربه يعجز أهل الأرض عن رده
أضحى الذي أجل في سنه مثل الذي عوجل في مهده
ولا يبالي الميت في قبره بذمه شيع أم حمده

وهي طويلة وكلها على هذا الضرب من التشاؤم ، ولم يدل ذلك كله على شيء يتم عن أصل مستقر في نفسه يمكن أن يقال إنه مذهب له

يسوغ لنا بعد هذا كله أن نقول إن أبا العلاء المعري لم تكن له فلسفة معينة ، ولا مذهب مقرر ، فإن كان لا بد من وضع اسم على النحلة التي كانت عليها نفسيته ، فهي الحيرة والتشاؤم الممزوج بالتهكم . أشبه الناس به من معاصرينا كان السيد صدقي الزهاوي الشاعر البغدادي رحمة الله عليه ، فقد كان حائرا متشائما متهكما ، فبينما كان يقول :

قال ما دينك الذي كنت في الد نيا عليه وأنت شيخ كبير
قلت كان الإسلام ديني وما زلت أدين بالإسلام حتى أصير
قال من ذا الذي عبدت فقلت الله ربي وهو السميع البصير

فإذا به يقول : لا تحيف من قصده أمرها وأقف شك في علم معقل
أثبت ربا نفى عقلا به المشكلات فكل أكبر مشكل

ويقول : أنا ما كثرت كل مرى بالشكاك للتول
أنا لم أزل أنحو بقد ت إليه الرسل

فهذه الحالة من التناقض والحيرة التي كان عليها الزهاوي ، وكان عليها قبله شيخ المعرة ، لا تصح أن تكون مذهبا ولا مشتقة من مذهب . فقد رأيت رغم التوفيق ديرهون، استقر على قاعدة ثابتة ، وعاش عيشاً طويلا هنيا ، ومرى سيا من سجيته مطمئن النفس ، هادىء البال ، غير واقع في تناقض ، ولا برم بحيرة ، ولا ماثلا الجو شكوى من الزمان وعويلا

ورأيت أيضا صاحب طريقة الشك ديكارت ، قد جعل الشك أساسا للبحث عن الحقيقة ، ولم يجعله غاية له . وقد أصبح منهجه أسلوبا حقاً يذكره به كل باحث عن حقيقة . أما التناقض والحيرة الممزوجة بالتهكم فلا تصح أن تكون مذهبا لا جتمعة ولا متفرقة . ومدوازها البحث والتأمل والدرس حتى يستقر صاحبها على قرار مما وصل إليه الباحثون وما أدى به إلى الالحاد البحث . أما الشك فلا يصح أن يكون مستقراً لها ، ولا صح أن تكون له دعوة ، ويجرى هذا المجرى الحيرة بالتهكم

إني أحب أبا العلاء وأجله كشاعر عظيم طبع الشعر بطابع خاص به ، ولكن لا كفيلسوف ملمس الذى يفهمه أهل العصر الحاضر

محمد فريد وجدى

أبو العلاء : في العدد القادم

ساق طائل هذا العدد عن أن يسع جميع المقالات التي تفضل بتحبيرها أصدقاء «الهلال» ، فاضطررنا آسفين الى تأجيل نشر هذه البحوث القيمة الشائقة ، التي تتناول كثيراً من نواحي أبي العلاء الفكرية والفنية ، وهي : « المعرى ... الأعلى للأخلاق » للأستاذ احمد حافظ عوض بك ، « أبو العلاء الباسم » للأستاذ عبد المجيد المنحى ، « رأى المعرى في مرق ملونى » للدكتور محمد عبد الحميد ، « الرثاء في شعر ابي العلاء » للأستاذ احمد الشايب ، « القصة في ادب أبي العلاء » للأستاذ كامل كيلانى . فنعتذر الى هؤلاء الاساتذة الكرام أصدق اعتذار ، ونوجه نظر القراء الى هذه المجموعة من المقالات القيمة التي سينشر عدداً كبيراً منها في العدد القادم

وفرة محصول أبي العلاء من اللغة، وتمكنه من شوارد العربية ونوادرها،
وسعة إدراكه أساليب النظم وضروب النثر تمثل في آثاره النقدية البارعة

المعرّي النّاقد

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري
مراقب المجمع الملكي للغة العربية

قبل أن نتناول الموضوع الذي نسوق له هذا الكلام، يحسن بنا أن نلم إلمامة يسيرة بالنقد الأدبي عند العرب في جاهليتهم ثم في إسلامهم. ولا شك في أنه كان هناك نقد، ضرورة اختلاف الآثار بالجودة والرداءة، وتفاوت المراتب في الجيد، وتفاوت المنازل في الرديء، وتفطن بعض الناس إلى هذا، وقولهم فيه، وتنبيه سواهم إليه.

إذن لقد كان النقد الأدبي قائماً عند العرب من يوم جرت ألسنتهم بالشعر، ومن يوم كان الشعراء. على أن هذا النقد إنما كان يجري في أضيق الحدود، وبعبارة أخرى كان نقداً ساذجاً بسيطاً يبعثه مجرد الحس الحاضر، لا ينطلق في حدود مرسومة، ولا يتأثر في منحاه قضايا مقررة مقسومة، شأن كل فن في عهد البداوة ومطلع النشأة.

وكيفما كان الأمر، فإن هذا الحس الحاضر هو الذي هدى إلى الفنون، وعليه قامت أساسها، وإليه المرجع في تقرير ما تقرر لها من الأصول والأحكام. ولقد بسطنا هذا الباب في غير هذا المقام.

كان العرب في جاهليتهم ينقدون الشعر، ولكن هذا النقد كان، كما أسلفنا، ساذجاً بسيطاً، لا يتكلفون فيه التبسط في القول، ولا المطاولة في سبيل الإبانة والكشف، وتعمد التعليل، معتمداً بصحة طبع السامع، وقوة فطنته ورهافة حسه، هذا إلى أن النقد الذي يصدر عن حاضر الحس لا يحتاج إلى جهد في التعليل ولا طول معاناة.

ولقد كان نقد العرب في جاهليتهم متجرداً أكثره، إذا لم يكن متجرداً كله، في سبيل المعاني بالدلالة على جيدها وعلى رديئها، والمفاضلة بين الحسن والأحسن منها. ويصح أن يكون الأمر كذلك، وينبغي ألا يكون الأمر غير ذلك. وكيف يعترضهم النقد من ناحية اللغة في متنها، أو في إعراب جملها، أو في تصرف ألفاظها، وهم أولياء ذلك كله، وهم ينبوعه ومنبعه، وهم مصدره ومورده، فصحيحه ما نسب إليهم، وفاسده ما ينبغي أن ينفى عنهم؟

وكذلك القول في نظم الكلام ، ووقوع أجزائه على النبرات الموسيقية ، فما كان (العروض) إلا هاديا في النظم لسبيلهم ، وضابطا في قواعده لما التزموا وما تجوزوا ، مقيدا لما تحرجوا فيه وتحرروا

وأرجو ألا يذهب عنك أن العرب ، في جاهليتهم ، سواء أكانوا يكثرون من نقد الشعر أم يقلون ، فإن ما انتهى إلينا في هذا الباب قليل أي قليل ، لما علمت من أنهم لم يكونوا أصحاب تقييد وتدوين

ولعل من أقدم ما أثر إلينا من نقد الجاهليين ، إذا صدق الرواة ، ما زعموا من أن امرىء القيس وعلقمة تنازعا في الشعر ، وأيهما أشعر ؟ فرضي علقمة بأن تكون أم جندب زوج امرىء القيس حكما بينهما . فقال كل منهما قصيدة يصف فرسه ، على قافية واحدة وروى واحد . فجاء في قصيدة امرىء القيس :

فللسوط ألهوب وللساق درة ... وللزجر منه وقع أخرج مهذب

وجاء في قصيدة علقمة :

فأدركهن ثانيا من عنانه ... يمر كمر الرائح المتحلب

فقالت أم جندب : علقمة أشعر ، لأن فرسه أدرك الطرائد ثانيا عنانه ، لم يضربه بسوط ولم يتعبه . وأما امرؤ القيس فقد ضرب فرسه بسوطه ، وحرك ساقه ، وزجره بصوته !

وكانت النابغة تضرب له قبة بسوق عكاظ ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارها ، فأنشده حسان بن ثابت قصيدة له منها :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال له النابغة : « أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك » لأن الأسياف والجفان من جموع القلة ، ولو طلب الكثرة لقال : سيوف وجفون !

وأضاف بعضهم نقد هذا البيت إلى الخنساء ، وزادوا في روايتهم نقدها لكلمات البيت جميعا !..

* * *

ولما كانت دولة الإسلام كثر نقد الشعر ، أو كثر ما نقل إلينا منه ، بحكم شيوع الكتابة وانتشار الكلام . ومن أطرف ما حدثوا من أنه لما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بقصيدته السينية المشهورة التي أولها :

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا ... في آل لأي بن شماس بأكياس

لم يوجعه منها قدر ما أوجعه قوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

(البقية في صفحة ٩٩٦)

صورة قلمية تمثل

رهين المحبسين

بقلم ميخائيل نعيمة

عشرة قرون . ان دقائق عشراً لفسحة من الزمان كافية لمحو عالم وخلق عالم ، فكيف بقرون عشرة ؟ وكيف برجل تمر به هذه القرون بمدها وجزرها ، فتجرف الكثير من الذين سبقوه والذين عاصروه والذين جاءوا بعده ، ولا تقوى على جرفه ، بل تحمله كحلقة مطواع من جيل الى جيل ، ومن قلب جيل الى قلب جيل ؟ وهكذا يقف هذا الرجل الزمان ولا يقفه الزمان ، ويطوى المكان ولا يطويه المكان ، فيصل ألف عام بساعتنا بهذا العام وهذه الساعة ، ويربط معرة النعمان بأرياف العسكر والمدن في سائر الأقطار ، ومنها بقعة جلبوت حنين في لبنان ، ويحرك بأفكاره أقلاماً لا تعد ، ومنها القلم الذي يجري بهذه السطور

هو الرجل الذي كان من أشد الناس تبرماً بالزمان والمكان ، وبقية من حياة كان يحسبها جناية وانما لأنها في اعتقاده ، أضيق من المكان وأقصر من الزمان . لها أول فيه بعض الحلاوة ، ولها آخر كله مرارة ، ومرارة آخرها تمحو حلاوة أولها . وهذا الرجل عينه ، من بعد ألف سنة مرت على إفلاته من حياته المرة ، يفتح لي وللكثيرين سواي باب منزله على مصراعيه قائلا :

« تفضلوا وادخلوا » فكأنه ما اعتزل الناس في حياته الا لتكون حرمته خالصة لهم بعد مماته ، ولا طلب الافلات من الحياة الا ليمسك بالحياة فلا تفلت منه ، ولا الخروج من قبضة الزمان الا ليقبض الزمان في قبضته

ها انا اطل عليه في غمض ضيق مظلم من منزله الوضيع . فأراه جالسا وحده الى طبق من القش عليه قصعة من العدس المطبوخ ، وأخرى من الدبس ، وبعض الخبز . وأرى يده اليمنى تمتد متمهلة بكسرة من الخبز الى قصعة العدس وكأنها تخشى لو تعجلت ان تقع على الدبس ، أو أن تخطىء الاثنين فتقع على فسحة فارغة من الطبق . وبعد تردد تبلغ ما تمد اليه ، فتغمس اللقمة بالعدس وترفعها بحذر الى الفم . لكنها لا تكاد تلامسه حتى يدخل الخادم لينعى الى مولاه وفاة صديقه أبي حمزة . فتجمد اليد في الهواء ، وتقع اللقمة من بين أصابعها ملوثة عبة الرجل وتاركة عليها آثاراً من العدس لو كان له أن يراها لأسف عليها أسفه على صديقه . إلا أنه لا يستطيع أن يراها

إذ لا منفذ للنور من عينيه الغائرة وأجفانها الفاترة ، وقد امتص الجدري ماءهما ورد مافيهما من نور إلى الداخل يوم لم يكن لصاحبهما من العمر أكثر من سنوات أربع

أما وجهه الأحمر النحيل المستطيل فتعلوه في الحال سحابة سوداء لاتلبث أن تنقشع عن سحابة مثلها ، ثم أخرى ، ثم أخرى . فكأن ذلك الوجه النحيل الذي حفره الجدري تحول مسرحاً لخيالات سود تعبر سراعاً من شعرة إلى شعرة ، ومن شفة إلى شفة ، ومن حاجب إلى حاجب ، ومن أذن إلى أذن . وكأن عينيه ، وقد خبا نورهما ، تحاولان التقاط ما قد يكون في تلك الخيالات من أنوار خفية

دقيقة . دقيقتان . والرجل لا يتحرك من مكانه كأنه سمر بالأرض . وأخيراً تنفتح شفتاه الرقيقتان الذاويتان بكل ما فيهما من صبر وأناة وحلم فيأمر خادمه بالانصراف عنه وبألا يأذن لأحد بالدخول عليه . ومن بعدها يمضي متوكئاً على عصاه الطويلة الغليظة وقد تغطت جبة من الصوف الخشن ، وتكللت هامة تماثل لحية خشونة وسواداً ، والعمامة والجبة تنبئان عن فقر يتعشق النظافة رغم العمى ورغم تقلبات الدهر

ويمشي الرجل بغير عصا ومن غير أن يتلمس الجدران إلى باب النفق الضيق الواطئ ، فينحني إذ يخرج منه إلى حيث عادته أن يجالس قاصديه من طلاب معرفة ، أو هواة جدل ، أو ذوي حاجة من أصحاب الحاجات . لكنه لا يتوقف هناك بل يجتاز المكان إلى باب مخدعه الخاص . فيفتحه ويدخل ثم يوصده وراءه ويخطو بضع خطوات إلى زاوية معروفة باليد لا غير . وهناك يتربع واضعاً يديه على ركبتيه ومصوباً جبينه إلى الأرض

وينحني رأسه قليلاً قليلاً كأن به ثقلاً لا يقوى عنقه الطويل على حمله . وتكاد العمامة تهوي به إلى الأرض . فيأخذها بيديه ويضغط عليها . ويتحدر الثقل من رأسه إلى قلبه ، فيحس به أقداماً وأي أقدام ، كأن يداً من حديد تعصره فتكاد تزهق أنفاسه ، فيتمنى لو يخطف الموت بأنفاسه. ثم يخيل إليه أنه في قبر ، وهل القبر أضيق أو أشد ظلاماً من هذا البيت الذي قضى فيه أبوه ثم أمه وتركاه أعزل من كل سلاح حتى من البصر ؟ — بيت ما أشرقت جدرانه القاتمة ببسمة طفل ، ولا رقصت جنباته الباكية لقهقهة ولد منذ جفت عيونه — منذ أن كان هو طفلاً رضيعاً ثم طفلاً صغيراً — بيت لا تهتز أرضه لخطوات زوج تتبعها زوجها ، ولا تتجاوب زواياه بعذوبة صوتها. حقاً أنه قبر هذا البيت الذي احتمى فيه من الناس وعن كل ما في العالم الواسع خلف جدرانه وهو دفين فيه من زمان ، وما برح يحسب نفسه من الأحياء

وهذا الجسد الذي أغلقت نافذتاه إلى عالم الأشكال والألوان ، أليس هو كذلك قبراً ؟ فلا السماء بكواكبها ، ولا الأرض بمواكبها تجد إليه سبيلاً إلا على قدر ما تتناول منه أذناه ويداه ، وأنفه ولسانه ، وهل تتناول الأذن أشباح الابتسامات التي تتمايل على وجوه الناس حتى هنا في

صدورهم مساحة أين منها مساحة البستان؟ أو تتحول إليه الشجر والخلد، لو الامحت عناق الشجر والسماء، أو البستان عرائس الزهر والثمر؟ مسكين! وقد أفنى حياته في الدرس والتأليف ما فكر يوماً في قراءة ما درس وما ألف لا بيده ولا بأخيه ولا بلسانه ولا بأذنه. حتى لكأن الحروف التي يؤلف منها ما ينظم وما ينثر طلاسم عنده في طلاسم، يستعين على فكها بنظر يستعيره من سواه.

أما لذة المؤلف في فنه وهو يجري به على القرطاس فلذة لا أثر لها في نفسه على الاطلاق. وأي خير في التأليف من أي نوع كان؟ بل أي خير في كل ما يصنعه الناس – صغيرهم وكبيرهم – ما دام الموت لهم بالمرصاد؟

أجل، إنه ميت. وهذا البيت قبر. بل الأرض كلها قبر واحد يبيت فيه أجساد الناس منذ فجر الخليقة، فما كان أديمها غير أجساد بشرية بالية. فيا لغرور من يختال على غيره بمال أو حسب أو قوة أو سلطان، وهو لا يعلم من تراب أي جسد جسده، ولا بتراب أي قبر سيمتزج ترابه بعد الموت. وقد يكون عدواً له في الحياة شريكاً له في القبر بعد الممات. وقد يمسي عدوه من هو اليوم تحت. فما أجهل الناس يتشاغلون في مضمار حياة عبثاً الحد. وما أجهلهم يفرحون للولادة ويحزنون للموت ولا فرق عند الأرض بين تلك وهذا. ولو أنهم أراحوا أنفسهم من مثل هذه التفرقة بين الأمور لتخلصوا من أوجاع كثيرة. لا. لا البكاء يجدي ولا الغناء، إنما يجدي الترفع عن الاثنين.

«ولد أبو حمزة». «مات أبو حمزة». أي فرق بين هذين الخبرين عند من يعرف أن من ولد سيموت حتما، ومن مات كان مولوداً قبل أن مات؟ أي فرق عند الشمس بين قول القائل: «أشرقت الشمس» وقوله «غابت الشمس»؟

لن يكون هنالك فرق بين شروق الشمس وغروبها فالشمس أدرى به. اما من ليس لنا ... علم إلا القول بالشروق والغروب. كذلك لن يكون فرق بين الولادة والموت فالذي يولد ويموت أدرى به. اما من ليست الولادة ولا الموت في قدرته فما له إلا القول بهما

من يجهل العلل حتم أن يفرق بين النتائج فيحسب بعضها خيراً وبعضها شراً، ويفرح للأول ويبكي للثاني. والناس يجهلون العلل لذلك إن هم فرقوا بين النتائج كان تفريقهم وبالا عليهم

ويكتئب وجه الرجل عند هذه النقطة ويقطب حاجبه وما هي إلا هنيهة حتى تطمئن ملامحه وتنبسط، ويطفو عليها نور دقيق هادئ يكاد يشع حتى في عينيه الغارقتين من النور. فكأن البيت الذي أوشك أن يخنقه بين جدرانه وسقفه قد تلاشى في الأثير. وكأن سحراً مشى في دمه فأمسى جسده خفيفاً كالأثير، وأمسى ذاته واسعاً كالأرض والسماء، حيا كالقدرة التي

بين الولادة والموت . وإذا بلسانه يتحرك وبشفتيه تتململان ، وإذا به يسمع صوته هامساً في أذنه :

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنم شاد

ويدور هذا البيت على لسانه دورات وإذا بآخر يدور معه :

وشبيه صوت النعي إذا قيس بصوت البشير في كل ناد

لكنه بيت ، إذا فهمه هو ، فلن يفهمه الناس الذين درجوا على ترتيب كل شيء في الحياة ترتيباً يجعل الأشياء متفاوتة القدر والأهمية ، وما هي متفاوتة . فهم سيقولون إن في بشارة الولادة فرحاً وفي نعي الموت حزناً . فكيف يتساويان ؟ أتراهم يقولون ذلك في هديل الحمامة وهم لا يعرفون ، أبكاء هو أم نواح ؟

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على غصن دوحها المياد ؟

وهكذا يشتق البيت من البيت ، وهكذا تتماسك أعجاز البيوت بصدورها وصدورها بأعجازها ، وفي كل بيت صورة من صور جعل الناظر إليها يحمل مزيج الحزن والفرح على الأصوات . صور يجلو بعضها بعضاً فتبدو رائعة ببساطتها ، غير متلاحقة في معانيها ، لا تعنت فيها ولا تكلف ، لا نغمة تؤلم الأذن ، ولا لون يجرح العين ، ولا معنى يثير الفكر . حتى كأن هذه الصور صورت ذاتها ، وكأنها كانت في العالم منذ أن كان العالم ، لكن ستاراً كان يحجبها عن أعين الناس ، فما فعل هذا الضرير أكثر من أن أزاح عنها الستار ، فكان وحده البصير في عالم عميان

رب لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تزاحم الأضداد

ومن بعد أن يعرج خياله من صور الموت على الأرض يرتفع إلى فوق فيرى ما في الفضاء سائراً إلى الاضمحلال . فزحل على ميعاد مع الردى . والثريا رهينة بتشتيت الشمل . كل ما في السماء وعلى الأرض زائل . أما الإنسان . . .

وينقلب صاحبنا الأعمى ثانية ، ويضغط بيديه على رأسه أشد من قبل . ويغرق في لجة من التفكير ، ثم يرفع رأسه إلى فوق كأنه يستمد قوة خفية . ويمر بيمناه على لحيته وإذ يحضر بها إلى صدره تلمس شيئاً لزجاً على خده . فيجفل كالملسوع . ويختفي الدم في وجهه . وتمشي قشعريرة في بدنه . ويفطن للدبس الذي أكل . فينهض من مكانه متمتماً : قاتل الله النهم ، ويروح يفتش عن إبريق الماء حتى إذا وجده بل منديلاً وأخذ يمسح به الدبس عن جبهته ، متبرماً من هذه الكارثة ، فإنه نسيها قبل أن يراها غيره ويضحك منه في سره . فهو شديد الحذر إلى حد الجنون من أن تكون لحيته بعثرة مضحكة لسخر الناس به . لكنه ما يكاد ينتهي من تنظيف جبهته حتى يستغرب ذاته . فكأنه ليس الرجل الذي منذ دقائق كان يمسك الثريا ، ويطوي عباب زحل في هاوية الزمان ، ويرفع النقاب عن وجه الأرض ليرى الناس ما تحته من قبور

كيف يخشى قطرة من الدنس على جبينه، من ليس يخشى الموت في قلبه، ومن يقول إن الموت والولادة سيّان؟ أنه لعجيب هذا الانسان الذي يسطو على الأكوان خياله وتسطو عليه قطرة من الدنس. بلى. عجيب وأكثر من عجيب. أليس من الممكن أن يكون مفتاح الحياة والموت فيه؟

يجول الرجل في كل ناحية من نواحي تفكيره لعله يتمكن من الجواب بالنفي أو بالتثليث، فلا يتمكن، فيكتفي باعلان حيرته في ذاته وفي كل انسان:

والذي حارت البرية فيه ... حيوان مستحدث من جماد

لكنها حيرة تتمخض عن معرفة. ولكنها معرفة في قلبها ايمان

•••

بعد أعوام يغيب أبو العلاء في رمسه. أما هو فغير ميت، فتشرق أبياته نور ما يزال يتهادى على أسنة السنين، واصلا قطراً بقطر وجيلا بجيل. ولن يخبو هذا النور حتى تخلو الأرض من القبور

لعل من اختارته الحياة اناء لمثل هذا النور ما يزال — من بعد ألف سنة — قلقا على الحياة، وفي ريبة من أن الانسان أبقى من الزمان وأوسع من المكان؟

ميخائيل نعيمة

جناية الآباء

حسبك فلتصمت بمن ولدا ... أصابك من أذاك بالمهمات
ومن رزق البنين فغير ناج ... هلاك من عواقب مسبات
لمن شكل يهاب ومن عقوق ... ولوراء يخش مصمات
وإن تعط البنات فأي بؤس ... تبين في وجوه مقسمات
يردن بعولة ويردن حليا ... ويلقين الخطوب ملومات
ولسن بدافعات يوم حرب ... ولا من غارة متغشمات
ودفن والحوادث فاجعات ... لاحداهن احدى المكرمات
وقد يفقدن أزواجا كراما ... فيا للنسوة المتأيمات

المعري

المعري النباتي

كان رحيماً متقشفاً لا زنديقاً ملحداً

بقلم الدكتور أحمد بك عبد المجيد
وكيل القومسيون الطبي العام

النباتي لغة المعروف بالنباتات . أما النباتي في عرف الطب فهو من اقتصر في غذائه على المواد النباتية ممتنعا عن تناول شيء من المواد الحيوانية . ومن النباتيين من يتشدد في مذهبه فلا يتناول البيض واللبن والجبن والسمك لأنها من أصل حيواني ، ومنهم من يمتنع عن اللحوم المختلفة لكنه لا يأبى أن يتناول البيض واللبن والجبن والسمك

حجج النباتيين

ويرتكن النباتيون في مذهبهم على أسباب مختلفة . فهم يدعون من الناحية الفسيولوجية أن الانسان قريب الشبه بالقرد آكل الفواكه والأثمار ، بعيد كل البعد عن آكلة اللحوم وآكلة الأعشاب وآكلة اللحوم والأعشاب معا . فيرد خصمهم على ذلك بأن الانسان من الناحية الفسيولوجية يعتبر حيوانا ساميا ، ذلك لأن له أنيابا ولأن أمعاءه متوسطة الطول بين آكلة اللحوم وآكلة الأعشاب . فيعترض عليهم النباتيون بأن القرد آكل الفواكه والأثمار أنيابا ، أما أمعاء الانسان فلا تجعله صالحا لتناول الأعشاب التي تستلزم أمعاء طويلة ، ولا تجعله صالحا لتناول اللحوم التي تستلزم أمعاء قصيرة لكي لا يطول مكثها فيها فتتعفن ويصيبه أذى من تعفنها

ويقول النباتيون من الناحية الكيميائية إن العناصر الغذائية الضرورية متوفرة في المواد النباتية فيرد عليهم المعترضون بأن الجسم لا بد من استيعابه مقادير كبيرة منها للحصول على العناصر الغذائية الضرورية له وأن الجسم لا يعاني عناء كبيراً في هضم المواد الحيوانية وتمثلها

ويعتقد النباتيون أنهم باقتصارهم على تناول المواد النباتية يتجنبون الأمراض التي قد تنتقل اليهم عن طريق المواد الحيوانية ، وانهم أرحم من أن يقتلوا الحيوان أو يذبحوه ليأكلوه . فيرد عليهم المعترضون بأن تلك الأمراض يمكن اتقاؤها بالمراقبة الصحية الشديدة ، وأن الرحمة بالحيوان تتم بالاحسان اليه على نحو ما يحتم الشرع الاسلامي مما يطول بي الكلام لو أردت بيانه ، وأما أنا

تركنا أنواع الحيوان ترعى وترتع وتلعب ولم نذبح الصالح منها لتناسلت وتكاثرت تكاثراً كان من شأنه أن يجتنى بعضها على بعض ويفترس قويها ضعيفها

ومن الأسباب التي يعتمد عليها النباتيون أن المواد النباتية أفضل من الناحية الاقتصادية لرخصها عن المواد الحيوانية ، وإنهم باقتصارهم على المواد النباتية تكون صحتهم قوية وقوتهم عظيمة . فيرد الخصوم عليهم انهم لو أضافوا الى طعامهم شيئا من المواد الحيوانية لازدادوا صحة على صحتهم وقوة على قوتهم . وكذلك يقول النباتيون : هناك حسبت عدداً معينا من الأفدنة لتربية المواشي لذبحها فلحومها لا تكفي إلا عدداً صغيراً من الناس ، على غير ماهي الحال اذا زرعتها فولا وحبوبا وساتا فهي وقتئذ تكفي عدداً أكبر . فيعترض عليهم أن من الارض مالا يصلح إلا لانبات الكلأ والحشائش التي ترعاها المواشي

وكذلك يقول النباتيون إن إنبات البقول والحبوب والفواكه والخضر يحتاج الى استخدام عدد كبير من الفلاحين أو الزارعين وبذلك تكثر الأيدي العاملة وتقل البطالة على غير ماهي الحال اذا جعلت الارض للمرعى

نباتية المعري

وبعد فمن النباتية أو الحيوانية أو الجمع بينهما يتخذها الانسان سبيلا لحياته المستمر طوعا لارادته وهواه . فهناك امراض معينة تقتضي أن يمتنع الانسان عن اللحوم وأن يقتصر على الخضر والفواكه ، وهي أحوال يطول بها الكلام لو أردت شرحها تفصيلا ، فلنتركها لنتكلم عن أبي العلاء المعري الذي عاش بيننا وثمانين سنة لم يأكل اللحم منها خمسا وأربعين سنة . فقد روى بعضهم « أنه مرض مرة فوصف الطبيب له الفروج فلما جيء به لمسه بيده وقال : استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الأسد ؟ »

وكذلك روى بعضهم : « أنه بقي خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض ويحرم إيلام الحيوان ويقتصر على ماتنبت الارض ويلبس خشن الثياب ويظهر دوام الصوم »

وكذلك روى : « أن رجلا أتيه فقال له : لم لا تأكل اللحم ؟ قال : أرحم الحيوان » ، قال : « فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان فان كان لذلك خالق ، فما انت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن عملا . فسكت »

ويستدل القوم على ان المعري كان معتنقا للمذهب النباتي من قوله في لزومياته :

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتسمع أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
وأبيض أمات أرادت صريحه لأطفالها دون الغواني الصرائح

ولا تفجعن الطير وهي غوافل — بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له — كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كي يكون لغيرها — ولا جمعته للندى والمنائح
مسحت يدي من كل هذا فليتني — أبهت لشأني قبل شيب المسائح

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة حسنا منها ماذكرت بما معناه : أنه يدعو عليك العقل والدين ليجره بالصحيح من الأمور ، وينصح بعدم أكل ما يخرج الماء لأنه يعتقد أن السمك لا يخرج من الماء الا وهو كاره . وكذلك ينصح بعدم أكل مرض الذبائح احتسابا لايلامها في أثناء ذبحها . وينصح بعدم شرب اللبن لأنه يرى أنه لأطفال البهائم التي تشرب لبنا . وفي ذلك يقول : « ومشهور أن الأم اذا ذبح ولدها وجدت عليه وجدا عظيما وسهرت لذلك الليالي ، وقد أخذ حقه وتوفر عليه أصلح أنه ما كان يرضع من لبنها . ورأى دنسا لمن تخرج من ذبح السليل ولم يرغب في استعمال اللبن ولا يزعم أنه محرم ، وانما تركه اجتهاداً في التعبد ورحمة للمذبوح رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السموات والأرض . وانما قيل ان الله سبحانه يساوي بين عباده في الاقسام فأي شيء أسلفته الذبائح من الخطأ حتى تمنع حظها من الرأفة والرفق » ؟ ثم استأنف ناصحا بعدم أكل الطير بقوله :

ولا تفجعن الطير وهي غوافل — بما وضعت فالظلم شر القبائح

وفي ذلك يشرح المعري رأيه بقوله :

« ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن صيد الليل وذلك أحد القولين في قوله عليه الصلاة والسلام : « أقروا الطير في وكناتها » . وفي الكتاب العزيز : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم » الى غيرها من الآي في هذا المعنى . فاذا سمع من له أدنى حس هذا القول فلا لوم عليه إذا طلب التقرب الى رب السموات والارضين بأن يجعل صيد الحل كصيد الحرم وإن كان ذلك ليس بمحظور »

ثم تمادى في النصح بعدم تناول العسل الابيض النقيط لأن النحل لم تحرزه لكي يكون لغيرها ولا جمعته لتجود به أو لتعطيه الغير كما تعطي الناقة أو الشاة لبنا غيرها بقوله :

« لما كانت النحل تغترب الشاتر من العسل بما تغير عليه وتجتهد أن ترده عن ذلك فلا غرو ان أعرض عن استباحه رغبة في أن تحمل النحل كبيرها بما يكره فيه ذبح الاكيل وأخذ ما كان يعيش به لتشربه الشاء كي يسمن وغيرها من بني آدم »

واستأنف المعري قائلا : « انه روي عن علي عليه السلام حكاية معناها أنه كان له دقيق شعير في وعاء يختم عليه فاذا كان صائما لم يختم على شيء من ذلك الدقيق . وقد كان عليه السلام يصل الى

علة كثيرة ولكنه كان يتصدق بها ويمتنع أشد التمنع . ويروى عن بعض أهل العلم أنه قال في بعض خطبه إن غلته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار وهذا يدل على أن الأنبياء والمجتهدين من الأئمة يقصرون نفوسهم - أي يحصرونها عن الشهوات - ويؤثرون بما يحصل منهم أهل الحاجة »

ومن الغريب أني طالعت كثيراً عن العسل الشأن في المطولات الطبية والموسوعات الانكليزية فلم أجد من ذكر العسل الابيض وأشار بالامتناع عن تناوله كما فعل المعري . فهذا افتخر بقوله المشهور :

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

أقول فلذا افتخر المعري بقوله هذا فما كان أجدره أن يفتخر بما لم تدركه الأواخر مع تقدم العلوم تقدما عظيما عن العصر الذي عاش فيه

هل كان المعري ضالا ؟

ولا ريب في ضلال من حرم ما أحل الله لنا . فقد أحل لنا السمك بقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة » وبقوله أيضا « وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » وقد أحل لنا العسل بقوله تعالى « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس »

وقد أحل لنا لحوم الانعام بقوله تعالى : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » وكذلك أحل لنا اللبن بقوله تعالى : « وإن لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » بل قد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن المواد الحيوانية قد تكون في غذاء الانسان أفضل من المواد النباتية وهو ما يتفق والآراء الحديثة في الطب فقد جاء في الكتاب العزيز : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ! اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم » والطعام الواحد الذي قالوا عنه أنهم لن يصبروا عليه هو المن والسلوى فقد جاء ذكره في قوله تعالى : « وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى . كلوا من طيبات ما رزقناكم . وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وقد عبر عنه بطعام واحد وإن كان مركبا من المن والسلوى لانه كان مأكلا واحداً لا يتبدل ولا يتغير . والسلوى الطير المعروف بالسمان

أقول لا ريب في ضلال من حرم ما أحل الله لنا من هذه الطيبات متعمداً مستهتراً ولكن هل كان أبو العلاء المعري من هذا النوع ؟

لقد اختلف المؤرخون في ذلك . فمنهم من اتهمه بالزندقة والالحاد ومنهم من دافع عنه وبرأه من هذه التهمة

ويخيل إلى أنه رحمه الله لم يتعمد المذهب النباتي لأنه يرى تحريم ما أحل الله ولكنه كان مدفوعا إليه اجتنابا لإيلام الحيوان رأفة به ورحمة له ورغبة في أن يجازى عن ذلك بالغفران . ولعل أكبر دليل على ذلك ما جاء في لزومياته :

تسريح كفي برغوثا ظفرت به   أبر من درهم تعطيه محتاجا
لا فرق بين الأسك الجون أطلقه   وجون كندة أمسى يعقد التاجا
كلاهما يتوقى والحياة له   حبيبة ويروم العيش مهتاجا

فهو في هذه الأبيات يرى تسريح البرغوث وإطلاقه خيراً من التصدق بدرهم على محتاج . ألا يدل ذلك على أنه كان رقيق القلب عطوفا رءوفا ؟

ومن الأدلة على رفقه بالحيوان رفقا شديداً قوله في اللزوميات أيضا :

يكفيك إثما تسليط ما أريق له   دم ولامس روحا إذ جرى ألم

وعندي أن اقتصاره على المواد النباتية أو امتناعه عن تناول المواد الحيوانية هو من باب إيثار الحيوان على نفسه توغلا في الزهد والتقشف . فقد رد على من ادعى أن ترك أكل اللحم ذميم بقوله : « ولو أخذ بهذا التعصب ، لوجب على الإنسان ألا يصلي صلاة إلا ما افترض عليه لأن ما زاد على ذلك أداه إلى كلفة والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك ، ولوجب أن الغني له مال كثير إذا أخرج من الذهب ربع العشر لا يحسن به أن يزيد على ذلك ، وقد حث الناس على الصدقات في غير موضع من الكتاب الأشرف »

وقد يكون من التعسف أن نحكم حكما قاسيا على كل من امتنع عن شيء أحله الله لنا وهو لا يقول بتحريمه

ولنا فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له أحرام هو ؟ - والكلام على الضب - قال لا ، ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه

فالمعري ، على ما أعتقد استنباطا من أشعاره وأقواله ، واحد غاية في الزهد ، عابد متبطل في عبادته ، متقلل يأخذ نفسه بالخشونة قانع باليسير ، معرض عن الدنيا وزخرفها . وهذا ما يجعلني أميل إلى الاعتقاد بأن نباتيته ناشئة عن شفقته وزهده وتقشفه لا عن زندقته وإلحاده

أما ما ورد في أشعاره مما يصح أن يؤخذ عليه فلا يبعد أن يكون مدسوسا عليه . فقد قيل عنه « أنه كان يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لإتلاف نفسه »

ومما يدل على ذلك قوله :

حاول إهواني قوم فما   واجهتهم إلا بإهوان

يرتجـــون بســـعيهم صبروا [illegible] الخـوان
لو استطاعوا لوشوا بي الى الـ مريخ في الشهب وكيوان

وكذلك قوله :

هربت بدعوى أمة ومحمد خالقها فربت
وعبدت ربي ما استطعـ ـت ومن بريته برئت
وفرتني الجهال حا سدة علي وما فريت
سحروا على علم أحـ ـس وعندهم ان هربت

ولست أدري أيصح ان أقول من المعري ما قاله المعري عن المتنبي ، فقد كان يتعصب له ويمدحه وكان المرتضى يتعصب عليه فجرى ذكره يوما فتنقصه المرتضى فقال المعري لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله : « لك يا منازل في القلوب منازل » لكفاه فضلا فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج وقال : أتدرون ما قصد بهذه القصيدة فإن للمتنبي ما هو أجود منها ، قالوا : لا ، قال : أراد قوله فيها

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

واستأنف الراوي على ما جاء في معجم الأدباء قائلا :

« ولما رجع أبو العلاء الى المعرة لزم بيته وسمى نفسه رهين المحبسين ، يعني حبس نفسه في المنزل وحبس بصره بالعمى »

ولعل رفقه بالانسان لا يقل إن لم يزد عن رفقه بالحيوان مما يدل على قوله :

ما الخير صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وإنما هو ترك الشر مطرحا ونفضك الصدر من غل ومن حسد
ما دامت الوحش والأنعام خائفة فرسا فما صح أمر النسك للأسد

بل ليس أدل على رفقه بالانسان مما أوصى أن يكتب على قبره .

هـذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

الدكتور محمد عبد الحميد

إن مسافة الخلف بين المعري والخيام واسعة، فالأول رواقي المذهب والثاني أبيقوري النزعة، ولكنهما في التشاؤم والتبرم بالحياة والزراية عليها والرثاء لحال الإنسان سواء.

بين أبي العلاء والخيام

بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

— ١ —

عظيمان من علماء الإسلام وأدبائه، عاش أولهما بين سنتي ٣٦٣ و ٤٤٩ من الهجرة، وعاش الثاني في القرن الخامس وأوائل السادس لا يعرف يقيناً تاريخ مولده ووفاته، وإن يكن أدرك زمان المعري فما أدرك منه إلا سنين قلائل.

بعض الأدباء يذكرون الخيام مع المعري، ويكثرون من تشبيه أحد الرجلين بالآخر فهل هم في ذلك على هدى؟ ماذا عسى أن يتبين الباحث من تشابه بين عالم فارسي غلبت عليه الفلسفة النظرية، والرياضة والفلك، وأديب عربي غلبت عليه الفلسفة العملية والشعر وعلوم الأدب؟

ماذا يجد من قرب بين حكيم رأى ألوان الحياة، وسرح طرفه في أرجائها وأمتع نفسه بمشاهدها، وسرى همومه بمرائيها ورأى فيها مضطرباً واسعاً، وبين آخر كفيف لا تنطلق نفسه في نظراته، ولا يهتدي الحس في مناكب الأرض، لزم داره وتسمى رهين المحبسين. العمى والدار، بل رأى الحياة حبساً ثالثاً فقال:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

بل ماذا يجد من شبه بين هذا الفلكي الكبير الذي يأخذ حظه من متاع الحياة ولذة العيش ويدعو الناس إلى انتهاز الفرص، وبين هذا الأديب الضرير الذي غلب عليه الحرمان والانقباض وزهد في الدنيا ودعا صاحبنا إلى الزهد فيها؟ هذا بين كأسه ومزهره ونديمه في المروج الخضراء على مجاري الماء، وهذا في ظلمته يملي على الناس ما أدرك عقله من مساوىء هذا العالم، وما أحس قلبه من هموم هذه الحياة، ويتبرم بما لم يدركه من أسرار الكون ومصائبه. كأن هذين الأديبين كما قال أبو العلاء:

رجل داهم بصحبه زهري القطع عن ورمو

ان قارىء اللزوميات كثيرا ما يمر بمثل هذه الأبيات :

يحل بعمر رحيق الرضاب ... وليس يحل رحيق العنب
يصيد الفتى كالذى ناله ... جنون ، على أنه لم يثب
تروح بعمر ألم ليلى فاتها ... صبور أصلت من طعم وطرب
دبيب تعالى عن عقار تخالها ... تحسد تنشر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لأوحشت ... فلاها أصيلات النهى والتجارب

وكذلك يمر قارىء اللزوميات بأبيات كثيرة تنهى عن اللهو والعبث . وأما الزهد فلا تكاد تخلو من الدعوة اليه صفحة من الكتاب . وأما قارىء الرباعيات ، رباعيات الخيام ، فهو فى دعوة الى الشراب واللهو تلقاه بها كل صفحة

شرب الخمر والطرب منهجى
والفراغ من الهدى والكفر دينى
قلت لعروس الدهر ما مهرك ؟
قالت مهرى القلب الطروب
تقلب الدهر بالصبح والمساء
يطوى أعمارنا طى السجل

فتجرع الخمر ولا تتجرع الهم فقد قال الحكيم : هموم الدنيا كالسم وترياقها الخمر
وعلى هذا القطب يدور شعر الخيام فى رباعياته

فهذان شاعران دعوة أحدهما : اشرب واطرب ولا تبال شيئا ، ولا تفكر فى الأمس ولا الغد

• أيأتى من يصل الخمر طلقة ... لتحمل ثقلا من همومى واحزانى
وهيهات لوصلت لنا كتتاولها ... عصة فى الحلم كعة ميزانى
• ماللك مات وللمؤمل عيب ... وإنك الساعة التى أنت بها

والثانى دعوته : أزهد واهجر الخمر واللهو وفكر فى أمسك وغدك . وانك مذهبان فى العيش مختلفان كل الاختلاف تترادف عليهما الأدلة من شعر الشاعرين

— ٢ —

ان الذى يقنع بالنظرات العاجلات لا يرى بين شاعر المعرة وشاعر نيسابور تشابها ، بل يرى بينهما تباعدا وتنافرا وتناقضا . وله العذر فى هذا الرأى فالاختلاف بين الرجلين عظيم ، والذى يقرأ اللزوميات والرباعيات قراءة مستوعب متأمل يرى مسافة الخلف بين الاديبين تزداد اتساعا ، ولكنه ، ولا ريب ، يدرك مع هذا الاختلاف البين شبها بينا

يرى المعرى قد أطال فكره فى العالم كله جده وعبثه ، ونظره فى الحياة أصلها وفروعها ،

فهو يروع القارئ، بسعة الفكر ، وعمقه ، وتنوعه ، ويرى الشاعر جائل الفكر بين السماء والارض والحياة والموت ، والدين والكفر ، والعدل والجور ، والشفقة والقسوة ، أمور كثيرة ترجع الى أخلاق الناس وسياسة الامم . يقول فى اللزوميات :

● فكرى أنت ربما هدى الانسان للمشكلات بالتفكير
مالفتى يسعد فى هذه الدنيا طول الرواح والتبكير ؟

● حياة وموت وانتظار قيامة ثلاث أفادتنا الرفق معان

فذلك الأصل الذى يبدأ منه تفكيره ثم يمده ويفصله حتى يتناول كل ما يهم المفكر فى هذه الحياة

ويظهر المعرى فى شعره مفكراً معنا فى التفكير ، مهموما حزينا ، حائراً ومهتديا،شاكا ومؤمنا، باختلاف الامور التى يعطر فيها والأحوال التى تتناول نفسه ، حتى يكاد يكون شعره فلسفة وتفكيراً. وكذلك يدرك القارئ، هذا السالك الوعر الذى حمل الشاعر نفسه عليه فى حياته ظاهرا فى أسلوبه المعنى كذلك ، فهو يلتزم فى القافية مالا يلزم ، ويكلف نفسه أن ينظم قوافيه على الحروف كلها مألوف منها وغير المألوف ويقيد نفسه بكثير من الجناس وضروب الصناعة اللفظية والمعنوية

وأما الخيام فتمثله رباعياته رجلا لاهيا قد اتخذ مكانا فى مرج تحت شجرة على مجرى ماء ، ومعه كأسه ومزهره ونديمه وهو يقول : نحن لاندرى - لا ندرى من أين جئنا الى هذا العالم ، ولماذا جئنا ، والى أين ننتهى ، انما نحن فى تيه سريع فى تطور هذا العالم . فخذ حظك من متاع الحياة ، ولا تبتئس ، ولا تبال شيء ولا تضيع فرصة تلوح لك . حياتك كالربيع يزدهر ثم يذبل وشيكا ، فدا زين الربيع وجه الارض وغنى البلبل الورد فخذ مزهرك وكأسك وشارك الورد فى بهجته والبلبل فى غنائه الخ الخ

معان قليلة يصورها الخيام صوراً شتى ، ويعرضها فى ألوان كثيرة . كالزهر تختلف أشكاله وتفترق ألوانه ، ولكنه زهر تتعدد الصور وتوحده المعنى وأين ذلك من لزوميات أبى العلاء التى تشبه التربة الثنية تخرج من الشجر والنجم والعشب والشوك وتحوى كل ما فى طبيعة الارض

— ٣ —

مالشبه الذى نجده بين الخيام والمعرى بعد الفروق التى ذكرتها ؟ كلاهما متفلسف قرأ الفلسفة وفكر تفكيراً عميقا طويلا وكان له فلسفة عملية انتهت اليها آراؤه على بعد ما بين النهايتين . لست أزعم أن الخيام والمعرى درسا الفلسفة بمقدار واحد ، وليس يعنينى هنا ان اقيس الخيام بالمعرى من هذه الوجهة لنبين أن الخيام من الذين درسوا الفلسفة درسا واسعا وألفوا فيها ، والمعري أديب لا نعرف كيف درس الفلسفة والى أى مدى علم فيها ، ولكن الذى يعنينا أن الرجلين كليهما فكرا فى

العالم والانسان تحيرا وتشاؤما ، وحيرتا وصورا للناس ما أدركا وما أحسا من ذلك . يقول الخيام(١)

« ان الذين أحاطوا بالآداب والعلوم ، وأصاءوا لأصحابهم حينا ، لم يجدوا مخرجا من هذا الليل المظلم فقصوا أساطير ثم استسلموا النوم »

« تفكر قوم في الأديان والمذاهب ، وتحير آخرون بين اليقين والشك ، واذا مناد يناديهم أيها الجاهلون ! ان الطريق ليست هذه ولا تلك »

« جاء بي الى الوجود مضطرا ، فما ظفرت من الحياة غير الحيرة ، ونذهب مكرهين لا ندري ما المقصود من هذا المجيء والاقامة والذهاب »

وهكذا نجد الخيام حائرا معترفا بالجهل والعجز عن الادراك ، وهذا المعري يقول :

- سألتموني فأعيتني اجابتكم ... من ادعى أنه دار فقد كذبا
- وصير الأقوام مثل أعمى ... فهلموا في حندس متصادم
- انما نحن في ضلال وتعليل ... فان كنت ذا يقين فهاته
- أبكي الى من له حكمة ... أبكي اليه ، أبكي لك(٢)

وكذلك اتفق الأديان على تشنيع هذه الحياة ، وذمها والابانة عن مصائبها والفناء السريع الذي قدر للاحياء . وأن الانسان تقلب في أطوار العالم فهو اليوم انسان ، وغدا تراب يصنع منه الآنية ، وتبنى به الدور ويطير جزءا . وكلامهما في شرور الحياة وسرعة الفناء لا يحتاج الى دليل حسبنا هذه الأمثلة من كلامهما في تقلب طينة الانسان في أطوار مختلفة :

- صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد
  خفف الوطء ما أظن أديم الأرض الا من هذه الأجساد
- لعل مغاسل الماء تصحبي ... طلاء الشبيبة والمحاجر
- فلا يمش مختارا من الدهر عائف ... الى عنصر العطر المنع بشرب
  لعل أناء منه يصنع مرة ... فيأكل فيه من أراد ويشرب
  ويحمل من أرض لأخرى ومادرى ... فوا أسفا ! بعد البلى يتغرب

ويقول الخيام : « مررت بمصنع خزاف فرأيته قائما أمام دولابه ، يصنع صحافا وأباريق من هامة ملك ويدي سائل . ويحك أيها الصانع ! تلبث أن كنت عاقلا . حتام تهين طينة الانسان ؟ ماذا تظن ؟ لمن الذي وضعت على الدولاب أصبع أربعون وكف كيخسرو »

ذلكم بعض ما يتشابه فيه شيخ المعرة ، وحكيم نيسابور من الجهة النظرية . وأما العمل فقد افترقت فيه مذاهبهما ، واختلفت دعوتاهما ، ولكنهما افترقا بعد أن جمعهما رأي واحد كالسائرين يبدءان سيرهما من موضع واحد فيشرق أحدهما ويغرب الثاني . اجتمع الرجلان على التشاؤم جهله

(١) لم يتسع الوقت لأن أترجم نظما ما استشهد به من الرباعيات (٢) أشكو اليك : أرسل برسل

الحياة والاشفاق من شرها ، والزراية عليها ، والرثاء لحال الانسان فيها ثم قال المعري كما قال الرواقيون من قبل : هون على نفسك هذه الحياة ولذاتها وآلامها ، حرر نفسك من همومها ، واطلق قلبك من قيودها ، ازهد فيها ، ولا تحرص عليها وتحب لذاتها . اصبر على حروبها واستكبر على مصائبها واعبد الله حتى يأتيك الموت ، ومرحبا بالموت :

لا أخطب الدنيا الى مالك الد   نيا وإنما خطبي أختها
النفس فيها وهي محبوسة   ذلت شقاء عدمت بختها
ما أم دفر لم تطب ولو   أنك بالعطر ضمختها

وبعد ، فهذا تمثيل يخطر لي كلما تذكرت المعري والخيام ، أتمثل المعري أسدا أسيرا قد أحيط عليه الضيق بقضبان الحديد الغليظة . وطويت قوته وحريته وزئيره ومرحه واقترابه وكبرياؤه في هذا الحبس فهو يطوى نفسه على غم قاتل ، وحزن عميق ، ولكنه ينظر الى الفضاء من خلال القضبان ساكنا ساهما ثائر الروح ساكن الجسد

وأتمثل الخيام عصفورا في قفص قد حرم مروج الارض وأفق السماء ، وحبست إرادته التي تنطلق في الجو انطلاق الفكر في العالم في شيء من الضيق ، كلما احس ضيق القفص ملأه حركات وزفرات ، وزقزقة وصفيرا كأنه فرح مرح ، وكأنه يتسلى بنزواته ، ونغماته عما يجد في هذا السجن الاليم ، وما يفقد من هذا الفضاء الفسيح

هذه نظرات في شعر المعري والخيام لا تكفي الباحث المتطلع ولكنها تصلح أن تكون عنوانا لما وراءها من فلسفة الرجلين

وأما الخيام فقد قال كما قال الابيقوريون من قبل ، هذه الحياة مليئة بالشر والغم ، والآلام والاسقام فلا عبأ بها مدتها ، واستعن عليها بلهوك ، ولا تتركن وسيلة الى اللذة الا توسلت بها ، ولا فرصة للسرور الا انتهزتها ، ولا تغفل عن الخمر صبوحها وغبوقها

« الى كم تمضي عمرك في الهموم ، أو التفكير في الوجود والعدم . اشرب الخمر فهذا العمر الذي يخالطه الغم ينبغي أن يمضي بالنوم أو السكر »

« قد مضى يوم آخر من عمري وعمرك كما يمر الماء في النهر ، والريح في الصحراء ، لست أبالي ما عشت ، يومك اليومين : اليوم الذي مضى واليوم الذي لم يأت »

« موسم الورد ، وحافة المرج ، وشاطئ النهر ، وفاتنات كالحور العين . هات القدح فان شراب الصبوح قد استراحوا من المساجد ، وفرغوا من الكنائس »

« هذا وقت السحر فقم أيها الغلام ، وصب الخمر القانية في أقداح البلور ، فان هذه الساعة من العارية ، في هذه الدنيا الفانية ، ستمر ثم تفتقدها فلا تظفر بها »

عبد الوهاب عزام

أبو العلاء : بقلم جبران خليل جبران

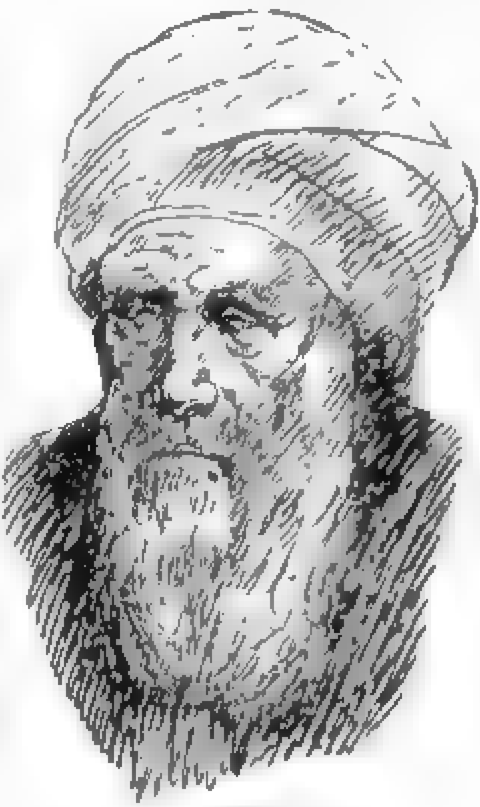

المعري كما تخيله جبران

كان أعمى بين مبصرين، ومبصراً بين عميان. وقد قادته هذه الحالة الى الوحدة، فالتشويش، فالكآبة، فالشك، فالتمرد

نظر الى الحياة بعينه الفكرية، فرأى الخرافات قد جعلوها ديناً، وأسمى الموت قتله فناء، وصدق بالفناء فحسبه رباً، فانتصب بين أشباح أفكاره يصفق على اسم الحياة في جيل مستسلم الى مشيئة الأيام والليالي، لتسلم الشاعر غير المائل الى قوة الاستمرار

كان شاعراً متمرداً ولم يكن فيلسوفاً. فالفيلسوف يجرد الوجود من ظواهره فيبدو له جوهراً مطلقاً، أما الشاعر فيراه سائراً في حلل من الأوراق الرنانة والمعاني المتكررة. فالمعري لم يوجد فلسفة مطلقة، ولكنه أوجد شعراً مطلقاً

ولكن أي شعري تمكن من إيجاد فلسفة مطلقة؟. أوليست الفلسفة كالأزياء تتبدل مع العصور وتتقلب مع الأجيال؟

إنما الحياة موكب يسير أبداً الى الأمام، فالفيلسوف يستطيع أن يوقفها دقيقة مفكرة مبتكرة، أو تعليم جديد، ولكنه لا يقدر أن يمنعها عن متابعة السير الى حيث لا ندري

أما الشاعر فيسير معها مترنماً، منتشياً راثياً، واصفاً مفاخراً، فهنا ما تنحى عن سبيلها ضحكت منه، وإن ظل متبعاً آثار قدميها قادته الى هيكلها الأقدس وكللته بالغار

ولقد كللت الحياة أبا العلاء بأوراق الغار، ولكنها لم تلتفت اليه كفيلسوف لأن الحياة تتمرد حتى على المتمردين..

جبران خليل جبران

في هذا المقال سخرية من المعري وعطف عليه ، فما موجب تلك السخرية ؟ وما موجب ذلك العطف ؟

هل كان المعري يكره الدنيا

بقلم الدكتور زكي مبارك
الأستاذ بدار المعلمين العليا ببغداد

أكتب هذا المقال في لحظات حزينة اكتوى بنارها أبو العلاء ، أكتب هذا المقال وأنا أحزم أمتعتي للرحيل عن بغداد ، وهو رحمه الله قد بكى يوم فارق بغداد ، ولعله لم يعرف موجعات الحزن إلا يوم قهره الوجد على أن يقول :

أودعكم يا أهل بغداد والحشا ... على زفرات ما ينين من اللذع
وداع ضنى لم يستقل وإنما ... تحامل من بعد العثار على ظلع
فبئس البديل الشام منكم وأهله ... على أنهم قومي وبينهم ربعي
ألا زودوني شربة ولو انني ... قدرت اذا أفنيت دجلة بالكرع

أما بعد فإني أرى أن أبا العلاء لم يكره الدنيا أبداً ، ولم يكن يوم اعتزل دنياه إلا حيواناً مفترساً نزع الدهر ما كان يملك من أظافر وأنياب . ولو كان أبو العلاء كره دنياه لاكتفى منها بأيسر العيش ، ولكنه عاش عمراً طويلا جداً ، وطول العمر يشهد بقوة الأواصر بين المحب والمحبوب . فالتنافر بين أبي العلاء وبين دنياه كان قتالا بين عاشقين يظهران البغض والحقد ، ويضمران العطف والحنان .

والناس متفقون على أن أبا العلاء كان طلق دنياه فلم يظفر بما في حواشيها من نعيم ومتاع ، ولكني بعد التأمل عرفت أنه زهد في جميع الأشياء إلا المجد ، والمجد هو أشهى الأطايب في دنيا الرجال . فإن لم يكن هذا صحيحا فكيف نفسر خضوعه لما شاع في زمانه من التقاليد الأدبية ، والخضوع للتقاليد الأدبية دليل الحرص على اجتذاب ما يملك النفس . وأحب أن أشرح هذه النظرية فأقول :

ينقسم شعر أبي العلاء إلى قسمين : أولهما يتمثل في سقط الزند ، وثانيهما يتمثل في اللزوميات . أما سقط الزند فمجموعة شعرية تشهد بأن الرجل كان يطمح ويرجو أن يكون من أقطاب الدنيويين ، وهو قد أفصح عن ذلك حين خاطب الشريف الرضي والشريف المرتضى في القصيدة التي رثى بها أبا أحمد الموسوي فقال :

يا مالكي سرح القريض أتتكما ... مني حمولة مسنتين عجاف

لا تعرف الورق اللجين وإن تسل تخبر عن القلام والشبرق

وهي شهادة صريحة بأنه كان يحب ان يملك قلوب المتلوبين ، وكان المتلوبون أقوى جماعة ، وهو مرض مطبوع زاد في اللغة العربية أثقالا وعقابيل . وأما اللزوميات فمجموعة شعرية تشهد بأن الرجل خضع لأمراض زمانه أشنع الخضوع ، فقد كان الأدباء في عصر القرن الخامس قد احتلوا الجهل بلية سخيفة هي الهيام بالزخرف ، والفناء في التزويق والتهويل

والفرق بين مجموعة سقط الزند ومجموعة اللزوميات فرق عظيم جداً عند من لا يعرف ، أما أنا — وأنا باحث زعم أنه يعرف — فأحكم بأن المعري انتقل من بلاء الى بلاء ، وأراه في سقط الزند مولعا بالاغراب ، أعني تعقب الغريب من الأخيلة والالفاظ والتعابير ، وأراه في اللزوميات مريضا بعلتين : الاغراب والبديعيات

هل كان المعري يجهل أنه يجني على اللغة العربية بما صنع ؟ هل كان يجهل أنه في أغلب أحواله يخاطب أهل العراق وأهل الشام بما لا يفهمون ؟ هل كان يجهل أن في سقط الزند واللزوميات ورسالة الغفران شطرات وفقرات لا يفهمها الفهم الا بعد التأمل العميق ؟ هل كان يجهل أن البيان الحق هو الذي يروعك لأول نظرة كما يروعك الجمال الصبيح ؟

ما كان أبو العلاء يجهل ذلك او بعض ذلك ، وانما كان رجلا ذكيا يعرف مواضع الضعف فيمن عاصروه فيرائيهم بلا رحمة ولا اشفاق

قد يقول القارىء ، وما محصول هذا الكلام ؟

وأجيب بأن هذه الترجمة هي الشاهد على أنه لم يكن في دنياه من الزاهدين ، ولو أنه كان زاهداً لانصرف عن محاكاة ما يملك معاصروه من زخرف وبريق ، وهو قد انتهب زينتهم فافتخر بها واستطال

كان المعري سياسيا في حياته الأدبية ، والسياسي لا يكون صحيحا سليما إلا ان استراح الى أوهام الناس فخلق أهواءهم بلا تهيب ولا استحياء ، وكذلك صنع المعري فتكلف الغريب من الأخيلة والالفاظ والتعابير ، لأن الغريب كان في ذلك العهد رائج السوق في مصر والشام والعراق

ولو كان الرجل زاهداً في المجد الأدبي لظهرت الحنكة على لسانه صحة سهلة لا يشوبها تكلف ولا افتعال . ولكن القارىء لن يسكت ، فقد يكون الآن مني ، فيسأل : وأين أنت من الزاهد الذي حرم على نفسه لحم الحيوان ؟

ان قال ذلك فاني سأقنعه بأيسر مجهود ، فقد اتفق لي أن أعيش نباتيا في باريس زمنا غير قليل ، وما كنت مخلصا كل الاخلاص في ايثار الحياة النباتية ، وانما أردت ان أعرف سر النحف الذي لا أكاد منه ضئيلا أو جنين ، وحالي في هذا أقرب الى النزاهة من حال ابي العلاء ، فقد حرم على نفسه لحم الحيوان ليوهم الغافلين أنه تفرد بالرحمة والشفقة والعطف ، وما كان في حقيقة أمره إلا

آكل لحوم ، وسيعرفون صدق هذا الحكم بعد لحظة أو لحظتين

هل يذكر القارىء ما وقع لأبي العلاء يوم مرض ؟

مرض أبو العلاء – عفا الله عنه وعنى – فنصحه الطبيب بالحمية ، وحين اطمأن الطبيب الى نجاته من المرض وصف له فروجا ، والفروج فرخ الدجاج ، ودارت يد أبى العلاء حول جسم الفروج فى ترفق مصطنع ، ثم هتف : استضعفوك فوصفوك ، هلا وصفوا شبل الأسد ؟ !

الله أكبر ! ذلك هو منطق شيخنا أبى العلاء

فهل كان يظن هذا الشيخ ان الطبيب يستطيع ان يصف له شبل الاسد ؟ ان تثيرة واحدة من شبل الاسد كانت تكفى لنقل أبى العلاء الى حظيرة الاموات . ولكن الرجل استطاب الضحك على نفسه من أبناء ذلك الزمان

هل زهد أبو العلاء فى أكل اللحم ؟ هذا تمويه وتضليل . كان الرجل يتحرج من لحم الطير والحيوان ، ولكنه كان مولعا بأكل اللحم المحرم ، لحم الانسان ، فما ترك فئة ولا جماعة الا انتاش لحمها بأنياب حداد

لقد انسحب المعرى من المجتمع ، وما كان ذلك زهدا من الزهد ، وانما كان فرار المناضل الذى تعب من النضال . وماذا صنع المعرى حين انسحب من المجتمع ؟ أتروه نظر اليه نظر الرفق والعطف ، وذلك واجب الفيلسوف ؟

ما صنع شيئا من ذلك ، وانما تمنى مجده فى أكل لحوم المجتمع ، ولو كان قلبه أحس النور لعرف أن المجتمع قد يجنى من حيث لا يريد ، لو كان قلبه أحس النور لعرف أن المجتمع غير مسئول عما يجنى من آرائه وأباطيل ، فتلك مواريث القرون الطوال ، لو كان للمعرى حظ من شىء من السماء لأدرك أن المجرم قد يجرم وهو غير مسئول

ولو كنت أستبيح لحم المعرى كما استباح لحوم الناس لقلت إن ثورته على المجتمع كانت ضربا من الانتقام الأثيم ، فالرجل كان يعرف أن أهل زمانه يتهمونه بالمروق من الدين ، فشاء له هواه أن يسحل عاريهم ومآثمهم وأن يفضحهم فى العالمين

قد يقول القارىء مرة ثانية : وما محصول هذا الكلام ؟

وأجيب بأن هذا النزق هو دليل الحيوية ، فالمعرى كان يناضل نضال الاحياء

وما أعيب عليه غير التناقض فى فهم الرحمة . فهو كان يعطف على جميع المخلوقات إلا الانسان ولو أنه دخل فى معركة مع الطير أو الحيوان لتكلم فى ثلبها بموسوعة أعنف من اللزوميات

كانت نظرات أبى العلاء الى المجتمع نظرات عوام لا خواص ، وأنا أرتاب كل الارتياب فى أن يكون هذا الرجل حاول التوفيق بين سيطرة المقادير وضعف النفس ، وأكاد أجزم بأنه لم يدرك خطر الضعف ، ضعف الحاكم الذى يبيح فتح الحانات ثم يعاقب الناس على الشراب

أما آراؤه في الزهد والزهاد فهي أسخف سخيف . ونحن نشهد بأنه لم يعرف الزهد ، لأنه كان في سريرة نفسه يؤمن بأن الناس لا يزهدون إلا خادعين أو مرائين ، ولعله لم يزهد إلا خداعاً ، أو رياء . بل لعله جهل كيف لطف الله به حين حجب بصره عن أسباب الشهوات . فلو أن الله كان حفظ عليه نور العيون لعرف أن الفضائل لا تشق ولا تصعب إلا على من يقارعون فتن الوجود .
لو أن أبا العلاء كان مبصراً لرحم الناس . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف صدق الحكمة التي تقول « القابض على دينه كالقابض على الجمر » . لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف أن الرجل لا يستطيع البعد عن مواطن الشبهات إلا حين تكون عزيمته أرزن من الجبال

لو أن أبا العلاء كان مبصراً لعرف أن الناس لا يستدعون لمظاهر الفتون لاهين أو لاعبين

من أنت والإنسانية يا أبا العلاء ؟ من أنت والإنسانية حتى تفضحها بتلك الكتب التي اسمها اللزوميات ؟ أيها الرجل العظيم ! إني أرثي لك وأعطف عليك ، فقد حرمتك الأقدار من نعمة الجهاد في سبيل الفضيلة ، حرمتك الأقدار من أسباب الشهوات فلم تكتب لك صفحة واحدة في كتاب الجهاد

وكيف يحتاج الى جهاد النفس من يحبس نفسه في بيته ولا يأكل غير البقول ؟

كيف يحتاج الى جهاد النفس من يقضي العمر ولا تقع عينه على وجه جميل ؟

كيف يحتاج الى جهاد النفس من لا تتذوق روحه صهباء الوجود ؟

أغلقت أبواب الجهاد الأكبر — جهاد النفس — في وجه أبي العلاء ، فما أصبح رهين المحبسين وحده واكتفى بالطعام الذي لا يوقظ شهوات الحواس . ولكن بقي أمامه باب واحد من أبواب الجهاد : هو رياضة الأذن ورياضة اللسان ، فأنى سمع ؟

قد أصبح أبو العلاء في ذمة التاريخ ، وما يضيره أن نقسو عليه ، ولو كنت أعتقد أنه يتأذى لخففت عنه قليلاً ، وفي حدود هذا التحفظ أقول إن الرجل ألقم أدبه سمام عيبه فحرف من صور المجتمع كل شيء ، وكان له ما افترض أصحاب يتقارون إليه سوءات الناس فيمضي في ثلبهم ولمزهم وتجريحهم بلا ترفق ، وكذلك حرم من روح التصوف فلم يعرف معنى العطف على مصائب الناس

قلت إن أبا العلاء كان ينتقم من المجتمع . وأقول مرة ثانية إن ذلك دليل الحيرة . أين الذي يحرم على هذا الرجل أن ينتقم من أهل عصره وقد آذوه أشنع إيذاء ؟

ومن الذي يملك من الصبر ما يكف به لسانه عن عورات الناس في بعض الأحيان ؟

إن أبا العلاء هجم على المنافقين ، والقرآن استباح الهجوم على المنافقين ، وما يمكن أن نعيب على أبي العلاء ما استباحه القرآن . إن أبا العلاء هجم على رجال الدين ، ولا غرابة في ذلك ، فرجال الدين أنفسهم يهجم بعضهم على بعض . إن أبا العلاء أعلن يأسه من الإنسانية ، فهل استطاعت

الانسانية أن تحصي أهل الصدق والوفاء ؟ إن أبا العلاء سخر من تعدد الديانات والمذاهب ، فهل استطاع المصلحون أن يمحوا أسباب الخلاف بين الديانات والمذاهب ؟

إن أبا العلاء جزم بأن بني آدم : ما فيهم بر ولا صالح إلا الى نفع له يجتذب

فهل استطاع بنو آدم أن يقيموا الدليل على خطأ هذا الظن الأثيم ؟

إن أبا العلاء حكم بأن المرأة إذا شربت الكأس فقد عربدت ، فهل اكتفى من بعده النساء ؟ .

إن أبا العلاء حدثنا بأن نساء يخرجن من الخدر في الصباح ويخرجن بها في المساء ، فهل انقرض هذا النوع من الخلق البغيض ؟

أسرف أبو العلاء في تجريح الانسانية ، ولقد أنصف ، فهذه الانسانية الباغية تحتاج الى من يجرح جبينها من حين الى حين . ومن هم بنو آدم حتى يعطف عليهم أبو العلاء ؟

هل عاش فيهم مصلح إلا بجنة أثيمة لا يزحزحها في حقه غير الموت ؟

وهل كانت تواريخ الأحياء إلا سلسلة من الرزايا والنكبات ؟

وما الذي كان يصنع أبو العلاء والدنيا من حوله تضج بالظلم والعسف والزور والبهتان ؟

إن أشعار أبي العلاء سجل صحيح لأوهام الانسانية ، فلتكذبه الانسانية الباغية إن استطاعت

لم يعرف الناس أن أبا العلاء رجل ضرير ، وأن من كان في مثل حاله خليق بالشفقة والعطف ، وهم نشروه بقالة السوء من أرض الى أرض ، فلتكن تلك فيهم وصمة باقية على الزمان . ولكن ما هذا الذي صنعت بالناس يا أبا العلاء ؟ إن عملك أصعب من عملهم ، ثم جنيت ما كنت صنعت فيهم كله من يقول : الخير في الشر مكتوم وقال له : أيها الآله ان تبتلي بالله.

أنت عبت النفاق على رجال الدين ، فكيف غاب عنك أن رجال الدين لم يعش بينهم رجل صريح ؟ أنت عبت الظلم على الحكام ، فكيف غاب عنك أن الحاكم العادل جزاؤه الحرمان ؟

أنت أنكرت تعدد الديانات والمذاهب ، فكيف غاب عنك أن لله حكمة في هذا التعدد ؟

أنت رجوت أن يكون الناس حكماء ، وما استطعت أن تكون حكيما

أنت رجوت أن يضبط الناس ألسنتهم ثم عجزت عن ضبط لسانك

أنت عشت في قرية صغيرة ولم يسلم عقلك من الفتون ، فكيف رجوت السلامة لمن عاشوا في كبريات المدائن ، وصارعوا فواتك الأهواء

أما بعد فأنا أشهد أن المعري كان رجلا عظيما ، بدليل أنه عاش نحو ألف سنة على ألسنة الناس في المشرقين والمغربين ، ولو كان حقيرا لمات يوم مات !

والمعري له أخطاء لا تحملها الملائكة ولا الشياطين ، وله صدى غير مقبول . فقد كان في عظمته شخصا من بني آدم ، آدم المسكين الذي أغوته امرأة حمقاء فنزل الى الأرض بعد أن كان يسكن فراديس الجنان . عفا الله عنك يا أبا العلاء وعفا عني !

زكي مبارك

قرية المعري وقبره

للاستاذ سامي الكيالي
محرر مجلة الحديث بحلب

يا ماء دجلة ما أراك تلذ لي   شوقاً كماء معرة النعمان

* * *

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما   رماني إليه الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء المعرة قطرة   تغيث بها ظمآن ليس بسال

من حنين أبي العلاء لوطنه

كثيراً ما تتميز المدن بأسماء الموهوبين من الرجال، شعراء كانوا أو قواداً أو أدباء أو فلاسفة. فلولا نابليون لما ذكرت جزيرة صغيرة مثلاً، تلك الصخرة النائية، النائمة وسط الاوقيانوس والتي تبعد ستة آلاف ميل عن اوربا، ولولا أبو العلاء لما ذكرت المعرة هذا الذكر الضخم الذي استفاض على أقلام الأدباء والشعراء والمؤرخين، وهي — كقرية كبيرة — لا تختلف عن الكثير من تلك القرى الضاربة في هذه البادية بين حلب وحماه وما إليها، لا يميزها عن غيرها إلا أنها مدينة هذا الفيلسوف الشاعر الذي خط اسمه خلود الأجيال. وأذهب الى أبعد من هذا فأقول ان التصاق اسمه بها هو الذي جعل لها شهرة المدن الكبيرة سيما عند خاصة الأدباء والشعراء، فما من رجل، في الشرق وفي الغرب، له مشاركة في الأدب، ويلم طرفاً من هذا المفكر الفذ الا وتشوقه هذه البلدة — أو القرية على حد تسمية الكثيرين — وجوب زيارتها حين تطأ قدماه بلاد الشام. فقد زارها كثيرون من أعلام الفكر وود طه حسين منذ عشرين سنة تقريباً — أي حين كتب رسالته « ذكرى أبي العلاء » — لو أتيحت له زيارة المعرة ليكتب عن هذه القرية عالماً بها، مستقصياً أمرها، متأثراً بما توحي اليه من ذكرى أبي العلاء وزهده وفلسفته (1). وردد في هذه الأمنية سنة ١٩٣٦ حين زار مدينة حلب ممثلا « الجامعة المصرية » في مؤتمر الآثار الذي عقد في بيروت. ولكن اضطراب الامن في تلك المنطقة آنئذ، حال دون تحقيق أمنيته، ولم تكن أمنيته أن يمر بها مروراً سريعاً بل أن يمكث فيها سنة أو أكثر من سنة ليدرس أبا العلاء من جديد، لأنه يرى ان كثيراً من آرائه التي دونها في كتاب « الذكرى » تحتاج الى تغيير وتحوير.

وقد تفضلت مجلة « الهلال » فخصتني بالكتابة عن قرية ابي العلاء وقبره. أما القبر فقد سبق أن

(1) تجديد ذكرى ابى العلاء ص ١٠٧

دعوت في الصحف وفي مجلس الى ضرورة العناية به عناية تتساوق وعيد أبي العلاء . ويسرني أن أقول إن هذه الصيحات التي رددها الكثير من الأدباء قد أثمرت بعض الثمر أو كله . وها هي « الجمهورية السورية » تشارك الأدباء والشعراء هذه الأمنية الغالية . وسأعود الى تفصيل ذلك بعد أن أستوفي الكلام عن قرية الشاعر الحكيم

المعرة بلدة تنبسط على تل يتصل في الغرب بالتلعات الصاعدة نحو جبل الزاوية ، وتحيط بها من بقية جهاتها أودية وسهول كانت فيما مضى مغارس للتين والزيتون والفستق واللوز ولم يبق من ذلك الا أثر ضئيل (١) . وقد وصفها المؤرخون وصفاً دقيقاً . ولم يهملها الرحالون الذين مروا بها ، فهذا ناصر خسرو الرحالة الفارسي الذي مر بها عام ٤٣٨ هـ قد وصفها بقوله

« هي مدينة آهلة بالسكان كثيراً . ويحيط بها سور من حجر . وشاهدت بالقرب من هذه المدينة سارية من الحجر زبرت عليها كتابة بحروف ليست عربية ، فسألت أحدهم عن ذلك فأجابني ان هذا طلسم يحول دون العقارب ودخول المدينة والبقاء فيها » ثم قال « وأسواق المعرة طافحة بالارزاق والخيرات . وجامعها الاعظم مبني على أكمة قامت وسط المدينة . ولا يزرع في هذه الجهات الا الحنطة وتغل غلة حسنة . ويكثر في قراها اشجار الزيتون والتين والفستق واللوز والكرمة . ومياه المعرة تجمع من المطر أو تنتزح من الآبار »

وذكرها ابن جبير في القرن السادس فقال :

« وهي سواد كلها شجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه . ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين ، وهي من اخصب بلاد الله واكثرها ارزاقاً »

وقال ياقوت في معجم البلدان بعد أن عرض الى ذكر كلمة المعرة واشتقاقها ودلالة هذا اللفظ على شتى المعاني ، وبعد أن أورد عدة روايات عن سبب تسميتها معرة النعمان وصفها بقوله .

« معرة النعمان مدينة كبيرة قديمة مشهورة ، من اعمال حمص ، بين حلب وحماه . . . ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين »

وقال ابن بطوطة في القرن الثامن سنة ٧٢٥ هـ « المعرة مدينة صغيرة ، أكثر شجرها الزيتون والفستق ، ومنها يحمل الى مصر والشام » ولا عجب أن يراها ابن بطوطة مدينة صغيرة وهو لم يترك بقعة من بقاع الأرض إلا عرفها وكتب عنها . ولم يخرج شيخ الربوة والعمري وغيرهما من المؤرخين وكتاب السير عما قدمناه فكيف وصفها المحدثون الذين عرضوا لدراسة فيلسوفها ؟

لقد أورد الدكتور طه في كتابه « ذكرى أبي العلاء » نص ما كتبه ناصر خسرو وياقوت ثم اعتمد على المستشرق الفرنسي سلمون . ويظهر من فحوى كلامه انه زارها في رحلة

---

(١) معرة أثرية في حمص البلاد الشامية للمهندس الزراعي احمد وصفي زكريا ص ١٨٤

لا نعلم متى كانت . فقد وصف مسيره من حلب ، عاديا نهر العاصي ، عابراً الجسر الذي أقامه نور منقذ ، فمدينة أفاميه الأثرية ، فجبل الأرجحين الذي تطل هضابه على المعرة « تلك المدينة الحبيبة القائمة في منخفض هذا السهل الفسيح » . وينتهي عند هذه الحلقة ، ولقد تدل الأطلال المنتشرة في السهل حول هذه القرية على أنها كانت مدينة كبيرة في عصرها القديم ، بذلك يشهد مسجدها الذي تظلله قبة ضخمة على ثماني أساطين » (١)

ويطول بنا المقال لو أخذنا نستعرض أقوال القدماء والمؤرخين الذين ذكروها ، قديما وحديثا ، فحسبنا ما قدمناه على أن نحقق هذا الذي ذكرناه بزيارة نقوم بها الى المعرة ــ وليست هي الأولى ، فقد زرناها قبل هذه المرة مرات

على بعد ثمانين كيلو مترا من حلب الى الغرب فالجنوب ، وفي طريق جميل معبد بالزفت تجتازه السيارة بكثير من الراحة ، وبعد ان تمر بمدة معاكر وقرى انتثرت هنا وهناك ، وسهول فاتنة زهت بمعاني الطبيعة وخضرة الربيع ، تطل عليك المعرة بمنارتها الشامخة ، وأبنيتها القديمة ، وكرومها الخالدة ، وبساتينها الناضجة الغناء . ويشعر زائر المعرة حين يهبطها بنشوة الفرح العارمة التي يقابله بها أهلوها الذين يفاخرون غيرهم بأن أرضها كانت ولا تزال مثوى لأكبر عبقري العرب قاطبة . ويلاحظ أولا ان المعرة منذ مر بها ناصر خسرو حتى يومنا هذا هي هي ، الا في تفاريق من الوصف غاية في الايجاز ، فلا تزال أرضها من أخصب الأراضي لزراعة القمح وشتى أنواع الحبوب ، ولا يزال ماؤها يجمع من المطر أو يمتاح من الآبار ، ولا يزال سوقها الطافح بالأرزاق والخيرات صالحاً حتى إذا قرب الظهر خمد كل شيء ، وخمدت حركة الأخذ والعطاء (٢) ، وجامعها الكبير هو هو ، قد انبسط في قلب البلد تنحدر اليه في عشر درجات فاذا أنت في ساحة واسعة أو ما يعرف بـ « صحن الجامع » توسطه حوض ماء يمنعه وأعمدته المرمرية ، فالمئذنة قائمة في مدخل الجامع من الشمال ، يبلغ ارتفاعها ثلاثين مترا تقريبا ، مربعة الأضلاع ، نقشت عليها كتابات مختلفة

والمعرة ، ككل البلدان الصغيرة ، قد احتوت الجوامع والحمامات والخانات والمطاحن والمعاصر وهي ، على حد تشبيه المنشى « صورة مصغرة من مدينة حلب » (٣) ووقوع المعرة على جادة طريق حلب ــ دمشق ــ بيروت ، يجعلها دائما محط الكثير من المسافرين يقصدونها إما للراحة من وعثاء السفر أو لزيارة ضريح أبي العلاء ، أو للأمرين معا . والسيارة التي قربت المسافات البعيدة قد جعلت حتى المدن الصغيرة تحمل جميعها على أحد طابع المدن الكبيرة . وهذا ما تجاوزه

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ص ١٠٢ (٢) من الأمثال العامية التي يرددها المعريون حين لا يجدون حاجتهم في سوق ما ، قولهم « كسوق المعرة لا بياع ولا شري » (٣) سورية أثرية ص ١٨١

للمعرة التي اخترق فيها شارع كبير يخترق المدينة من مدخلها مارًا بالسراي الحديثة حتى ضريح أبي العلاء . وقد سمي هذا الشارع الذي تطل على جانبيه بعض الأبنية الحديثة باسمه ، ويزيد في جمال المدينة - رغم قدمها - أنها واقعة في مرتفع من الأرض المحاطة بالسهول والكروم وبعض البساتين . وهي لا تزال غنية بكروم التين والعنب كما كانت منذ ألف عام . وثمة بساتين أنشأت حديثًا تضم أشجار التوت واللوز والمشمش ، فأغراس من الخوخ والدراق . وأما الفستق الذي تحدث عنه ناصر خسرو وابن جبير وابن بطوطة فلا أثر له فيها . وإن كان بعض المزارعين يحاول الآن غرسه في بعض المناطق المجاورة التي تشابه تربتها تربة حلب تقريبا

وقد حرصت ، وأنا في المعرة ، على أن أحقق هذا الذي ذكره المؤرخون القدماء عن السور الصخري الذي كان يحيط البلد ، وعن السارية التي تشتمل عليها الكتابة العربية والتي تدود العقارب عن المدينة فلم أجد لها أي أثر . ولا وجدت من شيوخها القدماء من يحفظ أسطورة السارية . وأما السور فلا يبعد أن يكون على عهد ناصر خسرو أو بعده وأن يكون قد تهدم بعد غارة الصليبيين على المعرة - تلك الغارة التي انتهت سنة ١٠٩٩ م بفتح المدينة وتدميرها . ومما لا ريب فيه أن المدينة كانت مسورة ، وكانت لها أبوابها الضخمة لتتقي بها هجمات المغيرين الذين اجتاحوها أكثر من مرة . وإحاطة المدن بالأسوار والأبواب هو طابع كافة المدن في العصور القديمة . ولكن هل حماها سورها الصخري وأبوابها الضخمة من صولات الغزاة والمغيرين ؟ اللهم لا . لقد حطم عبد الله بن طاهر أسوار المعرة حين أرسله المأمون لتأديب نصر بن شبث العقيلي الذي غضب لقتل الأمين ، إلى الغزوة الرومانية الكبرى التي أثارها القائد البيزنطي نيسفور فوكاس الذي اشتبك بحروب طاحنة مع سيف الدولة ، إلى غارات السلجوقيين ، إلى هجمات الصليبيين ، عدا الغزوات والفتن الداخلية التي أثارها القرامطة وبنو كلاب - إن جميع هذه الغارات والحروب التي استهدفت لها سورية قد اجتاحت في طريقها مدينة أبي العلاء فتعرضت أكثر من مرة للنهب والسلب ، والتخريب والتهديم ، والحرق أحيانا . ولا عجب بعد ما مر بها كل ذلك أن يمحى الكثير من المعالم التي تحيط بها من الخارج كالأبواب والأسوار

وقد أدت هذه المدينة ما نزل بها على مر العصور بوصف هذه النكبات الكثير من الشعراء ومنهم شاعر مغمور الاسم لعله من شعراء المعرة قال :

هذه ساح بلدة قد قضى الله عليها كما ترى بالخراب
فقف العيس وقفة وابك من كان من شيوخها والشباب
واعتبر ان دخلت يوماً اليها فهي كانت منازل الأحباب

هذا الملخص السريع عن ماضي المعرة وحاضرها - هذه البلدة التي تسطع جبهة المدن والتي يتكاثر عدد نفوسها يوما عن يوم فقد قدر نفوسها بعض المؤرخين المعاصرين بستة آلاف نسمة

وهي اليوم تسعة آلاف ، وهي آخذة في الازدياد . ولا أعلم كيف أفسر رواية صاحب « النجوم الزاهرة » – وهو من ثقات المؤرخين – حين عرض الى تاريخ الحروب الصليبية ووصل الافرنج الى المدن الشامية سنة ٤٩٠ – ٤٩١ هـ فقد ذكر ان الافرنج لما اجتاحوا المعرة كانت ١٠٠ الف نسمة ، قال : « وجاءوا الى المعرة فنصبوا عليها السلالم – وهذا يدل على أنها كانت الى ذلك العهد مسورة – فنزلوا اليها – فقتلوا من أهلها مائة الف انسان » (١) فما سبب هذا التقلص ؟ أهو ثمرة الويلات التي اجتاحتها في الماضي ؟ . . أم ان التقدير لم يكن صحيحاً ، وهذا ما نميل اليه . ثم أن العربان التي كانت محيطة بجهات المعرة قد احتمت بالمدينة ؟ وهذا أقرب شيء لانقاذ رواية صاحب النجوم الزاهرة من التجريح !..

ونقف عند هذا الحد لنتحدث قليلاً عن المسجد الذي يحوي الضريح . وفي رواية أنه ليس مسجداً بل بيتاً . ومهما كان فقد أصبح هذا البيت من الأمكنة الاثرية التي نحرص على عدم مس معالمه مهما حملنا على القلة صريح هم يبقى مكانة صاحب

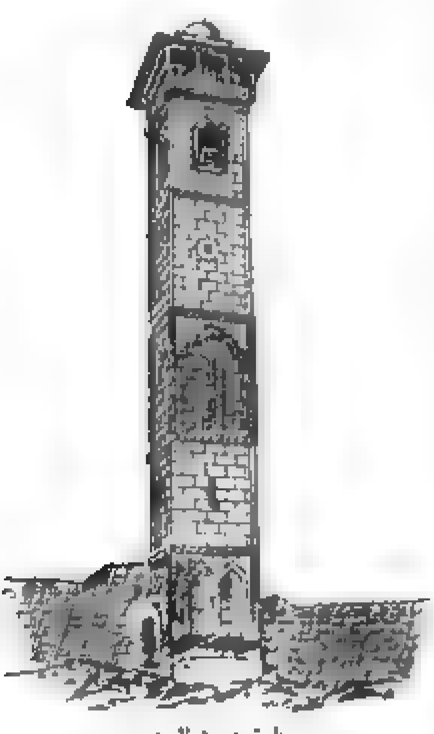

منارة ضريح المعري

دخلنا الدار ، وهي دار صغيرة ذات ثلاث غرف ، احداها قد اتخذها شيخ ضرير لتعليم أولاد القرية القرآن الكريم على طريقة الكتاتيب . لم نكد نحيي الشيخ ونعلمه رغبتنا بزيارة الضريح حتى فتح لنا الغرفة التي تحتوي جثمان شيخ المعرة وفيلسوفها الفذ . وهي غرفة مظلمة ضيقة لا يزيد طولها على ثلاثة أمتار وعرضها على مترين . قد خلت من كل زينة وزخرف اللهم إلا من هذه الكلمات التي خطها الزائرون على جدرانها . نثراً وشعراً – وكلها إجلال لصاحب الضريح – وفي قبر وشاهدتين مكسورتين قد استندت احداهما على حافة فرشة القبر والاخرى على الجدار . وأما الضريح فقد استوى على فرشة حجرية محرومة من التحف . شاهدة واحدة نقش عليها بالكوفية

(١) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٦

ضريح أبي العلاء

هذه السكنات « ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان » وتتحدث هذه الشاهدة بقدمها من خلفيات العصور . وقد تساءلت أين هي وصيته التي حرص على ان تنقش على قبره :

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد !

أترى كان هذا البيت من الشعر على الشاهدة الثانية فاقتلعه خصومه الذين حكموا عليه بالكفر والزندقة ؟ على ان بعض المؤرخين المعاصرين يذهب الى ان الشاهدة الثانية تضم هذين البيتين :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة نفيسة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها فردها غيرة منه الى الصدف

ولا اميل الى هذا الرأي . والبيتان المذكوران مكتوبان على قطعة من الورق معلقة على الجدار

اما الغرفة الثالثة فهي مهجورة لم تنل من اهتمامنا . وفي رواية انها تضم جسد خادمه

وإثر هذا البيت لا بد له من ذكر « البانتيون » والمقارنة بين قبور عظمائهم وقبور عظمائنا وان كانت المقارنة مفقودة بين قبر أبي العلاء وقبر فولتير مثلا . هناك الجلال والروعة والفن والزخرف ، وهنا الرواية والبساطة والزهد والتقشف . . وتجرنا هذه الحالة الى الحديث عن العناية بالقبر ، وها انا ذا أحدث قراء « الهلال » عن الادوار التي مرت بهذه القضية

فكرة إشادة ضريح لأبي العلاء تمت قبل الحرب العامة . فلم يجد بعض الغيورين على مثل هذه

الأمور ، وقد جمع قسم من المال ثم طويت الفكرة . ولا أحد يعرف ما تم بالمال ! ولا شك أن الذي اؤتمن عليه أراد أن لا يخيب نظرية أبي العلاء في البشر !

ثم أعيد البحث في هذه القضية سنة ١٩٢٥ وأزمعت الحكومة السورية الشروع على نفقتها . وبالفعل أدرج المال اللازم في موازنة الدولة ، ثم نشبت الثورة السورية وأصبح البحث في مثل هذه المشاريع كتفريط في حق من حقوق الوطن !..

وحينما استقرت الأمور السياسية أثار المشروع مجدداً أحد النواب في دورة سنة ١٩٣٣ ، واقترح طبع مجموعة من الطوابع باسم أبي العلاء المعري في عهد أول جمهورية سورية ، على أن الاقتراح لم يقبل وهلة واحدة . فقد وجد من عارضه ووجد من حاول قتله ، وعملت الحكومة كل الوسائل لتشويهه وتأجيل البت فيه فلم يتراجع النواب وهاجموها مهاجمة عنيفة مما حملها أن تراجع وتقول بلسان وزير المعارف « ان الحكومة لا تحول دون تشييد ضريح لأبي العلاء ، بل انها ساعية لتشييده بما يمكن من السرعة » ، فوقف نائب المعرة وحيا الوزير بهذه الكلمات : « وتقول الحكومة انها تفكر في الامر معناه انها لا تريد أن تعمل شيئاً » . ثم وقف مقدم الاقتراح وجرت بينه وبين مقرر اللجنة المالية مناقشات طويلة ، وكانت بينهما خصومة سياسية عنيفة — وخاطبه أو خاطب الحكومة بهذه اللهجة الحادة : « ما هي قيمة جمهوريتكم أمام أبي العلاء ! ان ذكرى أبي العلاء أعظم من كل جمهورية تنشئونها » . وانتهت المناقشة بتراجع الحكومة وإقرار الاقتراح ، ووضع اعتماد بثمانية آلاف ليرة سورية لتشييد الضريح . وصدرت الطوابع سنة ١٩٣٤ وبيعت في شهور معدودة . ولا يزال المبلغ مرصوداً في خزانة الدولة لهذه الغاية

وشاءت الأقدار ألا يتم المشروع أيضاً ؛ فقد عصفت بسورية الأحداث وصرفتنا عن التفكير بمثل هذه المشاريع . وها هي بعد خمس سنوات ، أي بعد أن استقرت الأمور وبعثت الجمهورية السورية في دورها الانشائي الجديد تعاود الحكومة بحث الفكرة بكثير من الاهتمام . فقد ناطت وزارة المعارف بأحد كبار رجال الفن الامريكيين عمل تصميم القبر وهو يشتغل به منذ سنة وصدر مرسوم جمهوري شراء بعض الدور التي تحجب موقع الضريح عن الطريق العام . وقد لا ينقضي هذا العام إلا ويوضع الحجر الاساسي لاشادة البناء ، ثم يقام في المعرة وفي كافة المدن السورية مهرجانات أدبية كبرى لمناسبة ذكراه الألفية ، أي بذكرى أكبر أديب عربي لم تحل عزلته في قريته الوادعة دون أن يكتب أحد الآراء وأدق التأملات الفلسفية في أكثر من ستين كتاباً لم يصلنا منها غير كتب معدودة تدل نزعتها التحررية الحرة على انه أكبر فيلسوف عرض النفس البشرية والطباع الانسانية في بوتقة صافية من التحليل الممزوج بالرفق والقسوة مما لا يستطيع أن يجاريه فيه أحد . وحق له أن يخلد على الأزمان ، وأن تعتبره العربية من أكبر أدبائها الخالدين

سامي الكيالي

حول احياء ذكرى أبي العلاء

بقلم الاستاذ محمد أمين حسونة

في صيف سنة ١٩٢٥ سافر الدكتور طه حسين بك منتدبا من الجامعة المصرية لتمثيلها في مؤتمر الآثار الذي عقد في بيروت ، وانتهز هذه الفرصة فزار حلب ومنها قصد الى معرة النعمان ليحج الى ضريح الفيلسوف الذي خلد اسمه في رسالته « ذكرى أبي العلاء »

وما انتهى المؤتمر وعاد الدكتور طه الى مصر حتى أصبحت هذه الفكرة تطوف بذهنه ، وسعى من ناحية أخرى الى تأليف جماعة أطلق عليها اسم « جماعة أصدقاء أبي العلاء » تضم صفوة من رجال الفكر والأدب وتباشر الاكتتاب لاعادة بناء ضريح أبي العلاء ، وقبل معالي الاستاذ لطفي باشا السيد أن يرأس الجماعة ، واقترح أن تشترك الجامعة المصرية في إحياء ذكرى أبي العلاء ، وذكر الدكتور طه أن الجماعة اذا لم توفق الى تشييد الضريح فانها سوف تصرف جهد الطاقة على نشر مؤلفاته نشراً دقيقاً ، خصوصا ما بحثه في « اللزوميات » وما في « سقط الزند » و « رسالة الغفران » وموضوعات رسائله التي لاتزال غامضة أشد الغموض

وزار الضريح فريق من المفكرين وعلماء المشرقيات وفي مقدمتهم المستشرق ماسينيون الذي أسف للحالة المزرية التي وجده عليها وود لو كان في وسعه أن ينقل رفاته الى « البانتيون » في باريس ليرقد الى جوار زملائه من جبابرة الفكر الانساني ، وما أن عاد الى باريس في شتاء عام ١٩٢٨ حتى ألقى محاضرة قيمة عن أبي العلاء وقرر في جمعية نشر الثقافة العربية وأهاب بالمستمعين ـ وجلهم من أهل العلم والأدب ـ أن يبادروا لانقاذ ضريح أبي العلاء من يد العبث والاهمال

وكان الاستاذ الجليل احمد امين أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر قد زار حلب في صيف سنة ١٩٣٠ في رحلة علمية قوامها بعض أساتذة الجامعة وطلابها ، وانتهزوا فرصة تجوالهم في الشام فعرجوا على معرة النعمان لزيارة ضريح المعري ، وقد أخذت الدهشة مأخذها منهم حينما وقفوا جميعهم أمام هذا الضريح المتهالك المتهدم الذي يضم رفات أكبر مفكر عربي

ووجه الصحفي المصري الاستاذ محمود عزمي نداء على صفحات السياسة الأسبوعية دعا فيها أدباء العربية الى العناية بآثار المعري ، ثم كتب سلسلة مقالات ضافية عن ضريحه وأهاب بالعالم العربي أن يعمل على انقاذ قبر أبي العلاء ، رمز عظمة الفكر العربي وجلال الادب العربي

وكانت لمقالات الاستاذ محمود عزمي صدى تجاوبت به أنحاء العالم العربي وردد بعض الصحفيين السوريين دعوته على صفحات صحفهم وفي مقدمتهم الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة الحديث

الشهباء التي تصدر بحلب . وتولت جماعة الرابطة الشرقية الاهتمام بتنظيم حركة ترمي الى العناية بالضريح ، وقرر مجلس ادارتها في نوفمبر سنة ١٩٢٨ تأليف لجنة تعنى بصيانة قبر أبي العلاء وعلى رأسها معالي الاستاذ احمد باشا لطفي السيد ومن أركانها الشعراء الثلاثة شوقي وحافظ ومطران ثم الاستاذ مصطفى بك عبد الرازق

ولم تذهب صيحات الاستاذ محمود عرنى مع الرياح فقد هزت الأريحية تاجر أديب أصله من حلب ، فوجه كتابا في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣١ الى استاذه الشيخ كامل الغزي رئيس لجنة الآثار العربية في حلب ورئيس تحرير مجلة العاديات ، يعرض عليه ضرورة تجديد ما تهدم من ضريح أبي العلاء ، أو اعادة بنائه بما يتفق مع عصر المعري ومكانته في العالم العربي ، ويعلن رغبته في دفع نفقات البناء من ماله الخاص مهما بلغت ، على أن يعهد الى من به الكفاءة من المهندسين بوضع تصميم الضريح وبيان النفقات . ومما يؤسف له غاية الأسف أن كتاب هذا الثري ظل محفوظا نحو خمسة شهور بدون جواب الى أن عرض الموضوع على لجنة الآثار فحبذ أعضاؤه الفكرة ، ثم نامت الى أجل غير مسمى

والآن بعد مضي نحو عشر سنوات على الموضوع أراد صفوة من أبناء الشباب في المعرة أن يحققوا الفكرة عمليا وأن يربطوا بين بناء الضريح الذي تبرع البرلمان السوري عشرة آلاف ليرة لاعادة بنائه ، وبين إقامة مهرجان الى الشاعر الفيلسوف في جميع مدن سوريا ، ورأت هذه الصفوة للفكرة أن تدعو نخبة من الأدباء الى عقد مؤتمر تمهيدي في بلدة أبي العلاء

بيد أن أشد ما نخشى منه أن تطوى هذه الفكرة كما طويت مشروعات سبقتها فيحرم ضريح هذا الفيلسوف من أن يحاط بكل مظاهر التجلة والاحترام ويندثر ما بقي منه مع الايام

م امين صبرة

ابو العلاء المعرى

من قصيدة للأستاذ احمد محرم

ثقة العصور وحجة الأزمان — خذ من بيانك ذمة لبيان
أعمى القريض فك بلفظك خانق — قلبي ، وحل عن العقال لساني
تبني العقول ، وترفع الأيدي سوما — يسطيع شأوك رائع أو بان
أكبرت رزء العقل حين رأيته — رهن العمى ، وخشيت للإنسان
تجرى الأمور وليس يعلم كنهها — وهو المراد بهذه الأكوان
ويقاد أعمى في الحياة وجمعها ، — والدين والدنيا له عينان
كل له ذكرى ، وكل عبرة — تجلو اليقين وصادق الإيمان
طلق حججت عن النبوت فإنها — لله ذي الجبروت والسلطان
أعلى تلك الفرطات يوم لقيته — وحباك ما تبغي من الرضوان
ورأيت منزلة العليم وأجره — وحمدت عقبى العلم والعرفان
شحت بك الدنيا تريدك ولقا — ورفضت بالأعراض والهجران
تجلو زخارفها تحسس دونها — عين المحكم ، ونفس تأمان
خنت عليها العقول ، ولم تزل — في حيرة من شكله الفتان
عالجتها وكشفت من سوآتها — ليبين عقل ويقصر عان
وصددت عن ملعب اللؤلؤ كرم — متناليا من لذة وهوان
أعفاك من آلامهم وهمومهم — أنف الشريب وعفة الفتان
أرثيت من أخلاق ربك رحمة — لم يؤذها جبر ، وفرط حنان
أشفقت من وطء التراب على الأنى — فالى التراب ، وكل حي فان
يمشي الفتى يختال فوق رفاتهم — جذلان مثل الشارب النشوان
والعبر أرواح تجيش وأنفس — والأرض من دم ومن أكفان
حت الأذى وتجنبت مكروهه — وأمرت بالمعروف والاحسان
ورحمت حتى الوحش في فلواتها — وحميت حتى الطير في الأوكان
ورثيت للشاكين من بلواهم — فحملت ما حملوا من الأحزان
وسمحت مع الثاكلات معزيا — فكففن عن نوح وعن إرنان
وسليت من هول الضجائع ملحفي — وسلون بعد تسلط السلوان
شرع جئت به ، ودين لم تقم — بـه لغير الواحد الديان
بوركت في دين المسيح وأحمد — ومشت في الانجيل والقرآن

احمد محرم

مكانة المعري في الشعر العالمي

بقلم الأستاذ خليل مطران

أخرج المعري للناس من وحي فكره الحر آيات بينات ، ولكن لا سبيل إلى المقارنة بينه وبين شعراء الغرب ، فهم قد ألفوا في قصائدهم وحدة الغرض وهو لم يألفها ، على أن مراتب العبقرية في أبياته لم تخف على ذوي الفكر وإن كان دونه قليلا نظراؤه في صناعة الشعر

إذا كان ميسوراً أن تحدد للمعري مكانة بين شعراء العرب لإمكان المقارنة بينه وبينهم ، فلا سبيل إلى المقارنة بينه وبين شعراء الفرنجة . وإذا كان في الواقع قد أحرز شهرة عالية بترجمة من أقواله إلى لغات مختلفة ، فمن المحقق بجانب ذلك أن ليس للمعري مكانة في الشعر العالمي يستطاع تحديدها

ذلك أن الأجانب لم يوفقوا إلى ترجمة كثير ولا قليل من روائع القريض الذي تمتاز به لغة الضاد ، إذ أنه متى جرد من مشرق لفظه ورونق المعنى المرتبط تلازماً بذلك اللفظ ، وقفوا تجاهه حيارى لا يفقهون له جرساً على النحو الذي ألفوه . أما منظومات المعري فقد استطاعوا ترجمة مأثورات منها لأن في نوع معانيها ما يحمل شبهه في نفوسهم وإن عريت من روعة مبانيها . وليس الذي تناولوه منه الإشعار ، وأكثر شيوعه إنما هو في بيئات العلم والفلسفة

كان المعري ذكي الفؤاد ، نافذ البصيرة ، قوي الذاكرة ، متضلعاً من اللغة مستظهراً من أصولها وفروعها وشواردها وأوابدها ما لا تضمه دفتا معجم

وكان فياض القريحة في نثره وشعره ، وإنما غلبت عليه في نثره وشعره رغبته إلى اللفظ الغريب والأسلوب المحكم . وقد يخيل إلى القارئ لعبقريته البيانية وسخاء قريحته أنه لو استخدم هاتين الموهبتين للتعبير عن الأغراض التي وقف عليها الشعر والنثر قبله ، لجاء إلى جانب المتفوقين من الفحول الذين تقدموه بالزمن أو عاصروه ، إلا أن ملكة أبي العلاء لأولئك كانت منصبة على لغة أعجب بها وتأصلت فيه منذ طفولته

رزئ المعري ببصره في الرابعة من سنه ، فهو بعد ذلك اليوم محتجب عن الحياة عنق ، يقتبس من نور الشمس التي فقدها ، نور العلم الذي انصرف إليه واشتغل به عما سواه ، فهو به أصدق نظراً إلى الدنيا وأجرأ على أهلها . فاته منها ملاهيها وزيناتها ومحاسنها ومفاتنها ومن الأغراض

التي يختفي تحتها جوهر الحقيقة ، فلم يحفل بتلك الأعراض ومضى ممعناً في طلب الحقيقة . فهو حكيم سائح إذا انصرف إلى الأدب لم تسخ منه قريحته سوى ما يلائم تلك الحالة . ويتأتى له من ثم أن يكون كاتباً لا كسائر الكتاب ، وأن يكون شاعراً لا كسائر الشعراء ، إذ أن الدنيا لا تتمثل له إلا في صورة « أم دفر » أي أم للمصائب والرزايا والمهلكات والمتاعب ، فيوسعها ذماً وسخراً ولا يكاد يستملح شيئاً من خلائق أهليها ، على أنه مع هذا لا ينفك يدعو إلى الرحمة لأنه تألم وفهم الألم

فلئن خلا كلام أبي العلاء من النوازع للرقة والأحاسيس اللطيفة التي استحبها الناس في أولئك المتقدمين ، فقد رزق من الطلاقة في التفكير والجرأة على البحث في العلل والمعلولات ، ما لم يلبث أن وجهه الوجهة التي اختص بها وسبق فيها وبلغ ما لم يبلغه سواه في بني قومه من قبله ولا من بعده

ولما كان هذا المقال مقصوراً على شعره فسيرى مطالعه الوجه الذي أشرت إليه من أمر المعري فيما يختص بمنظوماته

في ديوان سقط الزند وضوء السقط قصائد متينة المعاني رصينة القوافي ، تمر منها بالقصيدة تلو الأخرى كما تمر بالرواسي ذي الصخور القاطعة ، ولا تجد فيها من الزخارف والزينات شيئاً يخلب الألباب كما يقع لك حين تقرأ قصائد لأبي تمام أو البحتري . ولا يروعك فيها من الحكم المسوقة بعد تمهيد بارع وفي ثوب لامع مثل ما يروعك في شعر المتنبي الذي كان المعري أحد شراحه

فهو في ديوانيه هذين شاعر متصرف صحيح الأسلوب متين الأوتاد ، ولكنه في ديوانه الثالث الذي أسماه « لزوم ما لا يلزم » صعدت به سليقته إلى رتبة العبقرية لا يدافع فيها ولا ينازع ، وفيها صحت شهرته العالية ومجده الخالد

لم يكن المعري بفطرته الوعرة وما يشعر به من التفوق عليه وسلامة حكمه على جمهرة الناس من أولئك الذين يجشمون أنفسهم أن لهم الصدر بين شعراء الخيال ، وهو خليق بأن يتنحى لهم عنه ، ويرجع بالشعر إلى الناحية التي يستطيع حقاً أن يتفرد بها . ولدى هذه العودة اجتمع له متناقضان عجيبان

أخذ ينظم لزوم ما لا يلزم . أي أنه أخذ يكلف نفسه في قرض القريض عنتاً لم يكن له من تأويل سوى اعتزامه أن يثبت لنفسه اقتداراً على التصرف في اللغة ليس مما يتعلق في مثله الشعراء المجيدون عادة ولا هو مما يأبهون له

ولكنه ماذا فعل وهو يتقيد بتلك القيود الثقيلة الساحقة ؟ أخرج للناس من وحي فكره الحر ، ومن حي عبقريته الأبية ، ومن معالجته بعض المذاهب الاجتماعية آيات بينات ، فتلقاه نوراً في الأذهان من عله الحير في مصف شعراء الخيال إلى مكانة الشاعر الفيلسوف المنفرد . على أنه حين طفق يكاشف الناس باستدراكاته المطعنة أو اللاذعة على ما اتفقوه وتقسموه من غير أن يعرفوه

عرفان المتحررين للمفكرين ، لم يسترسل استرسال المتهور في تقويضه لبعض القواعد الأساسية الكبرى كما دانوا به ، بل تولى ذلك التقويض بوسائل النقد والسخرية مع الاحتراس بجانب ذلك والرجوع الى الله اطراداً والى الدين أحياناً ، كأنه عاقل كان دائماً هيابا من الجهالات الشائعة

فأمر هذا الناقد الحر كما نرى كان عجيبا محيرا ولا سيما في زمنه . لم يسعه — خصوصا وهو رهين المحبسين — أن يعبر عما يخالج صدره من أمور الأديان بطريقة متسلسلة وفي مقالات منظمة المنهج متسقة ، فاستعار الشعر ومواته للإفصاح عما يجيش به صدره في مقطوعات أو في أبيات مفردة يتبعها آنا بعد آن بين معان أخرى ، ويتصل بمداورات شتى للاعتذار عنها ، أو ليبرأ من تلك الشبهات السيئة التي كاد يخشى أن تثيرها في أذهان مخالفيه . على أنه لم يكن كذلك شأنه في بث أفكاره الاجتماعية فلقد يقول فيها ما يباشر به مراميه ولا يجازف ولا يداوي بوسيلة ما يجرح جنبه

فلنأت الآن من شعر المعري بالشواهد التي تريناك ثمره في طلعه

كان للمعري آراء اجتماعية وآراء دينية وكلها جريئة في ذلك الوقت وكلها معطاة لبحث دقيق وتفكير عميق ، على أنني لا أحصيها في هذا المقال الوجيز ولكني أمر بأهمها من غير إطالة في البيان

فأما الآراء الاجتماعية فمنها الإيثار وهو أشرفها

ورد القوم بعد ما بل كعب   وارتوى بالنمير وفد ظماء
كيف لا يشرك المضيقين في النعمة   قوم عليهم النعماء

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي   سحائب ليس تنتظم البلادا

ومن يصم أخوه على عناء   فما أدى الحقيقة في الإخاء

ولا تحسن الإحسان منا   إذا ما كان نفعك غير مجرى

ومنها نهيه عن أكل الحيوان تساميا منه في البر والرحمة ، وتحت ذلك دعوة مستترة الى السلام بين الناس ، إذ كان يكره الجناة والسافكين للدماء على ما سترى فيما يلي :

يكفيك لوما سليط ما أريق له   دم ولا مس روحا له جرى ألم

لو كان يدري أويس ما جنت يده   لاختار دون ثمار النبتة العسا
فإن من أقبح الأشياء يفعله   شاكي الطاعة يوما أن يريق دما

أخفّت حلوم الناس أم كان من مضى   من القوم جهلا خفاف حلوم

فلا تأمنن الشاة ان أدنى ابها ... لشفرة جاءت في الرجال ظلوم

لا تحدث القطع في كف ولا قدم ... ولا تعرض مدى الدنيا لسفك دم

ومنها حثه على الزواج وترغيبه الناس عنه وتزهيدهم فيه . الا ان تكون الزوجة عقيما لأنه يجني بالأولاد على شقاء هذه الدنيا

على الولد يجني والد ولو انهم ... ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعدا من بنيك وزادهم ... عليك حقودا أنهم نصحاء

جنى ابن ستين على نفسه ... بالولد الحادث ما لا يجب

وواحدة يكفيك فلا تجاوز ... الى أخرى تجيء بمؤلمات

فان انت لم تملك وشيكا فراقها ... فعف ولا تنكح عوانا ولا بكرا
والنسل فيها والداك فلا تضع ... بها ولدا يلقى الشدائد والنكرا

أرى النسل ذما للفتى لا يجله ... فلا تنكحن الدهر غير عقيم

الا تذكرت فضل النسل في زمن ... به حللت حمرى أبي تلقيه
ترجو له من نعيم الدهر ممتنعا ... وما علمت بأن العيش يشقيه

هذا جناه أبي على ... وما جنيت على أحد

ومسلك الوصلة في هذا الباب أنه لا يتورع من فناء الدنيا عن أهلها لينجي جماعتها الشقاء

لو أن كل نفوس الناس رائية ... كرأي نفسي تناءت عن خزاياها
لعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ... ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

ومنها سوء ظنه بالنساء ونهيه عن تعليمهن لئلا يفسد عليهن أرواحها

ولو صلت عمرها وصامت ... لألفت ما تحاوله لديها
ولكن خانت الحرمات زني ... وأصدر الغواة الى يديها
وليس محمد عنها بآثمة ... ولا الله القدير بمحسبها
اذا ما زالت الصلوات صود ... فكن البيت أفضل مسجديها

علموهن الغزل والنسج والردن ... وخلوا كتابة وقراءه

فصلاة الفتاة بالحمد والإخلاص تجزي عن يونس وبراءه
تهتك الستر بالجلوس أمام النســـران عند القيان ورداه

ولا تحمد حسانك إن توافت بأيد للســطور مقومات
فحمل مغازل النســوان أولى بهن من اليراع مقلمات
فما عيب على الفتيات لحن إذا قلن القراد مترحات
ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آيا محكمات

ومنها كرهه الرياء وخصوصا من الصوام القوام

قد صحب الــدهور والصبيه وأما ديننا رياء
يا عالم الســوء ما علمنا أن مصليك أتقياء
لا يكذبن امرؤ جهــول ما فيك لله أوليــاء

يقولون هلا تشهد الجمع التي رجونا بها عفوا من الله أو قربا
وهل لي خير في الحضور وإنما أزاحم من أخيارهم إبلا جربا

توهمت يا مغرور أنك ديّن علي يمين الله ما لك دين
تسير إلى البيت الحرام تنسكا ويشكوك جار بائس وخدين

أما آراؤه الدينية ، فمع رسوخ عقيدته في الله تنبئ من التشاؤم في وصف كل ما اعتقده مخالفا للعقل أو متمشيا مع الأوهام

متى المهدي يوجد المصحف شبعق فلست مطيقا الصبر ولا السرى
أأصبح في الدنيــا كما هو عالم وأدخل ثرا مثل قيصر أو كسرى

إذا تم عبا ترس العين مضجعي فردني هداك الله من سنة شبرا
وإن سألوا عن مذهبي فهو خشيــة من الله لا طوقا أبثّ ولا جبرا

يسمى هوىً من يخالف كافرا فالويل أي الناس خال من الكفر
حصلت على التمويه فارتاب حسنا مسمى عند المين ريب من الشعر

وليس الذي قال اليهودي ثابتا سوى أنه بالحظ أثبت في السفر

دين وكفر وأنبــاء تقص وفرقا ن ينص وتوراة وإنجيــل

في كل جيل أباطيل يدان بها ... فهل تفرد يوما بالهدى جيل
ومن أتاه سجل السعد عن قدر ... نال فليس له بالجد تسجيل

قلتم لنا خالق حكيم ... قلنا صدقتم كذا نقول
زعمتموه بلا مكان ... ولا زمان ألا فقولوا
هذا كلام له خبيء ... معناه ليست لنا عقول

وكيف للجسم أن يمضي الى رجعه ... من بعد ما رم في الغبراء أو أزلا

يتلون أسفارهم والحق يخبرني ... بأن آخرها مين وأولها
وصاحب الشرع كان القدس قبلته ... صلى إليها زمانا ثم حولها

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا ... دين وآخر دين لا عقل له

أجلت عقود الدين في الأرض ثابتا ... وفي كل يوم يضمحل عن محل

أرجال نفسي في الأولى مساعفة ... ولا أراك من الأخرى على وجل

الله عالم غيب لا أحاوله ... من ذي نجوم ولا أصبو في الكهن

كم ظلم الأقوام أنفسهم ... ثمت بادروا فلن يجتنون

أما رأيه في الاستحالة عناصر متعددة في الجسد الواحد فيتبين جليا مما يلي :

إذا رجع الحصيف الى حجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراها
فخذ منها بما أملاه لب ... ولا يعميك جهل في سراها

ونعتقد هنا أن المقارنة بين المعري وبين شعراء الغرب الشعوبيين لا سبيل اليها ، لأنهم التزموا في قصائدهم وحدة الغرض وهو لم يألفها ، وسلكوا المعاني متسلسلة في ثلاثة من نوع متماسك على تنوعه ، وأما هو فلم يكتب ملحمة متسلسلة ولم يرم مرمى تتوازعه أبيات قصيدة واحدة فضلا عن أن تتوازعه قصائد ديوان

له شهرة عالمية علمها بعمق فكره ، ولم ينلها بشوق خياله وصياغته في شعره

خليل مطران

بم يمتاز المعري من شعراء العرب؟ وما هي الخصائص الفكرية التي انفرد بها والتي جعلته أصبح ثروة من ثمار الأدب العربي؟ هذا ما يبحثه كاتب المقال

أبو العلاء بين شعراء العربية

بقلم الأستاذ فخري أبو السعود

ليس أبو العلاء أحد فحول شعراء العربية فقط ، يعد منهم في الطبقة الأولى بجانب المتنبي وأبي تمام وابن الرومي ، وليس هو فقط أحد أساطين كتابها ، يباري ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان بصراً باللغة وتمكناً من أساليبها وإحاطة بتراثها ، بل هو بين أدباء العربية شخصية فذة فريدة : يشبهه الآخرون في أشياء كثيرة حتى كأنهم أبناء عصر واحد ، ويختلف عنهم جميعاً في أشياء كثيرة كأنه ابن عصر وحده ، أو كأنه يمت إلى أدب غير أدبهم وتراث تدفق غير تراثهم ، وهذا التميز أهم صفات أبي العلاء

فقد كانت نزعة المحافظة غالبة على الأدب العربي منذ عرف العرب الحضارة والثقافة ، فقد احتفظ أهلوه بتقاليده ورثوها عن فحول الجاهلية وصدر الإسلام ، وحرصوا على اتباعها ولم يجسروا أن يدخلوا عليها كبير تبديل ، فقصروا الشعر والنثر على موضوعات خاصة لم تتعدد كثيراً ، وإنما كان همّ أكثرهم أن يجاروا المتقدمين في طرقها . فالفخر والحماسة والمدح والهجاء والنسيب الاستهلالي في الشعر ، والرسائل الديوانية والإخوانية في النثر ، والأسلوب المعني بالمحسنات البديعية في هذا وذاك . وقد طمع أكثر الشعراء في جوائز الملوك فقصروا أكبر جانب من قصيدهم على المدح ، وطمع الكتاب إلى الكتابة في دواوين الأمراء فتوفروا على تحبير الرسائل الإنشائية ، وعاش هؤلاء وأولئك في حياة صاخبة بين مواكب الحاكمين ومجالسهم ، وبين مظاهر الترف المادي وأسباب اللذات الحسية ، ومن ثم كان الأدب العربي الإسلامي أكثره أرستقراطياً

أما أبو العلاء المعري فسلك طريقاً وحده امتاز بها عن أبي نواس والبحتري والطائي ، كما امتاز بها عن عبد الحميد وابن العميد والصاحب وغيرهم من الكتاب الوزراء ، فجاء أدبه أكثر من أدبهم ، وشخصيته مفترقة ممتازة عن شخصياتهم ، وكان تراثه الأدبي من شعر ونثر أعظم قدراً وأخلد أثراً وأشد إمتاعاً للأديب العصري من تراث من ذكروا ومن لم يذكروا ممن هم على شاكلتهم

فأبو العلاء لم يتعلق بحبال الأمراء ولم يقل في مدحهم إلا القليل الذي أودعه ديوان سقط الزند ، على أنه لم ينظم ما نظم في ذلك الباب طلباً لنوالهم ولا استغلالاً بجاههم ، ولكن نظمه

مجاملة أو مودة أو رياسة التقصيد وتليا معارضة للمتقدمين ، ولم يستغرق ذلك إلا جانبا ضئيلا من شعره ، ولم يستأثر بمعظم ما نظم كما استأثر المدح والهجاء بمعظم ما نظم البحترى والطائى ومهيار وغيرهم

إنه اتجه أبو العلاء إلى التأمل المجرد والتفكير الحر المطلق ، على أنه لم يطرق الأبواب المعهودة المتوارثة فى الأدب العربى ، والتى كان يطرقها الشعراء حين يتحررون من المدح والهجاء ، كالوعظ الذى شغل به أبو العتاهية وأمثاله ، والحكمة التى أولع بها الطائى والمتنبى وسواهما ، والتمدح بمكارم الأخلاق والتحدث عن الاعترابيات الذى كلف بهما الشريف الرضى وغيره . كل هاتيك كانت موضوعات مألوفة تقليدية فى الأدب العربى ، تناولها الشعراء فى مختلف العصور ، وتشبهوا فى كثير منها بالمتقدمين . أما أبو العلاء فانفرد بالتأمل فى أحوال الانسانية جمعاء : ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، فصرف ذهنه فى التاريخ وتدبر أحوال الغابرين ، وتساءل أين القبور من عهد عاد ، ورجح أن يكون قبل آدم أوادم آخرون ، وتصور سائلا فى المستقبل يسأل عن مكة كما يستخبر المستخبرون عن جديس وطسم ، إلى غير ذلك من نظرات الفكر الذى يروعه تقلب العصور وتغير الأجيال والشعوب والدول ، ولا يقنع قناعة أكثر شعراء العربية بالنظر إلى الحاضر واحتشام ما خلفه ، من التأمل فى الماضى والمستقبل وتقصى بعيد الآفاق

ولم يقتصر أبو العلاء على النظر فى شئون الانسان ، بل وسع فكره وقلبه لغشيانه عالم الحيوان واحتل له احتشامه بين جنسه ، بل عد الانسان والحيوان متماثلين فى الصفات والطباع ، متماثلين فى رضوخهم لصروف الأقدار والنواميس الطبيعية ، وخضوعهم لتنازع البقاء وما يستتبع من سجايا كلها غدر ولؤم كما يقول ، وهو يبنى على الأحياء شيئا عصيا على حس ، ثم يرثى لها جميعا لأنها لا معدى لها عن ذلك الصراع العاتى ، وتراه يتحدث فى شعره عن الضرغام والظبى والصقر والحمامة والذئب والشاة والنحلة ، حديثه عن أناس يعنيه أمرهم ويحرص على اسعادهم ويود لو يستطيع اصلاح ذات بينهم

وما هكذا العهد بذكر أدباء العربية للحيوان والطير فى آثارهم : إنما كانوا يذكرون الليث والذئب ليدعوا الفخر بالتغلب عليهما ، والظبى والكلب للتمسك بذكر الطرد والقنص ، والحمام والبلابل تنبيها بجميل أصواتها ، ويستعيرون صفات هاتيك السباع والأطيار لما يتحلون لأنفسهم أو لممدوحيهم من القوة والهيبة ، ولمعشوقاتهم من حور العيون وتلع الأجياد وسحر اللفتات ، أما الاحتفاء بالحيوان ذاته والحدب عليه وطول التأمل فى أحواله ، فميزة من الميزات العظيمة التى انفرد بها أبو العلاء

ولم يقف فكره الجوال وتأمله الشامل عند الأحياء ، بل كان معنيا بشئون الجماد كذلك موكلا بالتفكير فى الأكوان والكواكب والآماد ، يعبر عن كل ذلك فى أساليب شعرية ممتعة : فيقول ان جبريل لو طار غية عمره ما استطاع الخروج من الدهر لأنه أزلى ، ويقول إن لنار

الربيع من حدثان الدهر مطوى، وإن علت في اتقاد، وإن موقد الشمس يعيي القرء تحديده، وأن النور محدث والأزلى هو الزمان المظلم، إلى غير ذلك من نظرات تجمع بين النزعة العلمية والحلاوة الشعرية. ونحسب أن أحداً غيره من أدباء العربية لم يعن بالفلك بعض هذه العناية، أو يكلف ذهنه في مجاهل الفكر بعض هذا العناء

وكان أبو العلاء في تأمله هذا في شؤون الخلق متشائما، يكربه ما يرى من تصارع الأحياء وتنازعهم البقاء، ويحزنه ما يشاهد من ضعف الإنسان وقصور باعه وذهنه، ويغلاه ما يرى في طباع الناس والأحياء كافة من لؤم وأثرة وخبث وعدوان. وهو في تشاؤمه أيضا نسيج وحده في العربية، فالتفاؤل هو السمة الغالبة على الأدب العربي، وإن كثرت فيه شكوى الزمان والإخوان والوعظ والتذكير بالموت والبلى. والمتنبي مثلا على طول ما خاصم معاصريه ولاقى منهم، وذمهم خيبة مساعيه وخيبة أمانيه، ظل عمره حريصا على الحياة كما قال مستهاما بها صبا

وإنما أفضى بأبي العلاء إلى التشاؤم طول تفكيره في شؤون الخلق والحياة، كما تقدم، وتوغله في قمم الفكر العالية المفردة، بجانب ما رزئ به من فقد البصر الذي كان فاتحة رزايا أخرى، وما امتاز به من رهافة الحس، هذا إلى ما كان يعج به عصره من فساد واضطراب. أما شعراء العربية الآخرون فنأى بهم عن التشاؤم انصرافهم ـ كما تقدم القول ـ إلى حاضرهم، وإقبالهم على دواعي الحياة العملية، وإعراضهم عن طول التأمل في مظاهر الحياة ومصادرها، فأبو العلاء هو ممثل التشاؤم في العربية، وهو في هذا أيضا فذ متفرد

ولأبي العلاء فلسفته الإلهية، وهي جانب كبير من فلسفته، والدين من أهم المسائل التي شغلته طول حياته، وهو شاك رافض لمعظم ما كان يدين به معاصروه من عقائد، متعجب لما يرى من خلاف بين أتباع اليهودية والمسيحية والإسلام. وليس ينفرد أبو العلاء بالشك والزيغ بين أدباء العربية، ولكنه يمتاز عن سواه في هذا الأمر امتيازه عنه في سواه: فإن المتزندقين من أمثال بشار وحماد وأبي نواس كانوا قوما مستهترين متهالكين على اللذات، لا يكربهم أمر الدين إلا ريثما يتهكمون بالمؤمنين ويتحدون عقائدهم ويحطون بنسكهم، وكأنهم فرحون إذ خلعوا عذار الإيمان وخلصوا من ربقة الدين

أما أبو العلاء فكان زاهداً لا مستهترا، محرما على نفسه متع الدنيا لا متهافتا عليها، وما انتهى إلى الشك اعتباطا ولا استهتارا، ولا لسوء صحبة أو ضعة بيئة أفسدت خلقه ومعتقده، وهو الناشئ في بيت التقى والفضل، وإنما انتهى فكره الناضج إلى الشك بعد طول التأمل والنظر وبعد شديد العناء والجهد، وبعد أن حاول ما وسعه أن يصل إلى اليقين ويقتنع بما يقتنع به غيره دون طويل بحث ولا تساؤل، وكم طلب اليقين من جهة كما قال فلم تخبره جهة سوى الظن، ولو ارتاحت نفسه إلى الإيمان عن اقتناع لكان أول المؤمنين وأحسنهم عقيدة

وعلى سبحات فكره فى آفاق الزمان والمكان ، وعنايته بالماضى والمستقبل ، لم يهمل أبو العلاء حاضره القريب ، ولم يغض عينه عن مجتمعه ، بل كان معنيا بأمره ، يأسى لسوء حال الرعية وجور الامراء على مصالحها ، ويعد أولئك الامراء أجراء لها عينتهم ليتعهدوا مرافقها ويسوسوا أمرها ، وهى نظرية النقد الاجتماعى التى نادى بها فلاسفة أوربا المحدثون . وكان أبو العلاء يأسف لعدم تساوى الناس فى الثروة وتفاوتهم فى الحظوظ ، فهم أمير متوج بالذهب وفقير معرى فى الشتاء ، ومجدود يرزق أقوات أمة ومكدود يحرم قوت يومه

وهنا أيضا يمتاز ابو العلاء على غيره من أدباء العربية ميزة عظيمة : فقد كان أكثرهم منائح الملوك يترجمون عن رغباتهم ويتمسحون باعتابهم ، ويؤيدون دولتهم وان عتوا وان ظلموا ، قد انحازوا الى صف الحاكمين وكل همهم أن ينعموا بما يجبونه عليهم ، واعتزلوا المحكومين لا يأبهون بحالهم سعدت أو شقيت ، ولا يترجمون لهم عن شكاة ، ولا يحاولون لهم إصلاحا

وقد كان شعراء العربية وكتابها لانشغالهم بالامراء وتوفرهم على مدحهم وانشاء رسائلهم ومشاركتهم فى حياتهم الرسمية والخاصة ، مشغولين عن التوفر على الادب الخالص والفن لذاته . ومن ثم نرى الشعراء العظام منهم كانوا شعراء فحسب ، لم يؤثر عنهم غير القصائد ، كالمتنبى والبحترى وغيرهما ، والكتاب كانوا كتاب رسائل فحسب ، لم يؤثر عنهم فيما عدا ذلك شيء يعتد به ، كالصاحب وابن العميد ، ومن أجاد الشعر من الكتاب كالصابى، وحميد بن سعيد كان مقلا فيه ، ومن توفر على الشعر قلما تظفر له بنثر أو رأى يعتد به فى النقد

أما ابو العلاء فلاعتزاله حياة الامراء الصاخبة ، وتوفره على الأدب والدرس توفر الكاهن على كهانته ، كان أديبا مكتملا متعدد نواحى الانتاج ، ضرب فى الشعر بقدح معلى وفى النثر بسهم وافر ، فصاحب اللزوميات هو أيضا صاحب رسالة الغفران ، وناظم ذلك الشعر الفائق هو كاتب هذا النثر الممتع ، وهو فى هذا وذاك لا يقتصر على باب من القول دون باب ، بل يجيل ذهنه فى شتى شئون الحياة والموت والماضى والحاضر والدنيا والآخرة ، والأدب والنقد واللغة والفقه ، وهو الشاعر العربى الكبير الوحيد الذى أثر عنه نقد وآراء معروفة مفصلة عن سابقيه من الشعراء كالمتنبى والبحترى وحبيب الطائى

ولقد كان الأدب العربى فى جملته عملى المقاصد قريب الاغراض ، تقل فيه آثار سبحات الخيال ، وتقل فيه الآثار الفنية المطولة ، عدا ما يمت به الخيال إنشاء المقامة ، أو اختراع موقف الغزل ، أو تلفيق الأقصوصة القصيرة تنسب الى الجاهلية ويفسر بها خبر من الأخبار أو مثل من الأمثال السائرة . أما القصة والملحمة والرواية وما اليها من آثار الخيال الواسع ، فخلو الادب العربى منها معروف واضح . ولكن أبا العلاء أبى إلا أن يتميز على سائر فحول العربية فى هذا الفن ايضا ، فرسالة الغفران هى العمل الأدبى الكبير الوحيد فى العربية ، الذى يقوم على الخيال

المتصل ، ويحوي أروع الصور والأوصاف والقصص والفكاهات ، وتدور حوادثه في العالم الآخر ، مستمدة حقائقه مما جاء في القرآن الكريم ، كما استمد دانتي وملتون حقائق ملحمتيهما من أنباء الانجيل ، ورسالة المعري وإن طابقت كل أنباء القرآن الكريم وأظهر صاحبها الاعتقاد بصحتها ، عمل جريء لم يقدم عليه غير أبي العلاء من قبل ، هو عمل جريء من وجهة الفن والخيال ، وهكذا يمتاز أبو العلاء على غيره من أدباء العربية في ارساله عنان الخيال وكبحهم إياه ، وإنه الكاتب الموهوب وإنهم المقصرون العقلاء

وذلك أدب أبي العلاء المعري ، هو أدب نسيج وحده بين أدباء العربية ، وما كان أدبه إلا صورة من حياته ، حياة الزهد والاعتزال والدرس والأدب ، فهو لم يصدف عن حياة الأبهة في حاشية الأمراء فقط ، ولم يأب على نفسه ما كان يصبو اليه الشعراء والكتاب فحسب ، بل حرم على نفسه ما يتمتع به الفرد العادي : فظل رهين محبسه أو في ظلام الثلاثة من سجونه كما قال ، وترهب لم يتخذ حليلة ، ورغب عن شهي الطعام وحرم على نفسه لحم الحيوان ، وكان على اعتداده بقدره شأن كل عظيم متواضعا بعيداً عن الادعاء ، يعلم أنه هو وغيره من طالبي العلم والدرس جهال لا يقاس ما علموه من شئون الكون بما جهلوه ، هذا على حين كان دأب الكثيرين من شعراء العربية وكتابها التفاخر والتطاول على معاصريهم

فأبو العلاء المعري في اعتزاله حياة الملذات ، وتوفره على العلم والأدب وإدمانه النظر في شئون الكون ، ودراسته الحياة دراسة تتجلى فيها النزعة العلمية ، وإرساله عنان الخيال في رسالة غفرانه ، واحتفاله في نظراته الاجتماعية بشئون الرعية دون الحاكمين ، هو في كل ذلك يخالف غيره من فحول العربية ويمتاز عليهم ، وهو لكل ذلك أقرب الى أدباء الغرب الذين عاشوا في ظل الديمقراطية أحرار الفكر والنزعة ، معنيين بشئون الحياة والمجتمع لا بأمور الملوك والحكام

وأبو العلاء لكل ذلك يعد أصدق ثمرات الأدب العربي ، ولا غرو فقد عاش بين القرنين الرابع والخامس الهجريين في العصر الذي بلغت فيه الحضارة والثقافة العربيتان أوجهما وأشرفتا على الاضمحلال . ولولا فساد الأحوال السياسية والاجتماعية الذي أسرع بالحضارة والأدب الى التدهور ، لكانت هذه السنن الجديدة التي سنها أبو العلاء للأدباء ، مبدأ عصر جديد في الأدب العربي يكون فيه أقرب الى الفن الرفيع ، ويكون الأدباء فيه أكثر توفراً على أدبهم ومبالاة بفنهم ، وأشد كلفا بالتبصر في جديد آفاق الحياة . ولكن عوامل الانحلال كانت تساور المجتمع الاسلامي من داخله ومن خارجه ، فلم يقدر للأدب العربي طور إحياء جديد ، بل سرعان ما دخل في طور تدهوره الطويل ، الذي لم يفق منه إلا في العصر الحديث ، وكان أبو العلاء المعري آخر نجم لمع قبل هبوط ذلك الليل الحالك

فخري أبو السعود
المدرس بمدرسة الرمل الثانوية

المعري:
هل كان سابقاً لعصره

بقلم الأستاذ عبد الرحمن شكري

مما لا شك فيه أن كل قارئ يرى في الكتاب الذي يطالعه بعض ما هو في نفسه وعقله سواء أكان الكاتب قديما أم حديثا . ومما لا شك فيه أن اثنين يقرءان كتابا يختلفان بعض الشيء في طريقة إدراكه مهما عظمت أوجه التشابه بين فهم كل منهما الكتاب . فإن كل قارئ يجد فهمه لما يقرأ محدوداً بعض الشيء بنوع تربيته وتعليمه ومزاجه وطباعه وتجاربه ومما تعلم ومما قرأ . فلا غرابة إذا كان القارئ المصري يرى في شعر أبي العلاء المعري ما لم يقصده أبو العلاء ، فهذا أمر غير مقصور على المعري ولا على غيره من الكتاب والشعراء ، بل هو غير مقصور على ما يقرأ فإن سامع الحديث أيضا يفهم في الحديث بعض ما لم يقصده المتحدث ، وقد يختلف اثنان في فهم حديث واحد يستمعان له بعض الاختلاف ، وليس الأمر مقصوراً على السمع والمطالعة والفهم لما يسمع أو يقرأ بل إن إدراك المرئيات قد يختلف باختلاف المقارنات إما قليلا وإما كثيرا

> تأثر المعري بعصره ولكنه ارتفع عن مستوى التفكير الذي كان شائعا بين جمهور ذلك العصر وهكذا تقدم زمنه وتلك ميزة العبقري

فإذا أخذنا من شعر المعري بعض جدة معانيه بسبب ما يكون قد قرأنا في مذاهب من آرائنا ، بقيت له بعد ذلك جدة كثيرة في المعاني ، وبقيت له الميزة التي تجعلنا نكثر من نسبة آرائنا إليه لا إلى غيره ، فإنه لا بد أن يكون قد ألم ببعض جوانب هذه الآراء ، إن لم يكن قد ألم بجوانب أخرى منها . ثم إن جدته في اتجاه التفكير ونوع الشعور ينبغي أن يحسب أيضا ولو كانت الفكرة مطروقة . والجدة إذا أريد بها جدة معاني التفكير في النفس والخلق والحياة ، إنما هي أمر نسبي وهي في الحقيقة يراد بها الشيوع والإذاعة أكثر من الجدة ، فإن كثيرا من المعاني التي يأتي بها التفكير في النفس والخلق والحياة قد كان معروفا عند بعض القدماء حتى في أقدم العصور وإنما كان غير شائع ، فإذا عثرنا في قولهم على شيء من ذلك حسبناه جديداً ، والحقيقة هي أن العقول البشرية يكون بحثها في التفكير في النفس والخلق والحياة أسرع من بحثها في التفكير في حقائق الكيميا أو ما شابهها

من العلوم ، ولكننا كثيرا ما نجد تفكير العقول في النفس والخلق والحياة على تفكيرها في العلوم فتخطئ بعض الخطأ . على أننا نقرأ في بعض الأحايين لبعض القدماء آراء في العلوم الكونية وغيرها تدل على أنهم قد فكروا في جوانب بعض الآراء الحديثة وأنهم قد رأوا لها منها ، فإذا كان هذا أمرهم في الأمور العلمية الطبيعية التي تحتاج فلا غرو إذا كان تفكيرهم أسرع نضجا في أمور الحياة والنفس والخلق

ومهما قرأنا في شعر الشاعر المتقدم من آرائنا فلا بد أن نتساءل لماذا يختلف شاعر عن شاعر من الشعراء المتقدمين في هذه الميزة ، ولا بد أن نتساءل أيضا لماذا يختلف الشاعر الواحد في قول عن قول فنرى في قول ما نحسبه جدة ونرى في قول آخر ما نحسبه قدما والقائل واحد في الحالين . وأكبر ظني أن اختلاف الناس في العصور المختلفة في الملابس والعادات والمعتقدات والآراء الشائعة قد جعل أهل العصور الحديثة يبالغون بعض المبالغة في تغيير آرائهم عن آراء القدماء ولعل أحسن دواء لذلك أن نقرأ كتب السير جيمس فريزر فإن من يفعل ذلك يدهش لأنه يرى أن كثيرا من العادات والمعتقدات الشائعة يرجع أمرها إلى العصر الحجري وما قبل العصر الحجري

وإذا قرأ قارئ لوكريتوس الشاعر الروماني القديم أحس كأنما يقرأ بعض آراء الفلسفة المادية التي كانت شائعة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر في أوربا ، وشعر لوكريتوس أوضح مثل لتشابه الأفكار وترددها عصرا بعد عصر . وقد نقل ماثيو أرنولد قطعة لمؤلف قديم لا أذكر اسمه الآن يصف حوارا واحتفالا حدث في الإسكندرية في العهد الإغريقي البطليموسي ، وإنما نقلها ماثيو أرنولد كي يدل على أن الناس هم الناس في كل عصر

وإذا قرأنا قول أبي تمام :

وقديما ما استمسكت طاعة الخا ... لق إلا من طاعة المخلوق

حكمنا أنه لا بد أن يكون قد ألم في تفكيره بما ألم به الفلاسفة العصريون في تتبعهم نمو فكرة الخالق في الأذهان البشرية من قديم الزمن وإلا لم يكن للبيت معنى . وفي بعض الأحايين يكون إلمام الشاعر بمذاهب التفكير الحديثة إلماما أبعد وعلى وجه التعميم دون التفصيل ومثل ذلك أن الذي يقرأ قول الشريف الرضي

ولولا نفوس في الأقل عزيزة ... لظل جميع العالمين خمول

يقول إنه لا بد قد فكر في بعض ما فكر فيه كارليل وغيره من المؤرخين الذين يجعلون تاريخ الرقي الإنساني والحضارة تاريخ الآحاد الممتازين من الناس

فإذا تذكرنا وحدة العقل البشري وتشابهه في الأزمنة المختلفة ، وأنه أسرع نضوجا في التفكير الذي يأتي به التفكير في الحياة والنفس والخلق منه في الأفكار العلمية التي تحتاج إلى تجارب عملية

حديثة ، وإذا تذكرنا أيضاً أن الإلمام بالمعنى لا يستدعي الإلمام بكل صغيرة وكبيرة منه ، وأن الجدة ليست جدة مطلقة بل جدة نسبية هي أشبه الأشياء بالاذاعة ، وأن الشاعر يكون أكثر نصيباً من هذه الجدة إذا لم يجد ما يصرفه عنه من التأمل في الحياة والخليقة والنفس وأخلاقها وآرائها — أقول إذا تذكرنا كل هذه الأمور حكمنا أن أبا العلاء المعري أحق بأن يسمى حديثاً من بعض المعاصرين . وأما قوله (عصرت ابن وقتي) ، فإنما يعني أنه متأثر بما يجري حوله من الحوادث وكثيراً ما يكون هذا التأثر عكسياً أي أنه يتأثر بها كي يظهر السخط والانكار

وإذا نظرنا إلى قول المعري :

فلتفعل النفس الجميل لأنه ... خير وأحسن لا لأجل ثوابها

وجدنا معنى كان معروفاً لدى المفكرين الاغريق قبله بقرون وعصور ، وكان هؤلاء المفكرون لا يميزون بين الفضيلة والجمال ولا بين الحق والحسن ، ولكنه مع ذلك لم يكن معنى دائماً ولا سيما في عصره وبعد عصره ، بل المعنى الشائع هو أن امتناع المرء عن المعاصي لا معنى له إذا لم يكافأ عليه في الآخرة . وقد يعظم هذا المعنى الأخير ويصحبه الخطأ الكثير حتى يتصور الرجل العامي أنه سيكافأ بأن يباح له ما امتنع عن عمله في هذه الحياة الدنيا ، فعند المعري الصلة بين الفضيلة والجمال وبين الحق والحسن . وكان الناس في عصره يرون أن الانسان علة المخلوقات والكون ومرتبته ، فأبان المعري عن ضآلة الانسان في الكون كما تفعل نواحي التفكير الحديثة ، وقال المعري بسنة تطور الأمم واضمحلالها وما يأتيها حتى أهل الحضارة فقال

سيسأل قوم ما الحضار وأهله ... كما قال قوم ما جديس وما طسم

وقال بتحكيم العقل كما قال فلاسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ومن أتى بعدهم

كذب الظن لا إمام سوى العقـ ... ـل مشيراً في صبحه والمساء

وإن كان يعترف بقصور العقل عن أمور كثيرة في قوله

سألتموني فأعيتني إجابتكم ... من ادعى أنه دار فقد كذبا

ورأى أن السلاطين والأمراء أجراء فقال

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

وقال :

إنما هذه المذاهب أسبا ... ب لجلب الدنيا إلى الرؤساء

وكل هذه الأقوال وأمثالها لم تكن من الآراء الشائعة المتفشية كما هي شائعة الآن، فلا غرابة إذا رأى القارىء في شعر المعري جدة في المعاني ، ولا غرابة إذا قيل انه كان سابقاً لعصره والحقيقة أن كل مفكر يرتفع عن مستوى جمهور عصره يكون من أجل ذلك سابقاً لعصره .

على أننا إذا نظرنا إلى حالة الدولة العربية في عهده من حيث السياسة والنزعات الدينية وما

وصلت اليه نهضة الدولة العباسية الفكرية، أمكننا أن نفهم الأسباب الظاهرة التي اشتركت مع أساليب من نفس المعري ومزاجه فهيأته للخروج عن أغلال التفكير المعهود لدى الجماهير في عصره، فإن الفوضى السياسية في أواخر الدولة العباسية كانت مصحوبة بفوضى فكرية، فظهر القرامطة وغير القرامطة من الطوائف الهادمة المتعددة، وتلك الفوضى السياسية وما صحبها من الطغيان والشر تفسر لنا أبياته التي ينزع فيها منزعاً يشبه الآراء الديموقراطية الحديثة والتي تدل على ضياع الثقة بالنظام الحكومي الذي كان يعد السلطان فيه ظل الله في أرضه عندما كانت الرعية تستظل بظل الأمن والاطمئنان بسبب قوة الخليفة. وكذلك لم يكن من غير الأمور أن يظهر مفكر مطلق التفكير من القيود كالمعري في عهد ظهرت فيه الطوائف الدينية والفكرية الهادمة المتعددة، إلا أن أكثر هذه الطوائف كانت تلجأ الى وسائل التعمية والتمويه والتأويل والأسرار أو ادعاء الأسرار لاجتذاب الجماهير لأغراض سياسية، ولعلها هذا يفسر لنا الأبيات التي يعيب فيها المعري على أصحاب المذاهب مسلكهم

فالمعري قد ارتفع عن مستوى التفكير والشعور السائد في جماهير عصره، ولو أنه كان متأثراً بعصره صادقاً في قوله (صدوت ابن وقتي)

عبد الرحمن شكري

اشتراكية أبي العلاء

ويا بلاداً مشى عليها أولو افتقار وأغنياء
إذا قضى الله بالتساوي فكل من فيك أشقياء

•••

كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

•••

لو كان لي أو لغيري قدر أنملة من البسيطة خلت الأمر مشتركا

وفاة أبى العلاء

ورأيه فى الموت وما بعده

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

انفق أبو العلاء عمره الطويل منذ مولده حتى وفاته فى داره بمعرة النعمان ولم يغادرها فيما روت التراجم الوثيقة سوى مرتين ، الأولى وهو حدث فى العشرين من عمره الى اللاذقية وطرابلس ليتكمل فى مكاتبها دراسته الاولى ، والثانية وهو شاب فى الخامسة والثلاثين الى بغداد حاضرة الخلافة ومثوى العلوم والآداب الاسلامية يومئذ ، وهنالك مكث عاما وسبعة اشهر اتصل خلالها بمجتمعات بغداد العلمية والأدبية ، ودرس فيها بعض كتبه ورسائله ، ووقف فيها على كثير من الآراء الفلسفية التى تجلت بعد فى تفكيره وشعره ، ثم عاد الى بلده معرة النعمان ليستقر بها حتى وفاته زهاء نصف قرن آخر

ستة وثمانون عاما هى عمر أبى العلاء منذ مولده حتى وفاته ، انفقها الحكيم الضرير والشاعر الفيلسوف فى هذا البلد الصغير معرة النعمان ، ثم ثوى بها الثواء الأخير فى مقبرة من داره المتواضعة التى عاش فيها فأسبغ عليها إبان حياته شهرة طبقت انحاء العالم الاسلامى ، وأسبغ عليها بعد وفاته ثوبا من الخلود لم ينصل حتى اليوم رغم تعاقب العصور والقرون

لبثت المعرة أيام أبى العلاء زهاء نصف قرن كعبة يحج اليها العلماء والطلاب من كل صوب ، يأخذون عن حكيمها أدبه وتفكيره ، وتترى اليه رسائل العظماء والوزراء واعلام الفكر يلتمسون مكاتبته أو مناظرته ، وهو فيما بين ذلك يحيا حياة هى غاية فى النسك والتقشف والزهد . فهو يلزم داره ولا يكاد يغادرها ويسمى نفسه « رهين المحبسين » . وهو يصوم معظم الوقت ولا يتناول من الطعام سوى العدس والفول وشيئا من الفاكهة ، وهو لا يأكل اللحم مطلقا ويدعو الى الكف عن ذبح الحيوان وتعذيبه ، ثم هو يلبس الثياب الخشنة الحقيرة وينام على لبد وحصير . وعلى الجملة فهو يجمد فى نفسه كل شهوة مادية ويخضع كل ميل الى المتعة والرفاهة والنعماء

وقد اقترنت هذه المظاهر النفسية المؤثرة بشخصية أبى العلاء وغدت أبرز صورة فى حياته وعلى ضوئها نستطيع أن نستعرض كثيرا من فلسفة أبى العلاء وآرائه فى الحياة ، ومع اننا حتى فى

هذا الفصل بموت أبي العلاء وفلسفته في الموت والعدم فقط ، فان هذه الفلسفة تسمو أكثر فيها ووضوحا متى عرفنا لمحة من آرائه في الحياة ذاتها . كان ابو العلاء يرى الحياة جحيما ، ويرى هذه الدنيا مشتركا من الشقاء والشر والاثم ، وان العدم خير من البقاء ، ومن ثم فانه خير للانسان الا يولد والا تكتحل عيناه برؤية هذه الدنيا ـ اليس هو القائل ؟ :

فليت وليداً مات ساعة وضعه ولم يرتضع من أمه النفساء

وهو القائل :

قضى الله أن الآدمي معذب حتى يقول العالمون به قضى
فهنئ ولاة الموت يوم رحيله أصابوا تراثا واستراح الذي مضى

وهذه المعاني والآراء في شعر أبي العلاء ونثره كثيرة يطول بنا المقام اذا حاولنا الاقتباس منها في هذا الفصل الموجز . بيد أنه يكفي أن نذكر قصة البيت الشهير الذي أوصى أبو العلاء أن يكتب على قبره عند ما حضرته الوفاة وهو :

هـذا جناه أبي علىّ وما جنيت على أحـد

فالحياة في نظره هبة آثمة وهي جناية الآباء على الابناء . ولهذا فقد رفض ابو العلاء أن يتزوج طول حياته ، وأن يرتكب نفس الجناية التي ارتكبها أبوه في حقه فيأتي بنسل يعاني جحيم الحياة كما عانى

والانسان ـ وهو أبرز مظاهر الوجود في نظر أبي العلاء ـ مخلوق آثم لئيم الطبع يتقلب في هذه الحياة خبثه وشره ، وقد خصه ابو العلاء بكثير من ذمه وتقريعه فهو يقول مثلا :

ان مازت الناس أخلاق يقاس بها فانهم عند سوء الطبع أسواء
أو كان كل بني حواء يشبهني فبئس ما ولدت للناس حواء

ويقول :

فآل حواء راعوا الاسد مخدرة ولم يراعوا سليم ربة الوجر
ومن أثام بظلم فهو صلدمه كحاطب التمر منتزا الى هجر
ثم المعاشر صاموا كل من صحبوا من صحبهم وأباحوا كل محتجر

والخلاصة ان أبا العلاء لم يجد في هذه الحياة من الخير ما يستحق أن يحرى الانسان بالاقبال عليها ، فهو يخاطبها ويذمها من أعماق نفسه وهو يهجو بنيها ويرى مثلها عناصر شر وإثم وفساد

وليس من موضوعنا أن نتقصى مصادر هذه الفلسفة التشاؤمية عند أبي العلاء وهي فلسفة تطبع شعره ونثره كما تطبعهما نزعته الاخلاقية الشهيرة . بيد أننا نذكر فقط أن الحياة القاتمة المكدرة التي عاناها ابو العلاء كانت أول مصادر فلسفته ، وانه عاش في عصر عبثت فيه عوامل

الاستبداد والثورة والحروب الأهلية في الشام ، وذاعت فيه النظريات المذهبية والالحادية في مصر في عصر الحاكم بأمر الله ، وسرت منها الى الشام كما سرت اليها نظريات القرامطة ومبادئهم الاباحية قبل عصر أبي العلاء بقليل ، وكان المجتمع من حول أبي العلاء يجيش بعوامل البغض والحقد والتطاحن وعدم الاستقرار

— ٣ —

توفي أبو العلاء بداره بالمعرة في يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول سنة ٤٤٩ هـ (٢٢ مايو سنة سنة ١٠٥٧ م) بعد ان عمر زهاء ستة وثمانين عاما

وقد نقل الينا ياقوت رواية عن وفاة أبي العلاء خلاصتها أنه حينما احتدم الجدل بينه وبين داعي الدعاة الفاطمي أبي نصر ابن أبي عمران في رسائلهما المعروفة التي كانت تدور حول رأي أبي العلاء في وجوب تحريم ذبح الحيوان ورد داعي الدعاة عليه ، رأى الداعي ابو نصر أن يستدعي أبا العلاء الى حلب ليرغمه على التنازل عن آرائه الالحادية وحسن اسلامه أو يقضي عليه، فلما وقف ابو العلاء على ذلك شرب السم ومات . وهذه رواية ضعيفة لا يقبلها ياقوت نفسه بل ينقلها الينا على علاتها

ويصف ابن خلكان منظر وفاة الشاعر الفيلسوف ، فيذكر لنا أنه مرض قبل وفاته ثلاثة أيام فقط ، ومات في اليوم الرابع . وكان لديه في مرض موته بنو عمه فطلب اليهم في اليوم الثالث أن يكتبوا عنه فتهيئوا برمته ، ولكنه أملى عليهم أقوالا مضطربة فقال القاضي ابو محمد عبد الله التنوخي أحسن الله عزاءكم في الشيخ فانه ميت ، ثم توفي في اليوم التالي . وأوصى ابو العلاء حين حضرته الوفاة أن يكتب على قبره البيت الآتي :

هـذا جناه أبي عليّ وما جنيت على احـد

وكانت وفاة أبي العلاء حادثا جللا تردد صداه في ارجاء الشام وارجاء العالم الاسلامي كله ، وحفلت المعرة على أثر موته بجمهرة عظيمة من الشعراء والادباء جاءوا ليزوروا قبر الشاعر الفيلسوف ولينشدوا بذكره . وينقل ياقوت عن أبي زكرياء أنه لما توفي ابو العلاء انشد على قبره بعد موته ارجة وثمانون شاعراً مراثيهم ، وكان من أشهرها وأروعها مرثية تلميذه أبي الحسن علي ابن همام وهي التي يقول فيها :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيرت ذكرك في البلاد كأنه مسك فسامعه تضمخ أو فما

وترى الحجيج اذا أرادوا ليلة ذكراك أوجب فدية من أحرما

ولبث قبر المعري بعد وفاته عصوراً مزاراً يحج اليه الناس من سائر الاقطار . واشتهرت المعرة باحتوائها على قبر الشاعر الفيلسوف حتى يومنا . وكان القبر كصاحبه غاية في التقشف والبساطة

وقد وصفه لنا الوزير جمال الدين يوسف القفطي حينما زاره في سنة خمس وستمائة فذكر أنه يقع في ساحة بين دور أهله وعليه باب فقال : فدخلت فاذا القبر لا احتفال به ورأيت على القبر خبيزى يابسة والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال . وذكر الذهبي أنه رأى القبر بعد رؤية القفطي له بمائة سنة أعنى في سنة خمس وسبعمائة فرآه على نحو ما وصف القفطي . هذا وقد لبث قبر أبي العلاء الى عصرنا على حاله من الاهمال والشعث والتهدم . ولا زلنا نذكر المساعي الكريمة التي بذلت منذ اعوام قلائل في الشام ومصر لاصلاح قبره ، وهي أمنية نرجو أن تكون قد حققت بما يليق بمصير السجينين الشاعر الفيلسوف وروائع تراثه وتفكيره.

— ٣ —

لأبي العلاء في الموت فلسفة خاصة ، فالموت في رأيه حقيقة أزلية والفناء ضرورة الوجود حسبما يقول لنا :

وضرور أن تبطىء المنايا والخلد في الدهر لا يجوز

والعدم في نظر أبي العلاء خير من البقاء حسبما قدمنا ، بيد أنه لا يؤمن بالحياة الاخرى فيما يبدو من شعره ، فهو لا يعتقد بخلود الروح بعد الموت بل يرى انها شعاع نوراني يخبو مع الموت ، وهو صريح في ذلك إذ يقول :

والنفس تعني باعباء مكررة وساطع النور يخبي نوره اللمع

ويزيد ابو العلاء على ذلك قوله بأن الموت يشمل الجسم والروح معا بالعدم المطلق فلا حس من بعده للجسم أو الروح :

لا حس للجسم بعد الموت نعلمه فهل تحس اذا بانت عن الجسد

ويستتبع ذلك ان أبا العلاء لا يؤمن بالبعث وهو صريح في ذلك كل الصراحة حين يقول مخاطبا المولى عز وجل :

ونهيت عن قتل النفوس تعمداً وبعثت أنت لقتلها ملكين
وزعمت ان لنا معاداً ثانيا ماكان أغناها عن الحالين

ثم ان أبا العلاء يرى أن الجسم بعد ان تفارقه الروح يغدو عرضا زائلا لا يستحق التكريم ويقول لنا :

تكرم أوصال الفتى بعد موته وهن اذا طال الزمان هباء

ومن رأيه ان يكفى في جثمان الميت أن يوارى في التراب بكل بساطة ، وهو لذلك يعيب على النصارى انهم يضعون موتاهم في توابيت من الخشب ضيقة لا رحب فيها :

قد يسروا المدفون حان مصرعه بيتا من الخشب لم يرفع ولا رحبا
يا هؤلاء اتركوه والثرى فله انس به وهو أولى صاحب صحبا

ومن الغريب ان ابا العلاء يمتدح في شعره تقاليد الهندوس في حرق موتاهم ويرى أن هذه الطريقة في اعدام الجسم أفضل وأكمل لصونه من شائع التحلل وما قد يتعرض اليه من نبش الصوارى

فعجبت لتحريق أهل الهند ميتهم وذاك أروح من طول التباريح
ان حرقوه فما يخشون من ضبع تسرى اليه ولا خنق وتطريح
والنار أطيب من كافور ميتنا غبا وأذهب للنكراء والريح

والخلاصة ان لأبي العلاء فلسفة في الموت وما بعد الموت كما أن له فلسفة في الحياة . واذا كان في نظرته الى الحياة يميل الى التبرم والتشاؤم فهو في نظرته الى الموت وما بعده يميل الى الشك والانكار . وهو في الحالتين متأثر بالفلسفة القديمة . ويبدو لنا نوع خاص ميله الى المذهب المادى ومذهب المتشككين . والى هذا الميل نستطيع أن نرجع كثيراً من آرائه الالحادية التى أخذت عليه وأثارت عليه في عصره ، وفيما بعد عصره ، حملات شديدة لايزال يتردد صداها الى اليوم في أقوال الباحثين والنقدة . بيد أنه يجب ان نلاحظ من جهة أخرى ان هذه النواحي الفلسفية هي أهم عناصر القوة والطرافة في شعر أبي العلاء وفي تفكيره (1)

محمد عبد الله عنان

رهين المحابس الثلاثة

سمى ابو العلاء نفسه رهين المحبسين : المنزل الذى اعتقل فيه نفسه من الناس ، والعمى الذى حجب عنه جميع مشاهد الحياة ، ولكنه أضاف اليهما محبسا ثالثا ، هو هذا الجسم المادى الذى احتجز روحه فمنعه من الانطلاق الى حيث يتطهر ويسمو ، فقال :

أرانى فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسم الخبيث

---

(1) راجع في هذا البحث الى معجم الادباء لياقوت ، وتاريخ الذهبي ، وابن خلكان ، ورسائل المعرى (نشر مرجليوث) ، وذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين ، وابن الوردي الخ

المعري يبعث حيا

بقلم المرحوم الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي

تخيل المرحوم الأستاذ المنفلوطي أن أبا العلاء المعري قد عاد إلى العصر الأول، فأخذ يشهد مساوئها ويرى مخالفاتها، ويبدي آراءه في أوصافها. وقيل إنه وضع في ذلك كتاباً بعد أثر وفاته، ولم يبق منه سوى ثلاث مقالات نشرت في كتاب «النظرات». فإن صح هذا فقد خسر الأدب العربي كنزاً ثميناً، فقد أخذ المنفلوطي وأبدع في هذه المقالات، كما يتبين مما نقتطفه من أحدها

ما كنت أجهل قبل اليوم رأي الشيخ في الطعام وما يجب منه وما يكره، ولكني ظننت أنه بعث بطبيعة غير طبيعته ورأي غير رأيه، فقدمت إليه في طعام العشاء دجاجات رملات كنت أعددتهن للضيفان من قبل، فما أخذ بصره القائمة صار ينظر إلي مرة وإليها أخرى ثم قال: «ما اسم هذا الطعام الذي تقدمه إلي؟» قلت: «إنهن دجاجات لم يكن للخادم المصري عندي شأن غير رعايتهن والقيام عليهن والعطف بهن، فكانت تؤثرهن بأفضل ما تؤثرها به من طعام وشراب، وتنزلهن من نفسها منزلة الواحد من أمه، حتى امتلأن واكتنزن واستدرن الدسم، وقد كنت أشفق عليهن كلما طرقني طارق إشفاقاً على الفتاة أن ينعصر صدرها حزناً على أترابها المعصورات، أما اليوم فلم أر من ذلك بداً فذبحتهن إكراماً لك فسال من دموع الفتاة عليهن أكثر مما سال من دمائهن».

فوجم الشيخ ثم أطرق إطراقاً طويلاً سمعته يهمهم فيه بهذه الكلمات:

«واحرحتاه! ألا تزال هذه المدى موكلة بهذه الأعناق، ألا يزال الحيوان الناطق يبكر على الحيوان الصامت حق حسه ووجدانه ورأيه إلا أن يقتله في سبيل الحاجات الصم لأنه صامت لا ينطق وأخرس لا يبين. ربما كان زقاء الديك، وقوقأة الدجاجة، وصرصرة البازي، وهديل الحمام، وزقزقة العصفور، وثغاء الشاة، ومواء الهرة، وخوار الثور، وحنين النيب بكاء بغير دموع، وشكوى بغير لسان، وربما كان يكمن وراء ذلك الضجيج في نفسه من الوجد والبرحاء ما لو استطاع أن يبين عنه لأبكى العيون دماً، وفجر الصخر عيوناً».

ثم رفع رأسه إلي وقال: «أما سمعت المسلمات يقلن لك شيئاً عند ما أردت ذبحهن؟» قلت: «لا يا مولاي ومن ذا الذي يسمعهن شيئاً فيقلن لي». فنظر إلي نظرة شزراء لا أنسى سهمها الواقع في قلبي ما حييت ثم قال: «أما لو أن الله منح بائع الدجاجة من نور البصيرة ما منحه من نور البصر لسمعها تقول له:

«ومهلا رويداً أيها القاتل السمك ! لاتمدن يدك الى ، فلا شأن لك معى ولا ترة لك عندى . أنا صاحبة الحق المطلق فى حياتى وأنا لا أريد ان أموت ولا رغبة لى فى فراق الحياة لأن ورائى أرامل صغاراً هن الى حياتى أحوج منك الى مماتى . وليس من الرأى أن آكل أمرهن اليك من عندى لأنك شره طماع لا يشبع بطنك ولا تهدأ معدتك

« أنت لا تملك أن تعطينى الحياة فلا تملك أن تسلبنى اياها

« كل ما تستطيع أن تمن به هو أنك كنت تطعمنى وتسقينى . فهل تعلم انك ما كنت تطعمنى الا فتات مائدتك ولا تسقينى الا غسالة يديك ، وأنك ما كنت تصنع ذلك رحمة بى ولا احسانا الى ، بل لتبقى لنفسك ما يسد شهوتك وبطنك ، لوعتها . وهل تعلم أنك أنت الذى سجنتنى فى أقفاصك وحلت بينى وبين رزق الله أطلبه أنى ذهبت وأين حللت من حيث لا يساومنى فيه مساوم ولا يجالسنى عليه مجالس . أمن أجل تلك الحثالة القذرة والجرعة الكدرة تسلبنى حياتى وتفجع بى أفراخى ، ولا ذنب لى ولا فضل عندك الا أنا كنا زينة بيتك ولعبة أطفالك وحملة آيات من نبات الأرض وهوامها ورسل القفر النير اليك

« لا تظلم السبع بعد اليوم ولا تنقم منه وحشيته وافتراسه فكلاكما وحش وكلاكما مفترس لا فرق بينك وبينه إلا أنه لا يحسن الذبح والطبخ كما تحسن ، فهو يبقر البطون بأظفاره وأنت تفرى الأوداج بمداك ، لا بل ان جريمتك أكبر من جريمته وعذرك أضعف من عذره ، لأنه يفترس ليشبع بطنه وأنت تفترس لترفه نفسك ، ولأنه يعجز عن الاحتيال لقوته وانت على ذلك من القادرين . استضعفتنى فجرؤت الى فهلا برزت لشبل الاسد . . . »

هيه يا صاحب الدجاجات حدثنى عنك ، ألم يكف لك فى جميع ما تحت الأرض من نخلها ، وكرمها ، وفومها ، وعدسها ، وبصلها ، مناديح لأكراش والقيام بحق . وأنت تعلم أننى رجل سلخت فى دنياكم هذه من حياتى الأولى بها وأربعين سنة لم أذق فيها لحم الحيوان ولا ثماره ولا نتاجه حتى حرمت على نفسى حتى عسل النحل وبيض الدجاج وألبان ذوات الأثداء ، واقتنعت بالبلسن طعاما والبلس حلوى ، لأنى كنت أعلم ان النبات طعامى الذى لا يلائمنى غيره ولا يشتهى سواه وأن لحم الحيوان انما خلق للشفاه الغليظة ، والأنياب العريضة ، والأظفار الحادة ، والحدود الزائرة ، والأعضاء المتوثبة ، والهامات الضخمة ، وكنت أرى أن أكلة اللحوم انما يخادعون أنفسهم فيها ويضطرون الى طعامهم اضطراراً لأنهم لا يأكلونها إلا إذا خلطوها بالطبخ والقصف والتقديد والشى والقلى ومزجوها بالخضر والتوابل والأبازير والأفاويه مزجاً يكاد يخرج بها عن جوهرها الى جوهر النبات ، حتى إذا نزل بهم عارض مرض زهدوا فيها ورثوا الى الله منها ورجعوا الى النبات فى طعامهم وشرابهم وعقاقيرهم كأنما يجدون شفاءهم فى الرجوع الى غذائهم الطبيعى الذى خلقوا له

وأعجب ما كنت أعجب له من أمرهم انهم كانوا ينكرون على رأيى فى ترك ذلك الطعام

ويعنون في مساءلتي عنه ويحتجون فيه ويحملون عليه، ويلحون في ذلك إلحاحاً شديداً، حتى ظننت أنهم قائل من دونه. كأنما يزعمون في سوء ظنهم عنده أنهم إنما يأكلون لحم الحيوان باسم الشريعة الحنيفية لا باسم القرم والنهم، أو أن الله تعالى أنزل عليهم قرآنا ألا يقيم لهم يوم القيامة وزنا ولا يقبل منهم صرفا ولا عدلا إلا إذا قدموا عليه يحملون بطونا مكتظة بلحوم الحيوان تتقدم بين أيديهم في معسكرهم من الحساب لتفتح لهم أبواب الجنان، وكأنهم فرغوا من أداء ما افترض الله عليهم أن يؤدوه وترك ما أمرهم أن يتركوه، فلم يبق بين أيديهم من أبواب العبادة إلا باب التورع عن أكل اللحم مخافة أن ينقلب المباح باعراضهم عنه حراما، كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم صلاة التراويح بعد أدائها مخافة أن تنقلب سنتها باستمراره عليها فريضة. وقد كنت امرأً فقيراً لا أملك في كل عام من الرزق إلا نيفا وعشرين دينارا لا يتسع مثلها لمثل ما يتسع له عيش الناعمين المترفين، وما كنت أجد السبيل إلى غيرها إلا من طريق الكدية والتكفف في خمول صلات الأمراء وصدقات المحسنين. وقد علم الله من شأني أني رجل لو علمت أني إن أذلت ما صان الله من ماء وجهي على عتبة أمير أو قدم وزير، أمطرت السماء علي ذهبا، واستحالت الحصباء تحت قدمي درا، ما فعلت ضنا بنفسي على هذا الموقف المتذلل وإيثاراً للرضاء بقضاء الله وقدره في قسمة أرزاقه بين عباده. فلم أر خيراً من ترك طعام لو اشتهيته لما قدرت عليه، ولو قدرت عليه لما اشتهيته، من حيث لا يكون للتحريم والتحليل، ولا للإيمان والزندقة في ذلك مدخل

وما زال المتورعون من السلف الصالح يتركون ما هو لهم حلال مطلق من لذائذ هذه الحياة وشهواتها ويعزفون عن ملابسته والدنو منه فرارهم من اقتراف السيئات، وارتكاب المحرمات، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيع نفسه من غير عوز، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول إن رسول الله لم يمتلئ قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك، فيقول: يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم. وكان يقول شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة. وعلا عمر رضي الله عنه ولده عبد الله ابن عمر بالدرة إذ دخل عليه فرآه يجمع في طعامه بين الثريد والشواء، وكان بعض الصالحين يعد الجمع بين الخبز والملح شهوة يتجنبها، وكان بعضهم يدفن دقيقه ويضعه في الشمس ثم يأكله قائلا: كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء، ومنهم من لم يأتدم قط في حياته لا بالجواذب والسكباج ولا بالخل والزيت. فويل لي من هؤلاء الناس شركتهم في دنياهم فقالوا شره طماع، وصدفت لهم عنها فقالوا زنديق ملحد، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

مصطفى لطفي المنفلوطي

المرأة في رأى أبي العلاء

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

ليت المرأة لم تخلق — خالقها عالم الغيب — وجوب الحجاب — لا ثقة بالمرأة — وأد البنات — الأصلح إمساك الولد عن أمهاتهم — تعليم المرأة — العروس مزوقة جثة الرجل الأولى — إنكار تعدد الزوجات — النسل قبل كل شيء — وإنما السعادة لا الرجل — لماذا لم يتزوج أبو العلاء

لا أحسب المرأة إلا مزهوة بما يقال فيها حمداً كان ذلك أو ذماً. فليس أحب إلى نفسها وأرضى لغرورها من أن تكون هم الرجال وشغلهم الشاغل. فسيان عندها عابد لها وناقم عليها مادام شديد الشعور بوجودها. ولعلها في قرارة سرها — وإن تصنعت الغضب — أشد استمتاعاً بلعنة اللاعنين لما فيها من اعتراف صارخ بخطر سلطانها وروعة فتنتها وعظم عواقبها

وأبو العلاء في طليعة الناقمين على المرأة، وهو القائل في لزومياته:

بدء السعادة ان لم تخلق امرأة

وليس معنى هذا أن أبا العلاء جامد الطبع ناضب العاطفة من ناحية المرأة، وإنه مسلوب الشعور بما فيها من جواذب وفتنة. وإنما هو على الضد في شدة حسه — كما قدمنا — بما لها من دولة آمرة وسلطان قاهر. وإن الصورة التي يرسمها لبنات حواء لأشبه ما تكون بصورهن في أعين أصبى الرجال الغيد وأشدهم تعلقاً بهن واشتهاء لهن. فهؤلاء بنات حواء — في قافيتيه المطولتين في اللزوميات — يطلعن كالظبيات في اللحظ والالتفات، ويخطرن ويرحن خواطر كالغصون متأودات، في وشي ثياب مورسات، وبالجوهر الفريد مقلدات، وفي حسنا الحلى متوشحات، معاصمهن بالأساور معلمات، وسوقهن بالحجول طوامر متيمات. خدودهن بالشباب موردات، وأكفهن بالخضاب موشمات، وبنانهن مخنيات. مرهفات القدود مهفهفات، في ضيق من الأزر مصممات، لحاظهن كالسيوف مجردات، ثغورهن عذاب بخمرة الريق مفعمات، تحمى حوافها من الحبب

عذبات ، صواحب منطق مترنمات ، مطربات بأثقال مهودات ، يشجين السامع قائلات ، ويملكن القلوب مكلمات . يترقبن الفتيان في السمحات ، وأفئدتهم من الشوق متصدعات . وأي زند شوق لم يقدحنه ، وأي رشيد عقل لم يحيرنه ، وأي راسخ حلم تركنه غير معتد !!

هذه بلا نزاع صورة المرأة في حلي فتنتها وحلل زينتها ولو لم نقل انها لأبي العلاء لظنها القارىء الكريم لأحد الشعراء الغزلين ، به المتيمين . ولكن ، أيرى القارىء أن كان أبو العلاء لا يعرف المرأة هذه الفتنة كلها ، ولا يدرك منها هذا السحر الغواية بكل سلاحها ، أكان يحذرها هذا الحذر ويحذر منها هذا التحذير كل تحذير البائس منها ؟ ثم ألا يرى بعد ذلك الصورة التي رسمها أبو العلاء للمرأة كيف أنها على كل ما فيها من فتنة لا تعدو توصيف محاسن الجسد ومشتهيات الحس ، وأنه لم يعرض فيها الى مزايا خلقية وشمائل نفسية ، وأنه حين ذكر ما يحببه الرجل عند المرأة من متع الحس لم يجر على طرف لسانه مرة اشارة الى العاطفة ومساجلة الحب وتآلف القلب وامتزاج الشعور

وما الغواني الغوادي في ملاعبها ... إلا خيالات وقت أشبهت لعبا

ولقد ذهب نيتشه فيلسوف ألمانيا الشاعر الى أن الرجل حين الرجل ، يرمع الى شيئين : المخاطرة واللعب ، وأنه من ثمة كان نزوع الرجل الى المرأة فهي أخطر لعبة

لا تحسبن الغانيات عواشقا ... ان الغواني جمة تبعاتها

والمرأة كثيرة المراغب قلما ينهض بها رجل ، فهي تريده شابا قويا ، وتريده وجيها غنيا ، وتريده لو يفرغ لها نهاره وليله . واذا حرمها امتناع هذا جميعه في زوج ، وكان لها أن تحذر لنفسها من تؤثر ، فانها في اختيارها لن تصغي لصوت غير صوت الغريزة

اذا خطب الزهراء شيخ له غنى ... وناشىء عدم ، آثرت من تمائق

فهي لا تعرف الحياة إلا من طريق المشاعر الحسية ، وهي لا تحيا الا بها ، ولا تهتدي في الواقع بغير هديها . واذا حسبتها مالكة على حيرة فرطت لعاشق في حسها ، فاعلم انها لا تسلم من حسد لها وخشية منها أن تسلب يوما قرينها . والمرأة انما تظهر التدين والعصبية مجاراة للعرف ولكنها أقرب تلبية لدواعي الطبيعة . ومن أظهر مراتعها حليها المجلوة في أعين الرجال وحرصها على أن تشوقهم ، ولن يقيها أن يصحب الرجال منها برأي ناصح وعظ واسع ومن يلزم على لا بد لها من المتائهم بحسها وعبادتهم لجسدها . فلا غرو أن كان المعري متشدداً في وجوب احتجاب النسوة في الخدور ، لا ينى يردد النصيحة ويلح في النذير

وأرى العروس تحجبت في دارها ... كتحري الآساد في الاحجار

وهو يخشى عليها من الجوار مهما حسن ، ويوصي بأن يكون التجاور « كتجاور البيتين

لن يتلاقيا » ، ويأبى عليها طلوع السطح حيث لا يأمنها أن « تكلم يوما فى السطح جارها » ، ولا يغنى أن يجيب بالجار نفسه متلطفا :

إذا شئت أن ترقى سطوحك مرة لأمر ، فآذن جار بيتك من قبل
ولا تفجأنه بالطلوع فربما أصاب الفتى من هتك جارته خبل

ولا تسل عما يأخذ أبا العلاء من اشفاق وما يملؤه من غيرة وتوجس لخروج النسوة من دورهن بعذر من الأعذار : تارة لشهود عرس ، وقد تبرجن وأبدين زينتهن ، متحليات بالأساور والحجول ، متضمخات بالعبير ، رافلات فى وشى الدمقس وسرق الحرير ، فهو يبادر إلى الأم ينبهها ويسدى لها المشورة

نصحتك يا أم البنات فطاوعى وساوس ولاج الأساود خناس
ولا تلبسى الحجلين منك والبرى لتشهد عرسا ، واشغليها بعرناس

وهو آونة أخرى ينبه رجل البيت

وإن طاوعن أمرك ، فانه عيداً يزرن عرائسـا متحجبات
أحدن كريش طاووس لباسا وصبغا بالضحى متلفتات

ثم إبلاغهن الحفلات العامة ، وما بهن إليها شديد حاجة ، وفى مثيلاتها فى عصر يوئتهن عن حيثما لوثق ومصدوحة ، ولكنها احدى معاذيرهن للخروج إلى زحمة الطرق ومطارح الأنظار ، فكأنما لا يصح فى عرفها الطهر ولا تتحقق بدونها نظافة البدن وحلاوة الحسن ، فهن لا يصبرن عنها ولا يتأن يختلفن إليها كل حين فى مواقيتها المعروفة ، متلفعات متكمات وهن من بعد طوامح الطرف متطلعات ، وعليهن من صنوف الأبراد ومصوغ الحلى ما يخلب البصر ويبهر اللب ، وقد رصد لهن فى غدوهن ورواحهن أصحاب الهزل من الرجال فهو يقول ناصحا المربين كعادته

ولا ترمق عرسك رائحات إلى حماميهن مكبات
فكم حلت عقود الظلم وهنا عقوداً للرشاد معظمات
وكم جنت المآثم من معاص تعود بها للناصية معصيات

وما بالك بما تتعرض له أولئك الغاديات فى عصر كعصر أبى العلاء صيره فجور المماليك الأتراك جندهم وقوادهم إلى حال من الإباحية الخلقية وفساد الحياة الاجتماعية لم يسبق به عهد لفسوقه كل طور ، وتجاوزه كل حد ، مما يجعل تحريم دخولهن إلى الحمامات أوجب من ذى قبل وأشد لزوما

ولا تلج الحمام ، قد جاء ناصح بتحريمه من قبل أن يفسد الناس
فكيف به لما اعتدى فى طريقه رجيب ، وحواش ، وتيج ، وأشناس
تمارج بالعرب الأعاجم ، والتقى على الفسد أنواع تنم وأجناس

كذلك كان لا يسكت عن ترددهن على الساحرات الذاكرات في طلب عطف الهاجر وتهييج الغائب من الخلان

وأبعدهن من ريبات مكر ... سواحر يفتدين معزمات
يقلن نهيج الغائب حتى ... يجيئوا بالركاب مزممات
ونعطف هاجر الخلان كيما ... يزول عن السجايا للشتات

وكان أخوف ما يخافه أن يغلب عليهن إيمانهن بالخرافات فلا يتورعن عن مواصلة السعي الى العرافين والمنجمين ، فلا يقف خطر هذا المحترف أو ذاك عند الكسب الحرام وابتزاز المال منهن بل قد يعدو الى طمعه فيهن أن يواتيه على القبيح

إذا ابتكرت الى العراف عرسي ... فكفك عصا تمسك به قراها
وخاطرها المنجم وهو ذئب ... تشوفه السوائم أن يراها
فلن من لم تجبه الى قبيح ... تخليها التمائم وامتراها

وجملة القول أن أبا العلاء يحرص على حجاب المرأة ولا يرى لها خروجا من الخدر إلا الى القبر

لزومها البيت مع احتشامها ... حتى يجيها الوعد من حمامها

وهو في حجابها متشدد مبالغ في التشدد بلا مهاودة ولا استثناء ، لا يقبل في خروجها عذراً سواء أكان للحمام أم للمسجد

شر على المرأة من حمامها ... لرسالك الفاصل من زمامها
ومشيها تضرب في أكمامها ... يفوح ريا الطيب من أمامها
وزورة المسجد في ظلامها ... تأثم ، والخيبة في اتمامها
بأجمل ما حجب من كلامها ... أمرها الخالق من إعظامها

وقد ذهب في مذهبه الى حد النهي عن خروجها للحج

أتت حسناء مكة كالثريا ... وحلت في المواطن فرقديها
ولو صلت عرفتها وصامت ... لأغنت ما نحاوله لديها
ولكن جاءت الجمرات ترمي ... وأصغى الغواة الى يديها
وليس محمد عنها أتمه ... ولا الله القدير مستحسنها

فأبو العلاء يرى المرأة شيطانة غوى ، تجر وراءها الفتنة حيث سارت ، وتهيج اليها الهواجس حيثما حلت ولو كان المكان قدس الاقصى ، سيان في مساجد المسلمين كما قدمنا أو في بيعات النصارى

هل قبلت من ناسج أمة ... تغدو الى الفصح بحليتها
كأنني يحبسها وصية ... بين غوانيها وشانها
ما بالها عذراء أو ثيبا ... مكورة الحاني بأبيانها

راحت الى القس تعربها   ويحها أولى بتعريبها
قد حرمت من قسه سيئا   والطيب حلو بجرابها
وروحها تسخط على روحها   البائس ، فى طاعة رباتها
قد وارت الخير ، وأثوابها   صامتة فتنة رجباتها

فشاعرنا لا يأمن المرأة . وكيف يأمنها وهى المحرك لسعة هذا العالم وما فيه من سعى وجهد وهو الذى تلفت يرى الناس إنما يعملون فى الحياة عاملين من إشباع بطنهم وإرضاء شهواتهم كائنة ما كانت ظواهرهم وبالغة ما بلغت أقدارهم

وأشرف من ترى فى الأرض قدراً   يعيش الدهر عبد فم وفرج

فلا أمان ولا اطمئنان ، على ان الخير كله لا يجىء الا أن يلطف القدر ويشاء الله

قد حاطت الزوج حرة سألت   عليها الموت فى حياطتها

وليس بعد هذا تسمع رأى فى المرأة وسوء ظن فى عفتها . على ان التظنن كله عصمة ، لأن أبا العلاء لا يرى لها عصمة على الاطلاق

وما تمنع الخود الحصان حصونها   ولو أن أبراج السماء حصونها

فدفنها هو الأمن الوحيد من عارها

ودفن الغانيات لهن أولى   من الكلل المنيفة والخدور

ولولا ما طبع عليه من الرحمة لذهب مذهب الجاهلية فى وأد البنات ، ولكان الدفن « لإحداهن إحدى المكرمات » ، ولما طاوعه لسانه أن يقول « لا تئدوا ! » ولم يكن عز عليه بعد الا أن يشفعها بكلمة الحق عنده فتتم كالمحدث لنفسه براحتها « وأكرم بالتراب مصاهرا »

لا توانسوا   فقد أبى طبع مثلى   تئدوا ! ـ وأكرم بالتراب مصاهرا

فالمرأة جلبة العار لأبيها ومعرضة له من بعد لزوجها ، ولا يصح ائتمانها على نفسها ولا الثقة فى حصانتها ولما كانت سمة الأسماء فى الآباء موضع الشك عنده ، فكان يرى الصواب كل الصواب فى انتساب الولد الى أمهاتهم على نحو ما جرت عليه الروم (وهم الليشيون فيما ذكره المؤرخ الاغريقى هيرودوتس)

ولعل الصحيح آثرت الروم   انتساب الفتى الى أمهاته

ومن كان هذا رأيه فى المرأة ، وكانت صيحته الإلحاح عليها بالبقاء أو على الأقل لزومها دارها حتى توافيها المنية فيؤمن عارها . فانه لا شك معارض فى تعليمها منكر له ، لأن التعلم حاجة اجتماعية ، وقد حكم عليها فيلسوف المعرة بالبعد عن المجتمع

علموهن النسج والغزل والرد   ن وخلوا كتابة وقراءة

وإذا كان لا بد من تعلمهن القرآن ، فلا بعض السور القصار فيها الكفاية للصلاة

فصلاة الفتاة « بالحمد » و « الإخلاص » تجزى عن « يونس » و « براءة »

ولما كان البحث لا يضمن أن تكون ما تهم فارقت جنبيهن ، حافظات الكتاب الكريم ، فهو يوصى ألا يدخل عليهن من المعلمين إلا عجوزاً متهدمة حد بها التفكير بما تمكر المرأة به ، أو شيخا ضريراً فانيا لا يبصر لهن فتنة ، ولا تسخه عليهن قوة

يأخذن التلاوة عن عجوز   من اللائى صرن مهتات

يسحن قلبك بكل جنح   ويركبن الضحى متمات

فما عيب على الفتيات لحن   إذا قلن البراءة منزجات

ولا يدنين من رجل ضرير   يلقن آية عن ذى سكات

سوى من كان مرتعشا بناء   وليس من الشيات

على أن أبا العلاء لا يرى للمرأة كشغلها بالغزل والردن ، وبما نصر ملاحظته أنه لا يقصد بالغزل والردن الى مجرد التدبير المنزلى بل الى شغل بال المرأة واستغراق وقتها وحواسها لعلها تنسى ما تحن إليه طبيعتها من طلب الرجال وتلهيها بغزل الخيط عن غزلهم

أو لا ، فإنه العرس من غزل لها   بالغزل ، فهى شقيقة الغزل

إلا أن أبا العلاء من عرفنا سلع بره بأمه وحبه لها فى مرثيته فى سقط الزند وفى الكثير من رسائله . فهو يكف فى لزومياته عن ذم المرأة وينسى عداوته لها حين يذكر المرأة الأم

العيش ماض ، فأكرم والديك به   والأم أولى بإكرام وإحسان

وحسبها الحمل والإرضاع تدمنه   أمران بالفضل نالا كل إنسان

كما أنه ألطف حسا وأسجح طبعا من أن يفوته تصور السعادة الزوجية أو تحقق بين الزوجين وفاق وأظلهما الصفاء . فالعروس الموافقة « جنة الرجل الأولى »

وجنتك الأولى عروسك وافقت   رضاك ، فلا أبغيك إلا حليلها

وهو ينكر تعدد الزوجات منذر بسوء مغبته ، شاعر بما فى الضرائر من ظلم المرأة وجرح لعزتها وأذاة لشعورها . فيقول فى الحث على الاكتفاء بالواحدة

وواحدة كفتك ، فلا تجاوز   الى أخرى تجىء بمزلات

ويحذر من النساء بأكثر من زوجة فى مناسبات عدة منها

إذا كنت ذا ثنتين فاغد محاربا   عدوين ، واحذر من ثلاث ضرائر

وإن هن أبدين المودة والرضى   فكم من حقود ضمنت فى السرائر

فرانك ما بين النساء أدنه   لهن ، فلا تحمل أذاة الحرائر

ويشير إلى ما فى تعدد الزوجات من الشح فى القسمة ومجانبة شريعة العدل فى المعاملة وهو يرى منهجة الساخر المتقد

تزوج عبد واحدة ثلاثاً وقل لعرسه : يكفيك ربعي
يرجيها إذا قمت هرت ويرجمها إذا مالت لشبع !
ومن جمع اثنتين فما توخى سبيل الحق في خمس وربع

فأبو العلاء العطوف الرحيم على كل ذي نسمة لا يجوزه الغضب على المرأة . وهو حين يلعنها لا يعني الاساءة اليها . وانما هو يعرف أن هذه المخلوقة الحبيبة الفاتنة هي حبالة الطبيعة لاستدامة النسل وبقاء الحياة . وهو دائم التعديد لأفانين زينتها وألوان وشيها وضروب حليها ، وما كان شاعرنا ليكره منها ذلك ، الا أنه يعرفها تتزين وتتحلى لا حبا في الجمال ، فما هو من همها لذاته ، بل اجتذابا للرجل وتشبثا منه واستيلاء عليه ليقوم كالعبد على خدمة النسل . فالرجل عندها وسيلة ـ كما يقول بيتشة ـ والولد هو الغاية . ومن ثمة كان لا يعنيها الوفاء لزوجها إذ تعارض مع الوفاء للحياة ، فلا تعدك أن تصون عرضها عن رجل يصد عليها ما تتطلب الحياة من مزايا . ولكن الولد بعد ذلك من فراش شرعي او غير شرعي ، فانه في حكم الحياة نسل على كل حال

وسيان من أمه حرة حصان ، ومن أمه زانية

وليس يبين العين فرق في كيان الخلقة بين هؤلاء وهؤلاء

وما ميز الاطفال في أشباحها لعين ، حل ولادة وعهار

فالمرأة لا شاغل لها غير وظيفتها الجنسية . وهي صنعها السعادة الكبرى تطلبها بكل السبل لنفسها ما استطاعت ، ثم لمن تحب من بناتها وجاراتها . وما من امرأة إلا تلذ الوساطة في تدبير الزواجات كما تهوى الفطرة الجمع بين الرجال والفتيات . والمرأة بوجه عام أحرص ما تكون على شهود الأعراس وتلقط أخبار العلاقات الزوجية والمغامرات الغرامية . وقد يحسن الرجل منا الظن بما بين رجل وصاحبته ، ولكن النساء أسوأ منا ظنا بأنفسهن فلا يصدقن اجتماع رجل وامرأة على غير ريبة . فليس لشيء لديهن تفسير غير تفسيره الجنسي فالجنس معنى الحياة عندهن وواسطة العقد في تفكيرهن وصور أحلامهن ، وذلك ـ ولا اختيار لأحد في ذلك ـ حكم الطبيعة وسبيلها الى النسل وبقاء النوع فلا غرو اذن وأبو العلاء إمام المتشائمين ومن أشد الكارهين الحياة أن يكون موقفه من المرأة موقفه من الحياة نفسها . فالمرأة هي الحياة مصورة على حد قول الأستاذ العقاد ، وهي الأحبولة عليها والكاهنة القائمة على محرابها تحمي نارها وتأبى أن يخبو أوارها ، وهي هي مصدر هذا البقاء بما انطوى عليه من شر وما يجره من شقاء . وطبيعي من أبي العلاء وهو يرى دنياه شرا أن يرى التناسل تعاقبا لهذا الشر : « تناسلوا ما شر بنسلهم » ثم يراه جناية يجنيها الناسل على ولده لانهم كما تشقى الدنيا بهم يشقون بها

على الولد يجني والد ولو أنهم ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعداً من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء

يرون أبا القائم في مؤرب   من الفقد ضلت عنه الأرباء

وهو يرى جناية الوالد على أبنائه مضاعفة لأنه إذ يطعمهم الحياة على ما فيها من عنت وبلاء ، يجر عليهم مصير كل حي من غشية الموت وصرعته : « دع النسل ، إن النسل عقباه ميتة »

ومنه :   وهبنا الدهر جنى بالثنايا   فلم فرحت بنشر لم تسر

لهذا ينصح أبو العلاء بعدم الزواج ، فإذا ألحت على الرجل الغريزة وخاف الإثم ، فله أن يتزوج ولكن إياه والنسل

نصحتك لا تنكح ، فإن خفت مأثما   فأعرس ولا تنسل ، فذلك أحزم

وأسلم وجه الزواج دون نسل زواج العقيم

أرى النسل ذنبا للفتى لا يقاله   فلا تنكحن الدهر غير عقيم

وهو يعجب لمن يعيبون عقم المرأة عذراً يبرر طلاقها وهو أولى بطلبها وإيثارها

إن اليهودي حل حبله امرأة   كانت عقيما ، وخير النسوة العقم

وأبو العلاء حريص على تقرير هذا الحكم وتكرير الدعوة إلى العقم ، لأنه كاره الحياة معتبر إياها شرا ، ويرى أن العقم انتحار المجتمع وانقراض النوع وإبطال الحياة على أهون وجه بعد جيل واحد

وعطلوا هذه الدنيا ، فما ولدوا   ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

وإنه ليدهش من الفئة الأمراح في الأعراس مع ما في الزواج من وخامة العقبى

يا مرح من معرس ، أفما درى   ما اختار من سوء المآل وما جرى

ثم يمضي يؤرخ شر تاريخ الزواج من بدء أن عرف الرجل الأول المرأة الأولى

سعى آدم جد البرية في أذى   البرية في ظهره تحت الثرى

تلا الناس في النكراء نهج أبيهم   وعمر سوء في الجناية كما جرا

ولعله بعد ذلك في أن تصوره الفاجع لما يلقاه الأحياء عامة من محن وشدائد من جراء خروجهم للحياة بالغ في غموضه ما يرجعه من أثر . فهو يعمد إلى تذكيرنا ما نحن فيه من عنت وبلاء علما منه أن كل إنسان أحس بعنائه ، وأملأ به روعا ، وأشد له التياعا ، فمتى ذلك يكون أشجع منا عند أمنا الا نخلف بعدنا خلفا ، يلقون ما لقينا ، ويكوون بما اكتوينا

والفانك فيها والهالك ، فلا تسع   بها ولداً يلق الشدائد والنكرا

ثم ماذا يرجو الوالدان من الولد ؟ إن كانا يرجوانه لكبرهما عند سوء الحال وطيش السهم ، فما نصيبهما منهم إلا العقوق

فكم ولد للوالدين مضيع   يجازيهما قتلا بما فعلاه

طوى عنهما الثوب الزهيد بخاسة   وجراه ساترا الحرير وأرفلاه

يريها طرفاً من العيش شائقاً ... كأنهما هبا معنى تبلاه

يلم اذا ما ادعها ، واذا سرى ... له الشكر بث النفس ما اكتحلاه

يذم لفرط الحب ما حلا به ... وأحسن وأجمل بالذي فعلاه

فكل شيء، كما قدمنا، فيه مقنع على أن المرأة حبالة شر ، وأن الزواج شر ، والنسل جناية . فما بال الخلق يتزوجون وينسلون ؟ ليست القضية هنا قضية عقل ، ولا المجال هنا مجال منطق . إنما الطبيعة تسوم بني آدم في خدمة أغراضها سوم البهائم

كبار أناس مثل جلة سائم ... يربون أطفالاً كما ارتضع البهم

إذن ، فما بال أبي العلاء لم يتزوج ، مثله في ذلك مثل سائر الناس ؟ أتراه معتداً نفسه من طينة أكرم من طينتهم وجبلة أزكى من جبلتهم ؟ أو اعتقد قلبه ما كان يكون معطلاً ولا عبثاً في نظر الأكثرين . ولكن الرجل ما برح إذ يذكر الناس ، يذكر أنه منهم ، حاشراً نفسه في زمرة من يذمهم ويزري عليهم

بني الدهر ، مهلاً إن ذممت فعالكم ... فإني بنفسي لا محالة أبدأ

أما الأمر كله أنه مفكر لا كالمفكرين . فقد قضى حكم الحياة أن يعيش هؤلاء ما عاشوا بشخصية مزدوجة ، يطلون على الناس برؤوسهم في عليين ، وما سواها فغارق مع سائر الناس في اللذة ومأخذاً للسرور . وهم يمسكون من الحياة أكاذيبها ، ولكنها عندهم أكاذيب حيوية ضرورية للحياة التي هم أسراها ، فتراهم يرفضونها فكراً ويعيشونها واقعاً . أما أبو العلاء فقد قارب جهد الطاقة ما بينه في الواقع الوجود وبين مثاله المعنوي المنشود ، ورفض عملاً ما رفضه قولاً ، واستطاع أن يعيش أفكاره . وذلك مطلب جد عسير ، لعله لم يكن بالغه لولا أن تعاونت عليه ظروف وملابسات منها كفاف بصره وفقره ، وما ورثه من خصائص خلقية كوقاره وكرامته على نفسه وتعفف حسه بوازع السخرية ، وما انقطع له طوال عمره من إدمان التحصيل والدرس وإطالة التفكير والبحث ، واصطناعه كل علاج شأنه إماتة الجسد من تحريم لأكل اللحوم من حيوان وطير واقتصاره على الشعير والعدس والتين ولبسه غليظ الثياب واغتساله بالماء البارد في الشتاء ، وغير ذلك من عوامل إرادية وخارجة عن إرادته يعرفها من قرأ سيرته

وبعد ، فلا بأس أن نختم هذا العرض لرأي أبي العلاء في المرأة دون الاعتذار لفيلسوفنا عنه سيداتنا . فالرجل — يا سيدتي — حين ذمك لم يمدح غيرك . بل برم — شأن السادة المتشائمين — جميعاً : بكل ما طلع به نهار وخيم عليه ليل ، بالحياة كافة وبالأحياء أجمعين

فأف لعصريهم نهار وحندس ... وجنسي رجال منهم ونساء

عبد الرحمن صدقي

مقارنة بين علمي الشعر العربي

المعري والمتنبي

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

> المتنبي رجل قوي مسرف طامع في الملك والمال أي رجل حياة وكفاح ، أما المعري فيمثل أعلى مراتب الفكر ، مثل ذلك الفيلسوف الذي تحدث عنه كونفشيوس وقال أنه لا يحتاج إلا القلائل فيملكهم ويحكمهم

المتنبي أول شاعر قرأته وأحببته وصحبت ديوانه حتى حفظته عن ظهر قلب ، وظل طويلا تحت وسادتي ، وقد خلت مكتبتي الآن من دواوين الشعر العربي ، أخذها أصحابي ولم يعيدوها ، ولكن بقي لي المتنبي يغبط به شاكسبير من ناحية وشوقي من الناحية الاخرى. أحببت في المتنبي قوته ورجولته ، والألم المنبعث من نفس حساسة معذبة . ومما حببه الي أيضا أني كنت أفهمه تماما بلا حاجة الى « الشروح » و « التعليقات » ، فان لم أفهم ألفاظه فهمت معانيه ، وان لم أفهم معانيه فهمت أنه كبير الآمال جيد الرأي وهذا يكفيني منه

وكنت أكره المعري لسببين :

الأول اني كنت صغيراً حين قرأته فلم أفهم مايريد أن يقول ، ولا أحفظ له غير قصيدته المشهورة في الرثاء « غير مجد في ملتي واعتقادي »

والسبب الثاني أن لنا جاراً شغوفاً به . وكان هذا الجار كلما التقى بي امتحنني في بيت من أبي العلاء ، ويبرهن لي أني لا أفهم شيئا ما دمت لا أفهم أبا العلاء

وسبب آخر : لقد كنت أؤمن أن الشعر عاطفة ، عاطفة محضة ، وكنت أعتقد أن حكمة المتنبي ليست « فلسفة » بمعنى الكلمة ، بل هي حكمة صادرة عن قلبه وألمه وتجاربه . وطالما دافعت عن نظريتي في الشعر وهي أن الشعر عاطفة فقط . واتهمت الذين يحشون الفلسفة في الشعر بأنهم يفسدون الشعر علينا

ولكن الانسان كلما تقدم في العمر طرأ عليه ما ليس في الحسبان . فان مقالا واحداً قد يغير مجرى التفكير تغيراً تاما . وهذا ما حدث لي . جرى تطوري في المعرفة على قصة المروءة ـ قصص وشعر (عاطفة) ـ حكمة ـ فلسفة ـ تصوف . وبينا أتنقل من كاتب لكاتب ، أشغف بهذا ثم أتركه لآخر . تعلقت حينا بالعلامة المشهور جون ستيوارت ميل ، فقرأت له يوما مقالا عن « الشعر » علمت به ما لم أكن أعلم

ومنه أصبحت أنكر ما كنت أومن به سابقا ، وهو أن الشعر عاطفة محضة . وهذا المقال المزيد بحثه في كتاب « مقالات نقدية القرن التاسع عشر » طبعة أوكسفورد ، وملخصه أن الشعر عاطفة حقا ولكن يجب ان يكون له « جلباب » من الفلسفة . ولم ألبث بعد ستيوارت ميل أن تعلقت بالحكيم « رسكن » فقرأت له مقالا عن « شلي » العاطفة في الشعر وهو لا يخرج في معناه عن مقال ميل . .

فأصبحت اقرأ الفلسفة مبدأت بالسهل ، وصرت اتدرج ، حتى وقع لى كتاب من أصعب الكتب وأغلاها قيمة كان هو السبب في قراءتي لأبي العلاء من جديد ، هذا الكتاب هو كتاب « العبقرية » للفيلسوف بيكمنتش الروسي . بعد قراءة هذا الكتاب أخذت أبحث من اعمال « الشاعر » أبي العلاء ، الفيلسوف الشاعر المنزل الزاهد متتبع « العبقرية » في الأدب أجيالا قبل أن ينتبه الشعراء اليها . . أصبحت التفت الى أبي العلاء ، فوجدت نظرتي اليه قد تغيرت تماما ، وأعتقد ان ذلك ناشئ من ضيق الفهم الادبي في السنين ، فالمعرى لا يصح ان يقرأه الناشئ ، ولا المثقف ثقافة سطحية . وقد شكا الى صديق من كبار المتأدبين ، ان لمشار أبي العلاء في الروميات متشابهة وانها كلها تدور حول نقطة واحدة ، فنبهته الى خطأ هذا الزعم وبينت له انه أعمق بكثير مما يظن الناس . ومثل الشاعر الانكليزي من هذا الطراز ، لا يحسن تذوقه الا المتمكن في الدرس والثقافة ، ووردسورث كذلك ، فمع شعره آثار الاطلاع الواسع والثقافة العميقة ، ولكن النقاد اليوم ينكرون عليه شاعريته ، ويقولون أن عاطفته « ضحلة » ولولا عمقه الغزير ما قرأه الناس ، وأن الشاعرية الكاملة يمثلها شلي وحده

كنت أعتقد خطأ ان فلسفة أبي العلاء هي مجرد تأملات رجل « يمس » التفكير ، حتى أحطت بما كتب عنه ، فصار ابو العلاء في نظري « سقراطا » ثانيا ، يسخر ويطغى ، ويطغى ويسخر ، فصار في رأي « بكمنتش » « ضمير الانسانية » يستيقظ ويوقظ . . . يقظة صارمة تثير الشك للعقيدة ، وتدعو الناس الى اعادة النظر في أمور الدنيا !

* * *

بعد هذه المقدمة نقارن بين المتنبي وأبي العلاء . والموازنة بين هذين الشاعرين تحتاج الى مجلد ضخم ، ويحتمي ضيق القلم عن الاسترسال في الكلام عن شاعرين أصبحت احدهما صغيرا وشبت حبه معي لم يتغير ، وأحببت الثاني على « فهم » وكبر

لا يمكن أن نفهم شيئا عن المتنبي أو أبي العلاء بغير أن نلم الماما بسيطة بعصريهما . العصران متقاربان ، المتنبي يسبق المعرى بستين عاما ، وكان ابو العلاء من أشد أنصار المتنبي ، وقد قلد شعره في طور من أطوار حياته الادبية ، ودافع عنه ، وتعرض بسبب ذلك الى الأذى ، والقصة التي بينه وبين الشريف المرتضى مشهورة . غير أن الفترة التي قضاها المتنبي في بلاط « سيف الدولة »

كانت عصر أمن نسبي ، فسيف الدولة كان رجلا عظيما ، وطالما حارب وانتصر دفاعا عن الاسلام ، وطالما رد الروم في غزوات عدها ووصفها المتنبي ، ولم يكد سيف الدولة يموت حتى أخذ ذلك الحصن المتين ينهار ، وكثر الطامعون والمغيرون ، والاعلال والمدعون الخطرة ، والقائمون بالسيف والقائمون بالحيلة . فعصر أبي العلاء كان عصراً مضطربا مليئا بالانقسامات والدسائس ، ولا أعني بذلك أن عصر المتنبي خلا من ذلك وقد كانت الفتن مشتعلة والاحزاب قائمة ، ولكن سيف الدولة كان « الرجل » الذي جرى في خيال المتنبي

والمتنبي كان جبارا تام الرجولة ، وابو العلاء كان كسيف البصر ، فأقعدته هذه العلة عن السير في السبيل الذي طرقه المتنبي لبلوغ أمانيه ، ولئن كانت الآراء الجديدة والافكار الكبيرة هي هي عند كليهما . وليس ذلك بغريب في عصر كان الناس فيه في حاجة الى « رجل » ، بل الأصح الى « رجل عربي صحيح العروبة » يبرأ من الاسلام الفرس والروم والديلم والفاطميين وغيرهم وغيرهم. أقول « صحيح العروبة » ، فقد كثر المتعربون والمستعربون وصار العرب الحقيقيون يكونون جزءا صغيرا منعزلا عن البادية ، ومن قرأ تاريخ تلك الأيام بامعان ، يقرأ أسماء غريبة ، يقرأ اسم توشكين وابن سكتكين ، وغير ذلك . . .

فانظر الى أي حد اختلط الحابل بالنابل

ومن العجب ان الاختلاط السياسي تم في غلة ارتفاع لغوي ، ولكنه أدبي في « المعاني » أي ثقافة وفلسفة من هنا وهناك ، أما الألفاظ العربية الصحيحة فيظهر أنها أخذت تختفي ، ولعل القوم كانوا في حاجة الى « جمع لغوي » أكثر من حاجتنا اليه اليوم

وقد أحس المتنبي بذلك ، وابو العلاء شعر به ، ويذكر الكاتب « هنري رلاين » في كتابه « ابو العلاء السوري » ان المتنبي كان يترك الحواضر الى البوادي أياما بطوال ، لكي « يتصيد » اللفظ العربي الصحيح ، ولكن المتنبي كان فنانا قبل كل شيء ، فإذا طاوعته اللفظة في شعره وضعها ، وان لم تطعه وضع غيرها سواء أجرت على القياس أم لم تجر . . .

أما ابو العلاء فقد كان من علماء النحو والصرف والعروض ، وكانت احاطته باللغة احاطة منقطعة النظير ، واعتقد انه « التزم ما لا يلزم » ، معتمدا ان يحفظ للغة العربية « كلاسيكيتها » في عصر كثرت فيه الفوضى وصرعت أصحابها . وابو العلاء كان يستطيع أن يكون أي شيء ، كان يستطيع ان يقول كما قال المتنبي ، قولا ثائرا جزلا ، ويرق رقة ابن العتاهية ، فصده عن الخيال وعن « الطاقة » ، الشعرية ما يدركه لأول وهلة من قرأ « رسالة الغفران » ، وان تكن نثرا لا شعرا

وانما تعمد ابو العلاء ان يحفظ للغة القرآن جلالها وروعتها وأصولها

يذكر الذين قرأوا تاريخ عصر أبي العلاء ان صالح بن مرداس كان من أبطال ذلك العهد ،

كان شجاعاً حاداً كما قوي المراس ، فمشى الى « المعرة » في بعض جنوده محاصرها ، ويظهر ان المعري كان سيد اهل بلدته بالفكر أو بالنسب — فخرج اليه يشفع لقومه ، وقدم له استرحاماً آية في الرقة ، جعل ابن مرداس على غلظته يفك الحصار ويعفو ...

ووصف ذلك ابو العلاء بقوله :

فيسمع مني سجع الحمام وأسمع منه زئير الاسد

ولماذا نذهب بعيداً . من يقرأ رسائل أبي العلاء لأصدقائه واخوانه يرى النثر الصافي الرقيق العذب الذي يكتبه ابو العلاء على سجيته لا تشوب فيه ولا تعسف وان كانت تغلب عليه « الصنعة » والمحسنات البيانية

* * *

المقارنة بين ابي العلاء والمتنبي تقتضي النظر في :

(١) أثر الوراثة

ولد المتنبي في الكوفة وقد زعموا ان والده كان يسقي الماء على ظهر جمل ، فهل حسب هذا القول كان وضيع الأصل ، وهذا قول لا دليل على صحته مطلقاً ويخيل الي ان حول ولادة المتنبي سراً أخذه معه المتنبي الى قبره ، وكانت تعرفه جدته التي تولت تربيته . وقد اخبرته به ، وأوصته ان يكتمه ، فولد كتمانه في نفس المتنبي مغصاً وتمرداً كان لا شك سبب الثورة الدفينة في أعماق نفسه ، فهو يوقن بنبل أصله ولكنه لا يستطيع أن يقول ولو لم يكن نبيلا ما جرى في شبابه الى القبائل يجمعها حوله ، والعشائر يدعوها الى النضال حوله لغرض كبير ، ولو كان ابن سوقة ما جلس احد ممدوحيه العظام بين يديه ، وقد اجلس أبا الطيب مكانه ، ولو كان ابن سوقة ما جرت الالفة والمودة بينه وبين سيف الدولة ، ولما تطلع الى « خولة » أخت سيف الدولة حباً وطامعاً في الزواج كما تدل قصيدته الخالدة :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب

فهذه قصيدة غير عادية ...

كلا ان جمال جده على ما ذكر الرواة ، وتلك « الثورة الخفية » التي تصل الى ادبه ، لا تدل على صحة الاصل . وشعره ليس فيه بيت واحد ينم على اصل خسيس ، ولعمري لو كان وضيع الاصل لنم عليه ولو بيت واحد من شعره ، فالشعر مرآة لا تكذب ابداً . وقد يكذب المرء ما شاء ولكنه لا يستطيع ان يكذب في شعره ...

فانا أومن بنبل أصل المتنبي ايماناً تاماً ، وأوقن ان أعداءه وحساده هم الذين خلقوا هذا « السقاء الكوفي » خلقاً وجعلوه أبا المتنبي

فسر القوة في شعر المتنبي ، هو ذلك السكتان الذي عاناه منذ صباه ، والذي جعل في باطن عقله « عقدة » كما يقول علماء النفس

أما المعري فقد ولد بمعرة النعمان ، ونسبه لا خفاء فيه ، فهو من أسرة عريقة في الفضل والعلم – على الأقل من ناحية أمه – ولا شك مطلقاً في أثر ذلك في بناء شخصيته . أما « العقدة » عند المعري فهي بلا شك فقدان بصره وهو صبي

فنحن نرى إذن أن المتنبي يعرف من أين أحصر ولا يستطيع أن يدفع ذلك لسبب لا يعرفه أو يحاول أن يدفعه فيضطرب ويصخب ، والمعري يعرف باليقين من أين أحصر . ويشعر مع ذلك بالقوة الموروثة الجارية في دمه . ولكنه فقد بصره . فيحول ذلك دون ما يبغي من المطامح الواسعة

(٢) أثر البيئة والحوادث

كلا الرجلين يضيق ذرعاً بمكانه الصغير حيث ولد ، وكلاهما يخرج إلى الدنيا الواسعة ليجرب حظه ، المتنبي يترك الكوفة ويثير ضجة حوله . فيقبض عليه ، ويسجن ثم يطلق سراحه ، فيعود إليها ، ثم يغادرها ليهجرها من جديد ، وينتقل من هنا وهناك ، يبحث عن « رجل » فلا يجد ، فيعود إلى الكوفة ليرى جدته ، فيسمع لسبب مجهول ، فينقلب إلى الشام ، في طلب ذلك « الرجل » الذي يتمناه في حياته . يلقى التنوخيين في اللاذقية ، ثم يتصل ببدر وغيره ، وكلما شعر ربما أصبح له صديقه ، حتى اتصل ببدر بن عمار ، ولكن الوشاة أفسدوا عليه أحلامه ، وها هو ذا ما زال يبحث عن « رجل » يعينه على مآربه البعيدة ، ويخرج إليه دخيلة نفسه ، حتى اتصل بسيف الدولة في حلب ووجد الضالة التي ينشدها من قديم . أما أبو العلاء ، فخرج من معرة النعمان يطلب العلم والجاه في بغداد ، ولكن بغداد وأهلها خيبوا ظنه ، فانقلب راجعاً إلى المعرة وقد ألزم نفسه أموراً صارمة ، أخذ نفسه بها إلى يوم وفاته . ثم نجده « رهين المحبسين » حالة عند أهله ، فترك البحث وانقلب إلى عزلته يدرس ويفكر ويتأمل . فكلا الرجلين شعر بضيق للمكان الذي ولد فيه ، فخرج إلى الدنيا العريضة يبحث عن مثله الأعلى ، أما المتنبي فقد أدى به مرماه إلى سيف الدولة ، أما المعري فلم يجد أحداً فلجأ إلى العزلة واستن لنفسه سنة صارمة ، والتزم ما لا يلزم . أما المتنبي فقد اندمج في غمار السياسة وطمع في السيطرة والملك ليحقق ما يرجوه من مثل أعلى ، أما المعري فعرف عبث الاشتراك في تلك الفوضى التي لا حد لها ، وهو من أجل عاهته المحتومة ، بالطبع لا يستطيع أن يشترك في أمور تحتاج البصر وما هو أبعد من البصر عقلاً ، فانصرف إلى ما يصلح له حقاً ، وهو الدرس والتأمل ...

(٣) الانكباب على الدرس والاطلاع والتحقيق

أما المتنبي فدراسته بدأت بالكوفة ، ونمت ونضجت في بلاط سيف الدولة ، حيث توافرت لديه المؤلفات والمراجع . وكان يجد منه مضطراً للاتقان والتجويد لكثرة الحساد والاعداء الذين كانوا ينتظرون فرصة للتشهير به . ولكنه لم يجعل شعره سجلا لثقافته الواسعة . ولكن كان شعره سجلا لعواطفه وحوادث أيامه . ويمكننا ان ندرس حياة المتنبي من شعره دراسة تامة . اما الموارد التي استقى منها المتنبي فهي الشائعة في تلك الايام ، وأغلبها مترجمات عن اليونانية والفارسية والهندية بين أدب وفلسفة . وأعتقد ان المتنبي كان مضطراً الى الدرس والتحقيق ليكون كفؤاً لشعره الملوك الذين جعل نفسه نداً لهم لا مادحا . ومن الواضح ان اشتراكه في عالم السياسة والخصومات الحربية ، لم يترك له وقتا كافيا للاستزادة من القراءة والتحصيل ، وهذا سر الفرق بينه وبين المعري الذي انقطع للعلم زهاء أربعين سنة . أما المعري ، فقد ساعده انقطاعه التام لتحصيل العلم ، على بلوغ الغاية التي ضمنت له الخلود . وقد اشتغل بالشعر والنثر والفلسفة ، واللغة بكل فروعها ، وألف كتبا كثيرة جداً ضاع أكثرها مع الاسف . فالمتنبي جعل شعره القوي الثائر الذي هو سجل كامل لنفسه وزمنه ، شعر تدعمه الثقافة والاطلاع الواسع ، صادر من القلب توا ، مبني على أساس متين من التفكير السليم والعقل الراجح . أما المعري فرجل دارس Scholar جعل شعره في أيامه الأخيرة اي في اللزوميات ـ سجلا لمعرفته وقاموسا لمعلوماته . وهو مع كل ذلك لم يخل من قصائد ـ خاصة في الرثاء ـ تتجلى بها العاطفة القوية الرائعة

(٤) تشبيههما

المتنبي رجل قوي متمرد يطلب « حقا » ويجري وراء ثأر ، طامع في الملك والمال ، يبحث عن « مثل أعلى » يحبب اليه ، وعندما يعثر على سيف الدولة ، يجري من الحوادث ما يخرجه من بلاطه حزينا كئيبا ، وقد ظفر المتنبي بالمال والشهرة ولم يظفر بمطامعه السياسية . وقد عاش وهو ثائر ، ومات وهو ثائر ، ما أحب الحياة ولا الموت وبقيا حية في ذلك القلب القوي العصيب الذي ظل ينبض تحت التراب كما نبض فوق ظهره

أما أبو العلاء فيمثل أعلى مراتب العقل ، ذلك « العقل الهادي » الذي تكلم عنه كونفوشيوس الصيني فقال أنه لا يتاح الا لقليلين جداً . . . ذلك العقل الذي ملك وحكم وصارت له السيطرة على صاحبه ، وعلى الحوادث حوله ، لا تزعزعه العواصف ، ولا تؤثر في تفكيره الأعاصير عقل ابي العلاء أمره أن يعتزل فاعتزل ، وأن يزهد فزهد ، وأن يلزم محبسه فلزم ، كل ذلك في هدوء وقوة وصبر هي من مواهب المختارين الذين أنعم الله عليهم ووهبهم من سره العظيم

ابراهيم ناجي

نواحى التجديد والتقليد

فى نثر أبى العلاء

بقلم الاستاذ سليم الجندى
عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

ظهر ابو العلاء الى هذا الوجود فى النصف الثانى من القرن الرابع للهجرة ، وهو العصر الذى نضج فيه العقل العربى ، وزخرت فيه بحور العلم وأثرى فيه الأدب ، ونزع الكتاب والشعراء فيه الى الترف الادبى وأولعوا بالتأنق والزخرفة ، وكانت جمهرة الكتاب تترسم خطى ابن العميد فى الطريقة التى شرعها فى الانشاء ، لما بينها وبين الشعر من الصلات الوثيقة والأواصر المحكمة ، حتى قيل : انها شعر لا ينقصه إلا الوزن

ولا شك أن الانشاء فى كل عصر مظهر من مظاهر العقل ، ومعرض يعرض فيه الكتاب ثمرات قرائحهم ونتاج أخيلتهم ، وميدان يظهر فيه كل واحد منهم ما أوتيه من حول وطول

وقد نهج ابو العلاء مع الكتاب نهجهم ، وسلم سرحه حيث أساموا . ولكن غزارة علمه وسعة مواهبه الفطرية حتمتا عليه أن يخرج عنهم فى بعض طرقهم ، وأن يشق لنفسه طريقا يكون أبا عذرتها ففعل ، وجشم نفسه ما لم يجشموا أنفسهم

غموض لغته

هل كان فى لغته غموض متعمد؟

كان ابو العلاء واسع الاطلاع على أساليب البلغاء ، بصيرا بالدقيق من أسرار البلاغة ، عالما حق العلم باللغة ، محيطا بالغريب والنادر منها ، ولا أغالى اذا قلت : انه كان يعى فى صدره من أبنيتها ومفرداتها ما لم يحط به عربى قح . وقد قال تلميذه ابو زكريا التبريزى — وهو أعرف الناس به وأصدقهم شهادة فيه — ما أعرف ان العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها ابو العلاء . وذكر ان جماعة ممن كانوا يقرأون عليه أرادوا أن يختبروا علمه ويمتحنوا حفظه ، فوضعوا حروفا وألفوها كلمات ، ثم أضافوا اليها كلمات أخرى من غريب اللغة ، وسألوه عن جميع ذلك ، فكان اذا مرت به كلمة مما وضعوه أنكرها واستعادها مرارا ثم قال : دعوا هذه ، واذا مرت به كلمة لغوية شرحها واستشهد عليها ، حتى اذا انتهوا أطرق مليا ثم رفع رأسه وقال : كأنى بكم وقد وضعتم هذه الكلمات لتمتحنوا بها معرفتى وثقة روايتى ، والله

لئن لم تكشفوا لي الخال لأفرقنكم ، فقالوا : والله ان الأمر كما قلت وما عدوت ما قصدناه ، فقال : سبحان الله ، والله ما أقول إلا ما قالت العرب ، والرائد لا يكذب أهله . وقصته حين قال في مجلس الشريف المرتضى : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً مشهورة

ولعل قائلا يقول ان في هذا غلواً شديداً ، فنقول له : دع كل ما قيل وأجل طرفك فيما انتهى الينا من آثاره فإن فيه على ما قلناه أصدق شاهد على غزارة مادته وشدة استيعابه ، منه ما في رسالة الغفران حين ذكر بيتين للنمر بن تولب وهما :

ألم بصحبتي وهم هجوع ... خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى ... اذا شاءت وحواري بسمن

ثم ذكر حكاية خلف الأحمر مع أصحابه ، وخلاصتها أنه قال لهم لو كان موضع أم حصن أم حفص ما كان يقول في هذا البيت ؟ فسكتوا . فقال : حواري بلمص يعني الفالوذج

وأراد ابو العلاء أن يبين أنه أطول باعاً في اللغة من أصحاب خلف ومن خلف نفسه فقال : ويفرع على هذه الحكاية ، فيقال : لو كان مكان أم حصن أم جزء لاحتمل أن يقال وحواري بكشء ، أو وحواري بوزء ، أو وحواري بنسء ، ثم انتقل الى حرف الباء فأتى بثلاث كلمات صالحة لذلك هي : بغرب ، بطرب ، بكشب ، ثم انتقل الى حرف التاء فالثاء فالجيم فالحاء حتى انتهى الى آخر الحروف الهجائية ، وكان يذكر في بعض الحروف كلمات متعددة ويفسر كل واحدة منها ويبين أصلها واشتقاقها وقد يستشهد على ذلك بشيء من الشعر أو الرجز ، ثم اعتذر عن اقتصاره على هذا القدر ، فقال : وهذا فصل يتسع ، وفهم من قوله هذا أن في استطاعته أن يزيد على ما ذكر ، وهذا القدر الذي اقتصر عليه لا يستطيع أحد غيره أن يأتي به

وفي كتبه لزوم ما لا يلزم ، والفصول والغايات ، وملقى السبيل ، وسقط الزند ، وعبث الباحث ومقنع المرتاب ، ولا تجد في نثره ونظمه على كثرة ما فيهما من الألفاظ كلمة فاحشة يأباها الأدب ويمجها الذوق ، وقلما تجد نثراً أو نظماً نزه العقلية عما تتقزز النفوس منه بمقدار ما نزهها شيخ المعرة

وكان ابو العلاء كثير القراءة والتأليف والنظم ، شديد الممارسة للألفاظ ، فلم يجد فيها من الوحشة والغرابة ما يجده من كان أقل منه ممارسة وأدنى ملابسة ، وهذا يدل على أنه لم يتعمد ايراد الغريب ليستر تحته ما يريده من كفر أو تهكم أو سخرية أو نحوها ، ويقوي هذا ان أبا العلاء صرح في نظمه ونثره بما هو أولى بالكتمان والاخفاء من غيره ، فقد جاهر بما يعتقده ورآه في باب العقائد ، واعترض على الشرائع والمذاهب والنحل ، وانتقد الحكومات والعادات والاخلاق ، وواجه كل فريق بأشد ما يجب من النقد اللاذع الصريح ولم يعمد الى تقية ولا مواربة ولم يتعمد اخفاء شيء من ذلك تحت كلمة حوشية أو لفظة غريبة

فيكون ما في كلامه من الغريب في رأي أناس غير غريب بالنسبة اليه ، وغير متعمد لاخفاء

شيء في مطاويه ، وإنما هو أثر الثروة اللغوية . ويكون غير غريب بالنسبة الى زمانه والى من كتب اليه ، لأن التاريخ لم يحدثنا أن أحداً طلب من أبي العلاء أن يفسر له شيئاً من كلامه ، على أنه كان يفسر في نظمه ونثره كثيراً من الكلمات ويبين اشتقاقها وإفرادها حذراً من أن تعبث بها أيدي الجهالة

خصائص نثره

وإذا تبينا لغة المعري وبراءتها من تهمة الغموض وجب أن نبين خصائص نثره وهي كثيرة منها :

السجع والترصيع

كلف كتاب هذا العصر بالسجع حتى استفاض في المكاتبات عامة ، وقد ساهم أبو العلاء فيه فكان له حظ عظيم في رسائله وقلما تخلى عنه . ولعله كان يحبه ويطرب به ، وكثيراً ما ألجأه الحرص عليه الى تأخير ما حقه التقديم ، وتقديم ما حقه التأخير ، والاطناب في مواطن الايجاز ، وإثبات كلمات في الأسجاع ما يغني عنها ، ويرى الناظر في نثره يجده مغموراً بالكلفة ظاهراً بالتعمل

ورافق السجع في انشائه كثير من أنواع البديع المتصنعة كلزوم ما لا يلزم ، مثل قوله في رسالة المنيح « للشيء الحقير ، في الوزن الصغير ، أن حرك حنين العود ، أو تحرك تهدير الرعود » ، والترصيع كقوله فيها : « حسب الآمن لبس الصافن ، لعواء الرادي لإرواء الصادي » ، الى غير ذلك من الجناس والطباق والمقابلة ونحوها مما هو منبث في كتابه

الأمثال والحكم

ومن استقرى رسائل المعري وجد فيها طائفة كبيرة من الأمثال وما جرى مجراها من الحكم الطيب ، وسبيله في استعمالها غير مطرد ، فتارة يأتي بالمثل على وجهه الذي قيل فيه ، وأخرى يتصرف فيه زيادة ونقصاً بقدر ما يتطلب السجع أو القلم ، كقوله في رسالة المنيح : « يحول الجريض دون القريض » وفي رسالة أخرى : « فإذا أعطيت القوس باريها ، والخيل فارسها ، والقناة مصرفها ، حييت بأشعر فكيف بجرير »

وكثيراً ما يأتي بالمثل أو الحكمة من تلقاء قريحته ، ولا شك أن أبا العلاء أكثر الكتاب ضرباً للأمثال ، ولولا أن بعض نثره غير مأنوس عند فريق من الكتاب لكان من أمثاله وحكمه أفضل عدة للكاتب وخير ذخيرة للأديب

التاريخ

اتفق لكثير من الكتاب أن يلمحوا في رسائلهم الى شيء من الحوادث التاريخية ، ويشيروا الى بعض رجال اشتهروا في التاريخ بحوادث معينة . أما أبو العلاء فكان طويل الباع في معرفة الرجال وما لهم من مناقب ومثالب ، واسع الاطلاع على ما مر في الأيام الخالية من الحوادث كما قال :

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن ... إلا وعندي من أخبارهم طرف

وكذلك كان للتاريخ حظ وافر في نثره ، قد لا يجد الباحث مثله في كلام غيره من أعلام البيان

وأئمة الكتاب . ولقد ألمع في رسالة المنيح الى موسى الكليم وعصاه وآياته التسع ، والى ابراهيم ومقامه ، وآدم وما يزعمه الناس في أصل الطيب ، والى شداد بن عاد ، وسليمان والهدهد . . .

وتصدى في رسالة الاغريض الى ذكر دريد وقصير وهرمه وعنترة وامرىء القيس واخوة يوسف والامام أبي يوسف وبني سدوس وعبد المدان وسبأ بن يعرب وبني المنذر وغيرهم

وفي كتابه الذي جرى فيه مجراه أتى على ذكر الانبياء من آدم الى محمد ، ثم عقب ذلك بمصارع الملوك من سبأ وحمير ، وملوك العرب في الشام والحيرة ، وجماعة من الأجواد والأمجاد ، ثم استطرد الى مصارع الحيوان فلم يفلت منه أسد فما دونه ، ولا ذرة فما فوقها ، ثم حلق في الجو يتتبع العقاب والرخم الى الجرادة فالنحلة ، ثم غاص في البحر فتقصى الحيتان والضفادع . . . ولا يعرف مثل هذا الاستقصاء والتوسع في مثل هذه الفكرة عند غير المعري

المصطلحات والمسائل العلمية

ذكر بعض الرواة أن ابن المقفع كان يتوقف اذا كتب ، فقيل له في ذلك فقال : « ان الكلام ليزدحم في صدري فأقف لأتخيره »

وأبو العلاء اذا كتب ازدحمت في صدره مسائل العلم فيغترف من بحر لا ينكش ، ويمتح من معين لا ينضب ، ولا يتوقف ، ولا يتلعثم ، فتراه ينثر في تضاعيف سطوره كثيراً من المصطلحات والمسائل العلمية من فنون مختلفة . فاذا نظرت في رسالة الاغريض رأيت فيها الفاعل والمبتدأ والخفض والنداء وهاء الندبة وألف الوصل ونحوها من مصطلح النحاة ، والى جانب ذلك الضرب الاول من الطويل والمنسرح والوافر والقبض والخبل والعصب والحائرة الزاحفة . . وأشباه ذلك من مصطلح العروضيين ، ثم لا تلبث ان تمر بالحروف الذلقة والمطبقة والرخوة والجهر والهمس من التعارف عند القراء في التجويد ، وهكذا تنتقل من مصطلحات الفقهاء الى التعارف عند الطبيين واللغويين ، كأنك في معرض تعرض فيه أصناف من مسائل العلم

ورسالته الى ابن الحسين المصري أشبه بكتاب في العروض والنحو منها برسالة أخوية ، لكثرة ما فيها من البحث في الزحافات والعلل وعيوب القافية وغيرها من مسائل علم العروض ، ولكثرة ما فيها من أحكام الاسماء والأفعال والاعلام وحروف المعاني وغيرها من مسائل النحو

النجوم

أما النجوم فلا يعرف في أدباء العرب من استوعب في كلامه من اسماء النجوم ما استوعبه المعري ، وكأنه أحاط بكل مايعرفه العرب من اسمائها وما يعتقده المنجمون وغيرهم فيها . وانك لتجد في رسالة المنيح مثلاً ذكر الشمس والقمر والسهى والنسر والجوزاء والجبهة والقطب والنسر والمشتري والزهرة والسرطان وزحل والسماك والعيوق وسهيل والنعائم وغيرها . وفي رسالة الاغريض كثير من غير ما تقدم كالثريا والشرطين والبطين والرشاء والنثرة والعرقوة وسعد الاخبية . . . والغريب انه يمهد السبيل لذكر كل نجم ويحكم المناسبة لذكره ، وكثيراً ما يحسن ذكر خصائصه وربطها بالسابق واللاحق من الكلام

الاستقصاء

وقد تقدم ما يدل على أن المعري واسع الاطلاع غزير المادة وكان مولعاً بالبحث والتقصي ، وقد تمر به الكلمة فلا يتركها حتى يوفيها حقها من البحث ويحيط بكل ما له صلة بها ويقيم الادلة على رأيه فيها

وكان ابو الحسين الشكلي قد كتب اليه كتاباً أخطأ فيه في اسمه وكنيته فسماه محمداً بدلاً من احمد ، وكناه بأبي العلى بالقصر بدلاً من أبي العلاء بالمد . فكتب اليه أبو العلاء جواباً ما رك فيه شيئاً من الاحكام التي تتعلق بتغيير الاسماء ، وتعددها والتصرف بها وما يعتريها من الضرورات الا أتى على ذكره وأيده بالشواهد المتعددة ، وكذلك فعل بالكنية

ولا شك ان هذا أثر من آثار الثروة العلمية . ومثل ما تراه في رسالة الغفران من الادلة على سعة علمه وحبه الاستقصاء . فانه ذكر في أولها لفظ الحماطة ، ثم لم يتجاوز هذا اللفظ قليلاً حتى عاد اليه فسره وبين ما يريد منه وأورد شواهد عليه ، وعمل مثل هذا بلفظ الحضب والاسود والابيضين . واذا مرت به مسألة لغوية أو أدبية ألح عليها بالبحث وأضاف اليها الاشباه والنظائر ، وناقش فيها العلماء والشعراء والرواة ، وبين مواطن الضعف والخطأ في أقوالهم . وقلما عرف مثل ذلك لغيره من العلماء أو الادباء

خصب الخيال

وقد لا يكون من المغالاة في شيء أن يقال إن أبا العلاء أخصب الشعراء والكتاب خيالا وأوسعهم تصورا وأبرعهم في احكام الصور المتخيلة والتفنن بها . وهذا كتابه سقط الزند يعرض للمتأمل صوراً متنوعة من أخيلته البديعة ، وهي وان كانت قصيرة اللفظ واسعة المدى : تدل على تفكير عميق في تخيلها ، وتنسيق مستحكم في ترتيبها ، وبراعة فائقة في تخير القوالب اللفظية لها

فاذا تأملت وصفه الفجر رأيته كالطفل الشامخ باحت به الصدور وزمزمت أفراخها فيه ، ثم لا تلبث أن تراه يسمو الى السحاب فيخالط ماءه فيمطر مطراً كدراً منه

فاذا غادرته الى وصف منهل بين رهب الظلم والتكريع . رأيت السماء فيه كأنه تراقب كأساً ، ورأد الضحى يمر به متنكراً مخافة أن يمتاله بقتامه . والنجم لا يهتدي لسبيله فيه ، والموت قد غشى ظلامه فلا يبصر من يقصده الا اذا انشع عنه . والطيف يرتد خشية منه . والجبل قد شاب قبل احتلامه من هوله

فاذا سرحت بصرك نحو السماء رأيت الهلال يحتث القمر . وسهيلاً يسرع النجم في احراره ، مستبداً كالفارس للعلم ووراءه قدماه . . .

واذا رحت بصرك الى السيف رأيت المنايا سحت مجالا ودعت عوفه ، وماؤه يتردد على صفحته يهم بالزوال فلا يتمكن ، الى غير ذلك من الصور الرائعة البارعة في خلقه

أما نثره فيه على قلة ما وصل الينا منه أنواع متعددة ، وصور مختلفة من الاخيلة . ولعل

أظهر أثر تتجلى فيه سعة خياله رسالة الغفران، فإن فيها من الروعة والافتنان ما يقصر المتطاول عنه. مثّل فيها القيامة، وألمّ الى ما يعتقده المسلمون وغيرهم من أصحاب الديانات في الجنة والنار والبعث والحساب والحور والولدان والأنهار والآنية والطيور والشفاعات و . . . . ووسع الرحمة فأدخل في الجنة من تضيق الشرائع عن ادخاله فيها وتجاوز عمن لم يتجاوز عنهم. وزاد على ذلك ما أحدثه من الملاحاة والخصومة بين ابن القارح وسكان الجنة، وبين العلماء والرواة والشعراء من الملاحاة من أجل رواية بيت أو تحريف كلمة عن وجهها أو تأويلها على غير ما يريد قائلها

واخترع جنة العفاريت اجتمع فيها ابن القارح بشيخ منهم يقال له الخيتعور أبو هدرش وسأله عن شعر الجن فأخبره أن لهم آلافا من الأوزان ما سمع بها الانس، وأن لشاعر واحد منهم ألف كلمة على روى معلقة امرىء القيس ومنزل فحومل. والقافية على منزلُ. والقافية على منزلا. والقافية على منزلِ. والقافية على منزلِه. والقافية على منزلُه. ثم أسمعه شعرا أشبه بكلام الجن منه بكلام الانس

ولا شك أن هذه القصة وليدة خيال المعري وربيبة فكر لم يطبع فيها على غرار غيره، ولا ترسم خطى سواه. وان ذهب بعض الأدباء الى أن المعري اقتبسها من أقاصيص الوعاظ وليس له فيها غير التنسيق والسخرية لأننا لا نعثر في أقاصيص الوعاظ ذكرا لابن القارح وحديثه مع خازن الجنة، ولا لعبد المنعم قاضي حلب، ولا للمحاول الكمرطاني، ولا لأبي هدرش وشعره، ولا لجنة العفاريت، ولا حديثا يدور بين شاعر أو راوية أو عالم مع غيره ممن ذكروا في رسالة الغفران. وإنما تخيل أبو العلاء هذه القصة واستعان ببعض العناصر المتقدمة ليجعلها كأنها حقيقة كما يفعل ذلك أصحاب القصص الخيالية حيث يذكرون كثيراً من أسماء الرجال والأماكن ليجعلوها شبيهة بالحقيقة. وأبو العلاء اتخذ هذا الطراز ليبث ما يريده من النقد والغمز والتهكم والاستخفاف، ولذلك جعل ابن القارح في رحلته في الجنة ينثر على حاشية طريقه طرفا من التحقيق والنقد والسخرية

أغراض رسائله

لم يقتصر أبو العلاء في نثره على غرض واحد وإنما ألمّ بأغراض متعددة كالمدح والتهنئة والتعزية والشفاعة والوصف والنقد. وسنخص الغرضين الأخيرين بشيء من الحديث المفصل

الوصف

للوصف نصيب وافر في نثر أبي العلاء يستمد بعض معانيه المحسوسة مما حفظ ووعى، وقد يتصرف به توليداً ونقصا وزيادة فيحسن ويجيد، ويستمد بعضا آخر منها من طبعه، وهو في وصفه الأشياء المعنوية ليس أقل اجادة منه في الأشياء المحسوسة وكذلك كان سبيله في وصفه الشعري. وقد يروعك منه براعته في التشبيه بما يستهوي الأفئدة ويملك المشاعر وكثيراً ما أورد صوراً محسوسة يعجز عن مثلها الشعراء

وصف كتابا أرسله اليه الوزير المغربي فقال أعذب من سلاف العنقود وأحسن من الدينار

للعود ، مشرقاً كلوامع البروق ، أو يوح عند الشروق ، وشبه كتابه بالنخلة تطعم القريب ، وتعود بالصرب ، ونجى من الأنوار فيعود شهداً ، وخاتمه بموسى الكليم ، وكتابه بالألواح ، وقصيدته بعصا موسى ، وما فيه من لطيف المطالب في اللفظ القليل بصورة كسرى في الطاس وقيصر في الدينار

وشبه كتاب مختصر اصلاح المنطق في رسالة الاغريض بدلالته على جوامع اللغة على صغر حجمه بالضمير الدال على الاسماء الكثيرة ، ومرآة النجم تستوعب على صغرها القمرين والنجوم .

وقلما خلا كتاب له من وصف رائع وتشبيه بديع لا يقصر فيهما عن ابن الرومي وابن المعتز

النثر

بتضح مما تقدم ان المعري كان مرهف الحس دقيق الفطنة متوقد الذكاء سليم الحافظة ، مولعاً بالبحث والتمحيص والاستقراء عميق التفكير ، فلا يكاد يمر به شيء الا فلبه على وجوهه وسبر أغواره . وقد درس الحياة وما فيها من أخلاق وعادات وعقائد ودرساً عميقاً فكونت هذه العوامل في نفسه ملكة قوية في النقد أساسها العلم ومرابها العقل واستطاع ان يكون المثل في هذا المضمار وأن يأتي بضروب مختلفة من أشكاله في نظمه ونثره

ومن أمعن النظر في نثره تبين ان له طريقتين في النقد ترجع احداهما الى مسائل العلم وتتعلق الثانية بالاخلاق والعادات والنزاعم ونحوها . وفي كلتا الطريقتين لا يخلو كلامه على خفة العابثه من تهكم لاذع واستخفاف ممض وسخرية موجعة . ولعله كان يذهب الى ان هذا السبيل أشد ايلاماً للخصم وأبلغ أثراً في نفسه مع ما فيه من الظرافة . واليك مثلاً من جوابه الى أبي الحسين المكي الذي جهل اسمه وقصر كتبه :

« دلني كتابه على انه يحسبني قد أضعت وده وتناسيت عهده ، ان إيا لي الصديق . عرفني بنفسه انه من اهل البصرة وقد سمع مني انه من اهل البصرة الساكنة في حجه ، وتلك أجل من البصرة بجده ، وهل البصرة الا حجارة بيض ، يطؤها انسان ورئيس . وأهل البصرة سلمهم الله ينسون الى قلة الحنين ، اليس قد مرت به الحكاية وهي أنه وجد على حجر مكتوب

ما من غريب وان أبدى تجلده الا سيذكر عند الغربة الوطنا

« وقد كتب تحته : الا اهل البصرة ، فاذا كانت تلك سجيتهم مع اهلهم واوطانهم ، فكيف بالذين عروهم من اخوانهم ... ولعل سيدي الشيخ ظن ان مكي على التي هي من حروف الخفض ولو كان كذلك لوجب ان يقال ابو على ... ولئن كان تأول ان مكي بعلا التي هو من علي فهو في التعرية من الالف واللام مثل الأول . . . »

فهذه الرسالة تدلنا كيف كان المعري يحمل كلام صاحبه على محامل لا وجه لها ويتأول كلامه ، ويبين له مذاهب العلماء فيما يجوز من ذلك وما لا يجوز ، وكيف كان يدس التهكم والسخرية في تضاعيف كلامه دس السم في الدسم . واذا تصفحنا رسالة الغفران وشاطرنا الرأي القائل ان كل ما فيها من هذا النوع رأينا المعري يحلق في جو لا يباريه فيه مبار ويجلى في مضمار لم يتقدمه فيه سابق

ولا شق غباره لاحق . وليست براعته فى النقد والتهكم فى نثره بأعظم منها فى شعره فى لزوم ما لا يلزم من هذا النوع شىء كثير لا سيما حين يتكلم فى الشرائع والنبوات والعقائد

يتحصل مما تقدم ان ابا العلاء فى نثره متبع مقلد من ناحية ومبتدع مجدد من ناحية أخرى

أما تقليده فانه طبع على غرار الجاحظ فى الاستطراد من عرض الى آخر ، ثم الرجوع الى الاول . وفى الأعراض يجمل الدعاء ، وحمل التسائل والاستقصاء وترادف بعض الجمل على معنى واحد

واحتذى على مثال ابن العميد فى التقيد بالسجع وتعمد المحسنات البديعية والاقتباس وتضمين الامثال والآيات والتلميح الى الحوادث

نواحى التجديد

وأما تجديده فله نواح متعددة منها احداثه النثر العلمى ، فقد كان بعض الكتاب قبل أبى العلاء يتصدى فى بعض رسائله الأجوبة لذكر مسألة أو مسألتين من علم اللغة أو غيره لمد ان تكون الرسالة الأجوبة جامعة لمباحث متعددة من علم او علوم مختلفة مشتملة على تحقيق علمى فلا عهد للكتاب به من قبل ، فيكون المعري أول من أحدث النثر العلمى فى النثر كما كان أول من أحدث الشعر الفلسفى فى الشعر . ومنها الأسلوب القصصى الخيالى فى الرسائل الأجوبة فان هذا لم يقع منه للمتقدمين الا النزر ، وهو على قلته موجز ، ولم تعرف العرب قصة خيالية تشبه رسالة الغفران فى أسلوبها وسعة خيالها وكثرة ما فيها من التحقيق والمسائل العلمية

وكذلك شأن النقد فقد كان مختصا بكتب العلم والأدب ولا تعرف رسالة قبل رسالة الغفران ورسالة الشكاء المصرى اشتملت على مثل ما اشتملت عليه هاتان الرسالتان

ويجوز ان يقال ان ابا العلاء لم يقلد الجاحظ ولا ابن العميد لأنه لم يلتزم طريقة معينة من طريقتيهما وانما أخذ لنفسه طريقة جديدة جمع فيها بين طريقتيهما وزاد عليهما ما زاد مما ذكرناه

وعلى هذا يسوغ ان يقال ان أبا العلاء مجدد فى كل ناحية من نواحى نثره . وهذا يحتاج الى اطالة وبسط فى ذكر الامثلة واقامة الادلة وذلك مالم تسمح به الأيام ويسمح به المقام

ولو أتيح لهذه الأمة أن تظفر بكل ما تركه المعرى من الآثار العلمية لوجدت فيه علما جما وأدبا غزيراً وشعراً وافراً . وانما سلك الاستاذ سبيل الحق لا يجد فى نثر المعرى شيئا مما يعاب به الا السجع المتكلف الذى كان مرغوبا فيه فى عصره مرغوبا عنه فى هذا العصر ، وما عدا ذلك فكله آية فى الروعة غاية فى الاجادة والافادة ، ولا بد للحسناء من ذم ، وقلما سلم جواد من كبوة ، وسيف من نبوة ، وانما الكمال لله وحده !

سليم الجندى

فلسفة التشاؤم
بين المعري وشوبنهور

بقلم الاستاذ علي أدهم

حاول شوبنهور وابو العلاء القضاء على الاوهام وتبديد الأكاذيب ورفع الستار عن خدعة الحياة . وهما من هذه الناحية مثلان حيان للفكر في أروع مظاهرها

بين أبي العلاء شاعر المعرة الفذ وحكيمها الأوحد وارثر شوبنهور فيلسوف فرانكفورت الكبير ، الكثير من وجوه الشبه وأواصر القربى ، على تباعد الزمن واختلاف المكان وتباين الأصول . وهما يتقاربان في اتجاه التفكير ولون المزاج واسلوب الحياة ، وان كان بينهما تفاوت بعيد في منهج البحث والقدرة على بسط المعنى وكبح لعواتها ، وكلاهما يلمح الكون بناظر المتسخط المتبرم ويرى الأشياء في ظلال قاتمة من التشاؤم والاكتئاب ، وينتهي به الأمر الى رفض الحياة رفضا باتا لاقترانها بالألم وامتزاجها بالشر وافتقارها من المسرات ، ويرى ايثار العدم المطلق والفناء التام على الوجود والكينونة . وشوبنهور لا يرى في الانتحار كبير بأس ، ويحاول تفنيد آراء من يعيبونه ، ويبشر بالزهد ويدعو الى مقاومة الرغبة في الحياة والتعلق بها والحرص عليها ، وابو العلاء يدعو الى هذا المذهب ويقول في ايثار العدم على الوجود

وأرحت أولادي فهم في نعمة العـدم التي فضلت نعيم العاجل
ولو أنهم ظهروا لعانوا شدة ترميهم في متلفات هواجل

ويقول :

خير لآدم والخلق الذي خرجوا من ظهره أن يكونوا قبل ما خلقوا

والعدم عند المعري – وكذلك عند شوبنهور – طريق الخلاص

وما لنفسي خلاص من نوائبها ولا لغيري إلا الكون في العدم

وما دام العدم خيراً من الوجود وأرجح وزنا فالنسل إذن جناية وقد أغراه إيثاره العدم واعتباره النسل جناية بأن يوصي بأن يكتب على قبره

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

وقد عاش شوبنهور كما عاش المعري أعزب من غير نسل ولا زواج ولم يكن ينتظر من

شوبنهور الذي يقول عن الحياة « انها جحيم يحرق جحيم دانتي » أن يمتنع الى هذا الجحيم المستعر بأولاده وذراريه ليعانوا آلام الحياة التي يعرفها بأنها لحظة قصيرة بين العدمين

ويقرر ابو العلاء أنه يجهل حكمة الوجود ويقول :

خلقنا لشيء غير باد وانما نعيش قليلا ثم يدركنا الهلك

أما شوبنهور فانه يقول : « اذا لم يكن الشقاء هو غرض الحياة وغايتها فاني أستطيع ان أؤكد بأن وجودنا في الحياة أبعد الأشياء عن الغرض والقصد ، لأنه من السخف أن نظن أن الحزن غير المحدود الذي يغشى الدنيا ويغمر الحياة والذي ينشأ من شجون ورزايا متصلة أشد اتصال بجوهر الحياة هو بلا غرض ومجرد حادث عرضي » وواضح من ذلك ان الشقاء عند شوبنهور هو « غاية الحياة » و « حكمة الوجود » . وابو العلاء يرى الشقاء من واجبات الحياة

قالت لي النفس ان في أذى وقذى فقلت صبراً وتسليما « كذا يجب »

ويقول شوبنهور « الدنيا لا تسر انساناً وكل ما ينفق جهده ويفني حياته في طلب السعادة التي لا يلمها وإذا ظفر بها وجدها وهما من الاوهام وانما القاعدة أن الانسان لايصل للرفاء إلا بعد أن يتحطم زورقه ويسقط شراعه » وابو العلاء يجاريه في هذا المضمار ويقول :

ودنياك ليست السرور معدة فمن ناله من أهلها فهو سارق

وبؤس الانسان عند أبي العلاء لا يبدأ بمولده وانما يسبق ذلك لأنه يلحقه عند انبعاث الروح في النطفة

وما برح الانسان في البؤس مذ جرت به الروح لامذ زال عن رأسه الغرس

ولعل الموت أهون مصائب الحياة وقعا

مصائب هذه الدنيا كثير وأيسرها على الفطن الحمام

وكلا الرجلين سيء الظن بالطبيعة الانسانية شديد الازدراء لها ومرع في الكشف عن عيوبها ومساوئها واحصاء نقائصها ومثالبها . ومن أقوال شوبنهور في ذلك « سلوك الانسان نحو الانسان يشير الى الهوام بالقسوة البالغة والطبيعة العمياء والافراط في الشهوة والامعان في الاجحاف ومجاوزة الحد في التمتع وخلاف ذلك هو الشاذ » وابو العلاء يطيل الضرب على هذه النغمة ويحق لها كل الافتنان فيقول :

وكلنا قوم سوء لا أخص به بعض الانام ولكن اجمع القرفا

ويقول في تنقص الناس وتهوين قدرهم

لو فرز الناس كيا يجمعوا سقطا لما تحصل شيء في الغرابيل

وهو يعلل لؤم الانسان وخسته وحقارته بفساد الأصل والتواء الغريزة

تعرع الناس عن أصل به درن فالعالمون اذا ميزتهم شرع

ويرى شوبنهور أن المجتمع قائم على الخديعة والترصد ، ويجن جنبي كل انسان تقيم أنانية جمحة ملابة تجتاح حدود الحق وتكتسح أسوار العدل في حرية تامة وفي غير تردد . ونشاهد ذلك في صورة مصغرة في حياتنا اليومية ونراه في صورة مكبرة في كل صفحة من صفحات التاريخ ، ويشد من أزر هذه الأنانية في كل صدر سيع من الكراهة والحقد والضغينة والخبث ، فالناس كالوارد متوثب الصاب ، كالسم الناقع في أنياب الرقطاء تنتظر الفرصة للتشبث لتنفثه ، وفي قلب كل انسان يرقد حيوان مستوحش شديد الضراوة ينتظر فرصته ليزلزل زلزاله ويثير روايعه

وابو العلاء يقدم لنا صورة للانسانية لا تقل سواداً عن هذه الصورة فيقول :

بنى حواء كيف الامن منكم ولم يؤهل بغير الحقد روع

وابو العلاء وشوبنهور كلاهما يائس من الاصلاح منكر التقدم ، ويرى ابو العلاء أن عمل الانبياء والحكماء والواعظين لم يأت بالثمرة المرجوة ولم يصرف الناس عن الشر

وقد طرق الحكماء الدنيا وفي نفوسهم حسرة من فشل مسعاهم وذهاب جهودهم أدراج الرياح

وكان شوبنهور يخالف معاصريه من الفلاسفة في النظر الى التاريخ ، ولا يرى للدراسة التاريخية شأناً يذكر ، والتاريخ عنده هو حلم الانسانية الثقيل ، ومن العبث أن نبحث فيه عن خطة أبدية مرسومة أو تدبير حكيم أو غاية مقررة منوطة

وفي تعليلهما اليأس من الاصلاح وتهذيب النفوس والسمو بالطباع تمس صميم فلسفتيهما ، فالمعري يعلل ذلك بجبلة الاهواء والمطامع والشهوات وعجز العقل عن كبحها فيقول :

وقد ملت الاحياء في كل وجهة هوائم وان كانوا مطارفة عليا

ويذهب شوبنهور الى أن ظواهر المعرفة جميعها وضروب المشاهدة بأسرها انما هي فكرة متمثلة لنا ، أو بلفظ آخر ان كل ما نشاهده ونعرفه كله من نتاج أذهاننا وثمرة عقولنا ، فليس في خارج ذواتنا دنيا مختلف مراتبها ومتباين مظاهرها ملائمة لتصوراتنا ومطابقة لما ارتسم في أذهاننا ، والدنيا المعروفة من صوغ عقولنا وتلفيق أذهاننا وليس لها كيان إلا في تلك العقول ، فهي مجرد صورة ومظهر من مظاهر الوهم ، وهي بهذه المثابة من معدن الاحلام ونسيج الأوهام ، ولكن وراء هذه الدنيا المتوهمة البادية للعيان ميتافيزيقية خافية هي ما يسميه شوبنهور « الارادة »

وهذه الارادة تحقق نفسها وتؤكد وجودها في قوى الطبيعة المختلفة فهي تطلع في النبات ، وتجهد وتكافح في الحيوان ، والدنيا جميعها بأجواز صفائها وأطباق ثراها وما فيها من مظاهر التغير والنماء والتحول هي مظهر الارادة ، وهذه الارادة لا يصحبها العقل ليكف جماحها ويسدد خطواتها ، وانما هي سابقة له ومتقدمة عليه ، بل هي التي توجده ايجاداً وتخلقه خلقاً ، فالارادة العمياء هي التي انشأت الدنيا بشتى مظاهرها ، وهي الأصل والجوهر والحقيقة التي تنعكس منها

ظلال للظاهر وتنمحى منها صور المرئيات ، وليس في مقدورنا اكتناه كنه هذه الارادة والخلوص الى سرها ، لان الاشياء التي تدخل في نطاق معرفتنا ليست من صميم الحقيقة وانما هي مظهر خادع وصورة زائفة ، فالوجود حلم والشخصية وهم ، والحياة تضرب وشائجها في اعماق « ارادة الحياة » ، وارادة الحياة هذه رغبة ملحة في الوجود وحرص لا ينقطع وراء الغايات والاهواء وحرص شديد على الاستمتاع ، ولكن الاستجابة لمطالب هذه الشهوات التي لا ترتوى منها ولا تشبع مرتبتها تنشأ من الحاجة ، والحاجة مصدرها الالم ، ومنشأ كل ذلك الوهم والخداع ولولا هذا الوهم ما وجدت الحياة ، والحياة شقاء لان الحياة مصدرها الرغبة والارادة ، والرغبة منشأ الألم ، فالحياة إذن هي الألم ، وليس الانسان وحده هو الغارق في الشقاء وانما تشاركه في ذلك الكائنات جميعها ، وليست الدنيا وحدها وادى الدموع ومستراد الاحزان ، وانما جميع الدنى مقضى عليها بالشقاء ، والشقاء من نصيب كل حشرة تدب وكل سائمة ترعى ولا يتقى وقعه السمك الذى يسبح في البحر والطير الذى يحلق في الجو ، وهو يتابع الانسان في مراحل العمر جميعها وادوار الحياة من المهد الى اللحد ، وعلى اختلاف الطبقات من الصعلوك المتسول الى رب التاج وحامل الصولجان ، والاجيال الغابرة والاجيال اللاحقة ، فلا سعادة ولا راحة ولا امن ولا سلام

وما يسميه شوبنهور « ارادة الحياة » يسميه ابو العلاء « حب الحياة » وقد أدرك ابو العلاء سوء اثره في خداع النفس وترغيبها في الحياة على ما بها من فوادح الآلام وكثير الرزايا :

وحب العيش أعبد كل حر ... وعلم ساغبا أكل المرار

ويسمى الدنيا « ام دفر » وهي كنية العرب عن المصائب والآلام ويقول عنها :

أبى القلب إلا ام دفر كما أبى ... سوى ام عمرو موجع القلب هائم

ولو لم يكن حب الحياة هذا غريزة فينا آخذة بأكظامنا لبدت لنا عيوب الحياة وأدركنا خداعها وشعرنا بتفاهتها :

ولو لم يكن فيها هواها غريزة ... لكان اذا حر الهالك يترك

وهو يصاحب الانسان في مراحل العمر جميعها :

تعلق دنياه قبل الفطام ... وما زال يحب حتى خرف

وهذا الحب الشديد للحياة والتعلق باسبابها هو الذى يجعلنا نخاف الموت :

والنفس آلفة الحياة بجسمها ... يجرى لذكر فراقها منه

ولا يخدع ابو العلاء في المتظاهرين بالزهد في الحياة وهم يضمرون حبها :

ولا تظهرن الزهد فيها فكلنا ... شهيد بأن القلب يضمر عشقها

وقد يلعنها الانسان جهراً وهو يضمر خلاف ما يبدى مع ما يناله من خطوبها واهوالها :

فنجرحها عيبا وتوسعنا أذى ... ونلعنها جهراً واسراً عشقنا

والعطف على الغير عند شوبنهور هو توأم الفضائل ومسلك الآداب ، وذلك لأنه لما كانت الارادة هي أصل كل شيء وجوهره فان هناك إذن وحدة وراء تلك المظاهر المتباينة ، ويستطيع الانسان أن يعرف نفسه ويستشف جوهر ذاتيته في مرآة الدنيا ، ويدرك الوحدة الحقيقية والصلة الخفية بينه وبين الغير ، وهذا هو أساس الاخلاق وقواعد السلوك لأن الانسان عندما يستشعر هذه العلاقة ينشأ في نفسه العطف وهو مصدر السلوك الاخلاقي ، وهذا العطف يجنبنا عن معاملة الغير ونعرض عن الاساءة اليه لاننا اذا اسأنا الى أحد فكأننا في الواقع نسيء الى أنفسنا ، والنصيحة هي أن نعتبر ألم الغير ألمنا ونعمل على دفعه اذا استطعنا ذلك أو نلطف حدته ونهون وقعه اذا عجزنا عن رد غائلته

والرثية لآلام الغير والعطف على البشرية يلعبان دوراً كبيراً في فلسفة أبي العلاء ، وكان يرى أن من أسباب شقائه عجزه عن الأخذ بناصر الغير :

أنا الشقي بأني لا أطيق لكم معونة وصروف الدهر تحتبس

وكان شديد الرفق بالحيوان كثير الرحمة له ، والحيوان عنده كالانسان في تعلقه بالحياة وخشيته للموت

أرى حيوان الارض يرهب حتفه ويرهبه رعد ويطمعه برق
فيا طائر أنجى وما ظل لا تخف شتاتي فما بيني وبينكما فرق

ويوصي بالتصدق على الطير :

تصدق على الطير الغوادي بشربة من الماء واعددها أحق من الأنس

والطريقة المثلى عند شوبنهور للخلاص من آلام الحياة وهمومها هي مقاومة الارادة وقهرها واستئصال المطامع والشهوات والتزام العفة التامة وممارسة الزهد والانتهاء الى حالة من الهدوء والاستقرار تشبه مايسميه البوذيون « النرفانا » . واسمى الواجبات الاخلاقية عند شوبنهور هو أن يلقى الانسان سلاحه ويطلق آماله وينسحب من ميدان العمل ومعترك الحياة ، وليس الابطال عند شوبنهور هم الرجال من طراز نابليون والاسكندر وقيصر ، وانما الابطال عنده هم القديسون والنساك الذين قهروا اهواءهم وقهروا نفوسهم وقد هزم نابليون الجيوش وثل العروش ولكنه لم يستطع أن يتغلب على نفسه ويهزم شهواته

وابو العلاء مثل شوبنهور يرى في الزهد طريق الخلاص من متاعب الحياة واهوالها ويقرن السعادة بالزهد :

وأسعد الناس بالدنيا أخو زهد تغل منها وتأتوا إذ مضى درجا

ولما كانت المرأة هي التي تفتن ألباب الرجال وتأسر قلوبهم وتوحي الى نفوسهم الحب وتغمرها بالأمل والاستبشار ، وهي الامينة على النسل والوسيلة الاكيدة التي تستخدمها الحياة لتأييد النوع

لذلك عرف المتشائمون شدة خطرها على فلسفتهم وناصبوها العداء وغلوا في ذمها ، والمرأة في رأى شوبنهور بسبب ضعف عقلها لم تنل نصيباً كبيراً في المزايا والمساوىء التي يجلبها التفكير ، وهى قصيرة النظر محدودة الأفق ، وتحاول في الغالب الوصول الى غرضها من أقرب السبل وأهون الوسائل ، وهى تعيش في الحاضر ولا تلتفت الى الماضي ولا تتطلع الى المستقبل ، ومن ثم ميلها الى التبذير والاسراف الذى يكاد يبلغ الجنون في بعض الأحيان ، والمرأة أكثر عطفاً من الرجل ولكنها تتخلف عنه في تحرى العدالة والاستمساك بالامانة ويقظة الضمير ، وذلك لأن الواقع المحسوس هو الذى يؤثر فيها وليس للافكار المجردة سلطان عليها ، وهى مضطرة بسبب ضعفها أن تلجأ الى المكر والحيلة وتركن الى الكذب والرياء ، وقد زودتها الطبيعة بسلاح الخداع كما زودت الاسود بالمخالب والأنياب ، والمرأة تعيش للنوع أكثر مما تعيش للفرد ومصلحة النوع عندها أعظم شأناً وأجل خطراً من مصلحة الفرد ، وهذا هو سبب الخلافات الزوجية ، ويتطرف شوبنهور وينكر على المرأة الجمال ويعزو تصورنا جمالها الى الغريزة الجنسية التى تعمينا وتطغى على بصرنا حتى نرى حسناً ما ليس بالحسن ، والمرأة بطبيعتها عاجزة ولا علاج لعاميتها ومن ثم قلة نبوغها في الفنون والعلوم ، وقد كان اوتوفيبر مؤلف كتاب « الجنس والأخلاق » الذى يتضمن أشد حملة وجهت الى النساء من تلامذة شوبنهور ، ورأى ابى العلاء في المرأة لا يقل قبحاً وسوءاً عن رأى شوبنهور وأشد ما يوصى به أبو العلاء في مسألة المرأة هو تجنيبها من الحياة العامة

وسوء رأيه هذا من الاسباب التى جعلته يعرض عن الزواج لأن الرجل مضطر فيه الى المشاركة :

ترجى عندها وصلا ورُبَّما أتيها هلاك

تخون الاول العهد لغير العرس أو شارك

وشوبنهور أحد فلاسفة ما وراء الطبيعة القلائل الذين يستطيع الانسان أن يفهم الكثير من مقالات فلسفتهم دون الرجوع الى مشيعى الشروح أو الاستعانة بمعاق المقدمات ، وفلسفته أشبه بقطر من الاقطار واسع المسالك بادى المعالم بحيث تستطيع ان تجوس خلاله وتطوف ارجاءه وأنت في غير حاجة الى الرواد والأدلاء ودون ان تضل الطريق وتبعد عن الغاية ، ولعل السبب في ذلك ان نظرياته مستمدة مباشرة من حقائق الحياة الواضحة وقائمة في الكثير على التجارب والمشاهدات وهو في كتاباته دائم النصح لقرائه بالعودة الى التجربة والاتصال بالحياة ، وقد أضفت هذه الصفة على أسلوبه مسحة أدبية واكسبته مناعة وقوة وحيوية قل أن تراها في كتابات الفلاسفة وبخاصة اضرابه في الفلسفة الالمانية ، ولقد كان للتجارب أثر كبير في تكوين مادته الفكرية وصقل ملكاته الى جانب العوامل الوراثية ، فقد عرف شوبنهور الدنيا قبل ان يعرف الكتب وسافر اسفاراً كثيرة مع والديه ، ولما اقبل بعد ذلك على الدراسة وأكب على الكتب كانت يقصد الفلسفة للاهتداء الى الحق ، لا ليعيش منها ويتكسب بها . ولما حاول النقدة الالمان « ويلانه » أن يثنى

حرمه عن متابعة دراسة الفلسفة قال كلمته المشهورة وهي : « ان الحياة مسألة شائكة وقد اعتزمت ان أقضي حياتي في محاولة حلها » ، وانظم الحقائق الواضحة قبل تكوين الافكار جعله عدوا للوضوح كارها للغموض والالتواء حتى قال عنه أحد الكتاب الفرنسيين : « ليس هو فيلسوفا كالآخرين وانما هو فيلسوف قد رأى الدنيا » . وشوبنهور بأسلوبه الرائع وتفكيره لعله أقرب الفلاسفة الى الادباء والكتاب والشعراء ، وأبو العلاء شاعر كبير ولكنه رجل تفكير يسخر أسلوبه لأفكاره ويستعمل خياله لتوضيح آرائه في شتى الأمور ، وله في مختلف المسائل أفكار محددة ونظرات معروفة لا يني يجيلها في صور مختلفة وقوالب حديثة ويكر عليها بالشرح والاعادة ويدعمها بناصع الأدلة وصادق الشواهد وهو يتخير الفاظه ويرصفها على قدود معانيه بلا تزيد ولا تجميل ويصطنع في حواره المنطق والاثبات . وقد حاول ان يحيط بأطراف العلوم ونواحي المعرفة وأن يحلل ظواهر الطبيعة ويحلل عناصر المجتمع ويكشف عن اصول الاخلاق ويفسر حقائق التاريخ ويتناول المذاهب والعقائد ، وان يتحدث في شعره عن الدم واللذة وعن الجسد والروح وعن المكان والزمان وان يبدي آراءه في السياسة ، وقد وصف هذه المحاولات جميعا في قوله :

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة … من الفكر الا وارتقيت هضابها

وهو بنظرته الشاملة وتناوله لاطراف المعرفة الانسانية أقرب الشعراء الى الفلاسفة كما كان شوبنهور أقرب الفلاسفة الى الشعراء ، وقد كانت اخلاقهما على النقيض وكلاهما استرعى النظر بشخصيته وكتاباته . وكلاهما كانت أخلاقه لا تلائم الوسط الذي يعيش فيه . فشوبنهور كان صعب المعاشرة ولذا لم يكن له صديق طول حياته ، وكان ابو العلاء أمرأ ضنا بالناس حريصا ان يتخذ له صديقا او يثق بأحد ، على أن شوبنهور كان جم الكبرياء بعيد الادعاء ، وكان أقل احتفاظ لادعائه الواسع وغروره القياس وخاصة في أعوامه الأخيرة يستثير سخطه ويشغل نفسه ، وكان كلاهما يحب الحق ويخلص له ، ولكن شوبنهور كان متعطشا الى الشهرة ، أما ابو العلاء فله ظفر من الاعجاب والشهرة ما أنشده ، وكان أبو العلاء فطنا لمواطن السخرية ومواقع الفكاهة في الحياة وكذلك كان شوبنهور . ولكني أرجح ان حدة الفكاهة والسخرية في أبي العلاء كانت أقوى وأكثر تأصلا . ونقص الفكاهة في شوبنهور هو الذي كان يغريه بالتورط في تلك الشتائم المضحكة التي يكيلها في كتبه لأضرابه من كبار الفلاسفة الالمان المعاصرين له ، وفطنة الانسان لجانب الضحك في الحياة هي التي تحميه من مثل هذا التورط وتعصمه من استفحال نفسه والمغالاة بقدرته . وكان شوبنهور شديد العناية بنفسه يفر من الامراض المعدية ويخشى الحريق فلا يقيم الا في أول طابق ، ونوادره في الحرص على نفسه وما يملك كثيرة معروفة ، أما ابو العلاء فقد ألقى سلاحه والتزم الزهد وقهر الشهوة ، وكان يلبس خشن الثياب ويتعفف من الزاد فلا يتناول الا ما يقيم اوده ويمسك عليه رمقه ، وآثر ضيق اليد على ابتذال الكرامة وإراقة ماء الوجه في طلب

الرزق وتحصيل المال وانف ان يسلك سلوك الشعراء في التملق والتكسب به وعاش ناقما على الدنيا من نفسه وضرب بذلك العالم مثلا قليل النظير من المطابقة بين مرامي التفكير وأسلوب الحياة قصر عنه كبار المصلحين وعظماء الهداة

وقد يبدو لنا ان نعيب على أبي العلاء وشوبنهور امعانهما في التشاؤم ومبالغتهما في ذم الحياة ولكن علينا ان نعرف قبل الاقدام على ذلك أنه لا يوجد في الحياة اشد ظمأ وأعظم نهما من الروح الانسانية فهل هي تلقى في هذه الدنيا ما يبل غليلها ويهدىء قرمها ؟ أليس هناك تناقض مستمر بين مطالب القلب وحقائق الحياة والتجارب ؟ ان الدنيا قد تشبع القلوب الضئيلة والنفوس الصغيرة ، أما القلوب المطموحة والنفوس الراغبة المتطلعة فهي في تعب مستمر واهتياج دائم . ومن الصعب على القلب ان يحمل هذا الألم الناشيء من هذا التناقض الذي لا ينتهي بين نفسه وبين الحياة وان يظل ظامئا دون ان يحظى بسؤله وحالما دون أن يتحقق حلمه

وقد حاول شوبنهور وأبو العلاء ان يعرفا سر الخليقة ومغيبات الحياة وعجائب المصير وهي محاولة عظيمة وعزيمة جبارة وربما كانت قواها العقلية أقصر خطوا من أن تسلك هذا المدى الواسع وتتبين هذه الابعاد غير المتناهية لتنظر الى الحياة نظرة كلية شاملة ، وربما كان ما لدينا من الحقائق غير كاف لتكوين الآراء النهائية عن الكون والحياة . والآراء التي نصل اليها هي بالضرورة وقتية نتاج آراء جزئية ومجرد توجهات وظنون من غير المكشوف ، قد تأثرنا في تكوينها ومالها بمؤثرات بيئتنا المحدودة وعالمنا الصغير . ولئن كان ابو العلاء وشوبنهور لا يشاركان الانسانية في نوازعها السامية وطموحها العظيم ويصدران أحكاما من نظرة محدودة وزاوية ضيقة فانهما مع ذلك مفكران عظيمان يوجهان الفكر ويغنيان الادب ، الاول بثمره الحافل والثاني عبقريته الحكمة البناء ، وإنما أحببنا حكمة أبي العلاء وفلسفة شوبنهور فانا لا نجهل جزءاً كبيراً من قصة الحياة ولا هي درسنا ناجحا من دروسها . ويرى بعض المفكرين ان فن الحياة يستلزم شيئا من المساومة وان يعيش الانسان حفظه مؤثرا للاوهام ومغالطا في الحقائق نفسه ، ولكن ابا العلاء وشوبنهور لا يتصوران الحياة على تلك الصورة بل يريان ضرورة القضاء على الاوهام وتبديد الاكاذيب ورفع الستار عن خدعة العيش ، وعلى ما في نظرتهما الى الدنيا من تجهم واكتئاب ليسا من الضعفاء فاقدي الرجولة فقد عاش شوبنهور كالمجاهد الذي يحمل السيف والرمح ، وتلقى ابو العلاء الحياة بصبر الحكيم وقناعة الزاهد وشجاعة اليائس

علي ادهم

المعرى : أشاعر أم فيلسوف

(بقية المنشور على صفحة ٨٠٠)

يعربوا به عن فلسفتهم من الألفاظ . وقد انتهى بول فاليرى الى اثبات أن الفلاسفة آخر الأمر ليسوا إلا جماعة من أصحاب الفن هم كالشعراء والمثالين والمصورين يرون الطبيعة والحياة والكون على نحو ما ، ثم يظهرون ما رأوا فى هذا البناء الفلسفى الجميل الذى يهدى الينا اللذة والمتاع

ومن الأدلة القاطعة عنده على صحة هذا الرأى أننا ما زلنا نستطيع أن نقرأ أفلاطون وليبنتز وسبينوزا فنجد فى قراءتهم لذة ومتاعاً لا يرتقى اليهما الشك ، ومع ذلك فما أكثر ما بطل من فلسفة هؤلاء الفلاسفة وما أقل ما بقى منها . فما مصدر هذه اللذة التى نجدها فى أشياء نعلم أن الفلسفة الحديثة والعلم الحديث قد قضيا عليها قضاء أخيراً . أليس هناك شبه بين هذه اللذة وبين اللذة التى نجدها حين نقرأ هوميروس أو فرجيل أو دانت ، أى أليس هناك شبه بين اللذة التى نجدها حين نقرأ الفلاسفة ، واللذة التى نجدها حين نقرأ الشعراء ، بل لا شك فى أن هاتين اللذتين متقاربتان أشد التقارب ، وهما متقاربتان لأن فى الفلاسفة حظاً من الشعر ، أو لأن فى الشعراء حظاً من الفلسفة ، أو لأن فى أولئك وهؤلاء حظاً مشتركاً من الفن هو الذى يمنحنا هذه اللذة

وقد فكرت فى أبى العلاء حين كنت أقرأ هذا الفصل كما فكرت فى لوكريس وكما فكرت فى أفلاطون . فهم شاعر وإن كان ثالثهم لم يتخذ النظم وسيلة إلى إعلان شعره . كلهم شاعر وكلهم فيلسوف وكلهم يستطيع أن يمتعنا ويمتعنا بهذا المزاج الرائع الذى يملأ قلوبنا وعقولنا

فمن قال أن أبا العلاء شاعر فهو لم يخطىء الحق ، فشاعرية أبى العلاء لا شك فيها ، ولعلها قد قصرت من بعض النواحى عن شاعرية أبى تمام وأصحابه من المصريين ، ولكنها قد تفوقت من بعض النواحى على شاعرية هؤلاء المصريين لأنها نفذت من الحقائق ما لم ينفذوا ، وسمت من الحكمة إلى ما لم يسموا اليه . ومن قال أن أبا العلاء فيلسوف لم يخطىء الحق أيضاً فقد رأيت أن الرجل قد شارك الفلاسفة فى فلسفتهم ، ولعله قد قصر عما وصل اليه ابن سينا أو الفارابى من تعمق بعض النظريات ومن اتخاذ المذاهب الفلسفية المنظمة المطردة التى لا يعرضها الاضطراب والاختلاف ، ولكنه قد تفوق على هؤلاء الفلاسفة لأنه استنزل الفلسفة من معقلها وأحياها فى البيئة التى يعيش فيها الناس ، وجعلها اسابة لا تبلغ العقول وحدها ولكنها تبلغ القلوب فتشيع فيها الحب والرحمة والحنان ، كما تشيع فيها السخط والثورة والغضب ، ولكنه سخط لا ينتهى إلى اليأس ، وثورة لا تنتهى الى الحقد ، وغضب لا ينتهى الى افساد ما بين الناس من الصلات

أبو العلاء شاعر فى فلسفته وفيلسوف فى شعره قد جعل الفلسفة عما أسبغ عليها من الفن ،

ومنح الشعر وقارا ورزانة بما أشاع فيه من الفلسفة ، وهو من هذه الناحية عند في أدبنا العربي كما قلت ألف مرة وكما سأقول ألف مرة أيضا

على أن هناك ناحية أشرت اليها منذ حين لم تدرس كما ينبغي من فلسفة أبي العلاء وفنه معا ، وهي خليقة بالدرس وحقيقة بالاعجاب ولها خطرها في تصوير شخصية هذا الشاعر الفيلسوف ، فلم يملك أحد أمر اللغة العربية كما ملكه أبو العلاء ، ولم يفرغ أحد للغة العربية كما فرغ لها أبو العلاء ، ولم يتحكم أحد في ألفاظ اللغة العربية كما تحكم فيها أبو العلاء . أنفق صباه وشبابه في الدرس والتحصيل والمشاركة في الحياة الادبية على نحو ما كان يفعل الشعراء المتازون في عصره ، ثم كانت المحنة واضطر الى العزلة ولزم داره وأصبح رهين المحبسين أو رهين المحابس الثلاثة ، رهين داره ورهين جسمه ورهين هذه الآفة التي حالت بينه وبين النظر الى الطبيعة وما يضطرب فيها من الكائنات . فعكف على نفسه ونظر فيها ، فاذا وحده ؟ وجد معاني لا تكاد تحصى اذ حصلها أثناء الدرس وما زال يحصلها بعد العزلة ، ووجد ألفاظا قد اجتمعت له من درسه اللغوي وكان حظه من هذه الثروة اللفظية عظيما ، ثم نظر فاذا هو مضطر الى ان ينفق حياته بين هذه المعاني وهذه الالفاظ لا يستطيع أن يفلت منها ولا أن يخلص من الحاحها عليه . إذا نظر في المعاني اضطربت لرأيه وثارت في نفسه العواطف المتناقضة والاهواء المتعارضة وإذا نظر في الألفاظ أخذه الاعجاب بكثرة ما وعى منها . فهو إذن مضطر إلى أن يقاوم هذه المعاني وإلى أن يقاوم هذه الألفاظ وإلى أن يحول بينها وبين أن تتحكم فيه . وسبيله إلى ذلك أن يتحكم فيها هو وأن ينفق حياته مراوحا بين تلك المعاني وهذه الألفاظ ، وكذلك فعل . فأنت لا تراه إلا عابثا بالمعاني وعابثا بالألفاظ ، يلائم بين المعنى والمعنى ، ويخالف بين المعنى والمعنى ، كما يلائم ويخالف بين الالفاظ ، وكما يلائم ويخالف بين الالفاظ والمعاني . وانك لتقرأ ما بقي لنا من آثاره فلا تكاد تدفع عن نفسك الشعور بأن هذا الرجل قد خلى بينه وبين المعاني والألفاظ فهو يلعب بها ويتلهى بهذا اللعب لأنه لا يجد شيئا آخر ينفق فيه وقته وجهده

وعلى هذا النحو تستطيع أن تفهم هذه الخطة الصعبة التي فرضها على نفسه في « اللزوميات » فأخذ نفسه بالتزام ما لا يلزم في القافية ، كما أخذ نفسه بالتزام ما لا يلزم من النظم على جميع حروف المعجم . وعلى هذا النحو أيضا تستطيع أن تفهم « الفصول والغايات » . فقد فرض على نفسه في النثر شيئا قريبا جدا مما فرض على نفسه في الشعر ، فهو يضع فصوله هذه الكثيرة يلتزم السجع في كثير منها ولكنه يجعل لكل فصل منها غاية ، ويلتزم في هذه الغاية هذا السجع ، ويأبى الا أن يقيم هذه الغايات على حروف المعجم كلها كما أقام اللزوميات على حروف المعجم كلها

وعلى هذا النحو تستطيع أن تفهم هذه القصة اليسيرة الظريفة التي عرض لها في رسالة الغفران حين ذكر قصة خلف الاحمر مع أصحابه وقد سألهم عن بيتي الحربي تولب ·

أم بصحيين ودم مجروح   حيل طرقى من أم حصن
لها ما تشتهي عسل مصفى   إذا شاءت وحوارى بسمن

فسألهم ما عسى أن تكون قافية البيت الثاني لو أن الشاعر قال في البيت الأول « أم حفص » فلما سكتوا قال خلف الأحمر « حوارى بلمص » . فينتهز أبو العلاء هذه الفرصة ويجري عليها كما يقول ، ويفترض قافية البيت الأول على الهمزة ثم على الباء ثم على التاء ، ويمضي في ذلك حتى يبلغ آخر المعجم وقد أتى بالألاعيب والأعاجيب وأشعرك بأنه رجل قد فرغ لهذا النحو من العبث

عبث بالألفاظ لا شك فيه وعبث بالمعاني لا شك فيه أيضاً . وهل رسالة الغفران إلا نحو من هذا العبث وهل كان يستطيع أن يعبث بالألفاظ دون أن يعبث بالمعاني ؟ فلكل لفظ معناه ولا يستطيع الانسان أن يتصور المعاني المجردة التي لا ألفاظ لها ، فالمعاني ألفاظ إن شئت ، والألفاظ معان إن أحببت ، والعابث بهذه عابث بتلك . ولقد عبث أبو العلاء بهذه وتلك ما يقرب من نصف قرن ، وكانت نتيجة هذا العبث ما تركه لنا من آثاره الخالدة التي جمعت بين وقار الفلاسفة وجمال الفن

وخصلة أخرى لا بد من أن ألم بها قبل أن أريح القراء من هذه الثرثرة ، وهي أن أبا العلاء يحكم هذا العبث الفني الفلسفي أكثر الشعراء العرب حضور إرادة في آثاره الفنية ، فهو لا يصدر عن طبعه ولا يرسل نفسه إرسالا على سجيتها فيما ينظم من الشعر أو يؤلف من النثر . هو لا يستسلم للطبيعة ، ولا يمضي مع الهوى ، ولا يلقي قياده إلى الطبع ، وإنما هو مفكر دائماً متدبر دائماً ، مريد ما يقول متعمد ما ينظم وما يكتب . هو كما يقول بول فاليري : لا يقول الشعر والنثر وإنما يعملهما ، يدعوه إلى ذلك هذا العبث الفني الذي أشرت إليه وحرصه على التحكم في الألفاظ والمعاني وتعمده الصناعة الفنية وتعمقه بها ، وملاحظته لنفسه ونقده لها كما تدعوه إلى ذلك حاجته إلى الاحتياط والتحفظ واتقاء ما عسى أن يورده موارد التهم أو يعرضه للسخط والنكير . والغريب أن هذا الرجل كان يرى أنه مجبر وأنه لا حظ له من الاختيار في شيء فيما يأتي أو يدع حتى في اللزوميات . وهو مع ذلك أعظم شعرائنا حظا من الاختيار وأعظمهم حظا من الإرادة وأعظمهم تعمداً لما يصدر عنه من المعاني والألفاظ وليس هذا هو المظهر الوحيد من مظاهر التناقض في حياة أبي العلاء ، فقد كانت حياته العقلية كلها تناقضا كما رأيت ، ولكن هناك مظهراً آخر من مظاهر التناقض في أمر أبي العلاء كنت أحب أن أعرف رأي أبي العلاء فيه . فقد كان الرجل معتزلا زاهداً أشد الزهد في أن يحفل الناس به أو يتحدثوا عنه ، فكيف كان يرى أبو العلاء كثرة ما يقول الناس فيه الآن وكيف يتلقى عنايتهم به وإكبارهم له وهذه الجهود التي أصبحوا يبذلونها في درسه وفهمه وتفسيره وتخليد ذكره ، وكم كنت أحب أن أعرف رأي أبي العلاء في نظر الأجيال إليه بعد أن مات ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك ، وهل لأبي العلاء علم بشيء مما يكتب عنه أو يقال فيه ؟

طه حسين

بيئة المعرى

(بقية المنشور على صفحة ٨٦٥)

وكان شعرنا على جانب عظيم من الثقافة العلمية . فقد أتيح له ان يحصل فى المعرة وحلب على أمّ العلوم اللغوية والادبية والدينية . ولما بلغ العشرين تحول من الدرس على الاساتذة الى الرحلات العلمية . فزار المكاتب المشهورة فى اللاذقية وحلب وانطاكية وطرابلس وسواها . وأقام فى كل منها مدة تقرأ له كتب العلم والفلسفة . وقد ظل على ذلك نحو عشر سنوات ثم استقر فى المعرة ولم يتركها الا فى رحلته البغدادية بين ٣٩٨ ـ ٤٠٠ . فتكون مراحله الثقافية ثلاثاً ـ (١) المرحلة التحضيرية فى المعرة وحلب حتى بلغ العشرين (٢) زياراته للمكاتب الكبرى فى البلاد الشامية وذلك بين العشرين والثلاثين من عمره (٣) زيارته لدور العلم فى بغداد بين الخامسة والثلاثين والسابعة والثلاثين

بيئة السياسية والاجتماعية

كانت المعرة على مايؤخذ من أقوال المؤرخين بلدة عامرة تشخص اليها أنظار الطامعين . وكمارتها الكبرى حلب كانت أيام المعرى هدفاً للغارات ومنهباً للفتن أرهقت سكانها أيما ارهاق

وكانت الامارة الحمدانية يومئذ بين قوتين عظيمتين ـ الروم من الشمال والفاطميين من الجنوب . ولم يكن للحمدانيين بعد سيف الدولة تلك السطوة التى كانت له فاضطربت أحوالهم الداخلية . ولم يستطيعوا القضاء على منافسيهم من الزعماء . فأنى لهم أن يقفوا فى وجه الروم والفاطميين وكل من الفريقين يطمع الى تلك الامارة الغنية . وبين سخط الروم وغاراتهم ، ومساعى الفاطميين واطماعهم كانت امارة حلب تحمل الامرين تشاركها فى ذلك المعرة وأكثر المدن الشمالية . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الحوادث السياسية التى تقلبت على حلب والمعرة منذ نشأة المعرى الى أيام شيخوخته كانت سلسلة من الأهوال والفتن تركت أثراً عميقاً فى نفسه وبالتالى فى شعره

عاصر أبو العلاء الحمدانيين وعمالهم ورأى تطاحن هؤلاء الحكام على السيادة والمال حتى كان بعضهم لا يتورعون عن استنجاد الروم وهم فى حرب على منافسيهم فى الحكم او على الطامعين فيهم من الفاطميين ، فطما سيل الفتن وتواصلت الحروب والغارات وساد الجشع والحقد نفوس الزعماء

فى جو كهذا الجو لا ننتظر أن نرى فى البلاد أمنا واطمئناناً . فالناس يتملكهم الذعر ، والمصالح العامة يضحى بها لأجل المطامع الخاصة . وبديهى ان تواصل الحروب والقلاقل يؤول الى ضيق العيش وانتشار الأوبئة فضلا عن سخط الحكم علنا الضرائب

وأرى ملوكاً لا تحوط رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس
فشأن ملوكهم عزف ونزف وأصحاب الامور ولاة حرج

ذلك ما كان يشعر به المعري . وفي مثل هذا الجو المضطرب يشتد حرص الناس على المال وتشتد في الناس الغرائز المظلمة من ظلم وغدر وبخل وتخاذل والى ذلك يشير شاعرنا في كثير من قصائده ويقترن ذلك عادة بتراخي المبادئ الروحية واضطراب المعتقدات الدينية :

سيدم الأديان من حسكم وليس في المسكة أي نعما
لا تحمى العصر اسلم ولا الـ حبر ولا القس ولا الموهما

فيؤول الأمر الى الانغماس في الشهوات والاقبال على المحرمات . ولهذا يكثر في شعر المعري مهاجمة الفساد الاجتماعي وخصوصا التهتك الجنسي ومعاقرة الخمر واليك بعض وصفه لأهل عصره

قد عشوا أن سيحطهم الصبح فعاشوا بالظلام واصطبحوا
ما حفظوا حرمة ولا عملوا خيرا ولا في مكارم ربحوا

ويلقي التبعة في هذا الفساد العام على بعض رجال الدين لانصرافهم عن الروح الى المادة ومن خدعة الناس الى مآربهم فهو يتهمهم بالرياء والجشع والشهوة وما الى ذلك من النعوت المعيبة ولعلنا نستطيع ان نختصر وصفه لهذه السلبية الاجتماعية بقوله :

حديث خرافة ومزاج خمر وقل يطرحون لام عمرو
ومهلك دولة وقيام أخرى كذلك الدهر أمر بعد أمر

بيئته الفكرية

قضى شاعرنا هو النصف من عمره في القرن الرابع الهجري والنصف الآخر في القرن الخامس فيكون قد عاصر الثقافة الاسلامية في عنفوان نشاطها في ذلك العهد كان في العالم الاسلامي ثلاث حواضر كبرى — بغداد عاصمة العباسيين ، والقاهرة عاصمة الفاطميين ، وقرطبة عاصمة الاندلسيين . على ان الحركة الفكرية لم تنحصر في هذه الحواضر الثلاث . فقد نشأ — كما يخبرنا التاريخ — دول صغرى تنافست هذه الدول الكبرى في العطف على اهل الادب والعلم . وكانت حواضرها مراكز علمية كبيرة تبذل فيها الأموال الطائلة في سبيل العلم والعلماء . وقد حدا ذلك كثيرين الى التنقل من مدينة الى مدينة طلبا للدرس على بعض الاساتذة المشهورين او التماسا للعلم في بعض المكاتب الكبرى

وفي القرن الرابع — وهو القرن الذي نشأ فيه شاعرنا وأتم تحصيله العلمي — نضجت العلوم العربية . فتألفت المعاجم ووضع كثير من كتب اللغة وانتشرت الطريقة البيانية في الانشاء التي يمثلها ابن العميد والصاحب والصابي والخوارزمي وبديع الزمان والثعالبي والعسكري وسواهم . وفيه بلغت العلوم العقلية من طبية وفلسفية ورياضية وطبيعية ، أوجها ويكفي أن نذكر من رجالها السابقين واللاحقين الفارابي والرازي ، وابن سينا واخوان الصفا ، عدا من نبغ منهم في بلاد الاندلس . ومثل ذلك يقال في التاريخ فقد بلغ في عهد المعري شوطا بعيداً من التقدم . ويكفي للتمثيل ان نذكر المسعودي والاصفهاني ومسكويه وابن النديم ، عدا من سبقهم من اهل القرن الثالث كالطبري واليعقوبي واضرابهما . وكذلك علم الكلام الذي بلغ أوجه في الغزالي (وان بعد

سنة من موت المعري) ونشير اشارة خاصة الى المذاهب المتنازعة من خوارج وشيعة ، ومعتزلة ، واشعرية وصوفية ، فقد كانت على أشدها فى عهد المعري وما قبله

تلك هى التربة الفكرية التى انبتت لنا المعري . تكاثر دور العلم فى شتى الحواضر الاسلامية ـ تنظيم المعاجم والقواعد النحوية ـ سيادة التأنق البديعى فى الانشاء ـ التوسع فى المباحث الفلسفية والطبيعية ـ واشتداد التنازع بين المذاهب الكلامية

وكيف انعكست الى حياة شاعرنا وأدبه نجد أثر هذه البيئة ظاهراً فيها للعيان فهو من حيث اللغة لغوى واسع الاطلاع ولوع باستعمال الغرائب اللفظية . وهو فى مضمار الاناقة البيانية مفتون فهو يتكلف السجع والبديع أحيانا ولو أداه ذلك الى الغموض كقوله فى أحدهم :

كبرت همة الراشدين   كبرت بعد هدى دليلا
كبرت فما زال هذا الزمان   كبرت بجد قليلا قليلا

ومثل هذا التكلف كثير جداً فى نثره وشعره ، فلا جرم إذا جاء قسم كبير منه مبهما يعسر فهمه حتى على أهل الأدب ولو دققنا فى أساليب عصره . ومثل الغموض أحيانا ما وجدناها فى تكلفه ما كان يتكلفه أهل زمانه من محسنات بديعية ، واشارات تاريخية أو لغوية ، وأوابد لفظية

وتظهر فى أدب المعري ثقافة عصره العلمية بما يعكسه لنا من معرفة الافلاك وطبائع الاشياء والاحياء وأدوات العلوم المختلفة ومصطلحاتها مما ينم عن أدب شامل واطلاع واسع

على أن اهم ما يعكس من بيئته الفكرية نظره الفلسفى فى الوجود ونقده الشديد للانسان والمجتمع ، ولا شك ان المعري ولد وفيه ميل الى التفكير وان أحواله الجسدية قد أرهفت هذا الميل فيه على ان ذلك لم ينضج فيه إلا مع الزمان فقد كان فى صباه وأيام شبابه لا يختلف كثيراً عن معاصريه ـ كان مع تفكيره راضيا فى الحياة جاريا سواء فى موكبها العام ، وكان متمسكا بالدين يناضل عنه ويهاجم المعترضين . ولكنه لم يكد يبلغ الخامسة والثلاثين حتى نرى فى شعره مرارة غير عادية ـ ثم نراه فى السادسة والثلاثين قد اتخذ لنفسه طريقا جديداً فى الحياة ، فأصبح متقشفا ـ ظاهر النقمة ، لا ثقة له بالانسان ولا بما سنه من شرائع ولم يبق من آثار شبابه الفكرية الا تسليم عام بوجود الله القدير وقضاء القدر

نشأ شاعرنا متفائلا على أن بيئته حولت تلك التفاؤلية فيه الى تشاؤم عميق صبغ شعره بلون أسود قاتم . فما المذاهب المختلفة من معتزلة وجبرية وصوفية وغيرها إلا أبواب للرزق والكسب

مذاهب جعلوها من معايشهم   من يعمل الفكر يلقه الارقا
وكل قوم سوء لا أخص به   حتى الانام ولكن اجمع الفرقا

ذلك هو رأيه فى الفرق الدينية وزعمائها وله فى ذم هؤلاء من الأقوال ما يملأ صفحات عديدة فنكتفى بالاشارة اليه . ولم يقف المعري عند حد التهجم على الفرق وزعمائها بل تجاوز ذلك

الى نقد الأساطير الدينية عموما ومن أقواله الكثيرة في ذلك :

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا دين وآخر دين لا عقل له

فالعقل والتعليم الديني الذي عرفه في زمانه لا يتفقان . واما الدين الحقيقي ـ الدين الذي يقبله العقل ـ فهو المجرد عن الخرافات المتصل رأسا بتصرف الانسان من اخلاص وضبط نفس ، وزهد عن الدنايا ، ورغبة في الخير

الدين انصافك الأقوام كلهم وأي دين لآبي الحق ان وجبا

سبح وصل وطف بمكة زائرا سبعين لا سبعا فلست بناسك
جهل الديانة من اذا عرضت له أطماعه لم يلف بالمتماسك

والحق يقال أن شاعرنا مثالي سابق لأوانه . وقد عاش في جو مضطرب مظلم فحاول أن يستهدي نور العقل

تستروا بأمور في دياناتهم وانما دينهم دين الزناديق
نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق

اذا رجع الحصيف الى حجاه تهاون بالشرائع وازدراها

لكن العقل الذي يحرره من خرافات عصره وأباطيلهم لم يهده إلا الى أمرين ـ اللاأدرية والقنوط . فهو برغم تقواه وبرغم اعتقاده بقوة حكيمة مدبرة يقر بأن العقل لا يستطيع أن يعبر الهوة التي بين الجسد والروح

فنائم في الأرض دون شك ولا علم بالأرواح غير ظنون
وروح الفتى ما تحتوي الله علمه يعد حزونا أو شبيه حزون

وهو برغم رغبته في الخير لا أمل له باصلاح الفساد البشري

والتب حاول أن يهذب أهله هذا البرية ما بها تهذيب
وصلاة الناس فساد فصل من يسير أمكنته الى جديها

فاذا عرفنا الجو الذي نشأ به عرفنا أن شاعرنا لم يكن فيلسوفا ولم يقصد في أول أمره العلم المطلق بل كان جل قصده الاصلاح الاجتماعي . لكن ذلك الجو أثر في نفسيته الحساسة تأثيرا دفعه الى اليأس . وقد يؤخذ عليه بعض شذوذه الفكري وتطرفه اللغوي ، على أن شخصيته تجمع بين الاخلاص للحقيقة والعنف في مهاجمة الباطل . فقد كان الشعراء قبله لا يرون في الأدب إلا ما يوصل الى أغراضهم فجاء المعري مترفعا عن الأغراض الذاتية راغبا في اصلاح الحياة البشرية على أن اليأس تغلب عليه فجاء شعره قاتم اللون كأنما هو مصباح تنفذ أشعته الينا من وراء زجاجة سوداء

أنيس المقدسي

العربي الناقد

(تتمة المنشور على صفحة ٨٧٢)

فاستعدى عمر رضي الله عنه على الحطيئة ، فدعا حسان بن ثابت فقال له : أتراه قد هجاه بهذا ؟ فقال : ما هجاه يا أمير المؤمنين ولكن سلح عليه ! ولم يكن عمر بن الخطاب ممن يخفى عليه موضع الإقذاع في مثل هذا ، ولكنه أراد مصانعة الحطيئة اتقاء الفتنة والتحرج من الزبرقان

وكانت سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما من أبصر الناس بنقد الكلام ، حدثوا أنه اجتمع بالمدينة بعض رواة الشعراء ، فاختلفوا فيما بينهم ، وقال كل منهم صاحبي أشعر . ثم تراضوا على أن يحكّموا سكينة . فقالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذي يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام ؟

وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق ؟

ثم قالت لصاحب جميل : أليس صاحبك الذي يقول :

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

ما أرى لصاحبك من هوى ، إنما يطلب عقله !

ثم قالت لصاحب نصيب : أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي ؟

لا أرى له همة إلا فيمن يعشقها بعده !

وما نسب الى سكينة وغيرها في هذا الباب كثير ، سكتفي منه بهذا القدر الذي قدمناه

وقد رأيت أن النقد ، في ذلك العهد ، لم يتجاوز ، في الجملة ، وقوع الخاطر السريع على موضع النكتة ، وتجليتها في أبشع صور التعييب والتهجين ، وقد يجليها في أحلى صور التقبيح والتزيين ، أما النقد اللغوي ، على اختلاف صوره ، والنقد العروضي فلم يكن لهما حظ في وزن الكلام لأن اللغة كانت لم تزل صحيحة ، والفطر ما برحت سليمة صحيحة

فلما كان جعفر بن يحيى وكان أبو عثمان الجاحظ ، جعل كل منهما يحقق النظر في مأثور الكلام ويجهد في تحليله وامتحانه ، ليقف على أسرار بلاغته وعلى علل القبح فيه ، حتى استظهرا من هذا صدراً ، إلا أنه لم يبسط قواعد عامة ، فقد لوح بهذه القواعد تلويحا

ثم جاء من بعدهما قدامة بن جعفر ، ثم عبد القاهر الجرجاني ، فأمعنا في البحث والفحص ، وجدا في الامتحان والتقليب . وبذلك انبثقت للبلاغة العربية قواعد ضبطها السكاكي بعد ذلك ضبطا ، وضغطها ضغطا بما ألزم لها من الحدود والرسوم

وهنا يجمل بنا أن ننبه الى أن علوم البلاغة ليس من شأنها طبع الناس على البلاغة ، وقد

بسطنا هذا فى كلام طويل ، ولكنها فى الواقع علوم نقدية ، تنتهى آثارها الى التنبيه الى مواطن الحسن والقبح فى مطاوى الكلام

ولا يفوتنا أن نشير كذلك الى أنه لما تزاحمت الأمم بالعربية الصريحة ، وتعدت العجمة الى الملكات ، جد النقد اللغوى ، وجعل النقدة يتعقبون الشعراء ، ويحصون عليهم الخلاف لغة العرب سواء فى دلالة الألفاظ على المعانى ، أو فى اعرابها وفنون صرفها ، أو فى كيفية تأليفها ، وغير ذلك من أساليب البيان

كذلك عمد الخليل بن احمد الى تحرى أشعار العرب من جهة أوزانها وتقاليبها ، ورويها وقافيتها ، وما قد يدخل على الشعر من الزحافات والعلل ، وأبان ما يجوز من ذلك وما لا يجوز ، واستخلص من هذا كله صنعة نقدية أيضا ، أعنى بها العروض

وبعد ، فلا شك فى أن من أشد ما دعى العلماء لاحتمال النقد والتشمير فيه حتى اتسعت آفاقه ، وتزاحمت أقطاره ، أمرين : الأول الاجتهاد فى التعريف بوجوه البلاغات فى القرآن والكشف عن أسرارها ، والدلالة على اعجازه فى حقيقته ومجازه

أما الثانى ، فهو سبيل المفاضلة بين الشعراء ، واجتهاد كل ناقد لنصبة بلاغات صاحبه ، والتنبيه الى مواضع الحسن فى شعره ، ومواطن البراعة فى نظمه ، والاشادة بسبقه كما استحدث جديداً . وكذلك التحسس من معايب قرنه ، وتسقط مراذله ، والابانة عن مواضع الاسفاف فى معانيه ، والقسولة فى لفظه ، والاسترخاء فى نظمه ، وهكذا . ولا أرى بدأ من ان أعود الى القول بأن علوم البلاغة كما عملت فى تعليم البلاغة وطبع الناس عليها ، فقد عملت كذلك فى إذكاء ملكة النقد ، وتوسم أسرار الحسن والقبح فى المنظوم والمنثور جميعا

وان من يتقرى آثار كبار النقدة من القدماء والمحدثين ، لا يراها متهدية إلا بالطبع ولطف الحس ورهافة الذوق ، وبالعلم باللغة ، أعنى متنها ونحوها وصرفها ، وبالعروض كذلك

نقد المعري

لم أقع للمعرى على نقد متسق مطرد مجتمع الشمل إلا فى كتابه (عبث الوليد) فى نقد ديوان البحترى . وانى أسوق اليك صدراً يسيراً منه لتعرف مذهبه فى النقد وتعلوق فيه ، قال :

قال البحترى : أشلى على مسول أطراف القنا وما عتيق حبيئة جرداء

يذكر عليه أنه قال : أشلى ، فى معنى : اغرى . والمعروف ان « الاشلاء » فى معنى : الدعاء ، لا معنى : الاغراء . وقد حكى أن « السكيت » استعمل « الاشلاء » فى معنى « الايساد » ويروى هذا البيت فى شعره :

خرجت خروج القدح – قدح ابن مقبل على الرغم من تلك النوابح والمشلى

وإنما ينكر ذلك من يرده الى السماع . فأما من يحمله على القياس ، فهو عنده جائز . لأنه يجعل «الاشتلاء» : دعاء المشتلى الى أشلائه للشلو عليه

قال البحتري : كمن ينهبنه العيون سراعا ◦ فيه لو أمكن العيون انتهابه

في الصحة : «كمن» وهو جائز . على أنه ردىء ، لأن الصواب ان يقال : رآه النساء ، فيؤنث الفعل بالتاء . أو : رآه النساء . فأما المجيء بالنون في الفعل المتقدم ، فهو قليل . وذلك على مذهب من قال : أكلوني البراغيث . ومنه قول الفرزدق :

ولكن ديافيٌّ أبوه وأمه ◦ بحوران يعصرن السليط أقاربه

ولو قال : كاد ، لجاز ، وخلص من هذا الوجه . ويكون في كاد ضمير للمذكور ، فان حمله على العيون فهو جائز أيضا . إلا أن الضمير المجيء في ينهبن ، خفف الضرورة من ذلك ، فلو «كاد» منه

وإنما حمل أبا عبادة على مجيئه بالنون في «كدن» ، «كون» «ينهبن» بعضها في بناء البيت

قال البحتري :

فصدوت ذا بر لديك ونائل ◦ ووريت من أهل لديك ومرحب

هذا يحتمل ثلاثة معان :

أحدها : أن يكون يريد به كثرة الترحيب . من قوله : مرحبا وأهلا . وليس هذا غاية الممدوح ، إلا أنه يدل على البشر والكرامة

والثاني : أن يكون أراد أني من قولك لي : «أهلا ومرحبا» رويت ، وهذا كما يقال للرجل : إذا رأيتك فقد استغنيت

والثالث : أن يجعل كونه في أهل – أي : من يقوم مقامهم – وفي مرحب – أي : محل واسع . الذي وجد ، فقد أراد المعرى يريك مبلغ حس الرجل ووفرة محصوله من اللغة ، وكيف أحاط بها من جميع أقطارها ، ما يكاد يجل على علمه بها جليل ، أو يدق عن فهمه منها دقيق . وتراه في نقده يصرف الى اللغة أجل همه ، على أنه لانت صدراً منه الى النقد العروضي ما أصاب موضعا للانتقاد . أما نقد المعاني ، وتعقيد وجوه الحسن والقبح ، والاشارة الى ما في نظم الكلام وما يتهيأ له من القوة والسلاسة ، أو الترهل والفسولة ، فذلك ما لا يكاد يعنى المعرى كثيراً ولا قليلا !

على أن مما يلحظه مطالع المعرى الناقد ، أنه كثيراً ما ينكر الأمر على الشاعر . ويكشف من جهة الخطأ فيه . ولكنه سرعان ما يعود من هنا ومن هنا في طلب المخرج والتماس الوجه . وكذلك نرفق أشد الترفق بالبحتري في نقد ديوانه ، وان سماه «عبث الوليد» .

عبد العزيز البشري

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه نخله سكاف
في انطاكية	سوريا	انيس افندي انطونيوس لاذقاني
في اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قري
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندي حمصي - غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي حبيس
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندي طباره ، شارع الماس بيروت
في دمياط		زكريا افندي الطراوي ، ناظر مدرسة الطراوي
في حلب	سوريا	عبد الغفور افندي الكيالي صاحب مكتبة النصر
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي النحاس ص . ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr. Abdallah Bin Afif -Cheribon Java
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

الأدب والدولة

للحكومة أن تشجع الأدب على أن تبقيه حراً

بقلم الأستاذ أحمد أمين
أستاذ الأدب العربي بالجامعة المصرية

« . . . لابد مع الأسف أن تتدخل الدولة فتحمي الأدب حتى يحبه الشعب ويتذوقه حتى ينتجه الشعب . . . على ألا تجعله تحت سلطانها كما كان يفعل الخلفاء والأمراء من قبل ، فإن ذلك يقتل الأدب والشعر . . . إن الأدب لا يرقى في العصر الحاضر إلا إذا كان حراً طليقاً . . . »

من قديم كان الأدب عامة والأدب العربي خاصة متصلاً بالدولة . كان أكبر مظهر للدولة هم الخلفاء والأمراء ، فكان الأدب يزهر في قصورهم وعلى أبوابهم ، وكان الخلفاء والأمراء ينفقون عن سعة على الأدباء والشعراء ، فيجيزون آمالهم ، ويطلقون ألسنتهم . ومن أجل هذا كانت عاصمة الخلافة هي أيضاً عاصمة مملكة الأدب ، ففي الدولة الأموية عاصمة الأدب دمشق ، وفي الدولة العباسية عاصمة الأدب بغداد ، فلما تعددت الممالك تعددت كذلك مواسم الأدب ، فحلب عاصمة أدب سيف الدولة ، والقاهرة عاصمة الأدب الفاطمي ، وهكذا

ومن الإنصاف أن نقول إنه كان هناك نوعان من الأدب ، أدب لا يعتمد على الدولة كأدب الغزل ونهاجي الأدباء ، وأدب يعتمد على الدولة كأدب المديح وما إليه ، فأدب عمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة والعباس بن الأحنف أدب مستقل ، ليس كعبة الشاعر فيه هو الخليفة ولا الأمير وإنما كعبته ليلى وبثينة وعزة وأضرابهن ، وأدب أبي تمام والبحتري والمتنبي أدب دولة كعبتهم فيه المعتصم والمتوكل وسيف الدولة وكافور وأمثالهم

وقد غلب الأدب الدولي — إن صح هذا التعبير — على الأدب الشخصي فأصبح أكثر نتاج الأدب العربي للملوك والأمراء ومن أجلهم وعلى أبوابهم وبتشجيعهم

وكان لهذا نتائج في الأدب العربي بعضها حسن وبعضها سيء ، فمن نتائجه الحسنة كثرة الثروة الأدبية وإعمال الشعراء ذهنهم وخواطرهم في الإنشاء الأدبي وتوليد المعاني إلى حد يدعو إلى العجب والإعجاب ، حتى لم يتركوا في المديح قولاً لقائل ولا معنى لم يصوغوه على أشكال متعددة ،

يوليو ١٩٣٨

الهلال

وأغلظ خلقة ، ومن نتائج البيئة أن حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة هى الدائرة التى ترمى للممدوح وتغدق عليهم المال ، وأن أصبح الأدب العربى الذى نشأ حول القصور ومن أهل القصور أدبا شخصيا لا أدبا عاليا ولا أدبا انسانيا ، يفقد قيمته إذا ترجم ، ويفقد كثيراً من قيمته إذا بعد زمنه ، ولم يكن كالأدب اليونانى أو الرومانى فى سعته وشموله وعالميته . ولم يحظ الأدب العربى بالاستقلال عن الدولة الا قليلا كما حظى العلم العربى بالاستقلال الى حد كبير

وسبب هذا — على ما يظهر لى — أن العلم الصحيح يجر صاحبه الزهد الى حد ما ، ولكن الأدب وخاصة إذا كان على هذا النمط لا يجر صاحبه الزهد وانما يجره طلب الاستمتاع بالحياة الى أقصى حد ممكن . ودليل ذلك ما حدث فعلا فى تاريخ الأدب العربى والعلم العربى ، فبشار وأبو نواس ومسلم بن الوليد وأبو تمام والبحترى الى شوقى وحافظ كان مطمحهم فى الحياة التمتع بها الى أقصى حدود التمتع ، وأبو العتاهية كان زاهداً مرغما ، وأبو العلاء المعرى كان فيلسوفا أكثر منه شاعراً . أما العلماء فالأمثلة لا تحصى على كثرة من رضى منهم حظه ، وحصل استقلاله عن تبعة القصور . وقد كان رزق الدولة ومالها فى يد الخلفاء والأمراء فلم يكن هناك سبيل لاستمتاع الشعراء والأدباء الا أن يقصدوا مركز الثروة ويقدموا الأناشيد يستدرون بها عطفهم ويستمطرون بها أرزاقهم

ثم كان بعض أفراد الشعب أشبه كالتجار وأرباب الصناعات ولكن هؤلاء لا يتذوقون هذا الأدب العالى فى لغته وأسلوبه ، انما يتذوقون أدبا شعبيا ، والشعراء والأدباء يترفعون عن الأدب الشعبى وفنونه

• • •

ثم دار الزمان ، وانقلبت الأوضاع ، وتوزعت الثروة وتوزع العلم ، فأصبح الأديب والشاعر يجد رزقه من غير طريق الدولة ، فجمهور الأدب والشعر تبعا لذلك وأمكن الأديب أن يغنى من الشعب ، يؤلف الرواية تدر عليه الألوف ، ويكتب فى الصحف والمجلات فتكفيه العيش ، وتمثل روايته على المسرح فاذا نجحت درت عليه ثروة لا تحصر ، ويؤلف الكتاب القيم فى نظر الشعب فتطبع منه الآلاف ، ويجنى منه الآلاف . وهكذا استطاع الأدب أن يسابق العلم فى هذا الميدان ليسبقه أحيانا ، وتحولت موضوعات الأدب من موضوعات « ملوكية » الى موضوعات شعبية ، فلذلك يشمل أكثر فراغه ، والحياة الواقعية تصور أجمل تصوير ، سواء فى ذلك حياة أفقر الناس أو أغنى الناس وهكذا

قد وصل الغرب الى هذا الحد ولكن لما يصل اليه الشرق بعد ، فلم نعرف أديبا فيه اغتنى بأدبه ، ولا شاعراً أثرى بشعره ، بل لم نعرف أديبا استطاع أن يعيش عيشة هينة بأدبه ، ذلك لأن الثقافة لم تنتشر الى جمهور الناس بمقدار وافر ، ولا تزال الأمية غالبة عليهم ، فكيف ينجح

بينهم أديب كما يحتج برنارد شو وويلز وأشباههما؟ وأي كاتب طبع من كتابه الألوف كما يطبعون، وأي روائي نال من روايته الألوف كما ينالون؟ فإن ذكرت أن ليس في أدبائنا من يضارع أدباءهم قلت إن النجاح يبعث النجاح، ونسبة أدبائنا إلى شعوبنا كنسبة أدبائهم إلى شعوبهم، فلو وجدوا الإقبال ولمسوا النجاح لحولهم ذلك تحويلاً سحرياً إلى نابغين ممتازين

وناحية أخرى شجعت الأدب في الغرب وهي تبرعات الأغنياء للأدباء، فهناك الغني يخصص جزءاً من ماله لمن يؤلف خير كتاب في موضوع، وهناك يقف ماله ويخصص ريعه لجماعة من الأدباء ينظمون حركة الأدب ويرسمون الخطط لتشجيعه، وهكذا

فاستطاع الأدب بهذا وذاك أن ينهض على أكتاف الشعب ومال الشعب وتبرعات الشعب

ومع هذا فقد أنشأت الحكومات الأكاديميات المختلفة الفروع، فمنها للغة ومنها للأدب ومنها للعلوم ومنها للطب، تروجت بها الحركات العلمية والأدبية والفنية وكافأت بها من نبغ في علمه وأدبه. وهذه كلها عناصر مفقودة في الشرق فلا الشعب يقرأ كما يقرأ غيره، ولا الأغنياء يحبهم الأدب فيتبرعون بشيء من مالهم له، ولست أعلم وقفاً خصص لناحية من النواحي الأدبية

أزاء هذا كله كان لابد — مع الأسف — أن تتدخل الدولة فتحمي الأدب حتى يحبه الشعب وتشجعه حتى يشجعه الشعب

ولست أريد بذلك أن تضمه تحت جناحها كما كان يفعل الخلفاء والأمراء من قبل، فإن ذلك يقتل الأدب والشعر. لا أريد أن يتبادل الأدباء والحكومة الغزل فيتغزلون فيها، ويشيدون بأعمالها، وهي تتغزل فيهم فتخصهم عطاياها، فهذا أيسر سبيل للحكم على الأدب بالإعدام، إذ لا يرقى الأدب في العصر الحاضر إلا إذا كان حراً طليقاً، ينقد الحكومة كما يحلو له، وينقد الشعب كما يشاء، وينقد نفسه والناس حسب مزاجه، طوراً عابساً حزيناً وطوراً مبتسماً مرحاً — إنما أريد أن تشجعهم الدولة كما تشجع نوادي الألعاب الرياضية والفرقة القومية ونادي الطيران وما إلى ذلك، فترصد في ميزانيتها ما تشاء أن ترصده عوناً للأدباء، ثم جماعة الأدباء بعد يستعينون بهذا المال على أن ينشئوا لهم نادياً يجمع شتيتهم، فإذا اجتمعوا تبادلوا الفكر كيف يشجعون الإنتاج بالمسابقات وبتوجيه بعضهم بعضاً نحو نواحي النقص في الأدب، وعقد روابطهم بأدباء العالم الشرقي والعالم الغربي، وبإنشاء مجلة تعبر عما في نفوسهم يضمنونها خير إنتاجهم ومقترحاتهم ونقدهم — وبالجملة يكونون نقابة كسائر النقابات، هم أحرار في إدارتها وتصريف شئونها، لا يحكمهم إلا غرضهم السامي في تحرير الأدب وترقيته والنهوض به، وسد ما يجول في نفوسهم من وجوه النقص ورسم ما يطمحون إليه من وجوه الكمال، حقق الله الآمال

أحمد أمين

أخلاق السياسي

٢ – كيف تطورت وفق المبادىء الجديدة

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر
وزير خارجية سوريا في عهد الملك فيصل

تحدث المقال السابق عن أخلاق السياسي كما رآها مكيافلي ، وكيف سادت هذه العالم الى عهد غير بعيد الى أن ظهرت مبادىء حديثة تطورت معها أخلاق السياسيين وهذا ما يبينه الجزء الثاني من البحث

ذكرنا في مقالنا السابق أن مكيافلي نصح « الامير » في جملة ما نصحه به أنه اذا افتتح بلاداً كانت تتمتع بحريتها وتعيش على شريعتها فأراد أن يحكمها ويحتفظ بها ، فعليه أن يجردها من أسباب الدفاع فيعطلها ويهدم حصونها . وقد ذهبنا في ترجمة هذه التجربة الى أقصى حد ممكن لعلمنا أن أسباب الدفاع اليوم لا تقتصر على القلاع والحصون بل تشمل كذلك سائر مباعث القوة من ثروة طائلة ومجموعة في الشعب ، حتى ان القمح والبيض والزبدة صارت في هذا العصر في مصاف العتاد الحربية التي لا يتأخر العدو عن مصادرتها من فم عدوه . ولو كان مكيافلي حيا ورأى بعينيه ما رأت بعض الأقطار في ابان الحرب العالمية من البؤس والشقاء من جراء الحصار وانقطاع سبل المواصلات ، ما تأخر عن اسداء النصح للامير باتباع ما تتبعه بعض الدول المستعمرة في مستعمراتها في القرن العشرين من انهاك هذه المستعمرات وافقارها وسحب الذهب الوهاج منها ، ثم القضاء على سائر مقومات حياتها كأنها في نظرها جزء من هؤلاء الأعداء.

ويلوح للباحث أن المثل الأعلى الذي وضعه مكيافلي في السياسة الاميرية لم يحذ حذوه أحد مثل جوزف فوشه وزير نابليون بونابرت ومدير شرطته ورئيس جواسيسه . فقد حدث في سنة ١٧٩٤ مثلاً أن انيط بفوشه مرسوم يتعلق بتأديب مدينة ليون على رغبتها الملكية – وفوشه في قلبه لا يؤمن لا بالملكية ولا بالجمهورية بل لا يؤمن بغير الفرصة للوصول كما سيتبينه القارىء – فصال وجال وأظهر من القسوة والبطش ما بقي الناس يتحدثون به عشرات السنين ويستعيذون من شره . وقد بلغ به الاستهتار بأرواح الناس ان ادعى مريد أسمه لأن « المقصلة » كانت في حز الرؤوس أبطأ من أن تخرج من الجمهورية كرمها أو ان تحقق للجمهور قوته وبأسه ، ومع أنه كان عديم الاكتراث للشئون الادبية المعنوية والموضوعات الدينية فقد حمل على الدين حملة شعواء وأيد

الزندقة تأييداً تاماً وحارب رجال الاكليروس محاربة قاسية وكتب على أبواب المقابر جملته المشهورة : « الموت نوم دائم » . ومزاياه تجاهاً في سلوكه الشيطاني أنه كان قادراً على كبح جماح نفسه من غير أقل اضطراب يبدو عليه ، وكان يضبط خططه بالنسبة التي تنتهي بها المصائر ، وله قابلية نادرة على حل الحبكة وتدبير المكيدة ، وهذا كله مكنه من السيطرة على نابليون سيطرة عجيبة ، ونابليون كما هو معلوم رجل طليق لا يستطيع التقيد . ومما يستوقف الأنظار أن الأزمات في فرنسا لما اشتدت وأحدق خطرها برقاب بعض اتباع فوشه ومشايعي سيده فأصدر منشوراً دعا فيه الدولة أن تقيم البرهان الجلي على أن وجود نابليون ليس ضرورياً لنصرة أعدائه وخصومهم ، وكان لهذا المنشور أثره في الدولة ، إلا أن نابليون لما عاد إلى باريز أقصى هذا المختال الداهي عن وزارة الداخلية . وحدث عقيب ذلك أن أرسل فوشه رسولاً الى انكلترا لمفاوضتها على غير علم منه بالرسول الذي أرسله نابليون لهذه الغاية ، إلا أن الوزير الانكليزي خشي أن تكون هناك مؤامرة بسبب هذا العمل المشبوه فامتنع عن كل مفاوضة ، وكانت هذه الحادثة سبباً في إقالة فوشه من مديرية الشرطة

ومن أشهر مزاياه أنه كان يستولي على عقول الرجال السياسيين ممن يقاومونه أو يتصلون به بقوته السحرية على استكشاف نقط الضعف فيهم وبإحاطته التامة بالموقف السياسي العام ومهمه وغاياته ، وكان حديثه جذاباً تتخلله النكات البديعة في التهكم والاستهزاء ، وكان مزاجه بارداً لا يتأثر بالانفعالات ، لا جرم أنه لم يكن بالخطيب الذي يثير قلوب السامعين . ولا تمثل حياته السياسية الملطخة مزاياه العقلية الخاصة بقدر ما تمثل موقفه الحيادي التام من الخير والشر كأنه خلق من غير قلب أو كان قلبه من حيث الشعور قد قد من الصخر الجامد ، فلم يكن ليتأثر لا بالانفعالات الناشئة عن التعصب أو الشهرة ولا بالأوامر التي يوحيها الوجدان ، وسيبقى ذكره — كما تقول اللجنة البريطانية التي اقتبسنا منها هذه الملاحظات — مقروناً في التاريخ بالميراث الوحيد المهم الذي تركه لمخلف من بعده وهو الطريقة التجسسية الكبرى التي نظمها حتى أوصلها الى درجة الكمال تقريباً ، فلم يبلغ شأوها لا نقولا الثاني قيصر روسيا وراسبوتينه ، ولا السلطان عبد الحميد ، وما بينه الجابوني» .

ويأتي في المرتبة الثانية بعد دسه وتجسسه طمعه الأشعبي الذي لا حد له ، بيد أن الظواهر تدل على أن حرصه على المال كان من باب اعتقاده أن المال هو الصخرة الثابتة في هذه الأمواج المضطربة التي تموج في بحار السياسة . ومع أنه لم يتقيد بشيء من المبادئ ولم يقف في سبيله مانع من الموانع الأخلاقية الا أن سلطته التامة على كبح جماح نفسه وتقديره جميع الاحتمالات اللازمة تقديراً رياضياً دقيقاً حالا دون دخوله في مؤامرة لم يكتب لها النجاح في النهاية . وكانت الفظائع التي ارتكبها في فاجعة عصره السياسي في تأديب المشككين والبطش بهم من غير شفقة ولا رحمة ، ثم قبوله المنصب الحكومي في العهد الملكي في أيام لويس الثامن عشر في ختام هذا العصر — وهما ظاهرتان متنافرتان على ما بينهما من بعد المسافة — الأثر الفعال في ضياعه وسقوط قيمته في نظر

جميع الأحزاب في الدولة ، ورأى الناس سيرته السياسية ومسلكه الوطني على ضوء جعل حياته شؤماً في أعين الناظرين ، وقلما وجد في عصر من العصور رجل مثله استباح في سبيل غاياته المؤقتة كل اعتبار أخلاقي أو سياسي بل كل حرمة شخصية

يقرأ السياسي الناشئ في أوربا ترجمة فوشه وأضرابه ممن أساءوا إلى أممهم بما كادوه لها ، فيحفظها في نفسه من باب الذكرى التاريخية فقط وهو مغتبط لنجاة بلاده من هذا النوع من التمثل الخلقي والإجرام الوطني الذي لا وجه له ، فما عسانا أن نقول نحن وبعض بلادنا لا يزال مسرحاً يمثل عليه بعض الذين لا يختلفون عن فوشه هذا في شيء إلا في برمهم في التقاعس من كسب مشهود وتجسس مبتذل ومصلحة مادية حقيرة وتقلب في المبدأ يتقلب فيه صاحبه بين عشية وضحاها من احتلال مقنع إلى استقلال ناجز ، وإلا في قصورهم عنه في التؤدة والحساب الدقيق وكبح جماح النفس !

هذا مثال من الروح الكيافلية إذا ما طغت في الشئون الداخلية ، ولدينا مثال آخر عليها في الشئون الخارجية يبدو في سيرة البرنس كليمنس مترنيخ (١٧٧٣ – ١٨٥٩) فقد كان هذا الأمير بطبيعته مثل معظم الأمراء عظامياً لا يسمح للمزايا أن تزدهر إلا على الأغصان التي تنمو من الأرومة الارستوقراطية . وكان للحوادث التي أعقبت الثورة الفرنسية الأثر البارز في تثبيت ما في طبيعته من الميل إلى المحافظة والتمسك بالقديم ومحاربة الجديد على أنواعه وفي مقدمتها الحرية طبعاً . والواقع أن الثورة الفرنسية وما تخللها من جرائم منكرة خولته استعمال الأعصار في محاربة ما كان يدعوه « بدعة » ، ومنحته أساساً تاريخياً لمقاومة سيل التجدد . ومن أقوى الأدلة على ما امتاز به من دهاء تلك العقبات الكأداء التي وضعها في طريق الوحدة الجرمانية إذ كان يراها « بدعة » سياسية من الطراز الأول وخطراً شديداً على بلاد النمسا . ولما رأى أن الملوك الجرمانيين أمثال ملك بافاريا كانوا قد استغلوا نابليون ورضوا لأنفسهم مقاماً دنياً ملحقاً به بحيث أصبحوا عمالاً من عماله – لما رأى مترنيخ ذلك منهم ورأى من ناحية أخرى أن بروسيا تحاول لم شعثهم وتأليف وحدة جرمانية منهم لم ينتصر لاستقلالهم ، انتصار الساسة الفرنسوية لاستقلال الدروز والعلويين والجزيرة العليا في سورية ، فعقد معاهدات خاصة بهم تضمن لهم استقلالهم دفعاً للوحدة الجرمانية التي كان يخشاها كما يخشى الاستعمار الوحدة السورية ومن ورائها الجامعة العربية ، وما زال يسير في هذه الخطة التفريقية حتى تلاشى الحلم الذي ظهر سنة ١٨١٣ بتأليف الوحدة الجرمانية الكبرى

هذا هو العمل الشرير الذي أضمره مترنيخ لجرمانيا كما يضمر الاستعمار الشر للعرب ، ولكن لما حانت الفرصة لأدولف هتلر منقذ الجرمانيين استولى على بلاد مترنيخ في ثماني ساعات من غير أن يطلق بندقية واحدة ، وسيعود بالخيبة كما باء مترنيخ أولئك الذين يحاولون تقسيم العرب

وتجزئتهم ، وبذلك عند ما ترن ساعة العروبة يتذكر الناس حينئذ أعداء القوم العرب بالاشمئزاز كما يذكرون أعوانهم وزبانيتهم ممن رضوا بكل مذلة في سبيل الكراسي التي يجلسون عليها بالقمامات

ومثل مترنيخ دوراً خطيراً مشابها لهذا الدور في سياسة الوحدة الايطالية ، فقد عمل جهده لمنع هذه الوحدة بربطه المقاطعات الايطالية الصغيرة بالتاج النمسوي بعد اعترافه لها باستقلالها المحلي ليحول هذا الاستقلال دون جمع شملها ، كما زاد من ظلم للمقاطعات اللامركزي في سورية ومن ورائه حماية الاستعمار الفرنسي للاقليات الدينية والمذهبية

ويشمل الجزء الثاني من حياته من سنة ١٨١٥ الى سنة ١٨٤٨ إذ كانت الزعيم المتفوق للسياسة الاوربية التي اتخذت في عهده شكلا محافظا متطرفا يليق بالصيان والحق ، فأيد الملكية المطلقة تأييداً تاما وحمى الفوضى الاخلاقية بكل قوته ، وما حملاته المنكرة على الاحرار والمصلحين في كل عصر ومصر الا حملات الخوف والخيبة . وكان له أثر بارز في مقاومة الدول الديموقراطية الدستورية واطالة عمر الديكتاتورية القاهرة واثارة التساؤل بين الشعب وامرائه مما أدى الى ثورة سنة ١٨٤٨ . ولم يكن هذا الرجل من ذوي العقائد الراسخة إلا في إيمانه بأنه رسول جاء لتأييد السلطة الحاكمة . وتجلى كرهه للحرية خاصة في مقاومته للروح الجرمانية الجديدة فأقام رقابة على الصحف الجرمانية أخمدت صوتها وحمل التعليم في الجامعات الجرمانية خاضعا لضباط يقومون عليه من جانب الدولة ، وأصبح كل مظهر من المظاهر النيابية الشعبية لسلطة التاج مباشرة وحل الجمعيات كلها . وقد طال عمره حتى رأى بعينيه مشاريعه تمحق الواحد منها تلو الآخر

قال الأستاذ أوسكار بروننج في تاريخه « العصر الحديث » صفحة ٣١٩ : « بقي مترنيخ زهاء ثلاثين سنة متسلطا على مجالس أوروبا من غير منازع ، وليس من حسن الشهادة في شيء بحق الذين حاربوه ومشوا وراءه أن يكون لرجل صغير منحط الاخلاق مثله لعبا بيده من حديد على زمام النفوذ الذي تمتع به . ولقد ذكر لنا (أوكر ستيرن) كيف أن الشيء اليسير القليل من الحكمة يدير الشئون الحكومية في العالم . ويعلمنا التاريخ على أن الاشخاص من ذوي الطبائع المتقلبة الضعيفة الادراك التي تعوم كالفلين على سطح الفضاء والشئون كثيراً ما كانت لها اليد الطولى في احداث الشر ، في حين نرى الرجل من أهل الطابع الاعمق والاقوى عاجزة عن استخدام قوى العصر التي تمتلئ به وتسخيرها لارادتها . وما استطاع مترنيخ قط أن يدرك القوى التي أحاطت به والتي آلت في النهاية الى سقوطه ويعلمنا درس سيرته على أن الشر الذي أحدثه لا يكاد يخفف وقعه عمل من الاعمال الصالحة قام به ، فقد انغمس في نابليون لا كتساب ثقته وأغراه بطلاق جوزفين وزواج ماري لويز ، ومع أنه كان عليه أن يؤيد الامبراطورية الفرنسية بما ارتبط به من قيود الشرف ، بل من قيود المصلحة ، فقد خان عهد نابليون أحط خيانة وأنكره في ساعة الحاجة الملحة ، وبينما صار في مقدوره أن يحطم هذه الشخصية القوية فقد حطم كذلك نفس

البلاد التي أنجبته ، فإن ألمانيا بسببه غالبا لم تحصل في الوحدة الجرمانية على المكانة التي تتمتع بها روسيا في الوقت الحاضر . ولا نكاد نجد في مذكراته الضخمة صفحة واحدة تدل على ما يزدان به السياسي من دقة وبعد نظر . وكان يقابل الحماسة الوطنية التي تغلي في الصدور بعبارة تهكمية ، ولم يحل عروقه بالارتشاء دون محاربته له بقسوة حيوانية شرسة . ويعد اعتزاله الحكم الذي أورثه ابنه سببه أفظع جرم ارتكبه ، بيد أن هذا الجرم هو نموذج منطبق كل الانطباق على جرائمه الاخرى التي تلطخ سيرته بالعار والشنار . وقد أيد الخلف ما كان يحسه السلف الغير من الحقد عليه والكراهية له ، وليس من المحتمل أن ينعكس هذا الحكم القاسي الذي حكمه التاريخ عليه بعد الدرس الدقيق فيصبح له ما كان عليه » انتهى

وبالنظر الى التسامح في السياسة الخارجية وإغضاء الطرف عن المجرمين في ميادينها لم يعدم متزعم من يدافع عنه حتى في المملكة البريطانية اذ تقول في الرد على حملات الكتاب البروسيين عليه وعدم إيلائه كثيرا القضية الجرمانية المشتركة أنه من حيث المصلحة الجوهرية ومصلحة آل هابسبرج يعد في السياسة من الطراز الاول

وفي هذا الصدد نقول إن تجاوز المجتمع عن سيئات رجال السياسة الخارجية وما يقترفون فيه من منكرات جنائية أقلقت راحة الأمم وهددت الحضارة بالانقراض ، هو نتيجة ميراثها من السياسة الحديثة التي اعتبرت الدول وحدات محاربة أشبه بالعصابات التي تزود القبائل الغزو وشن الغارة . فعمل وزير الخارجية في مثل هذه الاحوال هو تتميم عمل وزارة الحربية والتآمر معها على وضع الخطط السرية للهجوم والدفاع وهو يقوم بعمله هذا بواسطة ما يدعى الدهاء السياسي ، فهذا الدهاء كثيرا ما يرتكز على سلسلة من المؤامرات وأنواع من « الغش » والتضليل حيث يأبى الرجل الكريم النزول الى هذا المقام على رغم تلك الأسماء الضخمة والطنطنات الفارغة التي تحوم حول كثير من قصور وزراء الخارجية

ويخيل الي أن هذه النعرة نشأت من شعور حديث أوحته الآلام للبرهنة في الدهاء السياسي بالمعنى الميكيافيلي ، ويرمي هذا الشعور التوق في المستقبل ليكون فيصل التفرقة بين الدهاء السياسي بمعنى التجسس والتآمر والخديعة ، والدهاء السياسي بمعنى التعاون لمصلحة الدول جميعا . وهذا لا يعني أننا نعامل هذا الموضوع من الوجهة الانسانية وما تحتمل من جدل وقيل وقال ، بل نعامله من وجهة شعور جديد أخذ ينتشر كثيرا بعد الحرب العالمية وما جرته من ويلات يهدد المجتمع بالانقراض ، وهذا الشعور هو الذي أملى على الكتاب كلمة « العقل الدولي » ، بمعنى أن الرجل الذي يتحلى بهذا العقل في الشئون الخارجية يكون شبيها بالرجل السياسي الذي يتحلى بالعقل الوطني في الشئون الداخلية ، كلاهما همه المصلحة العامة ــ ذلك الاسرة الدولية وهذا الوطن الذي أنجبه

إننا نشكو اليوم اضطرابا هائلا يمس المصالح ويهددنا في الصميم من حضارتنا وثقافتنا وأوضاعنا والتراث الغالي الذي ورثناه من الماضي، فمن هم المسئولون عن هذا الاضطراب يا ترى ؟ هم الذين اصطفوا حول مائدة فرساي عقب الحرب العظمى واعتبروا الدنيا فريسة لهم تناهبوها كما شاءوا وشاءت أهواؤهم فانقسم العالم من بعدهم إلى معسكرين : معسكر للظالمين ومعسكر الظالمين. وكانت عصبة الأمم التي أريد بها تمثيل «المثل الدولى» أصبح معاذ أملها — وا للأسف — لتحقيق مآرب الظالمين فانتهت إلى ما انتهت إليه من المآسي والمهازل ، وهي مشلولة اليوم بإيجاد صيغة قانونية تقضي بابتلاع الحبشة كما كانت منذ سنتين مشلولة بجمع الدول من أصحابها على مقاطعة إيطاليا وإنزال العقوبات بها . وهذا التحول السريع الداعي إلى الحيرة والسخرية والرائع الثقة ليس من عصبة الأمم فقط بل كذلك من تلك المعاني النيابية الصحيحة التي تقوم وتقعد بمجرد إشارة من وزير مكيافيلي ، لا يجوز أن يدعو إلى القنوط أو أن يدل على أن السياسة الدولية محكوم عليها بأن تبقى كذلك إلى الأبد ، فالوضع الحاضر هو في الواقع تنازع شديد بين المصلحتين الدولية والوطنية ، فإذا لم توجد قاعدة التوفيق بينهما سريعا فيحل التعاون محل التطاحن وتحت الوائمة التي ستعلّم الدول رغم أنوفها كيف تتعاون ، كما علمت الاضطهادات المتتالية أرباب الديانات كيف يتساهلون ويتسامحون ، لأن التاريخ دل على أن الضرورة الخطيرة هي أقوى في تأديب الناس من الوجدان والكتب المنزلة . إذن فالمسألة كلها هي ألا يمكن أن تسير السياسة الدولية مع السياسة الوطنية كتفا إلى كتف من غير أن يكون تطاحن بينهما ، فلا يؤدى التعاون الدولي العام إلى مصادمة على النفع الوطني الخاص ، ولا يحدث النفع الوطني الخاص رد فعل على التعاون الدولي العام ؟ إننا إذا استطعنا أن نؤلف بين القلبين ونوحد بين الصعبين ونجمع بين الكلمتين سارت الأمور في الداخل وفي الخارج سيراً تعاونيا متسقا ويلوح أن الشرط الجوهري لمثل هذا التعاون هو تحقيق العدل بين الدول كما تعمل السياسة الوطنية لتحقيق العدل بين الأفراد ، فيكون المعنى في السياسة الدولية مصلحة الدول مجتمعة وفي السياسة الوطنية مصلحة الأفراد مجتمعين . والقائلون بالسياسة الدولية بهذا المعنى يقصدون استثمار الأرض لا احتكارها ، وتوزيع موادها لا الاستغلال بها ، ورفع المستوى العام لا تخفيضه ، ونشر الحرية بين الناس لا تحريمها عليهم ، ورفع كابوس الجهالة عن رءوسهم لا تغشية أبصارهم وبصائرهم — يقصدون هذا كله وما يتصل به من الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي الشامل أساسا للتعاون الدولي ، لأنه اتضح لأهل النظر أن الفقر والاستثمار والجهل والعصوبة والمرض وتدنى الأخلاق وما إلى ذلك من الأدواء الوبيئة في الدولة الواحدة يسحر الخبير المادى والمعنوى بأثنا ما يلم من الشقة والأحكم عن مع عدولها إلى الدول المجاورة ، فإذا كان جارك بخير كنت كذلك بخير وإلا فالعدوى تعدى كما «تعدى» الغضبة

ومن سوء الحظ أن هذه النظرة الثاقبة التي تمليها المصالح المحسوسة كل يوم لم تلق إلا إعراضا

وكشما مطويا وأذنا صماء . ولم يكن تاريخ الدول الحديث بالتاريخ اللألاء ، بل لا يزال على مسرح السياسة الدولية أفراد حيرهم والمجتمع لو عاشوا فى الأدغال وماصوا عن المساعات للسلعة التى تزود الأغنياء لشن الغارة ، لا عن مصالح الدول المتحضرة فى القرن العشرين

هذا بشأن السياسة الدولية العامة أما السياسة الوطنية الخاصة فمن حسن الحظ أنها بفضل ارتقاء الادراك العام وما يصحبه من شعور المروءة واحلال التبجيل قد تخلصت من الشىء الكثير من عادات القرون الماضية ، فالكذب والتلبد وخيانة المبدأ والعبث بالقول والحرص على الكرسى وبيع الضمير فى سبيل المصالح المادية الحقيرة كل ذلك لم يعد له أثر فعال فى السياسة الوطنية . وأن رجلا مثل فوشه مهما لم حوله من المطبلين والمزمرين والمصفقين والراقصين والمهرجين والمتملقين ومن لف لفهم من المطبلين المأجورين بالمرجمات الضخمة ، لا يجد له فى عصرنا كرسيا مترما يجلس عليه حتى فى البلاد الآخذة فى التخلص من نير الاستعمار ، فوضع الخطة البعيدة المحكمة والاخلاص لها والتحلى بالمزايا الموصلة الى تحقيقها من استقامة فى الخلق وارتكاز فى الفكر واستجماع القوة وجرأة فى العمل مع تاريخ منسجم ثابت يدعو الى الثقة — هذه كلها شروط جوهرية لا بد منها لمن يطمع أن يكون فى بلاده رجل الساعة ومؤسس الدولة

عبد الرحمن شهبندر

أبو العلاء المعرى

سننشر فى العدد القادم من الهلال دراستين جديدتين من أبى العلاء هما :

(١) الرثاء فى شعر أبى العلاء ، للاستاذ احمد الشايب

(٢) تحليل نفسية المعرى فى ضوء السيكولوجيا الحديثة ، للاستاذ احمد صبرى سعيد

انقضى الآن ثلاثون عاماً على وفاة محرر المرأة المرحوم قاسم أمين . وقد لاقت دعوته من النجاح بعد وفاته ، قدر ما لاقت من الاستنكار في أثناء حياته . ولكن ما نجم عنها من نتائج يحملنا على أن نتساءل :

هل أخطأ قاسم أمين

في دعوته الى تحرير المرأة ؟

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدي

قال العلامة الكبير (اجوست كومت) مؤسس علم الاجتماع والفلسفة الوضعية في كتابه (النظام السياسي) :

« كل أدوار الانتقالات الاجتماعية قد ولدت كما في زماننا هذا ضلالات خيالية في حالة النساء الاجتماعية ، ولكن القانون الطبيعي الذي يخصص الجنس النسوي للحياة البيتية لم يتغير أبداً تغيراً خطراً »

وهذه الضلالات في نظر واضع علم الاجتماع هي ما كان يكتبه بعض الكتاب في أوربا تحت عنوان : (تحرير المرأة)

التسمية في نفسها تؤثر في كل نفس كريمة ، فمن الذي لا يود أن تحرر أخواته في الانسانية من الأسر وقد حررت الاماء السود في جميع بقاع الأرض ، وحصل الأكثرون من أن هذه التسمية مبنية على أخطاء علمية ، سوغت لمؤسس الفلسفة الوضعية أن يسميها ضلالات خيالية . فلم تكن شريعة في الأرض مهما انحطت على أن النساء أسيرات في أيدي الرجال ، ولا أنهن محرومات من جميع الحقوق ، ولكن الأمر الواقع هو أن المرأة في الجماعات المتخلفة كانت تعامل على نسبة مكان تلك الجماعات من سلم المدنية ، ولا سبيل الى تغيير هذه الحالة ، فان فلسفة تحرير المرأة لا تصل الى هذه الجماعات ، ولو وصلت لرموا بها عرض الحائط ، فان لكل دور من أدوار الاجتماع مميزات لا يمكن أن تتخلف على الاطلاق

والذي يتبين من تاريخ الانسان أنه ماض يزيد من حقوق المرأة عليه كلما ارتقت حالته الأدبية وازداد شعوراً بواجباته الاجتماعية ، فنزل عن كثير من مزاعمه حيالها دون أن تطالبه هي بذلك ، مدفوعاً بحكم العوامل الطبيعية ، مما يشعر بأن العلاقة بين الجنسين لابد منتهية الى درجة من

الـكمال لا يكون مجالا للشكوى . ثم لم تصل أمة من أمم العصور بعد الى هذه الدرجة ولكنها متجهة اليها لا محالة ، اذا خلا الجو من الزعازع الطائشة التي يرمي مثيروها من ورائها الى الحصول على ما يطلبونه باسم المرأة من طريق الثورة لا من طريق العوامل الطبيعية

ولقد اتفق في ابان حركة تحرير المرأة في أوربا في القرن التاسع عشر أن نعرات أخرى في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والخلقية والسياسية كانت قائمة ، أثارتها مزاعم اشتراكية وفوضوية واباحية واصلاحية ، فكان تأثير مجموع هـذه النعرات الصاخبة في ذلك القرن أشد في زعزعة أركان المبادىء المستقرة في نفوس الناس من تأثير أكبر الحوادث الانقلابية ، وأفضى ذلك التأثير الى نتيجة لا مفر منها في مستهل القرن العشرين ، وهي الحرب العامة التي ظلت الانسانية تتناحر فيها خمس سنين متوالية وكادت تقضي على المدنية وتحيلها أثراً بعد عين ، لولا ما كتب لها من بقية حياة الى حين . فكان أثر كل نعرة من هذه النعرات المتطرفة أن ارتكست الأحوال بسببها الى عكس ما كان يراد منها . فاستحالت في الناحية الاقتصادية الى انتشار البطالة ، وتوالي الأزمات، وتتابع الاضرابات ، واختلال توازن الاعمال في جميع البلدان . وكان أثرها في الناحية الاجتماعية زعزعة الأصول الديموقراطية ، وقيام حكم الفرد مقام حكم الجماعة ، وضياع أكثر المبادىء العليا التي حصلها الانسان في خلال العصور بإراقة دمه ، وأصبحت الجماعات مضطرة الى الالتجاء لحكم القوة ، فعمدت الى التسلح مادة في سبيله كل ما تملك من حول وحيلة

وكانت ثمرتها من الناحية السياسية سريان سوء الظن بين جميع الامم ، وتنبه الأحقاد المتعصبة وهضم حقوق الأقليات لدرجة حرمانهم من العمل لكسب قوتهم ، حملا لهم على الجلاء من بلاد استوطنوها مئات من السنين ، وهضم المعاهدات المعقودة للرعية ، والعهود المقطوعة ، حتى صرحوا بأنها وقصاصات الأوراق سواء . وانبنى على ذلك كله التحرى على قاعدة الأمر الواقع ، فأصبحت كل أمة قوية تبيت لجارتها ما بدا لها من الحوادث ، حتى اذا أصبح الناس وجدوا أنفسهم حيال انقلاب كان لا يمكن حدوثه لو كانت النفسية السياسية عادة في حالتها الطبيعية

أما من ناحية الآداب العامة فقد كان من نتائجها أن تفككت جميع روابط الاخلاق ، وانحلت عرى حوافظها المعنوية ، ولم يبق لـلتقاليد التقليدية اعتبار في نظر الخاصة والعامة ، فسمح كل فريق لنفسه أن يعمل ما يبدو له كأنه مستقل برأسه ، وضعف سلطان الرأي العام فلم يعد أحد يعتد به متى زادت له مصلحة شخصية في احتقاره

هذه الكارثة الخلقية حلت بالبيوت فلم يبق لرب الاسرة المنزلة التي كانت له من قبل ، وآنس منه بين حليلته وبنيه تجرداً من السلطان ، حتى فيما يمس شرفه الشخصي وكرامة البيت . ورأى أنه لو قام مذكراً بأدب موروث ، أو قاعدة مأثورة ، أو عادة متوقعة ، قوبل بعاصفة من الاحتجاج ، وضربت له الأمثال بعلانة وفلان ، واحيط به من كل مكان ، فالفى نفسه بين شرين

لاوسط لها ، فاما ان يعتزل أسرته ويعيش آمنا كأنه بعض السوارى ، واما ان يجدع انف غيرته فيتناول ليعيش ، متأسيا بمصائب النكبة بين يديه ومن خلفه

ألفت هذه الاباحة الجامحة جماعة النثر ، فانبرى فيها من لا حريجة له من كرامة أو ضمير ، فأطلق ليراعه العنان ليرضى هذه النفوس التائقة فى متعات الشهوات ، ويبل أوام تلك الفطر النزاعة الى الاباحة والاطلاق . وأى شيء يخشى وقد سلب الرأى العام سلطانه فلا يبالى وازعا من ناحيته ، ووسم داعى الاعتدال بالرجعية فلا يتوقع كريهة من جهته ، وانحطر كثير من حملة اليراع الى الاسفاف ، وهام بأهله ، ولكن الخطر قد يركب الصعب من الأمور وهو عالم ركوبه !

فلو عنى باحث بأن يستطلع آراء زعماء المذاهب المختلفة فيما انتهت اليه الحال فى هذا العهد كثمرة لجهادهم ، لما صادف واحداً منهم راضيا عما آلت اليه الامور ، بل لصرحوا له بأن نتيجة جهودهم جاءت منافية لما كانوا يسعون اليه . فلا الاقتصاديون كانوا يرمون من وراء مذاهبهم الاقتصادية أن تنتهى الحال الى أزمات عصيبة ومالية مستحكمة ، ولا الى اختلال توازن المبادلات والمقاومات الى حد أن أصبحت كل أمة تعمل على ان تقطع صلاتها بجميع العالم ، وتكل نفسها الجامحة الى سواها فيما جل أو حقر ، مما ستكون نتيجته لا محالة قطع أواصر الامم ، وفصم عرى الألفة العصبية التى لاموجب لوجودها إلا ضرورة تبادل المنافع ، وتداول المرافق

ولا الاجتماعيون كانوا يرجون بما كتبوه من بيان علل الجماعات ، والسعى لزيادة حظها من الحرية ، ونقد اسراف الحكومات فى تجاهل حقوق الافراد ، أن ينتهوا الى هدم سيادة الامة ، واحلال الدكتاتورية محلها ، ولا الى اثارة الدهماء الى حد اقامة حكومات شعبية تحتم فيها الطبقات وتستحيل الى شيوعية ماحقة . ولا شيعة الشيوعية أنفسهم كانوا يتطلبون من وراء سيادة مبادىء كارل ماركس أن تفضى الحالة الى ضرب من الحكومة الاستبدادية لا يستطيع القائم بها أن يحفظ وجودها الا باحداث مجازر بشرية دورية

ولا اشياع الاصلاحات الخلقية كانوا يتوخون من تشنيعهم على استبداد الأوضاع القديمة ، والتشهير بالعبودية لوثنية العادات والتقاليد الضارة ، أن تؤول الحال بالناس الى نكران جميع الأوضاع والعادات ، والخروج الى باحة الفوضى الخلقية ، كما هو حاصل اليوم

ولا زعماء النقد الادبى كانوا يرجون مما نعوا عليه من تحدى الأساليب العتيقة ، والورع البالغ فيه عن ذكر المساوىء البشرية فى عبارات صريحة ، أن تنتشر العهارة الكتابية الى حد أن توقف اليراعات النفيسة على نشر ما يثير الشهوات البهيمية ، ويقضى على عاطفة الصلاح فى النفس البشرية

ولا الذين كانوا يدعون لتحرير المرأة وللمطالبة باستقلالها كانوا يرمون أن يجبروا عليها بأن تعيش على هامش الجماعة كما هى اليوم ، خارج دائرة الزوجية ، وأن تقصر على أن تكون أداة

شهوانية ، فإذا لم تعد تصلح لذلك نبذت الى عالم الحرمان مع أولادها الطبيعيين ، وأن تستتبع هذه الإباحة انتشار العزوبة ، وإقفار البيوت ، وذيوع الأمراض السرية ، وقيام نوادي العري التي يجتمع فيها الرجال والنساء عراة على حالة تأباها الكرامة الإنسانية .

فلو أراد الباحث المنصف أن يعرف الطائفة التي فازت مما دعت اليه بحظ موفور ، أو اعتبرت ما آلت اليه الأحوال تمشيا نحو تحقيق غرضها ، لما وجدها في واحدة مما ذكرت ومما لم أذكر . بل لرأى رأي العين أنها خسرت جميعا معارك طاحنة في ميادينها ومطالبها ، وأصبحت لا تستطيع أن تتابع جهودها ، اللهم إلا في ناحية واحدة وهي الدعوة الى التحلل ، وإعادة النظر فيما العالم ماض فيه راكبا رأسه لا يلوي على شيء .

• • •

الدعوة الى تحرير المرأة في مصر كانت فرعا من تلك الدعوة نفسها في أوربا ، وقد أصابها هنا ما أصابها هنالك ، أي أنها تأدت الى شر محض ، وانغمست في تيار لا يرجى الخير ممن يندفع فيه . ولو كان المرحوم قاسم بك أمين حيا ورأى ما نحن رازحون تحته اليوم ، لبرئ الى الله منه ، ولأهاب بالناس الى الارعواء عما هم ماضون فيه .

لقد سلخنا في تحقيق برنامج تحرير المرأة أكثر من ثلاثين سنة لم يتم منه غير شيء واحد ، وهو سفور الفتاة المصرية من سائر طبقات الأمة ، وكانت النتيجة وصولنا الى عكس ما كان ينتظر من ذلك البرنامج . فقد كان ينتظر واضعه منه ارتفاع مستوى الآداب ، ورواج سوق الزواج ، وتوافر أسباب السعادة في البيوتات ، ولكن الذي حدث هو تدهور مروع في الآداب العامة ، وانتشار مفزع لمبدأ العزوبة . وكنا لا نسمع بحدوث طلاق في الأسر الكبيرة إلا في أحوال شاذة ، فأصبحنا نراه شائعا في تلك الأسر كأنه أمر عادي . وأصبحت جلسات المحاكم عامرة بقضايا هتك الأعراض ، وتهديد بعض النساء للأزواج . وصار من الأمور المألوفة هروب الشابات من دور أهليهن ، وقضاء الأيام والأسابيع مع بعض الشبان ، واختتام هذه الفصول بعقد قرانهن في مكاتب البوليس ، ولا تسل عما تؤول حالتهن اليه بعد تلك المأساة المنكرة من السيرة المفضوحة ، والحياة الدنسة .

لقد طمت هذه الأحوال وتفاقمت شرورها وهي آخذة في الازدياد ، وقد أصبحت جزءا من التدهور الأدبي العام الذي أصاب الإنسانية في هذا العهد الأخير . فإذا اعتبرها الاجتماعيون من العلامات المنذرة بقرب انهيار صرح المدنية الراهنة ، فلم يعدوا الصواب ، لأنه لا يعقل أن تنقلب الحياة الإنسانية الكريمة ، وهي مستقر الصفات الملكية ، وعوامل السمو الذي لا حد له ، الى مثل هذا الحضيض من الدنس والإسفاف والبهيمية .

محمد فريد وجدي

نهضة الجيش في عهد محمد علي

بقلم الجنرال فيجان

عضو الأكاديمية الفرنسية

« بمناسبة نهضة الجيش المصري في عهد جلالة الملك فاروق الاول ، نقدم صورة مصغرة لمختلف الجهود الرائعة التي قام بها جده العظيم محمد علي الكبير لتكوين جيش مصري ، والمقال خلاصة لعدة فصول هامة في هذا الموضوع اشتمل عليها كتاب الجنرال فيجان عن التاريخ العسكري لمحمد علي وابنائه ، وقد وضع هذا السفر اجابة لرغبة المغفور له الملك فؤاد راعي النهضة الحديثة بمصر »

كان جيش محمد علي مؤلفا في مبدأ الامر من جنود مرتزقة من الاتراك والألبان والسوريين والمغاربة . وكان الفضل لعبقرية محمد علي في تنظيم هذا الجيش وفي مختلف الانتصارات التي أحرزها على الانجليز والمماليك والوهابيين وكذلك في فتح بلاد النوبة وكردفان ودارفور . ولم يكن هناك جيش مصري بالمعنى الصحيح . فهؤلاء الجنود كانت تنقصهم الروابط الأدبية ووحدة الروح وعامل التجانس والشعور بالطاعة ، ففكر محمد علي في انشاء جيش جديد من عناصر مصرية . وكان في حاجة الى عدد من المعلمين والمدربين يستعين بهم على تنفيذ نظامه الجديد . وكان السلطان قد بدأ يتوجس خيفة منه ، والدول الكبرى تنظر اليه كتابع لتركيا ، فلم يلجأ لا الى السلطان ولا الى تلك الدول ، وساعده الحظ فعرف كيف ينتهز الفرصة ويحسن استغلالها

وكان سقوط نابليون قد ترك في أوروبا الغربية عدداً كبيراً من الضباط المدربين بلا عمل . وكان محمد علي قد قرب اليه الضابط الفرنسي فيسير ـ مستشار ابراهيم باشا الفتى في أثناء الحملة ضد الوهابيين ـ واعجب به وقدر اخلاصه وكفايته ، فرأى بعد اعمال الفكر أن يستعين بأشباهه ، فاختار طائفة من الضباط الفرنسيين والايطاليين الذين خدموا في جيش نابليون ، ثم الحق بهم من الاسبانيين والبرتغاليين من توسم فيهم ذكاء ومقدرة

ولم يكن جميع أولئك الضباط ، أمثال بومرج وشانيس وكيسون وماري المعروف باسم بكيرانا ، على جانب عظيم من النبوغ ، ولكن واحدا منهم وهو المدعو جوزيف سيف أو سليمان باشا ، تفوق عليهم وبرز من مجموعهم ، فميزه محمد علي وقدمه على رفاقه وعهد اليه في تطبيق النظام العسكري الجديد

وهكذا أنشئت المدرسة العسكرية للبيادة برئاسة جوزيف سيف عام ١٨٢٠ وانخرط في سلكها نحو أربعمائة طالب من أقارب محمد علي ومن أبناء الموظفين فجمعت خير طبقة من الشباب للتعلم المستنير الذي عرف ضباط نابليون القدماء كيف يدربونهم على احتمال مشاق الجندية وكيف يروضونه على فنون الحرب

وكان الضباط يمرنون الطلبة أول الامر في ميدان فسيح تجاه قلعة القاهرة تحت اشراف محمد علي نفسه . ولكن تجمهر بعض الاهالي الساخطين على كل جديد ، واعتبارهم هذا الاصلاح بدعة ، وسخريتهم اللاذعة بالضباط الاجانب ، كل ذلك حمل محمد علي على نقل المدرسة آخر الامر الى اسوان تجاه حدود النوبة وعلى مقربة من مركز التجنيد كي يسهل على طلبة المدرسة الاتصال بعساكر الجيش المصري والقيام على تدريبهم

وحدث أن تمرد بعض طلبة المدرسة العسكرية الذين انحدروا من طبقة راقية والذين لم يألفوا حياة الخشونة والتقشف ، وبدت على نفر منهم مظاهر العصيان ، فكان ابراهيم باشا قائد الجيش الأعلى يردهم الى صوابهم ويضرب لهم أحسن الأمثال في طاعة الأساتذة الأجانب ولا يستنكف العمل معهم في مؤخرة الصفوف كجندي بسيط

هذه القدوة الحسنة أحدثت في نفوس الطلبة أعمق تأثير فسادت بينهم روح النظام والطاعة

ووجد جوزيف سيف أنصاراً له في القاهرة آمنوا بمبادئه وروجوا لها أمثال محمد بك لاظوغلو وعثمان نور الدين افندي ، فأسرع في تنظيم الجيش المصري على الطرائق التي كانت متبعة في فرنسا ، فدرب جنوده على استخدام السلاح وأسلوب الانتظام في الطوابير وطاعة الرؤساء ثم علمهم كيف يتطورون من ثلة الى فصيلة ومن فصيلة الى كتيبة ، والتزم في التعليم الدقة المقرونة بسرعة التجهز لحمل السلاح اسوة بما كان يقوم به جيش نابليون لاعداد جنود حربيين في أقصر وقت ممكن

وأسرع محمد علي فجلب من النوبة الى معسكر أسوان رجالا يعدون بالالوف تولى تنظيمهم وتدريبهم ثلثمائة ضابط مختار . ألفوا منهم بعد جهد شاق ذلك الجيش الذي دان بالولاء والطاعة لمحمد علي

ويجب أن يلاحظ أن فتح السودان كان لا يقصد به الحصول على الذهب فقط بل الحصول على رجال يمكن تجنيدهم في الجيش الجديد ، وقد جند بالفعل عدد كبير منهم ، واهتم جوزيف سيف بانشاء ثكنات له في اسوان ، وزودها بمكتب صحي أشرف عليه الدكتور دوساب

وكان كل من يجند يباشر رجال المكتب تطعيمه ، ويتولون اسعافه في شبه مستشفى اذا ما فاجأه المرض

ولكن محمد علي لم يكتف بتجنيد السود بل يمم وجهه شطر المصريين وألهب فيهم احساسهم

الوطنى فدعا الفلاحين لحمل السلاح ، فاستنكر ذلك أبناء الطبقة العالية واستنكروا رفع الفلاحين الى مرتبة الجندية فى حين أنهم هم أنفسهم لم يتقدموا فى حلبة مفاخرة للحلول محلهم ، ولكن محمد على لم يحفل بأبناء تلك الطبقة ومضى فى طريقه ، وسرعان ما دبت الحمية فى نفوس الفلاحين وأصبحوا جنوداً بواسل أشداء لا تستطع قلوبهم ولا يرتعدون أمام الأتراك كما كانوا بالأمس

وتوافدت جموع المجندين من نوبيين ومصريين الى أسوان واستطاع الجنرال سيف أن ينشىء منهم عام ١٨٢٣ ، ست فرق من المشاة نظمت وفق أحدث أسلوب فرنسى

ولم يكن فى وسع الفرق المكوث طويلا فى أسوان نظراً لاشتداد الحر فى فصل الصيف ، فأمر محمد على بجلبهم شيئا فشيئا الى المناطق الممتدة فى اسنا وأبى تيج . ثم أوفد لتفتيشهم وزير حربيته فأعجب الوزير بحسن نظامهم ، وبعدئذ سار اليهم محمد على بنفسه واستعرضهم فى بنى عدى وكان مصحوبا بالمسيو دروفيتى قنصل فرنسا والمستر سالت قنصل بريطانيا ، وكان ذلك فى شهر ديسمبر عام ١٨٢٣

فى ذلك اليوم التاريخى المشهود ، دلت الجنود المصرية على روعة نظامها لاسيما وقد كان ابراهيم باشا هو الذى يتولى قيادتها ، فسر قنصل فرنسا واغتبط واعترف فى مذكراته بأن مناورات الجنود المصرية بلغت فى ذلك اليوم حداً من الدقة يحسدها عليه الضباط الفرنسيين الذين قاموا بتدريبها

وأبلى هذا الجيش بلاء حسنا فى مواقع مشهورة عام ١٨٢٨ اثبتت بسطة نفوذ المصريين فى كثير من الآفاق

ومما يجب لفت النظر اليه أن بعض المدافع الاولى التى كانت تستخدم فى الجيش المصرى صنع فى مصانع مصرية انشأها محمد على فى ضفاف النيل وجلب اليها من مختلف الأقطار الأوربية طائفة من مهرة العمال الفنيين

ويلاحظ أن ترسانة القاهرة التى نظمت منذ عام ١٨٢٤ فى داخل القلعة ، كانت قد اشتملت على مصنع للمدافع أوجده الفرنسى جونون ، وأما مصنع البارود فقد عهد به الى المهندس الفرنسى كورست الذى جدد فى جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة معمل البارود الذى كان قد انشأه الكيماويون فى عهد بونابرت

وأما مصنع السلاح فقد أنشىء عام ١٨٢٣ على يد فرنسى آخر يدعى جيمان لتستعيض عنه بيا بعد بايطالى يدعى فرنجيني خيب الآمال التى عقدت عليه وكلف حربية الدولة اموالا طائلة على غير جدوى

وأسندت الى جوزيف سيف قيادة الفرقة السادسة ، ولكن جيوش محمد على كانت موزعة فى افريقيا وآسيا وأوربا ، ففكر فى انشاء ثلاث فرق حديثة لتتقدم لتنظيم القائد الفرنسى

بوايه الذي مكث في مصر من شهر نوفمبر عام ١٨٢٤ الى أغسطس عام ١٨٢٦

وشرع بوايه في تأليف وتنسيق الفرق الحديثة وتنظيم القيادة العليا وإعداد قواد عسكريين ، فأنشأ مدرسة لهيئة أركان الحرب ثم نظم المدفعية وقام بواجبه على أتم وجه وأكمله ، ولكنه كان جنديا صارما خشن العبارة حاد الخلق لا يعرف المجاملة في الواجب ، فكثر أعداؤه وتألب عليه الضباط الأجانب من أسبان وإيطاليين وانتهى به الأمر الى تقديم استقالته بعد نزاع عنيف وقع بينه وبين ضابط فرنسي من حساده يدعى جودان

ولقد استطاع بوايه في مدة خدمته اقناع محمد علي باستخدام الكولونيل راي الفرنسي لاصلاح المدفعية والترسانة ، وتمكن من انشاء فرق حديثة مؤلفة من ٢٥ ألف رجل وتكوين أخرى من « البلطجية » لبناء الكباري وإقامة الاستحكامات

وقد أعجب بمصر مهارته ومهارة ضباطه في تدريب الكتائب على أحدث المناورات والحركات العسكرية وأساليب التفرق والتقهقر والهجوم والتجمع والالتحام والمشي الطويل في طوابير متراصة رائعة

ومما عني به أيضا توفير أسباب الراحة للجنود وتحسين زيهم ورفع مستوى معاشهم فأحرز مجداً يضارع مجد جوزيف سيف ، وكل ذلك يدل على ثقة محمد علي وبعد نظره ومعرفته بالرجال وسخائه العظيم في تقديرهم

ولقد وردت في احدى رسائل القائد بوايه هذه العبارات : « إن محمد علي هو الرجل الوحيد الذي يريد حقا تمدين مصر ، وإن عبقريته لتجاوز حدود بيئته ، وذهنه ليسبق أذهان مواطنيه ، وكل ما شيد في مصر انما شيد على عاتقه ! »

لمن يكتب الكاتب في مصر

الجمهور لا يكترث للحركة الفكرية

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

في مصر اليوم موجة مروعة من عدم الاكتراث للثقافة والفكر ، فالكاتب ينتج وجمهور القراء منصرف عن انتاجه ، والكاتب يتثقف وجمهور القراء معرض عن ثقافته ، والكاتب يصرخ ولكن صوته كالبرق الاعمى يضيع في صحراء . فالكتب تتكدس في المكاتب ، والمجلات الراقية تعاني أشد الأزمات ، والصحف الأدبية لا تكاد تظهر حتى تموت ، وبعض المقالات الاجتماعية أو العلمية أو الأدبية التي تنشرها الجرائد اليومية لا تكاد تظفر من القارىء بأكثر من نظرة عارضة مصحوبة بابتسامة سخرية واستخفاف . فجمهورنا لا يريد أن يتثقف ، ولا أن يكلف نفسه عناء التفكير ، وخير فكر عنده ما كان وسيلة لتسليته وقتل أوقات فراغه أو ما كان متعلقا بمصالحه المادية أو بحياته السياسية ذات الأثر الملموس في تلك المصالح . فالاقبال على التفكير ، والتزود من المعارف ، والرغبة في توسيع أفق الحياة ، والتطلع الى الغايات الصعبة ، واعتبار المطالعة الجدية من الضرورات لا من الكماليات ، وحب الفكر من أجل الفكر ، حرصا على الكرامة البشرية وسموا بالعقل والخلق ، كل هذه الظواهر لا وجود لها إلا بين طبقة الكتاب أنفسهم ، وبين عدد محدود من المستنيرين هواة الثقافة والفكر ، وأما سواد الجمهور فأبعد ما يكون عن هؤلاء بل هو منسلخ عنهم مقطوع الصلة بهم ، يحب في ثقافة وضيعة رخيصة فتن بها وبات يعتقد أن ما عداها خيالات وأوهام تنهك الأذهان وتتلف العقول ولا تعود على الناس بأية فائدة

وهكذا أصبحت لسواد الجمهور في مصر ثقافته . وأصبحت الثقافة الرفيعة الحية وقفا على طبقة معينة لا تستطيع أن تصل الى الشعب ، وإن هي وصلت اليه اصطدمت بسخريته وتبرمه وإعراضه وعجزه المطلق لا عن فهمها بل عن تصور الجهد الذي لا بد من احتماله لدراستها والانتفاع بها

وإذن فالجمهور بعدم اكتراثه للمفكرين يؤخر تقدم الفكر ، ومعظم رجال الفكر رغبة منهم في اكتساب الجمهور وتنبيه ذهنه اليهم واصابة النجاح والشهرة عنده ، يتملقون غرائزه الدنيا ، ويماشونه على نزعاته الرجعية ، فيضحون بالثقافة ويؤخرون هم أيضا تقدم الفكر

وما دام الجمهور في رأيهم لا يقدر بحثا جديا أو دراسة عميقة أو فكرا خالصا حرا ، فالذكي ، الذكي من انخرط في الزمرة وحمل الدف وساير الضاربين

هذه هى الظاهرة الخطيرة الملحوظة فى مصر اليوم . فما السر فى وجودها ، وما هى الأسباب والعوامل التى تحمل الجمهور على أن ينصرف عن المطالعة الجدية ويقاطع الانتاج الفكرى الرصين وينصرف الى الغث الرخيص كما تصدره المطابع وتغمر به السوق ؟

فى اعتقادنا أن أهم تلك الأسباب هى :

البيت المصرى

من منا يحب بيته ، ومن منا يجد فى بيته دار أمن وراحة وهدوء واستجمام ؟

المرأة تعيش فى عالم والرجل يعيش فى عالم آخر . ولقد اقترن الرجل بالمرأة مدفوعا بعامل المصلحة ، أو خاضعا لنداء الجنس ، فهو لم يعرفها ، وهى لم تعرفه ، وكلاهما قد أقام صرح الأسرة على قاعدة المصالح المادية فهما متفارقان فى الفاقة متباعدان على الدوام فى الفكر والروح . وحيث لا وجود للتفاهم الروحى ، لا مجال للحياة الفكرية ولا اهتمام بها ولا وجود لها

وليس شك فى أنك لن تطالع فى بيتك ولن تفكر ولن تتأمل ، الا إذا قدرت المرأة فيك هذا الجانب من حياتك وفهمت شخصيتك وعرفت عطفك نحوها ومطالب جسدك ، وهيأت لك فى دارك ذلك الجو الساكن الهادئ الوديع الذى لا بد منه لحياة عقلك ثم شاركتك فى المطالعة والتفكير وأشركت فيهما أبناءك أيضا . هذا هو جو البيت كما تفهمه الشعوب المتحضرة : ملجأ للقلب وملاذ للجسد وموئل للعقل . ولكن مثل هذا الجو نادر فى مصر ثمرة الزواج الموفق ، ولذلك يهجر الشبان والرجال بيوتهم ويسأمونها ويفرون الى المقاهى حيث الحياة رخوة تافهة ، والسمر متثاقلا مبتذلاً ، والكسل أخذاً مصريا ، والجو الشائن يروح عن النفس وينسى العمل والبيت والمرأة والأولاد

ومن المستحيل على المرء المنكود فى بيته ، فقد فقدت حياته الفكرية وأخذ من المطالعة واسطة اللذة والتسلية

المدرسة

وكما ينشأ الفرد المصرى فى بيت لا يحبب اليه المطالعة كذلك ينشأ فى مدارس لا تحبب اليه التفكير ولا تربى فى نفسه ملكة الفضول العقلى

البرامج محشوة بمعلومات تحملها الذاكرة لتلقى بها فى جوف الزمن ، والتربية الاستقلالية معدومة ، وقراءة الأدب العربى لا تمت الى روح العصر بصلة ، ومكاتب المدارس اما خاوية واما حافلة بالكتب القديمة ، واما خيالات ومشروعات لن تخرج الى النور أبداً

وربما تجد الطالب فى المدارس الثانوية الأجنبية وقد ألف المطالعة وراض نفسه عليها يغترف من مكتبة المدرسة ما شاء ويقرأ وهو فى السادسة عشرة من عمره مؤلفات شكسبير وجيته وبلزاك

وموليير وأحدث ما كتب أدباء عصره ، بجد الطالب المصرى لا يقرأ غير كتب القراءة المقررة مخلص مواد البرنامج والتى لا تترك له أى متسع من الوقت لتثقيف العقل وللمطالعة الحرة . والحق أن مستوى المدرسين الثقافى هو الذى لا يغرى الطالب بالتثقيف ولا يبين له سر الاطلاع والتفكير

شركات النشر

ومع ذلك فلو وجدنا حل الجمهور على المطالعة ، والكتاب على مواصلة الانتاج ، لو كانت لنا شركات نشر كبيرة تقدر المجهود الفكرية وتشجع عليها وتسخو فى مكافأة أصحابها وتعرف كيف تروج لها وتعلن عنها لا فى مصر فقط بل فى الشرق العربى كله

ان السوق عظيمة أمامنا ولكننا لا نعرف كيف ننتفع بها . وقد فتح لنا الشرق العربى أبوابه وتقبل فى مطلع النهضة آثار كتابنا وأعجب بها وسارع لاقتنائها ، ولكننا على وشك أن نفقد الشرق العربى لأن انتاجنا الفكرى قد انحط منذ التهمت الصحافة السياسية المصرية أدباءنا ووضع عجز البلاد عن انشاء شركات نشر تحمى حقوقهم وتسهر على انتاجهم وتسخو فى تقديرهم وتمكنهم من الانقطاع لخدمة الثقافة والفكر . وما دام الكاتب فى مصر لا يستطيع أن يعيش من قلمه بمعزل عن الصحافة السياسية ومن الصحافة أيا كانت ، فلن يرقى الفكر أى تقدم ولن تنتعش بالتالى رغبة المطالعة فى نفس الجمهور . فالشركة التى تنشأ عن سعة وتحذق وسائل الاعلان الحديثة هى التى توجد على مر الزمن جمهور القراء كما توجد جمهور المؤلفين والكتاب

انصراف الجمهور الى السياسة

يأخذ البعض على جمهورنا تعلقه الشديد بالسياسة ، ويعتقد أن هذه الظاهرة مظهر ضعف ونقص ، وأنها هى التى تحول بين الجمهور وبين الاهتمام بشئون الفكر ، وأن من واجبنا صرف أنظاره عنها وتحريره من مؤثراتها

وقد يبدو أصحاب هذا الرأى لأول وهلة على صواب . ولكن الحقائق تنقض رأيهم من أساسه . فنحن أمة لم تجاوز بعد مرحلة التكوين . أمة تترجح بين حضارتين وما تزال تنشد الثبات والاستقرار . أمة ذات موقع جغرافى دقيق ، حديثة العهد بالنظم الديموقراطية الاوربية ، لم تطمئن بعد على استقلالها وما يزال يطمع فيها الغريب . فكيف لا تهتم بالسياسة وهذه حالنا ، وكيف نستطيع الانصراف عنها وهى تتحكم فينا وتقرر مصيرنا ؟

يلوح لى أن ما يجب أن نأخذه على جمهورنا ليس هو تعلقه بالسياسة ، بل اهتمامه بها على اعتبار أنها سلسلة معارك حزبية يرجى النصر فيها لأشخاص معينين لا لمبادىء أو آراء أو نظم ، كأنما السياسة مباريات أشبه بمباريات الملاكمة أو كرة القدم

فالاهتمام بالشئون السياسية واجب ولكن على شرط أن يتحول الى ثقافة . على شرط أن

يكون إلماماً بمختلف نظم الحكم في العالم الحديث ، واستطلاعاً لما يصلح لنا منها ، ودراسة لما يمكن أن نطبقه من أساليبها وإصلاحاتها علينا ، ومراقبة لمجرى الحوادث الخارجية بعين الانتباه منها

والواقع أن البرامج الإصلاحية لا وجود لها عندنا لأننا نحن في معاركنا الانتخابية لا نطالب الأحزاب بها . لماذا ؟ لأن الثقافة السياسية تنقصنا . لأننا نجهل أمثال تلك البرامج في الخارج ، نجهل البرامج والنظم التي تقدم بها الاشتراكيون في فرنسا مثلا وروزفلت وأعوانه في أمريكا والفاشست في إيطاليا والنازي في ألمانيا . بل نجهل حقيقة المذاهب الاشتراكية والفاشية والنازية وكيف تحكم وكيف تدير شئون الدولة وما تحقق على أيدي أصحابها وما يمكن أن نستمده منها لمصلحتنا

ولو كنا قد درسنا هذه المذاهب والنظم وبحثناها ووقفنا على ما فيها من مواطن القوة والضعف بالنسبة للآخذين بها ، وجوانب الخير والشر بالنسبة لنا ، لاتبعنا تطورات عصرنا وأنضجنا مؤهلاتنا السياسية وطالبنا أحزابنا ببرامج واضحة وإصلاحات معينة وخطط مرسومة منظمة ، ولاستحالت السياسة في مصر إلى صراع نبيل في سبيل آراء ومبادىء ومثل عليا

ولكننا نعيش بمعزل عن العالم ، نعيش في ظلمات جهلنا وخبط شهواتنا ، لا نفكر في السياسة بعقولنا ولا نخلو بها بل بمرائرنا ، ولا نطمح إلى تحديد شيء بل نسعى إلى حق أمة ، ولا نشتغل بالسياسة لخير الوطن بل لمرضاة أنانيتنا المغالية ، ولا نصفق من رجال السياسة إلا عن كل عبقري السطو والافتراس شطرنج العصبية والوصولية !

فالسياسة كما يفهمها الشعب الأوروبي للتدرب على الإحاطة بشتى النظم التي تسير حياة الآخرين وبحثها وتحليلها في ضوء ظلمه الخاص ، ومعرفة المستجد الفاسد منها وتطبيق الصالح منه الذي يتفق مع نفسية الشعب واستعداده الحقيقي . السياسة في نظرهم مناورات ومحاورات وشد وإرخاء ومساومات ومناورات عند الساسة فقط . وأما عند الشعب فهي لون من ألوان الثقافة ودراسة ومقارنة ، اجتماعية واقتصادية تتركز آثارها في برامج الأحزاب وتفرض نفسها على الساسة وتنتهي إلى خير أمة

ولقد كان في وسع كثير كتابنا تكوين هذه الثقافة السياسية في نفس الشعب لو كانوا قد عالجوا السياسة على اعتبارها جزءاً من الثقافة العامة ، ولكن تسخير البعض أقلامهم للمهاترات الحزبية ، جعل اهتمام الجمهور بالسياسة مجرد مهاترات ومجرد رغبة في التفرج على مشاهد مسرحية وعلى مباراة دورية بين عدد معين من الأبطال تنقسم الأمة في التعصب لهم أو عليهم

وإذن فجمهورنا مرغم على الاهتمام بالسياسة ، ولكن كتابنا هم المسئولون عن انحراف عقليته السياسية واتجاهها نحو الحزبية ، هذا الاتجاه الذي صرف الجمهور عن اعتبار السياسة جزءاً من الثقافة كما صرفه إطلاقاً عن شئون الثقافة والفكر ، ووصل به آخر الأمر إلى مطالعة الصحف والمجلات السياسية الحزبية مكباً بها متعلقاً بها منصرفاً عما سواها كأنما هي قد وصلت في نظره أجل المشاكل وأخطرها

جاذبية الانتاج الأجنبي

للانتاج الأجنبي جاذبية قوية على عقول طائفة كبيرة من المتعلمين في مصر . فهم لا يطالعون إلا ما يرد من أوربا ، ولا يعيشون إلا من فكر أوربا ، ولا يتصلون ببلادهم إلا من طريق الصحيفة اليومية تقرأ لمجرد الاطلاع على الحوادث والأخبار . ومن خصائصهم عدم الثقة بالعقل المصري والاستهانة بالانتاج المصري والنظر الى الحركة الفكرية في مصر نظرة أجنبية يشوبها الترفع الممزوج بالازدراء . وعندي أن هؤلاء المتعلمين على حق ، إذ كيف يحكم المترجم انتاجنا الفكري والاقبال عليه والتفريق بين غثه وسمينه ومطالبة الجيد الصالح منه ، وحركة النقد في مصر معدومة ، والقيم الأدبية فوضى ، والمجاملات تحجب الحقائق ، وكبار الأدباء يتعرضون الخفاء ، والصحف تنشر الفكر لغواً وتضع جميع الكتاب وجميع الكتب على السواء !

لا صدق في النقد ولا صراحة ولا نزاهة ولا حق ولا تبصير . فكيف تتحقق المنافسة والموازنة وكيف تبرز الأعمال العظيمة وكيف يدل على ما فيها من عظمة وكيف تهتم أولئك الخوارج بتبيينها وتلفت أنظارهم اليها وتحريهم عظائمها والعناية بها ؟

لا شك انهم على حق . وما دامت الصحف تجامل وتفترض وتمدح بلا ضابط ، وما دام أدباؤنا يقدرون أشخاصهم أكثر مما يقدرون الفكر ، وما داموا يتخذون الفكر مطية للشهرة أو الكسب ، وما داموا يرفعون عقيرة أنفسهم والناس على حساب الفكر ، فلن يجوزوا بقارىء واحد من تلك الطائفة ، ولن يكون منهم إلا أن يتجاهلوا عنها ويعملوا ثقة المتعلمين ممن يجيبوا لفتات أجنبية على الاعراض من انتاجهم والاحتفاء بها . فرعاية النقد هي التي توحي الى المتعلم الثقة بصحة الانتاج . وحيث تنعدم الثقة يتعذر بالطبع تصريف الانتاج

* * *

هذه الأسباب مجتمعة تلفت الكاتب فلا يدري لمن يكتب ولا يدري لمن يفكر ولا يعلم ـ ان كان قد غامر فطبع كتابه على نفقته أو أتاحت له الظروف من يتولى نشره ـ هل سيجد له بين سواد الجمهور قراء يعنون به ويستجيبون له ، أم سيكون حظه كحظ رفاقه : عدم اكتراث مطلق من الجمهور وبضعة أسطر في الصحف سرعان ما يخيم عليها الصمت والنسيان

هذا ما انتهينا اليه بعد أن كنا قد شرعنا في بناء نهضة لاحت منها في الأفق بعض أضواء

ولقد أردنا بهذا المقال تحرير الواقع ولفت النظر اليه عسى أن يتدارك المخلصون هذه الحال التي نخشى لو استمرت أن تعود بالبلاد نصف قرن الى الوراء !

ابراهيم المصري

لم تضق الدنيا بمن فيها

بقلم جوستاف تقوى الحداد

لماذا يا قوم تتحاربون ؟

تستخدمون عقول حكامكم وعضلات عمالكم فى تسليح عزرائيل الحرب لتقتيل زهرة شبابكم ، فى حين أن السواد الأعظم من ناسكم يسهرون على شظف العيش ثم ينامون على الطوى .

فهل استوزرتم دولة الرجاء الأبالسة لكى تخرجوا ملكوت الانسان الى امبراطورية عزرائيل ؟ أتنازعًا على الرزق تقتتلون ؟ وهل شح معين الرزق الذى أغدقه الله عليكم غمرًا حتى تتنازعوا شحيحه ؟ أم هل ضاق سطح الارض بكم فصرتم تودون بحسكم عما عسى أن يتسع جمعكم الجائل لتوسيكم ؟ أم هل تتنازعون ملك الله فى الارض لكى يستأثر به الخشنون منكم دون الناعمين فيكم ؟ وهل يقتنى الخشنون منكم سوى ملء بطونهم من أطايب الطعام ومائدة الشراب ؟ وهل يجمع الطامعون منكم ما أكثر من كساء من الصوف والحرير ، ومن الاضطجاع على الفراش الوثير ، ومن المرح فى القصر المنيف على الأثاث الطريف ، ومن ركوب السيارات الأنيقة والطيارات الرشيقة ، ومن التسرية عن النفوس فى معاهد اللهو والطرب ؟

ويحكم ! كل هذا ميسور لكم مهما وفر عديدكم وتكاثر نسلكم وطمحت شهواتكم اذا كنتم تتوافقون . كل هذا ميسور لكم بلا عناء ولا شقاء ولا نزاع ولا خصام ولا عداء اذا كنتم تتعاونون على استدرار خيرات الارض التى لا تنفد . فماذا يا قوم تقتتلون ؟

ان فى صدر الطبيعة من ينابيع الرزق ما لا ينضب ولا يشح . وللعقل الذى منحكم البارى قدرة على استنباط هذه الينابيع بلا عناء ولا كثير جهد

وفى الطبيعة من القوى ما يقدركم على استخراج خيراتها ، وما يغنيكم عن بذل أى مجهود فى استغلالها . فماذا يا هؤلاء تقتتلون ؟

هل جننتم ؟ أم أسكرتكم حميا الاهواء ؟ أم استهواكم ابليس لكى تتحمسوا فى حيض شروره ؟

ترى هل هذا الطيش من طبع العقل الانسانى البديع الذى زينت به الحياة ، جميع مظاهر الكون للذى السمية ؟

صمتاً يا قوم !

إن الألفي مليون نسمة بشرية التي أتعبنا مشاكلها الكرة الأرضية ليست إلا حفنة أخذتها يد الطبيعة من أعراء الخيرات المخزونة في صدر هذه الكرة . وفي مقدرة الطبيعة أن تنتج ألوف الملايين من النسمات البشرية من غير أن تتجشم مشقة : ولقد قدر مبين الرزق من عندي . فإذا شئتم مزيداً منه فاصعدوا إلى المريخ أو اهبطوا إلى الزهرة . فإن في سطح الأرض وجوفها من الكربون والهيدروجين والاوكسجين والنيتروجين والاملاح اللازمة للحياة ما يكفي لبناء مليون بدن بشري . وفي طوق العقل البشري أن يقوم بمهمة هذا البناء من غير عناء

ففيم تتذمرون ؟ وعلام تقتتلون ؟ هلموا عاشروا الطبيعة !

كم هي سعة سطح الأرض ؟ وكم يحتوي سطحها من المواد اللازمة لبناء هذه الملايين من الأجساد ؟

كثافة السكان في المكان

مساحة اليابسة من الارض ما عدا القطبين هو خمسون مليون ميل مربع موزعة هكذا .

آسيا	٣١	٪	تقريبا	أوربا	٨	٪	»
أمريكا	٣١½	»	»	أوسيانيكا	٦½	»	»
أفريقيا	٢٣	»	»	المجموع	١٠٠	»	

وكان عدد سكان اليابسة سنة ١٩٣٦ كما يأتي :

	المساحة بالالف ميل	عدد السكان سنة ١٩٣٦	معدل السكان بالميل المربع
أوربا	٣ر٧٠٠	٤٦٢ر٠٩٢ر٠٠٠	١٢٩ر٣
أمريكا	١٦ر٦٦٣	٢٠٩ر٥٠٩ر٠	١٣
أفريقيا	١١ر٠٥٣	١٣٢ر١٣٩ر٠٠٠	١٢ر٤
آسيا	١٧ر٠٠٨	١ر٠٣٢ر١٢٢ر	٦٠ر٦
أوسيانيكا	٣ر٢٩٩	٧ر٩١٥ر٠	٢ر٦
المجموع	٥٦ر٩١٣	١ر٨٤٩ر٠٦٢ر٠	٣٢ر٣
	[معا مساحة القطبين وسكانهما]		المعدل الأوسط لكل ميل مربع

أي أن معدل الكثافة المتوسط ٣٢ر٣ لكل ميل مربع . وهو نحو ربع الكثافة في أوربا التي هي أكثف القارات سكانا

وأما الكثافة في أهم الممالك فهي كما يأتي :

مصر	١١٠٢	عدد السكان لكل ميل مربع		ايطاليا	٣٣٨	عدد السكان لكل ميل مربع
انكلترا	٦٦٨	» »	» »	المانيا	٣٥٠	» » » »
اليابان	٤٠٣	» »	» »	فرنسا	١٩٣	» » » »

الهند	١٧٢	عدد السكان لكل ميل مربع	الولايات المتحدة	٣٨	عدد السكان لكل ميل مربع
الصين	١٠١	» » » »	كندا	٤	» » » »
روسيا	٩٣	» » » »	أوستراليا	٢	» » » »

ترى أن مصر أكثف البلاد سكانا . فهى أكثف من المعدل الأوسط للكثافة العامة على سطح الارض كلها نحو ١٠٤٧ ÷ ٣٢٫٣ = ٣٢ تقريبا . أى أن مصر أكثف سكانا من جميع اليابسة نحو ٣٢ مرة

أى أنه لو زاد عدد السكان على سطح الارض الى أن تصبح الكثافة متعادلة فى كل مكان ومعادلة لما فى مصر لكانت اليابسة تسع ٣٢ مرة عدد سكانها الحالى وتقسيم الرزق اللازم لهم حسبنا هكذا : ١٫٨١١٫٠١٢٫٠٠٠ × ٣٢ = ٥٧٫٩٥٢٫٣٨٤٫٠٠٠ . أى نحو ٥٨ الف مليون نسمة بدل الألفى مليون الموجودة الآن . هذا على افتراض أن عملية استخراج الرزق من الارض تبقى كما هى الآن . ولكن أليست الوسائل لاستخراج الرزق متيسرة بحيث يمكن أن يستخرج من المعمل فى الارض أضعاف أضعاف ما ينتج الآن ؟

قد تقول ان أرض مصر عظيمة الخصب بحيث يمكن أن تعول هذا العدد الكثيف من السكان ، وليس لكل بلد مثل هذا الخصب لكى يصح تعميم القياس ؟ أجل ان أرض مصر ممتازة بالخصب فتستطيع أن تعول هذا العدد الوافر . ولكن ليس خصب الارض وحده مصدراً للرزق بل هناك مصادر له قد تكون أغنى من الخصب

انظر الى كثافة السكان فى انكلترا (٦٦٨ بالميل المربع) فهى أكثر قليلا من نصف الكثافة فى مصر (١٠٤٧)

ولكن اذا راعيت درجة معيشة الانكليزى باعتبار أنها أعلى ٣ مرات على الأقل من درجة معيشة المصرى أو الشرقى على العموم ، وجدت أن انتاج الرزق فى انكلترا ضعف انتاجه فى مصر مرة ونصف على الأقل فى حين ان أرض انكلترا أقل خصبا من أرض مصر

إذن ليست مصادر الرزق ما تدره الارض من الخير فقط بل ما يستصدره العقل الانسانى باستخدام قوى الطبيعة فى استنباط معين الرزق . على أن هذه القضية دقيقة ، والاشارة اليها مبهمة . فلا بد من التبسط فيها لتبيان موارد الرزق من الارض بعمل القوى الطبيعية التى اعتقلها الانسان الى الآن ولا يزال يسعى لاعتقال غيرها

لو بقى انسان اليوم كالانسان القديم يجمع مواد غذائه من حاصلات الارض التى تجود بها الطبيعة من تلقاء نفسها من غير أن تعمل فيها يده لما كفت حاصلاتها مؤونة جزء صغير من سكانها الحاليين . ولكن الانسان استخدم قوى الطبيعة نفسها لكى يستخرج من خيرات الارض اضعاف ما تدره هى من تلقاء نفسها . فهو لا يتوكل على الطبيعة فى أن تنبت له ما تشاء بل هو

يستنبت الارض ما يشاء ويقصر ما يشاء مسة رأيته في فن استغلال الزرع والضرع . ولا يزال يبرع في هذا الفن حتى يكاد يستنبط من الصخرة ماء ويستنبت من الصحراء عدناً

ان حاجات الانسان من الغذاء والرخاء انما هي نتيجة عمل ضروب من القوة في ضروب من عناصر المادة . وفي طبيعة الارض من هذين الفريقين ما لا ينفد مهما توافر عدد السكان المستهلكين المتعددين . والانسان أصبح مالكاً عنان القوى ومسيطراً على عناصر المادة . ففي وسعه أن يستخرج من خيرات الارض مقادير لاحد لها . واليك البيان

فلنبحث أولاً في امتلاك الانسان أعنة القوى

امتلاك الانسان القوة

بقي الانسان أحقاباً طويلة يعتمد في استغلال الارض على عضله وعلى عضل بهيمته . وما فطن الى قوة الريح وقوة المياه المنحدرة وشرع يستخدمهما إلا حين استتب تحضره . ومع ذلك كان انتفاعه من استخدامهما قليلاً جداً . وما ظفر بالقسط المعظم من قوى الطبيعة إلا حين اكتشف قوى البخار والكهرباء في العصر الأخير

ومعلوم أن مصدر القوى الاقصى على سطح الارض هو أشعة الشمس وحرارتها . وكان المعتمد عليه حتى القرن الماضي في استثمار الحرارة واستخدامها لحصول على قوتي البخار والكهرباء الوقود من فحم وبترول وما اشتق منهما . ولهذا قلق أهل العلم ورجال السياسة الاقتصادية لاعتقادهم أن الامم ستستنفد هذين النوعين من الوقود عاجلاً . وقد قدروا لاستنفادها نحو ٣٠٠ سنة على الاكثر . وبعد ذلك لا يبقى في جوف الارض فحم ولا في آبارها بترول . فماذا يستعيض الناس من هذين الوقيدين ؟ أو بالاحرى من هذين المصدرين للشري القوة . ولكن عالم الطبيعة والكيمياء يقول لنا إن مصدر القوة حرارة الشمس . وما دامت الشمس تبث حرارتها في الفضاء والارض مغمورة بها ، فالقوة لا تنفد ، ولا يحتاج الأمر إلا الى مهارة الانسان في اعتقال هذه القوة والتحكم فيها

قلنا أن الانسان يستخرج من الارض فحمها وبترولها ويستهلكهما باسراف . ولكن أين تذهب مادة هذين الوقيدين ؟ تذهب غازات وبخاراً في الهواء وتبقى رماداً في التراب . فيتغذى بها النبات بفعل حرارة الشمس . وهشيم النبات وحطبه يصلحان وقوداً . فما كانت في الأصل وقوداً عادت صالحة للوقيد إذا لم يستعملها الانسان غذاء له ولبهائمه . ولكن الانسان في غنى عن تكرار هذه العملية وحتى من استعمال هذا الوقيد الواسع . في امكانه أن يستعين بقوة حرارة الشمس مباشرة أو بطريقة أقرب تناولاً وأعزر فائدة

حرارة الشمس تستصعد الماء من البحار والارض الرطبة الى الجو بخاراً . ثم يهبط البخار الى

سطح الارض مطراً وثلجاً . ثم تجري المياه أنهاراً منحدرة . وللماء المنحدر بفعل جاذبية الأرض قوة . ومادامت الشمس تشرق والمياه تتبخر والامطار تهطل والينابيع تتفجر والجداول والانهار تنحدر فهذه قوة لا تنفد . فاذا استخدم الناس كل مياه منحدرة على سطح الارض لاستخدام القوى بالاساليب الميكانيكية التي اخترعوها أمكنهم أن يظفروا بمقادير من القوة أضعاف أضعاف ما يحصلون عليه بواسطة الفحم والبترول وما اليهما . وليس عسيراً على الانسان المخترع أن يستمد القوة أيضاً من الريح ومن المد والجزر وأمواج البحر ومن أشعة الشمس المحرقة مباشرة أيضاً . ولسوف يستخدم الانسان جميع هذه لاعتقال القوة ويكون تحت سلطانه منها أضعاف أضعاف ما يحتاج اليه منها

وحاصل القول إن في الطبيعة من القوة ما لا يقدر بمقدار . وفي امكان الانسان أن يسيطر على كل مقادير القوة الموجودة على سطح الأرض بأسهل ما يمكن

تصرف الانسان بالمادة الحيوية

اذن القوة في يد الانسان . بقي أن نعرف كم من ملايين الأبدان البشرية يمكن أن تبنى من العناصر العضوية Organic Elements الموجودة على سطح الارض . وهل يمكن العقل الانساني أن يستعملها كلها في بنيان اجساد بشرية ؟

ووضع السؤال بعبارة أخرى : هل في امكان الانسان أن يحول جميع النسب اللازمة للحياة من الكربون والهيدروجين والاوكسجين والنتروجين التي في الجو وفي قشرة الارض الى أجساد بشرية مستوفية جميع لوازمها من الترف وهناءة الحياة ؟

يمكن الاستغناء عن جانب عظيم من الخشب لاقامة الأبنية من صروح ومساكن ومعاهد الخ بالمعدن والاسمنت (ويمكن اصطناع الاسمنت بمقادير لا حد لها) وحينئذ تتحول جميع الغابات والاحراج الى مزروعات حبوب وبقول وفاكهة وعلف لبهائم الدارة اللبن والاسماك الطيبة اللحم . وجميع هذه بتوبتها تتحول الى أبدان بشرية

وأخيراً ينقرض عن سطح الأرض الحشيش والاعشاب والنباتات وكل نبات لا فائدة منه للانسان ولبهائمه الداجنة . وينقرض أيضاً كل حيوان لا نفع منه للانسان . ولا يبقى على سطح الارض إلا كل نبات جيد مفيد للانسان والحيوانات الداجنة . وكل نبات لازم لبناء المسكن (ان كنت تبني من الخشب) الخ ، وكل حيوان مفيد للانسان ، وبالاجمال كل ما ينفع الانسان غذاء وكساء وزينة وبناء وما الى ذلك . وقد يتمادى الانسان في تحويل العضويات الى كل ما فيه فائدة له الى أن يحول أخيراً حيتان البحر ونباته الى ما فيه نفعه . وفي البحر من مواد عضوية أضعاف ما في البر

وبالاجمال يقال إن الانسان يستطيع أن يتصرف بكل مادة عضوية في البر والبحر والهواء

وتحويلها الى مواد نافعة له من كل وجه — وأخيراً تصبح كلها أجساداً بشرية وأغذية لأجساد بشرية فقط

قد تقول ان هذا الحاصل من عملية التحويل هذه ليس بالقدر العظيم . وليس في طوق الانسان ان يتمادى بهذه العملية الى حدود بعيدة . أي ان دائرة هذا التحويل محدودة بما في الغابة وفي البحر الآن من نبات وحيوان وهو قدر لا يزيد مهما تفنن الانسان في تحويله . وجل ما يستطيعه هو أن يستنبت بدل الشجرة البرية غير المثمرة شجرة مثمرة وبدل الشوك برسيما للحيوان الخ فالكربون والنيتروجين الموجودان في نبات الارض وحيوانها لا يزدادان مهما تفنن الانسان في التلاعب الكيماوي بهما فإذن مقدار عناصر الحياة على الأرض محدود بما فيها الآن من احياء

أقول رداً على هذا : بل يستطيع الانسان أن يضيف الى مقدار هذه العناصر الحيوية الموجودة اضعافه . ففي قشرة الأرض من كربونات الكلس (الجير) وفي الهواء من غاز النيتروجين ، ناهيك عما في مياه البحار من اوكسجين وهيدروجين ما يكفي لبناء أضعاف اضعاف الاحياء الموجودة الآن . وفي وسع الانسان أن يستخرج من تراب الارض كربونه ويطلقه في الفضاء غازاً مؤكسداً غذاء النبات الذي يغذيه ويغذي أنعامه ، وفي امكانه أن يستنزل نيتروجين الهواء كله حامضاً نيتروجينياً ويصنع منه سماد نترات لتغذية نبات تعجز عن تغذيته نترات التشيلي في أوفر الاحيان (وقد نجح العلم أخيراً في تحويل نيتروجين الهواء الى الحامض النيتريك بقوة الكهرباء)

فما دام الانسان مسيطراً على قوى الطبيعة وهي لا تحد ولا تقاس ، ففي وسعه أن يلعب بكل سهولة اللعبة الكيماوية في تغذية الحياة بحيث يصبح سطح الأرض : حقلها وأوديتها ومستنقعاتها حتى صحاريها حدائق غناء ومروجاً خضراء ترعى فيها السائمة ، وفي أواسط هذه المروج والحدائق مدن عظيمة يتمتع فيها بلايين البشر من غير جهد ولا عناء

الطبيعة يا قوم كريمة بالقوة ، والأرض سخية بالمادة . والعقل الانساني اكتشف أسرار القوة والمادة وسيطر عليها وفي وسعه أن يجعل مسكونة الانسان على الارض جنة

فلماذا يقتتل الناس ؟ هذا سر يحير العقول !

ان شهوات الجسد طغت على حكمة العقل وعلى قداسة الضمير فضلّ الانسان عن النعمة التي أسبغها الله عليه . ولا يهدئ ثورة هذا الجنون الهولي الا تغلب الحكماء على التيار الظاهرة ، فمن لنا بأن يرد شياطين السياسة الى الوراء ويدفع ملائكة الحكماء الى الامام !

نقولا الحداد

العفريت الأسير

بقلم الأستاذ حسن الشريف

كان الكونت دى تروملان سيداً من سادات الريف فى فرنسا هجر وطنه فيمن هجروه من الأشراف والنبلاء لما عصفت بالبلاد ريح الثورة وبعثت بوادر عهد الطغيان والارهاب . ولقد ساهم بقسط وافر فى الدفاع عن قضية الملوكية وانضم الى جيش الأمراء للتمرد فى الحملة الفاشلة التى أرادوا بها القضاء على الحكم الجمهورى واعادة العرش الى آل بوربون ، ثم قدر له أن ينجو بأعجوبة من أيدى جيوش الثورة بعد هزيمة الملكيين فى معركة كيبرون ، ففر الى انجلترا تاركا فى فرنسا زوجته الشابة الحبيبة التى لم يمض على عرسها غير أيام ، واستقر به النوى فى مدينة لوندرة التى لم يكن له فيها مورد للرزق سوى ما كانت الحكومة الانجليزية تتصدق به من الاعانات على الأمراء والمهاجرين

وكانت قوانين الثورة تعتبر الهجرة خيانة كبرى للوطن يعاقب مرتكبها بالاعدام ، وكان الكونت دى تروملان يعرف ذلك ويعلم أنه اذا وضع قدمه على أرض فرنسا وقبضت عليه السلطات كان مصيره الموت فلا رجاء فى العفو ولا أمل فى النجاة

ولكن الاغتراب قاس والفراق مؤلم للنفوس الوفية التى لم تألف الوحدة والسكون . ولقد طال اغتراب الشاب واشتد به الحنين الى الوطن حتى بات ولا شىء أحب الى نفسه من أن يطأ يوما ما أرض فرنسا أو أن يرى على الأقل شواطئها من بعيد . ولقد لبث يتحين الفرصة التى تسعده بتحقيق رغبته على ما يكتنفها من مخاطر وأهوال حتى تهيأت له هذه الفرصة فى دعوة وجهها اليه صديقه القبطان سدنى سميث ليدعوه الى مصاحبته فى رحلة على ظهر البارجة « دياموند » التى كانت مع قطع أخرى من الاسطول الانجليزى تحاصر شواطىء فرنسا سنة ١٧٩٦

أما القبطان سير سدنى سميث هذا فكان يعد بعد الاميرال نلسن أشهر قادة البحرية الانجليزية فى ذلك الحين . وكان الجمهوريون الفرنسيون يعتبرونه ألد أعداء حكومتهم وأكثرهم نشاطا فى عرقلة مساعيها وأغراضها . فقد كان لا ينفك يمد الملكيين الثائرين فى شمال فرنسا بالذخيرة والسلاح ، ويساعد الراغبين منهم فى الهجرة على الافلات من يد السلطات بنقلهم على سفائنه الى الموانىء البريطانية ، ويتطوع لحمل زعماء العصابات الملكية وكبار المتآمرين الى السواحل الفرنسية ويعاونهم على التسلل الى المقاطعات الشمالية التى كانت ميدان حرب بينهم وبين جيوش الجمهورية ،

وينقل الرسائل السرية الخطيرة من الأمراء الفارين الى أعوانهم فى فرنسا ومن هؤلاء الى أعوانهم فى هولاندة وبلجيكا وانجلترا

وأما مهارة هذا الشيطان وشجاعته وكثرة مغامراته فكانت مضرب الأمثال حتى لقد كان البحارة الفرنسيون يسمونه «عفريت البحر» لسرعة حركاته وتنقلاته سرعة تفوت كل متصور وكل معقول . ولقد لازمه الحظ فى جميع غدواته على الفرنسيين بقدر ما لازم النحس هؤلاء فى مطاردتهم إياه حتى رسخ فى أذهانهم أنه شيطان حقيقة وإن يكن متشكلا فى شكل انسان

ولقد طابت للكونت ده تروملان صحبة هذا القائد فكان يقضى على ظهر الفارجة «دياموند» حيث تجد الفرج الذى تسليه هذه النزهة البحرية الشائقة وتلهيه مشاهدة تلك المطاردات السريعة والمغامرات الجريئة وتقر عينه رؤية السواحل الفرنسية العزيزة الممتدة على طول بحر المانش من ميناء ديب الى أقاصى نورمانديا ، ولا شك فى أنه كان يؤثر هذه الحياة القلقة المضطربة على حياة العطلة والفراغ التى كان يقاسيها فى لوندرة ويود لو تطول الى ما شاء الله أن تطول لولا أن لكل سعادة نهاية ولولا أنه «عند صفو الليالى يحدث الكدر» . ولقد حدث الكدر فعلا فى ليلة صحو كانت بدايتها تبشر بخير عظيم ، ولكن القدر شاء كما أبى إلا أن يختمها بكارثة ما أهولها من كارثة !

أراد سير سدنى سميث أن يفرج عن صاحبه بنوع جديد من مغامراته المدهشة فراح ذات ليلة بسفينته نحو ميناء الهافر تحرسها حصون محصنات كبيرة وهاجم مدمرة فرنسية كانت تسير فى طريقها الى بوطار للبناء فاعترض سيرها واستوقفها وأمر رجاله بالاستيلاء عليها . فلما تم له ذلك وشرع فى الخروج الى عرض البحر بالمدمرة الأسيرة هبت على البحر هبة ريح قوية دفعت به الى الجنوب فى قوة لم يستطع مقاومتها وحاولها جهد الاستطاعة فقذفت بالفارجة الى مصب نهر السين . وعندئذ خرجت السفن الفرنسية المرابطة فى الميناء وأحاطت بها وهاجمته من كل صوب ولم تمض بضع الساعة حتى كانت الفارجة وقبطانها عفريت البحر وضباطها وبحارتها وصحبها الكونت دى تروملان أسرى بين أيدى الفرنسيين

وما من شك فى أنه كان لهذه الخيبة أثرها السيء فى نفس سير سدنى سميث ورجاله ، ولكن الرجل تقبلها برباطة الجأش التى اشتهر بها الانجليز فلم يفقد صوابه ولم يضيع وقته فى شتم القدر ولعن الظروف ، بل عرض المسألة الطارئة من كل نواحيها ليخرج منها على أحسن وجه ممكن ولقد هداه تفكيره الى أن موقفه مهما يبلغ من السوء موقف مأمون العاقبة مضمون النهاية . فكل أشد ما يتوقعه هو أن يظل ورجاله أسرى حرب فى أحد السجون الفرنسية تحميهم القوانين الدولية حتى اذا ما وضعت هذه الحرب أوزارها وعقد الصلح بين البلدين عادوا الى وطنهم آمنين سالمين . أما موقف الكونت دى تروملان فكان من نوع آخر يبعث على القلق ويدعو الى التفكير

ذلك بأن كونه نبيلا فرنسيا مهاجراً وعدوا لجيوش الجمهورية ومقبوضا عليه فوق ظهر سفينة محاربة، كل ذلك من شأنه أن يجعل مصيره واضحا كل الوضوح وهو الاعدام بالرصاص أو بسكين المقصلة قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة. ما في ذلك شك ولا ريب. وإذ أدرك القبطان ذلك وأيقن أن لا سبيل الى انقاذ نفسه أو أحد من رجاله لم يبق أمامه إلا أن يحاول انقاذ صديقه الذي قادته النزعة المغامرة المشؤومة الى هذا الموقف العسير فانتهز فرصة الفترة التي كان الفرنسيون يجاسون فيها سفينته، ويتأهبون لتسلق سلمها، وجمع رجاله وألقى عليهم في لهجة الأوامر العسكرية هذا الأمر السريع: «من هذه اللحظة يعتبر مسيو دي تروملان خادمي الخاص ويكون اسمه جون برومل»

ولفت أحد الضباط نظر رئيسه الى أن الكونت يكاد لا يعرف كلمة من اللغة الانجليزية فأجابه القبطان: «إذن فلنقل أنه من أهل كندا وإني استخدمته من هناك»

وفي هذه الأثناء كان الفرنسيون قد تسلقوا البارجة دياموند واستولوا على ما فيها ومن فيها فسلم القبطان سدني سميث سيفه الى القبطان الفرنسي وقدم اليه ضباطه كلا منهم باسمه. وصدرت أوامر القبطان الفرنسي باعتبار البارجة غنيمة حربية واعتبار رجالها أسرى حرب. وأنزل في الحال العلم الانجليزي من فوق الصارية ورفع عوضه العلم المثلث الألوان. أما الكونت دي تروملان الذي صار الخادم جون برومل، والذي سنعرفه منذ الآن بهذا الاسم، فكان قد أسرع واستبدل بثيابه الأنيقة ثياب أحد الخدم وعاد فوقف في صفوفهم وراء الضباط والبحارة، ولما آنس أن العدو لا يعيره ولا يعير اخوانه أي اهتمام عمد الى مقصورة سيده يحزم أمتعته ويرتب في الحقائب ملابسه كأنه لا يعبأ بما هو واقع أو كأن الأمر يعني الكبار ولا يعني أمثاله من الصغار

حدث ذلك في صبح اليوم التاسع عشر من شهر ابريل سنة ١٧٩٦ وقد هرع أهل المدينة عند الصباح الباكر ليشاهدوا السفينة الأسيرة ووقفوا على الأرصفة يهللون ويصفقون ويمتعون أنظارهم برؤية ذلك الذي ظنوه عفريتا فاذا هو انسان كسائر الناس بل أقل من كثير من الناس لأنه يؤسر ويحبس ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً. ونزل العفريت الأسير من السفينة وسار في طليعة رجاله بين صفين من الجند المدججين بالسلاح، فما أن شاهده المتفرجون حتى دوت صيحات التهكم والسخرية في الفضاء. فمن «مرحى مرحى» الى «أهلا وسهلا». وكان الرجل يستقبل هذه الصيحات الساخرة بذلك الاستخفاف المتوقر الذي يجيده الانجليز فيرد عليها برفع القبعة تحية وباحناء الرأس تسليما. ولما بلغ الفندق الذي أعده القوم لينزل فيه لم يشأ أن يمضي في سبيله بغير مجاملات لم يدروا أيحملونها على الجد الصادق أم على التهكم اللاذع فقال انه يحمد لمصيبته أن أتاحت اليه فرصة زيارة فرنسا الجميلة وتعرف شعبها الظريف

وكان سير سدني سميث يتقن تمثيل دور السيد الشديد الذي لا يتسامح حيال الزلل أو التقصير

فيحمل خادمه بحلطة لدا فرطت منه فارطة ويركله بقدمه ركلا يثير شفقة الناس عليه . ومع ان جميع الأسرى الانجليز ضباطا وبحارة وجندا كانوا يعرفون حقيقة هذا الخادم المزعوم فان أحداً منهم لم تحدثه نفسه بإفشاء سره تزلفا الى العدو أو رجاء فى مكافأة أو استزادة من حسن المعاملة ، وهكذا احترمت ارادة القبطان ونفذت أوامره أدق تنفيذ

وفى اليوم الرابع لاقامتهم بالصدق صدرت الأوامر من الجهات العليا بترحيل سدنى سميث وسكرتيره الضابط رايت الى باريس وباستبقاء باقى الأسرى حيث هم حتى تصدر بشأنهم أوامر جديدة ، فأركب القبطان وسكرتيره مركبة من مركبات البريد ، وقبل أن تهم الخيل بالسير قصر الخادم جون بروملى الى القعد الخلفى المعهود كأن سفره فى صحبة سيده شىء طبيعى لا سبيل الى الاختلاف فيه . وتشاور رجال السلطة فى شأنه برهة فمنهم من رأى فى ذلك مخالفة للاوامر ، ومنهم من رأى غير هذا ، ثم استقر الرأى على أن يترك الخادم الأمين فى رفقة سيده حتى تتسلمه ادارة الأمن العام فى باريس فتقضى فى أمره بما تشاء

● ● ●

وبلغ الركب باريس فى أوائل شهر مايو وأدخل الأسرى سجن « التامبل »

وكان سجن التامبل مشهوراً فى أوربا كلها بأنه معتقل العظماء وكبار المجرمين السياسيين وقد اعتقل فيه الملك لويس السادس عشر وأفراد أسرته قبل ملك بسنوات . ولقد كان هذا السجن أشبه الأبنية بالقلاع : ذا أبراج شاهقة وأسوار عالية ولفتية واسعة وأقبية تحت الارض تصلها ببعضها سراديب طويلة متعرجة . وكان أمره موكولا الى حراسة شديدة أو معروف أنها شديدة لكثرة عدد الحراس ولصرامة الأنظمة التى فرضت الحكومة تطبيقها فيه

ولكن انتهاء عهد الارهاب ، والضعف الذى كان على ادارة الدولة (الديركتوار) يسوس به البلاد ، والفساد الذى اعترى دولاب الحكم ، والرشوة التى فشت فى مصالح الحكومة ، كل ذلك كان له أثره فى سائر النواحى فلم تسلم ادارة سجون الدولة مما اعترى جسم الدولة كله ، ومن ثم كان التراخى فى الحراسة والاهمال فى الرقابة والتهاون فى كل شىء . ويكاد يكون من الحقائق المسلم بها فى علم السجون انه بقدر ما تشتد الحراسة ويشتد التضييق تضيق أعطان المسجونين وتكثر حيلهم للاتصال بأصدقائهم فى الخارج كما تكثر حيل هؤلاء الأصدقاء للاتصال بأولئك المسجونين . فاذا كانت الشوارع المحيطة بقلعة التامبل مسرحاً للشرطة والخفية والجواسيس والرقباء فقد كانت أيضا المنازل المحيطة بها مقاماً للملكيين المتنكرين والمتآمرين المتخفين ، ومسرحا للتدابير الشيطانية التى تدبر لتهريب المعتقلين وتخليصهم من وسائل الحرب والافلات

ولقد كان سير سدنى سميث يعلم بعض الشىء عن أحوال سجن التامبل ومن حوادث الفرار التى وقعت فيه . فلذلك لم يدهش كثيراً عندما وقف أول ليلة يستنشق الهواء الطلق من وراء

قضبان النافذة الحديدية وأبصر حجرة فى الطبقة الثالثة من منزل مطل على البرج الذى هو مسجون فيه ، وقد غطى حائطها المقابل لنافذة السجن قماش ابيض كشاشة السينما وسلطت عليه أشعة فانوس سحرى كانت ترسم على القماش أحرفاً هجائية متتابعة تتركب منها كلمات وجمل مفهومة

وقف سير سدنى هنيهة يرقب هذه الحالة ولم يلبث طويلا حتى أدرك انها طريقة يخاطب بها المتآمرون أصدقاءهم فى السجن ويطلعونهم بها على أسرارهم ومشروعاتهم . ولقد عجب الرجل من جرأة هؤلاء الناس ولكن عجبه زال اذ أدرك ان سكان الأبراج العليا من السجن وحدهم هم الذين يستطيعون رؤية ما يكتب الفانوس السحرى على الحائط . أما الحراس وكلهم مقيمون فى الطبقة السفلى فلا يرون منه شيئاً واذا ارتفعت أبصارهم الى ما فوق رءوسهم فلن يروا سوى نافذة بيت مضاءة وهذا أمر طبيعى لا يثير الريبة ولا يدعو الى الاهتمام . والواقع ان هذه الطريقة للتفاهم بين المعتقلين وأصدقائهم فى الخارج كانت من اختراع سيدة مسنة تنتمى الى الحزب الملكى اسمها مدام دى لوبواه تسكن مع بناتها الثلاث فى المنزل المواجهة لبرج التامبل وتتولى نقل الرسائل الى السجين بطريقتها المبتكرة العجيبة

وبهذه الوسيلة علم القبطان حيث ان الكونتس دى تروملان لما علمها من أصدقائها بانجلترا نبأ القبض على ركاب البارجة دهلوتيه وزوجها من بينهم قدمت الى باريس وآوت الى منزل صديقتها مدام دى لوبواه ، وأنها جادة فى تدبير تهريبه من السجن وان عليه أن يصبر ويتأهب للفرار عندما يحين الوقت المناسب

وكان طبيعياً أن يشغل تفكير السيدتين انقاذ الكونت تروملان لأن حياته كانت رهن أتفه الحوادث والمصادفات ، فلو تعرف وجهه أحد الناس أو صادفه صديق وناداه باسمه أو صدرت منه أو من غيره بادرة تنم عليه لافتضح أمره ولم يبق أمامه الا الموت . ولو كان الكونت حريصاً حذراً مباليا بما يحيط به من الأخطار لاطمأن ذووه بعض الاطمئنان وتريثوا فى تدبير خلاصه حتى تكتمل لديهم وسائل احكام الخطة وتوقى شر المفاجآت . ولكن صاحبنا كان مستهتراً لا يعبأ بشىء ولا يحسب حساب شىء فكان من الواجب الاسراع فى انقاذه قبل أن يقع ما ليس فى الحسبان

ولقد كان ضباط السجن وحراسه يستحبون دم هذا الخادم المخلص الوفى الذى لم يكن له رأى ولا شأن فى الحرب الناشبة بين انجلترا وفرنسا ، والذى آثر أن يسجن فى هذه القلعة الرهيبة على أن يفارق سيده وولى نعمته . ولقد كانوا يعلمون أنه أمسى غريب عن باريس لا صلة له بأحد من أهلها ولا مال فى يده يستطيع أن ينعم به فى أسر دى بل ، فكانوا يولونه من عطفهم وتسامحهم الشىء الكثير ويبيحون له ما لا يبيحون لغيره من المحظورات ويتركونه يتنقل فى أنحاء السجن كما يشاء . ثم تمادوا فى التهاون الى أن كانوا يسمحون له بمبارحة السجن فى بعض الاوقات فيذهب الى المدينة يجول فيها جولة ويبتاع لهم منها بعض الحاجات لقاء نفحات مالية يتحفونه بها .

وكان ما يبديه من النشاط فى الغدو والرواح والمحافظة على المواعيد والإمانة فى الشراء والدقة فى اختيار الأشياء ، مشجعا الحراس على الثقة به والمضى معه فى التسامح الى حدود التفريط فى الواجب والانحراف عن مقتضيات القانون والنظام . وكان برومل يعرف حب أولئك الجنود النبيذ وشدة اقبالهم عليه فكان يشترى لكل منهم كوبا يشربه معهم أو يوزعه عليهم على نفقته وكانوا يرون فى ذلك ظرفا وكرما يستحق صاحبهما كل عطف وتسامح واكرام

أما رجال المخابرات الذين كانوا يحيطون بالسجن فقد أقلقهم أول الأمر كثرة تنقلات هذا الخادم فأخذوا يتبعون خطواته ويراقبون الاماكن التى يختلف اليها حتى تحققوا أنه لا يدبر أمرا ولا ينتوى شرا ، لقد كان يغادر المنزل فى ساعات معينة من كل يوم ويسير فى الشوارع والطرقات لا يكلم أحدا ويكاد لا ينظر الى شىء ، ثم يتردد على بعض الحوانيت فيشترى منها ما يريد ويلزمه ثم يذهب الى منزل مدير السجن يمضى به بعض الوقت ويعود الى السجن لاتبدو على وجهه أمارات رجل يحاول الهرب أو يدبر شيئا خطيرا ، فعلام يهتمون بشأنه أو يرفعون أمره الى السلطات العليا فيسيئوا الى أصدقائهم الحراس بلا موجب ولا داع ؟ أما السيدة الانجليزية التى يختلف الى منزلها فلا تعدو أن تكون رفيقة لطيفة يقضى معها لحظات تهون عليه مرارة الحبس وشدة الأيام ، فهل من المروءة والسماحة أن يحرموه هذه الحلوة البريئة التى لا يمكن أن يترتب عليها شىء ؟

بيد أن هذه الرفيقة اللطيفة لم تكن سوى الكونتيس دى تروملان ولم يكن اجتماعها بروجها إلا لتتبعه كل يوم على مدى ما وصلت اليه تدابيرها مع صديقتها معلم دى لوبواه فى سبيل انقاذه وانقاذ صديقه القبطان . ولقد علم تروملان أن الرائين الانكليز تستعينان باصدقاء المخلصين لتنفيذ الخطة المرسومة وفى مقدمتهم فيليبو زعيم الملكيين فى مقاطعة النانديه ، وهيد دى بومل المتآمر الخطير الذى عينت الحكومة جعلا لمن يأتيها برأسه ، وبوروج الملكى الثائر المغرى، الذى لم يكن فى الدنيا شىء أهون عليه من حياته ، وبواجيرلر الذى اشتهر هولوث افلاته من أيدى الشرطة كلما هموا بالقبض عليه حتى لم يعد فى الشبابة وسيلة لتعقبهم وصرف أنظارهم عنه غير أن يشتغل رقاصا بمسارح الاوبرا يتقاضى مرتبه الشهرى من مال الحكومة التى أعياها البحث عنه والاهتداء اليه ، وغير هؤلاء من النبلاء الذين كانوا يستعذبون الجهاد فى سبيل الملك ويسترخصون الحياة فى المطمع من تثبيته

ولم يعد الآن سرا من الأسرار أن معظم المبانى التى كانت تحيط بقلعة التامبل أو تلاصقه كانت أيدى المتآمرين من قديم الزمان قد عبثت بأرضها وأوجدت بها سراديب وممرات سرية حفرت تحت أسوار السجن ومدت حتى وصلت الى ما تحت القنطرة والقناة الكبير . ولقد اهتدى أصدقاء تروملان الى أحد هذه المنازل فاستأجره روحه وظلوا يبحثون عن آثار السرداب الذى به حتى عثروا عليه ولم يبق أمامهم الا أن يكشفوا عنه التراب ويوسعوه ويطيلوه بمقدار اثنى عشر قدما

ليبلغ المكان الذي عينوه لالتقاط السجينين منه . ولقد عملوا حتى لم يبق للوصول الى البلاط الا قشرة رقيقة من الارض تكفي لازالتها ضربة معول واحدة وحفرتها تنفتح في المكان نفسه يرى القبطان وخادمه بتسلقهما فيها ثم يسيران في السرداب المحفور فيبلغان المنزل ومن هناك يستطيعان التسلل خفية الى إحدى القوارب ويبحرون الى انكلترا

ولقد دبر هذا التدبير باحكام تحت ستر الظلام حتى إذا حل الموعد المضروب جاء الاعوان ليحدثوا الثغرة ولكن جهلهم بأصول عمليات الحفر جعلهم يوصلون نهاية السرداب في غير موضعه ، فلما ضربوا ضربتهم حدث شيء لم يكن أحد منهم ليتوقعه . فلقد انفتحت الثغرة واسعة وانهارت منها كتلة كبيرة من الطين والآجر والبلاط أحدث انهيارها دوياً عظيماً سمعه الحراس والمسجونون

وهرع الجنود الى مصدر الدوي ووقفوا مشدوهين أمام هذه الفتحة العجيبة لا يعرفون ماذا يعللون حدوثها . أما الكونتيس ده رومللان وأصدقاؤها فلم يسعهم حيال تلك الخيبة التي انتهت اليها جهودهم سوى أن يولوا الادبار ناجين بأرواحهم . فلما عاين ضباط السجن الثغرة وعرفوا اتصالها بالسرداب واتصال السرداب بالمنزل وداروا حول السجن ليلفتوا هذا المنزل كان أصحابه قد هجروه تاركين به آثاراً لا تنم عليهم ولا يستدل بها على معرفة الشخص المقصود بذلك التدبير الغريب . واهتمت السلطات العليا بالأمر وقامت فيه بتحقيق لم يسفر عن نتيجة حاسمة ولكنه أثار في نفوس أولي الأمر بعض الريب في القبطان وخادمه فصدرت الأوامر الصارمة الى حاكم سجن التامبل بالتشديد في مراقبة الاسير الانجليزي وبفصل خادمه عنه وبترحيل هذا الخادم الى بلاده إذ لا مسوغ لاستبقائه بجانب سيده ...

فحل الحزن بسكان التامبل جميعاً يوم علموا بقرب لرتحال جون بروملي ، فلقد كاد هذا الخادم الانيس يبلغ في قلوبهم مرتبة الصديق بل لقد أصبحوه سلوة لهم تسرى عنهم هموم الحياة في ذلك السجن الموحش

ولعل كبير الحراس كان أشدهم حزناً وأكثرهم أسى ، فلقد كان جون بروملي يتقرب من ابنته ويتودد اليها ويسر الى الجنود بحبه لها وأنه لا محالة متزوجها عندما تصفو الاحوال ويعهد له بوظيفة في بيت من بيوت كبراء باريس

وكان يوم الوداع عسيراً عندما قدم الى السجن مندوب إدارة الأمن العام مصحوباً بشرذمة من الجند لتسفير الخادم الى بلاده . فلقد تبارى القوم في اظهار أسفهم على فراقه وابداء تعلقهم به وأقبلوا عليه يعانقونه عناقاً حاراً ويتمنون له الراحة في السفر والتوفيق في الاقامة والسعادة في الحياة . واندفع بروملي على سيده القبطان وجعل يقبل راحتيه وهو يكفكف الدمع المنهمر من عينيه ويقطع على نفسه عهداً أن لن ينساه ولن ينقطع من خدمة أسرته ما دام حياً ، ثم عبث التأثر بنفسه وأقسم على مسمع من الحراس والجنود أنه لن يدخر وسعاً في سبيل انقاذه من

السجن مهما كلفه ذلك من المشاق . وتأثر الحاضرون جميعاً لهذا المنظر فصفقوا يمسحون بأطراف أصابعهم دمعات تترقرق بين أجفانهم ولم يروا في هذا القسم أكثر من حماسة وطنية لا تستغرب ممن كان في موقف هذا الخادم البروتون الأمين . وتأثر القبطان أيضاً من هذا الولاء الفياض فتناول كيس نقوده وأفرغه في يدي خادمه الباكي المحزون وأوصاه بتبليغ تحياته إلى أفراد الأسرة وبعض الأصدقاء . ثم كتب له شهادة إعفاء من الخدمة لمتبع فيها شجاعته وذكاءه وأمانته وحملها إليه قائلاً إنه يرجو له التوفيق في مستقبله وأنه سيوصي به أسرة إنجليزية كريمة تقدر صفاته ومواهبه ومزاياه . ثم صرفه وهو يربت بكفه على كتفه ويقول : إلى اللقاء يا صاح

وكانت رحلة جون بروملي من باريس إلى ميناء دنكرك رحلة غريبة في نوعها . فتلك أول مرة منذ بدء الثورة يستطيع فيها الكونت دي تورملان عدو الحكومة الثورية والملكي المتآمر الذائع الصيت أن يتنقل في ربوع فرنسا جهرة وفي وضح النهار آمناً على نفسه وحياته بين حراس من رجال الجمهورية مسئولين عن سلامته وبقائه ، وها هو ذلك الثائر المضطهد الذي تطلب الحكومة رأسه والذي كان حتى الأمس القريب لا يتحرك وحده إلا خفية تحت ستر الليل ولا يسير فوق الأرض إلا زحفاً على بطنه بين الغابات والأحراج ، ها هو ذا يسافر في مركبة من مركبات الحكومة يحف به حراس جمهوريون يحنون عطفاً عليه ويوفرون له وسائل الراحة والهناء . فيا لسخرية الأقدار !

وودع الخادم جون بروملي حراسه على الرصيف شاكراً ما لقي من لطفهم وصعد إلى السفينة المتأهبة للإقلاع إلى إنجلترا ملوحاً لهم بمنديله مبتسماً ابتسامة لا يعرف أحد سواه سببها ومغزاها ، فلما استقر في مقصورته أرسل من بين شفتيه ضحكة عالية جعلته يستلقي على قفاه : لقد أصبح الكونت دي تورملان حراً طليقاً لا تستطيع يد الحكومة الثورية أن تناله ولا أن تمتد إليه ، فهل يرضى من الحظ بهذا النصيب وهل يحمد للأقدار حسن صنيعها فيقبع في عقر داره آمناً من مخاطرة بسلامة الإياب ؟ لا ... بل لقد أمضى بإنجلترا ثلاثة أسابيع ثم عاد بعدها إلى فرنسا . أي والله عاد إلى فرنسا كما كان المهاجرون والمتآمرون ورعاة العصابات الملكية يعودون إليها : متسللاً من البحر إلى الساحل بين الصخور والرمال ، ومن الشاطئ إلى غابات نورمانديا سارياً بالليل مستخفياً بالنهار ، حاملاً روحه على كفه مستهدفاً للموت ينقض عليه في كل ساعة من حيث لا يحتسب . عاد لينقذ صديقه القبطان ! ! يا حيرة القلم في وصف هذه النفوس الخاطرة التي لا تستطيب الحياة إلا في ظلال المحن والخطوب ولا تستعذب العيش إلا في مواطن الأهوال ومكارهه ؟ هذا رجل أفلت من أحضان الموت وهو لا يدري كيف أفلت ، ثم ها هو ذا يعود إلى أحضان الموت رابط الجأش باسم الثغر يتحدى الزمان والمكان ويتحدى الأحداث والناس ، كأنما وقع مع الحظ حلفاً أو عقد مع الأقدار صلحاً فهو لا يبالي أحداً ولا يهاب شيئاً . لقد أقسم أن ينقذ صديقه من السجن

فلا بد من أن يبر بنفسه أو أن يموت في سبيل البر به والا فأين النبل وأين المروءة والوفاء !

ولعل أكبر ما يدعو الى الضحك في هذه المأساة أنه بينا كان الكونت دي تروملان يعيش في فرنسا مع زوجته في بيت استأجراه باسم مستعار في مدينة كاليان ، كانت أخبار الخادم جون بروملي ترد من انكلترا الى حكومة باريس ولا تنقطع عن السلطات الفرنسية الذكية المتفتحة الأعين والآذان ، ولكنها كانت أخبارا ملفقة مصطنعة يراد منها التضليل ولا تمت الى الحقيقة في شيء .

فلقد كان القبطان حيث يعرف أن ادارة الأمن العام في باريس تفحص الرسائل الصادرة منه والواردة اليه ثم تعيد ختمها باحكام بعد أن تطلع على ما فيها . فلم يكن عليه الا أن يودع هذه الرسائل ما يريد أن يدسه في روع الحكومة ليشغلها عن الواقع وليصرف نظرها الى ما يشاء . لذلك كان يتعمد أن يذكر في كتبه الى أهله وأصدقائه في انكلترا اسم خادمه القديم جون بروملي ويطلب منهم أن يوافوه بأخباره وأن يعملوا على أن يوجدوا له وظيفة تكفل عيشه . وكان أقرباؤه وأصدقاؤه يجيبون على كتبه بما يتفق والخطة المرسومة فيكتب اليه أخوه : « ان بروملي سافر الى بورتسماوث منذ أيام ليعود أمه فيها وانه يعتزم الطواف ببعض الأقاليم ليزور أصدقاءه وليلتقي ببعض معارفه هناك »

وهكذا كانت حكومة باريس تقضي حينا بعد حين على أخبار جون بروملي فتنام ملء جفنيها مطمئنة الى أنه ليس في سلوك هذا الشكي البريء ما يقلق ولا ما يريب . وهكذا أيضا كان الكونت دي تروملان ينعم بطيب الاقامة في فرنسا الى جانب زوجته المحررة ويدبر معها ومع أصدقائهما الوسيلة لانقاذ القبطان

لم يكد الكونت دي تروملان يستقر في مدينة كاليان حتى جمع حوله بعض زعماء الحرب الملكي وكبار مدبري المؤامرات أمثال هيد دي نوفيل وفيليو والرقاص بواجيرلر وأخذ يتوفر معهم على درس الطريقة التي يأخذون بها سيدني سميث من سجنه وظلوا يعرضون الاقتراحات ويتساءلون فيها الى أن استقر رأيهم على خطة لا ندري أالى الجرأة كانت أحوج أم الى البراعة . وهذه الخطة تتلخص في الحصول على ورقة من أوراق مكتب وزير البوليس تحمل في زاويتها العليا اسم ذلك المكتب والختم الرسمي الذي تختم به تلك الاوراق . فاذا ما حصلوا عليها كان من السهل ملؤها بأمر نقل مسجون من سجن الى سجن آخر وتزييف امضاء الوزير تحت هذا الامر . ثم لا يبقى بعد ذلك الا تدبير أمر الموكب الرسمي الذي يذهب الى التامبل ليتسلم القبطان تمهيداً لنقله الى سجنه الجديد تنفيذاً لأمر الوزير

وشاءت المصادفات الطيبة أن توفر عليهم صعوبة تزوير امضاء وزير البوليس فهدتهم الى التعرف بجاسوس أجنبي اسمه ويسكوفتش كان يعمل لحساب حكومته موظفا بادارة الأمن العام في فرنسا . ولقد رضي هذا الجاسوس لقاء منحة مالية سخية أن يسرق لهم ورقة من الاوراق

التي يسوسها في الامارات البولونية وحنا على بياس ، والتي يعيرها الوزير بامضاءاته ليملأها مساعدوه عند الحاجة بالأوامر المختومة التي تقتضيها الظروف ، في أي ساعة من الليل والنهار

وفي مساء اليوم الرابع عشر من شهر ابريل سنة ١٧٩٧ وقفت مركبة مغلقة عند باب سجن التامبل يقودها حوذي جلس الى جانبه شرطي بزي رجال الامن العام وقد ارخى حافة قبعته الى حاجبيه حتى غطت عينيه ، ونزل من المركبة ضابطان من ضباط البوليس المنظم أتجها الى مدخل السجن بخطوات ثابتة متوافقة ، وبقي في ركن المركبة رجل متدثر بالثياب تنم هيئته على أنه من كبار رجال الحفظ ، ولم يكن هؤلاء السعاة غير صاحبنا الكونت دي ترومولان وأصدقائه

واقتحم ضابطا البوليس باب السجن وأبرزا الى كبير الحراس أمراً من الوزير يقضي بتسليمهما السجين الانكليزي للدعو سدني سميث لينقلاه ليلا الى سجن فونتنبلو . وتناول كبير الحراس الأمر المكتوب وقرأه وتحقق لصحة امضاء الوزير وتفرس هنيهة في وجه الضابطين وأخرج حافظة يوميات السجن وضم اليها الأمر الجديد وأصدر الى أحد مرءوسيه أمراً بانزال السجين المطلوب . وأقبل سير سدني سميث بين جنديين مدججين بالسلاح وحيا الحاضرين باحناءة من رأسه وابتسامة خفيفة على شفتيه وسأل الضابطين عما يريدان به فأخبراه بما جاءا من أجله فأظهر شيئاً من الاستياء لهذا الانتقال الذي لا تقتضيه ضرورة ، وتحدث طويلا عن أمتعته وطريقة نقلها ووجوب موافاته بها صباح الغد . وتحدث الضابطان فيما بينهما عن حراسة المركبة التي تقل السجين

فاقترح أحدهما أن تصحب المركبة شرذمة من الجند لتحرسها وتظاهر الثاني بالموافقة على هذا الاقتراح ولكنه استدرك وقال : « ان الأوامر تقضي بنقل السجين سراً فكيف نسير به في موكب يلفت اليه الأنظار ؟ » ثم سلط عينيه على السجين وقال : « انت ضابط » قال : « نعم » قال : « وكلمة الشرف بين العسكريين عهد لا ينقض » قال : « هذا حق لا مراء فيه » قال : « هل تقسم لي بشرفك العسكري أن لا تحاول الافلات متخلصاً من الحراس ؟ » ورفع السجين يده في أكثر ما يمكن من الجد ورباطة الجأش وقال في رزانة ووقار : « أقسم بشرفي ياسيدي أن أنقاد لك طائعاً وأن أذهب معك الى حيث تشاء ان أذهب » فنظر اليه الضابط نظرة فاحصة وقال : « هذا يكفيني »

وانفتح باب السجن الكبير وخرج السجين بين الضابطين وركبوا المركبة جميعاً وأشار الشرطي الراكب بجانب الحوذي فألهب الحوذي خيله بسوطه فانطلقت تعدو كأنما تريد أن تطوي الارض بسنابكها . حتى اذا بلغت نهاية الشارع حدث ما لم يكن لاحد في حسبان ، فقد أراد الحوذي أن يوجهها الى اليمين ولكنها جمحت به فلم يستطع كبح جماحها فاندفعت بالمركبة الى مدخل حانوت فاكهاني فحطمت السلال والأقفاص وأصابت صاحب الحانوت اصابة جعلته يولول ويستغيث . .

وكان هرج ومرج وصياح من هنا وتصايح من هناك فتجمعت المارة واحتشد الفضوليون

بالرجاج واشتدت الاذرع تهدد الحوذي بقبضات الأيدي ودوت النداءات تنادي رجل الشرطة ليقتاد الحوذي الى مقر البوليس ، وحرج الموقف وأحدق الخطر بالراكبين فلم يكن ثم متسع للتفكير والتدبير بل لم يبق أمام الصحب إلا أن يلوذوا بالفرار السريع قبل أن تفتضح الحيلة وتنكشف المكيدة فيساقوا الى الموت أجمعين

عندئذ رأى الناس شيئاً عجباً : رأوا الشرطي المتنكر يقفز من كرسيه العالي الى الارض ويفتح باب المركبة ويشير الى الذين فيها اشارة لم يفهمها سواهم ، ورأوا ضابط البوليس ورجل الامن العام وواحداً من الناس يهبطون من المركبة في سرعة غريبة ويلتفتون يمنة ويسرة ثم يطلقون سيقانهم للريح غير مبالين بالتوقر الذي تقتضيه مناصبهم الرسمية ومراكزهم الكبيرة وبذلاتهم المزركشة ويتفرقون في الازقة والطرقات ولكل منهم وجهة هو موليها في ذلك الشكل المضحك العجيب . وسواء أكانت دهشة المفاجأة هي التي أمهلت الناس من النظر في أمر هؤلاء السادة والجري وراءهم لمعرفة من يكونون ، أم اهتمامهم بأمر الحوذي الذي حطم الحانوت وصاحبه هو الذي صرفهم عن ذلك ، فانه لم تمض لحظات حتى كان ركاب المركبة قد اختفوا وغابوا عن الانظار

وبعد ساعة كان القبطان سدني سميث قد لجأ الى بيت أحد الزعماء الملكيين المتنكرين فأدى اليه الكونت دي تروملان فلجأ به وبات به ليلته ، حتى إذا كان صباح اليوم التالي تسلل من احدى غابات باريس قاصداً مدينة روان سالكا اليها سبلا غير مطروقة متخفياً في زي قروي متجول ثم أبحر الى بلاده مع صاحبه فيليبو الذي سبقه الى الميناء من طريق آخر . وعاد الكونت دي تروملان الى منزله بضاحية كاين حيث كانت زوجه تنتظره مشتتة البال قلقة الفؤاد .

أما بودج وبوانجيرار فبقيا في باريس لمباشرة مؤامرات أخرى وقد لبثا ينتظران أن يقرآ في الصحف نبأ فرار القبطان من سجنه أو نبأ القبض عليه ، ولكن صحف اليوم التالي صدرت خلوا من كلا النبأين . فلما مضت ثلاثة أيام والصحف لا تشير الى ذلك الحادث بكلمة استولت عليهما الدهشة حتى أخرجتهما من مكمنهما فلبثا يجوسان خلال الشوارع المحيطة بسجن الناسك ويتسيلان الأحلام ، وهناك وجدا كل شيء يسير في طريقه العادي ، فلا حركة غير مألوفة ولا تضييق ولا مفتشين كأن أمراً ما خطيراً لم يقع في هذا الحي وكأن أسيراً عظيم الشأن لم يفر من ذلك السجن الرهيب . ولقد استطاعا من حديث المركبة وحوذيها علما أن الجمهور اقتاد الحوذي الى مقر الشرطة فقرر أن الخيل جمحت به فلم يقو عليها وتراضى مع صاحب الحانوت فأصاب على مبلغ من المال . ولما سئل الرجل عن الأشخاص الذين كانت مركبته تقلهم صرح بأنه لا يعرفهم لأنهم استأجروا المركبة من عرض الطريق وعلل فرارهم بأنهم لم يريدوا أن يشاطروه حمل المسئولية وقد وافقته الشرطة على هذا التعليل وحفظت القضية لتفاهة موضوعها

وأعجب من ذلك كله أن السلطات جميعاً بقيت تجهل نبأ فرار القبطان الانجليزي الى ما بعد

هذا الفرار بضعة أيام .. ولكن أى عجب فى ذلك وقد غادر الرجل السجن أو نقل منه بطريقة قانونية لا شبهة فيها ولا غبار عليها ، فلا رجال التامبل ارتابوا فى شىء حتى يرفعوا أمره إلى السلطات العليا ، ولا هذه السلطات العليا علمت شيئا من مصدر آخر حتى تتحرك أو تقوم بتحقيق ، وما من شك فى أن الموضوع كان يظل مجهولا إلى ما بعد ذلك بكثير لو لم تكشف عنه المصادفات .

فلقد كان طبيب سجن التامبل يتعشى يوما على مائدة وزير البوليس وقد ساقهما الحديث إلى ذكر الشيطان فسأل الوزير ضيفه عن حالة السجين ، ولشد ما كانت دهشته عندما أجابه الطبيب بأن أخبار الشيطان انقطعت عنه منذ نقلوه من التامبل إلى مونتسو .. عندئذ فقط تحركت الشبهة فى عقل الوزير فأرسل يستعلم من إدارة سجن التامبل ومن إدارة الأمن العام . وسرعان ما انتشر الخبر المزعج فقامت له الحكومة وقعدت وأرسلت خيرة شرطتها إلى السواحل والموانئ للقبض على الشيطان وأعوانه ، ولكن ماذا تفعل الشرطة حيال رجل كان قد استقر فى بلاده منذ ثمانية أيام ؟

أما الكونت دى تروملان فكان قد أمن بتنكره الفتن شر رجال المخبرة والجواسيس وظل مع زوجه يتنقلان فى ربوع فرنسا طوال تسع سنين . فلما ارتقى الجنرال بونابرت العرش باسم الامبراطور نابليون وأصدر قانون العفو الشامل عن جميع المهاجرين والمجرمين السياسيين لم يعد الكونت يخشى شيئاً فأقام بباريس وجعل يجوب بيوتها ويتردد على منتدياتها فى غير ما حذر ولا استخفاء . ولقد نمت عليه الشرطة يوما فتاة أنها صادفت سيداً خطير الشأن ، ولكن الكونت الذى كان يعلم أن قانون العفو الشامل يحميه لم يتردد أمام وزير البوليس فى اظهار حقيقة شخصه ولا فى الاعتراف بالدور الذى مثله فى حادث الشيطان الأسير . وعندئذ فقط علمت الحكومة الفرنسية أن الخادم الساذج الطيب القلب جون برومل لم يكن سوى الكونت دى تروملان

ولما بلغت المسألة مسامع الامبراطور نابليون عجب لها أشد العجب واستقدم إليه ذلك الملكى المخاطر الجرىء وأصغى إلى قصته فى شوق واهتمام . فلما وقف على أطوارها وتفاصيلها أثنى على صاحبها جميل الثناء وعرض عليه أن يستخدمه فى جيشه قائلا إن فرنسا فى حاجة إلى أمثاله من الأذكياء المغامرين الشجعان . ولقد تردد الكونت دى تروملان ــ وهو الملكى الأمين ــ فى قبول الخدمة تحت قيادة مغتصب عرش الملك ولكنه كان قد أدرك عظم الخدمات التى قدمها نابليون لفرنسا ومدى ما وصلت إليه فى عهده من القوة والعظمة ، فقبل أن يلتحق ضابطا باحدى الفرق ، ولقد أخلص فى خدمة نابليون حتى نال منه رتبة القائد . ولما وقعت معركة واترلو كانت فرقة الجنرال تروملان آخر فرقة صمدت للعدو فى الميدان

حسن الشريف

سجل الأيام

عرض عام للشئون الداخلية والمسائل السياسية العامة

بقلم الأستاذ سامي الجريديني

(١) الشئون الداخلية

الروح الدستورية

إن أظهر مظاهر شئوننا الداخلية هو هذا الهياج السياسي وذلك الركود في إدارة أمور الأهلين

وقد قلنا مراراً إن شر ما أصيب به النظام البرلماني في العالم من الانتقاد هو قولهم أنه متلف للوقت مضيع للجهد مسرف في النفقات ، وهذا عندما يكون يتولى بحث أمور حيوية من أمور الدولة . فماذا يقول هؤلاء النقاد لو رأوا نخبة البرلمانيين يعقدون الجلسات للمناقشات الحزبية ويعقدونها والغليان السياسي على أشده والعوامل الشخصية تحركه وتهيجه ، وأمور الدولة وشئون المساكين وحل الشارع مؤدى الحزبية لا يقام لها وزن

إن أخوف ما نخاف على النظام البرلماني أن لا تكون الروح الدستورية حقيقة أولية في شعورنا وفي أعمالنا

فإن التحدث بإلغاء النظام أو بتعديل الدستور تلوكه الألسن وتتحدث به الشفاه بعد القلوب، كأنه أمر عادي كتعطيل هذا الرداء اليوم وارتدائك غيره غداً ، ليس مما يشجع على تدعيم النظام البرلماني

إذا غضب وزير فليعطل الدستور وإذا استقالت الوزارة فلتنقض أثر الدستور ، وإذا تطاحنت الأحزاب وعلا العامل الشخصي على العامل القومي فالأمر بإلغاء الدستور

ذلك أننا لا نزال حديثي العهد بالحرية فإننا إذا فهمنا الحرية على أتم معانيها ـ حرية الفكر وحرية القول في السياسة وفي غير السياسة لما تخلينا عن الكلام وأحدنا معطل ، ولتساعدنا وأبقينا لما قد الساقدون أو صاح المتطرفون

رحابة الصدر أصل في قيام نظام الدولة والتسامح واحترام الشيء الغير إرادته لأنهما ركن في كل مؤسسة تبتغي الدوام

فإنك عجباً لهذه الزوبعة يثيرونها من أجل حل الثقة في مجلس الشيوخ قيل أنها تعرض

على النواب . عجبا والله لنواب بعث عدد كبير منهم الى العاصمة بسبب متين كيف لا ينظرون الى الأمر النظر الحق . وعجبا لتلامذة التاريخ الحديث ينسون ما كان يجري في مجلس النواب البريطاني في مجلس الأعيان وقتا طويلا بالسنة حداد . فلم تمنع المباشرة بنفس القوم أن نظاما يقوم على الخطب والانتقاد يجب أن يتسع له في ميدان الخطب والانتقاد . على أن رئيس الحكومة وضع الأمور في نصابها إذ نفى كل ما أشيع من الأفكار الخاطئة والآراء المتطرفة

فانه ان لم يؤخذ بروح التسامح ولئن لم تحل رحابة الصدر وطول الأناة محل التهيج الحزبي والنعرة الشخصية فلا أمل يرجى في تسيير دفة الدولة سيرا يؤول الى مصلحة الشعب

• • •

الجهد الاقتصادي

ولكم يكون اغتباطنا عظيما لو توجه جهد البرلمان الى الناحية الاقتصادية . فالأصل في وجود البرلمان هو مراقبة الحكومة في انفاقها الأموال ومنعها من الاسراف

فالذين يؤدون الضريبة يجب أن تكون لهم الكلمة الاولى والأخيرة في السبيل التي تنفق فيها أموالهم . هذه قاعدة القواعد خلقتها أم البرلمانات وصارت أولية يجرون عليها في لسانهم بقولهم : No taxation without representation

فاذا كان التنظيم نفسه قائما على هذه القاعدة فالحق بالذين انتخبوا على هذا المبدأ أن يعملوا به ويأخذوا عنهم علاواتهم وأصواتهم . ولم نر حتى الساعة فيما رأينا من أعمال رجال النيابة في كل ما تقدم بها من برلمانات قرارا يمنع مالا من الحكومة أو ينقص قدرا صرفته على الناس

ولم نشاهد إلا أمنيات واكتفاء بوعود . ولو انصف البرلمانيون أنفسهم لفرضوا على الوزارات أمرهم وألزموها على منهجهم يمنعون منها الاعتياد الذي لما رأوا فيه اسرافا أو حيفا على ابن البلد الزارع المسكين . فقد اجمع المصريون أمرهم أن ميزانية الدولة في حاجة ماسة الى الحط من النفقات المنهية فيها . لا ينازع منازع في هذا الأمر

فماذا لا يحرز البرلمان ويقدم على تخفيف العبء وثقله من كتف الى أخرى ؟ وماذا ينقص النواب والشيوخ من علم وايثار قومي وادراك الغاية الوطنية حتى يظلوا بعزمهم مترددين لا يجسرون على الوقوف وقفة لا شك فيها في وجه هذه النفقات الحكومية لا تنقص ولا تقف عند حد ؟

وكيف يطلب من رجل الشارع أن يؤدي ضريبة جديدة أو يبسط يده في الدفاع عن مرافق البلاد اذا كان لا يبصر نظرة اعجاب وتأمين الى الكيفية التي تنفق فيها أمواله ؟

هل أتانا حديث الحكومة من قصد سيء أو نية اهمال ، فلن المياه تتقل بالتبعات الذي تلقته من الادارة الانجليزية من جهة وبالروح الديوانية التي لا تزال عاملا عظيما في كل أعمال الحكومات

حقيقتنا دون سواها ابهجنا عاش البرلمانية ، وزاد الأمر ضغثاً على ابالة مبدأ الحق فلكتب حتى به لأمرلف سياسية ولا حق في الدنيا لامرىء لو لحية انا تتلازم مع حق المجموع ، وما تكون قيمة هذا الحق التالية اذا أدى الأمر الى عجز الذى عن القيام بحقه ؟

اننا نعيد البرلمان من أمر لا يحتوي على نية خالصة وجه الوطن فنقيضتنا الراسخة ان أعضاءه المحترمين هنا تملأ صدورهم أماني الخدمة العامة وآمال عظمة البلد

وقد ضرب لنا رئيس الحكومة في هذين اليومين مثلاً أعلى لما يجب أن تكون عليه الديموقراطية من اتصال دائم بين الهيئة الحاكمة وبين هيئة الحكومة من الصحفيين

لقد جلس بين لهم ما فعل وما اعتزم أن يفعل يتلقى الأسئلة ويجيب عنها وهذا هو الحكم الشعبي مبين

واننا والحق يقال لا نقصد الاطراء ولم نعتد تملقا ولكننا رأينا في عمل رئيس الحكومة روحا راقية نود أن تتقمصها كل الحكومات

ومما زاد في اعجابنا بالمبادىء التي يأخذ بها الرئيس أنه جاهر على رءوس الاشهاد أن حرصه كل حرصه وضع نظامات لكيان اقتصادي يضمن للملكيات الصغيرة ويرمي الى اتساع ملكيات صغيرة أخرى حتى تتم وحسن الدفاعه فيلم ركن من أركانه يكونون الدعامة التي تقوم عليها النهضة الاقتصادية

فاذا صح عندنا ما تحور في ابلاغ هذا الأمر بابه يكون ـ فضلا عن صحة البلد ـ قد اثبت انه رجل دولة بالحق يعمل للآن ويصلحه من التصفيق والتهليل ، وليس هذا بعزيز على رجل ماضيه حافل بالعمل وبالنزاهة

● ● ●

الخطبة المصرية الايرانية

لا يزال المبدأ الذي ندين به يثبت صحة ايماننا . فقد قلنا منذ عشر سنين ويجب وما زلنا نقول إن عرش مصر هو الخادم الأمين الذي ترجوه هذه الامة لأمورها في جميع مراحل الحياة الدولية والوطنية

وقد جاءت الخطبة الملكية شاهداً ودليلا يؤيد القاعدة

فان هذه الخطبة الميمونة الطالع ستكون خير مقدمة لربط مصر دوليا مع ايران الآن ومع سواها من الممالك فيما بعد

وسيتناول هذه القصة موضوع عيد النور قد يكون فيه الخير كل الخير لمصر أولا وللشعوب المجاورة ثانيا، حتى لنا شبهنا من التفاخر بالماضي وحضرنا ستؤيد الفرس وعهد العرب وجلال الفراعنة الى الأخذ بأسباب الحضارة الحقة حسن لاخذنا مكانا تحت قبة الانسانية المتمدينة السمحاء

(٢) الشئون الخارجية

أوروبا المضطربة

ولن تكون هذه القارة جديرة باسم أوروبا ان لم يتناولها الاضطراب ابداً دائماً

فما هي أوروبا ان لم تكن مأوى شعوب وعناصر ما انفكت تتقاتل وتتناحر منذ أن عرفها التاريخ الحديث حتى الآن

ابدأ بانحلال الدولة الرومانية من أيام جمهوريتها الاولى حتى تصل اليوم أمام انحلال اسبانيا وتشكوسلوفاكيا ، نجد الروح واحدة والمبدأ الاوروبي واحد

لهذه القارة تمتاز بشيء واحد لم تعرفه لغيرها فيما سلف من الأيام — هو هذه الحيرة — هذه النفس الطامح لا تستقر . وتلك سر عظمتها وسر امتلاكها ناصية العالم . أيس شبراً من الارض الاوربية لم تتداوله الأيدي مراراً وتكراراً ولم تسفك له وفيه الدماء هدرا

فتارة تقاتل جموع فتجتاح البلاد المجاورة وتهبط السهول الخصبة فتحارب وتتوالد وتستقر ردحاً من الزمن في المواطن الجديدة ثم تغلب الشيمة فتعود سيرتها الاولى . وأخرى تنفخ فيهم الفروسية روح البأس وتمزجه بالمسيحية بروح الايثار فيخرجون للناس أمثلة عليا لم تصل البشرية الى أسمى منها اذ تجمع بين الرقي الالهي والتوحش الانساني

وبينا هؤلاء الاوربيون يحاربون شعباً الذين يدعون أولاد الخالقين ويستبيحون دماءهم ويهربون ديارهم — اذا بهم يحاربون رجال هذا الدين فيجردونهم أموالهم ويقتحمون حصون معاقل دينهم

وبينا الامر كذلك يتلقى حقه بنعمة الله من السماء يرفع من عبيده من يشاء ويضع من يشاء ، اذا بهم يسوقونه الى الذبح يكفر عن طغيانه واذا بالمساواة والاخاء والحرية تحل محل الأمر المطلق . وهكذا بلا هوادة — حرب على المبدأ الحكومي ، والقتال على المبدأ الاقتصادي ، وشيء في محيط العلم لا يساهمه شيء . وشتان بين ميدان العلم الهادئ وميدان السياسة المضطرب ، ولكنهم رغم اختلاف الميدانين برزوا فيهما كليهما وأناروا السبيل للعالم

وكأن هذه الروح التي لا تستقر على حال من القلق ضاقت عليها القارة الصغيرة كثيرة المنحنيات والخلجان والانهار والجبال فخرج ابناؤها يغزون امريكا وآسيا وافريقيا بالسيف والتجارة وبالعلم فاستعبدوا شعوبها وسخروها في مآربهم فمن آنس منهم في نفسه استعداداً للتكيف بحضارتهم سار سيرتهم وأخذ أخذهم وقف مع المهاجرين منهم شعوباً لا تزال حية ومن استكبر وازور واتخذ من دونهم حجاباً افترس أو استعبد وفل سلاحه السياسي والاقتصادي

هذه اوروبا — حركة دائمة — وحيوية لا تخبو نارها . فلو لم تكن كذلك لما حلت محل

الحضارة الحالية في هذا الزمن وهي ان وقفت وخمدت حرارة روحها ماتت وزال عنها سلطانها واكتسحها الآخرون . فالذين يخافون على المدنية الأوربية أن تنقرض لا ينظرون النظر الحق الى الروح التي ولدت هذه المدنية وغاب عنهم أن الذين يظن انهم منقرضون لا يزالون قادرين على الانشاء . فحرثهم على الهدم ، ما زالت حيويتهم على ما هي عليه

وانما أخوف ما يخاف منه على أوربا هو أن تزول منها هذه الروح المضطربة القلقة ـ هذه الروح التي تخترع أدوات الدمار والهلاك وآلات السلام والاصابة والابتكار ـ وتستبدل بها روحا هادئة ناعمة تأمر بالمعروف وتنهى إذا حراها الظلم وتقنع بما قسمت يداها في الماضي معتبرة بالعظام متكلة متواكلة . ان أصيبت أوربا بهذا الداء وكمت روحها عن الوثوب والسعي المتواصل فقل متدند عليها وعلى حضارتها السلام

أما والأمر ليس على ما قدمنا من الصورة السوداء فلا يزال الخير معقودا بنواصي الشعوب الأوربية . وقد لا تكون بريطانية أو فرنسية ـ فالعبرة بالروح الأوربية في صنوع آثارها للمدنية لا بتفضيل شكل من هذه الحضارة على آخر . فنحن الذين ننتمي الى شعوب لا مطمع لها الآن في حلبة الرحلة تستوي لدينا الألوان إذا كان القماش جيداً . وسيان عندنا أفاد هذه الحضارة المسيطرة ألمان أو انجليز ، يابانيون أو امريكيون فالنتيجة الأساسية الحالية واحدة

ويلوح للباحث التاريخي أن مجرى البشرية يجري في حوض النهر الذي حفرته الطبيعة . فهي دائمة الحركة لا يعتور نشاطها سكون أو استقرار تارة الى الامام وأخرى الى الوراء . وأوربا القلقة كيفت نفسها على أمها الطبيعة أيما تكييف . لذلك حق علينا أن لا نقلق من هذا الاضطراب الاوربي ولا حرج فقد يودي قلقها بكيان اقتصادي أو بنظام سياسي أو يرفع شعبا ويذل آخر ولكنه في جملة وجهته لا يعدو أن يكون مظهراً من مظاهر الحيوية تضعه الطبيعة في احشاء من تريد له السيادة من القارات أو الشعوب الفتية

لذلك كان ما نشاهده الآن من هذا النزاع لا يستقر يتناول كل ما عمرته الحضارة الغربية من أقصى اليابان الى أبعد شقة في أوربا ـ صورة متحركة لاخطر عـانى في مدنية تأبى أن ينتابها الركود ويستعصي قيادها على شعب غير آخذ بأسباب القوة والبأس والحركة الدائمة

ولسنا من العارفين بالغيب حتى نصل الى أسرار الغيب ، ولكنها العبرة التاريخية التي سلفت تنذرنا بالفور يعقد لواؤه لصاحب العزم والحزم والقوة وبعد ذلك يظهر هذا الثائر جدارته بالزعامة بما انطوت عليه جوارحه من عقيدة عملية يعرض على العالم مبادئه ، فهذا النشاط الجرماني الذي حطم قيود معاهدة فرساي وتناول حقه بيده ، وهذا الفتح الذي مد رواقه على معظم أوربة الوسطى هل يقف وهل يستطيع اي الوقوف سبيلا ان أراد ؟

وهذا الحق الذي تدعيه الشعوب الصغيرة التي تجاور القوى ما هو دليلها عليه ؟

هل تجدى مطالعة التاريخ

بقلم الاستاذ على أدهم

«.. لئن كان التاريخ مسرحاً مزدحماً بالشخصيات الفذة والأبطال النادرين فهو كذلك الكثير من الأوغاد والأوشاب، والكثير من صفحاته موقوفة على سير السفاكين والسفاحين والدجالين، وطائفة سخافات الأمراء والحكام، وحماقات الملوك وطغيانهم..»

من خصائص العصر الحاضر البارزة شدة الاقبال على التاريخ والامعان في تقليب صفحاته وتحلية أخباره، ومن الملحوظ أن أكثر المؤلفات رواجاً وأوسعها انتشاراً هي التي تتناول عصور التاريخ، وتحاول أن تجلو ناحية من نواحيه المجهولة أو التي تعرض لعصر معهود وتبرزه في حلة قشيبة وصورة أخاذة، أو تستحضر من نواحي الماضي القريب أو البعيد شخصية ممتازة أو بطلا معروفا وتروي قصة حياته وتكشف عن خوالج نفسه ومطارح أفكاره وبواعث أعماله. وقد اجتذبت هذه النزعة السائدة الى صفوف المؤرخين وكتاب السير والتراجم طائفة كبيرة من أقطاب المفكرين، فانتظموا في سلكهم وخصوا التاريخ عنايتهم وأوسعوا له مجهودهم، وقد جرف تيار هذه النزعة مفكراً من الطراز الأول مثل برتراند رسل فوضع كتابه عن الحرية والتنظيم، وفيلسوفا في طليعة الفلاسفة المعاصرين مثل كروتشه فكتب كتابه عن تاريخ أوربا في القرن التاسع عشر. بل يذهب كروتشه في اكبار التاريخ الى أبعد من ذلك، فالتفكير التاريخي عنده فرع التفكير الفلسفي، والتاريخ في رأيه ضرب من الفلسفة، والفلسفة لون من التاريخ.

وليست النزعة العلمية هي أوضح سمات العصر وأظهر خصائصه كما يقع في وهم الناظر في شئونه أول وهلة، وانما ميزته هذا التلفت الدائم الى الماضي ومحاولة الوقوف على أصول كل فكرة من الأفكار ومعرفة منشأ كل مذهب من المذاهب. ولعل السبب في ذلك أن المذاهب السياسية والنزعات المذهبية قد اشتد بينها الصراع في العصر الحاضر، ومن دأب كل نظام جديد أو انقلاب طارئ أن يتجه الى الماضي ليستظهر به ويلتمس عنده المسوغات ويتصيد المعاذير، وكل تجربة سياسية تحاول أن تستدل من الماضي وتجاربه على صحتها وأصالتها وقربها من طبيعة الحياة وتمشيها مع منطق الحوادث. والحقيقة أن تفكيرنا في الماضي أو نظرنا الى المستقبل رهن بمشكلاتنا الحاضرة، فنحن نتجه الى الماضي لنستمد العون على الحاضر ونبرر أعمالنا وتزكية خطتنا، وقد نتجه الى الماضي أو المستقبل لنستعيض بهما عن الحاضر أو نتبين كيف يجب أن

يكون الحاضر ، وكل عصر من العصور من شأنه أن يعيد خلق الماضي ويصوره تصويراً جديداً يلائم زمانه ويساوق أهواءه ، فالماضي في نظرنا غيره في نظر أسلافنا ، وقد قال في ذلك كروتشه كلمته المأثورة وهي : « ان كل تاريخ انما هو تاريخ معاصر »

والشيوعيون الآن يحاولون أن يفسروا التاريخ تفسيراً اقتصادياً مادياً قائماً على توزيع الانتاج وأثره في ايجاد مختلف الطبقات ، والفاشيون كذلك يحاولون أن يفسروا التاريخ تفسيراً قائماً على تمجيد فكرة الدولة وتجريد الفرد من القيمة ، والامم الديمقراطية تعمد الى تفسير التاريخ تفسيراً يوضح أثر روح الجماعات في خلق التاريخ وتسلسل أدواره

وقد امتدت دائرة التاريخ في العصور الحديثة وزادت حدوده ، فمنذ مائة سنة كان التاريخ يبدأ على وجه التقريب بسنة سبعمائة قبل الميلاد وكان ما قبل ذلك أساطير ملفقة وخرافات متناثرة لا تمكن المؤرخ من أن يجوز أغوار التاريخ ويتقصى الى حقيقته ، وقد أخذت تتسع تخوم التاريخ بعد توفيق شامبليون في حل الهيروغليف المصري ، وبعد وقوف رولنسون على طريقة قراءة الخط المسماري

وهناك فريق من المفكرين لاتروقهم هذه النزعة التاريخية ولا يرحبون بهذا الاتجاه الى الماضي ، وهم يرون ان أكثر ما سجله تاريخنا هو طائفة من توافه الاخبار وتافه الحوادث لا تستحق أن نوليها عنايتنا وتشغل بها أفكارنا ، وهم يرون أن سبب الاقبال على التاريخ والحرص على دراسته رغبة ملحة في الانسان تصرفه عن البحث الصارم المنتج وتدفعه الى كل شيء عاطل من الأهمية مجرد من الجدية . والتاريخ ان هو إلا ملهاة وقتل للوقت وان كان لا يخلو من جاذبية وطرافة ، وما الذي يعرفنا بالتاريخ وعصرنا الحاضر حوادثه الحافلة وحروبه الطاحنة وانقلاباته العاصفة ، وفيه كل ما يذهل العقل ويتطلع اليه القلب من روائع المخاطرات وعجيب الحوادث ؟ وهل نرى في التاريخ غير صور منتكسة من هذا الحاضر المجهود القلق ؟ فلماذا لا نعرض عن التاريخ ونتوفر للبحث عن حق مستقر نلوذ به ونعتصم خلال هذه الفوضى الضاربة والاضطراب المستحكم ؟

وما فائدة التاريخ ؟ وما جدوى معرفة هذه الاخبار الكثيرة المتراكمة المختلط فيها الحق بالباطل والتي قد تنفد جهودنا وتنقضي أعمارنا قبل أن نميز ما بها من غث وسمين وصادق وزائف ؟ وهل معرفة بواطن الرجال الذين لعبوا دوراً هاماً في الماضي وادراك طبيعة الحوادث السالفة واسرار الانقلابات التاريخية ينفعنا في هذه الأيام ؟ بعض الناس لايرى فائدة في ذلك ، وفريق منهم يرى أن عصرنا هو أكمل العصور وأوفرها خبرة وأوسعها علماً وأنه مشرف على القمة واليه تناهى كل مجد ، فبين أيدينا عصارة حكمة العصور الخالية وخلاصة علوم الأجيال السابقة فالرجوع الى الماضي الغابر وتأمل صور مجتمعات قد محاها البلى وطواها العدم ، واستحضار شخصيات قد رسخت تحت أطباق الثرى لانها اشتهرت في الماضي السحيق بسبب انتشار الجهالة

واستفاضة التعصب ، هو نكسة طارئة وانحراف عن سبيل التقدم وارتداد الى الوراء وتوهين للفكر واماتة للجهد . ولقد كان شوبنهور يستخف بدراسة التاريخ ويعيب على مفكري عصره استمساكهم بالمنهج التاريخي . وكان يذهب الى أننا نفيد من الشعر معرفة أصدق وأوفر مما نفيد من التاريخ ، وكان ينكر على التاريخ الصفة العلمية والقيمة الفلسفية ، لاننا لا نستطيع في التاريخ أن نصل الى الخاص عن طريق العام والمؤرخ مضطر الى مواجهة الخاص مباشرة ، في حين أن العلوم المختلفة قد حصلت على تصورات شاملة كلية تستطيع أن تسيطر بها على الخاص ، أو – على أقل تقدير – أن تحدد مداه وتحيط بأطرافه وتتمكن من التنبؤ بحدوث أشياء في داخل تلك الحدود ، وبذلك يظفر العقل الباحث المتقصي بشيء من الراحة والطمأنينة . والعلوم تحدثنا عن الانواع في حين أن التاريخ لا يعرف إلا الأفراد ، والعلوم تخبرنا عما سيكون ولكن التاريخ لا يذكر لنا إلا ما كان ولن يتكرر حدوثه بعد ذلك ، واقتصاره على الفردي والجزئي لا يمكنه من استيفاء بحث الاشباه والامثال في جميع نواحيها . ولم يكن ديكارت أقل زهداً من شوبنهور في دراسة التاريخ : فالتاريخ عنده مزيج من الحقائق الناقصة ، والحقائق التي هي ثمرة المصادفة ، والمعول في معرفته على الذاكرة والادراك الحسي لا على العقل ، فهو من ثم أدنى منزلة من العلم والفلسفة . والتاريخ عند أناتول فرانس هو تصوير حوادث الماضي ، ولكن ما هي الحادثة ؟ الحادثة هي حقيقة بارزة ملحوظة ولكن من الذي يحكم أن تلك الحقيقة بارزة أو انها ليست كذلك ؟ ان المؤرخ هو الذي يصدر هذا الحكم من املاء ارادته ومن تأثير نزعته ، ولا يقف فرانس عند هذا الحد فهو يقول بأن الحقيقة شيء متراكب ، فهل يستطيع المؤرخ أن يجلوها كاملة غير منقوصة ؟ هذا من المستحيلات ولا مفر للمؤرخ من أن يصف الحقيقة مشذبة مهذبة ، وهو يذهب الى ذلك أن الحقيقة التاريخية هي النتيجة النهائية لحقائق مجهولة أو غير تاريخية ، فكيف يتمكن المؤرخ من أن يظهر توشجها واشتباكها ؟

والذين يقولون أن التاريخ يزيدنا علما بالأمور وبصراً بأعقاب الحوادث لما بينها من صلات ووجوه شبه هم في خطأ وضلال مبين ، لأن التاريخ لا يتكرر وحوادثه لا تعيد نفسها وتاريخ الانسان حلقة متصلة من التغيرات الدائمة المستمرة لا يستعاد فيها موقف ولا يتكرر حادث ، والحكم السياسية المستخلصة من التاريخ قد يكون ضررها أكثر من نفعها ، ويمكنك أن تلتمس في التاريخ الذرائع لكل شيء : ففيه انتصار الاستبداد وفوز التعصب وغلبة الشر ، وما صلح فيه لأمة من الأمم أو جيل من الأجيال قد لا يصلح لغيره ، وما أدى الى نتيجة معينة في عصر من العصور قد يؤدي الى نقيضها في عصر آخر

ولما كانت فائدة التاريخ مقصورة على مطالعة الاخلاق والغوص الى أسرار القلب البشري فان قراءة أعلام الروائيين وكبار الشعراء أقرب سبيلا وأحلى مورداً ، ولئن كان التاريخ معرضاً

مزدحما بالشخصيات الخالدة والابطال المغاوير ، فيه كذلك الكثير من الأصنام والأرباب ، والكثير من صفحاته موقوف على سير الصعاليك والسفاحين والسلاطين ، حافل بحماقات الأمراء والحكام وحماقات الملوك وطغيانهم وأهوائهم الدنيئة وشذوذهم المنكر ودسائس البلاط ومكائد القصور ، ولم يجد في ستر ذلك ، محاولة المؤرخين تمويه حقيقتها ، وترصيع الكلام وزخرفة الحديث ، وأي نفع يرجى من وراء اجهاد النفس في ابهاء المكاتب وسراديب المخطوطات لتعرف أسرار دسيسة حقيرة ومؤامرة وضيعة !

ولكن مهما حاول خصوم التاريخ أن يحطوا من قدره وينكروا عليه مكانته فلا سبيل الى انكار ان التاريخ هو مجموعة تجارب العصور السالفة وسجل كل ما ظفر به الانسان وجاهد في سبيله ، ومعرض أحلامه الخائبة وآماله العاثرة وأمجاده الباهرة ومفاخره الخالدة . ومهما أوتي الانسان من سعة العلم ورزق من دقة الفهم فانه لا يستطيع أن يكتسب من حوادث عصره وملابسات حياته سوى تجربة محدودة ويتسع أفق حسه وتتضخم تجاربه اذا أضاف اليها تجارب التاريخ ، وحقيقة أن الفكرة القائلة بأن التاريخ يقدم لنا قواعد لنسير عليها في حياتنا ونأخذ بها في مباشرة أعمالنا ليست من الرجاحة بمكان ، وانما علينا أن نستثمر تجارب التاريخ كما نستثمر تجاربنا الشخصية . وحوادث التاريخ في الواقع لا تعيد نفسها ولكن هذا لا يقدح في فائدة التاريخ ، فان التجربة قد تفيدنا في ادراك الفروق بين الحوادث أكثر مما تفيدنا في معرفة وجوه الشبه بينها . والحياة الانسانية كثيرة التنوع والاختلاف وليست على حال واحدة في مختلف العصور وقد تفرد كل عصر باظهار جانب من جوانب النفس وناحية من نواحي العقل ، والحضارة في حركة مستمرة وتطور دائب ، ولمعرفة ما هو طبيعي للانسان لا مفر لك من الالمام بأحواله في عصور مختلفة وأزمنة متفاوتة وقد لا تكون حالة الانسان في العصر الحاضر اتم أنموذج وأصدق مثال لانسانيته ، وقد تكون هناك نوازع مكظومة وغرائز مكبوحة وأفكار مغلولة تحول بينها وبين ادراك حقيقة الانسان في آرائها العديدة وظلالها التي لا يأتلفها العصر ، والحكم على كفاية الانسان يقتضي مراجعة ما تم على يده في مختلف العصور ، وقد حق كل عصر صفة خاصة من صفات الانسانية على أتم وجوهها ، والماضي يحيا في كل مسالك العيش ومظاهر الحياة ، في القوانين أو العادات والمعتقدات وفي حاستنا الأدبية وادراكنا الأخلاق ، وفكرتنا عن الخير والشر ، وجهلنا للماضي من دواعي الضعف ، كما ان علمنا به من أسباب القوة ، والوسيلة الوحيدة لفهم المجتمع هي دراسة تاريخه والالمام بالادوار التي مر بها تكوينه ، وشوبنهور على تعصبه للتاريخ كان يرى أن التاريخ للنوع كالعقل للفرد ، وأن الشعب الذي يجهل تاريخه لا يفهم نفسه ولا يحس وجوده ، ويكثر الاقبال على التاريخ في عصور الشك كأن الانسان يدرك اذ ذاك عظيم مسئوليته أمام التاريخ وحيال الانسانية

علي أدهم

مأساة قروية

قصة للكاتب الفرنسي بيير لوتي

اشتهر بيير لوتي بطائفة من القصص الرائعة تصف حياة الفلاحين في مختلف القرى الفرنسية، وحوادث هذه القصة تقع في قرية من قرى كورسيكا وفيها يصور الكاتب لونا طريفا من ألوان النبل القروي الممتزج بروح البطولة والتضحية

كانت أميليا قد أحبت الفلاح الشديد القامة المفتول العضل روبرتو. وكانت تلحق به في الحقول كل صباح فتحصد الغلال معه وتقضي سحابة النهار قربه وتعود إلى البيت في المساء برفقته وهو متأبط ذراعها يرمق الفلاحين بالنظر الشزر ويباهي بالفتاة الرائعة الجمال التي أصبحت في قبضته

وكان روبرتو شابا وحشي الخلق غليظ الطبع سريع الانفعال معتداً بنفسه فخوراً بقوته، يتحدى القرويين ويعبث ببناتهم وتتهالك عليه العذارى معجبات به، وكل واحدة منهن تود لو استطاعت كبح جماحه والتغلب عليه والاستئثار به.

وتوهمت أميليا أن في وسعها إخضاع ذلك الفتى العنيف لسلطان حبها، فأقبلت عليه أول الأمر ثم أعرضت، فاستثارت كبرياء الشاب وسرعان ما أعلن عشقه واتصل بها

وكانت أميليا فتاة بديعة المظهر ذات قد ممشوق وشعر أسود فاحم وعينين واسعتين متقدتين ونظرات حادة يشع منها الإباء والشمم وتتألق فيها تلك الجرأة العصبية الشائعة في معظم نساء كورسيكا، فأولع بها روبرتو وآثرها على أترابها وزاده حبا لها واستمساكا بها أن شعر ذات يوم بأن فلاحا من الأثرياء يدعى جويدو يحوم حولها ويتطلع إلى ملاطفتها

وكان روبرتو من أولئك القرويين الذين يطالبون الناس باحترامهم ولو بالقوة، والذين لا يترددون في استعمال القوة لفرض الأتاوات على الفلاحين والحياة في القرى عالة على أهلها، فلما أحس رغبة جويدو في التقرب إلى أميليا تعلق بها وضرب نطاقا من الغيرة حولها وحرم عليها الخروج من البيت وكان يضربها أو يسطو على حقل الغير ويحنق عليها، فاغتبطت الفتاة ورأت في هذه المظاهر أبلغ دليل على شدة حب روبرتو لها

ولم يحفل الشاب غريمه ولم يكترث له، بل زاد من مخالطته، وأعرض عن تصرفه، واصطنع البهجة والإشراق والمرح ليدلل على ثقته بنفسه وحب أميليا له

وكان جويدو يرقب مراحل هذا الغرام ولا ينبس بكلمة

لم يبح للفتاة بحبه . لم يعترضها يوماً في الطريق . لم يفكر في مصارحة روبرتو . ولم يخطر في باله لحظة واحدة أن ينبه اميليا للخطر الذي يتهددها ولا انطوت عليه أخلاق حبيبها من جبن وغدر وخلق

كان يحبها حباً صامتاً عميقاً مبرحاً . كان يرغب إليها لو رآها ويهلع قلبه لقسوتها ويود لو استطاع التضحية بحياته في سبيلها . ولكنه كان خجولاً حيياً لا يحسن الكلام ولا يجيد التعبير عما يشعر ، وتجيش العواطف في صدره فلا ينطلق بها لسانه بل ترسلها عيناه دموعاً حارة تثير الضحك والسخرية في نفس اميليا

على أن جويدو لم يكن دميماً ولا ضعيفاً ، فقامته كانت معتدلة ، وجبهته عريضة ، وشعره أشقر ذهبياً ، وساعده المفتول ضخماً متيناً ، ورقبته الصغيرة قبضة رجل ذكي يعرف عند الاقتضاء كيف يسدد الضربة وكيف يصيب ويختصر

وكانت اميليا تعلم حق العلم أن حب روبرتو لا يقاس بحب جويدو . ولكنها كانت امرأة ، تولع بالقوة ، وتعبد مظاهر القوة ، وتنشد في الزواج حماية نفسها والزهو على أترابها ، وسحق بنات القرية جميعاً

وهكذا رأت في القلب دليل الضعف وفي الشعر عنوان القوة ، فأهملت جويدو ولاذت بروبرتو ولم تعد تفكر إلا في الطريقة التي تحمل بها الشاب على الاذعان لها والتزوج منها

وخيل لأميليا أن خير طريقة هي الاقبال على جويدو والاهتمام به والتلطف معه ، فانصرفت بعض الشيء عن روبرتو وأوحت إليه بالأمل ، فثارت ثائرة حبيبها وتقدم إليها من تلقاء نفسه وعرض أن تقترن به . وحينئذ سرت اميليا بالفرح يكاد يخنقها ودعت أمها الأرملة ثم جمعت شيوخ القرية ثم طالبت روبرتو بأن يعاهدها على الزواج أمامهم ، فنهض الشاب وتناول الإنجيل من يد أكبرهم ، وأقسم أن يعقد على الفتاة في الموسم القادم وأن يدعو جميع أهل القرية إلى حفلة العرس

● ● ●

واطمأنت اميليا إلى المستقبل وعللت النفس بالآمال الكبار وأعرضت جفاءً عن جويدو واستسلمت لأحلامها السعيدة

وزحلها الغرور فلم تستطع رؤية الحقيقة ، وختم الهوى على أبصارها فلم تستطع الهبوط إلى قرارة نفس من تحب

والحق أن روبرتو كان قد خضع لكبريائه لا لحبه ، وكان قد قرر الزواج لا ليرضي حبيبته بل ليحمي نفسه ، وكان وهو الرجل العابث المستهتر الماكر قد قيد حياته بامرأة لا يحبها ولا ليبر باليمين التي أقسمها لها بل ليثأر من غريمه ويحطم نفسه ويرى إلى أي حد يمكن أن يبعث به القنوط والفشل

ولكن جويدو كان أنبل من أن يعترض لإرادة اميليا . كان يحبها ويود أن تحبه من تلقاء نفسها ، فلما آثرت روبرتو عليه ، تنحى عنها ، وتجنب رؤيتها ، واحترم نفسه ، ولاذ بكرامته ، واختفى من الأبصار

عندئذ خيل الى روبرتو ان الجو قد خلا له ، وان خصمه قد ألقى بسلاحه ، فتملكت رأسه نشوة الظفر ، وركبه الغرور ، وعصفت به حرارة الدنيا ، وتكشف حبه لاميليا عن رغبة وحشية في امتلاكها والعبث بها واتخاذها عشيقة فقط

والواقع انه على الرغم من شعوره العميق بقوته كان يخشى جويدو ويرهبه ويحسب له أكبر حساب ، فلما أمن شره ، تحول الى الفتاة وطفق يبوح عليها صدق العاطفة ، وحرارة الحب ، وخالص الولاء ، ويطالبها بإثبات حبها وتوكيده في هبة رائعة توثق بينهما وتؤلف بين قلبيهما وتسمو بغرامهما فوق التقاليد الشائعة وفوق ما اصطلح عليه الناس من شرائع وقوانين

وكان عذب الصوت ، بديع العبارة ، مشبوب العاطفة ، ظاهر الشباب ، فأشفقت عليه اميليا ورقت به وعز عليها ان تكون سبب شقائه فاستسلمت له وأصبحت خليلته

ولم يعد في وسع روبرتو كتمان فرحه ، واخفاء زهوه وخيلائه ، فتبدل صفاء وزايله تجهمه ، وشاعت في أخلاقه وقاحة مرذولة ، فكان يتحدى الفلاحين ، ويسخر منهم ، ويتعدى عليهم ، ويعيث في القرية فسادا ، غير آبه لشيء ولا مكترث بأحد

وأعجب ما لوحظ عليه حينئذ أنه أطلق لاميليا من عقالها ولم يعد يغار عليها ، فكانت تخرج كلما شاءت وتظهر في الحقول مع بنات القرية ، وتزرع وتحصد وتجمع الغلال ، وقد أومض في عينيها بريق غريب ، وازدهر خداها ، وتألق جبينها ، وانسكب عليها فيض من الانوثة الساحرة يسبي الالباب ويأخذ بمجامع القلوب

وكانت تمرح وتضحك وتغني كطائر يرى أنه أفلت من قفص ، أو كطفل يستكشف الحياة في كل خطوة ، أو كمخلوق ذاقت له السعادة بعد أن أعياه طول البحث عنها

ورأى ذلك أمرها جويدو فاستشعر الحقيقة ونفذت الحسرة الى قلبه كطعنة سكين

أدرك بغريزته ان اميليا أصبحت لروبرتو وان الشاب خدعها وغرر بها ، وأنه من المحال بعد أن تفر بعاره منها أن يبر بنفسه ويقترن بها ، فثارت ثائرة جويدو وخطر له أن يذهب الى الفتاة ويكاشفها بمخاوفه وينبهها الى الخطر المحدق بها ، ولكن السعادة التي كانت متمثلة في وجهها ، وابتساماتها ، وخفة روحها ، وتوثب حركاتها ، زادت في حسرته عليها ، وفي احساسه بالضعة والهوان ، فخجل من نفسه وكبر عليه أن ينبه امرأة لا يعنيها خلاصها ، فما كان منه إلا أن غض الطرف عنها ، وانتظر ما عسى أن يحدث في الموسم القادم عندما تأزف الساعة ويطالب شيوخ

القرية روبرتو بل يبر بقسمه ويقترن بعروس القرية اميليا ! . . .

● ● ●

وانقضت الأيام تتبعها الأيام ، وجوسبو يخنق همه فى صدره ، ويروح عن نفسه تارة بالعمل وأخرى بالصيد ، وروبرتو يعيره ويهزأ به ، واميليا تتعطف عليه فى بعض الأحيان وترمقه بنظرات ملؤها الشفقة لتثير أعصابه وتستثير حنقه وتملأ قلبه لوعة وأسى

وظل صابراً محتملا يكظم غيظه ويتجلد ويصبر ، حتى دنا الموعد المنتظر وتهامس الكل به ، وأرسل الشيوخ فى طلب روبرتو ، وتأهبوا لعقد اجتماعهم فى السهل الكبير تحت شجرة السرو الباسقة التى أقسم روبرتو فى ظلها الوارف يمينه المغلظة

● ● ●

وكان جوسبو قبيل موعد الاجتماع بنحو أسبوع جالسا فى داره الصغيرة . يعدل حملا من القصب ويغنى أنشودة رقيقة حزينة يسرى بها عن نفسه ويجد فى لحنها المتشابه الأليم راحة وسلوى ، وكانت السماء مكفهرة والنجوم محتجبة والظلمة حالكة وطنين الريح يهز الأشجار ويبعث من خصائص الوادى كأنين قلب محرق محروم

وجاشت عواطف جوسبو وتمثلت له خلاء حياته الخاوية الصامتة وأحس أنه يعيش فى القرية ضالا شريداً لا أسرة له ولا أبناء . لا أهل ولا أصدقاء . بل عزلة رهيبة تكتنفه منذ أن توفى والداه . وأحس حزنا يخيم عليه ويتملكه ضرب من السوداء القاتلة يكاد يعصر وجدانه وفكره ويحيله شبه مس من جنون

وأطرق لحظة واختلجت الأحلام بين شفتيه واختلج هدبه وانهمرت من عينيه الدموع

وإذ ذاك طرق سمعه وقع خطى خفيفة تدب فى حذر على الحصير الطويل . فأجفل ونهض وما كاد يتقدم الى الباب حتى أبصره يفتح فى رفق وتدخل منه اميليا ! . .

وكانت الفتاة شاحبة اللون . مقرحة العينين مرسلة الشعر . تلفها غلالة سوداء . تبدو من خلالها أعضاؤها الرقيقة وقد تولتها رعدة عنيفة كرعدة المحموم

جمد الشاب وانعقد لسانه وظل واقفا يحدق الى الفتاة ذاهلا مبهوتا

تقدمت اميليا ونحت عنها غلالتها وتهاوت متعبة على الوسادة الملقاة فوق الحصيرة الصفراء

وقبل أن يوجه اليها كلمة . أشارت اليه بالجلوس بجانبها . فابتسمت له ابتسامة كئيبة ثم أرسلت نفسا مستطيلا ثم لمعت عيناها فجأة وقالت :

— روبرتو خدعني ! . . . لحق بي العار ثم انفصل عني ! . . .

وصمتت برهة وهى تلهث ثم أردفت :

— لن يقترن بي ! .. لن يبر بقسمه ! ... لقد صارحني اليوم بعزمه على التخلي عني ، فالى أين أذهب ، وماذا أعمل ، وابنه يتحرك في احشائي ! ..

قطب الشاب حاجبيه وانقدحت عيناه وقال :

— كنت أقدر هذا ! ..

صاحت اميليا :

— ولم لم تنبهني ؟

فابتسم ابتسامة محرقة وأجاب :

— كان حبك أقوى من اخلاصي !

فأشاحت بوجهها ، ثم تحولت الى جويدو ، وأمسكت بذراعه وجعلت تهزها هزاً متداركا وتقول :

— ليس لي سواك ! انت اليوم كل أملي ! انقذني ، انقذني ياجويدو !

فأحس الشاب كأن موجة من الفرح تتدفق الى صدره ، ولكنه تمالك نفسه ، ورفع عينيه وتأمل الفتاة طويلا ثم قال والحسرة تدوي في صوته :

— ماذا تطلبين ؟

فأطرقت رأسها وأحجمت عن الجواب فضحك جويدو ضحكة قصيرة مرة وقال :

— أدركت مرادك فلا تجزعي ! .. سأذهب اليه وأخاطبه وأحمله قسراً على البر بقسمه والاقتران بك ! .

فرت أهداب اميليا وانحدرت الدموع من مآقيها وانحنت وهمت بتقبيل يد الشاب ، ولكن جويدو أسرع بالنهوض ، ثم التقط الملاءة السوداء ، ثم ألقى بها على كتفي الفتاة ، وقال وهو يحدق الى الارض :

— عودي الى البيت واعتمدي علي ! . وإذا ألح عليك الألم وخشيت سوء العقبى ففي وسعي أن أرسل بك الى مدينة (ليون) حيث تعيش عمتي فسمور وهناك تضعين طفلك في أمن وسلام

فانتفضت الفتاة ذعراً وقالت :

— وهل تظن ان روبرتو ..

قاطعها بلهجة حادة خشنة :

— من يدري ؟ لقد أعجز عن حمله على تبديل رأيه ...

فصرخت :

— وإذن يخلف الوعد بلا عقاب ؟

حدق اليها لحظة ثم قال في شبه غمغمة :

— وماذا يكون من أمرك لو عاقبته بما يستحق ؟ . .

فتعاقبت شهقات اميليا وقالت متلعثمة :

— يجب . . يجب أن يعاقب لما اجترأ على المساس بي . . . يجب أن يعاقب ولكن بدون اسراف . . بشيء من الشفقة ! . .

فأرسل جويدو أنة مستطيلة وعض على شفته وقال بصوت هادئ، وقد أيقن أنها ما تزال تحب روبرتو :

— اعتمدي علي . سأبذل جهدي ! . .

وبسط لها يده مصافحة ، ثم فتح الباب وأومأ اليها بالخروج ، فاستدارت ثم اضطربت ثم تحولت اليه بغتة وفتحت ذراعيها وهمت باحتضانه ، ولكن جويدو تقهقر ودفعها عنه في رفق ، فتراجعت خجلة واتجهت نحو الباب ، وقبل أن تنصرف اختلجت واجهشت بالبكاء ثم تطلعت الى الشاب كالمتوجعة ثم أرسلت اليه على أطراف أناملها قبلة ثم عدت الى الخارج لا تلوي على شيء

• • •

وكمن جويدو لروبرتو خلف صخرة كبيرة في مؤخرة السهل الكبير ، وكان الوغد قد اعتاد المرور بتلك الناحية كل ليلة . فما أبصره جويدو عن بعد ورآه مقبلا عليه يصفر خده ويختال في مشيته برز اليه وقطع عليه الطريق وقال محاولا جهده كظم غيظه :

— بلغني انك قد عدلت عن الزواج باميليا

فرمقه روبرتو بنظرة شزراء وقال :

— وما شأنك أنت ؟

فتفرس فيه الشاب مليا ثم دنا منه وقال بصوت قاطع ولهجة حاسمة :

— امض بنا الى شيخ القرية . وسترسل في طلب اميليا ، وهناك يعقد عليكما اليوم !

فقهقه روبرتو طويلا ثم قال متهكما :

— ما كنت أظن الاخلاص يبلغ بك الى حد التضحية برجولتك ! . .

فاحتمل جويدو الاهانة وكبح جماح أعصابه وقال :

— كلانا يحبها وسعادتها في يدك ، وأنا امنحك اياها على شرط أن تسعدها ! .

فضحك روبرتو وهز كتفيه وقال :

— ليس هذا في أخلاقنا . أنا لا أقبل منك منحة . ان ما تمنحه المحتقر . وخير لك أن تسعدها بنفسك ان استطعت من أن تستجدي الآخرين سعادتها !

فشمل الدم وجه جويدو وتملكه الحنق ولم يعد يبصر حوله إلا سوادا فتقدم من روبرتو وصاح : « امض بنا الى شيخ القرية ! »

فدفعه روبرتو وقال : « اذهب بمعرفك يا عم ! »

وعندئذ ثارت ثورة جويدو وجمحت به أعصابه وفقد سلطانه على حسه ، فتراجع واستل خنجره وصرخ : « احترس ! »

فاستل روبرتو خنجره أيضاً وانقض على خصمه ، فانحرف جويدو وطعن روبرتو في ذراعه فجأر هدا من فرط الألم ، ثم راوغ جويدو وتمكن منه وأصابه في جنبه الأيمن ، ولكن جويدو لم ييأس وتراجع مرة أخرى وتظاهر بالسقوط على الارض ثم جمع قواه وبسرعة ومهارة وخفة طعن خصمه في ساقه اليمنى ، فاضطرب روبرتو وجثا على الصخر وعندئذ تذكر جويدو ما قالته اميليا فكف عن الطعن وتقهقر وقال : « الق بسلاحك . ولنذهب الى شيخ القرية »

فالقى روبرتو هاته وتظاهر بالخضوع وارخى ذراعه كمن يهم بالقاء شيء ، فانحنى جويدو ودنا منه ليلتقط السلاح ولكن روبرتو نهض وانقض عليه رافعا ذراعه ملوحا بخنجره ، فاستشاط جويدو غضبا واستهول الخيانة وفي أسرع من لمح الطرف قبض بيسراه على ذراع خصمه واغمد الخنجر في ظهره حتى مقبضه !

واستفاق جويدو من سورته وتلفت حوله واذا به يبصر روبرتو جثة منطرحة على الصخر شوهاء للاضلاع ممزقة المقاطيع ممزقة الأوصال يقطر منها الدم ، فارتعد وملأ الذعر قلبه ، وعلى الرغم منه تقدم الى الجثة وجذبها الى الارض ومددها على التراب وجعل يتحسس أعضاءها في ذهول وحيرة ، ولما تسربت اليه برودتها وأيقن بأن قد فارقتها الحياة ، جحظت عيناه وملأ الرعدة شدقيه فانخلع قلبه والتقط خنجره وانطلق يعدو ميمما وجهه شطر اميليا !

وكان قد دب نزاع هائل بين اميليا وبين روبرتو قبيل مصرعه . وكان روبرتو قد أغلظ لها القول وقطع كل صلة له بها في نفس اليوم الذي لقي فيه حتفه ، وكانت اميليا قد غادرت بيتها عقب القطيعة وهامت على وجهها في القرية تبحث عن جويدو وملء صدرها الرغبة في اقرار العدل والأخذ بالثأر . فلما اقتحم جويدو دارها بحث إذ لم يجدها واضطرب وحار في أمره ولم يجد بدا من مصارحة والدتها العجوز بما فعل راجيا منها ابلاغ اميليا النبأ المروع ومعتذرا اليها طالب العفو عنه من ابنتها التي أحبها أعظم الحب وارتكب على الرغم منه جريمة القتل من أجلها

وذعرت العجوز وطاش صوابها وخشيت من وجود القاتل في المنزل ، ولكن جويدو أسرع بتوديعها بعد أن أبلغها انه لن يظل في القرية وانه راحل من فوره الى ليون حيث تقيم عمته

وانصرف تحت جنح الظلام يوسع الخطى الى داره ليعد حقيبته ويتزود بما يحتاجه من مال ، ولكنه لم يكد يشرف على بيته حتى سمع ثمة لغطا وابصر الشجيرات المحيطة بالباب تتمايل ولمع في ضوء القمر أشباح رجال الشرطة يتربصون به ، فدرك أنه افتضح ، فاستدار وكر راجعا وأطلق ساقيه للريح وظل يعدو حتى بلغ منزل اميليا .

وكانت قد علمت بكل شيء منه وقصت عليه أسرارها وأدركت أنه مطارد فتهلل وجهها واستضاءت قسماتها ولم تستطع اخفاء فرح غريب تألقت به عيناها ، فعانقته وأوسعته ضما وتقبيلا ثم أسرعت وقادته الى مخزن الغلال الكائن في سطح البيت وهناك أرقدته على الارض وغطته بأكوام القش وراكمت حوله الحبوب ثم أوصدت عليه الباب بعد أن قبلته قبلة طويلة محمومة

وعاش جويدو في مخزن الغلال بضعة أسابيع سعيداً بجوار اميليا شاكراً لها فضلها عليه مدينا لها بحياته متعابا في حبها موقنا بأنها قد أصبحت تحبه وأنها قد دلت على هذا الحب بكل ما وسعت نفسها من مخاطرة وتضحية واخلاص . واطمأنت اميليا على الشاب بعد انقضاء شهر على وجوده في دارها ، واستوثقت من يأس رجال الشرطة وانصرافهم عن البحث عن قاتل روبرتو

وفي ذات صباح صعدت الى مخزن الغلال وفتحت الباب في هدوء ودخلت على جويدو وجلست على كومة من القش وقالت في سكون :

— الآن يجب ان ترحل !

فغر جويدو فاه كأبله ولكنها لم تحفل به واستطردت :

— زال عنك الخطر ومن حقك أن تصبح حراً ! لقد توفي بالأمس عمي القسيس المحور فأحياك من الجحيم بموته . في استطاعتك أن ترتدي ثوبه وتستخدم جواز سفره وترحل هذا المساء الى ليون . وهذا ما يلزمك من نقود !

بهت الشاب ولم يصدق سمعه وقال وهو يرتعش : « وأنت . ؟ . أنت ! . . كيف أتركك هنا ! . . كيف أعيش بعيداً عنك ! . . ألا تحبينني ؟ . ألم يكن اخلاصك هذا دليل حب إذن ؟ . . »

فأطرقت اميليا لحظة ثم رفعت رأسها وقالت :

— كلا ياجويدو ! . . لقد كنت مثال النبل في تصرفك حيالي . فأردت أن أبادلك مكرمة بمكرمة ونبلا بنبل ! . . لقد انتقمت لي فأنقذت انا حياتك . فنحن متساويان . أما حبي فقد وهبته من زمن لروبرتو وليس في مقدوري أن استرد ما وهبت ! فارحل وثق أن اميليا لن تنساك !

فشحب وجه الشاب وتقلصت تقاطيعه وزفر زفرة عميقة ثم تطاول بعنقه واغرورقت عيناه بالدموع وحاول أن يتكلم ، ولكن اميليا ابتسمت له ابتسامة كلها اشفاق وعطف ثم نهضت وفتحت الباب وخرجت دون ان تنبس بكلمة

ولما عادت حاملة جواز السفر وثوب القسيس ، اقشعر بدنها وجحظت عيناها وجمدت على عتبة الباب رعبا ، إذ أبصرت أكوام القش والحبوب ملقاة في احدى الزوايا ، وجويدو معلقا من عنقه بحبل شد الى قضبان الطاقة الصغيرة ، ووجهه شديد الاحمرار ، وعيناه مندلقتان ، وجسمه يتأرجح في فضاء الغرفة وقد هزل واربد وفارقته الحياة !

المعرّي
مثله الأعلى للأخلاق

بقلم الأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك
مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف

« . . . فإذا كان من مذهب المثل العليا للأخلاق عند الفلاسفة أن تحكم الحياة بسلطان العقل ، ويؤخذ الناس بحكم الفضيلة ، فإن مثل أبي العلاء الأعلى في الأخلاق هو تمجيد العقل والفضيلة وتحرير الناس من الحياة . »

المثل الأعلى للأخلاق عند المعري

المثل الأعلى للأخلاق عند فيلسوف أو كاتب أو شاعر ، هو البرنامج الذي يقترحه ذلك الشاعر أو الكاتب أو الفيلسوف للمجتمع الإنساني ، حتى إذا اصطنع المجتمع هذا البرنامج ، دنت له قطوف السعادة والرفاهة وطيب الحياة . وقد تركت القرائح العربية من هذه المثل أنواعاً شتى : فمنها ما أثبت الزمن صلاحيته كله أو بعضه ، ومنها ما أثبت الزمن أنه على العكس من ذلك لا يصلح كلاً ولا بعضاً ، ومنها ما لا يزال مجال اختلاف في الرأي ، وتفاوت في التقدير . فهل كان لأبي العلاء مثل أعلى للأخلاق ؟ وهل كان مثله الأعلى برنامجاً لسعادة المجتمع الإنساني ، وأين يقع هـذا المثل مما أثبته الزمن له أو عليه ؟

وصاحب المثل الأعلى للأخلاق ، لا بد أن يكون قوي الإيمان بالمجتمع في ذاته ، واسع الأمل في الحياة وثباتها . فهو لذلك يرسم من الخطط ، ويتخذ من التدابير ما يصل بالمجتمع إلى الرقي ، وما يخطو بالحياة في طريق السعادة فسيح الخطوات . وحسبه أنه لا يفكر في تعبئة وإعداد إلا من طوى جنبيه على رحمة وتأميل فيما يرجى ويعد . فهل كان أبو العلاء عامر القلب إيماناً بالمجتمع الإنساني ؟ وهل كان ذلك المجتمع نازلاً من رحمته منزلاً يكون من ورائه الاكتراث به والتفكير له ؟

كلا ! لم يكن لأبي العلاء مثل أعلى للأخلاق ، فإنه لم يضع برنامجاً للمجتمع الإنساني يكفل له السعادة والرقي ، وإنما منعه من ذلك أنه كان غير مؤمن بهذا المجتمع ، منكراً على الناس أن

يؤمنوا به . وكان غير راغب في الوجود ، زاريا على الراغبين فيه ، وكان غير آمل من الحياة ، ساخراً من الآملين منها . انظر قوله :

رغبنا في الحياة لفرط جهل وفقد حياتنا حظ رغيب

وقوله : لا تعرف النفس من موت يحل بها فالنفس أولى لها بالموت إعراس

وهيهات لمن اجتمع له ذلك الكفران المجتمع ، والكراهة للوجود ، واليأس من الحياة ، أن تنطلق خواطره بالتفكير في وسائل ترقيه وإسعاده ، فيذهب الفكر الى وضع برنامج بين السعادة والرقي ، يسير في الناس مثلا أعلى

على ان ابا العلاء يلتقي برجال الاخلاق ، ويراسي مثلها العليا في منتصف الطريق . فان من مهم رجال الأخلاق في طريقهم الى رسم المثل العليا ، ان يتعرفوا أحوال الناس ، وما يجور بينهم في مختلف الشئون ، وأن يتحسسوا الى منازع النفوس ما يبرص منها وما يلزم ، وان يتعطفوا الى مختلف الخوالج في درجات أو حركات ، وأن يتطرسوا الطبائع على ضروبها ظاهرة وباطنة

ولعمري لقد كان لأبي العلاء من هذا كله أوفر قسط وأوفى نصيب ، فهو - فيما أثر عنه من نثر ونظم - يغوص على دقائق من الخرجات فما تنكشف ، ويجلو حوالك من السجايا فما تنجلي . ولكن حس أبي العلاء لا يحيا بضيق ، وبصيرته لا تحجب دونها غشاوة

ويلتقي أبو العلاء مرة أخرى برجال الأخلاق في مرحلة جديدة من مراحل الطريق : فقد ما وضع رجال الاخلاق قواعد عامة للكمالات الخلقية والفضائل النفسية ليتحلى بها الأفراد والجماعات ، والفوا من شتات هذه القواعد ما يقترحون للحياة الفاضلة من عليا المثل ، ومضوا يرغبون في اتباعها بما يتيسر لهم من تحبيب وتزيين ، وما وسعهم من احتجاج وتدليل . والحق ان صوت أبي العلاء كان احدى الأصوات في الحض عليها ، والدعوة اليها . مطوعا لها بيانه واحتفاءه ، عابيا عنها خطه الكبير ، ورأيه الخير . وهذا هو الكثير من منظومه ومنثوره حافلا من ذلك بينات من الآيات ، وبالغات من الحجج

بيد ان أبا العلاء يجعه في ترغيبه وترهيبه منحا غير الذي تلاق عليه رجال الأخلاق . فهو إذا انتصر لفضيلة كان دليله لها أنها تعين البصيرة على الوقوف بباب اللبيب عما وراء السكون الثائل وإذا أنحى على رذيلة كان دليله عليها لأن الحياة أهون في قصرها وتفاهتها من لأن تنال النفوس منها بنقيصة من النقائص . اقرأ قوله :

لأن الدنيا أرتنا جمة شرعت حمل المطايا لمخل وأجواد

فالمقياس الذي يقايس به أبو العلاء بين الفضائل والرذائل هو الحقيقة الكبرى . التي ملأت منه أقطار نفسه ، وملكت عليه طلاقة تفكيره ، ألا وهي : منقطع الحياة ، هي غاية الحي ، هي المنية التي تحجب عن الموتى ما كان لهم من قبل ، وتغلق دون الاحياء ما يكون لهم من بعد

فنظهر الخلاف بين رجال الأخلاق وأبي العلاء : أن أولئك يتوسلون بما يعلمون من أحوال البشر ، وما يرسمون من قواعد الأخلاق ، إلى علاج ما يكون من فساد النفوس واعتلالها ، واعداد وسائل التهذيب والاصلاح لها ، حتى تصفو الطبائع من الشوائب ، وتخلص الفطر الى السلامة ، فيسلك الناس سبيل الهدى ، ويألفوا صبغة التقية . فأما أبو العلاء فانه يتخذ مما يملأ ما بين يديه برهانات على ان الوجود خليق بالازدراء والتحقير . وأن الدنيا جديرة بأن ينفض الناس منها أيديهم فلا يضربوا في مضطربها ، ولا يسعوا فيها فساداً أو إصلاحاً . بل يكون نصيب الحياة منهم الزهادة والملالة والانف ، ويكون نصيبهم من الحياة مجرد التفكير فيما وراء الحياة . تأمل قوله :

رجوت للموت يتخم البرايا   يسح منه في أعقاب سحب

فأوسعكم دنيانا هوانا   فهل تابع آثار صحب

أجل ، لقد كان ما وراء الحياة شغل أبي العلاء الشاغل ، وهمه الناصب ، فأصبحت حوله فكره وتوالت اليه فلسفته ، فهو دائماً يطرق له الفكر ، ويتمثل لمصيره الأخرى ، ومكانه من الحياة أشبه حالتها ، يرقب منها ما بعد ، ويتأمل ما يكون ، لا يطمئن الى رأي ولا يقر له قرار ، شأن الحائر المشدوه ، تتنازعه الهواجس ، وتتوزعه الوساوس . فما سنحت له خاطرة عدته منها أخرى ، وإما استنام الى نتيجة أيقظته منها نزغة . فما هو ملتقى أخلاط من الآراء صريحة أو مؤولة ، وإنما هو في الأولى والآخرة الحائر المشدوه .

حير أبا العلاء أن يرى حياة الناس تختلف في مطالعها كل الاختلاف : فهذا سعيد وذلك شقي وهذا غني وذلك فقير ، وهذا لسن وذلك عيي ، وهذا وليد يحتضر ، وذلك شيخ يرد الى أرذل العمر ، وهذا صحيح يقضي بغتة كما انقض الجندل هوى به الخسف ، وذلك مريض يموت في السنين شنواً شنواً ولا يجتاً يتحسى . اقرأ قوله :

وأصحابنا مثل الصخور لأنس   حوادث منها جندل وحطيم

فلما انتهلم قبل رحلة ظاعن   وأما رحيل والمحل سليم

فهذه الحياة المختلفة الأوائل المتناقضة السمات ، لا تلبث أن تقف عند النتيجة الدائرة ، وهي الموت المحتم ، لا فرار منه ، ولا خلاص عليه ، ولا استثناء فيه .

ها هو ذا أبو العلاء يشبه حياة الناس المختلفة أوائلها قصيدة تجري مصارع أبياتها على ما يكون من الحروف ، فلكل بيت في مصراعه حروف شتى تتألف منها كلمات شتى ، ولكن هذه الأبيات كلها تلتقي عند ختامها ، وتنتهي بحرف واحد يدور في عقب كل بيت منها . فما حرف قصيدة الحياة فهو التاء من كلمة الموت ، أو الهمزة من كلمة الفناء ، أو الميم من كلمة العدم ، الى غير ذلك من الكلمات التي تؤدي هذا المعنى . واليك قوله .

وأعمارنا أبيات شعر كأنما   أواخرها للمنشدين قوافي

فالقوافي لهذه الحياة محور فلسفة أبي العلاء ، ومحور آرائه جميعاً . وقد أخذت عليه هذه القوافي جنبات نفسه ، ومسارب حسه ، فأصابت عندها ما صح به يديه من شأن . فهو يلتزم القوافي إذ يكتب الرسائل ، ولا يترك فيها السجع إلا في الندرة ، وهو يلتزم القوافي في الفصول والغايات ، إذ يتكلف أن يصوغ قرآناً في معنى وعظي ، فيسجع في فقرة ، ثم يختم ذلك بفقرة في حرف يكون هو الغاية ، ثم يجري على هذا الحرف ما شاء مستأنف من الفصول . وهو يلتزم من القوافي ما لا يلزم في ديوانه المسمى بهذه الصفة ، في عمد الى ذلك وتعمد . وهو الى ذلك يلتزم حين ينقد شعراً أو شاعراً أن يعنى بقوافيه وعروضه ، وأن يطيل القول ويتشدد . فأنت إذا اعتبرت أبا العلاء في العلم والنقد ، أو اعتبرته في النظم والنثر ، أو اعتبرته في الفلسفة والتفكير ، فإنك واجده في كل ذلك — دون شك — من عشاق القوافي .

وهذا التفكير في المصير ، والعجز عن اكتناهه ، وحرمان اليقين فيه ، هو — فيما نعتقد — سر ما نجد من شذوذ أبي العلاء في آرائه في الحياة والناس ، فقد أعنته هذا الغيب ، لم يطلع له يومه الراهن . وهو كذلك سر ما نشعر به من حيرات أفكاره ، وتناقض نتائجه ، فإن من فقد الطمأنينة في مستقبله البعيد ، ذاد به القلق في حاضره القريب . وإن ذلك — فيما نعتقد — هو مدعاة ما اجتهد أبو العلاء فيه من الحملة على التناسل ، والتنفير من استمراء العيش ، والترغيب عن الضرب في الأرض ، وشق عصا الطاعة لقيود الحياة الاجتماعية وروابطها ، كلما اقترنت شعابها ، وتباينت غاياتها . تدبر قوله :

لو ان كل نفوس الناس راثية   كرأي نفسي تناءت عن خزاياها
لعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا   ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

والحق أن ما قاله أبو العلاء في صفة الحياة والناس ، وفي تصوير الطبائع والنزعات ، وفي الدعوة الى الفضائل والتنفير من الرذائل ، إنما كان ترشيحاً للفكرة الكبرى ، فكرة الموت ، والتماس الغيب المجهول ، والحيرة في شأن الاخرى . فإذا كان من غايات المثل العليا للأخلاق عند الفلاسفة أن تحكم الحياة سلطان العقل ، ويؤخذ الناس بحكم العصبية ، فإن مثل أبي العلاء الأعلى في الأخلاق هو تحكيم العقل والعصبية ، لتجريد الناس من الحياة

محمد أحمد جاد المولى

أبو العلاء السياسي

بقلم الأستاذ عبد الحميد العبادي

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

ولد أبو العلاء المعري سنة ٣٦٣ هـ وتوفي في سنة ٤٤٩ هـ ، فقد ولد ونشأ وشب واكتهل وشاب ومات في زمن كان فيه العالم الاسلامي كله حافلا بأنواع الاضطراب السياسي ، مليئا بالآفات الاجتماعية والاخلاقية . ففي أقصى الغرب كانت الأندلس قد زال عنها ظل الدولة الأموية ووقعت في الفوضى التي سببت تكالب الأسبان عليها وطمعهم في انتقاص أطرافها . وشمال افريقية أصبح بعد زوال أمويي الأندلس وانتقال الفواطم الى مصر نهبا مقسما بين دويلات عربية وأخرى بربرية كانت لا تبرح متناحرة متناحرة . ومصر والشام كانتا خاضعتين للدولة الفاطمية وهي دولة على عظم شأنها ، كانت تستند الى دعاية باطنية عنيفة ، ظهرت آثارها في أيام الحاكم والمستنصر . على أن الدولة المذكورة أخذت منذ المائة الرابعة يضعف شأنها وخاصة في الشام لما حل ذلك القطر حينا لأعراب البوادي القريبة منها ولغارات الروم من جهة الشمال . وجزيرة العرب كانت قد عمت فيها تعاليم الزنج والقرامطة فغلب على أهلها التلصص وقطع الطريق والسطو على قوافل الحجاج . وفي العراق وفارس كان سلطان الخليفة العباسي قد اضمحل اضمحلالا ، وكان الأمر كله بأيدي بني بويه المتغلبين على الخليفة وعلى البلاد . وكان حكم هؤلاء ملؤه العسف والاستبداد والطغيان ، هذا الى انقسام بعضهم على بعض ووقوع الفتن في بغداد بين عصبيتهم من الديلم وبين الجند الأتراك . الا أن الحال في أقصى الشرق كانت خيراً منها في سائر الأقطار الاسلامية فقد قامت به دولة فتية قوية عملت على الفتح والتوسع ونشر الاسلام في الهند ، تلك هي الدولة الغزنوية المشهورة . على أنها كانت دولة قامت واتسعت بحد السيف فكان لأولاها مستنداً في أعلى الأمر من قعقعة السلاح وبريق السيوف . والخلاصة أن العالم الاسلامي في العصر المذكور كان قد اختل نظامه وانعدم منه الوازع السياسي والديني فانتشر الفقر والبؤس ، وعم الظلم والفساد ، وأكل القوي الضعيف

• • •

عاش أبو العلاء في ذلك العصر وتأثرت نفسه الحساسة مما آلت اليه أحوال الناس وخاصة منذ قدم من بغداد سنة ٤٠٠ ولزم داره بالمعرة يسعى ويحرس التلاميذ يفدون عليه من مختلف الأقطار للأخذ عنه . وقد صور في شعره وتروياته تلك الحال تصويراً وحيزاً ولكنه بليغ . انظر

كيف يصف تطاول أعراب الجزيرة والشام الى اقتسام البلاد بعد ان ضعف أمر العبيديين وما حل الشام أيامئذ من الاحن بسبب عدوانهم ، فهو يقول :

أرى حلباً حازها صالح ... وجال سنان على جلقا
وحسان في سلفي طيء ... يصرف من عزه أبلقا
فهذا وأنت حيهم بالشآم ... تقلبا على جيشهم مطلقا
ومث حلبنع الرملة فلتتف ... ام فأصبح هالهم قد سحقا
وما هم الكتاب لقب ... له علم على عضب فلقا
وعل قبيل لم يحكر ... وعن أسير فما أطلقا
وكم تركت كهلا وحده ... وكم عادوه مثريا معلقا
يسائل في اهي من له ... وما القول في طائر حلقا ؟

ويقول أيضا في هذا المعنى :

أما بلاد الشام إلف ولاة ... فلاقى بها سود المطر سموجرعا
فطوراً تعاوى من سبعة ليثها ... وحينا تعاوى من ربيعة عزعا
ووعد يأتي في عماية طرد ... تعاشرى الاروى ما كره فرعا
فان تُرى الآفاق دامت لظالم ... يمر عليها ويضرب خرعا

وكان الشيخ أبو الحسين بن سنان أحد رؤساء حلب قد عزم على الحج فكتب اليه أبو العلاء رسالة ينهاه فيها عن الخروج للحج في عامه ويريه ان الروم حلب بالمرصاد ، وأن الجهاد في تلك الحال خير من الحج ، فما كتب به اليه : « وسفر مولاى الى الحج في هذا العام حرام بسل ، كما حرم صوم عيد الفطر ، وحظر على المحرم تصبح بعطر ... وهو ــ أدام الله تمكينه ــ أمين من أمناء المسلمين ، يرهف الشوكة ، ويستجيد اللأمة ، ويحصن ما وهى من سور أو شرفات ... ومن حياطة الرعية بعداميك للغدر .. وإجراء السعد لحفظها والنذر ؟ .. وحلب حرسها الله قد صار فيها رباط يغتنم ، ومحلا يرغب فيه ويتنافس ، ولا يلبث ان يزول بانعقاد الهدنة ، وعودة الجامع كلمة الروم الى كرسيه من برعلية »

ويقول في فساد الأمر بالحجاز والشام والعراق :

أما الحجاز فما يرجى الظلام به ... لأنه بالمرار الحس صبر
والشام فيه وقود الحرب مشتعل ... يشب القوم شبت منهم الصغر
وبالعراق وجيش مستهل دما ... وطرف بجناه الغمر يرتجز

ويشير الى حقيقة أمر صاحب الزنج بالبصرة والقرامطة بالبحرين فيقول :

أما هذه للثعلب أسبا ... ب لعيبحسيا الا الرؤساء
غرض القوم متعة لا يرقو ... ن لدمع الشماء والخنساء
كالذي قام يجمع الزنج بالبصـ ... ـرة والقرمطي بالأحساء

وهو لا ينسى بريق الدولة الغزنوية ولألاءها ويقول في ملكيها الشهيرين محمود ومسعود :

محمود لله والمسعود غايته ... قد من ذكر محمود ومسعود

مشكاك لو أني حيث حلكتها ... وعود صلب أشفار العقل بالعود

وكما تشير هذه النصوص إلى علم أبي العلاء بأحوال المشرق الإسلامي فإن رسالته إلى ابن حزم الأندلسي وداعي الدعاة الفاطمي وكلامه عن ابن هانىء الأندلسي في رسالة الغفران ، كل ذلك يشير إلى اتصال أبي العلاء بالمغرب الإسلامي اتصاله بمشرقه . وأبو العلاء يجمل حكمه على المشرق والمغرب بالنقوص السياسية والفساد والبعد عن الإصلاح في قوله :

وجدت الناس في هرج ومرج ... غواة بين معتزل ومرج
فشأن ملوكهم عزف ونزف ... وأصحاب الأمور جباة خرج
وهم وجبيهم الحساب عال ... حرام النهب أو إحلال فرج

وأبو العلاء يصرح بأن العلة القريبة في هذه النقوص وذلك الفساد إنما هي نظام الملك الفاسد المشئوم القائم على القهر والعسف والرشوة والسعاية :

ولي الناس بالسعاية قام به ... ملك حيل يعقد طرح دهائه

قالوا فلان جيد لصديقه ... لا يكذبوا ما في البرية جيد
فأميرهم نال الإمارة بالخنا ... وتقيهم بصلاته متصيد

وهو يرى أن يكون حاكما من هذا القبيل :

لا كانت الدنيا فليس يسرني ... أني خليفتها ولا محمودها

ما سرني أني إمام زمانه ... فلي ثقل من الأمور عناؤه

أسر إن كنت محمولاً على جمل ... ولا أسر بأني الملك محمود
ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها ... وإنما هو بعد الموت جلمود

وما أختار أني ملك مصر يجبى ... إلى المال من مكس وخرج

وهو يسلك إلى إصلاح الطغاة المستبدين طرقا شتى من الترغيب والترهيب . فتارة يحبب إليهم التقوى والصلاح :

والصالح التقوى لله لا ما رسموا ... ليكون رشداً للنبي الصالح

يا مصرع الرمح في شبهت مملكة ... خير من السلطان الخلي سباح

وتارة يخوفهم عواقب الظلم وبوائقه :

خف دعوة المظلوم فهي سريعة ... طلعت فشامت بالعذاب النازل
عزل الأمير عن البلاد وما له ... إلا دعاء شيبها من عازل

والظلم يجعل بعض من يسعى له ... ويحل عقبته بنفس الظالم

وتارة يحذرهم تصرف الأقدار وتقلبها بالناس رفعا وخفضا :

أيا والي المصر لا تظلمن ... فكم جاء مثلك ثم انصرف

لا يمنع الملك الجبار من قدر ... يمير المال ما أجدى وما جابا

ولو غدا الكوكب المريخ في يده   كالسهم وأخذ البرجيس برجاسا

وتارة يسلك طريقته المحببة بتذكرهم الموت الذي يأتي على جميع الناس فلا يبقى منهم الا سيرهم وذكريات أعمالهم :

حوادث الدهر ما تنفك غادية   على الأنام بتأسيس وتأنيس
أودى بكسرى ولم تترك مرازبه   وبالملوك أودت والقوابيس
أردت صبيها وصبت بأرديتها   وواجهت آل عباس بتعبيس

على أن أبا العلاء يذهب الى أبعد مما ذهب اليه في تعليل الفوضى والفساد فيبين أن العلة البعيدة والسبب الجوهري في ذلك أن الولاة والمتسلطين لم يدركوا أنهم في حقيقة الأمر عمال الرعية وأجراؤها وخدامها وأن الشعوب مصدر السلطان ومستمده :

مل المقام فكم أعاشر أمة   أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها   وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

اذا ما تبينا الأمور تكشفت   لنا وأمير القوم للقوم خادم

وهو لذلك يحذر الطغاة غضب الأمم وثورة الشعوب :

أملك ان ظلمتنا الولاة   فحسبي على صحبها أمم
لبست قريش الى ما علمـ   ـت واستأثر الترك والديلم
وهل ينكر العقل ان يستـ   ـبد بالملك عصبة ديلم ؟
وما غير الملك في حينه   سوى غير بأذن يعلم

وتحت للمنصور نعلي أيا   حنيفة التسليم لا تنس
قد سكن ظهر ابن حاتم   واحتمل الملك الى الديلم
لو كنت أدري أن ملكهم   فلله لم أحتمل انا مسلم
قد صم العدو متكسب   فأنبته شبة المظلم
ما دام غير كله من دامه   فاعطف على الاقدار او سلم

فأبو العلاء يقرر المبادئ السياسية الأساسية سلطة الأمة، وانتخاب ولاة الأمور، وهو من أجل ذلك ينعى على الشيعة مذهبهم السياسي في القول بأن الخلافة نص وتوقيف وليست شورى، ويندد برأيهم في الامام المنتظر :

قالوا سيملكها امام عادل   يرمي أعاديها بسهم صارمه
والأرض موطن شرة وضلالة   ما بعثت بسرور يوم طرفه

على أن ديمقراطية أبي العلاء تتصل اتصالا وثيقا باعتقاده في الاشتراكية الاسلامية سواء أكانت دينية — وذلك من حيث الزكاة — أم اسلامية ثورية — وذلك من حيث حبس الأرض وتوزيع غلتها على المستحقين بها — فهو يقول في أمر الزكاة :

وأعط الكافر وأطعم زكاتهم   لا رأيت بني الاسلام شاكيا
بقوت ساغ بقوت ولا ترجم   فيكتب شيئا أفواه ما كيا
ولا تتثر تمرا الا كنها فيكوا   والسكين الفرط اجهل باكيا

لا يتركن قليل الخير يفعله   من نال في الأرض تأييداً وتمكنا

ويقول في أمر الأرض :

تملك لله من يعقل سبيل من   يرد مطمعين وتعيس مشتركا
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة   فوق التراب لكان الأمر مشتركا

الأرض لله استعيا مطول بها   من يعمرها وهي أعظم أجبال
تنازعوا في عواري بينهم   من حطة وترسيح وأسباب
ان عانقوه ولم يجزوا حلائلهم   شراً فلاغي ان الناس أسباب

والبيت الأخير يشير الى أن أبا العلاء لايرى في هذا الأمر بأساً بشأن التقدم من قسمه لنا حين تغيره الى شر

ولأبي العلاء رأي في كيف تتحقق (اليوتوبيا) أو الجماعة السياسية المثالية ، وهو يلخص رأيه هذا قوله :

إن أنتم عدلا وأعظم منه   لا فلا يحصل وال عليكم
لا تولوا أموركم أحسن الناس   من ان وهب الأمور اليكم

وهذان البيتان يشيران الى ما قال به النجدات من الخوارج قبل أبي العلاء ، فقد أجمعوا على أنه لا حاجة للناس الى إمام قط ، وانما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ، فان رأوا أن ذلك لا يتم الا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز

* * *

أما بعد ، فلكم ود ستكاه من تقدم أو ولي الفلاسفة شئون الناس ، ومن حسن الحظ أن في سيرة أبي العلاء أخبارا ترجح أنه ولي شئون المعرة فعلا . فيروى أنه عندما حوصرت المعرة على صالح بن مرداس أمير حلب ، سار اليها صالح وحاصرها وأرهق أهلها بالحصار ، فسأل الناس أبا العلاء أن يخرج الى صالح ويكلمه في رفع الحصار ، فخرج أبو العلاء الى ظاهر المعرة ولقي صالحا وكلمه بكلام رقيق أثر في نفس صالح فأمر بالكف عن القتال وقال لأبي العلاء : وقد وهبتها لك ، وظاهر هذه العبارة يحتمل أن صالحا قد عفا عن المعرة من أجل شفاعة أبي العلاء ، كما يحتمل أنه قد وهبها لأبي العلاء فعلا وأنه أقطعه إياها على نحو ما كان مألوفا في الدولة الاسلامية في ذلك الزمان . على أن الذي يرجح الاحتمال الثاني نص صريح وارد في رحلة الرحالة الفارسي ناصر خسرو فقد زار المعرة في عام ٤٣٨ ووصف في رحلته ما شاهده فيها فقال ما تعريبه (وكان بها رجل ضرير يدعى أبا العلاء ، وكان أمير البلدة ، وله من النعمة والعبيد والخدم ما يتكثر وكان جل أهلها كالعبيد له . إلا أنه سلك طريق النسك وزهد يرحد في بيته ، وكان يأكل كل يوم نصف من من خبز الشعير لا غير . ويحكى أنه فتح بابه ، ويتولى عنه نوابه وعماله أمور البلدة إلا فيما يهم

فيرجعون اليه . وهو لا يمنع أحداً مما آتاه الله ، ويصوم الدهر ، ويقوم الليل ، ولا يشغل نفسه بشيء من أمور الدنيا . . . وقيل له : ان الله خولك ما نرى من المال والنعمة ، فما لك تعطي الناس وتنعم ولا تتمتع أنت بنفسك ؟ فقال : ليس لي منه إلا ما أتبلغ به من القوت فحسب . وما وصلتها كأن حيا يسرق)[1] ولقد ضمن أبو العلاء شعر لزومياته الاعتراض الوارد في النص المذكور وجوابه عنه فقال :

سولت لي نفسي أموراً وحيا ت الله يعلم ذلك التسويل
واتهامي بالمال كتهمة الجلا ب من ما يفضي التهويل
ويقول الغواة خولك الله فكذبتم لتبغي التحويل
ان حبلك التقدير كالشرك ثوبا فلتلفيه الشتاء والتحويل
لا تسرف على إحسان فالجبـ ـر الصغر أثر ست عويل

فاذا صحت هذه الاخبار ولا اخالها إلا صحيحة يكون ابو العلاء قد ظفر بتحقيق آرائه السياسية التي صورناها آنفا ، ويكون الحظ قد اصطفاه من بين الفلاسفة جميعا ، ليحقق على يديه خيالا من أروع أخيلتهم ، وحلما من ألذ أحلامهم

عبد المجيد عابدين

مذهب التناسخ

كان المعري يؤمن بالعقل وحده ، ويرفض كل ما ينكره العقل الحر ، لم يقبل مذهب التناسخ الذي كانت تدين به بعض المذاهب القديمة كالشيعة ، ويعتقد بصحته عامة الناس في عصره فقال يعيبه وينقده :

يقولون إن الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

---

(١) أنظر كتاب « أبو العلاء وما اليه » للاستاذ الميمني ص ٢٨

حرق الموتى
في رأي أبي العلاء

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد
وكيل القومسيون الطبي العام

لم يقتصر آراء الشرق في الطب على تحريم حرق الحيوان والكفالة بالنبات، بل تعدت كذلك إلى حرق جثث الموتى وآثرها على دفنها في التراب، وهو موضوع شائق عرض الدكتور محمد بك عبد الحميد رأي العلم فيه، وما ذكره عنه أبو العلاء

حرق الموتى فضل على الأشياء، فقد قرأت منذ أكثر من خمس وعشرين سنة مقالاً في إحدى المجلات الطبية الإنكليزية ذكر فيه كاتبه أن حرق الموتى وسيلة صحية للتصرف في الموتى ومواراة جثثهم، وأنها كانت منتشرة في الهند وبلاد اليونان والرومان، وأنها لم تنتشر في أوربا إلا منذ عهد قريب. وذكر لها مزايا لا يستهان بها من الناحية الصحية، وذلك لأن الخطر على صحة الأحياء من دفن الموتى في الجبانات والمقابر والمدافن بالطريقة الشائعة أمر لا ريب فيه، لما يتصاعد منها من الأبخرة الضارة وما عسى أن يحدث عنها من تلوث مياه الشرب في أثناء تفسخها وانحلالها. وكذلك ذكر الكاتب أن الدعوة لحرق الموتى كان من شأنها تنظيم طرق الدفن فقلت المدافن الخصوصية، وأنشئت الجبانات أو المدافن العمومية بعيدة عن المساكن حتى يؤمن اتقاء خطرها، وأحكمت مباني المقابر منعاً لتسرب الروائح الكريهة.

ولكن بعد الجبانات العمومية عن المساكن لم يكن ليمنع أصحاب الأملاك المجاورة لها من البناء فيها كما شاءوا. وما أكبر الخطر على صحة الأحياء لو كان الموت بسبب مرض من الأمراض المعدية شديدة العدوى كالكوليرا والحمى التيفودية والجدري والدفتريا وغيرها. فالطب في هذه الأحوال يحتم علينا تطهير المسكن الذي كان فيه المريض المتوفى، وتطهير الأثاث والملابس التي تلوثت، وحرق الرخيص منها ومراقبة معاشريه ومخالطيه. فقانون الصحة يحتم علينا بذل أقصى ما في وسعنا في عملية التطهير، ولكنا نترك أصل العدوى وهو جسد الميت أو جثته، وستظل منبعاً للعدوى متى وجدت العدوى سبيلاً، مما يكون باتساع رقعة العمران وازدياد السكان في كثير من البلدان. وكثيراً ما يدفع اتساع العمران إلى البناء الذي في كثير من المقابر مدة معينة ثم تنقل الرمم البالية منها إلى جبانات أو مقابر جديدة تتخذ بعيدة عن المساكن، وتحول الجبانات القديمة إلى متنزهات

لامتداد العمران إليها . وفي ذلك يقول المعري في لزومياته :

لو هب سكان التراب من الكرى   أمسى الطفل على القبر الساكن
لعدوا وقد ملأ البسيطة جمعهم   ورأيت أكثرهم بغير أماكن

بل لقد شرح المعري ذلك بالتفصيل في ما جاء في القصيدة التي قالها يرثي بها فقيها حنفيا ، إذ قال على ما جاء في سقط الزند :

غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي إذا قيـ   ـس بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ   ـت على فرع غصنها المياد
صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ   ـب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الأر   ض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهـ   ـد هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت في الهواء رويدا   لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا   ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين   في طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسا   من قبيل وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهار   وأنارا لمدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما أعـ   ـجب إلا من راغب في ازدياد
إن حزنا في ساعة الموت أضعا   ف سرور في ساعة الميلاد

وقد يكون لنا بعض العذر في تنغيص راحة الموتى بنقل الرمم إلى جبانات حديثة بسبب اتساع العمران ، ولكن ما عذرنا في حرماتهم من تلك الراحة بنبش قبورهم لأغراض أثرية ، كما فعلنا في أجدادنا من قدماء المصريين كتوت عنخ آمون وغيره ، وكما يفعل بعض اللصوص لسرقة ما عسى أن يكون في قبورهم من الأشياء الثمينة . ألم نحرمهم من الراحة التي طالما ذكرها الشعراء في أشعارهم فقال المعري عنها مثلا :

ضجعة الموت رقدة يستريح الـ   ـجسم فيها والعيش مثل السهاد

لعل موتاً يريح الجسم من تعب   إن الفناء بحبل العيش مقترن

ويخيل لي – إذا لم تخني الذاكرة – أن الدعوة لحرق الموتى قامت في أمريكا إثر تعدد حوادث نبش القبور للسرقة .

ولقد تساءلت بعد أن قرأت المزايا التي ذكرها الكاتب : ترى ماذا يكون الحكم الشرعي لو استحسن الطب وسيلة حرق الموتى على وسيلة دفنهم بالطريقة المعروفة ؟ فأخذت أبحث في القرآن الحكيم وكتب الأحاديث المختلفة عما يصح أن أستند إليه لتسويغ هذه الطريقة لو قررها الطب في المستقبل ، فعثرت في مطالعاتي على كثير من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة مما تقتضيه الأصول الصحية ، وكنت كتبت منها سلسلة طويلة من المقالات نشرت أكثرها في «المقطم» منذ حين .

وأخيراً اهتديت الى حديث عن حرق الموتى جاء في « الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير » يتلخص في : « أن رجلاً حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله : اذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً ثم أوقدوا فيه ناراً حتى اذا أكلت لحمي وخلصت الى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها ، ثم انظروا يوماً راحاً فاذروها في اليم ، ففعلوا ما أمرهم ، فجمعه الله وقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، فغفر له »

وكذلك جاء في الكتاب نفسه عن أبي سعيد : « أن رجلاً كان قبلكم رغسه الله مالاً فقال لبنيه لما حضر : أي أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب . قال : اني لم أعمل خيراً قط فاذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف ، ففعلوا ، فجمعه الله فقال : ما حملك ؟ قال : مخافتك . فتلقاه برحمته »

وكذلك جاء في مسند الامام احمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد دخل رجل الجنة ما عمل خيراً قط ، قال لأهله حين حضره الموت اذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروا نصفي في البحر ونصفي في البر ، فأمر الله البر والبحر فجمعه ، ثم قال ما حملك على ما صنعت ؟ قال مخافتك ، قال فغفر له بذلك »

وعندي — ان صح أن يكون لي رأي — أن الطب لو حتم في المستقبل أن نستعمل بعض الموتى حرقهم وعملنا ذلك طوعاً لمقتضيات قانون الصحة ورغبة منا ألا تكون أجسادنا بعد مماتنا سبباً في أذى غيرنا من الأحياء مخافة وخشية من الله ، أقول لو عملنا ذلك على هذا الاعتقاد لما كان في ذلك شيء من الكراهة الدينية التي قامت في أوربا في وجه الدعوة لحرق الموتى والتي ستقوم في مصر مثلاً لو انتشرت هذه الدعوة . فلا صلة للجسد بعد خروج الروح منه ومصيره الى الانحلال الى عناصره الأولية على رأي المعري في لزومياته :

لا تكرموا جسدي اذا ما حل بي ... ريب المنون فلا فضيلة للجسد
كالبرد كان على اللوابس نافعاً ... حتى اذا ذهبت بشاشته كسد
أرواحنا هلت تطلب بيوتها ... قوس حوى من الصفائح واحد
وادروه من قبل الفساد فانه ... جسم اذا فقدت حرارته فسد
لا تفجعوا رجلاً على ما فاته ... في ملك قد ساد الرجال ولم يسد
طوحت الأيام حسب ترابك ... عن النجوم ولا السماك ولا الأسد

فمصير الجسم بعد دفنه فناؤه فناء بطيئاً بالتحلل تحللاً ترابياً قذراً كريهاً ، وبروائحه الدود والحشرات وما الى ذلك زوالاً تشمئز منه النفوس . وما مواراته التراب إلا لستر عوامل الفساد وحجبها عن بصرنا . أما اذا حرقنا الجسم بعد الموت فقد عجلنا الظواهر الطبيعية وساعدنا الطبيعة في انجاز عملها كما يساعد المزارع الطبيعة بجمع الحزمة لما استقرت وحان اثمارها ولم يتركها حتى تتعفن من نفسها . وأي غضاضة على الجسم بعد خروج الروح منه اذا حرق أو ألقي في البحر أو دفن في القبر ؟ ألم يقل المعري في لزومياته :

لا تسدين نبيأ ان عصفت به | واقبل جميلا فقل للخير يحتم
ان قارنتني جبان خشي منا | ولا يراع لكسر بطانة السم
فاجعل عظامي ترى غبراء مظلمة | أو نوبت حمراء نار صوءها سنم
سوى على الجسم حسر حوت حتم | بعد الهلاك وحصر روها تم
طبع السلي التي شبهته بها | ان مات كالقطع في قضب من العم
والغابيـات وفي آنائها خرر | كالشأن ترعى وفي آنائها رمم

بل لقد قال في موضع آخر :

ولتنا بعد هلكت هل مصيرها | لو حرقت بالنار لا يتألم

لو شئت بالطمس مبت لم يجد ألماً | هرم منه كأشر احرق في الأدم
سيان النسمة ما لان من كفى | وحرقه في لظى النار محتدم

ولننظر الآن فيما ورد في أشعار أبي العلاء المعري بشأن حرق الموتى . ولقد أشار لحرق الموتى في أشعاره في مواضع كثيرة نجتزىء منها بالآتي :

يحرق عنه الهندى خوفا | ويقبر دون ما صنع المهاد
وما علمه عند النصارى | ولا غريبة سجنوا وعادوا
يحرب حسه النار قصدا | ويلك منه ذي واجتهاد
وموت الفرد يوم هلاك حتماً | عليه وكل ميتته سهاد
يروع بالصلاة وداع يأس | ويترك في التراب فلا جهاد
أعلى من الثرى والأرض أم | ولكن صبرها ثم المهد
أما الروح الطيبة رابحي | فلا حملت على الرسم السهاد

وكذلك قال في موضع آخر :

تكروا في الأمور بكشف لكم | بعض الذي تجهلون بالفكير
لو درى الطائر الوكر بالعلى | أبى أن يهم بالتوكير
صرف الهند من يموت فأنا | روه في روحة ولا تكبير
واستراحوا من قصة القبر ميتاً | وسؤال لمنكر ونكير
لا دكور ولا أخت من النسا | لم يجدى بالرشد بالتدكير

وكذلك قال أبو العلاء المعري في لزومياته :

اما حرق الهندى بالنار عنه | فلم يبق نحض الثراب ولا عظم
صل جو خاف من نكير ومنكر | وضغطة قبر لا يقوم لها نظم

ولست أرى فيما رواه أبو العلاء المعري عن حرق الموتى ما يصح أن يتهم به شيء من الزندقة أو الالحاد ، فالدفن للموتى الذي جرى عليه أغلبية الناس منذ ما قتل أحد ابني آدم أخاه فلم يدر كيف يوارى سوءة أخيه ، فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه على ما جاء في القرآن الحكيم في سورة المائدة من قوله تعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا

قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين . إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين » . أقول فما دفن الموتى على نحو ما جرينا عليه منذ بدء الخلق إلا مواراة لسوءتهم وهو ما يتم أيضا بحرقهم بطريقة أسهل وأسرع وأطهر وأرخص وأفضل من الناحية الصحية . ولو صح أن المعرى كان يستحب الحرق على الدفن لما كان عليه فى ذلك من بأس وهو الذى يقول فى لزومياته :

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر ... أو صح قولى فالخسار عليكما
طهرت ثوبى للصلاة وقبله ... طهر فأين الطهر من جسديكما
وذكرت ربى فى الضمائر مؤنسا ... خلدى بذاك فأوحشا خلديكما
وبكرت فى البردين أبغى رحمة ... منه ولا ترعان فى برديكما
إن لم تعد بيدى منافع بالذى ... آتى فهل من عائد بيديكما
برد التقى وإن تهلل نسجه ... خير بعلم الله من برديكما

وكيف يكون عليه من بأس وهو الذى يقول أيضا .

وقدرة الله حق ليس يعجزها ... حشر لخلق ولا بعث لأموات

ويطول بى الكلام لو أردت أن أشرح بالتفصيل « عملية حرق الميت » فى الأفران الخاصة التى تعد لهذا الغرض فى البلدان المختلفة وأبين كيف يتق القوم فى انشائها كل صرر ما كرا لهم شيئا مما يدور بين أنصار « الحرق » وخصومه من الجدل فى منافعه ومضاره . وما من شىء عند الخصوم أوجه من ادعائهم ان فى حرق الميت اهانة له وإيلاما لروحه ، وتضييعا لمعالم الجناية إن كان الموت جنائيا بسم أو بفعل فاعل . وقد يسرعون فى القول بأن فى حرق الميت قتلا له إن كان موته ظاهريا غير حقيقى . فيرد عليهم الأنصار بما يقيم عليهم الحجة بما ليس هنا مكانه

وكان بودى لولا خوفى من ملل القراء أن ألخص لهم بهذه المناسبة رواية قصيرة اسمها « محرقة الجثث ــ Funeral Pile » للكاتب الروائى ذائع الصيت جى دى موبسان ، شرح فيها بشىء من التفصيل كيف حرق بعض الهنود أميرا هنديا مات فى إحدى مدن فرنسا شرحا وافيا . وقد أوفق لترجمتها فى فرصة أخرى بإذن الله تعالى

الدكتور محمد عبد الحميد

القصة في أدب أبي العلاء

أو قصة القوافي وقصص أخرى

بقلم الأستاذ كامل كيلاني

حدث علي بن الجهم، قال:

كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم في جامع بغداد، ينشدون الشعر، ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها. فبينا أنا في جمعة من تلك الجمع، ودعبل، وابن أبي الشيص، وابن أبي فنن، والناس يجتمعون يسمعون إنشاد بعضنا، أبصرت شابا في أخريات الناس جالسا في زي الأعراب. فلما فرغ كل منهم وقطع إنشاده، التفت الشاب إلينا وقال: « قد سمعت إنشادكم — منذ اليوم — فاسمعوا إنشادي ».

قلنا: « هات ». فأنشد: « حوله حين — على هواك — يا مذل »[1]

ثم مر فيها منشدا حتى أتى قوله:

تغاير الشعر فيه إذ سهرت له ... حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد ابن أبي الشيص — عند هذا البيت — خنصره. ثم مر فيها الشاب إلى أن أتى على آخرها، ثم أنشد أخرى. فقلنا له: « لمن هذا الشعر؟ ». فقال: « لمن أنشدكموه! ». فقلنا له: « نشدتك الله، من تكون؟ ». قال: « أنا أبو تمام الطائي ». قال ابن أبي الشيص: « فرفعنا مجلسه — حينئذ — وعظمناه تعظيما كبيرا ».

فهل عرف القارئ ماذا كان من أثر هذا البيت الرائع الذي عقد ابن أبي الشيص خنصره عند سماعه؟ وماذا أوحت إلى ذهن المعري قصة هذه القوافي المتوثبة إلى القتال؟ لقد وعى أبو العلاء هذا المعنى، كما رواه ابن أبي الشيص وأصحابه، وعقد خنصره عند سماعه، وأكبر من أبي تمام هذا الخيال البارع الذي مثل قوافيه كائنات حية توشك أن تقتتل لتظفر بشرف الخلود في شعر أبي تمام، واختزن المعري هذه اللفتة البارعة كما يختزن الفنان الموهوب كل مشهد رائع من مشاهد الحياة، وكل معنى جيد مبتكر، ليضعه مكانه الجدير به من قصصه الكثير البديع.

فلما أتيحت للمعري فرصة الكلام عن أبي تمام تمثل قوافيه كائنات حية، توشك — لو علمت

---

(١) المذل: هو الذي يفشي السر

بها مصابه ـ أن يزول عليه تبعات ، قال : « فلا تعجب في الغار حبيب (أبو تمام) إنا نعني النسج ولا التشبيب ، ولو أن القصائد له عز ، لأنشدت عيب المسودات الثلاث في أول ديوانه مأتماً ، فناحت عليه كأخت لبيد ، وقالتا ما زعمه الكلابي في قوله :

ولولا ـ هو البيت الذي لا تعرفه أسماع ، ولا يخفى على الصديق ولا العدو

إلى الحول ، ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً ، فقد اعتذر

وكأن بهما ـ لو نسي ذلك ـ لاجتمعت إليهما المسودات ، كما تجتمع النساء من كل أوب ، ولو صلح ذلك ، لكان من الثانيات بمأتم أعظم رتبة . ولما كان مأتم المسودات فيه الثانية من يستحق ويتظاهر ، وجب أن يكون مأتم الثائيات في آلاف ، لأن الله طريق ركوب ، والهاء في القصائد سبيل مسكوت . وما نقصه في الثاء ، فإنه لا يصدر عن الأثناء . وفي الثائيات في حالة الوزن ـ وإن الثاء قليلة في شعر العرب ـ إلا أنهما تستعملان كلة كثير :

حال السلامة أضحت رفاتا فلها أخذنا ، أو رمالا

وبأراجيز رؤبة وما كان نحوها من القوافي المتكلفة ، والأشعار الفصيحة ، ولعلها لو تكلم ابن مريد أعوان . فأما الدالات والرائيات وما يجري على الحروف الذلل ـ كالميم والنون واللام وما جرى مجراهن ـ فلو اجتمع كل جزء منهن لساق من الصدر والإيراد ، ويزدن على ما ذكر أنه اجتمع في جنازة « أحمد بن حنبل » من النساء والرجال (١)

ولم يقف خيال المعري عند تخيل هذه القوافي كائنة حية تأسف وتحزن وتسير في الجنائز ، حتى جعل أبيات لبيد قد تمثلت ـ في الدار الآخرة ـ قصوراً محسنة ، فقال في رسالة الغفران(٢) :

« ويعرض لهم لبيد بن ربيعة ، فيدعوهم إلى منزله ، ويقسم عليهم ليتحفن منهم ، فيمشون قليلاً ، فإذا هم بأبيات ثلاثة ليس في الجنة نظيرها حسناً ، فيقول لبيد : أتعرف أيها الأديب الحلبي (٣) هذه الأبيات ؟ إنها قولي :

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي والعجل

أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ، ومن شاء أضل

صيرها ربي أبياتاً في الجنة ، أسكنها أخرى الأبد . فيعجب هو وأولئك القوم ، ويقولون : « إن الله على كل شيء قدير » .

ومن أعجب المعري بأبيات لبيد ، فتمثلها قصوراً فاخرة ، فلا عجب إذا دفعه تصويره الرجز إلى تمثل أبيات الرجاز قد تحولت بيوتاً حقيرة فقال :

« ويمر بأبيات ليس لها سموق أبيات الجنة ، فيسأل عنها ، فيقال له : « هذه جنة الرجز »

(١) انظر الطبعة الثالثة من رسالة الغفران (ج ٣ ص ٢٨٦) (٢) انظر ص ٨٦

(٣) يعني ابن القارح الذي بعث إليه المعري رسالة الغفران

فيقول : تبارك الله العزيز الوهاب ! لقد صدق الحديث المروى : « ان الله يحب معالى الأمور ، ويكره سفسافها » ولان الرجز لمن سفساف القريض . قصرتم أيها النفر فقصر بكم »

والمعرى ـ كما يعرف قراؤه ـ يحقر الرجز ، ويصغر من شأن الرجاز ، وهو القائل :

ومن لم ينل فى القول رتبة شاعر ... تقنع ـ فى نظم ـ برتبة راجز

قصرت أن تدرك العلياء فى شرف ... لان القصائد لم يلحق بها الرجز

ثم يتمثل بيت الخنساء فى أخيها صخر ، وقد أصبح فى الدار الآخرة خفيفة راعنة ، وبدا أخوها ـ فى الجحيم ـ كالجبل الشامخ ، والنار تضطرم فى رأسه وهو يقول لأخته : « لقد صح مزعمك فى » . وانما يعنى قولها :

وان صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

كما يتمثل معلقة امرىء القيس كلها تصويرا شعرياً ؛ فيقول فى رسالة الاغريض التى بعث بها الى الوزير أبى القاسم المغربى(١) :

« ولان لقانيك » ـ على حسنها وقسم سنها ـ لتقر بما يبطل شهادة العدل الرضى ، فكيف بالسمى الأبى ، فأنها الله مجوزا ، لو كانت بشرية ، كانت من أغوى البرية »

ثم يتخيل أسطرنا ومنايانا ، كأنهن الآيات فى النثر ، ومنايانا فواصلهن ، وكأنهن الأبيات فى الشعر ، ومنايانا قوافيهن ، فيقول :

ان أسطرنا كآى أيهب ... ومنايانا على مثل الفواصل

وأسطرنا أبيات شعر ، كأنها ... أواخرها المتعديى قوافى

ولا يفوته حين يعرض لذكر أعلام النحو والصرف أن يقول :

أنت مثل المرن ، لا بكلام ... من اللفظ الصحيح ، ولا العليل

ولو أن الكلام يعى شيئا ... لكان له ـ وراءكم ـ أليل

ولو شئنا أن نحصى هذا اللون ـ وحده ـ من خيال المعرى ـ وهو ضروب وأفانين لأعيى الشاق منا القلم الرحيب ، فكيف بهذه اللمحة العاجلة

وانما عنانا ـ فى هذه الومضة الخاطفة ـ أن نعرض للقارىء مثلا من سعة خيال المعرى ، ولونا من ألوان تفنته وابتداعه ، واضطلاع أفقه ، وأصالة الروح القصصى فى نفسه . وقد اخترنا هذا المثل من بين مئات من أشباهه ونظائره المبثوثة فى نظمه ونثره ، لنرى القارىء ، كيف أصبح الخيال القصصى فى نفس المعرى متين الأواصر ، عميق الأغوار ، تكاد كل ملاحظة تعن له تتحول قصة ، أو مشهداً من قصة ، أو منظراً من مشهد قصصى ، أو ايماء بقصة ، أو خلاصة لها ، أو موجزاً لأقصوصة ، أو اشارة ـ بعيدة أو قريبة ـ اليها

وسيان ـ فى عالم الفن الصادق ـ أن تطول القصة أو تقصر الاقصوصة ، فكلن فى البلاغة ـ على

(١) انظر (ص ٥٩٨ ج ٤) من رسالة الغفران فى طبعتها الثالثة

مكانتها ـ كل عناصر الصورة السامقة ، ولن يعسر على المعري أن يوحي بعد أن أصاب الهدف ولم يخطئ الصميم ، كما لا ينفع غيره أن يسهب ويطيل ما دام قد تنكب السبيل ، ولم يصب الأهداف

ولم يقف خيال أبي العلاء القصصي عند تخيل القوافي كائنات حية ، فقد طالما تخيل المعري أشباه ذلك ، فتخيل الزمن كله وليداً لاهيا ، فقال :

أظن زماني كرهه وقيامه وليداً يخلي الأرض يهوى ويلعب

كما تمثل الليل والنهار خيطين بالحلّ ، فقال :

نهار وليل ، عوقنا أنا فيهما كأني عيض لخل ألبث

وتخيل النجوم ـ كما تخيل القوافي ـ كائنات حية ، ثم أبعد في خياله فجعلها كالأناسي متنافرة ، متحالفة في أديانها ، بعد أن تخيلها مفعمة بالإحساس موفورة العواطف ، فقال :

لعل الكواكب مثلنا في دينها لا يطلع ، بها تلك ، أو مسلم

ولعل منكها في السماء كملكنا ربما عظم ، ويحتل ، ويظلم

ثم تعمق في صوره ، وأوغل في تخيله ، فقال من قصيدة :

وإن صح أن النيرات بصحة فما سكرتم من وجدٍ ، ومن صبر ؟

لعل سهيلا ، وهو فحل كواكب تروع مثلنا السماك ، على صبر

يقولون : تأمل فوقنا مثل ما أرى بنو الأرض ، ويحل السرور ، أو الصبر

فياليت شعري ! هل تراع من الردى وتركم سنكا ، والأنسا ، وبالطهر

وتكتسب ؟ إن المنى في آل آدم غرائز سامحت بالنفاق وبالسر

ثم قال من قصيدة أخرى :

سبحان خالقهن لست أقول لي الشهب كآية مع القمر

لا ، بل أفكر : هل زوال حصى يجب يجزئ به من الطهر ؟

أم هل لأنفاسها الحصى حتى الـ ذكير ، من قرب ومن صبر ؟

أم يعطف المرى السماك وهو عليها فتغني ترضاه من صبر ؟

ألا يرى القارئ المنصف أن هذا التفكير الجبار قد اجتاز آفاقا من الخيال قبل أن يرتادها أحدث القصاصين ! . وكم لون من الأقاصيص تفيض به رسائل المعري وأشعاره ، وقد سبقنا إليه في مواطنه من رسالة الغفران وما ألحقناه بها من رسائل الملائكة والأعرص والتبيع والشياطين والأخرسين وما إليها مما أظهرناه في مجموعة الغفران الحديثة ، فحرى منه بالقصة التالية :

وأبيك ما طائر ، وما لي ولاه ، فأوحى شعره الكتا

أو صادقه حياة نصبت تنقل فيها كأنما كتبا

مكر ، ويري اللفظ فيهما قص ـ عند العروض ـ أو قعا

كأنه في الحياة ، ما فرع القصد ت ، لغي عليه ، أو رحا

وكم أبيات لخص فيها المعري قصصا طلية ـ قبل أن يولد مؤلفوها ـ أبرع تلخيص ، كتلك الأبيات الثلاثة التي قصنا بها زوجة « جعفر » ، وقد لخص في البيتين الأولين قصة (جعفر في بلاد

الأقزام والعمالقة) ، ثم تلمس في البيت الثالث مغزى القصة وروحها ومرمى مؤلفها البعيد ، حتى يخيل إلينا أن سويفت – مؤلف هذه القصة – قد استوحى خيال المعري حين كتبها ، واستلهم قوله :

زعموا رجالا كالنخيل جسومهم ... ومعاشرا ، قاماتهم أشبار
إن يصغروا ، أو يعظموا ، فبقدرة ... وأرى الأعاظم ، والأكابر
يستصغر ابن الخنصر ، وعنده ... أمر يروم : إنه جبار

ومن المصادفات أننا حين ترجمنا قصة « القول يبقى »(١) لبول لرفيه ، لم نجد مقدمة أجدر بتلخيصها من قول أبي العلاء :

إن شئت تلقى ابن نقاء مصلحا ... فاسبب بحرب ، واقصد الهيابات
تجدهم في الأوائل غافلة ... وجه الصواب ، وأسرر مقامات
يأكرون بآداب ، ومن حطب ... معجبة ، وأهواء مطابقات
قالوا ، وقلنا : دهور ما عبد لنا ... إلا الأذى ، واختصما في المقامة

ولو شاء برنارد شو أن يمهد لقصته : « الزنجية باحثة عن الله » ، لما رأى في تلخيصها أبرع من الأبيات المنسوبة إلى المعري :

عجبت لكسرى وأشياعه ... وغسل الوجوه ببول البقر الخ

أما بعد ، ففي أبي العلاء من المزايا القصصية ما يكاد يفرده من بين شعراء العربية وكتابها وقد كدنا نقول : من بين شعراء الدنيا وكتابها قاطبة ولا غرو في ذلك فلقد أكبر ميزات القاص الموهوب موفورة عنده ، تزخر بها نفسه الخاشعة ، ويتم بها ذهنه الرحيب . فهو – فيما يعرف قراؤه ومتذوقوه – مستوفز الحس ، واسع الخيال ، رحب الأفق ، شديد التنبه ، وقد عاش في عصر ازدهرت فيه القصة وبلغت شأوا عظيما . وهو – إلى ذلك – دائم التنقيب لوجوه الرأي المتباينة ، كثير المقابلة والموازنة بين فروضها المتباينة ، وخصائصها المتجمعة والمتفاوتة – ساحر الأداء بارع السخرية ، خلاق معان ، ومستحدث أخيلة . وقل أن تجتمع هذه المزايا كلها في علم من أعلام القصة إلا سمت به إلى أرفع ذروة فنية

وقد رأى القارئ – في هذه اللمحة العابرة – أمثلة من براعته القصصية ، وتطلعه الدائم إلى الرحلات الفكرية ، وعرف كيف سرى بفكره في مغارات معنوية شاسعة يتيه فيها جبابرة العقول ولم يكن بين المعري وبين أن يملأ الدنيا قصصا مطولة خالدة إلا أن تتهيأ له الفرص ، وتحلى لأدبه المسلسلات الحافزة ، كنفيستي رسالة الغفران ورسالة الملائكة ، اللتين أظفرتا الأدب العربي منه بهذين الكنزين الحافلين بأروع المفاخر الفنية الغالية ، الباقية – على الدهر – ما بقي الفن وأهله

كامل كيلاني

(١) Les Paroles Restent وهي من كتابنا « روائع من قصص الغرب »

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

نحن في عصر العنف

بقلم الكاتب الانجليزي ألدوس هكسلي

يمتاز هذا العصر بتراخي نزعة المحبة وسيادة روح القسوة والعنف . ولقد أجمع مفكرو القرن الماضي على وجوب تجريد الدولة من سلطة الارهاب والتنكيل . ولكن معظم القادة الذين يتحكمون الآن في مصير أوربا يتوسعون في استخدام هذه السلطة ، تؤيدهم طائفة من المفكرين تبرر العنف وتحث عليه وتغرى الدولة به وترى فيه وسيلة صالحة من وسائل السيطرة والتفوق

فأولئك القادة ومن ينحو نحوهم من رجال الفكر ينسون أو يتناسون أن العنف لا يفضى الى أى تقدم وأن كل تقدم حققته البشرية نبع من عاطفة المحبة والخير وتوطن مثل هذه العاطفة

والواقع أن العنف يولد العنف وأن مختلف الاصلاحات التي يقوم بها الدكتاتوريون مثلا متذرعين بوسائل العنف ، لابد أن تنهار في يوم من الايام ولا بد أن يقوضها خصوم الدكتاتور متذرعين بنفس الوسائل

فأنصار العنف يعتقدون أن القوة يجب أن تبطش لتسود ، ونفس هذه القبضة هي التي يأخذ بها الضعفاء في الكفاح والمقاومة ، فتكون النتيجة انهيار الصروح التي شادها الأقوياء والضعفاء معا . ولا ريب أن التاريخ أصدق شاهد على صحة هذا الرأى

فالدكتاتورية التي أحيتها (النابليونية) في فرنسا كانت مثال الشدة والعنف ، فأعقبها استبداد عسكري مروع وسلسلة حروب دامت عشرين سنة وانتهت بتقرير الخدمة العسكرية في أوربا كلها وبإلهاب النزعة الوطنية الى حد التعصب الجنوني

ولقد ولد العنف الذي اتبعته روسيا القيصرية والعنف الذي تجلى في الحرب العالمية ، رغبة في تحقيق الاصلاح بواسطة العنف وعلى يد الدكتاتورية الشيوعية

ولما قامت الدكتاتورية الشيوعية ولجأت بدورها الى وسائل العنف وهددت العالم بنشر مبادئها من طريق العنف ، ظهر الفاشزم ولوح هو الآخر بروح العنف للقضاء عليها

وهذه الروح دعت بالفاشزم الى مضاعفة التسلح فاقتدت به الدول الديموقراطية وأصبحت أوربا بأسرها فريسة نزعة العنف وما يصحبها من قلق وخوف وتأهب دائم للتعدى

وقد قال موسوليني إن الحرب تهب نشاط الفرد وتجدد حيويته ، فبات كل فاشستى مؤمناً بأن الفناء القائل على المدن المفتوحة هو عمل مجيد صالح وإن خير حياة هى تلك التى تنقضى فى غليان دائم وتطاحن مستمر

ولكى يرسخ فى صدور الجماهير مبدأ العنف وحب الاغارة والسطو ، يلجأ أولئك القادة الى الكذب . فيقطعون الصلة بين تلك الجماهير وبين العالم ويخفون حريتها الفكرية ويفرضون عليها مد المؤامرة مبادئه وتعاليم كاذبة تشوه حوادث التاريخ وحقيقة الحال عند الشعوب الاخرى

ولكن هذا الكذب قد يخلق معارضة خفية وهذه المعارضة الخفية قد تستطيع أن تمزق شيئاً فشيئاً ستار الكذب ، ولذا يلجأ الدكتاتوريون الى البوليس السرى يندس فى الحياة العامة ويسرى كالوباء فى جسم الدولة ويفسد روح الافراد والجماعات

وحيث لا يسمح للمعارضة بالحياة الحرة الصريحة ، تطل الدسائس برؤوسها من الأحجار ، فيحس القادة وسب الذعر فى قلوبهم ويعمدون الى المحاكمات الصورية والى مختلف وسائل العنف للاجهاز على خصومهم كما حدث فى ألمانيا وروسيا

ويجب أن نلاحظ أن القضاء على المعارضة لا يفقد الدولة بعض أركانها فحسب بل يزعزع الأنظمة القائمة فيها ويقتضى فرض أنظمة جديدة قد لا تتفق وروح الشعب ومستواه العقلى ودرجة استعداده لتقبلها . وعندئذ تتجمع ظواهر الاشياء وتنمو فكرة الحرية وتتجه آخر الأمر نحو الثورة ، أى نحو مبدأ العنف

وإذن فالعنف يغرى بالعنف ، وكل اصلاح ينهض على العنف لا بد أن يذهب به العنف

[ملخصة عن صحيفة مرناك

ألمانيا تنظم الزواج

عشر وصايا لوزارة الدعاية

لا يمكن أن يعقد زواج فى ألمانيا النازية إذا كان أحد الخطيبين مصاباً بمرض معد يخشى أن تصاب به امرأته أو بنوه وراثى يخشى أن يصاب به أبناؤه . وإذا خولف هذا القانون يعتبر الزواج باطلاً حتى ولو عقد خارج ألمانيا ، ويستهدف الزوجان لعقوبة أقلها السجن ثلاثة أشهر

والغريب أن وزارة الدعاية رغبة منها فى التأثير على الشعب وإشرابه مبادىء وتعاليم النازية

النازية فيما يتعلق بمشكلة الزواج ، ووضعت عشرة مبادىء أو وصايا لهداية الراغبين في الزواج ، وإليك هي :

أولا — اذكر قبل كل شيء أنك ألماني . وأنك مدين بكل ما تتمتع به لشعبك وأمتك لا لمنفعتك الشخصية . فاحرص على أن يكون زواجك نافعا للشعب الذي تنتمي إليه

ثانيا — حرر نفسك من المطامع الدنيئة ولا تقرنها بفكرة الزواج وكن صادقا مع نفسك ومع المرأة التي اخترتها شريكة لحياتك

ثالثا — إذا كنت غير مصاب بمرض معد أو وراثي فالواجب يقضي عليك بأن تتزوج . واعلم أن من واجبك أيضا أن تنشد في الزواج النسل يحمل اسمك ويحفظ ميراثك الروحي وميراث أسلافك ويخلد ذكرك . وتذكر على الدوام أن من يؤثر العزوبة على الزواج ويبقى أعزب بدون سبب يؤخر تقدم الجنس الألماني ويقطع سلسلة الأجيال الألمانية ، إذ العبرة بتعاقب الأجيال لا بحياة الفرد الزائلة

رابعا — لا تتزوج إلا عن حب . وثق أن الزواج الصالح هو الذي ترعاه شعلة الحب الإلهية ، وأن نزوة القلب هي دعامة الحياة البيتية السعيدة . ولكن احذر طغيان العاطفة على العقل ولا تنسق للحب الأعمى وحكم عقلك ما استطعت في اختيار زوجك

خامسا — يجب على الألماني أو الألمانية أن يختار زوجا من جنسه ودمه لأن اختلاط الأجناس مجلبة للشقاء . وليفهم كل ألماني أن المحافظة على وحدة الدم واجب وطني مقدس

سادسا — قبل أن تتخذ لك زوجا ينبغي أن تستعلم عن السلالة التي انحدر منها . لأنك في الواقع لا تقترن بفرد معين بل بمجموع الأخلاق والعادات التي تخلفت فيه من مؤثرات سلالته

سابعا — اعلم أن خصائل الروح وراثية كلون الشعر أو لون العيون وأن الدم النبيل هو أثمن الأشياء في هذه الحياة

ثامنا — احرص على زوجك الكشف الطبي الدقيق . إذ لا جمال ولا سعادة بدون صحة

تاسعا — لا تبحث في الزواج عن رفيق تستمتع به بل عن رفيق يقدر مسؤولية الحياة ويعرف كيف يشاركك فيها . ولا تنس أن غاية الزواج المثلى هي انتاج أبناء أصحاء

عاشرا — يجب أن تطلب النسل في الزواج ما استطعت . يجب أن تحب الأبوة وتتمناها واعلم ان كل أسرة لا بد أن تنتج أربعة أطفال كي يبقى الشعب ويزهو ويحفظ عوامل البقاء والتقدم ، فشخصك الفردي الى زوال ولكن أمتك هي الباقية وهي التي يجب أن تحيا حياة أبدية مطردة القوة والنماء

هذه هي الوصايا العشر التي تروج لها وزارة الصحة والتي استحالت عند أغلبية الألمان الى عقائد راسخة [ملخصة عن مجلة ليرا]

المجرم أم القانون

ولمن يكون النصر في هذا العصر ؟

لم يعد المجرم البارع في هذه الأيام آثماً شريراً فحسب ، بل عالماً خبيراً كذلك . فقد أصبح « ارتكاب الجرائم » علماً له قواعده وأصوله ، وله معاهده وأساتذته . ولو سألت كبار المجرمين المعاصرين كيف يقضون أوقات فراغهم ، لأجابوك : في دراسة الكيمياء والطبيعة والميكانيكا دراسة مفصلة ، ذلك أن هذه العلوم هي عدتنا في أداء « مهنتنا » المنيفة

فالجريمة في هذا العصر — شأنها شأن أي أمر آخر — تقوم على أساس من العلوم الحديثة ، التي لا بد للمجرم من دراسة قواعدها ومتابعة تطورها ، اذا ما أراد النجاح في اقتراف جناياته . ولهذا انشئت في أوربا مدارس خاصة يقصدها من يريد أن يبرع في « علم ارتكاب الجريمة » ، ليتلقى من كبار الأساتذة والاخصائيين أدق الوسائل الفنية في نهب المتاجر وفتح الخزائن ، وفي ادارة تجارة المخدرات والرقيق الأبيض ، وغير ذلك من أساليب الاجرام

وقد تقدم العلم في معاونة المجرم على سلب المصارف وحطم الخزائن ، بفضل ما يقدم اليه من مواد كيماوية وأساليب ميكانيكية تلين المعادن وتذيبها ، حتى لم تعد تجدي نفعاً هذه الحواجز الكهربائية التي اعتاد أصحاب الاموال أن يحيطوا بها خزائنهم ، ولا هذه الأجراس التي تدق من تلقاء نفسها اذا مست احراز الاموال ، وصار في وسع المجرم الذي درس الهندسة الكهربائية أن ينفذ الى حيث يريد آمنا شر هذه الوسائل والأساليب

ولكن للعلم سلاحين : أحدهما في يد المجرم ، والآخر في يد العدالة . فقد تقدمت كذلك وسائل الكشف عن الجرائم وإيقاع الجناة ، وبقدر ما صار يسيراً على الآثم أن ينهب ويقتل ، بقدر ما صار عسيراً عليه أن يهرب وينجو

لم يعد المجرم يخشى رجال الشرطة السرية وما برعوا فيه من أساليب الخديعة والدهاء ، وانما يخاف أولئك العلماء الذين يفحصون آثار جريمته مهما كانت خافية دقيقة . وهكذا صار الميكرسكوب والكاميرا وغيرها من أدوات البحث العلمي هي عدة القانون الحديثة ، وهي عدو المجرم اللدود . وصار « المعمل » هو سبيل حل أعقد المشكلات ، وطريق البحث عن المجرمين

خذ مثلا بصمات الأصابع التي لا يتشابه فيها اثنان ، فان المجرمين يحاولون تفادي خطرها بازالة خطوطها وتشويه أشكالها ، بالمواد الكيماوية المختلفة ولكن في وسع العلماء مع هذا أن يستدلوا مما يتبقى من آثارها على صورها الحقيقية . وقد شوه المجرم الامريكي المشهور « ديلنجر » بصمات

أصابعه تشويها كاملا ، ولكن لما قبضت عليه الشرطة وفحصت البصمات المشوهة الى « معامل » التحقيق استطاعت هذه أن تخرج منها صوراً تطابق تماما صور بصماته الطبيعية

وكذلك « ظرف » الرصاص صار في وسع العلم أن يبين على وجه الدقة كل شيء عن الفوهة التي انطلق منها ، وعن الأثر الذي أحدثه فيها . فالفوهتان المتشابهتان في السعة والطول والسمك وكل شيء آخر ، تترك كل منهما في « الظرف » الذي تلقيه اثراً معينا لا يختلط سواه

وأتفه الأشياء التي تعثر عليها الشرطة تمكن العلماء من أن يهتدوا الى الكشف عن الجريمة ، فقد عثر ذات مرة على عود ثقاب في جيب أحدهم ، وعثر في مكان احدى الجرائم على ذرات تطايرت من رأس عود ثقاب ، فتمكن المحقق بواسطة الميكرسكوب والكيمياء من أن يقبض على ذلك الرجل ، لأن هذه الذرات لم تكن إلا جزءاً من العود الذي عثر عليه في جيبه . وقد اعترف الرجل بجريمته التي لولا دقة العلم لظلت خافية

ولا ننسى آلة الكشف عن الكذب . فقد أتى هذا الجهاز بنتائج باهرة دقيقة أتاحت للمحاكم اخيراً ان تعتمد عليها وتأخذ بها . فيلف ذراع المتهم بسوار خاص له ابرة دقيقة تهتز وفق حركات النبض ، وكذلك صدره يلف بسلك ينتهي بإبرة تبين ما يطرأ على حركات التنفس . ثم تلقى على المتهم أسئلة لن صدق في جوابه عنها ظلت حالة نبضه وتنفسه طبيعية ، وان كذب اضطرب نبض العروق وحركة الصدر ، فأظهرت ابرتا الجهاز هذا التغير الواضح . والاسئلة التي تلقى على المتهم تكون خليطا مما يتعلق بالجريمة ومما لا صلة له بها ، فيسأل عن عمره ، وعن عمر زوجته ، وعن السيارة التي يملكها ، ثم يسأل مباشرة ، وبنفس اللهجة والصوت ، عن الجريمة وعلاقته بها .. فمهما يكن ورعا جريئا ومهما حاول أن يملك رشده وعمرفته فلا بد أن يضطرب نبضه وتنفسه

وقد بلغ من دقة العلم أن ذرات قليلة من الغبار قد تدله على حرفة الجاني ، وهل هو فلاح يضرب في الارض ، أم نجار ينشر الأخشاب ، أم حلاق يقص الشعر والاظفار .. الخ ولم يعد العلم في حاجة الى تتبع آثار الاقدام ، بل يكفي أثر واحد يبحث ما علق منه من تراب ووحل ، ويصل بذلك الى صاحب هذه القدم : وهل كان قبل وصوله مكان الجريمة يركب سيارة أم قطاراً أم يترجل ..

وعلى الجملة فالعلم يخدم المجرم والقانون معا . ولكن حظ العدالة أوفى من حظ الجريمة ، وكلما نشط العلماء في طرقهم كلما ثبت ميزان القانون وتزعزعت أقدام الجناة ، فمهما يكن للعلم من مساوىء فان مزاياه غالبة راجحة

[خلاصة مقال جيمس هوبش في مجلة هاربر]

مغفوت الانتحار

فى جو الشمس المشرقة

أخذت اليابان بالحضارة الغربية الحديثة وتحضرت وتقدمت وأصبحت دولة عظيمة مرهوبة الجانب ولكن بعض العادات والتقاليد الكامنة فى صميم العنصر اليابانى ما تزال شائعة بين أفراده حتى اليوم

ومن أمثال تلك التقاليد عادة الانتحار المعروفة باسم (هاراكيرى)

والهاراكيرى عند اليابانيين يرمز الى فلسفة مبنية أشبه بالفلسفة الرواقية عند قدماء اليونان وهذه الفلسفة تدعو الى ضبط النفس وكبح جماح الأعصاب واحتقار الألم واحتمال كوارث الحياة والدفاع عن شرف الأسرة وشرف الفرد وصيانة هذا الشرف والتذرع بالموت عند الاقتضاء

ولقد انحصرت عادة الهاراكيرى التى لا يستسيغها عقل الاوربيين فى الأوساط اليابانية العسكرية ومن طبقات (الساموراى) النبيلة وفشت بين الشعب وأصبحت من التقاليد القومية الثابتة

ولقد حرم الامبراطور (مايجى) منذ أكثر من نصف قرن عادة الهاراكيرى أو بقر البطن باعتبارها وسيلة شرعية من وسائل الموت ، وذلك عقب وقوع حادث خطير كاد يفضى الى توتر العلاقات السياسية بين اليابان والولايات المتحدة . ومع ذلك فقد ظلت هذه العادة مسيطرة على مشاعر اليابانيين ينقلها الآباء للابناء ويتوارثها جيل بعد جيل

ويلاحظ أن الانتحار على طريقة الهاراكيرى ينظم فى شبه حفلة مروعة نستطيع أن نصفها للقراء بسرد تفاصيل الحادث الخطير الذى وقع فى عهد الامبراطور مايجى

اتفق لأحد ضباط البحرية اليابانية فى ميناء كوبيه عام ١٨٦٨ أن أصدر أوامره الى جنوده باطلاق الرصاص على جمع من المواطنين الامريكيين للنــاس . فاضطرب الرأى العام فى الولايات المتحدة وطالب حكومة اليابان بتوقيع عقوبة الموت على الضابط المعتدى (تاكى زنزابورو)

وكانت العلاقات السياسية بين الموطنين على أحسن ما تكون من الصفاء والود ولم يكن من مصلحة اليابان أن تثير المشاكل بينها وبين الولايات المتحدة بسبب حادث عرضى كهذا . فلم تأمر باعدام الضابط نظراً لماضيه العسكرى المجيد وسمحت له بالانتحار على طريقة الهاراكيرى

وارتضى الامريكيون هذا الحل . وفى مساء يوم من الايام اضىء أحد الهياكل اليابانية وجلس تحت قبة الهيكل عدد من وجوه اليابان وطائفة من الممثلين السياسيين الاجانب

وكانت الشموع ترسل ضوءها المضطرب على الحاضرين وكان الصمت العميق الشامل فى الهيكل يملأ المكان جلالا ورهبة

وفي حين بغتة فتح الباب الكبير ودخل منه شاب مديد القامة عريض المنكبين ثابت القدم عليه ثوب الفداء الأبيض التقليدي وتقدم في خطى متزنة وحيا الشهود فردوا له التحية واجبين

وبعد لحظة اتجه الضابط نحو الهيكل وجثا أمامه ، ثم نهض واستدار وجثا مرة أخرى تجاه الشهود

وبعدئذ تقدم ضابط من زملائه وقدم اليه شبه وسادة عليها خنجر يابانى حاد النصل مستطيل ، فتناول (تاكى) الخنجر وتريث قليلا ثم اعترف بجريمته وختم اعترافه بقوله : « الآن أود بعدأ الهارا كيرى تكفيراً من جرمي وأطلب اليكم أن تشهدوا على موتي ! »

وخلع عنه ثوبه الابيض حتى الخصر وأدخل ركبتيه في أكمام الثوب كي تسقط جثته الى الامام لا الى الخلف فيموت شجاعا نبيلا

ثم عاد فتناول الخنجر بيد ثابتة وتأمله لحظة وأبصاره الشخصة تفيض عطفا وحنانا ثم أغمده في جنبه الأيسر ثم حركه وأداره الى جنبه الأيمن ثم ظل يبقر بطنه دون أن يرتجف عضل واحد من عضلات وجهه

وأخيراً انتزع الخنجر ، وحينئذ تقلصت تقاطيعه وتشوهت واصفرت اصفراراً مخيفا فاسرع اليه مساعده وفي أقل من لمح البرق امتشق سيفه وقطع به رأس الضابط فهوى الرأس متدحرجا غارقا في بحر من الدم . وهكذا انتهت الحفلة

ولاشك أن مثل هذا الانتحار يتطلب شجاعة كبيرة وبطولة خارقة . ولذلك يجبر الساموراى أطفالهم على أساليبه بأن يقرؤوا أمام أنظارهم يطلون مراسيم الحفلة على طريقة هارا كيرى . فينشأ الاطفال على كرم النفس وعلو الهمة والازدراء للموت وتقدير الشرف والتأهب لأنفس التضحية عند الحاجة

ومما يدل على شيوع عادة بقر البطن تخلصا من العار في الأوساط العسكرية اليابانية ، ان الجنرال نوجى الذى انهزم أمام الجيش الروسي في الحرب التي وقعت بين الدولتين آثر هو وامرأته الزوجية الانتحار وفق تعاليم هارا كيرى على التمتع بحياة ذليلة لايغفرها الشرف اليابانى

ويلاحظ ان استمساك اليابانيين بالمبدأ لا يرجع الى عادة الشرف فقط بل الى تقديس الصحة والقوة ، بدليل أن أسلافهم في العصور الماضية كانوا لا يفكرون في رعاية الشيوخ المرضى وفي توفير أسباب العلاج لهم بل كانوا يحملون الاجهاز على الشيخ المريض بضربة سيف يتولاها أحد أصدقائه المقربين

وقد تقلص ظل هذه العادة وزالت بفعل التقدم ولكن الهارا كيرى ما تزال باقية . ومهما قال الاوربيون فيها فليس في وسعهم الاغضاء عن روعتها وانكار ما ترمز اليه من فضائل الشمم والاباء والبطولة والتضحية [ملخصة عن مجلة من أوقل]

الموت لا يخيف

ماذا يحدث في ساعة الاحتضار

أكثرنا يرهب هذه اللحظة التي لا مناص منها ـ اللحظة التي ترسل فيها أنفاسنا الأخيرة ، ويحسب كثيرون منا أن حشرجة الروح أليمة وفراق الحياة عسير . ولكن الواقع أن هذه الساعة التي نخشاها هي أهدأ ـ وربما أمتع ـ الساعات التي تمر في حياة الانسان . فالموت لا يحترق كثيراً ولا قليلاً من هذه الاعصاب التي تم بالانسان قبل أن يستغرق في النوم ، فهل في هذه السنة العادية ما يخيف ويرهب ؟ ؟

فمن الخطأ اذا أن يقال عن المحتضر إنه « يقاسي سكرات الموت » .

وهذا ما يقرره الاطباء الذين حضروا اللحظات الأخيرة من حياة مرضاهم . وكذلك ما يؤخذ من الكلمات الأخيرة التي ينطق بها المحتضرون حين يفارقون الحياة ويستقبلون الممات . بل هذا ما ذكره أولئك الذين ماتوا ثم عادوا الى الحياة . وقد عاد بعضهم فعلا !

على أن لحظة الموت قد تسبقها ساعات ألم وعذاب ، ولكن هذه الفترة تعتبر جزءاً من الحياة لا من الموت ، فما بقي الجسم يناضل في سبيل البقاء ، فهو عرضة لآلام وأوجاع شتى ، حتى اذا أيس من الحياة واستقبل الموت ، بدأت ساعة الأمن والهدوء والراحة ، التي يتمنى المرء لو كانت حياته كلها على نسقها . .

ومما نسمع شهادة الطبيب الانجليزي الكبير « سير جيمس جودهارت » الذي جلس الى جانب كل من حضرته الوفاة في مستشفاه ، فقد انتهى الى هذه النتيجة : « ليس في الموت أي شيء يزعج ويخيف ، فليس بين العالمين سوى حجاب رقيق يخترقه المرء دون أن يحس جهداً ، بل دون أن يدري شيئاً » .

وقد أيد هذه الشهادة لفيف من كبار الاطباء الممتازين ، فأجمعوا على أن « الموت هين يسير ، بل ممتع مريح » ! ويقول أحد أطباء السرطان : « ان هذا الداء الذي يذيق من يصابه ألوان النكال والعذاب ، لا يحس معه المريض ألماً ولا وخزاً حين تبدأ ساعة الموت » .

وقد يخيل الى المرء أن المحتضر يغمى عليه فلا يدري عما يجري شيئاً ، والواقع أنه يشعر بالموت شعوراً واضحاً ، فهناك أناس غشيهم الموت ثم أفاقوا ، فذكروا أنهم كانوا يحسون فراقهم الحياة واستقبالهم الموت ، كما يحس البصر حين يدع نوراً ويدخل الى ظلام . ونذكر هنا ما قاله أحدهم بعد أن أفاق من غشية الموت :

« بدأت في بطء ويسر وهدوء « أغرق » في « بحر » من الظلام ، كانت تمتنع صفحته لتستقبلني ، وكنت أشعر أن شيئاً يجيبني في هذه الظلمة ويغريني بها ، ويخيل الي أني سأجد فيها الراحة التي أنشدها وأتمناها . . وأقبل على الظلام وفنى في أطرافه ، فشعرت أن هاتفاً في نفسي يصيح : لو فارقت الحياة الآن ، لتركت أعمالا لم يتم انجازها ! فوددت حينئذاك لو أظل حيا ، ولوددت لو استطيع أن أتشبث بالحياة وأغالب الموت

« ان بعض الناس قد ترتجف أوصاله حين يتخيل اللحظة التي سيرسل فيها نفسه الأخير . ولكني أقول لهؤلاء : هونوا على أنفسكم ، فقد سبقتكم الى « وادي الظلام » فعرفت أن المرء حين يواجهه لا يشعر بشيء من الوجل والرهبة ، ولا من الحقد والضغينة ، ولا من الأسى والحسرة ، إذ أنه لا يحس أي ألم جسدي ولا معنوي ، بل يجد الأمر ليس إلا نقلة هينة يسيرة ، ليس إلا « انقلابا » هادئا يرجى من ورائه الراحة والسلوى »

وهنا رجل آخر وقف نبضه وانقطع نفسه ، وأعلن الطبيب أنه أخذ يقاسي سكرة الموت . ولكن اغاثة الموت مرت وأفاق الرجل ، فسأله الطبيب : ماذا كنت تحس في تلك اللحظة ؟ فقال : « لا شيء ، كنت أعرف أني أموت ، ولم أرد أن أظل حيا . وكنت اشعر أني قد عشت كثيراً وأنه قد أتيح لي الآن أن أنام هادئا »

أما أولئك الذين لم يفيقوا من غاشية الموت ، فحسبنا أن نرجع الى آخر ما نطق به لسانهم . وقد جمع أحدهم عدة مئات من كلمات المحتضرين فوجد أن المرء لايشعر بشيء من الألم والحسرة إلا في حالة واحدة من كل ستين حالة . وربما عدا ذلك فشعور المحتضر يتراوح بين عدم الاكتراث لفراق الحياة ، وبين ابتهاجه باستقبال الموت

وقد أصدر أحد الاطباء الامريكيين كتابا ذكر فيه حالة أراد أن يتعرف منها شعور الميت . فقد اتفق مع أحد المرضى على أن يذكر له كل ما يحس به طول ساعته الاخيرة ، بالكلام مادام لسانه يتحرك ، ثم بالاشارة حين يعيا عن النطق . وقد ظل هذا الطبيب الى جانبه حتى لفظ أنفاسه وهو يسأله عما قد يحسه من ألم أو أسى ، فيشير اليه المحتضر بأصبعه ما يدل على أنه مستريح مغتبط . . .

والموت درجتان كما يقول العالم الكبير « الكسيس كاريل » في كتابه القيم « الانسان ، هذا المجهول » . فهناك الموت العام أي موت الانسان ، والموت الخاص أي موت الاعضاء . وذلك لا يأتي إلا بعد ما تنقضي آخر حقبة من حقبات القلب ، أما هذا فيبدأ حين تتعطل أعضاء الجسم واحداً بعد واحد ، على قدر حيويتها ومقاومتها . فالدماغ يموت في دقائق وجيزة ، أما بعض الغدد فتبقى ساعة أو أكثر . ولا تتلاشى « شخصية » المرء إلا بعد أن يسكن قلبه سكونا تاما ، أما قبل ذلك

فيظل فى دور « الموت الناقص » الذى قد يرتد منه الى الحياة ، اذا ما أسعف بوسائل تحرك أعصابه التى خمدت . ومن الخطأ ان يعلن الطبيب موت المحتضر اذا ماوقف نبضه وانقطع نفسه ، فادام القلب ينبض فالحياة باقية

وقد وصف الكاتب الانجليزى « جرانت ألين » اللحظة الأخيرة من حياة الانسان ، فقد اختبرها بنفسه حين غرق ذات مرة وأعلن الطبيب وفاته ، ثم لم يلبث أن استرد حياته وعاش ليكتب للناس ما أحس :

« الموت كالنوم . ليس فيه ما يؤلم ، بل ما يريح : أما هذا الذى يعيب حقا فهو صراع المرء فى سبيل الحياة حين يقبل عليه الموت ، وشعوره فى هذه اللحظة بأنه ينهدم ويتقوض ويزول . على ان هذا أهون كثيرا مما يتعرض له الانسان فى حياته من خلع ضرس أو كسر ذراع . هذا ، والانسان يغيب عن رشده حين تحل اللحظة الأخيرة ، فلا يدرى ولا يحس شيئا »

[خلاصة مقال بقلم لستر جوارد نيدى فى مجلة ويمنز دجست]

الموسيقى تشفى المرضى

وكذلك المجرمين والجانين

فى أمريكا طبيب مشهور يدعى « وليم فان دى فل » يشفى المجرمين والجانين بواسطة الموسيقى . وقد حدث أخيرا ان تمرد فى السجون فى نيويورك عدد كبير من النساء وأفضى التمرد الى وقوع حوادث دامية فلجأت ادارة السجن الى ذلك الطبيب فما كان منه إلا أن جمع النسوة المتمردات حوله وطفق يعزف ويغنى (نشيد الجمهورية) ثم تطرق من ذلك الى دور غرامى ثم انتهى بقطعة رقيقة تدور حول عاطفة الامومة وسرعان ما هدأت ثائرة النساء واستقر النظام فى السجن

والواقع أن فكرة الدكتور وليم ليست جديدة فقد كانت شائعة فى بلاد الاغريق وكان أبولون يعتبر إله الموسيقى وإله الطب فى الوقت نفسه . ومما يحكى عن أبقراط أنه كان يقود مرضاه الى معبد الآلهة ليسمعهم الاغانى الدينية التى كان يعتقد أنها تحدث فى عقولهم وأجسامهم أحسن تأثير

ويلاحظ أيضا أن العرب كانوا يقيمون فى القرن الثالث عشر مختلف الحفلات الموسيقية فى

شتى المستشفيات . وأن الفيلسوف الامريكي وليم جمس كان يستخدم الموسيقى في معالجة بعض الامراض العقلية في إحدى المصحات بمدينة بوسطن

وأما الدكتور ولهلم فقد استطاع شفاء بعض المجانين بواسطة الغناء أو الضرب على الارغن أو ادارة اسطوانات معينة على فونوغراف لا يعارفه . وقد اسند اليه كرسي في جامعة كولومبيا لعرض نظرياته ثم استدعى الى براغ عام ١٩٣٠ للاشتراك في المؤتمر الدولي الذي انعقد هناك لاصلاح المسجونين وتهذيب شخصية المجرم . وقد طبقت نظرياته في معاهد الاصلاح الهولندية وشاعت آخر الامر في مختلف السجون ومستشفيات الامراض العقلية

ومن غرائب حوادث الشفاء بواسطة الموسيقى أن امرأة من نساء شيكاغو جنت عقب وفاة طفلها الوحيد ونفرت من رؤية الاطفال وكانت كلما أبصرت طفلا تصيح وتهذي وتنتابها أزمة عصبية عنيفة . فخطر لادارة المستشفى أن تعهد لأحد مهرة الموسيقيين بأن يعزف للمرأة المجنونة (أنشودة الأمومة) للملحن الكبير براهمس . وقد نجح العلاج وتبددت أحزان المرأة وراجعتها الذكرة الثابتة وتولد في نفسها بفضل تلك الانشودة عطف على الاطفال استحال الى حنان وحب

وحدث في ميلانو ان فقدت امرأة ذاكرتها فجأة ، وكانت متزوجة فاستعان أحد الاطباء بالزوج وطلب اليه أن يعزف لامرأته لحنا كان يعزفه أيام صباها . وهكذا استعادت الزوجة ذاكرتها واستيقظت في عقلها المظلم حوادث الماضي

وقد اتفق لفتاة ايطالية ان فقدت النطق وظلت بكماء أكثر من ثلاثة أشهر ، ولم تنفرج شفتاها الا عندما خطر للطبيب أن يشير على والدتها بأن تغنيها الغنى الذي كانت الفتاة وهي طفلة تهدهد به عروستها

فالموسيقى اليوم أصبحت وسيلة فعالة من وسائل معالجة الفكرة الثابتة والاضطراب العصبي والهستيريا والارق والشرود العقلي المصحوب بالسوداء والاسى

ولكن المهم في العلاج هو اختيار القطعة الموسيقية التي يتناسب موضوعها مع الحالة المرضية المراد التخلص منها وهذا بالطبع موكل الى مقدرة الطبيب وحسن تشخيص المرض

[ملخصة عن مجلة ذي رومبران

الآباء عقبة

في سبيل الأبناء

يتوهم بعض الآباء أن أبناءهم ملكا حلالا لهم وأن من حقهم التصرف المطلق فيهم وتوجيه مواهبهم وملكاتهم الوجهة التي يريدون . فكم من الآباء من يعمل على خنق مواهب أبنائه وإرغامهم على احتراف مهنة لا تتفق ونزعاتهم ولا يمكن أن تجر عليهم غير الكوارث

وكم من عظماء شهدتهم الانسانية لأن آباءهم كانوا جهلة متعصبين قصار النظر يرجون لهم حياة ضيقة الحدود محدودة الأفق لا تعود عليهم بأكثر من الرخاء المادي والوضع الذي يتشدقه ويتهالك عليه سواد الناس

وإليك بعض أمثلة على ذلك من حياة أشهر عظماء العصر الحديث :

كان والد الشاعر الانجليزي المشهور رديارد كبلنج يكره في ابنه ميله الى الأدب والشعر ويعارض في ارساله الى الجامعات ليتلقى العلوم العالية ويحتقره ويعيره ويخذل أنصاره لصرفه عن فنه ويلوح له بوظيفة ناظر محطة كمثل أعلى

وكان والد الموسيقي النابغ الصيت بادرفسكي مزارعا وكان لا يفقه شيئا من الموسيقى فحاول اجبار ولده على ان يشتغل مزارعا مثله ، ولكن بادرفسكي ثبت في موقفه وتشبث بفكرته فنشب صراع هائل بينه وبين والده ، ولولا تدخل أمه الذكية التي أحست عبقرية ابنها وناصرته وأخذت بيده ، ما استطاع بادرفسكي أن يطلق العنان لميوله ويصبح أعظم عازف على المعزف في عصره

وكان والد الممثل الانجليزي الكبير تشارلز لوتون يعده للخدمة في البحرية البريطانية ، ولكن الشاب ثار وتمرد فعدل الوالد عن عزمه وخير ابنه بين مغادرة البيت وبين العمل في الفندق الذي كانت تديره الأسرة

فآثر تشارلز لوتون الخدمة في الفندق على الحياة على ظهر البوارج ، ثم نمت في ذهنه فكرة الاشتغال بالتمثيل ، ولما انتهت الحرب العظمى أسرع والتحق بأكاديمية التمثيل الملكية حيث ظهرت مواهبه الفنية الرائعة . وعندئذ أعجب به والده واغتبط بنجاحه وندم على تصرفاته السابقة ولا سيما في اليوم الذي أصبح فيه ولده يربح المبالغ الطائلة ويفوز بالمجد والثروة

وكان والد الطيارة النابغة امي جونسون يتعصب غيظا ويرتجف رعبا كلما ذكرت أمامه فن الطيران وكان حبه الشديد لابنته يضاعف خوفه عليها ولتمسكه بها وحرصه على حياتها . ولقد طالما ضيق عليها الخناق وحاول اجبارها على أن تكون معلمة أطفال ، ولكن امي جونسون

موهوبة بإرادتها الحديدية التي لا تقهر ، دافعت عن مستقبلها وعن مواهبها ومارست بوضعها نشئه تارة باللين وأخرى بالعنف حتى نزل على رأيها وصنع لها ما تريد

أما الروائي الامريكي الكبير ابتون سانكلير صاحب القصص الاجتماعية الشائقة ، فكانت والدته أعدى أعدائه . ومما يحكى عن هذه المرأة الشديدة الجبارة أنها كانت تقتحم عليه حجرة عمله وتنقض على كتبه فتخطفها وتلقي بها من النافذة . ولقد حدث ذات مرة أن اعترفت في حينه على سرقة احدى مسودات قصصه ثم حرقتها ، فثارت ثورة الشاب وهجر البيت وظل يتنقل في منازل أصدقائه أشهراً طويلة حتى جزعت والدته وبكتها ضميرها ولم تجد بداً من التراجع والاعتذار والصمت

وهكذا يجلب استبداد بعض الآباء شر الكوارث على أبنائهم وعلى الانسانية . فهم يجهلون ومنازعهم وأحلامهم النافعة وآمالهم المتواضعة وتصميم الرجولة ، يعاملون أبناءهم باعتبارهم أدوات يجب أن تسخر لخدمة غرض مقصود . وهذا الحرص الخاطئ يمثل الأنانية في أجلى مظاهرها وان تكن أنانية مشوبة بالحب والعطف والرغبة في اسعاد البنين

على أن هذا الحب الأعمى لا يمكن أن يفضي الى خير . إذ ليست العبرة بالعواطف بل العبرة كل العبرة بتحكيم العقل والاعتماد عليه في تفهم أخلاق ونزعات الأبناء وتوطئة قيادتها وتعزيزها وابلاغها حد الكمال المنشود

ومن رأفة القدر بالانسانية أن استبداد الآباء بالغة ما بلغت شدته ، لا يؤدي في معظم الأحيان إلا الى المطالب النزعة الكامنة في صدور الابناء . وهذا طبيعي . فالاضطهاد يولد الثورة ، والثورة دليل العناد والرغبة في تحقيق مثل أعلى

وكل عبقري أصيل لا يزيده الضغط إلا اصراراً وعزماً وتأهباً لاحتمال شتى صنوف الألم . ولكن العبقرية نادرة والنبوغ هو الشائع ، والظلم يجعل النوابغ أكثر عجزاً عن حمل [illegible] . فيجب أن نفهم أن الاستبداد قد يمحق النبوغ ان هو لم يستطع خنق العبقرية

ولذلك ينبغي أن نشفق على أبنائنا ونحاول أن نخلق من حبنا لهم وسيلة لفهم جوهر شخصيتهم وحقيقة مواهبهم وملكاتهم

[ملخصة عن مجلة ويلسون ليبر جورنال]

هل فيك مركب نقص

اعرف نفسك بنفسك

« مركب النقص » تعبير ابتكره الفرد أدلر – العالم النفسي الذي توفي منذ بضعة أشهر – ليدل به على شعور المرء بقصوره عن مجاراة من يعيشون في بيئته ، وعجزه عن التوفيق بين نفسه وما حوله من ظروف

وكل منا يحس أثر هذه العقدة في نفسه ، ولكن تختلف قوة أثرها باختلاف الافراد . وهذه طائفة من الاسئلة أجب عنها بالايجاب أو النفي ، تتبين مقدار ما فيك من مركب النقص :

(١) هل أنت عنيد لجوج : تصمد لمن يصادك ، وتطمع في من يخالفك ؟

(٢) هل أنت لين العريكة : فتقبل أن تعمل ما يقترح عليك ، ولو ناقض ما كنت تريده ؟

(٣) أم هل أنت شديد المراس : فتأبى الا ان تعمل نقيض ما يطلب اليك ، لمجرد الرغبة في المخالفة

(٤) هل تخجل أو تضطرب اذا قابلت رئيسك ، أو تهيبت من هو أعلى منك ؟

(٥) هل تشعر أنك تحب أن تعرض نفسك أمام الناس ، وتلفت اليك أنظارهم ؟

(٦) هل تتظاهر بشجاعتك وتباهي عشيرتك ؟ . . . وهل تذكر كثيراً ما تستطيع عمله لو أتيحت لك الفرصة أو أسعفك الحال ؟

(٧) هل تتحدث عن نفسك كثيرا : عما ينتابك من أمراض ، عما تصادفه من عقبات ، عما يشيعه الناس عنك من أقاويل ؟

(٨) هل تظن أن الناس لا يفهمونك فهما صحيحا ، فهم لا يعرفونك حق قدرك ؟

(٩) هل تشعر أن بعض الناس يسيء معاملتك ، فتطلب منهم مكثا ؟

(١٠) هل تخجل حينما تلتقي بفتاة جميلة فاتنة ؟ . . واذا كنت سيدة فهل تخجلين حين تقابلين فتى وسيما أنيقا ؟

(١١) هل تحاول أن تسيطر على صديقتك أو زوجتك وتشعرها بحبونك عليها وتملكك اياها ؟ (. . وهل تشعرين هذا قبل صديقك أو زوجك ؟)

(١٢) هل تحلم في يقظتك أن تكون رياضيا قويا جبارا كشميلنج أو كاربيرا ؟ . . وهل تحلمين أن تكوني ممثلة جذابة فاتنة كجريتا جاربو أو نورما شيرر ؟

(١٣) هل كنت تتمنى أن تظل طفلا بدلال ورعاية ، لا أن تشب رجلا مكافحا مسؤولا ؟

(١٤) هل تشعر بالغيرة اذا ارتقى أحد زملائك في العمل وتخلفت أنت عنه ؟

(١٥) هل كنت تود أن تولد شخصاً آخر: أكثر مالاً أو ذكاء أو وسامة؟

•••

قارن إجاباتك بما يلي:

(١) لا يجاهد ولا يلبس غالباً الأحمر يريد أن يلفت النظر اليه، مما يدل على شعوره بنقصه وقصوره

(٢) و (٣) الرجل الذي تلين عريكته جداً، كالرجل الذي يشتد مراسه جداً، مصاب بمركب نقص قوي

(باقي الأسئلة) الاجابة عنها بالايجاب يدل على سيطرة هذه «العقدة» على نفسك، والاجابة عنها بالنفي ينبيء عن خلوص نفسك من شعور النقص والقصور

واذا تحقق لك عشر إجابات من نوع واحد دل هذا على اتجاهك اتجاها واضحا، وان قلت الاجابات المتشابهة من ذلك فأنت «عادي»، أي مبرأ من مركب النقص الذي يقتل المرح، ويضعف الأمل، وينغص الحياة، مبرأ من أسباب الغرور التي تبث الخيلاء، وتعمي البصيرة، وتدفع الى المغامرة الخطرة [خلاصة مقال بقلم جون موفورد في مجلة ارجه]

دولة البابا

طرائف الحياة في الفاتيكان

ليست دولة الفاتيكان التي عاشت في بعض أدوار التاريخ ذروة القوة والسطوة، والتي ما برحت مطمح الأنظار في شتى أنحاء العالم المسيحي، إلا قطعة صغيرة من الارض لا تتجاوز مساحتها ١٠٨ فدان، ولا يزيد عدد سكانها عن ٧١٦ نسمة. ولكن الى جانبهم مئات من المهندسين والعمال يقصدونها كل صباح ليعملوا في ترميم أبنيتها الخالدة، ومئات أخرى من الموظفين ليقوموا بادارة أعمالها الواسعة التي تتناول مختلف الشئون الروحية في العالم المسيحي.

ويتولى الاشراف على شئون الفاتيكان «الحاكم» الذي يمنحه «البابا» سلطة روحية مطلقة تجعل من كلماته قانونا لا تعصى أوامره ولا تمس نصوصه. وهو المسئول عن اقرار الامن والنظام في الدولة، والمحافظة على أهليها وأملاكها، وتعميم «الأخلاق الفاضلة» التي لا يجوز اغفالها في دولة البابا

وهو الذى يأمر بالقبض على الجناة ، وباسمه تفرض عليهم العقوبات

على أن دولة الفاتيكان تكاد تخلو من الجرائم والمخالفات ، فلا يقع كل عام أكثر من سرقة أو سرقتين يعاقب مرتكبها بحرمانه من دخول المدينة المقدسة . أما إذا كان من أهل الدولة فإنه يجرد من جنسيته ويحرم من العمل فى أرض الفاتيكان . وقد توقع عليه عقوبة الحبس على ألا تجاوز مدتها ثلاثة شهور ، ولكن ليس فى الفاتيكان سجن ، ولهذا يوضع المسجون فى حراسة الجنود السويسريين المعسكرين على الحدود بين ايطاليا وسويسرا ! ! ويسمح للمسجون أن يتنزه مرتين كل يوم فى إحدى الحدائق ! !

ولا تنفذ الفاتيكان عمالها أمورا كثيرة ، ومن هنا تكثر استخدامهم ساعات قليلة ، وتؤثر كذلك أن تستأجر عددا كبيرا من العمال ، فترات قصيرة وبأجور زهيدة ، على أن تستخدم قليلا منهم ، مددا طويلة وبأجور كبيرة

ومحافظ الفاتيكان هو الذى يسجل أسماء المواليد والوفيات والمتزوجين ، ويشرف على أعمال سكان الدولة واحدا واحدا ، وهو الذى يمنح « الجنسية » ويجرد منها ، ويعطى « تصريح » قيادة السيارات والعربات ، وإجازة البناء فى المدينة أو اجتياز حدودها ، وهو الذى يحدد أسعار السلع والأطعمة ، ويشرف على أعمال البناء والترميم ، ويتولى تدبير مرافق الإيرادات والإشراف على نواحى النفقات ، وغير ذلك من الأعمال التى تجرى فى كل دولة مهما صغرت

ولا يعيش « المحافظ » داخل الدولة ، ولكن له فيها مسكن آخر . ولا يجوز له أن يغادر الدولة حينما يكون فى زيارتها ملك أو أمير . وضيوف البابا ينزلون فى قصر المحافظ حيث أعد جناح للملك أو الأمير ، وآخر للملكة أو الأميرة . إذ لا تسمح تقاليد الفاتيكان بأن ينزل أحد ضيوفها وزوجه معا طول مدة زيارتهما . وفى جناح الملك مائدة حولها أربعة وعشرون مقعدا ، وكلها مصنوعة من الذهب ، ولا يسمح لغير الملوك والأمراء الكاثوليكيين أن يجلسوا إليها

[خلاصة مقال لايف لوواي فى مجلة جستر أوف ميرنايت]

تقدم العلم والعالم

الأمراض المتوطنة في مصر

وأثرها في كفاءة الجندي المصري

ألقى الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك الأستاذ بكلية الطب، في مؤتمر المجمع المصري للثقافة العلمية، محاضرة موضوعها ما تصاب به مصر من الأمراض الطفيلية المتوطنة فيها، وما يعترض صحة جيشها وكفاءته من جرائها، مستنداً إلى إحصاءات دقيقة عن خطورة البلهارسيا والانكلستوما والملاريا. وننشر هنا بعض ما ورد في هذه المحاضرة القيمة

هل لا تتملكنا الدهشة المؤلمة إذا عرفنا أنه في كل عام يعلن أن زهاء ٩٠٠٠٠ مقترع في سن التاسعة عشرة غير صالحين للجندية دون أن يفحصوا طبيا، لأن عدم كفاءتهم البدنية بادية للعيان إما لقصر قامتهم قصراً بيناً، وإما لإصابتهم بعاهات ظاهرة كالعرج أو العور أو العمى؟! أي أن نحواً من ٩٠٪ من المقترعين في السن التي تبلغ فيها الكفاءة الجسمية أعلى درجاتها يبدو عدم صلاحيتهم للعيان بلا حاجة إلى فحص الأطباء وتقديرهم!

ومن الـ ١٠٠٠٠ الباقين يعفى ٦٠٠٠ كذلك إما لأنهم لا يصلحون طبيا أو لأسباب أخرى كحفظ القرآن أو دفع البدل العسكري إلخ. أما الباقون وعددهم ٤٠٠٠ فحص فقد وجد أن ٩١٪ مصابون بالأمراض الطفيلية، التي وإن كانت لا تؤثر في مظهرهم الخارجي إلا أنها تقلل من كفاءتهم الجندية. فقل ألا يعثر على عدد منهم في أثناء تدريبهم، والفرقة الوحيدة التي لم يعثر على أحد من جنودها كانت قد عولجت كلها من الأمراض الطفيلية قبل أن تدرب. ويترتب على هذا أنه لا يلبث أن ينقص عن الجيش زهاء ٣٠٪ من جنوده لأنهم مرضى بالبلهارسيا والانكلستوما. ومعنى هذا أنه بين سن التاسعة عشرة والرابعة والعشرين، لا يعد من يصلحون للجندية سوى ٤٪، وأغلبهم مع هذا مصابون بالطفيليات

ولو قارنا هذا بنتائج التجنيد في الجيش البريطاني لوجدنا أن ٢١٫٠٪ يرفضون بمجرد الفحص غير الطبي يقابلهم ٩٠٪ من المقترعين المصريين، وأن ٢١٫٠٪ يرفضون بعد الفحص يقابلهم ٦٠٪ في مصر. فيكون الصالحون للخدمة العسكرية هناك ٧٥٪ مقابل ٤٪ في مصر!

ولا يقتصر أثر الطفيليات على كفاءة الجندي البدنية بل يتعداها إلى قوته العقلية لأنها تضعف الذكاء وتبطئ التفكير. ولهذا يكابد الضباط عناء كبيراً في تدريب الجنود المصريين على الحركات العسكرية البسيطة كما يستنفد صبرهم فيضطرون إلى عقاب الجنود بالسجن والحبس مما لا يحدث مثله في الجيوش الأوروبية. والضباط والجنود معذورون، فأولئك لا يعلمون أن ما بالجندي من أمراض جعلت مداركه لا تتعدى مدارك صبي صغير، وهؤلاء يبذلون ما في وسعهم ولكن

مداركهم رغم ارادتهم لا تسمو الى الدرجة التي يتطلبها الصالح

ولا يمكن علاج هذه الحال الخطرة إلا إذا: (١) وفرنا لسكان القرى المياه الخالية من الجراثيم (٢) وأقمنا مراحيض في منازل الريف حتى لا يضطر السكان الى فناء الدار أو ما حولها أو شواطئ ومجاري المياه . وقد دلت الاحصاءات على أن ٢½ ٪ فقط من منازل الريف المصري بها مراحيض وأكثرها لا قيمة له من الوجهة الصحية (٣) وعنينا بنظافة القرى فأزلنا القمامات والقاذورات يوميا بالكنس والرش والتخلص منها بالحريق أو دفنها في الارض (٤) وأهم من ذلك أن يعالج تلاميذ المدارس الالزامية جميعا ، فإن علاجهم أجدى من تعليمهم بل إن أكثرهم لا يمكن أن يستفيد من التعليم شيئا ما دام مريضا بهذه الطفيليات المرهقة

أسطول الملك سليمان

يذكر « العهد القديم » أن ملكة سبأ زارت سليمان في عاصمته أورشليم ، لترى ما سمعته من ملكه وثرائه ، وتسمع ما يلقيه من حكم وأمثال . ولكن علماء التاريخ صاروا يرون أنها قصدت اليه في زيارة رسمية لمفاوضته فيما بين المملكتين من صلات اقتصادية ، بعد أن أنشأ سليمان أسطوله العظيم الذي كشفت آثاره أخيرا

فقد كانت التجارة بين الشام واليمن تخترق فجاج الصحراء ، مارة بسبأ حيث تجبى عنها المكوس التي كانت أهم موارد المملكة . فلما أنشأ سليمان أسطوله تحولت التجارة عن طرق البادية الى البحر الاحمر ، حيث كانت السفن تغدو وتروح حاملة محصولات الشام واليمن والهند ، فضعفت موارد سبأ ، وسافرت ملكتها الى سليمان ، لتفاوضه في عقد معاهدة تحفظ لها بعض مواردها

وقد بنى سليمان أسطوله هذا في ميناء على ساحل البحر الاحمر تقوم مكانه اليوم قرية « تل الخليفة » . وظل هذا الميناء حافلا بالمتاجر والصنائع من القرن العاشر الى القرن الثامن قبل الميلاد ، فكانت فيه مصانع واسعة لبناء السفن ، وأخرى لصناعة المعادن ، كما كان مصيدا كبيرا للاسماك . وقد كشفت آثاره في هذه الايام المدرسة الامريكية للبحوث الشرقية في أورشليم ، التي يديرها الاستاذ ميلار بوروز من أساتذة جامعة « ييل » ، فوجدت فيه أفرانا كبيرة من النحاس أعدت لاذابة المعادن وتنقيتها من الشوائب

وكذلك وجدت ان الميناء بني في مواجهة الرياح الشمالية ، وذلك لأنها كانت حين تهب على هذه الافران تزيد في أوار نيرانها خلال معظم الايام الشتوية

ويبعد الميناء الآن عن ساحل البحر مسيرة نصف ميل ، وكان في عهده مشرفا على الماء مباشرة ، ثم باعدت الرياح وما تحمله من رمال طول هذه القرون بين الميناء والماء

انقاذ العمال من النار

يفرض القانون على أصحاب المصانع أن يهيئوا فيها كل ما تيسر من الوسائل التي يمكن بها انقاذ العمال من الأخطار التي يتعرضون لها في أعمالهم ، ولهذا يعنى المخترعون بايجاد هذه الوسائل التي تحفظ صحة العمال وتنقذ أرواحهم كما تكفي أصحاب الاعمال مؤونة تعويضهم عما قد ينتابهم

وقد ظهر في أمريكا أخيرا هذا الجهاز البسيط لانقاذ عمال المصانع من خطر الحريق

الذي يترصدون له دائماً، وهو يتألف من ملاءة مبللة تلف حول عمود من الخشب. فإذا ماتناولت النار طرفاً من ملابس أحد العمال هرع إلى هذه الملاءة، التي يجب ألا تكون بعيدة منه، وأمسك بطرفها ولفها حول نفسه سريعاً، فلا يلبث أن تخمد النار وينجو من الخطر، دون أن يكون في حاجة إلى معاونة آخر قد لا يجده، ولا إلى البحث عن ملاءة قد لا يعثر عليها

التعقيم لا يجدي

في ترقية الإنسان

في طليعة الأغراض التي يرمي العلم إلى تحقيقها إسكان هذه الأرض بناس أوفر ذكاء وأكثر نشاطاً وأجدى نفعاً على المجتمع من هؤلاء الذين يسكنونها الآن. ويلجأ العلم إلى وسائل شتى لبلوغ هذه الغاية، منها التعقيم — تعقيم المرضى والضعفاء لئلا يتناسلوا — كما يجري الآن في ألمانيا والدنمارك والولايات المتحدة

والذين يقولون بفائدة التعقيم في ترقية الإنسان، يستمدون حجتهم مما أدى إليه التعقيم من تحسين كثير من الفصائل الحيوانية، فقد كان له الأثر الكبير في إنتاج أصناف ممتازة من الخيول والأبقار والكلاب والخنازير وغيرها من الحيوانات الأليفة

ولكن من العلماء من ينكر أن التعقيم ينفع في ترقية الإنسان كما نفع في تحسين الحيوان، وفي مقدمتهم العالم الإنجليزي الكبير «هلدين» الذي أخرج أخيراً كتاباً موضوعه «الوراثة والسياسة»، عارض فيه معارضة عنيفة توجيه الدعوة إلى تعقيم المرضى والضعفاء فقال: «إن التعقيم الإجباري ليس إلا لعبة من الألاعيب الأمريكية مثلها مثل لعبة تحريم الخمور تماماً»

وهو يستند في معارضته إلى أن عملية التعقيم وإن تكن يسيرة عندما تجرى على الرجل فلا يزيد خطرها على خطر خلع الضرس، إلا أنها تعرض المرأة لأخطار جسيمة قد تؤدي بها إلى الوفاة. وتبلغ نسبة الوفيات في عمليات تعقيم النساء زهاء ١ ٪. وهو يؤكد أن تعقيم أولئك الذين يعجزون عن إعالة أنفسهم مادياً لن يرفع شيئاً من مستوانا الاقتصادي، وكذلك تعقيم من تنقصهم الكفاءة العقلية اللازمة لن يجدي نفعاً في تحسين شؤوننا الاجتماعية

والبروفسور «هلدين» من أعظم علماء التاريخ الطبيعي في هذا العصر، وله مؤلفات جمة في علاج المشاكل الاجتماعية علاجاً علمياً، ويجدر بكل رجل مثقف أن يقرأ كتابه «عدم التساوي بين البشر» The Inequality of Man فهو يضم مجموعة من أحسن مقالاته العلمية الناضجة

خسائر المرض في بريطانيا

يقدر ما تخسره بريطانيا كل عام نتيجة ما يحدث فيها من مختلف الأمراض بلغ ٢٨٥ مليوناً من الجنيهات، منها ١٠٠ مليون جنيه تدفعها الحكومة وأصحاب الأعمال لمن يصاب من العمال بمرض ما. والباقي يدخل في جيوب الأطباء والصيادلة، وينفق على المستشفيات والمصحات وغيرها. ويقدر الدخل السنوي للأطباء في بريطانيا بخمسين مليون جنيه، أي أن متوسط ربح كل طبيب ١٠٠ جنيه شهرياً

بواخر المستقبل

عبر المحيط الاطلسي في ثلاثة أيام !

ستلقى شركات البواخر في المحيط الاطلسي عما قريب منافسة شديدة من جانب شركات الطيارات التي تزمع إخراج سفن جوية تسع كل منها مائة نسمة تنقلهم في ساعات قليلة بين أوربا وأمريكا ولهذا بدأت شركات البواخر تفكر في إخراج سفن قوية تعبر المحيط الاطلسي في مدة لا تجاوز ثلاثة أيام ونصف يوم

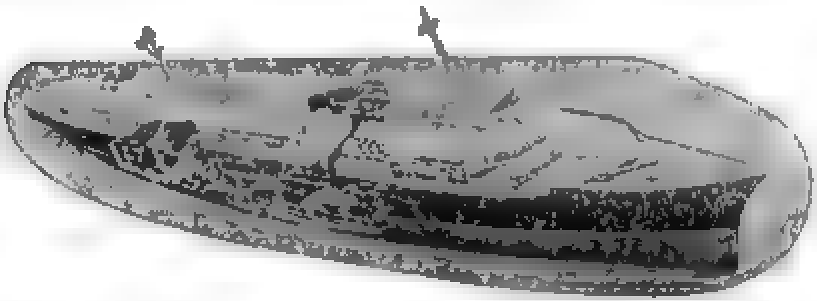

ونرى هنا تصميم وضعه مهندسان أمريكيان لباخرة من هذا الطراز . فهي مجهزة بستة « محركات » قوة كل منها ٦٦٫٠٠٠ حصان ، تعاونها ستة « دافعات » كبيرة . فتجعل قوة السفينة كلها زهاء ٤٠٠٫٠٠٠ حصان (أما الباخرة « كوين ماري » وهي من أضخم بوارج المحيط فلا تجاوز قوتها ٢٠٠٫٠٠٠ حصان) ويبلغ طولها ١٫٣٥٠ قدما (وطول « كوين ماري » ١٫١٠٨ قدما) ويقدر ما تستهلكه هذه السفينة من الوقود ٢١٥٠ طنا كل يوم

وتتراوح نفقات بناء هذه السفينة بين ٤٠ و ٥٠ مليونا من الدولارات ويستغرق بناؤها ثلاث سنوات على الاقل ويحتاج الى آلاف من العمال والمهندسين وسيكون من وسائل توفير الوقت على المسافر الا يركب أو ينزل في مياه نيويورك المزدحم بالسفن ، بل في خليج « مونتوك » الذي يبعد ١٧٠ ميلا عن نيويورك يقطعها المسافر في زورق طائرى سريع ، فيقتصد من الوقت زهاء عشر ساعات

شذرات علمية

• أول من اتخذ غلف « مظاريف » الرسائل هم البابليون ، فكانوا يغلفون رسائلهم المحفورة على قوالب من الطين بألواح من الآجر ثم انقرضت غلف الرسائل ولم يعد الناس الى اتخاذها إلا في القرن السابع عشر

• تجاوزت نسبة الوفيات من مرض السكر في الولايات المتحدة الأمريكية نسبتها في غيرها من الاقاليم . وذلك راجع في رأى العلماء الى ثلاثة عوامل : وفرة الغذاء الدسم الخصيب، قلة العناية برياضة الجسم ، إرهاق الأعصاب من فرط العمل وشدة الصخب في المدن الآهلة

• في ألمانيا ٦٠٠ متحفا مهمتها المحافظة على « الثقافة الألمانية » ونشرها وتنميتها بين جميع العناصر التي تتكلم الألمانية

كتب جديدة

مفرق الطريق

مسرحية ذات فصل واحد

بقلم الدكتور بشر فارس

مطبعة المقتطف في ٣٧ صفحة

الدكتور بشر فارس يجمع في شخصيته بين عقل الباحث المؤرخ المولع بالتحقيق والمنطق وبين خيال الشاعر الموهوب المتطلع ببصيرته واشراق روحه الى اكتناه أسرار الحياة الغيبية وما يكمن خلف الظواهر والمرئيات من قوى لانسية تتحكم في مصير الجماعات والافراد

وقد غدا منه في هذه المسرحية ثوب المنطق وارتدى حلة التصور الشعري فجاءت مسرحيته مثلا رائعا من أمثلة ذلك الأدب الشائق الذي ابتدعه في أوروبا أقطاب المدرسة الرمزية

فمسرحية (مفرق الطريق) أشبه بقصيدة من الشعر الصافي ، قصيدة وجدانية تصور التجاذب النفسي بين العقل والشعور وترسم ذلك الشعور الذي ينطوي تحت لواء الادراك الحسي والمنطق العقلي الظاهري

وأبطال هذه المسرحية ثلاثة الرجل والمرأة والأبله . وهم من نتاج الخيال ومع ذلك فالمرأة تشعر بها مخلوقا من لحم ودم ، تحس انها انثى مفعمة بالعواطف وأنها تحيا حياة أعمق من حياتنا وأوثق اتصالا بالقوانين الطبيعية الكبرى . فهي في ظاهرها خيال وهي لنا حقيقة أبدية

وأما الأبله فهو يرمز الى الانسان العادي الذي يستغل المواقف لمصلحته وينتهز الفرص لتحقيق مطامعه

وقد حشد الدكتور بشر فارس في مسرحيته طائفة من التأملات النفسية والنظريات الفلسفية التي تشهد بوفرة اطلاعه وحرارة حسه وقدرته على التحدث الينا عن صميم الحياة من خلال الرموز الشعرية الرائعة

وليس شك أن هذه المسرحية تعد فتحا في الأدب المصري الحديث . وقد قدم لها المؤلف بمقدمة شائقة تبسط للقارىء فكرة الأدب الرمزي والفارق بينه وبين الأدب الواقعي وأسلوب المذهبين في تصوير الحياة ، مما يدل أبلغ الدلالة على أن الكاتب ليس روائيا تاما فقط بل ناقدا كبيرا أيضا

سندباد عصري

بقلم الدكتور حسين فوزي

مطبعة الاعتماد بالقاهرة في ٢٢٣ صفحة

الأستاذ الدكتور حسين فوزي من خيرة شباب مصر المثقف وهو أديب وفنان ، تستهويه الدراسات الاجتماعية والبحوث الاخلاقية وكل ما يتصل بالفنون ولا سيما الموسيقى . وقد تخرج لدراسة الأحياء المائية فنبغ فيها وأضاف الثقافة العلمية الى ثقافته الأدبية الفنية الواسعة

ويمتاز الدكتور حسين فوزي بأفكاره الحرة الجريئة وانتصاره للحضارة الغربية وتبدو هذه النزعة واضحة في كتابه الشائق (سندباد عصري)

وهو فى هذا الكتاب الجديد فى موضعه يعرض القارىء طائفة مختارة من المشاهد الممتعة التى استرعت اهتمامه أثناء رحلته الى الأقطار الهندية

وموطن الطرافة فى كتابه انه يرسم أخلاق وعادات الشعوب الآسيوية التى مر بها ، محاولا جهده اظهار الصلة الوثيقة التى تجمع بينها وبين أخلاق وعادات شعوب الشرق ولا سيما مصر والشرق العربى

فهو من خلال الهند ينظر الى العالم الاوربى ويقابل ويوازن بين ما كان قد شاهده فى اوربا وبين ما أبصره فى بلاده وفى الشرق الاسيوى . ولذا تراه يحمل على العادات والتقاليد الشرقية البالية ويرميها رميا دقيقا وينقدها نقداً لاذعا ويتهكم بها ويشير فى صراحة وجرأة الى أن هذه التقاليد فى الشرق واحدة متشابهة وانها هى التى تقف عثرة فى سبيل تقدم الشرقيين ورقيهم

وليس شك فى أن كتاب الدكتور حسين فوزى هو عمل من يملك أبلغ الدلالة على مقدرة فائقة فى الملاحظة والتصوير كما انه فى نفس الوقت عمل أدبى يرمى الى انهاض المجتمع المصرى وتحرير البيئة المصرية من شوائب القديم

عصفور من الشرق

للاستاذ توفيق الحكيم

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر فى ٢٣٠ صفحة

توجه هذه القصة حملة عنيفة الى الحضارة الغربية الصناعية ، التى يزعم بعض المفكرين الاوربيين أنها وطدت للمادة سطوتها وجبروتها ، فحرمت الانسانية صفاء الروح وشاعرية الطبيعة

وفى طليعة هؤلاء الثائرين على الحضارة الغربية الكاتب الفرنسى جورج دوهاميل الذى استوحاه الاستاذ توفيق الحكيم فى وضع قصته ، بعد أن تأثر طرفا من آرائه ، واستعار بعض عباراته

والقصة تمثل شابا شرقيا هبط باريس حيث أحب إحدى فتياتها حبا « شرقيا » ، يناقض ذلك الحب « الغربى » ، الذى كانت تبادله فتى من فتيان باريس ، ثم تدور وقائع القصة حول ما يجرى بين هؤلاء الثلاثة من صلات . ولكن الشاب الذى اختاره المؤلف رمزاً للشرق ليس إلا شخصا مريض العاطفة مضطرب الشعور منهوك الأعصاب نجد مثله فى الغرب كما نجده فى الشرق ، وذلك الذى اختاره رمزاً للغرب ليس الا شابا غريراً مبتذلا مستهتراً نجد أمثاله فى كل نحو من أنحاء العالم . وكثير من أبطال القصص الغربية الأصيلة مرضى مثل « محسن » المصرى ، وكثير من الشباب الغربيين فى شرقيتهم مبتذلون تبذل « هنرى » الفرنسى

وما من شك فى أن للحضارة الغربية مساوىء ونقائص ، وأن فى الحضارة الشرقية فضائل وحسنات . ولكن ميزة الحضارة الغربية أنها تحمل فى نفسها وسائل تصحيح ما ترتكب من الأخطاء ، أما حضارتنا الشرقية فسيئاتها تنبعث من قوتها وتنوص من بنائها دون أن تمكنها عقائدها المتحكمة وتقاليدها المتأصلة من أن تغير وتبدل وتصحح كما تفعل أوربا يوما بعد يوم

هذا ، ومن الخطأ أن نهاجم أوربا فى بحث أن تأثرها فيه خطورة مخوفة . والا فكيف يمكن أن ينهض هذا الشرق الفقير الجاهل الذى استذلته أوربا بعلمها وعلمها اذا قلنا له تمشيا مع

الاستاذ الحكيم : حذار أن تطغى القراءة والكتابة فانها تحد ذوقه وتبتذل روحه !!

كيف يمكن مثل هذه الرجعة في التفكير أن تصلح هذا الشرق الذي يجأر أهله من الجوع والعري، فاذا قلنا لهم : مهلا مهلا ، صبراً تأكلون هنيئاً وتشربون مريئاً في الجنة !!

ان الكاتب الشرقي المخلص هو الذي يجمع (Synthèse) فيؤلف بين جوهري الحضارة الشرقية والغربية ، ويوجه لبلاد الشرق حيثما أن تسلك هذا النهج الأوسع الذي سلكته تركيا واليابان فلم تفقد احداهما روح الشرق وطابعه ، ومع هذا نجت من هاوية الجهل والفقر والخمول

ومهما يكن من رأي فان أسلوب القصة جزل وحوادثها متماسكة وقد أبدع الكاتب في تصوير شخصياتها وتهيئة مواقفها وأضاف الى المكتبة الشائقة قصة أخرى يجب المرء أن يطالعها من حين الى حين

أسرار الموت

للعلامة فلاماريون

تعريب الأستاذ ادوار مرقص

المطبعة العصرية باللاذقية في ٢٢٨ صفحة

يبحث هذا الكتاب في النفس البشرية وقيمتها الذاتية وهل هي مكتسبة من المادة أي الجسد أم هي مستقلة في جوهرها ؟ وهل هي بعد الموت الى فناء أم الى بقاء ؟

والواقع ان نتائج هذا البحث الرائع تثبت روحانية النفس واستقلالها اثباتاً تعززه البراهين العلمية ومختلف المعجزات والخوارق التي يعرضها المؤلف ويستشهد بها على صواب رأيه

فالعلم هنا يؤيد الايمان بدل أن يجحده ويدعمه بدل أن يشوهه ويضع الانسان ازاء العقل مضافاً الى عزاء الدين

وأهم صور الكتاب قاطبة أبلغ الدلالة على صدق ايمان المؤلف باستقلال الروح هي (ملائل المبدأ الذي في الفلسفة) و (القوى الذاتية في النفس) و (انتقال الافكار) و (النظر بلا عين) و (سرعة العقل) وكلها بحوث تنهض على الملاحظة والاستقراء وقوانين العلم التجريبي الحديث . وقد نقلها الاستاذ الكبير ادوار مرقص الى العربية بأسلوب واضح جزل طيع بسط الفكرة دون ان يشوهها ، وتحرى الامانة في النقل مع ابراز ما تكنه الألفاظ من معان دقيقة مستورة

حقوق الانسان

تأليف الاستاذ رئيف الخوري

مطبعة ابن زيدون بدمشق في ١٤٠ صفحة

في سوريا ولبنان اليوم نهضة أدبية ملحوظة تضطلع بأعبائها فئة من الشباب المثقف الموهوب . ومن رسل هذه النهضة الاستاذ رئيف الخوري الأديب والباحث الاجتماعي النابغ

وقد حاول الاستاذ الخوري في هذا الكتاب تحليل مختلف الأدوار التي مرت بشعوب أوربا وأمريكا وانتهت بتقرير حقوق الانسان . فتناول بالبحث عصر الاقطاع ونهضة الطبقة الوسطى المتمولة ثم الثورة الانجليزية فالثورة الامريكية فالثورة الفرنسية الكبرى

وبعد ان استوفى دراسة هذه الموضوعات تطرق منها الى الاشتراكية ثم انتهى بنقد المذاهب النازية والفاشية منتصراً للروح الديمقراطي

فالكتاب في مجموعه صرخة في سبيل الحرية صادرة من قلب عامر بالايمان بها خلص

فى الدفاع عنها موقن بأن لا فكر ولا فن ولا حضارة بدون حرية

ومما لا يقبل الريب أن تحقيق هذه الحرية كما تفهمها أوربا الديموقراطية مستحيل على شعوب الشرق ان هى لم تتوفر على دراسة المراحل الاجتماعية التى انتهت بتقرير حقوق الانسان

وللوصول الى هذا الغرض وضع الاستاذ الحورى كتابه الشائق الذى لا غنى عن مطالعته لكل عربى مستنير

على المنبر

بقلم الدكتور نقولا فياض

عضو المجمع العلمى العربى

مطبعة دار المكشوف بيروت فى ٣٠٠ صفحة

الدكتور نقولا فياض طبيب وشاعر وكاتب وخطيب . وهو فى خطبه حاضر البديهة قوى الحجة بليغ التعبير يعرف كيف علك على الجمهور مشاعره ويستأثر بلبه ويوجهه أى الوجهات يريد

وهذا الكتاب مجموعة من الخطب الشائقة تدور حول موضوعات شتى أهمها (قراءة والشعر) و (الطب البشرى) و (بين الشعر والمقدرة) و (التجديد فى الشعر العربى) وغير ذلك مما قيل فى مناسبات اجتماعية مختلفة

ومما تتميز به هذه الخطب أنها مرسلات متعددة الجوانب حافلة بالمعلومات تنم من ذهن وافر الثقافة غزير الاطلاع أبعد ما يكون من السطحية فى التفكير وأولع ما يكون بالدقة والتعمق

والحق أن خطب الدكتور فياض لا تنحدر الى مستوى الجمهور بل ترفع الجمهور الى مستواها وتجبره على التفكير لا بعقله بل بعقل الخطيب

وهذه أرفع مراتب الخطابة

سهير

قصة مسرحية بقلم الاستاذ حسين عفيف

مطبعة حجازى بالقاهرة فى ١٨٠ صفحة

للاستاذ حسين عفيف المحامى ولع خاص بأسلوب الشعر المنثور . وقد تفوق فيه تفوقا ملحوظا ولا سيما فى دائرة الفن الروائى

ومن الانصاف أن نقول أن الاستاذ عفيف كان فى طليعة الكتاب المصريين الذين أدخلوا عنصر الشعر المنثور على الأدب المسرحى وتمكنوا من وضع مسرحيات مصرية تغلب فيها نزعة الخيال والشعر على نزعة التحليل وتصوير مشاهد الحياة كما هى

والواقع ان أبطال هذه المسرحيات أدنى الى الخيال منهم الى الحقيقة ، ولكن هذا الخيال حسبه يضفى على أحلامهم وعواطفهم حلة شعرية رائعة تأخذ بالألباب

وقد عالج الاستاذ عفيف هذا النوع من الادب فى مسرحيته الاولى (وحيد) فاحرز نجاحا كبيرا وها هو يصدر مسرحيته الثانية (سهير) التى تعتبر أحسن ما كتب

وتدور هذه المسرحية حول غرام العاشقين والادباء وفلسفته بعمق أسلوبها الشعرى المنثور وأساليب أبطالها فى الاحساس والتفكير وتصور الحياة .

ولا ريب فى ان المؤلف قد جدد بهذا النوع الطريف مسرحنا المصرى ، ومراس اللغة العربية على التعبير عن عواطف جديدة فى قالب جديد

رئيس التحرير

وقصص أخرى

بقلم الأستاذ صلاح الدين ذهني

طبع في مصر في ١٩٠ صفحة

القصة القصيرة أو الأقصوصة فن ينهض على سرد حادثة ذات أهمية معينة يحصرها الكاتب في إطار ضيق ليزداد تأثيرها في نفس القارىء

وهذا الفن يعالجه الأستاذ صلاح الدين ذهني ويبثه في طائفة من الأقاصيص تدور حول رسم بعض الأخلاق والعادات الشائعة في البيئة المصرية وبعض العواطف الإنسانية المشتركة ولا سيما عاطفة الحب

وأجمل قصص هذه المجموعة (الزوج الثاني) و (رئيس التحرير) و (جاردن الحبيب) وقد وضعها المؤلف بأسلوب محكم العبارة محرر الأخيلة واسع المعاني تنبض منه روح شعرية ساحرة

ولا ريب أن في وسع الأستاذ صلاح الدين ذهني معالجة القصة الكبيرة بعد أن نجح في الأقصوصة هذا النجاح الباهر

حاضر طرابلس الغرب

بقلم الأستاذ محمد علي الحداد

مطبعة الجزيرة ببغداد في ١٣٠ صفحة

يبحث هذا الكتاب في ماضي طرابلس الغرب وحاضرها وأثر الاحتلال الإيطالي فيها والمساعي التي قام بها الحزب الاستعماري الإيطالي للتفريق بين أبناء البلاد والقضاء على الإصلاحات التي تطالب بها الأمة العربية في طرابلس

ويبين المؤلف الفاضل أن على العرب أن يحصروا مكافحة هذا الحزب وأن أنجع دليل يمكن أن تقدمه حكومة روما على حسن نيتها هو استبدال الموظفين الاستعماريين في طرابلس بموظفين من أبناء البلاد وعقد معاهدة إيطالية طرابلسية تشبه المعاهدات التي عقدت بين مصر وإنجلترا أو بين سوريا وفرنسا

ولا شك أن المعلومات الخطيرة التي اشتمل عليها هذا الكتاب يهم الاطلاع عليها كل عربي ولا سيما في مصر حيث الروابط وثيقة بيننا وبين سكان طرابلس الغرب

عشائر العراق

بقلم الأستاذ عباس العزاوي

مطبعة بغداد في ٤٠٠ صفحة

كل أمة تنشد الرقي والحياة، تتجه على الرغم منها الى بحث أصولها التاريخية وإحكام الصلة بين حاضرها وماضيها وتوكيد ذلك الجهاد المطرد الذي يصل بين الأمس الغابر والغد الزاهر. وقد وضع الأستاذ عباس العزاوي هذا الكتاب مهتديا بهذه النظرة ساعيا للكشف عن أصول القبائل التي تتكون منها عرب العراق منذ الفتح الإسلامي الى اليوم. فعشائر العراق الحاضرة وأخلاقها وعاداتها وما درجت عليه في الأفراح والأعياد ومسارح الصيد والقنص وما انطبع فيها من عقائد وعادات وما تعرف به من قوة الشكيمة وصلابة العزم وروح الإباء كل ذلك تجده مصوراً أتم وأروع تصوير في هذا الكتاب الجامع الذي يعتبر مرجعا لا غنى عنه لمن شاء التوفر على دراسة تاريخ العراق

الأدب في شهر

معجزات الغرام العذري

من أبدع الدراسات السيكولوجية التي ظهرت أخيراً في بلاد الدانمرك ، دراسة مستفيضة للأديب ر... سودكي عن المعجزات الفنية التي قامت بها طائفة من كبار رجال الفن والأدب تحت تأثير الغرام العذري

فالغرام العذري في نظر المسيو سودكي هو الذي يلهب جذوة الخيال في ذهن رجل الفن وهو الذي يدفعه الى مواصلة العمل والانتاج وذلك لأن امتلاك المرأة المحبوبة يجردها من اطارها الشعري أولا ، ويحول بين الأديب أو الفنان وبين اتخاذها ملهمة للوحي الفني ثانيا

فالوحي الفني لن يكون حسنا في عرف المسيو سودكي إلا متى أصدر عن امرأة لم تربطها العلاقات الجنسية . وفي تلك الحال تمثل المرأة هالة من جمال ونور ويظل الأديب أو الفنان مولعا بها ساعيا جهده لتحقيق علاقته الحبية به من طريق الفن أو الأدب فقط

وكلما اجتهد الأديب أو الفنان في تطهير حبه من العلاقات الجنسية ، عوض هذا النقص بالانكباب على الانتاج الأدبي أو الفني ، ثم رفع انتاجه وقدمه الى المرأة المحبوبة كهدية أو قربان

وكلما نقصت علاقات الأديب أو الفنان بالمرأة ، قل انتاجه ووجد في الحياة المادية كفاية ولم يعد يشعر بالحاجة الى الأدب أو الفن باعتبارها غاية حياته

ويضرب المسيو سودكي أمثلة كثيرة تعزز هذه النظرية يقتبسها من الغرام العذري الذي أحس به الشاعر بترارك من نحو لورا دي نوف وميكل انجلو من نحو فيتوريا كولونا وبوشكين من نحو جرسيا بافلوفنا وتورجنيف من نحو مدام بياردو

والغريب في هذه الدراسة الطريفة أن المسيو سودكي حاول أن يثبت بأدلة قاطعة أن انتاج أولئك السابقين كان حسنا قويا في خلال الفترة التي كانوا فيها عذريين وأن ذلك الانتاج قل وضعف في الفترات التي استسلموا فيها لمطالب البدن وأحكام الغريزة

احصوا موتاكم

هذا هو الاسم الذي أطلقه الكاتب الانجليزي وندهام لويس على كتاب جديد أصدره أخيراً وحمل فيه حملة شعواء على عقلية الفرد الأوربي المعاصر ونظرته الى السياسة والمجتمع وبعض شئون الحياة

ويرى المستر وندهام لويس أن الفرد الأوربي المعاصر أصبح ولا عقل له ، فهو اليوم عبد حزبه السياسي ، وعبد جريدته الحزبية ، وعبد الآراء والأفكار الشائعة بين أفراد طبقته ، والتي تعتقد هذه الطبقة أنها خير آراء وأفكار

وهو إما ديموقراطي أو فاشستي أو اشتراكي معتدل أو شيوعي متطرف

والعجيب فيه انه يقسم حركاته السياسية

في كل شيء . فإن كان فاشستيا مثلا أراد أن تكون الأخلاق فاشستية ، وسائر الفنون والآداب والعلوم وكل مظهر من مظاهر الفكر في تيار رجعي فاشستي . وإن كان ديموقراطيا تعصب لديموقراطيته وأغمض العين عن محاسن الأنظمة الأخرى . وهكذا تراه يعيش في حركة الحزبية مفقود الاستقلال عاجزاً كل العجز عن تكوين رأي شخصي يخالف الرأي الذي تمليه عليه كل يوم جريدته

فأمثال هؤلاء الأفراد هم موتى في عرف المستر وندام لويس ، ولو أصبحوا معظمنا لملكنا القدر ويئسنا من مستقبل الحضارة بل من صلاحية الانسان لأية حضارة تنهض على فكرة الحرية

وعلاج هذه الظاهرة الخطرة هو في الدعوة الى انشاء الأندية والجمعيات والهيئات الثقافية المختلفة ، يجتمع فيها أفراد من مختلف طبقات الأمة ، ويهتم أعضاؤها بدراسة شتى الآراء والمذاهب ، من سياسية واجتماعية واقتصادية بمعزل عن التعصب الحزبي وبمعزل عن الأحزاب ومؤثراتها وفي جو من الحرية والاستقلال يشبه الجو المدرسي كما يجب أن يكون

ويعتقد المستر وندام لويس ان هذه الأندية والجمعيات الحرة لو استطاعت تنظيم محاضرات شعبية واسعة الأسلوب مبسطة الأفكار وتمكنت من طبع ونشر رسائل قصيرة كتلك التي تنشرها الأحزاب السياسية وتروج بها الدعوة لمبادئها ، فلا شك ان مستوى تفكير العامة يرتفع ، وكذا تفكير الخاصة فيصبح في الامكان عندئذ تكوين رأي عام مستقل يهيمن على الأحزاب ويوفق بين وجهات النظر الحزبية المختلفة ويستخلص منها آخر الأمر مجموعة اتجاهات سياسية واجتماعية تؤدي الى ما فيه مصلحة الأمة

الخلاص بواسطة الفن

أصدر الأديب البولوني لاديسلاس ماروكسكي كتابا عالج فيه مشكلة الحضارة الصناعية الحديثة وطغيان النزعات المادية على الفرد وحاجة الفرد الى قوة روحية تهذب طباعه وتلطف من حدة مزاجه . ويرى ماروكسكي أن لا خلاص للحضارة إلا بواسطة الفن . وأن معظم الشعوب الاوربية ولا سيما تلك التي تخضع للنظم الدكتاتورية تربي الأفراد تربية رياضية عضلية تشوبها الروح العسكرية ولا يعطيها أي احساس بالجمال الفني المعنوي . وهذا عكس ما كان يحدث في بلاد الاغريق مثلا فالحضارة الاغريقية كانت تبث الروح الرياضية مقترنة بالروح الفنية لكي الفرد يشعر بقوته العضلية ويحس في نفس الوقت أنه انسان نبيل العاطفة سامي الوجدان

ويعتقد ماروكسكي أن الفن في عصرنا هذا أصبح ملكا لطبقة مثقفة معينة وأنه لم يتغلغل في عقول ونفوس سواد الشعب وأن افتقار الشعوب العصرية الى النزعة الانسانية يرجع الى عدم تشبعها بالروح الانساني الكامن في جوهر التعاليم الفنية

فالفن لا وطن له وهو الذي يمكن أن يؤلف بين مختلف الشعوب والأجناس وهذا ما يجعل رجل الشارع حتى يفهم أن شكسبير لا يعبر عن جنسه وحده لا يحقر من موليير وموليير لا يحقر من فاجنر وفردي عندئذ يستطيع ان يفهم أن الحضارة جهد مشترك وان لا فضل لوطن على وطن إلا بالقدرة على تعزيز هذا الاشتراك المعنوي في سبيل توطيد صرح السلام والمحبة الانسانية

ماذا نطلب في الحب ؟

أجاب الأديب المجري فرانك رالف على هذا السؤال في رسالة شائقة أخرجها حديثاً بعنوان (الحب ملك الحياة) ويرى فرانك رالف أن الحب ينشأ في النفس من رغبة الانسان في الحركة المطردة وتبرمه بالركود النفسي والعاطفي . فنحن في رغبة نطلب الحب لرغبتنا في تجديد حياتنا ، في الاحساس بعواطف ودوافع نفسية واتجاهات عقلية غير تلك التي نشعر بها كل يوم والتي تضيق الى العالم تحت أنظارنا

فالرجل الدائم النشاط الدائم الحركة المتوثب الفكر والعاطفة هو الذي ينزع الى الحب لأنه ينزع الى التجدد . ولكن هذا الشوق الى التجدد قد يكون خيراً وقد يكون شراً حسب ما في شخصية ذلك الرجل وما في عقله من قوة أو من ضعف ، فان كان قوي الذهن جدد بالحب حياته وأخصبها ونفع نفسه والناس بها ، وان كان ضعيف الذهن عصف الحب بلبه وهدم صرح حياته وأخضعه لحكم عواطفه ودفع به آخر الأمر الى التنقل من حب الى حب ينشد السعادة المثلى على غير جدوى

فوز المغلوبين

هذا عنوان كتاب أصدره العالم الفرنسي أندريه فريبورج فأحدث به ضجة كبيرة في دوائر السياسة والفكر في فرنسا

وتدور بحوث هذا الكتاب حول سرعة الألمان في استعادة مجدهم وقوتهم بعد الهزيمة التي أصابتهم في الحرب الكبرى

فالألمان استطاعوا في وقت وجيز جداً تحطيم معاهدة فرساي واحتلال الرين وانشاء جيش كبير والتطلع الى تحقيق حلم الوحدة الجرمانية الكاملة

والمهم في كتاب أندريه فريبورج أن صاحبه يؤكد في حرارة نفسية مدعمة بشتى الأسانيد التاريخية أن ألمانيا لم تتغير وأن شعار الريخ الجديد هو نفس شعار بسمارك الذي أعلنه يوم أن تولى السلطة والذي لخصه في عبارته المشهورة « ان الخطب الرنانة والأساليب الدبلوماسية لن تحصل لنا كل الفائدة . ومن الواجب أن نلتمس الحل النهائي في السيف والنار »

فالألمان تطوروا ونفضوا عن كواهلهم عبء الهزيمة وانتقلوا من مغلوبين الى غالبين تحفزهم روح بسمارك القديمة وتعاليمه زهواً وكبراً وتدفع بهم الى تحقيق مطامعهم بقوة السلاح

هذا هو رأي العالم الفرنسي وهو يدل على اتساع شقة الخلف بين ألمانيا وفرنسا كما يدل أبلغ الدلالة على السر في اضطراب الدولة الفرنسية وتضعضع ماليتها وتوالي هبوط نقدها . إذ الواقع أن جميع هذه الأعراض ترجع الى سبب واحد هو إيمان عدد كبير من الفرنسيين بالآراء التي عبر عنها أندريه فريبورج ، ذلك الايمان الذي يشعرهم بالخوف من ألمانيا ويدفعهم الى ارهاق الشعب بالضرائب لزيادة موارد التسلح

الدين والألم

أخرج الكاتب الروسي سرج ليابيف وهو من المهاجرين الذين يعيشون في باريس كتاباً طريفاً عن علاقة الاحساس الديني بالألم ، وهو يقول في أحد فصول كتابه الرئيسية أن العقل قد يشك ويجحد ويكفر بنعمة الله ولكن الدين

يعود الى الانعاش من طريق الالم

فالطبيب كائنا ما كان علمه لا يستطيع أن ينقذ الانسان من آلام مرض من الامراض الخطيرة الا بعد وقت وجهاد شاق . ولكن في هذه الفترة التي يبرح بها الالم بالانسان لا يجد الانسان لنفسه ملاذا غير ربه

ونحن نلاحظ أن أقوياء الجسوم لفرط اعتزازهم بقوتهم واعتدادهم بها وثقتهم بالسعادة المنحدرة منها ، لا يفكرون في الدين ولا تنزع نفوسهم نزعة دينية . فاذا ما هاجم المرض وأصابهم الألم استيقظوا واتجهوا باصرارهم نحو قوة عالية تفوق قوتهم شدة وبأسا

فما دام الألم مقترنا بالحياة فلن يبعث انكار الدين وهدم الاكليركية لما فيه من عزاء وسلوى

تجدد الأدب الفرنسي

يتجدد الادب الفرنسي هذه الايام تجددا واضحا ويتجه في مجموعه نحو الاشادة بعواطف القوة والمغامرة والبطولة وتحدي الموت في سبيل مبدأ أو فكرة

وتتمثل هذه النزعة في ثلاثة من اشهر الأدباء الفرنسيين المعاصرين هم : اندريه مالرو وبلنيه واراجون

وقد أصدر الاول قصة سماها (الامل) رسم فيها بطولة جيش الحكومة الاسبانية واستماتته في الدفاع عن وحدة الوطن تجاه الثائرين والاجانب من ايطاليين وألمان

وأصدر الثاني قصة عنوانها (حوارات سمر مزعجة) رسم فيها بطولة الاشتراكيين الاحرار واتفاضهم على ديكتاتورية ستالين واستهدافهم للموت في سبيل نصرة مبدأهم خالصا من شوائب الديكتاتورية الفردية

وأصدر الثالث قصة سماها (أحياء بال) رسم فيها أيضا بطولة الفرنسيين أيام الثورة الشعبية المعروفة باسم ثورة الكومون والتي قمعها الوزير تيير وكانت في صميمها نواة الحركة الاشتراكية الحديثة

فروح البطولة والمغامرة أصبح اليوم طابع الأدب الفرنسي المعصري بعد أن كان أدبا عاطفيا مجردا ينهض على وصف وتحليل عواطف الفرد مستقلة عن المشاكل الاجتماعية وما تحدثه من أثر بالغ في عقله وقلبه

القصصي العبقري وكيف يخلق

يعتقد المطلعون على أعمال كبار القصاصين أمثال بلزاك ودستويفسكي وتلستوي من وفرة الشخصيات الواردة في قصصهم وحرارة الملاحظات ونفيس التحاليل والأوصاف . ويذهب البعض الى أن أولئك العباقرة كانوا يدونون ملاحظاتهم عن الاشخاص والاشياء في كراسات لا تفارقهم ويستعينون بها ساعة الكتابة والخلق

ولكن الأديب الاسوسي (ييلات) انكر هذا الزعم في كتابه الأخير عن (سر العبقرية) وقال ما معناه : ان القصصي العبقري لا يدون ملاحظاته على الورق بل يختزنها في عقله الباطن وهو لا يدري . تمر به الأشياء والاشخاص فيلتقطها حسه ويحتفظ بها ويدخرها دون ما كلفة أو إعنات حتى اذا ما دنت ساعة الكتابة وتوترت الأعصاب وهبط الوحي وزاسع العقل الظاهر ، ثر العقل الباطن كنوزه التي يقف أمامها العبقري نفسه حائراً مذهولا

فمركز القوة عند أولئك العظماء هو اتساع آفاق عقلهم الباطن اتساعا شاذاً خارقاً

بين الهلال وقرائه

بعثات التنقيب الأجنبية

(كورو — برازيل) خير الله مولا رزق

هل تستولى البعثات الأجنبية التي تنقب عن الآثار المصرية على ما تعثر عليه ؟

(الهلال) تقوم بعثات التنقيب الأجنبية بالحفر عن الآثار في مصر بمقتضى عقد امتياز يمنح لها من الحكومة المصرية . وتتولى هذه البعثات الانفاق على جميع أعمال الحفر دون أية مكافأة مالية تتقاضاها من الحكومة . أما ما يعثر عليه من الآثار فيجمع في نهاية موسم الحفر ، ويعرض على رجال المتحف المصري ومصلحة الآثار ، فيختارون من هذه الآثار جميع القطع الأثرية التي لا مثيل لها بالمتحف . أما الباقي فيعطى لبعثة الحفر التي كشفت عنه

نقود العرب قبل الاسلام

(بغداد — العراق) ا . الأعرجي

هل كان العرب قبل الاسلام يتعاملون بالنقود ، أم يقتصرون على تبادل السلع بعضها ببعض ؟

(الهلال) كانت « المقايضة » أهم أساليب التجارة في العصر الجاهلي . ومع هذا فقد عرف العرب النقود قبل الاسلام بوجه عام . جاء في كتاب « تاريخ التمدن الاسلامي » للمغفور له مؤسس « الهلال » أن العرب في الجاهلية كانوا يتعاملون بنقود كسرى وقيصر ، وهي الدراهم والدنانير . وكانت الدنانير من الذهب والدراهم من الفضة . وكانت عندهم كذلك نقود نحاسية سموها الحبة والدانق . ويقدر الدينار اليوم بعشرة شلنات ، وكان الدينار عشرة دراهم ، وربما زادت قيمته الى ١٠ درهما ، فكان الدرهم يساوي أربعة قروش مصرية تقريباً

ولقد ظل العرب يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية حتى ظهر الاسلام وأسست الدولة الاسلامية ، فأنشأوا « السكة » ولقد جاء في المقريزي :

« أول من ضرب السكة في الاسلام عمر بن الخطاب في سنة ثماني عشرة من الهجرة على نقش الكسروية وزاد فيها الحمد لله محمد رسول الله . وفي بعضها لا اله الا الله وفي جزء منها اسم عمر . وعبد الله بن الزبير ضرب بمكة دراهم مستديرة . وهو أول من ضرب هذه الدراهم ونقش بوجهها عبد الله وبالآخر الوجهين محمد رسول الله وبالآخر أمر الله بالوفاء والعدل » . وهناك نقود مضروبة لخالد بن الوليد على رسم الدنانير الرومية ، عليها الصليب والتاج والصولجان ، واسم خالد بالحروف اليونانية

تاريخ اليهود

(القدس — فلسطين) عربي

نرجو أن تذكروا اسم كتاب بالعربية أو بالانجليزية عن تاريخ اليهود ؟

(الهلال) لا نعرف كتابا مفصلا باللغة العربية عن تاريخ اليهود . أما بالانجليزية فستجدون في الكتابين التاليين عرضا شاملا شائقا لتاريخ اليهود كله . وهما :

1) Stranger Than Fiction : A short History of the Jews, by Lewis Browne
2) History of the Hebrew Commonwealth, by Bailey & Kent.

مؤلفات طلعت حرب

(الخرطوم — السودان) احمد بدوي

هل وضع طلعت باشا حرب كتبا ما ؟

(الهلال) نشأ طلعت باشا حرب كاتباً يدافع عن الشرق والاسلام ، ويدعو الى الاصلاح في نطاق العرف والتقاليد . فجرى قلمه في الصحف بكثير من البحوث التاريخية والمقالات الاجتماعية ، كما أخرج عدة رسائل في موضوعات شتى

عنوان كتاب « ، الرسالة التي ترجمها من العربية

وهي «كلمة حق عن الاسلام والدولة العثمانية» وقد وضعها عقب بث كامل سكرتير السلطان حسنات ، وقدمها الى مؤتمر المستشرقين في باريس سنة ١٨٩٤

ولما أخرج قاسم أمين كتابه «تحرير المرأة» رد عليه طلعت حرب بكتابه «تربية المرأة والحجاب»

واتجه بعد ذلك الى بحث الشئون الاقتصادية فأخرج سنة ١٩١٠ كتابه «قناة السويس» وفيه تعليقات سياسية واقتصادية قيمة عن هذا المشروع بحيث أدعى المصريين الى ما كانت تريد السياسة الاجنبية حينذاك تحقيقه من مآربها

على أن أهم كتبه على الاطلاق هو «علاج مصر الاقتصادي وانشاء بنك المصريين» الذي دعا به قبل الحرب الكبرى الى انشاء بنك مصر . والكتاب صورة وافية لجميع المساوىء الاقتصادية التي نشكو منها حتى اليوم ، و «دستور» دقيق لاقامة بنائنا الاقتصادي على أسس وطنية

ولما نجح طلعت حرب لم يخرج كتبا بعد ذلك ولكن ما ألقاه من الخطب وما نشره من المقالات وما أذاعه من الاحاديث يؤلف سفرا قيما هو خير ما يهتدى به في بحث مشاكلنا الاقتصادية . فعسى أن يهتم أحد الناشرين الى اخراج هذه المجموعة في كتاب نسترشد به

الاشتراكية في الاسلام

(بيروت — لبنان) مشترك

يقول المرحوم أحمد شوقي بك في قصيدة يناجي بها محمداً صلى الله عليه وسلم :

الاشتراكيون أنت امامهم
لولا دعاوى القوم والغلواء

فما معنى هذا ، هل كان الرسول يدعو الى الاشتراكية ؟

(الهلال) لم يعرف الاسلام الاشتراكية بمعناها الحديث ، أي وضع جميع مرافق الانتاج في يد الدولة . بل من المؤكد أن الاسلام ينكر هذا المبدأ لأنه يعترف بحق الملكية للافراد

أما اذا نظرنا الى الاشتراكية على أنها وسيلة الى تضييق الشقة بين الغني والفقير ، وعطف قلوب الموسرين على المعوزين ، فانا نجد في مبادىء الاسلام وأحكامه نوعا من الاشتراكية المعتدلة التي تطمئن اليها القلوب ، اذ لا يجرم فيها الا الغني الجشع ، ولا تدعو الفقير الى الكسل والتعطل . ففي زكاة المال ، وزكاة الفطر ، وقواعد المواريث ، مبادىء اشتراكية واضحة . ولهذا حق لأمير الشعراء أن يقول في قصيدته هذه :

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء
فلو أن انسانا تخير ملة
ما اختار الا دينك الفقراء

ما هو الأدب ؟

(الحصن — شرق الاردن) سامي الخوري جريس

ما أصح تعريف للادب ؟

(الهلال) كان أدباء العرب يرون أن «الادب هو الاخذ من كل شيء بطرف» ولكن هذا تعريف (الثقافة) التي هي عدة الاديب وليست (الادب) الذي هو انتاجه

وأكثر الادباء يرون أن الادب هو مأثور الكلام نثرا ونظما . ولكن يرد على هذا أن من آثار الفلسفة الخالدة كمؤلفات أفلاطون ، ومن آثار العلم الخالص ككتب داروين ، ما بلغ الذروة في جمال العبارة وروعة البيان ، ومع هذا لا يعدها النقاد القدماء من الآثار الادبية

وقد اتسع نطاق الادب في العصر الحديث كثيراً ، فصرنا نجد الادباء يكتبون في نواحي العلم ومسائل الاقتصاد والفلسفة وغير ذلك من موضوعات ، ولكنهم يختلفون عن العلماء والفلاسفة في أسلوب عرضها والتعبير عن رأيهم فيها

على أن من أحسن ما قيل في تعريف الادب إنه «دراسة الحياة ووصفها وصفا يقصد منه الى ترقيتها» وبذلك يتناول الادب كل نحو من انحاء الحياة ، وتكون مهمة الاديب تحليل وترقية كل ما يقع عليه نظره

وتجدون في صدر كتاب «الادب الجاهلي» للدكتور طه حسين فصلا طويلا عن تعريف «الادب» وتطور معناه في نظر القدماء والمحدثين

ضرب النقود

(طنطا — مصر) علي علي الروبي

(١) أين تضرب النقود المصرية ؟

(٢) أصحيح أن للأفراد في أوربا حق سك النقود ؟

(٣) لماذا لا نسك جنيهاً مصرياً ذهبياً نتعامل به كما يتعامل الانجليز بالجنيه الذهبي ؟

(الهلال) (١) في القاهرة دار لضرب النقود، ولكنها لم تسك منها شيئاً منذ عهد بعيد، فقد اعتادت الحكومة أن تعهد في عملية ضرب نقودها الى دور الضرب في لندن وباريس وبرلين، لأنها أدق عملاً وأقل نفقة. ومهمة دار الضرب الآن مقصورة على دمغ السبائك الذهبية والفضية التي يطلب منها اثبات عيارها

(٢) نعم للأفراد في معظم البلاد المتمدينة حق ضرب النقود، وهو ما يعرف عند الاقتصاديين باسم «حرية الضرب». فلكل فرد أن يحمل سبيكة من الذهب والفضة ويطلب الى دار الضرب أن تضربها نقوداً له

ولكن هناك نوعاً من النقود لا يسمح بضربه لغير الحكومة وهي «النقود المساعدة» أي التي تقل قيمتها الحقيقية عن قيمتها الاسمية مثل الريال المصري فان ما فيه من الفضة لا يزيد ثمنه عن ٨ قروش فقط. وبعض دور الضرب تتقاضى رسماً على سك النقود كما في فرنسا، وبعضها تسك النقود بلا أجر كما في انجلترا

(٣) سكت جنيهات ذهبية منذ عهد محمد علي (١٨٣٦). ولكنها كانت قليلة الكمية لم تتداول كثيراً. فأخذت الحكومة ترسل كل ما يدخل منها في خزائنها الى انجلترا [illegible] لتحويله سبائك ذهبية فاستنفدت بذلك أكثر ما ضرب منها. وأما ما بقي فقد استعمل في الصياغة، أو اكتنز على سبيل الزينة، وبهذا زال من السوق

ثم جاءت الحرب الكبرى فسنت الحكومة لأوراق «البنكنوت» التي يصدرها البنك الأهلي «سعراً الزامياً»، أي ألزم الأهالي بالتعامل بها دون أن يكون لهم الحق في استبدالها بنقود ذهبية أو فضية فلم تعد هناك حاجة الى الجنيهات الذهبية ولم تفكر الحكومة في ضربها لأن مصر تسير من الوجهة النقدية على نظام النقود الورقية الالزامية

تحسين الأسلوب الانشائي

(النجف الأشرف — العراق) أحد القراء

ما هي خير الطرق لتحسين الأسلوب الانشائي ؟

(الهلال) مطالعة الأساليب الصحيحة المتينة تهذب الملكة الانشائية وتنميها، وتنقش على الأسلوب شيئاً من روحها وطابعها. وأساليب القدماء أمتن وأرصن من أساليب المحدثين، فان صبرت على دراستها ومطالعتها طويلاً، حركت عبارتك وقوي بيانك. وأروع الأساليب كلها أسلوب القرآن الكريم، ولا يصح من لم يطالعه مراراً أن يطمع الى الكتابة العربية صحيحة جيدة. وكذلك تفيد مطالعة كتب علي بن أبي طالب، وعبد الحميد الكاتب، والجاحظ، وابن المقفع وغيرهم من أساطين البلاغة العربية

ومع هذا فان دراسة أساليب كبار الكتاب المعاصرين لا غنى عنها. فأساليبهم في الغالب أبسط وأرق من الأساليب القديمة، كما أنه أوفق لروح الحياة الراهنة وظروف العهد الذي نعيش فيه

والى جانب هذا أمران آخران :

أولاً — أن ممارسة الكتابة من خير الوسائل لتحسين أسلوبها. ولا تجدي القراءة شيئاً اذا لم يحاول المرء التعبير عن آرائه قدر ما يستطيع

ثانياً — أن اتقان لغة أجنبية يرقى بالأسلوب العربي بلا جدال، وخير كتابنا أسلوباً هم الذين درسوا أساليب الكتابة الأجنبية واقتبسوا منها وتأثروها. وقلما تجد ممن يجهلون اللغات الأجنبية أديباً بارع الأسلوب رائق العبارة، الا أن يكون مقلداً لأديب من معاصريه

اعتذار : لم يتسع نطاق الباب للاجابة عن كل ما ورد الينا من الأسئلة، فنعتذر الى حضرات من أرسلوها، ونعدهم بالاجابة عنها في العدد القادم

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr Tofik Habib 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه طه سكاف
في انطاكية	سوريا	ايلي افندي طوبيوس لاذقاني
في اسكندرونه	سوريا	السيد عبد الله قري
في طرابلس الشام	لبنان	عبد الله افندي حمصي ، غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي حبيبي
في بيروت دمشق الشام	لبنان سوريا	وجيه افندي طباره ٩ شارع باب بيروت
في دمياط		زكريا افندي الجراوي ، ناظر مدرسة الجراوي
في حلب	سوريا	عبد الرحمن افندي الكيالي صاحب مكتبة العصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي آل النحاس ص ب ٩٧ مكة
في الارجنتين		Snr Nicolas Yocant Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentina)
في جاوه		Mr Abdallah Bin Afif—Cheribon Java
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

اتجاهات السياسة الحاضرة

الصراع بين جبهتين : الديموقراطية والفاشية

يجتاز الجو السياسي الأوربي في هذه الأيام ظاهرة خطيرة تتمثل في الجهود الجبارة التي يبذلها محور (روما - برلين) لعزل فرنسا وإجبارها على التخلي عن الاتفاق العسكري المعقود بينها وبين اتحاد جمهوريات السوفييت

ولقد سعى الانجليز لتصديع محور (روما - برلين) فشجعوا الألمان من طرف خفي على احتلال النمسا ووضعوا تجاه الحدود الايطالية أمة حربية قوية مؤلفة من نحو سبعين مليون نسمة

ولكن هذا الخطر لم يبث في نفس السنيور موسوليني ولم يعص إلى رأي ايطاليا الثاني ، بل أحدث في الواقع عكس ما كان ينتظر منه وضاعف ثبات الايطاليين في اسبانيا وأغرى الدنيا بالتطلع إلى الجمهورية التشيكوسلوفاكية ومحاولة اقتطاعها وتغنيمها نفس المصير الذي حل في النمسا

وكان الانجليز عقب سكوتهم على احتلال الألمان النمسا وعقب الاتفاق الأخير الذي عقدوه مع الايطاليين يظنون النصر حليف ايطاليا إلى صفهم وفصلها عن ألمانيا والخضوع لها بالقروض المالية المطلوبة وضمها كليا ، على شرط أن تسحب متطوعيها من أسبانيا وأن تعقد - إن أمكن - اتفاقا آخر مع فرنسا يشبه الاتفاق الانجليزي الايطالي ويرمي إلى استقرار الحالة في البحر المتوسط وصيانة استقلال اسبانيا وصيانتها من المطامع الايطالية العسكرية

وأدرك السنيور موسوليني أن الغاية من هذه المناورات الانجليزية هي تصديع محور (روما - برلين) وفصل الايطاليين عن الألمان وإلقاء ايطاليا في حضن التحالف الانجليزي الفرنسي بعد إرغامها على التخلي عن ثمرة جهودها في اسبانيا ، وكل ذلك مقابل الفوز ببعض القروض المالية والفوز بصداقة الانجليز وضمان احترامهم عن مشاركة ايطاليا في مستعمراتها الواقعة في طريق بريطانيا الاستعماري ، وعدولهم عن التفكير في استعمال تشقيهم الهائل في حرب انجليزية ايطالية

أدرك السنيور موسوليني الغرض من هذه المناورات فلم يجبها وأتبع سياسة لا تزال تحمل في طواياها أخطاراً تهدد مركز المستر تشمبرلن وتهدد في الوقت نفسه سلام أوربا بأشد الأخطار

تبرم موسوليني بالفرنسيين وقطع معهم واتهمهم بمساعدة حكومة الجمهورية الاسبانية ، وأعرض عن فكرة عقد اتفاق معهم ، ثم أطلق يطالب الانجليز في مسألة سحب المتطوعين من اسبانيا ، بعد أن استوثق من أن الجهود التي يقوم بها الجنرال فرانكو ستسفر آخر الأمر عن النصر المنشود

الهلال

اغسطس ١٩٣٨

والغريب في الموقف أن الانجليز سمحوا لموسوليني بوجوب انتصار الجنرال فرانكو ، ولكنهم اشترطوا لتنفيذ الاتفاق الايطالي الانجليزي ، ان يسحب المتطوعون من اسبانيا كما أشرنا ، وأن يعقد اتفاق ايطالي فرنسي على نسق الاتفاق الانجليزي الايطالي

وقد شرع موسوليني في تحقيق الشرط الأول ولكنه يتمهل ويتلكأ في تحقيق الشرط الثاني

ويذكر القراء أن ديكتاتور ايطاليا كان قد ألقى في مدينة جنوا خطابا وقع كالصاعقة على رؤوس الساسة الانجليز وأوشك ان يعصف بوزارة تشمبرلن

جاهر موسوليني في هذا الخطاب بعدائه الشديد لفرنسا فخيب آمال الانجليز في امكان تخليع الايطاليين من الالمان وضمهم الى الجبهة الانجليزية الفرنسية وحملهم على عقد اتفاق ايطالي فرنسي

فالاغراض التي ترمي اليها هذه السياسة الايطالية الالمانية ؟ الاغراض الرئيسية هي :

أولا — استغلال انتصار الجنرال فرانكو في اسبانيا لاقامة حكومة فاشستية تأتمر بأوامر روما وبرلين ، ثم توطيد قدم ايطاليا ان أمكن في جزيرة ميورقة ، ثم تهديد فرنسا من ناحية جبال البيرنيه ، ثم التعاون مع الألمان لتهديد طريق فرنسا الى امبراطوريتها الافريقية

ثانيا — تقوية محور (روما — برلين) ومحاولة ضم انجلترا إلى هذا المحور بالرغم منها ، بعد اضعاف فرنسا وعزلها ، أي بعد اجبارها على نقض الاتفاق الدفاعي المعقود بينها وبين السوفييت لاتقاء غارة الالمان عليها

ثالثا — محاولة دفع تشيكوسلوفاكيا أيضا إلى نقض اتفاقها مع السوفييت تمكينا للالمان من بسط نفوذهم عليها

رابعا — ظهور الايطاليين والالمان آخر الأمر بمظهر أنصار السلام ودعوتهم انجلترا وفرنسا لعقد ميثاق رباعي ينظم شئون أوربا بمعزل عن اتحاد جمهوريات السوفييت

وليس شك في أن نجاح سياسة كهذه لا يضعف فرنسا فقط ، بل يضعف انجلترا أيضا ، ويطمع فيها ايطاليا ، ويهدم نظرية توازن القوى ، وينشر الاضطراب على شواطىء البحر المتوسط ، ويثبت اقدام الألمان والايطاليين في أوربا الوسطى

• • •

كل هذا أدركته انجلترا فماذا عملت لصده واتقائه ؟...

أخذت بأربع خطط هي :

أولا — الثبات في وجه ايطاليا والامتناع عن تنفيذ الاتفاق الانجليزي الايطالي — الذي ينص على الاعتراف بالحبشة اعترافا عمليا وعلى تبادل الآراء بين الدولتين فيما يتعلق بتسليح قواعدها الحربية في البحرين المتوسط والاحمر — إلا بعد سحب جزء كبير من المتطوعين في اسبانيا واعادة الرقابة على الحدود الاسبانية

سفر سعيد وعود حميد

حضرة صاحبة الجلالة الملكة عند سفرها إلى أوروبا في مقدمة
الأنجال حتى رافقها حضرات صاحبات السمو الأنجال الأميرات
(تصوير رياض شحاته)

ثانيا — تحرير محور (لندن — باريس) وتدعيمه بعقد اتفاق عسكري دفاعي بين انجلترا وفرنسا رمز إليه زيارة ملك انجلترا وملكتها لباريس

ثالثا — ارضاء الفرنسيين بالثبات في وجه ألمانيا وعدم السماح لها باقتحام الأراضي التشيكوسلوفاكية ، كما دلت على ذلك مساعي سفير انجلترا في برلين ، والأوامر التي صدرت إلى الانجليز المقيمين في عاصمة ألمانيا بالتأهب لمغادرتها في أثناء الأزمة الأخيرة التي قامت بين الحكومة الألمانية وحكومة تشيكوسلوفاكيا حول مشكلة السوديت التي كان يخشى الفرنسيون أن تنتهي بهجوم الألمان المفاجئ على الجمهورية التشيكوسلوفاكية

رابعا — توثيق الصلات بين انجلترا وأمريكا وترويج الدعوة في الولايات المتحدة لنبذ سياسة الحياد عند الاقتضاء ، وإشعار الشعب الأمريكي بأن محور (روما — برلين — توكيو) يهدد مصالح الولايات المتحدة في آسيا ويفرض عليها التعاون مع الانجليز والفرنسيين

● ● ●

هذا ما صنعته انجلترا وإليك ما قامت به فرنسا :

أولا — ألفت حكومة قوية أسرعت بتسوية حوادث الاضراب وردت إلى البلاد رؤوس الأموال التي كانت قد تسربت إلى الخارج وضمنت استقرار النقد وعززت الدفاع الوطني

ثانيا — رفضت فكرة الميثاق الرباعي وجعلت من الاتفاق الفرنسي الروسي قاعدة لسياسة فرنسا الخارجية وتمسكت بالمبدأ التقليدي المشهور وهو أن كل اتفاق جديد يتعلق بتسوية الشئون الأوربية يجب أن يحسب فيه حساب روسيا

ثالثا — أحكمت الروابط بين فرنسا وتشيكوسلوفاكيا وصرحت باستعدادها لتنفيذ الاتفاق الفرنسي التشيكوسلوفاكي في حالة اعتداء الألمان على تشيكوسلوفاكيا

رابعا — اقنعت الحكومة الانجليزية بوجوب عقد الاتفاق العسكري الدفاعي بين باريس ولندن ، وبضرورة وقوف انجلترا في وجه التوسع الألماني في تشيكوسلوفاكيا

خامسا — استغلت مشكلة الاسكندرونة لعقد محالفة مع تركيا تضمن قيام دولة قوية صديقة في الحوض الشرقي من البحر المتوسط

هذه هي الجهود التي بذلتها انجلترا لانقاذ مصالحها في البحر المتوسط ، وفرنسا لانقاذ نفسها من خطر العزلة والتطويق . ولكن هل أسفرت هذه الجهود حتى الآن عن نتائج عملية محسوسة ؟

لا شك أنها كللت ببعض النجاح فيما يختص بوقف التوسع الألماني في تشيكوسلوفاكيا

وأما فيما يختص بالمشكلة الاسبانية فالحال لم تتغير والجنود الايطالية والألمانية ما تزال تحارب تحت لواء الجنرال فرانكو ، وسحب المتطوعين ما يزال خيالا ، والجيش الاسباني الجمهوري ما يزال يقاوم وسيظل يقاوم عدة أشهر أخرى كما اعترف بذلك الانجليز أنفسهم ، كما يؤخر تنفيذ

الاتفاق الانجليزي الايطالي التي ترجو إيطاليا من ورائه الاعتراف بفتحها الحبشة والفوز بقروض كبيرة والحصول على امتيازات عظيمة القيمة تتعلق بأمنها وسلامتها في البحر المتوسط

• • •

الخطر الآن ينبعث من حالات ثلاث :

الاولى ـ أن تطول حرب اسبانيا إلى الشتاء القادم فيضطر موسوليني لارسال نجدات أخرى عيانا لانتصار الجنرال فرانكو فتتوتر العلاقات الايطالية الانجليزية من جديد

الثانية ـ أن يتم النصر للجنرال فرانكو ولو بعد سحب المتطوعين فتحاول ايطاليا المساومة على أساسه والمطالبة بحقوق وامتيازات في اسبانيا قد تتعارض ومصالح انجلترا وفرنسا في البحر المتوسط

الثالثة ـ أن يسلك موسوليني مسلكا آخر فيمعن في حملته المعادية لفرنسا محاولا ، بعد انتصار الجنرال فرانكو ، التقرب من بريطانيا فقط والتفاهم معها على احترام مصالحها كي يستطيع فصلها عن فرنسا وارغام الفرنسيين المعزولين على التسليم والاسماح للألمان ببعض الحقوق والامتيازات التي لا تضر مصالح انجلترا

هذا هو في اعتقادنا مجمل الحالة السياسية الدولية . فالصراع بين الجبهة الديموقراطية والجبهة الفاشية على أشده ، واسبانيا هي محور هذا الصراع ، وأما غاية الأخيرة فالتمكن من انجلترا من طريق السعي للظفر بعزل فرنسا

ولقد أدركت الديموقراطيتان الكبيرتان ما يراد بهما ، فهل في وسعهما دفع الخطر بالمناورات الدبلوماسية ، أم ان أساليب الفاشية المعروفة بالجرأة والمغامرة والاغتصاب الماضي ، ستوقعهما مرغمتين آخر الأمر إلى الدخول في حرب هائلة ؟

ان الجواب على هذا السؤال ما يزال سرا في ضمير المستقبل المجهول

البيت المصري

كيف ننهض به ونرقيه

بقلم الدكتور أمير بقطر

« .. لا سبيل إلى النهوض بالبيت المصري ما لم يتم تعديل تشريعي حديث للزواج والطلاق يصالح المرأة صيانة لحقوقها وتعاديا للعبث بها . ولعل نسبة الطلاق في مصر أعلى نسبة في أي بلد آخر متمدين . »

البيت كالأسرة ، أقدم عهداً من الزواج ، ولنشد نحا للمجتمع . فقد عرف البيت منذ أن دب في الأرض حيوان ، ومشى على قدميه انسان . ولا تزال مؤسسة البيت قائمة عند أحط القبائل والسلالات البشرية ، وأدنأ الهوام والحشرات في المملكة الحيوانية . في حين أن الزواج مؤسسة صغيرة ، حديثة العهد نسبيا ، وتكاد تنحصر في بني الانسان دون الحيوان . ولا تزال مؤسسة الزواج مجهولة عند طائفة من قبائل البشر التي تعيش على الفطرة ، كما أنها لا تزال مضطربة ، مهددة بالطلاق والفرقة وغيرهما من عوامل الهدم والتخريب حتى في أشد الامم ثقافة ورقيا وحضارة . ولا يزال بعض سكان الجزر الأسيوية يأوون السنين والسنين في بيوت تتمثل فيها شتى المظاهر المعروفة في البيوت والاسر المتمدينة ، في حين أن هؤلاء القوم يجهلون جهلا تاما أن الاطفال ثمرة الزواج ، أو على الاقل نتيجة مباشرة لاتصال جنسي بين رجل وامرأة . ولقد حاول الآباء المبشرون من أعضاء الارساليات في تلك الجزر ، أن يشرحوا للاهلين هذه المسألة البيولوجية فأبوا تصديقها . وما زالوا يعتقدون أن ولادة الطفل حادث طبيعي ، كسقوط المطر ، وأن المرأة قد تلد وإن لم يمسها بشر ، ولم يعرفها رجل ، ومع ذلك فإن مؤسسة البيت هي التي تعنى بتنشئة الاطفال

● ● ●

ولذا تحدثنا عن البيت ، فانما نتحدث عن العناصر المعنوية فيه ، وعما تحمله هذه العناصر في ثناياها ، من مدلولات سامية ، وعواطف دفينة نبيلة . أما العناصر المادية الحسية فيه ، فما هي إلا وسيلة لغاية : جمال الأثاث ، وحسن الرياش ، وتنسيق الزهور في أصصها ، وتزيين الجدار بالصور ، وتوفير الوسائل الحديثة من ماء طاهر ، وحمامات ساخنة ، وأنوار كهربائية ساطعة .. هذه ومثيلاتها لا تنهض بالبيت ما لم تكن خادمة للصفات المعنوية ، وأداة لتقوية العواطف السامية النبيلة ، التي يلزم أن يتشبع بها جو البيت . وعلى هذا الاساس نستطيع أن نحول إلى منزل الفلاح

الساذج في الريف ، رغم خلوه من جميع العناصر المادية تقريباً ، فيما عدا الحوائط الأربعة وآنية الشرب الفخارية ، وقدر الطعام . . . رغم هذا ، قد يكون أقرب الى البيت في معناه الصحيح من منزل « الافندي » في القاهرة أو طنطا أو اسيوط . وكيف يتسنى لنا أن نسمي المنزل بيتاً ، وسيد البيت لا يقصده إلا عندما ينام ، ومطعماً للأكل !

يقضي الموظف العادي بعد تناول طعام الغداء ، جملة أوقات فراغه في القهوة ، فلا يعود الى منزله حتى يكون الاطفال نياماً ، وتكون الزوجة بين النوم واليقظة ، ولا يكاد يأتي على اللقمة الأخيرة حتى يأوي الى فراشه . أما الموظف الكبير فينتقل من نادٍ الى نادٍ ، ومن حفلة الى حفلة ، ومن سهرة الى سهرة ، حتى تمر عليه الايام تليها الايام من غير أن يرى من أفراد البيت أحداً . ويمكن أن يقال بالاجمال ان الحالة في البلدان الواقعة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط والبلدان الحارة عامة تكاد تكون متشابهة من حيث التنافس الشديد بين القهوة والبيت . والبيت في مصر والبلدان الشرقية عامة ، أشد تأثراً بهذا التنافس من البلدان الأوربية التي تكثر فيها المقاهي ، وذلك لأن الرجل الاوربي ، اذا ما اختلف الى القهوة للتسلية ، أو الترويح من شدة القيظ ، أو لتناول طعامه في الهواء الطلق ، صحبه أفراد أسرته في كثير من الأحوال ، واذا ما قصد الى القهوة وحده ، فانه لا يقصدها عملاً مختاراً ، كما يفعل الناس هنا

بيد أن البلدان الأوربية الراقية ، لم ينج البيت فيها من مثل هذا التنافس في نواحٍ أخرى عدة ، لان الحضارة بكل ما فيها من رفاهية ووسائل راحة ، طغت على البيت ، وساعدت على الانتقاص من قدره . مثال ذلك السيارة ، فانها جاءت كالتيار الجارف كسحت أمامها البيوت كسحاً ، يدفع سيد البيت جملة جنيهات وأحياناً جملة قروش شهرياً لتاجر السيارات فيعطيه عربة جميلة بديعة ، فيضحي صاحب البيت كل شيء في سبيلها . يقتصد في شراء الاثاث والطعام في سبيل السيارة ، ويقتصد في أجرة المنزل في سبيل السيارة ، ويقتصد في حاجات البيت وأفراد الاسرة في سبيل السيارة . أليست السيارة عنوان الوجاهة ، وميزان الثروة ، ودليل الجاه ؟ ألا يستطيع بها الرجل أن يتنزه في الجبال والحدائق والارياف ؟ لقد قضت السيارة على « البيانو » ، وفرقت أفراد الأسرة ، واستحال بها المنزل فندقاً للنوم ، ولكن ليس كل أيام السنة

كان الرجل وزوجه وأولاده في أوربا الى عهد قريب يجلسون حول الموقد للحديث والسمر بيد أن طرق التدفئة الحديثة (Chauffage central) ، جعلت لكل غرفة جهازاً مستقلاً قائماً بذاته لتدفئتها ، يأوي اليه الابن أو البنت بغير حاجة الى مشاركة غيره من أفراد الأسرة . وكانت المائدة وسيلة للتربية البيتية ، والحديث العائلي المشبع بالجو الأبوي والأمومة ، بيد أن التحول الاجتماعي الاخير قتل هذه الظاهرة ، فأصبح أفراد الأسرة يتناولون طعام الافطار متفرقين في غير أيام البطالة ، لان ساعات العمل تختلف بينهم . وأصبحت الزوجة وحدها هي التي تتناول

ساعة

٧٫٣٠ صباحاً

١٠٫٣٠ «

١٢٫٣٠ ظهراً

٦٫٣٠ مساء

٨٫٠٠ «

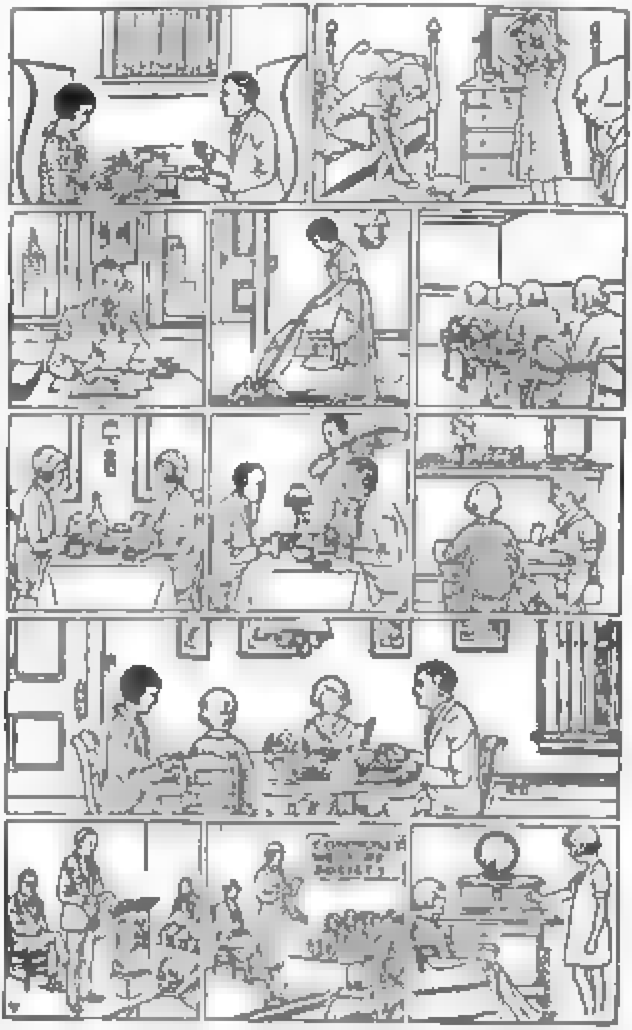

تمثل هذه الصورة الحياة الامريكية الحديثة . في الساعة السابعة والنصف يتناول الزوجان طعام الافطار معاً ويذهب الاطفال بعد ذلك الى المدرسة وفي منتصف الساعة ١١ يكون رب البيت منهمكاً في عمله في مكتبه ، وربة البيت في عملها في بيتها ، والاطفال في المدرسة . وفي منتصف الساعة ١ تتناول الزوجة طعام الغداء في مطعم أو نادٍ مع صديقة لها والزوج في مطعم قرب محل عمله مع صديق له والاطفال على مائدة المدرسة وفي منتصف الساعة السابعة يتناول أهل البيت جميعهم طعام العشاء معاً . وفي الساعة الثامنة يكون الزوج في نادٍ أو جمعية يسمع محاضرة وكذا الزوجة في نادٍ أو جمعية نسائية والاطفال وحدهم في البيت يستمعون الراديو

حفلة الغداء في المنزل ، لأن الزوج يتناوله في أقرب مطعم لمحل عمله ، ولأن الأطفال يتناولونه في المدرسة

ونظراً لمشاغل البيول والأمزجة ، أصبحت السينما أداة أخرى من أدوات التفريق . فالزوج والزوجة التي تعشق ومراسه ، ولمنت دار السينما التي تلائم ميلها ، وللابن للمأساة أو الكوميديا التي تطيب لها نفسه . وكان من المأمول أن يجمع اللاسلكي أفراد البيت في قاعة الاستقبال للاستماع ، غير أن آمالنا به قد خابت من هذه الناحية ، لأن اللاسلكي أصبح من الكثرة والشيوع الى حد انه يمكن أ كثر من فرد واحد من أفراد الاسرة أن يشتري جهازاً خصيصاً له يضعه في غرفته بمعزل عن الآخرين (وكذلك الحال في السيارة ، ولاسيما في امريكا) . والفرد ــ اذا كان اللاسلكي متاحاً مشاعاً ــ أن يفرض على المستمعين من أفراد الاسرة أن يكفوا عن الحديث ، فتصبح الفائدة المطلوبة من اجتماع هؤلاء . وكان أفراد الاسرة الى عهد قريب مولعين بالاستماع الى فتاة من فتياتهم أو بنات جيرانهم تغني أو تعزف على آلة من آلات الموسيقى ، بيد أنهم اليوم يؤثرون الموسيقى «المحفوظة» أو موسيقى «العلبة» كما يعبر عنها الانجليز والاميركان . فما عليهم إلا أن يديروا مفتاحاً صغيراً حتى تتدفق الموسيقى كالماء

• • •

ومن الغريب أن تحرر المرأة ، وما نالته من قسط التربية الحديثة في العهد الأخير ، لم يساعدا على النهوض بالبيت النهوض الذي يتفق وهذه التربية ، وانما كانا أحياناً من البواعث التي تعمل على هدمه . فبينما نجد المرأة تشكو من أنها لا تكاد ترى زوجها ، وأن أولادها يكادون يجهلون وجه أبيهم ، فان الرجل يشكو من أن زوجته تمضي معظم النهار في مكان عملها ، وأوقات فراغها في الأندية النسائية ، أو في حفلات الشاي ، ونوادي النشاط الاجتماعي ، وأندية الرياضة (اذا كانت غنية أومن ذوات المراكز الاجتماعية العالية) ويشكو من أنها لاتعنى العناية الكافية بأولادها . ويشكو المجتمع الاوربي والاميركي عامة من أن الحياة الحديثة في الاوساط الراقية ، قد أوهنت قوى البيت ، إذ أن للرجل دائرة يتحرك فيها غير دائرة الزوجة ، وان كثرة هذه الدوائر وتشعبها تحول دون الجمع بينهما إلا في نادر الاحايين . واذا افترضنا وجودهما في مأدبة أو وليمة أو حفلة واحدة ، فان مبادىء «الاتيكيت» تدفع الرجل الى أقصى حدود المائدة ، فتضعه بجانب سيدة أجنبية عنه ، وتدفع المرأة الى أقصى حدود المائدة ، فتضعها بجانب رجل أجنبي عنها . وقد تدوم الحفلة الواحدة أياما على ظهر يخت بحري ، لذا كان المدعوون من كبار الاغنياء وعلية القوم ، وقد تشغل هذه المآدب والحفلات معظم أيام السنة ، فلا يمضي طويلا حتى يأنس الرجل فتوراً في نفسه من جهة زوجته ، وتأنس هي من جهتها ميلا لآخر . وقد يكون هذا الفتور وهذا الميل في المنزل الباطن ، وهما يشب الخلاف والطلاق أو الفرقة أو على الاقل الشقاء الزوجي

وهناك ظاهرة أخرى في تحرير المرأة وانتشار التربية ، وعلى الأخص في البلدان الصناعية ، وهي انفراط عقد البنين والبنات من الأسرة في سن مبكرة . فالبنت تنزع الى الاستقلال الاقتصادى في نهاية مرحلة التعليم الالزامى في معظم الأحوال ، وفي نهاية التعليم الثانوى أو الجامعى في قليل من الأحوال ، فتبحث عن عمل وتعيش مبدأ من دونها وهي بيت والديها ، وان كان عملها في المدينة التي بها أهلها ، وكذلك يفعل الابن

منذ أسابيع قليلة مضت شاهدت فرنسا تطوراً مثيلا في قانون الزواج المدني . فقد ألغيت فيه عبارة « وعلى الزوجة طاعة زوجها » ، واستبدلت عبارة « والزوج رئيس الأسرة » . ولقد منح القانون الجديد المرأة حقوقا وحريات مدنية كثيرة كانت محرومة منها . ومن هذه أن يكون لها حق التعامل مع البنوك والهيئات والأفراد بغير إذن زوجها (ماعدا الوصية) وأن تلتحق بجامعة لنيل درجة علمية ، وأن يكون لها حساب جار مستقل ، وأن تمارس أية مهنة أو تزاول أى عمل تريد – مالم يثبت الزوج أن هذا العمل لا يتفق ومصلحة البيت . بيد أن البيت الفرنسي ، بغض النظر عن هذه الحريات الجديدة ، كان على الدوام مثال البيت الصحيح ، والزوجة الفرنسية كانت على الدوام نموذج الزوجة العاقلة المدبرة المكتسبة . ولذا تحدثنا عن فرنسا هنا ، فانما نتحدث عن فرنسا الحقيقية الأصيلة ، لا فرنسا كما يعرفها السائح في ميدان الاوبرا ومونبرناس ومونمارتر والحي اللاتيني . الزوجة الفرنسية الأصيلة ، رغم هذه الحريات ، قد أورثتها الأيام منذ العصور صفات قلما توجد في غيرها . فهي بطبيعتها عالمة من علماء النفس ، تفهم الطبيعة الانسانية بعد ابرها ، تفهم نقط الضعف ، ووجوه الشذوذ ، ونواحي القوة في زوجها ، وتكيف أمورها تبعا لذلك . والزوجة الفرنسية مدبرة مقتصدة اقتصاداً يكاد يكون شحا ، صبورة كثيرة الاحتمال في زمن السلم ، قديرة على التعاون وادارة البيت في زمن الحرب ، لان البيت أعز ما لديها بعد الوطن . والزوج الفرنسي بطبيعته حاد الطباع ، أحمق ، مستهتر ، ومع ذلك فالمرأة الفرنسية حفظا لكرامة البيت ، وصيانة له ، متسامحة ، متساهلة ، تنطوي على الصبر ، وتدفع سيئة الزوج بالمكرمة

ولم يكن للمرأة الفرنسية الى يومنا هذا حقوق سياسية ، بيد أنها طالما هزت كتفيها لأن هذا في نظرها لا يعنيها ، لأن ما تحوزه في البيت ، وهو في نظرها أهم ما يشغل بالها ، هو ما يقرره النائب عادة في مجلس النواب

• • •

من هذا التحليل المسهب يستطيع القارئ أن يستنتج شيئا عن البيت المصري وعن السبيل الى اتجاهاته . غير أنه يحسن بنا أن نذكر في ضوء الكلام السابق نقطا معينة تعيننا على الخروج بنتيجة واضحة :

أولاً:

(١) ليست التربية وحدها كفيلة بإنهاض البيت المصري

(٢) ليست وسائل الحضارة الحديثة وحدها ضامنة لتقدم البيت المصري

(٣) الزواج أقوى الأسس التي يشاد عليها البيت ، ولكنه لا يكفل وحده تقدم البيت ، في كثير من المدن الاميركية كالصين يكثر التسرى (اتخاذ الخليلات) ، ومع ذلك تجد البيت في كثير من الأحوال قوى الدعامة . وقد صدق وكانوا ، أكبر كتاب اليابان وزعيم الاجتماع هناك يخطب في أمريكا وهو يقول إن أمه كانت خليلة concubine لأبيه

(٤) وليست الصحة الجنسية عند الزوجين في حد ذاتها كفيلة بإنهاض البيت المصري ، لأن الاباحية لم تكن يوما من الأيام أمراً مرغوبا فيه ، أو مسموحا به

(٥) مساواة المرأة بالرجل في الحقوق السياسية والمدنية لا تعمل كثيراً على تقدم البيت

ثانيا:

(١) رغم كل ما ذكر فإن البيت المصري في أشد الحاجة الى تربية المرأة التربية الصحيحة التي تدرك بها المسئوليات العصيبة الملقاة على عاتقها كزوجة وأم وعنصر عامل في المجتمع ، وذلك لا يأتي إلا بتلقي المبادىء العلمية الصحة التي تعينها على فهم البيئة التي تعيش فيها ، والالمام بأصول التدبير المنزلي ، والوقوف على تذوق الفنون الجميلة ومعرفة بعض النماذج الشهيرة منها حتى تنمي فيها ملكة الذوق السليم التي تنقص البيت المصري . وبجانب ما ينبغي أن تشب عليه من المبادىء الاخلاقية السامية التي تتفق والعصر الذي نحن فيه ، يجب أن تعنى جيداً بدراسة سيكولوجيا الأطفال ، حتى تكون في تربيتهم مطلعة على أحدث الآراء العلمية في نفسية البشر عامة والطفل خاصة

(٢) لا سبيل الى النهوض بالبيت المصري ما لم يوطد العزم ، كأمة ناهضة ، على احترام المرأة احتراما صحيحا ، واشراكها اشتراكا صحيحا في الشئون الاجتماعية العامة ، وإذا دعت الحال ، في المسائل الاقتصادية والتشريعية والسياسية . ويشترط أن تكون هذه الخطة التي نسلكها نحو المرأة صادرة عن رغبة أكيدة صادقة ، وإيمان وثيق العرى ، ولا نعتبرها منحة نجود بها عليها . فالمرأة الفرنسية ، كما سبق القول ضمنا ، لم تكن من الطالبات بحقوقها السياسية مطالبة جدية ، إلا لشعورها بما يكنه لها الرجل من الاحترام في جميع مرافق الحياة ، وما يبديه لها من المحبة والتقدير مما تصبح بجانبه الحقوق السياسية كأنها لا شيء . والمرأة المصرية رغم نهضتها الأخيرة ، لا تزال مصدرة في أهواء الرجال والعوبة يلهون بها في أوقات الفراغ أحيانا

(٣) لا سبيل الى النهوض بالبيت المصرى ما لم نسن تشريعا جديداً للزواج والطلاق لصالح المرأة ، صيانة لحقوقها ، وتحديدا للعبث بها . فنسبة الطلاق فى مصر أعلى منها فى اى بلد آخر متمدين ، إذ أنه يوجد طلاق واحد فى كل ٢٫٤ زواج (أى ٤٠ ٪) فى حين أننا نجد طلاقا فى كل ٦ زيجات فى أميركا ، وكل ١٦ فى سويسرا ، وكل ١٨ فى فرنسا ، وكل ١٠٨ فى انجلترا . ومن الجهة الأخرى يجب تسهيل اجراءات الطلاق فى الحالات النادرة التى تكون فيها الحياة الزوجية شقاء لأحد الزوجين . أما الزواج بأكثر من واحدة فى سبيل الانقراض لأن نسبته لا تكاد تبلغ ٥ ٪ ، فهو اذاً فى حكم العدم . غير أن القضاء عليه بتشريع (لا يسرى على الماضى) وثيقة قوية لاحترام المرأة .

(٤) « يترك الرجل اباه وأمه . . . » هذه هى آية التوراة الخالدة تبقى حكمتها العملية صادقة الى الأبد . أكثر الشقاء الزوجى فى مصر يعود الى بقاء الزوجين فى منزل الوالدين أو الأقارب . والخصام والشحناء والغيرة والتحدى كلها صفات انسانية طبيعية ، وليس الشك ان نحاول التخفيف من وطأتها ، مالم يعش الحمو والزوجين فى بيت مستقل . وليست التربية أو الاخلاق او الدين أو أى قوة فى الارض او السماء بقادرة على بسط راية السلام فى أسرة يشاركها فيها الزوجين الوالدان او الاصهار او الاقارب ، والمثل الانجليزى يقول اياك والاقارب (Beware of)

(٥) الأسرة المصرية كسائر الاسر التى لا تزال فيها بقية من عيشة الفطرة ، تنوء تحت عبء الطفيليات (parasites) من الأقارب ، الاقربين منهم والاباعد . أعنى هؤلاء الذين يعيشون عالة على الزوج والزوجة فيقاسمونهما المطعم والمسكن والاقامة . ومن الصعب التخلص من هذه العادة جرة قلم لأنها نتيجة تقاليد عتيقة ترجع الى الماضى البعيد ، ولا يتسع المجال لذكرها الآن . بيد أنه يعنى لنا ان نفكر فى القضاء على هذه العادة السيئة التى تجعل البيت المصرى عشا يأوى اليه كل طائر مهيض الجناح

(٦) يئن البيت المصرى من كثرة الاطفال ، ولا سبيل الى علاج هذا الداء إلا بأحد أمرين ، اما ان يتعلم الزوجان فى المدارس الثانوية والعالية والعيادات العامة والخصوصية ضبط النسل أو تحديده ، بطريقة علمية منظمة ، أو ان تمنح الحكومة اعانة سنوية لمن يزيد عدد اطفاله عن أربعة ، عن هذه الزيادة ، اذا ما توافر لديها المال وهو ما نشك فيه . ومن رأى الخاص ان الشاب الذى يملأ البيت بالبنين والبنات وهو يعلم ان دخله محدود وان زوجه لا يتسع وقتها وجهدها لتقيم بواجبها نحو أبناء المستقبل ـ انما يجنى على نفسه وأولاده وزوجته والانسانية اجمع

(٧) يستحب كثيراً أن تسهل لحدة النظر بما يتعلق بأثاث البيت المصرى وتنظيمه وادارته . ليكن الأثاث قليلا ، جميلا ، بسيطا . وليبدأ العروسان بما يحب حاله ولا يعرف عنده وثمنه ، لأن البيت على حالة الراحة أقرب فى الغالب الى عرض « الموبيليا » منه الى المنزل ، ولا عجب اذا أصبح

الشأن من الزواج . هناك البيت اليابانى مثلا ، مثال الذوق السليم والبساطة : غرفة واسعة انتثر فيها كرسى هنا ، وديوان هناك ، وتوسطتها مائدة صغيرة عليها آنية الزهور ، تزينها زهرة واحدة ولكن كل شيء يسمو به الجمال !

وعند الاطعمة الدسمة الثقيلة بكثرة اللحم والشحم والسمن ! أشير رأينا في هذا المعنى المؤدى لقوم تقع بلادهم على مقربة من خط الاستواء ، ولا يحب أبناؤهم الالعاب الرياضية ، وتكثر بينهم أمراض الكبد والسكر وداء الملوك

ولتكن قاعة الاستقبال ملتقى أفراد الاسرة ، لأنها ليست للضيوف وحدهم ، فإن اسمها في البلاد التي تنطق بالانجليزية living room ، ولتكن كراسيها مريحة قبل أن تكون مذهبة بماء الذهب وأن تكون قوية تتحمل الجلوس عليها بكل حرية ، قبل ان تكون من طراز لويس الرابع عشر ، ولتكن ألوانها رائقة ، محتشمة ، منسجمة ، لا براقة ، زاهية ، متنافرة ، تبهر العيون ، وتصدع الرءوس . وليكن في اناء الزهور سنبلة من القمح أو عوداً من البرسيم ، إذا لم تقو الجيوب على شراء زر الورد ، أو كأس النرجس . وليكن شعار البيت : البساطة من الايمان

وهناك غرف النوم . هي في حاجة الى مهندس بارع ، يضع حداً لاختلاط الحابل بالنابل فيها . فاذا اتسع البيت ، فلكل فرد حجرة ، ولا استثنى حتى الزوجين . ويمتنع مادياً أن ينام طفل فوق الثانية من عمره في غرفة يبيت فيها الزوجان . وإذا تعذرت الغاية واستحكمت حلقاتها فلكل فرد سرير يفصله حائل كثيف عن سرير الآخر . حرمة الفرد وسريره عنوان الشخصية وتمييز له من الحيوان . والفوضى في النوم تجعل الاطفال يبلغون سن الحلم في غير الاوان ، ويضطرون الى العادات الذميمة اضطراراً ، وان كان جيرانهم في النوم آباء او أمهات ، اخوة او أخوات

(٨) ليشعر الزوجان ان العقد الذى بينهما رباط روحى وجدانى باق ما بقيا على قيد الحياة ، لا متعة وقتية او عروة تنفصم عند الروم . وليكن البيت ببنيه وبناته وصفاته الصورة السامية لمهبط المشاركة الوجدانية ، التى لا يشعر فيها أحد برئيس ومرءوس ، وسيد وعبد . وليكن الحب الصادق فى البيت أساس التعاون والتسامح وخدمة الغير . وليكن لكل فرد من أفراد البيت نصيب فى تهيئة اسباب البهجة والراحة والسعادة

أمير بقطر

استعدادات الدول الحربية

ضحايا الحرب في زمن السلم

ماذا يجني السلام على الناس

بقلم الاستاذ محمود العقاد

هل جن الناس ؟ أو هل دنت الساعة ؟

أو هل تهيأ الأمم لانقلاب عظيم في أنظمتنا الاجتماعية ؟ وكيف يمكن هذا الانقلاب اذا كان تدميراً للانظمة العتيقة يبيد بعضها بعضاً قبل أن تبني أنظمتنا الجديدة ؟

حقاً لقد جن الناس

لقد انعكست آية نبي السلام القائل : « سيصنعون رماحهم محاريث وسيوفهم مناجل » إذ صاروا يصنعون محاريثهم رماحاً ومناجلهم سيوفاً

تركوا الحقول وهرعوا الى معامل التسليح وانصرفوا من مصانع لوازم الحياة الى تقلد السلاح صياماً لأوامر ساستهم الذين ينادون بالدعوة الى السلام . ومنطق هؤلاء الساسة الاعرج هو أن وسيلة تدارك الحرب هي الاستعداد للحرب

وأي استعداد ؟

استعداد تتبخر فيه الثروات وتطير دخاناً ، وتحشد به الرجال جميعاً تحت السلاح لكي تحترق ثلاثة وتبقى رماداً

فماذا بقي لتمتع الاسرات بعد السعرات . ومن بقي حياً لكي يتمتع بالبركات ؟ !

وماذا بقي في عرقل « تنازع البقاء » من عناصر الحياة . وما معنى الحياة اذا كانت غايتها التصدي للهلاك والبوار ودمار الديار ؟ !

حقاً ان الفناء أصلح لهذا الانسان من البقاء . طالت حياة نوع الانسان على الارض ولم يعد صالحاً لتعميرها وحان أن ينقرض كما انقرض قبله كثير من الاحياء وأصناف الانسان . فليبد عن سطحها عسى أن يجعل الله عمارة التي مت بلسنطانها وأعرف منه لنعمة ربه

نستخرج هذه النتيجة الرائعة من المقدمات التالية الناصعة

أنعم النظر في الجدول المنشور في الصفحة التالية وتعال نتعلم :

• • •

جدول استعدادات الدول الحربية

الدول الكبرى المتأهبة للحرب	عدد سكان كل دولة	ما تستطيع تجنيده بالملايين	ميزانية الحربية بالمليون لكل دولة سنة ١٩٣٦	ميزانية التسلح بالمليون جنيه سنة ١٩٣٨	عدد جيش البري العام		حمولة بحرية كل دولة بالطن		عدد طائرات كل دولة	
					سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٨	سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٨	سنة ١٩٣١	سنة ١٩٣٨
بريطانيا	٤٧٠٩٨٠٠٠	٩	٧٣	٣٣٧	١١٤٠٠٠	١١٥٠٠٠	١٠٩٠٦٣٥	١٢٩٦٣٥٣	١٧٠٠	٢٠٠٠
ألمانيا	٦٧١٠٠٠٠٠ بما فيها النمسا التي ضمت إليها حديثا	١٣	٢٧	٤٦٠	١٠٥٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠	١٣٩٩٠٠	١٤٧٢٧١		٢٦٠٠
الولايات المتحدة	١٢٨٤٣٠٠٠٠	٢٠	١١٢	١٨٩	١٤٠٠٠٠	١٧٠٠٠	١٠٢١٩٠٠	١١٦٣٢٤٠	١٧٣٣	٢٨٨٥
فرنسا	٤١٩٠٦٠٠٠	٨	٧٣	١٣٣	٣٧١٠٠٠	٤١٥٠٠٠	٥٥٤١٩٢	٥١١٧١٨	١٢١٠	١٥٠٠
إيطاليا	٤٢٨٠١٠٠٠	٨	٣٩	١٦٤	٣٨٥٠٠٠	٥٥٠٠٠٠	٣٠٣٠٠٠	٤٢٩٢٤٣	١٥٠٧	٢١٠٠
اليابان	٧١٠٠٠٠٠٠	١٣	٣٧	٢١٥	٢٥٩٠٠٠	٤٤٠٠٠	٧٧٥١٢٣	٨٠٢٣٦٢	١٥٠٠	١٦٧٠
روسيا السوفياتية	١٧٠٠٠٠٠٠٠	٣٥	٩٤	٥٠٧	٥٣٢٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٧٥٠	٤٥٠٠
بولونيا	٨٣٠٠٠٠٠	١ر٣٥	٣½	٧	٨٧٠٠٠	٩٥٠٠٠			١٩٥	٢٥٠
المجموع	٤٣٣٦٤٠٠٠٠	١٠٧ر٣٥	٤٥٤½	٢٠٠١	١٩٩٣٠٠٠	٢٨٨٥٠٠٠	٣١٠١٧٥٠	٤٦٠١٠٨٧	٨٥٩٤	١٥٨٠٥

لما نشبت الحرب الأخيرة (المسماة الآن بالعظمى وستعرف بالصغرى بعد نشوب حليفتها المقبلة) لم تستطع دولة من الدول في الأشهر الاولى أن تعبئ جيشاً حياً كالجيش الذي عندها تحت السلاح الآن في زمن السلم . حتى فرنسا تستنجد انكلترا على أن تعد جيشها عاملا . لم تستطع هذه أن تحشد لها في الأشهر الستة الاولى أكثر من ١٥٠ ألفاً . والآن عند انكلترا في زمن السلم ١١٥ ألفاً تحت السلاح يتمرنون ويتعلمون (سورت) . فكم تعبئ في زمن الحرب ؟ — ثمانية ملايين

والمانيا لم تفاجئ الدول بالحرب بأكثر من نصف مليون . والآن في زمن السلم عندها مليون تحت السلاح يتمرنون . فكيف بها في زمن الحرب ؟ — تعبئ ١٣ مليونا

وقس على هاتين الدولتين الكبيرتين غيرهما من الدول التي نزلت الى الميادين وستنزل اليها في الحرب المقبلة

فأي سلم هذا ؟ وكيف تتناسى الدول دعوة الى السلام العالمي ؟

لاحظ الوثوب في التسليح من سنة ١٩٣١ الى السنة الحالية تجد أن ميزانيات التسليح عند الدول جميعاً قد تضاعفت خمسة أضعاف تقريبا

ألمانيا	ضاعفت	ميزانيتها	١٧ ضعفا	
اليابان	»	»	٦ أضعاف	
روسيا	»	»	٥ ½ ضعف	تقريبا
إيطاليا	»	»	٤ ½ »	»
بريطانيا	»	»	٤ ½ »	»
فرنسا	»	»	ضعفين	تقريبا
الولايات المتحدة	»	»	أقل من ضعفين	»
بلجيكا	»	»	٣ أضعاف	»

وبالاجمال يقال إن ميزانيات التسليح تربو كثيراً على ميزانيات الادارات الحكومية . وهذا يعني ان جانبا كبيراً من ثروات الامم يحال الى مرافق التسليح والعسكريات

كل هذا ونحن الآن في حالة سلم مزعزع الأوتاد أو على نار تحت الرماد . فماذا تكون نفقات الحرب يوم ينفخ في الصور ويحشر الجمهور لاستقبال القضاء المنظور ؟!

واذا كانت انكلترا قد رصدت في السنة الذاهبة ألفاً وخمسمائة مليون جنيه للتسليح في مدة خمس سنين وأنفقت منها ٤٥٠ ألفا في العام الاول فماذا تفعل الدول الاخرى ؟ — تحذو حذوها بغير تصريح

هذا من حيث المال . وأما من حيث الرجال فالامر أغرب وأهول

لاحظ استعداد هذه الدول للتجنيد فى حالة الحرب ـ قارن فى المقابلين الاولين بين عدد السكان واستطاعة كل دولة للتجنيد تجد أن خمس السكان معدون للقتال ، كما تعد حزائف الحطب للدمع . فكلهم كحكم الهشيم للتهب ، يطير شرراً ولا يبقى منه إلا الرماد

واذا أخذت من كل خمسة انفس رجلا واحداً وهو أقواهم وأعزم وعائلهم فمن هم الاربعة الباقون ؟ ـ هم الشيوخ الضعفاء والنساء والاطفال الابرياء . وعلى هؤلاء أن يبذلوا كل قواهم لتغذية ذلك الخمس وتقويته وتجهيزه بأنواع السلاح براً وبحراً وجواً وتحت سطح البحر ـ وهذا يعنى انه يوم تقوم قيامة الحرب تبذل المهج والاجساد فى العمل للتنكيل والتقتيل والتدمير الى أن يفنى الرجال فى ساحات القتال ، ويهلك غير المحاربين فى ساحات العمل ولا يبقى من جنس الانسان إلا حطامه

أليس هذا الانسان العاقل قد جن ؟

أتريد زيادة تفصيل عن حمى التسليح المتصاعدة الحرارة الآن ؟ ـ خذ :

● ● ●

فى سنة ١٩٣٠ هبت عاصفة أزمة اقتصادية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الانسان . واجتاحت سطح هذا السيار الارضى كله ، وتهدمت بها جميع أبراج الثروة الوهمية المتشامخة القائمة على أسس «الرأسمالية» الرملية وانهارت الى حضيضها الأسفل فصارت انقاضاً لا قيمة لها . وكان من عواقب رهنها أن بعضا من ملوك المال انتحروا فرقا من هول ذلك الانهيار

حدث ذلك التدهور لان تلك الثروات العظيمة كانت قائمة على كواهل العمال . ولكن العمال كانوا هيكل وهمية ذلك الثراء عطلا من العمل . حتى انهم اخرجوا مكرهين من تحت تلك الابراج الرأسمالية ، فسقطت

فماذا كان من حكمة رجال السياسة لتجديد بناء الابراج الرأسمالية ؟

كان انهم عزموا على التنازع الاستعمارى تنازعاً جديداً شديداً لكى يمنوا العمال بالفرج العاجل ويستردوهم الى مصانع العمل

هذه كانت حكمتهم السياسية فى درء كارثة الأزمة الاقتصادية : تجديد التنازع الاستعمارى الصناعى التجارى . والتنازع لفظ مرادف للحرب . والحرب تستوجب التسليح . فالتنازع الاقتصادى اذن يستلزم التنافس فى التسليح . لذلك شرعت الدول منذ سنة ١٩٣١ تتنافس فيه . فكان ما كان مما عرفت طرفا منه فى مضاعفة الاستعداد للحرب ، كان هذا على الرغم من أن الدول كانت تدعو بعضها بعضا للتعاهد على وقف التسليح ، وعلى الرغم من انعقاد مؤتمر نزع السلاح فى أوائل عام ١٩٣٢ . فكأنها كانت بهذه الدعوة تستفز بعضها بعضا لعكس ما كانت تدعو اليه

بريطانيا : زادت حمولة بحريتها نحو ٣٠٠ ألف طن . وهي الآن تبني خمس مدرعات وخمس حاملات للطيارات و ١٧ طرادة صغيرة و ٣٣ طرادة مقاومة للطوربيد و ١٧ غواصة . وفي بلاغ آخر أن مجموع ما بنته في العام الماضي وما تبنيه في هذا العام يبلغ نحو ١٢٠ قطعة حربية

وكانت بحرية بريطانيا قبل الحرب الكبرى ضعف بحرية أعظم دولة أوربية أو كانت مساوية لبحريتي ألمانيا وفرنسا جميعا . ولم تزل في مذهبها البحري هذا في أوربا حتى اليوم ، بل تساوي قوتها البحرية الآن قوة الدول الكبرى الثلاث : فرنسا وإيطاليا وألمانيا جميعا (راجع الجدول) وفي عزمها أن تزيد قوتها البحرية على ما تقدم حتى لا تخسر هذا التفوق

وقد أكد المستر تشامبرلن في ٢٤ مارس الماضي أن الإسراع في التسليح وخصوصا في تدابير الدفاع الجوي يجب أن يحصل على الدرجة الأولى من جهود الأمة . وعلى الرغم من ذلك يحاول أن يهدئ من فزع الأمم بقوله :

« إننا لا نزال نؤمل أن نصل إلى توازن معقول في التسليح بالاتفاق الودي بدلا من التسابق الحر الذي لا يقف عند حد » . ولكن أي روع يهدأ والحالة كما تقدم وصفها ؟

وقد نبأ أخيرا أن بريطانيا سيكون عندها في هذا العام ٣ آلاف طائرة

والذي يلوح لنا أن بريطانيا بعد أن دعت الدول إلى وقف التسليح وبعد أن توقفت هي عنه ثلاث سنين بينما يئست من تلبيتهن لدعوتها ولم تر بدا من أن تنشط للتسليح نشاطا بكل نوع من أنواع التسليح تفوق لم يسبق له نظير ، عسى أن تكون هذه الخطوة الحاسمة أدعى لتوقف الحرب أو لتسويفها إلى حين بعيد . ولكن تهالك الأمم في التنافس على التسليح يضعف الأمل في الوصول إلى تلك الأمنية

ألمانيا : تعتمد كثيرا على التجنيد البري لأنها يائسة من التفوق البحري بعد أن أغرقت انكلترا أسطولها عن آخره أو أسرته في نهاية الحرب العظمى . ولمجاورتها فرنسا من ناحية وروسيا من الناحية الأخرى ، ومقاتلتها لهما برية وجوية . ولذلك تستعيض عن بعض الاستعداد البحري بالاستعداد الجوي . ويقال إنها تصنع كل شهر ٢٥٠ طائرة (مائتين وخمسين)

مع ذلك لم تهمل بحريتها بل هي تبني الآن ٤ مدرعات صغيرة وحاملتين للطائرات و ٧ بوارج و ٢٧ طرادا مقاومة للطوربيد و ٢٥ غواصة . وهي بالغواصات أعنى دولة ، وهي الغواصات كانت تعتمد في الحرب الماضية

فرنسا : يقال إنها على أثر الحرب الماضية حصنت حدودها الشمالية بالخنادق تحصينا محكما لا مثيل له . فهي سلاسل من سراديب مبنية بالاسمنت المسلح . وهي تعتمد على نظام جيشها الممتاز . ولكن برلمانها لا يلبي مالية حربيتها كالواجب

تبني الآن ٣ مدرعات وحاملتين للطائرات وطرادين و ٣٠ سفينة و ١١ غواصة . وفي هذا العام يكون عددها ٢٤٠٠ طائرة وفي آخر السنة القادمة يكون عددها ٣٠٠٠

ايطاليا : كألمانيا تهتم بقوة جيشها البري وقوتها الجوية وربما كانت ممتازة فيها . وقد صرح موسوليني في خطبة له في ٣٠ مارس الماضي بأن الطيران الايطالي نال فوزاً باهراً في رحلاته فوق البحر الابيض المتوسط وفوق الاقيانوس الاتلنتيكي وتقررت له ميزانية ١٢٠٠ مليون ليرا ــ الى أن قال : « إن مجموع قواتنا الجوية مؤلفة من بضعة آلاف من الطائرات تكاد تكون كلها جديدة . وفي معامل الطيران الآن ٥٨ ألف عامل يشتغلون للسلاح الجوي فقط »

ثم يقول أيضاً : « ويجتهد مهندسونا أن ينشئوا طائرات للاستكشاف ولالقاء القذائف والدفاع ليلاً ونهاراً ، وطائرات خفيفة ذات سرعة قصوى سهلة الاستعمال ، وطائرات من المدن ذات محركين أو ثلاثة »

وفي تنويهه عن الهيئات اللازمة للصناعة قال : « ان في ٨٧٦ معملاً يشتغل ستمائة ألف عامل بنظام حربي من غير انقطاع كأنهم جنود تحت السلاح »

ــ تالله ! أما كان أفضل لرفاهية الامة أن يشتغل هؤلاء الستمائة ألف عامل بأعمال منتجة ينتفع بها الشعب !

أما عن البحرية فأشار الى تجديد الوحدات أي الأساطيل القديمة . ومنها المدرعتان كافور وسيزاري ، وانشاء أربع بوارج كبرى حمولة كل منها ٣٥ ألف طن تم بعضها الآن والبعض الآخر تحت البناء

ثم يقول : « واني لأقول منذ الآن لكل من يمكنهم أن ينظموا عملهم في المدن الصغرى والريف ان خير ما يفعلون هو أن يرجعوا اليها في أقرب وقت لأن رجوعهم اليها في وقت نشوب الحرب قد يعرقل أمر التعبئة العامة » . ولا يخفى ما في هذه النصيحة من الاشارة الى ان الحرب على الابواب . وفي عبارة أخرى يفهم منها أن الحرب المقبلة ستكون حرب فظائع لا هوادة فيها ولا صيار ولا انسانية ــ ونحن نفهم أنها ستكون حرب أمم تقهقرت أخلاقها ــ الى الهمجية والحيوانية

اليابان : تحذو حذو ايطاليا في جعل نظامها الحربي نظاما اشتراكيا . وقد سنت حديثاً قانوناً للتعبئة العامة جعلت فيه كل عمل وكل مرفق وكل مصنع ، وكل مورد ورزق ، تحت سلطة القوة الحربية بحيث أنها تستطيع أن تحشد جميع الرعايا اليابانيين لأغراض الخدمة العامة ، وان تشرف على الانتاج والتوزيع ، وأن تمنع ما تشاء من الصادرات أو الواردات ، وان تفرض ما تشاء من الضرائب . ولها ان تنشيء شركات أو أن تزيد رأس مال الشركات، وان تتولى ادارتها وتوزع أرباحها ، وان ترفع الاسعار ــ وبالاختصار تكون الحكومة مسيطرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية سيطرة مطلقة ــ أعني تصبح الأمة كلها محاربة

روسيا السوفياتية: لأنها اشتراكيـة النظام سيطرت بطبيعة الحال على كل ثروة عامة فى البلاد أكثر من سيطرة ألمانيا واليابان . ولذلك يعد نظام سلاحها البرى أعظم نظام ، لأن فى وسعها أن تعبىء عشرات الملايين ثوجيشا عرمرماً فى الحال . وأعمال التسليح فيها قائمة على ساق وقدم ولا سيما فى الطيران وبناء الغواصات . وكل ذلك من أسرارها التى لا تبوح بها ، ولكنها لا تخفى كل الخفاء على الراقبين والجواسيس

الولايات المتحدة الامريكية: باذلة كل جهد فى كل نوع من التسليح . وفى وسعها أن تعبىء فى الحال مليونين جندى،وفى كل شهر مليونين أيضا . وسلاحها الجوى من الطراز الاول . عندها تسعمائة طائرة برية وثلثمائة طائرة بحرية مجهزة بأحدث الوسائل العصرية ، وهى تزيد عليها كل يوم

وقد اصطنعت نوعا من الطائرات يمتاز على كل أنواع الطائرات التى تتسلح بها دول أوروبا . وميزتها أن محركاتها ومراوحها وراء الأجنحة لا أمامها ، وأنها ذات مدى أبعد مدى من غيرها فى إطلاق النار وأدق فى اصابة الأهداف ، وأجنحتها مصمتة . وكلها مصنوعة من المعدن الخفيف ، وتحمل خمسة جنود ثلاثة منهم لاطلاق المدافع

ويقول الماجور جنرال أوسكات ستوفر قائد فرق الطيران . إن التجارب التى أجريت بهذا النوع حلت مسألة طائرات المطاردة وأنها ذات شأن خطير فى الأعمال الحربية القادمة

وهناك نوع آخر من الطائرات ذات شأن عظيم فى الخطط الحديثة الجوية لأنها تستطيع أن تحصل على المعلومات الحربية وهى على ارتفاع عظيم فى الجو

وفى عزم الولايات المتحدة أن تبنى من السفن الحربية زيادة على ما ذكر فى الجدول ٤ مدرعات وحاملتين للطائرات و ١٠ بوارج محمية و٣٦ ناسفة لمقاومة الطوربيد و٣٢ غواصة

• • •

ذلك استعداد الدول الحربى حتى هذا اليوم وليس فى جو السياسة الدولية ما يدل على أن الدول ستقف عند هذا الحد ما دام التنافس فى التسليح ناشطا

استعداد هائل مخيف يتجهم له وجه السلم فزعا يستهلك كل ثروة عقلية وعضلية أوتيها الانسان ، وكل انتاج عقلى وفنى وعملى ، وكل ثروة . يعنى أن أفراد الامم لم يبقوا يعملون لأجل هنائهم وسعادتهم بل لأجل التنكيل بعضهم ببعض لأجل مأتمهم العاجل . كأن المدنية الحالية ستصبح أتونا يندلع لهيبه الى السماء، ويحترق فيه كل شىء من معالمه ويتطاير دخانا وبخاراً فى الفضاء

ترى هل يجمع سلزبول سيد جهنم فى فخ ملكوت الانسان على الارض فينقل عرشه الى هذا السيار الأرضى وأن جنوده وقومه لاحتلاله ؟

قد من هذا الحيوان العاقل — ما أحمقه ! ! !

نقولا الحداد

بحث في النحو والصرف مهدى إلى صاحب المعالي
وزير المعارف ورئيس مجمع اللغة العربية

تبسيط قواعد اللغة العربية

بقلم الأستاذ حسن الشريف

شغلت هيئاتنا اللغوية أخيراً إلى بحث الوسائل التي تيسر لتلاميذ المدارس دراسة قواعد العربية وبلاغتها . ولكن الأستاذ حسن الشريف يرى أن يوسع نطاق البحث فيشمل قواعد اللغة نفسها وما يراه فيها من تعقيد وتناقض و«إخلال» — وهو يجمع شتى الآراء العلمية والأدبية لا يسعه إلا أن ينشر هذه الآراء الحديثة جميعاً مستهدفاً ليعرض ما يرد فيها من يوجهها الأمر

إذا سافرت إلى أوربا أو أمريكا ولو زرت جميع بلادها فأنت سائح أو مسافر لا يهتم أحد بسفرك ولا بسياحتك . أما إذا ارتدت قطبا من القطبين أو مجهلا من مجاهل أفريقيا ، فأنت رحالة أو مستكشف يتحدث الناس عنك وتهتم الدنيا بأخبارك . ذلك لأن السفر إلى البلاد المتحضرة والتجول في أرجائها أمر سهل لا جهد فيه ميسور لا يستحق صاحبه مدحا ولا ثناء . أما ارتياد المجاهل والمحيطات المتجمدة فهو شاق وجهد عسير لا يجسر الناس على مرتادها بلقب يميزه من طبقة المسافرين

وإذا سألتني ما فائدة تقديم المقال بهذا الكلام السخيف ، قلت لك إني أسوقه وأنا عالم بسخفه لأن المثل المضروب فيه ينطبق على الذين يتعلمون اللغات

فأنا وأنت نجيد التكلم والكتابة بثلاث أو أربع لغات أوربية ومع ذلك فالأوربيون لا يسموننا ولا يعلمون عنا شيئا . أما الفرنسي الذي يلم باللغة العربية إلى جانب لغته فهو «مستشرق» تحفل الدنيا به وتمطره المجامع العلمية والصحف آيات الإكبار والإطراء

لماذا ؟ — لأن اللغات الأوربية سهلة التناول ميسورة الدرس لا عسر في تعلمها ولا عناء ، فلا فضل لمن يلم بالكثير منها إلا فضل الرحل المتعلم . أما اللغة العربية فمثلها كمثل القطبين أو مجاهل القارة السوداء لا يقدم عليها إلا الجريء المغامر والشجاع المخاطر ، فلا جرم أن يسمى الذي يتعلمها من غير أبنائها «مستشرقا» أو «مستعربا» تمييزاً له من سائر المتفقهين في اللغات

وهذا لعمري حق لا مرية فيه . فاللغة العربية عسيرة على من يتعلمها وحسبنا دليلا على عسرها أن أحداً من أبنائها لم يحط بها إحاطة كاملة منذ خلقها الناس إلى اليوم ، ولن

أحداً من كتابها وقرائها لم يسلم من اللحن والخطأ فيها منذ بدأ الناس يقرأونها ويكتبونها حتى هذه الساعة.

والسبب ٢ ـ السبب أنها لغة عسيرة بنحوها، عسيرة بصرفها، عسيرة برسمها، عسيرة بترادفاتها.

وسأقصر كلامي في هذه المقالة على عسرها من الناحية النحوية، تاركاً نواحي عسرها الأخرى إلى مقالات تالية أرجو أن يشاء الله أن أكتبها أو أن يكتبها من هو خير مني وأزكى.

الأجرومية العربية عسيرة غاية في العسر، معقدة غاية في التعقيد، يدلك على ذلك ما يلاقيه الطلاب من الصعوبة في فهمها واستظهارها وما يجده المدرسون من الصعوبة في تعليمها وتلقينها، ويدلك على ذلك أيضاً أن من الناس من يصرفون نصف العمر في دراستها ثم يخرجون منها بمحصول لا يساعدهم على تحرير مقالة سليمة من اللحن والخطأ.

ولقد أحسنت وزارة المعارف حين عهدت إلى لجنة من خيرة أبناء مصر أمر النظر في تيسير وسائل تعليم قواعد النحو على المدرسين وتسهيل فهمها وحفظها على التلاميذ. ولست هنا في مقام تقدير عمل هذه اللجنة ولا فحص النتائج التي وصلت إليها. وإنما ألاحظ أن الوزارة أخطأت إذ توخت تيسير تدريس القواعد النحوية بدلاً من أن تتوخى تيسير هذه القواعد نفسها. وهي لو فعلت لأسدت اللغة العربية وأهلها خدمة لا تقدر، ولوصلت إلى اليسر الصحيح من طريقه الطبيعي المأمون، لا من هذا الطريق الذي لا يمكن أن يؤدي إلى يسر يحسن الاكتفاء به أو السكوت عليه.

ووزارة المعارف إذ تتوخى تيسير طرائق تعليم القواعد النحوية وتغفل تيسير القواعد ذاتها إنما هي كطبيب يريد أن يشفي مصاباً بتخمة فلا يعالج التخمة وإنما يعلم المصاب طريقة يتناول بها الأطعمة التي تتخمه من دون أن يحصي هذه الأطعمة أو يغيرها. ليس العيب عيب المعلمين ولا عيب المتعلمين ولا عيب طرق التعليم، وإنما هو عيب الأجرومية العربية المعقدة العسرة التي تحدث التخمة في عقل الأستاذ والتلميذ، فعالجوا هذه الأجرومية نفسها وهذبوها وبسطوها وهونوا شعثها وأثقالها ينتظم الأمر للمعلم والمتعلم ويسهل على كليهما حفظ النحو والإفادة منه خير إفادة. أما الوقوف عند حد الاستغناء عن الإعراب التقديري بالإعراب المحلي، أو الاستغناء بألقاب البناء عن ألقاب الإعراب، فليس بالدواء الشافي الذي ييسر الأجرومية على طالبها واللغة العربية على الراغبين في تعلمها.

هذه الأجرومية العربية ملأى بقواعد يمكن حذفها جميعاً من دون أن يترتب على هذا الحذف تغيير جوهري في ضبط الكتابة ولا تغيير في فهم الكلام. وهي أيضاً ملأى بقواعد يمكن تهذيبها واختصارها من دون المساس بجوهر اللغة وسلامتها. والنتيجة أن هذه القواعد ليست أيسر

ولا أهون ولا أبعد ما في كتب النحو وإنما هي أكثرها طولا وأشدها تعقيداً وأقلها فائدة

ليطمئن أصدقائي الذين يخشون أن أتورط في هذا البحث الشائك فلا يسهل على الخلاص منه ، ليطمئنوا فلست أريد باللغة شراً ولا بالنحو سوءاً وإنما أريد بالتمرين اليسير الذي يجب اليهم هذه اللغة الجميلة الكريمة ويزيد من اقبالهم عليها . أريد أن أجعل لغتنا سهلة التداول سهلة الهضم يتلقاها الناس في غير مشقة ولا عناء فتصبح قدم ثابتة في عداد اللغات الحية بدلا من أن تموت أو تظل كما هي الآن لا بالحية ولا بالميتة

نعم إنه لمن العار أن أهدم بيدي بيت آبائي وأجدادي ، ولكن ليس من العار بل إنه من دواعي الفخر والشرف أن أجدد في هذا البيت العتيق فأدخل عليه الماء الجاري في الانابيب ، والنور الكهربائي السارى في الاسلاك ، والادوات الصحية التي تحبب الى الاقامة فيه وأن أتيح في حيطانه النوافذ التي أحظى منها بالشمس المنعشة والهواء المتجدد

واللغة قبل كل شيء وسيلة لا غاية فبمقدار ما تكون الوسيلة سهلة ميسورة يكون بلوغ الغاية سهلا ميسوراً . والغاية من اللغة هي التفاهم ، فلنتفاهم بأبسط الوسائل وأقربها الى التناول وأهونها على العقل والذاكرة . أما الذين يقولون إن اللغة غاية فلا كلام لي معهم والزمن وحده كفيل بأن يهديهم سواء السبيل

خذوا مثلا موانع الصرف وقولوا لي كم يقضي الطالب من أيامه في مذاكرتها واستظهار أوزانها وقواعدها ومستثنياتها ، ثم قولوا لي ما الفائدة وجود هذه الموانع وماذا يصيب اللغة اذا حذفت كلها مرة واحدة ؟

لقد تحلل الشعراء من موانع الصرف فلم يفسد الشعر ولم تفسد اللغة بل اغتاظ الشعراء صبيها وسلس قيادها والتزموا من وراء هذا التحلل بيسر عظيم . ولقد أقرهم النحاة على ما صنعوا فقالوا : « يصرف الشاعر ما لا ينصرف » . فلماذا عليهم اذا صرحوا من ترخيم مرة أخرى وقالوا : « والناثر أيضا يصرف ما لا ينصرف » فتخلص من عناء حفظ أوزان كثيرة وقواعد متعددة كأوزان صيغة منتهى الجموع وأوزان فعلان وأفعل وفعل وقواعد التركيب المزجي والأعلام الاعجمية والاعلام المؤنثة المنتهية بتاء التأنيث أو الألف المقصورة أو الاعلام المؤنثة غير المنتهية بتاء التأنيث والألف المقصورة والاعلام المؤنثة الثلاثية الساكنة العين والاعلام المنتهية بالألف والنون والفرق بين وزن أفعال وفعلاء كأبناء وأشياء ؟

بالله ما الفرق بين عائشة وزينب وأسماء وهند حتى يكون لكل علم من هذه الأعلام الأربعة حكم خاص في الأجرومية يجب أن تحفظه من ظهر قلب ، فنعرف أن الأول ممنوع من الصرف للعلمية وأشباهه تاء التأنيث ، والثاني ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ولو أنه غير منته بالتاء ، والثالث ممنوع من الصرف للعلمية وأشباهه بألف ممدودة ، والرابع منصرف رغم علميته وتأنيثه

لأنه ثلاثي ساكن الوسط أو ساكن العين كما يقول النحاة !!

وما الفرق بين محمد واحمد وكثيراً ما يختصان اسما لشخص واحد فيكون نصب هذا الاسم مصروفا ونصب الثاني ممنوعا من الصرف لا لشيء، إلا أن محمدا على وزن مُفَعَّل واحمد على وزن أفعل ؟

وما الفرق بين ابراهيم وطلحة ومعديكرب وعثمان وعمر حتى يكون لكل واحد من هؤلاء السادة حكم في النحو قائم بذاته ! فالأول ممنوع من الصرف لأنه أعجمي والثاني لأنه في صيغة التأنيث والثالث لأنه مركب تركيبا مزجيا والرابع لأنه مختوم بالألف والنون والخامس لأنه على وزن فُعَلْ

وماذا يضير اللغة وكتبها وأساليبها وطلابها اذا قلنا مساجداً بدلا من مساجدَ ، ومصابيحا بدلا من مصابيح فنستريح من حفظ أوزان مفاعل ومفاعيل وصيغة منتهى الجموع ؟

احذفوا موانع الصرف بجرة قلم أو اشطبوا الصفحات الخاصة بها من كتب النحو فلن تتغير معاني الكلام ولن تنحط أساليب الكتابة وانما ستوفرون على الناشئين والمتعلمين عناء لا طائل من ورائه وجهداً لا فائدة فيه

• • •

اقرأ بيتا من الشعر لشوقي يقول فيه :

ان رأتني تميلُ عني كأن لم ... تكُ بيني وبينها أشياء

وأراجع كتاب النحو فأجد أن «إن» حرف شرط جازم يجزم فعلين يسمى أولهما فعل الشرط والثاني جوابه وجزاءه . فما بال شوقي يحيد عن هذه القاعدة المعروفة فيرفع «تميل» حين يجب جزمها بحكم وقوعها جزاء الشرط ؟

هنا يطل محمد بن مالك من بين دفتي الألفية المشهورة برأسه ويقول :

«وبعد ماض رفعك الجزا حسن ... ورفعه بعد مضارع وهن»

ومعنى هذا أنه يحسن رفع جزاء الشرط اذا كان فعله ماضيا ولا يحسن رفعه اذا كان فعله مضارعا . وهذا استثناء من حكم القاعدة العامة لا يعرفه سوى المتعمقين في علم النحو ، وهو في الوقت نفسه حشو لا لزوم له وفي حذفه تخفيف عن الطالب لا يترتب عليه ضرر ولا ضرار

• • •

ويقرر النحاة ان «أن» المخففة من «أنّ» الثقيلة تنصب الفعل المضارع . ولكنهم لا يلبثون حتى يلحقوا بهذا القرار استثناء كما تقدم مستدلين ولا أنه يترتب عليه استثناء آخر يربك الذهن ويرهق الذاكرة

ذلك بأنهم يقولون ان السين اذا حالت بين « أن » الناصبة والفعل المضارع أبطلت عملها وعندئذ يجب أن نرفع الفعل وأن نقرأ :

« زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعا » لا أن سيقتلَ

والى هنا نرى أن الخطب يسير . ولكن هذا اليسر ينقلب عسراً عندما نجد النحاة يفرقون بين الأفعال التي تفصل السين بينها وبين « أن » الناصبة ويقسمونها قسمين يسمون أحدهما « أفعال اليقين » ويسمون القسم الثاني « أفعال الظن والترجيح » ثم يقررون أن السين إذا وقعت بين « أنْ » وفعل من أفعال اليقين فقد وجب رفع الفعل وابطال عمل « أن » ، أما اذا وقعت بين « أن » وفعل من أفعال الظن والترجيح فلك أن تنصب الفعل أو ترفعه كما تشاء . وهنا يجب أن نحفظ عن ظهر قلب قائمة طويلة هي قائمة أفعال اليقين وقائمة أخرى هي قائمة أفعال الظن والترجيح فيختلط علينا الأمر وتتعقد المسائل ونتخبط في ظلام كثيف

وقد يحق لنا أن نتساءل ما الضرر الذي يصيب اللغة والمتكلمين اذا ألغينا هذا الاستثناء من أساسه وقررنا أن السين لا تبطل عمل « أن » الناصبة ، أو اذا ألغينا على الأقل ذلك التفريق بين أفعال اليقين وأفعال الظن والترجيح ؟ اللهم لا ضرر أبدا ولا ضرار وانما في ذلك تيسير وتبسيط وتسهيل

* * *

ونرى ١٢ امرأة فنقول هؤلاء اثنتى عشرة امرأة ونجد العدد متفقا مع المعدود فنرتاح الى ذلك ونقول لنفسك : ما أسهل قاعدة العدد . ولكن يسوق الله امرأة تنضم الى النسوة اللاتي رأيتهن فيصرن ١٣ فتنقلب تلك القاعدة الطيعة رأسا على عقب ونجد نفسك تسير في دهاليز من النحو وسراديب ومغاور وكهوف يطيش فيها اللب ويطير الصواب

لما كان النسوة ١٢ كان العدد مطابقا في التأنيث للمعدود ، فلما زدن واحدة وجب أن نذكر صدر العدد وأن نؤنث عجزه . وبعد أن كنا نقول : اثنتى عشرة امرأة ، صرنا نقول ثلاث عشرة امرأة . واذا كان المعدود رجالا فقد وجب أن نقول ثلاثة عشر رجلا بعد أن كنا نقول اثنى عشر . أما اذا كان المعدود من ثلاثة الى عشرة فيجب أن نجعل العدد على عكس نوع هذا المعدود فنقول ثلاث فتيات وثلاثة فتية وعشر مسائل وعشرة رجال . . . أما العشرات الصحيحة والألوف فالأعداد فيها لا تتغير بتغير جنس المعدود ، فنقول عشرون رجلا وعشرون امرأة وألف مسألة وألف طالب . ولمئة حكم مضطرب لا يخلو من غرابة : فأنت تعلم أن جمع مئة مئات ، كما أن جمع ضربة « ضربات » ولكنك اذا قلت « . . » فأنت تقولها خمسمائة لا خمسمئات كما تقتضيه قاعدة جمع المؤنث السالم ولا نعرف السر في إفراد مائة حين يجب جمعها . فاذا أردت بعد ذلك أن تستطرد في تطبيق هذا الشذوذ وتقول جمع مئة كان كلامك خطأ وكان الصحيح

أن نقول خمس مئات . فأي فرق بين خمسمئات وخمس مئات حتى تختلف الأولى من الثانية ؟ !

أليس السهل والمعقول أن نوفق بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث بلا استثناء فنقول ثلاثة جيات وأربع كتب وخمسة عشرة امرأة وثلاث وعشرون رجلا وسبع أيام وستة سنين ، وبذلك نريح أدمغة المعلمين والطلاب من تذكير العدد وتأنيث الخبر عند ما يكون المعدود مؤنثا ، وتأنيث العدد وتذكير العدد عند ما يكون المعدود مذكرا ومن جعل العدد عكس المعدود إذا كان هذا المعدود من ثلاثة الى عشرة ؟

ما أظن ان احداً ينكر ما يترتب على تعديل قواعد العدد في هذا المنوال من اليسر الكبير ، ولكنها القاعدة الملعونة ، قاعدة القديم على قدمه هي التي تريد لنا العسر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

وإن أعجب فعجبي لتسمية نائب الفاعل في الأجرومية العربية . يقولون ان نائب الفاعل هو الاسم المرفوع الذي يحل محل الفاعل بعد حذفه . وهذا تعريف غير صحيح . والصحيح أن نقول أن نائب الفاعل هو المفعول المنصوب الذي يرفع ويحل محل الفاعل بعد حذفه . وهذا تعقيد عربي لا مبرر له . نقول ضرب محمد عليا فمحمد هنا هو الضارب أي الفاعل وعليا هو المضروب أي المفعول ، فاذا حذفنا الفاعل أي الضارب أو جهلناه جئنا بالمفعول ورفعناه وأحللناه محل الفاعل أي محل الضارب مع أنه هو المضروب . فهل هذا منطق مستقيم ؟ ولعمري لو أن القائم مقامها كمثل ذكات مصبية على مزدوجة : فهو مضروب ويضم الضاكة بدلا من ضاربه اذا لم تهتد اليه النيابة

أليس المعقول في حالة بناء الفعل للمجهول أن يظل المفعول منصوبا ويكتفى بقلب الفعل فنكتب: ضُرِبَ عليا فنعلم أن عليا مفعول وقع عليه فعل فاعل مجهول ونقصد بذلك قاعدة رفع المنصوب واحلاله محل الفاعل ؟

• • •

ومشكلة جموع التكسير التي حملت اللغة العربية بحمل أربع أو خمس لغات ، أليست جديرة بالنظر ؟ يجمعون « بائس » على البؤس وبؤس وبأس وبوس وبؤساء . ويجمعون « زهر » على زهر وأزهار وأزاهر وازاهير وزهور . وهكذا اضطر الى حفظ أربعة أو خمسة جموع للكلمة الواحدة أكثر ما نحمل حين يكفي جمع واحد يفيد المعنى الذي أقصده . فاذا كان في ذاكرتي متسع لخمس كلمات أخرى فلأتمكن من لغات أجنبية وبذلك أتعلم خمس لغات أجنبية بدلا من خمس لغات عربية ....

ولعمري هل تعدد صيغ الجمع للمفرد الواحد في اللغة العربية إلا نتيجة استباحة شعراء العرب صياغة الجموع كلما اقتضى وزن البيت صيغة جديدة ؟ كان الشاعر منهم يعرف أن جمع صديق أصدقاء ، فاذا استعمل أصدقاء وانكسر البيت عمد إلى صيغة جمع يخترعها لتناسب الوزن والبحر

فيقول «صدقان» ، وهكذا تدخل صدقان في اللغة لا لأنها صيغة جمع صحيحة لصديق ولكن لأن هذا الشاعر أو ذاك ابتدعها تسهيلا لنظم البيت ، وهكذا الحال في كل جموع التكسير التي تضخمت بها اللغة العربية حتى صارت عبئا على الذاكرة لا يطاق

واقتراحي لعلاج هذه الفوضى التي يسميها بعضهم من وسعة هو أن جميع الأسماء التي يجوز جمعها جمعا مذكرا سالما وجمع تكسير يكتفى بها صيغة جمع المذكر السالم وتلغى صيغ جموع التكسير الأخرى فنجمع «كافر» على «كافرون» ونلغي «كفار» و «كفرة» و «كفر» ، ونجمع «كاتب» على كاتبون ونلغي «كتاب» و «كتبة» . وهكذا . أما الأسماء التي لا تجمع جمعا سالما فتبقى لها صيغة واحدة من صيغ جموع التكسير ، فنجمع «زهر» على أزهار ونلغي أزاهر وأزاهير وزهور . ولا بأس من استبقاء هذه الصيغ المتعددة في المعاجم الكبرى ليتيسر للمتخصصين فهم الكتب القديمة والأدب القديم

* * *

كذلك يجب تحديد أوزان المجرد الثلاثي تحديداً يحسم التخبط في القراءة ، لأن المدد من هذه الأوزان غير كاف ولأنه ليست هناك قواعد واضحة أو غير واضحة لضبط قراءة الأفعال الثلاثية المجردة

خذ مثلا هذه الحروف الثلاثة : ع . س . ف . ومنها تتكون كلمة «عسف» . فهل تستطيع بعد أن تكون قد قرأت النحو من أول الكفراوي إلى آخر الأشموني مارا بابن مالك وابن عقيل أن تجد قاعدة تعينك على قراءة هذه الكلمة قراءة صحيحة ؟ لا . بل إنك لتحار في قراءتها فلا تدرى أهي «عَسَفَ» أم «عَسِفَ» أم «عَسُفَ» . والمصيبة أن الأجرومية التي وضعت لضبط القراءة لا تسعفك في حيرتك ولا تأخذ بيدك لتهديك الى القراءة السليمة بل تحيلك الى السماع

ويجب أن تكون الأفعال : نصر وضرب وفتح على وزن واحد في الماضي وأن يختلف مضارع كل منها عن الآخرين فتقول : ضرب يضرِب ، ونصر ينصُر ، وفتح يفتَح . فهل لايمكن أن نضع ضوابط لتلك الاختلافات بدلا من أن نحتكم فيها الى السماع ؟

* * *

وأبواب المنادى والمستثنى ، أليست وحدها كفيلة بأن تخلق الاضطراب في الذهن لتراكم قواعدها وتعقد أصولها وفروعها ؟ فالمنادى المفرد يبنى على ما يرفع به اذا كان معربا ، وعلى ما كان مبنيا عليه قبل النداء اذا كان مبنيا . وهو يرفع اذا كان علما مقصوداً أو نكرة مقصودة وينصب اذا أضيف وينصب اذا كان نكرة غير مقصودة ثم يعود فيرفع لأسباب أخرى ثم يعود فينصب لأسباب غيرها . والمستثنى في الأصل منصوب ولكنه يرفع في حالات خاصة ويجر في حالات

غيرها وهكذا مما لا نهاية له من الأصول والشذوذ . فلم لا نتفق على أن يلزم المنادى والمستثنى حالة واحدة من الحالات فيكون منصوباً دائماً أو مرفوعاً دائماً فنوفر على أنفسنا عناء حفظ كل هذه الشواذ والاستثناءات ؟

• • •

و « ما » الحجازية التي تعمل عمل ليس في مثل قولهم « ما هذا رجلاً » لماذا يبطل عملها إذا تلتها « إلا » فتقول « ما هذا إلا رجل » مع أن « إلا » هذه لا تبطل عمل ليس فتقول « ليس هذا إلا رجلاً » ؟ أليس الخير أن يكون حكم « ما » الحجازية كحكم ليس ما دامت تعمل عملها وعندئذ يحسن إلغاء حكم « إلا » الذي يبطل هذا العمل ؟

• • •

والمعطوف الذي يجب أن يتبع المعطوف عليه في الرفع والنصب والجر ، فإذا بابن مالك في ألفيته يقول :

وجائز رفعك معطوفاً على ... منصوب إن بعد أن تستكملا
وألحقت بإن لكن وأن ... من دون ليت ولعل وكأن

ومعنى ذلك أنه يجوز رفع المعطوف على المنصوب بإن ولكن وأن ولا يجوز ذلك في المعطوف على المنصوب بليت ولعل وكأن

لماذا هذا الشذوذ والتعقيد ، ولم لا يظل المعطوف متفقاً والمعطوف عليه في جميع الحالات ؟

ثم لماذا التفريق بين النواصب في الحكم فتختلف ليت ولعل وكأن عما تتبع « إن ولكن وأن ؟

• • •

وبعد فأراني قد أطلت حيث كنت أتوخى الإيجاز وأحسبني قد دخلت في التفاصيل حين لم أشأ إلا الإجمال . ولكنها أمثلة لم يكن لي بد من أن أضربها لأقول إن في الأجرومية العربية أبواباً من ذلك النوع يمكن إلغاؤها أو تعديلها أو اختصارها أو وقف أحكامها على حالات دون حالات أخرى تيسيراً للطلاب وتحبيباً في التعليم حتى يسهل النحو فتسهل اللغة فيقبل عليها المتعلمون من أبنائها ومن الأجانب عنها غير هيابين عسرها ولا وجلين من تشعبها وتعقدها

ومع تلك أمثلة يتبين منها أصحاب العقول السليمة أن إصلاح الأجرومية ممكن أن يتم من دون أن يزعزع أساس اللغة أو يغير في جوهرها ، فما على الراغبين في الإصلاح إلا أن يعملوا هذا العمل وينهجوا هذا النهج مع ما يرون وجوبه من تعديل وتحوير فإنهم إن شاء الله واصلون

على أني لا أرى لي مندوحة من أن أحتاط لاعتراضات سوف يواجهني بها بعض المرتجين ولا بد لي من الرد عليها سلفاً عسى أن أوفر عليهم وعلى نفسي مشقة الجدل العنيف

سيقولون : هب أصحاب العربية أخذوا برأيك وعدلوا النحو ذلك التعديل الذي تقترحه ،

فكيف يقرأون القرآن بعد ذلك وهو كما نعلم أساس اللغة وأساس الدين ؟ فنقول :

أولا : إن التعديلات التي اقترحنها لا تمس أحكام النحو الأساسية التي تصدر عنها قراءة القرآن الكريم . فالغاء موانع الصرف وقولنا « مساجداً » بدلا من « مساجد » لا يغير معنى الكلمة ولا يصد القارىء عن مرماها . وجعل العدد من جنس المعدود وقولنا « أربعة مسائل » بدلا من « أربع » لا يزيد هذا العدد ولا ينقصه ولا يحدث في ذهن القارىء أي لبس أو اضطراب . وإلزام المنادى بالنصب في جميع حالاته لا يخرجه عن كونه منادى ، فاذا ناديت « يا محمداً » بدلا من « يا محمد » فسيسمع محمد ويجيب . وإذا نصبت نائب الفاعل وقلت : قتل عليا ، فسيفهم القارىء أن عليا قتل ولن يفهم غير ذلك فلا لبس ولا اضطراب . والاكتفاء بجمع واحد من جموع التكسير لن يلغي الجموع الأخرى وإنما سيهملها في الاستعمال فتندثر كما اندثر كثير من الكلمات وإذا صادفناها في القرآن الكريم فلن نظن أنها خطأ وإنما سنذكر أنها جمع مهجور . وهكذا الحال في جميع القواعد التي ذكرتها

ثانيا : إن دراسة القرآن ونحوه وصرفه وأسلوبه إنما هي دراسة عالية لا تتعاطاها إلا طبقة خاصة من المتعلمين لا يمكن لغيرها من طلاب المدارس الثانوية مثلا أن يشاركوها فيها مشاركة تؤدي إلى فهم كتاب الله فهما صحيحا

وكما أن للقرآن أسلوبا خاصا انفرد به بين أساليب الكتابة العربية فان له نحواً خاصا يسمو في كثير من المواضع من القواعد التي نقرأها في كتب النحو المتداولة بين أيدي الطلاب حتى اننا لا نتجاوز الحق إذا قلنا إن هذه الكتب وحدها لا تكفي لاعراب بعض آيات القرآن بل لا بد من الاستعانة بالتفاسير للتمكن من الاعراب . وإلا فكيف نعرب كلمة « الصابرين » في قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء » . كيف نعرب كلمة الصابرين المنصوبة هنا مع كونها معطوفة على جميع المرفوعات التي سبقتها إلا إذا عونا المفسرون ؟

ولا شك أن الذين يتلقون الدراسة العالية في الأدب والنحو وفقه اللغة يتعمقون في ما يتعلمونه أصول القواعد وتطوراتها ويقفون على الأدوار التي مرت بها ويعرفون ما هجر منها وما بقي فاذا قرأ أحدهم قول الله تعالى : « إنّ هذان لساحران » — وهي قراءة معترف بها الى جانب القراءة الثانية : « إن هذان لساحران » — فهو لا يقف حائراً عند « هذان » كما يقف طالب شهادة الدراسة الثانوية ولا يتساءل لماذا لم ينصبها القرآن وهي واقعة في اسم إن . ثم إن صاحب الدراسة العالية لا يقف عند هذا الرفع الذي يبدو شذوذاً وما هو بالشذوذ بل سيعلم من أول

معرفة أن الكتاب الكريم نزل بمختلف لغات العرب وأن من تلك اللغات لغة بني الحارث التي كانت تلزم المثنى بالألف في جميع حالاته وأن في قوله تعالى « إن هذان لساحران » استعمالا لقاعدة كانت موجودة ولكنها هجرت الآن فلا تحتويها كتب النحو المتداولة

ومتى قررنا أن القرآن الكريم ليس في متناول رجل الشارع بل ولا في متناول المتعلم العادي وأن دراسته ودراسة أسرار نحوه وقف على خاصة الخاصة من المتعلمين ، وجب أن نعترف بأن لا خوف على كتاب الله من ذلك التعديل الطفيف الذي نقترحه ، لأن خاصة المتعلمين ستتعلم النحو المعدل والنحو القديم معا ، وستعرب القرآن طبقا لقواعد النحو القديم رغم أخذها بالنحو الجديد كما نعرف اليوم قواعد بلحرث ولا نعمل بها ، ولأن عامة المتعلمين يستوي لديها هذا التعديل وعدمه ما دامت تجهل أسرار نحو القرآن ولا تطمع في تعلمها

ألسنا نحن عامة المتعلمين نقرأ اليوم القرآن الكريم ونفهمه رغم سمو نحوه عن النحو الذي ندرسه في المدارس سموا يكاد يصل الى حد الاختلاف ؟

ألسنا نقرأ قوله تعالى . « جنتان … ذواتا أفنان » ونراه يثنى « ذات » ذواتا مع أن نحونا يقول أن مثنى ذات « ذاتا » ؟

وقوله تعالى : « رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » فنفهم المعنى وإن فات بعضنا سر جزم « أكن » مع كونها معطوفة على فعل « أصدق » المنصوب بفاء السببية ؟

وقوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » فنفهم معنى الآية وإن كنا لا نفهم لماذا قال « كن فيكون » بدلا من « كن فكان » ما دام سياق الرواية كله في صيغة الماضي ؟

وقوله تعالى : « يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما » فلا ندرك سر نصب « الظالمين » إلا عندما يقول لنا المفسرون أنها منصوبة على التخصيص ؟

وقوله تعالى : « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين » فنسأل كتب النحو لماذا لم يقل « طائعتين » بدلا من « طائعين » وهو يخاطب مثنى والمجيب مثنى أيضاً ، فلا تسعفنا كتب النحو بجواب وإنما يسعفنا المفسر بقوله ان المجيب هنا هم سكان السماء والارض فنفهم المعنى وإن اختلفت القاعدة ؟

وقوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا » فنفهم المراد وإن عجب لتأنيث العدد مع أن المعدود مذكر . وإذا قيل لنا ان السبط يذكر ويؤنث فسنظل نعجب من جمع المعدود ونتساءل لماذا لم يقل « اثنتى عشرة سبطا » ؟

وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون من آمن بالله . . الخ »

فنعلم معنى الآية ونبحث في الوقت نفسه رفع «الصابئون» رغم كونها معطوفة على المنصوبات التي قبلها وكلها واقعة في اسم إن ؟

وقوله تعالى: «لكنِ الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر» فنعلم أيضا معنى الآية ونحن لا ندري من سر نصب «المقيمين الصلاة» مع كونها معطوفة على المرفوعات التي سبقتها وأعقبتها إلا ما يقوله المفسرون من أنها وحدها منصوبة على التخصيص ؟

فهل خلا نحو القرآن على نحو ما تأولوه وغيرنا من إعرابه وفقا لما درسنا من القواعد دون فهم القرآن على وجهه الصحيح ؟ وإذا كان ذلك فأي خوف عليه إذا زدنا هذا الحالي زيادات طفيفة تجعل النحو العربي أقرب إلى المنطق وأيسر على الفهم وأسهل على التدريس والتطبيق ؟

ثم إذا كان المراد بالمحافظة على النحو الحالي المحافظة على كتاب الله كما نزل، فكتاب الله بأسرار أساليبه وأسرار نحوه وأسرار بلاغته محفوظ عند المتخصصين والمتوسعين في اللغة والنحو، ولدينا من هؤلاء بين خريجي الأزهر ودار العلوم وكلية اللغة العربية وكلية الآداب فوق الكفاية. أما إذا كان المراد بالمحافظة على النحو الحالي جعل القرآن الشريف في متناول رجل الشارع والمتعلم العادي وطلاب المدارس الثانوية فذلك خطأ في تصور الأشياء ومطلب مستحيل

ثالثا ـ الدين الإسلامي ليس وقفا على المتكلمين بالعربية بل هو شائع بين مسلمي الصين والهند وروسيا وتركيا ويوغوسلافيا وغيرها، وهؤلاء المسلمون المنبثون في مختلف بقاع الأرض والذين يبلغ عددهم عشرات أضعاف عدد المسلمين المتكلمين بالعربية لا يعرفون اللغة العربية ولا نحوها وهم رغم ذلك مسلمون لا شك في إسلامهم يتلقون أحكام القرآن من أساتذتهم وفقهائهم، فهل ضاع الإسلام في تلك الأمم التي تدين بالقرآن وهي لا تعرف له نحوا ولا صرفا ؟

وهناك اعتراض ثالث يتعلق بالأدب العربي القديم ذلك التراث الفني الثمين الذي يجب أن نعض عليه بالنواجذ في سبيل المحافظة عليه. فيقول بعضهم: كيف نقرأ هذا الأدب وكيف نفهمه إذا عدلنا عن نحوه إلى نحو آخر ؟ وجوابنا على هذا الاعتراض هو نفس جوابنا على الاعتراض بالقرآن الكريم: فالأدب العربي القديم من شأن خاصة المتأدبين لا عامتهم، وهذه الخاصة تدرسه كما يدرس طلاب الأدب في الجامعات الراقية أدبي اليونان واللاتين بنحوهما وصرفهما فلا يضيع كما لم يضع هذان الأدبان. وإلا فمتى كان أدب الجاهليين والأمويين والعباسيين في متناول العامة حتى نخشى عليه أن يضيع منها ؟

ولسائل أن يسألنا: «أليس في أجروميات أرقى اللغات الأوروبية وأوسعها انتشارا عقد ومشاكل وشذوذ كالتي نجدها في النحو العربي ؟ فما بال تلك الأمم ترضى بأجرومياتها ولا تبرم بها ولا تتناولها بالتغيير والتعديل ؟»

والجواب على ذلك أن الأجرومية الفرنسية مثلاً لا تخلو من التعقيد والغموض ولكن عقدها وشواذها لا تبلغ عشر معشار تلك التي صادفها في النحو العربي . ومع ذلك فالفرنسيون لا يترددون عند الحاجة في تعديل أجروميتهم بل ومفرداتهم بغية التيسير والتسهيل كلما لاح لهم وجه التعديل . ومما فعلوه في هذا الباب أخيراً عدول علمائهم عن القاعدة التي كانت حتى عهد قريب تقول بأن الكلمات : Amour, Délice, Orgue تكون مذكرة في المفرد ومؤنثة في الجمع ، وتقريرهم أن تبقى هذه الكلمات مذكرة في الحالتين . ولقد رأى الأديب الفرنسي المعروف مارسيل بريفو في كلمة Féminité مقطعاً لا موجب له غير هجاء الكلمة فحذف المقطع الزائد وصيرها Féminté وجعلها عنواناً لأحد مؤلفاته وقد وافقه المجمع العلمي على ذلك وأدخل الكلمة برسمها الجديد في معجمه

ولقد أصدر وزير معارف فرنسا منذ سنوات قراراً وزارياً إلى الطلبة والممتحنين يقضي بأن لا يعتبروا خطأً نحوياً جمع الكلمات السبع المعروفة : Caillou – Hibou – Chou الخ بحرف S بدلاً من حرف X الذي تحتمه كتب الأجرومية . وبأن لا يعتبروا خطأً جمع كلمة vingt, cent بحرف S في قولهم : trois cent-deux, quatre-vingt-deux وجمع الأعلام بحرف S بعد أن كانت لا تجمع إلا بأداة التعريف التي تسبقها

وبعد فلِمَ كان شبح التيسير ميسوراً لنفس القادرين على التعلم !

● ● ●

تلك آراء عنت لي صورتها وما أبغي من ورائها إلا الإصلاح والتيسير فليتناولها الباحثون والنقاد على أنها عبارة بريئة ترمي إلى تحقيق غرض شريف . وليعلموا أن العدل يقضي بمناقشة الرأي وتقليبه على وجوهه المختلفة قبل الحكم فيه ، وأنه لا شيء يفسد المناقشة ويسممها إلا سبق إصرار أحد الطرفين على تسفيه رأي الطرف الآخر قبل استيعابه والإلمام بكل نواحيه

حسن الشريف

غرام مكسيم جوركي :

بين عقل المفكر وقلب الشاعر

بقلم : ابراهيم المصري

كان مكسيم جوركي في مستهل شبابه واقعا تحت تأثير كاتبين كبيرين ، احدهما تولستوي والآخر فريدريك نيتشه . وكان ميالا بطبيعته الى الأول : يحب الشعب ، ويعطف على الفقراء والبائسين ، ويدين بمذهب تولستوي في وجوب اقرار العدل والمساواة بين الناس ، واحلال المحبة والرحمة محل العنف . ولكن عنفه الذاتي وذكاءه المتوقد وشعوره العميق بتفوقه ونبوغه ، ورغبته الشديدة في توكيد شخصيته وابداع أعمال أدبية عظيمة تخلد اسمه على مر الأجيال ، كل هذه العوامل كانت تشيع في نفسه الثائرة الساذجة ضربا من الكبرياء يقربه من نيتشه ويحبب اليه تعاليم هذا الفيلسوف القائمة على الاشادة بفضائل القوة واحتقار الضعف والضعفاء .

وكان جوركي الشاب يؤمن ايمانا عقليا متأصلا بأن من حق العظيم أن يعبث بالقوانين الموضوعة ويستخف بالعرف الاجتماعي ويسعى لخلق قانونه الخاص الذي يمهد له سبيل العمل والتفوق ، ويرغم الآخرين على احترامه ويشعرهم بأن العبقري انسان ممتاز لا يمكن أن يسري عليه ما يسري على السواد من آراء وأفكار وعادات ونظم .

هذه الفكرة تملكت جوركي ردحا من الزمن وملأته زهوا وخيلاء وقطعت الصلة الوثيقة بينه وبين جوهر طبيعته واحالته مخلوقا عصبي المزاج سريع التأثر متمردا متعجرفا وجعلت منه أديبا متطرفا مستبدا .

وفي غضون هذه الأزمة العقلية النفسية تعرف جوركي الى الفتاة التي كانت أول غرامه والتي دفعت ضحية استبداده ، والتي حررته آخر الأمر من نزعات التسلط والقسوة وردته في النهاية الى ينبوع طبيعته الاولى .

كانت تدعى ليديا سوكولوف وكانت ابنة أحد المزارعين الأغنياء . وقد وصفها الناقد (جورج جلوار) في كتابه عن جوركي بقوله : « عينان زرقاوان صافيتان وشعر كستنائي مجعد ووجه يضاهي كوجوه القديسات ، وصوت ناعم رخيم ، ومس من الأسى ينسكب من هيكل نحيل رائع الفتنة شعري التأثير ارستقراطي المظهر . »

أحبها جوركي وكلف بها واتخذ من جمالها وحيا له ، وأراد في نفس الوقت أن يجرب عليها قوى شخصيته ويمتحن صرامة خلقه ويطبق تعاليم استاذه نيتشه

وكانت الفتاة بريئة القلب والعقل ، ناضرة الذهن والروح ، فتفتح فؤادها للحب تفتح الزهرة الندى ، واستفاقت عواطفها ، واستضمت ضمها لذلك الشاب الساحر الوجه والحديث

ولم يكن جوركى جميلا ولكنه كان حلوا

كان يتحدث اليها فيخيل لها أنه يضع العالم بأسره تحت قدميها وكان يخرج بها الى النزهة فى الحقول ، فتحس لفرط ما يخلع حديثه على الأشخاص والأشياء من خيال وشعر ، ان الكون قد ازداد جمالا وان فى السماء وعلى الارض آيات من الحسن كانت تجهلها فكشف عنها الشاب غطاءه وصب عليها ضوءا ساطعا يأخذ بمجامع القلوب ويخطف رونقه الأبصار

وكان جوركى يحب الفتاة ولكنه لم يفكر فى اغوائها . لم يخطر على باله لحظة واحدة أن يعبث بها ويعبث بعفافها . بل كان يتطلع الى امتلاك قلبها فقط . الى احتلال هذا القلب والتصرف فيه كيف شاء . الى الاستبداد به والشعور بلذة القوة فى السيطرة والتنكيل والاستعباد

وصحبت له ليزا واطمأنت اليه ووثقت به وحلمت تلك النفس بزواجها منه يوما ، ولكنه لم يتقيد أمامها بوعد صريح وظل يحاور ويداور ويمعن فى ابتكار وسائل الجذب والاغراء ، حتى أولعت به الفتاة أشد الولع وأسلمته قيادها وغيبت فى حبه بكل ما أودعه الله فى نفسها البريئة من خيالات وأحلام

وعندئذ لاح لجوركى أنه فى وسعه الاقدام على تحقيق الغاية الكبرى التى كان يرمى اليها من وراء هذا الحب

والواقع أنه كان شاذ النزعة والتحليل . كان تأثير نيتشه قد استحوذ عليه وأفسد ملكاته العليا . كان يود فى قرارة ذاته أن يستبد بليزا ليعلمها كيف تستبد بالآخرين . .

كان يود أن يشعر ليزا بقوته لتدرك هى أيضا قيمة القوة فتطهر نفسها من عوامل الشفقة والحنان والرحمة والضعف وتصبح مخلوقا جديدا قويا يشعر جوركى بأنه هو الذى أوجده ومثل فيه خلاصة تعاليم نيتشه ! . .

تلك كانت غايته البعيدة : تحويل الحب عن مجراه واستغلاله فى سبيل تطبيق مذهب عقلى

وشرع يستبد بالفتاة غير حافل

كان يفرض عليها المشى الطويل حتى تتورم قدماها وتوشك أن تسقط على الارض اعياء ، كان يفرض عليها البساطة المطلقة فى ملبسها والتجرد من كل أناقة ، كان يحتم عليها القسوة فى معاملة الفلاحين ، كان يروضها على التحفظ فى حركاتها واشاراتها وحديثها مع من هم دونها فى المركز الاجتماعى ، كان يدربها على مطارحة الارستقراطيين وزمالتهم ، كان ينصح لها بتجويع نفسها وتعود حياة الخشونة والتقشف

وبالاجمال كان يود أن يتمثل حبه لها فى قدرته على جعلها نسخة من تعاليم نيتشه

وكانت ليزا تعتقد أن هذه هي أخلاق جورك فكانت تطيعه حبا ومرضاة له وتدليلا على وفائها التام واخلاصها العميق

ولم يكن جورك ليدرك مبلغ مالي هذا الحب من حرارة وصدق . ولم يكن ليفهم أن الحب الشديد يجري بالمحاكاة ويوحي بالتقليد . فظل يلقن الفتاة مبادئه سعيداً بهذه العاطفة التي استل منها داء الشهوة ورققها وطهرها وسما بها الى عالم الجهاد الفكري

والأعجب من كل ما تقدم أن هذا الجهاد الفكري الذي كان يسميه جورك حبا ، لم يتخذ في صميم نفسه طابع الجد ، ولم يعتقد الشاب أنه قد يتطور تطوراً خطيراً ويمكن أن يفضي الى كارثة

كان جهاداً فيه شيء من اللهو ، وكان في الحقيقة مروراً بالنفس ، وزهواً بالتحكم في فتاة جميلة ، ورغبة خفية في التمتع بلذة غريبة نادرة

ولذلك غفل جورك عن مواجهة الواقع وعراه ذات يوم شبه ذهول !

تبدلت شخصية ليزا شيئاً فشيئاً . زايلتها عذوبة صوتها ورقة حديثها وفتنة أساها وجاذبية وداعتها . شحذت أعصابها واخشوشنت قوامها وغلظ قلبها وتحجرت عواطفها وغادرتها تلك الرحمة الساحرة التي كانت سر جمالها

أصبحت وكلها تفكير ومنطق وعقل . منطق صارم جاف ، وفكر مستبد عنيد ، وعقل ضيق متطرف . فكانت تسرف في زجر خدم البيت ، وتبالغ في رقابتهم ، وتعد عليهم أبسط الهفوات وتقسو على الفلاحين ولا تتسامح معهم وتحاسبهم على أقل هفوة حسابا عسيراً . وكانت تحمل نفسها فوق طاقتها ، فتصوم عن الأكل الساعات الطويلة ، وترتدي الاثواب العاطلة الخشنة ، ولا تلازم الفراش اذا مرضت ، ولا تستخدم طبيبا ، ولا تعتمد على أحد في دفع الأذى عنها أو في تأدية واجب عليها أو في معاونتها في أي شأن من شئون البيت

وليس شك في انها اكتسبت من تعاليم جورك بعض فضائل ذات قيمة ملحوظة في الحياة ولكنها لفرط ما أرادت أن تروق في عين حبيبها ، غالت فيها وشوهتها وأضافت اليها ما قد يكون ليس منها ، وهكذا بعثت أفكار جورك في صورة دميمة روعته ، وبعثت له شخصية ليزا في صورة لم يكن ليحلم بها

والحق ان انفعال الفتاة مظهراً يخالف طبيعتها ويتعارض وجوهر اخلاقها هو السبب الرئيسي في المأساة التي انتهت بتقويض صرح غرامها

استهول جورك ذلك التبدل الذي طرأ على الفتاة ، وكان ما يزال يحفظ في ذاكرته طبعها الجميل الاول ، فقابل برهمه ووازن بين ما كانت عليه حبيبته وما آلت اليه ، فبهت واندهش ولم يستطع أن يحب بخصائص الانسان الجديد الذي ابتدعه هو

لم يستطع أن يحجب بقسوتها وغلظتها بل خيل اليه أن صاحبته المحبوبة قد مسخت جنياً .

وحدث فى نفسه على مر الايام تطور غريب . فكان يشعر بها إذ يبصرها تثير حلوما شططا أليما ، ويحقد عليها إذ يشاهدها تلطم وجه فلاح مسكين ، ويكاد يكرهها إذ يلمع على عينها ابتسامة راضية عن نفسها مطمئنة الى سعادتها وحبها

ولكن أن تثبت الأشياء صحتها ، وأحس جوركي أن شخصية الحقيقية تستيقظ وتتمرد وتثور فى سوء الشخصية الجديدة التى اصطنعها ليزا ! .

وبينا كانت الفتاة تقسو على الضعفاء كان يشعر هو بالشفقة عليهم ، وبينا كانت تهرم كل يوم هو لو يستحرم لها ، وبينا كانت تلطم فلاحيهم كان يشعر هو لو يستطيع تقبيل قدميه !

ارتد جوركي الى أصله وخيبت الفتاة حيث أرادته أن تكون . وعبثا حاول التحول بها عن تيارها مرة أخرى ، فقد كانت تلومه بغرورها على ضعفه وتسخر بطيبة قلبه وعطفه على الاشقياء بها وتحقره حتى السواطف وتعدد أمامه مساوئ القوة باعتبارها مثلا أعلى

وانطلقت ليزا تسرف فى استخدام تلك الفضائل فيزداد أثر السخط فى نفس جوركي وينصرف قلبه عنها

استحال حبه الى حس مقرون بالجزع والرعب . بدأ يلمس فى الفتاة كل ما يكره . بدأ يدرك انها أصبحت على نقيضه فى كل شيء ، بدأ يفهم انه لم يحب منها إلا الصورة القديمة التى تطابق مزاجه الأصيل والتى شوه معالمها ثم مزقها تمزيقا

وأحس الألم يطغى عليه وونخز الضمير يكتمه ، ولكن عاطفة السخط كانت أقوى منه فصد عن الفتاة رغمه وأفصلها عنه جهد المستطاع

ودهشت ليزا واستغربت هذا الانقلاب المباغت واستحوذ عليها شبه يأس وحزن

فكانت لا تدرى ماذا فعلت ولا أى الذنوب ارتكبت ولا كيف تصل حبيبها ولا أين رآه وتتصدت اليه ولو خفية

احتجب عنها . سافر فجأة إلى موسكو . لم يرد اليها رسائلها ولم يبعث اليها بخطاب فتشجعت وذهبت إلى داره ولكن أهله أوصدوا بابهم دونها . انفلت نفسها وأراقت ماء وجهها وفضحت حبها واستخبرت عن مكانه من أصدقائه ولكنهم أعرضوا عنها وتبرموا بها

عندئذ تملكها القنوط وحجبت على حياتها ظلمة حالكة فانطوت على نفسها وتبدلت أخلاقها واستوحشت ونفرت من الناس وأصبحت شبه ناسكة

وتطورت شخصيتها شيئا فشيئا ، واتجهت أفكارها وعواطفها وميولها وجهة دينية محضة ، فكانت تصوم وتصلى وتقضى فى الكنائس نصف نهارها وتشترك فى أعمال الجمعيات الخيرية وتتصل بالقساوسة وتعيش فى عالم روحانى علوى وحدت فيه العزاء والسلوى

واستولى عليها الشعور الديني وتمكن منها مقتت الدنيا وبرمت بالأهل والأصحاب وزهدت لكل لذة ومتعة وتاقت نفسها إلى الفرار من نفسها ومن حياة ملؤها الألم والخيبة

وفي مساء يوم من الأيام خرجت ليزا من بيتها وقد اتشحت بثوب أسود وأرخت على وجهها الشاحب نقاباً كثيفاً ، واتجهت بخطى ثابتة صوب دير الراهبات كائن في أقصى القرية

ودخلت الدير واحتجبت عن العالم وفي أقل من لمح الطرف أسدل على حبها وشبابها الستار

وشاء القدر أن يعود جوركي إلى القرية بعد دخول ليزا الدير بنحو أسبوع . فما إن علمه النبأ حتى أجفل وانتفض ورزح تحت عبء مسئوليته ، وأسرع من فوره فاتصل براهبة الدير والتمس منها أن تسمح له بمقابلة ليزا . ولكن ليزا كانت قد ودعت الدنيا ونذرت العفة طول الحياة ، فرفضت مقابلته وأبت أن تراه . وكان جوركي واقفاً إذ ذاك بباب الدير يستجدي الرحمة والمغفرة ، فما صارحته الراهبة الرئيسة بإرادة ليزا انقبض قلبه وامتقع لونه وأحس كأن يداً قوية خنقته ، فأذعن لمشيئة الله وانحنى في احترام ، ثم استدار وانصرف وقد طفحت من عينيه الدموع

وكان لهذه الحادثة أكبر الأثر في حياة جوركي فقد ردته إلى طبيعته الأصلية وأيقظت فيه نزعة المحبة وملأته معنى الرحمة ، وخلقت منه ذلك المفكر الإنساني النبيل الذي عاش ومات مجاهداً في سبيل البؤساء والمحرومين !

ابراهيم المصري

كليوبطره

قصيدة للأستاذ عبد الرحمن صدقي

سليلة أقيال البطالسة الغر   أغاروا على عرش الفراعنة الحمر
لها من بنات الجن روح مؤجج   وحسن حوى كل الغواية والطهر
جننا بذكراها فكيف بمن عشق   لطلعة من نسي الأواخر بالذكر
فيا ليت رجعى للقديم من العمر

•••

إذا ازدحمت بالساحرين المعابد   وقد عطرتها بالبخور المواقد
وقاموا يزجون الظلام تزعماً   لتسعف في السحر المبين الشدائد

فإن عيون الساحرين جميعها — طوامح لحظ من لحاظك واحد

فيا ليت رجعي القديم من الدهر

• • •

إذا أضرموا النيران فوق المذابح — فمن أجل قربان الى الرب صالح
كذلك شبت في خدودك حمرة — تبيح بموت العاشقين الطوامح
وهل حكمت للارضين الا الهة — يسعى اليها كل أروع واضح

فيا ليت رجعي القديم من الدهر

• • •

إذا سجعت فوق السفين السوامر — وقد صدحت في كفهن المزاهر
وجاوبها بالشدو نيلٌ مباركٌ — روت علها منه العصور الغوابر
فضحكك عند البائسين ألههم — ولو أنه بالبائسين لساخر

فيا ليت رجعي القديم من الدهر

• • •

إذا أرهق الرهبانَ قطعُ المخارم — وأرهقهم في القفر لفح السمائم
وحُمّ الردى لولا عيونٌ رويّة — ترقرق من بين الصخور الصلادم
فأقبح منها رشفة كوثرية — ترفّ على صدى الشفاه الحوائم

فيا ليت رجعي القديم من الدهر

• • •

فيا ليت رجعي للقديم من الدهر — فنلمحها ما بين أروقة القصر
جلتّها لنا الأعيادُ في حلة النصر — تميس ولكن في وقار وفي كبر
وقاد الخيول المشرفات على النهر — يرعها ضوع النسيم مع الفجر

فيا ليت رجعي القديم من الدهر

عبد الرحمن صدقي

الأقيال: الملوك — عشا الى النار: نظر اليها مستضيئاً — يرجى: يجمع — المتالد: جمع متيد — الأروع: هو الرائع بحسنه وشجاعته — السوامر: الجواري يحيين عالي الليل — المزاهر: العيدان — المخارم: الطرق الوعرة — العيون الروية: هي الينابيع التي تروى الظمآن

إلى مصر المسلحة :

أزياء الحياة

قصة تاريخية رمزية من وضع هيبة بن المشرج
مثلتها في بلاط أبي السماء فرقة عربية سنة ٩٦ هـ

بقلم الأستاذ أمين الخولي
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

— ١ —

ثورة الفن

بالأمس رجت الفن الحائر ، وسمعت أولئك الذين لا يدركون من وحي الجمال إلا أكتاز اللحم ، وجهارة اللون ، وسالة العين ، في نشوة معربدة ، يدركها أريج عنبر عبل ، ونثيرها حيوانية جامحة ، فهبط فيهم وقفة مبدعم تلك التقتلات ، يبعث الرجل منهن بالبلقت والأساير ، ويبعث في التقطيع منهن ، حيث التيس والوعل ، فإن التصد مواجهة من يمينه ، وأخرى من شماله . ثم يزعمون ـ لاصدق لهم ظن ـ أن هذا هو الفن : عبل الحياة الوحشانية ، ومسرح الشعور الانسان ، وحاجة الجماعة المتحضرة والأمة الناهضة ، حسبها أن تظفر منه بالمشبع للنهم ، فتنال من أسباب الحياة أوثقها وأقواها ، وحسبهم أن يصوها من ذلك بغير الضرورة ، وباعث الشبق ، فيكونوا القادة الأبطال . ولا على الامة قبل ذلك أو بعده أن تدير الحيلة ، أو تشغل بما وراء هذا الفن ، فقد حلقت في السماء ، وسامت الجوزاء ، ثم لا عليهم بعد ذلك أن يكونوا شيئا غير الذي كانوه ، فهم الأبطال الشهداء .

وعلى غرار هذا قد يتحدث متحدثون في مصر عن رسالة الفن والأدب والصحافة ومير هذا مما اصطنع المحدثون وجددت الحضارة ، فيبدى حين مصر محلا ، وتتور فيها بقية من حية ، وأثارة من شهامة ، مما تركت من رجولة وإباء ، فيرى شبابها ذلك كله ، ويدرك الخطأ والخطر ، فيحتج عليه في سره وجهره ، وقوله وصله

وحين كنت أتمثل من نواميس الاجتماع ، وقوانين الحياة ، ما يجري الشباب الرشيد ، بالخطة الصالحة ، والسلوك السديد ، جاءت الصلة إلى الناس فيما فيه من فهم الأقدمين لهذه النواميس ، وإدراكهم لتلك القوانين ، فلا يزال جديداً حيا ، صادقاً صائباً ، يهدي اليوم للتي هي أقوم ، كما هدى منذ بضعة عشر قرناً ، فآثرت أن أذكر منه مصر للصلحة ، جليلة الشرق للتناسل ، بهذه المحاولة التي ألفت في مراجع التاريخ[1] قصة رمزية دقيقة مؤثرة صادقة

— ٢ —

جو القصة

في العام السادس والتسعين للهجرة ، عصر بني أمية ، والأمر مستوسق والفتح يشتد ، وقد جازت الدولة الإسلامية الصين ، وفتحت كاشغر ، ونالت من أقصى الشرق من النبأ العظيم ، الذي سرى من أرضه . فكتب ملك الصين إلى قتيبة بن مسلم الباهلي قائد الجيش الإسلامي في تلك الأنحاء ، أن ابعث إلينا رجلا من أشرافكم من معكم يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم . فانتخب قتيبة من عسكره رجالا — اثني عشر أو عشرة — لهم جمال ، وأجسام ، والسن ، وشعور ، وبأس ، كلهم وفطنهم ، فرأى عقولا وجمالا . فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح ، والمتاع الجيد ، من الخزوز والوشي ، والقيلق من البياض ، والرقيق والنعال ، والعطر ، وحملهم على خيول مطهمة ، تقاد معهم ، ودواب يركبونها

وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوها بسيط اللسان ، فجعله رأسهم ، وسأله : كيف أنت صانع ؟ فقال هبيرة : أصلح الله الأمير ، قد كفيت الأدب ، وقل ما شئت أقله ، وآخذ به . فألقى إليه قتيبة مقاله السياسية ، وترك له ما عداها . فكان هبيرة واضع القصة التي مثلتها تلك الفرقة الإسلامية العسكرية في بلاط الصين ، بحضرة ملكها « ابن السماء » ووجوه دولته على ما ترى من مناظر وحوار[2]

— ٣ —

المنظر الأول

(رجال الفرقة ، أرخاقة واناقة قد لبسوا ثيابا بيضاء تحتها الغلائل الرقيقة ، ثم مسوا الغالية — الطيب — وتبخروا ، وعليهم الأردية ، وفي أرجلهم نعال جدد)

---

(١) راجع تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري ٨ : ١٠٠ — ١٠١ ط الحسينية بمصر — والكامل لابن الأثير ج ٥ : ٢ — ٣ ط مصر

(٢) الوصف والحوار تاريخي منصوص في المصادر السابقة إلا ما كان من جو الوصف مبتكرا [illegible]

(يفدون على هذه الحال الى مجلس ملك الصين في أبهته المتجددة ، وحضارته الآسيوية في بهو فخم مزين بأفخر الرياش ، وأطرف الفن الصيني ، وحوله عظماء مملكته)

يجلس رجال الفرقة فلا يكلمهم أحد ، لا الملك ، ولا أحد حاشيته ، حتى يخرجون)

الملك لحاشيته ـ كيف رأيتم هؤلاء

وجوه الحاشية ـ رأينا قوما ما هم إلا نساء ، ما بقي منا أحد حين رآهم ، ووجد رائحتهم إلا حنث نفسه »

— ٤ —

المنظر الثاني

(رجال الفرقة الاسلامية في لباس الوشي ، على رءوسهم عمائم الخز ، قد أسبلوا مطارفهم ، يسعون فيدخلون على الملك في بهوه السابق ، فيسلم عليهم ، ويؤذن لهم بالانصراف)

الملك لحاشيته ـ كيف رأيتم هذه الهيئة

الحاشية ـ هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولى ، وهم أولئك !!

الجميع : « في حيرة من الأمر »

— ٥ —

المنظر الثالث

(رجال الفرقة الاسلامية ، قد شدوا عليهم سلاحهم ، لبسوا البيض والمغافر ، وتقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح ، وتنكبوا القسي ، وركبوا خيولهم ، « وفي الخيول التجافيف ـ دروع الخيل ـ فتلمع الفارس والفرس » . يقبلون على ملك الصين فيلحظهم من بعد)

الملك لنفسه ـ أمثال الجبال مقبلة

(رجال الفرقة يدنون يركزون رماحهم ، ويقبلون متنمرين . الملك وحاشيته قد بعث عليهم علائم الخوف . الملك يشير بارجاعهم ، فيختلع رجال الفرقة الرماح ويحثون خيولهم يتطاردون في حركات فروسية رهيبة)

الملك لحاشيته ـ كيف ترونهم

الحاشية ـ ما رأينا مثل هؤلاء قط

(يأذن الملك لزعيمهم هبيرة بن المشمرج ، فيدخل مسلما سلاما عسكريا ، فيدنيه الملك من مجلسه)

الملك لهبيرة ـ قد رأيتم عظمة ملكي وأنه ليس أحد يمنعكم مني وأنتم في بلادي ، وإنما أنتم بمنزلة البيضة في كفي

(هبيرة في غير اكتراث يبتسم ابتساماً يسيراً)

الملك ـ أنا سائلك عن أمر فإن لم تصدقني قتلتكم

هبيرة ـ في هدوء ـ سل

الملك ـ لم صنعتم ما صنعتم من الزي في اليوم الأول ، والثاني ، والثالث ؟

هبيرة ـ أما زينا الأول فلباسنا في أهلنا وريحنا عندهم . وأما اليوم الثاني فزينا إذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث ، فزينا لعدونا فإذا هاجنا هيج وفزع ، كنا هكذا كما ترى

الملك ـ ما أحسن ما دبرتم دهركم

هبيرة ـ « هذا ما دبر الإسلام من أمرنا »

الملك ـ والآن فانصرفوا إلى صاحبكم فقولوا له ينصرف ، فإني قد عرفت حرصه ، وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه

هبيرة ـ كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟

الملك ـ « ألا تخافون الموت والقتل »

هبيرة ـ نخاف الموت والقتل ! ! إن لنا لآجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نهابه

الملك ـ فما الذي يرضي صاحبك ؟

هبيرة ـ إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختم ملوككم ، ويأخذ الجزية

الملك ـ « أو هكذا ؟ لا غير ؟ »

هبيرة ـ « إلا القتل والقتال »

الملك ـ فإنا نخرجه من يمينه ، « وله ملتمس » . سأبعث إليه صحافاً من ذهب فيها تراب أرضنا يطؤه ، وسأبعث إليه بالحرير والذهب وجزية يرضاها ثم بأربعة غلمان من أبناء ملوكنا يختمهم ، ولكم من جوائز حسان

هبيرة ـ « سنحمل إليه ما ذكر الملك ، ليفعل ما يرى »

فكرة الإسلام

ذلك ما يروي التاريخ من صنيع الجيش الإسلامي ، حين أراد أن يعرف ملك الصين وقومه بالإسلام وإنها لقصة فيها دقة الرمز وسموه ، وإن تكن قصة لم ينسجها خيال صانع ، يزجي حوادثها

في أعراب وأدهاش ، الى عظمة يحق في حلها . لكنها في كل حال تجسيم لفكرة متوثبة الحياة ، دقيقة المعنى ، مست من طبقة الكون مشكلة واقعة عميقة ، فظفرت القصة — في سذاجتها — بحظ من الخلود ، والجدة الدائمة

قصة لم يصنعها خيال يستقطر الوحي من السماء ، ويستلهم الفن من سرف اللذة ، وجموح الشهوة ، وسلطان الغريزة . بل صنعها خيال يؤمن بحق الحياة في الفن ، ونصيبها من العاطفة ، وقسطها من الترف الروحي . إلا أنه يرفع الفن الى قدس طهرته كرامة الانسان ، ويسمو بالعاطفة الى ملء القلب لا ملء العين واليد . ويحن الى الترف الروحي ، بعد أن يشوقه الى المركب الخشن ، والجد العنيف ، في سبيل الحياة الكريمة

قصة صنع بها البدوي وهيرة فكرته ، بل فكرة الاسلام التي علمه اياها ، وهي أن الحياة أزياء وألوان ، ولها وجوه وجوانب ، فصاحب الجمال والفن ، والنعمة والايناس ، والاخلاد الى الأحياء والأخلاء ، وهو ما أبرزه لتلك العين ، في الغلائل الرقيقة ، والطيب ، وقال له : هذا لباسنا في أهلنا ، وريحنا عندهم

وجانب العمل الجاد ، والتدبير المتسق ، في حكم جيش ، ونظام عامل ، وهو ما مثله في تلك المطارف والعمائم الموفورة وقال : هذا زينا اذا حثنا أمراءنا

ثم جانب الرجولة والشهامة ، والنجدة والبأس ، والحفاظ والذود ، وهو ما مثله هيرة في الشكة السابغة ، والحديد القاسي ، والسيوف اللوامع ، والخيل المطهمة ، وقال : هذا زينا لعدونا ، اذا هاجنا هيج وفزع ، كنا هكذا

لقد كانت — ولا تزال — تلك جوانب الحياة فهمها هيرة من تدبير الاسلام ، وحسبها لمن سأله عنه ، فأبرزها في حلاه : أن هذا الاسلام نظام محل بشؤون الحياة ، ومذهب اجتماعي يدبر الدنيا ، في جوانبها المختلفة ، ويلبس لها أزياءها المتنوعة ، لا يغفل جانبا ، ولا يجحد زيا ، فهل نتخذ نحن للحياة اليوم أزياءها ، في مثل ما فهم هذا البدوي ، فنكون ركبا في دولة ، أول حبلها في الصين وآخرها في منابت الزيتون ، هل تملك مصر اليوم هذه الأزياء في نحو نستطيع به تمثيل الحياة ؟ ما أحسبها إلا قد استكثرت من الغلائل والطيب ، حين أعوزها غير ذلك من مطارف ، ودروع ، وخوذ ، وسيوف ، وعدة ، وسلاح ، وليس يكفيها حاجة المبتنى أن يكمل لها زي الفن وحده — ان كان قد كمل — بل ليس الفن حق من لا يملك موطىء قدمه ، ولا يهيء لطمأنينته . .

أيها الشباب : تلك أزياء الحياة لمن شاء أن يمثل فيها دوره ، والويل ثم الويل للمرأة ، من لقي الصراع وقر المعركة . . فاعدي يا مصر أزياء الحياة ، وهيا فالبسها يا شباب بما لك في الحياة من حق وأمل

حسين متولى

الطبيعة لا ترحم

فلماذا لا نجاريها في شدتها ؟

بقلم الأستاذ محمود نجيب

تنازع البقاء وبقاء الأصلح قانون طبيعي يمكن تطبيقه على كل ما في الكون من نبات وجماد وحيوان في العالم المادي ، كما يمكن تطبيقه على كل ما في الأجيال والعصور من مدنيات وحضارات في العالم المعنوي . فالتنازع في الحياة قضية صحيحة وأمر مسلم به . فلا حرج من هذا التنازع أو « التنافس » متحضراً ، أثبت أنه صالح للحياة ، وضمن البقاء ما ثبتت له عناصر القوة

تسير الطبيعة منذ الأزل وفق هذا القانون لا تحيد عنه ، فالإنسان المعاصر أفضل على هذا القياس من الإنسان القديم المنقرض

ونقصد بالأفضلية أنه أصلح للحياة من أجيال السالف الذي لم يصمد في معترك التنافس الطبيعي فانهزم وباد

وإذا بحثنا عن العوامل التي يعتمد عليها « المنافس » في التغلب على خصمه ، كان من الصعب أن نعين هذه العوامل ، إذ أنها مختلفة باختلاف البيئات والأوقات والملابسات ، وباستقراء هذه العوامل نرى أنها تؤدي دائماً إلى الغلبة ، والغلبة رمز القوة . إذن فالقوة هي السلاح الناصر في ميدان تنازع البقاء ، فكل قوي منتصر صالح لأن يبقى

والقوة هنا كلمة جامعة للمعاني ينطوي تحتها في كثير من الأحيان كثير من المتناقضات ، فدقة الجسم وضآلته قوة في عالم الجراثيم ، فالجرثومة تستطيع أن تجد في حجمها الصغير المتناهي في الصغر حماية لها ، فتغزو أجسامنا وتفتك بها ، ومن ثم تبرهن الجراثيم على صلاحيتها للبقاء . فنحن إذا تكلمنا عن القوة فإنما نعني مختلف العوامل التي تكفل لصاحبها الغلبة والبقاء في معترك التنازع الطبيعي ، فهذا المعترك كالغربال يعمل على تطهير النظم اجتماعية كانت أو اقتصادية من عناصر الفساد والانحلال ، فلا يبقى في النهاية إلا النافع المفيد

وهذا النضال المستمر بين شتى العناصر الطبيعية تولده الأثرة وحب الذات ، وغاية المناضل أن يحمي نفسه ويحصل على النعمة لشخصه ، وهو يعتمد في إدراك غاياته على وسائل ، أقل وصف لها ، أنها مجردة من الرحمة كل البعد ، فالرحمة والنضال شيئان لا يتفقان طبعاً ، كنقيضين أحدهما

سالب والآخر موجب . فقانون تنازع البقاء وبقاء الأصلح لا يلتفت في عمله الى الرحمة ، إذ أن الطبيعة قاسية دائما في تصرفاتها ، وما دام الانسان يسير وفق الطبيعة في حياته ، ويتأثر هواها في ظلمه ، فهو لا يعترف بعاطفة الرحمة ولا يأبه لها ، وإن تظاهر بتمجيدها مغالطا نفسه أو عامة الناس من حوله

ان تجارب آلاف وآلاف من السنين قد أثبتت في وضوح الحقيقة أن الرحمة اذا دخلت في أمر أفسدته وقضت عليه ، فأبعدها من حسابه ولم يعمل بها ، إلا أنه على الرغم من هذا لا يمكننا أن نتجاهل وجود عاطفة الرحمة في العالم ، فإن ذلك عبث ، إذ هي موجودة ولكن بقدر ، ووجودها كوجود الأقلية المستضعفة في المجلس النيابي ، فهي لا تستطيع أن تعطل عمل الأغلبية ، وإن كانت قادرة على التخفيف من حدتها ، وقد رأينا الديانات جميعها تدعو الى الرحمة ، على أنها قد تضطر الى اهمال هذه الرحمة في بعض الشئون ، دفعا من كيانها ، ونشرا لتعاليمها

ولا شك في أن الأنظمة التي تقوم على أساس الرحمة وسيادتها الخالصة أنظمة فاشلة من شأنها حماية الضعيف على حساب القوي ، فهما تدافع عنها ، ومهما عطفها بسياج قوي فلن تضمن لها في النهاية الحياة ، لأنها تجافت عن الطبيعة فقدت عطفها ، وإن كل نظام يظل بمعزل عن قانون تنازع البقاء ، فلا يدخل معترك النضال ، ولا يثبت صلاحيته للحياة وفائدته للمجتمع ، هو نظام خيالي نصيبه الاهمال ، أو وقتي يسرع اليه الفناء . والطبيعة رحبة الصدر كثيرة الحلم ، لا تهتم بالوقت ، فقد تنقضي عشرات السنين على مقتها حتى تستقر الأمور ويبقى للنوع الصالح للمجتمع حاليا من الشوائب

وانه لمن الخير للانسانية أن نساعد الطبيعة في عملها فنبيح العمل بقانون تنازع البقاء ، إذ أننا مهما غالبناه ونعترض طريقه ، فلن نستطيع وقفه أو استبدال غاية أخرى غايته التي وضعها ، وإن كنا نستطيع في بعض الأحيان أن نؤخر سيره ردحا من الزمن يطول أو يقصر . ولقد أخذت دول كثيرة تعد حقها في تعقيم ذوي العاهات منعا لهم من التناسل ، وهي بذلك قد ساعدت الطبيعة في عملها لاختيار الأصلح

والقسوة التي يصطبغ بها قانون تنازع البقاء هي خير الانسانية ، لأنها تبيد الضعيف ، والضعيف لا خير فيه للعالم البتة : فاذا هالتنا من جهة قسوة المجاعات والحروب ، وجب علينا أن نقرر من جهة أخرى أن هذه المجاعات والحروب تخلص العالم مما هو زائد عن حاجته والحرب وإن كرهناها وبذلنا المساعي في اطفاء شررها ألزم لنا من غيرنا ، فهي أداة صالحة لهدم المدنيات الفاشلة وعلوها وابتلاع الدول الضعيفة . وقد رأينا الناس يتحدثون طويلا عن حرب المستقبل وويلاتها ، ويخوفهم أن تكون قاسية على حضارتنا الراهنة ، ولكن الأمر على حقيقته هين ميسور ، فهب أن حرب المستقبل ستقضي على حضارة اليوم ، أليس هذا أقوم دليل على أن هذه الحضارة قد

انحرفت من تلقاء نفسها ، لا لانطوائها على عناصر الفساد والانحلال ؟ ؟ أو ليس هذا نذيراً بقيام حضارة أخرى فتية قوية على انقاض حضارتنا الشائخة يكون منها أكبر نفع للهيئة الاجتماعية ؟ ؟ والحقيقة التي يجب أن نقررها في صراحة أن ما نشب اليوم من النزعات الانسانية - كحماية الضعيف والمتعطل وإفساح المجال للتناسل أمام ذوي العاهات - قد غدا في مدنيتنا عاملاً ينذر بسوء المصير ، فإذا تمادينا في تشجيع هذه النزعات فإنها ستعجل ساعة القضاء .

فلتعمد الرحمة كما تعمد أقراص الاسبرين لتخفيف الألم الوقتي ، أما ان تتخذها دواء موضوعاً لجسم المرض ويقتلع جذوره فأمر ينافي الطبيعة ، ومن ثم ينافي خير المجتمع ، إذ أن الطبيعة لا تعمل الا لتشمل المجتمع الخير

حقا ان الطبيعة لا تعمل الا لصالح العلم ، ولكن يجب ان نقرر أن عملها لا يخلو من مظاهر المحاباة ، فهي كثيراً ما تتجاهل حكم العدل ، وانا لنراها توزع المواهب على الناس توزيعا يدعو الى العجب والدهشة : هذا عاقل وذلك مجنون ، هنا ذكي وهناك أبله ، بينا نرى عبقريا اذا هو أبلم رجل لا مواهب له ، وبينا نجد شخصا قوي الجسم اذا هو هزيل ضعيف . هذا الى أن الطبيعة هي التي تهيء لصديقتها أسباب النجاح وتسلس له قياد الفرص ، في حين أنها تمر بآخر مشيحة بوجهها عنه ، لغير سبب ظاهر ، فيبقى طول حياته مصعوراً بالألم مغمورا في الظلام

.. ذلك هو نظام الطبيعة يجب أن نشهده صاغرين ، ويجب أن ننسى حق حقوق ، في الوقت نفسه ، تلك المذاهب العصرية التي لا تعتمد في أسسها على قانون تنازع البقاء ، وهي التي يبشر بها بعض المفكرين المشروعين . تلك هي مذاهب المساواة بين الأفراد وتعميم النعيم الارضي حتى لا يكون ظالم ولا مظلوم ، فينضوي العالم كله تحت راية الاخاء والمحبة والتساوي . هذه المذاهب يجب أن تكون مقصورة على ساعات النوم وحدها ، فنحلم بها أحلاما بهيجة حتى اذا ما استيقظنا طرحناها جانبا . وما دام الحديث قد تطرق بنا الى هذه النقطة من الموضوع ، فلا مناص من أن نقول كلمة في المساواة بين الرجل والمرأة ، هامسين بها في آذان جنسنا اللطيف همسا حييا : ان من الصعب يا سيدتي ان تظلي متشبثة بمطالبك الشاذة حول المساواة بالرجل في الحقوق كافة ، ومعذورة اذا نعت مطالبك بالشذوذ ، فهي الكلمة التي نلتمسها في لغة الطبيعة ، أما اذا استعرنا النعت من لغة الانسانية جاز لنا ان نصف مطالبك بأنها غاية في الجدل !

ان الطبيعة - ولا شأن لنا في ذلك - قد ميزت الرجل عنك ، وفوقته عليك منذ الأزل ولن يتخلى عن هذا التفوق الا اذا صيرتك به الطبيعة ، وجردته مما منحته من مميزات ، فاذا أردت الشكوى فتقدمي الى الطبيعة بما تريدين ، وأريحي أسماعنا من هذا العنت واسترجعي . فالمساواة بنا لا معنى لها الا أن تكوني مثلنا خلقا وتكوينا ، أي قلبا وقالبا ، فهل تستطيعين مثلا أن تستبدلي بصدرك صدرنا ، وهل في الامكان أن تبطلي عمل الأمومة فيك ؟

. . . فإذا كان في المستطاع ذلك كله فهل هناك قوة في العالم تستطيع أن تعيرك سيلة الدموع ؟ !

والآن نود أن نختم حديثنا بكلمة نحلل فيها معنى الرحمة ، فالذي يتبادر إلى الأذهان أول الأمر عندما نذكر كلمة الرحمة أنها بعيدة كل البعد من الأثرة وحب الذات ، ولكن يظهر أن الطبيعة الساحرة الخبيثة لم تترك لنا من العواطف الإنسانية الشريفة عاطفة واحدة نعتز بها إلا لونتها بلونها ، فالرحمة والشفقة والحب ــ وكلها في الواقع ذات معان تستمد من نبع واحد ــ قوامها الأثرة وحب الذات . هناك عطف الأم وحنوها على وليدها وحبها إياه ، أليس ذلك كله في الحقيقة مظهراً من مظاهر غريزة حب البقاء والمحافظة على النوع ؟ فهي تحب نفسها في شخص وليدها ، وتبغي الاحتفاظ به لأنها تعرف ببواعثها الخفية أنها ستحيا فيه بعد موتها ، إذ أنه جزء منها أودعته دمها وروحها وصفاتها ، فهي باقية ما بقيت ذريتها ، وهي خالدة بخلودها

والحب ــ في الواقع ــ معناه الرغبة في الاستئثار ، فالمحب يريد امتلاك من يحبه لنفسه ، دون أن يدع لغيره فرصة الاشتراك في الحب ، ونراه يدافع عن حبيبه ما استطاع إلى ذلك السبيل ، فهو يبسط عليه حمايته ولا يتورع أن يحد من حريته ، كل هذا ليستأثر به لنفسه : فالاحتضان معناه الامتلاك المطلق للمحبوب ، والاستيلاء عليه ، والتقبيل إذا تدبرت معناه استبان لك أنه يدخل في باب النهم والشره ، أي الرغبة في احتواء المحبوب وإحلاله نفس محبه !

وبعد هذا فهل نستطيع أن ننكر أن «الحب» ما هو إلا الأثرة وحب الذات في أظهر معانيهما

ولنعد الآن إلى الرحمة ، فهناك مثلا آخر في شأنها : فالمرء يعتقد ، حين يمنح السائل الفقير شيئاً ، أنه يفعل ذلك رحمة بهذا المسكين المحتاج ، ولكنه ــ في الواقع ــ إنما يقدم هذه الصدقة ليشبع في نفسه شهوة القدرة والسلطان ، وليثبت علوه وفوزه في ميدان تنازع البقاء ، فهو يمنح «السائل» ، ولسان حاله يقول : أنا أرفع منك شأناً وأعز سلطاناً !

هذه بعض خواطر عنت لي ، وربما كان فيها شيء من المبالغة ولكنها لا تخلو من حقائق ثابتة ، وقد أردت أن أعرضها على القراء ليفكروا فيها فلعل فيها عبرة وتذكرة !

محمود تيمور

علم النفس ينهض بالصناعة

بقلم الدكتور ليون ولتر

الأستاذ المساعد لعلم النفس التجريبي بالجامعة المصرية

استعادت مصر استقلالها السياسي ، وأخذ سلطانها يمتد شيئاً فشيئاً الى مختلف ميادين النشاط الحيوي . ولا شك أن المجهود التي تقوم بها لايجاد صناعة وطنية ، جديرة منذ الآن بكل تقدير . فهل هناك وسائل اضافية يمكنها ان تنهض بهذا المجهود نحو نجاح أفضل وأكمل ؟

في رأينا أن الاستعانة بعلم النفس التطبيقي هي وسيلة من تلك الوسائل . فهذا العلم وان يكن في طوره الابتدائي فقد أسدى من الخدمات ما هو خليق بالاهتمام وامعان النظر

وتتلخص الغاية منه في تطبيق علم النفس على شروط العمل بحيث يصبح في المستطاع زيادة الانتاج بأقل مجهود يبذله الانسان

وعلم النفس التطبيقي يحقق هذه الغاية بواسطة التوفيق بين العمل والعامل من جهة ، والتوفيق بين العامل ونوع العمل من جهة أخرى ، على أن يسترشد في ذلك بشخصية العامل وخصائصه النفسية ، اذ العناية بانسانية هذا العامل هي نقطة الارتكاز وهي الغرض النهائي لكل تنظيم صناعي للعمل

وأما المصادر التي يلجأ اليها علم النفس التطبيقي لتحقيق غاياته فهي : علم النفس العام وعلم النفس الخاص

فعلم النفس العام يدور حول دراسة حالة الفرد العقلية في علاقاتها بالحالات العقلية المشتركة عند سواد الناس . وعلم النفس الخاص يدور على النقيض حول دراسة للمميزات التي تجعل كل فرد مستقلاً بخصائصه العقلية عن سواه

فاذا كان العمل يبنى مثلاً على جماعة من العمال أصبح في تنظيمه لعلم النفس العام ، واذا كان يبنى على أفراد أصبح لعلم النفس الخاص . وبفضل هذا التطبيق نستطيع تبين المبادئ التي يمكن فيها التوفيق بين نوع العمل وشخصية العامل أو التوفيق بين شخصية العامل ونوع العمل . ثم نتطرق من ذلك الى تبين مبادئ العمل الأخرى التي يستطاع فيها الجمع بين هذين النوعين من التوفيق والتي يلجأ في حل مشاكلها الى علم النفس العام وعلم النفس الخاص

فيما يتعلق بالتوفيق بين العامل ونوع عمله ـ وهو ما يتصل بعلم النفس الخاص ـ لا بد لنا من مراعاة صلاحية ذلك العامل لمهنته واقتداره عليها . وهكذا نستطيع أن نتخير له نوعاً من العمل

يتعين واستعداداته العقلية ومؤهلاته النفسية والخصائص التي لا بد من توافرها به لاتقان هذا العمل

والواقع أن الناس يختلفون بقدر ما تختلف استعداداتهم . وليس بينهم من في وسعه أن يقوم بعمل الآخر على نفس الوجه وبنفس الطريقة . فينبغي والحالة هذه انتخاب الأصلح والاكفأ بحسب الطرائق التي يوصي بها علم النفس الخاص

ومتى تم اختيار الفرد الصالح لعمل معين وجب تدريبه على القيام بهذا العمل بحيث يؤديه بأقل كلفة وأيسر مجهود وأقصر زمن . وهذا يتطلب معرفة دقيقة بمواهب كل عامل وكفاياته على حدة ، بل يتطلب فوق ذلك القدرة على التوفيق واحكام الصلة بين مواهب العامل وبين نوع العمل الذي يعهد اليه به

وأما فيما يتعلق بالتوفيق بين نوع العمل وشخصية العامل فيمس لتحقيقه أن يقسم العمل داخل المصنع تقسيما فنيا لا تراعى فيه مواهب العامل واستعداداته العقلية فقط بل قدرته البدنية واستعداده الشكلي أيضا

والمهم هو تقسيم العمل الى أجزاء تتناسب ومؤهلات الرجال القائمين بها بحيث يستخدمون في أعمالها أقصى ما تسمح به كفاياتهم . وكذا نظم العمل وفق هذه الطريقة غزر الانتاج من الطابع الميكانيكي وتضاعف وارتقى

ولا شك في أن كل عمل صناعي يطابق استعداداً عقليا ونفسيا معينا فمتى وفقنا بين العمل والاستعداد أوجدنا التنظيم الصناعي العلمي المنشود

ومن المهم أن نوفق أيضا بين الآلة وبين شخصية العامل . إذ الآلة لم تصنع إلا لغرض فني اقتصادي محض . وهي كتلة صماء لا علاقة لها بالرجل الذي عليه أن يسيرها أو يراقبها . فيبقى إذن ملاحظة مؤهلات هذا الرجل العقلية وكفايته البدنية واستعداده العصبي حرصا على صحته وعلى وفرة انتاجه وعلى سلامة عمال المصنع من الكوارث التي تحدثها اساءة استخدام الآلات

على ان الغرض الأسمى لكل عمل هو جودة الانتاج وسرعته مع تجنب ارهاق العامل وعاولة اعفائه من وطأة الاجهاد العصبي

وفي رأينا ان هذا الغرض لن يتحقق إلا بتحقيق الغرضين المتقدمين وهما التوفيق بين شخصية العامل ونوع العمل والتوفيق بين نوع العمل وشخصية العامل مع مراعاة قدرته الفزيولوجية على احتمال التعب

كشف أثري خطير :

أول فرعون

«حورأحا» يوحد مصر قبل «مينا»

بقلم الأستاذ زكي يوسف سعد

وفق علماء الآثار والتاريخ المصري القديم في الشهر الماضي توفيقاً عظيماً ، إذ كشفوا في جبانة الأسرة الأولى شمال سقارة عن مقبرة ذلك المصري الأول الذي تم على يديه توحيد الوجهين البحري والقبلي . وكان العثور على مقبرة أحد ملوك الأسرة الأولى بجبانة سقارة أمراً يصعب تحقيقه ، ولكن أقصى ما يصبو إليه علماء الآثار هو إماطة اللثام عن حضارة ذلك العصر الباكر الذي سبق قيام المملكة المصرية القديمة . إذ ربما استطاعوا بذلك كتابة الصفحات الأولى في تاريخ مدنيتها وحضارتها الذي ما زال يحجب عنهما علماء التاريخ والآثار عندنا .

فكيف إذن عثر على الملك الأول حقاً ، موحد الوجهين ومؤسس المملكة المصرية التي بدأ بعهده التاريخ المصري القديم ؟

كان في زعم علماء الآثار أنهم وفقوا لمعرفة الملك الأول الذي تم على يديه توحيد مصر جميعها . وقالوا إنه الملك « نعرمر » المعروف باسم « مينا » أو « مينيس » . كما زعموا وجود مقبرة زوجته الملكة « نيتحتب » في نقادة

مسطح لنقش بحجرة
« حورأحا » في حالتها الأولى

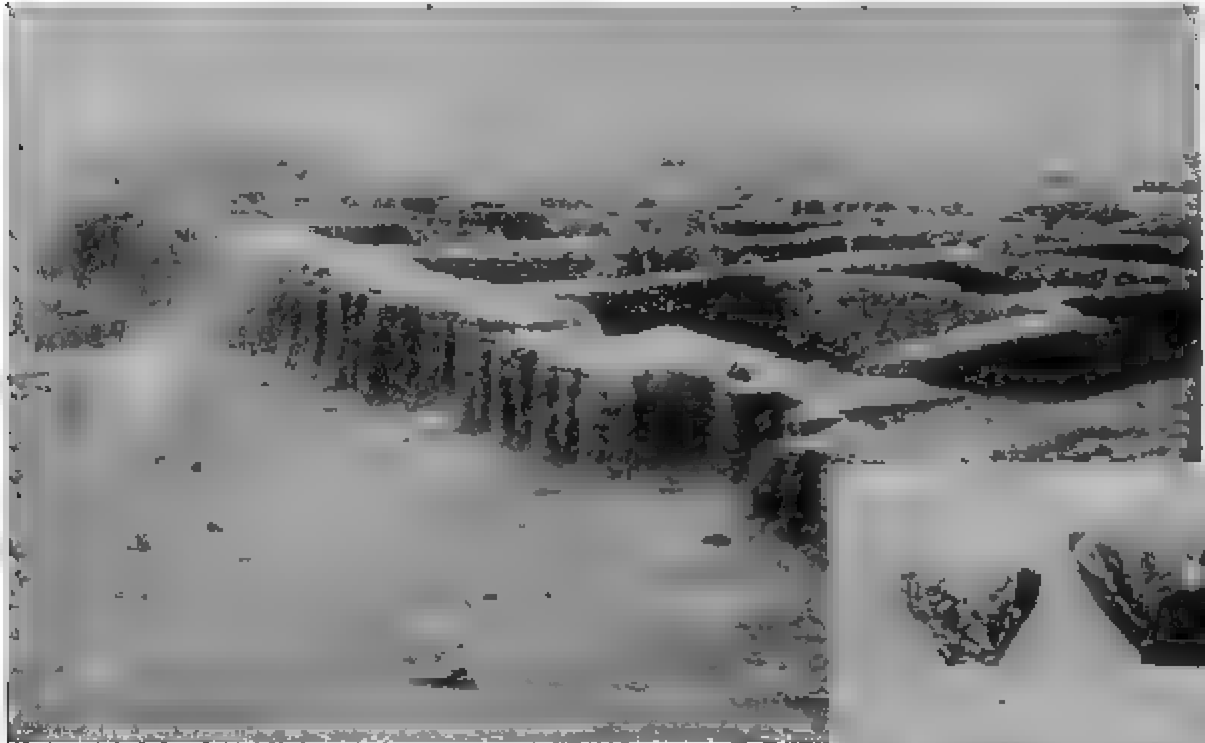

مقبرة ملكية بجوارها مطل عليه أهرام سقارة
وتبدو فيها المحاريب الملونة وتظهر في جوارها
الأبواب المفتوحة التي كانت تحمل تماثيل العصور والتاريخ

أوان جيئ بها من الجنوب
والحريب وجدت في المقبرة ↓

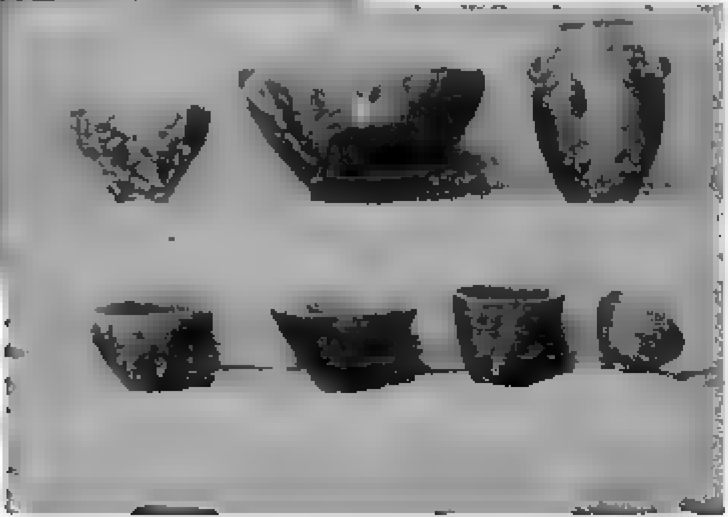

بمديرية قنا ، ومقبرته هو في « ابيدوس » – العرابة المدفونة – بمديرية جرجا . والمشهور « مينا » بأنه أول الملوك المصريين القدماء . ورسخ ذلك في أذهان الجميع الى ان اثبتت الحفريات الحديثة بسقارة هذه الفكرة من أساسها ، وظهر ان « نعرمر » المشهور بمينا قد سبقه غيره من الملوك في الأسرة الاولى . وانه لم يكن هو الملك الذي وحد الوجهين ، بل وحدهما ملك غيره

والذي ثبت الآن ان نسبة توحيد الوجهين للملك « نعرمر » ولتسميته في المفكر زعم لا يرتكن على براهين وطيدة كالتي رجحت كفة الملك « حورعحا » في هذا الصدد ، وجعلته حقيق أول من حكم مصر وأول من وحد الوجهين

•••

ولكيفية العثور على مقبرة موحد الوجهين الحقيق ، أو الفرعون الاول مؤسس المملكة في الأسرة الاولى ، قصة طريفة لها بجمهور القراء ، تفوق ما فيها من تصور لما يصادفه الباحثون عن الآثار في اثناء التنقيب من مفاجآت وغرائب . فبينا كانت حفائر مصلحة الآثار قائمة بالجهة البحرية من سقارة تحت اشراف المستر امري واشرافي كمساعد له إذ عثرنا جنوب احدى مقابر الأسرة الثانية على مركب كبير من الطوب النيء . وكانت تجاربنا في الحفر في هذه المنطقة زهاء ثلاث سنين متوالية قد دلتنا على ان كل المصاطب ، أي المقابر الكبيرة ، التي يرجع تاريخها الى الاسرة الاولى كانت توضع في الجهة البحرية منها مراكب مبنية بالطوب اللبن أو بالخشب . فلما عثرنا على المركب ايقنا اننا على مقربة من مقبرة كبيرة من مقابر الأسرة الاولى . ولذلك واصلنا العمل إلى الجنوب من موقع المركب للبحث عن هذه المقبرة . وما هي الا ايام قلائل حتى عثرنا عليها .

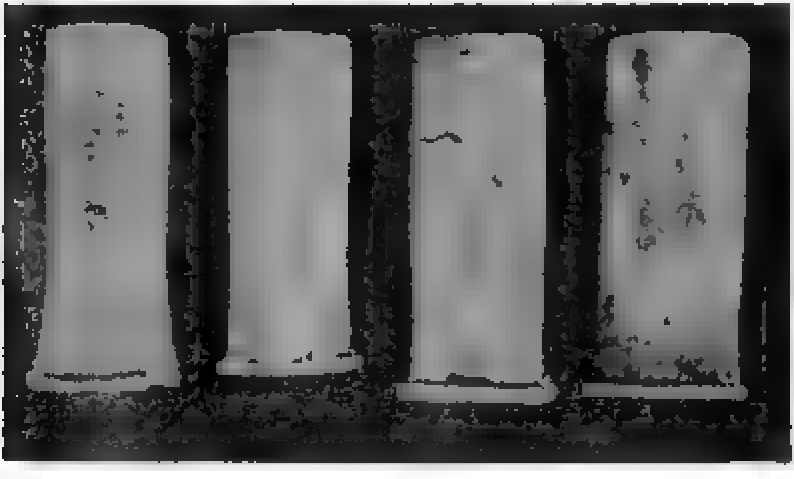

أوان من المرمر سجل عليها اسم الملك وما تحتوي عليه من غذاء وأشربة

ولم يكن معروفاً في علمنا أيضاً شيء صحيح عن قبر أول ملك عمل على توحيد الوجهين البحري والقبلي

وبعد ذلك من إزالة الأتربة من فوق سطح القبر، ظهرت لنا جدرانها الخارجية وقد زينت من جميع جهاتها الأربع بنمط الأبواب الوهمية المألوفة في المقابر المصرية القديمة. وقد وجدنا في داخل المخازن المحيطة بالقبر، التي كانت تبنى خصيصاً لوضع ما يلزم صاحبها في الدار الآخرة. ومما يؤسف له أن جميع هذه المخازن ويبلغ عددها سبعة وعشرين وجدت منهوبة نهباً تاماً. ولم نعثر فيها إلا على بعض ما تركه اللصوص لقلة قيمته المادية لديهم، وإن كانت قيمتها الفنية والعلمية عظيمة لنا، مثل قطع الفخار التي كانت لا تروق في نظر اللصوص ولكن أنظار رجال الآثار، إذ يقفون بواسطتها على فوائد كثيرة، منها علاقة مصر بالبلاد الأخرى وتاريخ القبر ذاتها ودرجة رقي الصناعة في ذلك العصر إلى غير ذلك. وبعد أن انتهينا من المخازن الملاصقة ابتدأنا في تنظيف المخازن المتصلة، التي أمدتنا بكثير من الآنية الفخارية، ووجدنا على بعضها اسم الملك «حور-عحا» الذي لم نجد غير اسمه فوق جميع القطع كما وجدناه أيضاً فوق سدادات الطين التي كانت تغطى بها الأواني الكبيرة المخصصة لحفظ الخمور. وكان قد ختم خاتم الملك في صور متعددة. وقد وجدنا كثيراً من هذه الأختام تمثل أشياء مختلفة لم تعلم لرجال الآثار قبل اليوم وهي جد طريفة ولها جانب عظيم من الأهمية. وأغرب ما فيها مناظر لرمز الوجه القبلي يمشي على رجليه ويمشي نحو الملك، وأخرى لرمز الوجه البحري في نفس الصورة. وفي ذلك الدليل القاطع على علاقة هذا الملك المباشرة بتوحيد الوجهين تحت تاج سلطانه، وعلى أن صاحب هذه المقبرة هو أول ملك ضم الوجهين معاً، مكوناً بذلك المملكة المصرية المتحدة، التي أصبحت فيما بعد أقوى امبراطورية في العالم القديم، ودانت الملوك لفراعينها وخضع لسلطانهم جيرانهم أجمعون. وقد وجدنا في الحجرات الملحقة بعض أوان صغيرة من الفخار، كتب على سطحها جميعاً بالمداد الأسود اسم الملك وإلى جانبه اسم ما تحويه الآنية من المواد التي لا نعرف ماهيتها، أو التي وضعها له مورده

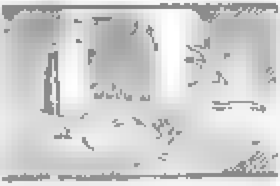

رسم لرمز الوجه البحري يمشي على رجليه إلى عرش الملك «حور-عحا» مما يدل على أنه أول من وحد شطري مصر

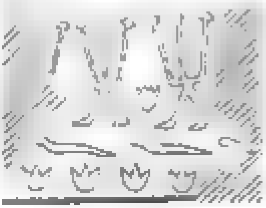

وهذا يرمز إلى الوجه القبلي سائراً على رجليه إلى عرش الملك، وإلى يساره رسم رأس تحت أسد وتحته بعض الأواني

ولعل القارئ يدهش إذا علم أن معظم ما وجد مكتوباً عليه من تلك الأواني يدل على الأطعمة. وكانت عقيدة القوم حينذاك تحملهم على تجهيز مقابرهم بالزاد الذي يكفيهم مدى ما يقيمون

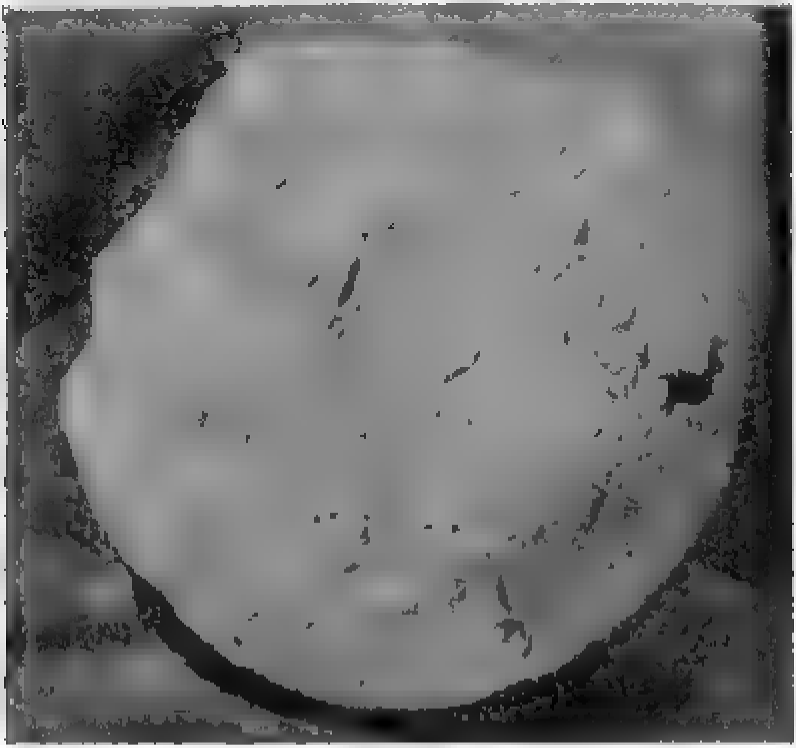

غطاء إحدى الأواني الكبيرة من كتلة واحدة من الحجر وموضع في علبة للمتاع ، ونلاحظ عليه علامات الخشب والخوص ...

في الدار الآخرة . التي كانت في حسبانهم أطول وأبقى من الحياة في الدار الأولى

وفوق ذلك عثرنا على أوان من مختلف الأحجار كالمرمر والاردواز والبازلت . وعثر الأثريون على أشياء كثيرة من الخرز ومن العاج (العاج) مصنوعة بمهارة فائقة تشهد بتقدم الفن والصناعة في ذلك العهد السحيق . وتعد في أيامنا هذه من التحف النادرة

ولعل أعجب ما في المقبرة بعد ذلك أن جميع جدران الحجرات المعدة التي عثرنا عليها كانت مغطاة بالحصير الذي وضع على الجدران أولاً ، ووجدت منه قطع ما زالت باقية على حالها برغم مضي آلاف السنين . وقد ثبت أن هذه الحصر مصنوعة من البردي ، وأنها كانت ملونة باللونين الأخضر والأحمر مما يجعل لها منظراً بهيجاً جميلاً . ومن الجائز أن تكون هذه الوسيلة في نقش الجدران وتغطيتها أول منشأ لعادة ورق الحوائط للأبهة في منازل العصر الحاضر

زكي يوسف سعد

أثري بسقارة

وهذه إحدى طالبات المدرسة تقوم بوضع الكمامة الواقية من الغازات السامة على وجهها

شعبة من طلبة مدرسة المقاومة تتدرب على غارات الطيارات الجوية ، بعض الأجسام

وقاية الشعب من الغازات السامة

كانت الحرب القديمة معركة بين جيش وجيش . أما الحرب الحديثة فوقعة بين شعب وشعب ، لم تعد أخطارها مقصورة على الخطوط الحربية ، بل تعدتها إلى رؤوسهم وأطفالهم الآمنين في بيوتهم . لهذا أعدت الحكومات العدة لتأمين شعوبها من هذه الأخطار التي تودي من المدنيين بأكثر مما تودي من المحاربين ، وأنشأت مدارس خاصة تعلم المدنيين طرق الوقاية من الغارات الجوية وما تبثه من الغازات السامة .

وقد أنشأت مصر مدرسة من هذا القبيل يتولى أمرها جماعة من الأطباء الذين درسوا طرق الوقاية من الغارات السامة . وفتحت أبوابها لأفراد الشعب فأقبلوا عليها يلتمسون أسباب النجاة من هذه الأخطار الرهيبة . وقد قسمت المدرسة طلبتها فرقاً عدد أفراد كل منها ٤٠ طالبا من مختلف الطبقات . وهم يدرسون طرق الوقاية دراسة نظرية وعملية ، فيحاضرهم الأساتذة عن أنواع الغازات السامة وأخطارها ، وطرق الغارات الجوية وأساليبها ، ووسائل المقاومة والنجاة التي اهتدى إليها العلماء . كما يدربون الطلبة على اتخاذ الأقنعة الواقية من الغازات السامة ، والملابس المقاومة للغازات المحرقة ، وكذلك طرق تحصين بيوتهم ضد مختلف أنواع الغارات . ويدربونهم أيضا على

عمليات الاسعاف والتطهير لابد ما أمامهم في هذه الغرفة

وسعي وزارة الصحة الى جانب هذا بنشر تعليمات شتى عن مقاومة الغارات السامة ، ويجمع أطباؤها عونا شتى ، ويحضرون مذكرات كثيرة ، ويلقون محاضرات مختلفة ، ليعلموا الشعب كيف يتقي هذه الأخطار التي قد تحملها الحرب القادمة

ونرى هنا صوراً شتى لطرق الوقاية في مدرسة ، والوقاية من الغازات الحربية ،

مدير للمدرسة يلقي على الطلبة محاضرة عن الغازات السامة متخذاً بكثير من الأجهزة والأدوات اللازمة

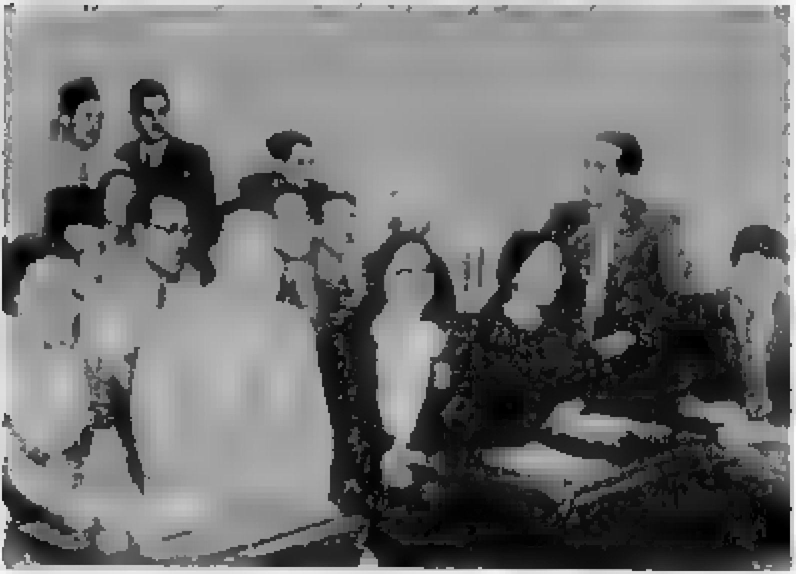

جمع من الطلبة و[illegible] محاضرة في طرق الوقاية من [illegible] ، قد تكون مباعثة لأرواح كثيرين منهم

تمثل هذه الصورة عملية إسعاف جندي أصيب في إحدى الغارات الجوية ، ويرى اثنين من
زملائه منحنين يحملونه وآخرين عملا على جثته بينما أخذ زميلان آخران في إسعافه وعلاجه

كيف نصبح أحرارا

Devenir Libre, par Albert Moret

خلاصة كتاب وضعه ألبير موريه

> مؤلف هذا الكتاب ناشر تاجر وصاحب أخلاق قدير . وكتابه مجموعة محاضرات ألقيت في فرنسا وأمريكا منذ أعوام عديدة . وفي الكتاب طائفة من الخواطر والملاحظات عن آراء الحرية ، ويمتاز بكل طرق صياغتها تأليفها وإحكام النظر فيها

كيف نصبح أحرارا وكيف نشيع ملكة الحرية في عقولنا ونشربها عواطفنا وأخلاقنا ونجعل منها قاعدة لتفكيرنا ونبراسا لحياتنا ، هذه هي الأغراض التي يرمي إليها مؤلف هذا الكتاب

وقبل أن نتبسط في شرح العناصر التي تتألف منها شخصية الرجل الحر ، يتحتم علينا أن نعرف معنى الحرية ومداها وقيمتها

ما هي الحرية؟

الحرية هي أن تشعر بكرامتك وتدرك ما لك من حقوق ، بل أن تحس في الوقت نفسه بما عليك من واجبات نحو المجتمع . عليك أن تطلق العنان لرغباتك وتسعى لتوكيد حقوقك وتجاهر بأي الآراء شئت ، على شرط أن تحترم حرية الآخرين وأن تقوم بالواجبات التي يطالبك المجتمع بها مقابل الحرية التي منحك إياها

فإذا كانت الدولة مثلا قد منحتك حق الانتخاب والنيابة ، ووهبتك حرية الاجتماع والخطابة ، وأشركتك في إدارة شئون وطنك ، فمن واجبك مقابل هذه الحريات التي تتمتع بها أن تحترم رأي الأغلبية وإن لم يصادف من نفسك هوى ، ثم لك بعد ذلك أن تستخدم حريتك في معارضة آراء تلك الأغلبية ، على أن تكون المعارضة شريفة وأن تنتهي معارضتك لا إلى الدفاع فقط عن آرائك وحقوقك التي تعتقد أن الأغلبية قد هضمتها ، بل إلى المبادرة أيضا بصادق استعدادك لتأدية الواجبات التي تفرضها عليك هذه الحقوق التي تطالب بها

هذا هو معنى الحرية ولب الديموقراطية

فقيمة الرجل الحر تنحصر فيما يحسه من عواطف الشمم والإباء التي تحول بينه وبين الخضوع لرأي يملى عليه ، أو عقيدة لا يقرها عقله ، أو نظام لا يسيغه فكره ولا يرضى عنه ضميره ، فهو

يسلم بقوة الأغلبية وينزل على حكمها مختاراً ، ولكنه لا يسلم بافناء عقله وسحق فكره وتضحية حريته فى سبيل هذه الأغلبية متى كان يؤمن أنها على خطأ وأنه على صواب

والواقع أن من يعترض رأى الأغلبية ويؤكد حريته فى نقدها يستهدف لشق الكوارث ويضطر لاحتمال مختلف التضحيات

ولكن التضحيات التى بذلها وما زال يبذلها أحرار الفكر هى أصل الانقلابات ومبعث الاصلاحات وعوامل الحضارة

شخصية الرجل الحر

العناصر التى تتكون منها شخصية الرجل الحر والتى لا بد من توافرها فى نفوسنا كى نصبح احراراً هى :

تربية الخلق

لن يكون رجلا حراً ذلك الذى لا يحترم شخصه ولا يعرف قدر نفسه ولا يتشبث بفكره ولا يثبت فى الدفاع عنه متى هداه العقل المجرد الى صوابه

غير أن الثبات على الرأى والمجاهرة به والتأهب لاحتمال تبعاته ، فضائل تسمو من المزايا ولا يمكن أن ترسخ فى كيان الفرد إلا متى استطاع التغلب قبل كل شىء على نفسه

فلكى تتغلب على المجموع وتقنعه بصواب رأيك ، وجب أن تعرف قبل ذلك كيف تتغلب على ميولك ، وتصرع شهواتك ، وتتحرر من الاغراض ، وتؤمن بما تقول وتعمل

فتربية الخلق ، أى رياضة النفس على الصراحة والشجاعة والصبر والجلد والقوة ، هى العنصر الرئيسى فى تكوين شخصية الرجل الحر

تربية العقل

الثقافة هى التى تخلق الحرية ، لانها تبعث على التشكك فى جميع الآراء والمذاهب حتى يثبتها العقل . فلن تكون رجلا حراً إلا متى حررت بالعرف والمنطق ونفضت عن كاهلك عبء الخرافات الموروثة والنظريات السائدة والتقاليد الشائعة ، وارتبت فى كل شىء ، وناقشت كل شىء وحكمت العقل فى كل شىء

فالمناقشة والموازنة والتأمل والبحث والتمحيص ، فى ضوء التشكك المطلق وبعد التحلل التام من كل مؤثر خارجى ، هذه هى العوامل التى لا غنى عنها لتربية العقل وتكوين الشخصية الحرة

وليس شك فى أن الفكر نفسه يتجه اتجاهات مختلفة ويروع نزعات متباينة قد لا تتفق وعواطف الفرد وميوله وما يتوهم أنه قد اهتدى اليه بعد تفكير طويل ، ولكن هذا التباين بين مرعنا

وموقع الآخرين لا يجب أن يصرفنا عن تعرف آرائهم بل يجب على النقيض أن يضاعف رغبتنا في احترام هذه الآراء وبحثها وتحليلها على مختلف الوجوه إذ من يدري فقد تكون الحقيقة كامنة فيها وقد يفضي احتقارنا لها واستهجاننا بها الى عكس ما ننشده في الثقافة من حرية ، أي الى العناد والاصرار ورذيلة التعصب

التسامح

ليست العبرة في أن تحسن الدفاع عن رأيك أو في أن تذهب في الدفاع عنه الى حد التضحية ، بل العبرة في أن تحترم حق الآخرين في المجاهرة بآرائهم وإن خالفت مذهبك وأصابت معتقداتك في الصميم

فالرجل الحر لا يخشى الحرية . وهو من فرط ايمانه بالعقل يتسامح ويتسامح يقينا منه أن الاصابة لا يمكن أن تنحصر في قالب واحد ، وأن وسيلة الاقناع هي التفاهم العقلي لا العنف والاضطهاد . .

ولقد كانت الكنيسة فيما مضى تضطهد الناس لانها كانت تكره العقل ، وتحارب الفكر الحر ، وتحرص على الجماهير عقائد تنبع من العاطفة الطائشة والايمان الموروث الاعمى

وحيث تسود العاطفة ، وتطغى على العقل ، وتستحيل الى عقيدة ، يشتد التعصب وتنتشر نزعة الاضطهاد والعنف

ولكن ما قيمة المبادىء والآراء التي يفرضها التعصب في النفس وتفرض بالقوة على الناس !

انها تولد ولا شك روح تمرد وثورة وانتقاض سرعان ما يشتد للحرية بالاتجاه الى وسائل القوة والعنف . وإذن فالتعصب يغري بالثورة والثورة تغري بسفك الدماء . أما التسامح فينشر السلام بين أبناء الوطن الواحد ، ويبعث الطاقة العاطفية المصرية الى معارك فكرية لا بد أن تخرج منها الحقيقة ظافرة لمصلحة الافراد ومجموع الامة . ولو تمسكت الحرية ما كان التعصب ، وما استبدت الكنيسة بالاحرار ، وما وقعت الحروب الصليبية ، وما حدثت مذبحة القديس بارتلمي ، وما اضطهدت الاقليات الدينية ، وما جنت الشعوب التي يحكمها الدكتاتوريون اليوم وشردت احرار الفكر وأخرت تقدمها وتقدم الذهن البشري

فالتسامح والحالة هذه دليل الحرية لانه دليل النضوج العقلي . وكلما نضج عقل الفرد ازداد ميلا الى الحرية والتسامح وكلما نضج عقل الأمة ازدادت تبرما بالنظم الاوتوقراطية وميلا الى حكم الشعب . فمتى ارتقت تربية الخلق وارتقت تربية العقل ، أحب الفرد من تلقاء نفسه هو الحرية وأدرك فضيلة التسامح

التجرد من الحزبية السياسية

تعددت المذاهب السياسية في هذا العصر وكثرت الأحزاب وبات الفرد يعتقد أن من واجبه الانخراط في حزب معين والدفاع عن مبادئ هذا الحزب ، حتى لقد أصبحت النظريات الحزبية شبه عقائد دينية يسمها التعصب وتركب باسمها أشنع الجرائم

والواقع الذي لا يقبل الشك أن كل من ينخرط في حزب من الأحزاب ، يقيد نفسه ، ويضحي باستقلاله ، ويفقد جزءاً كبيراً من حريته ، وقد يخضع كارهاً لأعمال وتصرفات لا يقرها عقله . ولكن الفرد المثقف الطامح في الدعوة لفكرة يحبها ويؤمن بها ويعتقد نفعها ، قد يصعب عليه نشر فكرته معتمداً على نفسه ، فيستعين بالحزب الذي يمثلها أو الذي يضع في مبادئه شيئاً من أصولها

وليس في وسعنا أن نقول لمثل هذا الفرد : « تجنب الحزبية » ما دام أن إخلاصه لمبدئه هو الذي ساقه إليها ، ولكن في مقدورنا أن نقول له :

« احرص ما استطعت على حريتك ، ولا تتعصب لحزبك ، واستمسك بجوهر فكرتك ، وتشبث بمثلك الأعلى ، وكن دائم التأهب لمقاطعة الحزب لو حاد عن مبدئه أو لو تحول إلى حلول متوسطة تنم عن فتور في روح الجهاد وضعف في إرادة السعي والمقاومة ورغبة معيبة في حيازة السلطة من أقرب السبل »

فاخلص لحزبك ما دمت تعتقد أنه مخلص لفكرتك . وليتمثل إخلاصك للحزب في صراحة نقدك له وشدة حملاتك عليه متى تبين لك أنه انحرف عن الجادة وأوشك أن يعبث بالفكرة ويخون المبدأ . ولا ينبغي أن يجاوز نقدك أول الأمر دائرة الحزب ، فإن خاب ظنك في رجاله ، وأدركت اليأس من تطور قادته ، فلك عندئذ حق الانسلاخ عنه وقطع كل صلة لك به ، ومهاجمته في وضح النهار وإشهاد الشعب على مساوىء سياسته . وهكذا تحتفظ بجزء ثمين من حريتك . وأما إذا شئت الاحتفاظ بها كاملة فخير لك أن تستقل بنفسك ولا تنخرط في أي حزب إطلاقاً وتجتهد في الدعوة لفكرتك من طريق النشر في الصحف أو وضع الرسائل والكتب أو الخطابة في المحافل والأندية العامة

وثق أنك كلما حرصت على استقلالك ، ازددت تمجيداً لفكرتك ، وازداد غيرك تمجيداً لها وحباً فيها وإيماناً بها

التحرر من سلطان المال

لن يعرف نعمة الحرية كل من خضع لسلطان المال ، إذ كيف يمكن أن نصبح أحراراً في الإعراب عن آرائنا ، وفي الاستمساك بعقائدنا ، وفي الدفاع عن وجهات نظرنا ، ونحن نطمع في

للمال أو الجاه أو المنصب أو أي مغنم دنيوي زائل ؟ فالمال قوة هائلة من قوى الاغراء ، بالمال تشترى الضمائر وتمحق العقول وتكم الأفواه ويهدم صرح الحرية

وكم من عظيم طاهر الذمة حر الفكر ضعيف الخلق متوسط الحال ، لوح له الوصوليون بالجاه والثروة وأغروه بهما وزينوهما له ، فراحت ارادته ، وتبخرت همته ، وتحطم ضميره ، فمات فكره ، وأنكر رسالته ، وباع الأهل والوطن غير مكترث لشيء .

ومن الظواهر الملحوظة أن ترفع صاحب الفكر الحر عن مغريات فانية ، يضاعف نقمة الوصوليين في أعوانه وتلويث شخصيته وزعزعة معتقده وضمه الى صفوفهم ، إذ هو في الواقع خطر عليهم وصورة معكوسة لهم ومثل نبيل يفضحهم ويصب ضوءاً ساطعاً في حقيقة خلقهم وقذارة نفوسهم

ولذا كان التحرر من سلطان المال أشق ضروب التفوق . وفي هذا يقول فولتير :

« لا بد لمن شاء الاحتفاظ بحريته من رياضة نفسه على حياة الخشونة والتقشف والزهد في مباهج الدنيا عند الاقتضاء . ولقد قال المسيح ليس في وسع الانسان أن يعبد ربين : الله والمال . وأنا أفسر كلمة الله هنا بكلمة الحرية وأزيد أن ليس في مقدور الانسان أن يعبد الحرية ربة الحقيقة ثم المال ! »

ولا ريب أن فولتير على حق ، إذ السعي وراء المال كثيراً ما يقترن بالتأهب لتوديع الفضائل الخلقية والاقبال على رذائل المداهنة والتكلف والتملق والملق والزلفى . وحيث تنتشر هذه الرذائل تولي الحرية الأدبار وتحل الغريزة محل العقل وينحط مستوى الفكر ومستوى الانسان ، ومع ذلك فقد يحدث أن يعطل الفقر حرية الفكر ، وأن يحول الفقر بين صاحب الفكر الحر وبين المجاهرة بفكره خشية أن يصطدم بأصحاب السلطة فيفقد الكفاف وينحدر الى مهواة الذل ويضطر أن يبسط يده الكريمة للاستجداء . وهنا ينصح فولتير الرجل الحر لا بالاقتصاد فقط بل بالعمل ما استطاع . ينصحه بأن يقتر على نفسه ويحرمها ملذات الحياة ليجمع المال بالطريق المشروع بغية التوصل الى ضمان الاستقلال الشخصي وضمان القدرة على التعبير عن الرأي الحر دون ما استهداف لذل الفقر

فالمال الذي يستخدم لخنق حرية الفكر ، في وسعنا استخدامه لتركيز هذه الحرية . وهكذا نتغلب على سلطانه ونستعبده قبل أن يستعبدنا

التحرر من سلطان المرأة

كل من تفتنه المرأة وتتحكم فيه ويتهالك عليها ويسعى وراءها ويبتذل الكرامة فيها لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعد نفسه رجلاً حراً

والمرأة بطبيعتها مخلوق أنانى ، يشتد حيازة الرجل ، وصرفه عن مهام حياته ، واستغراق عقله وقلبه ، والاستمتاع المطلق بثمرة جهاده

والمرأة لا تقدر الفكر النزيه ولا تقدر الفكر العمل النفعى . فهى تزن جهادك بما يعود به من مال ، وتقيس فكرك بمقاييس المصلحة ، وتنتصح بك وتحترمك اذا انت آمنت بآراء مجردة ودعوت لمبادىء وافكار حرة ، وسعيت كما هو الواجب لنشر هذه المبادىء والافكار بعيداً عن دائرة المصلحة

ولذلك فالصلات بها اتصال شهوة عميقة متأصلة خطرة ، لابد أن يطمك بطابعها ويكسب عقلك لون تفكيرها ويضع حريتك للعطف للدعوى الناشر تورطة القضاء عليها

هذا من جهة الخلق . وأما من جهة الفكر فالشهوة الجنسية الخطرة تنهكه وتستنزف حيويته وتشوش اتجاهاته وتشيع فيه رذائل العبث بكل ما هو روحى معنوى . ولا غرابة فى ذلك فالمرأة فتنة مادية وان اتخذ جمالها فى حياتنا طابع الشعر . وما دمنا قد أولعنا بها فرخ اللذة المنبعثة منها كفيلة باطفاء جذوة الفكر والحرية فى عقولنا وقلوبنا

فسحر المرأة أشبه بسحر المال ، والى كليهما يلجأ الوصوليون عندما يريدون قهر الرجل الحر والسيطرة عليه وتشويه سمعته وحمله على انكار فكره ومعتقده

ولقد كان القصصى الكبير جوستاف فلوبير يرتعب كلما شاهد امرأة جميلة ويقول :

« جمال المرأة الد أعداء حرية الرجل . فالويل لمن يحبه . انه ليفقد اذن أغلى جوهرة فى تاج رجولته ! »

• • •

هذه أهم العناصر التى لا بد من توافرها فى نفوسنا كى نصبح أحراراً . فلنتعم النظر فيها ولنتأملها طويلا ولنحاسب أنفسنا فى ضوئها ، فنحن اليوم أحوج ما نكون الى من يذكرنا بها . .

ا . م .

أمراض غيرت التاريخ

من أحداث التاريخ الكبرى ما يمكن تفسيره بما وقع به من أوبئة خطيرة ، فتكت بشعوب العالم غير مرة ، وحصدت كثير الأرض على عجل ، فأرجفت من الخافقات وأقفرت من البلاد ، ما لا يذكر التاريخ مثله مما أهلكت الحروب الكبرى وفتكت المجاعات البالية

يذكر التاريخ القديم أوبئة شتى اجتاحت مصر وإيران والهند والصين ، ولكنا لا نعرف منها سوى ما ورد ذكره في التوراة مثل الطاعون والجذام . وأقدم وباء نعرفه هذا الذي ذكره « ثيوسيديس » في حديثه عن الحرب التي أغارت فيها جيوش اسبرطة على إقليم أتيكا ، ففر أهله الى عاصمتهم يطلبون النجاة ، فضاقت أرجاؤها عن ترحمهم فيها من أفواج اللاجئين ، وأصابها وباء لم يكن للناس عهد به ، فعجزوا عن علاجه وتركوه يحصدهم حصداً

كان هذا المرض أليماً فتاكاً ، يحس من يصابه حرارة تتقد في رأسه ، يعقبها التهاب بعيني صاحبه ، ثم تهيج أعصاب أنفه فيعطس عطساً عنيفاً مؤلماً ، وتضطرب أوتار حنجرته فينقلب صوته خشناً أجش ، ثم يهبط الألم الى صدره فيشج ألماً يزلزله ويصيبه ، ثم يصل الى المعدة فتقيء تقيئاً كثيراً . وهو في أثناء هذا يحس ناراً تتأجج في حنايا جسمه فلا يطيق غلالة تستره ، ويود أن يلقي نفسه في ماء ليبترد لولا أن الأطباء يمنعونه من ذلك خوف أن يضاعف البرد وطأة الحمى . وكذلك كان المرض يقض مضجعه ويؤرق ليله ، فلا تنقضي أيام حتى ينهدم جسمه وتطوى قواه . فإن صمدت بنيته حتى يزول عنها المرض ، لم تنج أطرافه من تلفه وفقده وعيناه من عاهات تلازمها مدى الحياة . وقد يحدث أدهى من ذلك فتختل أعصابه ويفقد ذاكرته . أما من قتله به المرض وأماته ، فقد عافت الطيور الجارحة أن تقترب من جثته !

ولا يعرف الأطباء حتى اليوم اسم هذا المرض . ومنهم من يرى أنه وباء ظهرت جراثيمه منذ عهد بعيد ، ومنهم من يحسبه « التيفوس » مصحوباً بوباء آخر كالجدري أو الكوليرا عاونه على الفتك والهلاك ، ومنهم من يظنه حمى القدم مصحوبة بمرض الحمرة

● ● ●

وتاريخ العصور الوسطى ليس إلا تاريخ المجاعات القاتلة والأوبئة الفاتكة . فقد وقعت فيها سلسلة من الأوبئة المعدية — كالحصبة والجدري — اجتاحت الشعوب في فترات منتظمة . وتحول فيها المرض من مرض الى وباء عنيف وشوه آلافاً من الناس . وكان الأوربيون يسمونه « المرض العربي » ، زعماً أن العرب هم الذين نقلوا جراثيمه من الشرق الى الغرب ، وعدوا به الفرنسيين حين اصطدموا بهم في عدة وقائع

ومن أوبئة العصور الوسطى وباء سماه بعضهم « النار المقدسة » وسماه آخرون « نار جهنم » . وقد أطبق على أوربا كلها بين القرنين العاشر والثاني عشر ، ففتك بأهلها فتكاً ذريعاً حتى أحال آفاقاً فسيحة من ساكنيها . وكان هذا الوباء يصبغ أطراف الجسم أحياناً بسواد قاتم ، وقد يؤدي الى انفصالها وتساقطها منه . وكان السعيد من يموت عقب مرضه بساعات أو أيام ، والشقي من يعيش أسابيع أو شهوراً يقاسي فيها أشد النكال . وقد قدر أحد المؤرخين أن أوسع مقاطعات فرنسية مات فيها بهذا الوباء في بضعة أيام ٤٠٫٠٠٠ نسمة !

وقد فتحت الحروب الصليبية أبواب أوربا للفأر ؛ فمن المؤكد أن أقاليم أوربا لم تعرف هذا الحيوان المؤذي قبل العهد الوسيط ، فلم يرد ذكره قط في الادب الاغريقي أو الادب الروماني وموطن الفأر على الارجح صحاري مصر وجزيرة العرب بعيداً عن المدن والشواطئ ، ثم نقلته السفن التجارية بين الشرق والغرب . وكان أول فأر غزا أوربا هو « الفأر الاسود » الذي ينقل جراثيم اشد الامراض خطراً ، وظهر أول مرة في القرن الثاني عشر ، ثم لم تمض بضعة عقود من السنين حتى صارت أسرابه خطراً يهدد حقول الغلال ومخازنها . فقامت الحكومات تدعو الناس الى إبادة هذا الحيوان ، ونشأت حينئذ وظيفتان . وظيفة المنادي الى قتل الفئران ، ووظيفة صائدي الفئران . ولكن لم يستطع الناس أن يقضوا على الفأر ، فظل يكثر ويعيث حتى بداية القرن الثامن عشر حين وفد الى أوربا من أواسط آسيا « الفأر الاسمر » ، وهو أقوى وأكبر من الفأر الاسود ، فسرعان ما قهره وفتك به ، ورواه في بقع قليلة من الارض ، بينما انتشر هو في جميع آفاق الدنيا ، قديمها وحديثها ، ما عدا الأقاليم القطبية

وفراء الفأر خير مأوى لجراثيم كثير من الامراض الفتاكة ، ولا سيما الطاعون والتيفوس . فلما انتشر في أوربا جر عليها « الموت الأسود » ، وهو أخطر وباء شهده التاريخ

ظهر وباء هذا الطاعون سنة ١٣٤٦ في شمال الصين ، حيث فتك في أقل من عام واحد بثلاثة عشر مليون نسمة . ثم نقلته قوافل التجارة وسفنها الى أوربا ، مارًّا بدمشق وبيت المقدس فكاد يفنيهما . وقد بلغ عدد ضحاياه في آسيا وحدها ٤٢ مليون نسمة ، أما في أوربا فأجمع المؤرخون على أن ضحاياه لا يقلون عن ثلاثين مليوناً وقد يبلغون الاربعين . وحسبك من شناعته أنه قتل في أيام معدودة أربعين ألفاً من سكان جنوة ، ومائة ألف في البندقية ، وفتك بثلثي سكان بادوا ، وقد بلغ عدد المتوفى به في بولونيا وفيرارا ألفين كل يوم . ولم يكن حظ المانيا خيراً من حظ ايطاليا ، فقد هلك بها ١٫٢٥٠٫٠٠٠ شخص . وفقدت بولندا أكثر من نصف سكانها . واكتسح الوباء فرنسا ففتك في مقاطعة أفينيون وحدها بمائة وخمسين ألفاً في بضع سبعة شهور . وفقدت آرليس نصف سكانها ، ومارسيليا ثلثيهم . ثم انتقل الوباء الى انجلترا حيث بلغ أقصى خطورته ، حتى ليقال انه لم ينج منه سوى عشر السكان فحسب . ولم ينج الطاعون بقعة من أرض

أوربا ، فوصل الى أقصى الشمال حيث أهلك ثلثي سكان النرويج ، وكاد يفني سكان أيسلنده جميعاً ، كما وصل الى أقصى الجنوب فلم يبق أكثر من ثلث سكان جزائر البحر الابيض . وهكذا قتل هذا الطاعون زهاء سبعين أو ثمانين مليون نسمة . ولم ينج منه الفقراء ولا الاغنياء ، فكان من ضحاياه ملكة نافارا ، وأخت امبراطور [illegible] ، ودوق برجندي ، وملكة فرنسا ، وملكة أراجون ، وملك قشتالة

ومما زاد في خطورة الوباء أن العامة اعتقدوا أن الاطباء هم الذين ينقلون العدوى من المريض الى السليم ، فكانوا يترصدون لهم عند أبواب المرضى حيث يرجمونهم بالاحجار ويمنعونهم من دخول بيوت المصابين

وقد أدى ذلك الطاعون الى نتائج تاريخية خطيرة : فقد ظل الامن مضطرباً في انجلترا بضع سنوات ، ونقصت الايدي العاملة فارتفعت الاجور وخسر الزراع وكسدت الأسواق ، وكان من نتيجة هذا حروب شتى نشبت بعد ذلك

• • •

وجاء عصر الكشف الجغرافي فظهرت في أوربا أوبئة جديدة ، منها الحمى الصفراء التي نقلها كولومبس في رحلته الثالثة . وكما حمل الاوربيون من أمريكا أمراضاً خطيرة ، فقد نقلوا اليها أدواء أشد فتكاً ، أهمها مرض الجدري الذي نقله أحد الزنوج الى الشاطئ الامريكي في سفينة حربية . ومن الغريب أن الامراض كانت تحصد الاسبانيين أينما حلوا ، فلم تغزوا في جزيرة « هايتي » طويلا حتى أفنى منها الجدري ٣٠٠,٠٠٠ نسمة . وقد انتقل هذا الوباء الى المكسيك حين غزاها « كورتز » وأهلك آلافاً من أهلها جعل الباقين منهم عاجزين عن استغلال الاراضي ، فلبث آخرون جوعاً ...

وقد أعقب ذلك أوبئة أخرى : منها وباء المرض الذي حمله الغزاة الى أمريكا في بداية القرن السادس عشر ، ومنها وباء سماه الأمريكيون « ماتلازاهوات » والمرجح أنه الجدري ، وقد بلغ عدد قتلاه ٨٠٠,٠٠٠ شخص ، ومنها وباء ظهر في النصف الثاني من ذلك القرن ، وقدرت ضحاياه بمليونين من الانفس

ولكن الدنيا الجديدة ثأرت من الدنيا القديمة أبلغ ثأر ، حين ارسلت اليها جراثيم الوباء الحديث : الزهري ، الذي أصيب به بحارة كولمبس في أثناء إقامتهم بجزيرة هايتي ، ونقلوه الى أوربا حيث ظهرت أعراضه لأول مرة في جيش شارل الثامن عند غزوته ايطاليا ، ثم لم يلبث أن اكتسح فرنسا والمانيا وانجلترا ، ووصف الأطباء حالاته بالتفصيل ، بينما أخذت الشعوب المذعورة يتهم بعضها بعضا بهذا المرض ، فالفرنسيون ينسبونه الى الاسبانيين ، وهؤلاء يسمونه : « المرض الفرنسي » !

وقد عم المرض أوربا كلها في فترة وجيزة ، حتى اعتقد الناس أن عدواه تأتي من طريق التمس والماء ، فأغلقت الحمامات العامة التي كانت منتشرة في أوربا حينذاك . وكان الناس يعتقدون أن الزهري يؤدي الى الصلع ، فأسرع الناس الى استئصال شعور رؤوسهم ولحاهم وشواربهم ، ومن هنا نشأت عادة الحلاق الشعور التي عمت أوربا الى عهد قريب . وكان الرجل الاصلع أو الحليق يتوارى من الناس خجلا ، لأن تجرده من الشعر دليل اصابته بهذا المرض المزري

* * *

ومن أخطر أوبئة العصر الحديث وباء الكوليرا الذي أصاب أوربا سنة ١٨٣٢ ، واستمر خمس سنوات أفنى فيها ٩٠٠,٠٠٠ في روسيا و ٣٤٠,٠٠٠ في أوستراليا و ١٠٠,٠٠٠ في اسبانيا و ٩٥,٠٠٠ في فرنسا . وقد سمي القرن الماضي « قرن الكوليرا » لأنها تكررت فيه ثلاث مرات وذكرت الناس بما وقع في العهد الوسيط من « الموت الأسود » . ولكن هذا الوباء حتم أوربا إذ اضطرها الى أن تعنى بوسائل الوقاية والتمريض ، واليه الفضل في اقامة نظام المصحات الحديثة . وقد غير كذلك كثيرا من أساليب الحياة اليومية ، وطرائق بناء المساكن ، كما أوجد صناعات جديدة

أما القرن العشرون فقد أصيب بوباءين :

أولا — التيفوس الذي ظهر في الحرب البلقانية بين جيوش أوستريا ، فما تغلب جنود الصرب عليها وأسروا منها ٦٠,٠٠٠ جندي ، نقلوا جراثيم الوباء الى بلادهم ، حيث ظهر في سجون الاسرى أولا ، ثم انتشر منها في سائر آفاق البلقان فبلغت ضحاياها منه عشرات الالوف . وقد بلغت خطورته أقصاها في روسيا اذ صحبته أوبئة أخرى منها التيفود والملاريا . وقد اعقب هذا مجاعات خطيرة واضطرابات شتى ، ولم تكن وسائل الوقاية والتمريض ميسورة ، فخسرت روسيا من جراء هذه الأوبئة سبعة ملايين نسمة

ثانيا — الانفلونزا التي انتشرت في الأشهر الاخيرة من الحرب الكبرى . ويلاحظ ان كل حرب خطيرة تنتهي عادة بوباء فتاك . وقد نشأت هذه الحمى في معسكرات الجنود ، ثم انتقلت منها الى المدن والقرى في جميع أرجاء العالم فأودى الوباء في شهور قلائل بأكثر مما أودت الحرب الكبرى في عدة سنوات . فقد بلغت ضحاياه في الهند وحدها خمسة ملايين نسمة ، ومات منه في أمريكا عشرة أمثال من مات من جنودها في الحرب الكبرى . وبلغ من خطورته ان ارتفعت أثمان الاكفان وصناديق الموتى ، ولو استمر عشر سنين لاخلى الارض من البشر جميعا !

ع . غ

خلاصة كتاب "Les Epidemies et l'Histoire" للعالم الفرنسي Albert Colnat عن مجلة Science Digest

الأم الآثمة

قصة للكاتب الفرنسي ادوار كلارون

> تعتبر هذه القصة ثورة وتمثل السند الذي جعلها مؤلف بركزه في موقف رئيسي يعترك حيث معدل ويعرف في حلاقة صرح أسرة والقصة مأساة يجيء بها عبرة أخلاقية رائعة

أطرق هنري كريستيان لحظة واسترسل في التفكير، ثم رفع رأسه وحدق الى الأفق البعيد الزرق من خلال أستار النافذة المفتوحة، ثم نهض واطل من النافذة وطوى ذراعيه على صدره وانهمرت من عينيه الدموع. ولطالما شجته الفكرة تصور الجريمة الشائنة التي ارتكبها أحب الناس اليه، وتمثل والده صبيا مضطربا حائراً متردداً خائفا، فانقبض فؤاده وجاشت عواطفه المتحيرة، فهو لا يستطيع أن يقر الفعل في مائه وأن يثأر عنه لشرف الأسرة الملوث

ولكن ماذا يعمل وكيف يتصرف وأي الطرق يسلك؟

لقد شعر منذ بضعة أسابيع أن جو البيت قد تبدل وأن روحا خبيثة سرت به وأن الرذيلة المروعة تسكن في جنباته وتتأجج بالحقد وتبعث على التمرد والثورة

أين الاشكال هنا! . . . أيحتمل أن تكون أمه خائنة؟ . . . أنها ولا شك امرأة أنيقة رشيقة جميلة، فكهة الحديث حلوة المعشر، مرحة تحب الحفل والمرح، وفي أخلاقها مسحة من الخلاعة وبعض الدلال. ولكن هذه الظواهر الشائعة لا تنم عن اتهامها ولا يمكن أن تلقي عليها ظلا من الريبة . . .

ومع ذلك فإن في حركاتها واضطرابها ونظراتها ما يحمل أشد البلاهة على أن يحكم بأن نفسها قد تغير، وعلى أن قوة رهيبة جهنمية سيطرت هذه الأيام عليها وأحالتها في نظره الى امرأة أخرى. أجل! انها الآن أشد جرأة وأكثر خلاعة وأوفر جرأة واستهتاراً. ثم هي تسرف اسرافا منكرا في اذلال زوجها واستغلاله وتعاليه على أقل هفوة تبدر منه وتعييره أمام الناس والتنكيل به ما استطاعت الى ذلك سبيلا

كل هذه الرؤى طافت بخيال هنري ثم تماسكت وتجمعت وانجلت عن صورة واحدة استقرت في عقل الشاب واحتلت نفسه ومزقت فؤاده تمزيقا: مثل والده التاعس المسكين رجلا متجهم الوجه منقبض التقاطيع من الظلم يخضع لامرأته خضوعا أعمى وينزل على ارادتها صاغراً

ويحبها أعظم الحب وهى تستبد به وتتعالى عليه وتسخر منه وتبتز ماله لتنفق على زينتها غير حافلة بحبه ولا بعنائه ولا بمستقبل ابنها وشرف الاسرة

تجسمت الصورة فى خيال هنرى وبدت واضحة دقيقة تختلج حرارة وحياة ، فانغمس الشاب واتمم فى التفكير فلاحت له مرة ثانية صورة أمه ، فارتعد وخامرته الشكوك ولم يستطع أن يقاومها فأجهش بالبكاء

وانه لمستغرق فى تأملاته واذا به يسمع أشجار الحديقة تهتز اهتزازاً مريبا ويبصر شبحا يتنقل بينها خطى وئيدة ويدفع أغصانها دفعا عنيفا ويتجه صوب السلم الخشبى المؤدى الى مخدع والدته .
وكانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل والهواء عليل والسماء مرصعة بالنجوم والقمر يصب ضوءه الساطع على الحديقة فتزدهر وتتألق كأن حياة مرحة مبتهجة أنعشتها وساعدتها نضارة وجمالا وبهجة

وهلع قلب الشاب وخيل اليه أن الحظ قد نصحه وانه على وشك أن يكتنه ذلك السر الذى أقض مضجعه وعذبه الايام الطوال وسهده هذه الليلة ، فأوصد النافذة فى رفق ثم سار على أطراف قدميه ، ثم فتح باب حجرته واسترسل فى الدهليز الطويل ، حابسا أنفاسه متحسسا الاصطدام بأثاث البيت ، حتى أدرك مخدع والدته فأنصت قليلا فسمع الرجل المسكين يغط فى نومه . فتنهد ثم استطرد السير فى سكون وحذر حتى بلغ مخدع والدته وعندئذ طرق سمعه صوت الباب الداخلى المؤدى الى الحديقة يغلق على شخص دخل المخدع وصاح صيحة تأفف قصيرة ثم جلس على مقعد وجعل يغمغم عبارات مبهمة وهو يضحك

ولو أن الصمت كان قد ساد فى المخدع لحطم هنرى الباب واقتحم الغرفة وأخذ المجرمين متلبسين بجرمهما . ولكن الحركة اشتدت قليلا وعلا فجأة صوت مدام كريستيان وهى تردد

— اخرج . . . اذهب . . . ارحوك . . . عد من حيث أتيت . . . انك لمجنون . ما كنت أحسبك تزقا الى هذا الحد ! . . لا . . . لا استطيع قبولك هنا وفى مثل هذه الساعة . . . اخرج اخرج . . .

فتهدج صوت الرجل وقال :

— اسبوعا بأكمله لم أرك فيه . . . انتظرت صباح الاحد الماضى . . . هناك . . . فى بيتنا . فى وكرنا . . . انتظرتك طويلا ولكن على غير جدوى فخشيت الا تكون مريضة فجئت اليك بنفسى . فلتصفحى عنى . انى من أجلك أخاطر بحياتى

فارتجف صوت مدام كريستيان وقالت وهى توشك أن تبكى :

— استحلفك بالله أن تخرج . . سأكون هناك فى بيتنا . . . غداً . . فى نفس الساعة . . . ولكن اخرج . . اخرج . . . اخرج بالله . . .

وعندئذ صرخ الرجل صرخة فرح وقال :

— كم أنا أحبك !

وفي تلك اللحظة ضغط هنري صاحب الصوت فاقشعر بدنه واصطكت أسنانه وصبب العرق البارد على جبهته ولكنه تمالك نفسه وانتظر قليلا وهو يلهث . وبعد أن أصغى الشاب الداخل وعادت مدام كريستيان الى فراشها وخيم الصمت العميق على البيت . استجمع هنري قواه ورفع ذراعه المرتعشة ونقر بأصابعه على الباب نقراً خفيفاً ، فسمع من الداخل صوت فاتر أجش يقول :

— من هنا ؟

فأجاب الشاب :

— افتحي . . افتحي . . أنا هنري

— ماذا تريد ؟ . .

وفتح الباب فجأة ودخل منه الشاب . ولم يلق هنري أية نظرة على والدته بل اتجه من فوره صوب المقعد المستطيل وارتمى عليه وطمر وجهه بين راحتيه ولم يتكلم . وانقضت بضع ثوان ومدام كريستيان تحدق الى ابنها وتعض شفتيها ولا تجسر هي الاخرى على الكلام . واخيراً نهض الشاب ودنا منها وأمسك ذراعيها وطفق يهزها هزاً عنيفاً ويقول بصوت شاع فيه السخط ممزوجا بالحسرة والأسى :

— لم . . لم صنعت ذلك يا أماه ؟ ! . .

وهمت بالكلام ولكنه قاطعها وهو يهدر :

لا تنكري . . لا فائدة . . رأيته حين يتسلل في الحديقة ويصعد الى هنا ! . .

ثم صمت فترة وارتجف وقد غشى الدم عينيه وأفقده الغضب رشده :

— تخدعين أبي . . ومع من ؟ .

وانقبضت عضلات وجهه وتشوهت تقاطيعه واستطرد :

— مع المسيو روبير ! . . مع والد خطيبتي ! . .

واستهول الخيال كأنه لم يخطر على ذهنه إلا في هذه اللحظة ، فانقض على والدته وجذبها من ذراعيها وأرغمها على أن تجثو أمامه على الارض وقال :

— واذا قتلتك الآن . . اذا انتقمت لذلك الرجل الطيب المسكين ، ألا أكون قد أديت له واجب البنوة ؟ . . ولكنه يحبك يا أماه ! . . ولو قتلتك لمات هو أيضا على الاثر ! . .

وسكن هنري لحظة ولما لم تطرق مسمعه كلمة واحدة من أمه ، ثارت أعصابه وغلى دمه وقال بصوت حطمه الألم :

— سنسافر غداً الى لندن !

حزنت المرأة وتولتها رعدة ، وبعد أن كانت هادئة قطبت حاجبيها وتحدثت الى ولدها وقالت بلهجة ملؤها التحدي :

— تريد أن أسافر لتقطع صلتي بروبير ؟ . . لك ذلك ولكن بأي مال نسافر ؟ . .

فتطلع اليها مبهوتا وقال : — كيف ؟

ضحكت ضحكا متشنجة ساخرة وقالت :

— آخر عمارة كانت لوالدك ، بيعت منذ أربعة أيام . بيعت بقيمة الرهن ، أتفهم . . أفهمت الآن . . . لم نعد نملك شيئا ، ولولا روبير ... لولا نقود روبير ما استطعت أن تعيش في هذا البيت الجميل وتأكل وتشرب وتعتمد حطتك على فتاة رائعة الحسن ، أيها العاطل للعقل المغرور !..

فتمالك هنرى على نفسه وخيل اليه ان يدأ قوية هوت بضربة مطرقة على عنقه ، فقال وهو يجيل أبصاره في أنحاء الغرفة كنخوه :

— واذاً فروبير يقدمنا من الخراب مقابل الفوز بك ويتزوجني أيضا بابنته ؟ . .

فأجابت الأم وهي تبتسم :

— وانها لصفقة عظيمة لو كنت تعقل

فاختلج الشاب واستنكر هذه الوقاحة الصارخة تصدر من والدته ، فاقترب منها وقال في هدوء وبصره يلمع :

— ولقد رضيت بهذا ؟ . . أنت ؟ . . أنت ؟ . . فأجابت :

— أنا أحب روبير كما تحب أنت ابنته سونيا ! ثم . . ثم أنا أنقذكم ومن واجبك أن تشكرني على أن . .

فاستشاط غضبا وقال :

— الى أية هوة انحدرت بك خلاعتك وحبك التبرج وولعك الجنوني بالترف لقد حررت بذلك الرجل التعس وحطمتني أنا وأضرمت في قلبي بمختلف الاساليب حبا قويا عنيفا لابنة الخادق الوضيع الذي انتحله عشيقا لك ! . . ثم أردت أن أحب سونيا لأعمى الطرف عن سلوكك وأخاور . . ولكني لست الرجل ! . . أنا عاطل . . أنا لم آلف العمل . . ولكني متعلم وسأشتغل ومهما رغبت فيجب أن نعيش كما أريد وفي الجو الذي أريد وبمقدار للمال الذي أستطيع أن أربح . وما دمت والدي لا يستطيع أن يردك الى السبيل السوي فأنا الذي سأتولى هذه المهمة عنه !

وصمت برهة ثم أردف :

— سأقترض المال اللازم ونسافر غداً وسأبحث لي عن عمل في لندن !

فضحكت مدام كريستيان ضحكا قصيرة حادة وقالت متهكمة : ومتى نعود الى باريس ؟

فأجاب : لن نعود ! سأعمل هناك حيث يعمل ابن عمي في شركات التأمين

فرمقته والدته بنظرة ساخرة وقالت : وسونيا ؟ . .

فأجاب وهو يحترس منها : سونيا تحبني وستلحق بنا وهناك أتزوجها !

فقهقهت المرأة قهقهة وحشية طويلة ثم قالت : أواثق انت ؟

فحدق اليها والقلق يملأ قلبه وأجاب بلهجة يشوبها شيء من الخوف : كل الثقة !

فدنت منه وربتت على كتفه ثم مالت اليه وقالت وكأنها تهمس : ومنا رجل واثقا ؟

— ليرفتني . أنا واثق من حبها !

فتراجعت الام قليلا ثم سددت الطعنة وأرسلتها في عبارة أصابت بها المقتل :

— وهل أنت واثق من أن سونيا . . سونيا المطيعة الحيية . . . تحب الحياة التي يمكن أن تسعدها لها في لندن ؟ . .

وصمتت برهة وظلت تنظر اليه ثم استطردت :

— أواثق انت من أن سونيا تحبك أكثر مما تحب المال والترف وحياة النعمة التي ألفتها منذ نعومة أظفارها ؟ . . ان سونيا تشبهني ونحن أبناء طبقة واحدة . وكما انى أكره الفقر كذلك تكرهه هي أيضا . خذ بحكم عقلك ودع للشعراء الخيالية جانبا والا قضيت على أسرتك وفقدت المرأة الوحيدة التي تحبها !

فصاح هنرى . اذا كان الخيال في ان أكون شريفا فأنا رجل خيالي واذا كان العقل في ان أكون مجرما فأنا رجل معتوه . سنسافر غدا . فأعدي حقائبك ولا تضيعي الوقت !

وعندئذ تبدل وجه معلم كريستيان فجأة وانبسطت تقاطيعه وشاعت فيه رقة عذبة مقترنة بشفقة حبية . فالتفت اليها هنرى مبهوتا وتراجع ، فأقبلت عليه وطوقت عنقه بذراعيها وقالت بصوت منغم رخيم :

— يالك من مسكين يا ولدى العزيز ! . . تريد أن تضحي بنفسك ، أن تصارع الحياة ، أن تقتحم ذل العمل والفقر ، ولكن المخلوق الذي تعتقد أن في وسعك الاعتماد عليه والاستناد الى أحلامه واستلهامه روح القوة ووحي الجهاد ، لا يحبك كما تهوى ولا يؤمن بنظرياتك ولا يمكن أن يقبل التضحية معك . فهل في مقدورك أن تنهض بعبء التضحية وحدك وهل في استطاعتك أن تبذل حياتك في سبيل الآخرين وأنت مجرد من ذلك الحب الذي ترى فيه كل سعادتك ؟

فارتعش هنرى وجاشت عواطفه وانطلق عرامه الضعيف الكامن في أطواء نفسه ، فأحنى رأسه الكليل وبكى . وإذ ذاك خيل للأم الآثمة انها نجحت في تحقيق غرضها فانبسمت ابتسامة خبيثة واحتضنت ولدها وقالت في هدوء : عد الى رشدك وافهم ان الحياة أقوى منك !

ولكنها لم تكد تنطق بهذه العبارة حتى أحس الشاب وأفاق من غمرته وارتد اليه تفكيره الصارم فصاح : لا تلوثي حطيبتي ! . . انها أنبل منك !

ورمقته بنظرة هائلة ثم ضمت شفتيها المتيبستين ثم فتحتهما فى رفق وقالت وهى شاخصة اليه :

— اعلم الآن أن سونيا تعرف كل شىء ! . .

فسرت فى كيانه رعدة وتطلع اليها جاحظ العينين وتمتم : تعرف . . ماذا ! . . ان والدها ؟ . .

فأجابت الام فى سكون : نعم !

فأحس هنرى كأن الارض تميد به وكأن دوارا يطوح رأسه ، ولكنه استنكر واستهول ولم يصدق ، فدفع أمه عنه وقال : سونيا تعرف هذا وتقبل ؟ . . لأى غرض ؟ . .

— تعلقا بوالدها ومرضاة له وطمعا فى ماله وخشية أن يخص بعده عنها أو أن يتزوج فتفقد جزءا كبيرا من ثروته !

فاسودت الدنيا فى عين هنرى وانقبض قلبه وتلاحقت أنفاسه وأوشك أن يختنق

ولاح له فى تلك اللحظة طيف سونيا وتمثل حسن ابتساماتها ونظراتها وصمتها فساء ظنه ذلك هائل وتغلغلت الريبة الى قلبه كنصل حاد ، فزفر زفرة طويلة ثم قال :

— إذن فأنا أداة للاستغلال وسونيا تخدعني ؟ . .

ثم هب واقفا وأردف : لا . . . محال . . . لن أعتقد هذا . . . وإلا فان السماء نفسها تكون قد أقفرت من كل فضيلة ! . .

وغمره غضبه وشحب محياه واحدودب ظهره وغمغم : سأخاطبها !

فقالت الأم فى سكون وعدم اكتراث : لك ذلك ! . .

• • •

وكان قد انقضى وقت طويل وبدت فى الأفق طلائع الفجر وانبثقت فى السماء أضواء بنفسجية ساحرة . وكان المسيو كريستيان ما يزال يغط فى نومه فى مخدعه البعيد عن مخدع زوجته

وأحس هنرى أن الحب الوحيد الذى اعتقد أن يطل منه على الحياة والسعادة والنعيم والنور يوشك أن يوصد فى وجهه ، وأن المخلوق الوحيد الذى آمن به ووثق باخلاصه وأقامه فوق صرح رائع من العبادة والتقديس يوشك أن يهبط من عليائه ويرتد الى الارض ويختلط بالتراب . فعاوده أسى عميق واستولت عليه حسرة مرة . ولكن ايمانه بسونيا كان أقوى من الشك الذى بثته أمه فى صدره . فأراد ان يجهر . . أن يطمئن . . أن يكشف السر . . أن يستعجل الحقيقة ويواجه نفسه بها كائنة ما كانت

ونهض وفتح النافذة وألقى على السماء نظرة فأبصر أشعة الشمس تلوح من بعيد وتتأهب لتقهر الفجر وتنشر أجنحتها الذهبية الفاتنة . ثم عاد وطفق يذرع الغرفة وهو يحدق الى ساعة صغيرة قائمة على منضدة بجوار السرير . ثم شعر بتعب شديد يسرى فى أعصابه وينهك بدنه فجلس على مقعد وسند رأسه الى كتفه وأرسل هما مستطيلا وأغمض عينيه طلبا للراحة والاستجمام .

وظل فى مكانه هامد الحركة ، وأمه تخالسه النظر وقد اتكأت الى حافة النافذة تشهد فى هدوء مطلع النهار . وانقضت ساعة أخرى فى صمت كصمت القبور ثم ازرقت السماء فجأة وانحسر الضوء وطلعت الشمس ودبت الحياة فى الغرفة وامتلأت جنباتها الفسيحة بالنور . وعندئذ تحرك هنرى كأنما هو يستفيق من حلم وفتح عينيه وحدق الى والدته واختلج ، ثم نهض واتجه نحو الباب بخطى ثابتة عازمة ، فالتفتت اليه مدام كريستيان وقالت وهى ترتجف : الى أين ؟

فأجابها بصوت أجش غائر : الى البهو الكبير حيث التليفون

وقطب حاجبيه وأردف بلهجة مروعة :

— سأوقظ سونيا ! . . سأحدثها ! . . لا بد ان أستجلى الحقيقة اليوم فى الساعة ! . .

وفتح الباب فى رفق واختفى فى الدهليز الطويل ومدام كريستيان تتبعه بنظرات ملؤها الشفقة والسخرية

● ● ●

وساد الصمت فى أنحاء البيت وتعالت من الحديقة زقزقة العصافير وتألقت الغرفة وسبحت فى بحر من النور ، فشاع الطرب فى نفس مدام كريستيان وارتدت الحياة فى جنبيها جمالا وسحراً ، فقوى مرحها ونشطت آمالها وسمت النفس بسعادة الحب والمال مع عشيقها روبير ، وأيقنت لفرط تعلقها بعشيقها واستمساكها بعواطف أنثى ، ان هنرى سيعود الى رشده الآن ويدرك أن الحياة أقوى منه فيخضع لها ويزول منهاراً على حكم القدر

وعمت هذه الآمال فى حسها فأشرق محياها وتهلل جبينها وخيل اليها أن الحظ قد دان لها ، فأرادت أن تطمئن وتستوثق ، فمشت الى الباب واجتازت الدهليز وهى ترتعش . وإنها لتستدير وتهم بدخول حجرة الطعام المؤدية الى البهو الكبير واذا بها تقف وتختلج وتسمع دوى طلق نارى وصوت جسم ثقيل يسقط على الأرض

جمدت مكانها رعبا ولم تستطع أن تتحرك فأرسلت صرخة مرعبة أشبه بالعواء وانطلقت كالمجنونة تعدو نحو البهو الكبير . ولم تكد تدفع الباب وتتوسط البهو وتلقى عليه نظرة حتى أبصرت جثة ابنها المكروه منطرحة على الأرض حول آلة التليفون والدم ينزف منها ، فتراجعت مذعورة ثم أرسلت صرخة ثانية ، ثم أغمى عليها فسقطت فاقدة الرشد بالقرب من جثة ولدها الوحيد !

● ● ●

وبعد انقضاء ثلاثة شهور على هذه المأساة توفى والد هنرى وشوهدت مدام كريستيان فى لندن شاحبة الوجه ضامرة التقاطيع مشتعلة الرأس شيبا تكفر عن ذنبها وتشتغل عاملة فى أحد مصانع القبعات ! . . .

الرِّثاءُ في شعرِ أبي العلاء

بقلم الأستاذ أحمد الشايب

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

حين قال أبو الفرج قدامة بن جعفر في كتابه «نقد الشعر»: «ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل كان، وتولى، وقضى نحبه. وما أشبه ذلك. وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته»[1] – أقول إنه حين قال هذا، كان ينظر إلى هذين الفنين – المدح والرثاء – نظرة سطحية من جهة، ومنطقية حرفية من ناحية أخرى: فليس الفنان من طبيعة واحدة، ولا الأصل في المدح هو الأصل في الرثاء، سواء من ناحية مبعثهما، وما يثيران من انفعال، وما يقصدان من غاية، وما يستعملان من صور وأخيلة، حتى لقد تختلف الكلمات والعبارات اختلافا أوسع مما ذكر قدامة، وقد تدق فيخاطب الميت كما يخاطب الحي مما يجعل هذا الفرق الزمني الذي أشار إليه لاغيا لا خطر فيه ولا غناء. وقد يقول قائل: «أليس كل من المدح والرثاء نتيجة لانفعال الشاعر، وتأثره بما يصفه صاحبه حياً أو ميتاً، فيضفي عليه صفات يعرفها فيه، فمرة يقول: أنت شجاع كريم، وأخرى يقول: كنت شجاعا كريما؟» ومثل هذا الاعتراض لا يقدم المسألة بل يؤخرها ويزيدها غموضا وإجمالا، فإنا نعرف أن فنون الشعر الغنائي كله إنما تصدر عن انفعال الشعراء بما يحسون، فتصدر عنهم وصفا، ومديحا، وهجاء، ورثاء، ونسيبا، وحماسة، ولكنا نتجاوز هذا الإجمال دائما حينما نريد أن نعرف نوع الانفعال الذي يخلق فنا بعينه أولا، ثم مظاهره في أسلوب هذا الفن ومعانيه ثانيا.

وهنا نلاحظ سريعا أن المدح فن الحياة، والرثاء فن الموت، والمدح يبعثه الإعجاب والأمل، والرثاء يبعثه اليأس والوفاء، والمدح يلابسه بهجة وسرور، والرثاء تتصل به الفاجعات والأكدار، والمدح يثير في النفوس غبطة وسروراً، والرثاء يبعث فيها الحسرة والاعتبار. ومع ذلك فقد ينتهي كل من المدح والرثاء إلى غاية خلقية واحدة، وذلك حينما يدعوان إلى إجلال الممدوح والمرثي، ويشيران إلى أسباب المجد التي يجب أن يتشبث بها أفاضل الناس ليذكروا أحياء وأمواتا، فكلا الموت والحياة نافع في تربية الحياة وفي الدعوة إلى مثلها العالية.

(1) قدامة: نقد الشعر، ص ٣٣ طبعة الجوائب.

هذا الفرق بين الفنين من حيث طبيعتهما ، يجعل لكل منهما جواً خاصاً به ، ويشيع في عباراته صنوفاً من الكلمات ، والصور ، والتراكيب لا تصلح للآخر . وهل من يرى القصور كمن يقف بين القبور ، أو من يرسم الحياة بهجة وأملاً وجمالاً كمن يصورها غروراً ويأساً وزوالاً ، أو من يضع جبينه على حجر قائم كمن يمسحها من على غابر ، أو من يستوحي السكون الصامت والروض الزاهر كمن يحتط بالخراب الشامل والرفات الرميم ؟

على أن هناك ناحية من هذه النواحي ألم بها النقاد الأقدمون نشير إليها ما دامت متصلة بأهم العناصر التي تبني كلا من المديح والرثاء ، هذا العنصر هو صدق الشعور وقوته ، ففي العمدة ، « قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخزيمي : أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مراثيك » . فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء (١) » فأول ما يتراءى لسامع هذه الاجابة هو الفرق بين بعث هذين الفنين في نفس هذا الشاعر ، إذ قد لوحظ أن عاطفة الرجاء التي تنتج المديح أقوى وأعمق من عاطفة الوفاء التي تخلق الرثاء ، كما لوحظ أن هذا الشاعر قد حكم على نفسه بالنسبة وأعاد الشعر صناعة من الصناعات العملية ، لا فنا من الفنون الحية ، فكان الرجاء في الأولى يحفزه على التجويد الذي لم يبلغه الوفاء في الأخرى ، ولولا علمنا أن الشعر في كلتا الحالتين كان وحي الشعور الصادق لتكافأ الفنان أو كان الرثاء أقوى ، لما يصحبه من رهبة الموت الصادقة ، ولأن الملاحظ مشترك بين النفوس جميعا يصل إلى كل منها بأقوى الأسباب وأوثق الصلات

•••

الرثاء فن الموت تبعثه الصيحة النازلة ، والخطب الفادح ، والمعظم الذاهب ، والدنيا الفانية . لهذا كان معرض اللوعة الباكية ، والحزن العميق ، والمقارنة بين العمران الزاهر والخراب الشامل ، وبين القوة الصاخبة والسكون المطلق ، وبين الموت والحياة . وبابه تصبب الأسى ، والتنفيس عن النفوس لعلها تشفى من ألم المصاب . والرثاء يعرف الميت أثره المحمود ، وصنعه المشكور ، وما كان لصحابه من صنوف شتى الوجوه ، ووجوم ملك النفوس ، وشفاء نال من الناس كثيراً . والرثاء يرسم مع ذلك السبيل الشاملة لنيل المجد والفوز بأسباب الخلود . وأخيراً يعرض للموعظة الحسنة ، والاعتبار بصروف الأقدار ، ويوحي بترك الغرور والجبروت

هذا الفن ، على الرغم من وحدة باعثه ، جمع لمذاهب شتى ، ونظرات متباينة ، تكاد تبلغ عدد الشعراء . فهذا ابن الرومي لما رثى ابنه محمدا صور حزنه عليه ، وضاق أفقه فلم يعده إلى سواه . فكان حلفا لادعا ، وإن لم يكن عاما شاملا :

توخى حِمام الموت أوسط صبيتي ... فلله كيف اختار واسطة العقد

(١) ابن رشيق : العمدة ، ج ١ ، ص ٧٩ ، مطبعة السعادة

عجبت لقلبي ، كيف لم ينفطر له ولو أنه أقسى من الحجر الصلد
وما سرني أن بعته بثوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلد

فكأنه وحده هو المحزون ، وكأن الموت لم يقع الا على ولده . وهذا أبو تمام حين رثى محمد ابن حميد الطوسي استطاع في بعض شعره ان يوسع أفقه قليلا وأن يتجاوز الميت الى قبيله ، فأخذ يرثي قومه وهو يرثي شخصه :

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خر من بينها البدر
لئن ألبست فيه المصيبة طيء فما عريت منها تميم ولا بكر
كذلك ، ما ننفك نفقد هالكا يشارك في فقده البدو والحضر

وكأن للموت أثر بالقبيل ، وكأن الحزن يشمل أفراده جميعا . وقد نجد الشاعر يتخذ من فقد ملك عظيم ، أو بطل خطير ، أو خليفة جليل مناسبة ، لا ليرثيه وحده ، ولكن ليرثي الملك كله والأمة بأسرها ، كما فعل البحتري في رثاء المتوكل حين بكى مع الخليفة الخلافة ، ومع المتوكل جميع المسلمين .

ولم أنس وحش القصر إذ ريع سربه وإذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت على عجل أستاره وستائره
كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة بشاشتها ، والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا اليه بهاءها وبهجتها ، والعيش غض مكاسره

وقد تسمو عاطفة الشاعر ، ويتسع أفقه الى أبعد غاية ، فيتخذ من موت انسان مناسبة لا ليرثيه ، ولا ليرثي قومه أو شعبه ، بل ليرثي الناس جميعا ، أو الكون كله ، أو الحياة أمام الموت والدنيا أمام الآخرة . ولا أرى أحداً من شعراء العربية نبغ في هذه الدرجة مبلغ المعري في بعض شعره ، أو في قصيدتين من مراثي (سقط الزند) :

(١) غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ، ولا ترنم شاد
(٢) أحسن بالواجد من وجده صبر يعيد النار في زنده

هذا من ناحية الشعور ومقدار ما يتسع مداه . وأما من ناحية المعاني فانك تجد الشاعر يقف عند معنى فتاة فيعرض عليك الاوصاف والحقائق كأنها حي ممدوح ، قد سلبت عنه الحزن ، وروح الموت ، فلا تعرفها عن الاطراء الا برموز تدل على أن الموصوف هالك ، مثل كان ، ومضى ، وقضى نحبه . وتجد الثاني لا يقول شيئا الا مغموسا في الاسى ، مشتقا من الفناء ، ممعونا من القبور ، يعرف القارىء أنه من صميم المآقي ، ومسوق الرزايا ، وطوابع الآخرة . وكذلك الشأن في الخيال ، فمن الراثين من يتخذ صوره من الهم المطلول ، والاشلاء المتناثرة ، والقبور المهمة ، والمنايا الطائرة ، ويرسم معها البوم والغربان وصفات للعلة والهول ، حتى إذا عرضت له

ملامح الحياة ، ومجالى القوة والجلال ، ألقى عليها من نفسه الحزينة وفنه الباكى ، ما يردها كلمة باكية ، تنزى آلاما . ومن الراثين من ينسى نفسه ، وفنه . فيحفظ مجموعة من الصور ذات نسق واحد يرصعها بوضع واحد أو بأوضاع متشاكلة ، فلا فرق عنده بين الوصف ، والمديح ، والرثاء

وإذا أردنا أن نرسم لهذا الفن منهجه السليم ، فيجب أن نذكر هاهنا صفة من صفات العاطفة ، هى الاستمرار لتضمن بها ظهور الحزن فى كل أقسام المرثية ، وأبياتها ، وعباراتها ، وصورها ، ووسائله تحفظ وحدتها ، وتحمى من الشذوذ فى التفكير ، والتصوير ، والتعبير ، وشأن هذا المنهج هو شأن خطة المقالة أو الرواية التى تحد كاتبها قلمها المعقود عن جميع الخطأ والفضول

وإنما مهدت بهذه الكلمات ، التى قد تبدو ، لأول نظرة ، طويلة أو عامة ، لأننا سنجد فى رثاء المعرى أمثلة لكل هذه القضايا والآراء التى أوردناها

●●●

للمعرى منوع الرثاء غير ملتصق به ، يجمع من كل شىء شيئا ، ويعرض نماذجه الموزعة بين الشعراء ، كما يتدرج من خطوة التقليد الساذجة المتكلفة الى ذروة الفن حيث وقف على هذا البرزخ الذى يصل أو يفصل بين الحياة والممات ، حاكما عليهما ، ومصدقا حزنا يرى مصب الحياة أمام الموت ، وهو ان الدنيا بجانب الاخرى . وإذا حاولنا أن نفهم الرثاء فى شعر أبى العلاء ، وجب علينا أن نلتفت الى عنصرين أساسيين هما عمدة كل شىء كتبه أديب المعرى ، وهما كل شىء لفهم أدبه ، ونقده وتاريخه بحثا فلسفته وعلمه . فهما العاملان فى تكوين آثاره الأدبية ، وإن شئت فهما الاثنان أساسا أدبه ، وهما طبيعته الفنية الحية ، التى لم يسمحا لها بالظهور إلا فى بعض قصائد من (سقط الزند) كالرثاء — من حسن الحظ — فيها نصيب كبير

وحين نذكر فلسفة المعرى نلاحظ هذه العناصر التى تعاونت فيها فجعلتها ساخطة ، حزينة ، متبرمة بالحياة والأحياء ، فمزاجه السوداوى ، وهذه الظروف التى تكالبت عليه منذ الطفولة ، ثم ما أصيب اليها من فساد الحياة السياسية والاجتماعية ، والخلقية والدينية — كل تلك صرفت أبا العلاء عن الحياة ، ووجهته الى رسم مثلها العليا التى لا تتحقق وإن كانت تخيل أو تخال . هذه الفلسفة جعلت لرثاء المعرى طوابع خاصة يعد خروجه عنها أحيانا نوعا من الشذوذ أو التقليد

(١) من ذلك اطمئنانه الى الموت والنظر اليه على أنه أمر طبعى تنتهى به الحياة ، وإذا فلا فزع ولا جزع ، ولا تهويل ولا صخب ، وخير للانسان أن يلقاه راضيا مادام حتما نافذا

(٢) وقد تجاوز الرضا الى السرور بالموت وتمنيه لتخلص نفسه من هذا الحبس الجسدى ، والشقاء الاجتماعى ، وذلك حين رأى الدنيا لا تستحق جهد الحياة فيها ، ولا تفصح عن سر وجودها ، فكره المقام فيها ، كما كره لنسله حلل بينها وبينه . وقد يبلغ به الأمر الى الوقوف على القبور ضاحكا ساخرا بالأجساد تصطخب فى الحشر ، وبالأحياء يأكلون الأموات

(٣) ومن ذلك هذه النظرة العامة وسعة الأفق ، فأخذ ينظر الى الحياة والأحياء على أساس الوحدة الواحدة غالبا ، فيذكر الدنيا والآخرة ، ويتخذ من الموت المواعظ والعبر ، ويتجاوز الرثى الى فلسفة الموت والحياة ، ناقدا ، متألما حينا ومتفائلا حينا آخر

(٤) وهذا جعله يتطلع الى ما وراء الموت ملحا ، متغاظا ، وشاكا أحيانا ، وقد بكر ظهور هذا المعنى في رثائه وفي غيره حتى صار سمة من سماته :

طلبت يقينا من جهينة عنهم ولن تخبريني يا جهين سوى الظن
فان تعهديني لا أزال مسائلا فاني لم أعط الصحيح فأستغني

(٥) ونتيجة هذا أن يصب حزنه على الأشخاص ، أو يستحيل حزنا عاما على الناس جميعا ، وعلى الكون كله . ويتصل بذلك ، شكايته الأيام وصروفها ، والخلائق وآدامها ، حتى كان رثاؤه مزيجا من التفجع ، والشكاة ، والسخط والاحتقار

(٦) وبجانب ما سبق ذكره — أهما هذه المظاهر الرثائية — ما وقع فيه المعرى من الاسراف من موضوعه أحيانا حتى يستحيل الرثاء مديحا أو وصفا ، وذلك يجره الى كثير من الأحجية والمعارات التي تعد شذوذاً في فن الرثاء ، وكم رأينا للمحاملات أثرها في هذه الظاهرة ، فترك المعرى طبعه الحكيم الساخط الى الوقوف مع الشعراء يمدح الموتى ، ويطرى سهم مداراة أو تصنعا ، فكان منه متعقلا تعوزه الروح الحارة التي تلائم ما صنع من أسلوب لفظي عاد فارغ كمثله

وأما عن أبي العلاء — وأكثره للمرى وطبعي — فقد أفسد أسلوبه لأدني إلا في الأقل النادر وحشاه بهذه المصطلحات العروضية ، والفلكية ، والنحوية ، والفلسفية أولا . ثم حمل أبا العلاء يغلو في هذه الصور التقليدية من البيان والبديع ، ويقصد اليها كثيرا ناسيا حزنه يذوب أو يتوارى في هذه العبارات والأحجية غير اللائقة ثانيا . وقد أثر ذلك أحيانا في وحدة المرثية ، وعرضها للاستطراد على هذا النحو الجاهلي حين يشبه الشاعر الشيء بآخر ويأخذ في ترشيح التشبيه باستقصاء مايتصل بالمشبه به ناسيا المشبه حتى يعود اليه بعد عهد طويل .. ثالثا . وذلك كله جعل لرثاء المعرى طابعه العام ، وان لم يخلص تماما من هذا المذهب الذي سلكه سائر الشعراء من حيث كراهية الممات ، والتعلق بالدنيا ، والتوسل في أثر الصفات ، والاعتصام بالصبر وحسن العزاء

والآن نرجو أن نفسر هذا الاجمال بعرض إجمالي لنصوص هذا الفن العلائي ، ما دامت هذه الصفحات المعدودة لا تسمح بشيء من التفصيل والاسهاب

يرجح أن باكورة الرثاء في شعر المعرى كانت مرثيته في أبيه عبد الله بن سليمان ، وكانت سن أبي العلاء قد بلغت الرابعة عشرة ، فهي من شعر الصبا ظهرت فيها الصناعة التقليدية التي أخفت حزنه إلا ملامح ، كما بدت فيها طلائع الحيرة والتطلع الى مابعد الموت ، وبيان تعلق الناس بالحياة ، فهي ابتداء فن الرثاء ، ولكنه مع ذلك فن المعرى دون سواه : —

نعمت الرماح حتى على عاطل القرن — فلا عاطل إلا صوتي من الطعن

ثلبت فتى ان شئتم سمى تسمى — ثم الطعنة النجلاء تدعى بلا سن

وهنا مطلع يشبه مزج النساء اللائي يدعون على أنفسهن بالويل والثبور عند الملمات ، ويذكر أباه بالعفة ، والوقار ، والحزم ، ثم يدعو على الدنيا بحسب الله لتدرها أبنائها منذ وجدوا ، وهنا يطيل في تفصيل هذا المعنى نوعا ، وينتقل منه الى تعلق الخلائق بالحياة على الرغم من شقائها ، ثم يعود الى أبيه فيذكر صلاحه ، ويشبه بها النزل الجديد ، ويعلل معانيه الحبيبة ويصور حزنه عليه بهذه الصورة الدقيقة الساذجة :ـ

لقد مسخت قلبي وفاتك طائرا — فأقسم ألا يستقر على وكن

حتى اذا ذكر مرضه غلبه علم النحو فسيع هذه الذكرى التي كانت حقيقة بالقوة ، وحسن التصوير :ـ

ثنى وصيتي في أبيك واجب — كما وجب النصب اعترافا على إلا

ويستمر في قصيدته حتى يوشك على آخرها فقد تستجيد له هذين البيتين :ـ

فيا قبر واه من ترابك لينا — عليه ، وآه من جنادلك الخشن

لأطبقت إطباق المحارة فاحتفظ — بدرة المجد المنفسة الثمن

وبعد ذلك تأتي قصيدته الميمية في رثاء أبي ابراهيم محمد بن إسحق العلوي الحلبي :

بني الحسب الوضاح والشرف الجم — لساني إن لم أرث والدكم خصمي

وهي من شعر الشباب ، لم تسلم من هذه الصنعة الشعرية ، والنزعة العامة ، والعكوف على المديح ، وتوارى الحزن ، وضعف الوحدة الفنية :

شكوت من الأيام تبديل غادر — بواف ، ونقلا من سرور الى هم

وحالا كريش النسر بينا رأيته — جناحا لشهم آض ريشا على سهم

والميت بعد ذلك رفيع المكانة ، مصون الحرمة :

موقى الثنايا ، لم يقف بتهمة — طلوع الثنايا ، والمطل على النجم

وهو شجاع ، يكله السيف اذا لم يحمله أحد مثله ، ولم تعرف الحروب له أخا في الاقدام ، كريم ، حليم ، عف :

فتى عشقته البابلية حقبة — فلم يشفها منه برشف ولا لثم

وبعد لأي ينصرف الى بنيه فيعزيهم شاء عرضا وقد نسي الميت أو كاد ، حتى يعود اليه بهذا الأسلوب الفني السقيم :

فهذا ، وقد كان الشريف أبوهم — أمير المعاني ، فارس النثر والنظم

ذاكرا صفاته ، وآثار موته في الكائنات ، فيقول :

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها فى وجهه أثر اللدم

وينهى القصيدة راجيا من الميت الشفاعة له يوم القيامة :

لعلك فى يوم القيامة ذاكرى فتسأل ربى أن يخصص من إثمى

• • •

فاذا أشرف المعرى على غاية الشباب ، رأيناه يبلغ مع ذلك غاية الرثاء ، ويتسنم هذه الذروة التى لم يجاوزها فى هذا الفن الكريم ، ولم يسمح لغيره من شعراء العربية أن يتطلع اليها . أجل فان داليّته فى رثاء صديق صباه — أبى حمزة الفقيه الحنفى ، الحسن بن عبد الله بن المطهر — امتازت من التراث العربية جميعا بمزايا جعلتها مثال الفن الرثائى ، وجعلت أبا العلاء سيد هـذا الباب . وبقتها فى عصور التاريخ خالدة تتحدى الراثين (١) لموسيقاها الرتيبة (٢) وقافيتها المطلقة (٣) وعباراتها الحرة الكريمة (٤) وصورها المتألقة (٥) ووحدتها الشاملة (٦) ونزعتها الفلسفية الناصعة (٧) واحتقارها الحياة ، وحكمتها فى الأحكام ، والوقوف بالدنيا أمام الآخرة ... كل أولئك جعل هذه القصيدة مضرب الأمثال ، ومتعة الدارسين فى سائر العصور

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد

هذا المطلع وحده يكفى ليدل على أن أبا العلاء يشرف على الحياة ليرثيها ، ويسخر بمظاهرها الخادعة ، ويؤمن بحقيقتها الخالدة ، وهى الفناء :

صاح ، هذى قبورنا تملأ الرحـ ب ، فأين القبور من عهد عاد

خفف الوطء ، ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد

فاذا انتهى من ذلك ، عرج على تعلق الناس بالحياة مكبراً متعجبا :

تعب كلها الحياة فما أعـ جب إلا من راغب فى ازدياد

ان حزنا فى ساعة الموت أضعا ف سرور فى ساعة الميلاد

ولما أنهى من قصيدته فصلها الشامل ، مهد لفصلها الخاص بقصة الحمائم النائحات من عهد نوح الى ما شاء الله ، مطالبا إياهن إسعاده بالبكاء :

أبنات الهديل ، أسعدن أو عِد ن قليل العزاء بالإسعاد

إيه ، لله دركن ، فأنتن اللواتى تحسن حفظ الوداد

وبعد قليل ، وصل إلى أبى حمزة ، فاذا به عاقل ، سديد الرأى ، فقيه ، خطيب ، راوية ، ناسك

وخطا أيها الخليلان غشى الـ شمس ، ان الوداع أيسر زاد

واغسلاه بالدمع ان كان طهرا وادفناه بين الحشا والفؤاد

ولم ينس مع ذلك نظرته العامة ، ورأيه فى التسليم :

أسف غير نافع ، واجتهاد لا يؤدى الى غناء اجتهاد

ويستمر متردداً بين صديقه وبين الحياة حكماً موفقاً . حتى إذا قارب الانتهاء استوى في موقفه وعاد إلى السكون يرثيه لا يترك منه شيئاً :

زحل أشرف الكواكب داراً   من لقاء الردى على ميعاد
والثريا رهينة بافتراق الشمـ   ـل حتى تعد في الأفراد
كل بيت للهدم ما تبتني الور   قاء والسيد الرفيع العماد

وهذه خلاصة تجاربه ، وثمرة آرائه أودعها البيت الأخير :

واللبيب اللبيب من ليس يغتـ   ـر بكون مصيره للفساد

بعد ذلك نرى مرثية أخرى ، رثى بها جعفر بن علي بن المهذب لا تختلف كثيراً عن الدالية السالفة . فهي مثلها في صور العاطفة ، وسعة النظرة ، وفي الإيمان بالموت والسخرية بالحياة ، والعجز أمام القدر . وربما لا تشبهها في موسيقاها ، وفي ترتيب فصولها ، لذلك تخلفت عنها في الشهرة وإن لم تتخلف عن غيرها من المراثي العربية الأخرى :

أحسن بالواجد من وجده   صبر يعيد النار في زنده
ومن أبى في الرزء غير الأسى   كان بكاه منتهى جهده

ويقف عند الرثاء الممتاز السعيد ، ثم يعود إلى طبيعته العامة شاكياً واعظاً :

يا دهر يا منجز إيعاده   ومخلف المأمول من وعده
أي جديد لك لم تبله   وأي أقرانك لم ترده

ويطيل في ذلك مستعذباً ، ملحاً بما قد يربو على ما في الدالية الأولى حتى يقول :

كم صائن عن قبلة خده   سلطت الأرض على خده

كما يحسن الرجوع إليه في سقط الزند . ويختم القصيدة بتعزية أخي الفقيد

وهناك قطعة أخرى رثى بها صديقاً لم يسمه الديوان ، مطلعها :

يا راعي الود الذي أصبحت   تغني بظاهر أمرها عن غثها

وأهم ما يستوقفنا في هذه المرثية دلالتها على تقدم المعري في السن ، وشعوره بالضعف ، وسوء ظنه بالناس وبالدنيا ، ثم اعتذاره عن التقصير في الرثاء الباكر ، ودعاؤه للميت بالرحمة ، وله بطول الحياة

وقد كان أبو العلاء وهو في بغداد قد عرف الشريفين الرضي والمرتضى ، فلما مات أبوهما أبو أحمد الموسوي الملقب بالطاهر رأى أن يرثيه بهذه القصيدة الفائية ، ويعزي ولديه الشريفين به

أودى فليت الحادثات كفاف   مال المسيف وعنبر المستاف
الطاهر الآباء والأبناء والـ   أثواب والآراب والآلاف

وهذه القصيدة ، تمتاز بمعانيها العقلية ، وصنعتها البيانية أكثر مما تمتاز بصدق الشعور ، فهي

نوع من المبالغة ، والتهويل ، والوصف ، والمبالغة ، التشبيه ، فالدنيا ارتعدت ، والعلم يبكي ، والبحر طاش ، والبحر ثار ، والملاح اضطرب ، وهذه الغربان تنعب آسفة حزينة :

عثرت ركائبك ابن داية غاديا   اي امرىء نطق وأي فؤاد

ويطيل في الثناء على المرثي بالكرم ، والشجاعة ، والتقى ، والشرف . ثم يخلع من نفسه هذا السخط فيسبغه على الموسوي :

فارقت دهرك ساخطا أفعاله   وهو الجدير بقلة الاسعاد

ويفرغ لأبيه الشريفين فيحول القصيدة لهما مديحا خالصا لا نحس فيها أثراً للرثاء . وقد عارض شوقي هذه المرثية حين رثى اسماعيل صبري ، ولعله لمح فيه من خلال الفضل ، وسمات النبل ، ما وصله في رأيه بالشريف الموسوي ، فترسم به في القافية :

أجل وان طال الزمان موافي   أخلى يديك من الخليل الوافي

وأخيراً نرى المعري يرثي أمه . وقد كان قادما من العراق الى المعرة فعلم بموتها قبل أن يدركها ، وقد رثاها نثراً وشعراً ، ولسنا نشك في ان الحزن قد مس قلبه ، ومنع من نفسه عليها ما لم يمنعه على شخص غيرها ولو كان أباه ، حتى مس فلسفته العامة نوعا ما ، وأخذ يرثيها من ساخطا ، ويذكرها في غير موضع منتحبا ، ثائراً مضطربا يقول في رسالته الى خاله أبي القاسم يذكر أمه « فانا لله وانا اليه راجعون وله الحمد ممزوجا به الدمع . مسكنا له من الوجد الدمع . . رحمك الله من ساكنة رمس ، أصبحت حياتك كأمس :

فان ينقطع منك الرجاء فانه   سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

ولا آمل بعدها خيراً ، ولا أزيد في العمر إلا إضاعة وشيباً . . . يا سلوة الايام موعدك الحشر موعد والله بعيد ، لا سلوة حتى يؤوب عنزي القرظة . . . »

قال فيها قصيدتين . الاولى مطلعها :

سمعت نعيها ، صمي صمام   وإن قال العواذل لا همام
وأمتني الى الأجداث أم   يعز على أن سارت أمامي

وعلى الرغم من سلطان هذا الحزن ، لم يخلص أبو العلاء من صنعته الأسلوبية ، ومصطلحاته العلمية ، واسترساله الى هذه المعاني الخالص في طول غير مقبول . حتى وصف الاسد غضنفراً ، والحية الرقطاء ، والفروع الساجات ، والابل السارحات للهجرات . ثم يذكر أمه عارفا أعمامها الحسام ، وآباءها الكرام :

سقتك الغاديات فما جهام   أطل على محلك والجهام
ومطر كالبحار ، فلست أرضى   بقطر صاب من خلل الغمام

والثانية قصيرة وجدتها متواترة لديك ، عليها طابع الحزن ، ولعلها ذكرى مرت بخاطره بعد عهد ما :

خلو فؤادي بالمودة إخلال وإملاء جسمي في طلابك إملال
ولي حاجة عند المنية : فكها بروحي ، والأهواء منذ كن أهوال
لقد مت لم أحصل أباشلم حسرة جوتي ألم ريم بريعك مهمل

ويلم بآلامه في بعض أبياتها حتى يختمها برؤيا كان تفسيرها موت هذه الوالدة

لم نر للمعري رثاء بعد ما رثى أمه ، وقد كان ذلك إبان اعتزاله الناس بالمعرة ، ولزومه عقبه ، فهل كانت أمه آخر من رثى ؟ هذا جائز وإن يكن غير محتوم . على أن طابع حياته الأخيرة يبرر انصرافه عن هذا الفن لأسباب شتى ، وحسبنا بعض منها أو لا مرض ، وعزوفه عند هذا الحد ما نشاء . فقد انصرف عن الحياة الاجتماعية التي تصله بالناس ، وقصره على رثاء موتاهم ، ومعنى ذلك أن أعز الناس عليه قد ماتوا ، وهو بعد ذلك سيء الظن بالباقين لا يثق بأحد ولا يطمئن إليه ، فما وجه الرثاء إذاً ؟

والمعري قد استحال فيلسوفاً يكره الحياة ويرى الموت طبيعياً أو ضرباً مرجواً ، فلا وجه لتجهم له والتفجع به . ولا ريب أن أبا العلاء قد شغله العلم والدرس والاملاء ، ورأى في ذلك أنساً يجنبه عن مضطربات الحياة ، ومشاغل الشعراء . على أني أرى أن المعري لم يهجر الرثاء مطلقاً بل زاد فيه ولكن في صورة أخرى هي هذه الفلسفة الحزينة التي سجلها في آثاره الشعرية والنثرية أيام عزلته فليس من شك أنه كان يبكي على هذه الدنيا الفاجرة . ويود لو استطاع صلاحها ليسعد بها هو والناس جميعاً فاستحالت فلسفة الرثاء إلى حزن عام ، وشكوى مرة ، وحدب على الخلائق ورغبة في إنقاذ العالم من هذه المهازل التي يتردى فيها فتهلكه هلاكاً خاسراً

وجملة القول أن المعري ذهب في فن الرثاء مذهباً كان نتيجة طبيعية لفلسفته الساخرة الساخطة ، ومطارحه المريرة اللوعة ، واستطاع على الرغم من هذه الهنات الأسلوبية التقليدية أن يبلغ في فن الرثاء درجة تجعله أستاذ هذا الفن الذي نرجحه على جهة « المقلال »

أحمد الشايب

أبو العلاء يقهر الحياة

تحليل نفسيته في ضوء السيكلوجيا الحديثة

بقلم الأستاذ أحمد خيري سعيد

رزق قاضي المعرة وحمص غلاما اسمه أحمد، فهيأت قبائل «تنوخ» عظيمها لمولده واستبشرت بمقدمه خيراً. وورث هذا الطفل عن أبيه الفضل والسؤدد وزعامة تنوخ التي سادتها بالعلم والنزاهة، وتنوخ ما برحت تعلي وتفخر بأسرة القاضي التي أنجبت جمهرة من العلماء والقضاة والشعراء. وورث عن أمه السخاء والبر بالأقربين وذوي الأرحام، والولوع بذرع الأرض من مشرقها الى مغربها، وحب العلم والبراعة فيه. فكان أبوه عربيا قحا، وكانت أمه متحضرة من سيدات حلب، فاجتمعت فيه خصال البداوة والحضارة

ولم تكن سنة مولده خاملة في سجل الأيام: ففيها قضى المعز لدين الله الفاطمي على القرامطة وهزمهم في «عين شمس» هزيمة كانت القاضية. وفيها نشب الاقتتال على الديلم في بغداد بقيادة كبيرهم سبكتكين، ورحلوا عنها يحملون الخليفة في متاعهم، فكان ذلك اول العهد بزوال دولة آل بويه على يد محمود بن سبكتكين، كما كانت اول العهد بتوطد الدولة الفاطمية وبعث دولة الحمدانيين. هذا والعيش رخاء في حمص والمعرة، والحنطة توزع من هناك على دمشق وغيرها من البلاد المجاورة التي أضرت بها الحروب الداخلية المتتابعة والعالم العربي في الشرق الأدنى والأوسط وأفريقية والأندلس خصب في انتاجه الفكري والثقافي، وفي الحق لقد بلغ هذا الانتاج أوجه في نهاية القرن الرابع الهجري وما بعده بقليل

هذا الغلام صار بهجة الأسرة، لا سيما أمه وأخواله الذين قويت فيهم عاطفة انسانية عليها طابع السكون، هي المحافظة على تنوخ باطراد النسل ووقايته من كل سوء. ومثل هذا الغلام الوحيد ينشأ مدللا مرموقا من كل عين بالعطف والرجاء. فما كان أشد جزع الأم والأب والأقربين عندما نكب الغلام بالجدري في مستهل الرابعة من عمره. وما أطول ما شقي به الغلام وشقوا به من علة: فجأة ارتفعت حرارته، وارتعدت أعضاؤه وغشيه تشنج أليم، مع صداع وأوجاع في الظهر وقيء شديد متواصل وسرعة في النبض والتنفس، ولم يغمض له جفن ثلاثة أيام، وتركه القلق للمرض. ثم هبطت الحرارة فجأة وزالت آلامه وزايلته أوصابه، لكن طفحا طغى على وجهه، فالتهب جلده وتورم وامتد الطفح الى عينيه. وبعد عشرة أيام من ظهور الطفح، تحول

إلى بثور صديدية سببت آكالا لا يطاق وعطلتا دربا من جانب الفم والحلق واللسان . وسال الصديد من البثور ، وسالت يسرى عينيه وصب الصديد وتقاطر كثيراً ، وانتشرت بثرة على العين اليمنى فأحدثت قرحة أعيى الطبيب علاجها فاستعجل شرها واستعصت على الشفاء أشهراً . وما زال الداء يستشري ويتوغل في عينه اليمنى حتى ابيضت و بالاستغراق ، فعميت وقضت الابصار ، وأصبح الطفل اعمى في الخامسة من عمره تقريبا

وتولى علاجه الاطباء والمشعوذون في وقت معا . فمنعوه من الطعام الا اليسير من السوائل ، وحرموا عليه اكل اللحم والملح والبيض والجبن والسمك لأنها حارة لا تتفق والحمى . وأجلسوا الصبي في حجرة وادبه عرق دمه وسقوه منقوع الكزبرة والعدس والعناب . وحملوه يأكل التين للتحول مع العدس . وفصدوا عرق الانف والناصلق حفظ للعين ، فلما مع ، وخضبوا قدميه وكفيه بالحناء والزعفران . وعلقوا على جبهته عين الهر المعدن وأطلقوا في حجرته بخور الصندل وفرشوها بالآس وطلوا جسمه بالكافور معلولا بماء الورد . وعزلوه عن الناس أجمعين ، ولو لم يعزلوه لفروا منه فرار السليم من الاجرب . ولم ير النور الا من خلال رداء معصفر يحجب عنه جميع الألوان إلا اللون الاحمر ــ لون الدم . فنشأ على كره هذا اللون لاتصاله بذكريات هذا العذاب الرهيب

ووقر صمه لحن تخلط النعمات ، سمع بكاء أمه ورأى دموعها تنسكب . وسمع نواح الثكالى على أولاد أو أشقاء أودى بهم وباء الجدري . وأصغت لتطمينات الطبيب وتوكيدات المشعوذين انه سيبرأ بإذن الله سليما معافى كما كان ، وسمع من العراف والمنجم مثل ذلك ثم تبين له أنهم كذابون دجالون

نجا الطفل من الموت ، لكنه لم ينج من التشويه . فكف بصره وتراءى للناظرين شبحا : يسرى عينيه غائرة كحفرة ، واليمنى ناتئة قد اختلط سوادها ببياضها وتلوث الشعر في بعض نواحيها ، وترك الجدري بثوراً متقاربة في جلد وجهه . منظر كريه ، لا بد قد أثار سخرية الصبية من أترابه ، ولا بد ان يصيبهم أخذتهما مادة العبث والمماتنة . ولا بد أن الصبي أولاه من اسمها عطفا خالصا أو زائفا . دع عنك هزاله وضعفه ، فهذا قدر مشترك بين الناجين من الأوبئة السيئة

وخرج مسوداً أو كالمنبوذ . وأرهف شعور الاسى فيه انه عاجز عن التبصر في كل شيء . يقدمه الناس سراً أو جهراً ، صراحة أو تعريضا . وإذا اشفقوا عليه تبرعوا باللسان او تظاهروا به . فانطوى على نفسه وآثر الوحدة مكرها . واقبل على حفظ دروسه التي حرص أبوه على تلقينه اياها : القرآن والنحو وعلوم اللغة . وادمن النظر فيها فأجال فكره الصبي فيما احتواه الكتاب العزيز من قصص وقضايا تتعلق بالكون والانسان والموت والبعث

في بيئة كالمعرة وأسرة كأسرته قاسمها يترجم قبائل عربية بحوية مسلمة لا يسمحون باختلاط

الجنسين . وليس من وسيلة للاختلاط خارج الدار . أمه هي الوحيدة من بنات حواء التي أنس بها وتدفق قلبه حبها – هي التي حدبت عليه مريضا وتعذبت من اجله . والآن وقد كف بصره أصبح غير مستطيع أن يملأ منها عينيه كما أنه قبل عماه . وانما مثلها له صوتها الحنون . ومن هنا انزوى به الميل الى كل صوت جميل ، حربيا كان او طروبا . فلا جرم ان استأثرت بكل ما يختلج في نفسه من ميل طبيعي نحو الجنس الآخر . وانصرف الفتى الى تحصيل العلم بكلياته فرارا مما يكابده . وقصد من أبيه بمكان التلميذ من الاستاذ . ووهنت علاقة الاب بابنه وحل مكانها ما يشيع بين المتعطش الى المعرفة وبين الذي يجود بها سمحا مدرارا غير حاسب

الفنون الجميلة هي الوسيلة الكبرى للتعبير عما تجيش به النفس من آلام وآمال ، هي احدى الوسائل التي نصور بها مثلنا العليا وأحلامنا ، وهي الوقاية من عنت الحقيقة المرة ولسعات الرغبات والشهوات . وقد رزق هذا الصبي احساسا قويا ، وورث قدرة على قرض الشعر ، فقد كان أبوه شاعرا صاحب حظ غير قليل من الاجادة . ولو لم يكن قد ورث هذه القدرة على القريض وتذوق البديع من الشعر لترجح أن ينصرف اليه . فما من وسيلة تخصب منه بعض ما به غير الشعر . فليس بدعا أن يقرض الشعر في الحادية عشرة من عمره ، وليس بدعا أن يستوعب القريض حياته الفكرية والعاطفية . لكنه قد ورث كذلك نهما الى المعرفة ، وما عند أبيه منها إلا القليل . ثم هو قد ورث من أمه شغفا بالاسفار والتنقل

فماذا لا يرحل في طلب العلم ما دام موفور النعمة ميسورا ؟ لهذا وجدناه يشد الرحال الى حلب يدرس النحو واللغة على « محمد بن عبد الله بن سعد النحوي » ، أحد شعراء سيف الدولة ، ويدرس الحديث على « يحيى ابن مسعر » ، وغيرهما

فاذا هؤلاء الحلبيين مأخوذة من الكتب ، وانتقد فيه شيء من الثقة ، وهو قد أصبح لا يطيق اذلال نفسه لأيما انسان . الى الكتب إذن ، الى استاذ الجميع الذي لا يمن ولا ينقص . ورحل الى انطاكية ، ثم الى اللاذقية ، ثم الى طرابلس ، يختار من مكاتبها ما انتجته الحضارة العربية الاسلامية وما نقلته من الاغارقة والفرس والهنود . وفي هذه البلاد التقى رجال الدين من النصارى واليهود وبعض المتفلسفة منهم ، فأخذ عنهم علوم النصرانية واليهودية وثقافة الاغريق على وجه التخصيص ، ذلك بأن كان النفوذ البيزنطي قويا غلابا في هذه البلاد

بحافظته القوية وعقله الرحب النهم التقى كل ما انتجته الحضارة العربية الاسلامية من فكر وعلم ، وما نقلته وشرحته وزادت عليه من تراث أثينا والهند وفارس . وهنا ستتجلى العلوم التجريبية والتي لا غنى فيها عن النظر

ومات أبوه أثناء تحصيله ، فلم يرد حزنه عليه أكثر من حزن التلميذ على أستاذه ، فبكاه بدموع الشعراء ورثاه بعبارات التوقير :

فيا ليت شعري هل يخف وقاره — إذا صار أحد في القيامة كالعهن

وهل يرد الحوض الروي مبادراً — مع الناس أم يأبى الزحام فيستأني

حبا والده من حوائه وشماخة — وصن أصحابه عن ثل السل والجبن

أنه ما زالت حية ، غنية ، وقد خلف له أبوه وقفا يدر عليه ثلاثين ديناراً في العام ، فهو مطمئن على مصيره في هذه الحياة . لكن الموت الذي وقف على بابه خلال مرضه بالجدري سه في غمرة الاستطلاع فذهب يتساءل عن مصير الأحياء بعد الحياة

الروح . ؟ ؟ ما هي وما كنهها وأين تذهب حين تفارق الجسد ، هل تحل في جسد سواه ، هل تبعث معه يوم القيامة ، وهل يبعث الجسد ؟ ؟ وهذا الوجود أخالد هو ، والزمان والمكان والعناصر أقديمة هي أم حادثة وهل لها بداية ونهاية ؟ ؟ والعقل ما خطره وهل يوثق به ؟ ؟ وتلك العلائق المتناحرة ، وأساطيرها ودعواها ، وما نحب وما نكره ، ما وجه الحق منها ؟ ؟

الخلاف مستحكم حول هذه المسائل فيما قرأه هذا الفتى من كتب الدين ومذاهب الفلاسفة وآراء المتكلمين والمعتزلة والشيعة وأهل السنة ، فأيهم يأتم ؟ لقد صرفه العمى والتشوه وحب الاستطلاع إلى تحصيل المعرفة ، فأخذ منها متاعاً عوض عليه ما تمتع به أقرانه من لذائذ هيأتها لهم العافية والبيئة وظروف الحياة ، فحجب عن نفسه بعض ما أحس فيها من رعب ورهبة وقنوط . رياضة نفسية أشبعت نهمه إلى تحصيل المعرفة ولم تشبع نهمه إلى معرفة الحقيقة ، وحجبت عنه بعض ما يكابده ولم تزله عن كل ما يجد

فانقلب إلى المعرة وارتمى في أحضان البطالة والفراغ إلا من الروية والتفكر علّه يبرأ من هذا العذاب المقيم ، فانقضت خمس عشرة سنة وهو بعد كما كان يوم مقدمه ـ يجهل الحقيقة فيما أشكل عليه ، ولا تبارحه ذكريات الطفولة المعذبة . . . هو ، هو . . . أعمى مشوه ، اختزن في قرارة نفسه الرعب والرهبة والقنوط ، وضل في التيه باحثا عن الحقيقة التي أعيت الناس أجمعين

هل من سلوى لنفسه القلقة وعقله الحائر المتعب ؟ ؟ هل من لذة غير محرمة يباشرها تنسيه من بعض هذا البلاء ؟ ؟ هل من متجمع يرتاده عساه أن يظفر بغير تلك المصيبات ؟ ؟ إنه في بغداد واجد عند علمائها وفي مكاتبها ما يشري به ما فاته من متع حرمها منه العمى والتشوه ، ويطمئن إليه عقله الطموح للتوثب إلى عرش الحقيقة ؟ ؟ فرحل إلى بغداد ، وبحث عن علمائها ، والتقى بأعلامها ، واطلع على مكاتبها ، وحضر مجالس المناظرة والجدل فيها وتعرف إلى عظمائها وأقطابها ورضي هناك قراءة الناسين باحثا عن ضالته . فإذا هو حيث كان ، عطشان إلى الحقيقة ، لهفان إلى كشفها ، كدأبه أول عهده بالتساؤل عن تلك القضايا التي استأثرت بلبه وصرفته عن ذات نفسه

واطلع في بغداد على الدنيا مصغرة ، ورأى مصطرع المطامع والمراد الآثام ، واستكره ضيق السوقة والصفوة من ناسها واستعلى مقاصدهم وشاكس الأعراض

فلم يطب له المقام ببغداد ، على كثرة ما حباه به أهلها من تعظيم واجلال وعرضوه عليه من مال والطاف ، وألح عليه الحنين ففكر فى العودة الى مسقط رأسه ، وعرض عزلته بها على أصدقاء لا يتهم ولاؤهم ، فأقروه . واجتمع الى هذا الحنين القهرى الى المعرة ، حنين خالص الى أمه ـ أمه التى بلغه انها مريضة ... انه ليؤثر من الفردوس اليها ، فكيف وبغداد جحيم لا يطاق ، فالنجاء النجاء من عذابها ، الى المعرة كرة أخرى ... فربما وجد فى القرب من أمه سلوة وبين أحضانها عزاء من هذه البرحاء ... لكن أمه ماتت وهو فى طريقه الى المعرة ، ووقعت الكارثة الكبرى وحمت للأسف بغتة . فذهل وألح عليه الرعب والرهبة والقنوط ، لقد فقد المخلوقة التى أحبته ملء السمع والبصر والفؤاد ، وأحبها حبا جما ، حبا صادقا لا يشوبه هوى أو منفعة . لقد أمست الصلة الوحيدة التى تربطه بأشياء هذه الحياة عدماً وعبثاً

من الناس أفراد تسيهم من نقاء الأحباء وايابهم وردة جافة يحتفظون بها ، أو خصلة من الشعر يقدسونها ، أو كلمات عذبة يتغنون بها طوال الحياة . وقد كان المعرى من هذا الطراز ، فارتد الى الذكريات التى حببت اليه أمه وحببته اليها . ارتد الى ذكريات مرضه بالجدرى فأحياها ـ عاش بقية عمره نفس الحياة التى كابدها فى مرضه ، فى الدار التى أنس فيها بأمه ، سادرا يحترق من الهم ، ويأكل العدس والتين ، ويحرم ذبح الحيوان والانسان جميعا ، زاهداً فى متع الحياة عزوفا عن عبثها منعزلا فى بيته أسوان ، برماً بالخليقة يقترح العدم علاجا لها . .

ومضت لوعة حزنه على أمه وعلى حياته وعلى الناس تعرض الشعر من طراز لم يسبقه اليه أحد ، الشعر الذى أتى فيه « بما لم تستطعه الأوائل » . ووجد هذا الرجل المنكوب سلوى فى الشعر يصوغه من دمه وتجاربه وأفكاره ، ويبدعه من آلامه وأشجانه ، وصنع به عالما لا يعيش به قلبه الموجع وعقله القلق ، وضمنه أسمى ما يرتفع اليه الفن وتحسه النفس النبيلة ، وأودعه جماع ما حصل وجرب وأفاد . ومات هذا الشاعر العبقرى قرير العين بانتصاره على الحياة والعدم

أحمد خيرى سعيد

طلبة الجامعة

فى ميدان الجندية

طلبة الجامعة يتلقون فى الكلية الحربية درساً عن « التنظيم والادارة »

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

كيف يفهمون الحرية

في الولايات المتحدة

هناك طائفة كبيرة من أعداء الفاشية في الولايات المتحدة تناشد الحكومة باسم الحرية ان تقضي على هذا التسامح وتلومها أشد اللوم على بعض تصرفات منها :

اولا ـ التسامح مع فرق النازي الأمريكية والاغضاء عن معسكراتها والتجاوز عن جهودها ، في حين ان الاغلبية الساحقة من الامريكيين تكره النازية وتعدها نظاما رجعيا يهدم حرية الفكر ويقوض صرح الحضارة

ثانيا ـ التسامح مع انصار الفاشية الايطالية والاغضاء عن دعايتهم الخطرة في حين أن النظام الفاشي مكروه في أمريكا كالنظام النازي وفي حين أن الاعتداء على الحبشة ما يزال ماثلا في أذهان الامريكيين يستفز سخطهم على ايطاليا

ثالثا ـ التسامح مع الشعبة الشيوعية الأمريكية والتجاوز عن الدعاية المروعة التي تقوم بها في أوساط العمال مع العلم أن تلك الشعبة تخضع لوحي موسكو وتسهل لدولة اجنبية سبيل التدخل في الشئون الامريكية البحتة

ويزعم المعارضون للحكومة ان هذا التسامح قد يؤدي الى انهيار معالم الديموقراطية الامريكية لأن الحكومات الالمانية والايطالية والروسية تبذل قصاراها لانشاء أحزاب وكتل قوية في أمريكا غرضها السعي لانتهاز الفرص وقلب أنظمة الحكم وخدمة مصالح أجنبية معينة على حساب الشعب الامريكي

وأبلغ دليل على ذلك تغلغل الدعوة الفاشية في كندا وأمريكا الجنوبية ، والنازية في شيلي والشيوعية في الصين

هذا ما تأخذه المعارضة على الحكومة وتطلب اليها منعه باسم الحرية ودفاعا عن الحرية

روح جديد حربي، بدأ يسري في شباب مصر. فتراهم اليوم يدرسون بجدهم الحربي الشديد وكلهم أمل في [illegible] حاضر الماضي [illegible] وحلوة. وتجدهم الآن يقبلون على شتى العلوم العسكرية [illegible] الوطن. ولقد أخذت هذه العلوم مكانها من طلبة الجامعة المصرية في المدرسة العسكرية [illegible] حربية تحت [illegible] يتدربون تحت إشراف ضباط [illegible] ويحيون حياة عسكرية [illegible] روح العزم والنظام، وتزودهم [illegible] على التأهب والرجولة.

وهم يدرسون العلوم العسكرية [illegible] فيتعلمون [illegible] في فن الحرب [illegible] والخطط والإدارة، و[illegible] الخرائط العسكرية، وطرق [illegible]، وكذلك التاريخ الحربي وما فيه من وقائع حاسمة. وفي أثناء ذلك يتدربون على مختلف التدريبات العسكرية، وعلى كثير من الألعاب الرياضية، ويشتغلون [illegible] ويطلعون [illegible] يدرسونه نظريا

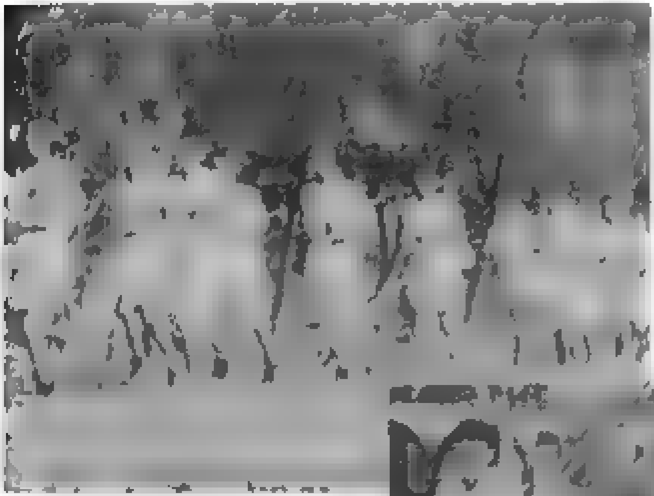

[illegible] على الألعاب الرياضية [illegible] في رياضة [illegible] التي [illegible] كل صباح

[illegible] من الطلبة يرتدون ملابسهم العسكرية مزهوين بها [illegible] عليهم من أمارات الجد والفتوة

ولكن أنصار الحكومة يردون على المعارضة بقولهم :

— ان اضطهاد الافكار والنزعات المخالفة لآراء ونزعات الاغلبية ليس من الديموقراطية الصحيحة فى شىء . فاذا ما اتخذت الحكومة تدابير تعسفية ضد الحركة الهتلرية مثلا فقد تنقلب هذه التدابير فى الغد وبالا على حركة معاكسة لها . فالضغط يولد الضغط كما ان الحرية تولد الحرية

وانه لمن المستحيل تقييد حرية بعض الاحزاب أو الفرق دون تقييد حرية الاحزاب والفرق الأخرى . فاذا حرمت حرية الاجتماع على الفاشست وجب ان تحرم على انصار العمال أيضا ، وإذا حرمت المظاهرات على جماعة النازى وجب ان تحرم على جيش الخلاص أيضا . واذا حرم على الاحزاب ارتداء الشكلات الرسمية فقد تتخذ من بعض الملابس العادية شكلات رسمية ، وهكذا تتحايل على القانون ولا تستطيع ان تتمسك

واذن فالحرية لا يمكن ان تتوطد وتتسع وتحترم إلا اذا تمتع بها الجميع وكانت ملكا خالصا للجميع . كما انه ليس فى مقدور الحكومة ان تظل حكومة شعبية ديموقراطية صحيحة الا اذا عممت استخدام الحرية وأقرتها واعترفت بها للجميع فى ظل القانون الذى عليه ان ينظمها فقط كى لا تنقلب الى اضطراب وفوضى . ثم ان هناك جماعات كبيرة من الشيوعيين أو الفاشيين الامريكيين يؤمنون بمبادئهم ايمانا عميقا ويعتقدون اعتقادا صادقا ربما أن تلك المبادىء وحدها هى التى يمكن أن تنقذ امريكا وتنقذ العالم . فاذا كان أنصار الحكومة لا يشاطرونهم هذا الرأى ، فهذا الخلاف لا يعد سببا موجبا لتقييد حرية الفريق المعارض واضطهاده وعدم التسامح مع أفراده فى التعبير عن آرائهم بالطرق والوسائل المشروعة

والمع مثل قدم لنا فى احترام الحريات فى بلد ديموقراطى هو ذلك المثل الذى ضربه المستر لاجوارديا محافظ نيويورك فقد سمح له النص بأن يحرم جماعة النازى من حق التظاهر فرفض رفضا باتا وقال :

« أنا لست نازيا ولا شيوعيا بل أنا أمقت هذين المذهبين السياسيين من صميم قلبى . ولكنى لو اتخذت تدابير تعسفية للقضاء عليهما ، أكون قد استخدمت أساليب البلاد الديكتاتورية فى بلد ديموقراطى . وهذا ما لا أقبله أبدا ! ... »

[ملخصة من مجلة أوكوران]

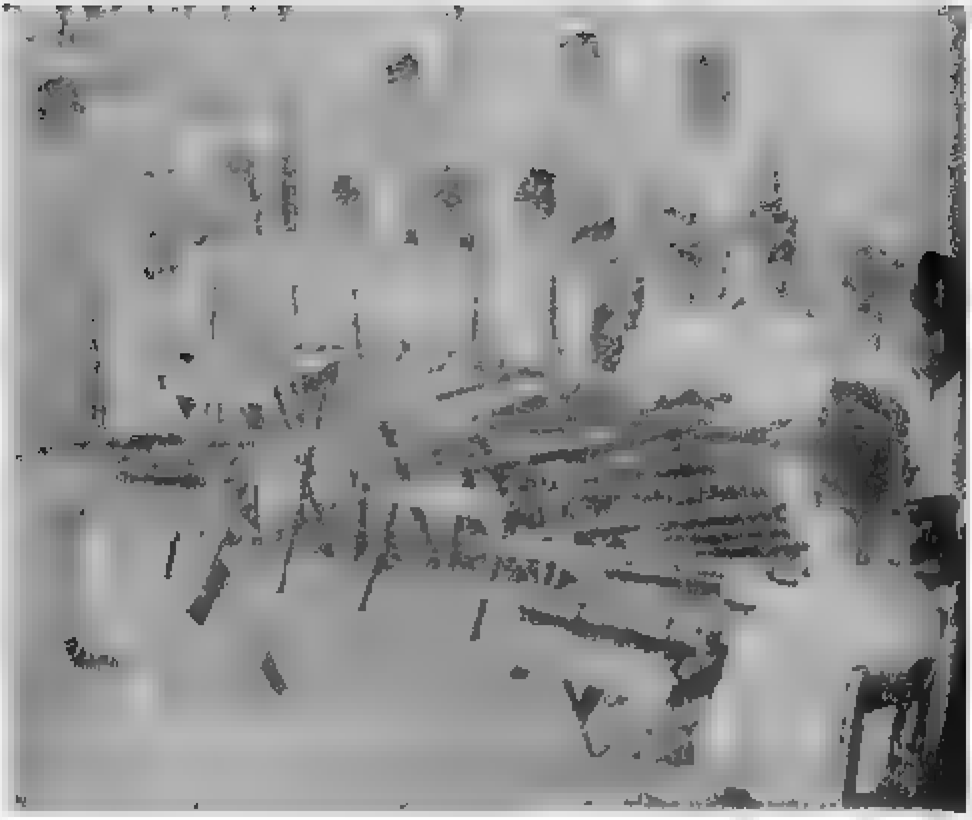

لفيف من شبان مصر يتلقون دروساً عسكرية من ضابط أي

ويحصلون في التدريب العسكري ستة أسابيع يستعدون بعدها سنة حتى يتم تدريب كل من يصبح من أبناء الجامعة.

وبعد أن تنتهي مدة التدريب يمتحن المتطوعون امتحاناً عسكرياً، فمن نجح منهم ولاه منصب «أي رئيس» لكتابة جنود. وإذا مضى في الصف القديم مدة أخرى عين قائداً للأشخاص جميعاً، وأخيراً بعد ذلك ضابطاً في الجيش الاحتياطي. ويحصل هؤلاء الطلبة تدريب إخوانهم في كليات الجامعة تدريباً عسكرياً، ويمكن شباب مصر المثقف من حمل ما تلقيه في ساحة الوطن والرجولة من أعباء. ولا شك أن هذه الحياة الحربية القوية التي يعيشها أولئك الطلاب فترة من كل عام، هي خير الوسائل لتنشئة الجيل الحربي الذي ما برحت مصر تفتقر إليه، منذ أراد من سبقه تأمرها أن يضعف روحها العسكري القوي، وأن ينسيها أنها شادت فيما مضى ملكاً عظيماً رفيعاً، ويوسعها أن تستعيد اليوم أمجاده ومفاخره، التي تبشرنا بها أمثال هؤلاء الشبان الطامحين إلى العزة، المتأهبين للتضحية، الواثقين من المستقبل الزاهر.

ونرى على هذه الصفحات صوراً لهؤلاء الطلاب المتطوعين العديدة.

مزايا اللغة الانجليزية

جعلتها أكثر لغات العالم انتشارا

« لا يتجاوز أفق اللغة الانجليزية شواطئ جزيرتنا ولا ينتظر أن تمتد الى ما وراءها » هذا ما كتبه أحد المربين الانجليز الثقات سنة ١٥٨٢ ، أى حين كانت الانجليزية خامسة اللغات الاوربية ، تتقدمها على التوالي الفرنسية فالألمانية فالايطالية فالاسبانية

ولكنها سرعان ما شقت طريقها الى الصف الأول قبل أن ينتصف القرن التاسع عشر ، وصارت اليوم أكثر لغات العالم ذيوعا إذ تتكلمها أقوى وأغنى دولتين في العالم - بريطانيا والولايات المتحدة ، وهي فضلا عن هذا ، اللغة الثانية ، لكثير من شعوب العالم ، إذ يعرفها الى جانب لغاتهم زهاء عشرين مليون نسمة

فالانجليزية تكتب ثلاثة أرباع رسائل البريد في العالم ، ويصدر أكثر من نصف جرائده ، وتذيع ثلاثة أخماس دور اللاسلكي . وما من ربان سفينة تجارية يستطيع أن يجوب بحار العالم وهو جاهل بالانجليزية

بل ان اللغات التي تنافس الانجليزية في الانتشار خارج بلادها ، كالاسبانية في أمريكا اللاتينية واليابانية في الشرق الاقصى ، انما استطاعت ذلك بما أدخلته في صلبها من المفردات والعبارات الانجليزية الصحيحة ، وقد بلغ من اقتباس اليابانية من الانجليزية ان بدأت تصدر في اليابان معاجم خاصة بما تحفل به لغتها من الالفاظ الانجليزية المحرفة

وقد ظلت الفرنسية عهداً طويلا اللغة الثانية المتممة في العالم المسيحي ، لتسلمها اللاتينية إذ هي اللغة الرسمية للكنيسة . وكان عدد من يتعلمونها ويتقنون الحديث بها أكثر من عدد الفرنسيين وبقيت الى عهد قريب اللغة السائدة في قصور الطبقات الارستقراطية في أنحاء أوربا . وهي كذلك لغة السياسة الدولية منذ كان عرش لويس الرابع عشر مطمح انظار البيوت المالكة كلها . ولكن التطورات السياسية والاجتماعية الحديثة رجحت على كفتها كفة الانجليزية التي يتكلمها عدد من الشعوب أكثر مما يتكلم أية لغة أخرى . وبدأت الشعوب تنظر الى اللغات نظرة عملية ، فتحل الانجليزية لغة ساحاتها ، بينما أخذ ظل الفرنسية يتقلص عن القصور ، وكذلك كانت لغة الامبراطورية البريطانية تسلب لغة فرنسا سيادتها في ميادين السياسة

فهذا أحد السياسيين الاوربيين يقرر أنه في اليابان يكفي للاوربيين أن يجروا أمورهم دون أن يتعلموا حرفا من اليابانية ، ولكنهم لا يستطيعون شيئا اذا كانوا يجهلون الانجليزية . وهي تبسط نفوذها شيئا فشيئا فوق الطبقات المثقفة في الصين والهند . وهي مادة أساسية في مدارس

ألمانيا وسويسرا والنرويج وجامعاتها ، حتى ان الفرنسيين أنفسهم بدأوا يتعلمونها على رغم ماهو معروف عنهم من كرههم اللغات الاجنبية وعجزهم عن اتقانها

ويرجع الفضل في ذيوع الانجليزية الى انتشار أهلها في جميع آفاق الارض . فهم أكثر الشعوب ولعا بالسياحة والرحلات ، وهم أشد الناس اقبالا على المغامرات التجارية من أقاصي الارض ، وهم أقدر دول العالم على الاستعمار والتوطن . أضف الى هذا عاملا آخر هو ضعف الانجليز في تعلم اللغات الاجنبية ، فاضطروا الى المحافظة على لغتهم ونشرها في البلاد التي يهاجرون اليها

ولكن أهم أسباب ذيوعها ما تمتاز به على اللغات الاخرى من أسباب اليسر والبساطة . فمنذ قرن مضى قال العالم اللغوي « جاكوب جريم » : « ما من لغة من اللغات الحية تستطيع أن تنافس الانجليزية في غناها ، ودقتها ، واقتصادها » . وأضاف الى هذا « أوتو جيسبرسن » من كبار فقهاء اللغة : « انها تبدو لي لغة جد رجولية : تلائم الرجل القوي الناضج ، وليس فيها ما يناسب عبث الطفولة أو ليونة الانوثة . . . »

والواقع أنها لغة سهلة في تركيبها ، واضحة في نطقها ، ترتب مفرداتها جنبا الى جنب في نظام منطقي دقيق ، وتخلو من كل تعسف وتكلف وحذلقة . وخير ميزاتها على الاطلاق أنها لا تميز بين المذكر والمؤنث والجماد في أداة التعريف ، ولا يستطيع أن يقدر هذه الميزة الا من قاسى تعلم الالمانية مثلا . ومن بساطتها أنها تضع ضميرا واحدا للمخاطب سواء أكان رجلا أم سيدة ، مفردا أم جمعا

ورجال التربية يتحدثون دائما عن غناها بالمفردات ، التي تبلغ على الاقل ضعف مفردات اللغات الاوربية الاخرى . ولا شك ان هذه الميزة التي يشيد بها المربون من شأنها أن تشق على الاجنبي في تعلمها واجادتها ، ولكن احدى ميزاتها الاخرى تيسرها له كثيرا ، وهي أنها أغنى اللغات بالكلمات القصيرة المؤلفة من ثلاثة حروف أو أربعة ، تضيف الى أولها أو آخرها مقطعا من المقاطع اللاتينية فيتغير معناها تغيرا تاما . أي أن كثيرا من كلماتها تتألف من « أصل » يتيسر حفظه لقصره وبساطته ، ومن « مقطع » من المقاطع اللاتينية المعدودة

والانجليزية من أشد اللغات اقتصادا في المقاطع ، فقد حسب الدكتور والتر كيركونل من فقهاء اللغة ما يلزم من المقاطع لترجمة « انجيل مرقس » الى أربعين لغة مختلفة ، فوجد انه يكفي في الانجليزية ٢٩٠٠٠ مقطع ، أما متوسط اللغات التيوتونية فيلزمها ٣٢٦٥٠ مقطع ، واللغات السلافية ٣٦٥٠٠ مقطع ، واللغات اللاتينية ٤٠٢٠٠ مقطع . أما في اللغات الهندية الايرانية ، مثل البنغالي والايراني والسنسكريتي ، فيحتاج الى ٤٣١٠٠ مقطع . وهكذا تمتاز الانجليزية على سائر اللغات ، في بساطة ألفاظها ، ودقة تعبيرها ، ومنطقية نظامها ، مما هيأ لها أسباب التفوق والانتشار

[خلاصة مقال كتبه هـ . ل . ميكين في مجلة سترنجيش]

صراع بين عقليتين

الفوارق الفكرية بين الصين واليابان

ان وراء الحرب الصينية اليابانية القائمة الآن صراعا بين عقليتين مختلفتين كل الاختلاف

فالصينيون يعتقدون – وهم فى ذلك على حق – أن حضارتهم أقدم من الحضارة اليابانية وأن اليابان أمة من الوصوليين وأن سر عظمتها المصطنعة يرجع الى اقتباسها روح الثقافة الصينية ومبادئها . ويرى الصينيون أن اليابان لم تساهم فى خدمة الحضارة الانسانية المشتركة وأن كل ما يمكن أن تفخر به هو تنظيمها الصناعى والعسكرى الذى جلبت قواعده وأصوله من أوربا

ويعتقد اليابانيون أن الصين كانت فيما مضى على رأس ثقافة حية . ولكنها اليوم أقل تقدما من اليونان الحديثة ، فهى أمة قد انحطت وتفشت فيها طبقة من المتعلمين الذين يتطلعون بأبصارهم الى الفوز بالسلطة ويطرحون عنهم العمل الآخر وليس فيهم من فى وسعه الاضطلاع بأعباء الجهود الصناعية والتجارية الحديثة أو التقدم بخدمة الامة فى اخلاص ونزاهة وبمعزل عن النفع الشخصى

ويرى الصينيون أن التربية اليابانية لا تؤدى الى نشر تعاليم الديموقراطية وروحها بل الى القضاء على الفرد وافنائه فى شخصية الدولة وجعله مواطنا عسكريا خاضعا كل الخضوع لسلطة كبار رجال الجيش . فالدراسات الاجتماعية الحرة لا وجود لها فى اليابان كما يزعم الصينيون وحرية الفكر مخنوقة وسواد الشعب يرسف فى اغلال الجهل والعبودية ويعيش ويكد ويكدح فى سبيل رفاهة الطبقات المثمولة

ويرى اليابانيون أن وفرة عدد الثورات الداخلية فى الصين تدل أبلغ الدلالة على أن هذه الامة لا تحسن تنظيم بيتها وأن فضيلة الطاعة تنقصها وانها تفرط شعورها بشوق اليابان عليها لتوطىء أكنافها للانجليز والامريكيين والروس فتمنح المستعمرين طريق آسيا

ويقول الصينيون إن صبغة الطاعة التى تتشدق بها اليابان ما هى إلا ضرب من العبودية مقترنة بنزعة تعصب وطنى استعمارى خبيثة ، تتجلى فى استبداد عدد من القواد بشئون الحكم وفى فرض آرائهم على الشعب من وراء شخصية الامبراطور

والواقع أن كلا من الصينى واليابانى يعيش بمعزل عن الآخر ويجهل مدى تطوره الحقيقى ويتشبث بتلك الآراء التى استحالت فى نفوس الافراد الى عقائد راسخة

وأما من الوجهة الاقتصادية فما لا شك فيه أن اليابان ترمق البلاد الصينية بعين الحسد والشهوة

وتطمع للاستيلاء على ما فيها من مواد أولى وتزعم أنها لو وضعت اليد عليها فستمكن سواد الشعب الصيني من الحياة وترفع مستواه الاقتصادي وتجلب اليه الحضارة الصناعية وتنقذه من حكامه المشهورين برذائل الأثرة والتنابذ والعبث والفوضوية

ولكن الفقر الشائع بين الأغلبيات الساحقة من الشعب الياباني يزيد في اقناع الصينيين بأن الطبقات اليابانية المتمولة هي التي تسعى لاستعمار الصين لا لخدمة الشعب الصيني بل لخدمة مصالحها . .

ومن جهة أخرى فالمابان تنكر من الصين أشد النكر ميلها للاتجاه صوب روسيا، وتستنكر وجود الروس في منغوليا الغربية وفي منطقة سين كيانج وتزعم أن البلاد مهددة بالخطر الشيوعي الذي قد يطغى على اليابان أيضا . ولكن الطبقة المستنيرة في الصين ترد على هذا الزعم بأن ضرورة محاربة الاستعمار الياباني هي التي حملت بالصين التقرب من اتحاد الجمهوريات السوفيتية

وهكذا تختلف آراء الشعبين وتتعارض في جميع المسائل سواء منها الخاصة بالحضارة أو الثقافة وأنظمة الحكومة أو شئون المال والاقتصاد

والحق أن اليابان تنزع نزعة عسكرية شبه فاشستية ، والصين تتجه بأنظارها نحو مثل أعلى من الحكم الديموقراطي الشعبي

[ملخصة عن مجلة إسشيان الجديد]

حفلات العرس المروعة

في بعض بلاد العالم

متى تزوج أحد الفرنسيين سافر الى نيس أو ايطاليا أو التيرول لقضاء شهر العسل بعد أن يكون قد تم زواجه في حفلة بسيطة يشهدها الاهل والاصدقاء

أما في بلاد الشمال فحفلة العرس تتخذ طابعا غريبا يظل راسخا في مخيلة الزوجين طوال الحياة

ففي فنلندا مثلا ولاسيما في منطقة كاريلي الحافلة بالغابات ، يضع أهل العروسين في المخدع الزوجي ثلاثة أسرة صغيرة ، يرقد العروس في السرير الأول وعروسه في السرير الثاني ، ويحرم عليهما النوم في ذلك المخدع بملابسهما العادية سبع ليال متوالية

وأما السرير الثالث فترقد فيه الخالة والعمة العريس كي تألفها الزوجة وتشعر بقربها وتعتاد

احترامها . وهكذا لا يتم الزواج الا بعد انقضاء تلك الليالي السبع وانسحاب الخالة من مخدع الزوجين

وفي لنوايا تختتم حفلة العرس مأدبة كبيرة ثم يخرج المدعوون وهم ينشدون مختلف الاناشيد ثم يبرز الزوجان فترتفع الاصوات بالهتاف ، ثم تسير الجموع خلف الزوجين الى بيت العريس . وهناك يقف الشاب بباب الدار ويلتفت الى عروسه ويحييها ثم يقول :

— أتعرفين ما يفرضه الزواج عليك من واجبات نحو زوجك ؟

فتحني العروس رأسها مبتسمة وتدخل مخدع الزوجية وهناك أمام الجمع المحتشد تنزع «ياسات» السرير ثم تبسطها ثلاث مرات للدلالة على أنها ربة بيت صالحة ، ثم تدنو من زوجها وتتفرس فيه بالنظر ، وعندئذ يجلس الشاب على مقعد ويخلع حذاءه وجوربه ، فتسرع الزوجة وتجيء باناء فيه ماء وتغسل على مرأى من الجميع قدمي زوجها . وبعد أن تفرغ من هذا العمل ، يعصب أحد المدعوين عينيها بمنديل أبيض ويتركها لنفسها فتتنقل بين الحاضرين وتظل تتخبط بين أثاث الغرفة وهي تتمتم صلوات لتنزل بها نعمة الله على البيت وأصحابه

وأما قبائل الصود التي تحيا على ضفاف نهر الأمازون فلها في الزواج وحفلات العرس تقاليد مروعة فاجعة

ومن ذلك أن الشاب متى فكر في الزواج واختار عروسه يعرض الامر على رئيس القبيلة ويسترضيه بمختلف السبل ليحصل على موافقته ، فاذا أذن الرئيس أسرعت أسرة الشاب في إعداد حفلة العرس

وتتلخص مراسيم هذه الحفلة في أن يصحب العريس ويأتي بعروسه الى الغابة قبل غروب الشمس . وهناك يتقدم بصحبة شاهدين ويرشد الفتاة الى جذع شجرة ويباشر ما يعرف عند أهل القبيلة بعملية التطهير ، فيتناول سوطا ويلهب به بدن الفتاة ، فتصرخ وتئن من فرط الألم ، واذ ذاك يقبل جمع من السحرة ويحيطون بالفتاة ويرقصون رقصاً وحشيا يتخلله هتاف مزعج يصم الآذان . وفي خلال ذلك يسرع أحد الشهود ويشعل النار عند قدمي الفتاة في كومة من الحشائش والحطب فتتلوى للسكينة وتصيح وتضرب الهواء بقبضتيها ويرعد الشاهد الآخر لا يحل وثاقها إلا بعد أن تكون قد فقدت رشدها وأصيبت شبه اغماء . وعندئذ يهلل السحرة معتقدين أن الأرواح الشريرة قد خرجت منها وأن الضرب والنار والرقص والغناء قد انتصرت على هذه الارواح وسحقتها وبددتها في فضاء الغابة

وفي النهاية تحمل الفتاة الى كوخ عريسها خالصة البدن والروح من كل رجس

[ملخصة عن جورنال دي لاكلم]

أعظم كلية للبنات

أمريكا تجدد في تربية الفتيات

زرت أعظم كلية للبنات في أمريكا . وهذه الكلية معروفة باسم (سميث كولج) وقد وسعني أن أتحدث عنها بعد أن اتصلت بأساتذتها وطالباتها من كثب والقيت في مدرجها الكبير عدة محاضرات

انشئت هذه الكلية بفضل سيدة عانسة تدعى مس صوفي سميث وقفت عليها جزءاً كبيراً من ثروتها . وكانت هذه السيدة حالمة وكان شقيقها للتعلم يعيرها بجهلها فأرادت أن تثأر لكرامتها وكرامة جنسها فشرعت عالها لتأسيس تلك الكلية

وانخرط في سلك هذه الكلية أول الأمر عدد صغير من الطالبات لا يربو على العشرين ثم اتسعت دارها وشيدت فيها الأبنية المتعددة

واحتضنتها الأسر الكبيرة وتبرعت لها بالمال فنمت وازدهرت ، وبعد أن كانت عام ١٨٧٥ مدرسة عادية أصبحت الآن كلية عظيمة تشرف على تربية وتعليم الفى فتاة

ومساحة هذه الكلية تبلغ نحو مئتى هكتار وهى تعنى بتخريج طبقة من النساء يمتزن بارستقراطية ثقافية رائعة ويصعد مستواهن العقلي في مستوى أعرق الرجال علما وأوفرهم ثقافة

وتتمرد (سميث كولدج) بمنهاجها الحرة في التربية . فلطالباتها حق الحرية المطلق في قضاء أوقات فراغهن حيث شئن ، وفي اختيار صديقاتهن ، وفي التصرف بحياتهن الخاصة ، وفي عقد روابط الصداقة بينهن وبين الطلبة الشبان في الكليات المجاورة

وقد لاحظت أن لاساتذة الكلية ثقة تامة بسلوك الطالبات ، وان هؤلاء يحترمن انفسهن ويقدرن كرامتهن ، ويقدرن قيمة العمل ويقبلن عليه في جد ورصانة ودأب

وتستغرق مدة التدريس أربع سنوات تحيا فيها معظم الطالبات بعيداً عن أهلهن ، في محيط علمى مستقل لا يمت الى محيط الاسرة وتقاليدها بأية صلة

والواقع أن الأسر الامريكية تعترف لابنائها بحرية التعليم والتفكير ، ولا تفرض عليهم ثقافة معينة ولا تحاول صب عقولهم في قالب تقليدى ، ولا تسرف في حبهم والعطف عليهم اسرافاً يطغى على استقلالهم ، بل تطلقهم من عقال البيت وترسل بهم الى الكليات البعيدة وتنفصل عنهم السنوات الطوال ، تاركة لهم ملء الحرية في تثقيف انفسهم وتكوين آرائهم الخاصة في الحياة والناس

وقد لاحظت أيضاً أن نفقات الدراسة في هذه الكلية عالية وأن معظم الطالبات من بنات الأسر المثرية . ولكني لاحظت في نفس الوقت ظاهرة غريبة ، وهي أن في الكلية عدداً من الفتيات عجز آباؤهن عن تسديد بقية ما عليهم للادارة من أقساط مالية معينة ، فلم تحرم الادارة بناتهم ولم تفصلهن بل عهدت اليهن مقابل هذا التجاوز في القيام ببعض أعمال يدوية كترتيب المائدة وتنسيق أحواض الزرع وما الى ذلك

وهذه الأعمال اليدوية التي تقوم بها الفتيات متوسطات الحال ، لا تغري الطالبات الموسرات باحتقارهن أو تعييرهن أو محاولة ايجاد أي فارق نفسي بين أعضاء هيئة واحدة

ولقد حدث أن طالبة تلقت ذات يوم خطاباً من شقيق لها أعلنها فيه أن والدها قد أفلس ، فلم تتزعزع الفتاة وتلت الخطاب على زميلاتها ثم أسرعت في نفس اليوم وهيأت لمن الشاي وسقت حجراتهن ورتبت « ياساتها » ، وقامت بالعمل اليدوي المفروض عليها في هذه الحال على أكمل وجه

ومن مدهشات هذه الكلية أن طالباتها يتمتعن بنوع من الحكم الذاتي يصطبغن فيه ببعض الأمم . فقد أنشأن محكمة خاصة بهن وانتخبن قاضياتها من بينهن ، وجميع المخالفات والشكاوى تعرض على هذه المحكمة فتفصل فيها وتصدر احكاماً عادلة يحترمها الكل في استقامة ونزاهة

وانى لأصارح انى لمست روح الديموقراطية الصحيحة في هذه الكلية التي تعد معقلا من معاقل الثقافة النسوية الرفيعة في امريكا [ملخص عن مجلة ...]

أكلة اللحم البشرى

رحالة فرنسى يصف ما رآه بعينه المروعة

مازالت بعض القبائل الساكنة في آجام أمريكا الجنوبية تأكل اللحم البشرى . فاذا وقعت على رجل من عدوها التهمت لحمه وقصمت عظمه ، وسط مأدبة دينية كبيرة ، تضرب فيها الدفوف ويجرى الرقص والغناء

وقد وصف أحد الفرنسيين للتبشير على مقربة من تلك الغابات التي يذهب اليها البيض لاستغلالها ، مأدبة مروعة أقامتها احدى هذه القبائل الوحشية ، حين وقع في قبضتها رجل فرنسى كان يجوب تلك المجاهل مع زوجته ، بحثاً عن أرض تصلح لاستنبات أشجار المطاط

فقرر رجال القبيلة أن يجعلوا الرجل نزلا ، فطرحوه على ظهره أرضاً ، وأوثقوه وثاقاً محكماً . ثم جاءوا بجذع شجرة ضخمة أثقلوا به صدره ، وأخذوا يقفون عليه جماعات جماعات ، حتى

حطموا أسلحته وحشروا عظامه وأرهقوا روحه . . هذا بينما وقفت نساء القبيلة في حلقة حول فريستهن يرقصن الرقص الهمجي ، ويغنين عنا صحن النكر

فلما فاضت روح الرجل انهالوا على جسمه يقطعون أوصاله وأشلاءه ، ويلقون بها في النيران المشتعلة ... وكل هذا على مرأى من زوجته !

ومن عادات هذه القبائل ان يحتفلوا بنزاع تيلهم الجبى ، فيربطوا أصابعها معا ليتمدوا منها ملعقة المأدبة التالية ، حين يتناولون الزوجة وينهشونها . . !

وكان أدهى وأقسى ما وقع ، ان أرغمت هذه الزوجة الشقية على أن تأكل من لحم زوجها . . ! فأحدث هذه الفاجعة بأعصابها ، وردتها مريضة مذعورة ، تترقب الموت الذى أجلوه الى يوم غير مسمى

ولقد سجنوها في كوخ تحت حراسة عجوز أحدثتها بها الرحمة . فكانت ترفق بها وتسعى الى خلاصها . فلما رأيتها للرض وتماسكت قوتها ، انسلت بها العجوز بعيداً عن الغابة ، حيث أخذتا تسيران على ضفة نهر هناك ، مختفتين بين أعشاب الكثيفة وأشجاره الملتفة ، وقضيتا يومين هكذا تتنائان من غور الغابة ، الى ان خرجتا من ظلام الهمجية الى نور المدنية

ومن الحقائق الغريبة أن هذه القبائل الهمجية لا تتخذ اللحم البشرى طعاما ، وانما تأكله أداء لطقوسها الدينية . ولهذا لا يأكل أفراد القبيلة الواحدة بعضهم بعضا ، بل يقتصرون على أكل من يقع في أيديهم من الاعداء

وقد قابلت مات مرة عجوزاً همجية كانت آخر من بقى من أفراد قبيلتها ، التي أغارت عليها قبيلة أخرى ، أسرت رجالها ونساءها وأطفالها والتهمتهم جميعا . فسألت هذه العجوز : أتحبين اللحم البشرى ؟

— نعم ! أشتهيه ! أكثر مما أشتهي أي لحم آخر

— وهل تفضلين بعضه على بعض ؟

— نعم ، الأذرع والظهر والأفخاذ ، والاصابع والقدمان والمخ لذتها كذلك ، أما بطن الجسم فلا تطوقها

وكان معي دليل من أهل تلك القبائل ، فكانت تشير الى أعضاء جسمه وتذكر ما تستطيبه منها ، فسألها ضاحكا : « أحسب انك تودين أكلى »

— لا . . لا أرضى ان آكلك

— لماذا ؟ أتراني شابا عجفا يصعب على المضغ

— نعم ! لحمك لذيذ ، ولكنك من أصدقائنا ، ونحن لا نأكل الا أعداءنا

[خلاصة مقال لروبرت دى واربى في مجلة مو]

متى يكثر الانتحار

وما العلاقة بين الانتحار والنشاط ؟

أخطأ مونتسكيو حين قال ذات مرة إن هناك علاقة بين حوادث الانتحار في انجلترا وسحب الضباب التي تخيم عليها شتاء . فإن الاحصاءات تبين أن شهر نوفمبر الذي تشتد فيه الرطوبة ويطبق الضباب ، هو أخلى شهور السنة من حوادث الانتحار . ولعل مونتسكيو أراد بذلك أن ما ينشره الضباب من الظلام والقتام ، يبث في النفس شعور الكآبة والانقباض ، مما يؤدي الى النفور من الحياة وإيثار الموت عليها . ومع أن هذا التعليل معقول الى حد ما ، الا ان أحفل فصول السنة بمواضع الانتحار هو فصل المرح والبهجة ، أي فصل الربيع ، فإن نسبة هذه الحوادث تزداد ابتداء من شهر يناير حتى تصل إلى أقصاها في شهر يونيو ، ثم تنخفض حتى تبلغ حدها الأدنى في شهر ديسمبر ، وهذا يدل كذلك على خطأ ما يزعم بعض الناس من أن اشتداد الحرارة ، وما يتبعها من اجهاد الاجسام وارهاق الاعصاب ، هو ما يؤدي الى كثرة حوادث الانتحار

أما ما أثبتته الاحصاءات المختلفة فهو أن نسبة حوادث الانتحار تطرد زيادة ونقصا مع طول ساعات النهار ، كما تبين من الاحصاء التالي الذي وضعه أحد الباحثين الاجتماعيين عن فرنسا .

الشهر	متوسط طول النهار ساعة	متوسط طول النهار دقيقة	عدد حوادث الانتحار	الشهر	متوسط طول النهار ساعة	متوسط طول النهار دقيقة	عدد حوادث الانتحار
يناير	٩	١٩	٦٨	يوليو	١٥	٤	١٠٠
فبراير	١٠	٥٦	٨٠	أغسطس	١٣	٢٥	٨٢
مارس	١٢	٤٧	٨٦	سبتمبر	١١	٣٩	٧٤
ابريل	١٤	٢٩	١٠٢	أكتوبر	٩	٥١	٧٠
مايو	١٥	٤٨	١٠٥	نوفمبر	٨	٣١	٦٦
يونيو	١٦	٣	١٠٨	ديسمبر	٨	١١	٦١

فكلما طال النهار وقصر الليل ، أي كلما زادت ساعات العمل وقلت ساعات الراحة ، ارتفعت نسبة حوادث الانتحار . فهل من علاقة بين العمل والنشاط ، وبغض الحياة وإيثار الموت ؟ قد نجد جوابا من هذا فيما يلي :

أن معظم حوادث الانتحار تقع في أثناء النهار وعند المساء . أما إذا أقبل الليل وانصرف الناس عن أعمالهم وآووا الى منازلهم ، قلت حوادث الانتحار كثيرا . ومعنى هذا ان اهمال

النهار ، وما تستتبع من اجهاد وارهاق ، وما يلازمها من منازعات ومشاحنات – هى التى تؤدى الى الانتحار

على ان شئون الحياة الحديثة قد عدلت هذا النظام شيئا ما ، فزادت حوادث الانتحار فى شهر ديسمبر زيادة ملموسة . وذلك ان هذا الشهر هو وقت اقتضاء الديون ، ووضع الميزانيات ، وتقدير الارباح والخسائر ، أى الوقت الذى يبدأ فيه كثير من الناس يتطلعون الى مستقبل ويحسبون حسابه ، مما يدفع بعضهم الى التخلص من الحياة ومسئولياتها الثقيلة . ولا ننسى أن الازمات الاقتصادية فى العصر الحديث ، تؤدى الى زيادة عدد المنتحرين زيادة دورية تقع فى فترات منتظمة ، شأنها فى ذلك شأن نكبات الطبيعة فى العهد القديم

وإذا صح أن هناك علاقة مطردة بين نشاط المجتمع وانتحار الأفراد ، فلا بد أن تكون بعض ساعات النهار أحفل من سواها بحوادث الانتحار ، أى ينبغى أن تكثر هذه الفواجع فى فترات الضحى والعصر ، وتقل من بدء الليل الى بزوغ النهار . وهذا ماحدث فعلا كما أثبتت الاحصاءات المختلفة :

فمن منتصف الليل حتى مشرق الشمس تبلغ حوادث الانتحار حدها الأدنى ، لأن نشاط المجتمع يكون حينئذ فى احسن حالاته . ثم يبدأ عدد هذه الحوادث فى الازدياد حتى يبلغ أقصاه ساعة الضحى حين تكون الحياة فى فورة العمل والنشاط ، ثم يهبط هذا العدد رويداً حتى ينصرف الناس من أعمالهم وقت الظهيرة . أما ساعات القيلولة فهى شبيهة بساعات الليل ، فتقل فيها حوادث الانتحار كثيراً . فاذا ما انتهت وعاد الناس الى أعمالهم بدأ الناس يقبلون على الانتحار شيئا فشيئا حتى وقت العصر ، وبعد ذلك يقل اقبالهم عليه الى أن ينصرفوا من أعمالهم . والنصف الأول من الليل يزيد عن النصف الثانى فى حوادث الانتحار ، بقدر زيادته عنه فى كمية العمل ونشاط المجتمع

على أن هذا النظام لا يطرد دائما فى جميع الشعوب وكافة الطبقات ، نظراً لاختلافها فى ساعات النوم واليقظة ، وفترات العمل والراحة ، وأوقات الوجبات المختلفة

وتوزيع حوادث الانتحار على أيام الأسبوع يؤيد كذلك – الى حد ما – هذه النظرية : « كلما زاد النشاط كثر الانتحار » على أنه قد يحدث أحيانا شىء من التناقض ، وذلك لأن الاسبوع وحدة صناعية ابتكرها الانسان لتنظيم شئونه ، وليس كاليوم أو الفصل فهما وحدتان طبيعيتان يعين احداهما تعاقب الليل والنهار ، ويحدد الاخرى اختلاف الطقس من الحرارة الى البرودة

نجد يوم الاثنين – فى البلاد الغربية – هو أحفل أيام الأسبوع بالانتحار ، لأنه أكثرها عملا وحركة ونشاطا ، ففيه يبدأ الناس أعمال الأسبوع بعد أن استراحوا واستجموا يوم الأحد . ويليه فى كثرة حوادث الانتحار يوم الثلاثاء فيوم الاربعاء ، على قدر نصيب كل منهما من العمل

والنشاط . ومنذ يوم الخميس حتى نهاية الاسبوع تفتر همم الناس عن العمل ، وبالتالي يقل اقدامهم على الانتحار ، وعلى هذا ينبغي أن يكون يوم الأحد أقل ايام الاسبوع في حوادث الانتحار ، حيث ينصرف أكثر الناس من أعمالهم الى الراحة والنزهة ، ولكن ما يحدث فيه عادة من الاقبال على احتساء الخمر ، وما يصحبها من مشاجرات ومنازعات ، يؤدي الى زيادة حوادث الانتحار فيه زيادة طفيفة

أما عن السيدات ففي الأيام الستة التي يقضينها في بيوتهن ، منصرفات عن حلبة الحياة وحركة المجتمع ، يقل اقبالهن على الانتحار قلة ملموسة ، حتى إذا جاء يوم الاحد وخرجن بصحبة أزواجهن وأصدقائهن الى الملاهي والحانات والمراقص ، ظهر عدد حوادث الانتحار بينهن ظهورا كبيرا ، فتثبت صحة تلك العلاقة الوثيقة بين زيادة النشاط وكثرة الانتحار

[ملخصة عن كتاب « الانتحار » لمسيو روجيه فندي عن مجلة دي ورلد سابر]

هل الحب جنون ؟

بحث نفسي في هذه العاطفة المعقدة

طالما ردد الكتاب والشعراء أن نشوة الحب كنشوة الخمر وأن ذهول الحب يشبه ذهول المجنون . ولقد جرت العادة ان يقول العاشق المولع بامرأة : « أنا مجنون بها ! »

وليس شك في ان كل عاشق متى برح به الهوى يعيش ويفكر ويتصرف كانسان غير عادي ، فهو يحيا في عالم مقصور عليه وحده ويشعر كما يشعر المجانين تماما كما أن كل من يحاول اقتحام عالمه الخيالي هو شخص دخيل بغيض يثير النفور والحنق والسخط

فالفكرة الثابتة التي هي اصل الجنون هي أيضا مثار الحب . ونحن متى عشقنا انصرفنا الى فكرة واحدة وصورة واحدة وخيال واحد . وتبدأ حياتنا تنشط وتنبض وتستمد من هذه الفكرة الثابتة كما يحدث عند المجانين . وهكذا تضيق مساحة الكون امام انظارنا وتتركز في نقطة واحدة ، فننفر من الناس وننطوي على أنفسنا ونتأمل ونحلم ونفكر في دائرة محدودة ضيقة ، وكل هذه الاعراض تشبه تمام الشبه أعراض الجنون

ومن أبلغ الادلة على ذلك ان الحب ليس في حاجة الى الكلام ، فالنظرة تكفيه والاشارة تغنيه والايماءة العابرة أفصح لديه من كل خطاب ، فكأن هناك رابطة سحرية وثيقة الاواصر بينه وبين محبوبه ، وكأنما هو في اتصال دائم به وتفاهم سري معه ، وكأنه في علاقته النفسية العميقة عن بعد ، يحقق تلك العلاقة الموجودة بين المجنون وفكرته الثابتة

فالمجنون يخاطب فكرته كما يخاطب العاشق معشوقته وكلاهما يعيش في عزلة مطلقة ويتغذى من فكرة واحدة

واذن في وسعنا ان نستخلص مما تقدم ان الرجل الذي يحب انما يخضع لتأثير فكرة ثابتة ، أو بمعنى اوضح يخضع لسحر شخص معين يسلط عليه قوى خياله وتصوره فلا يراه على حقيقته أول الأمر ، بل يرى فيه تلك الصورة التي خلقها هو والتي اشتركت في تكوينها طائفة من الالوان والصور أحبها العاشق فيما مضى واختزنها في عقله الباطن وخيل اليه ان في معشوقته شيئا منه

فهو والحالة هذه يخلع النعوت على العناصر والوهم على الحقيقة ، والشعر على الحياة ، ويؤلف من هذه العناصر المختلفة فكرة معينة ، او صورة علوية رائعة لا تمت الى الواقع بسبب

وهو كلما كان حافل النفس بالذكريات العاطفية الشائقة ، كان أدنى الى الحب . وذلك لأن الانسان الذي احب وتأثر فيما مضى وفي ظرف معين ، بنظرة ساحرة ، او بعيون فاتنة ، أو بلون شعر ، أو برنين صوت ، أو بملامح جمال ، لا بد ان تختلط هذه الألوان في عقله الباطن ، فاذا ما صادف امرأة جمعت بعضها ، أحبها وأخرج من عقله الباطن وأضفى عليها ، فتستحيل في نظره الى مخلوق شعري نادر آخر

هذا هو سر الحب وهو أيضا سر الجنون . ولكن الجنون يطمس على العقل اما الحب فقد يستفيق من نشوته . فقد يستفيق بعد الزواج مثلا فيجد ... والحسرة تملأ قلبه ... ان المادة قد جردت من حبه من كل فتنة خيالية ، وعندئذ تتداعى احلامه وتصطدم بالواقع فيسأم ويتبرم ولكن بعد فوات الوقت

وقد لاحظ علماء النفس أن الحب الذي يصحو ويصدم ، لا ينتقل بسرعة ولا يطلق بسهولة فكرته الثابتة ، بل يبالغ في اظهار حزنه ويسرف في الاعراب عن حبه ، كأنما هو يحاول ان ينتقم من محبوبه الذي غدر به وحطم الخيال الرائع الذي صاغه له

وهذا ما يفسر لنا خوف الناس من زواج الحب ، ومع ذلك فليس في مقدورنا صرفهم عن الحب وان كان في جوهره جنونا ، اذ الحياة نفسها بما فيها من متاعب وآلام تغري بهذا الجنون الذي يغذينا منها ويتيح لنا التحليق ردحا من الزمن في عالم السعادة والخيال

ومهما قال علماء النفس في الحب فهو تفوق على الحياة ومهما قالوا في زواج الحب ، فهو أمثل وأقدس وأبقى من زواج المصلحة

[ملخصة من مجلة سيكولوجست للدكتور بيران وتف]

زواج الاقارب

ينفع أحيانا ويضر غالبا

كثيراً ما يواجه الأطباء بهذا السؤال الذي طالما حير الآباء: «إن ابني يحب ابنة عمه أو خاله حباً جماً، فماذا يرى الطب في زواجهما: أيطلب حقاً من نسلهما، أيضعف من بنية أبنائهما، أيكون أطفالهما أقل من أمثالهم عقلاً وخلقاً؟...»

والواقع أن هذا الأمر قد أهم الناس كثيراً، حتى عني به بعض رجال الدين وأبدوا آراءهم فيه. فالكنيسة الكاثوليكية، التي يعنيها أن يزيد أتباعها ويزيد عددهم من جيل الى جيل، حاولت أن تقلل من زواج الأقارب قدر ما تستطيع، ففرضت على من يريد أن يتزوج من احدى بنات أسرته أن يستصدر إذناً خاصاً من الكنيسة يكلفه كثيراً من الجهد والمال، وذلك أن هذه الكنيسة تعتقد أن زواج الأقارب يضعف من شوكة أتباعها، ويؤدي الى تقليل عددهم شيئاً فشيئاً

أما رأي الطب في هذا الأمر فهو: إذا كانت الأسرة «صحيحة» جاء النسل مثلها عقلياً وجسمياً بالمحافظة على خلوها من الأمراض الجسمية الوراثية، ومن النقائص العقلية والخلقية المعروفة

أما إذا كانت الأسرة مصابة بإحدى النقائص الخطيرة، سواء في أبدان أفرادها أو عقولهم أو أخلاقهم، فإن زواج اثنين منها يؤدي الى نسل تنمو وتكبر فيه هذه النقائص

فهذا رجل لم تكتمل قواه العقلية، فاذا تزوج حفيدة من حفيدات جده انجب نسلاً ناقص القوى العقلية، واضح البله والشذوذ، معرضاً للخبل والجنون

وهذه سيدة ذات ملكة قوية في الموسيقى مثلاً، فاذا اقترن حفيدها من حفيدتها جاء نسلهما نابغاً، وربما عبقرياً، في مواهبه الفنية. وأوضح مثال لذلك أسرة الموسيقي العظيم «باخ»، فقد أنجبت ٤٤ موسيقياً من ذوي المواهب الحسنة الممتازة، وذلك أن تقاليد هذه الأسرة كانت تقضي بألا يتزوج أبناؤها إلا من بناتها

وإذاً فزواج الأقارب يبرز صفات الأسرة ويؤكدها، فإن كانت ضعيفة زادتها ضعفاً، وإن كانت قوية أضافت اليها قوة.. ولكن كيف يعرف المرء مزايا الأسرة ونقائصها؟

من سوء الحظ أنه في حالات الزواج لا يرى المرء إلا الفضائل والمزايا، وقلما ينتبه الى الرذائل والنقائص، فليس من عادة الأحبة أن يتعمقوا في النقد والفحص والتمحيص، وأعينهم – غالباً –

عن كل عيب كلمة ! ولو خلا الزواج من حكم العاطفة وخضع لرأى العقل ، لجرى زواج الأقارب وفق القواعد التي يجرى عليها « تأصيل الحيوان »

فالذين يعنون بترقية فصائل الحيوان يلجأون الى المزاوجة بين أفراد السلالة الواحدة ، إذا تبينوا فيها ما يرون تثبيته من الصفات الحسنة . فهذا الجواد جيد القفز مثلا ، فاذا أراد صاحبه أن يبرز هذه الميزة ، زاوج بينه وبين فرس تمت اليه بصلة الدم ، وغالبا ما تكون أمه أو أخته . وقد أدت هذه الطريقة الى ترقية كثير من أنواع الحيوان والطير ، فصرنا نجد خيولا ودجاجا تمتاز على آبائها امتيازا واضحا ، قلما نجد مثيلا له بين الابناء والآباء من البشر

ويلاحظ أن قليلا ما من يعرف خمسة من أجداده معرفة دقيقة ، أى يعلم على وجه الدقة طرق تفكيرهم وبعض أخلاقهم وأوصاف أبدانهم . ولكن كثيراً من الخيول يعرف أصحابها كل شيء عن عشرة أو أكثر من أجدادها ، ويستطيعون أن يبينوا مزايا ونقائص كل منها على وجه التحديد . وهذا هو الذي يساعدهم على المزاوجة بين أبناء السلالات الأصيلة ، والمباعدة بين أبناء السلالات الزائفة . بينا نحن نترك أمر الزواج بيننا الى الظروف التي قد توفق بين اثنين متقارنين أحيانا ، وغالبا ما تجمع بين سوى النقائص التي تزداد نمواً وقوة في ذريتها المتعاقبة

وكما يعرف أن في بعض أطراف العالم النائية قرى أكثر سكانها من البله او الشواذ أو الاقزام، فلماذا ؟ لأن أهل هذه القرى — وهم عادة أبناء أسرة واحدة — مصابون ببعض النقائص ، فلما تزاوجوا زادت مساوئهم نمواً ووضوحا في نسلهم ، حتى اذا تعاقبت الاجيال صارت القرية كلها موبوءة بتلك المساوىء الموروثة . والى جانب هذه القرى بلاد أخرى يمتاز أهلها بتفوق ملحوظ في قوام البدنية أو العقلية أو الخلقية . ويرجع هذا الى بذرة أصيلة نمت وزكت بتزاوج أفراد منهم بعضا

أما التزاوج بين الاسرات المختلفة فكثير من العلماء والاطباء يراه أسلم عاقبة وأحسن نتاجا من التزاوج داخل نطاق أسرة واحدة ، اذ كثيرا ما تؤدى الفضائل الموروثة عن أحد الابوين الى التغلب على المساوىء المنحدرة من ثانيهما

والخلاصة أن زواج الاقارب ينفع اذا كان في أسرة خالية من المساوىء غنية بالمزايا ، ويضر ضررا بينا اذا وقع في أسرة مصابة بنقائص جسمية أو عقلية أو خلقية . وهذا ما يجعل عبء الآباء في زواج ابنائهم ثقيلا ، فان الشاب اذا أحب محض مطره ، وهو لايدرى ، من جميع النقائص التي يستطيع أبوه أن يتبينها جليا ، كما يستطيع أن يدله على ماق أسرته من فضائل ورذائل بروث في كثير من أفرادها ، مما يدل على انها أصيلة في دمائهم ، فيهىء له بذلك طريق الزواج الموفق

[خلاصة مقال للدكتور هنري بيرون في مجلة لاريفو بليح]

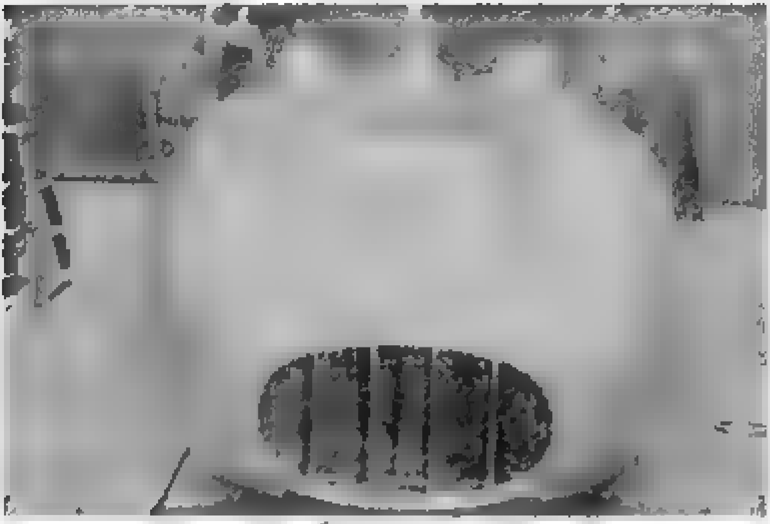

سيارة مبتكرة

هذا طراز غريب من سيارة جديدة [illegible] سرعتها [illegible] سيارة أخرى ، إذ تبلغ ٣١٢ ميلا في الساعة الواحدة ، ولا شك [illegible] دون جميع السيارات

فرنسيه أم حقل ؟

هذا [illegible] مهندس امريكي يشتمل على عدد من الاجهزة [illegible] على حائط [illegible] راديو [illegible] ١٢ دقيقة [illegible] الاذاعة من تلقاء نفسه [illegible] الغرفة اذا برد الطقس [illegible] تتحرك من تلقاء نفسها اذا اشتدت حرارة الجو [illegible] خارج الغرفة دون حاجة الى [illegible] وصحيح وهذا دليل على ما تهيئه المخترعات الحديثة للانسان من أسباب الترف والراحة

تقدم العلم والعالم

الجرائد الناطقة

غداً نسمع الصحف كما نسمع « الراديو »

« هنا اتصل صندوق الصوت إلى دار الشرطة ، وسجل اعتراف القاتل كلمة كلمة ، ليسمعه قراء الجريدة غداً وهم يطالعون أنباء جريمته ، ويرون صورها المختلفة »

مثل هذا سوف يذكر دائماً في دور الصحف المقبلة ، التي ستجمع صفحاتها ثلاثة عناصر : سطوراً تقرأ ، وصوراً ترى ، وأصواتاً تسمع . فلن يكون محرروها بأقلامهم فحسب ، ولا بآلات التصوير أيضاً ، بل يحملون كذلك أجهزة لتسجيل الأصوات المقترنة بما يروونه من الأنباء ويذكرونه من الموضوعات . ثم تطبع هذه الأصوات على صفحات الجريدة ، فيتم به سماع أنين القتيل الذي لم يعد يكفي إيراده مكتوباً مصوراً فحسب

هذه هي الفكرة التي ارتآها المخترع الأمريكي « د . ج . هـ . تيبتس » واستطاع أن يصنع لها جهازاً بسيطاً قد يؤدي إلى تغيير خطير في عالم الصحافة . فهو يسجل الأصوات التي تريد الصحيفة نشرها ، ثم تنقل هذه الأصوات إلى ألواح من المعدن كهذه التي تنقل عليها الصور ، ثم تطبع هذه الألواح على صفحات الجريدة بطريقة كيماوية خاصة فتخرج الجريدة مشتملة على سطور « صوتية » ، يمررها القارئ ويديرها على جهاز يشبه الفونغراف فيسمع تلك الأصوات مقترنة بما في الجريدة من أنباء ومقالات

ونستطيع أن نتبين ما يدركه العالم من فائدة ومتعة لما وفق إلى تحقيق هذه الفكرة الطريفة . فعندئذ يجلس الرجل في بيته إلى جانب المدفأة ويتصفح جريدته فيقرأ « خطبة خطيرة للهر هتلر » ، فينزع السطور الصوتية ويديرها على « الفونوغراف » الخاص بها ، فيسمع هتلر نفسه يتحدث عن سياسة العالم ومشاكله ، وتتناول زوجته صحيفة أخرى فتقرأ : « رحلة

خطبة خطيرة للهر هتلر

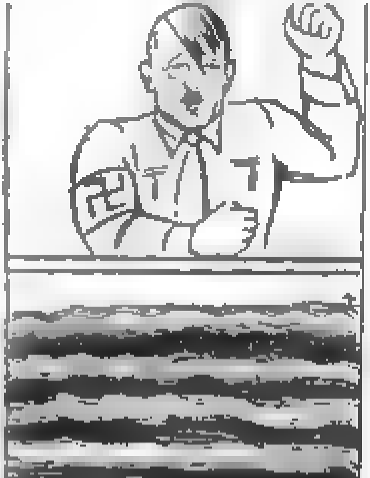

نموذج من الصفحات ذات السطور الصوتية

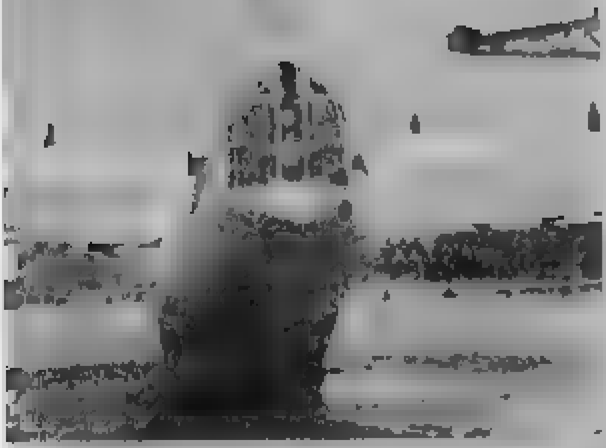

[illegible]

ميل في الساعة ، وبذلك تقطع
المسافة بين [illegible] في أقل من
ساعة واحدة ، وهي مقطورة
[illegible] ١١ [illegible]
[illegible] ٢٢ [illegible]

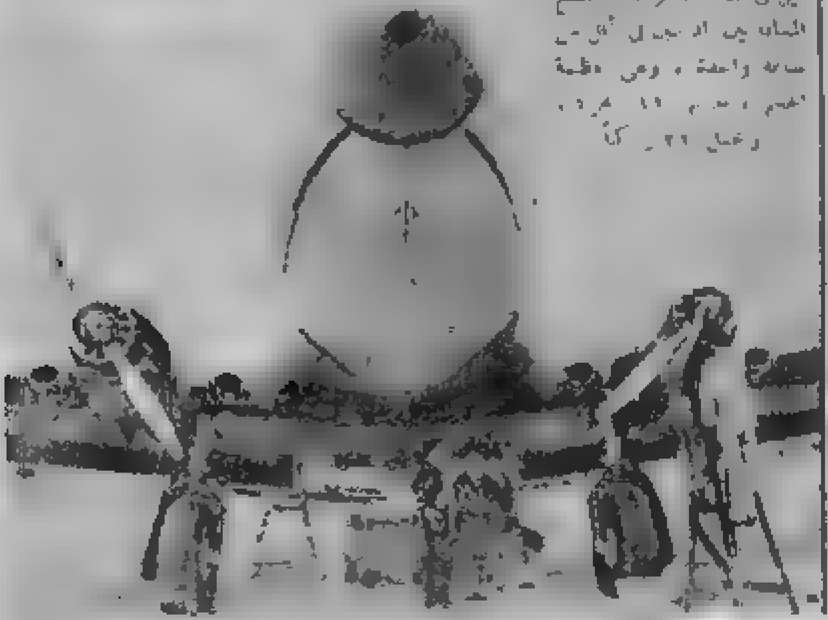

طريحة في وجه الجريدة ، فيقرأ ما كتبه المحرر ويرى ما يزين به من الصور ، ثم تضع السطور الصوتية المرفقة في « الفونوغراف » فيسمع أهل تلك القرى يتحدثون ويغنون ويمرحون ، بينما يقلب طرفيهما صفحة الصور المضحكة وهو يستمع لاهيا طروبا الى أصوات الشخصيات الممتازة التي يرى صورها أمامه . . !

ويقول هذا المخترع إن الاجهزة التي تلزم لتسجيل الصور وطبعها على الورق لا يزيد ثمنها على ٣٠٠ جنيه مصري . أما « الفونوغراف » الذي يحتاج اليه القارىء فزهيد الثمن جداً ، لأنه اما اسطوانة واما عجلة تمر عليها الأسطر الصوتية تحت ابرة تهتز . ويمكن ادارة هذه السطور عشر مرات أو أكثر تلق سمعها كما تلقى الجريدة كلها

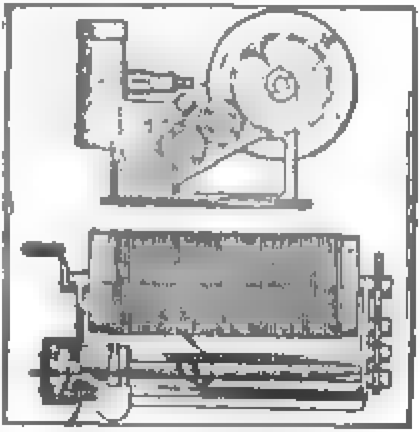

نموذجان لجهاز الفونوغراف
نطبع عليهما السطور الصوتية

ويمكن أن تنقل هذه الاصوات من اقليم الى اقليم باللاسلكي أو التليفون . فاذا حدث مساء هذا اليوم زلزال في امريكا ، أمكن القارىء ان يقرأ صباح الغد وصفا لهذا الحادث ، وأن يرى صورا لما أدى اليه ، وأن يسمع كذلك أصوات البيوت وهي تتهدم والناس وهم يستصرخون !

مرض البلاجرا

هل وفق الطب الى علاجه ؟

للطبقات الفقيرة أمراض خاصة من أهمها مرض البلاجرا الذي عرف ما يقاسيه منه الفلاح المصري ، وسببه قلة المادة الغذائية في طعام الفقراء ، مما يؤدي الى اضعاف قوام البدن ، ثم الاخلال بقوام العقلية ، حتى ان ١٠ ٪ من نزلاء البيمارستانات في انحاء العالم هم من مرضى البلاجرا . وتزداد هذه النسبة في مصر كثيرا لأن الغذاء الأساسي للطبقات العاملة فيها هو الذرة التي لا تكفي غذاء واجب الفلاح المكدود

وقد انتشر هذا المرض في جميع الأقاليم سواء أكانت غنية أم فقيرة . ففي اغنى دول العالم — الولايات المتحدة الأمريكية — أكثر من ٤٠٠٠٠٠ نسمة مصابين بالبلاجرا ، التي تبلغ نسبة الوفاة منها اذا لم تبادر بالعلاج الناجع ٦٩ ٪

ومريض البلاجرا يقضي أكثر يومه طريح الفراش ، اذ يضعف المرض جسمه ويوهن قوته فلا يستطيع النهوض . ومع أن سبب مرضه هو افتقاره الى الغذاء الا أنه يفقد كل شهية الى الطعام فيتناوله كما يتناول المريض الدواء المر . ومن علاماته بقع حمراء تنتشر على الجلد وحول الفم ، ويجف لسان المريض وتشتد حمرته ، وتلتهب معدته وأمعاؤه فيصاب بمغص دائم يؤلمه ويوجعه . وكلمة بيلاجرا مشتقة من الكلمتين الايطاليتين

pelle agra أي « الجلد الخشن » وذلك نسبة الى ما يصيبه من جفاف الجلد وتصلبه

وأكثر الأطباء يرون علاجه عادة بحامض النيكوتين ، التي يمكن استخراجها من سم النيكوتين المعروف . وقد ثبتت جدواها في كثير من الأحيان ، وإن كان تحسين الطلق وحده لا يجدي أي نفع في علاج البلاجرا .

وقد عني كثير من الأطباء بالبحث في هذا المرض ، فمنهم من رأى تقوية المريض بطعام مؤلف من خبز القمح ودقيق الارز وعصير القصب وبعض الخبز وغيرها من المواد الغنية بالغذاء . ولا شك ان لهذا الغذاء أثره الناجع ، ولكن آخر ما انتهى اليه الطب تغذية المريض ست مرات أو أكثر كل يوم بكمية من « خميرة » الخبز تتراوح بين ثلاث وأربع اوقيات ، وبأكبر كمية ممكنة من « حمار » البيض فقد جرب هذا العلاج في ١٢٥ مريضا فهبطت نسبة الوفاة بالمرض من ٥٤ ٪ الى ٦ ٪ ، وفي حالة اخرى هبطت من ٣٣ ٪ الى ٧ ٪ مما يدل على فائدته المحققة

مبادىء روزفلت

تعرفها الصين منذ ٢٠٠٠ سنة

التاريخ يعيد نفسه حقا . فهذه المبادىء الاقتصادية الجريئة التي يريد روزفلت ان يطبقها في أمريكا ليوزع ثروتها توزيعا عادلا الى حد ما ، قد سبقت الصين الى اتخاذها منذ ٢٠٠٠ سنة كما أثبت ذلك « هارتن ويلبر » من علماء الآثار في أمريكا

ومبتكر هذه المبادىء « وانج مانج » الذي كان رئيسا لحكومة الصين ثم امبراطورا لها في السنة التاسعة بعد الميلاد . فرأى هذا الامبراطور ان توزع أرض الدولة على أبنائها جميعا بالتساوي ، وأن تحتكر الحكومة معامل الملح والحديد والخمر ، وأن تدير بنفسها مناجم الحديد وغيرها من مرافق الثروة . وتقوم الحكومة بمعاونة الزراع فتحدد أثمان المحصولات وذلك بأن تشتري ما يزيد على ما يطلبه المستهلكون في السنوات الطيبة ، اما في السنين السيئة فتعرض ما يزيد على حاجة الاستهلاك . وتقرض الحكومة كذلك أصحاب الاعمال الحرة « قروضا انتاجية » بفوائد بسيطة

وكان هذا الامبراطور من أنصار الحرية ، فأصدر أمراً بالغاء الرق في الوقت الذي كان به الرق نظاما مقرراً في جميع شعوب العالم . وقد اغتيل سنة ٢٣ بعد ان احدثت آراؤه ضجة منكرة في الصين حينذاك التي كانت تموج بآراء حرة جريئة لم يسمع العالم مثلها الا بعد عهد الثورة الفرنسية ، فكان الناس يهاجمون الحكومة مهاجمات عنيفة ، وكان حكماء الشعب يلقون أقسى الخطب في مقاومة النظم الاجتماعية السائدة حينذاك

متحف فورد

والقرية الامريكية القديمة

أنشأ هنري فورد قريبا من مصانعه الكبرى متحفا تاريخيا يجمع نماذج من مختلف الآلات والأجهزة التي ظهرت في العصر الحديث ، ليعطي زائره فكرة واضحة عن تطور العالم علميا وصناعيا خلال القرن الأخير . ويشتمل على ١٠٠ قاطرة مختلفة ، تمثل كيف تطورت من آلة بسيطة سنة ١٧٦٠ الى هذه الآلة المعقدة

المرحة . وكل هذه القاطرات سليمة ويمكن تسييرها ويضم المتحف نماذج مختلفة لأجهزة التليفون والتلغراف والجرس الكهربائي وغير ذلك من منتجات العلم الحديث ، حتى ان جولة واحدة فيه تغني المرء عن قراءة كتب جمة عن تطور العلم والاختراع

والى جانب هذا المتحف أقام فورد عمودها يمثل القرية الامريكية القديمة ونقل اليها أكواخا ودكاكين ترجع الى عهد بعيد . وكانت هذه الابنية حجرا أحجارا وأخشابا ، وتنقل في الصناديق الى حيث تقام في القرية على وضعها الأول فاذا جلت بها الآن تبينت كيف كانت تعيش أمريكا منذ قرن مضى ، فهنا بيت ريفي متواضع ، الى جانبه دكان الحداد ودكان النجار وبيت ساعي البريد . الخ ومن خير ما في هذه القرية الدكان الذي كان يعمل فيه الاخوان « رايت » سنة ١٩٠٣ حين وفقا الى اختراع أول طيارة . وقد نقل هذا الدكان من قرية « دیتون » وأقيم في قرية فورد كما كان تماما

مكرسكوب سينمائي

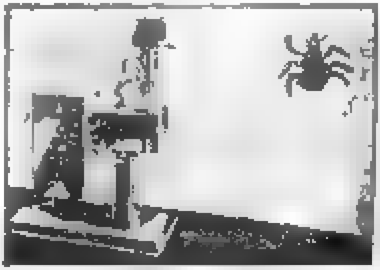

هذا الجهاز الجديد يجمع بين عدسة الميكرسكوب وآلة السينما ، فتوضع تحت الأولى قطرة من الماء مثلا ، فتبدو لك عالما زاخرا من الأحياء الطبيعية التافهة ، معروضة على الشاشة البيضاء كأنه جمع من الممثلين والممثلات . ولا شك ان مثل هذا الجهاز سيمكن الناس من ان يدرسوا تفاصيلها الدقيقة عن طريق طريف ميسور ، فبدلا من ان يقرأ المرء كتابا علميا جافا طويلا عن ميكروب الملاريا مثلا ، يضع قطرة من دم مصاب بهذا المرض تحت عدسة الميكرسكوب ، فترى أمامه هذا الميكروب ضخم الجسم واسع الارجاء ، يشاهده ويدرسه في لذة دونها لذة مشاهدة روايات سينمائية أكثرها تافه سخيف . وسوف تستفيد المدارس من هذا الجهاز فائدة كبرى ، اذ تصير دراسة كثير من العلوم سببا من أسباب الترفيه واللذة ، لا عملا مملا ثقيلا مكروها

طرائف متفرقة

• أسرع حيوان في العالم هو حشرة تعرف في أمريكا « بناطح الطائر » — وتعرف عند العلماء باسم « سيفينوميا » — فانها تقطع في الساعة الواحدة ٨١٨ ميلا وقد استطاع أن يقدر سرعتها عالم امريكي معروف هو الدكتور شارل تونسند بآلة تصوير خاطفة ابتكرها حديث

• ينفق الشعب البريطاني في ألعاب الميسر المختلفة أكثر مما ينفق في طعامه وشرابه وسكنه معا ، وأكثر مما تنفق الحكومة على الجيش والاسطول والصحة والتعليم معا . . . إذ يتراوح ما يخسره كل سنة على موائد الميسر ، وفي ميادين سباق الخيل والكلاب والسيارات ، بين ٥٣٠ ، ٥٠٠ مليون من الجنيهات

• تقوم في اليابان دعاية شبه رسمية لحض الأهالي على تناول الأرز غير مقشور ، لان قشره يحتوي على كمية وافرة من فيتامين ب التي تقاوم بعض الامراض المتوطنة في اليابان

كتب جديدة

أول الشوط

بقلم الأستاذ محمود سيف الدين الإيراني

مطبعة الحبر بيافا ١٩٠ صفحة

الأديب الفلسطيني النابغ الأستاذ محمود سيف الدين الإيراني من صفوة الشباب العربي المثقف ومن أقدر كتاب فلسطين أسلوبا وأعمقهم فكرا وأغزرهم مادة وأوثقهم صلة بمختلف تيارات الثقافة الأوربية الحديثة

وهو قصصي بارع وناقد ذو حس مرهف وتفكير حر جريء، وهذه الخصائص تبدو واضحة في كتابه الرائع (أول الشوط)

في هذا الكتاب نجد صورة شائقة دقيقة لآخر المراحل التي انتهى إليها الأدب الأوربي، ونجد فوق ذلك طائفة من الأقاصيص التحليلية الزاخرة بالملاحظات الحقيقية الطريفة والتأملات الفلسفية العميقة والأخيلة الشعرية الفاتنة

ولقد مثل المؤلف الفكر الأوربي الحديث في أربعة كتاب أحرار هم أندريه جيد وأندريه مالرو، وجان جيونو، ود. هـ. لورنس، فتناول أعمالهم ومذاهبهم واتجاهات تفكيرهم في بحوث نقدية مستفيضة تلقي ضوءاً ساطعا على جوهر شخصياتهم وتقرب أفكارهم ومذاهبهم إلى ذهن القارئ العربي

وللأستاذ المؤلف طريقة خاصة في النقد والعرض، فهو يعرض الشخصية متلذذا بها محدداً خطوطها متقمصا لها كأنما هو خلقها خلقا، وكأنما هي شخصية روائية ابتدعها خياله وأوحى بها تصوره. ولكن هذه القدرة على التصوير الشعري لا تطغى على ملكة النقد بل تغذيها وتمدها وتضيف إلى حيوية الشخصية حرارة الخلق وحلاوتها، فإذا بك تطالع شخصية الخاصة متشربة جيد أو لورنس مثلا، تختلط فيها آراء الكاتب ونزعاته ثم تشعر أنه يعيش أمامك ويتحرك

وهكذا يرتوي عقلك وتسبح مخيلتك في الهواء. وهذا هو النقد التصويري، وهو أرفع مراتب النقد

وأما أقاصيص الأستاذ محمود سيف الدين الإيراني، وأهمها ([illegible]) و (صراع) و([illegible])، فتمتاز بأنها سلسلة صور لبعض الإحساسات والعواطف التي تنبع من قرارتنا وتكمن في أعماق الباطن وتظهر فجأة في وضح النور فتعكر صفو حياتنا وتغمر هذه الحياة بالآلام والأفراح لم نكن لنتصورها أو نحلم بها

وأهم تلك الأقاصيص (غلة البلد)، ففيها لا يتكلم المؤلف بل تتكلم الانفعالات النفسية من خلال الحواس، أي تتكلم أهواء الغريزة الحسية من خلال حركات وأوضاع البدن وتتكلم الميول العاطفية من خلال نظرات العيون لتكشف عن القصة نبض من الشعر المتموج ملتفة كذلك القصص المنسكب على دراسة شخصيات الأدباء.

وجملة القول أن كتاب (أول الشوط) يعد خطوة جديدة للعربية إلى فن القصة وفن النقد، ويعد من أروع الآثار الأدبية التي أنتجها كتاب الشباب في الشرق العربي

الفصول والغايات

لأبي العلاء المعري

ضبطه وفسر غريبه

الأستاذ محمود حسن زناتي

مطبعة حجازي بالقاهرة في نحو ٦٠٠ صفحة

لم يكن المعري ملحدا كما يزعم البعض واسطع دليل على ايمانه هذا الكتاب الرائع الذي وضعه لتمجيد الله. ولقد كان كتاب (الفصول والغايات) مفقودا حتى ان اكثر من ترجم لأبي العلاء لم يذكره. اما من ذكره منهم فدعواه عارض به القرآن الكريم. ولكن من ذكر ذلك لم ير الكتاب على ان بعض من نقل منه جملا نقلها مشوهة ولم ينقل صحيحا منه. واما القول بأن المعري قصد به مباراة القرآن الكريم أو معارضته فذلك من قول حساده، اذ ان الكتاب هو تمجيد لله والاقرار له بالعبودية

وليس شك في ان الكتاب منحة للادب فقد حشد فيه المعري طائفة من علوم اللغة والادب والعروض والنحو والصرف والتاريخ والحديث والفقه والفلك مما لم يسبق لغيره جمعه بالطريقة التي سلكها. ولقد كان المعري يملي الفقرة على تلاميذه ثم يختمها بالغاية وهي عنده بمنزلة القافية من بيت الشعر، ثم على التفسير على مثله رغبة في توضيح الفقرة

والحق ان الاستاذ العلامة محمود حسن زناتي قد اسدى الى الادب العربي أجل الخدمات ببعث هذا الكتاب الخالد وضبطه وتفسير غريبه فوصل الماضي بالمستقبل وعانى في ذلك ما عانى. فكان يقضي الايام الطويلة في دار الكتب يقابل النسخة بأصلها ويشرح منها ما لم يشرحه المعري حتى أخرجها في حلة قشيبة تستهوي القارئ، وتبعث الاعجاب في نفس كل أديب

ولا ريب في أن الأستاذ المؤلف سائر على طريقته في احياء ذكرى ابي العلاء جلى شأنه وبعث ضوءا ساطعا على جوهر شخصيته. فاستحق من قراء العربية خالص الشكر والثناء والتقدير

جحيم دانتي

تعريب الأستاذ أمين ابو شعر الهامي

مطبعة الارض المقدسة بالقدس في ١٨٠ صفحة

قصة الكوميديا الالهية، قصة رحلة خيالية قام بها الشاعر الايطالي الكبير دانتي في الممالك الالهية الثلاث، الجحيم والمطهر والفردوس. في الخامسة والثلاثين من عمره يجد دانتي نفسه في غابة مظلمة تعج بالوحوش، فاذا ما أوغل فيها وطلع طوداً رفيع الذرى وحاول ان يرقاه، صدته عن ذلك الضواري الكاسرة، وإذا بالشاعر فرجيل يلاقيه فيحميه من الخطر الداهم ويعده أن يجوس به دركات الجحيم ويصعد الى الاعراف (المطهر) ثم الى أبواب الفردوس حيث تنتظره حبيبته بياتريس، وهناك يودعه فرجيل وتمضي به بياتريس الى جنات النعيم

ويبلغ دانتي في وصف رحلته العظيمة ارفع ضروب البلاغة الشعرية، بيد أنه في وصف الجحيم يتفوق تفوقا ملحوظا ويطاول حد الاعجاز الأدبي

وجحيم دانتي قاعدته سطح الأرض وذروته مركزها، وعلى سطح الأرض توجد الغابة المظلمة التي يضل فيها الشاعر السبيل، ومن طريق الانحدار يصل الى دركات الجحيم التسعة وكل درك أشد عذابا من الذي قبله، الى ان يبلغ

الدرك التاسع وهو القاع وفيه يقيم رئيس الشياطين

وهذا الجزء الخاص بالجحيم ، أبدع أجزاء الكوميديا الالهية ، وأشقها على الشعر ، هو الذي نقله الأستاذ أمين أبو شعر الى اللغة العربية نقلا صادقا أمينا دقيقا في عبارة محكمة وأسلوب قوي طريف ، يجمع الى البلاغة العربية الأصيلة سحر الخيالات والاستعارات الرائعة التي تفيض عنها خيال دانتي

والواقع ان من أشق المجهود الادبية ترجمة هذا الاثر الخالد ، ولكن الاستاذ أمين أبو شعر تمكن من تذليل ما اعترضه من عقبات وأبرز جحيم دانتي في ثوب عربي قشيب

وهكذا أضاف ثروة أدبية جديدة الى كنز الادب العربي

الشرق في الأدب الفرنسي

بقلم الاستاذ يوسف داغر

الأمين المساعد لمكتبة بيروت الوطنية

طبع في بيروت في ٣٠٠ صفحة

لا غنى لمن يحقق الثقافة الفرنسية من أبناء الشرق العربي عن مطالعة هذا الكتاب . فهو مرجع ثمين يرشدنا الى مختلف المقالات والدراسات والبحوث التي نشرت في فرنسا عن الشرق بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٣٣

وللمؤلفات والبحوث الفرنسية الخاصة بمصر ولبنان وسوريا والعراق عندها مسقة مبوبة مع الاشارة الى أصحابها والى دور الطباعة التي تولت نشرها أو الى المجلات والصحف التي ظهرت فيها . وهكذا يستطيع كل من يحرص على هذا الكتاب ان يحيط علما بما كتب باللغة الفرنسية في أي موضوع يتعلق بأي جانب من جوانب الحياة الادبية أو الاقتصادية أو السياسية في الشرق

والواقع ان الاستاذ يوسف داغر بذل جهداً جباراً في وضع هذا الكتاب الطريف الذي لا يصح ان تخلو منه مكتبة قارىء عربي مستنير

علم النفس في الحياة

تأليف مانجر ـ ترجمة الأستاذ نظمي خليل

مطبعة لجنة التأليف والنشر في ١٤٠ صفحة

منذ عهد قريب كان الناس ينظرون الى علم النفس كفرع من فروع الفلسفة لا كعلم قائم بذاته له شخصيته المستقلة وطابعه الخاص ، ولكنه منذ أن انفصل عن الفلسفة وتغيرت نظرة الناس اليه من علم الروح أو علم الشعور الى علم السلوك ، تغيرت طرق البحث فيه فلم يعد قاصرا على البحث عن خواص العقل ومواطن الروح ، بل أصبح يدور حول سلوك الانسان في الحياة وما يدفع هذا السلوك من رغبات وما يصحبه من مظاهر

ثم كان لعلم النفس الاجتماعي نصيب موفور من عناية الباحثين لما يعالجه من مشاكل الناس وما يصدر عن من مظاهر سلوكهم في الحياة ، فصنفوا فيه الكتب الكثيرة التي من أهمها هذا الكتاب « علم النفس في الحياة » للكاتب الامريكي « مانجر » الذي تعهد بنشره لجنة التأليف والترجمة والنشر والذي نقله الى العربية الاستاذ نظمي خليل في أسلوب يجمع بين الدقة في التعبير والجودة في اختيار الألفاظ

ويمتاز هذا الكتاب بأنه يعالج مشاكل الانسان النفسية والاجتماعية ، كتفشي الضعف فيه وأنواع الصراع المختلفة التي تحدث في داخله ،

وكيفية تكوين العادات الطيبة ، وتنمية الشخصية المستقلة ، كما يعرض الناحية الجنسية عند الرجل والمرأة في أسلوب يجمع بين الطريقة العلمية المبسطة والحرص الأدبي الأخاذ

فهذا الكتاب على صغره يفيد كل قارىء ـ رجلا كان أو امرأة ـ إذ يجد فيه . حب رغائبه ، وميوله وغرائزه ، مشروحة ومرسومة

من مشكلات العصر الحديث

بقلم الأستاذ جورج عزيز

دار الطباعة الراقية بمصر في ١٣٠ صفحة

الحضارة اليوم في مفترق الطرق والفكر البشري يخبط حائراً في مجاهل ومغاور قد تقوده إلى واحة خضراء أو إلى الموت والفناء في صحراء قاحلة . فالنظم المختلفة من ديموقراطية وفاشية واشتراكية وشيوعية تتجاذبه وتنهب راحته وتخلفه حيران قلقا لا يعرف أي السبل يسلك وأي الطرق هو طريق الهدوء والاستقرار

وفي هذه الفوضى الفكرية يتداعى صرح السلام وتوشك الحضارة أن تستحيل إلى أنقاض

فالمشاكل الاجتماعية والسياسية التي تمثل هذه الظاهرة وتنحدر منها هي التي تناول بحثها الأستاذ جورج عزيز بالبحث في كتابه الأخير في (الديموقراطية والاتوقراطية) و (تعارض مصالح الدول) و (الجهاد في سبيل تحقيق السلام) و (أثر التاريخ في الحضارة) و (مصير الحضارة الأوربية) ، هذه هي البحوث التي يحفل بها الكتاب والتي تعطينا صوراً مروعة لذلك القلق الفكري الذي نشكو منه اليوم

وقد عرض الأستاذ جورج عزيز تلك المشاكل الخطيرة عرضاً واضحاً في أسلوب جزل بليغ يدل على اطلاع غزير وثقافة عصرية واسعة. وأما الرأي الذي نستخلصه من الكتاب والذي ينم عن اتجاه مؤلفه فهو دعوة صادقة حارة إلى نبذ التعصب الجنسي والوطني والاقتصادي والسعي لتحقيق تلك الحضارة « العالمية » التي طالما نادى بها المفكر الانجليزي هـ . ج . ولز

قاموس مفردات القرآن

المحسنة البيان

تأليف إدارة الطباعة المنيرية بمصر في ٢٠٠ صفحة

هذا القاموس جامع الكثير من مفردات القرآن الكريم مما يحتاج إلى فهمه كل إنسان

وقد استخرجها المؤلف من صحيح اللغة والتفسير مقتصراً على شرح معانيها ، ثم رتبها على حروف الهجاء . وقد أورد الجملة بتمامها ثم الآية بأجمعها ليظهر معنى الكلمة الواحدة أو الكلمات التي تتألف الآية منها

والقاموس في مجموعه تحفة لغوية شائقة ، وقد أسدى به المؤلف أجل خدمة لأبناء العربية ويسر لهم سبل فهم الكتاب العربي المبين

مقدمة ابن الصلاح

المطبعة العلمية بحلب في ٢٠٠ صفحة

تولى الأستاذ الزكي شرف الدين وأولاده طبع هذا الكتاب للإمام الحافظ ابن عمرو عثمان الشهرزوري المعروف بابن الصلاح . والكتاب من أهم المصنفات في علوم الحديث .

وقد صحح الناشر أغلاطه ورتب مواده وقسم جمله وعباراته ووضع له من علامات الفصل والوصل والوقف والابتداء ما يسهل على القارىء فهمه ويوضح له ما استغلق من عباراته

ولا شك أن في العناية بطبع مثل هذه الكتب وتبسيطها وتقريب موضوعها الى أذهان الطلبة، احياء للشعور الديني واحياء لروح الاسلام

ضحايا المجتمع

نظم الاستاذ البير صحناوي

مطبعة حريصا بلبنان في ١٢٠ صفحة

من شروط الفن المسرحي تركيز الحوادث والقدرة على حبك أطراف الموضوع وتعقب الاسباب في التحليل النفسي واستطاعة التأثير في القارىء أو المشاهد تأثيراً قوياً مباشراً. ومعظم هذه الشروط متوافر في مسرحية (ضحايا المجتمع) للاستاذ البير صحناوي

وهذه المأساة المروعة ترسم لنا طائفة من ضحايا مجتمع فاسد مثل بسحر الدين والعقيدة وأحكام الشرع لخدمة المصالح الشخصية، ويصف أهله بالعواطف النبيلة والأخلاق الكريمة وفضائل الصدق والاخلاص والتضحية

فحرية الضمير وتقدير المسئولية واعلاء الكرامة البشرية والتطلع نحو الكمال وجهود قوامها النزاهة وغايتها التضحية بالمصالح الخاصة في سبيل الخير العام، هذه هي المبادىء السامية التي حملها المؤلف شعاره والتي أودعها في شخصيات بعض أبطال مسرحيته

ولكن ما نلاحظه على هذه القصة هو أن مؤلفها اختار أبطالها من الأجانب الأوربيين. ولا شك أن هذا الاختيار لا يفقد المسرحية قيمتها الفنية ومغزاها الاجتماعي، غير أنه يضعف تأثيرها على القارىء العربي الذي يهمه أن يطالع في أدب بلاده صورة صادقة لما يجول في أعماق نفسه وما يجري في محيطه الشرقي

وهل يستطيع كاتب مسرحية رائعة أجنبية الطابع مثل (ضحايا المجتمع) أن يعجز عن وضع أخرى شرقية الأبطال شرقية الوحي والروح

كتاب الأجيال

نظم الاستاذ عبد الله غانم

مطبعة الرهبان بكفيا في ١٠٠ صفحة

كشف شأن الأديان القديمة عقائدها وأساطيرها وما خلفته من عادات وأخلاق ونظم هذا هو الموضوع الشائق الذي عالجه الاستاذ عبد الله غانم في كتاب الأجيال، فقد تحدث عن زرادشت وبرهما وبوذا وايزيس وأوزيريس وآمون وآلهة الاغريق حديث مؤرخ وحديث شاعر يتطلع بأفكاره الى أصل العقائد ومنشأ النزعة الروحانية في الانسان

والكتاب في مجموعه قصيدة وضعت لتمجيد الخيال الديني باعتباره أصل الحضارة البشرية. وقد زاد في روعة هذه القصيدة ما توافر فيها من عناصر البحث العلمي الدقيق

الأدب في شهر

الثقافة الحرة والثقافة الرسمية

في فرنسا

من يلاحظ الحركة الفكرية في فرنسا اليوم يجد أن هناك ثقافتين مختلفتين كل الاختلاف إحداهما حرة والأخرى رسمية شبه حكومية. وتتمثل الأولى في الكتاب المجددين ذوي النزعات الديموقراطية أو الاشتراكية أمثال أندريه جيد وأندريه مالرو وجان جيونو وهؤلاء لا يصبحون أعضاء في الأكاديميات. وتتمثل الثانية في الكتاب المحافظين أنصار الفكر الكلاسيكي التقليدي ودعاة النظم السياسية المشوبة بروح فاشستي أو كاثوليكي أمثال فرانسوا مورياك وكلود فارير وشارل موراس ورينيه بنجامان، وهؤلاء تفتح لهم أبواب الأكاديميات ويستقبلون فيها على الرحب والسعة

وقد انتخب أخيراً شارل موراس عضواً في الأكاديمية الفرنسية ورينيه بنجامان عضواً في أكاديمية جونكور

والأول هو رئيس تحرير جريدة (الاكسيون فرانسيز) ومؤلف (طريق الجنة) و (رحلة أثينا) و(ثلاثة أفكار سياسية) و (كيال وطنه) وغيرها

ويرجع هذا الكاتب في تفكيره الثقافي والسياسي نزعة رجعية واضحة فهو كلاسيكي تقليدي فيما يختص بالثقافة وفاشستي فيما يتعلق بنظام الحكم

ويعتبر شارل موراس في طليعة المفكرين الذين حاربوا مبادئ الثورة الفرنسية وهزأوا بحقوق الإنسان والديموقراطية ودعوا لتوكيد سيادة الدولة على أنقاض حرية الفرد. وهذا هو لب المذهب الفاشستي

وقد تتلمذ موسوليني في وقت من الأوقات على شارل موراس وأخذ عنه بعض تعاليمه

وأما رينيه بنجامان فكاتب هجاء لاذع الأسلوب صارخ العبارة يؤمن بتعاليم شارل موراس وينضوي تحت لواء مدرسته. وهو أديب متوسط النبوغ اشتهر بقصة عن الحرب تدعى (جاسبار)

فهذان الكاتبان اللذان يمثلان الروح الرجعية قد انتخبا عضوين في أشهر أكاديميات فرنسا

ويظهر أن الأكاديمية الفرنسية شعرت بجورها في انتخاب كاتب رجعي كشارل موراس فأحبت أن تستر موقفها وترضي أصحاب النزعات الحرة فانتخبت أندريه موروا عضواً فيها أيضاً

وأندريه موروا هو الأديب المشهور بوضع التراجم الأدبية والبحوث الشائقة عن الشعب الإنجليزي وهو ديموقراطي المذهب وأهم مؤلفاته (دزرائيلي) و (بيرون) و (تورجنيف) و (فولتير) و (الانجليز) وسلسلة قصص عصرية أهمها (الأجواء) و(دائرة الأسرة)

ومما يجب أن يفهمه القارئ العربي هو أن الأكاديميات لا تمثل ثقافة فرنسا الحقيقية وأن أعظم كتاب فرنسا نبوغا وتفوقا هم الذين

لا تنظيم الاكاديميات أعضاء فيها رغم الذين يعيشون بمعزل عن كل مظهر فارغ وكل مجد رسمي

مأساة الصين الحديثة

وضع هذا الكتاب بطل الصين المارشال شانج كاي شك بالاشتراك مع زوجته مايلينج سونج

وفي هذا الكتاب الرائع صورة عجيبة من أعمال المارشال وجهاده المطرد في سبيل تحقيق الوحدة الصينية

وأمتع ما فيه دراسة عن شخصية المارشال وعن عقلية الامة الصينية ومستقبلها ، كتبتها مدام شانج كاي شك بأسلوب بسيط شائق يدل أبلغ الدلالة على مدى الكفاح الذي قامت به هذه المرأة الممتازة لنصرة مبادىء زوجها وتوكيد مساعيه الرامية الى صيانة استقلال الصين وتحريرها من ربقة الأجنبي

وكل من يطالع هذا السفر الممتع يشعر أتم شعور وأعمقه ان المارشال وزوجه يؤلفان وحدة روحية في التفكير والجهاد تشبه تلك الوحدة التي جمعت بين المغفور له سعد زغلول وأم المصريين

وداع الحداثة والاحلام

تساورنا الحياة في سن الحداثة مجموعة أحلام جميلة تنبع من رامة قلوبنا وسذاجة تفكيرنا وسلطان أحكام الفطرة علينا ، وكثيراً ما تتحطم في نفوسنا مؤثرات الحداثة فتقوى جهادنا في سن الرجولة

وقد عالج هذا الموضوع الشائق الكاتبان الانجليزيان (و . لزوين وايفان سوف) في كتاب صدر حديثاً واحدث ضجة كبيرة في عالم الادب في لندن

ويظهر هذا الكتاب بوصف الصراع الذي قام به شابان استراليان للتحرر من مؤثرات الحداثة ومن أحلامها الشعرية حيث الاتصال بالواقع وفهمه ومطالبه والافادة منه

فقد فكر الشابان في مغادرة وطنهما والضرب في مناكب الارض . ولم يكن معهما الا القليل من المال . فلما نفد المال تبددت أحلام الحداثة وشرع كل من الشابين في رياضة نفسه على مواجهة الواقع بدل الفرار منه

وخير ما في الكتاب هو أن الشابين كافحا اليأس وتغلبا عليه وتمكنا من تحصيل الصبر والثبات والمقاومة وأحلام التفكير من طرد خيالات الحداثة . وهكذا أصبحا رجلين صالحين للحياة العملية بديلان شأنهما الصارم ورجحان جهادهما الشاق

جبهة ضد جبهة

يقوم هذه الأيام عدد من الكتاب الفرنسيين بزعامة رومان رولان وبول لانجفان بدعوة في مجلة (كلارتيه) الفرنسية لتأليف جبهة ديموقراطية ضد جبهة الفاشزم

ويرى هؤلاء ان لا خلاص لأوربا والديموقراطية الا بأن تتألف هذه الجبهة السياسية من انجلترا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا وروسيا . على أن تعقد بين هذه الدول شبه محالفة عسكرية تمكن من وقف تيار الدول الدكتاتورية

ويظهر أن حزب العمال البريطاني قد بدأ يميل الى الأخذ بهذه الفكرة ولكن تجار مدينة لندن الذين يؤيدون سياسة المستر تشمبرلن ويسمحون بالتقرب من ايطاليا ، يعارضون هذه الفكرة ويخشون ان تستغلها روسيا في سبيل نشر الدعوة لأنظمتها ومبادئها

ويعتقد أولئك الكتاب الفرنسيون أن انجلترا قد تعدل موقفها وقد ترسى تلك الحالة في حالة فشل سياسة المستر تشمبرلن وتعدى الدكتاتوريات في طغيانها

مساكن العمال

أصدرت الكاتبة الانجليزية اليزابث داني كتابا بهذا العنوان تناولت فيه بحث وتحليل شتى الجهود التي قامت بها الحكومات الاوربية في سبيل هدم الاحياء القذرة التي يعيش بها العمال وتشييد احياء حديثة مزودة بمساكن صحية

وقد امتدحت جهود الحكومة الانجليزية وبرهنت بالارقام على أنها كانت أسبق الحكومات في الاهتمام بهذا المشروع ولكنها انتقدت عدم التحمس في تشييد تلك المساكن وخلوها من الطابع الفني المنسجم الاوضاع . وأما فرنسا فقد عابت عليها تركها فيما مضى ربع سكان باريس يعيشون في أحياء غير صحية ثم اعترفت بالجهود الحديثة التي بذلت لانشاء الأحياء المعروفة باسم فيلاربان وبالاري وسورين ودرانسي

وترى المس داني أن بلاد اسوج وهولندا قطعت شوطا كبيرا في هذا الميدان ولكن اجمل وأروع مساكن واحياء العمال هي في عرف المس داني تلك التي أنشأها العمال الاشتراكيون في فينا عقب الحرب والتي ما تزال حتى اليوم مثلا يحتذى لا من حيث توافر الاسباب الصحية فقط بل من حيث تناسق الجمال الفني ايضا

المرشحون لجائزة نوبل

ترشح الصحافة الاوربية منذ الآن عددا من كبار الكتاب لجائزة نوبل الأدبية . وقد فاز بها اخيراً القصصي الفرنسي روجيه مارتن دوجار صاحب قصة (أسرة تيبو)

وأما جائزة العام المقبل فيرشح لها الانجليز ألدوس هكسلي وشارلز مورجان ويرشح لها الفرنسيون أندريه جيد وجول رومان وبول فاليري ويرشح لها الايطاليون جيوفاني بابيني

وأما أكاديمية ستوكهولم التي تمنح الجائزة فتقول مجلة «العصر الحديث» الباريسية أنها ترشح الكاتب الامريكي المشهور جون دوس باسوس صاحب قصة (عام ١٩١٩)

والواقع أن أكاديمية ستوكهولم لم تعد تقدر المؤلفات التي تمنحها الجائزة حسب قيمتها الأدبية الفنية المطلقة ، بل هي تطلب اقتران القيمة الأدبية الفنية بقيمة روحية انسانية مشتركة

وعلى هذا الاعتبار منحت الجائزة الماضية لقصة (أسرة تيبو) التي جمعت بين روعة الفن وبين الدعوة النبيلة لفكرة السلام

والمعروف أن جون دوس باسوس يروج مثل هذه النزعة في قصصه ويظهر أن هذا هو السبب في ايثار الاكاديمية له

كيف تساق الشعوب الى الحرب

اعتقدت الشعوب في الحرب الماضية أنها تحارب من أجل الخير والعدل والقضاء على الروح الاستعمارية ونصرة الضعيف والمظلوم واحلال مبدأ الحق محل نزعة القوة

هذه المبادىء هي التي حمستها للقتال وهي التي ربها لها القادة والسياسيون . وسوف يردد الناس منه وتتكرر هذه المأساة في الحرب القبلة كما يقول الأديب الفرنسي (هنري مورتان) في كتابه الأخير (الحرب والعقائد) فتساق الشعوب الى التطاحن والتقاتل تدفعها

عقائد جديدة ومبادىء لا تعرف منها غير أسمائها

سيقولون لها أو هم يقولون منذ اليوم أن الفاشية أو النازية كلها أخطاء وأضرار وعيوب وأن لا بد لها من الاصطدام بالديموقراطية عاجلا أو آجلا وأن الأولى تمثل القوة المطلقة والثانية تمثل الحق المطلق وهكذا تندفع الشعوب مرة أخرى نحو الحرب لخدمة القادة ورجال المال ومحترفي السياسة

وخير سبيل لمعالجة هذه الظاهرة واتقاء الخطر المرهوب في عرف هنري موركان هو انصاف الفاشية والنازية وانصاف الديموقراطية أيضا . أي التدليل في صراحة تامة على ما في الانظمة الفاشية والنازية من ضعف وقوة وخير وشر ، والتدليل في صراحة أيضا على ما في الديموقراطية من منافع وأضرار . إذ ليس من المعقول أن يكون الخير كله في نظام واحد والشر كله في نظام آخر . ومتى اتضحت جوانب القوة في هذه الأنظمة ومواطن الضعف خفت وطأة التعصب لكل منها وساد حكم العقل على حكم الأهواء والعواطف

ولكي يصل هنري موركان الى هذه النتيجة أنشأ جمعية سماها (أصدقاء الحقيقة) وشرع أعضاؤها يؤلفون الرسائل في النقد المقارن بين الانظمة الفاشية والنازية والديموقراطية تأييدا لوجهة النظر السالفة وابتغاء تحرير العامة من أفكار استحالت الى عقائد بتأثير الجهل والتعصب

كوارث الطلاق

صدر في نيويورك في غضون الشهر الماضي كتاب بهذا العنوان حمل فيه مؤلفه المستر ماك مري على عادة الطلاق التي فشت في الولايات المتحدة وقوضت عددا كبيرا من الأسر

ويرى الكاتب أن سهولة الطلاق تهدد الحضارة الامريكية بأخطار جمة وتوشك أن تقصف نظام الأسرة التي هي صورة مصغرة للأمة

وقد استشهد المستر ماك مري بحوادث عديدة تشرد فيها أبناء الفريق الأول وفسدت أخلاقهم وانساقوا الى الاجرام . وذكر حوادث واقعية أخرى عن صبيان مساكين آثروا الانتحار على الحياة مع زوجة أبيهم ، وعن غيرهم ممن اعتدوا على أمهاتهم من الفريق الثاني وقضوا حياتهم ومستقبلهم بسبب هذا الاعتداء

ويؤكد الكاتب أن الأنانية الخاصة استحوذت على عقول ونفوس طائفة كبيرة من الأزواج في بعض الولايات الامريكية . فأصبحوا لا يفكرون إلا في أنفسهم ولا يشعرون بغير متعتهم ولا يبالون بما يجره الطلاق على أبنائهم من كوارث ونكبات

وقد عزز المستر ماك مري نظرياته بالأرقام المستمدة من الاحصائيات الرسمية وأثبت أن معظم مجرمي الحدث الذين ضمتهم سجون البلاد الامريكية فيما مضى كانوا من ضحايا الطلاق ومن أولئك الذين نشأت نفوسهم نهبا للنزعات المتباينة بين أمهاتهم وآبائهم

ويقترح الكاتب لمعالجة هذا الداء أن تحدد أحكام الطلاق وتحرر سلطة الوالد وتفرض رقابة شديدة على بعض الأفلام السينمائية الخليعة ويشدد القضاء في مطالبة الأزواج الراغبين في الطلاق بدفع نفقة كبيرة لزوجاتهم وأبنائهم

ويختم المستر ماك مري كتابه بالاشارة الى أن سهولة الطلاق وانتشار الاباحية وفساد النزعات ، كل هذه الأعراض كانت من الأسباب الرئيسية التي زعزعت أصول الحضارات القديمة ومكنت الغزاة من القضاء عليها

بين الهلال وقرائه

قيمة الصحافة

(القاهرة — مصر) حسن طه

ألم يكن خيراً للرأي العام ألا توجد الصحافة التي كثيراً ما تضلله ؟

(الهلال) الصحافة من أقوى العوامل في توجيه الرأي العام ، ومن وسعها أن تضلله إذا اختلف كتابها على نهج سياسة كاذبة ، خدمة لمآرب شخص معين أو خضوعاً لسلطان طبقة معينة . وهذا ما قد يقع أحياناً في البلاد التي تخضع لنظم الدكتاتورية أو التي تحكم فيها سطوة أصحاب الأموال . ولكن من المحقق أنها لا تنجح في سياستها هذه طويلاً فقد تستطيع — كما يقول إبراهام لنكولن — أن تخدع بعض أفراد الشعب طول الزمن ، أو أن تخدع الشعب كله ردحاً من الزمن ، ولكن لا تستطيع أن تخدع الشعب كله طول الزمن

والصحافة بوجه عام من أعظم الدعاة إلى النهوض والإصلاح ، وهي داعية لا تعتمد على هبات مقيدة وتتقيد برغباتها ، فهي لذلك قد تلجأ إلى التكلف والتحوير . والأمة هي منبع هذا الشذوذ في منهاج الصحافة ، لأن ضعفها يضطرها إلى أسلوب المداح والمراوغة ، وإن تستطع أن ترضيه صانت بذلك أساس حرية الصحف ووحدة الرأي العام

الهيماتيت

(الشحر — حضرموت) مشترك

قرأنا في الصحف أن العلماء وجدوا أرض حضرموت غنية بالنفط والهيماتيت فما هو الهيماتيت ؟

(الهلال) تقسم معادن الحديد إلى قسمين : حديد مغنطيسي ، وحديد غير مغنطيسي ، والثاني هو الذي تبلغ كمية الحديد فيه نحو ٧٠ ٪ والهيماتيت هو أشهر أنواع الحديد غير المغنطيسي الذي تعتمد عليه الصناعة الحديثة ، وأغنى المناجم به في انجلترا حيث يوجد في كمبرلاند وشمال لنكشير ، وأسبانيا من أغنى البلاد به ولكنها تصدره إلى انجلترا وألمانيا ، إذ لا يوجد فيها الفحم أو البترول اللازم لصناعته . وتوجد مناجم غنية بالهيماتيت حول البحيرات العظمى في الولايات المتحدة كذلك

وإذا صحت أقوال العلماء عن توافر الهيماتيت والبترول معاً في حضرموت ، فمن الممكن أن تقوم صناعات كبيرة في تلك البلاد إذا وجدت رؤوس الأموال وعقول العلماء اللازمة لإقامة مثل هذه المشاريع الكبرى

الحاسة السادسة

(البادية الجنوبية — العراق) صبحي لطيف

يتحدث أهل البادية الجنوبية بالعراق عن شيخ أعمى كان يشترك بسيفه في الحروب ، حيث كان يطعن ويضرب ، ويتقي السهام والسيوف ، شأنه شأن المبصرين تماماً . ويقولون إنه يسير في البادية منفرداً فلا يخطئ الطريق . فهل تصدقون هذا وكيف تعللونه ؟

(الهلال) في هلال ديسمبر سنة ١٩٣٥ مقال عن « الحاسة السادسة » أثبت فيه كاتبه — وهو عالم باحث — أن للأعمى والأصم حاسة زائدة يستعيض بها عن الحاسة المفقودة في إدراك الأشياء . وقد أورد أمثلة غريبة عن هذا ، من ذلك أن رجلاً أعمى من خريجي معهد بركنس الأمريكي للعميان سار ذات مرة بين أشجار وسط غابة وعرة لم يطأها من قبل حتى وصل إلى نهايتها دون أن يستدل عليه من أحد . ومن ذلك أن صديقاً أعمى كان يخرج منفرداً في قاربه ويبتعد عدة أميال عن الشاطئ ، ثم يعود إلى المكان الذي أقلع منه دون أن ينحرف عنه كثيراً ولا قليلاً .

بل إن أحد عميان أمريكا كان يعرف موقع جوانب كل منعطف في قريته ، وكان يعد من أقدم الملاحين وأكفأهم حتى إن كل ملاح ناشئ يجب أن يأخذه

هذا بكلمة ان كان يعرفه من وقع حوافر حصانه

ويرجع هذا في الارجح الى قوة خفية يعرف بها الآن فريق كبير من علماء النفس، وان كانوا لا يستطيعون تعليلها، ولكن منهم من يرى ان ليس في الامر شيء من القوى الخفية، بل في وسع كل انسان ان يكتسب هذه القوة بطول الممارسة والاختبار

بعد سقوط غرناطة

(نيويورك — الولايات المتحدة) أحمد [illegible]

هل هاجر جميع مسلمي الاندلس بعد أن دالت دولتهم هناك، أم اعتنق بعضهم المسيحية؟

(الهلال) هاجر أكثر المسلمين من الاندلس عقب سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين، ولكن بقيت طائفة قليلة منهم اضطرت الى اعتناق المسيحية، وهي التي تعرف «بالموريسكيين». وقد ذكر مترجم كتاب تراث الاسلام عنهم ما يلي: «الموريسكيون اسم يطلق على المسلمين الذين ظلوا في اسبانيا بعد سقوط غرناطة في ٢ يناير سنة ١٤٩٢، ولم يعد منهم من المرتدين المسلمين الا النفر في «[illegible]». وقد نالت أغلبية المسلمين الذين وقعوا تحت حكم الاسبان معاملة طيبة، ثم بدأ اضطهادهم بعد سقوط غرناطة بسبع سنوات، فلما اشتد بهم الامر اضطرمت ثورتهم في جبال البشارات، وكانت نتيجة الثورة ان خيروا بين اعتناق المسيحية وترك اسبانيا. ثم ثاروا مرة أخرى سنة ١٥٦٨، ولم تخمد ثورتهم الا بعد سنين عدة. وأخيراً في سنة ١٠٨٠ صدر أمر فيليب الثالث باخراجهم من اسبانيا، فهاجر منهم نحو نصف مليون»

لون التربة

(بغداد — العراق) الراوي

أيهما أخصب: التربة السوداء أو التربة الصفراء؟ وأي أنواع النبات يصلح لكل منهما؟ ومن أي النوعين تربة مصر؟

(الهلال) أنواع التربة الرئيسية أربعة:

(١) التربة الطينية أو السوداء، وهي تنشأ مما تحمله الانهار من طمي الجبال، ومثلها أرض دالات الانهار الكبرى كدلتا النيل ودلتا دجلة والفرات. وهي لا تحتاج الى ري كثير لقلة ما فيها من المسام. وهي أخصب التربات تزرع فيها القمح والارز والقصب والغلال والاشجار

(٢) التربة الرملية أو الصفراء، وهي ذات مسام كبيرة تحتاج الى ري دائم، وأشهر الاراضي الصفراء مناطق شمال الصين [illegible]، وخير ما يصلح لهذه التربة القمح والشعير والفول السوداني والبطيخ

(٣) التربة النباتية حيث تنمو الغابات فتختلط أوراق أشجارها بالارض فتكسب خصوبة كثيرة، ومثلها أرض أوربا الغربية

(٤) التربة البركانية وتقع عادة في جوار البراكين الثائرة أو الخامدة ومثلها مزارع نابلي بايطاليا المشهورة بكرومها

وأرض هذا السهل وواديه تربة سوداء، أما الاراضي الواقعة على حافة الصحراء مثل مديريتي الغربية والبحيرة، فخليط من التربتين الصفراء والسوداء

تكرار الحمل

(الاسكندرية — مصر) ى . ع

هل تكرار الحمل يضر المرأة؟ وهل من وسيلة مضمونة لمنع الحمل؟

(الهلال) كثير من السيدات ولدن مرات عدة بين الواحدة والاخرى فترة قصيرة، ولم يصبهن من هذا أي ضعف أو إعياء، ولكن أكثر السيدات — ولاسيما في هذا العصر الذي ضربت النحافة فيه بجرانها — يتعرضن فيه لأخطار جسيمة من تكرار الحمل، كضعف أعصابهن وفقد توازنهن، وقد يصبن بأمراض خطرة من أشدها سرطان الرحم

أما وسائل منع الحمل فقد اختلف رأي الاطباء فيها، فمنهم من أكد ان ليست هناك وسيلة ناجعة كل النجع وخالية من الضرر خلواً تاماً. ويزيد على هذا أنه كلما كانت الوسيلة مجدية في المنع كانت أشد ضرراً بالأم. ومنهم من رأى أن هناك وسيلة مضمونة ١٠٠٪ من ناحية المنع وعدم الضرر، على أن تمارس تحت رعاية الطبيب وبكل دقة وحذر

مجلة المجمع اللغوى

(النجف الأشرف ـ العراق) قارئ

هل للمجمع اللغوى الأدبى فى مصر صحيفة خاصة به ؟

(الهلال) ليس فى مصر مجمع علمى أدبى ولكن تصدر عن المجمع الملكى للغة العربية ، وهو يصدر مجلة خاصة بما يقره المجمع من الألفاظ الجديدة ، وبما ينشره أعضاؤه وغيرهم من الألفاظ والمصطلحات ، وكذلك بحوث لغوية وأدبية شتى . وقد صدر من المجلة ثلاثة أعداد حتى الآن . ويمكن الحصول عليها . وعنوان المجلة ١٠ شارع القصر العينى بالقاهرة .

ثورة الأعصاب

(دمشق ـ سورية) عبد الله ...

أيهما أقدر على العمل والنجاح ، ذو الأعصاب الهادئة الوديعة ، أم ذو الأعصاب الحادة الثائرة ؟

(الهلال) لخص الهلال فى عدد مارس سنة ١٩٣٥ كتاباً للدكتور لويس بيش ... الرجل الناجح ، أثبت فيه أن المزاج العصبى كثيراً ما يكون مصدر توفيق وسعادة ، وبرهن على صحة نظرية علماء الطب ... أن فى كل رجل ذى مزاج عصبى ... الصعاب التى ... أو أن ... ما ... الطبيعية بل ... وتخلصه من ... أمكن ... من ... الناس ... من الصعاب التى ... فوق مستوى الرجل المتوسط . والواقع أن كثيراً من مشاهير ... كانوا من ذوى الأعصاب الحادة الثائرة ، مثال الاسكندر وقيصر ونابليون و ... وغيرهم .

ولكن يلاحظ أن ذوى الأعصاب الثائرة ... كثيراً من الآلام ... يعتقدون ... أن العالم لا يفهمهم وأن ... أدنى من مستوى الرجل العادى ... وهى أسباب النجاح فى ... وفى ... الرجل العصبى فى الأعمال ... التى تحتاج إلى خلق و ... فكر ، و ... فى الأعمال الآلية التى يقدر عليها ذوو الأعصاب الهادئة الثابتة

قراءة الكف

(القاهرة ـ مصر) أحمد القراء

أسأل من يعرف قراءة الكف أنى سأمرض بعد خمس عشرة سنة مرضاً خطيراً ... فلم أعر كلامه التفاتاً أول الأمر ، ولكن ما لبث أن ... هذه الفكرة فى ذهنى حتى صارت الآن شبحاً رهيباً يبدو لى نهاراً ويسهر فى ليلاً . فهل خطوط الكف تنطق حقاً عن المستقبل ، وهل قراءتها تستند إلى أساس علمى ؟ وكيف أستطيع أن أتخلص من هذه الفكرة ؟

(الهلال) من المؤسف أن خرافة قراءة الكف التى نشأت فى الصين منذ خمسة آلاف سنة ما زالت منتشرة إلى اليوم فى كثير من الشعوب الراقية المتأخرة والراقية على السواء . والواقع أنها لا تعدو ـ كما تقول دائرة المعارف البريطانية ـ سوى طراز معين من الناس أعصابهم مريضة مضطربة ، يبدو لهم هذا الوهم الغريب حقيقة واقعة ، مع أنه ليس هناك أى أساس علمى ترتكز إليه هذه الخرافة التى لا موضع لها من دائرة العقل . ويمكنك الخلاص من هذا الوهم عن طريق الإيحاء ... إلى نفسك كل صباح وكل مساء ... أن قراءة الكف خرافة سخيفة لا يمكن أن ... أى عقل سليم .

قوة الذاكرة

(الحصن ـ شرق الأردن) سامى الخورى ...

فى أى سن تبلغ الذاكرة أقصى قوتها ؟

(الهلال) من أقسام الذاكرة ... الذاكرة المسرعة ، وهى التى يحفظ ... بها الإنسان كل ما يلقى عليه بسرعة دون أن يستطيع الاحتفاظ به مدة طويلة ، والذاكرة البطيئة ، وهى التى لا تعى الشىء سريعاً ولكنها تحتفظ به مدة طويلة

والأولى تبلغ أقصى قوتها بين الثامنة والعشرين والخامسة والعشرين ... والثانية تكون فى أوجها بين الثامنة والثالثة عشرة ، أى فى مرحلة التعليم الابتدائى ... ولهذا ... فى هذه المرحلة ... ما يريدون أن ... فى ذهنه ... معه ... من المبادىء الدينية والأخلاقية والوطنية

الهلال

نوفمبر ١٩٣٧

عدد خاص

الفاروق

تقدمة

حرص «الهلال» على اصدار أعداد خاصة كلما سنحت فرصة ذات شأن. فأخر به اليوم – إذ أروع الفرص، فرصة تولية فاروق الأول الملك – أن يصدر هذا العدد عن عمر «الفاروق»

إن من دلائل التوفيق السماوي أن يسمى أول ملك لمصر المستقلة باسم الفاروق عمر بن الخطاب، فقد امتاز بجرأته في الحق، وأخذه نفسه بالعدل. وإذا استقر العدل – على تنوع صوره – في أمة من الأمم فقد بلغت أسمى الصفات

لقد اختلفت الأجيال بين الفاروقين – ولكن البشر هم هم في كنههم، والطبيعة الانسانية هي هي في عناصرها. وهذا ما حثنا على دراسة عهد الفاروق عمر بن الخطاب، فجمعنا هذه المباحث القيمة لنفر من خيرة مؤرخينا ومفكرينا، لعلنا نستخرج من بين السطور عبراً نستنير بها فيما نحن مقبلون عليه من مهام جسام – فإنما الماضي مرآة الحاضر

والهلال يتقدم بخشوع الى فاروق اليوم بهذه الصور الممتعة لفاروق الأمس – متمنياً سائلاً المولى أن يكون فيها لمليكنا الشاب ورعيته الوفية تذكرة وبعثاً وحافزاً للرقي والفلاح

أدام الله ملك فاروق وأعز به مصر والمصريين

اميل زيدان

توفيق

لحضرة صاحب المعالي عبد السلام جمعة باشا

وزير المعارف العمومية

تفضل معالي وزير المعارف بهذه الكلمة البليغة ، تحية لذكرى الفاروق العظيم وتحية لهذا السفر الحافل ، ونحن ننشرها شاكرين لمعاليه تحيته للهلال ، وتحيته الكريمة

من دواعي اغتباطي ظهور هذه الفكرة النيرة التي أوحت بإصدار عدد خاص من الهلال يبحث في سيرة سيد العادلين ، وصفوة الخلفاء الراشدين ، المثل الباهر للحاكم التقي الحازم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وإنه ليضاعف اغتباطي أن يقترن وحي هذه الفكرة بعهده الزاهر الذي طلع على الناس بجلائل مواكب الخير ، ولوامع الاسعاد ، ومخايل اليمن وسواطع الاقبال ، في ظل الملك المحبوب الموفق ، فاروق الأول حفظه الله

لقد رافق التوفيق عهد الخليفة عمر ، فجاءت سيرته عطر التاريخ ، ومسك الصحائف الخالدة ، بما رزق رضي الله عنه من صحيح المسعى ، وطاعة الرعية ، وتوطد الحكم ، وقوة الدين ، وصدق الفراسة ، ويقظة القلب ، وأصالة الرأي ، ووفرة الحزم ، الى ديموقراطية وحب انصاف ، والى محامد لا تحصى ومحاسن لا تستقصى ، صاحبت سيد العادلين منذ نشأته في الجاهلية الى أدواره في الاسلام ، وستظل تلك الشمائل والشيم ، ما بقي الدهر ، أسوة المقتدين ، ومثلى المهتدين

من مميزات الخليفة الفاروق أنه كان منذ عهد الجاهلية صداعاً بالحق ، صحيح النجدة ، كثير التفكير ، مهيب المقاتل ، صادق المقولة وكان أول من سمر في الجاهلية ليلة يتشكى فيها ، وكانت اليه سفارة قومه ان وقعت بينهم حرب ، فانبرى يطالبهم بجنواه حتى يطمئنوا الى تفكيره ، ويسترجعوا الى تدبيره ، فلما آمن بما جاء به الرسول الأعظم ، بعد أن استمع الى آي الكتاب وتدبر معانيه وأحكامه ، كان رضي الله عنه أول من جهر بإيمانه وأعلنه ،

ودعا الى الصدع بأمر الله في غير خفاء. وهو الذي خاطب رسول الله بقوله: «والذي بعثك بالحق رسولا، لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان، وأظهرت الاسلام فيه غير هائب ولا خائف. والله لن يعبد الله بعد اليوم سراً». لهذا سماه رسول الله بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل. وقد أجمع صحابة رسول الله على أن اسلام عمر كان فتحاً، وهجرته كانت نصراً، وامارته كانت رحمة للناس.

حسب الخليفة عمر الفاروق شرفاً كبيراً أن القرآن قد وافق رأيه في مواطن عدة، ذلك لأن الكتب الالهية تنزل بما ينفع الناس في معادهم ومعاشهم، في دينهم ودنياهم، ومن أعلم من عمر بحاجات قومه، وهو الحكيم المفكر، الذي يحفل بما دق وجل من أمر رعيته، ويعرف من شئون دنياهم مايعرفه خاصتهم وعامتهم، وهو خبير بها محيط.

كان عمر يخشى الله في كل همسة وهمسة. وفي كل حركة وسكون. كان عظيم البر برعيته، يبكي اذا أصاب ظلم أحد الناس، وهو القوى الشكيمة، الشديد المهيب، الثابت الطائر، وكان رضي الله عنه أحفل الناس بالشورى، يتشاور مع أصحابه في كل حال، يحاورهم ويكشف لباب آرائهم وأدلتهم، ثم يرجع الى رأي نفسه، فاذا اقتنع نفذ عزمه مستخيراً الله، شأنه الحاكم العادل الذي لايبغى غير مصلحة الرعية، وبالشورى مكن الله له السطوة والهيبة، وخضوع الناس لأحكامه عقيدة أنه يسير لما فيه نجاتهم. ومن بعد عمر بقيت الخلافة شورى بين المسلمين على نهج من الحق مبين.

من مأثوراته رضي الله عنه قوله لعمرو بن العاص إذ ضرب ابنه رجلا من أهل مصر: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً؟».

تلك لمحة صغرى من سيرة ابن الخطاب، بل هي اضواء لامعة تشع من اقباس صفاته. من الأماني التي تختلج في صدور المصريين كافة أن يجدوا في عهد سميه مولانا الفاروق المعظم ما وجد العرب في عهد امير المؤمنين من عزة ومنعة ورفاهية، وطمأنينة واستقرار ومشورة، الى قيام الدين مصوناً، والملك وطيداً، والرفعة شامخة.

وان البشريات التي عمت بها البلاد على قرب عهدها بطلعة المليك المحبوب لتشجع على الأمل في ان يتحقق ما يرجوه المصريون من خلافة الفاروق على عرش مصر من امان حوال، وسعادة حال، وكريم مآل.

• .. عمر في نظري أعظم شخصية يمكن أن تعرض على الشباب لأنهم يجدون فيه خير ما يجب أن يجدوه من مثل أعلى ينبغي أن يطيلوا النظر إليه ويفكروا فيه ويتأثروا به في نفوسهم ويكونوا إليه شيئاً •

الفاروق .. الشديد اللين

بقلم الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

من أيسر الأمور على مثال البارع أن يصنع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه تمثالاً يجمع بين الصدق والروعة، وبين الدقة التي ترضي الحس والجمال الذي يرضي الخيال. فقد حفظ التاريخ لعمر صورة دقيقة صادقة لا تتعرض للشك ولا للخلاف، بحيث يراها الناس جميعاً إذا قرأوا تاريخه فلا يختلفون فيها ولا يفترقون في الاعجاب بها والاعظام لها مهما تختلف أمزجتهم وطبائعهم، ومهما تختلف آراؤهم ومذاهبهم، ومهما تختلف طرائقهم في التفكير والحكم والشعور.

وهذه الصورة الدقيقة الصادقة الرائعة التي حفظها التاريخ لعمر لا تمثل شخصه المادي وحده، وإنما تمثل شخصه المادي والمعنوي أيضاً. وتمثل شخصه المعنوي من جميع نواحيه: تمثل قلبه وتمثل عقله وتمثل ارادته وتمثل حسه أيضاً. وهي صادقة في هذا كله لا يتطرق إليها الشك لأنها أوضح وأظهر من أن يتطرق إليها الشك أو تختلف فيها الآراء. وما أعرف أن تاريخ الخلفاء وملوك المسلمين قد صدق في تصوير شخصية من شخصيات الخلفاء والملوك كما صدق في تصوير شخصية عمر بن الخطاب. والغريب ان هذه الشخصية لم تكن سهلة ولا يسيرة في نفسها، وإنما كانت عسيرة معقدة كما سترى بعد قليل، ولكنها كانت قوية جداً، قوية إلى الحد الذي يضطر معه التاريخ عن مقاومته فيضطر إلى أن ينقلها كما هي لا يستطيع أن يزيد فيها أو ينقص منها، وإنما ينقلها كاملة ويبلغها إلى الأجيال كاملة وتمضي القرون في أثر القرون وهي كما هي لا يستطيع الزمان أن يمسها بزيادة أو نقص. ولو أن مثالاً بارعاً قرأ ما حفظ التاريخ من صورة عمر، ثم أراد أن يظهر ذلك بوسائله الفنية وأن يصنع هذا التمثال لعمر، لجمع بين صفتين غريبتين، فكان مائلاً لا متكراً، وكان في الوقت نفسه رائعاً مخيفاً يبهر العقول ويخلب الألباب ويملأ الأبصار والقلوب.

ولكن عمر كان ثاني خلفاء المسلمين، فمكانته الدينية ومنزلته من النبي ومقامه من الاسلام نفسه كل ذلك يرفعه عن أن يكون موضوعاً لصناعة المصور أو المثال. فلنجتهد في أن نستعين بصناعة الكلام على تصويره للشباب المحدثين، فعمر فيما أعتقد أعظم شخصية يمكن أن تعرض على

الشباب لأنهم يجدون فيه خير ما يحب أن يجدوا من المثل التي تمنى أن يطيلوا النظر إليها والتفكير فيها والتأثر بها لعلهم يرقون إليها شيئاً

وأول ما يهمنا من أمر عمر أنه كان مستقى لطائفة من الخصال المتناقضة التي ينكر بعضها بعضاً أشد الإنكار، ويدفع بعضها بعضاً أشد الدفع. ولكن الله قد لاءم بينها وألف بين متنافريها تأليفاً غريباً حتى التقت فلم تتنافر ولم تتدابر ولم يصد بعضها عن بعض. وإنما ائتلفت أحسن الائتلاف وانسجمت أروع انسجام كما تأتلف الأصوات المتنافرة وكما تنسجم الأنغام المتباعدة في القطعة الموسيقية الرائعة، حتى أصبح شخص عمر آية خالدة من آيات الموسيقى يتغنى بها تاريخ المسلمين وسيتغنى بها ما بقي الإسلام وما بقي للإسلام تاريخ

وأغرب من هذا كله أن بعض هذه الخصال لم ينشأ في شخص عمر، وإنما وجدت في أسرته ورهطه الأدنين متفرقة قبل أن يوجد عمر. وقد نشأ هذا الفتى القرشي فأدرك شيئاً من هذه الخصال. فقد كان أبوه الخطاب بن نفيل رجلاً غليظاً فظاً إن امتاز بشيء من قومه فإنما يمتاز بالشدة والعنف والمحافظة على القديم الموروث والنشاط العنيف في حماية هذا القديم الموروث والذود عنه. وكان ابن عمه زيد بن عمرو بن نفيل رجلاً رقيقاً ليناً مرهف الحس ذكي القلب نقي الطبع مستعداً للإيمان الصادق محباً للجديد شديد النشاط للتجديد. شك في وثنية قومه ثم جحدها واتقى ذبائحها سمواً ورقة نفس، وجعل ينكر على قريش ما كانت فيه، فكانت قريش تسمع منه وتعرض عنه ولا تحفل بما كان يقول، ولكن الخطاب بن نفيل شق له ثم قاومه ثم جد في فتنته حتى أشقاه ثم حبسه في مكة، ثم أغرى به الشباب حتى اضطره إلى أن يستخفي وأن يحتال في الفرار من مكة ليلتمس ما كان يحب من دين عند اليهود والنصارى. وقد فر زيد بدينه الجديد أو باستعداده للدين الجديد، وجعل يلتمس ما يحب عند اليهود مرة، وعند النصارى مرة، حتى استيأس من أولئك وهؤلاء فعاد إلى مكة ولكنه قتل غيلة في بعض الطريق

وقد ورث عمر هاتين الخصلتين عن أسرته، فكان شديداً ورقيقاً في وقت واحد، وكان غالياً في الشدة، غالياً في الرقة أيضاً، وكان إسلامه مظهراً لهاتين الخصلتين المتناقضتين. خرج ذات يوم وكان فتى قد بعث على الشر، ملتزماً أن يشتد في غيظ المسلمين والكيد لهم والإيقاع بهم، يبحث عن أول فرصة تتيح له البطش بهؤلاء المهتدين، فلقي رجلاً من المسلمين وأخذ معه في حديث حول الإسلام يريد أن ينتهي من هذا الحديث إلى الشدة والبطش، فينبئه هذا الرجل أن الإسلام قد غزا أسرته واستقر فيها، وأن أخته قد أسلمت كما أسلم زوجها. فينصرف عمر إلى أخته وقد أزمع البطش بها وبزوجها، فإذا بلغ الدار سمع قراءة، فلما طرق الباب فزع من في الدار واستخفى مقرئ الأسرة، ودخل عمر على أخته فسألها فلم تخف عليه شيئاً، فبطش بها وبزوجها ويلينان له ويظهرانه على الصحيفة التي كانا يقرآن فيها، فلا يكاد يتلو آيات من القرآن حتى تذهب شدته

وبأسه ويستحيل الى لين وعطف ورحمة واشفاق ، ويسأل عن مكان النبي فلما دل على هذا المكان ذهب الى حيث كان النبي وأصحابه يجتمعون ، فلما أحس أصحاب النبي مقدمه أنكروه وأشفقوا منه ، إلا رجلا واحداً هو حمزة بن عبد المطلب لم يكن أقل منه شدة وبأسا فقد انتظره ثابتا له ، وتلقاه بمثل ما كان قد أقبل به فيما ظن المسلمون من الشدة والبأس . ولكن النبي يلقاه لقاء شديداً رفيقا ، فما هي إلا أن يسلم عمر ويكبر المسلمون ويعلموا أن الله قد أعز دينه بأحب الرجلين اليه عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام أبي جهل ، كما كان النبي يسأله في كل يوم

ومنذ ذلك اليوم استطاع المسلمون أن يجهروا بصلاتهم وكانوا يخفونها ، وان يدخلوا ناديهم في المسجد وكانوا لا يظهرون فيه إلا فرادى

هذه الشدة البالغة والرقة الرائعة تصوران عمر طول حياته . تصورانه صاحبا للنبي ومشيراً لأبي بكر ووزيرا للمسلمين . تصورانه حين أراد النبي أن يمضي صلح الحديبية فأنكر عمر هذا الصلح وقال للنبي كيف نرضى الدنية في ديننا . وتصورانه حين رأى الحق من الله ورسوله في هذا الصلح فأذعن له راضيا مؤمنا أصدق الرضى وأخلص الايمان . تصورانه حين أعلن أن رسول الله قد مات فأنكر ذلك أشد الانكار وأنذر القائلين له بالسيف حتى سمع قول الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ؟ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » . أذعن لقضاء الله راضيا به مؤمنا له أصدق الرضى وأخلص الايمان . تصورانه حين جد في حزم أمر المسلمين وأخذ البيعة لأبي بكر باسطا يده بالبيعة قبل ان تتم الشورى ، حتى اذا استقرت الامور واطمأنت القلوب واجتمعت الكلمة عرف من نفسه هذه الشدة وقال في بيعة أبي بكر كانت فتنة وقى الله المسلمين شرها . تصورانه في كل ما نعرفه من مواقفه حيث كان يجد الجد ويحتاج الأمر الى الحزم والعزم ، ثم بعد ان تستقر الأمور وتهدأ العاصفة . وقد اختصر التاريخ هذه الصور الغريبة الرائعة فيما تحدث به من أن عمر كان أشد الناس غضبا اذا غضب ، وكان اذا ثار لم يثنه أحد ولم يثنه شيء ، فاذا ذكر الله أو تلي القرآن رق حتى أصبح الرقة نفسها

واختصر التاريخ هذه الصورة الرائعة أيضا حين روى ما كان من أمره لما اجتمع الناس اليه في الموسم فسأل عن سيرة العمال في الأمصار ، فقام اليه أحد المسلمين وزعم له ان عامله قد ضربه ، فأبى عمر إلا ان يقتص لهذا الرجل من الوالي المعتدي من المسلمين . وجعل الولاة يحاورونه لما أثر ذلك في اضعاف السلطان واطماع الرعية في الولاة فلا يحفل بشيء من ذلك ، لأن رسول الله قد اقتص من نفسه حتى اضطر العمال الى ان يرضوا هذا الرجل ويشتروا منه حقه بالدنانير ، ولولا ذلك لرأت جماعة المسلمين رجلا من الرعية يعمل سوطه في جسم وال من ولاة الأمصار

كان عمر شديداً حتى خشي الله في الشدة ، وكان لينا حتى خشي الله في اللين . وكان يصطنع

في الناس شدته ولينه جميعاً ، فأما مع نفسه وأهله فلم يستطع قط إلا الشدة ولم يعرف اللين قط الى قلبه سبيلا . وكان عمر حريصاً على مال المسلمين أشد الحرص ، يطلب العمال والولاة حساباً أيسر ما يقال فيه أنه كان عسيراً . لا يختار والياً لعمل من الأعمال حتى يحصى ماله قبل الولاية ، ثم يتتبعه بعد ذلك ليرى كيف زاد ماله وما مصدر هذه الزيادة وما الصلة بينها وبين ما كان له من عطاء . ثم لا يتحرج أن يقاسم الوالي ماله بعد عزله ، فيترك له النصف ويرد النصف الى المسلمين . وكان كريماً في مال المسلمين الى أقصى حدود الكرم ، لا تكاد تجتمع اليه الأموال التي كانت تأتيه من الأمصار والأقاليم حتى يشيعها في المسلمين على طريقة واضحة حقاً ، لا يترك رجلا ولا امرأة ولا صبياً ولا صبية في أسرة نبيه أو بعيده عنه إلا قسم له من هذا المال حظه وأدى اليه حقه ووفى اليه الفضل بعد الحق . ثم كان لا يأمن على ذلك أحداً وإنما يليه بنفسه ، ويتتبع أمور الناس لا ليعرفها ولكن ليعرف أيشكو الناس منه شيئاً ، أينكر الناس منه شيئاً ، فقد كان لا يأمن نفسه على تحقيق العدل كما كان لا يأمن الناس على تحقيق هذا العدل

ولقد أجدب المسلمون في بلاد العرب سنة ، فقرأ أخبار عمر في هذه السنة فقرأ أروع ما حفظ الأدب والتاريخ في أي أمة من الأمم وفي أي جيل من الأجيال وفي أي عصر من العصور ، من صور الرفق بالرعية والنصح لها والاشفاق عليها والشدة على الأقوياء والرحمة بالضعفاء . أخذ عماله في الأقاليم بأن يرسلوا اليه الطعام والكسوة للناس ، ووجه رسله في أطراف الجزيرة وأعماقها يحملون الطعام وينحرون الجزر ويكسون الناس ، وقام هو على ذلك في المدينة وما حولها . وأبى أن يطعم في بيته اذا اجتمع المسلمون للطعام العام . قل السمن وقل اللحم ، فحرم على نفسه السمن واللحم وفرض على نفسه الخبز والزيت حتى يخصب المسلمون . وكانت حرارة الزيت تؤذيه فتقدم الى مولاه أن يطبخه له ليكسر من حرارته ، فلم يغن ذلك شيئاً وجعل بطنه يقرقر فيقول له : « قرقر ما شئت فلن تطعم إلا الزيت حتى يخصب المسلمون »

وكان عمر أجرأ الناس على الناس ، حتى هابه الأقوياء واشفقوا من لقائه ووسط اليه كبار الصحابة من يسأله الرفق بالناس ، لأنهم يهابونه ويشفقون أن يعرضوا عليه حاجاتهم . ثم كان في الوقت نفسه أشد الناس خوفاً من الضعفاء والمصريين والمحرومين . يستطيع أهون الناس شأناً وأيسرهم أمراً أن يجترىء عليه ويلقاه بما يكره من الحديث فيسمع ثم يحتمل ثم يستغفر ثم يستعبر

وأروع ما تلقاه في شخصية عمر من الجمال هذه الفكرة التي كونها لنفسه عن الخلافة منذ ولي الخلافة الى أن مات وقد صورها هو تصويراً رائعاً بإيجازه ودقته وصراحته الشديدة حين خطب الناس لأول مرة بعد البيعة فقال : « أيها الناس إنكم قد ابتليتم بي وابتليت بكم »

فالخلافة عند عمر امتحان للخليفة والرعية معاً كلاهما يمتحن صاحبه وكلاهما خليق أن يحتمل

(البقية على صفحة ١٠٣)

عمر بن الخطاب كما أتصوره

بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعي بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة

أود أن أشكر أصدقائي السادة العاملين أصحاب هذه المجلة الزاهرة وأخواتها النافعة من مؤسسات «دار الهلال» العامرة. أشكرهم من كل قلبي لأنهم – وهذا من أبرز صفاتهم – يذكرون، وفاء منهم وإخلاصاً، حينما تتاح فرصة المساهمة الأدبية والتاريخية. ولأنهم يرون أن من حق القراء علي، بل ومن حق إرضاء القراء وإرضاء نفسي، أن أنسى بعض الشيء ما أنا مرتطم فيه إلى الذروة من عمل مصلحي أواصل فيه صباحي بمسائي وليلي بنهاري. ثم أشكرهم من كل قلبي لإتاحة تفكيري مع سادتي المؤرخين والعلماء والكتاب والأدباء لحظات سعيدة عمرها وعظاتها في شخصية عالية هي شخصية عمر بن الخطاب. لاسيما وهي حبيبة إلي، ومقدسة عندي، وطالما عرضتها في مقالاتي عام ١٩٢٨ بمجلة «الهلال». ثم عاصرتني عنها في مذياع الحكومة الحكومية في فترات لما تنقطع. ومن قبل درست عصرها وما قبله وما يليه حين كتبت «عصر المأمون». ثم حين راجعت ما كتبت إعداداً «للشخصيات البارزة». ثم أشكرهم من كل قلبي لأنهم حتى هذه الساعة من الوقت، وإلى ما بعد اللحظة الأخيرة، خصصوا قسماً من مؤلفهم الخاص لما قد أود الإدلاء به عن هذه الشخصية العالية الفذة، ولاسيما من ناحية عدالتها ورغبتها إلى النصفة والحق، وإلى أخذ الرعية بسنة المساواة.

وقد يكون من أسعد للشكر، لي، أن أحكي هنا قصصاً عن عمر، وحوادث معينة بالذات كما رواه الطبري وابن الأثير والمسعودي والنووي وغيرهم ممن أفرد لعمر صفحات طوالاً مما كتب. بل لا أخفي على القراء أني أصبحت أنظر إلى التاريخ وتسلسل حوادثه ومواقفه وشتى حكامه نظرة أخرى ربما كانت أقرب إلى نظرات ه. ج. ولز، وربما كانت متأثرة جداً بفلسفة ذلك الفيلسوف الاجتماعي التاريخي من قراءاته الحديثة لكتب التاريخ القديمة منها والحديث. وربما أصاب فيه المنحى بعض الشيء الأستاذ «إميل لودفيج» فيما أخرجه لنا من تراجم قيمة ومؤلفات قيمة.

أريد أن أخرج بعض الشيء عن حرفية ما دونته. فلا أقتبس نصوص حوادث عمر مع الصبية الصغار، ولا أنقد تشديده مع عماله ولا ألازم عمر وهو يحمل هراوته ليؤدب من يستحق

التأديب ، ويأخذ الحد ممن خرج عن الحدود ، ويحاسب في الدرهم والدينار وفي المأكل والمشرب ، والمظهر والمخبر . وأود لو أطلع القراء بالصورة التي استطاع تاريخ عمر ، ومؤرخو عمر ، وتراجم الرواة والثقات أن ينقلوها مركبة من الأعماق ، فأعتمد على صادق النصوص ، والمأثورة حرفية التاريخ في هذا المنهج المعتمد المقصود .

تترك حياة عمر بن الخطاب في حس القارئ العادي ، أثر الرجل المتناقض بعض الشيء ، فهو صارم جداً ، ورحيم جداً ، ولكنه صارم مع الأقوياء في حكم التقاليد ، وحكم الجماهير والعامة وصارم مع الولاة ، وصارم مع الأغنياء ، وصارم مع من يخرج على القانون العام من شريعة أو علم أو تقاليد . ثم هو رحيم جداً مع غير هؤلاء من حط مستقيم من المستضعفين والأطفال والضعفاء والمساكين والمظلومين والمهضومين ـ فتراه يبكي ويستعبر ويحمل مرارة الضيق ويبادر إلى أداء مهمات إنسانية شاذة . وفي مظهرها ضعة وصغر لمن في مكانة الحاكم العام ولا أقول أمير المؤمنين ولا خليفة المسلمين .

وتترك حياة عمر بن الخطاب صورة الشدة والعنف في الزام الجميع الخضوع التام لحكم القانون وحكم الشرع وحياة الزهادة والقناعة من ناحية ، كما تترك صورة العاطفة الأبوية الرقيقة جداً ، العاطفة الرحيم ، واسعة البر والحنان ، والرحمة والإحسان ، إزاء جميع أفراد الرعية عامة . فيجمع ولاته في حد والزام ، بل في شدة وصرامة ، مؤكداً لهم أنه حينما ولاهم أمور الرعية لم يسلطهم على أبشارهم ولا على أشعارهم ، ولم يرم بهم إلى دمهم فيقتلوها ، ولا إلى حرمهم فيفتنوها ، أو حسبهم فيظلموها ، أو أرضهم فيجحدوها ، أو النعمة من حقوقهم فيحرموها ، أو يذلهم فيبطروها ، بل ليعملوا بينهم بالحق ، ويأخذوهم بالعدل ، ويحكموها بالقسطاس ، ويسوسوها بالإحسان ، ويقوموا معوجها بما يصلح وينفع ، ويسعد ويرفع ، وأن يقسموا بين الجميع الفيء على حسب استحقاقه وجهاده ، لا على حسب نسبه وآبائه . وكان يقول لهم في صراحته وقوة شكيمته ورسوخ عقيدته فيما هو حق ، وإيمانه الراسخ بما هو صدق ، وبما هو واقع وأولى بالاتباع : « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة . فلا ينظر رجل إلى قرابة . وليعمل لما عند الله فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه . والرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وعناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته . والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو في مكانه » . . . إلى جانب هذه السياسة الصارمة الشديدة الوطأة في اتباع منهج العدل مع الجميع ، والانصاف مع الجميع ، والتزام حدود الحق في غير لين ولا هوادة ، أو رجوع أو تحليل ، أو شفاعة أو تحلل ـ إلى جانب ما وصف به كل الرواة من أنه إذا تكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وإلى جانب مقته للتحزب وقوله صراحة لجماعة من قريش : « بلغني أنكم تتخذون مجالس ! ، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال : من صحابة فلان ! من جلساء فلان ! حتى حوميت المجالس ، وايم الله إن هذا

لسريع في دينكم، سريع في شرفكم، سريع في ذات بينكم، ولكأني عن يأتي بعدكم يقول هذا رأي فلان، قد قسموا الاسلام أقساما. أفيضوا المال بينكم، وتحابوا معا، فانه أروم لألفتكم، وأهيب لكم في الناس..... » الى جانب عشرات الأمثال من هذا فانك ترى عمر الشديد في الحق، الصارم في تنفيذ أوامر الشرع، وتدعيم صرح العدل، الرجل الزكي البر في الأزمات القومية العامة. في عام « الرمادة » كان عمر بمثابة الخادم المطيع لكل محتاج أو معدم أو فقير. بل كان العون الوحيد له في رقة جانب وحساسية قلب ورقة عاطفة وحيوية صبر وانسانية وارعة. وكان الى جانب هذا في موقف آخر ومظهر آخر مع الأقرباء. ولعل حادثته مع بني عدي فيما رواه الطبري عن أسامة بن زيد بن أسلم حينما روجع في وضعهم في مرحلة تلي مرحلتي بني هاشم وبني تيم أن قال لهم: « بخ بخ بني عدي! أردتم الأكل على ظهري، وأن أذهب حسناتي لكم، لا والله حتى تأتيكم الدعوة، وأن أطبق عليكم الدفتر، ولو أن تكتبوا آخر الناس!.. »
نقول لعل هذه الحادثة، ونهيه لأهله وأسرته دائما عما ينهى عنه الناس كافة، وإضعافه عليهم العقوبة عند الخروج عما أخذ الناس به... لعل هذا وأمثاله يصور لك عمر بن الخطاب بصورته الجامعة لمختلف صفات الرجولة الكاملة، الرجولة المصلحة لكل اعوجاج، المقومة لمن يستحق التقويم، المرشدة لجادة الحق كل من تحدثه نفسه بالخروج على حدوده ورسومه، والرحيمة البارة الليّنة الحدبة على كل ضعيف ومحتاج ومظلوم، في ارتفاع سام نبيل فوق الاعتبارات الخاصة والأهواء الخاصة والميول العرقية الخاصة

• • •

قد تكون هذه الصورة بالقسوة كثيراً عند المؤرخ المنصف، من الأجانب والعرب والمسلمين وغيرهم، على تساؤل من بعض شبابنا المثقف لعدم استساغته لبعض مناحيها في موقف من مواقف تشديده مع عماله، في التقشف والزهادة، وعدم اتخاذ باب أو حجاب لهم أو مركوب خاص أو ملبس خاص لرؤساء جند أو مظهر حكومي خاص، لعدم انسجامها في شكلية من شكلياتها الحكومية أو الاعتبارية لما تقضي به تقاليد الملك الخاص أو العام، ولحقوق الولاة أو غيرهم من الشخصيات البارزة. فيجب في غير رغبة منا في محاولة وضع أحكام للمسائل العامة ومقتضياتها الالزامية ومن حيث أوضاعها القريبة، النابعة من سلسلة مطردة الاتساق في التمدين والرقي — يجب أن نفهم العصر الذي عاش فيه عمر حسن الفهم، وحكمة الشدة حينذاك من ناحية، وحكمة التزام سياسة الاصلاح بين أفراد الشعب من ناحية. وضرورة أخذ الصغير والكبير ازاء الاسلام مأخذاً عدلا واحداً، وضرورة تواضع الولاة لا في المسلك السياسي العملي بل في المسلك الشخصي الفردي تواضعا حقيقيا شعاره الزهادة والتقشف وعدم الاغترار والاستكبار أو التطلع والزهو والاعتزال

(البقية على صفحة ١٠٩)

عمر بن الخطاب في سنة ١٩٣٧!..

بقلم الأستاذ فكري أباظة

الفرض الذي فرضته علىّ مجلة «الهلال» هو ما يأتي: «تصور أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث، وتولى الحكم في مصر سنة ١٩٣٧، أي في هذه الأيام، فماذا يعمل ؟!»

والفرض كما يرى القراء فرض «جامد»، وعويص، ومحرج. ولكنه في حد ذاته نوع من الأدب طريف. فلنحاول أن ننقل إلى القراء اليوم برنامج «عمر بن الخطاب» في سنة ١٩٣٧. ويعلم القراء سلفاً — ولا بد أنهم يعلمون — أن عمر بن الخطاب كان شاذاً في حياته، وفي نزاهته، وفي عدله، وفي شدته.

دكتاتورية!

لا شك في أن عمر بن الخطاب سيختار «الدكتاتورية» نظاماً لحكومته وخطة لسياسته. وهو حتماً سيفتك فتكاً ذريعاً بالدستور، وبمجلس الشيوخ، وبمجلس النواب. لا كرهاً للديمقراطية، وإنما لأنه اشتهر بالعدل، وبالنزاهة، وبالصلاح. وقد اتفق أساطين العلم الدولي على أن أصلح الحكومات هي حكومة «الدكتاتور الصالح» ومن أصلح من عمر؟! ومن أنزه من عمر؟! ومن أعدل من عمر؟!

هذه الحكومة الفذة — حكومة عمر — ستكون حتماً حكومة المعجزات. فهي دكتاتورية حاكمة بأمرها، ولكنها الديمقراطية مجسمة في أسلوبها... وبذلك يستدل الناظر على مغالطة كبيرة من مغالطات الحياة، وهي أن «الحكم البرلماني» هو — وحده — رمز الحرية، والعدالة، والديمقراطية...

مذبحة!...

ولا شك في أنه لو بعث عمر وعاد عمر وحكم عمر، لاضطر اضطراراً أن يذبح! كان رحمه الله قاسياً وجباراً وبطاشاً في الحق، وفي المصلحة، ولن يطيق الرجل العظيم أن يشهد الأجسام المطروحة في «ستانلي» و«جليمونوبولو»، فلا بد أن يجري حكم السكين في الأجسام البضة الناعمة المطروحة ذات التايكور والديكور... ولا بد أن يجري حكم السكين في رقاب الآباء «المتصابين»، والأزواج

«للمطرشين» . ولا بد أن يبيد عهد الرقع والحجاب والشامك دولاب الشيش ، ولابد أن يحطم الصحف والمجلات التى تنشر صور الخليلات والساقطات . ثم لابد أن يجرى حكم السكين فى شاربى الخمر ولاعبى الميسر ومديرى بيوت الدعارة السرية والعلنية . ثم لابد أن يجرى حكم السكين فى أعناق « الناصبين » وما أكثرهم فى هذه البلاد ، وستكون مذبحة الناصبين مذبحة الآلاف والملايين من المذبذبين بين اليسار واليمين ...

ثم لابد أن يعلق عمر بنوك الرهون وحانات التسليف بالفائظ ، ثم لابد أن يجرى حكم السكين فى بطون العملاء والسكارى والمحتكرين الشرهين . . .

الثلاثة المنسيون ! . . .

فى عهد عمر — لو بعث وحكم — سيعرف « الثلاثة المنسيون » الذين لا عم لهم ولا خال ، ولا أمة ولا تيزة ولا أنتة » ، ولا نسيب ولا قريب . هؤلاء الذين يشتغلون فى الحكومة « كحمار الحاحة » للحط والقهر . والذين طالت لحاهم ، وتقوست ظهورهم ، « وتعرضت » أسنانهم ، فى خدمة الحكومة فلم ينالوا علاوة ولا ترقية ، وتركوا للآخرين من المحظوظين والمحسوبين . هؤلاء الذين أسقطتهم نحوسهم فلم تلحظهم عين الحظوة ولا المحسوبية ولا القرابة ولا النسب سيكونون « حاسيب » عمر ، وحبايب الحق والعدل والله ! ...

سيطهر عمر الأداة الحكومية تطهيرا وينظفها غسلا « بالبترول » والماء الصحيح المقوم ، وسينثر دواء الصراصير والفئران القتال فى غرف وردهات المصالح والدواوين اللائى تأكلت المحسوبية وحشرات الرحوات ، ليهدم هذه الطوائف اعتابا وعصيا من مراكز الصدارة ويعين عليها الثلاثة المنسيين . .

المرتبات

الرجل الذى كان يلتحف السماء ، ويفترش الحصى والرمل ويتزود بكسرة الخبز ، لن يسمح ببقاء الدائنين المحميين لابسى الحرير ومفترشى الحرير من كبار الموظفين . . سيمحق من سجلات الوظائف الدرجات الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، وسيشطب من ميزانية الدولة ما زاد عن العشر فى الجنيهات الشهرية التى بسعر الذهب لا بسعر الورق . .

لن يسمح عمر بهذه الفوضى التى تبلع نصف الميزانية . ولن يسمح بشل حركة العمران وشل حركة الجيش والسلاح والدفاع عن الوطن وعن الإسلام ، من أجل هؤلاء الدائنين المنسيين من كبار الموظفين . .

سيسحق « عمر » هذه « الرقاعة » سحقا ويمحوها محوا . و « الدكتاتور الصالح » لن يحتاج لتملق الموظفين وباقى الطوائف ، لأنه يحكم بأمره ، وبعدله ، وبحمته ، لا بمساعدة الناهبين وذوى المصالح ، وأنصار مادة لا أنصار الوطن ! . .

الزكاة

سوف يجري « عمر » حكم الزكاة ويمده بحد السيف ، فلا يمص عشرات من دماء ولحوم الملايين . ومتى جرى حكم الزكاة أكل الفلاح والعامل ، واكتسى العاري ، وصح العليل ، وخلق أمة « شابة » صحيحة قوية لا أمة « جوعانة » عليلة صفراء . .

● ● ●

وبعد فلماذا تنتظرون أيها الناس أقل من هذا إذا بعث عمر ، وحكم عمر ، وكلكم تشعرون بالظلم والسقم ، وتحسون بالآلام . .

ولكن هل يبعث عمر حقا وهل يحكم عمر . ؟ أبدا . . إنه محال . .

فلئن لم يبعث عمر ولن يبعث ، ولئن لم يحكم عمر ولن يحكم ، فمن السهل جدا أن يحكم « غير عمر » بالعدل ، وأن يعمل « غير عمر » للشعب لو أراد الله ، وشاء حظ هذا البلد المنكود . .

فكري أباظة

من كلمات العادل العظيم

- إن الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم
- أيما عامل لي ظلم أحدا فبلغتني مظلمته فلم أغيرها ، فأنا ظلمته
- لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه
- أيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علي في خلق ، فليؤذني ، فإنما أنا رجل منكم
- ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه ، وليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شرا من جهل إمام وخرقه

الجانب الفلسفي في حياة عمر

بقلم الأستاذ محمد فريد وجدي

« إن نبوغ رجل كعمر في بيئة بعيدة عن العلم والفلسفة، وإدراكه لكل الأساليب السياسية مطلقة . كما أرادها الشارع ، ولوقوع ما كان يحركه منها للفلاسفة الفحول وعلماء الاجتماع من عهده وبعد عهده بأجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو إلى الحيرة ولا مخرج منه إلا بتعليل ذلك بالعبقرية . »

إن لحياة عمر بن الخطاب جوانب شتى دينية واجتماعية وسياسية ، ولعل من أحفلها بالطرافة جانبها العلمي ، والعلم معاييرها في تقدير المواهب النفسية ، والملكات العقلية ، وطرقها في التنقيب عما يطوى في أعمال النابغين من البواعث الدالة على مجراتهم الأدبية ، ومراميهم الروحية

ونحن إن تأملنا في حياة عمر وما رمى إليه من غايات ، وما بعث عليه من صفات ، في مزدحم الحوادث ، ومضطرب الانقلابات التي طرأت على جماعة المسلمين على عهده ، تبين لنا أنه لم يكن رجلاً عاديا ، ولكنه كان عبقريا

نقول عبقريا ونريد به معناه العلمي لا معناه العامي ، فإن العبقرية في الإطلاق الأخير تعني بلوغ صاحبها درجة ممتازة في الذكاء ، ومكانة عالية من العقل . ولكنها في الاصطلاح العلمي تعني موهبة لا يمكن اكتسابها من طريق العلم ولا التجربة ، تؤهل صاحبها لأن يكون ملهما فيما هو بصدده حتى يبلغ درجة الإبداع فيه ، بدون أن يعمل فيه فكراً ، أو يبذل جهداً

هذه حالة استثنائية يمنحها بعض الناس منحا ، ولا يستطيع أحد الوصول إليها بالاستكثار من العلم ، ولا بالتبحر في المعرفة . جاء في دائرة معارف (بريتانيكا) لسنة ١٩٢٩

« العبقرية شيء خارق للعادة على وجه الإطلاق ، وأرقى حتى من القوة العقلية ، وإنها لتختلف في النوع اختلافا بينا عن الألمعية الممتازة ، فإن هذه تعتبر مقدرة عقلية سامية ، ولكن ينقصها تلك الموهبة الفذة التي لا تقبل التفسير وهي العبقرية »

هذه هي العبقرية التي نحكم بها لعمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين . ومن عجب أن النبي صلى الله عليه وسلم نص له بها في حديث كريم هو : « إن من أمتي ملهمين ومحدثين (بفتح الدال فيها مشددة) وإن عمر منهم » فالملهمون هم الذين يلهمهم الله الأعمال الجليلة ، والابتداعات الفائقة بدون إجالة روية في سبيل الحصول عليها . والمحدثون هم الذين تحدثهم الروحانيات العلوية وتهديهم إلى سبيل التفوق فيما هم بصدده . فعمر بنص هذا الحديث عبقري بالمعنى العلمي

في هذا التطبيق فائدة علمية طريفة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم عرف العبقرية عندها العلمي قبل أن يعرف أحد مدلولها العربي

نشأ عمر وكبر في الجاهلية، ولم يظهر عليه شيء من مخايل السمو الذي ظهر به في الإسلام غير شدته وقوة إرادته. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبدأ يدعو العقلاء سراً إلى الإسلام، بلغ عمر أن أخته دخلت فيه، فغضب لذلك أشد الغضب وزارها في دارها ليلومها على ما حملت على ترك دين آبائها. فلما دخل إليها وأخذ في تأنيبها أسرعت فأودعت صحيفة فيها شيء من القرآن، فلما قرأها — وكان من الأفراد القليلين الذين تعلموا القراءة إذ ذاك — وقع في نفسه من سمو الإسلام ما حمله على أن يجتمع برسوله. فلما لقيه عرض عليه الرسول الإسلام، وتلا عليه آيات من القرآن، فأسلم لساعته

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا الله وهو في شدة المحنة من اضطهاد قريش إياه وأصحابه، أن يعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام الملقب بأبي جهل، فاختار الله لهذه المكانة عمر بن الخطاب فأسلم فكان أول ما عمله تحقيقاً لهذه الدعوة النبوية أن أعلن إسلامه، وكان لا يجرؤ أحد قبله على ذلك. فقد قال للنبي: «يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل؟». فأجابه رسول الله: «إنا قليل وقد رأيت ما لقينا».

فقال عمر: «والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان». فلقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاروق من ذلك اليوم، ومعناه الذي يفرق بين الحق والباطل. فلم يزل عمر يجهر بالإسلام ولا يتعرض له أحد، حتى أمر الرسول بالهجرة، فهاجر جميع الصحابة مستخفين، إلا هو فلم يتصد له أحد

كان عمر أحد عباقرة الحكم

قرر علماء النفس أن العبقرية لا تقتصر على العلوم والفنون والحروب، ولكنها قد تكون في الحكم أيضاً ولست شك في أن عمر كان عبقرياً فيه، لما أظهر في خلافته من الحكمة الفذة، والاتزان العجيب في مناظم حوادث تدع الحليم حائراً

لم تكن الأداة الحكومية في القرن السابع للميلاد على شيء من التركيب الآلي بحيث لا تتأثر مجريات الشؤون الاجتماعية بوفاة عاهل وقيام آخر مقامه، إذ كانت الحكومات كلها من الضرب الاستبدادي الذي ترجع فيه الأمور إلى شخصية القائم بالأمر

والحكم في الإسلام وإن كان حاصلاً على جميع الأصول التي تسمح بإقامة أداة محكمة للحكم يكون من عملها تمثيل الأمة في مجلس نيابي أو مجلسين، وتقسيم السلطات على هيئات خاصة بها، وضمان استقلال كل منها، فإن الحوادث لا يمكن أن تسبق أزمنتها، فكان الحكم في الإسلام موكولاً لمن

تراه الأمة أهلا لاقامة تلك الأصول اجتهاداً من تلقاء نفسه ، وقد دلت الحوادث على أن عمر قد حقق الظن به ، وطلع من اقامة الأصول الاسلامية مطلقة برسمه الى درجة العبقرية

ليس من السهل في دور الشكل الاستبدادي للحكومات أن يفهم القائم بالأمر جميع المثل العليا للتعاليم التي يصدر عنها تمثيلا صحيحاً مهما حرص على ذلك إلا اذا كان من الملهمين، لانه كيف يتسنى لعقل عادي بيئي صاحبه في أوائل عهد القرون الوسطى للعقلية أن يفهم مغزى أصول مثالية لم نفهمها نحن الا تحت ضوء العلوم الحديثة ، ولم ندرك مراميها البعيدة الا بعد ظهورها للعيان عقب انقلابات عقلية خطيرة ؟

ثم ان كلمات حق وعدل ومساواه وأمثالها كانت تعرف مدلولاتها منذ القدم ، ولكنها كانت مدلولات تنقص أهم مؤدياتها المطلقة حتى لدى واضع الديموقراطية ارسطو أمير الفلسفة لم يدرك مؤداها المطلق ، فقرر في بحوثه السياسية حرمان الأرقاء والعمال من حقوقهم المدنية ، الأولين باعتبار أن نفوسهم منحطة عن نفوس الأحرار ، والآخرين لاشتغالهم بالمهن اليدوية . فشتان كما ترى بين ديموقراطية أمس وديموقراطية اليوم ! وقس على ذلك سائر الكلمات الضخمة التي كان يلوكها الأقدمون بألسنتهم ولا يدركونها الا نسبية لا مطلقة

كيف فهم عمر الاصول الاسلامية مطلقة ؟

ان نبوغ رجل كعمر في بيئة بعيدة عن العلم والفلسفة ، وادراكه للمثل الاسلامية العليا مطلقة كما أرادها الشارع ، وفوق ما كان يدركه منها فلاسفة العصر وعقلاء الاجتماع على عهده وبعد عهده بأجيال ، أمر يستوقف النظر ويدعو الى الحيرة ، ولا مخرج منه الا بتعليل ذلك بالعبقرية

كل ما في الاسلام من التعاليم الاجتماعية ترجع الى أمور كلية محدودة كاقامة الحق ، ومراعاة المساواه بين الخلق، والحكم بالعدل ، واحترام حرية الناس في القول والعمل ، والالتجاء الى الشورى في الأمور العامة ، فكان عمر مثلا أعلى في تطبيق هذه الأصول الكلية ، وله في كل منها مواقف وكلمات تامة ، بقيت أعلاما منصوبة لها الى اليوم

فمن أمثلة اعترافه بسلطان الأمة عليه وخضوعه له انها قوله مرة من خطبة : « اذا رأيتم فيّ اعوجاجا فقوموه » . فقام اليه رجل وقال : « والله يا عمر لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » فلو كان عمر اكتفى بسماع هذه الكلمة ، وأعفى من مؤاخذة قائلها ، لعد ذلك له منقبة يتناقلها الناس ويتخذونها دليلا على وفور عقله وسعة حلمه ، ولكنه أجابه بقوله : « الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه »

هذه الاجابة لها مغزى اجتماعي خطير الشأن ، وهو تبريره الثورة لتقويم العوج، وهذا التبرير من ملك عظيم يعد غاية في احترام الأوضاع المقررة والسنن المعتبرة ، لو فاز عنها شعب من الشعوب

للسبقة في اقامة سلطان الأمة على لسان ملك عظيم من حقب لأقمت له تمثالا في أكبر ميادينها ، ولنحت له صرحا من الثناء الخالد على الدهر

التسليم برقابة الأمة يقتضي الديموقراطية ، فهل كان عمر ديموقراطيا بالمعنى المطلق الذي كان يفهمه حفظة الثورة الفرنسية ؟ . نعم ، وإليك الأدلة :

قال كعب الأحبار : « نزلت على رجل يقال له مالك ، وكان جارا لعمر بن الخطاب ، فقلت له كيف الوصول إلى أمير المؤمنين ؟ فقال ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلم الناس » . وعن الحسن البصري قال : « كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في شيء ، فقال له الرجل اتق الله . فقال رجل من القوم أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال عمر : « دعه فليقلها لي . نعم ما قال ! لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نقبلها »

تأمل في قوله : « لا خير فيكم إذا لم تقولوها » ، تجدها وإن تكن الكلمة من أسمى الكلمات الاجتماعية ، وهي كما تدل على مبلغ احترامه للمعارضة ، ومحبته للتقويم ، ومعاركة الحياة السياسية ، تدل أيضا على تحريضه الأمة التي تهيبها من الخير . وقوله : « لا خير فينا إذا لم نقبلها » ، تقرير بأن الحكومة التي لا تسمح بوجود المعارضة تتجرد من الخير أيضا

مثل عليا في الديموقراطية

أبلغ من كل ما مر في الدلالة على فهم عمر للديموقراطية الصحيحة ، ما روي أنه لما سافر إلى الشام ليتفق مع أهل بيت المقدس على تسليمه للمدينة ، كما شرطوا ذلك ، قصدها على بعير كان يتناوب عليه هو وسائسه في الطريق ، فلما شارفوا المدينة كانت النوبة في الركوب للسائس وأمير المؤمنين آخذ بمقود البعير . فقال له خادمه : لو ركبت أنا وركبت أنت حتى لا تقابل الناس على هذه الحال ، فلم يجبه إلى طلبه ، وقدم على مستقبليه يقود البعير لخادمه ، فكانت مفاجأة عجيبة ، ولكنهم لم يسمعوا كلاما لعظمهم من هو عمر وما هي ديموقراطيته . ولما أقبل كبراء بيت المقدس لمقابلته سألوا أين هو ؟ فأشاروا لهم إليه وكان نائما على الأرض في ظل شجرة . فهالهم ما رأوا وأبوا أن يجتمعوا مع من هذه حالته ، استنكارا لها ، حتى يستشيروا كبراءهم . فعادوا وقصوا عليهم ما رأوا ، فقال لهم بطريقهم : ارجعوا إلى صاحبكم ، إنه طلبتنا ، وهذه حليته في كتبنا

وقد كان في بعض انتقالاته هنالك عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره وخلع نعليه وأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة كبير قواده : قد صنعت يا أمير المؤمنين صنعا عظيما عند أهل الأرض . فصك عمر في صدره وقال : « أواه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ! إنكم كنتم أذل الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله »

وأعظم مما مر وأجمعه بالمعاني التي لا يدركها إلا الأحد ، ما رواه الفضل بن عميرة ، أن الأحنف ابن قيس قدم على عمر بن الخطاب في وفد من العراق ، فقدموا عليه في يوم صائف شديد الحر ،

وهو متحجر بمامة (أى ملتف بها) يهنأ بعيرا من أبل الصدقة (أى يدهنه بالهناء وهو القطران) فقال يا أحنف دع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من ابل الصدقة فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين . (الأحنف هذا سيد بنى تميم وهو الذى قيل فيه اذا غضب غضب معه مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب)

فقال رجل : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهلا أمرت عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا ؟ فالتفت اليه عمر وقال : « وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف هذا ؟ انه من ولى أمر المسلمين فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده من النصيحة واداء الأمانة »

نقول ليس هذا من سقوط الهمة ولكنها الديمقراطية يضع عمر بيديه أركانها ، ويقيم بعمله بنيانها . واذا كان العظمة معنى يرى بالعين ، فهو ما رآه الناس من أمثال هذه فى سيرة عمر . عظمة عبر عنها الاستاذان (أمبى وكوندان) الفرنسيان فى تاريخهما العام بقولها : « ان هذا العاهل الذى كانت ثيابه مرقعة كانت ترتعد فرائص الملوك عند ذكر اسمه »

الديموقراطية تساوى بين السادة والعبيد

من أمثلة المساواة التى كان عمر يقيم حكمه عليها ما رواه الحسن البصرى قال : « حضر باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرءوس ، وصهيب وبلال من تلك الموالى (أى الذين كانوا عبيدا) ممن شهدوا بدرا ، فخرج اذن عمر لهم وترك أولئك . فقال أبو سفيان وكان من سادات قريش : لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت الينا ؟ فقال سهيل بن عمرو ـ وكان رجلا عاقلا ـ : أيها القوم انى والله أرى الذى فى وجوهكم . ان كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم (يريد دعوا الى الاسلام) ، فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم اذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟ »

ولما طعن الناس الى عمر ، وهو يجود بنفسه ، أن يستخلف عليهم ، أجابهم : « والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً ما جعلتها شورى » أى لاستخلفته عليكم . وسالم هذا كان رقيقا مملوكا

وخطب الفاروق يوما فقال : « أيها الناس انى والله ما أرسل عمالا اليكم (أى ولاة) ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنى أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، ويقضوا بينكم بالعدل ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شىء سوى ذلك فليرفعه إلىّ ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه »

فوقف عمرو بن العاص وقال : « يا أمير المؤمنين أرأيت ان كان رجل من أمراء المسلمين أدب بعض رعيته أئنك لتقصه منه ؟ » . فقال عمر : « إى والذى نفس عمر بيده انى لأقصنه منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟ »

اذا تمحضت أمة ما بأن تقيم مبدأ المساواة بين الناس ، فتتمكن من هذا الطراز المطلق ، وإلا فهي صورة ناقصة لها كأكثر ما نسمعه عنها ، وما نراه منها

العدل المطلق لا ينافي النظام

من أمثلة حرص عمر على حفظ النظام ما رواه أبو ساعدة الهذلي قال : « رأيت عمر بن الخطاب يضرب التجار بدرة اذا اجتمعوا على الطعام بالسوق (أي يضرب باعة الأطعمة اذا تكدسوا بالسوق) حتى يدخلوا سكك أسلم (هو حي بالمدينة) ، ويقول لا تقطعوا علينا سابلتنا »

أليس هذا شبيه ما تتكلف به الشرطة من تنظيم حركة المرور في الشوارع الكبرى ؟ فلو كنت « كونستابلا » للعجبت من العمل الذي وضع أساسه أكبر ملوك الأرض منذ

وقال المسيب بن دارم : « رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا وهو يقول : حملت جملك ما لا يطيق »

فمن لي بمن يبلغ جماعات الرفق بالحيوانات أن عمر بن الخطاب سبقهم الى سن هذا النظام أكثر من ثلاثة عشر قرنا وباشره بنفسه ؟

وقال الأحنف بن قيس : « وفدنا على عمر بفتح عظيم فقال أين نزلتم ؟ فقلت في مكان كذا . فقام معنا حتى انتهينا الى مناخ رواحلنا ، فجعل يتخللها ببصره ويقول : ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه ؟ أما علمتم أن لها عليكم حقا ؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض ؟ »

وبعد فان هذه السيرة التي تتجلى فيها المثل العليا للحكم في غاية أوجها ، وتنطلق الى أقصى حدودها ، لا تتأتى الا اذا كان القائم بها عبقريا

نعم ان عمر لم يعمل غير أن نفذ الأصول التي دونت في الكتاب والسنة ، ولكن تنفيذها على النحو الباهر لا يتأتى الا من طريق العبقرية ، فهي وحدها التي تلهم صاحبها التوفيق في كل ما يعرض له من الشئون ، والشئون الاجتماعية مآزم ومآزق لا يغني فيها مجرد التشدد في تطبيق حرفية المثل العليا ، ولكن لا بد فيها من تصرف وجداني يضع الأمور مواضعها ، وهنا محل نبوغ العبقرية ، وإلا فلم قرر علماء النفس وجود عبقرية للحكم ؟ أليست أصول الأحكام القويمة مقررة مرسومة ؟ نعم ، ولكن تطبيقها على الحوادث ، وتحويل الملابسات الى سبيلها القيم ، واستغلال الظروف لمصلحة الجماعة دون الاخلال بسلطان تلك الأصول ، والاستفادة من مرونتها في حدودها المقررة ، وتعيين مواضع هذه الرحمة وأوقاتها ، كل هذه مجالات تتفاضل فيها النفوس

وان مما يوحي لنا التفاؤل أن يكون أول ملك مصري مستعجبا لعمر بن الخطاب في أخص ألقابه ، وانا لنرجو أن يكون جلالته شبيهه في أخص صفاته . وقد نمت مخايل ذلك على جلالته على قرب عهده بالعرش ، أعز الله به مصر والمصريين

محمد فريد وجدي

بطولة الفاروق

تتمثل في أخلاقه وعقليته

بقلم الأستاذ أحمد أمين

لعمر بن الخطاب نوعان من البطولة كان كل واحد منهما يكفي ليكون بطلاً عظيماً ، وفي التاريخ أمثلة كثيرة من الأبطال كانت بطولتهم من ناحية واحدة ، أما بقية نواحيهم فعادية أو أقل من العادية

فمن الناس من بطولته من ناحية عقله ، فهو يرى أبعد مما يرى الناس ، ثم هو في غير هذه الناحية كسائر الناس . ومنهم من بطولته من ناحية شجاعته ، فإذا جاوزت الشجاعة وجدته كأوساط الناس أو أقل من أوساطهم . ومنهم من بطولته من ناحية مهارته السياسية ثم هو لا شيء بعد ذلك

ولكن عمر كان فرداً من أفراد قلائل تعددت نواحي بطولتهم ، سمح بهم الزمان في فترات طويلة وبعد شح مفرط وبخل نادر

كان عمر بطلاً في أخلاقه وليس في خلق واحد منها ، وكان بطلاً في عقليته وليس في ناحية واحدة منها أيضاً

أما ناحية الأخلاق فكان رجلاً بكل ما تحتمله كلمة الرجل من المعاني ، كان رجلاً في كفره ورجلاً في إسلامه ، لا يميل إلى الهدنة ولا ينظر إلى الصغائر . كان كافراً فكان الكفر يعتز به ، ثم كان مسلماً فكان الإسلام يعتز به ، وكان رسول الله في أول دعوته يقول : « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام » ، فاستجيبت دعاؤه في عمر ، فلما أسلم رن إسلامه في الأوساط الوثنية وأحدث حسرة وأسفاً وإعوالاً ، ورن في الأوساط الإسلامية فأحدث فرحة وسروراً واغتباطاً ، لأن كفر عمر وإسلامه ليس ككفر سائر الناس ، فمن الناس من إذا وضع في كفة أو في أخرى لم تتأثر الأولى ولا الثانية ، ومنهم من إذا وضع في كفة رجحت ورجحت حتى النهاية ، ومنهم عمر . ومن أجل ذلك قال ابن عباس : « لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا » ، وأنزل الله : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »

أسلم عمر فغير حياة المسلمين الاجتماعية ، كانوا لا يجرؤون على الظهور بشعائر دينهم فجهروا بها

منذ أسلم عمر ، وكانوا يستترون في الدعوة فأعلنوها ، وخرج المسلمون على أعين المشركين في صفين ، في أحدهما حمزة وفي الآخر عمر حتى دخلوا المسجد . ولو أن آلافاً من عامة الناس أسلموا ما عدلوا عمر . وصدق ابن مسعود إذ يقول : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر »

كان الحق متخفياً فأبى عمر إذ أسلم إلا أن يبلج ، وكانت الدعوة إلى الإسلام من وراء حجاب فأبى عمر إلا أن تكون علانية وعلى سمع الناس وبصرهم ، فكان ما أراد

وهكذا كان بطلاً في صراحته ، بطلاً في شجاعته ، حمل نفسه على كفه دفاعاً عن عقيدته فلم يخش بأساً ولم يخش قتلاً ، وصمم أن يموت أو تعلو كلمة الإسلام ، فكانت الثانية

هاجر الصحابة مستخفين من أذى قريش واضطهادهم ، أما عمر فقد أراد أن يهاجر إلى المدينة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهماً ومضى نحو الكعبة والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلى متمكناً ، ثم طاف على جماعات قريش واحدة واحدة يعلمهم بهجرته ، ثم قال : من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، فما تبعه أحد منهم

لم تكن الشجاعة مسألة قوة في بدنه واستكمال لآلات قتاله ، فقد كان في قريش من هو أعلم منه بالقتال ، وأشد منه في النضال ، ولكن نفس عمر كانت دونها كل نفس من هؤلاء شجاعة ومضاء الهمة ، وكانت هذه النفس القوية الكبيرة تشع رهبة ، وتبعث إجلالاً ، حتى تستخذي أمامها النفوس . كذلك كانت نفسه في جاهليته ثم زادت قوة في إسلامه ، « والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام »

• • •

ثم تتجلى عظمة عمر الأخلاقية في العدل أهم خلاله

لقد كان يتصور العدل تصوراً دقيقاً عجيباً ، ثم منح من الإرادة القوية ما استطاع أن ينفذ به العدل الذي يتصوره في دقة وقوة وحرص على أن يكون لها خير

طبق العدل في كل شيء ، ومع كل أحد ، إلا مع نفسه وأهله ، فقد تحامل عليهم ، وحرمهم حتى مما أحله الله ، وضحى بمصلحته وبهم ليرد طمع العمال والولاة ، وليقيم سيرته مثلاً لمحاربة الأنانية وتضحية الشهوات والنفس في سبيل الله ومصلحة العامة

يعدل مع العمال في كل صغيرة وكبيرة ، ولا يرحم من تبدر منه بادرة أو يزل زلة ، وينصف الرعية من العمال ويبعث المفتشين يستقصون أخبار الرعية وأخبار العمال

ويعدل في أهل الذمة من يهود ونصارى فيوصي العمال والرعية بهم خيراً

ويعدل مع الجنود فيوفر عليهم رزقهم ولا يطيل مدة غربتهم

وهكذا يقدر المسئولية تقديراً في منتهى الدقة ، ويخشى أن يقع ظلم ما على امرأة نائية في أقصى

الأرض فيجانسه الله عليها . يضاف الى ذلك ما صح من فراسة صادقة فى اختيار الولاة والعمال ، ينظر النظرة فى وجه الرجل فاذا هو كأنه صحيفة مكتوبة يقرأ فيها كل ما يحجبه الرجل فى نفسه — يعرف مواضع القوة فى رجاله ومواضع الضعف فيهم ، ثم يعرف كيف يستغل ضعف هذا وقوة ذاك فى خير الناس

صراحة فى القول والعمل الى أقصى حد ، وشجاعة تستهين بالموت فى سبيل العقيدة ، وعدل دقيق فى كل امره ، ومهابة تملأ صدر كل من رآه او سمع به ، وفراسة صادقة تخترق الحجب لترى ما وراءها ، وسهر على مصالح الرعية ، وعظم تقدير ما عليه من مسئولية — كل هذه بعض خصال عمر التى تكونت منها بطولته وجعلته موضع الاعجاب على اختلاف الاجيال ، ممن كان من اهل دينه وممن خالفه فى دينه

• • •

وليست تقل بطولته العقلية عن بطولته الخلقية ، فما نشأة عمر هذا ؟ لقد كان فى صباه يرعى غنم ابيه احيانا ويحتطب احيانا ، فلما شب كان يتاجر فى ماله القليل ، ولكنه مع هذا منح عقلية فى منتهى الفراسة فى الصفاء وبعد النظر وادراك الحقائق : تجلى هذا فى أول اسلامه فكان رأيه موفقا ، وكثيرا ما يرى الرأى فينزل فيه القرآن موافقا له ، حتى بلغ هذا اكثر من عشرين موقفا . من ذلك رأيه فى الخمر وتحريمها ، وقد روى فى هذا الباب ان رسول الله قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون (أى ملهمون) فان يك فى أمتى أحد فانه عمر »

أغرب من هذا كله أن هذا الراعى الصغير والتاجر الصغير ومن لم يجلس فى حياته فى مدرسة ولم يتعلم درسا فى الجغرافيا والاقتصاد والسياسة والحرب ينظم الجيوش لفتح أعظم مملكتين فى العالم ، وهما فارس والروم ، ويعرف مواقع البلاد ومن أين تؤتى ، ويبعث بالأوامر تلو الأوامر للقواد كيف يقاتلون وأين يتوجهون ، ويرسم لهم الخطط كيف ينتصرون ، حتى يتم له القضاء على هاتين المملكتين العظيمتين

وكان يكون الأمر سهلا لو كانت المسألة مسألة فتح وغزو كما تفعل الأمم المتبربرة فى غزو الأمم المتحضرة ، ولكن ليس الأمر كذلك فهو فتح منظم ، وادارة للامم المفتوحة ، وحكم لهم بأساليب خير مما كانوا يحكمون . هذه العقلية الجبارة الصحيحة هى التى نظمت الدواوين فى بلاد فارس والروم ، ووضعت نظم زرع الأراضى وريها وخراجها ، ووضعت المعالم التى تنظم علاقة الفاتح بالمفتوح ، حتى كانت تعاليم عمر فى الجهاد وفى الفتح وفى الخراج وفى نظم الكنائس والأديرة وفى معاملة أهل الذمة هى المصدر الذى يعتمد عليه الخلفاء والفقهاء والقضاة فى شؤون الدولة على مر العصور

هذا العقل الذى ينظم فارس والروم نظام الحياة الاجتماعية وهم هم أبناء المدارس النظامية ،

والنظريات القانونية ، والتعاليم الحربية ، والمبادىء الاقتصادية ، هو ولا شك عقل جبار خارق للعادة ، خارج عن مألوف ما نرى ونسمع فى تاريخ الأمم

تدفقت الأموال على جزيرة العرب فعرف كيف يضبطها وينظمها ويوزعها فى مصالح المسلمين وأنشأ لذلك الدواوين

وفتحت الفتوح الواسعة فعرف كيف يقسمها الى امارات حربية وامارات سياسية وكيف يوزع الاختصاص حتى لاتتعارض المصالح

ويسافر الى الشام فيرتب الجند التى تغزو فى الصيف والتى تغزو فى الشتاء ، وينظم المسالح ويأمر باقامة الحصون وترتيب المقاتلة

ويرتب الأمراء لكل امارة وما يلزمها من قضاة وكتاب

ويرتب البريد حتى تصل اليه الأخبار عن البلاد النائية فى أسرع ما يمكن ، ويمصر البلدان كما فعل فى البصرة والكوفة ، ويستفتى فى كل مايعرض من مشاكل الفتح الحربية والاقتصادية والجغرافية والاجتماعية فيأمر فيها بالرأى الصادق والنظر البعيد

يضاف الى ذلك معرفة دقيقة بطبيعة الأمة الفاتحة وأخلاقها ، وما يصلح لها وما لا يصلح ، والأمم المفتوحة وكيف تساس على اختلاف نزعاتها وعقلياتها

* * *

ان أخلاقاً كانت وضعا ، وعقلية تتسع لكل ما عددنا ، تفكر فى النظم وتعمل ــ مع نشأتها البدوية ــ مناهج السياسة الفارسية والرومية وترقيها الى مستوى أعلى كثيراً مما كانت عليه ، لهى جديرة حقا بكل اعجاب ، وجديرة أن تذكر فى أوائل سجل الأبطال ، على مر الأجيال ! !

أحمد امين

رقة عمر

* استعمل عمر بن الخطاب رجلا من بنى أسد على عمل ، فجاء يأخذ عهده فأتى عمر بصبى وله فقبله ، فقال الأسدى : أتقبل هذا يا أمير المؤمنين ؟ والله ما قبلت ولداً قط ! فقال عمر . فأنت والله بالناس أقل رحمة . . . هات عهدنا ، لا تعمل لى عملا . . .

الفاروق: الأديب الناقد

بقلم الاستاذ علي الجارم بك

المفتش الاول للغة العربية بوزارة المعارف

> « . . . نموذج تقدير عمر للشعر واحساسه بروعته وجماله ، بقوة رغبته الغريبة وما رسخ في نفسه من الايمان المسكين ، وكان يميل الى الصدق في المدح والى الحكمة الصائبة والى الجد في القول ، وكان يستنكر هجاء ، ويحاول تأويله دوما الى غرضه المحمود بالشبهات . . . »

يستطيع الباحثون أن يجدوا مجالا فسيحا للقول اذا حاولوا الحديث عن عدل الفاروق وحكمته ودينه وسياسته . ويستطيع المؤرخون أن يظفروا في حياة الخليفة العظيم بمنبع فياض ينقع الغلة ويشفي العلة . ويستطيع المؤرخون أيضا أن يجدوا عند النظر في سيرته الشريفة بارقة يؤنسون في ضوئه ما شاءوا من نظريات لنظام الحكم العادل وصفات الحاكم الحكيم

ولكن الأديب اذا نظر في حياة عمر رضي الله عنه ـ وقد كانت حياة جد وصرامة وجهاد وعزم ـ لا يجد الا لمحات هنا وهناك انتثرت في كتب الأدب يعثر عليها بين الحين والحين

وقلة ما بين أيدينا من لفتات الفاروق في الادب ونقده الشعر انما كانت لأن الكاتبين الأولين حين كتبوا تاريخه العظيم توجهوا الى أبرز صفاته وأظهر مميزاته فبهرهم لألاؤها ، وملك عليهم زمام القول جلالها ، ورأوا أن الوقت أضيق من أن يتسع لاستقصائها ، فأسرعوا يدونون منها ما يستطيعون ويلتقطون من كريم أخبارها ما تلقفون

أرأيت البحر الخضم مائج وقد وقفت على طرف من سيفه ، أ كنت مستطيعا أن تحيط عدده ، أو تقف طرفك عند منتهاه ؟

أرأيت السماء الصافية في الليلة الصاحية وقد طرزت النجوم رقعتها ولمعت الزهر على شطآن مجرتها ؟ أترى وقد أرسلت طرفك الى هذا الفضاء الفسيح انك قادر على عد هذه الكواكب المشتبكة المتناثرة ؟

كان الفاروق أديبا ، وكان له ذوق عربي صميم في نقد الشعر ، ونظرة البصير في الحكم على جيده ورديئه . ولو أن المؤرخين عنوا بهذه الناحية من حياة عمر لوصل الينا منها العلم الكثير

كانت النزعة الادبية فيه شديدة الاحساس . وهذه النزعة هي التي دعت الى المحصول في الاسلام

فهو لم يسلم خوفاً من أحد ، ولم يسلم رغبة في جاه أو عتاد ، ولكنه أسلم لأنه قرأ القرآن الكريم وتأثر به فملك شعوره وأخذ عليه نواحي نفسه

وقد امتزج تقدير عمر للشعر وإحساسه بروعته وجماله ، بقوة نزعته الدينية وبما رسخ في نفسه من الإيمان المكين ، فكان يميل إلى الصدق في المديح وإلى الحكمة العالية وإلى الجد في القول ، وكان يستنكر الهجاء ويحاول تأويله روعاً إلى درء الحدود بالشبهات . وكان شديد الميل إلى شعر زهير بن أبي سلمى ، لفرط عنايته بصقل شعره وتهذيبه ، ولكثرة ما كان يأتي في تضاعيف كلامه من الحكم ، ولأنه كان لا يمدح إلا مستحقاً ، ولأنه كان شاعر سلم لا شاعر حرب ، وقف مواهبه الشعرية على الإصلاح بين القبائل وحقن الدماء . فقد كان عمر يقول . أشعر الشعراء من يقول من ومن ومن ، يقصد زهيراً ويشير إلى ما جاء من ضروب الحكمة في آخر معلقته

دخل مرة على عمر بن الخطاب ، ابن هرم بن سنان (ممدوح زهير) فقال له : من أنت ؟ قال : أنا ابن هرم بن سنان . قال : صاحب زهير ؟ قال : نعم . قال : أما إنه كان يقول فيكم فيحسن . قال : كذلك كنا نعطيه فنجزل . قال : ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم

قال ابن عباس : قال لي عمر بن الخطاب : أنشدني من قول زهير ، فأنشدته قوله في هرم بن سنان ابن حارثة حيث يقول :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد من ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا مرزّؤون بهاليل إذا احتشدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر : ما كان أحب إلي لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله !

فعمر هنا بسليقته الذواقة يدرك جلال الشعر وجماله وقوته ، وبإسلامه الراسخ لا يريد إلا أن يكون الشعر صورة للحق الأبلج لا دجل فيه ولا خداع ، فهو لذلك يود لو كانت أبيات زهير مديحاً في بيت النبوة ليتم له المثل الأعلى الذي يريده للشعر وهو أن يصل إلى قمة البلاغة مع الصدق الذي لا يعبث به رياء

وقال عمر مرة — فيما روى الرواة — لابن عباس : أنشدني لأشعر الناس الذي لا يعاظل بين القوافي ولا يتبع حوشي الكلام . قال : من ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، فلم يزل ينشده حتى أصبح

وكان عمر يطرب لقول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

ويلي زهيراً في المرتبة عنده نابغة بني ذبيان للسبب الذي ذكرناه آنفاً ، وهو مراعاة شعر النابغة ،

وميله الى الحكمة وضرب المثل، ولأنه في كثير من اعتباراته الشعرية كان يصور الحقائق كما هي من غير موارية أو مغالاة

دخل على الفاروق مرة وفد من غطفان فقال لهم من الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : نابغة بني ذبيان . قال لهم : من الذي يقول

أتيتك عاريا خلقا ثيابي ... على وجل تظن بي الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا هو النابغة ، قال : هو أشعر شعرائكم . والبيت الثاني من بيتي النابغة يشبه لغة الاسلام ولعل ذلك كان سببا في اعجاب عمر بهذا الشعر، فقد رسخ الدين الكريم في نفسه رسوخا حبب اليه كل شيء من الشعر فيه أخلاق الاسلام وآدابه

حج مرة فلما كان بضجنان قال : لا إله إلا الله العلي العظيم المعطي من يشاء ما شاء ، كنت بهذا الوادي في مدرعة صوف أرعى ابل الخطاب ، وكان فظاً يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت ، وقد أمسيت الليلة وليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الاله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والجن والانس فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت نوافلها ... من كل أوب اليها وافد يفد

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوما كما وردوا

وأشهد أن هذا الشعر لم يعظم عند عمر إلا لأنه يمس آداب الدين ويطابق ملة الاسلام

وكثيراً ما كانت القبائل أو عظماء العرب تفزع الى عمر رضى الله عنه يستعدونه على الشعراء الذين هجوهم ، فكان عمر رفيقا بالشعراء واحيانا اشتد عليهم يتكلف التأويل لهذه الأهاجي ، ويبالغ في تهوين أمرها ، وهو اعلم بما انطوت عليه من سم زعاف . وحكايته مع الزبرقان بن بدر والحطيئة مشهورة

ولما هجا النجاشي رهط تميم بن مقبل استعدوا عليه عمر وقالوا يا امير المؤمنين انه هجانا ، قال : وما قال فيكم ؟ قالوا قال :

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة ... فعادى بني عجلان رهط ابن مقبل

قال عمر : هذا رجل دعا فان كان مظلوما استجيب له وان لم يكن مظلوما لم يستجب له . قالوا فانه قد قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل

قال عمر : ليت آل الخطاب مثل هؤلاء فهل دون ذلك أنجع وأنكى ، قالوا فإنه يقول :

وما حمى المحلات إلا لقوله خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال : سيد القوم خادمهم فما أرى بهذا بأسا

والخلاف فيما أعتقد بين رهط تميم وعمر أنهم يفهمون الشعر بروح الجاهلية، وعمر رضي الله عنه يفهمه بروح الإسلام

كان عمر مع هذا يخشى صريع الهجاء ويستنكره ، وقد حبس فيه الحطيئة لما لم يجد مناصا من عقوبته ، ولكنه كان يتأثر بالشعر إذا استعطف به ، وقد كان الحطيئة حين استعطفه ليطلق سراحه أعلم الناس بأخلاق الفاروق ، فجاءه أولا من ناحية صبيته الصغار وما يلاقون من جوع وشظف بعد حبس أبيهم ، ثم لما مدحه لم يجاوز الحد ولم يقل إلا حقا :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم قد كانت الأثر

لذلك أمر عمر بإطلاقه وأخذ عليه ألا يهجو مسلما

وكان عمر رضي الله عنه شاعرا مقلا . قال سعيد بن المسيب كان أبو بكر شاعرا وعمر شاعرا وعلي أشعر الثلاثة

وقد كان شعره صورة من نفسه المؤمنة ، حتى إنه حين أراد أن يرجز حداء ناقته كان يقول :

إليك تعدو قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها

أي دين صاحبها . ومن قوله يوم فتح مكة :

ألم تر أن الله أظهر دينه على كل دين قبل ذلك حائد
غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالد
فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عداه من قتيل وشارد

هذا موجز في الناحية الأدبية الشعرية من حياة الفاروق أرجو أن يكون فيه غنية للمتأدبين

علي الجارم

عمر عدو الاسلام
عمر ناصر الاسلام

بقلم الاستاذ محمود أبو العيون
شيخ معهد الدين بالزقازيق

> « . . عمر بن الخطاب عدو الاسلام، هو هو عمر بن الخطاب ناصر الاسلام، لا هوادة للأمر من الناس عنده فى من بعزيز الجانب، قوى العزيمة منيع ورجاله صلب فى جاهليته واسلامه . . »

ينحدر عمر بن الخطاب من أصيل فرعين فى الشرف من بيوتات العرب المؤثلة، ويضرب فى أكرم أصلابها وأشرف أرومتها من قريش، فهو من جهة أبيه ينتسب الى الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدى بن كعب، يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى نسبه الشريف. ومن جهة أمه الى حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم. فهو من قريش أبا وأما فى الذروة والسنام. وكانت لقريش فى الجاهلية مفاخر معروفة، ومكارم معدودة، تنتقل فى بيوتها من جيل الى جيل ومن بطن الى بطن، وقد انتقل الشرف من تلك البيوت الى عشرة رهط من عشرة أبطن، وهؤلاء الرهط هم الذين انتهت اليهم مكارم قريش فى الجاهلية، واتصلت بالاسلام

وعمر بن الخطاب كان من أولئك الرهط، وكانت اليه السفارة فى الجاهلية، وذلك أنهم كانوا اذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً، وان نافرهم حى لمفاخرة جعلوه منافراً ورضوا به. كما كانت الأشناق، وهى الديات، والمغرم لأبى بكر الصديق، فكان اذا احتمل شيئاً فسأل به قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه، وان احتملها غيره خذلوه. وللعباس بن عبد المطلب سقاية الحاج فى الجاهلية وبقى له ذلك فى الاسلام. ولعثمان بن طلحة اللواء، والسدانة مع الحجابة. ولخالد بن الوليد القبة والأعنة، فأما القبة فانهم كانوا يضربونها، ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة فانه كان على خيل قريش فى الحرب. كما كان لأبى سفيان بن حرب العقاب وهى راية قريش. وكما كانت الرفادة، والمشورة، والندوة والايسار، والاموال المحجرة لآلهتهم والحكومة لآخرين. فهذه مكارم قريش فى الجاهلية يتوارثونها كابراً عن كابر، وكان كل شرف

من شرف الجاهلية أدركه الاسلام وصله لهم ، وقد عرفت مكانة عمر من الشرف فى قريش مرة ومـا وصلنا .

ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام عمر ، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حفص ، وكان ذلك يوم بدر ، كما لقبه بالفاروق .

وكان عمر فى قومه مشهوراً بالشدة ، قوى الشكيمة ، لا يرام ما وراء ظهره ، وكانت قريش معادية للرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمر وأبو جهل كانا من أشد رجالات قريش عداوة له واضطهاداً ، حتى كان المسلمون قبل اسلام عمر بن الخطاب يجتمعون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فى أصل الصفا ، مستخفين لقلتهم ولشدة قريش عليهم ، وكانوا لقلتهم فى حاجة الى الاستكثار من ذوى العصبية والجرأة والاقدام من رجالات قريش ليستطيعوا اعلان دينهم ، والذود عن دينهم .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع خيراً للمسلمين باسلام أحد الرجلين ، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام ، فكان يقول : «اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك ـ عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام » يعنى أبا جهل .

ثم نحن نعلم كيف كانت عداوة عمر للاسلام وخصومته للمسلمين ، وشدته عليهم ، ومحاربته للرسول ، حتى دعا الله أن يعز الاسلام به ، أو بعمرو بن هشام . فاستجاب الله دعاءه ، وأعز الاسلام بأحب الرجلين اليه ، وهو السيد الموفق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأسلم فى ذى الحجة لست سنين من البعثة ، فكمل باسلامه أتم عدة أربعين رجلا مسلما ، ومعهم ثلاث وعشرون امرأة ، وكانت سنه ست وعشرين عاما .

ولاسلامه قصة عجيبة نحب إيرادها هنا ، وقد وردت فيها روايات كثيرة نورد منها ما أخرجه الحافظ عز الدين الجزرى فى «أسد الغابة» عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده ، قال : قال لنا عمر بن الخطاب : «أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدء اسلامى ؟» قلنا : نعم . قال : « كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا يوما فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة ، إذ لقينى رجل من قريش فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ انك تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك ! قلت : وما ذاك ؟ قال : أختك قد صبأت . فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ، ويصيبان من طعامه ، وقد كان ضم الى زوج أختى رجلين . فجئت حتى قرعت الباب ، فقيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب ، وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن فى صحيفة معهم ، فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم ، فقامت المرأة ففتحت لى ، فقلت : يا عدوة نفسها قد بلغنى أنك صبوت . فأرفع شيئا فى يدى فأضربها به فسال الدم ، فلما رأت المرأة الدم بكت ، ثم قالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت ، فدخلت

وأنا مغضب جلست على السرير، فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطينيه، فقالت: لا أعطيك، لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون. فما زلت بها حتى أعطتنيه فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم» فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي، ثم رجعت الى نفسي فإذا فيها «سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم». فكلما مررت باسم من اسماء الله عز وجل ذعرت، ثم ترجع الي نفسي حتى بلغت «آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» حتى بلغت الى قوله «إن كنتم مؤمنين». فقلت أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني، وحمدوا الله عز وجل، ثم قالوا: يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال: «اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين» — إما عمرو بن هشام، وإما عمر بن الخطاب — وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك فأبشر. فلما عرفوا مني الصدق، قلت لهم: اخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هو في بيت في أسفل الصفا وصفوه، فخرجت حتى قرعت الباب، قيل: من هذا؟ قلت ابن الخطاب وقد عرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي، فما اجترأ احد منهم أن يفتح الباب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتحوا له، فانه ان يرد الله به خيراً يهده»، ففتحوا لي، وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسلوه. فأرسلوني فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع قميصي فجذبني اليه، قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله. فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكانوا قبل ذلك مستخفين، ثم خرجت فكنت لا أشاء أن أرى رجلا أسلم يضرب إلا رأيته، فلما رأيت ذلك، قلت: لا أحب إلا أن يصيبني ما يصيب المسلمين، فذهبت الى خالي (يعني أبا جهل ابن هشام) وكان شريفا فيهم، فقرعت الباب عليه، فقال: من هذا؟ فقلت: ابن الخطاب، فخرج الي، فقلت له: أشعرت أني صبوت؟ قال: فعلت؟ فقلت: نعم، قال لا تفعل، قلت: بل قد فعلت، قال: لا تفعل، فأجاف الباب دوني وتركني. فلما رأيت ذلك انصرفت، فقال لي رجل: تحب أن يعلم اسلامك؟ قلت: نعم، قال: فاذا جلس الناس في الحجر واجتمعوا أتيت رجلا لم يكن يكتم السر، فاصغ اليه، وقل له فيما بينك وبينه اني قد صبوت، فانه سوف يظهر عليه ويصيح ويعلنه. فاجتمع الناس في الحجر، فجئت الرجل فدنوت منه فأسررت اليه فيما بيني وبينه، فقلت: أعلمت اني صبوت؟ فقال: ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. فما زال الناس يضربونني وأضربهم، فقال خالي: ما هذا؟ فقيل: ابن الخطاب، فقام على الحجر فأشار بكمه فقال: ألا اني قد أجرت ابن أختي، فانكشف الناس عني وكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يضرب إلا رأيته وأنا لا أضرب، فقلت: ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما يصيب المسلمين، فأمهلت حتى اذا جلس الناس في الحجر وصلت الى خالي

فقلت : اسمع ، فقال : ما أسمع ؟ قلت : جوارك عليك رد ، فقال : لا تفعل يا ابن أخي ، قلت : هو ذاك ، قال : ما شئت . قال : فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الاسلام »

وروى عن عائشة أن عمر لما أسلم قال : يا رسول الله ، علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : يا عمر إنا قليل ، فقال عمر : والذي بعثك بالحق نبياً لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالايمان . ثم خرج فطاف بالبيت ، ثم مر بقريش وهم ينظرونه ، فقال أبو جهل بن هشام : زعم فلان أنك صبوت ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فوثب المشركون ، ووثب عمر على عتبة بن ربيعة فبرك عليه وجعل يضربه ، وأدخل أصبعه في عينيه ، فجعل عتبة يصيح ، فتنحى عنه الناس ، فقام عمر فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ شريف من دنا منه حتى أحجم الناس عنه ، واتبع المجالس التي كان يجلس فيها ، فأظهر الايمان ، ثم انصرف الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر عليهم ، فقال : ما عليك بأبي أنت وأمي ؟ فوالله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا ظهرت فيه بالايمان غير هائب ولا خائف . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت ، وصلى الظهر معلنا . قالوا : فنظرت قريش الى حمزة وعمر ، فأصابتهم كآبة شديدة . ومن يومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق ، لأنه أظهر الاسلام ، وفرق بين الحق والباطل

فقد روى عن ابن عباس قال : سألت عمر ، لأي شيء سميت الفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، ثم شرح الله صدري للاسلام ، فقلت : الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ، فما في الأرض نسمة هي أحب الي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت أختي : هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا ، فأتيت الدار ، وحمزة في أصحابه جلوس في الدار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت ، فضربت الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطاب ، قال : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بمجامع ثيابه ، ثم نتره نترة ، فما تمالك أن وقع على ركبتيه ، فقال : فما أنت بمنته يا عمر ؟ قال : قلت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد ، فقلت : يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم ، قلت : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن ، فأخرجناه صلى الله عليه وسلم في صفين ، حمزة في أحدهما ، وأنا في الآخر ولي كديد كديد الطحين حتى دخلنا المسجد ، قال : فنظرت قريش الي والى حمزة ، فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق ، وفرق الله بي بين الحق والباطل ، خرجه صاحب الصفوة والرازي

وعن ابن مسعود قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، وعنه قال : كان اسلام عمر فتحا ،

وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة ، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا

ذلك ما أردنا أن ننقله من مصادره في نصرة عمر للإسلام والرسول ، وذلك قليل من كثير ، وهو في جملته يدل على منزلة عمر في قومه ، وسمو شرفه في قبيلته ، وعلى ما أصاب المشركين من الضعف والوهن بإسلامه ، فقد روي عن ابن عباس أنه قال : لما أسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم منا ، وأنزل الله « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، والواقع أنه بإسلامه رجحت كفة المؤمنين على كفة المشركين ، ولهذا رأيناهم بعد أن كانوا يعبدون الله مستخفين في دار ابن الأرقم خرجوا من مكمنهم ، وأعلنوا إسلامهم ، ودعوا الناس إليه مسلمين ظاهرين . ذلك لأن عمر بارز خصوم الإسلام من قريش ودافع عنه بصدره وسلاحه ، وقال للمسلمين : لا نعبد الله سراً بعد اليوم . وكان عمر عند ذلك ينصب راية الحرب بمكة ، ويغاديهم على الحق ، ويقول لأهل مكة : والله لو قد صرنا ثلاثمائة رجل لتركتموها لنا ، أو لتركناها لكم ، ولقد ظل عمر بعد إسلامه قوي الجرأة ، شديد الوطأة على المشركين ، حتى أذن الله بالهجرة لرسول الله ولأصحابه ، فجعلوا يهاجرون مستخفين إلا عمر بن الخطاب ، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتضى في يده أسهمه ، واختصر عنزته ، ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلى متمكناً ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : شاهت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه ، أو ييتم ولده ، أو ترمل زوجه ، فليلقني وراء هذا الوادي ، فلم يتبعه أحد إلا قوم من المستضعفين ، علمهم ما أرشدهم ، ثم مضى لوجهه

وظل عمر بعد الهجرة يذود عن الحق ، ويصول على الباطل ، ويدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد وقعت له حوادث مع المنافقين الذين يتآمرون على رسول الله ، ويكيدون له ، كانت مضرب المثل في الشجاعة والرأي ، وحسن الصحبة والوفاء للمعصوم صلى الله عليه وسلم

هذا هو عمر بن الخطاب عز الإسلام ، وهو هو عمر بن الخطاب ناصر الإسلام ، لا هوادة لأحد من الناس عنده في حق ، مرير الجانب ، قوي العزيمة ، منيع لا يبالي ، صلب في جاهليته وإسلامه

محمود أبو العيون

الفاروق عمر بن الخطاب

من خيال الرسام

عمر بن الخطاب
المثل الأعلى للحاكم السياسي والإداري

بقلم الاستاذ حسن الشريف

« ... وإنما نتتبع سيرته منذ ولي الخلافة الى أن أسلم روحه لخالقها ، فلا نراه انحرف يوما عن الاهتداء في أحكامه بهدي القرآن وسنة الرسول ، ولا نجد مرة عما يوجبه الحق الكامل القويم ، ولا تصرف في أمر تصرفاً جائراً لم يبن على طيش أو هوى أو غباء ... »

كان ملك المسلمين في خلافة أبي بكر الصديق ملكا ضيقاً لا يتجاوز جزيرة العرب ، وقد قسم الى ولايات صغيرة وعمالات متقاربة ، لم تكن بأبي بكر حاجة الى استحداث أساس لحكمها ، فسار على النهج الذي حكمها به النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهل عليه مهمة حكمها أن العرب في سائر أرجاء الجزيرة كانوا متوافقين في نوع المعيشة متشابهين في الأخلاق والعادات ، مما يجعل تطبيق نظام حكم واحد عليهم أمراً من أيسر الأمور .

فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة وبسطت فتوحاته السريعة سلطان المسلمين على مصر وفلسطين والشام والعراق ، واجه العرب حالات جديدة ومشاكل لا عهد لهم بمثلها — فهذه موارد للايراد تدر على المدينة أموالا غزيرة لا بد من تنظيم الوسائل لجبايتها وحفظها وانفاقها ، وهذه جيوش متباعدة تتحدت أهلها مبادئ القتال وتجرب أساليب الحرب ولا مندوحة عن تموينها وإعداد المراكز وتوفير الميرة لها ، وتلك مشكلات الفتح وما استتبعه من وجوب تقرير العلاقات بين الفاتحين والمغلوبين وفرض الضرائب على المسلمين وغير المسلمين ، وأحوال في الزواج وطرائق في التقاضي وأنواع من الجرائم لم يألفها العرب من قبل ولم ينص عليها في القرآن ، وتلك فتن في الداخل ينبغي قمعها ومؤامرات في الخارج يجب اتقاؤها وصلات بالدول المجاورة تجب رعايتها والمحافظة عليها ، وتلك شعوب نافرة متذمرة أكرهت على ترك دينها أو افتداء عقائدها فلا أمن ولا طمأنينة الا بتألفها وضم شتاتها حول راية الاسلام ، وذلك دين يريد صاحبه أن يعرض على تلك الشعوب ولكن بالتي هي أحسن فلا عسف ولا إكراه ولا اعنات .

واجه المسلمون تلك الحالات والمشكلات في خلافة عمر فلم يكن ثم بد من تغيير مناهج الحكم

الفاروق يدخل بيت المقدس

[illegible]

واستنبط أساليب في الادارة أوفى لسياسة الظروف الحديثة وأليق برعاية شؤون تلك الأقطار الواسعة الأرجاء المتباينة العادات والأخلاق والمدنيات واللغات والأديان . وما من شك في أن هذه المهمة السياسية كانت تتطلب ممن يتولاها مواهب ومؤهلات أقلها الالمام بجغرافية الأقاليم المفتوحة وطبائع أهلها ، والدراية بأصول السياسة والتشريع ، والخبرة بشؤون الحكم والادارة ، والاحاطة بالأحوال المحلية في كل قطر لاختيار الوالي الصالح له وسن التشريعات الملائمة لسكانه . وانه لما يثير اعجاب التاريخ بل لما يبهر عقول المؤرخين أن رجلا كعمر بن الخطاب نشأ على الفطرة ومات على الفطرة ، فلم يترب أي تربية سياسية توجهه للحكم والادارة ، ولم يتلق أي علم من علوم الدنيا يستنير به في سياسة الدولة ، ولم يمهر بالمران ولا بالاحتراف قيادة الرجال والشعوب وتسيير الشئون العامة ، قد استطاع أن ينهض بتلك المهمة المعضلة ، وأن يحمل أعباء الحكم في امبراطورية ناشئة مختلفة العناصر مترامية الأطراف ، وأن ينجح الى أقصى حدود النجاح في توطيد دعائم الدين الجديد وفي ترسيخ قواعد الأمن والنظام وفي التمكين لمجتمع بين أقوام مختلفي الأجناس والأديان غلبوا على أمرهم ولكنهم لم يمكثوا يجنحون الى التحرر من ربقة الاسلام والمسلمين

ولو كان العرب دونوا سير عظمائهم في حياة أولئك العظماء أو بعد وفاتهم أو تركوا لنا ما تركوا شيئا عن نشأة عمر وشبابه ، لاستطعنا في ضوء هذه المعلومات أن نحلل شخصية الرجل لنستبين سر عظمته ولنعلل ذلك النجاح الذي أحرزه وصار به المثل الأعلى للحاكم السياسي والاداري على مدى العصور . ولكن العرب لم يدونوا شيئا والمتأخرين من مؤرخيهم أهملوا هذه الناحية الهامة في تاريخ عظماء المسلمين ، فلم يحدثونا عن عمر حديثا مستفيضا إلا بعد دعوته في الاسلام . ولذلك قد تظل عظمة هذا الرجل البديع لغزا مستعصيا على الفهم والتحليل اذا لم نرجع أسبابها الى ثلاثة عوامل أساسية أثرت في حياته وقادت خطاه وأنارت بصيرته ووجهته ذلك التوجيه وهي : حسن الاسلام وحسن الخلق وحسن الفطرة

فأما الاسلام الحسن فقد هذب طبعه وصقل روحه ورغبه في الحب وبث فيه الوفاء لله والشعور بالواجب ونسيان الذات وانكار النفس في سبيل الدولة والرعية . وأما الخلق الحسن فقد صيره القدوة العليا للناس في الفضائل الانسانية حتى لقد رضي عماله بشدته اعتمادا على عدالته وتحملوا بطشه ايمانا بنزاهته واحتذوا حذوه في الصبر والزهد والعدل والقناعة ، فكانوا خير عمال عرفهم المسلمون . وأما الفطرة الحسنة فقد عوضته ما فاته من علوم الدنيا وسهلت عليه فهم الأمور وسبر أغوار الرجال والشعوب واستنباط الأحكام من الشرع والسنة وتطبيقها مع مراعاة أحوال الزمان والمكان ، حتى قال فيه عبد الله بن مسعود : « لو وضع علم عمر في كفة ووضع علم أحياء العرب في كفة لرجح بهم علم عمر »

وانا لنتتبع سيرته منذ ولي الخلافة الى ان أسلم روحه لخالقها فلا نراه انحرف يوما عن الاعتدال

في أحكامه بهدي القرآن وسنة الرسول ، ولا حاد مرة عما يوجبه الخلق الفاضل القويم ، ولا تصرف في أمر تصرفاً ناشئاً ينم على طيش أو جهل أو عناد ، حتى لقد استحق قول علي بن أبي طالب فيه يوم رآه مسجى على فراش الموت « ما على وجه الأرض رجل أريد أن ألقى الله بصحيفته إلا هذا المسجى » ، وقول سعيد بن زيد وهو يبكيه : « ان موت عمر قد ثلم الاسلام ثلمة لا ترتق الى يوم القيامة » .

حدَّث الأحنف قال : « كنا جلوساً بباب عمر وقد سألناه : ماذا يحل لأمير المؤمنين من مال الله ؟ فقال : « أنا أخبركم بما أستحله منه . حلة في القيظ وحلة في الشتاء ، وما أحج به وما أعتمر عليه ، وقوتي وقوت عيالي كرجل من قريش ليس بأعلاهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين يصيبني ما يصيبهم » .

ذلك رأيه رضي الله عنه فيما ينبغي أن يتحلى به الحاكم ليكون قدوة في الزهد والقناعة للولاة والمحكومين . ولقد كانت حياته طوال سني خلافته العشر مصداقاً لهذا المبدأ القويم كان العطاء الذي فرضه لنفسه لا يكفيه فأراد يوماً أن يقترض مالاً من أحد أصحابه فقال لصاحبه : وما الذي يمنعك أن تقترض من بيت المال يا أمير المؤمنين ؟ فأجاب : « أخشى اذا مت أن يعفوا عن تقاضي ما اقترضت ، أما انت فلن تعفل عنه » .

وكان لا يخص نفسه دون سائر الناس بخير في ملبسه ومركبه ومسكنه ، بل كان يعتبر نفسه خادم القوم وراعي مصالحهم ، يلبس في كبته ويحمل القربة وينام في ظل جدار المسجد . ولله ما أعظمه وهو يطوف ببيوت فقراء المسلمين في المدينة ويقرع أبوابها سائلاً النساء : ألكن حاجة ؟ أتريد احداكن أن تشتري شيئاً ؟ فيرسله في حوائجهن يحملها ثمن من الأسواق ومن لم تجد منهن مالاً تشتري به اشترى لها من ماله الخاص . بل لله ما أعظمه وهو يسير خلف البريد اذا أتى من أحد الثغور أو من ميدان القتال ويقف بالأبواب قائلاً : « أزواجكن في سبيل الله وانتن في بلد رسول الله . اذا كان عندكن من يقرأ فبها ، وإلا فاقربن من الابواب حتى اقرأ لكن » ثم يقول « ان الرسول (البريد) يخرج يوم كذا فاكتبن حتى نبعث بكتبكن » ثم يدور عليهن بالدواة والقراطيس والقلم ويقول « ادنين من الابواب لأكتب لكن ما شئتن أن تبعثنه لأزواجكن » ، ويضع الرسائل بعد ذلك ويسلمها الى البريد .

وكان اذا ولى عاملاً على احدى العمالات خرج يشيعه ويوصيه فيقول له : « اني لم استعملك على المسلمين إلا لتقيم بهم الصلاة وتقضي بينهم بالعدل وتقسم بالحق ، فان فعلت فأنت أخي وأنا أخوك ، وان لم تفعل فبيني وبينك حدود الله » . وكان يستدعي الولاة ليوافوه في الحج حيث يجتمع المسلمون فاذا اجتمعوا ناداهم قائلاً : « ايها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ له الحق ، ولا أضعف من القوي حتى آخذ الحق منه . واني لم أبعث عمالي عليكم

ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، فمن فعل به شيء من ذلك أو ظلم فليرفعه »

وكانت طريقته في الامارة اطلاق الحرية للعمال في الشؤون المحلية وتقييدهم في المسائل العامة ومراقبتهم في سلوكهم وتصرفاتهم . ويقول الجاحظ في كتاب التاج : « ان علم عمر بن من نأى عنه من عماله كعلمه بمن بات معه في مهاد واحد وعلى وساد واحد ، فلم يكن في قطر من الاقطار ولا في ناحية من النواحي عامل أو أمير جيش إلا وعليه عين لا يفارقه ، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح ، وأنت ترى ذلك في كتبه الى عماله حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الخلق اليه وأخصهم به » . وكان يبعث في طلب بعض عماله من وقت لآخر ليستطلع حقيقة أحوالهم وحقيقة أمورهم ، فاذا علم أن احدهم قارب المدينة خرج لملاقاته في الطريق ليعرف من ملبسه ومركوبه أظل على ما كان عليه قبل انفاذه للعمل اليه أم أثرى وظهرت عليه علامات النعيم ، فان كانت الاولى أبقى عليه وصفته وان كانت الاخرى عزله منها . وكان يحصي عليهم أموالهم قبل توليتهم فاذا زاد لأحدهم مال بعد ولايته صادره عليه . ومن أمثلة ذلك أنه استعمل عتبة بن أبي سفيان على كنانة ، فلما قدم عتبة المدينة بمال سأله عمر « من أين لك هذا يا عتبة ؟ فقال : « مال خرجت به وتاجرت فيه » فقال عمر : « بعثتك والياً ولم أبعثك تاجراً وان التجارة والولاية لا تجتمعان . اجعل هذا المال في بيت مال المسلمين »

وانتهى اليه أن أبا عبيدة عامله على الشام يسبغ على عياله النعم ويتولاهم بالخير الكثير فنقص العطاء الذي كان يجريه عليه . وبلغه أن عمرو بن العاص عامله على مصر قد بدت عليه وعلى أهله أمارات الغنى واجتمع لديه متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن له عندما ولي مصر ، فاستقدمه وسأله في ذلك فقال : « انها يا أمير المؤمنين أرض مزدرع ومتجر ، وسهام احتسبت وتمره اقتصاد طويل » فقال عمر : « انظر رأس مالك ورزقك فخذهما ورد الباقي الى بيت المال » . ومر يوماً في طريق فوجد بناء يبنى بالحجارة والجص فسأل : لمن هذا ؟ فقيل له : « انه لعاملك على البحرين » فصاح : « الله أكبر . أبت الدنانير إلا أن تخرج أعناقها . هدموا كل هذا الى بيت المال »

وكتب الى أبي موسى الأشعري كتاباً أصبح للخلفاء من بعده دستوراً للحكم قال فيه :

« أما بعد فان للناس نفرة أعوذ بالله أن تدركني ، وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة . أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، واذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى . وأخف الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً . وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً . وقد بلغني أنه فشت لك ولأهل بيتك هيئة في ملبسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها ، فاياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب فلم يكن لها هم إلا السمن ، فانما حتفها في السمن . واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقي به الناس والسلام »

وكان يحب أن تقوم المحبة بين الناس مقام القضاء فلا يكثروا من التقاضي والرجوع الى الولاة في خصوماتهم فخطبهم يوما ، وقال : « اعطوا الحق من انفسكم ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا الىّ ، فانه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة . وانى لحبيب الىّ صلاحكم عزيز علىّ عنتكم ، وانتم أهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء به الله اليه » .

وكان يرد الشفاعة والوساطة حتى ان مولى عمر توسط لديه يوما في أن يكتب الى عامله في العراق ليكرم صديقا له رحل اليها فانتهره عمر وقال : « أتريد حملي على أن يظلم الناس ، وهل صاحبك الا رجل من المسلمين يسعه ما يسعهم ؟ » وكان يوزع الأعمال على المتخصصين فيها فيقول : « أيها الناس من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فان الله جعلني له خازنا وقاسماً » .

أما سياسته حيال النصارى واليهود فتتلخص في هذه القواعد الحكيمة : « انا أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم ، وأن لا نحملهم ما لا يطيقون ، وان أرادهم عدو بسوء قاتلنا دونهم ، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم الا أن يأتونا راضين فنحكم بينهم وان غيبوا عنا لم نتعرض لهم » .

وكما انصرفت اليه عنايته رضوان الله عليه ما اقتضته حالة التوسع في الفتوح ووجوب استحداث الأوضاع الحديثة في الادارة . فهو أول من دون الدواوين على مثال دواوين الفرس والروم . وكان الديوان أول الأمر هو الدفتر يكتب فيه رجال الجيش وأهل الأعطية ، ثم صار المكان الذي يحفظ فيه كل ما تعلق بحقوق الدولة من الأعمال والأموال ، ثم أطلق بعد ذلك على جميع السجلات وعلى المكان الذي يجلس فيه القائمون عليها . ويقول اليعقوبي إن عمر استحدث نظام النحو ، ووضع العربية على النحو ووضع ضبطاً لتشكيله في بعض آيات القرآن .

ووضع عمر أول ديوان في الاسلام للخراج والأموال بدمشق والكوفة والبصرة ، وأمر أن تكتب دواوين الشام بالرومية ودواوين العراق بالفارسية ودواوين مصر بالقبطية . وأجاز أن يتولاها النصارى والمجوس لعلمهم بأصولها . وهو أول من أحصى المسلمين وأول من جعل الأرزاق مشاهرة وفرق الجيوش على الولايات وجعل لكل جيش مركزاً وقيادة . وهو أيضا أول من أرخ بالتاريخ الهجري وصك وختم أسفل الصكوك .

وكان يحب الشورى ولا يستبد برأيه فاذا جاءته قضية معضلة قال لعبد الله بن العباس : « انها قد طرأت علينا أقضية وعضل وأنت لأمثالها » ، وكان يستشير صغار المسلمين بالمساجد في المسائل العامة ثم يعرض رأيه وآراءهم على مجلس شوراه المؤلف من أعيان الصحابة ، فما استقر عليه رأيهم أمضاه . وهو مبتكر نظام التفتيش في الاسلام فقد كان يبعث أناساً لتقدير الخراج وآخرين لاحصاء الناس وغيرهم لمساحة الأرض ولمراقبة جباية الأموال . وكان شعاره في كل ذلك العدل والرحمة

والرفق بالناس حتى لقد قال لعامل أرسله لمساحة أرض العراق وتقدير الخراج عليها: «أخاف أن تكون قد حملت الأرض ما لا تطيقه. لئن سلمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن الى رجل بعدى أبداً». وقال: «اللهم اني أشهد على أمراء الأمصار فاني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ويعدلوا عليهم ويقسموا فيئهم بينهم ويرفعوا الىّ ما أشكل عليهم من أمرهم».

وعمر أول من استقضى القضاة ووضع أسس القضاء الصحيح، فقد كانت المدينة في أيامه أشبه بمدرسة يتخرج فيها القضاة والمشترعون والمجتهدون فيوزعهم على الأمصار يقضون فيها بالشرع والسنة والقياس متخذين عدل عمر وحبه للمساواة وخضوعه لأحكام الحق نبراسا يهتدون بنوره وقدوة يقتدون بها عند الفصل في أمور الناس. وفي الكتاب المشهور الذي كتبه عمر الى أبي موسى الأشعري فيما ينبغي أن يكون عليه القاضي والقضاء ما يدل القارىء على سمو ادراك الرجل لمعنى العدالة وطرائق تطبيقها. فقد جاء في ذلك الكتاب:

«... أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. ساو بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.

«البينة على من ادعى واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا. ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

«الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله، ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلك، واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق. واجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه، فاذا أحضر بينته أخذ بحقه والا استحللت عليه القضية فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى.

«المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب، فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والأيمان.

«اياك والقلق والضجر والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فان الحق في مواطن الحق يعظم به الله الأجر ويحسن الذكر. فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله. فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته؟ وبعد فانه لم يزل في الناس وجوه (وجهاء) يرفعون حوائج الناس فأكرمهم فحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم والقسمة».

ذلك هو الدستور الذي وضعه عمر للقضاء وان فيه مجالا واسعا للتأمل والتدبر والتفكير.

أما حبه للمساواة فيتبين من أخذه نفسه بمساواته سائر الناس. ابتاع فرسا وركبه ليجربه فأصاب رجل الفرس عطب فظهر عيبا كان به قبل أن يبتاعه فقال لصاحبه: «خذ فرسك واردد

الىّ شهودى . فقال الرجل : « انما بعتك فرساً سليماً فلا أرده اليك منه أو تجعل حكما بيني وبينك » فاحتكما الى شريح ، فقال شريح : « يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت أو رده كما أخذت » فأطرق عمر برهة ثم قال : « وهل القضاء الا هكذا ؟ اذهب يا شريح الى الكوفة فقد وليتك قضاءها »

وروى أبو الفداء في تاريخه أن رجلا من بني فزارة وطىء في الحج على رداء جبلة بن الأيهم من ملوك غسان فلطمه جبلة لطمة هشمت أنفه . ورفع الفزارى شكواه الى عمر فجاء عمر بجبلة وخيره بين أن يفتدى نفسه وأن يلطمه الرجل كما لطمه . ولقد عجب جبلة وقال : « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنا ملك وهو من السوقة ؟ » فأجاب عمر : « ان الاسلام جمعكما وسوى بين الملوك والسوقة في الحدود » . وكان اذا نهى الناس عن أمر جمع أهله وقال لهم : « اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله الا ضاعفت له العقوبة »

ولقد جعل عمر الجامعة الاسلامية أساساً لسياسته وجعل الجامعة العربية أساساً للجامعة الاسلامية ، فأوصى بأهل البادية لأنهم أصل العرب وأراد أن يحمل على اعزازهم فقال : « قبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً وقد وسع الله عليهم » وفدى سبايا العرب من الجاهلية والاسلام الى أيامه عملا بالحديث المأثور « لا سباء في الاسلام » ، وكتب الى عماله « لا تضربوا العرب فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تغفلوا عنهم فتحرموهم » وحرض عرب الحجاز على الهجرة الى الشام والعراق ليختلطوا بعربهما فتزول ما بين أولئك وهؤلاء من الفروق في الطباع واللهجات . ولم يسمح لبعضهم بالهجرة الى المدينة لعلمه انهم أدرى من العرب بالتجارة والصناعة والزراعة فاذا سكنوا المدينة انتزعوا هذه الموارد من أيدى أهلها . وحرم على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة كما حرم عليهم اقتناء المال لأن أرزاقهم وأرزاق عيالهم وعبيدهم ومواليهم تدفع لهم من بيت المال . وكانت حجته في ذلك أن يظلوا جنداً للدولة لا يشغلهم الزرع والحصد واستثمار الأموال عن الحرب والجهاد في سبيل الله . ولعمرى ما أحق الاشتراكيين والشيوعيين اليوم بأن يبحثوا عن أصل مذهبهم في تلك السياسة التي اختطها عمر بن الخطاب

رحم الله عمر فقد كان أميراً لم ينس الله ولا واجبه ولا ضيع واجب حق وهو طعين خنجر وقد سالت أحشاؤه من طعنه وخر على أرض المسجد صريعا . فقد اختلت ساعة مقتله صفوف المصلين والتفوا حوله ليسعفوه فردهم عنه باشارة من يده وقال : « وأين عبد الرحمن بن عوف ؟ » فصاح عبد الرحمن : « نعم يا أمير المؤمنين » فقال الفاروق : « تقدم يا ابن عوف وصل بالناس » ثم اعتمد على الأرض بمرفقه وجمع أحشاءه بيده وصلى مع المصلين صلاة خاشعة لم يستطع فيها ركوعاً ولا سجوداً

حسن الشريف

عمر الفاتح

الروح الذي وجه المسلمين إلى النصر الباهر

بقلم الأستاذ عبد الحميد العبادي
أستاذ التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية

مهما بعد العهد فليس ينقضي عجب المؤرخين وعشاق البطولة من فعال قواد العرب القدماء
أمثال المثنى بن حارثة ، وخالد بن الوليد ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن
العاص ، وحذيفة بن اليمان . فهم الذين قوضوا ملك كسرى وزلزلوا عرش قيصر ، وهم الذين
شادوا في مدى من الزمن لا يتجاوز عشر سنوات ملكاً ضخماً اشتمل الجزيرة والعراق وفارس
والشام ومصر ، ولكن ينبغي ألا ينسينا لألاء هذه الفتوح ، وما انعقد على مفارق هؤلاء الأبطال
المغاوير من أكاليل المجد ، أنهم ما كانوا يفعلون ما فعلوا ويبلغون ما أملوا لولا روح فياض غمرهم ،
وعقل جبار سيطر عليهم ، وعزمة ماضية صرفتهم ، هي روح عمر بن الخطاب وعقله وعزيمته

ولعلنا لا نكون مسرفين إذا قلنا إنهم جميعاً لم يزيدوا على أن يكونوا أعواناً وجنوداً لعب بهم
عمر لعبة الحرب الرهيبة مع كسرى وقيصر ، وأنه في حقيقة الأمر هو الفاتح الذي فتح الممالك ودوخ
الأمصار ، وأقام الدولة العربية عالية الذرى ثابتة الأساس متينة البنيان . ورحم الله أبا الطيب
حيث يقول :

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني
ولربما طعن الفتى أقرانه   بالرأي قبل تطاعن الأقران

لم يكن عمر قبل الخلافة بالجندي البارز بروز من ذكرنا من القواد . وتعليل ذلك الخمول
الظاهري غير عسير ، فقد كانت سنه في الجاهلية أصغر من أن تأذن له بشبان الحرب . أما
زمن النبوة والخلافة الأولى فكان سداد رأيه وشجاعته الأدبية آثر عند الرسول وعند أبي بكر من
شجاعته الحربية ، فكان صنعها أظهر في مجلس الرأي والمشورة منه في مشاهد الجلاد والطعان . على
أن عمر كان من غير شك ذا كفاية حربية ممتازة اكتسبها من حضوره المشاهد مع رسول الله
ومن تدبيره قتال الردة مع أبي بكر . وقد أدرك أبو بكر تلك الكفاية وود لو أنه انتفع بها انتفاعاً
مباشراً . فيروى أنه قال وهو على فراش الموت : « وددت أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى

بالشام كما وجهت عمر بن الخطاب الى العراق فكنت قد بسطت يدي كلتيهما فى سبيل الله » . فقد سماه أبو بكر خالد « سيف الله » وضريبه ، وكفى بذلك دليلا على رسوخ قدمه فى فن الحرب وكفايته فى شئون القتال ، فلما ولى عمر الخلافة ظهرت تلك الكفاية أيما ظهور وأثمرت أيما ثمر

كانت كفاية عمر الحربية من ذلك الطراز العالى الذى يقوم على قوة التصور ، وسلامة الادراك ، والاحاطة بطبائع البشر افرادا كانوا أو جماعات ، وعلى معرفة الفرص عند سنوحها والعلم بطرق اقتناصها ، ومواجهة الأزمات والتطلب لها . هذا الى نشاط جم ، وعزيمة صارمة ، وذهن وقاد . وهى صفات لم تجتمع بعد رسول الله لواحد من المسلمين غير عمر بن الخطاب

وكان لعمر مظهر ومخبر ، وما بعد ما كان بين مظهره ومخبره ! فهو بادى الرأى رجل من أهل المدينة ، ساذج العيش ، يأكل أخشن الطعام ، ويلبس أخشن الثياب ، وينام حيث يدركه النوم ، سلاحه درته ، ومطيته قدمه ، يروح ويغدو كأحد الناس ، لا يفضلهم إلا بأنه أول خدامهم ، وأشبه سادتهم بضعفائهم . بيد أنه اذا تأمله المتأمل وقد نصب عينه حرب الفرس والروم لرأى دون ذلك المظهر خضما متسعرا ، قد استحضر فى ذهنه ميدانى القتال فى الشرق والغرب ، فهو ينتخب الرجال ويجيش الجنود ، ويرسم الوقائع ، ويختط الخطط ، ويبعث رجلا عنه الى العراق وآخر الى الشام وثالثا الى مصر ، ويأمر بالاقدام تارة وبالاحجام أخرى ، وينقل الأمداد من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق ، لا يكاد يتأخر عماله فى ذلك أو يتقدم يوما واحدا . فاذا ما أحكم الخطة وأعد العدة قال لأصحابه فى هدوء الواثق بنجح مسعاه : « قد رميتُ ملوك العجم بملوك العرب ، فانظروا عم تنجلى ! » . فاذا ما أبلغ سعيه ، وأثمر غرسه وجاءه نبأ الفتح والظفر تلقاه فى خشوع وإخبات وتواضع تزينه روعة وعظمة وجلالا

ويطول بنا القول لو ذهبنا نقيم البينة على صحة تلك الصورة فى جميع ميادين القتال التى نشبت فى أيام عمر بين العرب وبين الفرس والروم ، فنكتفى بالتدليل على صحتها فى مقام واحد هو وقعة القادسية (١٤ هـ) المعدودة أعظم وقائع العرب مع الفرس

لما اشتد الأمر على العرب بالعراق بعد وقعة الجسر (١٣ هـ) التى أودت بقائدين عربيين هما أبو عبيد ثم المثنى بن حارثة ، وصمم الفرس على طرد العرب من بلادهم ، قام عمر للأمر وقعد واهتم له غاية الاهتمام ، فكتب[1] الى عماله على قبائل العرب وكورهم : « . . . ولا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه ثم وجهتموه الى ، والعجل العجل ! » . فلما توافت اليه النجدات خرج فيمن يؤمره عليها ، وهم أول الأمر أن يسير بها بنفسه الى العراق ولكن ذوى مشورته ثنوه عن ذلك ، ثم وفق الى رجل اجتمعت فيه اصالة الرأى وعظم الشجاعة ويمن النقيبة فأمره

(١) الطبرى جـ ٤ ص ٨٧

عليها . روى الطبري [١] قال : « وكان سعد على صدقات هوازن فبعث الى عمر بألف فارس وكتب اليه كتابا بعثه ... فوافق كتابه مشورتهم ، فقالوا قد وجدته ! قال : من ؟ قالوا : الأسد عاديا ! قال : من ؟ قالوا : سعد ! فانتهى الى قولهم . فأرسل اليه فأمره على حرب العراق ، وعقد له على أربعة آلاف معهم دوابهم وسلاحهم . وأقام عمر في عسكره فأرادهم جميعا الى العراق ، فأبوا إلا الشام ، وأبى إلا العراق ، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النصف الآخر نحو الشام »

« فلما نزل سعد شراف كتب الى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضي الى الجبانة . فكتب اليه عمر : اذا جاءك كتابي هذا فعشر الناس ، وعرف عليهم ، وأمر على أجنادهم ، وعبهم ، وواعدهم القادسية ، واضمم اليك المغيرة بن شعبة في خيله ، واكتب الي بالذي يستقر عليه رأيهم » [٢]

ثم يكتب عمر الى سعد بالمنازل التي يبرحها ومحطة الحرب وميعاد تحركه ، قال الطبري [٣] « وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر .. أما بعد فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين .. فاذا انتهيت الى القادسية - وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحجر والمدر ، على حافات الحجر وحافات المدر والجراع بينهما . ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا أحسوك أنغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدهم فان أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وان تكن الأخرى ، كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتي الله بالفتح .. فاذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس ، وشرق بالناس وغرب بهم »

ثم كتب عمر الى سعد يستوضحه للمنازل والبقاع ويستخبره عن أحوال العدو [٤] : « .. واكتب الي أين بلغك جمعهم ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم فانه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم . فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها واجعلني من أمركم على الجلية »

فكتب اليه سعد : « القادسية بين الخندق والعتيق ، وان ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح الى الحيرة بين طريقين ، فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى

(١) الطبري ج ٤ ص ٨٥
(٢) الطبري ج ٤ ص ٨٧
(٣) الطبري ج ٤ ص ٨٩
(٤) الطبري ج ٤ ص ٨٩ — ٩

الخصوص يطلع من معسكره على ما بين الخورنق والحيرة . وبث ما بين القادسية الى الوليجة فيس من عيوبه مياههم ، وان جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي إلب لأهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا ، وان الذى أعنقوا بذلك ومصادمتنا رستم فى أمثاله منهم ، فهم يحاولون انغاضنا واقحامنا ونحن نحاول انغاضهم وابرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم الى ما قدر لنا» فكتب اليه عمر : « قد جاءنى كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك واعلم أن لها ما بعدها فان منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن »

« ووضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحريم . ونزل سعد القادسية فنزل قديس ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق فى موضع القادسية اليوم . وبعث سعد الى عمر بروله عربيا وأقام بها شهرا . ثم كتب الى عمر : « لم يوجه القوم الينا أحدا ، ولم يسندوا حربا الى أحد علمناه ، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به واستنصر الله فانا بمنحة دنيا عريضة دونها بأس شديد »(1)

« وبعث سعد عيوناً الى أهل الحيرة والى صلوبا ليعلموا له خبر أهل فارس فرجعوا اليه بالخبر بأن الملك قد ولى رستم بن الفرخزاد الأرمنى حربه وأمره بالعسكرة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه عمر : « لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به . وابعث اليه رجالا من أهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجاً عليهم ، واكتب الى فى كل يوم » « . . ولما عسكر رستم بساباط كتبوا بذلك الى عمر »(2)

« ثم ان سعد بن أبى وقاص حين جاءه أمر عمر جمع نفراً عليهم نجار ولهم آراء ، ونفراً لهم منظر وعليهم مهابة ولهم آراء . . فبعثهم الى الملك » وكان من أمر هؤلاء الوفد العرب ما رواه الطبرى من مفاوضتهم لرستم أولا وليزدجرد أخيراً وهى مفاوضة صورية مضيعة للوقت وقد انتهت بأن زحف رستم من ساباط الى القادسية للقاء سعد(3) (المحرم عام ١٤ هـ)

كانت كفة الفرس هى الراجحة فى اليومين الأولين من أيام القادسية ثم كان من صنع الله للعرب ولطف تدبير عمر أن قدم المدد من الشام فى اليوم الثانى وقد زلزل العرب زلزالا شديداً ، فقويت عزائمهم وانتصفوا من الفرس فى اليوم الثالث وهو المعروف بيوم عماس . قال الطبرى(4) « وكان يوم عماس من أوله الى آخره شديداً العرب والعجم فيه على السواء ، لا يكون بينهم نقطة الا تعاورها الرجال بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد فيبعث اليهم أهل النجدات ممن بقى عنده فيقوون بهم . . . فلولا صنع الله للمسلمين بالذى ألهم القعقاع فى اليومين وأتاح لهم بهاشم كسر ذلك المسلمين »

واتصل القتال ليلة اليوم الرابع وهى المعروفة عندهم بليلة الهرير فلم يتمس صبح ذلك اليوم الا وقد انتصر العرب على عدوهم انتصاراً عظيماً

---

(1) الطبرى ج ٤ ص ٩١ (2) الطبرى ج ٤ ص ٩٣

(3) الطبرى ج ٤ ص ١٠٠ (4) الطبرى ج ٤ ص ١٢٦

قال الطبري (١) : « وكتب سعد بالفتح .. وكان كتابه : أما بعد فإن الله نصرنا على فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ، وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم الله بهم عالم كانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوي النحل ، وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم »

« وقالوا إن عمر بن الخطاب يوم رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله ومنزله . فلما لقي البشير سأله : من أين ؟ فأخبره . قال : يا عبد الله حدثني ! قال : هزم الله العدو ! وعمر يخب معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين . فقال الرجل : فهلا أخبرتني رحمك الله أنك أمير المؤمنين ؟ وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخي ! » (٢)

ويمكن القارئ أن يدرك الدور الذي قام به عمر في تلك الوقعة الحاسمة ، فهو مدير رحاها ومطلع على حقيقتها . وقد أدرك الفرس ذلك من دورهم ، فيروى أن رستم لما صرعته الحرب نابها ووطئه عسها ، نادى صائل بالفارسية ما ترجمته « آه » صوت عند النداء وإنه هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل . أكل عمر كبدي ، أحرق الله كبده ! »(٣) ولما هم الأعاجم المقيمون بالمدينة أن ينتقموا من فتح بلادهم لم يقصدوا إلى خالد ولا إلى سعد ، وإنما قصدوا إلى عمر بن الخطاب فاغتالوه . ولعمري لقد كان رستم وأبو لؤلؤة ومن آمروه على قتل عمر أصرح وأشجع ممن جاء بعد من روافض الشيعة وغلاتهم الذين أسسوا بغضهم عمر على استئثاره بالخلافة ، كأن لم يكن هناك سبب آخر أدعى إلى البغض وأجل خطرا

عبد الحميد العبادي

(١) الطبري ج ٤ ص ١٤٤ (٢) الطبري ج ٤ ص ١٤٤ (٣) الطبري ج ٤ ص ١١٤ ــ ١١٥

الشعب القبطي يعاني اضطهاد الرومان ـ إرهاق الأمة بالضرائب والمغارم ـ عبث الخصومات الدينية ـ الاسكندرية مركز الحضارة والثقافة ـ انحطاط مستوى الشعب أدبياً ومادياً ـ عمر ينظم مصر ويقرر نظم الضرائب ـ الحكم الديموقراطي في مصر أيام عمر

مصر في عهد عمر بن الخطاب

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت مصر حينما افتتحها العرب ولاية رومانية تخضع لحكم الدولة الشرقية، ولم يكن الفتح الاسلامي لمصر سوى حلقة في سلسلة الفتوحات الباهرة التي قام بها العرب في أراضي الدولة الشرقية في فترة قصيرة، وكان فتح مصر في سنة عشرين من الهجرة (٦٤٠ م) في خلافة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، وفي عهد هرقل قيصر الدولة الشرقية، وكان هرقل قد تبوأ عرش قسطنطينية في سنة ٦١٠ م فقد شهد ظهور النبي العربي، وتلقى سفارته ودعوته إلى الاسلام، ثم شهد بعد ذلك قوى الاسلام تنساب من الصحراء إلى الغرب، وتقتحم أراضيه وتحرز النصر الباهر على جيوشه في موقعة اليرموك ثم في موقعة اجنادين، وعلى أثر هذين تم فتح الشام، وقدم عمر إلى بيت المقدس ليتسلمها بنفسه إجابة لملتمس بطريقها، وبينا هو في طريق العودة، عرض عليه عمرو بن العاص افتتاح مصر وألح في عزمه فقبله عمر دون حماسة، وكان عمرو قد زار مصر قبل ذلك بأعوام ورأى الاسكندرية حاضرتها العظيمة وبهره عمرانها ورخاؤها، وكان عمر يخشى أن تندفع جيوش الاسلام في مصر إلى مغامرة لا تؤمن عواقبها، ولكن جرأة عمرو غلبت على تحفظ عمر، وكان أن غزا مصر جيش عربي صغير بقيادة عمرو نفسه، وافتتحها في أشهر قلائل وذلك في سنة عشرين من الهجرة (٦٤٠ م)، وبذلك خرجت مصر من حكم الدولة الرومانية وانضوت تحت لواء الاسلام

ولقي الغزاة في مصر ظفراً سريعاً لم تتخلله مواقع طاحنة كالتي اقترنت بفتوح الشام، وكانت الجيوش العربية قد ظهرت في اليرموك واجنادين على الجيوش الرومانية بصورة حاسمة، ولم يخالج هرقل الامبراطور عندئذ شك في المصير الذي تسير إليه، وكان الحاكم والبطريق الروماني كيروس، الذي تعرفه الرواية العربية بالمقوقس وتصفه خطأً بزعيم القبط، حكيماً بعيد النظر حينما آثر مهادنة العرب وعقد الصلح معهم بعد مقدمهم إلى مصر وحصارهم لقلعة بابليون، ولم يلق العرب مقاومة

ذات شأن إلا في الاسكندرية حيث اعتصمت الحامية الرومانية بضعة أشهر ، ونشبت بين الفريقين وقائع شديدة انتهت بسقوط العاصمة في أيدي الفاتحين

على أن ظفر العرب في مصر بتلك السرعة لا يرجع إلى العوامل العسكرية وحدها بل يرجع بالأخص إلى ظروف مصر وظروف الشعب المصري يومئذ ، وهي ظروف لها أكبر الأثر في التمهيد لهذا الفتح الكبير ، وذلك أن مصر كانت في أواخر العهد الروماني تجيش بروح شديد من السخط على سادتها ، وبلغ هذا الروح أشده وقت الفتح العربي . وكان الشعب القبطي وهو يومئذ كتلة الأمة المصرية يعاني كثيراً من الاضطهاد الديني الذي فرضته عليه الكنيسة الشرقية منذ مجمع خلقيدونة الذي اتخذته قسطنطينية وسيلة لبسط على الكنيسة القبطية ، وذلك بإنشاء كنيسة جديدة خصيمة هي الكنيسة الملكية بتأثير الامبراطور وتعيين بطارقتها . وكانت هذه الثغرة التي أحدثتها قسطنطينية في صرح الكنيسة الارثوذكسية تذكي عوامل السخط في نفوس المصريين من أبنائها ، وفي الوقت الذي اعتزم العرب فيه فتح مصر ، كان كيروس عامل الامبراطور يجمع في شخصه صفة الحاكم وصفة البطريق معاً ، وكان يستعمل سلطان الأولى لتدعيم نفوذ الثانية وذلك بالانتقاص من نفوذ الكنيسة القبطية وحقوقها ، ومن جهة أخرى فان الادارة الرومانية انحطت في أواخر هذا العهد الى ادارة جائرة مضطربة تعيث فساداً في البلاد وتمعن في إرهاق الشعب بالضرائب والمغارم الفادحة وكان الأمن مضطرباً ، والمنازعات الداخلية تسود كل مكان . وكان الشعب المصري يتوق إلى التخلص من هذا النير الجائر بأي الوسائل . فلما لاح مقدم العرب ، وسمعوا ما ذاع عن تسامحهم وعدالتهم في البلاد المفتوحة كان القبط على أهبة مؤازرتهم ومعاونتهم . وكانوا لهم خير عون على الفتح

• • •

وهكذا لقي العرب حين مقدمهم الى مصر مجتمعاً مهيضاً قد عصف به الطغيان ، ومزقه الخلاف الديني ، وأضناه العسف والهوى . وقد انتهت الينا من الروايات العربية المعاصرة ومن أوراق البردي لمحات عن أحوال مصر والشعب المصري لعهد الفتح الاسلامي أو لعهد الفاروق عمر ، ومنها يبدو ان مصر كانت لا تزال تحتفظ ببقية مدنيتها الذاهبة ، وان المجتمع المصري لم يكن قد فقد كل خواصه القديمة ، وكانت المدنيتان اليونانية والرومانية قد تركتا كلتاهما أثرهما في مصر ، وكان هذا الطابع اليوناني الروماني لا يزال ماثلاً حين الفتح الاسلامي ، وكانت الاسكندرية لا تزال مركزاً من مراكز الحضارة اليونانية الرومانية ومصدراً للثقافة الرفيعة التي تمتزج فيها التعاليم الفلسفية بالصبغة الوثنية ، وكانت وقت الفتح الاسلامي قد فقدت كثيراً من مجدها وعظمتها السالفين ، بيد انها كانت لا تزال أعظم مدائن الشرق ، وكانت أيضاً مركزاً للملاهي الرومانية ، يجتذب ملعبها الشهير ومباراته الرياضية الشائقة من المصارعة وغيرها الزوار من سائر الأقطار ، وقد وصفت لنا

الروايات العربية مدينة الاسكندرية وصروحها العظيمة وملعبها الشهير وقت الفتح ، وذكرت لنا كيف شهدها عمرو بن العاص قبل الفتح بأعوام ، وسحره ما رآه من المناظر الرائعة بيد أن الاسكندرية كانت قد فقدت مكاتب العامة الشهيرة منذ القرن الرابع ، ولم يكن بها وقت مقدم العرب أية مكتبة عامة ، ومن ثم كان بطلان الزعم بأن العرب هم الذين أحرقوا مكتبة الاسكندرية الشهيرة

أما الطبقات الدنيا من الشعب فقد كان يسودها الجهل ولم تتأثر كثيراً بمزايا الثقافتين اليونانية والرومانية ، بيد أنه كانت توجد ثمة طبقة من خاصة المصريين تحتفظ بنبذ يسيرة من علوم المصريين القدماء ، وكانت اللغة الفرعونية (الهيروغليفية) قد غاضت تقريبا وحلت محلها الديموطيقية ثم القبطية التى اشتقت منها ، والتى أخذت بدورها فى الانحلال والضعف أمام العربية لغة الفاتحين الجدد

وكانت مصر وقت الفتح العربى كما كانت على مر الأحقاب بلداً زراعيا يعتمد فى رزقه وثروته على الزراعة ، وكانت الزراعة لا تزال أمداً على ازدهارها رغم توالى الأحداث والمحن ، وقد بهر العرب عند مقدمهم ما رأوه من خصب الريف المصرى ونضرته ووفرة نعمائه ، وكانت مصر فى الواقع أخصب البسائط التى نفذوا إليها منذ خروجهم من القفر ، وكان نيلها أروع ما شهدوا من الغيث والفيض العميم

● ● ●

ثم مضى أمير المؤمنين «عمر» طويلا بعد فتح مصر ، فقد توفى صريعا خنجر أبى لؤلؤة فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ (٦٤٤) أى بعد ثلاثة أعوام فقط من الفتح بيد أنه اختص مصر بعنايته فى تلك الفترة القصيرة من حكمه ، وكان دائم الاهتمام بشئونها وتنظيم إدارتها الجديدة ، وعهد بولايتها إلى فاتحها عمرو بن العاص فكان أول ولاتها المسلمين ، وقامت الفسطاط أول عاصمة إسلامية فى مصر عقب الفتح مباشرة وأبدى عمرو فى تنظيم الإدارة الجديدة براعة فائقة ، وأسبغ على الرعايا الجدد سياسة الرفق المقرون بالحزم ، وأحصيت موارد مصر وثرواتها بدقة ، وفرضت على شعبها الجزية ، وكان فرضها عقب الفتح بطريق الصلح . وفى الروايات العربية المعاصرة ما يدل على أن مصر كانت تتمتع يومئذ بموارد وثروات عظيمة وأنها كانت تزخر بالسكان والقرى العامرة بالرغم مما أصابها من عسف الإدارة الرومانية ، مثال ذلك أن قرى مصر أحصيت من أجل الجزية فوجدت أكثر من عشرة آلاف قرية أعنى ضعف ما تحتوى اليوم ، وأنه لما صالح عمرو القبط على أن يدفع كل رجل منهم جزية قدرها ديناران بلغ من وجبت عليهم الجزية السنوية ستة آلاف ألف نفس وعلى رواية أخرى ثمانية آلاف ألف ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبى ، فكان دخل الخلافة من ذلك اثنى عشر مليونا أو ستة عشر مليون دينار فى العام . وتلك روايات تحمل طابع المبالغة بلا ريب ، بيد أنها تقدم على أى حال فكرة عن ضخامة المغنم الذى استطاعت الخلافة أن تحققه بفتح مصر

ووقعت بين أمير المؤمنين عمر وعمرو بن العاص في تلك الفترة القصيرة عدة مساجلات ومكاتبات في شئون مصر تدل على ما كانت تتمتع به الخلافة في عهد عمر من طابع ديموقراطي عميق تدعمه مع ذلك سلطة حازمة ، فعندما طال حصار الاسكندرية مثلا كتب عمر الى عمرو ما يأتي : « أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر ، انكم تقاتلونهم منذ سنتين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم »

ولما أبطأ عمرو في تقديم خراج مصر في الموعد المحدد كتب اليه عمر يعزره ، ويؤنبه ويقول : « أما بعد فقد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج ، وكتابك الي ببنيات الطرق ، وقد علمت اني لست أرضى منك إلا بالحق البين ، ولم أقدمك الى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك ، فاذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو فيء المسلمين » فكتب اليه عمرو : « أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج ويزعم اني أحيد عن الحق وأنكب عن الطريق ، واني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظروني الى أن تدرك غلتهم ، فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيراً من ان يخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه والسلام »

هذه الوثائق وأمثالها مما نقلته الينا الروايات المعاصرة توضح لنا روح الخلافة في عهد عمر — روح ديموقراطي حازم ، وروح لامركزية مستنيرة ، وقد كان عمرو والياً وعاملا من عمال الخلافة ، ولكنه كان يتمتع في مصر بسلطة شبه مطلقة ، بيد أن عبقرية الخليفة الشاملة كانت ساهرة توجه بتوجيهها الفعال سلطة الولاة الى ما فيه خير الشعوب المحكومة وخير الخلافة الاسلامية . وقد استفادت مصر في عهد من هذه النزعة المستنيرة في توزيع السلطات ، واستطاعت أن تتمتع في ظل الخلافة بنوع من الحكم الذاتي ، وأن تحافظ على هذا الامتياز حتى قامت بها الدول الاسلامية المستقلة

محمد عبد الله عنان

جامع عمرو بن العاص

كان عهد عمر بن الخطاب عهد فتح وجهاد ، لم يخلف سوى آثار قليلة من أهمها جامع الفسطاط الذى أنشأه عمرو بن العاص بعد أن استقر فى مصر سنة ٦٤١ م . وهذا المسجد أحد المنشآت التى أقامها عمرو فى أثناء ولايته ، وأهمها مدينة الفسطاط التى اتخذها عاصمة للبلاد ، وخليج أمير المؤمنين الذى كانت تمر فيه غلال مصر الى بلاد العرب ، وترع الرى التى انتشرت فى انحاء البلاد . وقد تعهدت الدول الاسلامية المتتالية هذا المسجد بالزيادة والتحسين ، حتى غدا اليوم أثراً جامعاً من آثار مصر الاسلام

الفصاحة تنقل عمر من دين الى دين — عمر والنقد الأدبي —
خطب وأقوال تضاف اليه لشهرته بالفصاحة والبيان — أثر
سيرته في بلاغته من أدب النفس — أدب النفس كما عرفه الفاروق

بلاغة الفاروق

بقلم الدكتور زكي مبارك
المفتش بوزارة المعارف

ان بين القلب واللسان أواصر روحية وعقلية لا ينكرها الا من يجهل أن اللسان ترجمان القلب وأن القلم رسول العقل ، وبلاغة الفاروق هي الصورة الصادقة لما انطوت عليه جوانحه من أصول الصدق والشرف والنبل ، فمن قال وأصاب انه كان من أصدق الخلفاء وأشرف الحاكمين ، فليعلم أنه كان كذلك من أصدق الخطباء وأشرف الكاتبين

وكان من حظ عمر في بلاغته أنه نشأ في عصر عرف أهله بالتشوف الى شرف القول ، فقد نشأ في عصر تفرد بين العصور بأسرار البيان ، ألم تكن فصاحة القرآن هي المعجزة ، بعد أن كانت للمعجزات ألوان من الخوارق تبهر الأبصار والحواس ؟

ولئن كانت فصاحة القرآن هي المعجزة لقد كانت كذلك هي السبب الأصيل في انقياد عمر الى الاسلام ، وانتقال الرجل من دين الى دين بسبب الفصاحة هو أصدق شاهد على أنه خلق مفطوراً على تذوق الفصاحة وأسرار البيان

وبلاغة القرآن التي فتنت عمر لم تصادفه وهو بكر القلب ، فقد يظهر أنه كان في جاهليته رجلاً خبيراً بما خلف قومه من كرائم المعاني ، وقد يظهر أنه كان مفتوناً بالشعر وخبيراً بأغراض الشعراء ، والا فكيف اتفق له أن يتعصب لزهير ، وكيف صح لابن رشيق أن يحكم بأنه كان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة ، وكيف كان من سياسته وهو خليفة أن يوصي المسلمين بأن يرووا أبناءهم الأشعار كما يعلمونهم السباحة والرماية ؟

وأريد أن أقول : إن بلاغة الفاروق كانت تعتمد على أصل ثالث هو فهم الأدب ، أو هو بالفعل أديب ، ولولا أنه شغلته ظروف الخلافة التي فرضت أن يجيد الخطابة والانشاء لكان من أقطاب النقد الأدبي ، فقد كان هذا الرجل يملك أهم عنصر من عناصر النقد وهو السخرية ، والسخرية فن لا يحسنه غير الفحول . هل سمعتم قصة ابن العجلان ؟

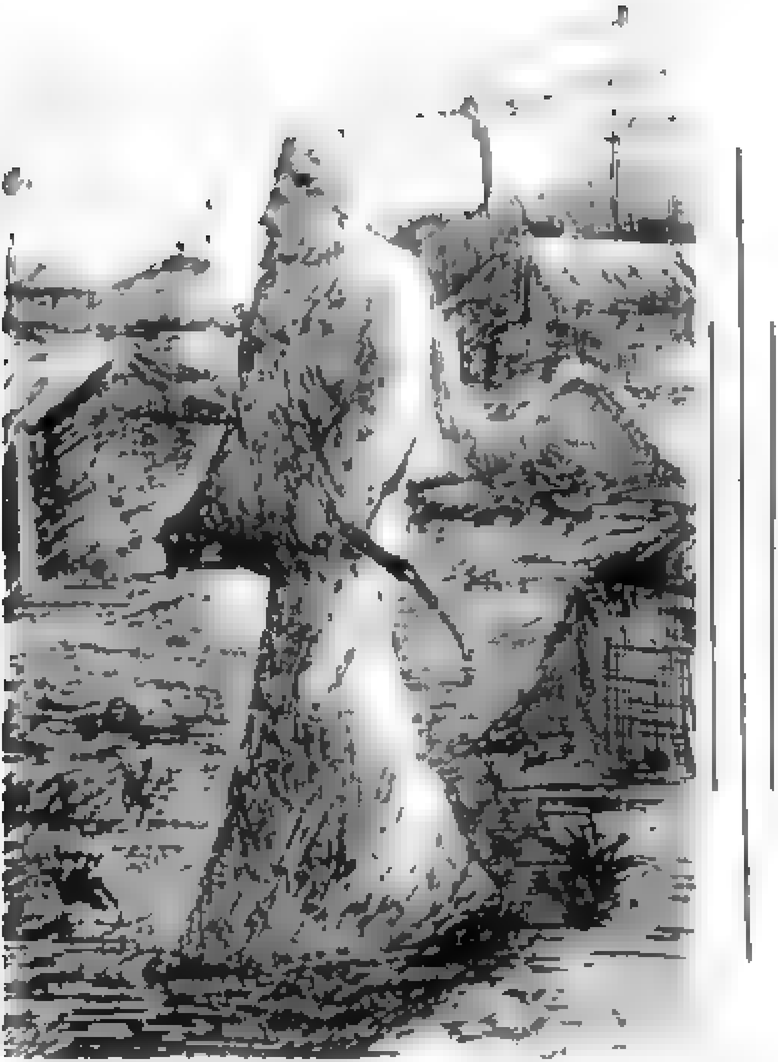

الراعي العظيم

الفاروق عمر [illegible]
العرب و[illegible] على شؤون
رعاياه وتعهد أموره [illegible]
[illegible] المجهودة [illegible]
[illegible] أعجب من [illegible]
ليحقق المثل الأعلى للحاكم العظيم

إنهم قوم كانوا يتفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الأضياف ، وظلوا كذلك حتى هجاهم به النجاشي الشاعر ، فضجروا منه وسبوا به ، واستعدوا عمر بن الخطاب على الشاعر فقالوا : هجانا يا أمير المؤمنين . فقال عمر : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : إنه دعا عليكم ، ولعله لا يجاب ؛ فقالوا : إنه قال :

قُبَيِّلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ! قالوا : إنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للكاك — يعني الزحام ! قالوا فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ؛ قالوا فإنه قال :

وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادمهم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ! فقال : ما أسمع ذلك ! فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم !

أرأيتم كيف جرى هذا الحديث ؟

أرأيتم كيف يتغابى عمر بن الخطاب وكيف يتعامى عن أغراض الشعراء ؟

إن السخرية في هذا الحديث بلغت الغاية في الدقة ، واستطاع عمر أن يتجاهل بني العجلان ، وبلغ من أمره أن أوهمهم أنه لا يفهم ، وتلك أعجوبة الأعاجيب أن يقتنع قوم من العرب بأن عمر لا يفهم دقائق الهجاء

والغريب في هذه القصة أن يقول أولئك القوم لعمر : فاسأل حسان بن ثابت ، والأظرف أن يتمادى عمر في التغابي فيسأل حسان !

* * *

قلنا إن عمر كان معروفاً بقوة الفراسة ومتانة القول ، وقد سار اسمه بين الحفظة والحكماء ، وآية ذلك أن آثاره الأدبية صارت مجالا للتزيد يضيف إليها من شاء ما شاء ، والناس لا يضيفون الأقوال إلى رجل إلا بعد أن يعرف بالفصاحة والبيان ، وقد شاع بين رجال الأدب أن علي بن أبي طالب أضيفت إليه خطب وأقوال ، فلنسجل أن عمر أضيفت إليه خطب وأقوال ، ولم يتزيد الناس على علي إلا لشهرته بالفصاحة وإجادة القول ، وكذلك تزيدوا على عمر لشهرته بالفصاحة وإجادة القول . هل تذكرون حديث السقيفة ؟ إن كنتم نسيتم فأنا أذكركم بالحدث الذي وقع من أجله ذلك الحديث

وخلاصته أن أبا بكر لما استقامت له الخلافة بين المهاجرين والأنصار بعد من علي تلكؤ وتقاعس، فكره أن تتمادى الحال فتعسر الصورة وتتعرق ذات البين، فدعا إليه أبا عبيدة في خلوة، وكان عنده عمر بن الخطاب، وأوصاه بأن يتلطف في دعوة علي إلى مبايعة أبي بكر وإعلان الرضا عن خلافته، فهم أبو عبيدة بالانصراف لمعالجة الأمر الذي ندب له فتبعه عمر فزوده بآيات من التلطف يلقي بها إلى ابن أبي طالب، فلما وصل إليه بث ما تحمله من أبي بكر وعمر، فرق قلب علي واعتذر عن تخلفه بحزنه البليغ على فقد الرسول، إلى آخر الحديث.

ويهمنا أن نسجل أن الذي صنع حديث السقيفة أنطق عمر بهذه الكلمات:

« قل لعلي: الرقاد محلمة، والهوى مقحمة، وما منا إلا له مقام معلوم، وحق مشاع أو مقسوم، ونبأ ظاهر أو مكتوم، وإن أكيس الكيس من منح الشارد تألفاً، وقارب البعيد تلطفاً، ووزن كل شيء بميزانه، ولم يخلط خبره بعيانه، ولم يجعل فتره مكان شبره، دينا كان أو دنيا، ضلالا كان أو هدى، ولا خير في علم مستعمل في جهل، ولا خير في معرفة مشوبة بنكر، ولسنا كجلدة رفغ البعير بين العجان والذنب، وكل صال فبناره، وكل سيل فإلى قراره، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لعي وشي، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق، وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذي كبر، وقصم ظهر كل جبار، وقطع لسان كل كذوب، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ما هذه الخنزوانة التي في فراش رأسك؟ ما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك؟ ما هذه القذاة التي تغشت ناظرك؟ وما هذه الوحرة التي أكلت شراسيفك؟ وما هذا الذي لبست بسببه جلد النمر، واشتملت عليه بالشحناء والنكر، ولسنا في كسروية كسرى، ولا في قيصرية قيصر، تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر، قد جعلهم الله جزراً لسيوفنا، ودريئة لرماحنا، ومرمى لطعاننا، وتبعا لسلطاننا، بل نحن في نور نبوة، وضياء رسالة، وثمرة حكمة، وأثرة رحمة، وعنوان نعمة، وظل عصمة، بين أمة مهدية بالحق والصدق، مأمونة على الرتق والفتق، لها من الله قلب أبيّ، وساعد قوي، ويد ناصرة، وعين ناظرة. أتظن ظنا يا علي أن أبا بكر وثب على هذا الأمر مفتاتا على الأمة خادعا لها أو متسلطا عليها؟ أتراه حل عقودها وأحال عقولها؟ أتراه جعل نهارها ليلا، ووزنها كيلا، ويقظتها رقاداً، وصلاحها فساداً؟ لا والله، سلا عنها فولهت به، وتطامن لها فلصقت به، ومال عنها فمالت إليه، واشمأز دونها فاشتملت عليه ». الخ. الخ

ثم مضى واضع القصة فحدثنا أن عمر جبه عليا بهذه الكلمات:

« كفكف غربك، واستوقف سربك، ودع العصا بلحائها، والدلاء على رشائها، فإنا من خلفها وورائها، إن قدحنا أورينا، وإن متحنا أروينا، وإن قرحنا أدمينا. ولقد سمعت أماثيلك التي لغزت بها عن صدر أكل بالجوى، ولو شئت لقلت على مقالتك ما إن سمعته ندمت على ما قلت

... ومن أعجب شأنك قولك : ولولا سالف عهد وسابق عقد لشفيت غيظي . وهل زاد الدين لأهله أن يشفوا غيظهم بيد أو لسان ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شأفتها ، واقتلع جرثومتها ، وهوّر ليلها ، وغوّر سيلها ، وأبدل منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان »

فكل ما جاء في حديث السقيفة على لسان عمر انما صنعه التوحيدي أبو حيان ، وكذلك ما جاء على لسان أبي بكر ، وان خدع به رجال لهم وزن في وزارة المعارف فأثبتوا منه قطعة في كتاب المحفوظات للمدارس الثانوية

ولم نبتكر نحن هذا التحقيق ، وانما سبقنا اليه ابن أبي الحديد الذي قرر أن حديث السقيفة شبيه بمذهب التوحيدي في الخطابة والبلاغة ، وأن خطب عمر وأبي بكر ورسائلهما خالية من البديع ومن صناعة المحدثين الظاهرة في ذلك الحديث ، وان الذي يتأمل كلام التوحيدي يعرف أن ذلك الحديث خرج من معدنه ، ويدل عليه أنه أسنده الى القاضي أبي حامد ، وهذه عادته في كتابه (البصائر) يسند الى أبي حامد كل ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه ، اذا كان كارها لأن ينسب اليه . ومما يؤيد أنه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والأشعرية وأصحاب الحديث وكل من صنف في علم الكلام والامامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية . ولقد كان الرضي يلتقط من كلام علي اللفظة الشاردة والكلمة المفردة الصادرة عنه في معرض التألم والتظلم فيحتج بها ويعتمد عليها ، وكأنما يظفر بملك الدنيا ويودعها كتبه وتصانيفه ، فأين كان الرضي من هذا الحديث ؟ وكان الباقلاني شديداً على الشيعة عظيم العصبية على عليّ ، فلو ظفر بكلمة من كلام أبي بكر وعمر في هذا الحديث لملأ الكتب والتصانيف بها وجعلها هجيراه ودأبه ، ثم قال : « والأمر فيما ذكرناه من وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق في علم البيان ومعرفة كلام الرجال ، ولمن عنده أدنى معرفة بعلم السير وأقل أنس بالتواريخ »

وقد قرأت ما أثر عن عمر من الخطب والرسائل ، ثم نظرت في حديث السقيفة فرأيت الأسلوب يختلف كل الاختلاف . وصدق ابن أبي الحديد حين جعل ذلك الحديث من صنع أبي حيان

وقد بينت من قبل ان اختراع الأحاديث على لسان عمر لم يكن يصنع إلا لشهرة عمر بالفصاحة وجزالة القول . ولعلي ظفرت من ذلك ببعض ما أريد

* * *

ندع الكلام عن الشخصية الأدبية لعمر بن الخطاب ، وما وضع على لسان عمر بن الخطاب ، وننتقل الى أدبه الصريح فنقول :

أهم ميزة في بلاغة الفاروق هي أدب القضاء ، وقد شاء الله أن يلقب بالفاروق لما فيه من معاني العدل في القضاء ، فهذا الرجل لم تستقم له الأمور مصادفة واتفاقا ، وانما قام ملكه على العدل ، واستطاع أن يملأ الدنيا بالحقائق والأساطير بفضل العدل ، وقد شاع في المشرقين والمغربين أن

أحد الوافدين عليه رآه يشتد في فرعة الطريق فقال « عجلت فأسأت سمتك » ومن الرجيح أن هذه العبارة نقلت الى أكثر من خمسين لغة ، ورددتها ملايين الألسنة في مختلف الأجيال

ولا ينتظر القارىء من الفاروق كتباً في القضاء تشبه مؤلفات رجال القانون ، فلم يكن العصر عصر درس واستقصاء ، على نحو ما عرف المسلمون في أيام الدولة العباسية ، ولكن الرسائل القليلة الباقية من أدب ابن الخطاب تشهد بأنه كان من أعرف الرجال بأدب القضاء

هل تعرفون كتابه الى معاوية بن أبي سفيان ؟ انه يقول بعد التمهيد :

« إلزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه . وتعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به . وآس بين الناس في لحظك وطرفك ، وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء »

والحكمة البالغة في هذا الخطاب ليست في البينة ولا في اليمين ، وانما هي في الكلام عن الضعيف والغريب ، فقد كان عمر يعرف أن ناسا تضيع حقوقهم بسبب الغربة والضعف ، وكان يدرك أن القضاة ينخدعون بزخرف القول ، وأن الضعيف قد يتلجلج لسانه فيضيع حقه ، وأن الغريب قد يهيب الموقف فلا يبين

وهذه الكلمة الغالية : « وآس بين الناس في لحظك وطرفك » انها تشهد بما كان يعرف عمر من أسرار النفوس

وقد أكد هذا المعنى في رسالته الى أبي موسى الأشعري إذ قال :

« آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك »

وكذلك كان الاقوياء في جميع العصور مثاراً للخوف من ازدلاف القضاء ، وكانت الضعفاء مثاراً للخوف من انحراف القضاء

وقد دعا الفاروق الى الصلح في الظروف التي لا يتبين فيها وجه الفصل ، ثم أوضح ذلك في رسالته الى أبي موسى فقال :

« والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا »

وهو بذلك يجعل الصلح مشروطا بالانصاف

وقد وضع الفاروق أساس « الاستئناف » ولكنه أسرع فجعل ذلك من واجب القاضي قبل أن يجعله من حق المتقاضين ، أليس هو الذي يقول :

« ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل »

وهو بهذا يذكر القضاة بأنهم ناس يخطئون ويصيبون ، وتخفى عليهم مسالك الحق في بعض الأحيان

وقد خشى ابن الخطاب أن يكون في القضاة من يضجر ويتأذى فقال :

« وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم به الله الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله »

• • •

وهذه الفقرة الأخيرة تذكرنا بعنصر مهم من عناصر البلاغة الفاروقية ، وهو الدعوة الى أدب النفس ، وأكثر ما يكون ذلك في وصايا الحرب ، فقد كان عمر رجلا شجاعا ورزق كثيراً القوة المعنوية وكان يفهم أن الجندي لا يشجع إلا حين يثق بأنه أفضل من خصمه من الوجهة الخلقية . وانظروا كيف يقول في خطابه الى سعد بن أبي وقاص :

« أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم شر منهم ، كما سلط على بني إسرائيل — لما عملوا بمساخط الله — كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم »

فهذه الرسالة تبين كيف كان عمر يحرص على أدب النفس ، وترينا كيف كان يدرك أن القوة تكون أولا في النفس ، النفس البريئة من الظلم والجور والعسف . وهل رأيتم أقوى من هذه الكلمة : « ان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم » ؟

وعمر لا يرى الإيمان كل شيء ، وعنده أن المؤمن المذنب أهل لأن يكون فريسة للكافرين ، وهو يحدث أن المجوس وهم كفار انتصروا على بني إسرائيل وهم مؤمنون

ويتبين من التأمل عندك أن عمر يرى أن العمل أصل النجاة ، وأن العقيدة المجردة لا تنفع ، وإنما النفع في العمل الصالح ، فهو الذي يرفع ويخفض ، وبالعمل وحده يكون بعض الناس أفضل من بعض وأقدر على الظفر بالمنافع والخيرات

والبلاغة في أمثال هذه الرسائل ليست بلاغة سطحية تعتمد على الزخرف والتزويق ، وإنما هي

بلاغة تقوم على أصول من الشرف ومن الصدق ، فلن نعجب أن تبلغ بها من أنفس جنوده ما أراد ، فقد ذكروا أن جنوده كانوا يعلمون أنها تصدر عن قلب عامر بأشرف ما تعمر به القلوب

* * *

أما بعد فقد كان في النية أن نبين كيف تصور بلاغة الفاروق أحوال عصره ، ولكنا خشينا عواقب الإسهاب ، فهل يسمح القارئ بأن نذكر شاهداً واحداً يبين خوفه من ارتفاع المباني في مصر ؟

لقد سمع عمر أن خارجة بن حذافة بنى غرفة بمصر — والغرف لا تكون في الدور الأول — فكتب إلى عمرو بن العاص :

« سلام عليك ، أما بعد فإنه بلغني أن خارجة بن حذافة بنى غرفة أراد بها أن يطلع على عورات جيرانه ، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها ، إن شاء الله ، والسلام »

والمدنية الحديثة تنكر ما أشار به ابن الخطاب ، ولكن مهلاً ، فكم كانت قواعد المدنيات مآلها من الشر ومثاراً للفتون !

وليس يضير عمر أن لا تنسجم آراؤه مع المدنية الحديثة ، وإنما يشرفه أن يحفظ التاريخ أنه كان يتطلع إلى كل شيء من أحوال رعيته بمصر وهو بأرض الحجاز أحفل للنازل في وادي النيل

وقد كان القارئ ينتظر أن نحدثه عن أسلوب الفاروق ، ولكنه لاحظ ولا ريب كيف نص ابن أبي الحديد على أن أسلوبه كان خالياً من الزخرف التي أولع بها المحدثون

فبلاغة الفاروق هي وحي الفطرة ، هي صورة من صراحته الناصعة في الحكم على الناس وعلى الأشياء ، وما كان هذا الرجل معروفاً بالإكثار ولا الإقلال ، وإنما كان كلامه يجيء وفقاً للظروف ، لم يؤخذ عليه تفريط ولا إفراط

هذا ، وأعترف بأني لم أبلغ من هذا البحث كل ما أريد ، ولكن جهد المقل غير قليل

زكي مبارك

رجال عمر

بقلم الأستاذ عبد الوهاب النجار

يرجع كثير من توفيق عمر في إقامته العدل وتأييده الحق، إلى أنه أحسن اختيار رجاله وأعوانه ممن اشتهروا بالأمانة والنزاهة، وإلى أنه وضع لهم قواعد رشيدة دقيقة يسيرون عليها في سياسة الأمة، وإلى أنه كان يحاسب المسيء والمعتدي منهم حساباً عسيراً، كما نرى في هذا المقال الذي يعرض ويبين سيرة عمر في عماله

يقوم الخليفة في الأمة بين الله وعباده في إجراء العدل وتأييد الحق، وإقامة الدين وسياسة الدنيا به، وإلزام كل إنسان حده بما له وما عليه دون حيف عليه أو استطالة منه على سواه. ولكن يتعسر على الخليفة وحده أن يباشر كل شيء من ذلك في ملك مترامي الأطراف، فكان لابد من تفويض منه إلى عمال يقومون عنه بذلك الأمر في نواحيهم، ويكونون بينه وبين الرعية يطالبونه بأمورهم ويسوسونهم بسياسته.

وكان حريصاً على اتباع الكتاب الكريم فيما جاء به والاستناد لسنة رسول الله عليه السلام، وحريصاً على أن يأخذ عماله بسيرته ويؤدبهم بآدابه رعاية للرعية وتحقيقاً لحسن ملكة الإسلام وسماحة الدين وعدله. فكان يعد نفسه شريكاً للعامل في كل هفوة يهفوها، وقسيماً له في كل جريرة يقترفها، لأنه إنما يأتي ذلك بما له من السلطان الذي يستمده منه ويرى نفسه مسئولاً أمام الله عن ذلك.

قال الأستاذ الخضري: «كان عمر ممن يشترون رضا العامة بمصلحة الأمراء، فكان الوالي في نظره فرداً من الأفراد يجري عليه حكم العدل كما يجري على غيره من سائر الناس. فكان حب المساواة لا يعدله شيء من أخلاقه، فإذا اشتكى العامل أصغر الرعية جره إلى المحاكمة حيث يقف الشاكي والمشكو منه، سوى بينهما في الموقف حتى يظهر الحق، فإن توجه قبل العامل اقتص منه إن كان هناك داع إلى القصاص أو عاقبه بما تقتضيه الشريعة أو عزله». وإن هذا الرأي الذي كان يراه عمر واستغرق وجدانه ومشاعره هو الرأي الذي ينص عليه في قوانين أكثر الأمم عدالة وحرية وأحرصهم على المساواة بين أفرادها. ولم يأت عمر بدعاً فيما كان يصنع، فقد كان مظاهراً لا مستبداً، إذ تقرر ذلك بمقتضى قوله تعالى: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، وبمقتضى قول رسول الله عليه السلام في حجة الوداع: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». وإنما جعل هذا الخلق ظاهراً

في عمر ان الفتوحات قد كثرت والملك قد اتسع فكثرت العمال وطال زمن عمر وحدثت الاحداث وظهرت خطته في ذلك واضحة

وسواس الأمم يختلفون في شأن مؤاخذة العامل ذي السلطان بما يصدر منه من الهفوات، وبجازاته بما يجترم من السيئات، لأن فريقا يرون التجاوز عن سيئاته وغض الطرف عن زلاته أحب لمقامه في نظر الرعية، ولئلا يكون ذلك مدرجة لكثرة مطالب الرعية وكيدها للعمال وتجنيها عليهم. وقد كان ابو بكر على هذا الضرب من السياسة مع قواده وعماله في أيام أهل الردة وقيام الاضطراب في كل ناحية، وهي حال خاصة يغتفر فيها ما لا يغتفر في غيرها، وكان عمر يخالفه في هذا النحو من السياسة ويشير عليه بالاقتصاص من كل مخالف. وقد نهج عمر هذه الخطة فيما بعد حين استدعى سعد بن أبي وقاص من الكوفة لشكوى رهط ممن من ألبوا عليه في وقت كان المسلمون في أشد الحاجة اليه، وكانت الفتوحات تضرب على الفارس وهم في التحفز لمناجزة العجم الذين جمعوا الجموع لحرب المسلمين واخراجهم من فارس، فلم يكن ذلك ليثنيه عن النظر في شكوى الشاكين، وسعد من عمر بالمنزلة التي دعت به الى عده من أصحاب الشورى الذين مرشح للخليفة منهم من بعده. وقد قال للمرتابين: «ان الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الأمر وقد استعد لكم من استعد – يعني الفرس – وايم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وان نزلوا بكم»

ذلك أن مصلحة العامة عنده فوق كل شيء.

• • •

كان عمر شديد المراقبة لعماله كثير السؤال عن سيرتهم وأخبارهم يبث عليهم العيون يراقبونهم في أعمالهم ولا يترك خبر سوء يبلغه عن احدهم دون تحقيقه والتثبت في شأنه تثبتاً لا يدع للشك مجالا ولا يغفل أن يرسل اليهم الأوامر تباعا أن يعدلوا ولا يظلموا ولا يأخذوا بالظنة ولا يتجبروا ولا يجوروا

وما عمر المرمرض بعد العهد حتى أن يكون ذلك من ظلم أصابه من المسلمين فاستقدم وفداً من البصرة فيهم الأحنف بن قيس وسأله عن عمره أهي غشم؟ قال: لا. فكتب الى عتبة بن غزوان زيادة في الوصية ومبالغة في التوكيد: «أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغي، فانكم انما أدركتم بالله ما أدركتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدم اليكم فيما أخذ عليكم، فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عونا وناصراً» وبلغه أن حرقوصا نازله على الأهواز نزل جبلا كؤوداً يشق على من رامه والناس يختلفون اليه فكتب اليه:

«أما بعد، فبلغني أنك نزلت منزلا كؤودا لا تؤتى فيه الا على مشقة، فأسهل ولا تشق على

مسلم ولا معاهد ، وعم في أمرك على رجل تدرك الآخرة وتصب لك الدنيا ، ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك »

وخطب عمر فقال : « يا أيها الناس ، إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصنه منه »

فوثب عمرو بن العاص فقال :

« يا أمير المؤمنين : أرأيت إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته أئنك لمقتصه منه ؟ قال : أي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه — وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله (ص) يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم »

وعن أبي رواحة قال : كتب عمر بن الخطاب إلى العمال « اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم وبعيدهم كقريبهم ، إياكم والرشا ، والحكم بالهوى ، وأن تأخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق ولو ساعة من النهار »

وكان عمر يأمر عماله في كل سنة أن يوافوه في موسم الحج ، ومن كانت له شكوى أو مظلمة وافاه إلى هذا الموسم كذلك ، ورفعها على العامل بحضرته ، وهناك ترد إلى المظلوم ظلامته ويشكيه من خصمه . فكان العمال يخافون الافتضاح في موقف الحج على رؤوس الأشهاد ويصدهم هذا الخوف عن الاستبداد عن الظلم ، وقد أحضر عمر كثيراً من عماله الذين لهم فضل عظيم في الفتوح وأثر كبير في نصرة الدين ، فهذا سعد بن أبي وقاص من أخوال رسول الله (ص) وهو فاتح القادسية والمدائن والعراق ومفتوح الفرس ومصر الكوفة ، اشتكى عليه بعض رعيته فأرسل محمد ابن مسلمة يحقق الشكاية هناك ، وجاء سعد وخصومه إلى عمر فوجده بريئاً من كل ما قرف به ولكنه عزله احتياطاً . وأوصى عند وفاته أن يولى لأنه لم يعزله لجناية أو خيانة

والمغيرة بن شعبة — كان أميراً على البصرة ، وهو ذو بلاء وعناء في نصرة الدين وفتوح فارس وغيرها ، اتهمه بعض من كان معه بتهمة شنيعة فلم يلبث أن أرسل إليه كتاباً يعاتبه فيه ويعزله ويؤمر غيره . وهذا هو الكتاب : « أما بعد فقد بلغني نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم ما في يديك والعجل العجل » . فقدم على عمر ومعه الشهود الذين شكوه فلم تثبت التهمة عليه وأقام عمر الحد عليهم بما فرضه الله لمثلهم

وهذا عمار بن ياسر كان أميراً على الكوفة ، وهو من السابقين الأولين ، أنهى إلى عمر قوم من الكوفة أنه لا يحسن ما هو فيه من الولاية عليهم ، وأنه ليس بأمير يقدر على هذا العمل ، فأمره عمر بأن يقدم عليه في وفد من أهل الكوفة فسألهم عمر عما يشكون من عمار ، فقال قائلهم إنه

غير كاف ولا عالم بالسياسة ، وقال قائل منهم إنه لا يدرى علام استعمل ، فحضره عمر اختباراً يسأل عن سعة علمه بفارس ونواحي الكوفة وتصوره موقع كل بلد ، فلم يحسن عمار الاجابة فى بعض ما سئل عنه فعزله ، ثم دعاه بعد ذلك فقال له أساءك حين عزلتك ؟ فقال : والله ما فرحت حين بعثتني ولقد ساءني حين عزلتني . فقال لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكن تأولت قوله تعالى « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

جاء فى كنز العمال عن عاصم بن أبى النجود : « أن عمر بن الخطاب كان إذا بعث عماله شرط عليهم : أن لا تركبوا برذوناً ولا تأكلوا نقياً ولا تلبسوا رقيقاً ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ، فإن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلت بكم العقوبة »

* * *

أما انتخابه للأمراء وتحريه لأن يكونوا ذوى عفة وقناعة فكان على أتمه وقد تيسر له من هذه الطائفة ما لم يتيسر لغيره . وكان كثير من عماله ينحون نحوه ويترسمون خطواته . فمن عماله سلمان الفارسى على المدائن ، كان يلبس الصوف ويركب الحمار ببردعته بغير اكاف ويأكل خبز الشعير . ولما حضرته الوفاة بكى فقال له سعد بن أبى وقاص : يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن فى الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون » وأرى هذه الأساودة حولى . فنظروا فلم يجدوا فى البيت إلا إداوة وركوة ومطهرة . وكان أبو عبيدة بن الجراح عامله على الشام يظهر للناس وعليه الصوف الجافى ، فعذل فى ذلك ، فقال ما كنت بالذى أترك ما كنت عليه فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان عامله على حمص سعيد بن حذيم . فشكاه أهل حمص الى عمر وسألوه عزله . وكان عمر يعتقد انهم مجدون له ، فقال اللهم لا تفل فراستى فيهم ، وجمع بينهم وبينه فقال : ما تنقمون منه ؟ قالوا لا يخرج الينا حتى يرتفع النهار . قال ما تقول يا سعيد ؟ قال يا أمير المؤمنين انه ليس لأهلى خادم ، فأعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج اليهم . قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا لا يجيب بليل . قال قد كنت أكره أن أذكر هذا ، انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم . قال : ماذا تنقمون منه ؟ قالوا فى الشهر يوم لا يخرج الينا ؟ قال : نعم ليس لى خادم فأغسل ثوبى ثم أجففه فأمسى . فقال عمر : الحمد لله لم يفل فراستى فيكم يا أهل حمص ، فاستوصوا بواليكم خيراً . وبعث اليه بألف دينار يستعين بها فأبقى منها يسيراً وفرق سائرها فى اليتامى والفقراء والمساكين ولم يغير من عادته

وكان عمر اذا بلغه عن عامل من عماله ريبة فى معصية لم يمهله أن يعزله لأن استصلاح الرعية خير من الابقاء عليه . من ذلك أنه استعمل النعمان بن عدى على ميسان من بلاد فارس وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصناجة تجذو على كل منسم
فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا بالجوسق المتهدم

فقال عمر أي والله إنه ليسوءني ذلك، وعزله. فقدم على عمر وقال: والله ما صنعت شيئاً مما قلت ولكني كنت امرأ شاعراً وجدت فضلاً من القول فقلت فيه الشعر. فقال عمر: والله لا تعمل لي عملاً ما بقيت. وقد أشار المعري إلى هذه الحادثة بقوله:

أعان ما سر ابن حنتمة الذي ... سررت به من شرب مال الحاتم

قال الأستاذ الحصري: «ولم يبق عامل زمن عمر موثوقاً به في كل أيامه إلا القليلين، وفي مقدمتهم أبو عبيدة عامر بن الجراح».

كان عمر قد أقام محمد بن مسلمة مفتشاً عاماً يرسله إلى كل بلد اشتكى على أميره، وكان عمر يثق به ثقة تامة، وكان أهلاً لتلك الثقة. وقد كان من رأيه أن يحقق الأمر تحقيقاً علنياً على ملأ من الأشهاد إذ لا محل للتأثير في الشهود والخصوم، لأن يد عمر كانت قوية جداً وقد زاد في حرية الناس كثيراً، فما كان أحد يخشى أميراً ولا عمر بن الخطاب، اللهم إلا المريب فإن عقابه عليه كان صارماً

• • •

ومما ساس عمر به عماله أنه كان يحصي عليهم أموالهم قبل توليتهم، فإذا زاد مال بعض ولاته صادرهم عليه كله أو نصفه — ذلك أنه كان يرى أن لا يتناول العامل من مال الأمة فوق كفايته، فإن تناول مالاً كان ذلك إما مرابياً أخذه من غير حقه فبيت مال المسلمين أولى به وفيهم اليتيم والمسكين والضعيف وذو الحاجة، وإما أن يكون راتبه والمسلمون أولى بما فضل عن كفاية العامل الذي يعمل بالأجر. قد يجد هذا العمل مجالاً للانتقاد من الوجهة النظرية المذهبية، ولكن عمر — كما قال الأستاذ الحصري — كان يعرف من عماله من يستحق هذه العقوبة أن تقع عليه، إذ ماذا يصنع برجل ولاه، وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه، ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ثروة لو جمعت أعطياته ما بلغت؟ لم ير عمر أمام ذلك إلا باب المصادرة، وقد اكتفى بأن يشاطر العامل ما يملك، ولست أريد أن أحمد هذه الطريقة

عبد الوهاب النجار

الزاهد المتقشف

عمر الفاروق

بقلم الأستاذ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

قال رجل لابن المبارك: «يا زاهد»، فقال: «الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا ففيم زهدت؟».

وهذا كلام حق، فإن الزهد يقتضي شيئاً مقدوراً عليه يزهد فيه، أما من لا يقدر على الدنيا ولا يتمتع بلذائذها، ثم أظهر الزهد فيها فربما يكون صادقاً في زهده، وكثيراً ما يكون أحرى أن تكون زهدت فيه الدنيا من أن يكون زهد فيها.

مثل هذا ـ وإن خال نفسه زاهداً ـ لم يجربها ولم يمتحنها، فهو يقدر أنه لو عرضت عليه الدنيا بعجائبها ومحاسنها وما فيها من لذائذ ومتع زوى وجهه عنها، واستصغر من أمرها ما يستكبره الناس، وربما إذا عرضت عليه الدنيا امتصى فيها إلى ناصيته. فليس المحك الذي يبين فضل المرء أن يتصور أنه في حالة ثم يتصور ماذا يكون شأنه معها، بل المحك الذي لا يخطئ أن يكون في هذه الحالة، متلبساً بخيرها وشرها، ثم ينظر ماذا يكون شأنه معها.

وإنما كان الأمر كذلك لأن فرقاً كبيراً بين أن يتصور المرء أنه في حالة وبين أن يتلبس بهذه الحالة:

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنزالا

وأصدق من جاز هذا الامتحان عمر بن الخطاب ـ الفاروق ـ فلقد ساد المسلمين، وورث ملك الأكاسرة والقياصرة، وقد كانوا في ترف ونعمة، وورث ذلك كله، ولم يطب مأكل ولا مشرب ولا لذة يتلذذ بها المرء إلا كان قادراً عليها، متمكناً منها، فزوى وجهه عن هذا النعيم احتقاراً لشأنه، ورغبة في أن يجمع لنفسه ما يكون عليه للقاء الجليل الكريم.

روي أنه وجد على مائدته وهو خليفة المسلمين خلاً وملحاً، فقال:

ـ لا أجمع بين أدامين

رحمك الله يا ابن الخطاب ، أترى الملح والخل اداميين تخرج من الجمع بينهما ، وان أفقر رعيتك لايراهما من أنواع الادام ، وانما يراهما من الأطعمة المشهية ، التي تحرك الشهية لما يكون لديه أحد من طعام وادام ؟ !

واخبار عمر في الزهد والتقشف مستفيضة ، فمن ذلك أن بعض أعاظم الفرس وفد على المدينة ، فسأل عنه فدل عليه فوجده نائما في المسجد على التراب ، فقال : « عدلت ، فأمنت ، فنمت » . ومنها أنه لما فتح الله عليه الشام سافر من المدينة اليها وكان معه خادم وناقة واحدة ، فكانا يتعقبانها ، يركب عمر والخادم يمشي ، ويركب الخادم وعمر يمشي ، فلما دخلا الشام كانت النوبة في المشي على عمر فدخلا المدينة والخادم راكب وعمر يمشي !

ومنها أن عثمان بن عفان أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحر ، شديد السموم ، فاذا رجل عليه ازار ورداء ، قد لف رأسه برداء ، يطرد الابل ، يدخلها حظيرة الصدقة ، فلما انتهى اليه اذا هو عمر بن الخطاب ، فتلا قوله تعالى « ان خير من استأجرت القوي الأمين » وأشار الى عمر وقال : هذا والله القوي الأمين

ولسنا نريد ان نستقصي هذه الأخبار في زهد عمر وتقشفه ، وانما نريد أن نلم ببعض الاسباب التي خلقت في عمر حالة الزهد هذه

ان عمر كان قوي الجسم ، صحيح البنية لا ممعوداً ولا ضعيفا ، مرهف الحس ، كسائر الناس ، يعرف مايلائم حواسه ومشتهياته ، وينكر غير الملائم ، ان الذي جعله يهرب من الملائم الى غير الملائم !

ان عمر لم يؤثر ذلك إلا وقد نشأت له حالة نفسية تأبى بها النفس التي لايسلكون مسلكه ولا ينحون نهجه ، هذه الحالة هي اعتقاده حماسة مازهد فيه من حظوظ الدنيا ، وشرف مارغب فيه مما اختار لنفسه ، وعلمه أنه اذا باع هذه بتلك كان رابح الصفقة ، نام التجارة ، باع نعيم الدنيا وملذاتها ، فاشترى عليها بما عند الله من رضوان

تدبر القرآن الكريم

والذي غرس في عمر هذه العقيدة طول استماعه وتدبره لما ورد في القرآن من حقارة الدنيا وتفاسة الآخرة

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا »

« من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب »

« فخرج على قومه في زينته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه

اللهو حظ عظيم » وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ، ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها إلا الصابرون »

وأخرى وهي حب عمر لرسول الله وتأسيه به وتأثره طريقه ، يدل لذلك ما ورد أنه حين فتح عليه الفتوحات ، قالت له حفصة البسي ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر ، فقال عمر : يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ، قالت بلى !

قال : « ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن النبي لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله قربتم إليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الأرض ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية ، فثنيت له ليلة أربع طاقات ، فنام عليه ، فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله كان يضع ثيابه لتغسل ، فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة ، فما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة ؟

« وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله صنعت له امرأة من بني ظفر كساءين إزارا ورداء ، وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر ، فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ، ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه ، فصلى كذلك ؟

« يا حفصة : قد كان لي صاحبان سلكا طريقا ، فإن سلكت غير طريقهما سلك بي في طريق غير طريقهما ، وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد ، لعلي أدرك معهما عيشهما الرغيد »

الراعي أولى من رعيته بالتقشف

وأخرى وهي أن عمر أصبح والي أمر المسلمين ، وقد رأى أنه يسع الرعية ما لا يسع الراعي من التمتع بحظوظ الدنيا ، لأن الراعي إن أشبع شهواته ضريت وقويت ، ولا تصل إلى غاية من الحظوظ حتى تتطلع إلى غيرها ، فيستكثر من الأموال وربما كان ذلك ذريعة إلى تطلعه إلى ما بأيدي الرعية ، ليشبع شهواته الجامحة ، ويسكت نوازعه القوية ، فلذلك كان يحب من ولاته المتقشف المعتاد شظف العيش

يروى انه كان يجمع ولاته فى كل عام من أمصارهم ويولم لهم وليمة يقدم فيها من خشن الطعام وغليظه ، ثم يراقبهم وهم يأكلون ، فمن رآه قد عافه علم انه مترف ، فيكرهه لولايته ، ومن رآه قد ملأ بطنه منه ، علم انه متقشف فأحبه لولايته . ولم يكن عمر بدعا فى هذا الرأى فقد رآه بعض فلاسفة اليونان من قبله ، ومن يقرأ الجمهورية لأفلاطون ير ما يشترطه على الحكام من عزوف عن حظوظ الدنيا ومتعها ، والفرق بين أفلاطون وعمر ان أفلاطون رآه وفرضه على الحكام ، أما عمر فقد رآه وفرضه على نفسه وعلى عماله والحكام

ومن جوامع الأسباب انه كان يرى ان الخليفة يجب ان يكون حظه من الدنيا كحظ أدنى رعيته يشهد لذلك قوله : اذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة الناس

التقشف يحفظ القوة والنجدة

وآخر هذه الأسباب التى جعلت عمر يؤثر التقشف على الرفاهية والترف انه كان يرى ان الترف مذهب للبأس من الأمة ، وان الخشونة تحفظ عليها قوتها ونجدتها ، لذلك كان يكره الترف فى كل شىء لما يورث من النعومة والطراوة واللين، فمن ذلك انه ما كان يركب الفرس منتصبا بالركاب بل يقفز من الأرض فاذا هو على ظهر الفرس وكأنما خلق عليه

يكره فى كل أمره عادة العصر ، واننا نرى الأمة الانكليزية فى هذا العصر تأخذ بهذا المبدأ ، فرجال الطبقة العالية منهم يزاولون الاعمال الشاقة كتسلق الجبال والتجديف فى الانهار ، والألعاب الرياضية الشديدة ، ليعينوا على رجولتهم التى تمكن لهم فى الحياة ، فانهم يعلمون أن الأمم اذا تساوت فى المواهب العقلية فأظفرها على الغلب أقواها رجولة

رحم الله عمر بن الخطاب فقد كان صادق الفراسة ، قوى الظن ، فما تصفحت تاريخ الأمة الاسلامية تراه يتلخص فى هذا البيت :

ما أفسد الدين والدنيا سوى ترف هذى بواقيه تسرى فى بواقينا

محمد عرفة

الإسعاف الطبي والوقاية الصحية

وضع أساسهما عمر بن الخطاب

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد

مدير مستشفى الملك

لقد صور العقاد أحسن تصوير موضوع الفاروق ، ولكن هذا الرجل العبقري عملاً سبق بعبقريته عصره وجنسه بآماد طويلة ، فابتكر شيئاً وأوضاعاً لم يعرفه العالم الحديث إلا في هذا العصر الحديث ، كما ترى في هذا المقال الذي يبين الأسس التي وضعها عمر للصحة العامة والإسعاف الطبي

لو سألت أي طبيب من الأطباء المعاصرين عمن وضع أساس التمريض على عواتق الآنسات والسيدات لما يبين من الصفات التي تؤهلهن لهذا العمل الشريف ، كالشفقة والرحمة والرأفة والحنان وخفة الحركة وعذوبة اللسان وحسن المعاملة والصبر ، لكان الجواب على الفور : هي المس نايتنجيل عندما قامت بأعمالها المجيدة في حرب القرم

ولو راجعنا كتب التمريض والموسوعات المختصة لظفرنا بمثل هذا الجواب . وما أدري كيف نسي مؤرخو الإفرنج وهم يكتبون تاريخ التمريض ما لنساء العرب في صدر الإسلام من النصيب ، مع أنهم أشادوا بما من الجمهور الإنكليزي من المعارضة والمقاومة يوم فكرت المس نايتنجيل في التمريض كأنها أقدمت على عمل غير سابق ، أو كأن نساء العرب لم يسبقنها في صدر الإسلام في مداواة المرضى والقيام على الجرحى

ويكاد يكون قريباً من ذلك سهو المؤرخين من الإفرنج ذكر روح الإسعاف وروح الهلال الأحمر مما كان منتشراً في صدر الإسلام وظاهراً جداً في عهد الفاروق رضي الله عنه . فقد قيل على ما ورد في البخاري : « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء من نساء أهل المدينة ، فبقي منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده . يا أمير المؤمنين اعط هذا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عندك ، يريدون أم كلثوم بنت علي ، فقال عمر : « أم سليط أحق به منها » (وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله) قال عمر : « فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد » والمروط جمع مرط وهو كساء من صوف أو خز يؤتزر به وربما تلقيه المرأة على رأسها

فتلمع به ، والزور الحمل على الظهر . ولم يقتصر عمل النساء في أثناء المغازي في صدر الاسلام على حمل القرب بل كن يداوين المرضى ويقمن على الجرحى

وسنقص فيما يلي ما يدل على انتشار روح الاسعاف الطبي في عهد الفاروق وكذلك على انتشار روح الهلال الأحمر في الوقت نفسه ، لان الاسعاف الطبي جزء من برنامج الهلال الاحمر في زمن السلم يتلخص في تحسين الصحة العامة واتقاء الامراض وتخفيف الآلام والاسعاف في الكوارث المختلفة وتنشئة الصغار على حب السلام حتى اذا شبوا كانوا قوة في كفة السلم ، ومما يدخل في هذه الاغراض تقديم الطعام في أوقات المجاعات وتقديم الثياب والنفقة عند اللزوم . واليك ما صنعه عمر بن الخطاب تحقيقا لهذه الاغراض :

فقد روى عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : « خرجت مع عمر بن الخطاب رضوان الله عليه الى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً ليس لهم زرع ولا ضرع وخشيت عليهم الضبع ، وأنا ابنة خفاف بن أيمن الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوقف معها عمر ولم يمض وقال : مرحبا بنسب قريب ثم انصرف الى بعير كان مربوطا في الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وحمل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها بخطامه وقال : اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير . فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها . فقال عمر : ثكلتك أمك والله انى رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحناه ثم أصبحنا نستفيء سهامهما فيه »

وكذلك روى التاريخ فيما روى عن أنس بن مالك قال : « بينا عمر رضوان الله عليه يعس بالمدينة إذ مر برحبة من رحابها فاذا هو ببيت من شعر لم يكن بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعداً فدنا منه فسلم عليه ثم قال : من الرجل ؟ فقال : رجل من أهل البادية جئت الى أمير المؤمنين أصيب من فضله ، فقال وما هذا الصوت الذي أسمعه في البيت ؟ فقال انطلق رحمك الله لحاجتك ، قال على ذلك ما هو ؟ قال : امرأة تمخض قال : هل عندها أحد ؟ قال : لا ، فانطلق عمر لامرأته أم كلثوم بنت علي رضوان الله عليها وقال لها : هل لك في أجر ساقه الله اليك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة تمخض ليس عندها أحد قالت : نعم إن شئت . قال : فخذي معك ما يصلح للمرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئيني ببرمة وشحم وحبوب ، قال فجاءت به فقال لها انطلقي . وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى الى البيت فقال لها : ادخلي الى المرأة . وجاء حتى قعد الى الرجل فقال له : أوقد لي ناراً ففعل ، فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع يا أمير المؤمنين كأنه هابه فجعل يتنحى عنه فقال له : مكانك كما أنت فحمل البرمة فوضعها على الباب ثم قال : أشبعيها . ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب فقام عمر رضوان الله عليه فأخذها فوضعها بين يدى الرجل فقال : كل ويحك ! فانك قد

سهرت من الليل فصل . ثم قال لامرأته اخرجي وقال للرجل اذا كان غداً فأتنا نأمر بما يصلحك ففعل الرجل فجازاه وأعطاه »

وانظر الى عمر هذا الذي قام بهذا العمل الجليل كيف يخشى الله مع تفانيه في خدمة رعيته ، فقد روى عن جعفر بن زيد العبدي قال : « خرج عمر رضوان الله عليه يعس بالمدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من الأنصار فوافقه قائماً يصلي فوقف يسمع قراءته فقرأ « والطور » حتى بلغ : « إن عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع » فقال . قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حماره فاستند الى حائط فمكث ملياً ثم رجع الى منزله فمرض شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه »

وقل لي أيها القارىء الكريم ألا تتم هذه الحكاية عن روح الاشفاق بأكرم معانيه وأدقها وأرقها ؟

واذا قرأت في هذه الأيام في احدى الجرائد أن ذلك الملك قد تفضل فزار مع تلك الملكة أحد المستشفيات فواسيا المرضى والجرحى ، وطيبا خاطرهم ، ووزعا لهم شيئاً من الحلوى كالشوكولاتة وشيء من الورد والأزهار ، وأفاضت صحيفتها هذا عملاً مأثوراً وسعياً مشكوراً تتحدث به الجرائد والمجلات ، وتنشر لها الصور المختلفة وهما يتجولان في المستشفى ويقابلهما أولو الشأن، ثم وهما يطوفان بسائر المرضى والجرحى ويواسيانهم الى أن يخرجا بمثل ما دخلا به من آيات التبجيل والاحترام ؟ أما عمل عمر بن الخطاب وامرأته في جوف الليل ، فالبالغ حد المروءة والكرم ، فلعلك لأول مرة تسمع به مذكوراً ، ولعلك لأول مرة تراه على الصفحات منشوراً ، وهلا ترى أيها القارىء الكريم أن عملهما هذا في هذا العصر البعيد هو أساس ما وصل اليه الرقي في هذا العصر مما يسمى (رعاية الطفل) ؟ من مراكز رعاية الطفل يقوم الأطباء والطبيبات بتوليد الوالدات في بيوتهن . وقد تقدم هذه المراكز في الوقت نفسه للوالدات المعسرات شيئاً من المساعدة المالية أو المادية كثياب الطفل الى غير ذلك مما يحتاج للمرأة في أثناء الولادة

• • •

وان تعجب من انتشار روح الاسعاف الطبي في روح الهلال الأحمر فاعجب من أن روح الوقاية الصحية لم تكن أقل انتشاراً في عهد الفاروق رضوان الله عليه ، فقد روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضوان الله عليه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ ـ أول الحجاز وآخر الشام ـ لقيه أمير الأجناد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال ارتفعوا ثم قال : ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم . فقال ارتفعوا

عنى ثم قال ادع من كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم رجلان فقالوا إنا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر فى الناس : انى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه . فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله تعالى ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله الى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان احداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً فى بعض حاجته فقال ان عندى فى هذا علماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » فحمد الله عمر ثم انصرف

ونجد من أن عمر لم يرد أن يقطع فى شيء مستنداً برأيه بل فضل أن يستشير اخوانه وأصحابه رضوان الله عليهم ، قل لي ألا ترى فى هذه الحكاية مبدأ (العزل) الذى يعتبره رجال الصحة فى جميع العالم أساساً لاتقاء الأمراض المعدية ؟

وكذلك جاء فى كتاب الفاروق عمر بن الخطاب طبعة المكتبة الاهلية ببيروت ما يأتى :

« وعمر أول من فرض للمجذومين شيئاً من بيت المال ومنعهم بذلك عن الاختلاط بالناس فكفاهم أمر حياتهم وكفى الناس أمر العدوى والضرر »

وهذا يدل على ذلك الأساس على أحدث نظام وهو نظام المستعمرات للمجذومين كما هو متبع فى أرقى البلاد التى لا يزال فيها هذا المرض منتشراً ؟ وكذلك جاء فيه ما يأتى

« وقال عمر : لا تزالون أصحاء ما نزوتم على ظهور الخيل ونزعتم عن القسى » أفلا يدعو الفاروق رضوان الله عليه بهذه العبارة البليغة الى ركوب الخيل والتمرين على الرماية وهما من أحسن أنواع الرياضة البدنية وأنفعها للشبان للدفاع الوطنى . ونراه رضوان الله عليه يدعو بعبارة أخرى الى نظافة الجسم ونظافة الثياب وهما من أهم أركان الوقاية الصحية فهو يقول : « يعجبنى الشاب الناسك نظيف الثوب طيب الرائحة »

وانظر الى قوله رضى الله عنه : « اياكم والبطنة — وهى كثرة الاكل — فانها مكسلة عن الخير مفسدة للجسد مورثة للسقم ، ولن يهلك العبد حتى يؤثر شهوته على دينه » أقول انظر الى عبارته هذه ألا ترى فيها جماع ما يلزم الانسان للوقاية من آفات جهاز الهضم وما يعقبها من المضاعفات ؟

ومن أهم وسائل الوقاية الصحية التى كان يدعو اليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه منع غش الناس لبنهم بالماء ، وهو ما تحاربه وزارة الصحة فى هذا العهد بأقصى جهودها

فقد روى أن عمر كان يعس بالمدينة إذ عيى فاتكأ على جدار فى جوف الليل واذا امرأة تقول لابنتها يا بنتاه قومى الى ذلك اللبن فامذقيه بالماء . فقالت : يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ فقد أمر مناديه فنادى لا يشاب اللبن بالماء . فقالت : يا بنتى قومى الى اللبن فامذقيه بالماء

فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر . فقالت الابنة : والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء ، وعمر يسمع ذلك كله فقال لمولاه أسلم : علّم الباب واعرف الموضع ، ثم مضى في عسسه . فلما أصبح قال : يا أسلم امض الى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل ؟ فذهب ورجع فأخبر عمر فدعا عمر ولده وقال : هل فيكم من يحتاج الى امرأة فأزوجه . ولو كان بأبيكم حركة الى النساء ما سبقه منكم أحد . فقال عاصم : أنا يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني ، فزوجها من عاصم ، فولدت له بنتا وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله

ولم يكتف رضي الله عنه بغش اللبن كالوسيلة الرقابية الوحيدة في موضوع اللبن ، بل كان القوم في عهده اذا أرادوا أن يحلبوا الناقة أراحوها وتركوها حتى تستقر ثم غسلوا أخلافها قبل الحلب . وإراحة البقر والجاموس وتركها حتى تستقر ثم غسل الضروع قبل الحلب من الوسائل الرقابية الحديثة

فقد روي أن كلاب الكناني سأل عمر بن الخطاب أن يغزيه فأمره ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب عن أبيه قال أبوه في ذلك شعراً ، فلم يرد عمر ابنه ، ثم أتى عمر وهو في المسجد فوقف عليه وأنشد أبياتاً رق لها قلب عمر فبكى وكتب الى سعد يأمره بإرسال كلاب ابن أمية الى المدينة

فلما دخل عليه قال له : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أكفيه أمره وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب لبنا أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحلب له فأسقيه . فبعث عمر الى أبيه فجاء يتهادى وقد ضعف بصره وانحنى فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما ترى يا أمير المؤمنين . فقال : هل من حاجة ؟ قال : نعم أشتهي أن أرى كلابا فأشمه شمة وأضمه ضمة قبل أن أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ في هذا ما تحب

ثم أمر كلابا أن يحلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ويبعث اليه بلبنها ففعل فناوله عمر الاناء وقال: دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه الى فمه قال لعمر : والله يا أمير المؤمنين اني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الاناء ، فبكى عمر وقال له : هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به ، فوثب الى ابنه وضمه وقبله وجعل عمر ومن حضر يبكون وقال عمر لكلاب : الزم أبويك ما بقيا ثم شأنك بنفسك بعدهما . وأمر له بعطائه وصرفه

ومن سلسلة اللبن أيضا أن عمر بن الخطاب كان يأمر بتوزيع اللبن على الفقراء من الأولاد لتغذيتهم ، وهو من الأنظمة الحديثة المتبعة في بعض البلاد في مراكز رعاية الطفل ، واليك ما يدل على هذا النظام في عهده رضي الله عنه :

فقد روي أن رفقة من التجار قدمت الى المدينة فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان . فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحو

أمه فقال لها : اتقي الله وأحسني الى صبيك . ثم سمع بكاءه آخر الليل فأتى أمه فقال : ويحك انى لأراك امرأة سوء ، مالي أرى صبيك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله قد أضجرتني منذ الليلة انى أريغه على الفطام قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لا يفرض لرضيع انما يفرض لفطيم . قال عمر : وكم له ؟ قالت : اثنا عشر شهرا . قال : لا تعجليه . وذهب فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين . ثم أمر مناديه ألا تعجلوا أولادكم عن الفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وكتب بذلك الى الآفاق كافة .

ومن وسائل الوقاية الصحية حرصه على اقامة الحد على شاربي الخمر حرصا على تحريمها ، اتقاء لضررها كما يتضح مما يأتي .

فقد كتب اليه أبو عبيدة أن ضرارا وأبا جندل وعمرو بن معدي كرب وغيرهم شربوا الخمر وانهم أجابوا حين سألهم : « خيرنا فاخترنا » قال : « فهل أنتم منتهون » ولم يعزم . فكتب اليه عمر : معناه فانتهوا وقال له : أدعهم على رؤوس الناس وسلهم هذا السؤال لا تزد عليه ولا تنقص منه : أحلال الخمر أم حرام ؟ فان قالوا حرام فاجلدهم وان قالوا حلال فاضرب أعناقهم . فسألهم أبو عبيدة وكانوا أحسوا بالشر فقالوا بل حرام فجلدهم وجثوا على ركبهم ثم تابوا .

ولولا خوف من ملل القارىء الكريم لتماديت في سرد ما يدل على أن عمر رضي الله عنه وضع أساس الاسعاف الطبي والوقاية الصحية .

الدكتور محمد عبد الحميد

كلمات مأثورة عن الفاروق

- ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع
- من كتم سره كان الخيار بيده
- رب نظرة زرعت شهوة ، ورب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا
- أعقل الناس أعذرهم للناس

ان حلم العلماء بالانسان الأعلى

قد تحقق في عمر بن الخطاب

عمر والمثل الأعلى

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

الانسان الأعلى هو حلم الانسانية من قديم ، وهو يتمثل لنا قوى الجسم قوى النفس معا . وقد عملت المدنيات القديمة على تمثيله ، ولا سيما الاغريق الاقدمون ، فكان كل اغريقى يأخذ بنصيب من الثقافة الفنية والرياضة البدنية . وكان الفلاسفة يمجدون الاجسام القوية الجميلة ، وكان أصحابها الفتيان يتتلمذون للفلاسفة ويستمعون لحديثهم المشبعة من الحكمة وطيبة . . . وأخيراً هذه هى المدنيات الحديثة — وحسبنا الاشارة الى نظم التربية في البلاد الانجليزية والى الحركة القائمة في ألمانيا النازية — تسعى سعيها مطرداً كلٌ أو عنيفاً بما أملته من النظم والأوضاع وما أحدثته من المذاهب والانقلابات ، كل دولة على طريقتها بين القصد والشطط ، الى تحقيق هذا المثل للانسان الأعلى

وبعد فلننظر الى عمر بن الخطاب كما وصفه واصفوه ، لنتبين بالمقابلة كيف تحقق عند العرب هذا المثل الأعلى كما ينشده فلاسفتهم

كان عمر قويا ، شديد الأسر ، طوالا مشرفا على الناس يفرعهم ، وكان لطوله كأنه راكب ، جسيما ، أصلع ، آدم شديد الحمرة — وانما تغير لونه عام الرمادة لعكوفه على أكل الزيت وتحريمه على نفسه السمن واللبن حتى يخصب الناس ويزول عنهم ما نزل من قحط . وكانت سبلة اللحية في أطرافها صهوبة من الحناء ، وفى عارضيه خفة . وكان أعسر أيسر يعمل بكلتا يديه . وكان إذا تكلم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع . ويروى عن وثوبه أنه يأخذ أذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع باليسرى جراميزه (ما يشمر من ثيابه) ويثب على فرسه فكأنه خلق على ظهره

ونحن نسمع اليوم الى الضجة القائمة في أوربا الوسطى ، ونقرأ الدعوات الملحة المتعاقبة في أنحاء العالم المتحضر ، بوجوب الأخذ بالقواعد اليوجينية والعمل على اصلاح النسل ، وما يقترحونه في هذه البلاد أو تلك من شتى الوسائل كاعادة النظر في قوانين الزواج والاشراف عليه اجتماعيا وطبيا ، والذهاب الى حد تعقيم غير الأصحاء وحرمانهم من النسل ، ومنع الاقتران بين الآريين

وغيرهم من الأجناس البشرية إلى غير ذلك ، ثم تعهد النشء بالرياضة البدنية وتدريبهم على الحياة العسكرية حتى تكفل الدولة إنجاب جيل من الجبابرة يقوم عليه بناء الدولة العظيمة . وما نظن إلا أن عمر بن الخطاب كان فيهما مثال النمط المطلوب ومجيء على رأسهم

ويثبت الإنسان الأعلى عادة في النبت الكريم حيث تحدوه القلب الحرة والأعراق الأصيلة ، فيجتمع له من أسلافه من كرم الصفات وغر الخلال . وهيهات تكون الصفة المكتسبة كالصفة الموروثة ، لأن التطبع بالفضائل لا يكون إلا بالمعاناة وحمل النفس على مكروهها ، وليس يتحول التطبع بها طبعا متأصلا إلا بعد معالجتها المرء أجيالا بعد أجيال . فما من طبع كريم في نفس إنسان إلا وهو موروث ، وأما ما ليس موروثا فهو ناقص لأنه مجرد عادة فلا غرو أن يبلى بالعمر ولا يثبت على المحن . فأبناء الكرام نشأوا من صغرهم على الأنفة وعزة النفس ، وتعودوا السيادة ، ولم يعرفوا الخضوع ، وحماهم جاه أهليهم الامتهان لم تستذلهم الحاجة وطلب القوت ، ولم يبلد شعورهم دوام الكد في خدمة الغير كالخضوع للسخرة من غير إرادة ولا اختيار ، فإذا أفاد هؤلاء لأصحابهم قوة عضلية فإنها قوة غير قوية ، وإذا أفادوا عاشهم التي فاتهم من الحرص عليه أدنى إلى المسكنة وارتضاء الملومة في الحق والشرف . أما الكرام أبناء الكرام فإنهم في طلبهم العز والثروة والقوة مطلوب السيادة

ولقد كان عمر من أشراف العرب ، فقومه من عدي ولهم في قريش منزلة رفيعة ، وكانت السفارة فيهم والاحتكام إليهم إذا نشب في قريش خلاف أو وقعت حرب بينهم وبين غيرهم . وكان في حال صغره يرعى غنم أبيه ، ثم اشتغل بالتجارة عن ماله وقدم الشام متجرا غير مرة في الجاهلية ، وما زالت هذه صناعته في الجاهلية والإسلام حتى ولي الخلافة فتركها اشتغالا عنها بمصالح المسلمين ، وكان يشترك في حلقات المصارعة بسوق عكاظ كما أنه من الأقلين الذين كانوا قبل مجيء الإسلام يعرفون القراءة والكتابة . وبالجملة كان عمر فارسا شديدا ، ومصارعا جلدا ، وخطيبا مفوها

وكان العرب في الجاهلية يصلون سرا ويجتمعون في دار الأرقم في أصل جبل الصفا مستخفين ، لقلتهم وشدة قريش عليهم ، فما أسلم عمر حتى راح يطوف بمجالس المشركين معلنا إسلامه هنا وهناك متعرضا للخصومة والمصارعة . وقد ألح على الرسول مطالبا بإظهار الدين فخرج رسول الله في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر حتى دخلوا الكعبة ، ومن يومئذ سمي الفاروق . ولم يؤثر أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا ، إلا عمر فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهما واختصر عنزته (عكازة لها زج في أسفلها) ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ثم أتى المقام فصلى متمكنا ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ، وقال لهم : « شاهت الوجوه ! لا يرغم الله إلا هذه المعاطس . من أراد أن تثكله أمه ، ويؤتم ولده ، ويرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي » . وكان عمر يؤثر القتال مع

قلة الأعوان على صحيح رأيه غير شريف كصلح الحديبية . وكان مع حبه للشورى لا يستوحش من الوقوف وحده والاضطلاع بمسئولية الرأى يراه بمفرده ، وقد اختلف مع الرسول وخليفته أبى بكر فى مصير أسرى بدر إذ كانت مشورته فيهم القتل ، وفى تنظيم توزيع الأعطيات من بيت المال إذ كان حكمه بعدم التسوية والتفضيل بالسابقة فى الدين ، وفى عزل خالد بن الوليد سيف الإسلام فى أوج انتصاره ، وكذلك فى تعطيل بعض الأحكام الشرعية كما نصت بها السنة كتحريم المتعة ووقوع الطلاق الثلاث ، وغير ذلك من الأمثلة على أنفته وعزة نفسه واستقلال شخصيته كثير يضيق القلم عن سردها لأنها تنتظم سيرته كلها

وإلى هذه الأنفة للإنسان الأعلى من الألم ليصهر معدنه ويصفيه ويجعله كالنصل للذكر المصقى . ولا نعنى بالألم ما يبرح تحته الكسير ولا يشكون منه غير الضراعة والأنين ، بل نعنى ما يكتوى به الحر الشاق بين جنبيه ويبعث فيه على الاحتمال والجلد ويحفزه إلى المقاومة والعناد ، ويحفزه إلى التمرد والاستعلاء . وعلى هذا الوجه يكون الألم مصدر العظمة . فلا يزال نزول الحتم الذى لا مرد له كالصخر الساحق الأصم ، بل هو كالقوة الشاعرة ، تعالجك وتعالجها وتصارعك وتصاولها وتعصف بك وتطمع فى قهرها . وأكثر ما يكون هذا الألم مصحوبا ، ينشأ عن عدم موافقة الوسط ، وعن سوء تفهم الخاصة والعامة ، وتعدد صور المرية وشدة الشكيمة وتزيد فيهما ، وهما عماد الإنسان الأعلى وعدته . وقد عرف عمر بن الخطاب هذا الألم وأخذ منه شدة على شدته حتى يبس وراءها مريد . ثم إن الألم وإن أصاب الإنسان الأعلى فى شخصه فإنه يفقد عنده معناه الشخصى ، ويختلط بكل ما يشكو منه الأحياء ، فإذا هو ثأر الحياة العامة يدعوه للجهاد لا كالطغام الذين يدفع عن نفسه بل جهاد المصلحين بكل ما فى هذا الجهاد من سمو وشرف

والإنسان الأعلى مصور بطبعه إلى الاهتمام بما فيه صلاح الأجيال المقبلة وإسعادها ، شديد الشعور بحقوقها عليه والتزاماته نحوها ، فهو لا يبقى لنفسه ولا لتوفير الراحة والسعادة لأسرته وأهل زمانه بل هو لا يبرح متطلعا إلى المستقبل كأهل الكشف وأصحاب الرؤى ، ويريد أنه يسعى لتحقيق أحلامه ويعمل على جعلها حقيقة واقعة عن قريب . فهو خيالى ويحلق إلى أقصى الحدود . وليس بخلو عظيم من هذا العنصر الخيالى ولو زعم أنه غير ذلك . فهو أبدا عامر القلب بالإيمان بمستقبل الإنسان ، معنى بالغاية البعيدة العالية ، مقبل فى سبيلها على العمل والتضحية ، وكما يقسو رجل الدين على جسمهم فيلحق الأذى بأجسامهم ، وقد يقضى على حياتهم ، وهو — فى هذا — أشد ما يكون رحمة بهم لأنه ناظر إلى خلاص نفوسهم ، فكذلك يعمل الإنسان الأعلى فيبعث أبناء جيله ويحملهم على المكاره ويحبب إليهم الاستشهاد لتخلص نفوسهم ويتمتعوا بالحياة الباقية فى الأجيال الآتية . ولا معنى لمن يحبه مستقبل الإنسانية أن يجعل حياة الحس فوق الإرادة ويقدم خير الحس ومصالحه على قدر ما يعانونه من مشاق وآلام

وقد كان عمر أمير المؤمنين أول من حمل الدرة مصطحبا لها فى غدوه ورواحه ، يضرب بها فى كل مناسبة من يرى تأديبه لسوء رأى أو تقصير ، فتارة يخيف بها وتارة يحقق ، ولا يمنعه أن يعلو حدتها رأس الكبير قبل الصغير ، فهى كثيراً ما كانت تتكلم عنه ، وكثيراً ما كان يعتمد عليها فى توكيد زجره وانتهاره . وكان لا يدعها حتى فى المسجد حيث يقوم بين الصفوف فيقول : « استووا ! » ثم لا يكبر حتى يستقبل الصف للتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدماً فى الصف أو متأخراً ضربه بالدرة . وبلغ من رهبته عنه أن قيل فيها « درة عمر أهيب من سيوفكم » . وذهب بعضهم الى أنه وقعت زلزلة فى المدينة ، فضرب عمر الدرة على الارض وقال : « اسكني باذن الله » فسكنت ! وكانوا اذا ذكروا عنه قالوا انه أمر عظيم ! ولا عجب فان كل علماء التاريخ يطوون على هذه الدرة المعجزة . والعظيم حريص شديد على التزام حد الشرع لا تأخذه فى ذلك هوادة

ولم يكن عمر يأخذ بهذه الشدة الأبعدين دون الأقربين . بل كان اذا أراد أن يأمر المسلمين بشىء أو ينهاهم عن شىء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله فجمعهم فقال : « انى نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون اليكم نظر الطير الى اللحم ، وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله الا أضعفت عليه العقوبة » . وكان هو نفسه أشرب الناس للخمر فى الجاهلية فما زال فى الاسلام ينهى عنها ويبتهل الى السماء « اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافيا » حتى نزلت الآية بتحريمها ، وقد بلغ من مقته لها أن جعل الحد فيها ثمانين جلدة وقد حد عمر ابنه عبد الرحمن واسمه أبو شحمة فى الخمر فمات . وكان لا يفرق فى المعاملة بين المسلمين سواء فى ذلك الملك والسوقة . وحكايته مع ملك غسان جبلة بن الأيهم مشهورة ، فانه لما أسلم وفد على عمر بن الخطاب فى أبهة الملك وحشمه فتلقاه عمر بالترحيب ، وبينما هو يطوف يوما وطىء على إزاره اعرابى من بنى فزارة فضربه على وجهه فشكاه الاعرابى الى أمير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له : « اما أن ترضيه واما أن يضربك كما ضربته » وكذلك كان موقفه من العمال وعماله على الولايات فقد كان شديد المراقبة لهم والتعقب لأخبارهم ، يستشير أحيانا فى تعيينهم أهل الأقاليم أنفسهم ، ويستعلم دائما من الوفود عن سيرتهم ، ويبعث من يحقق الشكايات فى حقهم

وقد أحدثت هذه الروح الجادة أثرها فى الناس فأخذوا الحياة مأخذ الجد . وبهذه الروح أقبلوا على الفتوح فى الشام وفلسطين ومصر وفارس ، وغلبوا الروم فى أدنى الأرض واستولوا على ملك الأكاسرة . كما أنهم أقبلوا فى الوقت نفسه على تمصير الأمصار ونشر العمران ، فشقت الطرق ، وأقيمت الجسور ، وحفرت الترع ، وكتب التاريخ الهجرى ، ووضعت الدواوين لاحصاء المسلمين وضبط موارد الدولة وتوزيع الأعطيات ، ومسحت أراضى السواد ، وأنشئت دور الضيافات ومؤونة ، وضربت النقود ، ووضعت ولاية الحسبة للاشراف على الأسواق ومراقبة الأسعار ، وعززت الحصون ، وجعلت المرابطة من الجند فى الثغور ، وعنى بالمناظر المرفوعة على رءوس

العمال ، ونظم الحرس والشرطة ، وبنى السجون للمعتدين ، واستعمل البريد في نقل الرسائل

وقد كان عمر يخشى على المسلمين من ليونة العيش والترف حتى كان يشترط على عماله ألا يركبوا برذونا ، ولا يأكلوا نقيا ، ولا يلبسوا رقيقا . وقد غضب على سعد بن أبي وقاص وهو فاتح دولة فارس حين سمع أنه بنى له في الكوفة قصرا ليكون دارا للامارة وأنه يحتجب عن الناس بالأبواب والحجاب . ويروى أنه دخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسانا فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه ، فقالت له ابنته حفصة « لم ضربته ؟ » قال : « رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها اليه » . وكان لباس عمر أمير المؤمنين جبة ثوبا صفيقا مرقوعا . وكان تقشفه يشق أحيانا على صحابته وقد قالت له ابنته مرة في حنو ومرارة « لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاما هو ألين وأطيب من طعامك ! » . وقد قنع من بيت المال بالكفاف له ولعياله ، وحلة الشتاء وحلة الصيف ، وراحلة عمر للحج والعمرة ، ودابة لحوائجه وجهاده . وكان عمر يقوم أحيانا في اليوم الصائف الشديد الحر الشديد السموم متزرا ببرد أسود وقد لف رأسه بآخر ، يدهن ابل الصدقة بالقطران ويعدها ويكتب ألوانها وأسنانها ويصحبه الخطيرة !

على أن هذا الذي عرف في خلق عمر من الشدة والعنف لا ينافي الرحمة ولا ينفيها . وان في نفس العظيم دائما لشدة ، لأن اهتمامه بالعظائم والمعالي الجسام يشغله عن الالتفات الى سفاسف الآلام . كما أن شدته تأتي لا محالة مع الأقوياء تعصبا لضعيفهم . فان عرض له موضع كريم للرحمة كان أحنى الناس وأسرعهم الى الاغاثة . وقد اشتهرت عنه حكايتان في [illegible] وبهما الكتابة . تروى احداهما سيره ووقوفه على امرأة ومعها صبيان لها يتضاغون جوعا ، وكيف انطلق عمر مبادرا من فوره الى دار الصدقة وعاد يحمل غرارة فيها لهم مؤونة . والأخرى عن انطلاقه بزوجته أم كلثوم لتقوم في خدمة اعرابية من أهل البادية تمخض في خيمتها وليس عندها أحد . والرحمة لا تأخذ ابن الخطاب في دينه ، فان مثل هذه الرحمة تدل على ضعف في الملكة الأخلاقية . وكان عمر في ورعه وتقواه يكره التعمق والتنطع في الدين ولا يجهل الطبيعة البشرية ومداخل الشر اليها ، وقد ذكر قوم عنده رجلا فقالوا « يا أمير المؤمنين فاضل لا يعرف من الشر شيئا » فقال : « ذاك أوقع له فيه » . وقد كانت الرحمة عند عمر مرادفة للاغاثة وهي من طباع الرجل القوي ، أما الترفق فهو نقص في الرجولة لا يعرفه الانسان الأعلى

ونحن - مما تقدم - في غنى عن القول بأن حلم الانسانية بالانسان الأعلى قد تحقق في عمر بن الخطاب . وما برح الأفراد العظام في متطاول الأحقاب يردون ثقتنا بالنفس البشرية ويحققون بين حقبة وأخرى حلم الانسان الأعلى ، فيطلع العظيم منهم كأنه الصدفة الموفقة ساقتها الدنيا لطالع مسعود . ولكن هذا الحلم - وا أسفاه - متى تحقق في عالم الوجود ، لا يلبث أن يعود الى عدم الأطلاق شأن كل موجود

عبد الرحمن صدقي

عمر بن الخطاب

أثره في التقدم الإنساني

بقلم الأستاذ علي أدهم

« ... وسيطر عمر على عيوب العرب يصرفها كيف شاء ، واستطاع كبحها ووقف شرور الأشرار وردعهم ، ولم يستخدم الطاقة الخاصة ولا النفوذ لمآربه ولا يقبل بالمدنى أن يستهوي به ويصرفه عن طريق الزهد وسبيل التقوى .. وعمر يعتبر بحق أحد من ساهموا في حركة التقدم الانساني الواسعة ووجهوا سبيله واستحثوا سيره »

يتفق أصدقاء الاسلام وخصومه على أنه قد لعب دوراً خطير الشأن في التاريخ العالمي وأثر تأثيراً عميقاً في سير الحضارة ، فقد قدم للعالم ديناً مختاراً واسع الحدود سامي التعاليم بريئاً من الغوامض التي تنبو على العقل ، وشريعة سمحة لا تفرض على الانسان ما يرهقه ويخرج عن طاقته ولا تحاول أن تخرجه من أدق إنسانيته ، وبث أفكاراً حية صريحة عن الأخاء الانساني والمساواة بين الناس تثير رواقد الضمير وتحرك في النفس حب الخير والعدل . وأكبر فضل في نجاح قضية الاسلام وانتصار مبادئه يرجع الى ثلاثة رجال أولهم وأعظمهم شأناً وأسماهم أمراً وأروعهم شخصية هو النبي محمد صاحب الرسالة ، ثم أبو بكر الصديق صديقه وصفيه ، ثم عمر الفاروق خليفته الثاني . ولست أنكر فضل غيرهم من أفذاذ الرجال الذين قدموا للاسلام خدمات كبيرة وتضحيات هامة ، ولكن هؤلاء الثلاثة هم واضعو الأساس ومديرو الحركة . فالنبي محمد هو الذي أخرج العرب من فوضى الجاهلية الى نور الاسلام وأطلقهم من أسر الأوهام والتقاليد التي كانت تستمد أهميتها من عصور عريقة في القدم ، ونهض بأعباء الرسالة وما تتطلبه من مجهود شاق وإقدام وتضحية . وقد كانت المعركة التي دارت بينه وبين الوثنية تعرضه لأشد الخطر ، ولكنه كان ممتلىء النفس بالحب الالهي متقد الحوافز بالحماسة المقدسة ، فاندفع فيها بكل ما أوتي من قوة حتى انتصر دينه وتوطدت أسسه

ولقد كانت حياة العرب في الجاهلية حياة مرحة مطلقة العنان نافرة من القيود ، حياة لهو وغرور وطيش . كانت الحرب والسيف والنساء والخمر والميسر هي مناط أهوائهم ومدار حركتهم ، وكانت هذه الحياة الطروبة لا تمر بها أفكار جدية ولا يشوب صفاءها تأمل ديني ولا يزعجها التطلع

الى معرفة الحق ولا يقلقها الشعور بالنقص والحاجة الى الاصلاح . وكان الاهتمام بالحاضر الراهن والاستمتاع به واجتناء ثمرة النصر فى الميدان هى اكبر غاية فى حياة العربى الجاهلى المترجحة بين الأبيقورية الكاملة واللاأدرية الكئيبة ، والكراهة للنسك والزهادة والشعور بالواجب

وقد سما الاسلام بالعرب وأوسع آفاقهم الفكرية وعمق نفوسهم ، وجعلهم يشعرون بوجود هذه القوة الرهيبة المستورة المجهولة القاهرة « الله » ، وغرس فيهم التضحية والبذل وجعلهم مضرب المثل فى الاقدام والبطولة ، وأرسلهم الى العالم رسل حضارة جديدة ودعاة دين خالد

وقد كانت رابطة القبيلة وآصرة القرابة هى الصلة الوحيدة التى تربط الجماعات فى هذا المجتمع العربى المفكك ، ولم يكن فى وسع العربى أن يدرك أى واجب اجتماعى أو أن يفهم أى وحدة سياسية غير قائمة على العصبية والقرابة

وكان نجاح مبادىء الاسلام والعمل على تطبيقها يقتضى توهين عصبية القبيلة ، وازالة هذا الضيق فى الشعور والعطف ، وتحطيم حواجزه وتوسيع نطاقه ومحاولة استبداله بشعور عام شامل بالاخاء فى الدين والمساواة فى الحقوق . وقد وفق النبى فى تحقيق ذلك الى مدى بعيد ولم يكن فى وسع انسان ان يعمل أكثر مما عمله فى هذا الصدد . وبخلق هذه الروح الجديدة وايجاد هذا الشعور الأخوى والاحساس بالوحدة فى المآرب والغايات ، مهد النبى العرب للدور العظيم الذى لعبوه بعد ذلك فى التاريخ

وكان بناء هذه الوحدة قائمة متمسكة يتطلب اليقظة المستمرة والجهد المتواصل ، لانها كانت فى جوهرها شديدة المخالفة للغرائز القومية الموروثة والميول القديمة المتأصلة . وقد أدركت النبى الوفاة وهو يقوم بعملية المزج ويتعهدها بسياسته الرشيدة وروحيته الفياضة ويحاول ان يسمو بالعرب فوق مصارع العصبيات ونوازل النعرات

ولشدة استيلاء النبى على عقول أصحابه وسمو مكانته فى نفوسهم لم يستطيعوا أول الأمر أن يصدقوا وفاته ، وكان من العسير أن يتصوروا أن هذا الرجل الذى حلا شكوكهم بنور العقيدة وهذب نفوسهم باشراق الالهام وأحدث فيهم هذا الانقلاب الثورى يمضى به الموت كسائر البشر ، وقد أذهل نبأه عمر الركين المجرب حتى يقول « ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفى ، وانه والله ما مات ولكن ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أنه مات » ، ولكنه لم يلبث ان ثاب اليه رشده وأدرك حقيقة الموقف عند سماع كلمة أبى بكر الحكيمة ، وظهرت جيلة رجولة أبى بكر فى أروع صورها ، وقد كادت تتصدع الألفة بين المسلمين وتنحل الروابط التى قضى النبى زهرة حياته فى تقويتها وأطل من جديد الخلاف القديم بين الانصار والمهاجرين ، وكاد يعصف بهم هوج العواصف الهوجاء لولا ان أشرقت شخصية أبى بكر وظهرت براعة عمر السمحة فى تناول الموقف . فقد استطاع عمر أن يحل

الأزمة وحسم الفتنة بمبادرته الى بيعة أبي بكر ، تلك البيعة التي اعتبرت رمزاً للانتخاب المشروع وآية التسليم والخضوع للخليفة المختار ، وأثر هذا العمل تأثيراً كبيراً حمل الآخرين على مبايعة أبي بكر ، وفي اليوم التالي كانت البيعة العامة ، وبذلك قضى عمر على هذا الخلاف الخطر الذي كاد يودي بالاسلام في إبان ترعرعه

ولما انتشرت أخبار وفاة النبي هبت الثورات في بعض الاطراف ، وظهر ادعياء النبوة ، وحاولت بعض القبائل أن ترتد عن الاسلام ، وتاقت قبائل أخرى الى الخلاص من ضريبة الزكاة ، وهمت الوثنية المنهزمة ان ترفع رأسها ثانية في مكة . ولكن كل هذه الفتن الناشئة والأخطار اللاحقة ذابت وتلاشت ازاء صلابة ايمان ابي بكر وفائق شجاعته وعزمه المصمم وثباته العجيب !

وقد اختار ابو بكر عند وفاته عمر ليخلفه . وقد دل هذا الاختيار على بعد نظر أبي بكر فقد كان اسناد الخلافة الى عمر غنما عظيما للاسلام ، لأن عمر كان رجلا قوي الاخلاق شديد الشعور بالمسئولية صارما في حدود العدالة جم النشاط دائم الحركة ، فأدار حركة الفتوح باقتدار ، وكان يعس بنفسه ويرتاد المجتمعات ويتفقد أحوال الشعب

ولتقدير موقف عمر وبيان اثره نقول ان الاسلام رغم سمو تعاليمه وتشبعه بالروح الديموقراطية لم يستطع ان يمسح معالم القبلية ولم يمحه كل المحو ، وبذلك لم يتيسر له تحقيق فكرة المساواة القائمة على فكرة الحكومة الدينية كل التطبيق ، بحيث تزيل الخلافات الحزبية وتقطع دابر التنافس بين مختلف القبائل ، وظل الفرد يتصل بالأمة عن طريق القبيلة وظلت القبائل محتفظة بكيانها دون ان تفنى وحدتها او تتحلل ذاتيتها وتندمج في أمة ، وانما اضطرت القبائل أن تنزل مكرهة للحكومة عن حق اعلان الحروب الداخلية لأن اول غرض وحدت من اجله الامة هو القضاء على النزعات الداخلية ، ولعمر نصيب كبير من العمل في استهواء القبائل وضم مختلف صفوفها لغزو الممالك الاجنبية ونشر مبادىء الاسلام ، وهو القائل عندما استنفر قبائل العرب لمحاربة الفرس . « سأضرب ملوك الفرس بملوك العرب » ولقد كان النظام والطاعة والخضوع شيئا غير مألوف عند العرب ، ولكن قوة الاسلام وشدة تعلقهم به هي التي خففت من كبريائهم وحببت اليهم الطاعة والنظام . ولقد ضرب لهم عمر في هذه الفترة الدقيقة مثلا منقطع النظير من التشبع بالروح الاسلامية والاستمساك بالعدالة المطلقة ، ووضع تنفيذ تعاليم الاسلام فوق كل اعتبار

ولما انتصر العرب وحطموا شوكة الفرس والروم ، أخذت أمواج الناس تعتنق الاسلام عن اخلاص وعقيدة ، والبعض عن غير اخلاص وعقيدة وانما بدافع المصلحة . وأوقف اليونان والفرس والاقباط مواهبهم على خدمة الدين الجديد ، وأخذت قيود العصبيات وروابط التقاليد تنحل تحت تأثير الاسلام ، وبدأت أمة حديثة في الظهور تربطها روابط الدين وتجمعها جامعة اللغة ، وتدعمها الكفايات المختلفة الموروثة الكامنة في الاقوام الذين تكونت منهم . وكان مجهود عمر في

سياسته الأخيرة منحاها الى مرتع هذه المواد الثائرة التي ألقاها القدر بين يديه الفوريتين ، فدون الدواوين ورتب المالية ووضع أسس الايرادات والمصروفات ، وفرض الرواتب للعمال والقضاة ، وحرم على المسلمين امتلاك الضياع والزراعة على أن يدفع بيت المال أرزاقهم استبقاء لروح الجهاد في نفوسهم وخشية ان يفسد بهم الترف أو تشغلهم المصلحة عن التفرغ لأمر الدين . وكان عمر يرمي من وراء ذلك الى ان يبقى أهل الذمة وأرضهم مصدراً للمال الذي يستلزمه اتمام الجهاد واعلاء كلمة الدين الاسلامي

ولقد ملأ النبي نفوس العرب حماسة وحباً ، واستطاع ان يرفعهم الى المستوى الروحي الرفيع الذي تزول فيه الاحقاد وتمحى الصغائر والمطامع الخاصة ، واستطاع أبو بكر أن يصون الاسلام ويدرأ عنه الاخطار بعد غياب شخصية النبي وانقطاع الوحي ، وأن يحول جهود المسلمين الى المجرى الناشئ ويوجههم التوجيه المثمر ، وسيطر عمر بن الخطاب على ميول العرب يصرفها كيف شاء واستطاع كبحها في وقت نشوة الانتصار وزهو الفتح ، ولم تستطع الطاعة التامة ولا النقود المتراكمة ولا المال المتدفق أن يستهوي له وجدانه من طريق الزهد وسبيل التقوى . فالاسلام مدين بانتصاراته وفتوحه لروحية النبي وسمو مبادئ الاسلام ، ولحزم أبي بكر وصفاء عقيدته ، ولصلابة عمر وشمائله الحلم وعفته القضاء . وعمر بهذه المثابة أحد من ساهموا في حركة التقدم الانساني الواسعة ومهدوا سبيله واستحثوا سيره

علي أدهم

من أوليات الفاروق

من أعظم الطرائق التي وسمت الفاروق ودلت على نصاعة تفكيره ورجاحة عقله أنه فرض للمولود حين يفطم ١٠٠ درهم ، فاذا ترعرع بلغ به ٢٠٠ درهم . وكان لا يفرض للمولود شيئاً حتى يفطم الى أن سمع امرأة ذات ليلة وهي تكره وليدها على الفطام وهو يبكي ، فسألها عنه ، فقالت : ان عمر لا يفرض للمولود حتى يفطم ، فأنا أكرهه على الفطام كي يفرض له ، فقال : يا ويح عمر ! كم احتقب من وزر وهو لا يعلم ! ... ثم أمر مناديه فنادى : ألا تعجلوا أولادكم بالفطام ، فانا نفرض لكل مولود في الاسلام . وكتب بذلك الى الآفاق . وكذلك كان يفرض للقيط ١٠٠ درهم ، ورزقاً يأخذه وليه كل شهر ، ويزيده من سنة الى سنة ، وكان يوصي باللقطاء خيراً ويجعل رضاعهم ونفقتهم من بيت المال

من عمرية حافظ

عمر والشورى

يا رافعاً راية الشورى وحارسها ... جزاك ربك خيراً عن محبيها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها ... وللمنية آلام تعانيها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله ... الى الجماعة إنذارا وتنبيها
ان ظل بعد ثلاث رأيها شعبا ... فجرد السيف واضرب في هواديها
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها ... طعم المنية مرا عن مراميها
درى عميد بني الشورى بموضعها ... فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأي في حكومته ... ان الحكومة تغري مستبديها
رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ... رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

مثال من زهده

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها ... فلم يغرك من دنياك مغريها
ماذا رأيت بباب الشام حين رأوا ... أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه ... خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى فهملج مختالا براكبه ... وفي البراذين ما تزهى بعاليها
فصحت: ياقوم، كاد الزهو يقتلني ... وداخلتني حال لست أدريها
وكاد يصبو الى دنياكم (عمر) ... ويرتضي بيع باقيه بفانيها
ردوا ركابي فلا أبغي به بدلا ... ردوا ثيابي فحسبي اليوم باليها

مثال من رحمته

ومن رآه أمام القدر منبطحا ... والنار تأخذ منه وهو يذكيها
وقد تخلل في أثناء لحيته ... منها الدخان وفوه غاب في فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على ... حال تروع ـ لعمر الله ـ رائيها
يستقبل النار خوف النار في غده ... والعين من خشية سالت مآقيها

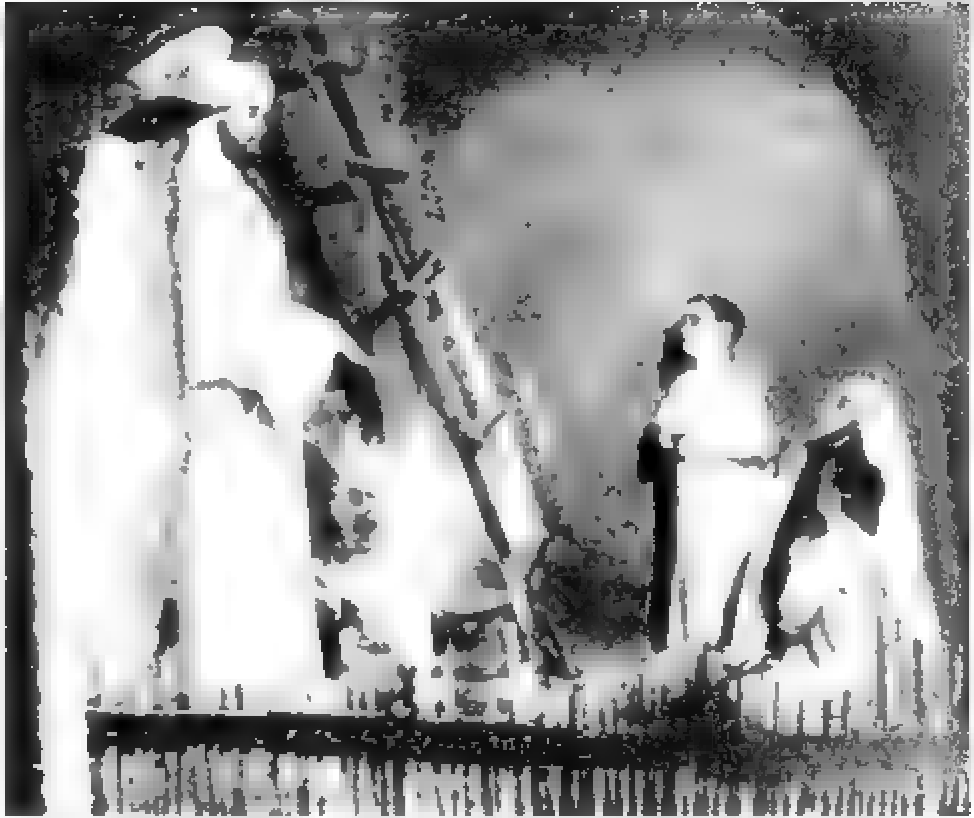

الفاروق وأم الأطفال

من القصص المشهورة التي تدل على عظمة عمر وخلقه، أنه كان يعس ليلا فسمع أطفالا يبكون من الجوع، فبكى ندما وأسفا، وذهب إلى دار الصدقة حيث أخذ غرارة حتى ملأها طعاما، وحملها على ظهره وعاد بها إلى الأطفال، حيث جلس يطهو لهم ويطعمهم، ثم يداعبهم ويضاحكهم حتى ناموا راضين. وقد صور [illegible] هذه القصة الرائعة [illegible] من قصص التاريخ.

لقد نهضت الموسيقى فى عهد عمر

عُمر والموسيقى

الدكتور محمود أحمد الحفنى

مدير ادارة التفتيش الموسيقى بوزارة المعارف

قد يدهش لهذا العنوان قراء السير عامة وقارئو حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه خاصة ، ووجه الدهش فى هذا أن نخص الموسيقى بعمر بن الخطاب ، فيكاد يخيل للقراء من هذا العنوان أنه موسيقى أو أنه على الأقل شغل نفسه بالموسيقى ، وهو ذلك المتقشف الزاهد ، البالغ فى التقشف والزهد غاية ما تصل إليه القسوة من حرمان النفس وكبح شهواتها ، وهو كذلك المجاهد القائم الذى لازم الغزو والفتح الاسلامى أيام حياته ، وعلى الأخص أيام خلافته

وطبيعة التقشف والجهاد تقتضى ، ولا ريب ، الانقطاع عن ملذات الحياة ومسرات النفس والتفرغ الى وسائل التحمس والغلظة فيها . ولكن هذه الطبيعة التى تقتضى الانقطاع والتفرغ لشئونها ووسائلها ، تستلزم أيضا الترفيه عن النفوس كلما حزب الأمر واشتد خطب النضال ، وخص بالمجاهدين كرب الحرب والقتال . ومما استنبطت أغانى الحروب وحداء الابل تخفيفا من ويلات الأولى وترويحا لمتاعب الثانية

كان عمر شديداً فى جاهليته ، شديداً فى إسلامه ، حتى لقد كان يهابه كل مبطل ، ويخشاه كل منافق . بل لقد ملأت خشيته قلوب المسلمين جميعا فهابوه لفرط استقامته ، وشدة جرأته فى الحق ، ومضاء عزيمته فى الايمان ، وعداوته فى الأخذ بناصية المستهترين

ولقد نقل أثر هذه الخشية والخوف يوم نذرت جارية من قريش لئن رد الله الرسول من غزوه لتضربن فى بيت عائشة بدف ، فلما رجع الرسول الكريم جاءت الجارية تريد أن تفى بوعدها ، فسمعت عائشة رضى الله عنها لرسول الله تخبره ، قالت فلانة ابنة فلان نذرت لئن ردك الله تعالى أن تضرب فى بيتى بدف ، فقال لها فلتضرب

وانى لأترك فى هذا المقال لسان شاعر النيل الأكبر المرحوم حافظ ابراهيم بك وصف هذا الموقف الماثل من قصيدته العمرية :

أرأيت تلك التى لله قد نذرت   أنشودة لرسول الله تهديها

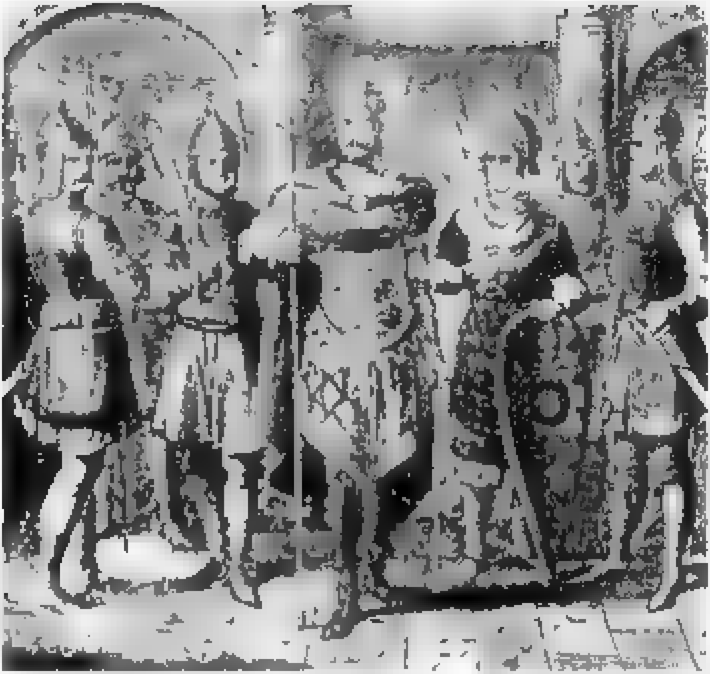

هرقل – قيصر الروم – وسط حاشيته

برويز كسرى الفرس – على ديوانه

هرقل وكسرى

غلبت الدولة الاسلامية الفتية التي انشأها عمر بن الخطاب على اعظم دولتي الفرس والروم اللتين سيطرتا دهراً طويلاً على الأقاليم المتاخمة لجزيرة [illegible] العرب ، والى جانب من فارس والعراق والشام ومصر إذ لم تستطع جيوشهما الصمود أمام جنود ابطال مضت الى ميادين الاسلام جانب وعقائد ونصر بها الفاروق محققاً سعيه لرفعة الانتصارات الكبرى على جيوش الفرس والروم التي هزمت هزائم منكرة في وقائع متتالية ، ولا سيما الكبرى بالعراق

قالت نذرت لئن عاد النبي لنا ... من غزوه لعلى دفي أغنيها
ويممت حضرة الهادي وقد ملأت ... أنوار طلعته أرجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت ... تشجي بألحانها ما شاء مشجيها
والمصطفى وأبو بكر بجانبه ... لا ينكران عليها من أغانيها
حتى إذا لاح من بعد لها عمر ... خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها في ثوبها فرقا ... منه وودت لو ان الأرض تطويها
قد كان حلم رسول الله يؤنسها ... فجاء بطش أبي حفص يخشيها
فقال مهبط وحي الله مبتسما ... وفي ابتسامته معنى يواسيها
قد فر شيطانها لما رأى عمرا ... إن الشياطين تخشى بأس مزجيها

وقد يقع إلى بعض الأذهان أن هذا الخوف الذي كاد يردي هذه الجارية لرؤيتها عمر أثناء غنائها أمام الرسول، وأبو بكر بجانبه، منشؤه كراهية عمر للموسيقى أو تحريمه لها، أو أنه يرى فيها ما ينافي العقيدة والإيمان، لأن العقل والمنطق والاعتدال في الحكم، كل أولئك ينفي بأن عمر يستحيل عليه أن يكره شيئاً لا يكرهه رسول الله، ولا يحرم شيئاً أباحه رسول الله. إنما الخوف كما قدمنا ناشئ مما وهب الله به عمر من الهيبة والجلالة، ومما اشتهر به من الشدة في جاهليته وإسلامه..

ويعزز هذا الرأي بل يؤكده ما روي أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دخل ذات يوم على زوجه أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وهي تزف جارية لها من الأنصار فقال لها «يا عائشة ألا تبعثين معها من يغني؟ فإن أهل هذا الحي من الأنصار يحبون الغناء»

وما روي عنه (ص) من أنه استمع أبا موسى الأشعري حيث قال: «لقد أعطي مزمارا من مزامير آل داود»

وما تناقله الرواة والثقات من أنه (ص) تغنى بالقرآن، وأذن لبلال بن رباح الحبشي في الأذان بصوته الجميل

كان أصحاب الرسول عليه السلام يعرفون هذا حق المعرفة. فهل من المعقول أن يجهله أخص أصحابه، وأحب المقربين إليه، كأبي بكر وعمر؟

الحق الذي لا مرية فيه أن عمر رضي الله عنه كان يعرف ذلك، مدركا له كل الإدراك، ملما به كل الإلمام، مقدرا له كل التقدير، عالما بأثر الصوت الجميل. فقد مر بدار قوم فسمع صيحة فقال: ما هو؟ قيل عرس، فقال: وما يمنعهم أن يحركوا غرابيلهم فإنها من أمارة العرس؟

وإذا علم أن الغربال ضرب من الدفوف كان يستعمل في موسيقى الجاهلية وفجر الإسلام،

فقد ندرك على التحقيق رضاء عمر عن الموسيقى والغناء ، وعدم التحرج من سماعهما

ولقد أذن ، رضي الله عنه ، لرباح بن المغترف أن يغني أصحابه الذين كانوا معه في طريقه إلى الحج ليقصر عليهم الطريق والسير ويهون صعوبة سبيل الصحراء المقفرة . وقد غنى رباح بإذن عمر الصحيح وهم محرمون ، وكان من بينهم كثير من الصحابة والتابعين والأنصار

ما كان عمر ، رضي الله عنه ، راضيا عن الموسيقى والغناء فحسب ، بل كان أيضا من ذوي الرأي والخبرة فيها . وأحسبني غير مسرف في هذا ، فقد حدث عبد الله بن مبارك عن أسامة بن زيد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال : « مر بنا عمر بن الخطاب وأنا وعاصم ابن عمر — وكان مشغوفا بالغناء — نغني غناء النصب فقال : « أعيدا علي » ، فأعدنا عليه ، فقال : « أنتما كحماري العبادي ، قيل له : أي حماريك شر ؟ قال : هذا ثم ذا »

وهذا وحده ينطق بالتذوق الموسيقي . وأحسبني أيضا غير مسرف إن قلت إن هذا التذوق الموسيقي لازم نشأة عمر وساير حياته ، فقد روى صاحب العقد الفريد أن عمر بن الخطاب قال للنابغة الجعدي : أسمعني بعض ما عفا الله لك عنه من هناتك ، فأسمعه كلمة له ، قال : وإنك لقائلها ؟ قال : نعم ، قال : لطالما غنيت بها خلف جمال الخطاب !

وهنا يحسن بنا الوقوف قليلا ، فقد نفهم من هذه الرواية أن الغناء لدى عمر كان صنفين : صنفا « يعفو الله عنه » وصنفا « لا يعفو الله عنه » . وهو تعبير دقيق يدل بأجلى بيان على أدب عمر ، وجمال ذوقه ، ورهافة حسه . وما من ريب في أن كثيرا من الأغاني التي تداولتها العصور المتخلفة تدخل فيما « لا يعفو الله عنه » ، لأنها أبعد ما يكون عن الحيوية ، والعصبية ، والنجدة ، وتشجيع الخلق الكامل ، وتزويد الشعوب بأرقى صفات الرجولة والنبل ، وحسب ما نشكو منه الآن !

إذن لم يكن عمر ليكره الموسيقى إطلاقا ، إنما كان يكره منها المخنث الذي يقعد الشعب عن الجهاد والتحمس ، ويسلمه إلى الرفاهية والتواكل ، وما كان ذلك من طبيعة الإسلام ولا من خلق عمر

وهنا يحدثنا ابن قتيبة في المعاني أن عمر سمع مرة قيانا يغنين بالمعروف ويغنين بما « لا يعفو الله عنه » ، فكان نصيبهن منه قسوة التأديب والقرع بالعصا

ولقد ذهب بعض ذوي الآراء فنسب إلى عمر أنه لحن أغنية ، ولكنا نرى الثقالة في هذا الرأي بينة ، بل ويترجح الشك فيها . وأكبر الظن أن يكون الأمر قد اختلط على أصحاب هذه الفتوة بين عمر الأول وهو ابن الخطاب ، وعمر الثاني ، وهو ابن عبد العزيز ، نظرا لما عرف عن هذا من ميله للغناء والشعر ، وإن كنا سنتحدث عنه أيضا بصفة التلحين

ومن الذين يستشهدون على إباحة ترتيل القرآن وتلاوته بصوت حسن من يستند فيما يدلي به

من الصحيح ابن ما حدثت به ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن نوفل بن إياس الهذلي قال : كنا نقوم في عهد عمر بن الخطاب فرقا في المسجد في رمضان ، ها هنا وها هنا ، فكان الناس يميلون إلى أحسنهم صوتا فقال عمر : « أما والله لئن استطعت لأغيرن هذا » فلم يمكث إلا ثلاث ليال حتى أمر أبي بن كعب فصلى بهم ثم قام في آخر الصفوف فقال : « لئن كانت هذه بدعة لنعمت البدعة »

وقد يسأل سائل : إن كان هذا ميل عمر وحبه للغناء حتى لقد تغنى بنفسه خلف جران الخطاب ، وحتى لقد اتهم بالتلحين ، فلماذا لم تزدهر أيامه بالموسيقى والغناء ، ولماذا لم يشجع المغنين والموسيقيين ؟

وهذا سؤال يرده أن عصر عمر كان عصر جهاد اشتغل المسلمون جميعا فيه بالفتح والغزو وبث الدعوة الدينية ، وما يتصل بها من المعارك ، في البلاد المغزوة والمدائن المفتوحة . فما كان لعمر أن يعطل الجهاد في سبيل الله ، ويؤثر عليه الاشتغال بمرافه الحياة ، وهو نفسه يكره هذه المرافه ، ويقنع بالنزر اليسير من القوت الجاف

ويرده أيضا أن الموسيقى شبت وترعرعت في أيام عمر ، ودخلت منازل الأمراء والأشراف ، وسايرت مجالس الشعر والأدب ، فما كاد يبدأ عصر عثمان رضي الله عنه ، حتى سمعت أحياء المدينة أن رائقة المغنية المشهورة وتلميذتها المغنية عزة الميلاء وغيرهما ، كن يحيين بها حفلات موسيقية رائعة يحضرها أشراف القوم وعلماؤهم ، وعلى رأسهم حسان بن ثابت رضي الله عنه

وطبيعي بعد تلك الفتوحات التي هيأها الله على يد عمر ، والممالك العريقة في الموسيقى التي دخلت في الإسلام ، أن تتأثر الموسيقى العربية بموسيقى تلك البلاد ، وأن يضفي العرب بمواهبهم السامية فيرتقوا بموسيقاهم إلى أرقى مدارج الفن ويطبعوها بطابع خاص يلازمها طوال أيام مدنياتهم

وأكرر على ألا يتهمني القارىء بالتحيز للموسيقى حتى ولو عددت عمر موسيقيا ، فإني — في هذا الموضوع — لم أتوخ غير سرد الحقائق التاريخية الثابتة والروايات المحققة ، إنصافا لعمر والتاريخ

دكتور محمود أحمد الحفني

ان عمر هو الذى دعم الخلافة
الاسلامية على أساس الشورى العادلة

مبدأ الشورى

كيف نفذه الفاروق

بقلم الاستاذ احمد خيرى سعيد

توفي النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد الكرب على أصحابه وذهل المؤمنون وفرح المنافقون وزلزلت هيبة السواد الأعظم من العرب ، فقام عمر رضي الله عنه ، وقال : « إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ، وإنه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات »

وتدارك أبو بكر رضي الله عنه الموقف وحاصر الفتنة التي أطلت قرونها فخطب الناس فقال : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين » . . . فألقى الماء على النار ، وأيقن عمر أن النبي الكريم قد مات حقا ، واعتصم الصحابة بالصبر ، وراح المهاجرون والأنصار يفكرون فيمن يخلفه . . ورجفت مكة وكاد أهلها يرتدون ، وهرب عاملها ، فقام سهيل بن عمرو بتلك الكلمة فقال : « يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد . والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله » فامتنع الناس عن الردة

هدأت المدينة وسكنت مكة ، وفيهما صحابة النبي وحبيبه ومركز الحكومة الاسلامية الناشئة وعيون الجبلة العربية في البرية والحضر وغيب الأقطار التي دانت للحنيفة فلا خوف على الاسلام في عنفوانه اذا اختلفت الآراء على اختيار خليفته . ولم يكن اختيار خليفة الرسول بالأمر الهين ، لتشعب

المطامع وتعاكس الأهواء واشتباك المصالح ، وطموح العصبيات الى الاستئثار بالامامة ـ وتاهيك بها من أرب ، فقد كانت تجمع السلطتين الزمنية والروحية !

هنا تجلت عبقرية عمر ، وبرزت صفة من أبرز الصفات التي يمتاز بها أفذاذ الرجال ممن يصنعون التاريخ . . سمع عمر أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وأجمعوا على تولية سعد بن عبادة ، وقالوا ان أبى المهاجرون فمنا أمير ومنكم أمير . . فقال سعد . « هذا أول الوهن »

سمع عمر الخبر ، وهدته فطنته العملية الى القضاء على بوادر الشقاق ، فأتى منزل رسول الله ، وأبو بكر فيه ، فأرسل اليه أن اخرج إلى ، فرد عليه يقول : « اني مشتغل » ، فقال عمر : « قد حدث أمر لا بد لك » ، فخرج اليه ، فأعلمه الخبر ، فمضيا مسرعين نحوهم ، ومعهم أبو عبيدة بن الجراح . وهناك خطبهم أبو بكر واختتم الخطبة بقوله : « نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تفاوتون بمشورة ، ولا تقضى دونكم الأمور » ، فعارضه حباب بن المنذر الانصاري بخطبة حض فيها قومه على الاستمساك بالسلطان وختمها بقوله : « فان أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير » . . . فقال عمر : « لا يجتمع اثنان ، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ، ونبيها من غيركم . ولا تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم . ولنا بذلك الحجة الظاهرة . . . من ينازعنا سلطان محمد ، ونحن أولياؤه وعشيرته ؟ ! » . . . فعاد المنذر يحرض قومه ، وصدرت منه عبارة تنذر بالشر وتوقد نار حرب أهلية ، قال : « فان أبوا عليكم هذا الأمر (السلطان) فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم الأمور » فقال عمر : « اذن ليقتلك الله » ، فقال المنذر : « بل إياك يقتل »

فتدخل أبو عبيدة قائلا : « يا معشر الأنصار ، انكم أول من نصر ، فلا تكونوا أول من بدل وغير » . . . فنهض بشير بن سعد ، فصح قومه الانصار قائلا : « ألا إن محمداً من قريش وقومه أولى به . وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم »

فقال أبو بكر : « هذا عمر وأبو عبيدة ، فأى شئتم فبايعوا أحدهما » . فقال عمر : « أنت أفضل المهاجرين ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وهي دين المسلمين . . . ابسط يدك أبايعك » وبايعه وتهافت القوم على مبايعته

● ● ●

رشح النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر للخلافة ، عن طريق اختياره للصلاة بالمسلمين في مرض موته ، وزكى هذا الترشيح عمر ، وكان حصناً في مبادرة الى جمع الانصار والمهاجرين حول راية الخليفة ، قوياً حربياً في مواجهة الفتنة ، ذكياً أريباً في انفاذ التدابير الحاسمة والخلاص من المخالفين ، زاهداً في السلطان فقدم أبا بكر ، فبايعه أول من بايع فتتابع المسلمون وراءه يبايعون بقوة الايمان وحمل الأمانة وسحر القدوة . . . ولم يشذ في كل ذلك عن مبدأ الشورى ، واتسع صدره للرأى المعارض ولم يضق ذرعا بالتهديد والوعيد والتلويح بشق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة

ورشح أبو بكر عمر للخلافة من بعده حين حضرته الوفاة فبرزت شخصية عمر مهيبة ، واجتمع الرأى على مبايعته . وفى الحق لقد برع عمر فى خلافة أبى بكر ساعة ، ولم يكن مستشار الخليفة حسب من كان « كما كان هارون لموسى » . اختاره الصديق رضى الله عنه لهذه الوظيفة الرفيعة من البداية ، فقد مشى أبو بكر فى ركاب أسامة بن زيد قائد الجيش الذى كان جهزه النبى (ص) لغزو الشام وأبى الخليفة إلا أن يرجعه غير مكترث لانتفاض العرب عليه ، ولما سار معه خطبهم ناصحاً وموصياً ، ثم التفت إلى أسامة فقال : « إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل » ، فأذن له أسامة ، وبقى عمر إلى جانبه يدير معه شئون الدولة الاسلامية التى شرعت تغزو الفرس والروم بعد حروب الردة

ولما نزل الموت بأبى بكر دعا عبد الرحمن بن عوف فقال :

— أخبرنى عن عمر

— إنه أفضل من رأيت ، إلا أن فيه غلظة

— ذلك لأنه يرانى رقيقاً ، ولو أفضى إليه الأمر لترك كثيراً مما هو عليه

ودعا عثمان بن عفان ، فقال :

— أخبرنى عن عمر

— سريرته خير من علانيته ، وليس فينا مثله

وأملى أبو بكر على عثمان عهده إلى المسلمين بخلافة عمر ، وأمره أن يقرأ على الناس وأشرف أبو بكر على الناس ، وقال : « أترضون بمن استخلفت عليكم ، فإنى ما استخلفت عليكم ذا قرابة ، وإنى قد استخلفت عليكم عمر ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنى والله ما ألوت من جهد الرأى »

قالوا : سمعنا وأطعنا

ولعل لشخصية عمر أكبر الأثر فى تأمين القوم على اختيار الصديق له أميراً للمؤمنين

رشح النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر ، وزكاه عمر . ورشح أبو بكر عمر ، وزكته شخصيته وسيرته قبل أن يزكيه عثمان وعبد الرحمن بن عوف .. ولم يعرض أبو بكر ، ولا عرض عمر ، على جمهور المسلمين ، بل فوض أمر اختيارها إلى زعمائهم فأدلى كل زعيم برأيه ، فاتزن العقل وركن الحس رؤوسهم ، ثم انجابت السحب عن سماء شتى الجو وعمر القلوب

فمن ذا الذى رشحه عمر وهو صريع على باب الآخرة ؟ !

لقد تغيرت الحال عما كانت عليه فى عهد النبى (ص) وعهد أبى بكر — اتسعت رقعة الأرض التى يليها الخليفة وتعقدت الادارة ، وتعددت الشعوب الخاضعة للسلطان وتشعبت مصالحهم ، وتضاعفت مرافق الدولة ، واجتمع أعلام زعماء العرب وأهل العصبية فيهم ميدان التنافس على الامارة والجاه والمنفعة الذاتية . وأعلم بعد الانقلاب ، لم يجد عمر رجلا يدعن الجميع لطاعته إذا رشحه

قيل لعمر ما قيل : « لو استخلفت ؟! » . فقال : « لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ، وقلت لربي إن سألني : سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الأمة . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته ، وقلت لربي إن سألني : سمعت نبيك يقول إن سالما شديد الحب لله تعالى »

فقال له رجل : أدلك على عبد الله بن عمر . فقال : « قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا . ويحك ! كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته ؟ لا أرب لنا في أموركم ، فما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي . إن كان خيرا فقد أصبنا منه ، وإن شرا فقد صرف عنا . بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ، ويسأل عن أمر أمة محمد . أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافا ، لا وزر ولا أجر ، إني لسعيد »

ولقد تروى عمر في الأمر ، ولم يندفع وراء الفكرة الأولى . فقد رشح علي بن أبي طالب ، لكنه عاد فنقض ما أبرمه بشأنه ، وانتهى إلى رأي حصيف ، ألقى التبعة عن كاهله ، وصان الأمة من الخلاف ومزالقه . ذلك أنه أصبح فدعا عليا وعثمان وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، فقال لهم : « إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا أجد هذا الأمر إلا فيكم . ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض . وإني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ، ولكني أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس . فانهضوا إلى حجرة عائشة — بإذنها — فتشاوروا فيها » . فدخلوا فتناجوا ، حتى ارتفعت أصواتهم ، فأتاهم عمر ، فقال : « انصرفوا عني هنا ، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع عليكم ، إلا وعليكم أمير منكم . وما أظن يلي هذا الأمر إلا أحد رجلين : علي أو عثمان ، فإن ولي عثمان فرجل فيه لين ، وإن ولي علي ففيه دعابة وأحر به أن يحملهم على طريق الحق »

وأمر أبا طلحة الأنصاري بتنفيذ خطة أوصى بها ، مؤداها أن تقتل الأقلية إذا خالفت . . .

فأسفرت الشورى عن اختيار عثمان ، واستقرت الأمور ، من غير أن يسفك دم

ولم يرشح عثمان أحدا ، لأنه اغتيل ولم يترك له الوقت الكافي للتفكير والترشيح . وبموته تهاوت تلك الطريقة الانتخابية العادلة التي كان لعمر في توطيدها واحترامها ورعايتها الفضل الأول والأخير . فقد اختلف علي ومعاوية على الخلافة وتقاتلا ، وانشطر المسلمون شطرين ، تناحرا حتى خلا الميدان من علي باغتياله ، وصفا الجو لخصمه . والواقع أن الخلافة بعد علي كانت ملكا موروثا يفرض على المسلمين فرضا ، ومن أبى حل باسم الخروج على الجماعة وشق عصا الطاعة والمروق من أمر الله ، وفقدت الخلافة غيرتها وتجردت من معناها الأصلي — فبعد أن كان يتولاها أي مسلم يجمع على اختياره الجمهور ، أصبح يتولاها صاحب الشوكة بحد الحسام . فلا مبالغة في القول بأن الخلافة بالمعنى الذي فهمه عمر وصحابته ماتت بموت عثمان !

أحمد خيري سعيد

حديث صحافي

مع عمر بن الخطاب

بقلم الأستاذ أحمد قاسم جودة

لماذا يقصر الصحفي همه على الأحياء من الزعماء والساسة والمفكرين يحدثهم ويسمعهم، وأمامه سجل التاريخ حافلا بالأبطال الأفذاذ من شتى الأحقاب والأجناس، يستطيع أن يهاجم ويسائلهم ويستمع إليهم كيف شاء، مستعينا على هذا بشيء من الخيال الخصب وبمعلومات صادقة عن حقائق أخلاقهم وعقائدهم ؟!

فلأتوجه إذن بصحيفتي للقاء ابن الخطاب، ولأحدثه حديثاً من «العلال» ولأعرض عليه بعض مشاكل اليوم يدلي إلينا فيها برأيه الفصل وحكمه العادل

لم أكن قد عرفت ملامحه من قبل، فمضيت إليه وفي نفسي شتى الصور عما لابد أن يحيطه من مظاهر البذخ والترف، فلما رأيته لم أستطع إلا أن أكذب عيني . أيمكن أن يكون هذا الخليفة الذي يستولي على إمبراطورية غنية واسعة، في مثل هذه الثياب التي قل يخلو جزء منها من رقعة أو رقعات ؟

الحق إني حين رأيت هذا المشهد الغريب، تمنيت ألا أتحدث وألا أستمع، فقد كان فيه أبلغ حديث وأصدق دعوى .

ولكني تقدمت إليه وحييته فرد التحية بأحسن منها، ثم سألني عن وجهتي فذكرتها له، وبدأت أسأله عن المسائل الاجتماعية فقلت

— في مصر يا أمير المؤمنين، تعاني أزمة اجتماعية خطيرة تكاد تجل عن العلاج، وهي أزمة الزواج. وما أحسب إلا أن غلاء المهور من أهم أسباب هذه الأزمة. فما قول أمير المؤمنين في ذلك ؟

فقال رضي الله عنه :

— لا تغالوا بصداق النساء، فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية

وكدت أطمئن إلى هذا الجواب لولا صوت امرأة من ساحته يرتفع من وراء الحجاب فيقول :

— يا أمير المؤمنين، أتمنعنا حقاً جعله الله لنا والله يقول : «وآتيتم إحداهن قنطاراً» ؟

فابتسم عمر ثم قال :

— كل أحد أعلم من عمر . ثم التفت الى أصحابه قائلا : لسمعتموني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علي حتى ترده علي امرأة ليست من أعلم النساء !

فانتقلت بالحديث الى سؤال آخر ، وقلت :

— ندع حديث النساء يا أمير المؤمنين ، ونتحدث عن الرجال . فماذا ترى في شأن القوم الذين لا يكادون ينالون من العلم القشور حتى تستولي عليهم الكبرياء ويأخذهم الغرور والصلف حتى على معلميهم ؟

فقال :

— تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم . وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من تعلمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم

وكأنما آنس مني أمير المؤمنين ميلا الى الاستزادة في الجواب فقال :

— لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث : لا تتعلمه لتماري به ، ولا لتباهي به ، ولا لترائي به . ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل به

فقلت :

— ولقد انتشر بين المتعلمين داء البطالة القاتل ، وأصبح الشاب يخرج من الجامعة أو من الأزهر أو دار العلوم فلا يجد سبيلا الى العمل الحكومي

فقال عمر :

— تعلموا المهنة ، فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج الى مهنته

فقلت :

— إن من الشبان من يأبى إلا التمسك بالوظيفة الحكومية اعتمادا على الشهادة التي نالها ويعد من العيب أن يحترف بعض الحرف لأنها لا تتفق مع الوجاهة التي يحلم بها

فأجاب أمير المؤمنين في لهجة الرجل العاقل الحازم :

— مكسبة فيها بعض الدناءة ، خير من مسألة الناس

فقلت :

— ولقد كثر في مصر وسائر بلاد الشرق اليوم ، قوم يحترفون الدين ، ولا عمل لهم سوى التظاهر بالتقوى والإيمان ، وتلاوة القرآن ، والظهور بمظهر الخشوع ، ومطالبة الناس باعتبارهم أولياء الله في الأرض

فاعتدل في جلسته وهز سيفه وهو يقول :

— إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ،

الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون عفوه بالطاعة

وسكت رضي الله عنه لحظة ثم قال :

— لا تنظروا إلى صيام امرئ ، ولا إلى صلاته ، ولكن انظروا إلى صدق حديثه ، وإلى ورعه وإلى أمانته

ولما استوفيت الجواب استطرد قائلا :

— إن الخشوع لا يزيد على ما في القلب ، فمن أظهر خشوعا فوق ما في القلب ، فإنما أظهر للناس نفاقا على نفاق !

وعمن يؤثر القعود عن الرزق بدعوى الانشغال بالتقوى والعبادة فقال :

— لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة

وأردت أن أنقل الحديث إلى ميدان الحياة السياسية المعاصرة ، فقلت :

— قد كثر بيننا المصطلح السياسي يا أمير المؤمنين ، وأصبحنا نشهد الرجل وهو يعلن عقيدة ويعمل في الخفاء بما لا يتفق مع الخلق

فقال :

— ما أخاف عليكم أحد رجلين : مؤمن قد تبين إيمانه ، وكافر قد تبين كفره . وإنما أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالإيمان ويعمل غيره

قلت :

— وليس الأمر في السياسة الخارجية بمختلف عنه في السياسة الداخلية ؛ فهذه القوات تحشد على حدود مصر الغربية ثم يؤكد لنا رجال السياسة أنهم لا يضمرون لنا أي سوء وأنهم يحفظون ودنا .

فقال :

— الله أعلم بالسرائر ، فإنه من أظهر لنا شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا

* * *

وإلى هنا كنت قد أخذت من وقت أمير المؤمنين غير قليل . فاستأذنت شاكرا وانصرفت

أحمد قاسم جوده

كل ما جاء في هذا الحديث على لسان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيح ، أخذ من خطبه وخطاباته ومأثور نوادره

عمر الرجل

للمستشرق الانجليزي الأستاذ رينولد نيكلسون

كل مفكر منصف تأسره وتبهره من عمر بن الخطاب أخلاق عالية قوية ، وعقلية رصينة ناضجة ، فلا عجب اختلاف العرب أو غير العرب من أن يعجبوا بالفاروق وعظمته وعبقريته كما أقر بها كثيرون من أعلام المستشرقين المنصفين في مقدمتهم الأستاذ رينولد نيكلسون في هذا المقال

تمتد مدة الخلافة الاسلامية على ستة قرون ونصف قرن (أي من ٦٣٢–١٢٥٨م) وتنقسم إلى ثلاثة عصور يتميز بعضها عن بعض ، فلا تتساوى في أمدها ولا تتحد في خصائصها ، وأولها هو الذي بدأت بانتخاب أبي بكر أول خليفة للمسلمين سنة ٦٣٢ م وانتهت باغتيال علي الخليفة الرابع وصهر النبي عام ٦٦١ م . وهؤلاء الخلفاء الأربعة هم المعروفون بالخلفاء الراشدين لأنهم اتبعوا تعاليم سنة النبي ، واتخذوا أسوته الحسنة قاعدة حكمهم ، وساروا على منواله مستمسكين بصفات النظام الذي كانوا يؤلفون من بينهم شبه مجلس تشريعي

ربما كان رفض محمد أو إغفاله تعيين خليفة له من بعده أعظم خطرا من تعقيبه ولدا من بعده . ولم يكن نظام الملكية الوراثية مألوفا لدى العرب ، ولم يكن اختصاص أسرة النبي بحق مقدس قد أصبح من الأفكار السائدة ، فحتم إذ ذاك على المجتمع الاسلامي اختيار رئيسه — جريا على السنة التي شب عليها العرب في جاهليتهم عند اختيارهم شيخ القبيلة . وكان أولى الناس بهذا الأمر ثلاثة قرشيون هم أبو بكر والد عائشة أحب زوجات الرسول إلى نفسه ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ابن عم النبي وزوج ابنته فاطمة ، فكانت تربطه بالنبي رابطة النسب والقرابة . أما أبو بكر فكان أسنهم ، وقد زكاه عمر ووقعت البيعة العامة ، وإن لم يخل الأمر من ظهور بوادر فتنة صاخبة

وخلفه عمر بن الخطاب ، وهنا ينبغي علينا أن نقف قليلا مستعرضين شخصية هذا الرجل الجليلة ، الذي عده أكابر المسلمين فيما تلا من الزمان صورة مجسمة لكل الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها الخليفة . ومن المحتمل أنه قد بولغ في مدحه وتمجيده ، ولكن ماورد بشأنه من الآثار ينم على أية حال عن شخصية فذة ، وصورة رائعة للرجل وعصره ، فقد قال أحدهم : « رأيت عمر يأتي يوم العيد ماشيا حافيا ، أعسر أيسر ، متلفعا بردا قطريا ، مشرفا على الناس كأنه على دابة » .

وقص احد موالى الخليفة عثمان بن عفان : انه رأى خلف عثمان حتى أتى على حظيرة الصدقة في يوم شديد الحر شديد السموم ، فاذا رجل عليه إزار ورداء وقد لف رأسه برداء ، يطرد الابل ويدخلها الحظيرة — حظيرة إبل الصدقة — فقال عثمان : « هذا والله القوي الأمين » . وكان من عادة عمر ان يجول في الأسواق ويقرأ القرآن ويحكم بين المتخاصمين أنى وجدهم . وقد سأل كعب الاحبار أحد جيران عمر بن الخطاب « كيف الدخول على امير المؤمنين[1] » فقال : « ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء » .

وقد خطب عمر الناس مرة فقال : « والذي بعث محمداً بالحق ، لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله آل الخطاب » . واعتلى المنبر ذات مرة خطيباً فقال : « لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا ، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي ، وأما هم فلا يصلون إلي ، فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البصرة فأقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا ! » .

ومما يروى عنه أنه جاء الى باب عبد الرحمن بن عوف فقرعه ، فجاءته امرأته ففتحته ثم قالت له : « لا تدخل حتى أدخل البيت فأجلس مجلسي » ، فلم يدخل حتى جلست ثم قالت : « ادخل » ، فدخل ثم قال : « هل من شيء » ، فأتته بطعام فأكل وعبد الرحمن قائم يصلي فقال له : « تجوز أيها الرجل » ، فسلم عبد الرحمن حينئذ ثم أقبل عليه فقال : « ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين » ، قال : « رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق معي فلنحرسهم » . فانطلقا فأتيا السوق فقعدا على نشز من الأرض يتحدثان ، فرفع لهما مصباح فقال عمر : « ألم أنه عن المصابيح بعد النوم ؟ » فانطلقا فاذا قوم على شراب لهم ، فقال : « انطلق فقد عرفته » . فلما أصبح أرسل اليه فقال عمر : « يا فلان ، كنت وأصحابك البارحة على شراب » ، فقال : « وما أعلمك يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « شيء شهدته » ، قال : « أو لم ينهك الله عن التجسس ؟ » فتجاوز عنه .

وكان عمر اذا استعمل واليا كتب له عهداً ، وأشهد عليه رهطا من المهاجرين والأنصار واشترط عليه ألا يركب برذونا ولا يأكل نقيا ، ولا يلبس رقيقا ، ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس . وكان من مألوف عادات عمر أن يخرج مشيعا الولاة الذين استعملهم فيقول لهم : « اني لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ولا أبشارهم وانما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على

(١) كان عمر أول من تلقب بأمير المؤمنين وقد ورد في (التاج ص ٨٨) أن المغيرة قال لعمر : « يا خليفة الله » فقال عمر : « ذاك نبي الله داود » قال : « يا خليفة رسول الله » قال : « ذاك صاحبكم المفقود » قال : « يا خليفة خليفة رسول الله » قال : « ذاك أمر يطول » قال : « يا عمر » قال : « لا تبخس مقامي شرفه . أنتم المؤمنون وأنا أميركم » — مترجم

أبشارهم ، ولا تعذبوا العرب فتذلوها ، ولا تجمروها فتفتنوها ، ولا تمنعوها حقها فتكفروها ، جودوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنا شريككم ، وإذا شكا إلى عامل أخص منه وجمع بينه وبين من شكاه فإن صح عليه أمر يجب أخذه به ، أخذه به

وكان عمر أول من أدخل الديوان في الاسلام ، دون فيه أسماء العرب حسب قبائلهم ، وعين لهم أعطياتهم ، وقد ذكر « الطبري » أنه لما كانت سنة خمس عشرة من الهجرة (٦٣٦ م) وفي خلافة عمر رأى أن الفتوح قد توالت وأن كنوز الأكاسرة قد ملكت وأن الحمول من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت ، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم ، ولم يكن يعرف كيف يصنع وكيف يضبط ذلك ، وكان بالمدينة بعض مرازبة الفرس فلما رأى حيرة عمر قال له : « يا أمير المؤمنين إن للأكاسرة شيئاً يسمونه ديواناً ، جميع دخلهم وخرجهم مضبوط فيه لا يشذ منه شيء ، وأهل العطاء مرتبون فيه مراتب لا يتطرق إليها خلل » . فتنبه عمر وقال : « صفه لي » فوصفه المرزبان ، وفطن عمر لذلك ودون الدواوين ، وفرض لزوجات الرسول صلوات الله عليه وسلامه ولسراريه وأقاربه حتى استنفد الحاصل ، ولم يدخر في بيت المال شيئاً ، فلما قام إليه رجل وقال : « يا أمير المؤمنين ، لو تركت في بيت المال شيئاً يكون عدة لحادث إن حدث » ، فزجره عمر قائلا : « كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها ، وهي فتنة لمن بعدي ، إني لا أعد للحادث الذي يحدث سوى طاعة الله ورسوله ، فهي عدتنا التي بلغنا بها ما بلغنا » . ثم رأى عمر أن يجعل العطاء على حسب السبق إلى الاسلام وإلى نصرة الرسول

وقال عمر للناس : « والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب . إن العرب شرفت برسول الله ولعل بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة ، وما بيننا وبين أن نلقاه إلا نسبه ، ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة مع ذلك ، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة . فلا ينظر رجل إلى قرابة وإنما يعمل لما عند الله ، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه »

وجدير بعمر أن يقال فيه ما قيل في كرمويل من أنه « أفرغ الملك القديم في قالب جديد » وكأنه المقصود بقول أحد شعراء الانكليز : « إن للشأن الذي تمر القوة بتدبير القوم على رقابنا » . وفي ظل النظام الذي سنه عمر انتظمت الأمور في بلاد العرب بعد أن طهرت من أدران الشرك وأصبحت مورداً خصباً ، وقاعدة ثابتة لتموين الجيوش الاسلامية الفاتحة ، وصار العرب المقيمون في المقاطعات المفتوحة أساساً لتموين القوات الحربية على الاقامة في معسكرات كبيرة ، والانفاق عليهم مما يجبى من غير المسلمين ، وكان من نتائج هذه المعسكرات أن نمت مدينتان

دوانا أثر عمرو في التاريخ الأدنى هما « البصرة » عند ملتقى دجلة بالفرات ، و « الكوفة » التي ظهرت إبان ذلك الحين أيضا على الفرع الغربي للفرات وعلى مقربة من الحيرة

ولقد كان مصرع عمر على يد مولى فارسي يدعى فيروز ، اغتاله وهو قائم يصلي بالناس في المسجد الجامع ، وبموته ماتت الفترة الحربية ، وأحدث في التصاص أيام الخلافة العادلة السعيدة ، ومناقب مزاياه البارزة التي تعرف وتكشف في ثنايا ما أوردناه سالفا من الأخبار عنه . وإن كان من المحتمل أيضا أن تكون قد أسبغت عليها صور لا تلائمها حد الكمال — كان عمر جامعا بين البساطة والقصد ، مؤديا عمله لا عن رهبة ، ولا جريا وراء رغبة ، شديداً إلى أقصى غايات الشدة رغم شفقته على الضعفاء ، وحكما عدلا شديداً على نفسه أكثر من شدته على غيره ، ولقد ولد ليكون حاكما ، وكان مثال الرجولة في كل سيرته ، وإذا أمعن النظر فيما صنعت آثار مقتله من شغب ، فإن المرء لا يسعه إلا الاعتراف بصحة القول الذي قاله أحد الحكماء بعد بضعة قرون من هذا الحادث : وهو « أن سعادة الاسلام أدرجت في أكفان عمر بن الخطاب »

(ترجمة) حسن حبشي

من كتاب « تاريخ العرب الأدبي »

A Literary History of The Arabs

من نظرات الفاروق

الرجال ثلاثة ، والنساء ثلاث

فرجل عاقل إذا أشكلت الأمور وتشتبت ، تأمل فيها أمره ونزل عند رأيه . وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه ، فيأتي ذوي الرأي فينزل عند رأيهم . وآخر حائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً

وامرأة عفيفة مسلمة ، هينة لينة ، ودود ولود ، تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها ، وقليل ما تجدها . وأخرى وعاء للولد لا تزيد على ذلك شيئا . وأخرى غل يجعلها الله في عنق من يشاء

وصايا الفاروق

وصيته للناس

أوصيكم بكتاب الله فإنكم لن تضلوا ما اتبعتموه. وأوصيكم بالمهاجرين فإن الناس يكثرون ويقلون. وأوصيكم بالأنصار فإنهم شعب الإسلام الذي لجأ إليه. وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم ومادتكم، وإخوانكم وعدو عدوكم. وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم ذمة نبيكم وأرزاق عيالكم

وصيته لخليفته

أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، والمهاجرين الأولين، أن يحفظ لهم حقهم وأن يعرف لهم حرمتهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام وغيظ العدو وجباة المال، ألا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم. وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، وأن يؤخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم. وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله، أن يوفي لهم بعهدهم وألا يكلفوا إلا طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم

وصيته لابنه

أوصى ابنه عبد الله قائلا: يا بني عليك بخصال الإيمان. قال: وما هن يا أبت؟ قال: الصوم في شدة الحر الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك ردغة الخبال. قال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر

بين الفاروق – وخالد بن الوليد

بقلم الأستاذ سيد إبراهيم

إذا قرأت في التاريخ أن اثنين تحاربا، ثم قتل أحدهما الآخر، فقلما تستطيع أن تقف بين كليهما محايدًا، ولا مفر لك من أن تجد نفسك راضيا عن أحدهما، ناقمًا من صاحبه

ويصدر الحاكم أمرًا بعزل رجل ما، فإما كنت أمام هذا العزل مستريحا له، وإما كنت مكتئبا له.

ويدور الحديث بين اثنين في شأن، ويختلفان في الرأي، فلا تملك أن تميل إلى أحدهما بالثقة وتوليه الرضا

أما في هذا الحادث التاريخي الجليل – حادث عزل خالد بن الوليد – فإنك لتجد نفسك راضية عن كل بطل من أبطال هذه المأساة جميعا، ترضى عن عمر الفاروق رمز العدل، وترضى عن خالد سيف الله المسلول، ذلك الرجل الذي عقد الله الخير بصحبته أنى رحل، وكتب له النصر والغلبة حيثما حارب، وترضى عن الشاعر الفارس الثري مالك بن نويرة، ذلك الذي يضرب به المثل، فيقال: فتى ولا كمالك!

ليت التخاصم إذ يكون ... يكون بين الصالحين!
لا أن يشب ذويه ... بين الجبابر الماجدين
فيصير مبعث الأسى ... ومثار أسباب الشجون

ولقد كان عزل عمر بن الخطاب خالدًا في أحرج الأوقات، فالمسلمون صفوف تحت لوائه، وخالد يتأهب بهم ليخوض الوقعة الفاصلة، وذلك يتطلب منه أن يحشد له من نفسه وإيمانه واتساع رأيه وطمأنينة نفسه ما يكفل له الفوز، وإنه لكذلك إذ قدم البريد بموت أبي بكر، وتولية عمر وعزل خالد، وتأمير أبي عبيدة مكانه

وثم يقف الفكر حائرًا متسائلا: ترى ما الذي أثار عمر بن الخطاب – وهو من هو حزما وعدالة، وبعدًا عن الهوى، وإيثارًا لمصلحة الأمة، وتحكيم العقل في العاطفة – حتى أقدم على عزل القائد الفاتح، الذي مكن للإسلام انتصاره في حروب الردة، وأصبح في رفقته ما تهيأ له من فتوحات يضيق عنها بحثنا؟

ترى ما الذي جر الفاروق العادل الأكبر إلى عزل خالد الفاتح الأكبر؟

ليس لهذه الأسئلة وما إليها من جواب، إلا ما تراه مسطورًا في حادث مالك بن نويرة:

بعد وفاة رسول الله صلوات الله عليه ، ارتد كثير من العرب . فقطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية فكانت أحد عشر لواء . فعقد لخالد بن الوليد على أن يحارب طليحة بن خويلد ، فلما فرغ منه سار إلى مالك بن نويرة ، وكان عاملا لرسول الله على صدقات بني يربوع ، فلما مات النبي اضطرب فيها فلم يُحمد أمره ، وفرق ما في يديه من إبل الصدقة ، فكلمه في ذلك صديقان له ، وقالا : إن لهذا الأمر مطالبا ، فلا تعجل بتفرقة ما في يديك . فقال قصيدته التي منها :

وقلت خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء من الغد

فإن قام بالأمر المخوف قائم ... منعنا . وقلنا الدين دين محمد !

فلما سار خالد ، أسروا أسدا وغطفان وطيئا وهوازن ، ثم خرج يريد البطاح دون الحزن ، وعليه مالك بن نويرة . وقد ترددت الأنصار على خالد ، وتخلفت عنه ، وقالوا : « ما هذا بعهد الخليفة إلينا ، عهد إلينا إن نحن استبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا » ، فقال لهم خالد : « إن يكن عهد إليكم هذا ، فقد عهد إلي أن أمضي ، وأنا الأمير ، وإلي تنتهي الأخبار ، ولو أنه لم يأتني منه كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة ، فكنت إن أعلمته بها فاتتني ، لم أعلمه بها ، حتى انتهزها . وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه ، لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نويرة حيالنا ، وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان . ولست أكرهكم » ، ومضى خالد ، وندمت الأنصار ، وتذامروا ، وقالوا : « إن أصاب القوم خيرا إنه لخير حرمتموه ، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبكم الناس » ، فأجمعوا اللحاق بخالد ، وجردوا إليه رسولا ، فأقام عليهم حتى لحقوا به . ثم سار خالد ، حتى قدم البطاح ، فلم يجد به أحدا ووجد مالكا قد فرقهم في أموالهم ونهاهم عن الاجتماع

وخرج مالك راجعا إلى منزله ، ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام ، فمن أجاب سالموه ، ومن لم يجب وامتنع ، قتلوه . وكان فيما أوصاهم أبو بكر : « إذا نزلتم فأذنوا وأقيموا ، فإن أذن القوم وأقاموا ، فكفوا عنهم ، وإن لم يفعلوا ، فلا شيء إلا الغارة ، فاقتلوا وحرقوا ، فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ، فإن هم أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم ، وإلا فلا شيء إلا الغارة ، ولا كلمة . . . »

● ● ●

كيف قتل مالك بن نويرة ؟

هنا روايتان ، تقول الأولى : إن خالدا لما بث السرايا ، جاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ومن بني عاصم وعبيد وعرين ، واختلفت السرية فيهم ، فكان أبو قتادة فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا ، فلما اختلفوا فيهم ، أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة ، لا يقوم لها شيء ، وجعلت تزداد بردا ، فأمر خالد مناديا ، فنادى : « دافئوا أسراكم » ، وكانت في لغة

كنانة إذا قالوا : دافئوا الرجل ، وأدفئوه ، فمعناه عندهم : اقتلوه ، وفي لغة غيرهم : أدفئوه ، من الدفء ، فظن القوم أنه يريد القتل ، فقتل ضرار بن الأزور مالكا ، وقتل الجند من بقي من أصحابه

ولقد أشار المعري إلى الخلاف في الإدفاء ، إذ قال :

أدفئوا بالطعان بين التراقي وأحموا أسنة مقرورة

وسمع خالد القائل : أدفئوا أسراكم ، وخشي أن يحدث ما كان قد حدث ، فخرج ، ولكن كانوا قد فرغوا من قتلهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه . فقال له أبو قتادة : هذا عملك ! فزبره خالد ، ومضى حتى أتى أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر ، حتى كلمه عمر فيه ، فلم يرض إلا بأن يرجع إلى خالد ، فرجع ولم يزل معه

تلك إحدى الروايتين في مقتل مالك ، أما الأخرى ، فينقلها أيضاً أبو قتادة نفسه ، فيقول : « إنهم لما غشوا القوم ، راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح ، قلنا : إنا المسلمون ! فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ؟ قالوا : فما بال السلاح معكم ؟ قلنا : إن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح . قال : فوضعوها ، ثم صلينا وصلوا » . وكانت بعد مناقشة بين مالك بن نويرة ، وخالد بن الوليد :

قال مالك لخالد وهو يراجعه : إني آتي الصلاة دون الزكاة

فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون الأخرى ؟

فقال مالك : قد كان صاحبك يقول ذلك ؟ !

قال خالد : أوما تراه لك صاحباً ؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك !

ثم تجاولا بالكلام طويلا

فقال خالد : إني قاتلك !

قال مالك : أو بذلك أمرك صاحبك ؟

قال : وهذه بعد تلك ؟

ثم قدمه وضرب عنقه ، وأعناق أصحابه

• • •

وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك بن نويرة ، وتركها لينقضي طهرها ، وكانت العرب تكره النساء في الحرب ، وتعيره ، فقال عمر لأبي بكر : إن في سيف خالد رهقاً ، وحق عليه أن يقيده ، وأكثر عليه في ذلك ، وقال : عدو الله ، عدا على امرىء مسلم ، فقتله ، ثم نزا على امرأته . وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا وزعته ، فقال : هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . وودى مالكا ، وكتب إلى خالد أن يقدم عليه

وأقبل خالد بن الوليد قافلا ، حتى دخل المسجد ، وعليه قباء له ، عليه صدأ الحديد ، معتجراً

عمامة له قد غرز فيها أسهماً ، فلما أن دخل المسجد ، قام اليه عمر ، فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ، ثم قال : « أرئاء ! قتلت مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك » ، ولا يكلمه خالد ابن الوليد ، ولا يظن إلا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه ، حتى دخل على أبي بكر ، فأخبره الخبر ، واعتذر اليه ، فعذره ، وتجاوز له عما كان في حربه تلك ، فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر ، وعمر جالس في المسجد ، فقال : هلم الي يا ابن أم سلمة ! فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عن خالد ، فلم يكلمه ، ودخل بيته

• • •

وقدم أخو مالك ، متمم بن نويرة ، ينشد أبا بكر دمه ، ويطلب اليه في سبيهم ، فكتب له برد السبي ، وقد بكى أخاه بكاء لم يبك به فقيد قبله ، ونظم الشعر وأسرف في الاشادة بذكر أخيه ، وإشاعة مناقبه ، والتغني بفروسيته وأريحيته ، والتذكير بمصرعه ، منفذاً في ذلك كل الوسائل . فبينا عمر يصلي الصبح ، فلما انفتل من صلاته ، اذا هو برجل قصير أعور ، متنكب قوسه ، وبيده هراوة ، فقال : من هذا ؟ فقال : متمم بن نويرة ، فاستنشده قوله في أخيه ، فأنشده :

لعمري وما دهري بتأبين مالك ... ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

حتى بلغ قوله

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر : هذا والله التأبين ! ولوددت أني أحسن الشعر ، فأرثي أخي زيداً بمثل ما رثيت به أخاك ! فقال متمم : لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته

وكان أخو عمر قتل باليمامة شهيداً ، وأمير الجيش خالد بن الوليد أيضاً !

وبينا متمم يصلي الصبح مع أبي بكر ، إذ ينشد :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت ... تحت الإزار قتلت يا ابن الأزور
أدعوته بالله ، ثم قتلته ! ... لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر : والله ما دعوته ، ولا قتلته :

لا يمسك الفحشاء تحت ردائه ... حلو شمائله عفيف المئزر
ولنعم حشو الدرع أنت وحاسراً ... ولنعم مأوى الطارق المتنور

ثم بكى ، حتى سالت عينه ، ثم انحط على سية قوسه (يعني : معتمداً عليه)

وقد ذاعت قصائد متمم في أخيه مالك ، وصارت مضرب الأمثال في الرثاء ، كما صارت مراثي الخنساء ، فلا يرى أحد من المسلمين متمماً إلا سأله أن ينشده بكاءه على أخيه . وبلغ من ذيوع

شعر متمم في أخيه أنه لما مات عبد الرحمن بن أبي بكر وقفت عائشة على قبره ، وقالت متمثلة :

وكنا كندماني جذيمة ... الخ

فلا غرو إن تركت هذه القصائد أكبر الأثر في نفس عمر ، ولا سيما أنه يشارك متمما شعوره بموت أخيه زيد ، فكان يعطف عليه ، ويدنيه منه ، ويسمع له

ولا ننسى في هذا المقام قول أبي العلاء :

فمهلاً يا متمم إن عمراً ... حوت من مالك دية الفرار
عتابك خالداً لم يجد شيئاً ... ولا حسن الملام الى ضرار

• • •

لم يزل عمر ساخطا على خالد ، كارها لأمره ، في زمان أبي بكر كله ، لوقعته بمالك ، ولما كان يعمل به في حربه . وخالد يعرف ذلك من عمر ، حتى إن خالداً لما فرغ من حرب مسيلمة ، قال لمجاعة : زوجني ابنتك ، فزوجه إياها . فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب اليه يقول له : « يقطر الدم لعمري يا بن أم خالد ، إنك لفارغ ، تنكح النساء ، وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجف بعد ! »

فلما نظر خالد الى الكتاب ، جعل يقول : هذا عمل الأعيسر ! (يعني عمر)

• • •

ولما نزل المسلمون باليرموك ، واستمدوا أبا بكر ، قال : خالد لها !

فبعث اليه وهو بالعراق ، واستحثه في السير ، فوصل اليهم ذلك القائد المظفر الذي جمع الله له النصر في فتوحه ، مجتازاً طرقا معجزة ، وسهلا وعرة ، لا طاقة لأحد باجتيازها . ووصل الى المسلمين ، وهم في أحرج مواقفهم ، فقد كان أمام كل جندي منهم ألف وخمسمائة جندي كاملة العدد ، فما جاءهم بذلك ولا أوهن من عضده ، وقد استكثر أحد الناس جنود الروم ، وهاله جمعهم على قلة المسلمين ، فأجاب خالد قولته الباقية على الزمن : إنما تكثر الجيوش بالنصر ، وتقل بالخذلان !

ثم نشب القتال ، والتحم الفريقان ، وتطاير الفرسان . وانهم لكذلك إذ قدم البريد من المدينة ، وأسر الى خالد بموت أبي بكر ، وأمر عمر الخليفة بتأمير أبي عبيدة ، فقال خالد : « الحمد لله الذي قضى على أبي بكر الموت وكان أحب الي من عمر ، والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبغض الي من أبي بكر ، ثم ألزمني حبه » ، وأخذ الكتاب ، ووضعه في كنانته ، وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ، ثم جاش بالجيش للمعركة ، حتى انتصر نصراً مؤزراً على عادته . . .

ولما اطمأن الى النتيجة الباهرة ، وتم الفتح ، تنحى لصاحبه أبي عبيدة عن إمارة الجيش ، واصبح تحت لوائه في عداد الجنود . .

سيد ابراهيم

أوليات الفاروق

هو أول من اتخذ بيت المال . وأول من كتب التاريخ من الهجرة . وأول من سن قيام شهر رمضان . وأول من عس بالليل . وأول من عاقب على الهجاء . وأول من ضرب في الخمر ثمانين .

وأول من حرم المتعة . وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد . وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز .

وأول من جمع الفتوح ومسح السواد . وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة (البحر الأحمر) إلى المدينة . وأول من احتبس صدقة في الإسلام . وأول من أعال الفرائض . وأول من أخذ زكاة الخيل .

وأول من قال أطال الله بقاءك (قاله لعلي) . وأول من قال أيدك الله (وقاله له أيضا) . وأول من اتخذ الدرة . وأول من استقضى القضاة في الأمصار . وأول من مصر الأمصار .

وأول من سمي أمير المؤمنين .

وأول من اتخذ دار الدقيق يجري به المنقطع . وأول من وسع المسجد النبوي وفرشه بالحصباء .

وأول من ضرب النقود في الإسلام . وأول من استعمل البريد لنقل الرسائل .

وأول من أنشأ واليا للحسبة . وأول من شق الترع وأقام الجسور .

وأول من وضع المرابطة من الجند في الثغور وحمى الأحماء . وأول من أمر بالصابة بمشاطير .

وأول من عين شخصا مخصوصا لاستقصاء أخبار العمال وتحقيق الشكايات التي تصل إلى الخليفة من عماله ، وهو محمد بن مسلمة .

الفاروق ... الشهيد النبيل

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الحقة ثابتة لها صارماً عليها ، وأن يخلص منها ويمحو من مشكلاتها صحيحاً ربما ، لم يتكلم في نفسه ولا في حقه ولا في دينه ولا في شيء من هذه المشكلات الكثيرة الملحة التي تكون ضمير الرجل الكريم . وإذا كان الخليفة ممتحناً وإنما مثل رعيته فمن الحق عليه لنفسه وللناس ، ومن الحق عليه لله الذي ولي أمره وأمر الناس ، أن يحسب حسابه دائماً على عظيم الأمر وهينه ، وألا يأتي أمراً صغيراً أو كبيراً إلا وهو عالم بما يأتي وبما يحمله على أن يأتي هذا الأمر أو ذاك ، إلا وهو مقدر أنه سيسأل عما أتى ونهى، والجواب عن هذا السؤال حين يلقى الله . سيسأل عما أتى في اليوم الآخر حين يسأله الله عن الجليل والضئيل من أعماله . وقد يسأل عما أتى في كل لحظة ومن كل إنسان . فإنه حين نهض بالأمر قد عرض نفسه لهذا السؤال ، لأنه احتمل أمانة يشترك في حسابه عليها الناس جميعاً ، وينفرد بحسابه عليها آخر الأمر ربه الذي حمل إليه أمور الناس على أن يؤدي إليه حساب ما فعل وما ترك

وما أعرف أن خليفة من خلفاء المسلمين أو ملكاً من ملوكهم ، صنع ما صنعه عمر من هذا الضمير الحساس الذي أحصى ما يستطيع الضمير أن يحصي . ظهر ذلك من أمره نفسه حين ظهوراً قويا مقنعاً حتى شبهوه بالميزان الدقيق الذي لا يمكن أن ينحرف أو يجور . وما أعرف خليفة من خلفاء المسلمين أو ملكاً من ملوكهم ، تمثل حساب الله له في جميع لحظاته يقظان ونائماً عاملاً ومستريحاً ، مقبلاً على عظائم الأمور أو على الهين منها كما فعل عمر

يدخل على ابنته حفصة أم المؤمنين فتقدم إليه خبزاً ومرقاً قد صبت فيه الزيت فينصرف عنه ويقول : إدامان في إناء واحد لا والله لا أذوقهما . ويدخل على رجل من المسلمين فيستسقيه ، فيقدم إليه الرجل شراباً ، فيسأل ما هو فإذا عرف أنه عسل أعرض عنه وقال : لا والله ليحاسبني الله عليه . ويدفع إلى أحد الفرس قميصاً له ليصلحه في ذلك فيقدم إليه الفارسي قميصين قد صنعهما فيسأله أليس فيهما من مال الذمة شيء فيجيب الفارسي : لا إلا الخيط ، فيرده عمر ويقول : أعرف واردد إلي قميصي ، ويرد عليه الفارسي قميصه لم يصنع منه . فهو يرى أنه إذا أصبح ويراه إذا أمسى ، ويتمثل نفسه قائماً بين يديه يؤدي إليه الحساب عما فعل وما قال

وفي ذلك أعاجيب كلها رائعة وكثير منها يدفع إلى البكاء . همَّ عمر سفراً إلى الشام فكان يحتاج ليجهز ، واحتاج إلى ثلاثة آلاف درهم فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف ليقرضه هذا المقدار ، فقال عبد الرحمن للرسول : ليقترضها من بيت المال . فلما لقي عمر عبد الرحمن بعد ذلك سأله : أأنت قلت هذا ؟ قال : نعم . قال عمر : فإني لو اقترضت هذه الدراهم من بيت المال ثم أدركني الموت قلتم تسلفوها عن أمير المؤمنين واتركوها لأمير المؤمنين ، ويسألني الله عنها يوم القيامة ، ولكني أن

اقترضتها من شحيح مثلك ثم أدركني الموت ثم يضعها مني ولم يتركها لأهلي حتى تؤدى إليه. ولما طعن وأفاق من غشيته الأولى كان أول شيء عنده وأهمه أن يعرف أكان طاعنه رجلا من المسلمين، فلما عرف أن طاعنه كان غلام المغيرة بن شعبة رضي واطمأنت نفسه لأنه علم أن قاتله لا يستطيع أن يحاجه أمام الله عن سيئة قدمها إليه أو شر جناه عليه

ومن هنا لم يكن عمر شديداً على الناس بما كان يطالبهم به من الحزم فحسب، وإنما كان شديداً عليهم بما كان يتشدد في نفسه، وكان كثير من المسلمين يرون من أنفسهم هذا العيش الخشن الغليظ، فيستحون أن يلينوا لأنفسهم من العيش أو يظهروا ذلك، وربما وسطوا إليه ابنته حفصة أم المؤمنين لتسأله أن يرفق بنفسه وأن يبيح لها شيئاً ولو قليلا من طيبات الحياة، فأجاب لقد نصحت لقومك وغششت أباك. وكذلك كان ضميره مرهف الحس شديد المراقبة يسأله عن كل شيء قبل أن يسأله الناس وقبل أن يسأله الله، وكذلك أدى امتحانه منذ خلافته. ولكن الشيء الذي ليس فيه شك هو أن رعيته لم تؤد الامتحان كما أداه، ولم تثبت للمحنة كما ثبت. ومراقبة الضمير لا تتاح للناس جميعاً وإنما تتاح لأخيارهم والممتازين منهم وهي على النحو الذي عرفه عمر لا تكاد تتاح إلا للرجل الفذ بين حين وحين أو قل بين القرون الطويلة والقرون الطويلة

ولما امتحن المسلمون من أهل جزيرة العرب بالجدب واشتدت عليهم السنة ظهرت مراقبة الضمير في حياة عمر وفي أقواله وأعماله جميعاً، فكان يقول للناس: إن الله قد ابتلاكم بي وابتلاني بكم فلا أدري أهي سخطة بي أم سخطة بكم أم هي سخطة عمتنا جميعاً من أجلها العذاب

وقد صلى بالناس صلاة الاستسقاء فكانت صلاته استغفاراً كلها حتى ظن الناس أنه لن يسأل الله شيئاً إلا المغفرة ولكنه في آخر الصلاة سأل الله أن يسقي الناس

وعمر أول الخلفاء تشدداً في تعرف أحوال الناس كما قدمت ليعرف ما يمكن أن يكون قد نجم إليهم من شر أو خفي عليهم من مكروه. كان إذا أقبل الليل صلى فأطال الصلاة ثم خرج مستخفيا يتحسس أخبار الناس ويستمع أحاديثهم، وقد عرف بذلك فأصلح من أمور الناس شيئاً كثيراً. كان قد فرض العطاء للرجال والنساء والفتيان والفتيات والصبيان بعد أن يفطموا، فما كان في بعض لياليه سمع صبياً يبكي بكاء شديداً، فسأل أمه عن مصدر هذا البكاء فأجابت وهي لا تعرفه جواباً فيه نقمة، وعاد الصبي إلى البكاء فعاد عمر إلى السؤال وتكرر ذلك من الصبي ومن عمر حتى ضاقت المرأة بهذا السائل الملح فقالت له: « لقد ألححت على هذه الآبقة، أما تعلم أن ابن الخطاب لا يعطي الصبية إلا بعد الفطام. فأنا أتعجل فطام هذا الصبي لينال عطاءه من بيت المال » فانصرف عمر عن المرأة محزوناً كئيباً وهو يقول: « ويح عمر! كم قتل من أبناء المسلمين » ثم أمر المنادين فنادوا في الناس ألا تعجلوا رضاع أبنائكم فلهم عطاؤهم منذ يولدون

ولم يعرف عمر نظم الحكم الديمقراطي كما ألفه اليونان والرومان في بعض عهودهم. ولكن

ضميره الحساس وغيرته الشديدة وفقهه الذكي وحرصه على العدل وخوفه من الجور — كل ذلك دفعه الى شيء ليس بعيداً عن النظام الديمقراطي . ولعل عمر لو عاش لأحدث للمسلمين نظاما ديمقراطيا عربيا . كان يستشير من حوله من أصحاب النبي وسادة الناس في كل ما يعرض له من المشكلات ، ولكنه كان شديد الحرص على أن يحج بالناس في كل عام ويشهد الموسم الذي يجتمع فيه أهل الأمصار ، ويأمر العمال أن يوافوه على رأس من يليهم ، فإذا كان الموسم وحضرت هذه الوفود سمع من العمال في الرعية وسمع من الرعية في العمال وأقر العدل والنصفة بين أولئك وهؤلاء . فكان موسم الحج عند عمر موسما سياسيا يتعرض فيه لأمور الأقاليم يشهده من الحاكمين والمحكومين . ومن يدري لو أن الله مد له في الحياة إلام كان يصير أمر هذا الاجتماع السياسي المنظم

وخصلة أخرى من خصال عمر هي بغضه للتكلف وازدراؤه للمتكلفين . تأخر شيئا عن الصلاة فلما خرج جلس على المنبر واعتذر الى الناس قائلا : لقد اتسخ قميصي ، فغسل له قميصه فانتظر أن يجف ثم خرج للناس بعد أن تم له ما أراد . وقرىء أمامه قول الله عز وجل « وفاكهة وأبا » فقال قائل : وما الأب ؟ قال عمر : هذا هو التكلف وما يضرك ألا تعرف الأب ؟

ولو ذهبت أستقصي خصال عمر الرائعة وخلاله الممتازة لخشيت أن أستغرق هذا العدد من أسفار « الهلال » دون أن أرضي من ذلك حاجتي وحاجة القراء . ولكنك توافقني فيما أظن على أن ما عرضت عليك من صورته كاف كل الكفاية لإثبات ما زعمته في أول هذا الفصل من أن من أيسر الأشياء أن يصنع لعمر تمثال دقيق رائع دون أن يحتاج المثال الى أن يستعين الخيال

وقد حفظ التاريخ الصورة المادية لعمر كما حفظ الصورة المعنوية . فقد كان عمر طويلا يفوق الناس كلهم طولا ، وكان ضخما أحدب ، وكان إذا مشى أسرع في مشيته ، وكان أبيض اللون إلا في عام الجدب فقد اقتصر على أكل الزيت حتى تغيرت عليه معدته فاسود شيئا ، وذكر البعض أن الذين وصفوه بالسواد لم يروه إلا في ذلك العام

وخصلة أخرى أختم بها هذا الفصل لأن عمر قد ختم بها حياته وهي الرقة والأدب والحياء والإكبار لحرمة الموت . كان عمر شديد الحرص على أن يدفن مع صاحبيه إذا مات ، فلما طعن وأحس الموت دعا ابنه عبد الله وقال له : اذهب الى عائشة أم المؤمنين وقل لها إن عمر بن الخطاب يقرأ عليك السلام — ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست للمؤمنين أميرا — ويستأذنك في أن يدفن مع صاحبيه . فمضى عبد الله فقال ذلك لعائشة وعاد الى أبيه بإذنها فقال لابنه : وإذا مت فاحملوني على سريري فإذا وصلتم الى بيت عائشة فلا تدخلوا حتى تستأذنوا ، وقد حمل سرير عمر حتى إذا بلغوا بيت عائشة قالوا : إن عمر بن الخطاب يستأذن عائشة أم المؤمنين . ولم يدخلوا السرير حتى أذنت عائشة . وهنالك دفن عمر بن الخطاب مع صاحبيه محمد رسول الله وأبي بكر أول خلفاء المسلمين

طه حسين

التسامى فى عصر عمر

التفسير النفسى لقصة نصر بن حجاج

الجماعة كالفرد ، من حيث أمراض النفس وسيطرة الغرائز على الأعمال والانفعالات . فقد تبتلى أمة بالنفاق أو الخوف ، كما بلى شعب مصر بالفساد أجيالا طويلة وكما حل الجبن فى نفوس الرومان مكان الشجاعة فاستجدوا بالغزاة الفاتحين ، إلى أن شفاهم « ماريوس » من العلة الناهشة . وفى التاريخ أن أمما مرضت بأمراض الكسب والنفاق والاستهتار ، فطلقت لشهواتها العنان ، وانطرحت الدواهى عليها وركبها خور أتى عليها

وكذلك اشتهر عن أمم أنها ورثت عن آبائها ، وشعبت تماما واجتمعت أمراض العلل . وآية ذلك تركيا الحديثة وروسيا الشيوعية وألمانيا النازية . ولكن شفاء الجماعة من أمراضها العصبية والخلقية المتأصلة يقتضى « فكرة كبيرة » تعمر نفوسها وأذهانها ، ويؤمن بها الناس جميعا ، ويعتقدون نفعها لهم ، ووطنها تحقيق رغباتهم . كما لا بد من صفوة صالحة تتمثل فيها هذه الفكرة الكبيرة . .

وقد هبطت على العرب « الفكرة الكبيرة » وحيا تلقاه النبى الأمى محمد ، وكان هو وصحبه الصفوة ونعم المثال

كان العرب يعبدون الأوثان ، فجاءهم محمد بعقيدة التوحيد . وكانت نظرتهم إلى الحياة تنتهى بالموت ، فمدها الإسلام إلى ما بعد الجنة . وكانوا يؤمنون بالجزاء فى الدنيا ، فمده الإسلام فى الدنيا والآخرة . وعاشوا أبد الدهر فى عزلة عن العالم فضؤل حظهم من الثقافة ولم يصل إليهم غير نبالة من الحضارة ، فتطاحنوا على موارد صحرائهم المجدبة ، فأورثهم التطاحن رذائل الحقد والحسد وحب الانتقام والتصحر باضطرابات تافهة . فأخرجهم الإسلام من البيد إلى الأرض بما رحبت ، وبوأهم ملك كسرى وقيصر . وهكذا جاهدوا من أجل الفكرة فصرفت الأحن فى خضم الرغبات الرفيعة والمقاصد الفسيحة ، وجمعهم الغرض الضخم فانقلب التباغض إلى تنافس مشروع ، وأصبح الأعداء أوداء فى دين الله . وبعد أن يتفاخروا بأمجاد القبيلة ومؤثر الآباء ، صاروا يتباهون بثل العروش والاستحواذ على الممالك وحكم الشعوب . وتحولت الخصومة الفردية إلى خصومة على مبدأ إنسانى عظيم

وفى الحقيقة طرأ على كل أعرابى فى الحرب ما صححه ، وعلى كل الشواء ما أقام معوجه . وتوجهت البواعث وجهة أرفع ، وتعالت الأغراض من الأرض إلى السماء . وصارت سيكولوجية . . . ت فى

حرية الحب محرمة والشاعر ، يصيح بحب مصطلع الفجر . وفي جملة القراءات التي تسامت هناك عزيزة الحب ، والقصة التالية خير شاهد على هذا الشاعر العاطل

* * *

قيل : بينما كان عمر بن الخطاب يطوف ذات ليلة في سكك المدينة ، إذ سمع امرأة تنشد شعراً أوله :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فلما سمع عمر هذه الأشعار تتغنى بها امرأة غضب وقال :

— لا أرى معي رجلاً تهتف به العواتق في خدورهن . علي بنصر بن حجاج

فلما أصبح أوتي بنصر بن حجاج ، فإذا هو من أحسن الناس وجهاً . فقال عمر :

— عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك ، (أي تقصه) . فأخذ نصر من شعره في حضرة عمر ، وخرج من عنده ، وله وجنتان كأنهما شقتا قمر ، فاستدعاه عمر وقال له :

— اعتم (أي البس العمامة)

فاعتم نصر ، فافتتن الناس بعينيه ، فقال عمر :

— والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها

فقال نصر :

— يا أمير المؤمنين ، وما ذنبي ؟

فقال عمر :

— هو ما أقول لك

ثم سيره عمر إلى البصرة منفيا

فخشيت المرأة أن يبدر من عمر إليها شيء تكرهه ، فدست إليه أبياتاً ، هي :

قل للإمام الذي تخشى بوادره ... ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقاً أن تبينه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجي

إن الهوى زمه بالتقوى ، فتحبسه ... حتى يقر بإلجام وإسراج

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته وقال :

— الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى

بكى عمر لأنه أساء الظن بامرأة عفيفة تهجس بفتى في أحلام اليقظة ، وتنفس عن فؤادها لوعة الشوق . بكى عمر لأنه سها عن حقيقة مشهورة في عصره ، هي أن حب المخلوق يتسامى إلى حب الخالق . بكى عمر وهو المشهور بالغلظة والفظاظة ، حيال النساء بوجه خاص ، بدليل قول إحدى نسائه : « يخرج عابسا ويدخل عابسا » . وقد أحسنت المرأة في وصف ما أحسته من

التسامي ، فقولها : « إن الهوى زم بالتقوى » فمعنى « الزم » لغة هو الشد ، ومنه الزمام ، وزم المرء بأنفه ، شمخ ، وزم برأسه ، رفعه . فيكون المعنى : أن قولها نصر بن حجاج قد رفعته التقوى من الأرض إلى السماء ، وتسامت به من المخلوق إلى الخالق

وأراد عمر استصلاح نصر بن حجاج وعلاجه ، فقد كان جميلا محبوبا من النساء والرجال جميعا ، فخشي عليه داء « النرجسيزم » ، وهو مرض نفساني يتوهم المرء فيه أو يعتقد ، أنه محور الدنيا ، وأنه يجب على الناس أن يخصوه هو وحده بالحب ، والتدليل

ولا شك في أن نفيه إلى البصرة شغل باله عن الاهتمام بنفسه إلى الحنين لوطنه ، ويعرض في فؤاده الشوق إلى الأهل وينسيه اشتهاء الشوق إليه هو . وهكذا اشتملت القصة على أمثلة ثلاثة من التسامي ، تدور كلها حول الارتفاع بعواطف الحب والمودة من الأغراض الذاتية إلى المقاصد العالية ، وتسامت بالغرائز الحيوانية إلى المطامح الروحانية

« خ »

دعاء عمر

- لما ولي الخلافة قال :

اللهم إني شديد فليني ، وإني ضعيف فقوني ، وإني بخيل فسخني

- ولما وقعت المجاعة في عام الرمادة كان يدعو :

اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي

- ولما وجه الجيوش لتنشر الإسلام قال :

اللهم ارزقني قتلا في سبيلك أو وفاة في بلد نبيك

- ولما تقدمت به السن كان يقول :

اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط

عمر بن الخطاب كما أتصوره

(بقية المنشور على صفحة ١٠)

والتناحر ، ولا أزعم ان هذا البحث سهل ميسور في إبانة كنهه ، وقصارى ما نطمع فيه أن نكتب على هامش الهامش خطوطا هيكلية فحسب

كان عصر عمر قريب الصلة جداً بالعصر الجاهلي وكانت الدعوة للاسلام — أو أثر الدعوة الاسلامية على وجه الدقة — في أولها ولعلكم تذكرون « الردة » وخروج الكثير عمن أسلم على أحكام الاسلام في الصميم ، متخذاً مسألة الزكاة تكأة للتخلص من أحكامه الالزامية . وكانت الطاعة لحكم الجماعة في أولها أيضا وكانت التقاليد الوثنية ، بل مراكز بعض القبائل ، وبعض زعماء العرب ، وبعض الأسر ، بل بعض العادات العربية من حيث سطو القوى على الضعيف ، واستعلاء الكبير على الصغير ، واعتزاز صاحب السلطان الوراثي أو المالي أو الشخصي بما له من سيادة وقوة ، وسلطان ونفوذ ، وحول وطول — كان هذا كله شبه ترقب ورجعة وعودة ، وترقب كر وفر ، وحبس رفع رأس ، أو حز بجلالة انتصار ، أو أمل في استعادة مكانة ، كما هو مسطر ومعروف في مختلفات الطبيعة الانسانية عامة ، أو طبيعة الأعراب البادية خاصة ، أو طبيعة الاجتماع بصفة أعم

فالسؤال المنطقي المعقول والواجب التساؤل به هو : ماذا يجب على الملك أو الزعيم أو الخليفة أو الحاكم الذي يحث في ظروف كهذه ؟

أظن أنه من المنطق والمعقول والواجب أن يلاحظ كل هذه الملابسات ويجعل هو وولاته والأيدي العاملة معه على درء خطر سيطرة الأهواء ، ويجعل الناحية في تلك ، والحد من بعض اسلاما وعقيدة وجهاداً وسعيا ، متخذاً من القاعدة الاسلامية الحكيمة : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » تكأة ومبدأ أو كما يقول عمر : « من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » والرجل وبلاؤه في الاسلام ، والرجل وقدمه في الاسلام ، والرجل وعناؤه في الاسلام ، والرجل وحاجته . . .

وأظن أنه من المنطق والمعقول والواجب أن يتخذ من أحكام هذه النواحي ، وأحكام تلك الشريعة نصوصا لا هوادة في تطبيقها على الجميع ، نصوصا الزامية كأنها الأحكام العرفية لا حيدة عنها ولا حول ، ولا مفر منها ولا مندوحة . وأن تكون هذه الأحكام العرفية ملزمة للجميع وضرورة الاتباع من الجميع على حد سواء ، سيما في أدوار الانتقال كالتي كان فيها عمر لأنها أدوار انتقال من عصر جاهلي الى عصر اسلامي ، أو حكم قبائل تتشتت … وتتقاتل … الى حكم اسلامي شعاره المساواة والاخاء والعدل والمحبة وليس من ريب بتاتا أنه اذا تساهل عمر

بالطريقة التي يتساهل بها معاوية مثلا أو بعض خلفائه إزاء هؤلاء الولاة أو الزعماء أو الكبراء ، أو أخذ من سياسة ميكيافلي أو حكام القرون الوسطى أو من جدهم في انجلترا وفرنسا من حيث إرضاء نهمة الأقوياء بالإقطاعيات التي يطمحون إليها ، والصلات التي يؤملونها ويطمعون فيها — نقول إنه إذا تساهل عمر في شيء من هذا أو شبيهه ، والإسلام في أول أيامه ، وإبان نشأته ، وبعض العرب في شبه اتصال بذكريات مراكزهم في قبائلهم وبيئتهم ومطامعهم وحولاتهم ونزواتهم وما كان لهم من سلطان ونفوذ ، لتغير إذن وجه التاريخ الإسلامي ، ولكن الإسلام قد استفاد حقا من سياسة عمر التي صدق رسول الله حين طلب إلى الله مبتهلا صادقا أن يعز الإسلام بعمر ، وقد أعز الله الإسلام بإسلام عمر ، إذ قد جمع فيه من الصفات الحيوية اللازمة لزمانه والمكان ، المتفقة مع الوضع والساعة ، الفاصمة لعصبيات من يحكم ، ونزعات من يحكم ، واتجاهات من يحكم

إذن لم يكن ثمة من مفر مما تقدم لعمر السياسي . ولا أتكلم هنا عن عمر المسلم الورع ، ولا عن عمر الزاهد المتقشف ، ولا عن عمر الفيلسوف ذي الفطنة والنهج الخلق السامي . بل أتكلم عن عمر السياسي أو المصلح الاجتماعي أو الحاكم الإسلامي

أقول لم يكن ثمة من مفر لعمر أن يكون كما كان ، من حيث الزامه التحديد المترمت ، غير مترخص ، ولا متهاون ، ولا متمصر ، لحدود الحق الجاف ، الحق الصراح البحت ، من تنفيذ العدالة الصارمة التي لا التواء فيها ، ولا لطف ولا لين . ومن تصفية قوية الشكيمة ، كاملة الأداء ، مصلحة الوضع ، بينة الأثر ، ذات جلجلة وصوت وضوضاء ، مع الجميع على حد سواء .

ولكنه من ناحية أخرى يجب أن يرفع المستوى العام من الرعية ، وهم أكثرية خلق الله ، وهم عامة المسلمين ، وهم العمود الفقري لأمته وشعبه . يجب أن يرفعهم بروحه الديمقراطي المتواضع النبيل إلى مستوى إنساني لائق . يجب إلى جانب تثقيفهم في الدين وما فيه من كنوز ثقافية مهذبة ، مصلحة ، منورة ، ومنكة ، وإلى جانب تربيتهم تربية خلقية مثيرة تبعدهم عن التطلع إلى الغيبيات ، تطلع السفهاء الذين يقولون قال النبي كذا ويكثرون عنه بالروايات المتعسفة الملاحقة في غير ما ملابسة ، والذين لا يعملون ولا يجتهدون بل يريدون أن يكونوا عالة على المجتمع الإنساني ، والذين همهم من عبدهم أو تهجدهم أو صومهم أو صلاتهم أو تقشفهم ، أو ترهبهم ، أو تظاهرهم بالأعمال في الأخرويات والغيبيات أن يطعمهم الغير ، ويكدح في سبيلهم الغير ، وعن هذا كله وأشباهه ونظائره قد نهى عمر وله فيه مواقف جد عظيمة ، وجد كبير . ولو أخذ بمنهجه في هذا الباب لكان الفهم الصحيح الواضح للعبادات وقيم الصلاح وقيم الرجال ، والفلسفة الإسلامية مما يتفق تمام الاتفاق مع منطق الحياة وجلاد الحياة ومأموريات في الحياة في كل زمان ومكان ، وفي كل مجتمع ودولة ، وفي كل ناحية ومنهج — نقول إن عمر في ناحية أخرى عمل كل ما في المقدور الإصلاحي التقويمي الأساسي على رفع مستوى أكثرية الرعية من حيث الرزق منهم ، ومن حيث الأقوات لهم ، ومن

حيث أمدادهم بما يستحقون من عون مادي ، أو تهذيبي ، أو ديني ، أو إنساني . كما أنه أحسن الإحسان كله إلى الصغار وأحسن الإحسان كله إلى النساء ، وأحسن الإحسان كله إلى من بالأطراف ، وأحسن إلى الجند . وعمل في تدعيم الديمقراطية الإسلامية ، وفي سبيل النظم الحكومية شيئاً كثيراً ، كتنظيم التفتيش القضائي والإداري العام وتنظيم المراجعين الماليين ، وتعميم التفتيش المالي والإداري وما إلى ذلك مما يتطلب بحوثاً تاريخية مطولة ليس هنا مكانها

ومن هذه الصورة المتواضعة عنه قد أتينا في موضوعنا بشيء لا بأس به ، وقد نقصر كثيراً دون الإحاطة بهوامش متواضعة لدستور عدالته ، وشريعة حكمه ، وناموس حكمه ، بل لعلنا قد أتينا بطرف من صورته الحقيقية التي نرجو أن تتجدد في البيئات المصرية والأوساط الديمقراطية الراهنة وفي ظروف مدنية العصر الحاضرة ، وفي هذه المناسبات الإسلامية المقدسة ، التي يستفيد منها الإنسان علماً وتفكيراً ، وثروة ومالاً ، وفهماً ورقياً ، وعمراناً وإصلاحاً . ونؤمل أن يكون لنا في مليكنا الورع المحبوب فاروق الأول خير عضد للإحسان والإصلاح والتجديد وحامل لواء العدل والإنصاف ، ونشر الحق والصواب . لا لمصلحة مصر وحدها بل العالم الإسلامي قاطبة ، حسب ومصرنا مصر حرية واستقلال وديمقراطية ودستورية ، ومصير ونماء ، وتشييد وإنشاء . وحسب جلالته مد الله في حياته الباهرة الفذة ، خير رجال وولاة ، وزعماء وفقهاء ، ووزراء وعلماء ، وحلفاء أوفياء ، وسواعد أمناء ، وفي طليعتهم الزعيم الكبير والشيخ الورع مصطفى النحاس باشا الذي حباه الله بالدين القويم والخلق العظيم والولاء الكريم

أحمد فريد رفاعي

استدراك

ذكرنا سهواً في صفحة ٦٦ أن الأستاذ محمد عرفة عضو في جماعة كبار العلماء ، والصحيح أنه عضو في هيئة كبار العلماء الموقرة أيدها الله

تأبين عمر بن الخطاب

- قال علي بن أبي طالب حين رأى عمر بن الخطاب مسجى على فراش الموت: «ما على الأرض أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته إلا هذا المسجى بينكم».
- قال عبد الله بن سلام: «نعم أخو الإسلام كنت يا عمر، جواداً بالحق، بخيلاً بالباطل، ترضى حين الرضى، وتغضب حين الغضب، عفيف الطرف، طيب الظرف، لم تكن مداحاً ولا مغتاباً».
- أنشد حسان بن ثابت في رثائه:

ثلاثة برزوا بفضلهم … نصرهم ربهم إذا نشروا
فليس من مؤمن له بصر … ينكر تفضيلهم إذا ذكروا
عاشوا بلا فرقة ثلاثتهم … واجتمعوا في الممات إذ قبروا

- رثته ابنة أبي حثمة فقالت: «واعمراه، أقام الأود، وأبرأ العمد، أمات الفتن، وأحيا السنن، خرج نقي الثوب، بريئاً من العيب».
- أنشدت زوجته عاتكة ابنة زيد بن عمرو:

عين جودي بعبرة ونحيب … لا تملي على الإمام النجيب
فجعتني المنون بالفارس المعـ … ـلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الناس والمعين على الدهـ … ـر وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل السراء والبؤس موتوا … قد سقته المنون كأس شعوب

- وقال حافظ إبراهيم في عمريته المشهورة:

مولى المغيرة، لا جادتك غادية … من رحمة الله ما جادت غواديها
مزقت منه أديماً حشوه همم … في ذمة الله عاليها وماضيها
طعنت خاصرة الفاروق منتقماً … من الحنيفة في أعلى مجاليها
فأصبحت دولة الإسلام حائرة … تشكو الوجيعة لما مات آسيها
مضى وخلفها كالطود راسخة … وزان بالعدل والتقوى مغانيها
تنبو المعاول عنها وهي قائمة … والهادمون كثير في نواحيها
حتى إذا ما تولاها مهدمها … صاح الزوال بها فاندك عاليها

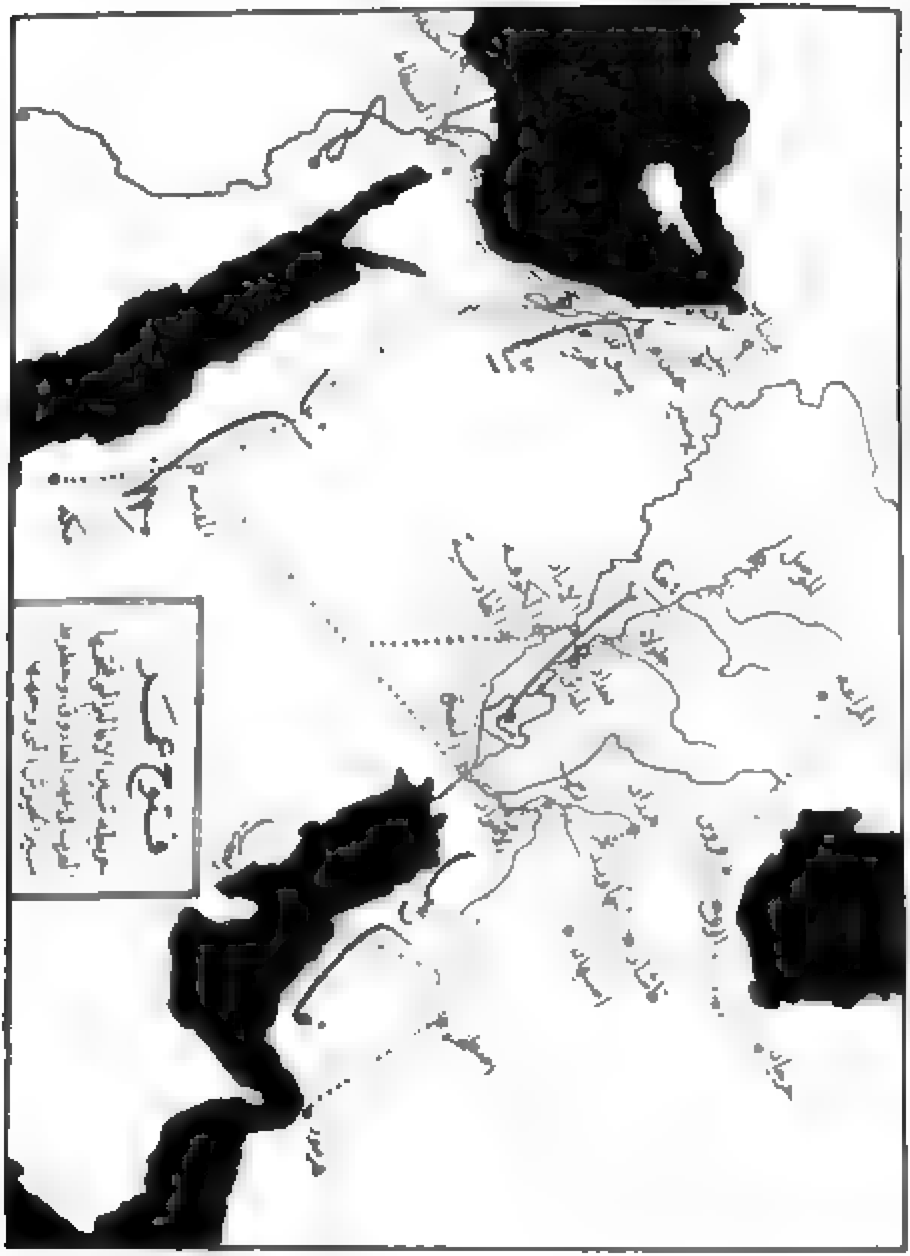

مصرع عمر بن الخطاب

مؤامرة دبرها أعداء الإسلام

بقلم الأستاذ حسن الشريف

شهيد الأجيال — أبو لؤلؤة جان — هل هي مؤامرة دبرها الأعاجم ؟

أسباب مؤامرة حبكها أعداء الإسلام الأولون — الشهيد الأعظم

يلقى أبلغ العبر على فراش الموت — ويضع مبدأ قويماً لاختيار خليفته

كانت الأضواء الأولى من الفجر قد انبعثت من الشرق وترسل على الكون أشعتها الفضية فتبدد شيئاً فشيئاً من كثافة الظلام المخيم على المدينة . وكان المسلمون قد بدأوا يتوافدون على المسجد زرافات ووحداناً ليقيموا صلاة صبح اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة . وقد جلس السابقون منهم فى حلقات السحر يذكرون الله ويتلون ما تيسر من الذكر الحكيم منتظرين أن يوافيهم أمير المؤمنين ليؤمهم فى الصلاة .

أما أمير المؤمنين فكان فى تلك الساعة يتجول فى الأزقة — جرياً على العادة التى ألفها منذ ولى الخلافة — ويطرق بيده المباركة أبواب الناس ليوقظ النائمين منهم منادياً أمام كل باب : « الصلاة الصلاة ، يا عباد الله هلموا إلى طاعة الله » . فما انتهى من تجواله واطمأن إلى أنه أدى هذا الواجب الأول الذى كان يستفتح به يومه ، اتجه شطر المسجد ملتفاً ببردته حاملاً فى يسراه الدرة التى لا تفارقه ، وهى قضيب من خيزران رفيع كان يؤدب به العصاة ويلوح به فى وجوه من تحدثهم أنفسهم بالخروج على أوامر الله . ولعل هذه الدرة كانت هى الصولجان الذى تميز به ذلك الملك الزاهد فى مظاهر الملك وأبهة الملوك .

وأقبل عمر وهو يتمتم بآيات من القرآن ويتلو بعض عبارات الاستغفار ويشد عليه أثوابه واقتحم عتبة المسجد بخطواته الواسعة وسار بين الناس يحييهم ويردون تحيته بأحسن منها ، ونهض المسلمون يتأهبون للصلاة ووقفوا صفوفاً متراصة ، وسار عمر بين هذه الصفوف يقومها بدرته ويسويها مشيراً إلى هذا بتقدم خطوة وإلى ذاك بالتأخر خطوة ، ثم تقدم إلى المحراب واستقبل القبلة وألقى الدرة من يده وكبر وتشهد وبدأ الصلاة .

وثبت المصلون سجوداً يردد كل منهم قول الإمام « سبحان ربي الأعلى » وينتظر أن ينهض عمر من سجدته لينهض الناس وراءه . وإذا برجل كان يصلي إلى جانب عمر قد انحنى على الخليفة وركز عليه وأسال خنجراً ذا شعبتين وطعن عمر به طعنات سريعة متوالية . وإذا الخليفة يصيح : « آه . . . لقد قتلني الكلب » .

رفع المصلون رؤوسهم دهشة وذعراً ورأى المتقدمون منهم فيروز أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ينهض من فوق ظهر عمر وفي يده خنجر يقطر دماً ، ورأوا عمر يميل على جانبه ويتمدد فوق الأرض وهو شبه أن يصحو غشيته طويلة ويبسط راحته ويقبضها ويردد الشهادتين ويقول « هذا قضاء الله فلا حول ولا قوة إلا بالله » .

استولى على الناس ذهول شديد شل أيديهم وعقل ألسنتهم فلم يستطيعوا أول الأمر إلا أن يصيحوا صيحة الهول والفزع ، وإلا أن تضطرب صفوفهم ويختل نظامهم . ولكنهم إذ رأوا أمير المؤمنين يتخبط في دمه الذي بلل ما تحته والقاتل واقفاً شاهر السكين فاغراً فاه كالمجنون متحفزاً للوثوب على من يدنو منه ، هرع بعضهم إلى الخليفة يحتضنونه ويكشفون عن جراحه ، وانقض الآخرون على العبد يحاولون الأخذ بتلابيبه والقبض عليه .

بيد أن اليائس لا يخاف . ولقد أدرك أبو لؤلؤة أن لا نجاة له من أيدي القوم متكاثرين عليه إلا إذا أرهبهم وهددهم عن نفسه ليشق بين صفوفهم طريقاً إلى الباب ، فأعمل الخنجر فيمن حوله وجعل يضرب يميناً وشمالاً والصحاب تتصدى من كل جانب والناس يفرون من بين يديه ، حتى ألهم الله أحدهم فألقى على رأسه عباءة غطت عينيه وعاقت حركته . وأحس العبد أنه لا محالة مأخوذ فطعن نفسه بخنجره طعنة أودت بحياته ، فلما طرحوه أرضاً وكشفوا العباءة عن جسمه ألفوه جثة هامدة .

• • •

اختلف أصحاب السير والرواة في تعليل مقتل عمر فقال بعضهم إن هذه المأساة العاصفة جاءت نتيجة حقد أحد الموالي عليه ، وذكروا أن أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة صادف عمر في السوق يوماً وشكا إليه فداحة الخراج الذي فرضه سيده المغيرة عليه وتوسل به في تخفيف هذا الخراج ، فسأله عمر عن مقدار خراجه فقال : درهمان كل يوم ، فسأله ما صناعته فقال : حداد ونجار ونقاش فانتهره عمر وصاح في وجهه : « ليس هذا الخراج بكثير على رجل يتقن كل هذه الصناعات » فذهب العبد يقول : « ما أعدل عمر على جميع الناس إلاي ! » وأسرها ضغينة ظلت تأكل قلبه حتى شدها بجنانه الشقاء . ويؤيد الرواة هذا التعليل فيذكرون أن عمر قال لأبي لؤلؤة يوماً : « لقد بلغني أنك تقول لو أردت أن أصنع رحى تدور بالريح لفعلت فهل لك أن تصنع لنا رحى ؟ » فنظر إليه العبد نظرة غيظ وأجاب : « سأصنع لك ذلك ولو مد الله في أجلي لأصنعن لك رحى يتحدث بها أهل

الخاشعين . فلما انصرف أطرق عمر مفكراً وشيعه بنظرة قلقة وقال : « لقد توعدني العبد »

وذهب غير أولئك من المؤرخين الى ان مقتل عمر انما وقع نتيجة مؤامرة رهيبة دبرها الأعاجم المقيمون في المدينة انتقاماً من العظمة التي فتح بلادهم وأباد عروشهم وأذل ملوكهم ، ولو امتد به الأجل لمد سلطان المسلمين الى أقصى المشرق وأقصى المغرب ولجعل من العالم كله مستعمرة اسلامية عزيزة الجانب رهيبة المقام

وما دام العرب لم يكتبوا تاريخهم ولم يدونوا حوادثه وقت وقوعها أو بعد وقوعها بقليل فليس يستطيع المؤرخ اليوم أن يؤكد أي المذهبين أصح وأصدق ، بل ليس يسعه حيال تلك الروايات المختلفة الا أن يوازن بينها ليأخذ بأقربها الى العقل وأدناها الى المنطق ، مؤيداً استنتاجه بما اتفق عليه أكثر الرواة وبما تؤدي اليه من شهادة المعاصرين

والذي يبدو من صور الذين درسوا سيرة عمر وعرفوا ما اتصف به من شدة البأس والمراس وما كان له من المكانة بين الناس والهيبة في صدورهم ، أن يجترئ عبد كأبي لؤلؤة على توعده أو أن يهجم على قتله بين جمهرة المسلمين لسبب تافه كذلك الذي يعلل به الرواة مقتل ابن الخطاب

أما مؤامرة الأعاجم على حياة عمر انتقاماً لعروشهم المقوضة فقد تبدو أمراً عجيباً بعد أن انقضى على فتح بلادهم بضع سنوات . فنتساءل أين كانوا وما لهؤلاء الأعاجم قد صبروا واستكانوا هذه الحقبة من الزمان ؟ وما الذي أثار الحمية القومية في نفوسهم بعد تلك السنين الطوال ؟ ولم لم يفتكوا بعمر أثناء مقامهم بالمدينة وقد كان عمر يتجول كل يوم في أرجائها وأسواقها وحيداً أعزل وينام على قارعة الطريق أو على جدار المسجد بلا حراس ولا أعوان ويخرج الى الصحراء منفرداً ليستقبل رسل القواد وأمراء الجيوش ؟

وقد يكون لهذا الاعتراض وجاهته اذا صح أن أصحاب المؤامرة كانوا كلهم من الفرس ، أو لو وقف سبب تآمرهم عند حد الثأر لكرامتهم الوطنية التي أهدرتها جيوش المسلمين . أما وقد كان قوام هذه المؤامرة خليطاً من الفرس يمثلهم الهرمزان الأهوازي ، ومن المسيحيين يمثلهم جفينة النصراني ، ومن اليهود المتأسلمين يمثلهم كعب الأحبار ، ومن المجوس يمثلهم فيروز أبو لؤلؤة مولى المغيرة ، وأما وقد كان سبب المؤامرة خوف أولئك جميعاً من أن تمتد فتوحات المسلمين بزعامة عمر وحسن تدبيره واحكام خططه حتى تعم كل البلاد وكل الأديان فلا يصبح للعالم حاكم سواه ولا دين سوى الاسلام ـ فان الأمر يبدو عندئذ معقولاً لا غرابة فيه

ومن المعلوم أن الهرمزان كان من قواد الجيش الفارسي وقد هزمه سعد بن أبي وقاص وأسره وأنه لم يعتنق الاسلام الا ليتخلص من القتل ، وقد عاهد المسلمين على الولاء لدينهم وخليفتهم ثم نكث عهده غير مرة وانطلق يحرض مواطنيه ويثير دفائنهم على المسلمين ، فلما أخفقت جهوده وفشلت مساعيه عاد الى الاسلام وهو يضمر له الحقد الدفين

ومعلوم أيضاً أن جفينة نصراني أتى به سعد بن أبي وقاص من عرفة ليعلم أهل المدينة القراءة والكتابة، وقد ظل على نصرانيته ينظر الى عالم الاسلام وخصم فتوحاته بعين الحقد والحسد، حتى إذا هزم المسلمون جل جيوش الامبراطور هرقلوس حامي النصرانية ثارت حفيظته وبيت للمنتصرين هذا الكيد العظيم.

وأن كعب الأحبار يهودي ماكر داهية رأى راية الاسلام تعلو فوق ربوع اليهود وجيوشه تكتسح الأديان والبلدان، وتيقن أنه لا قوة في الأرض تثبت في وجه ذلك السيل الجارف، فأسلم وفي الأصح تظاهر بالاسلام واندس بين المسلمين ينفث سمومه ويفسد عقائدهم بما يدسه من الأخبار والروايات التي ينسبها كذباً الى التوراة. وما من شك في أن هذا الرجل هو مصدر كل الخزعبلات والأساطير والأحاديث التي شابت صفاء الدين الاسلامي وشوشت عقائد المسلمين بعد أن أصبحوها ثقة صدقة مقبولة بما كانوا يعرفونه من علمه ويتوهمونه من صدقه وقوة ايمانه.

فهل يستغرب بعد ذلك أن يجد الهرمزان في جفينة وكعب الأحبار حليفين قويين حركهما نفس الدافع الذي حركه الى التخلص من عمر، وأن يجد الثلاثة في المجوسي الموتور أبي لؤلؤة أداة صالحة لانفاذ المؤامرة اليهودية والنصرانية والمجوسية من ذلك الخليفة الذي يهدد كيانهم بمحوهم من الوجود!

وبعد فان المؤرخين يسوقون من الروايات ما يعطي دليلا على أن عمر راح ضحية مؤامرة أعداء الاسلام. فقد ذكر الطبري أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شهد يوم مصرع عمر بأنه حينما كان في طريقه الى داره عشية الحادثة، رأى الهرمزان وجفينة وأبا لؤلؤة يتهامسون ويتناجون، فلما قرب منهم اضطربوا وسقط من بين أحدهم خنجر ذو شعبتين ونصابه في وسطه، وهو نفس الخنجر الذي طعن به أبو لؤلؤة أمير المؤمنين. ولقد تحقق عبد الله بن عمر صحة هذه الرواية واقتنع بصدقها فحمل سيفه وسعى لأخذ ثأر أبيه فقتل جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة، وأقسم ليقتلن كل من اشترك في المؤامرة بالايعاز أو بالتدبير، فلما علم بذلك عمرو بن العاص ذهب اليه ليهدئ من ثورته وأخذ السيف من يده واقتاده الى دار سعد بن أبي وقاص وحبسه فيها الى أن سكنت عصبته.

وجاء في كتب « أسد الغابة » أن كعب الأحبار أنبأ عمر بما سيقع له قبل وقوعه بثلاثة أيام إذ ذهب اليه وقال: « يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت في ثلاثة أيام » فسأله عمر: « وما يدريك؟ » قال: « أجد ذلك في التوراة » فلما كان اليوم الثاني ذهب اليه وقال: « يا أمير المؤمنين انقضى يوم وبقي يومان فاعهد » ولما كان اليوم الثالث ذهب اليه أيضاً وقال: « لم يبق من حياتك يا أمير المؤمنين سوى يوم واحد وهو لك بليله حتى مطلع الفجر » ولكن عمر لم يشأ أن يصدق ذلك، أو لم يرد أن يحتاط له باستعداد، واكتفى بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

وأغلب ظني أن هذه الرواية موضوعة لفقها اليهود بعد مقتل عمر ليعظموا من شأن كعب الأحبار في نظر المسلمين ، وإلا فلو أن كعب الأحبار أخطر الخليفة بما يقال إنه أخطره به لشدد عليه عمر في السؤال ولأنكر عليه أن يجد ذكره في التوراة

على أن رواية « أسد الغابة » إذا صحت فهي تشعرنا بأن كعب الأحبار كان على علم بما يبيت لعمر وإنما أراد أن يمهد طريق براءته من المؤامرة إذا فشلت حتى يقول : لقد حذرت عمر ولو كنت شريكا فيها ما حذرته

• • •

الآن وقد أوردنا ما قيل في تعليل مقتل عمر وما يحسن التعويل عليه من تلك الأقوال ، نعود إلى الشهيد الأعظم نرى كيف وبم أمضى ساعاته الأخيرة . ولنتلق أبلغ درس في بيان النفس والإيمان بالله والاستهانة بالدنيا ألقاه على العالم أعظم أمير حكم المسلمين من فوق ذلك السرير الرهيب الذي يسمونه فراش الموت

سقط عمر تحت ضربات أبي لؤلؤة فكان أول ما صنعه أن قال : « أخرجوني عن القبلة » فلما أرقدوه إلى جانب المنبر وأقبلوا عليه يواسونه ويحاولون تضميد جروحه أشار إليهم بيده أن يكفوا عن ذلك وسأل : « أفيكم عبد الرحمن بن عوف ؟ » فصاح عبد الرحمن : « ها أنا يا أمير المؤمنين » فقال عمر : « تقدم وصل بالناس يا ابن عوف ! » ثم اعتمد بكوعه على الأرض وضغط بيده أحشاءه في بطنه المثقور وصلى مع الناس صلاة خافتة لم يستطع فيها قياما ولا ركوعا ولا سجوداً

ولعمري لو حاول أبلغ الكتاب أن يوفي هذا البيان النفسي في ذلك الموقف العصيب حقه من الإعظام والإكبار لانتقص من جلاله وأزرى بروعته فلندعه إذن لتقدير النفوس صوناً له من عبث الأقلام

ويستعلم الفاروق عن ضاربه فيقال له إنه أبو لؤلؤة فيفرح ويسر ويقول : « الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد مسلم يشاركني في قولة لا إله إلا الله » ويسأل من حوله أللمسلمين ضلع فيما وقع له فيتبرأون كلهم : « والله لقد وددنا لو فديناك بأرواحنا يا أمير المؤمنين » فيتنفس الصعداء ويقول : « الحمد لله »

ويأمر فينقل إلى داره هادئ النفس رابط الجأش ويجتمع الناس حول فراشه يبكون أسفاً وجزعاً كأن لم تصبهم مصيبة قبل ذلك فينتهرهم قائلا : « ألم تسمعوا قول رسول الله إن اللعنة تصيب الميت بقدر بكاء أهله عليه ! » ويستشار في استدعاء الطبيب فيقول : « ويحكم أيها الناس أأنظر في أمر نفسي قبل أن أنظر في أمور المسلمين ! »

ويقول له كبار الصحابة : « استخلف علينا خليفة يا أمير المؤمنين » فيجيب : « إن أترككم فقد ترككم من هو خير مني (يعني رسول الله) وإن أستخلف فقد استخلف عليكم من هو خير

مني . ولو كان أبو عبيدة عامر بن الجراح حيا لاستخلفته فإن سألني ربي قلت سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الأمة » ويقترحون عليه أن يستخلف ابنه عبد الله فيقول « بحسب آل الخطاب أن يحاسب واحد منهم عن أمة محمد . ولقد وددت أني أنجو نفسي من هذا الأمر كفافا لا عليّ ولا لي » ويراجعونه في وجوب اختيار من يخلفه فيقول « كنت اعتزمت بعد مقالتي لكم أن أولي عليكم رجلا أرجو أن يحملكم على الحق (ويشير الى علي بن أبي طالب) ولكني رأيت ان لا أتحملها (اي مسئولية) حيا وميتا . عليكم بهؤلاء الرهط الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة » ويذكر ستة أسماء ويوصي ان يجتمعوا ويتشاوروا ويقول « فليختاروا منهم رجلا فاذا ولوكم واليا فأحسنوا مؤازرته »

وجاء في كتاب « العقد الفريد » عن ابن عباس انه قال

« دخلت على عمر في أيام طعنته وهو مضطجع على وسادة من أدم وعنده جماعة من اصحاب رسول الله فقال له رجل : لا بأس عليك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : لئن لم يكن على اليوم بأس ليكونن عليّ بعد اليوم . وإن الحياة نصيبا من القلب وإن الموت لكريه . وما كنت منكم ومن أمركم الا كالغريق يرى الحياة فيرجوها ويخشى ان يموت دونها فهو يركض اليها بيديه ورجليه . ولقد تركت زهرتكم كما هي ما لبستها فأخلقتها ، وثمرتكم يانعة في أكمامها ما أكلتها ، وما جنيت ما جنيت الا لكم ، وما تركت ورائي مالا عدا ثلاثين او ارعين درهما . ثم بكى وبكى الناس معه فقلت له : طب نفسا واصبر يا امير المؤمنين فوالله لقد مات رسول الله وهو عنك راض ومات أبو بكر وهو عنك راض وان المسلمين عنك لراضون فقال : المغرور والله من غررتموه وإني لأمرؤ ما لنفسي وما علي وما حسابي الا عند الله »

ويشفق على المسلمين من ثورات نفوس الذين قد يخلفونه فيستدعي عليا وعثمان والزبير وسعداً وطلحة ويقول لهم « اقضوا في امركم واختاروا واحداً منكم » ثم يقول : « انا انشدك الله يا علي ان وليت من امور الناس ان لا تحمل بني هاشم على رؤوس المسلمين . وانا انشدك الله يا عثمان ان لا تحمل بني معيط على رقاب الناس . وأنشدك الله يا سعد ان لا تقدم اهلك على سائر العرب قوموا وتشاوروا واقضوا امركم وليصل بالناس صهيب »

وفي وصيته يقول « أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أن يعرف حقهم ويحفظ كرامتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ويشركهم في الأمر . وأوصيه بذمة الله وذمة محمد (أي أهل الذمة) ان يفي بعهدهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم »

ويدعو ابنه ويقول له « يا عبد الله انظر ما علي من الديون » فيحسبونها ويجدونها ستة

وثمانون ألف درهم ، فيقول : « إن كان في مال آل عمر ما يكفي فأدوه من مالهم وإلا فسل في بني عدي فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم » ويطرق برهة ثم يقول « اذهب إلى عائشة أم المؤمنين يا عبد الله وقل لها ابن عمر يقرئك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فلست اليوم للمؤمنين أميراً . وإنه يستأذنك في أن يدفن مع صاحبيه (أي مع رسول الله وأبي بكر) »

ولقد ذهب عبد الله إلى عائشة وأبلغها رسالة أبيه فقالت : « كنت أريده مكاناً لنفسي وإني لأوثرن به عمر » وعاد عبد الله فأخبر عمر بما قالت فتهلل وجهه وقال : « الحمد لله ما كان شيء أهم لنفسي من ذلك . والآن إذا قبضت فاحملوني ثم ادفعوا بي إلى عائشة وقولوا لها ابن عمر يستأذن في أن يدفن إلى جانب رسول الله وأبي بكر فإن أذنت فادخلوني وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين بالبقيع » فلما قيل له لم ذلك قال : « أخشى أن تكون قد أذنت لي ما أذنت أو أن تكون قد استحيت من أن تخيب رجاء أمير المؤمنين فأعيدوا عليها الكرة وأنا لست أميراً للمؤمنين »

ويسعى الطبيب بعد ذلك فينظر في جراحه ويسقيه دواء فيخرج الدواء من شق في بطنه ، ويسقيه لبناً فيخرج لونه من ذات الشق فيصارح الطبيب بحقيقة الحال ويقول : « اعهد يا أمير المؤمنين فليست لي فيك حيلة » فيجيبه عمر : « صدقت ولو قلت لي غير ذلك لكذبت »

وإذ يحس قرب النهاية ويخشى أن يختلف الزعماء على الخلافة بعد موته يستقدم إليه أبا طلحة الأنصاري والمقداد بن الأسود ويقول للأول : « لقد أعز الله الإسلام بكم يا أبا طلحة فاختر خمسين رجلاً من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرهط (يريد عثمان وعلياً وسعداً وغيرهم) حتى يختاروا واحداً منهم » ويقول للمقداد : « كن مع أبي طلحة فإذا اجتمع خمسة على رأي واحد وأبى السادس أن ينزل عليه فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اجتمع أربعة على رأي وخالفهم الاثنان فاضرب رأسيهما ، وإن أصبحوا فريقين متعادلين فحكموا بينهما عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا بعبد الله فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس »

ويدخل في دور النزع فلا يقوى على التفكير في المسائل العامة فينصرف إلى اعتبارات أقل خطراً ويذكر أن الذي جاءه علج فيقول : « ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا أحداً من العلوج فعصيتموني ؟ » ثم تثقل عليه الحال ويحس دنو أجله فيقول : « ارفعوا الفراش من تحتي وأضعوني على الأرض ووسدوا خدي التراب » ويلفظ النفس الأخير وهو يهمس : « ويل لي وويل أمي إن لم يغفر لي ربي »

إيه يا عمر ما أعرفك بأقدار الناس وما أجهلك بقدر نفسك ! فيم تطلب الغفران وأنت أرفع عند الله مقاماً من أن يسألك عن شيء وأعز قدراً من أن يدخلك الجنة بعد حساب ؟!

حسن الشريف

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr Tofik Habib 85 Washington St 85 New York, N.Y. (U.S.A.)
في البرازيل		Snr M. N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه عبده سكس
في انطاكية	سوريا	امين افندي انطونيوس لاذقاني
في اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
في طرابلس الشام	سوريا	عبد الله افندي حمصي ـ غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ عامر السمان
في دوما	لبنان	الخواجه ميشال خليل جبر
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي حبيبي
في بيروت	لبنان	وجيه افندي طباره ، شارع اياس
في دمياط		زكريا افندي الجراوي ، ناظر مدرسة الجراوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب المكتبة العصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي النحاس
في الارجنتين		Snr Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr Abdullah Bin Afifi Cheribon Java
في اكوادور		Mr William Garzozi Casilla No. 797 Guayaquil (Ecuador)
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

العالم الثائر

ماهي أسباب الثورة ومن المسئول عنها

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

منذ عامين كانت حرب إيطاليا والحبشة. والآن تدور رحى الحرب بين الصين واليابان. والحرب الأهلية في إسبانيا مشتعلة النيران منذ زمان طويل. ومثلها كل الحروب لا تنتهي. فمشكلة الشيوعية ما تزال قائمة منذ سنة ١٩١٨، ومشكلة البحر الأبيض المتوسط، ومشكلة المستعمرات الألمانية، هذه وغيرها مشكلات الثورة المستحكمة الظاهرة أو الخفية. وتقوم إلى جانب هذه المشكلات ثورة ليست دونها عنفا. فالأزمة الاقتصادية تجتاح العالم منذ بدأ العالم يحتمل تبعات الحرب العالمية في التعويضات وما يتصل بها. والأزمة الاقتصادية تقوم حينا بسبب زيادة الإنتاج، وحينا آخر بسبب تضخم العملة، وحينا ثالثا بسبب المنافسة الدولية في التجارة. ومشاكل العالم الاجتماعية ليست دون مشاكله السياسية والاقتصادية استحقاقا لأن توصف بأنها الثورة. لقد خرجت الشيوعية في تصويرها النظام الاجتماعي عن مألوف العالم قبل الحرب خروجا جعل العالم كله يقف في وجهها. لكن العالم قد تطور تصويره للقيم الاجتماعية تطوراً تصف أشد الأمم محافظة بمقدار ما أصاب الأمم التي كانت تسير من قبل مسرعة التطور عما يكاد يشبه الثورة. وإنجلترا اليوم ليست دون غيرها تطوراً في الناحية الاجتماعية. وهناك الثورة في نظم الحكم، وهي ليست دون غيرها من صور الثورة شدة وعنفا. فالديمقراطية التي سادت العالم قبل الحرب قد أصبح مصيرها في كفة القدر، وقد هب حكم الفرد في وجهها يناوئها. ومؤازرة الدول للثورة الإسبانية ليست إلا مظهراً لهذا النضال بين المذهبين. وأنت إذا رحت تستقصي مظاهر الثورة فيما وراء هذه الشؤون العامة ألفيتها متمثلة في أهواء النفوس وفي تقدير الناس القيم المعنوية في الحياة إلى حد يعجب منه كثيرون. فعواطف أبناء اليوم ليست كعواطف آبائهم وتفكيرهم ليس كتفكيرهم. هم لا يحبون كتب الآباء ولا يرعون الصداقة عنايتهم، وهم دون الماضين حلما وأكثر منهم عنفا وأشد لآرائهم تعصبا

هذه ثورة عمت العالم كله. لم تقف عند الغرب بل أخذ الشرق منها بنصيب كبير، وثورات الاستقلال والحرية التي قامت به بعد الحرب، والتي لفتت العالم في دهشة إلى ناحية منه كانت مضرب المثل في الإذعان والاستسلام لا تزال حتى اليوم قائمة يندلع لهيبها بين حين وحين. فهي تواجه

الهلال

ديسمبر ١٩٣٧

بالبطش في أحيان كثيرة فلا يقضي على البطش ولا يحمل أصحابها على الإذعان . فإذا قمعها البطش كان أمدًا مؤقتًا فلا تلبث أن تثور من جديد . هذا مع ما كان من احتياط الغرب بعد الحرب لهذه الثورات إذ قسم أمم الشرق على نحو لم يعهده التاريخ فجعل من المملكة العثمانية سبع دول

هل لهذا العالم الثائر ما يسوغ ثورته ؟ وهل في أمور الحياة العالمية ما يشهد بأن هذه الثورة سيهدأ أوارها عما قريب ؟ ومن المسئول عن هذه الحال التي تطور العالم إليها وعن بقائها كل هذا الزمن الطويل ؟ أما أن لثورة العالم مسوغا فأمر لا ريب فيه . ولا أدل على ذلك من قيام هذه الثورة في أنحائه المختلفة واستمرارها هذه السنين الطويلة المتلاحقة . وأما أن تهدأ هذه الثورة في زمن قريب معين فهذه عند الله ، لأن العوامل التي أدت إليها كثيرة متعلقة في نفوس الأمم والأفراد من حيث يتعذر البت برأي في تحديدها . وأما المسئولون عن هذه الثورة وبقائها فأولئك في رأيي هم العلماء والمفكرون في أنحاء العالم المختلفة . ولا أحسبهم ينكرون هذه التهمة . لكني أحسبهم يجيبونك إذا سألتهم عنها أنهم شركاء فيها لمن سبقهم من العلماء والمفكرين إلى أجيال عدة ؟ وأن موقفهم من تمكين الحال يشبه موقف الطبيب من تمكين الحمى حتى تأخذ كل أدوارها

وإن عدت إلى العلماء مسئولين عن هذه الحال ، فلست أحسبهم يعدون ذلك وزرا . فلم يكن أحدهم يقصد إلا إلى الخير حين قام ببحوثه العلمية أو بتفكيره العميق . لكن جهودهم المشتركة أدت إلى هذه النتيجة المحتومة كما تؤدي ثورة الشباب إلى ما يصحبها في الجسم من مظاهر الثورة . وهل قصد العلماء يوم عملوا جاهدين لتوثيق المواصلات بين أجزاء العالم وتقريب بعضها من بعض إلى التقاء تفكير الشرق وتفكير الغرب واحتكاكهما ، وإلى ما نشأ عن ذلك من آثار لم يكن منها مفر ؟! وهل قصدوا من زيادة الأرض قوة على الإنتاج باستنباط المخصبات الصناعية إلى هذا التنافس الاقتصادي الذي زاد من الأثر ما لا ريبة في أنه كان أقوى العوامل التي أدت إلى ثورة العالم ؟ فالنتائج التي ترتبت على هذه المجهودات العلمية من انقلاب بجانب العالم أثره اليوم لم يقصد إليها عالم ولا طائفة من العلماء . لكنها كانت أثرا محتوما لبحثهم . ونحن اليوم نقرر هذا بعد أن رأينا هذه الآثار . ولقد كان وما زال نشيد بعض هؤلاء العلماء ورجوهم أن يطرد به سير الإنسانية وتقدمها

لسنا نريد بالحديث عن المسئولية أن نرتب إذًا تبعة على أحد . إنما هو استقصاء للأسباب وتتابعها . والأسباب التي أدت إلى ثورة العالم اليوم هي لا ريب تغير القيم المقبلة للأشياء والنظم في نظر العالم كله ، وبقاء العالم غير مطمئن إلى قيم حديثة تحل محل القيم القديمة وتعتبر المقاييس المقبولة من الناس جميعا ليعملوا على أساسها صلاتهم في الحياة . وحسبك دليلا على ذلك أن تحاول الإجابة على أي سؤال يتعلق بهذه القيم ، فهل فشلت الديمقراطية حقا ؟ وهل يمكن للشيوعية أن تبقى أو تترك في العالم أثرا كالذي تركته الثورة الفرنسية ؟ وهل يمكن أن يقوم السلام على أساس من تفاهم الشعوب أم يجب أن يكون سلاما مسلحا قاعدته أن الاستعداد للحرب يمنع الحرب ؟ وما مدى التطور المتوقع في

الهلال

الجزء الثاني ـ السنة ٤٦

أول ديسمبر ١٩٣٧ ـ ٢٨ رمضان ١٣٥٦

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

December 1937

SUBSCRIPTION RATES: Egypt and Sudan P.T. 80 — Syria, Palestine, Transjordania and Iraq P.T. 100 — Other countries P.T. 110 or £ 1-2-6 or $ 6.00.

هدايا الهلال

جرت كل سنة على عادتها في إهداء الهلال لأصحابها المشتركين فيه هذا العام وقد أرسل معها مع العدد الماضي إلى من دفع قيمة الاشتراك هديتين هما

(١) تاريخ الحب ـ للأديبة الفرنسية مارسيل تينير وترجمة الأستاذ إبراهيم المصري ـ مصور وفيه شائق للعاطفة الانسانية الخالدة

(٢) كاميل لي ـ للقصصي الفرنسي الكبير [illegible] موراسان ـ قصة خيالية دقيقة من عاطفة نفسية عميقة مترجمة في أسلوب حي قوي

ويرسل إليهم مع هذا العدد هديتين كذلك هما :

(٣) تاريخ الفن المصري القديم ـ للأستاذ محرم كمال الأمين المساعد بالمتحف المصري ـ أول كتاب في هذا الموضوع الشيق تحتاج إلى قراءته المصري كما تحتاج كل مثقف . مزدان بصور ورسوم كثيرة

(٤) نجوم الهلال ـ سفر شامل من أحدث المباحث السياسية والاجتماعية مصورة في صورة جديدة ودراسات قيمة في شتى مواضيع الثقافة . نجوم الهلال تكون دائرة معارف طريفة الموضوع والأسلوب

ويرسل قريباً الهدية السادسة

(٥) روائع الشباب ـ نظم الأستاذ محمد قاسم حوفة ـ مصدر بمقدمة لمعالي أحمد نجيب الهلالي بك وزير المعارف ، ومقالات شائقة عن أشهر الشعراء في الشرق والغرب ، الذين ماتوا في [illegible] حياتهم

النظم الاجتماعية ؟ وهل يؤمن الشرق بحضارة الغرب المادية أم يعود الغرب إلى حمى الحياة الروحية يتنظمها الشرق والأعلام الذين متصامنين في سبيل التكامل الانسانى ؟ وعلى أى أساس تستقر القيم الاخلاقية فى المستقبل ؟ هذه وغيرها أمور يتعسر الوقوف الصريح عليها . وكل ما يحاول العلماء الآن أن يحللوها وأن يقدروا صلاتها بحياة العالم المادية والمعنوية ليقرروا مبلغ تفاعل العوامل المختلفة بين هذه الصلات . ولئن كان حقا أن العلماء مسئولون عما حدث من ثورة العالم حتى كدنا أنهم وحدهم مناط الأمل فى مستقبل يطمئن به العالم إلى قيم جديدة تحل محل القيم القديمة فى كل شؤون الحياة العامة والخاصة . فالعلماء وحدهم بما أوتوا من سعة الأفق فى التفكير ومن النظر فى الأمور بعين سامية فوق اعتبارات الحاضر ومطامعه هم القديرون على أن يرسموا للعالم طريقه . هم أقل تأثراً بالحدود القومية وبالأهواء الوقتية ، وهم قديرون لذلك على التماس القيم التى تصلح للحياة الانسانية فى هذا الطور الحاضر . فاذا هدتهم بحوثهم إلى هذه القيم خرج من بين الصفوف رجل العمل الذى وهبه القدر قوة تقر هذه المبادىء فى الأذهان وتنشرها فى ربوع العالم كله

أما الرجاء فى أن يصل الساسة بتفكيرهم وبحثهم إلى طمأنينة العالم ورخاء جامع تتحقق به الانسانية اليوم لأنها لا تجد غيره بابا للأمن . والواقع أن الساسة لم يكونوا فى يوم من تاريخ الانسانية أكثر من ممثلين يلعبون أدواراً رسمها لهم المفكرون والعلماء ، ويلعبونها بمهارة وبلاهة أو بعجز وضعف حسب ما يوحى به مواهبهم المسرحية فى الميدان السياسى . لا جدال فى أن الممثل يضع كثيراً فى إبراز الصورة أو الفكرة التى يرسمها المؤلف قوية واضحة أو ضعيفة مبهمة ، لكن ممثلا غيره قد يكون أسعد منه حظا يستطيع أن يصل إلى ما لم يصل هو إليه . أما والمؤلف الذى يلقى الفكرة المتقدمة للانسانية من ثورتها الحاضرة لم يرتفع بعد صوته فليس للسياسيين إلا أن يكتفوا بأن يلعبوا الأدوار القديمة التى مرنوا عليها بعد الحرب والتى لم تصل إلى تهدئة النفوس فى أرجاء العالم الثائر

على أنى لا أحسبنى أخطىء حين أقول إن القيم التى يمكن أن يطمئن إليها عالم الغد لا بد أن تكون من طراز غير طراز القيم التى اطمأن إليها عالم الأمس . وأول ما يخطر بذهنى من ذلك أن هذه القيم يجب أن تكون عالمية عامة تساوق تفكير العالم كله فى جميع الميادين ، ويجب أن يكون القصد منها إلى تعاون العالم لغاية مشتركة على أساس من حرية الجميع أفراداً وأمما . وإذا قلت الحرية فأقصد الاباحة ، ومن يلف قولى لم أقصد الفوضى . فالحرية نظام فكرى أولا وقبل كل شىء . والحياة الانسانية نظام فكرى كذلك . فاذا تحققت الحرية لحياة الانسانية لخير الجميع أمكن التعاون المشترك فى العالم كله ، لا لفائدة القوى على حساب الضعيف ، بل لينال الكل أكبر قسط من المعرفة وما تؤدى المعرفة إليه من كمال . متى يحدث هذا ؟ الأمر غيب علمه عند الله كما قلت . وسيظل العالم إلى يومئذ ثائراً وسيكون السلام أمنية ترددها الألسن ولا تؤمن بها القلوب . وكل الذى نستطيعه اليوم أن نتوجه بالرجاء إلى الله أن يجعل يوم السلام قريباً

محمد حسين هيكل

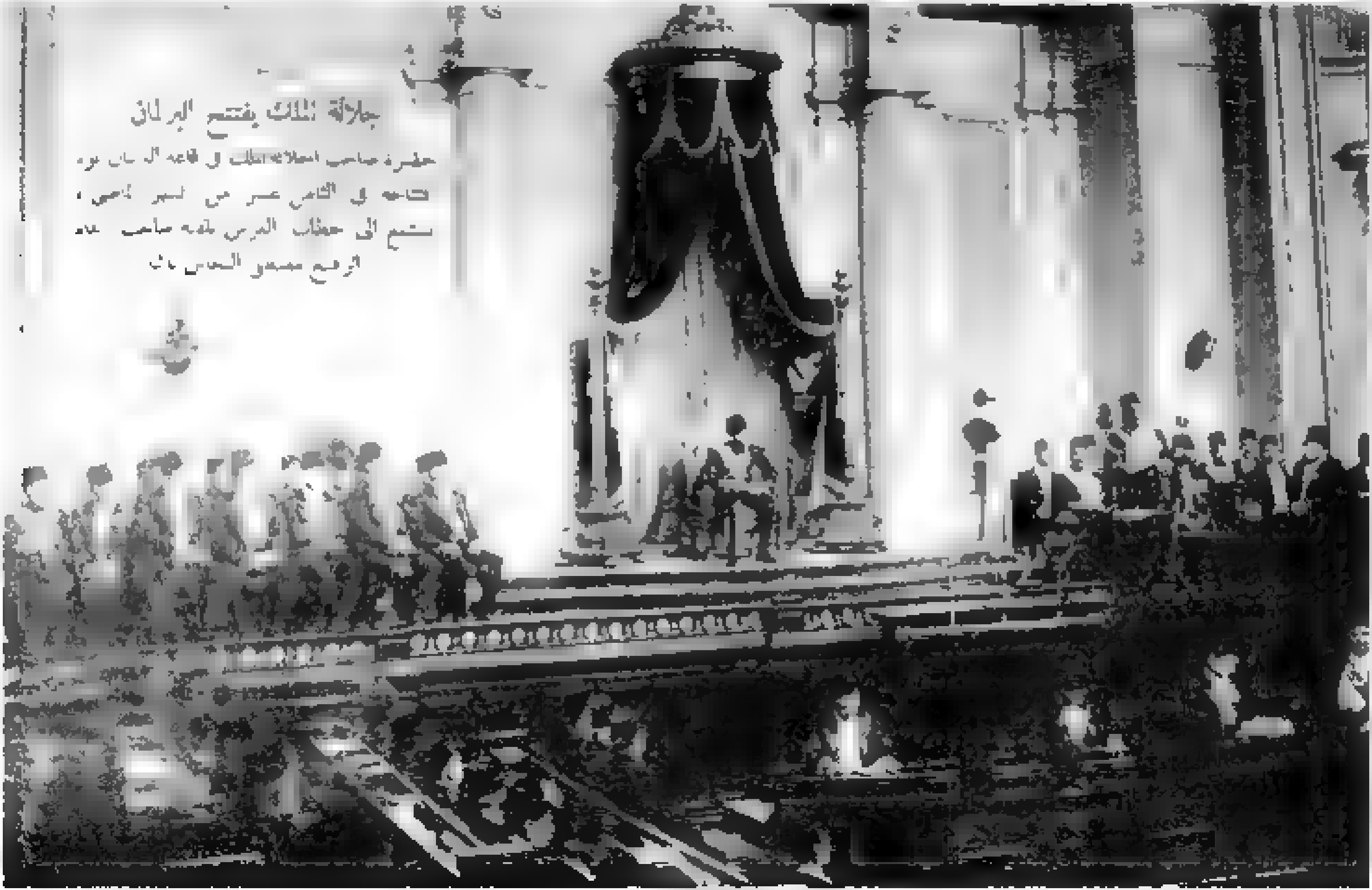

جلالة الملك يفتتح البرلمان

حضرة صاحب الجلالة الملك في قاعة البرلمان يوم
افتتاحه في الثامن عشر من الشهر الماضي ،
يستمع الى خطاب العرش يلقيه صاحب المقام
الرفيع مصطفى النحاس باشا

أدبنا الحديث أدب ديموقراطي

بقلم الأستاذ أحمد أمين
أستاذ الأدب العربي بالجامعة المصرية

« بعد أن كانت ساحة الأدب هي القصور لأنها عصر الارستقراطية صارت السكك والطرقات والخلاء لأنها مظهر الديموقراطية . وبعد أن كان الأديب يعيش على موائد الأمراء ومن عطاياهم وهباتهم ، أصبح يعيش على موائد الشعب ومن عطاياه وهباته . . »

الأدب ظاهرة اجتماعية كاللغة والحكومة ونظم التربية ـ كلها تخضع للحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للأمة . فالجماعة من الناس الذين يعيشون على الصيد ، أدبهم من قصص وأمثال وشعر مشتق من نوع حياتهم ، والذين يعيشون في مدينة مدنية منظمة ، ينتج أدبهم صورة صادقة من حياتهم . فمحال أن يكون ابن المعتز بدويا أو أن يكون شعره شعراً بدويا ، ومحال أن يكون طرفة بن العبد حضريا أو أن يكون شعره حضريا . فالأدب يشتق مظاهره وموضوعاته وأساليبه من الحياة التي يحياها الأديب . وأدب كل جماعة يعتمد على موضعها في النظام الاجتماعي والاقتصادي

فنقصر نظرنا على الأدب العربي من هذه الناحية ، فنرى أنه قد مر بأدوار ثلاثة

(١) أدب قبلي في العصر الجاهلي وصدر العصر الاسلامي

(٢) وأدب ارستقراطي في القرون الوسطى

(٣) وأدب ديمقراطي في العصر الحديث

فالأدب الجاهلي صورة صادقة لحياة العرب القبلية ، فهو يمثل لنا حياتهم الواقعية من غير أن يكون فيها كبير عناية بتجميل ، أو تلوين بلون زاه رائق ، يمثل لنا حياة لا تستند على ثقافة واسعة ولا علم غزير ، يمثل حياة حسية لا تتطورها الى الروح والعناية بها ، فالمرأة الجميلة هي الجميلة حسيا ، والشعر الجميل هو ما يحرك الشعر جميلا ، قد اشتق أدبه من حروبه وعلاقته بالابل وبالخيل ورحلته عليهما من مكان الى مكان ورعيه لها ونحو ذلك

لا يمكننا أن نسمي هذا الأدب أدبا ديمقراطيا لأن أساس الديمقراطية شعور المرء بنفسه ، وتقديرها لشخصية كل فرد ، عظيما كان أو وضيعا والشاعر الجاهلي كان يشعر بقبيلته أكثر مما يشعر بشخصه ، فهو يعتقد أن دمه ودم قبيلته كلها من أصل واحد ، وأن حياته لقبيلته ، وأن عزة أحد من العرب على أحد ليست عزة فرد على فرد بل قبيلة على قبيلة ، وأن العار الذي

يلحق الفرد بلحوق القبيلة ، والنصرة التي يأتيها الفرد نصرة القبيلة ــ وعلى الجملة كان شعور الفرد بقبيلته أكثر من شعوره بشخصه ــ ولذا لم نرضا الأدب الجاهلي اتضح لنا هذا المعنى ، فترى قبيلة الشاعر في المقام الأول ، وشخصيته مستترة وراء قبيلته ، فهو قلما يعبر « بأنا » وإنما يعبر « بنحن » ، وقل يشيد بذكر أعمال قام بها وإنما أغلب ما يفخر بأعمال قومه وآبائه ، فالشخصية الفردية تكاد تكون معدومة والشخصية القبلية طاغية عليها ، ولذلك لا يمكن أن نسمي الأدب الجاهلي أدبا ديموقراطيا بل أدبا قبليا

• • •

تحضرت الأمة العربية وفتحت أعظم الممالك وتدفق المال عليها من البلاد المفتوحة وكان أكثر المال والغنى في أيدي الخلفاء والأمراء ، وإذا كان عطاء للأفراد (مرتب أو ماهية) فللجند وأمثالهم لا للشعراء وأمثالهم ، وضاع الشعور القبلي أو على الأقل أصبحت قبيلة الشاعر لا تموله كما كانت تموله في الجاهلية ، فوجد الشاعر نفسه أمام أحد أمرين : إما أن يشعر لنفسه ويرضى بالفقر ، أو يشعر للخليفة والأمير فيغنى ، فعمل الثانية . والخلفاء والأمراء من ناحيتهم رأوا أن الفن ــ ومنه الشعر والأدب ــ أداة من الأدوات الجميلة ، كالتحف تعلق في القصور ، وكالصورة الجميلة والتحفة الثمينة والحجر الكريم ، فرحبوا بأهل الفن يزينون بهم قصورهم . كان الشاعر يرضى من قبيلته بالقليل فأصبح وقد كثر المال يطمع في الكثير ، وكان يغني لقبيلته فأصبحت قبيلته لا تعرفه ، وكان شيخ القبيلة فقيرا فأصبح الخليفة وعنده المناظر المتطرفة من الذهب والفضة ، وكانت حاجات الفنان قليلة فأصبحت بفعل الحضارة كثيرة مركبة ، والشعب لا يلتفت كثيرا إلى الفنان لأن الفن نوع من الترف ، والترف إنما هو في قصور الخلفاء والأمراء .

كل هذا وأمثاله قلب الأدب إلى أدب ارستقراطي ، وأعني به الأدب الذي قيل في الخلفاء والأمراء مدحا أو رثاء ، أو تلبية لطلب لهم في وصف مائدة ووصف طرفة ووصف روضة ونحو ذلك ، أو قيل تحريضا من الخلفاء والأمراء للشعر على هجاء أعدائهم ، أو كان أدبا ألفه الأديب لخليفة أو أمير ، وعلى الجملة كل ما قصد به أمير أو حث على الإتيان به أمير

وهذه هي الخاصة الواضحة في الأدب العربي في القرون الوسطى ، فلو نظرت إلى الأدب الذي قيل في هذه الأغراض ولهذه الأسباب ، لوجدته طاغيا على غيره من الآداب ، أين أن الشاعر القدير قل أن يغني لنفسه في شرح عاطفة تملكته ، أو مناظر أعجبته ، أو يشعر للشعب في وصف آماله وآلامه ، أو للإنسانية في وصف مسراتها ومضراتها ، وإنما همه إذا أجاد أن يحتسي في حي خليفة أو أمير أو وزير يغني له ويقول ما يحبه

لنضرب لذلك مثلا مختارات البارودي . فقد اختار لثلاثين شاعراً من شعراء الدولة العباسية فبلغ ما اختاره لهم من المديح ٢٤١٨٥ بيتا من الشعر ، على حين أن ما اختار لهم من الأدب ١٦٩٧

بيتا ، ومن الغزل ٤٦١٦ فاذا أضفت ما اختاره لهم من الرثاء والهجاء الى المديح — لأنها كلها ارستقراطية — بلغت ٣٢٤٠٧ وهي نسبة كبيرة جداً لبيان طغيان الادب الارستقراطي على النزعات الاخرى ، وخاصة اذا علمت أن كثيراً من الغزل كان ليس إلا تمهيداً للمديح ، وأن كثيراً من أبيات الادب ليست إلا سبيلا للمديح — ثم بحثت في كل هذا عن نصيب الشاعر من شعوره أو نصيب الشعب منه فلا تجد إلا القليل

وهذه ظاهرة طبيعية اجتماعية أيضاً ، فالخلفاء والامراء كانوا كل شيء ، والشعب مهمل إلا في النادر ، فانصرف الفن اليهم ، ومثل الادب في ذلك التاريخ ، فالتاريخ في هذه العصور لم يؤرخ إلا للملوك والامراء وحروبهم ونزاعهم وموتهم وولادتهم ، ويجهد المؤرخ الصادق الآن نفسه ليعثر على ما يستنتج منه حالة الشعب فقل أن يجد كلمة في صفحات عدة

* * *

سادت بعد ذلك الدمقراطية أوربا في العصر الحديث ، وبنيت على أساسين : كل انسان يجب أن يكون حراً ، وكل انسان يجب أن يشعر بالمسئولية . فالقوانين انما توضع لحماية حرية الأفراد لا لتنفيذ ارادة الملوك ، والفرد اذا أطاع القانون فانما يطيعه لأنه يشعر بفائدته له ولمواطنيه لا لأن سلطة أخرى تقضي أن تطاع ، وعلى الجملة فقد أحس الفرد أنه يسير نفسه لا يسيره غيره ، وأنه سيد في نفسه لا عبد لغيره ولو كان هذا الغير ملكا أو أميراً

سادت هذه النزعة أوربا فصبغت كل شيء بلونها ، فنظمت الحكومات على هذا الاساس الذي يضمن للفرد حريته ويشعره بمسئوليته ، وأثرت في التعليم فشعر كل فرد أن له الحق أن يتعلم وعلى الحكومات أن تهيء له وسائل التعلم ، بل أثرت هذه النزعة في الانقلاب الصناعي والتجاري والزراعي ، وأنتجت نتائج خطيرة ليس هنا موضع شرحها ، وانما الذي يهمنا هنا أنها أثرت كذلك في الادب فحولته من أدب ارستقراطي الى أدب ديمقراطي ، فأخذ عظماء الادباء يصورون هذه النزعة الجديدة ، فملتن — مثلا — يكتب ويلح في الكتابة أن حقوق الناس أقدم من حقوق الملوك ، وأن الناس ليسوا ملزمين بطاعة ملك ظالم ، وأن الناس ولدوا أحراراً ، وليس الملوك إلا أجراءها ، وكذلك فعل روسو في فرنسا وجفرسن في أمريكا ، وأمثالهم كثير

وتلون الأدب بهذا اللون فأصبحت الأغاني الشعبية تتغنى بالحرية ، وانتشر نوع من الادب هو « اليوتوبيا » أو « الطوبى » أو « المدينة الفاضلة » ، وهي الكتب التي ترسم صوراً لعيشة الناس عيشة أسعد مما يحياها الناس في الواقع — وتعددت موضوعات الأدب التي تؤيد الديمقراطية ، فهذا أديب يشيد بالانسانية ، وهذا شاعر يؤيد أمة تجاهد في سبيل استقلالها ، وهذا يشهر بظلم القوانين وهكذا

وصلت هذه الموجة في سيرها الى الشرق فأخذ يحارب الاستبداد ويجاهد في سبيل الحرية وينشد

الديمقراطية ، وأخذ يقلد أوروبا في حركاته وأعماله ، وتشبع القادة بمبدأ الديمقراطية وتغنوا بها ونشروا مبادئها بين الناس فآمنوا بها وحرصوا حرصاً لنيلها ، فهذه خطب في المحافل النيابية وهذه مظاهرات تعرقل أعمال المستعمر ، وهذه احتجاجات ومؤتمرات وتشهير بالدول الأوروبية وعسفها ، الى كثير من أمثال ذلك

وأخيراً رأينا الأدب العربي يتبع هذه النزعة ، ويبعد قليلا قليلا عن الاستظلال بالأمراء ، ويقرب قليلا قليلا من الاستظلال بالشعب . فلئن كان شوقي في حياته الأولى شاعر الأمير ، فهو في حياته الأخيرة شاعر الشعب ، وأخذ شعراء العراق والشام ومصر يتغنون بالحرية ويعلنون أنهم من الظلم وأملهم في تحقيق العدل ، وطرق كتابهم وشعراؤهم موضوعات شعبية صرفة بعد أن كانوا يقفون أدبهم وشعرهم على مديح الأمراء والخلفاء ، فقاسم أمين يكتب في تحرير المرأة ، وشوقي يشعر في ملك مصر ورثاء مصطفى كامل وسعد زغلول ويلتفت الى موضوعات شعبية بحتة كاستعمار العدلية والعمال ونهضة مصر — هذا شوقي الارستقراطي في بلاط الخديو الذي أخذ يتابع الحركة الديمقراطية ويصوغ فيها شعره . وكان من أكبر مظاهر الديمقراطية في الغرب والشرق معاً ، فن الروايات ، فهي فن أكبر عنايته تحليل حياة العامة والجماهير ، وقلما تمس حياة البلاط ، فالديمقراطية — لما كان أثرها الشعور بالذاتية — وجهت الأدب الى تحليل الشخصيات وتحليل أنواعها وصورها ، وما كان يمكن أن يرقى هذا رقيه في أحضان السلطة الارستقراطية

وتبع شعور الفرد بنفسه وشخصيته أن رأينا كثيراً من الأدباء يتحولون من مدح غيرهم الى تحليل نفوسهم . فطه حسين يكتب « الأيام » يشرح فيه طوراً من أطوار حياته ويصور فيها مشاعره ، وهيكل يشرح ما يشعر به في رحلاته الى السودان والحجاز ، والعقاد يحلل في بعض مقالاته نفسه بل يحلل نفسية كلبه وخادمه الخ .

وعلى الجملة ظهرت أعراض الديمقراطية في الأدب العربي بأشكالها المختلفة وهي سائرة في طريق كمالها . فكما أن النزعة الارستقراطية تعد الفرد للدولة ، والنزعة الديمقراطية تعد الدولة للفرد ، كذلك الشأن في الأدب ، ففي العهد الارستقراطي يعد الفنان ليكون طرفة للقصور ، وفي العهد الديمقراطي تعد القصور لتكون طرفة للفنان

وبعد أن كانت ساحة الأدب والشعر هي القصور لأنها حصن الارستقراطية أصبحنا نرى ساحة الأدب هي الكتب والجرائد والمجلات لأنها مظهر الديمقراطية ، وبعد أن كان الأديب يعيش على موائد الأمراء ومن عطاياهم وهباتهم أصبح الأديب والشاعر يعيش على موائد الشعب ومن عطائه وهباته ، وإن كانت الشعوب — أحياناً وخاصة في الشرق — تهمل من يعنى بها ، فيلذها غناؤه ، ولا يؤلمها بؤسه وشقاؤه

أحمد أمين

عند أصنام قريش

بقلم الدكتور طه حسين بك
عميد كلية الآداب

لم يرم هذان الشيخان من شيوخ قريش تلك الليلة ، وانما انفقاها ساهرين ولم يفترقا الا بعد مطلع الشمس وحين أخذ الضحى في الارتفاع . ولولا انهما اشفقا ان تظهر عليهما قريش في وقت لم تتعود ان تراهما مجتمعين فيه ، فيذهب بها الشك كل مذهب ، لما افترقا ولما عاد كل واحد منهما الى داره حيث كان أهله ينتظرونه ويرصدون عودته وينكرون اقامته الليل كله خارج الدار

ذلك انهما على هذا الحديث الطويل الذي انفقا فيه الليل كله لم يكونا قد قضيا من اجتماعهما وطراً ، ولا ارضيا حاجتهما الى هذا الحوار الذي كانا فيه

على انهما افترقا وقد أوصى كل منهما صاحبه الا يطيل المكث في داره ، وان يغدو مع الناس اذا غدوا الى ما كانوا فيه من بناء البيت ، فما ينبغي ان تفتقدهما قريش فلا تجدهما ، وما ينبغي ان تحس قريش غيبة الوليد بن المغيرة خاصة ، فان قريشا ترقبه وتلاحظه ملاحظة متصلة منذ كان اسراعه الى العمل في هدم البيت

ومن الحق ان قريشا قد اطمأنت قلوبها وهدأت نفوسها حين رأت ان قد مضى الوليد ليلته آمنا وغدا على قومه موفوراً بعد ان أعمل معوله في هدم الكعبة ، وعرفت ان ربها لم ينكر من امرها شيئا وانه رضي عما أحدث فيه من تجديد البناء . ولكن قريشا على ذلك كانت تنكر في ضمائرها الخفية خوفا لا تظهره ولا تكاد تشعر به . وكان الوليد بن المغيرة يصور ذلك الخوف، فكانت قريش ترقب من امره ما ظهر وتتبع منه ما خفي ، تريد ان تستيقن كلما رأته غادياً مطمئناً راضي النفس ناعم البال صالحة أموره كلها ، الى ان ربها ما زال راضيا عن هذا العمل الذي هي ماضية فيه . فلم يكن بد من ان يغدو الوليد الى البناء مع الناس اذا غدوا اليه ، ومن ان يروح عن البناء مع الناس اذا راحوا عنه ، ومن ان يراه الناس فيما بين ذلك بينهم ناشطا جاذبيا وآمراً ناهيا ، قد استوفى قوته واستكمل نشاطه وظهر عليه الاقدام للعمل والشجاعة المتجددة ، حتى يتم البناء وحتى يعود كل شيء الى قراره . وقد أحس الوليد ذلك فاحتفظ به وحرص عليه وغدا مع الناس وراح معهم ، وأقام فيهم بين الصباح والاصيل ، يشجع هذا ويحث ذاك ومضت أمور قريش على وجهها حتى أوشك البناء ان يتم فما كان ينبغي اذن ان يغير الوليد شيئا من عادته ولا ان

يتخلف عن شهود البناء والمشاركة فيه صباح ذلك اليوم ، وإن كان قد أنفق ليله كاملاً لم يذق فيه النوم

ولم يكن أمية بن خلف قد هدأ نفسه ، وإنما كان قد اختلط مع الذين اختلطوا ، واستأنى مع الذين آثروا الأناة ، وارتقب من أمر الوليد ما ارتقب الناس . ولكنه كان شيخاً من شيوخ قريش عظيم المكانة فيهم ترقب قريش أمره كله ولا ترضى أن تقبل على عظيم من أمرها ولم يكن داعيها إليه وحاثها عليه ومشاركها فيه

فلم يكن بد إذن لهذين الشيخين من أن يلم كل منهما بأهله حين ثم يغدو إلى المسجد كما تغدو إليه قريش كلها . ولم يكن الشيخان يشفقان من ذلك ولا يضيقان به ، فأما فقد كان النوم أبعد شيء من تفكيرها ، وكان نشاطهما موفوراً كأحسن ما يكون النشاط ، وربما تحدث كل منهما إلى نفسه بأنه لن يذوق النوم إلا غراراً حين يقبل الليل ، وأن عهده بالنوم المريح قد انقضى وأنه لن يستأنف ما تعوده من الاغراق في نوم مريح قبل وقت طويل جداً

ذلك أن أمراً عظيماً كان يشغل بال هذين الشيخين من شيوخ قريش ، ويملك عليهما أمرهما كله ويكاد يشغلهما عن كل شيء غيره ، ولولا أنهما من سادة قريش قد عرفا كيف يملكان أمرهما ويضبطان نفسيهما ويظهران لقريش شيئاً ويضمران في قلوبهما شيئاً آخر

وكان مصدر هذا القلق العظيم الذي شمل هذين السيدين من سادة قريش أمر الكعبة وما كان من هدمها وإعادة بنائها ، لا لأنهما كانا يخشيان أن يغضب رب قريش على قريش . فقد كانا من هذه الناحية راضيين كل الرضى آمنين كل الأمن لا يشكان في أن ربهم قد رضي عما يعملون . ولكنهما نظرا إلى أصنام قريش تلك التي كانت مرفوعة على البيت والتي كانت قريش تكبرها كل الإكبار وتعظم أمرها كل الإعظام ، ولا تقدم على أمر ولا تحجم عن أمر ، إلا إذا تقدمت إليها بالضراعة ، وتقربت إليها بألوان القربان

نظرا إلى هذه الأصنام في شيء غير قليل من الإكبار والإجلال وسأل كل منهما نفسه : ما عسى أن تصنع هذه الأصنام حين تأخذ قريش في هدم هذا البيت الذي كانت تنتسب إليه وتستقر عليه . ولم يخطر لأحد منهما أن من أيسر الأمر وأهونه أن تظل هذه الأصنام قائمة حيث أقيمت حتى تعمد قريش إليها فتزيلها عن مواضعها وتضعها في مكان أمين ريثما يهدم البيت ويعاد بناؤه ثم ترد بعد ذلك إلى أماكنها من هذا البناء الجديد

لم يخطر هذا الخاطر للوليد بن المغيرة ولا لأمية بن خلف ، لأنهما لم يقدرا قط أن آلهتهم ضروب من المتاع يمكن أن تنقل من موضع إلى موضع كما تنقل الأشياء الجامدة التي لا حظ لها من حس أو شعور ولا نصيب لها من إرادة أو تفكير . إنما كانا يقدران أن آلهتهم تعلم ما تدبر قريش وتسمع ما تدير قريش بينها من الحوار وترضى عما تريد قريش لهذا البيت من تجديد . وما شك

الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف في أن أصنام قريش كانت في أعمق محنة مما أزمعت قريش من تجديد هذا البيت. فقد كان في ذلك رفع من شأنها وإعظام لأمرها واعتراف لها ببيت فخم جديد يلائم مكانتها الرفيعة ومنزلتها السامية وسلطانها العظيم، الذي أخذ يتجاوز قريشا ويتجاوز العرب الضاربين في تهامة والحجاز ليبسط على نفوس العرب كافة.

ولم يشك الوليد وأمية لحظة في أن أصنام قريش ستحدث في قريش حدثا عظيما يوم تقبل على هدم البيت فتزول عن أماكنها وتتحول عن مواضعها وتسعى على أقدامها إلى هذا المكان الذي سيهيأ لها في دار الندوة غير بعيد من المسجد، ويومئذ تمتلئ قلوب أهل مكة إكبارا للآلهة وإيمانا بسلطانها، ثم تتسامع العرب بأنباء هذا الحدث العظيم فتزداد إكبارا لقريش وإعظاما لحرمتها وإذعانا لسلطانها الديني العظيم.

ومن أجل ذلك احتاج الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف إلى جهد عظيم حتى يملك كل منهما نفسه ويمسك كل منهما لسانه في فمه، حين اجتمع الملأ من قريش يتشاورون فيما يصنعون بآلهتهم أثناء ما هم مقدمون عليه من هدم البيت وتجديد بنائه.

ولولا أن هذين الشيخين كانا كما قدمت من سادة قريش وقادتها الذين تعودوا من الحذر والاحتياط ومن المكر والدهاء ما لا عهد لنا به، لما استطاعا أن يسمعا هذا الحديث دون أن يعجبا الناس منه أشد التعجب. فهل الآلهة تعرف ما تستقبل من أمرها وما تستدبر، وتعرف ما تأتي من أمرها وما تذر، وتعرف كيف تحول بين قريش وبين ما تريد من هدم البيت فتحول لها عنه، وكيف ترد إلى قريش سرورها وبهجتها حين يتم البناء الجديد فيعود كل صنم منها إلى مكانه الذي هيئ له.

وإذن فقد كتم الشيخان عجبهما وسرهما أمرهما، واستمعا لهذا الحديث صابرين عليه مكرهين نفسيهما على ما لا تحبان. وقال كل منهما لنفسه ليدبر قومنا ما شاءوا فسترد الآلهة إلى صوابهم وستنبئهم بأنهم قد أساءوا بها الظن وحملوا عليها ما لا تحمل الناس على آلهتهم. وقال كل منهما لنفسه ويومئذ تعظم قريش ولا أعظم، وتأمن قريش ولا أأمن، وتحتاج قريش إلى أن تترضى آلهتها فتتقرب إليها وتضحي لها وتشبع الفقراء من جوع وتروي الفقراء من ظمأ. وما أكره أن أقرب مع المقربين وأضحي مع المضحين فأرضي الفقراء وأرضي الآلهة.

وكذلك انتظر الشيخان ذلك اليوم العظيم وإن قلوبهما لمعمورة بهذا الإيمان الساذج، وإن صدورهما لتجد غبطة حبيسة عميقة تحرص الحرص كله على ألا تظهر عليهما عيونهما ولا تفضحها وجوههما. فقد كان كل واحد منهما يشعر في أعماق ضميره بهذا الخاطر الغريب، ومن يدري لعل الآلهة تظل جامدة في أماكنها مستقرة في مواضعها منتظرة أن تنقلها قريش من مكان إلى مكان. وكان الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف راضيين عما أظهرا من مجاراة الناس ومتابعتهم فيما أداروا

من الحديث وما دبروا من الأمر لو استطاع كل واحد منهما أن يقرأ في قلبه رأى أنه في حقيقة الأمر قد بدأ يشك في الآلهة ويرتاب فيما لها من سلطان ، ثم احتاط لنفسه من الآلهة والناس جميعا فخادع قلبه وأحسن الظن بالآلهة وجارى الناس واشترك فيما دبروا من أمر وضمن لنفسه إحدى الحسنيين : فإن كان ظنه بالآلهة حسنا كان قد أرضى الآلهة ووثق بعطفها عليه ونصحها له ، وإن ظهر أن رأى الناس في الآلهة هو الحق وأنها عاجزة حتى عن أن تنتقل كان قد جارى الناس فيما رأوا ، واستمتع معهم بهذه الخدعة التي تضمن للأغنياء التسلط على الضعفاء ، والتي تضمن لقريش التسلط على نفوس العرب كافة .

وجاء ذلك اليوم وأقبلت قريش على أصنامها ، وتنحى الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف غير بعيد ينظران . وإذا قريش تنزع الأصنام فترفعها عن أماكنها القديمة وتنقلها إلى أماكنها الجديدة التي هيئت لها في دار الندوة ، والشيخان ينظران فينكر قلبهما أشد الإنكار ، وتعرف وجوههما أشد المعرفة ، ولكنهما يسعيان مع الساعين ويحاولان تشييع الأصنام ، ويظهران لها الإكبار والإعظام كما يفعل غيرهما من الناس . ولكن شيئا آخر قد وقع في قلب كل منهما فارتسم عليه واستقر فيه ولم يتحول عنه ولم يزل منه .

وليس على هذين الشيخين من لوم فيما أنكرا وما قدرا وفيما قالا وما فعلا . فقد نشأ صبيين فرأيا هذه الأصنام قائمة مكانها واستقر في نفوسهما أنها قامت فيه منذ أبعد العهود . ورآها على هذه الحال الآباء والأجداد ولم يخطر لأحدهما أنها ستنتقل أو تزول . ثم شبا ثم اكتهلا ثم أدركتهما الشيخوخة وهما يريان إكبار قريش لهذه الأصنام وإيثارها بالعبادة والطاعة والإعظام ، ويسألان من ذلك ما يفعل قومهما ويؤمنان منه بما يؤمن به قومهما ، لا يخالطهما فيه شك ولا يخامرهما فيه ريب . ولعلك تذكر أن قريشا كانت أبعد الناس عن هذا الإيمان العميق الذي يملأ القلب ويغمر النفس ويسيطر على الضمير . إنما كان القرشيون وأصحاب القوة والثروة منهم خاصة قوما يفكرون في الحياة أكثر مما يفكرون في الموت ، وينظرون إلى الأرض أكثر مما ينظرون إلى السماء ، ويسعون إلى جمع المال وكسب الثراء أكثر مما يسعون إلى إرضاء الآلهة والتقرب إليهم .

ولو أنك فتشت في قلوب الكثرة من قريش لرأيت إيمانا ظاهرا بالآلهة ، ولكنه رقيق ضئيل ، ولو أنك أمعنت في التفتيش لرأيت القرشي التاجر منافقا مع نفسه ومع آلهته ومع الناس جميعا . يخيل إلى نفسه أنه مؤمن بهذه الآلهة وهو يعلم أنه يمقتها أشد المقت ويزدريها أشد الازدراء ، ولكنه مع ذلك يخدع نفسه ويظن أنه خدعها ، ثم يخدع الآلهة ويظن أنها تخضع له ، ثم يخدع الناس ولا يشك في أن الناس يخدعون له ويؤمنون به ويرونه الواسطة الوحيدة المقربة بينهم وبين آلهتهم .

ولو أنك عرفت أمور قريش على وجهها لما شككت في أن المتاجرين منهم كانوا رجال دين ،

منهم للماهر والماكر الذي يتخذ الدين تجارة ويتوسل به الى ارتقاء المكانة واستطالة السلطان واتساع الجاه وكثرة المال ، ومنهم الغافل الساذج الذي يأخذ حظه من مظاهر الدين ويرضى نفسه الغافلة الساذجة بشيء من هذه المظاهر التي يراها الناس تقربا وتعبدا وايمانا

وأكبر الظن ان هذين الشيخين من قريش كانا من هذا الطراز ، وقد كانا على كل حال سيدين من سادة مكة حرصا على مكانتهما أشد الحرص ، ولا يقصران فيما من شأنه ان يمكن لهما في الأرض ويوسع عليهما من الرزق ويبسط من سلطانهما على النفوس

فقد احتاط لنفسهما إذن من الناس والآلهة جميعا حتى كان ذلك اليوم العظيم فرأيا ما رأيا ، ونظرا الى الآلهة يحملون على الأيدي والأعناق كما يحمل المتاع وينقلون من مكان الى مكان كما ينقل أهون الأثاث فكان فيما رأيا من ذلك ما أظهر الشك في قلبين كانا يخفيان الشك حتى على نفسيهما . ومنذ ذلك اليوم ساء رأي الشيخين في الآلهة والناس جميعا ، أو قل كشف كل من الشيخين نفسه سوء رأيه في الآلهة والناس جميعا . ومن الحق أنهما رأيا اليهود والنصارى واستمعا الى أحاديثهم ولكنهما لم يفهما عنهم شيئا ، ولم تطب نفوسهما لهذا النحو المستتر المجرد من الدين الذي لا تستطيع العين ان تراه ، ولا يستطيع الانسان ان يحس مظهره قريبا منه مخالطا له مشاركا في حياته اليومية ، يلقاه اذا أصبح ويلقاه اذا أمسى ، ويستشيره فيما يريد ويستخيره فيما يصدر من الامر

ولقد مضى حتى حين رأيا نفرا من قريش يميلون الى مقالات اليهود والنصارى ويظهرون الفهم لها والايمان بها ، فيعرضون عن الاصنام والأوثان ويختلفون الى البيع والكنائس ، ومضيا على حالهما التي كانت عليها قريش كلها من هذا الايمان الظاهر الذي جعل قريشا سادة وقادة ووسطاء بين الناس وبين آلهتهم . ولكن الشيخين جعلا منذ ذلك اليوم العظيم يتساءلان أيصبران على نفسي فيما كانا فيه والاستمرار على ما كانا عليه بعد ان رأيا الآلهة تحمل كما يحمل المتاع وتنقل كما ينقل الأثاث

وكان الوليد بن المغيرة في تلك الليلة قد أقبل كعادته منذ ذلك اليوم العظيم فقضى مع آلهته ساعة لو شهدتها قريش لرأته متحرفا ، وانه لمنصرف عن آلهته وقد امتلأت نفسه استهزاء بالآلهة وسخرية من الناس ، واذا هو يبني صاحبه أمية بن خلف مقبلا يسعى الى المكان الذي انصرف منه في جنح الليل . فلما تراءى الشيخان ارتاعا شيئا وانكر كل منهما مكان صاحبه ثم أمن كل منهما الى صاحبه وقال الوليد لأمية : « الى أين تريد وقد تقدم الليل وما أراه إلا قد انتصف؟ » قال أمية : « ومن أين تأتي وقد تقدم الليل وما أراه الا قد انتصف » قال الوليد : « لقد ألممت بهذا المكان منذ حين وتقدمت الى آلهتنا ببعض الصلاة لامر يعنيني » قال امية وهو يبتسم : « فقد اقبلت لألم بهذا المكان حينا واتقدم الى آلهتنا ببعض الصلاة لامر يعنيني » . قال الوليد وقد اخذ يحكي صاحبه وهو يضحك : « وماذاك ؟ » قال أمية : « سل نفسك فأي جواب تلقيه اليك فهو جوابي ، وأي رد ترده عليك فهو

رددي . وما أرى إلا أنك تعرف من أمري مثل ما أعرف من أمرك . لقد سكت كما سكت أنا حين تشاور الملأ في هذا الأمر ، ولقد تحيت كما تحيت أنا حين قلت قريش في هذا الأمر . وما أنت إذا تتحرف عن الآلهة حين أقبل أنا على الآلهة » . قال الوليد : « فأنت إذن مثلي تجد ما أجد » . قال أمية : « هو ذاك ، ولكن خفض الصوت ، فإن صمت الليل خليق أن ينم بما يدور بيننا من حديث » .

ثم مضى الشيخان معا يؤزان الصمت ويحسان من وقع أقدامهما حتى دخلا إلى حيث كانت الأصنام من دار الندوة . فلما دنا من هذا المكان مال بهما أرسل كل منهما نفسه على سجيته ورد إليها حريتها ، وما فيه يخرج من صمت مرتفع عريض . يقول أمية يخاطب الوليد بن المغيرة « أترى إلى سادة قريش وقادتها وإلى عظمائها وأولي الرأي والنهي فيها يصنعون هذه الأحجار التي لا تملك حتى أن تمنع نفسها مأمن من هذه المعاول التي أعملناها في هدم البيت » . ويقول الوليد : « أترى إلى قريش التي تدعن العرب لها بالسيادة وتؤمن لها بالتفوق وتدين لها بسعة العقول ورجاحة الأحلام ، تعبد هذه الأحجار التي أقمناها آنفا في صحن البيت والتي حطمناها حين حين هدمنا البيت ، لم تمتنع على آبائنا حين أقاموها كما لم تمتنع علينا حين حطمناها ، وكما لم تكن لتمتنع على معاولنا لو عمدت إلى رءوسها ووجوهها وأطرافها ، كما نعمل في البيت هدما وتحطيما » .

قال أمية : « وكأنما لا أسمع الآن حتى حين أسمع بها ما ترى » ، ثم ينقسم إلى هدل يتكلمه لفظة هيبة وترتد عنه وعلى ثغره ابتسامة ، لم ترتسم قط على وجه إنسان . قال الوليد : « فإني ما زلت أسمع بها ذلك منذ الليلة حتى أدركت من ذلك يقينا ، وإني لأتم بها كل ليلة منذ ذلك اليوم فأسمع بها مثل ما سمعت وأكثر مما سمعت ، وإني لأظن نفسي كأشد ما يكون الحق أنها أحسست شيئا من حياة فردت إلى بعض ما أهديت إليها من الصلح والصمع ، إني لأرتد إلى نفسي حين الثقة وإلى قلبي حين الرضى ، وأتردد في حسن هذه الفكرة السيئة الليئة التي لا تبرحها ، وما أرى أنها ستبرحها ، وهي أني قد أفنيت صباي وشبابي وكهولتي وكنت أطمع آخر الحياة وأن أتقدم بالعبادة والطاعة وبالقرابين والضحايا إلى أحجار تحمل كما يحمل المتاع وتنقل كما ينقل الأثاث » .

قال أمية : « أما أنا فلست رأيي في نفسي إلى هذا الحد ، وما أحب أن أخفي عليك سر الذي يطوي كل ما عليه من أمر صاحبه إني لم أومن لهذه الأحجار يوما بالقوة ولم أعترف لها بالسلطان ولم أخلص لها الدين قط . وإنما سرت فيها سيرة قومي ، وجاريت الناس ، رأيتهم يجهلون فجهلت ، ورأيتهم لا ينكرون حتى أحسبهم لم أنكر حتى نفسي ، ولو استطعت لجاريت زيد بن عمرو وأصحابه ، ولكني لم أستطع لأني أوثر الحياة ولذاتها وأعراضها وما تقدم إلينا من المتاع » .

قال الوليد : « فأما إذ ذكرت زيد بن عمرو وأصحابه فلن أخفي عليك أن نفسي كثيرا ما نازعتني إلى ما دعوا إليه ، ولو أني أطعت قلبي وأنصفت ضميري لكنت واحدا منهم ، ولكني رأيتهم قوما

يتحرجون ويشفقون على أنفسهم ويحرمون عليها من لذات الحياة ما لم تطب النفس عنه في يسر واسماح. وقد فكرت وقدرت فرأيت أن عاقبة ما يدعونا إليه شر على قريش »

قال أمية: « وما ذاك؟ » قال الوليد: « فإن أمر قريش إنما يقوم على هذه الأحجار التي نعفرها وندير بها، تعظمها العرب وتكبرها العامة، وتؤمن لها العرب بالقوة والسلطان، ونقوم نحن بالوساطة بينها وبين الناس، وعلى هذه الوساطة تروج تجارتنا، فلو أنا أنكرنا من أمرها ما ينكر الناس لانصرفت عنا القلوب وتحولت عنا النفوس، ولانحرفت عنا أهواء العرب إلى هذا المعظم أو ذاك من سادة اليمن والعراق والشام » قال أمية: « وكذلك تقوم كبار الأمور على صغارها وتبنى عظمة قريش وثروتها على أحجار لا تغني عن قريش شيئا » قال الوليد: « هو ذاك، وهل قامت أمور الناس إلا على نحو من هذا الخداع؟ » قال أمية: « أفلا يشق عليك أن تقيم أمرك كله على الكذب والخداع؟ » قال الوليد: « أما قبل الآن فلم أكن أجد مشقة ولا جهدا لأني لم أكن أفكر في هذا الأمر ولا أقف عنده، وأما بعد ذلك اليوم العظيم فإني أجد المشقة كل المشقة والجهد كل الجهد، كأن حجابا قد رفع عن قلبي فانكشف لي ما كان يخفى علي من كذب وخداع. ولكني على ذلك مضطر إلى أن أسير في قومي كما سرت، وأخفي عليهم من الأمر ما ظهر لي، فإن لم أفعل عرضت أمرهم وأمري للشر والفساد » قال أمية: « فما أنت في حاجة إلى شيء من هذا، فحسبك هؤلاء الذين يظهرون الانصراف عن هذه الأحجار ولا يخفون الإعراض عنها والازدراء لها ولا يتحرجون من أن يعلنوا سوء رأيهم فيها ومن أن يصبروا حين تشتد عليهم بالإعنات والإكراه »

قال الوليد: « إني لأرى وأسمع من ذلك الشيء الكثير وإني لأشفق على قريش منه. وما أرى إلا أنا سنضطر غدا أو بعد غد إلى أن نمعن في خداع أنفسنا ونسرف في التكلف عليها، ونقوم دون هذه الأحجار التي نعظمها ونحميها فنبذل لها الحماية ونمعن في الذود عنها بما عندنا من حول وطول » قال أمية: « وتظن ذلك كائنا؟ » قال الوليد: « بل أراه قريبا فحسبك أن تلقى ورقة بن نوفل وتسمع لما يتحدث به من الصحف وما ينبئ به من الأحداث »

قال عدي: « أنت تقص علي من أمر هذين الشيخين عجبا، فأنا أقرأ في الكتب أنهما ماتا وبعض معهما أشراف قريش يذودون عن هؤلاء الآلهة، ويسلكون في سبيل ذلك ما يكلفه المؤمنون الذين أخلصوا الدين لإلههم. لقد قطعوا الأرحام وفصموا الود وعادوا الأولياء وأنفقوا الأموال، ثم لم يترددوا حين جد الجد في أن يخوضوا غمرات الحرب ويضحوا في سبيل آلهتهم بالأنفس والدماء »

قال عدي وهو يبتسم: « فكر قليلا فإنهم لم يصنعوا ما صنعوا من ذلك ولم يحتملوا ما احتملوا، إلا ذودا عن نظامهم الاجتماعي أول الأمر، ثم حفاظا للأحساب وحماية للتجارة والمنافع، ولولا العير لما كانت بدر »

طه حسين

مزايا زواج الشباب
ومساوئ زواج الشيخوخة

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد

مدير مستشفى الملك

جرت عادة «الهلال» منذ نشأته أن يتابع الزمن ويساير الحوادث فليس غريبا أن يطلب مني أن اكتب شيئا في موضوع «الزواج في الشيخوخة» في هذا الوقت الذي كثر فيه اهتمام الجمهور بالزواج بنوعيه: المبكر والمتأخر، وإن كان اهتمامه لم يتعد الكلام والسمر في الموضوع، وما يصل الى الاقبال عليه

فأما اهتمام الجمهور بالزواج المبكر فالمناسبة السعيدة التي منت علينا حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق، إذ رأى حفظه الله تعالى أن يبكر بالزواج امتثالا لأوامر الدين. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج». وكذلك روي عنه أنه قال: «النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي» وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: «تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم يوم القيامة»

والزواج المبكر ما تم عقب البلوغ مباشرة أو تقريبا. والقوانين في كثير من البلاد الراقية تحتم للزواج حدا أدنى لسن المرأة وسن الرجل. فهو في المرأة ما بين ١٦ و١٨، وفي الرجل ما بين ١٨ و٢١

ويخيل لي أن الطب الحديث أخذ يدعو أو كاد يدعو الى التحلل من هذا القيد مكتفيا بعهد البلوغ الذي يكون غالبا قبل السادسة عشرة في المرأة وقبل الثامنة عشرة في الرجل. وأصبح الطب يتساءل لم تنتظر الفتاة البالغة الحد الأدنى من السن إذا جاءها الخطيب قبل هذه السن؟ أليس البلوغ دليلا على نضج الأعضاء التناسلية واستعداد المرأة لما هيأتها له الطبيعة من حمل وولادة ورضاعة؟ وما حيض الفتاة البالغة إذا حاضت مرة كل شهر إلا حملا خائبا أو حملا فاشلا. ولعل هذا الرأي الحديث يوافق الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» وأي فتنة أشد وفساد أكبر من انتشار الفسق والفجور والأمراض الزهرية باختلاف أنواعها بسبب امتناع الرجال عن الزواج أو تأخرهم تأخرا طويلا حتى ترتفع أسنانهم؟

ومن المأثور في إحدى الشرائع القديمة ما معناه «لو أدركت ابنتك وبلغت منتصف الثالثة

عشرة من عمرها فلا تضيعها – تمنعها من الزواج – بل بادر بزواجها ولو من عبد من عبيدك تملك رقبته لهذا الغرض دفعاً للعار » . ومن مزايا التبكير في الزواج سهولة الولادة وندرة ما ينشأ عنها من المضاعفات التي قد تذهب بصحة الوالدات أو حياتهن . ومنها ما لوحظ في أطفال الوالدات صغيرات السن من حسن الصحة وطول العمر وفرط الذكاء وندرة الوفيات

• • •

أما اهتمام الجمهور بالزواج المتأخر أو الزواج في الشيخوخة فمسألة عطلة حضرة صاحب القلم الرفيع تونس صبح باشا ، فلا جدال في أن هذا الزواج يخلو من جميع المزايا التي ذكرت في الزواج المبكر . ولعل أخطر أنواع الزواج في الشيخوخة زواج شيخ كبير قد أملاه تمسح للهوى وأطلقه تناقص الحديدين وحطمته السن العالية وأرهقه الكبر وحددته موته . لأنه طوى مراحل الشباب ودنا من ساحل الحياة ، من فتاة فاتنة المحاسن حسنة الأعضاء في الحسن عيونها والخال كحلاء ، تسترق الأبصار لأنها كعصب الخيزران أو كحورية من حور الجنان . وأشد ما يكون هذا الزواج خطراً إذا ظل هذا الشيخ أعزب طول حياته أو مطلقاً وقتاً طويلاً منها وهو أعزب . وقد يصح العقل حقيقته أو ولي أمرها أن يتساءل . كيف سنه الكبر ولم تمسه زوجة ؟ أكان يكبت عواطفه الجنسية ويصرعها ؟ إذن فهو مصحح . أكان يكسر شهواته ويطفئها بعبثه كما يفعل كثير من الشبان ؟ إذن فهو مصاب بشذوذ جنسي . ألم يكن فيه للنساء ؟ إذن فهو عاجز حدير به أن يكف عن الزواج . أكان متعطشا للعبادة ؟ أكان منهمكا في الاشتغال بالعلوم والحروب أو السياسة اشتغالا عنيفا شديدا ؟ أكان منصرفا إلى الألعاب الرياضية انصرافا تاما ؟ وإلى مضى على الرجل حين من الدهر وهو منصرف عن شيء من ذلك ، منصرف عن عواطفه الجنسية انصرافا بسببه إياها ، فقد فترت هذه العواطف وماتت وصار من الصعب بعثها من مرقدها

أما إذا عاش هذا الشيخ الأعزب عيشة إباحية يتلهى بالمحظور فقلما يبرأ إذا طالت مدته من الأمراض الزهرية وما ينشأ عنها من المضاعفات . ووقتئذ يكون زواجه وبالا عليه ووبالا على امرأته ووبالا على نسله إن كان له ولد

وإذا تصدى شيخ وصبا إلى فاتنة من الحسان الخرائد وتصابيها ، فهل تدري ماذا يكون من أمره ؟ يمثل معها دور صلاح الدين من رواية صلاح الدين للمرحوم الشيخ نجيب الحداد إذ يقول :

إن كنت في الجيش أدعى صاحب العلم ... فإنني في هواكم صاحب الألم

يا من غلامكم على ممالك أمكم ... عبداً وكنت له من أطوع الخدم

وقد يقضي عليه زواجه بما يبيه ويبيه من عدم التكافؤ في السن وهو يردد قول صلاح الدين :

يا نظرة خلتها في حينها نعما ... فأصبحت في الهوى من أعظم النقم

وهل تدري أيها القارىء الكريم ما سبب ذلك ؟ إنه لا يستطيع أن يقوم بما فرضه الله عليها

في كتابه العزيز إذ يقول : « ولكن مثل الذي عيبي »

وإن أبهم عليك ما أريد ، فإليك هذه الحكاية في كتب الأدب من ذكرها ما يغني عن الشرح :

« يروى أن الحارث بن سليل الأسدي وكان حليفا لعلقمة بن خصفة الطائي زاره فنظر إلى ابنته الزباء ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، فأعجب بها فقال له : « أتيتك خاطبا وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب » فقال له علقمة : « أنت كفء كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فأقم ننظر في أمرك » ثم انكفأ إلى أمها ، فقال : « إن الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا وقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته » فقالت امرأته لابنتها : « أي الرجال أحب إليك ؟ الكهل الجحجاح ، الواصل المناح ، أم الفتى الوضاح ؟ » قالت : « لا بل الفتى الوضاح » . قالت : « إن الفتى يغيرك ، وإن الشيخ يميرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ، كالحديث السن ، الكثير المن » . قالت : « يا أمتاه إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلأ » قالت . « أي بنية إنه شديد الحجاب كثير العتاب » قالت : « إن الشيخ يبلي شبابي ، ويدنس ثيابي ، ويشمت بي أترابي » . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم . فابتنى بها ثم رحل بها إلى قومه . فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبل شباب من بني أسد يعتلجون . فتنفست الصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء فقال لها « ما يبكيك ؟ » قالت : « ما لي وللشيوخ الناهضين كالفروخ » . فقال لها . « ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » ثم قال : « أما وأبيك لرب غارة شهدتها ، وسبية أردفتها ، وخمرة شربتها ، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك »

ولا كذلك زواج الشيخ الذي ماتت امرأته أو طلقها لسبب من الأسباب الشرعية ، من أيم في مثل سنه أو أقل منه قليلا ، فهذا النوع من الزواج ينصح به الطب لتكافؤ السن وينصح به الدين. فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزبا »

« وكذلك يروى عن معاذ بن جبل أنه كانت له امرأتان ، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى ، ثم توفيتا في الطاعون الذي أصاب القوم في الشام والناس في شغل فدفنتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر ولما ماتتا قال : زوجوني فإني أكره أن ألقى الله عزبا »

« وكذلك يروى أن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده عبد الله وقال : « أكره أن أبيت عزبا »

وهناك نوع من الزواج في الشيخوخة وهو زواج الغني من الصغيرة ، وهو زواج نادر ممقوت وكلما زاد الفرق بينهما في السن زاد ضرره

الدكتور محمد عبد الحميد

على ماهر باشا !

أخطر رجل ! فى أخطر منصب !

بقلم الاستاذ فكرى أباظة

أخطر رجل فى أخطر منصب

هذا هو « التعريف » الصحيح لهذا الرجل . فقد شاءت الظروف أن تكون موفقة فترفعه الى منصب سياسى خطير طالما احتل مثله وأرفع منه . ولكن الظرف الحاضر جعل المنصب أدق المناصب ، وأحرج المناصب . .

فهو اليوم بين الأغلبية الكبرى ، وبين المعارضة الناقمة المتحفزة ، وبين الرأى العام . ولكل من هذه العناصر حقوق ، وعلى كل منها واجبات ، إزاء السراى وإزاء التاج . والطلبات من كل ناحية تهطل كالمطر على الملجأ الأعلى ، وفى كل طلب صعوبة ، وكلفة ، وحرج . وعلى ماهر باشا هو المخلص أن يحضر لمليكه سواد الخاتم ، تاركا لجلالته الصبر ، والتقبل ، والتسديد .

ويريد الموقف دقة أن « على ماهر » أعلن منصبه عند صحيح ، ووسط صحيح ، فعليه أولا ألا يخيب آمال الطامعين فيه . وعليه « ثانيا » أن يستحوذ المتحرجين من تعيينه الى الثقة التامة به . وهاتان مهمتان متناقضتان ، ولكن حظ أن « على ماهر » أقوى منهما ، وأنه موفق بإذن الله

أسرة عصبية ! . .

أسرة ماهر باشا الكبير ، أو على الأقل من عرفناهم من أبنائه ، يكونون أسرة « عصبية » ينضج الرأى فى أذهان أفرادها فلا يحتمل ترددا ، ولا جبنا ، ولا تقهقرا ، ومن ثم لا يكون هناك غير التنفيذ ! والتنفيذ البات الحاسم مهما كانت النتائج . ويمتاز « على ماهر » وهذه ميزة أخيه احمد ماهر أيضا ـ بأنهما لا يكونان الرأى الا بعد تفكير واختيار ، ثم تأتى « العصبية » مظهر التصميم ، فيظن كثيرون أنها وليدة الأعصاب ، ونعتقد نحن أنها وليدة العقل ، والأعصاب معا . .

اكسبريس . . .

و « على ماهر » اكسبريس . . من نوع « الرابيد » الذى يعرف فى أوربا كلها مروق السهم .

فهو من أكثر أقطاب الدولة إنتاجاً وعملاً في الحكم ، وهو من أكثر أقطاب الدولة تفكيراً وتحضيراً خارج الحكم ! فقد له — في عزلته — عزلة ليست بالقصيرة ، وإنما عزلة يخدم فيها الدولة والأمة غير متصل . . ويعد للمستقبل ، ولذلك فإنه ما يكاد يقبض على زمام الحكم حتى يمطر الدولة مشروعات وقوانين واجراءات لا يمكن أن تكون بنت الساعة ، ولا وليدة اللحظة . وهو يسير في تنفيذها أيضاً بسرعة « الاكسبريس » ، وقد يتعب التنفيذ بعض الجهات ، ولكنا نفضل في هذا العصر العمل — مهما كان — على الجمود والخمول . .

حزبه ! . .

ليس لعلي ماهر حزب معين . بل له أنصار ، أو أعوان ، أو حاشية . وهذا بحث لطيف ، فقد امتاز بعض أقطاب السياسة المصريين في فن تكوين الأنصار والأعوان والحاشية . وقد كان لعدلي يكن باشا أصدقاء ، ولكنه لم يرب أنصاراً وأعواناً وحاشية بالمعنى الذي يضمهم إلى مرتبة الحزبية وكان رشدي باشا مثله . أما ثروت باشا ، فقد عرف كيف يربي وكيف يختار حاشية وأنصاراً من أبرع وأوسع من عرف الخبراء بأساليب الساسة المصريين . ولا تزال أسماء عبد الحميد مصطفى باشا ، وعبد الحميد بدوي باشا ، وحلمي عيسى باشا وغيرهم في القمة العليا . وعرف [illegible] حسن نشأت ، كيف يربي له أصدقاء لا يزالون اليوم من أبر الأصدقاء ، وأصدق الأوفياء . وفشل صدقي باشا في هذه المهمة ولا أدري سر هذا الفشل ، فلعل الظروف هي التي لم توجه نظر دولته إلى هذه الوجهة . . .

أما علي ماهر ، فقد عرف حقاً كيف يختار طائفة من أنبغ الشبان ، وأوفرهم استعداداً ، وعرفهم بالواجب نحو الدولة ونحو شخصه ، فاستطاع أن يلتقطهم من السلك القضائي الذي يعرفه تمام المعرفة والذي ينتمي إليه تمام الحب ، فظفر بهم وأمن استخدامهم ، وأؤكد أنهم ظلوا وسيظلون إلى الأبد أوفى الأوفياء لسيدهم في كل الظروف . .

جريء . . .

وعلي ماهر باشا ، جريء . . وعند اللزوم جريء لدرجة التهور ! ولكنه لا يلجأ إلى استعمال قوته — إذا توافرت السلطة لديه — إلا بعد أن يكون قد استنفد كل وسائل المنطق ، والحق ، والحكمة . ويعتقد أنه مأمون ، حتماً في الظروف العادية . فإذا ما استمر وحيكت حوله الشباك فثبت أمامه ! وهو من طراز الساسة الذين يعتدون بأنفسهم وباستعدادهم ، فلا يرون أنهم في حاجة إلى الاستعانة بقوة الحزبية ، وعون الأحزاب . والمعروف أنه في أغلب أدوار حياته يعمل لحسابه الخاص ، وعلى مسئوليته الخاصة

وقد تدفعه الظروف الى ان يجهز على اجتياح النظم ، والتقاليد ، والاجراءات ، ولو سئل عن دفاعه لقال : درست واقتنعت ثم أجبت !!!

وقد تصيب هذه الخطة أحيانا ، وقد لا تصيب ...

يقرأ . . .

و « على ماهر باشا » من ساستنا الذين يقرأون ، والذين لا يعيشون عيشة ميكانيكية ، بل يستزيدون معلوماتهم بالقراءة والاطلاع وباستنطاق الحوادث العالمية ، فهو كل يوم فى تجدد ، وهو مثقف غاية التثقيف وله « ثورات » اصلاحية عمرانية تشريعية اجتماعية يرتفع بها الرقم القياسى فى العمل ، وفى الابتكار . .

سياسى ممتاز ! .

ولا شك ان « على ماهر » سياسى ممتاز أسهمه فى المقدمة وفى الطليعة ، وهو كاتب مجيد ولا أظن الجمهور يعلم ذلك ، فقد طلعت « أخبار أمين الرافعى » على الرأى العام بأجود وأمتن ما جاد به القلم ، وكان الكاتب الوطنى المستقل هو « على ماهر » نفسه .

ومن عصوره الذهبية عصر تأليف الوفد الأول فى سنة ١٩١٩ ، وعصر لجنة الموظفين فى ثورة سنة ١٩١٩ ، وعصر وزارته الأخيرة التى خدم بها الدستور ، والأغلبية ، والصحافة ، خدمات ممتازة مدهشة لا يمكن أن ينساها حتى خصومه فى الرأى وفى المزاج ..

وأضف الى هذه الاحصاء « عصر الوطنية » فقد كان فيها ممتازا أيضا ، وما دون ذلك من العصور الذهبية ، فهى عصور « فضية » أو « نصف فضية » ، ولكنه على كل حال لم يطلق بها صبرا ولا ألمة ، فهضمها كما ناءها ، وسحقها كما قواها

لطيف .

وتحدثك حلاوته وأنسه فى مجالسه الخاصة عن عبقريته فى اللطف والظرف والدعابة لا تقل عن عبقريته الذهبية والسياسية . وسنرى كيف يجتاز هذه « التجربة الحالية » وهى — كما ترى — من أدق التجارب ، ولعله أقسى امتحان يتعرض له فى هذا الزمان .

وفقه الله .

فكرى أباظة

الصبر ، والصدق ، والقصد

فضائل تكونها ممارسة العلم

أخلاق العلماء

بقلم الدكتور أحمد بك زكي

مراقب مصلحة الكيمياء

الأخلاق قواعد وضعها العرف أو الدين لسلوك الإنسان في الحياة . والإنسان حسن الأخلاق ما اتبع هذه القواعد ، وهو سيئها إذا تنكب عنها أو أساء . ولكل عمل من هذه الأعمال ناحيتان ، ناحية ظاهرية تتعلق بالظرف الخاص الذي وقع العمل فيه ، وناحية باطنية تتعلق بالذي جرى في رأس الفاعل أو في قلبه أو في عصبه قبيل وقوع العمل . والناحية الثانية تسبق الناحية الأولى دائما ، وهي أكثر تشعباً منها وأقل افهاما لدى الناس . والناس تقول لرجل أنقذ طفلا من حريق إنه شجاع ، وهو حكم يسير بسيط على حدث ظاهر ، ولكن الأصول العصبية التي صدر عنها هذا الحدث ليست في هذا اليسر ولا في تلك البساطة ، وهي على الأغلب تتركب من أكثر من أصل واحد ، وفي هذا المثال يستطيع المفكر أن يعين أصلين اثنين على الأقل ، هما قلة الخوف للطفل والحنو للطفل كذلك . وهذان الأصلان قد يتصلان في تركيب خلق لا يراه العرف حميداً . فالخوف للطفل قد ينضم إلى أصل آخر فيكون تهوراً . والحنو للطفل قد ينضم إلى أصل آخر فيختلفان حتما . كالأيدروجين يأتلف بالأكسجين فيكون منهما ماء سائغ ، أو هو يأتلف بالكبريت فيكون منه ما يسمى دونه الأنوف تقززاً

على أن هذه الأصول العصبية تتألف من حيث شأنها وعددها من أصول أبسط ، ترد بدورها إلى أخرى أكثر بساطة هي الغرائز الإنسانية الأولى . وهذه الغرائز تولد مع الإنسان

يولد الإنسان بهذه الغرائز وهي أشبه ما تكون بغرائز الحيوان ، ثم تتفاعل هذه الغرائز مع البيئة التي بها الطفل فتزيد وتقل ، وتقوى وتضعف ، وتتغير وتتحور ، وينشأ منهما عادات مركبة معقدة لا نتبين فيها كيف نشأت ، ولا من أي العناصر تركبت . وتزيد هذه العادات الباطنية تعقداً بنضج ذكاء العقل واتساع نطاق بيئته ، وتزيد كذلك عدداً . فهذه هي أصول سلوكه في الحياة . ثم

تتيقظ فيه أساليب العقلية بالعلم ومخالطة الناس فتأخذ المثل تتكون فيه فتكون هي المثل التي يرمي إليه في سلوكه وخلقه . والعلم Science من الأمور التي تؤثر في هذه العادات وهذه المثل تأثيراً كبيراً

ويدخل في نطاق هذه العادات كثير مما يسميه الناس خلقاً . فالصدق المطلق عادة ، والصبر عادة ، واليأس عادة ، والأمانة عادة ، والصبر عادة

ويتضح أثر العلم في تكوين هذه العادات وهذه المثل من تفهم الطرق العلمية وشروط النجاح فيها . ولنبدأ ببيان أثره في العادات ثم نعقب بأثره في المثل

ولنضرب لذلك مثلاً عالماً كيماوياً يأخذ في درس مسألة معينة ، وهي تحضير مجموع طائفة من المواد وتحليلها ، وهي مواد لم يسبق لها في التكوين وجود ، فهي من تصورات العالم ، دله عليها وعلى أنها ممكنة الوجود ما عرفه من طبائع العناصر والأجسام عند تفاعلها . فهذا العالم أول ما يفعل أن يرجع إلى مراجع كثيرة بها الآلاف المؤلفة من الأجسام ، مما صنعته الطبيعة ومما صنعه الإنسان، يبحث عن مواده عسى أن يكون قد سبقته الطبيعة إلى خلقها ، أو الإنسان إلى صناعتها . فإن كان ، هذا الأمر . وأغلب الظن أن لا يكون . بدأ يحضر ويقضي الأسابيع والأشهر لتحضيرها وخلقها كما خلق الله . فهذه الخطوة الأولى من البحث لا بد فيها من الصبر واليقظة وإلا ضاع على الباحث جهد كبير ودرس طويل في استنباط طرق التحضير سبقه إليها السابقون . فإذا تكررت البحوث تكرر الصبر واليقظة حتى يصبحا في الباحث خلقاً يصحبه دائماً في نطاق العمل وفي نطاق الحياة الأخرى . وهو في استنباطه الطرق لتحضير مواده الجديدة يرجع إلى القراءة التي في رأسه ، وهذا محصول كبير مما حصل من القراءة وما حصل من التجربة ، فهو يستعرض ما فيها شيئاً فشيئاً ليتخير أقرب الأشياء إلى شبهه ، ويشابه بين الطرائق ويفارق بينها ليخلص منها أشبهها بطريقته . وهو في هذا يتبع قواعد عامة ليأخذ منها ما يصلح لحالة خاصة ، فلا بد له في هذا من التمييز بين طرف أصيل وطرف دخيل ، وبين سبب رابط وأسباب غير روابط ، ونتيجة مرتبطة ونتائج غير عوارض ، واختصاراً يعمل في قوات الفكر مما يعمله الناس في الحياة ، ولكن في موضوع أكثر تحديداً ، وبأسلوب أكثر تركيزاً . ولئن عد البحث في غير العلوم الطبيعية مجالاً أوفق لرياضة الفكر كهذه الحالات ، ولا رياضة أصلح ما ترتاض فيه من هذه الرياضات ، ذلك لأنها تتصل في الماديات ، في أصولها الأولى حيث قوانين الخلق أظهر وقواعد الطبيعة أعرى

ثم إذا استقر الكيماوي إلى طريقته على الورق وفي الخيال ، وضع ثم منضدته يستنطق الزجاج والنار والحرارة فيها . فيحمل الأيام والأيام فلا يخرج شيء . ثم هو يعيد الكرة ، الكرة بعد الكرة ، والطبيعة تأبى أن تخلق له الجسم الذي طلب . ما خطبها ؟ ما سببها ؟ وهو إنما جرى على الأسلوب الذي تجري عليه الطبيعة في خلقها أشباه هذه الأجسام ؟ فإن كان صاحبنا ناشئاً في العلم حديثاً أخذنا

ناره ، ولكنك تخاطره ، وتطوي صحيفته . ثم تمضي ربع أقسم في الرجاء وأعرف بالمسالك فيعمره عمرة ، أو يلوح اليه بشبه فكرة . فاذا باليأس يصيبه ، واذا بالأمل ينبع ، فيقوم بتغيير بعض الشيء من عمليته الاولى ، ويعمل اليوم بعد اليوم ، ويعمل الاسبوع بعد الاسبوع ، ثم تهل عليه النتيجة فاذا به يحصل من مادته على نصف جرام وكان قد رجا أن يكون حصاده جرامين . فلا يعتريه منها اليأس كله ، ولو أنه يقرن ما عمل بالذي حصل فيكاد يعود الى حالته الاولى . ولكنه عرف من مثل الطبيعة بعد طولها أن المسألة مسألة مصابرة ، أو لعله ينسى ذلك ولا يكاد يؤمن به . ثم يأخذ يفكر في أن العامل الذي أنشأ هذه اللذة لا بد وقع ، فلولا وقوعه ما تمت المادة ولو نصف جرام منها . اذن فالطبيعة لم تخالف بحثنا ، وانما هو الذي لم يضم سجاياها كلها . ثم يأخذ يدرس ظروف التجربة فيزيد من هذا الظرف ، وينقص من هذا الظرف على ذلك يصادف عند الطبيعة هوى . ويظل يجرب ثم يجرب الاسابيع فالاشهر حتى يحصل على مائة جرام بعد نصف جرام . عندئذ يؤمن بأن النجح من صبر ، لايؤمن به من الكتب ، ولا من موضوعات الانشاء يكتبها في المدرسة ، ولكن يؤمن به من اسوداد الدم في عصبه مائة مرة ، ومن الخيبة تجري في السويداء من قلبه مائة مرة ، وهي حسرات عميقة تترك بعد التئامها أخدودا واثة الوجود يحملها معه في الحياة كيف دار وأينما طلع

حصل على مائة جرام بعد نصف جرام ، ولكنه حصل على مائة وكان قد أمل حصادها . ويرى آخر تلميذ التجربة على من وعى . ان النظريات تؤدي نتائجها على الاوراق مائة في المائة ، ولكن تطبيقها لا يؤدي الا الى بعض هذا ، وأن المرء لا بد أن يرضى بهذا النقص ، بل خير من هذا أن لا يؤمن بفوق هذا النقص ، فان مقدار الحسن في المائة في أي أمر كان . بعد نفسه محظوظا

تذكرني هذه الخيبة التي لابد منها لكل باحث في العلم يوم في بلد أجنبي ، كان من سنوات عديدة ، إذ كنت ذاهبا الى معهد فيه دورق كبير سعة عشرة ألتار ، وضعت فيه مادة أعدها بأخرى ، وكنت صرفت في هذه المدة أسابيع أحضرها ، ثم ذهبت من المعمل الى ركن غير بعيد ، فلما كنت أمامه حتى سمعت طلقة ، فالتفت وهرعت الى الجهاز فاذا بالدورق انفتح بطنه وانسكب حشوه . فوقفت دقيقتين جامداً عنده لا أفوه بكلمة ولا يظهر على ملامحي غضب ، وفي نفسي من الغيظ المكبوت ما لو أسمعت له القيد لأعمى بيدي على جثة الجهاز تكسيراً وتحطيماً . وكان يجاورني رجل كيماوي يبحث أيضا ، جاء من استراليا ، من بلاد تعرف الصبر والتفت الى أنّاتها حرفته بيده الى محجره . فنظر الي في صمت وقال : « ضع شيئا ، والق عنك الهم ، وهل عن صدرك ، ثم أنتم معشر المصريين حلت لكم من أخلاط الغضب والسخط ! » ، فضحكت له بعد هنيهة : « لا ، فلو لسنا من السلف ما لو ملامحي لا تعرفك ، مع اعترافي لكم بالتمرين فيه ، ولكن ليس هذا أول دورق طلق ولن يكون آخر دورق يطلق ، فعلى الكيمياء هذا توطنت النفس عليه »

والحق أنه ما أزعجني بعد ذلك في الحياة أزمة، أو حزبني فيها حادثة، إلا وتصورت الموقف فيما يليق، فإن حصل فأمر توقعناه، وإن لم يحصل فالفرج ييسره لنا الله بحمده.

ودرس آخر، أظنه هذا الاستدلال النفسي، أو أطلعه عنه. جهز معمل للمواد ليقارن بين خواصها ليبرز رأيا للعلماء فيها. وكان لا بد لقدرتها من تحليلها لمعرفة نسب العناصر فيها. وحلل الطائفة الأولى منها فجاءت نتائجها على هواه. ثم حلل طائفة أخرى فجاءت نتائجها تخذله. ولكنه كان متشبثا بالنظرية التي عمل لنصرها، وكان يطلب النجاح السريع لحاجة ملحة في نفسه، فزعم أن الخطأ في هذه النتائج نشأ من سوء إجراء تجارب التحليل، وعنا أنها قريبة مما طلب، فلا جناح عليه أن يستبدل بها غيرها من قلمه بأرقام أقرب منها. ثم جاء على طائفة ثالثة مما حضر، فخرج من تحليلها على أرقام لا يمكن إقامة الصلح فيها بالقلم والدواة، فماذا يصنع بها؟ والوقت قد أزف؟ وموعد التقدم لنيل الدرجة قد حان؟ إذن لا سبيل إلا إلى طبخ أرقامها طبخا لتأتلف بالذي أمله. وسول له الشيطان فكان ما كان. وكان بيني وبينه مادة مشتركة أخرجت لي من النتيجة غير ما أخرجت له، أو غير ما زعم أنها أخرجت له. ولما علم بذلك فاتحني في أمرها، وتطرق الحديث إلى أمر المواد كلها فاطلعني أمره فيه وفيها. وكنت أعلم أنه ينوي الإقامة في انجلترا ليتابع بحوثه، فنصحت أن يعيد كل التحليل على مواد تنقية موارده تنقية لا تترك بها أصلا شائبة، ثم يبني النظرية التي يناصرها بنيانا كاملا شاملا، ثم يأخذ في تحليل المواد راضيا بحكم الطبيعة ولو ساءه. ثم ذكرت له ما سيكون من متابعة البحوث بعد الدرجة، وأن الطبيعة إن احتملت أن يجرّ باحث نتائجها على الورق بعض حين فهي لا تحتمل ذلك طويلا، وأن الطبيعة لها لسان صادق يجيب بالحق كل من سأل، فإن جاءت الأكذوبة من بعد الأكذوبة، وشاعت الريبة، فقد يعمد باحث أن يرجع إلى الطبيعة يستنطق لسانها، فماذا يكون من حالك عند ذلك؟

ولم يكن صاحبنا عند الحمد طبعه على الكذب ألفة له، وإنما زاد تحرقه على النجح السريع وشاقه الأمل القريب فأتى على قلبه غشاوة، فأساغ. ووصل ليله بنهاره يعيد الكرة فيما صنع، ويتقبل كلمة الطبيعة كما تنطق بها، فخرج آخر الأمر على نتائج موافقة فيما بينها، متخالفة في كثير مع النظرية التي اصطنعها، أو التي اصطنعها أستاذه. فكان في هذه المخالفة أنجح عند الامتحان مما أمله منه.

فالصدق والأمانة لا بد منهما لكل عالم تجريبي. والكذب إن نجح حينا فهو يخذل من بعد ذلك طول الدهر. كذلك التعصب ليس من شيم العلماء، بهم إن أحبوا صدقوا، وإن كرهوا قصدوا، ولا يجرمهم حب مهما غلا أن ينصروا حبيبا مهما عز على باطل، ولا يجرمهم بغض مهما غلا أن ينازعوا خصما في حق. أو هكذا يجب أن يكون العلماء. فالطبيعة آخر الأمر لا تنصر إلا الحق شايعه حبيب أو خصيم

هذه بعض سجايا العلماء مما يكسبونه من ممارسة العلم . وهناك أخرى . ولا يحسبن حاسب أن العلماء كلهم على هذه السجايا ، فممارسة العلم لا تكون إلا بعد أن ينشأ ممارسه ويشب وتتحدد أخلاقه بعض التحدد . والذي يحدث في الأغلب هو صراع بين عادات كسبها ممارس العلم من بيئته ، وعادات يكسبها إياه العلم بممارسته ، فهما قوتان متعارضتان ، والغلبة لأقواهما . لذلك نجد من العلماء قوما يتحلون بكل السمات التي يتسم العلم بها على أحسن ما يشتهي القلب ، ونجد آخرين لا تتراءى فيهم هذه السمات إلا ضئيلة ، أو تتراءى فيهم سمات الشر بارزة بينة . وبعض هؤلاء لو لم يمارسوا العلم لكانوا من المجرمين . فأثر العلم فيهم أثر تلطيف ، وصبغته عليهم صبغة خفيفة

ومن الأخلاق ما لا يتناوله التدريب العلمي بقليل أو كثير ، اللهم إلا مسا من بعيد . لذلك كان من العلماء سكيرون ، وكان منهم مقامرون ، وكان منهم من جرى في حياته وراء الرائحة ، وسابق وراء الناقة ، فما كددت ولى عن كأسة الأمس الى كأسة اليوم

وإني لأعرف من العلماء من تاجروا بشكاية خصمائهم من العلماء . وأعرف منهم من اشتهروا فسرقوا بحوث أصدقائهم من العلماء ، فحرمة العمل لن تنزع عنه الغرض ، والأمانة في الأرقام لن تعلم الأمانة في الأرحام

فهذا ما أفاده العلماء لذواتهم من ممارسة العلم

أما الناس أجمع ، من علماء وغير علماء ، من مارسوا العلم ومن لم يمارسوه منهم ، فقد أفادوا من العلم الشيء الكثير . ولست أشير بذلك إلى ما أصابوه من مدنية وحضارة مادية ، ولكني أريد أن العلم بما خلع عليهم به من تأثيره ، وبما أشاعه فيهم من طرائقه ، قد أثر في نظراتهم ، وغير من معتقداتهم ، فتكونت منهم مُثُل للحياة تخالف المثل الأولى . ثم أصبحت هذه المثل مراميهم ، فغيرت من سلوكهم ونظمهم في صغير الأمر وجليله

على أن هذا الشطر من الموضوع شطر يطول ، فلعل في هذه الإشارة الخفيفة إليه غناء

أحمد زكي

تاريخ العرب [1]

للاستاذ فيليب حتي

أصبحت جامعة برنستون بين الجامعات الامريكية مثابة البحث في تاريخ العرب وحضارتهم ، بفضل فئة من الباحثين المجيدين يتقدمهم المؤرخ الكبير الدكتور « فيليب حتي » أستاذ الآداب السامية فيها . فهو محور حركة الدراسات الاسلامية والعربية بما يلقيه من دروس ، وما يصدره من بحوث قيمة ، وما ينقله الى الانجليزية من أمهات الكتب العربية .

وللاستاذ « حتي » تاريخ علمي حافل ، فقد قضى السنين أستاذاً في جامعات بيروت وكولومبيا وبرنستون ، مكباً دائباً على بحث التاريخ الاسلامي على ضوء الآراء العلمية الحديثة ، فانتهى به الى نتائج قيمة لم يسبق اليها . فمن ذلك بحثه المبتكر عن تفسير التاريخ الاسلامي تفسيراً اقتصادياً ، وكتابه القيم عن اللهجات السامية الجارية في سورية وفلسطين ، وله رسائل جمة في كثير من المجلات العلمية عالج فيها تاريخنا القديم بأساليب علمية حديثة . واشترك في تحرير دائرة معارف العلوم الاجتماعية في أمريكا . وترجم الى الانجليزية سفرين كبيرين : اسامة بن منقذ ، وفتوح البلدان للبلاذري . ومن جهوده العلمية الموفقة انشاء « دائرة العلوم العربية والاسلامية » في جامعة برنستون ، التي تفتح صيفاً فيفد اليها كثير من الطلاب والاساتذة يدرسون الادب العربي والتاريخ الاسلامي دراسة علمية جديدة . وهي تشرف على اصدار كثير من البحوث القيمة ، وترجمة كثير من الآثار العربية ، وتمنح طلابها الدرجات العلمية العالية .

وقد أصدر الدكتور فيليب حتي أخيراً سفراً هو « تاريخ العرب » ضمنه خلاصة جهوده العلمية ، فجاء — كما قالت جريدة المورننج بوست — « أثراً فذاً من البحث الدقيق والدراسة الدائبة » . ولهذا فلن يبلغ جهد القلم في هذا المقال الوجيز أن يتحدث عنه في وفاء وشمول ، وحسبه أن يعرض نواحيه عرضاً سريعاً . يتناول الكتاب تاريخ العرب كله ، أي منذ العهد الجاهلي الى نهاية حكم المماليك ، ويقسم هذا التاريخ خمسة أقسام تتناول : ما قبل الاسلام ، قيام الاسلام وحكومة الخلفاء ، الامبراطوريتين الاموية والعباسية ، العرب في اسبانيا وصقلية ، الدول الاسلامية الأخيرة .

والكتاب كله على نسق واحد من الدقة والشمول ، الا أن القسم الأول قد يمتاز على سواه ، إذ يتناول ناحية غامضة مجهولة الى حد كبير . ذلك أن المؤرخين القدماء لم يدرسوا التاريخ الجاهلي الا لماماً ، ولا يتجاوز ما هو رواية أشتات من أخبار خمسة أو ستة من المؤرخين ، إذ استأثر تاريخ الاسلام بجهودهم كلها . أما المؤرخون المحدثون فلم تتيسر لهم وسائل البحث والتقصي ، إذ

(1) History of the Arabs by Prof. Philip Hitti

أن طبيعة بلاد العرب تستعصي على أساليب الحفر والتنقيب ، فكان أكثر ما كتب عنها لا يتعدى أحاديث الرحالة والمغامرين في فيافيها ، وهي كتابات لا تعني الباحث كثيراً . فهذا واجه الأستاذ حتى صعابا جمة في تاريخ هذه الحقبة ، ولكنه استطاع أن يلم شتات الموضوع ، وأن يجيب عن كثير من الأسئلة التي تعترض الباحث ، وأن يبين على الأخص أثر الجاهلية في نشأة الاسلام وتطور تاريخه . وكذلك أوضح علاقة الدول العربية في الجاهلية بشتى الدول المحيطة بها . ومن أحسن فصول هذا القسم ما كتبه عن « الحياة الدينية » فهو استمتع بحث للمؤرخ وأسلوب الأديب معا

أما بحثه عن نشأة الاسلام وتطوره فبحث العالم الذي لا يحابي ولا يماري . وهو بهذا يمتاز على بحوث أكثر المستشرقين وأكثر المؤرخين القدماء . فكثير من أولئك يخطئون عند الحديث عن دين الاسلام ورسوله وخلفائه وفتوحاتهم ملأى بآراء خاطئة وقلوبهم عامرة بنزعات مغرضة . وكثير من هؤلاء ... يقصدون من ترجمتهم التمجيد والتعظيم والاكبار ، ولو أدى هذا الى اغفال بعض الحقائق أحيانا . ولا شك أن ما كتبه الاستاذ حتى عن الاسلام ورسوله يرضي المسلم كل الارضاء لا لأنه تحزب وتحايل بل لأنه توخى وجه الحق الذي يصف هذا الدين القويم ورسوله الكريم . وقد تحدث في هذا الجزء عن الفتوح الاسلامية ، وأسلوب الحكم الذي للفتوحة ، وأبان أثر العامل الاقتصادي في تشييد الامبراطورية الاسلامية ، دون أن ينكر أثر الروح الديني الذي بثه الاسلام

ولما تحدث عن الدولة الأموية والعباسية عني بشئون الحياة الاجتماعية والحياة الفكرية ، الى جانب النظام السياسي وأعمال الخلفاء . وهناك نقط لم يأت فيها بجديد مما تردده كتب التاريخ ، ولكن سياق روايته وتنسيق حديثه يضفي على هذه النقط روح التجديد والابتكار . وهو يجيد تناول شتى نواحي الموضوع ، ويعرض كل الآراء المتناقضة فيها ، ويستخلص منها الرأي السديد مدعما بأدلة قوية مقنعة . وقد عني في حديثه عن اسبانيا وصقلية ، ثم عن الدول الاسلامية في مصر ، بأحوال الحياة السياسية وما انتابها من أحداث وانقسامات ، ثم عرض أساليب الحياة الاجتماعية والفكرية ، وما بلغته النهضة العلمية من رقي في هذه العصور المترفة الرخية . ومن خلال ذلك تبين العوامل الخفية التي كانت تدب في أعماق المجتمع حينذاك فتمهد السبيل لاضمحلاله شيئا فشيئا

هذه رحلة وجيزة عن هذا الكتاب الحافل الذي يحمل تاريخ العرب الطويل ، وألم بالحضارة الاسلامية الناصعة من جميع الوجهات . ومع هذا لن تجد فيه كلمة واحدة ألقيت جزافا ، وانما بعد درس وبحث ، وبعد تدقيق وتمحيص دأب عليه المؤلف السنين الطويلة ، كما دل على مطالعات من الأسفار الشرقية والغربية القديمة والحديثة

على ان الكتاب لا يمتاز بدقته وعمقه ووفرته فحسب ، بل كذلك بأسلوبه الشائق في العرض والتنسيق والاجمال : فهو مرجع علمي يأخذ منه المؤرخ ويعتمد عليه ، وهو أثر أدبي يشوق كل امرئ أن يقرأه ، وأن يستعيد قراءته مرة بعد مرة

« ح . ع »

سجل الأيام

عرض عام لشئون الشرق العربي وأحداث السياسة العالمية

بقلم الأستاذ سامي الجريديني

(١) شئوننا الداخلية

لم يبدأ البرلمان حتى كتابة هذه السطور بالسيطرة على شئون الدولة التشريعية ، ويبحث ما تعرضه عليه الحكومة مما اعتزمته من تشريع وفقاً لما جاء في خطاب العرش — على أنه لا يلبث أن يبدأ في ذلك عما قريب . ولا يخفى أن خطاب العرش خطة الحكومة في سنتها الحالية ، مقيدة بما تلتزمه بتنفيذ ما جاء فيه جهدها

المسألة المالية

ولعل أبرز ما في الخطاب وأشده أثراً في حياتنا الاجتماعية — ونحن في عهد عصر حديث — الأمور المالية

فعلى الأمة تضحية واجب تفرضه المصلحة مع الحليفة انجلترا ، وواجب آخر يفرضه مركزها الدولي . ويلزم كل ذلك تدبير المال واتخاذ أسبابه

ولسنا هنا في مقام التفصيل ، حسبنا الملاحظة ، وهي واضحة في خطاب العرش ، تنم عن نظر صحيح للأمور

فإنه من السهل على الحكومة — وقد أطلقت يدها في فرض الضرائب ، أن تسرع بتصحيح الميزانية بزيادة الضرائب ، والمجال في ذلك واسع فسيح . ولكنا نعيذها من ذلك

فالمهارة المالية ليست في فرض الضرائب ، بل في تجنبها إلا إذا لم يكن عن ذلك محيص

السياسة المالية الرشيدة تقوم على ضبط النفقات . ضبطها ضبطاً شديداً محكماً لا هوادة فيه ولا هوى — فالإسراف في الحكومات شر يفوق شر الإسراف في الأفراد . وهذا مجال فسيح في ميزانيتنا لم تقو عليه الحكومات السابقة حتى الآن . وعسى أن يكون تعهده من نصيب حكومة شعبية تستند الى أكثرية برلمانية تؤيدها أكثرية الأمة

ولا شك في صعوبة الأمر ، ولكن زادها صعوبة تحكم بعض التقاليد ، وسعة الحق للمكتسب

يتطلب عليه عزم صادق على جعل أبناء هذه الأمة سواسية متساوين ، لا ينعم فريق منها على حساب فريق ، ولا يشقى فريق ويعمل ويجوع ليشبع فريق عاطل في أبهته

فإذا نجح التعصب في الأخلاق سده سد الهمة في توزيع الضرائب توزيعا عادلا لا يرهق الشحيح ولا يعفر المسئولين ، بل يدعم الثقة بقدرة البلاد المالية والاقتصادية عند ذاك تمضي البلاد دائما وحيا متين الأساس ، وتؤدى قسطا مما ألقته علينا الطبيعة من أعباء ، وما ذاك على وزير ماليتنا بعزيز

• • •

التعليم

ولقد جاء خطاب العرش حافلا بما اعتزمته الحكومة في أمور التعليم

وكان من طالع السعد أن تشغله ساعة الوزارة رجل في أمال الشعب ، شرفت مصر كتابته وقد تبت به حضريا جمع إلى صواب الرأي سداد التفكير

ولو كانت الأقوال تكفي الرجل لكانت صفحات من خطب هذا الوزير في مختلف شئون التربية والتعليم ، وفي شتى أبواب الإدارة . ولكن العبرة بالأعمال

فقد كان وهو بعيد عن الوزارة قد وضع تقريراً عن مجلس مديرية الإسكندرية ، إذا قرأته عرفت ما هو عليه هذا الرجل من تفكير عميق وتطبيق عملي موفق ، فإنه مصر عنيد ، ويأنف الحاسب الوطني في أناة وحزم ، قبل أن يحكم أولو الأمر بالمصلحة أو يؤثر مؤثر

ثم ما كاد يطأ أعتاب وزارة المعارف في وزارة نسيم باشا حتى وضع تقريراً آخر عن مناهج الدروس الثانوية والعالية ، سيظل دستوراً لما يجب أن يكون عليه التعليم في مصر

ولقد عز التعريف أننا نشير إلى الهلالي بك

ولو كنا في مقام الثناء للوزير أحمد نجيب الهلالي بك لقلنا إنه الرجل الكفء ، سواء أكان وزيراً للمعارف أم وزيراً لأي وزارة أخرى

ولكنه سيلحق به وزرة عرفها وعرفته ، فصار يحق للأمة المتطلعة إلى التعليم أن تنام ملء جفونها ، فهي بين يدي طبيب يعرف الداء ويعرف الدواء ، ويعرف أن يعطي بمقدار ويعرف أن يمنع بمقدار . فمشكلة التعليم وتخريج جيوش المتعلمين في كل سنة وقذفهم بهم عاطلين في أحضان الأمة ، لمشكلة مالية أولا ، وتمصرية قبل بحثها ثانيا

• • •

التشريع للعمال

ولعل العناية بالعمال والتشريع للعمال من أعقد مسائل هذا الزمن . تعالجها أوروبا وأمريكا منذ سنين موفقين وعاطلين

وكان من نعم الله علينا أن لم تكن عندنا مشكلة عمال ، فمصر بلد زراعي قبل كل شيء ولكن الصناعة سيدة العالم الآن ، وقد أخذنا منه قسطا ضئيلا لا يلبث أن ينمو ويزيد على مر الزمن

فهل نعجب من أن نعتبر غيرنا ، ثم نعيش قانونا على قانون ونأخذ منه ما نشاء نصوصا مفتتة قد يطرب لها صاحب النظريات ، ولكنها تسيء الى العمل ولكل من له صلة بهم عند التطبيق . هل نشوهها عادة ، نشأت في ظل تحكم الصناعة فصنعنا حدا ما بيننا وبين قوم تسيطر فيهم هذه الحركة الحديثة !

اننا نعود برجال التشريع بيننا من أخرى أن مصر دائما أمة زراعية فلا نطمع الزارع في مصر حقه الى المدنية تشوبه الاجور والراحة ، وأن نعمم الحماية على الشؤون الفنية

فانجلترا سيدة البلدان الصناعية منذ قرن لم تشرع فيها ساعات العمل لتناول السباحة إلا منذ تربية وعشرين عاما أحدهما ، وبعد مرات حتى صار قرارا في الماضي وهو تصحيح النجاح للعمال حتى الآن

ومع الشيء في هذه آية الأثبات في التشريع . وسنعود الى بحث هذا الامر المهم عندما يطرح أمام البرلمان

(٢) العالم الخارجي

لقد أصبحنا وليس في الواقع من عالم داخلي وعالم خارجي . فقد ترابطت أجزاء العالم بعضها ببعض وجعل البشرية كلها متضامنة في السراء والضراء

لذلك كان اهتمامنا بما يدور حولنا من قريب أو بعيد أمرا لابد منه . تدفعنا اليه النهضة وتربطنا به روابط الاسرة العالمية

حوادث اسبانيا

ولعل لنا في اسبانيا آيات للدارسين فقد بدأت المشكلة الاسبانية نزاعا بين حزبين يدين أحدهما بالشيوعية والآخر بالفاشية . ثم انقلبت حربا أهلية ، واذا بالمطامع الدولية تلعب بها تارة ذات اليمين وأخرى ذات الشمال ، فأصبحت نارا وقودها هذه الجماهير الاسبانية يقودها الزعماء الى الهلاك ، واعدين أو موعدين . ويقود الجميع مآرب . يحدوها طموح موسوليني وسيطرة انجلترا . فاذا جردنا المسألة الاسبانية من حواشيها وما يخيم عليها من وقائع تدور هنا وهناك رأيناه يرمي الى تحديها تقف به الدوتشي في وجه انجلترا عسى أن يخرجها من السيادة في البحر المتوسط ويعيد الامبراطورية الرومانية سيرتها الاولى

فقد كانت اسبانيا جزءا من امبراطورية الرومان يحكمها قناصلهم حكمهم بلاد الغال وشمال افريقية وآسيا ، وكانت تكثر لهم جمهورها فيها أساطيلهم وعبأوا جيوشهم فتحوا انجلترا واسكوتلندا وعادوا تحوطهما كما حاولوا التخلص من النير الروماني . وقد لا يعلم الكثيرون أن قسطنطين صاحب الدولة الشرقية جيء به امبراطورا على رومة من ولايته على انجلترا

وداول الله الايام بين الناس . فانحلت الامبراطورية الرومانية وتنازع أمراء الدين والدنيا الحكم على أسلاب مقاطعات ودويلات

وجاء ابن طارق فأعد لهم له الامر وأقام المسلمون فى اسبانيا ملكا واسعا شامخ الذرى حكموا أهله فلبث بضع قرون

(وتداول تلك الايام بين الناس) وعاد الى الاسبان عزمهم بعد أن ذلوا وهدأوا ، فذكروا العز المجيد أو كادوا ، وتسلطوا على جزء غير صغير من أوربا فكانت أسبانيا نامية لهم يتحكمون فى رقاب أهلها تحكمهم بما هو الآن المضحك وعولانهاء وملأوا الارض جيوشا والبحار سفنا

(وتداول الله الايام بين الناس) فصدت الارمادا عن أمرها وبدأ نجم انجلترا يسيع حتى قضت على ما بقى من السيادة الاسبانية فى وقعة « الطرف الأغر » ، وانتصرت هول طارق

وتمر بنا الأيام فإذا موسولينى يحلم أحلاماً ويرى رؤى، وإذا كثير من الأحلام يتحقق ، فإذا حال ايطاليا اليوم غير ما كانت عليه بالأمس . سلحها فى البر والجو والبحر حتى انجلترا تحطب فى خدمة الأمم بحث العالم على نزع السلاح وتضرب لهم قدوة حسنة . وسواء أكان عملها هذا رياء أو صبراً فقد رآها حاكم ايطاليا الحديثة فرصة سانحة اقتنصها وأحكم خطه وشحذ سلاحه وصار حاكم الحبشة أيضاً فأصبح الأمر جداً وصارت الشيمة الاسبانية تضيع ظاهراً للسيادة البحرية الانجليزية

على أن التكهن بالمطامع لهذه القوة أو تلك ضرب من الخيال

لا تتم السيادة الا بعد نصر بحرى مبين

فكما أن معركة ليبانتو قضت على سيادة تركيا فى البحر المتوسط ، وكما أن فوز الانجليز على الارمادا الاسبانية قضى على السيادة الاسبانية

وكما أن فوز الانجليز فى ترافلجار وأبى قير ثبتت هذه السيادة وكاد يؤمنها

وكما أن فوز اليابان فى وقعة تسوشيما قضى على الروسيا وكان بدء السيادة اليابانية فى الباسيفيكى

كذلك كان فى الماضى ، وهكذا يكون فى المستقبل ، السيادة لمن يحوز والسلطة لمن يقهر خصمه والى أن تأتى تلك الساعة لا يزال الانجليز متمسكين بما ملكت يداهم

• • •

اليابان والصين

ويتخذ أخف الساسة الحرب هذا منا فى الشرق البعيد واليابانيون يعملون سلاحهم فى رقاب الصين يقتلون ويبطشون ويتمون أنانهم ويستحيون نساءهم ، بحجة الفتح واقتناص الفرصة السانحة

ويعذلون اليابان : تمسكت بالمواثيق ولم تف بالعهود فتقول : وما تاريخ البشرية الا حكاية مواثيق تنقض ومعاهدات تمزق ويبقى الفوز للمصلحة الشخصية الكبرى ولصاحب الساعد القوى

ويطالبونها باعتراف منها على أن تحترم استقلال الصين وتبقى أبوابها مفتوحة للجميع ، فتقول هذه أشموركا لا تستورد

فالباب المفتوح كله ظاهره عمل وباطنه حلم. فهذا حسب الأمر سلعة يجور بها أكثر الناس مالاً كان المتطلع نصيب أقوى التدبير

وأميركا ما لها من عدة طبيعية تستأثر بالصين كلها إن تركنا الباب مفتوحاً يتساوى فيه الجميع

وليس هنا من العدل في شيء، إن هو إلا قول ملؤه رياء يقصد به خداع الجماهير بالكلمات الحلوة والجمل الرنانة. وإلا لكان شأننا شأن حلبة يتسابق فيها الخيل، فنترك لكل فرس قياده لا نقيده بقيد ولا ننظر إلى سنه ووزنه ومقدرته الطبيعية، وما هكذا يعمل الناس

أما الاستقلال فلفظة تحتمل كثيراً من التفسير والتأويل. ورأيت حب الشعوب الشرقية قد تسرحت في مدارس الغرب وحفظت تعاليمهم. إن قالت انكلترا إني فتحت الهند لأمدنها أقول وهذا ما أنا فاعلة، أو أتمتع بخيراتها فقط وهذا ما أنا فاعلة. وأخرى وأنا على قلب فرنسين – من الصين – أن أنزل أمورها من انكلترا في الهند ومن على اعتاد هذا مقدارها

على أن لا ممنوحة لرجال السياسة (ولسانها بعد إن دخلت الحلبة) أن يدركوا أولية يتغاضون عنها، إذ تحجب الكبرياء والاعتبارات القومية ما بينهم وبين الحقيقة. ومن أن الفتح والاستعمار كان نتيجة حتمية لتوسع قوم قد ضاقت بهم بلادهم وجاعوا. والعالم – كما يبدو لك الآن – مقسوم إلى قسمين. قسم اشتمل شعوباً شبعت حتى التخمة، وقسم أخرى أقواماً جاعوا حتى كادوا يهيمون بالناس ذات اليمين وذات الشمال علهم يشبعون. قسم قوامه انكلترا وفرنسا وأميركا، وقسم قوامه اليابان وألمانيا وإيطاليا إلى ما قبل الحرب. وذلك لضيق حوضه ولم يقل قطعي، وعلى فرغت معدته فهو يتأهب لاقتناص ما يريده قوة واغتصاباً حيث لا ينفع السؤال

قال الفريق الأول: إننا وصلنا إلى ما نحن فيه جهداً وتعباً وذكائنا فلسنا متنازلين عما ملكت أيدينا، أجاب الآخر: ونحن أبناء الزمان على هرم فتنامت أب وأنتم أتيتموه بإيفاع قبلكم، ولكنا ضاقت بنا أرضنا وجعنا وصرنا أصحاب خلق وقوة، فما أنتم فاعلون به ولا تحسدون، ولما حرمنا لا تنعمون بما أنتم تعصرون. ولا يخفى أن الاستعمار والسلام والنعيم بالثروة عن طريق التجارة في مصلحته البني الشبعان. فإن أراد أن يستمرئ ما في مرعاه وجب عليه أن يسعى في سبيله، ويعيد الاتفاق مع الجائع الذي هو أخي وأسدي. ولكن الطمع والكرامة والاعتبارات القومية تعمل في الجماعات أكثر مما تعمل في الأفراد فيغلب الهوى على التعقل فلا يسلم فريق للآخر بما يريد أو ببعض ما يريد فتنشب الحرب، وقد قالوا عقب الحرب الكبرى إن تلك التلعة سيكون ميدانها الباسيفيك

فهل تتم النبوءة؟ ونحن أحسنت اليابان عدتها ووثبت من بين أممها بين أوربا ووسط انكلترا وعدم اكتمال الرجولة الأميركية، فاقتحمت تعرض على الصين الآن وعلى العالم بعد ذلك حضارة غير التي عرف، صفراء فاقع لونها يسر الناظرين؟ الجواب في سر الأقدار، ومن يعش يره

سامي الجريديني

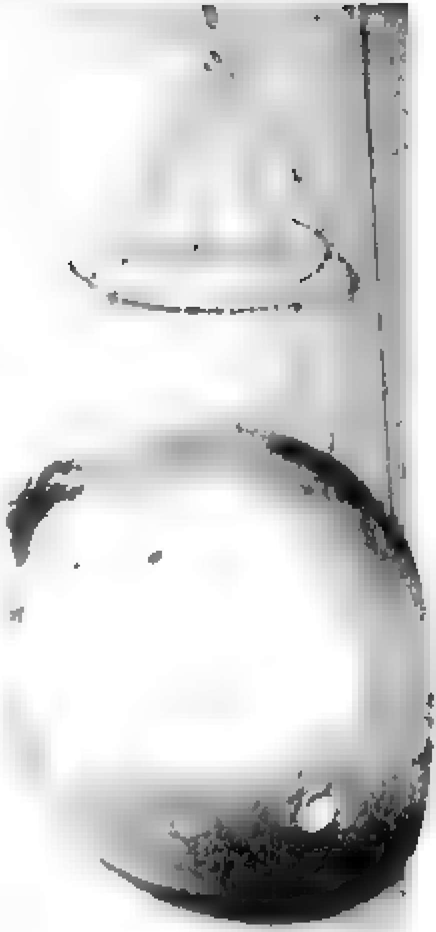

أجرى الاستاذ بيكار تجارب كثيرة في [illegible]، وهذا
نموذج لآخر منطاد استعمله سنة ١٩٣٢ وجعله تحت جسم المنطاد

تطور المخترعات

في معرض باريس للفنون قسم أطلق عليه اسم «قصر الاكتشاف» عرضت فيه نماذج من جميع ما اخترعه الانسان قديماً وحديثاً، من أدوات سلاحه الى أجهزة دقيقة الى آلات ضخمة. وبهذا يرى الزائر في فترة وجيزة جميع درجات التطور التي درج عليها الانسان منذ أن كان يضرب في الهياكل ويأوي الى الكهوف الى أن صار يطير في أجواز السماء، ويسبح في أعماق الماء، ويرسل صوته من مشرق الأرض الى مغربها في لحظة عين. وترى هنا صورة بعض ما عرض فيه من مخترعات ظهرت في السنين الأخيرة

دراجة تسير بالبخار

«بسكليت» ذات ثلاث عجلات، تدار بالبخار لا بالساقين، وترى في الأمام الجهاز البخاري، والى الخلف مقعد يعلو صندوقين تحمل فيه الأشياء.

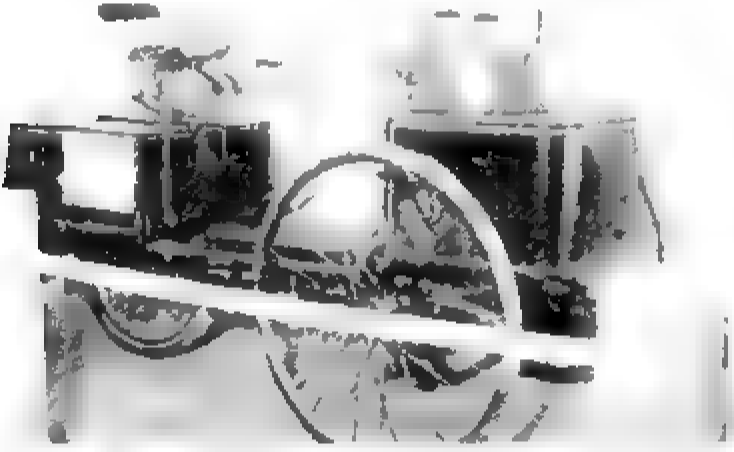

تأثير الأحلام في الشعوب البائدة ـ الفوارق بين الحلم واليقظة ـ
هل كرة لا نؤمن في ظل الحلم ـ ما هو النوم ؟ الأحلام في الصحف
القديمة ثم في العصر الحديث ـ رأي فرويد في وظيفة الأحلام وأسبابها

الأحلام توجه الإنسان

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

لقد كانت الأحلام شغل الإنسانية الشاغل ولا سيما في الأجيال الخالية . ولا غرو أن تشغل مرآة تأريخها ومصحفة تجاربها تلك الأجيال الغريرة المتطلعة وهي في سورة اتقادها في التفكير واجتهادها في كشف الحقائق الفلسفية الكبرى للنشأة والخليقة

على أن هذه الظاهرة اختلفت فيها الأفهام . وقد تولاها في كل إقليم رجال الدين وطائفة الكهان ليعبروا بها عن مكنونات الغيب ، فاكتسبوا بها بين الناس مرتبة المقربين الواصلين القائمين بالوساطة بين العالم الأرضي الطبيعي وبين القوى العليا الخارقة . وقد تحدثت التوراة وتحدث القرآن في مواضع عدة عن أحلام أوحى بها الله وعبر عنها عباده الصالحون . وليس أبلغ في تصديقها والإيمان بها من قول إبراهيم عليه السلام لابنه إسماعيل : « إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ » قال : « يا أبت ، افعل ما تؤمر »

ومن الأقوام التي ما زالت على الفطرة من ينظرون إلى الأحلام وما يتمثل لهم فيها نظرهم إلى حقائق لها وجودها العيني كالحقائق الواقعية في حالة اليقظة سواء بسواء . وهم يعتقدون أن روح الحالم تنطلق في النوم في زيارة خلانه وأصحابه الأحياء منهم والأموات ، والاختلاف إلى مواطنه القديمة ومدارج حياته الأولى ، ومراجعة سوالف أيامه وأسفاره ، والتنقل في مشاهد عجيبة ومطالع رائعة ليس له بها عهد ، وما إلى ذلك . وكذلك يعتقدون أن أرواح الموتى ومن سواهم من الأحياء تغشى الحالم أحيانا زائرة من تلقاء أنفسها أو مرسلة أعلى منها . وعنده عندهم أحلام الوحي والإيحاء ، وهي منبئة تارة وتارة هي إشارات ورموز .

ولا جرم أن يحار الإنسان في أمر الأحلام . فنحن نذكر في حال اليقظة ، أننا في أثناء النوم قد أحسسنا أحاسيس وحضرت لنا خواطر من جراء صور أشياء تراءت لنا بالفعل ، حتى إذا صحونا عرفناها أضغاث أحلام . ولكنا كنا ـ على الأقل طوال النوم ـ مصدقين مستيقنين

صحيح أننا لا نتردد في التفرقة بين الحلم واليقظة ، وإنما نعمل الحقيقة كلها لليقظة ونأبيها على

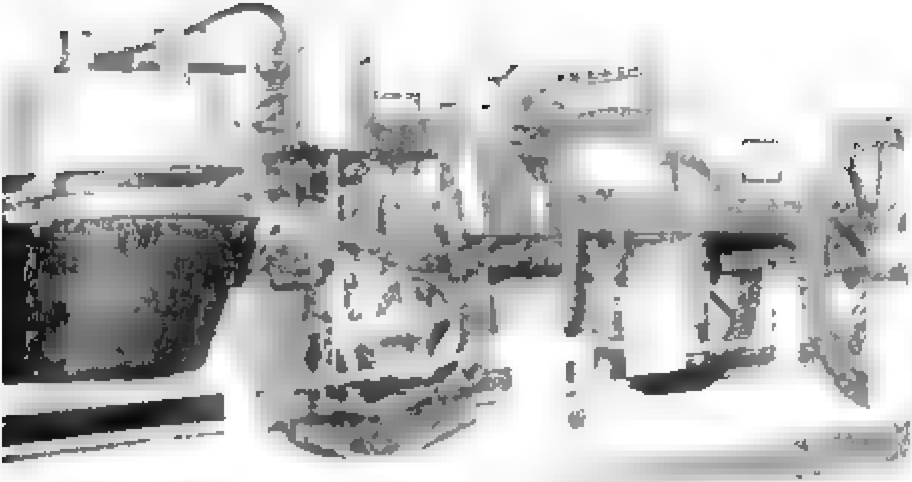

سيارة بخارية

قبل أن يكتشف الكهرباء ظهرت مركبات تشبه السيارة الحديثة ، إلا أنها تسير بقوة البخار . وهذه صورة إحدى هذه المركبات وفى مقدمتها مرجل ضخم وجهاز بخاري ، وترى تحت عجلاتها معلق ، باسكال وشركاه .

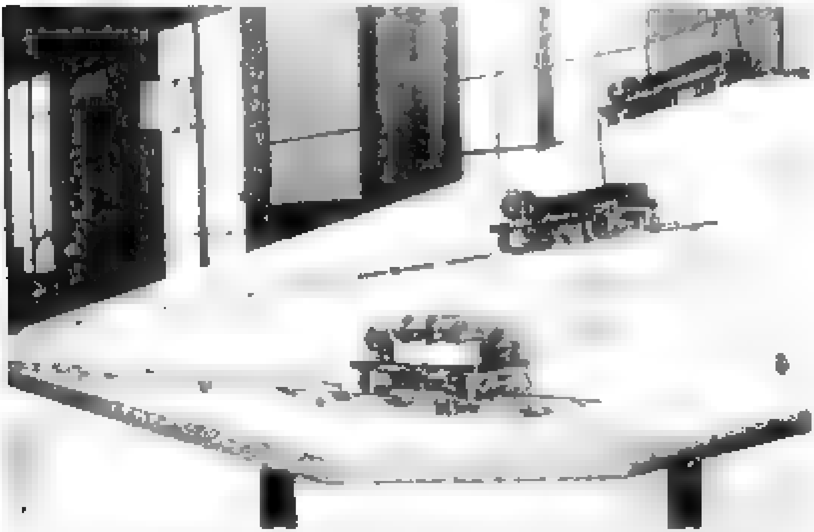

جهاز يبين حركة أتوماتيكية تنقل الأجسام على المستويات المائلة والمنحنية ، ويوضح الفرق بين الحالتين فى سرعة تحرك الأجسام . وهو من مخترعات عصر الاكتشاف ، والقصد منه شرح القوانين الطبيعية فى تقدير ما يحدثه من السطح من السرعة ، وما يترتب على ذلك من اختلاف فى القوة الدافعة للجسم

الحلم ، ولايعوزنا أن نحتج لهذا بالحجج القاطعة فنقول مع مول مستعلين : (أولا) أن حواسنا فى حال اليقظة عاملة كلها ، متصرفة فى عملها ، لكل حاسة على الأخرى حكم السيطرة وواجب الرقابة وفى هذا الضمان على أن مدركاتها موجودة ثابتة . (ثانياً) ان مدركاتنا فى اليقظة تعرض شهادة الغير أيضا على صحتها ، وهذا غير حاصل فى الاحلام (ثالثاً) أن متصرفاتنا فى اليقظة تجرى فى سياق مطرد تجعل منه كلا متصلا ، أما فى الاحلام فلا تتابع ولا اطراد بين حلم ليلة وما قبلها أو بعدها . (رابعا) ان اليقظة خلاف الحلم تسير على سنن منطقية ونواميس اختيارية ثابتة

الا أن هذه التفرقة سواء سلمت من الاعتراض أو لم تسلم فانها لا تكشف لنا السر فى أمر الاحلام ولا تبطل السبب

والصعوبة فى دراسة الحلم آتية من استحالة البحث المباشر ، بطبيعة كوننا لا نملك دراسة الحلم الا فى حال اليقظة . فليس الحلم هو الذى نبحثه بل ذكراه . ونحن انما نعتمد فى وصفه على الذاكرة ، ولا سبيل لنا الى معرفة مدى أمانتها . فاذا يعترينا أنها — وهى خاضعة مثلنا لضرورة حب الحياة والحرص عليها — لم تعمد الى تحريف الحلم الى الناحية التى تلائمها أو تخشاها ؟ ماذا يعترينا أنها لم تدخل على الحلم شيئا من النظام والتعلق ، وهما فى طبع الانسان وتركيب عقله الواعى ؟ فقد يكون الحلم الذى نذكره مفككا مشوشا ، ولكن ما يعترينا لعله كان أكثر تفككا وأشد تخلطا ؟ ولقد يصح ما يقوله البعض من اننا طوال النوم نحلم ؛ كما أننا طوال اليقظة نفكر ، بدليل اننا كثيراً ما نحلم دون أن نذكر ما رأيناه فى المنام الاصح ، وأحيانا يغيب عنا كله حتى لا نذكر من أمره عند الاستيقاظ الا أننا حلمنا . وأبلغ من هذا فى الدلالة أننا فى بعض الأحايين لا نذكر على الاطلاق أننا حلمنا فى ليلة مع صدور ألفاظ منا فى أثناء النوم تدل على اننا كنا نحلم مما يلتقد من حلم . فما يعترينا بعد أن ما يؤخذ على طبيعة الحلم من تفكك وعدم اطراد ليس مرجعه الحلم بل الذاكرة ؟ وأنها هى التى لا تعى من الاحلام إلا أشتاتا متفرقة ، ولولا ذلك لبرزنا لعالم الاحلام ما نعرفه لعالم اليقظة من سياق منطقى وحياة منتظمة

ويزيد موضوع الحلم صعوبة أن حقيقة النوم من ناحية تركيب الخلقة ووظائف الاعضاء لايزال سراً غامضا . فانه مع ضعف السيطرة فيه على العضلات الارادية نرى البعض يسيرون فى أثناء نومهم ويأتون أعمالا عجيبة على وجهها الصحيح كما أن النائم قد يعلم أحيانا بأنه يحلم ، فاذا كانت أحلامه مناظر غريبة الألوان والأشكال فانه يمضى معها عجيبة متقدماً متبرعاً ، واذا كانت أحلاما كابوسية مزعجة لم تلبث ان استحكمت واستولت حتى هددت حياته فانه ينتفض عنه بحركة يائسة ويرجع متشككا الى اليقظة . وهذا ما دعا الباحثين فى الاحلام الى النظر فى مبلغ علاقتها بالوعى والعاطفة وأحوال الجسد وسيطرة العقل وشهوات النفس

ولقد ذهب الفلاسفة فى العصور القديمة والوسطى فى تعليل الاحلام مذاهب شتى من طبيعية

وطبيعية . فزعم ديموقريط وأخذ عنه أبيقور أن سبب نشأة وتأليف الأحلام الجسمية تطفو في الجو وتغشى النفوس عند النوم . ويردها أرسطو إلى ما تطبعه الحركات التي تحسها العين من الأثر في أذهاننا . ويجمع أفلاطون بين الحلم في أثناء النوم واشتغال النفس في اليقظة . ويرى مثل رأيه شيشرون . ولا يراه شيئاً إلا في الأحلام عقب الطعام . ويقرر أبقراط أبو الطب أن بعض الأحلام نذيرة بأحوال من المرض في البدن ، ولم يمنعه ذلك اعتقاده في بعض الرؤى أنها وحي من الآلهة . ويرى أفلاطون أن هذه الرؤى الصادقة تسري إلى النفس الحيوانية بنا بواسطة الكبد

والمنامات في رأي الفلاسفة المسلمين على ستة أنواع : فمنها ما هو أضغاث أحلام من أحاديث النفس كالذي يراه الفلاح من الزرع والحصاد والعوامل من الحيوان مما هو منصرف إليه نهاره ومفكر فيه ليله – ومنها ما يكون من جهة غلبة أخلاط الجسم كالذي يرى الصفراوي من معالم الأفراح ودواعي الضحك ومسارح اللعب وما شاكلها ، وكالذي يرى البلغمي الرطوبات من الأنداء والأمطار والآجام والأنهار والوحل وما شاكلها – ومنها ما يكون من جهة موجبات أحكام النجوم حسب البروج وطالعها والبيوت وأوتادها واستيلاء السعود منها أو النحوس – ومنها ما هو وساوس من الشيطان – ومنها ما هو إلهام من الملائكة – ومنها ما هو وحي من الله وتأييده

وقد صنفت في تأويل الأحلام مصنفات في اللغات كافة ، وأشهرها عند المسلمين ما كتبه محمد ابن سيرين

وجاء العلم الحديث فلم يعول كثيراً على ما ذهب إليه الأقدمون فيما يختص بالناحية الطبيعية للأحلام ، وأقرهم على معظم ما اهتدت إليه عقولهم مع زيادة في الفحص والاستقصاء والتعليل

ويقسم المحدثون من علماء النفس الأحلام على نوعين .

أحلام ترجع إلى إحساسات وقتية مما ينشأ من الأحوال البدنية . فالكابوس بأحلامه المكربة المزعجة يكثر مع سوء الهضم وكضغاط المعدة ، والحلم بالارتفاع والتحليق أو بالسقوط من شاهق قد يحدث من تعرية الأقدام أو حالة التنفس . وقد توحي الصورة الصوتية صورة القصف المتتابع وتساقط البناء وما شاكلها . وقد يؤدي عدم التهوية وسقوط الأغطية إلى خلع الثياب في الحلم وما يقترن عادة عليها من الخجل . فإذا نحن أخرجنا من حساب هذه الأحلام ما دخلها من التنويع والتبديل والمبالغة والتهويل فإنها لا تعدو كونها إحساساً مباشراً بالواقع ، ولا بأس من تسميتها بالأحلام المباشرة

وأما النوع الآخر من الأحلام فهو ما يرجع إلى اختزان الذاكرة لما مر بها من حس ، فإذا هي تتمثل مسموعات أو شواغل سابقة على الحلم بساعات أو أيام . ومن هذا القبيل أيضاً ما نستحضره في الحلم من صور نحن على يقين النسيان في ظاهر الأمر ، والتعليل الأرجح لاستذكارها مع تقادم العهد بها إحساس مشابه لها قريب عهد بنا ولكنا في حمية اليقظة وزحامها بالمؤثرات لم نلتفت إليه في

حتى مع وقوعه في عصره ، حتى بدا لصاحبه أمراً كان الغيب في الحلم أفضى به إلى ظاهرها كما يصدق الحر المائج بمكوناته . وهذه الأحلام تمثل لنا ما كنا به ، فلا غرو إذا صحت بالأحلام المثلة

فالعلم الحديث يعرف للأحلام في نوعها الأول اتصالها بالحاضر عن طريق الإحساسات المباشرة ، كما يعرف اتصالها في نوعها الآخر بالماضي عن طريق الذاكرة . أما الأحلام المتصلة بالمستقبل الكاشفة عن الغيب فالعلم الحديث بطبيعة طرائقه في البحث لا يعترف بها

وبعد أن وقر هذا في الأذهان فقدت الأحلام عند الناس سحرها واهتمامهم بأمرها ، فلا يكاد يستيقظ الحالم حتى ينسى ما علق بذهنه من أضغاثها . وأصبحت دراسة الأحلام من حيث معانيها تشتم منها الكهانة والعرافة مما يترفع عنه رجل العلم الجاد

إلى أن كان عام (١٩٠٠) إذ قام العلامة النمسوي « سجموند فرويد » فأحدث ثورة في علم النفس بنقله مجال البحث العلمي من منطقة النفس الواعية إلى منطقة النفس غير الواعية ، مقرراً أن أعمال النفس هي قبل كل شيء وليدة الوعي الباطن . ولقد كان معروفاً قبل فرويد أن في قرارة النفس عالماً مبهماً هو بمثابة حياة لم نعشها أو نحس بها ، وأن هذا العالم في حالة راكدة لا حراك به ولا عمل له ولا تأثير منه على شعورنا الراهن . فانبرى فرويد يدحض الفكرة السائدة منادياً بأن هذا العالم الدفين ليس صالة النفس ومستودعها ، بل هو على الضد من ذلك ملاتها الأولى ، وأن جزءاً جد ضئيل منها هو الذي يبلغ إلى السطح الصاحي من الواعية . وأما الكتلة الكبرى التي لا نعي وهي بها الوعي الباطن فليست من أجل ذلك في عالمها هامدة أو عديمة من القوة المحركة ، بل هي في كل إنسان سر التكوين النفسي

فكيف السبيل إلى كشف هذا السر ، والإنسان في تأثره بمعتقده الثقافي ومداراته للعرف الاجتماعي يموه على الناس حقيقته كما يموهها على نفسه ؟

الذي لا مراء فيه أن الإنسان طالما كان مالكاً لوعيه ، فلا سبيل إلى سره . وبهذا يكون النوم وحده هو الحال المهيأة للفرص ، لأنه وحده الحال التي يكون الوعي فيها من غير أن يكون مملوكاً للنائم محكوماً بقواه العاقلة . وستكون الأحلام في النوم بمثابة المرآة العاكسة لما يكنه هذا الوعي الباطن

ويرى فرويد أن وظيفة الأحلام هي المحافظة على النوم . وذلك أنها تحقق ما يدور في دخيلة نفس من الخواطر التي تهدد نومنا بالتكدير إلى حد إشباع هذه الرغبات وقضاء الحاجات . فأحلامنا من شأنها أن تصبح مانع قرارة سرورنا . وصدق المثل الصيني القديم « مكنونات النفس تنطق في الحلم » . إلا أن الأمر لا يخلو من التحويلات وتعقيدات يجب أن نحسب حسابها الصحيح للأحلام تعبيرها . فالمزعجات تنم على أنواع من البدن والقيء كالوجع في المعدة والإلحاح على الفكر ، والأثر الباقي من هذا أو ذاك يغري نزعة من رغبات النفس الكامنة المكبوتة سواء كنا نعيها

أو نحاورتها في الصبا ، فتألف من حدوث في الحلم واقعة يراد بها إشباع تلك الرغبة المكبوتة . ولكن هذا الحلم – أو بعبارة أصح مشروع الحلم – قبل أن ينتهي إلى وعينا يمر بمكتب رقابة ، يتمثل فيه ما وقر في نفوسنا من أحكام العقائد والأخلاق والتقاليد ، فتعمل هذه الرقابة في عملها من التهذيب والتحوير قبل ظهوره لنا في منامنا . وإلا فإن كانت الرغبة المكبوتة قوية جارفة تأبى الامتثال على صيحة هذا الشاعر الرقيب آن يهب النائم مستيقظا . وهكذا تبرز الرغبة المكبوتة إلى حيث كانت في غيابة الوعي الباطن ، ويظل الحلم في مهمته الحفظة للنائم . ومن هذه الأحلام وأمثالها يخلص الطبيب النفسي إلى سر الداء الذي هو صاحبه . وهذا البحث الجديد المتصل بالنفس فيه مجال كبير للتمثيل وزيادة البيان ولا يسع المقام

وهكذا دار الفلك دورته وأصبحت الكلمة اليوم في مصيرها مرة أخرى للأحلام

عبد الرحمن صدقي

من هو الرجل المثقف ؟ . . هو الذي يستطيع أن يجهد تفكيره وشعوره ، فيرى ويبحث في أمور يراها الجاهل غير جديرة بلفتة أو إشارة

سدبرث كيلي

ما هي أحسن طريقة للاقتصاد ؟ . . هي ألا تنفق قليلا ، بل أن تربح كثيرا . أي هي أن تفكر وتسعى لتكسب قدر ما تستطيع

إدوارد بورش

ما هي أسعد ساعة في حياة الإنسان ؟ هي التي يقضيها بين النوم واليقظة ، في فراش دافئ وثير ، في الصباح الباكر من يوم قارس مطير

دكتور جونسون

نظرية سيادة الدولة

وأثرها في تقهقر الفكر الأوربي اليوم

بقلم الأستاذ ابراهيم المصري

لا بد للفكر كي يعيش ويسمو ويؤتي أكله الثمرات التي هي غاية الحضارة وقمة التطور ، من حرية مطلقة تعترف بها الحكومات ويحترمها الأفراد ويذود عنها مجموع الأمة ، ولا يدخر هذا المجموع وسعا في سبيل حمايتها يبذل كل مرتخص وغال

ولقد اتجهت أوربا عقب الثورة الفرنسية إلى تأييد هذا المبدأ وإلى نشر الآراء والتعاليم الديموقراطية التي تقوم عليه وتستمد منه القاعدة الأساسية لنظام الدولة

الدولة كانت في نظر معظم الأوربيين المستنيرين قوة تنهض على الشعب ، وتتمثل فيها إرادة الشعب ، وتتحرك وتعمل في ضوء الحرية الفكرية التي يمارسها الشعب ويستطيع بواسطتها الإشراف على أعمال الدولة ومراقبة رجال الحكم

وجاءت الحرب العالمية الأخيرة فحطمت عدداً من العروش وعصفت بتيجانها، وضاعفت الأفكار الحرة سلطانها وزادتها رواجا وانتشارا، حتى لقد خيل إلى بعض المفكرين أن عصراً جديداً يوشك أن ينبثق وأن الرجعية الفكرية لن تقوم لها قائمة وأن حكم الفرد قد قضي عليه القضاء المبرم

وحدث بعد ذلك أن غمرت أوربا والعالم موجة من المبادىء الانسانية النبيلة ، وقام فريق من كبار رجال الفكر أمثال رومان رولان وولز وبرتراند راسل ونظرائهم يدعون إلى تغليب النزعة الانسانية على النزعة الوطنية ، وإلى مكافحة روح التعصب الوطني ومحاربة أصحاب رؤوس الأموال المستكبرة الذين أضرموا ويضرمون النزعة الوطنية في قلوب سواد الشعب رغبة في جره إلى حروب الفتح والاستعمار

وكان الفكر الأوربي قبل الحرب العظمى وفي السنوات الأولى التي تلتها ، مشبعا على وجه عام بالأفكار والتعاليم الديموقراطية . كان الفكر حراً ، وكانت حرية المفكرين شبه مقدسة ، وكان من حق المفكر أن يكتب ما يشاء ويصارح بما يشاء ولو تعارضت نتائج تفكيره مع مصالح الدولة التي ينتمي إليها . والواقع أن الأوربيين كانوا في ذلك العهد يحترمون استقلال الفكر ، وينظرون إلى المفكر لا باعتباره مواطنا ، بل باعتباره فرداً حراً عليه أن يخلص للحقيقة المجردة العامة قبل أن يخلص للوطن المحدود ، عليه أن يعمل لا لوطنه فحسب بل للانسانية جمعاء

وكانوا يدركون أن هذه الحرية في المظاهرة بالحقائق إنما كانت لابد أن تعود آخر الأمر بالنفع الكبير على الوطن نفسه حكومة وأفرادا .

لهذا كان الفكر مزدهراً والثقافة نامية والانتاج العقلي مطرد الرقي ، والذهن البشري طليقاً متوثباً لشعوره باستقلاله وقدرته على نقد كل شيء والحكم على كل شيء ، والمصارحة دون ما خوف أو وجل بأفكار وآراء قد لا تتفق مع مصلحة الدولة ولكنها تخدم الحقيقة الانسانية الكبرى .

ومن أبلغ الأمثلة على ما تقدم أن السواد الأعظم في فرنسا أيام قضية دريفوس قد اتهم دريفوس البرىء ، وكانت الحكومة أيضاً تتهمه وهيئة قيادة الجيش وأقطاب أحزاب اليمين . ثم قام بعض الأحرار للدفاع عنه فتكاثر أنصاره وخشى رجال الحكم أن تنشق فرنسا على نفسها من جراء هذه القضية ، ورأوا أن من مصلحة الدولة الحكم على دريفوس حتى ولو كان بريئاً .

عندئذ نهض الكاتب المشهور اميل زولا واستخدم حريته الفكرية للدفاع عن الرجل البرىء ، أي عن الحق والعدالة والانسانية ضد مصلحة الدولة .

وقد لوحظت مثل هذه الظاهرة في انجلترا أيضاً . فالشاعر الانجليزي وردسورث هاجم حكومة بلاده عندما أنشأت حرباً لمحاربة الثورة الفرنسية ، وكذلك فعل الشاعر سوينبرن أيام حرب الترنسفال ، أما الكاتب الانجليزي ولفرد بلنت فقد انتصر للمصريين ضد الاستعمار البريطاني .

وكانت هذه الروح سارية في أوربا كلها وقد أحدثت أثرها المنشود في روسيا حيث تألبت قوى الأحرار على الحكم الأوتوقراطي ، وفي ألمانيا حيث اتسع نطاق الافكار الحرة واشتد ساعد الحزب الاشتراكي الديموقراطي وترتب عليه فصل عدوه البرنس بسمارك من وظيفة مستشار الدولة .

تلك كانت حرية الفكر في أوربا وتلك مركز المفكر .

فإلى أين انتهت هذه الحرية اليوم وماذا حل بها ، وهل هي ما تزال محترمة مقدسة ، أم أن السياسة قد طغت عليها وسلطان الدولة أوشك أن يجهز على جوهرها الانساني النبيل ؟

هذا ما سنحاول الاجابة عنه :

لا شك أن حرية الفكر قد انتهكت في الدول الديموقراطية الأوربية ولكنها حوربت وتحارب إلى أقصى حد في الجزء الكبير من أوربا الذي فشت فيه الدكتاتورية وسيطر عليه النظام المعروف باسم سيادة الدولة .

فهذا النظام الشائع الآن في ألمانيا وإيطاليا والبرتغال واليونان وغيرها لا يسمح للفكر بخدمة الحقيقة المجردة ، ولا يسمح للمفكر بأن يجاوز حدود وطنه ويتصل بالانسانية العامة ، بل يفرض على الفكر والمفكرين الاندماج في الدولة وخدمة الدولة فقط والاهتداء بتعاليم حكامها والرضاء بهذه التعاليم وإذاعتها والترويج لها واعتبارها مثلاً أعلى . فكل نقد ممنوع ، وكل دعوة انسانية محرمة ، وكل رغبة في خدمة الحق المطلق والعمل للمطلق يعاقب صاحبها أشد العقاب ، وكل أديب أو مفكر

يجب أن يقبل عن طيبة خاطر بأن تحدد الدولة الحدود عما ترى فيه مصلحتها وبأن تؤلف منه ومن رفاقه معسكراً فكرياً يدافع عن سلطتها في السياسة والحكم

فتحويل الأمة إلى ثكنة عسكرية كبيرة لابد أن يشمل قبل كل شيء طبقة المفكرين، لأنهم بطبيعتهم رجال استقلال وحرية تحكيم للمعرفة وذلك الضرب من الاعتزاز العقلي والاعتداد الفكري التي تخشاه الدكتاتوريات كل الخشية

هذا ما يجري الآن في جزء كبير من أوروبا. وقد ترتب عليه أن انحط الفكر الأوروبي في مجموعه وضعف انتاجه وضاقت حدوده وأصبح أضيق مدى بما لا يقاس بما كانت عليه قبل الحرب العظمى

فألمانيا النازية حاملة لواء النزعة العنصرية طردت مفكريها وشردتهم، ولم تستطع منذ قيام النظام الهتلري أن تخرج للعالم مفكراً واحداً أو حتى متوسط المواهب يمكن أن يعوض تفكيره بالجيل السابق. وأما عظماء إيطاليا المعروفون فقد ظهروا قبل قيام الفاشزم، وأما بعده فلم تستطع إيطاليا هي الأخرى المفتخرة بأنها قدمت للعالم عظيماً تحرر من وطنيته الضيقة واتجه نحو خدمة العالم

ولقد بعثت الكبرياء بموسوليني إلى حد أنه صارح برغبته في وجوب أن تكتفي إيطاليا بنفسها لا في الميدان الاقتصادي فقط بل في الميدان الفكري أيضاً، وأن تستغني عن الثقافات الخارجية ومؤلفات العقل الأجنبي. ومعنى هذا أن الفكر الإيطالي يجب أن يتجرد من عنصره الإنساني ويصبح وضيعاً تحت نير الخضوع لسيادة الدولة محدود الجوانب ضيق الفسحات منفصلاً عن العالم، في عصر تجددت روابطه وسهلت مبادلاته وقربت مواصلاته واتجه التفكير فيه نحو السعي لوحدة العالم

والذي يهمنا من كل ما تقدم ويهم كل شرقي ملاحظته وإمعان النظر فيه، هو أن الفكر الأوروبي قد تقهقر تحت تأثير نظرية سيادة الدولة

فأصبحت أوروبا في مجموعها تعاصر قوة السلاح لا قوة الفكر، وتمجد منا كلها قوة السلاح لا قوة الفكر، ولولا بقية باقية من ذلك الفكر المجيد تحرص عليها الأمم الديموقراطية لسرت الانحطاط روائه على أوروبا وعمها ظلام دامس

ويمكن يشعر القارىء بخطورة هذه الأزمة أتم شعور وأوفره، ولكي يدرك مبلغ التقهقر الذي أصاب الفكر الأوروبي من جراء سيادة الأنظمة الدكتاتورية، نسوق إليه هذا الاحصاء الذي وضعه كاتب احصائي شهير، ونقلته عنه الصحف الأمريكية ونقلناه أخيراً في مجلة «العصر الحديث» العربية

قال الكاتب: «في وسعي أن أؤكد استناداً إلى الاحصاءات المتقدمة أن الانتاج الفكري في بلاد أوروبا المحكومة بالديكتاتورية هو بالنسبة إلى انتاج البلاد الديموقراطية كالآتي

القصص ٤ إلى ٩

دواوين الشعر ٢ إلى ٦

كتب الفلسفة ٣ الى ٩

الأبحاث الاجتماعية ٣ الى ٩

المؤلفات السياسية ٤ الى ٨

العلوم ٥ الى ٨

هذا فيما يتعلق بنسبة العدد وهي كما نرى ظاهرة الضعف. أما فيما يتعلق بنسبة الاتقان والجودة أي قيمة الأعمال التي تخرجها الدول المحكومة بالديكتاتورية فذلك ما قاله الكاتب الانكليزي هيلير بيلوك المشهور من علماء المحافظين والذي أظهر في بعض الأوقات ميلاً واضحاً الى الفاشزم ثم عاد فراجع نفسه وعدل عنه:

« ان الانتاج الفكري في الأمم الرازحة تحت وطأة الديكتاتورية لا شأن له عند الشعوب الديموقراطية الحرة، فهو انتاج عرضي سطحي لا ابتكار فيه ولا طرافة ولا تجديد. ويبدو أن الفكر هناك يكاد يصب في مجرى واحد ومؤلفات الفكر تكاد تكون متشابهة في الجوهر والعرض فلا تجديد في المذاهب الفكرية أو الاجتماعية أو الأدبية يمكن أن تأخذه الأمم الأخرى وتنتفع به الشعوب على اختلاف أمزجتها ونظم الحكم فيها. والحقيقة أن الأمم المحكومة بالديكتاتورية تعيش لنفسها فقط كأنما هي قد انفصلت عن حولها وكأنها غير معنية بتأدية أي واجب مشترك نحو الحضارة عمومها »

الى هذه الحال من التقهقر انتهى الفكر في قسم كبير من أوروبا. وليس شك في أن جراثيم الانحطاط ستزداد انتشاراً كلما ازداد الحجر على الفكر، وكلما انتشرت النعرات الوطنية المتعصبة، وكلما تعززت نظرية سيادة الدولة وقضي الاستقلال الفردي فيها

فهل تقبل أوروبا هذا المصير وتنزل مختارة عن رسالة التحضير التي طالما تمدحت بها، أم تظل منقسمة كما هي الآن الى معسكرين لكل منهما سياسته ومثله الأعلى، أم ان هذا الانقسام نفسه سيؤدي بها الى صراع هائل يسفر عن مدنية جديدة ونظم جديد؟

تلك أسئلة يحمل المستقبل المجهول جوابها، وكل ما نستطيع أن نقوله هو أنه لو كان قد احتفظ بالفكر حراً وبالمفكرين المخلصين أحراراً وبالاستقلال الفردي ثابتاً موطداً، ما ارتقت أوروبا الى حيث هي اليوم، وما عاشت وتعيش وسيف الحرب معلق فوق رأسها وعلى هامة العالم

ابراهيم المصري

أدبنا الحديث
متى تكتمل عناصره

وجوب توافر العنصر الانساني في الادب المصرى

يبذل الأدباء في مصر جهوداً كبيرة في سبيل خلق أدب مصري ينم عن عواطفنا وإحساساتنا ويسجل مظاهر حياتنا الخاصة ، ويكون لهذه الأمة بمثابة تاريخها الوجداني يقوم بجوار تاريخ الحوادث والأعمال

غير أن فكرة الأدب المصري لم يستوضحها بعد معظم كتابنا ولم تبرز في تواليفهم جلية واضحة بحيث نستطيع أن نطمئن لها ، ونستبشر منذ الآن بمستقبلها

والواقع الذي يعرب عن أفكارنا هو أن الأدب العالي لا بد أن يتكون من عنصرين : عنصر البيئة وعنصر الإنسانية . فالأديب المجيد الكبير هو الذي يندمج في بيئته ويعي روحها ويلمس طابعها ويجتهد في التعبير الصادق عن هذه الروح وإبراز مميزات ذلك الطابع . ولكنه إن اكتفى بتلك المرحلة من جهاده ، فلن يثمر أدبه ثمرة ناضجة ولن تتحقق على يده النهضة المنشاة

ولكي يصبح الأدب المصري في مستوى الآداب الحية الأخرى ، يجب أن يقترن فيه عنصر المصرية بعنصر الحياة الروحية الشاملة التي يحس بها كل إنسان وتتوثر في كل شعب وفي كل زمن

فرسم العادات والأخلاق والتقاليد المصرية البحتة ، ونقلها نقلا فوتوغرافيا آليا ، والسعي إلى محاكاتها من ناحية اللغة والأسلوب العامي . كل هذه قشور يجب ألا تصرفنا عن الجوهر وتحول بيننا وبين وصف الخوالج والعواطف والميول التي تختلج في النفس البشرية عامة ، ويمكن أن يفهمها ويقدرها ويشعر بها كل من توافر على مطالعتها ممثلة في العمل الأدبي القوي

فمحاولة تصوير العادات المصرية الملحوظة أمر لا قيمة له إذا لم يستطع الكاتب أن يلمس خلف هذه العادات عارضا نفسيا عاما ، أو ظاهرة خلقية شائعة ، أو نزعة وجدانية أبدية ، يهتز لها القارىء الأجنبي ويؤمن بصدقها ويحس بفرط تأثيرها فيه ، سواء أكان يعيش في نيويورك أم في باريس أم في لندن

وليس معنى هذا أن يضحي الكاتب باللون المصري الصميم يخلعه على العمل الفني ، بل الغاية المثلى اقتران هذا اللون بالبواعث والحوافز الطبيعية التي تتردد في قلب كل إنسان . وهذا هو السر في عظمة الأدب الروسي مثلا وتفوقه

فنحن نلمح في أعمال جميع أدباء الروس خصائص النفسية الروسية ومختلف الأخلاق والعادات السائدة في البيئة الروسية في عهد معين

ولكننا نلمح أيضاً من خلال تلك الألوان المحلية ميول الإنسان الأعم ورغباته وشقاءه وذلك الجوهر المعنوي الخالد الذي يشترك فيه الناس جميعاً من أي شعب كانوا وإلى أية أمة انتموا

* * *

وهنا لا يفوتنا الذكر أن الإنسان واحد مهما تنوعت الثقافات واختلفت البيئات وتباينت الأمزجة وهذه الوحدة المشتركة هي أساس الفن وعنصره الرئيسي . وما الأخلاق والعادات المحلية إلا الإطار الذي لا يجب أن يستغرق اهتمام الكاتب ، وإلا باعد بينه وبين الصورة وضيق آفاق عمله الأدبي وحبسه في جو محدود وقضى عليه بألا يطلع في غير البيئة التي أوجدته . .

ويجب أن نصارح بعض أدبائنا - ولا سيما كتاب القصة منهم - أن معظم أعمالهم لا تمثل تلك الوحدة البشرية المشتركة قدر اهتمامها بتصوير الأخلاق والعادات المحلية ، ولا تهتم برسم عواطف الإنسان المطلق قدر ما تهتم بنقل مميزات البيئة المصرية نقلاً سطحياً تخطيطياً لا نصيب له من الفن الصحيح العالي

وهناك مسألة أخرى من الأهمية بمكان ، هي لفت أنظار الأدباء إليها ، ومحاولة تنبيههم إلى خطرها وهذه المسألة هي أن تلك العادات والتقاليد التي يعنى البعض منهم في تصويرها ، سوف تخف وطأتها أو تزول متى تقدمت الأمة وخطت أشواطاً حديثة في ميدان التحضر . ومتى زالت تلك العادات فلا بد أن يزول معها تأثير العمل الأدبي الذي اشتمل عليها ، وهكذا يقضى على كاتبها ومصورها القضاء المبرم

وإذن فالعامل الإنساني الأعم هو الذي يهب تلك العادات قوة الحياة ، وهو الذي يخلدها على مر الأجيال ، وهو الذي يضاعف تأثيرها الوقتي بما يدخله فيها من تأثير دائم ، وهو الذي يحول بينها وبين أن تصبح مجرد آثار محفوظة صالحة للعرض في المتاحف

ولقد حدث أن مميزات البيئة التي وصفتها القصص الروسية في القرن الماضي قد اختفت الآن من الحياة الروسية وحلت محلها مميزات أخرى وعادات أخرى . ومع ذلك فما زالت تلك القصص باقية . لماذا ؟ لأنها قامت على العامل الإنساني لا على الرغبة في تصوير البيئة ومظاهرها فقط

فيجب والحالة هذه ألا نسرف عندما نتكلم عن الأدب الجديد ، وخاصة عن أدب القصة في التعصب للون المصري، بل يجب أن نوجه قوانا ومجهوداتنا إلى إجراء ذلك التعادل المنشود بين اللون المصري والطابع الإنساني . وعندي أن القصصي المصري الخليق بهذا الاسم هو الذي يستطيع في يوم من الأيام تحقيق ذلك التعادل الذي نشاهده في أعمال تولستوي وجوركي وتشيكوف وأضرابهم

* * *

وأحب أن لا أختم هذا المقال قبل أن أعرض لمسألة أخرى أغفل عنها وعن الإشارة إليها معظم نقاد الأدب عندنا. وهذه المسألة هي الخلاف الملحوظ في مصر الآن بين أسلوب الكتاب في وضع القصص وأسلوب الشعراء في قرض الشعر.

فالقصصي المصري يحاول أن يستوحي البيئة المصرية وقد يرقى في بعض الأحيان إلى درجة من السمو الإنساني المنشود. أما الشاعر المصري فلا مصريته واضحة في شعره، ومعظم قصائده ترمي إلى التعبير عن العواطف الإنسانية المشتركة. فالأول، أي القصصي، مصري اللون أكثر مما هو إنساني، والثاني، أي الشاعر، ينزع إلى الإنسانية أكثر مما ينزع إلى المصرية، بل هو يؤثر وصف الإحساسات المجردة على وصف الريف المصري مثلا والتغني بجماله وبما يبعثه في نفسه من عواطف وأخيلة.

وصفوة القول أن المصرية والإنسانية يجب أن تتوافر عناصرهما في العمل الفني الصالح سواء أكان قصة أم شعراً. أما تضحية الأولى في سبيل الثانية أو الثانية في سبيل الأولى، فليس من شأنها إلا أن يضعف من أثر الأدب ويضيق محيطه ويؤخر تحقيق النهضة التي نطمح إليها جميعاً.

• الرجل الذي تؤلمه أسنانه يظن السعداء الحقيقيين سليمي الأسنان.
وكذلك الفقير يظن أن السعادة أصبحت سيادتها لمن توفر له المال حسب

برنارد شو

عرض وتحليل

تربية الارادة

Manuel de la volonté par Georges Pottier

تأليف جورج بوتيه

مؤلف هذا الكتاب رجل فكر وعمل ، وهو أديب كبير وشاعر نابغ ورد في معرض للمكانة . ثم هو في الوقت نفسه مدير مصنع ومن كبار المهندسين الميكانيكيين . وقد استطاع بفضل ثقافته وبرغبته نفسه أن يوفق بين المهنتين وأن يستخلص من تجربته الكبيرة هذا الكتاب القيم الذي يعتبر خلاصة حياته .

تقوم الحضارة على الصراع الأبدي القائم بين عقل الانسان وأهوائه وميوله ومختلف الغرائز التي تتجاذبه ، والتي تستحيل في معظم الاحيان الى شهوات طاغية جامحة . فكلما استطاع المرء كبح جماح أهوائه ، والتغلب على سلطان ميوله وشهواته ، والتسامي بنفسه الى عالم الفكر والروح ، ارتقت انسانيته وتهذبت مشاعره وعلا فوق مجرد اللذة وتحرر من ربقة الغريزة الحيوانية العمياء .

وهذه القدرة على التحرر هي « الارادة » بأوسع معانيها .

ونحن نعيش في عالم كل ما فيه يدعونا الى المتعة واللذة والاستهتار وعدم الاكتراث . ولكننا متى أطلقنا لغرائزنا العنان ، واستسلمنا لهذه النوازع التي تدفعنا اليها دفعا ورغبتنا الجامحة في الاستمتاع ، انحط شعورنا بكرامتنا ، وهبطت قوتنا المعنوية ، وعجزنا كل العجز عن تأدية الواجبات المقدسة التي يفرضها علينا المجتمع وتفرضها علينا قوانين التطور وطبيعة الحضارة نفسها .

فالفرد والحالة هذه مخير بين أمرين : اما أن يرجع عاداته وأخلاقه ومستوى حياته وأسلوب تفكيره الى أحكام الغريزة المجردة فينفصل عن العالم المتحضر ويقطع الصلة بينه وبين المجتمع الآخذ في التطور ويحيا على هامش الانسانية العاملة الحية المتقدمة . واما أن يحاول أن يستطيع التسلط على هذه الغريزة واخضاعها واستغلال حرارتها بتوجيهها مع القوى الساعية الى الخير ، ويساهم في عملية التطور ويؤكد شخصيته القائمة في جهود تعود بالنفع العظيم على الفرد والمجموع على السواء .

والواقع ان قوة الارادة تتمثل في هذه المحاولة المجيدة ، في محاولة الانسان التفوق على انانيته وعلى عوامل الفتور والضعف الكامنة فيه . ولا شك أن جميع الجهود التي بذلتها البشرية وما تزال

تنظمها والتي أوجدت الحضارات وخلقت العلوم والفنون وخرجت بالانسان من ظلمات الغاور ومن حياة الكهوف الى أضواء النور وظلال الحرية ، لا شك أن هذه الجهود تبعث وتنبع من الارادة أي من عروق الانسان العظيم الذي أقدم على سحق عوامل ضعفه وفاز آخر الأمر في المعركة الهائلة التي نشبت بين عقله وبين شهوات غرائزه

وبعد فهو العقل الذي يهدي الفرد ويرشده الى ما فيه خيره ويدفعه الى مصارعة أهوائه وميوله ولكن سيادة العقل على الغرائز والشهوات – أي قوة الارادة – لا يمكن أن تتحقق إلا بواسطة نوع خاص من الممارسة والتدريب والتربية . ومما لا يقبل الريب أنه لا يكفي الانسان أن يقول : « أريد كبح جماح شهواتي وأريد أن يسود عقلي غرائزي » بل يجب عليه أن يحقق طريقة ناجعة وأسلوبا عمليا واضحا وأن يتبع هذه الطريقة ويهتدي بهذا الاسلوب كي يتمكن في النهاية من اخضاع شهواته والتحكم في غرائزه وتنمية قوى إرادته

وكل نجاح في الحياة يتوقف على حسن تربية الارادة وعلى اتباع طرائق هذه التربية والاخلاص في تنفيذها وفي تكييفها اليومي على مختلف ظروف الحياة . وقد فاز الغرب على الشرق لان معظم الغربيين لا يحبون – كمعظم الشرقيين – حياة الاستنامة والتواكل ، بل يخضعون ومن قواعد يومية معينة تربي فيهم ملكات الارادة وتجعل عقولهم قادرة على التحكم في غرائزهم وشهواتهم

قواعد تربية الارادة

ويرى مؤلف هذا الكتاب أن في وسعنا اجمال عناصر تربية الارادة بصفة عامة في القواعد الآتية التي تصلح لكل انسان ، والتي يؤدي اتباعها الى رقي الفرد واستطاعته الاضطلاع بشتى الاعباء الملقاة على عاتقه مع اتقانها والتجويد فيها الى حد النبوغ والتفرد :

أولا – يجب أن نعرف قيمة الوقت معرفة عميقة تخالط منا النفس والاحساس فلا نفرط في دقيقة واحدة ولا نبعثر أعمارنا هدرا وضياعا في أرض عقيم بور

ثانيا – يجب أن نعرف معرفة تامة واضحة ما هو غرضنا في الحياة وما الذي ننشده فيها . وهل هذا الغرض يتفق مع مؤهلاتنا واستعداداتنا الطبيعية أم لا . ولكي نعرف ذلك حق المعرفة ، علينا بملاحظة أنفسنا واستطلاع آراء الغير حتى تتكون لدينا الفكرة الواضحة عن شخصيتنا وعن الهدف الذي نرمي اليه

ثالثا – متى أدركنا حقيقة شخصيتنا واستقر رأينا على تحقيق غرض معين ، فيجب أن نسرع برسم خطة التنفيذ

رابعا – يجب أن تشتمل هذه الخطة على عدة عناصر أهمها : تقسيم العمل ، ثم تقسيم أوقات العمل ، ثم أوقات الرياضة ، ثم أوقات اللهو

خامساً — يجب ألا يصرفنا شيء في العالم عن اتباع هذه الخطة وعن الاسراع الى العمل في وقت العمل والى الرياضة واللهو في أوقات الرياضة واللهو

سادساً — يجب أن نتفقد يوميا نصوص البرنامج الذي رسمناه بحيث لا يقعدنا عن تنفيذه الا اشتداد وطأة المرض علينا

سابعاً — لا يجب أن نستخف بالرياضة البدنية اليومية لأنها في الواقع تساعد على تربية ارادتنا وتنشط قوى الحركة فينا وتحيي أعصابنا وتنعكس على أرواحنا طابع الصحة والبهجة والسرور فلا نشعر بوطأة العمل وثقله

ثامناً — يجب أن يكون لهونا بريئاً . لأن اللهو المحرم يقتطع من وقت العمل جزءاً كبيراً ويجلب لنا المتاعب ويضعف أعصابنا ويهلك عقولنا ويعود بأسوأ الأثر على أعمالنا عامة

تاسعاً — يجب أن نؤمن أن الانسان يستطيع بعون الله كل شيء . وأن العقبات مهما كانت في وسعه تذليلها بالصبر والدأب والثبات وشيء من الجلد والتضحية

عاشراً — يجب أن نحتقر الشهوات والملذات المتطرفة الصارخة، وأن نؤمن أيضاً بأن لذة العمل هي اللذة الكبرى، وأن متعة المجهود هي المتعة المثلى . والحقيقة أننا متى اتبعنا نظام العمل المتواصل فإن هذا النظام لا بد يشعرنا آخر الأمر أن لذة العمل تفوق كل لذة

حادي عشر — يجب ألا نيأس اذا سلكنا هذا السبيل ثم تبين لنا أن العمل الذي قمنا به لم يحقق مثلنا الأعلى . وعلينا أن نفهم أن المثل الأعلى جوهر ميسور التحقيق مع الزمن ومواصلة العمل ، وان العبقرية نفسها صبر طويل كما قال العلامة بوفون

ثاني عشر — يجب أن نعتقد اعتقاداً راسخاً أن في كل فرد ما يمكن رجل عظيم من السهل أن يبرز ويتفوق اذا توافرت فيه الشروط السالفة واستطاع على مر الأيام تربية ارادته

العظماء وتربية الارادة

هذه أهم القواعد التي ينصح بها المؤلف . ولا شك أنها تصلح للجميع على أن في مقدور كل فرد تحوير بعض أجزائها بما يتفق واستعداده وخلقه ومزاجه

ولقد أراد المؤلف أن يدلل على صحة نظريته وعلى أن من الضروري اتباع خطة معينة لتربية الارادة والقدرة على العمل والانتاج فاستشهد بحياة بعض العظماء . واليك ما قيل في هذا الصدد

لم يتأخر الشاعر الايطالى دانونزيو عن الجلوس الى مكتبه في ساعات معينة كل يوم الا أربع مرات في حياته الطويلة . ولم يخرج مطلقاً من غرفة عمله ثلاثة أشهر متوالية أراد فيها انجاز إحدى قصصه الخالدة فتم له ما أراد . ولم ينقطع موليير طوال حياته عن العمل عشر ساعات في اليوم . ولم يمض يوم على الروائي الانجليزي توماس هاردى بدون أن يكتب ويطالع ويلعب الجولف ويبحث

إلى التبرج وكل ذلك في أوقات محددة . ولقد كان نابليون عبقريا في تقسيم ساعات العمل وفي معرفة قيمة الوقت . وكان جلادستون ماهراً كل المهارة في تحويل العمل المرهق الى لذة وفي الشعور بازدياد اللذة كلما ازداد العمل . أما اميل زولا فكان لا يقبل دعوة الى عرس أو الى وليمة أو الى أية حفلة رغبة مهما بلغ شأنها ، لأنه كان قد حرص على حصر العمل اليومى من الساعة الثامنة صباحا حتى الثامنة مساء ، ولأنه كان يغضب ويتجهم ويكاد يبكى كلما شعر أن ظروف الحياة أفقدته ساعة واحدة من تلك الساعات الثمينة

وليس شك في أن قوة الارادة عند العظماء يشوبها بعض الاسراف الناشىء عن طبيعة العظمة نفسها . ولكن في وسعنا الاسترشاد بهم والسير في ضوئهم ، مع تجنب الاسراف الذى لن ندفع اليه الا متى شعرنا أننا حقا عظماء ، وأن من واجبنا التفانى في التضحية الى حدها الأقصى . وهذا لا يتيسر الا لأفراد قلائل . وصفوة القول أن حياة العظماء تعلم الانسان كيف يكون جلداً صبوراً ، وكيف يريد ثم يحقق ما يريد ، معتمداً على نفسه وعلى دقة تنظيم وقته وعلى ذلك العناد العجيب الذى يخلق روائع الفكر وروائع الأعمال

ارادة الله

الطبيعة في حركة دائمة وفي خلق مستمر . ولو شئنا تعريف الله لقلنا انه ارادة ، ارادة عظيمة جبارة لا تهدأ ولا تكل . فهو العامل وهو الفنان الأعظم وهو المحرك الحيوى للطبيعة كلها لا يمكث يبدع ولا ينفك يخلق ويحيى . واذن فسنة الطبيعة وسنة الله هى الخلق الدائم أو هى ارادة الخلق والانتاج الدائم . وكذلك يجب ان نكون نحن الأناسى والا تجرد من نعمته وأنكره خالقه واستعدى عليه قانون الطبيعة الأول والأخير

فكلما أمعن الفرد في نفسه قوى الارادة وكلما ازدادت قدرته على العمل والانتاج اليومى ، دنا من مسلك الطبيعة وازداد صلة بالقوى حيث النزعة العامة في تطبيق نواميس هذا الكون

والواقع ان العمل صلاة كما يقول الصوفية . وان الاقدام على العمل وحبه والاستزادة منه ومحاولة ترتيبه وتنسيقه وتنظيم اجرائه . كل هذه شعائر روحية لنوع من العبادة يرجع آخر الأمر الى شخصية العامل الأول أى الى الله ! . .

وأعظم دليل على ما تقدم في التهاوش التعادلى للشعوب الكسالى الذين لا يعملون لسر الخليقة ولا يجرون وفق الارادة العليا ولا يرضخون لمشيئة الطبيعة ، لابد ان تثأر الطبيعة منهم وتردهم في معترك الحياة اذلاء مقهورين ، ثم تسحقهم سحقاً !

الوقاية الصحية في الريف

... الوجه ... مرض الانكلستوما ... [illegible]

لا تتعرض مصر كثيراً لأخطار الأمراض الوبائية التي تنتشر في بعض الأقاليم الحارة، لأنها محصنة من شرق وجنوب بأمن شبه من البحر والصحارى، لا تستطيع هذه الأوبئة أن تجتازها. ولكنها موبوءة بأمراض متوطنة تعرضت اعماراً وجسوماً حتى صار السواد الأعظم من الفلاحين مصاباً بأمراض تهد القوى وتهدم الحياة، وأهم هذه الأمراض البلهارسيا والانكلستوما، وتقدر نسبة المصابين بالأولى ٧٠٪ وبالثانية ٦٠٪ من أهل القرى. ويلحق بهما مرض ثالث يرهق في المناطق التي تزرع الأرز ويركد فيها الماء، وهو الملاريا التي تجتاح أكثر الوجه البحري في صيف كل عام.

وقد جعلت الحكومة ما تجده كارثة الاجتماعية وطاقة الاقتصادية إنما هو ذلك ضعف الفلاحين — وهم رجال ٨٠٪ من مجموع السكان — فرمت هذه الأمراض بقتال كلا منشط من طرفيه بإنشاء مستشفيات دائمة في المراكز، وأخرى متنقلة بين القرى، ونسبت الدعاية الصحية كل عنايتها، فأرسلت مندوبيها إلى أوساط الفلاحين تلقى المحاضرات موضحة بصور سينمائية جلية، ولها سيارات تجوب القرى لعرض هذه الأفلام، وتوزيع النشرات الصحية، لتعلم الفلاحين كيف يتجنبون الأمراض ويقاومونها.

وقد أنشأت الحكومة منذ عهد قريب وزارة خاصة للشؤون الصحية، وهي تعمل جاهدة على كفاح الأمراض المتوطنة وغير المتوطنة. ومن وسائلها في هذه السبيل إرسال أطباء لفحص ما يباع في الأسواق من طعام، فقد تبين أن كثيراً من الأمراض الفتاكة ينشأ من تناول أطعمة فاسدة كانت تباع في الأسواق علناً. ويطوف الآن الأطباء البيطريون بأسواق المدن وأسواق القرى يفحصون ما يعرض فيها من اللحوم، ويعاقبون من يبيعون لحوم بهائم مريضة.

أما وزارة الزراعة فهي تحارب الآفات التي تصيب المزروعات وتفتك بها، فهي تعنى بالمحاصيل، ولاسيما القطن، وتعرض كل عام خطة ... ومن رسل مندوبيها يوزعون الأدوية، ويشرحون الوسائل التي يستطيع بها الفلاح أن يقاوم هذه الآفات. وترى هنا صوراً تبين كيف تكافح الحكومة أمراض الإنسان وآفات النبات.

لم يعد الفلاحون يهملون صحتهم
ويتركونها فريسة الامراض ، بل صاروا
يقدمون على المستشفيات التي ترسلها
الحكومة الى قراهم فتعالجهم بلا أجر
وترى طبيب المستشفيات يفحص
بالمكروسكوب بول مرضى القرى
ويفحصوا على التحقيق ، ليعرف نوع
الامراض التي أصيبوا بها

كا عمل حرب المطرقة على السر
الزلال، وعمل رجلبة الهواء التي
أحدثته من نكش

أحد رجال وزارة الزراعة يحضر المواد اللازمة لتبخير أشجار الفاكهة من آفاتها ، وقد صفت أمامه الجوازير للخلط ، وحوله الفلاحون ينتظرون نصيبهم من الادواء

مكافحة آفات الاشجار

جمع من الفلاحين أمام كشيك الى جوار حيث قام مندوب وزارة الزراعة بتحضير المواد اللازمة لقتال آفات الشجر والاشجار وقد حمل كل منهم قارورة وجاء يتناول الدواء الذي يحفظ له ثروته وجهده

السيول تجتاح سوريا

هكذا بدت الأرض بعد أن انحسرت عنها المياه، وقد [illegible] فيها جثث الماشية التي أودى بها السيل

[illegible] ٢٧ كانون الماضي [illegible] أشجار [illegible] السيل [illegible]

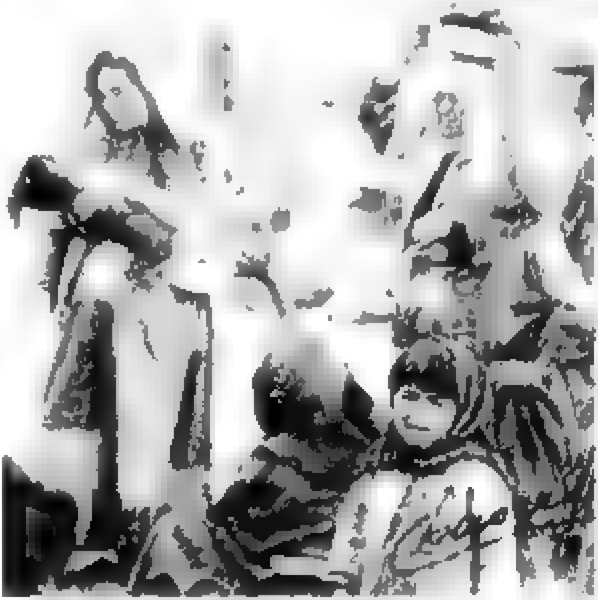

قروية سورية تحصي ما خلفه الغرق، وحولها نسوة وأطفال قد شغل كل منهم بمصابه عن مصابها

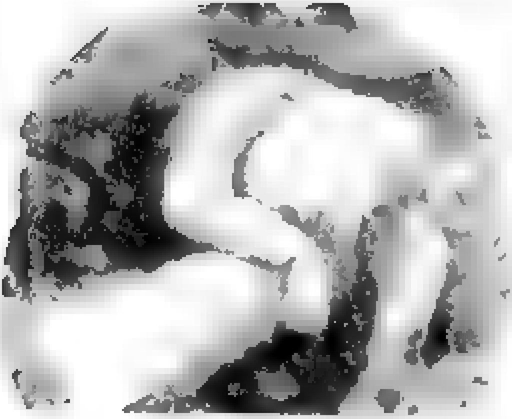

منظر فاجع من مناظر النكبة الفادحة
فتاة صبي في الخامسة عشرة من عمره أصرعه
النبل وظل دفينا في وحدته ... أيام ،
حتى اعتصر ثلاثة فأخرجته أمه ...

بعض رجال الجيش والبوليس
والكشافة ، من سوريين
وفرنسيين ، يرفعون الموتى
والقتلى على أنقاض في حطام
القرى ، وترى جرحهم القطر
بالعطف الرقيق وهمة الدين

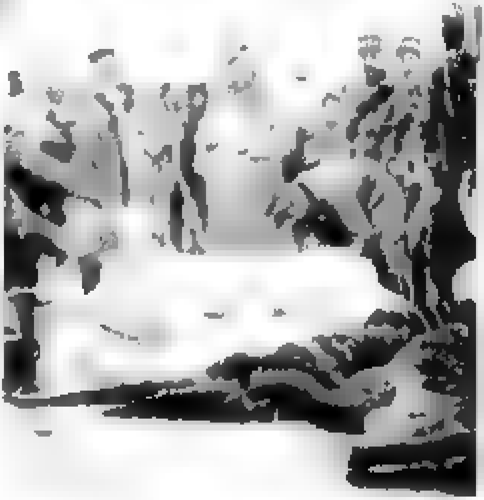

أهل قرية ، التي احتاجها
السيل ... ضاع ، فباتوا في العراء لا
مأوى ولا طعام ، ونراهم قد اصطفوا في
انتظار توزيع ... المعونة ،
ويبدو ... ما أحسب من ... هم
في أطفال ... ضياع

جهاز
لانقاذ المختنقين

تنتشر الغازات الخانقة في المناجم ومعامل البويات ، واستهلك كثير من العمال في مناجم والمعامل والآبار ، وكذلك لقي كثير من الناس على السلم في الحمامات والحارات ، بسبب حوادث الاختناق كثيرة الوقوع . وهذا فكر الأطباء في جهاز يساعدهم على تنظيم تنفس المختنق ، وامداده بالكمية اللازمة من الاوكسجين ، توفق احد المهندسين بباريس الى اختراع هذا الجهاز الذي سهل على الأطباء وسائر مهمتهم وأنقذ حياة كثير من المختنقين

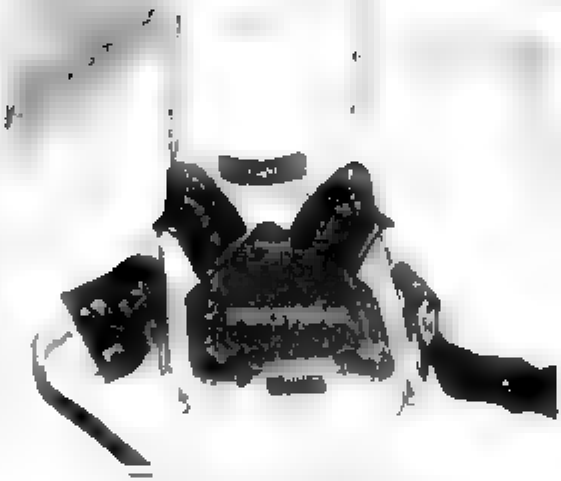

صورة جهاز الانعاش للمختنق ، ويرى فيه الخرطوم المتصل بالفم والصدر ، والاحزمة التي تشد على الظهر في أثناء اجراء العملية

المختنق مستلقياً على جهاز الانعاش ، وقد وضع فمه وأنفه في المواضع المخصصة لها ، وعلى هيئة تسهل اجراء عملية التنفس الصناعي

يتصل جهاز الاعلاء بجهاز آخر مملوء بغاز الاوكسجين ، ويرى المريضة تقوم بمساعدة هذا الغاز ، بكتابات مختلفة تناسب درجة الكآبة أو تحديه

المريضة تقف [illegible] جديدا [illegible] ، [illegible]
بالجهاز في [illegible]

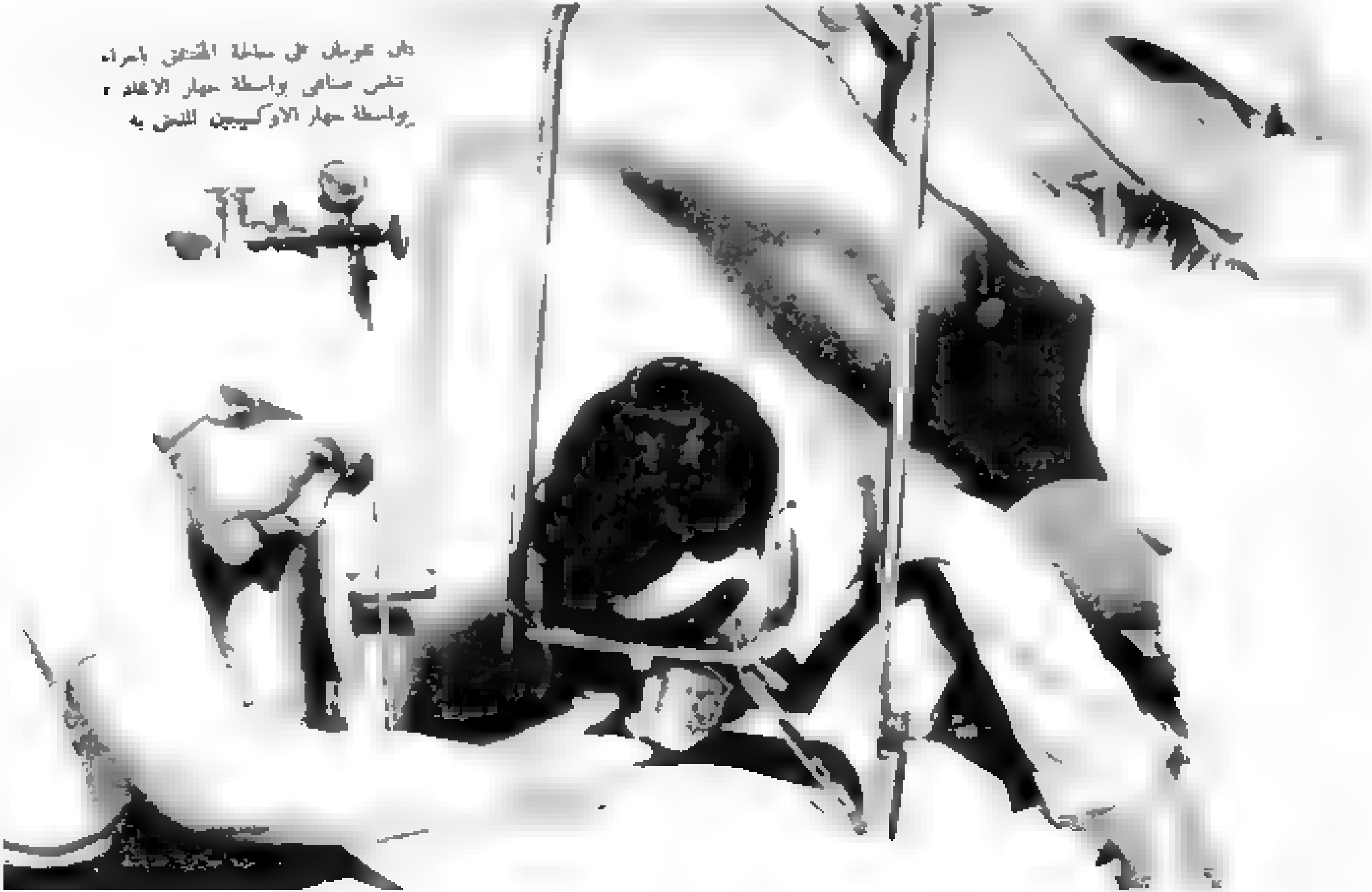

طفل غرقان في محاولة الحقن باجراء تنفس صناعي بواسطة جهاز الانعاش ، وبواسطة جهاز الاوكسيجين الملحق به

رمزي مكدونلد

السياسي الاشتراكي الحكيم رمزي مكدونلد ١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٦ – ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٧ م .
زعيم حزب العمال البريطاني الذي تولى الحكم مرتين سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٢٩ برئاسة حزبه ، وهو
أول رئيس للوزارة العمالية الانجليزية التي ألفت سنة ١٩٣١ الوزارة لمعالجة الأزمة الاقتصادية العنيفة .
وأحد كبار المفكرين الاجتماعيين ، وله كثير من المؤلفات الاقتصادية والاجتماعية الهامة ، وكان من
أعداء الحرب ودعاة السلام ، وأحد الخطباء السياسيين الكاملين

الليلة الأخيرة
في حياة الامبراطورية النمساوية

بقلم الاستاذ حسن الشريف

الساعة التاسعة من المساء ، واليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ ، والسكون شامل قصر شونبرون ، ولكنه سكون رهيب يشبه ذلك الذي يعم بيت امرئ في عشية تشييع جنازته

أولئك بعض الوزراء يتأبطون أضابير ضخمة ويتسللون وراء رئيسهم من احدى الحجرات ويدخلون مكتب الامبراطور على أطراف أصابعهم كأنهم أشباح متحركة

وهؤلاء بعض رجال البلاط قد جمعوا أيديهم وراء ظهورهم أو في جيوب سراويلهم وساروا يذرعون الردهات جيئة وذهابا بخطوات وئيدة مطرقي الرؤوس كاسفي الوجوه

وفي ركن أحد الأبهاء انعقدت حلقة من قواد الجيش وأعضاء البرلمان يصغون في وجوم الى البرنس هوهنلوهي وزير البلاط وهو يقص عليهم آخر الأنباء ، ويروي لهم ان الجيش قد انهزم في الميدان الايطالي هزيمة فاصلة ، وان الامبراطور لم يجد بدا من مفاتحة ايطاليا في شروط الصلح ، ولكن القيادة العليا الايطالية ترفض كل مفاوضة ، وتأبى الا أن تملي شروطها املاء لا تقبل فيه أخذا ولا ردا

وفي زاوية احدى الغرف انعقدت حلقة كبرى من الزعماء ورجال السياسة يستمعون الى حاكم فيينا العسكري وهو يقص عليهم نبأ أن ريح الثورة قد هبت على الامبراطورية من كل ناحية ، فالكرواتيون قد رفعوا راية العصيان وطردوا الحكومة العداء ، والأعلام البولشفية الحمراء ترفرف فوق الدور في بودابست كأنها ألسنة النار ، والاضطرابات قد عمت العاصمة والمدن الكبرى وباتت تنذر بشر مستطير ، وروح التمرد تسري الى الجيش ومصانع الذخيرة ومصالح الحكومة وقد قصرت عنها قوى السلطات

وفي حجرة المكتب الامبراطوري وقف شارل امبراطور النمسا والمجر أمام النافذة وقد أسند جبينه الملتهب الى زجاجها المثلوج ، وأخذ يسرح الطرف فيما أمامه فيرى خيوط المطر الدقيقة تتدلى من السماء ، وأرض الشوارع مبتلة تلمع تحت أضواء المصابيح ، وكتلا كثيفة من السحب تتدافع

شارل الاول

آخر قياصرة النمسا

دوت أصداء الحرب الكبرى وتلاها نكبة من عروش أوربا التوطيدة ، ولم ... عرش آل هبسبرج أعرق أسرة مالكة في التاريخ الحديث ، وكان آخر من تولاه شارل الاول امبراطور النمسا والمجر ، الذي هوى عرشه بكرها عقب انهزام بلاده ، وهو أول الضحايا ... كيف حرب الأسرة من حكم هذا الشامل ومن حياة امبراطوريته التي وهبت تاريخ أوربا دهراً طويلاً

شارل الأول أيام ولايته عرش النمسا

الامبراطور شارل وزوجته الامبراطورة زيتا وأولادهم في سويسرا عقب ... [illegible]

كالموج وتقدم حاملة بيارق حمراء وتلوح بقبضات الأيدي وتصيح « لتسقط الحرب ولتحي الجمهورية »

واقترب من الامبراطور الى جانب منضدة مستطيلة عليها الجنرال البارون فون آرتس رئيس هيئة أركان الحرب النمساوية يتلو على مولاه تقريراً مسهبا عما وصلت اليه الحال وقد جاء فيه ، ان الأرشيدوق جوزيف حورب أعلى العصيان وأصدر أمراً سريعاً جيش المجر الذى عهدت اليه بقيادته ، وإن المحاربين قابلوا هذه الخيانة بالرضاء والارتياح حتى قد أقتصرتا من الثكنات سلاحهما وغادرتا المعسكرات وطلبا العودة الى الديار ، وإن متطوعى بوزيه المجر قد أجمعوا أمرهم على الاضراب ، وإن بوادر الثورة أخذت تتجلى بين الأهالي فى مختلف المعاقل ولأتفه المناسبات ، وإن الامة قد كرهت الحرب وباتت عاجزة عن مواصلتها بعد أن استحر القتل بأبنائها وأنهك الفقر والجوع قواها وأعصابها ، فصارت تريد الصلح شريعا أو مهما وتتمناه بأى ثمن ومهما كلفها من التضحيات

ولقد كان شارل يستمع الى كل ذلك وهو ينقر بأنامله على زجاج النافذة ويهز رأسه من وقت لآخر فى حزن بالغ وأسى شديد . فلما انتهى رئيس أركان الحرب من تلاوة تقريره وقف ينتظر أوامر الامبراطور ، ولكن الامبراطور لم يقل شيئاً وانما مشى الى مكتبه مشية الشاعر بأن قوائم امبراطوريته تهتز تحت قدميه وأركانها تترنح وتتداعى للسقوط وبأن مصير عرشه ومصير أسرته قد باتا على كف القدر لا يعلم غداً تطلع عليهما شمس الغد القريب واعتمد رأسه بين يديه واستغرق فى تفكير طويل لم يخرجه منه الا همهمة أراد بها البارون أن يذكره بوجوده ، فرفع جفنيه الثاقلين عن عينيه الشاردتين وقال بصوت هو أشبه الاصوات بالحشرجة « ان سلوك الارشيدوق جوزيف لا يدهشنى فهو طامع فى عرش المجر ولا شيء أحب اليه من تفكك أوصال الامبراطورية ليستولى على هذا الشطر منها ، ولكنه قصير النظر عقيم التدبير فان العاصفة التى تقتلعنى من هنا لن تبقى على أحد من آل هابسبورج . . »

وعاد الامبراطور الى تفكيره وكان يربت بكفه على جبينه ويهز ركبتيه فى حركة عصبية ويهمهم بين فترة وأخرى : « ربما ان هذا لكثير »

ثم وجه الكلام الى فون آرتس وقال :

— ألا تستطيع الحكومة أن تضع حداً للفوضى الناشئة فى البلاد ؟

— لقد خرج الأمر من يد الحكومة يا مولاى وكل مقاومة لهذه الفوضى انما تذكيها وتزيد ضرامها

— والجيش ؟ أو على الأقل الجزء الباقى على ولائه لنا من الجيش ؟

— انه من الجبل يا مولاى أن أنصح لجلالتكم بالاعتماد عليه

والتعب !

— لقد تدهورت روحه وأصبح كالسائمة يطلب الصلح ولا يفكر فى غير ذلك

— إذن فلا علاج لتلك الحال ؟

— لسنا مخيرين يا مولاى فنتردد بين الحل الصالح والحل الأصلح ، وإنما نحن مكرهون على مواجهة الأمر الواقع وعلى تحمله مهما يكن مؤلما ومريرا . أنا رجل عسكرى لا أعرف الشعر والخيال ولا أفهم وربما لا تعجبنى الرجعة ، فإذا طاب لغيرى أن يرى لجلالتكم وجوب العود إلى القوة لتهدئة الحالة فى الداخل ووجوب استئناف المقاومة ضد العدو فى الخارج ، فليتقدم هذا الغير لحمل عبء المسئولية ، أما أنا فلا أصلح لتضحيات جديدة ولا أحمل ضميرى تبعاتها الوخيمة

وتنهد الإمبراطور من أعماق صدره وقال : « فهمت ما عندك يا بارون وسيمحص كل ذلك بعد لحظة فى مجلس التاج » . ورفع القائد العام يده إلى جبينه بالتحية العسكرية وتراجع خطوات إلى الوراء وانصرف . وتناول شارل قلما وورقة وكتب البرقية الآتية إلى صديقه غليوم الثانى أمبراطور ألمانيا :

« حيال جسامة الهزائم التى حاقت بجيوشى فى ميادين الحرب لم أر بدا من أن أطلب إلى القيادة العليا الإيطالية أن تدخل معى فى مفاوضات الصلح . على أنى أعدك ، إذا فرض علىّ العدو فى تلك المفاوضات شرط التصريح لجيوشه باجتياز التيرول أو أى جهة أخرى من بلادى للوصول إلى أمبراطوريتك ، إنى لا أتردد فى أن أضع نفسى على رأس الألمانيين الموالين لنا فى النمسا لأحول دون مرور تلك الجيوش . أما جنودى الذين هم من جنسيات أخرى فإنى لا أعول عليهم وليس لى فيهم كبير أمل . صديقك الوفى . شارل »

* * *

فى تلك الأثناء كانت الحياة تدب شيئا فشيئا فى أرجاء القصر الحربى ، فقد بدأ النواب وقواد الجيش والزعماء السياسيون يتوافدون زرافات ويحتشدون فى الحجرات والأبهاء وهم يتساءلون فى لهفة وقلق عما وصلت إليه الأمور ، ويتناقلون أن الإمبراطور لم يسعه حيال تمرد الجيش والاضطرابات السائدة فى البلاد إلا أن يبعث رسله المفوضين ليتعرفوا شروط الهدنة من القيادة الإيطالية وإن عودة أولئك الرسل منتظرة بعد قليل

ووقفت سيارة أمام سلم القصر ونزل منها كبير المندوبين يحمل ظرفا كبيرا رفعه إلى مكتب الإمبراطور مباشرة واختلى به برهة خرج جلالته على أثرها وسار إلى البهو الكبير المعروف باسم بهو مارى تيريز حيث كان أعضاء مجلس التاج ينتظرونه ليرأس هيأتهم وليشاورهم فى الشروط التى أرسلتها القيادة العليا الإيطالية إليه . ولقد أطل على الأعضاء بوجه شاحب كئيب برحت به الآلام وعبثت به النوائب التى حملها الحرب ، وعينين غائرتين قرحهما السهد المتواصل وأحاطهما طول

السماء حالكة سوداء ، وسار الى كرسيه يجر ساقيه المتخاذلتين من فرط التعب والاعياء وقد حنى رأسه المثقل بالهموم على صدره المترع بالأحزان ، وثنى أصابعه المرتعشة على ورقة طويت أربع طيات ، ونظر الى من حوله نظرة يأس وقنوط وقال : « تفضلوا بالجلوس يا سادة »

وجلس شيوخ الدولة حول المنضدة المستطيلة وشخصوا بأبصارهم نحو الامبراطور يتأملون هذا الوجه الذي كان حتى الأمس القريب ينبض شبابا ونضرا ، وقد استحالت صفحته كآبة وعبوسا ، وانقلبت نضرته شحوبا وتعبا ، ويرثون لهذا الملك المنكود الذي قيضت له الاقدار أن يرث عن سلفه عرشا مزلزل القوائم محفوفا بالمكاره والأخطار ، وأن يعتلي هذا العرش وشمسه غارقة في غمرة حرب طاحنة عاقبتها غير مأمونة والنصر فيها غير مضمون ، وقد جاء الآن يواجه نتائج تلك الحرب التي لم يكن له في شبوبها يد ولا في مضاعفاتها رأي ، ولكن هي سنة الملك تقتضيه أن يمشي على الحسك الذي زرعه سواه

ونشر الامبراطور الورقة المطوية ومد يده الى كبير ياوريه ، وقال « اقرأ يا جنرال » فقرأ :

« يقرر مركز القيادة العليا لجيوش صاحب الجلالة ملك ايطاليا أن شروط الهدنة الآتية لا يمكن أن تكون موضوع مناقشة أو مساومة بأي حال من الأحوال فيجب قبولها برمتها أو رفضها برمتها قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة على تسليمها لمندوبي حكومة الحبشة والهرر »

وهنا بدت على الامبراطور وأعضاء المجلس النظرات وسكن أحدا منهم لم يأنس في نفسه القدرة على التفوه بكلمة فالتزموا صمتا كصمت الأموات ، واستطرد كبير الياورين قراءته فسرد الشروط المذلة الفادحة التي اشترطها الايطاليون لقبول الهدنة ، فإذا هي تنص بأن تسرح الحكومة الامبراطورية في الحال جميع جيوشها المحاربة في مختلف الميادين ، وبأن تسلم الى السلطات الايطالية جميع قطع الأسطول البحري ، وجميع قطع الذخيرة من سائر الانواع ، وجميع خطوط السكك الحديدية بما عليها من قاطرات ومركبات

ووضع القائد الورقة أمام الامبراطور وقال : « لقد صرحت لي القيادة الايطالية بأن هذه هي الشروط المؤقتة التي لابد من قبولها لعقد الهدنة . أما شروط الصلح فسوف تدعو حكومة روما الى توقيعها بعد أن يتم التفاهم عليها بينها وبين حكومات الحلفاء »

انقضت دقائق خيم فيها السكوت على الحاضرين وأطرقوا كلهم كأنما كانوا يجهدون أنفسهم ليستردوا صوابهم المشتت وليستجمعوا أفكارهم المشردة ، ثم نشر القائد العام الدوق دون آرتس خريطة لميادين القتال ، وبدأ يشرح الموقف العسكري الذي وصلت إليه الحال ، ويبين مواطن الخطر على الجيش الحبشي والمناطق التي لن يبطىء العدو في النفاذ منها الى أرض الوطن ، ثم قرر أن كل أمل في مواصلة الحرب قد ضاع ، وأن التفكير في المقاومة جنون لا يقول به عاقل ، وألا مندوحة عن قبول الشروط المعروضة على ما فيها من قسوة وإرهاق لأن في قبولها دفعا لنكبات أدهى وأمر

وعاد أعضاء المجلس الى الاطراق مرة أخرى وساد السكون الغرفة كما لو كانت خالية من الاحياء ، وقد شملهم شعور العجز والقصور عن أى شيء حتى عن تبادل النظرات . وأجال الامبراطور عينيه فيمن حوله ثم رأى ألا بد من شيء يعمل أو شيء يقال فأهاب بهم قائلا :

« أيها السادة ، لقد حتم ان تقرروا مصير وطنكم وان هذا المصير معلق على الكلمة التي ستخرج من أفواهكم فماذا أنتم قائلون ؟ »

عندئذ نهض الجنرال شنسمور وزير الحربية من كرسيه منتصبا كما لو مسه تيار كهربائي وأخذ يتكلم بصوت متهدج من فرط التأثر والغيظ ويؤكد كلماته باشارة قوية من يده فقال : « لا .. لا . وأخيرا لا . نحن لا نستطيع أن نقبل هذه الشروط من دون أن نحتج عليها ، ولا نستطيع أن نخون حليفتنا ألمانيا ونطعن في ظهرها بأن نسمح للجيوش الايطالية بأن تعبر اليها من طريق بلادنا ، فكروا أيها الاخوان في أى شيء آخر ، أما هذا فمحال »

وقال البعض : « هذا حق » ، وهز آخرون رؤوسهم موافقين . أما الجنرال فون آرز فتبسم تبسم الحكيم الذي يستمع الى ثرثرة أطفال وكأنه يقول لنفسه : « هؤلاء أولئك المدنيين ، انهم أشد تحمسا للحرب منا معشر العسكريين » ثم أعلن للاعضاء قائلا : « ليست الساعة ساعة العواطف وانما هي ساعة العمل وحسن تقدير الامور . ان الجيش والشعب لا يريدان الحرب وان أرادا فالدولة عاجزة عن مواصلتها ، فأى شيء تنتظرون ؟ »

وتلفت الامبراطور يمينا وشمالا يلتمس جوابا عن هذا السؤال فلم يسرع أحد بالجواب فتناول قلما وقال : « أملوا عليّ ما أكتبه الى القيادة الايطالية يا جنرال شنسمور » ولم تمض دقائق حتى كانت وثيقة قبول شروط الهدنة مهيأة للامضاء فأمضاها الامبراطور وقال : « يجب أن تحمل هذا الجواب الى القيادة الايطالية في الحال » ولكن المستشار القانوني الحبر لاماش اعترض قائلا « ان هذه الوثيقة لا تتم لها صحتها القانونية إلا اذا أقرها المجلس الامبراطوري الأعلى فيجب أن نحملها اليه وأن نحصل على اقراره اياها وأعود اليكم بعد قليل » ووافق الامبراطور على هذا الرأي وأعلن رفع الجلسة حتى يعود المستشار

كانت الساعة تدق الثانية عشرة إعلانا بانتصاف الليل لما أخلى أعضاء مجلس التاج بهو ماري تيريز وانصرفوا الى الحجرة المجاورة يتحدثون ويتشاورون . وقد استقل المستشار لاماش سيارته قاصدا الى سراي المجلس الامبراطوري مخترقا شوارع مدينة فيينا الهادئة التي لا تدري شيئا مما هو واقع من عظائم الأمور ، ولا تعلم إلا أنها ستصبح مسرحا للاضطرابات والمظاهرات وميدانا لاصطدام الشعب الهائج بالشرطة التي تحاول حفظ الأمن والنظام . ولم تكد السيارة تقف به حتى قفز منها وجعل يتسلق درج السلالم مثنى ، واندفع في الردهة الموصلة الى قاعة الاجتماع فألفاها خالية ، ففتح باب حجرة أخرى كان النور ينبعث من خلال شق بابها فوجد بها رئيس المجلس وواحدا

من الأعضاء ، فلما عرض عليه الوثيقة قرأها مرتين ثم هز كتفيه وقال : « نحن هنا اثنان فقط ولا نملك وحدنا إقرار وثيقة لها هذا النوع من الخطر فلا بد من لمعالى ربما ادعو هيأة المجلس الى الانعقاد للنظر فيها » فقال المستشار : « ولكن الحقائق معدودة علينا يا سيدي الرئيس فكيف ننتظر ؟ » فمد الرئيس شفته السفلى وقال : « سأوعز من يحاول إيقاظ أعضاء المجلس من نومهم ويدعوهم الى الحضور »

* * *

الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، وموائد قصر شونبرون لا تزال ممدودة وأعضاء مجلس التاج منتشرون في الحجرات يتحدثون وينتظرون عودة رئيسهم لاماع وقد عقد دخان التبغ في السقوف سحبا كثيفة وارتسمت على وجوه أولئك الشيوخ علامات التعب وأمارات الاجهاد ، وأجراس التلفون تدق هنا وهناك والسعاة والموظفون ورجال السراي يهرولون من هذه القاعة الى تلك ، وكل ما في القصر للن حيران يشعر أن هذه الدقائق سوف تتمخض عن أمر عظيم ، ولكن ما هو هذا الأمر العظيم ؟ لا أحد يدري .

أما الامبراطور فصعد الى حجرة زوجته الامبراطورة سيتا واستلقى على صفة ، وقد دك حوادث الأيام الأخيرة جسمه ، وأضنى السهر نواصي قوله ، فأراد أن يضطجع لينال قليلا من الراحة ولكنه لم يكد يستلقي على الصفة حتى غلبه النعاس فغط في نوم عميق

يا لشقاء الملوك اذا جار الزمان ! هذا هو شارل امبراطور النمسا والمجر ووارث عرشي هابسبورج والقديس ايتين وسليل أقدم بيت مالك في أوربا ، هذا هو نائما نومة البائس المحزون منفوش الشعر مضعضع الحواس وقد انحدر رأسه من وسادة الصفة ومال على أحد كتفيه واستطلت عيناه المغمضتان ضوء المصباح عندنا عارفين كعيون الأموات وها هو ذا يتمتم في نومه ويهلوس وينطق من وقت لآخر بكلمات متقطعة تنم على ما في نفسه من هم شديد ، وما يكاد يستقر على أحد جنبيه حتى يشهق شهيقا عميقا وينقلب على الجنب الآخر وهو يتلوى كما يتلوى النائم على الرمضاء . وهنالك فوق منصة قبالة البائس العظيم انتصبت صورة الامبراطور الراحل فرانسوا جوزيف الذي أكرمه الموت إذ صحبه قبل أن يشهد الفصل الأخير من المأساة الرهيبة وقبل أن تتحطم شيخوخته تحت أعباء المصائب الجسام ، وعيناه في الصورة مصوبتان الى المكان الذي رقد به حفيده كأنهما تنطقان بلسان الحال فتصرخان قائلتين : « عفوا ومعذرة اذا كنت قد خلفت لك هذا الميراث الثقيل »

وفي الحجرة المجاورة جلست الامبراطورة سيتا مع نفر من وصيفاتها ورجال البلاط وكانوا يتحدثون همسا حتى لا توقظ أحاديثهم الامبراطور ، ويتداولون الرأي فيما يشغل بال الجميع ويقلق خاطر الاسرة المالكة بنوع خاص ، وهو التساؤل عن المكان الذي يلجأ اليه الامبراطور

ودوره اذا استفحلت الثورة ووجب الرحيل . ان الصلح مع ايطاليا سيتم بعد أيام وقد يتم بعد ساعات ، وسيعود الجيش المهزوم الى البلاد ، بل سيتدفق كسيل العرم تهدمت من حوله الجسور ، وسيطغى فى تدفقه على كل شىء ولن يقوى شىء على دفعه ، وقد يبلغ أسوار القصر الامبراطورى وحرمه ، فما الذى يعصم الاسرة المالكة من هوله ؟ ومتى كان لملوك عاصم من الجيش اذا تمرد ومن الشعب اذا هاج !

دقت الساعة المرمرية القائمة على اطار المدفأة أربع دقات وبدت تباشير الفجر الاول تخترق ألواح زجاج النوافذ فتأوهت الامبراطورة ورفعت عينيها الى السماء وقالت : « هذا صبح يوم جديد فماذا تطلع علينا شمسه يا رباه ! » . وفى هذه اللحظة أقبل الكونت ايردادى ممتقع اللون ولم يكد يحيى الموجودين فى الغرفة حتى قال وهو يلهث كالحالم : « أين جلالة الامبراطور يا مولاتى ! انى عائد من عند حاكم فيينا العسكرى وهو يرى أن الحالة تستوجب ارتحال جلالته عن العاصمة الآن »

ونهض الرئيس هوهنلوهى وزير البلاط وقال : « لماذا الرحيل يا سيدى الكونت ؟ لقد كنت أتحدث منذ ساعات قليلة مع مدير الأمن العام فأكد لى أن ليس ثم شىء يهدد سلامة جلالة الامبراطور فهل طرأ جديد بعد ذلك ؟ » فرفع الكونت ايردادى كتفيه وأجاب : « ليس من شأنى أن أجيب على هذا السؤال وانما أنا رسول نقل ما أمرنى بنقله حاكم المدينة »

ولمحت الامبراطورة سيدنا طائرة الى مشربه الفكر راجعة النظر وقد هبت لتوها وترقرقت دمعتان بين أهداب عينيها وصاحت : « ان هنا لشىء فظيع ! » ولم تتم عبارتها حتى كان الجنرال البارون فون آرتس قد اقتحم الباب ودخل متجهم السحنة متهدج الصوت وقال : « أين أجد جلالة الامبراطور ؟ » فتقدمت نحوه الامبراطورة وسألته بصوت يكاد اليأس يخنقه : « أحقا يا جنرال لاتوجد فرقة من الجيش مقيمة على ولائها لتدافع عن الامبراطور ؟ » فمس القائد من صدره وتمتم تمتمة القانط المحزون كأنه يريد أن يقول : « هل من العدل أن نعتمد اليوم على الجيش وقد سرت اليه عدوى التمرد والثورة ؟ » ثم رفع عينيه وقال : « يجب أن ألاقى الامبراطور حالا يا مولاتى فالأمر جد خطير »

ولقد استمهلته الامبراطورة لحظة ودخلت على زوجها فألفته يغط فى نومه المضطرب ، فوقفت برهة تتأمل فى عطف وحنان ذلك الرأس المائل على هذا الجسم المتأود ، وذلك الوجه الشاحب الذى ارتسمت على أديمه التجاعيد والغضون ، ولم تستطع أن تحبس الدموع فى مآقيها وأرسلتها تنهمل على خديها ، ولكنها جففتها لكى لاتجهر بالنحيب واقتربت من زوجها على أطراف قدميها ووضعت يدها الرقيقة على كتفه وهزته فى رفق ، فانتفض شارل كالمذعور وهب من مضجعه سائلا : « ماذا حدث ؟ » فقالت زوجه : « لقد قدم الكونت ايردادى ونمى الى بأننا فى

خطر وأنه يخشى أن يجيء نادماً قبل أن تفوت فرصة النجاة »

ونظر اليها الامبراطور نظرة مشدوه ثم أجرى يده على شعره الكث وسأل : « كم الساعة الآن ؟ » فلما علم أنها الرابعة وانتصب من المضجع هرول الى آلة التليفون وخاطب مدير الأمن العام يسأله عما وصلت اليه الحال فأجابه المدير بلهجة الواثق كما يقول : « لا خطر على حياتكم واني أضمن سلامتكم وسلامة الاسرة المالكة » فبدت على الامبراطور أمارات الاطمئنان فقال : « أشكرك ياسيدي ويسرني أن أخبرك بأني أنعمت عليك بالطبقة الاولى من نيشان التاج الحديدي »

وعاد أدراجه الى غرفة الاستقبال بخطوات وئيدة وهو ينظر الى ما أمامه بعينين زائغتين تكادان لا تميزان الاشياء . وكان الجنرال فون آرتس ينتظره صابراً حتى اذا لم يكد يراه حتى طلب الاختلاء به ، وهنالك في زاوية من زوايا الغرفة أسر اليه بما أحاط المستشار لاماش في مساء أمس المجلس الامبراطوري الأعلى ، وأنه لم يبق حيال ذلك إلا أن يفكر الامبراطور في سلامة شخصه وسلامة أسرته . وكان شارل يصغي الى أقوال الجنرال وهو مشتت الذهن شارد الفكر فاستعاده إياها مرة أخرى وناقشه في بعض تفاصيلها ، ثم اتجه صوب الامبراطورة التي لم تكد ترى سحنته الغائبة حتى صاحت : « ماذا جرى يا شارل ؟ » ولكنه لم يجب بل فكر قليلاً ثم قال : « اليوم الأحد وأريد أن تتم الصلاة مبكرة عن ميعادها العادي بل أريد أن تتم الآن »

كان ذلك قبيل الفجر ولا بد من انقضاء بضع ساعات حتى تبزغ الشمس . وقد سار الامبراطور وزوجه في مقدمة سكان القصر الى المصلى . وكان هذا المصلى مضاء بأنوار ضعيفة باهتة . وركع شارل وزيتا جاثيين رأسيهما يحركان شفاههما بصلاة خافتة كانت بمثابة ستار على روح الامبراطورية المحتضرة التي كانت في تلك اللحظة تلفظ نفسها الأخير

وفي هذه الاثناء كانت سيارة تخترق شوارع المدينة وتنعطف الى الطريق للوصول الى الحدود حاملة رسول حكومة فينا الى مركز القيادة العليا الايطالية وبيده ظرف مختوم بالخاتم الامبراطوري يحتوي وثيقة قبول شروط الهدنة

* * *

وكان ما يجب أن يكون فلم تكد الشمس ترسل أشعتها الأولى على المدينة حتى كانت سيول الجيش المنهزم قد تدفقت الى شوارعها وأحاطت بالقصر زاحفة صاخبة تهتف ضد الحرب وتنادي بقيام الجمهورية . ولقد حاول حاكم فينا العسكري أن يطوق القصر بحامية المدينة ليحول دون طغيان هذا الطوفان عليه . ولكن أنى لتلك الحامية الضعيفة المتخاذلة أن تصمد للشعب والجيش معاً وقد انطلقا من عقال الطاعة والنظام ؟

عندئذ طاشت العقول وهفت القلوب في الصدور ودب الذعر الى النفوس ، فبدأ الوزراء يرسلون استقالاتهم الى الامبراطور وأخذ رجال السراي يفرون من مراكزهم طالبين لأنفسهم

النجاة من ذلك الخطر الزاحف . ووقف الامبراطور يشهد بعينيه ذلك المنظر المحزن الأليم ويرى أقرب الناس إليه يتخلون عنه في ذلك الظرف العصيب ويأبون أن يشاطروه الضراء بعد أن طال ما شاطروه السراء ، ويحنثون بالقسم الغليظ الذي أقسموه على أن يفدوه بأرواحهم وبآخر قطرة من دمائهم ، فكان يهز رأسه اشمئزازاً والأسى يقطع نياط قلبه ويهمهم بين شفتيه : « ما أشبه أولئك النكراء بالفيران تهجر السفينة المشرفة على الغرق » ثم يرفع عينيه ويقول : « رباه ما أقل الوفاء في الناس ! »

على أن بقية من الحياء ودماء من المروءة والرجولة أصابت بعض كبار رجال البلاط بالقرب من السيد المنكوب ، فلم تطاوعهم نفوسهم على تركه وهو يواجه الكارثة ، فمكثوا في القصر يروحون ويجيئون مستسلمين لقضاء الله تطير قلوبهم هلعاً كلما دق جرس تليفون وترتعد فرائصهم خوفاً كلما رأوا أحداً ينزل من سيارة أمام السلم

لقد كانوا يعلمون أن الأزمة قد أزفت وليس لها كاشفة ، وأن الباقي من عمر الامبراطورية لا يعد بالأيام بل يعد بالساعات ، فكان يحز في نفوسهم أن يكونوا شهود تلك الشمس الرائعة وهي تنحدر مسرعة إلى المغيب ، وأن يروا بأعينهم آخر عاهل من آل هابسبورج يهبط درج العرش إلى مصير مجهول ، ولكن ماذا يعملون وقد نزل البلاء ولا دافع ، وحم القضاء ولا عاصم ، وشاء مالك الملك أن يعصف بعرش جمعت له القرون وقصرت عنه قوة الطامعين ؟

ولم يكن الامبراطور شارل أكثر منهم تفاؤلاً ولا أوسع رجاء فلقد يئس هو أيضاً من كل شيء ولم يبق أمامه أمل يتعلق به أو منفذ يعول عليه ، حتى لقد أملى عليه اليأس تلك الرسالة إلى صديقه غليوم الثاني وهي كما ترى تفيض حزناً وأسى :

« أشعر في هذه اللحظة الأليمة بحاجتي إلى أن أفضي إليك بأنه يحز في كل الحزن ألا أستطيع الوقوف بجانبك في هذه المرحلة الأخيرة من جهادنا المشترك . لقد حملنا معاً عبء النضال الطويل وتقاسمنا سراء الحرب وضراءها وشربنا معاً من حلوها ومرها ، أما اليوم فأنا وحيد أستقبل الأخطار التي تهب علي ، فأسأل الله أن تكون أحسن مني حظاً وأكثر توفيقاً »

واجتمع مجلس التاج مرة أخرى ببهو ملكي تيرير ولكن عدد الذين حضروا جلسته كان قليلاً ، فلقد استقال معظم الوزراء ومستشاري العرش حتى خشي المستشار لامانج أن لا يبقى منهم أحد فنصح للامبراطور أن يرفض استقالة من يستقيل منهم بعد ذلك . فلما جاء وزير المواصلات يرجو من الامبراطور أن يعفيه من أعباء منصبه ويبرر ذلك بقوله « لم يبق لي بعد تسليم وسائل النقل والمواصلات إلى إيطاليا ما أعمله فهل أبقى وزيراً للمواصلات وأنا لا أملك قاطرة ولا مركبة ! » أجابه الامبراطور مؤنباً : « إن موقفي أشد من موقفك يا سيدي فأنا القائد الأعلى للجيش والأسطول ولم يبق لي جندي ولا سفينة ومع ذلك فها أنت تراني في مركزي لا أبرحه »

بيد أنه لم يكتب لهذا التشبث بمركزه أن يبقى بعد ذلك طويلا . فلقد رأى الوزراء ألا سبيل الى تهدئة الحالة الا بتنازل الامبراطور عن العرش ، ووضعوا أمامه ورقة رجوا منه أن يذيلها بإمضائه وكانت هذه وثيقة التنازل

تناول الامبراطور الورقة وتأمل سطورها مليا وقال : « يعلم الله أيها السادة أني ليست عظمة الملك هي التي جعلتني أتعلق بعرشي ، فأنتم تعرفون الظروف الحرجة التي اعتليته فيها ، وتذكرون صعوبات الساعة التي وجدتني فيه ، وانه لولا رغبتي في أن أسهم شخصيا بالاشتراك على مصائره في تلك الظروف لما قبلت أن أعتلي هذا العرش المحفوف بالخطر وما رضيت أن أضطلع بتلك المسئوليات التي ينوء بحملها أقوى الرجال ، ولكنه الواجب أملى على سلوكي إذ ذاك ، وهذا الواجب نفسه هو الذي يوحي الى اليوم أن أبقى في مركزي حتى أشاطر شعبي مصيره الى النهاية ، وحتى لا يقال انى فررت من المسئولية في أدق الساعات . وبعد فان مشيئة الله قضت أن تضع بين يدي أمانة الآباء والأجداد لأسلمها الى الأبناء والأحفاد ، فلست أملك بل ولست أرضى أن أخون هذه الأمانة أو أن أفرط فيها ما دمت قادراً على الاحتفاظ بها والدفاع عنها . لذلك أوثر أن ينتزع التاج من رأسي على أن ألقيه بيدي »

وفي هذه اللحظة كان تدفق الجماهير والجيش حول القصر قد بلغ أشده وكانت الصيحات تتصاعد عالية فتملأ الجو هاتفة بسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية ، فلم يجد رئيس الوزراء ما يرد به على عبارات الامبراطور الا أن يشير بيده الى النافذة ويقول : « ان القوى التي تحرس القصر لا تستطيع أن تثبت طويلا أمام هذه الجماهير يا مولاي » فصاح الامبراطور وهو يضرب بقبضته المنضدة : « لا أريد المقاومة ولا أسمح بسفك الدماء . افتحوا الأبواب ودعوا الشعب يدخل ولتتم ارادة الله »

عندئذ نهض رئيس الوزارة خاشعا وقال :

« ان الشجاعة التي تبدونها جلالتكم في هذا الموقف جديرة بالتقدير والاعجاب ، وسيذكر العالم أن جلالتكم آثرتم مواجهة الخطر في أشد مظاهره على أن تتخلوا عن واجبكم نحو الأسرة والعرش والبلاد . ولكن من الاعتبارات يا مولاي ما ينبغي أن يحمل جلالتكم على التفكير في الأمر من سائر نواحيه ، وانه ليؤلمني أن أصارح جلالتكم بأنكم اذا لم توقعوا هذه الوثيقة لتقرأ على الشعب قبل ظهر اليوم فان الحكومة ستواجه حالة اضراب عام يتناول نواحي العمل كافة في سائر أرجاء الامبراطورية ، وعندئذ ستعقد المسائل ويفلت زمام الأمور من أيدينا ولا نعلم ما قد يحدث بعد ذلك . وبعد فان الحلفاء الذين يحقدون على أسرة جلالتكم منذ نشبت الحرب قد يتشددون معنا في شروط الصلح ويزعمون أن في بقائكم على العرش ما يبرر تشددهم بضمانات واحتياطات لا قبل لنا بها . فهل لا ترى جلالتكم ان هذه الاعتبارات السلبية تستحق منكم أن تضيفوا الى تضحياتكم السابقة المتواصلة

تضحية أخيرة سيعرفها لكم الشعب وسيذكرها التاريخ ! »

فأطرق الامبراطور وأغمض عينيه برهة وكانت رعشة يديه تدل على الصراع الهائل القائم في نفسه بين شتى العواطف والاعتبارات ثم قال : « اذا كنتم جميعاً ترون في ذلك خيراً للبلاد أو دفعاً لشر فليكن ما تريدون » وتناول القلم وكتب اسمه في أسفل الوثيقة

• • •

١٤ نوفمبر سنة ١٩١٨ . الساعة تقارب الثامنة من الصباح والمطر ينهمر من السماء والريح تهب باردة فتحمل الى ردهات القصر من خلال الأبواب المفتوحة قطرات تبلل الأرض الخشبية، وأوراقاً صفراء ذابلة تتطاير من أغصان الأشجار حملاً ثقيلاً وتعدو بها الى الممرات . وقد وقفت الامبراطورة تبكي في أحد الأبهاء والتف حولها أعضاء الأسرة المالكة ومن بقي من رجال الحاشية ونسائها. وقد ارتدى الجميع ملابس السفر ولفت السيدات الفراء حول أعناقهن ورفع الرجال ياقات معاطفهم اتقاء للبرد الشديد ووقفوا ينتظرون أن يفرغ الامبراطور من جمع أوراقه الخاصة وما يريد أن يحمله معه من الكتب والتحف

وهناك أمام السلم الخارجي الكبير وقف رتل من السيارات وقد أديرت محركاتها واصطف ضباط الحرس الامبراطوري على جانبي الممر الزجاجي وعلى الممر الرئيسي الموصل الى البستان وقد وقفوا كاسفي الوجوه دامعي العيون

فلما دقت الساعة الثامنة ظهر الامبراطور أمام الباب والى جانبه الامبراطورة ومن خلفهما أولادهما وأعضاء الأسرة المالكة والبرنس هوهنلوهي وزير البلاط ، فأشار قائد الحرس اشارة بيده فرفع الضباط أيديهم الى خوذهم بالتحية العسكرية ، وتقدم الامبراطور ونزل درجات السلم بخطوات وئيدة وهو يجيل الطرف فيما حوله كأنه يتزود بنظرة من ذلك القصر المنيف . فلما بلغ الدرجة الأخيرة من السلم وقف هنيهة والتفت الى رجال حرسه التفاتة حزينة ولوح بيده يمنة ويسرة ورفع قبعته مودعاً ثم احتل مكانه في السيارة . وأخرجت الامبراطورة منديلها ومسحت به الدموع التي كانت تنحدر من مآقيها على خديها وقالت : « وداعاً أيها الأصدقاء » ودفعت أولادها الى داخل السيارة وجلست الى جانب زوجها . وانطلقت السيارات تحمل آخر عاهل من آل هابسبورج الى المنفى البعيد

وأدرك قائد الحرس وضباطه أن مهمتهم قد انتهت وأن قصر شونبرون أصبح منذ ذلك اليوم ملكاً للشعب، فغادروه مودعين ذلك الأثر الأخير من آثار تلك الامبراطورية الضخمة التي كان لها في التاريخ شأن عظيم

حسن الشريف

[اعتمدنا في كتابة هذا المقال على كتاب « ذكريات من بلاط فيينا » للارشيدوق ليوبولد النمساوي ـ ترجمة عربية من مطبوعات [illegible]]

هل يتقوض نظام الأسرة

أثر المسألة الجنسية في حياة الفرد والجماعة

بقلم الأستاذ علي أدهم

تواجه الحضارة فى العصر الحاضر طائفة من المشكلات الخطيرة والقضايا المعقدة، تختلف فى طبيعتها عن سائر الأزمات الخطيرة التى عانتها فى سوالف العصور، فقد كانت النظم الاجتماعية والآراء والمعتقدات تتطور تبعاً لتطور داخلى بطىء، أو تحت تأثير ظروف طارئة وقوى خارجية مفاجئة، أما فى العصر الحاضر فإن أسس الحضارة والاعتقادات التى تقوم عليها عرضة لاحتمال تغيير أصيل شامل، وقد أصبحت موضعاً للتساؤل ومثاراً للشكوك.

والدعامتان البارزتان فى أى مجتمع قديم أو حديث هما بلا مراء نظام الأسرة والنظام الاقتصادى. ومن أجل ذلك ليس من المستغرب أن يستغرق التفكير فى الاقتصاد ونظم الأسرة الجيل الحاضر، وأن ينقسم أكثر مفكريه مدرستين هامتين من المدارس الفكرية: إحداهما تستنبط كل شىء من مصدر اقتصادى، والمدرسة الأخرى تستخرج كل شىء من نظام الأسرة، أو بلفظ آخر من المسألة الجنسية. والمدرسة الأولى محورها تعاليم كارل ماركس شيخ الاقتصاديين فى القرن التاسع عشر، والمدرسة الثانية إمامها فرويد كبير علماء علم النفس فى العصر الحديث. ومن العسير أن يتعصب الإنسان لمدرسة من هاتين المدرستين، لأن أرجحية إحداهما على الأخرى ليست من الأمور الواضحة المقطوع بصحتها، إذ لا ريب فى أن الآداب الجنسية والأفكار الاجتماعية قد تكون مدعاة إلى إحداث تغيير كبير فى الأوضاع الاقتصادية فى بعض العصور، كما أن النظم الاقتصادية فى عصور أخرى قد تكون من الأسباب التى تسوغ ظهور آداب جديدة وتعين على ذيوع أفكار مستحدثة.

والحقيقة أن المسألة الجنسية والمسألة الاقتصادية متداخلتان متشابكتان بحيث إنه ليس من الميسور فصل إحداهما عن الأخرى. فالاقتصاديات قائمة على طلب القوت، ولكن الإنسان فى غالب الحالات لا يكدح فى تحصيل الرزق لنفسه وإنما يرصده لأسرته وذريته، فإذا تغير نظام الأسرة تبع ذلك تغير فى النظام الاقتصادى، ولو تولت الحكومة مهمة تربية الأطفال وتنشئتهم لانتفت أسباب الادخار ووجوه التأمين على الحياة، ويزعم الشيوعيون أنه لو صارت الحكومة هى المتصرفة الوحيدة فى الثروة لانتثر عقد الأسرة. ومهما يكن حسب هذا الرأى من الحق فإنه لا ريب فى أن

هناك علاقة أكيدة بين نظام الأسرة ونظام الملكية الفردية

والآداب الجنسية في أكثر المجتمعات قائمة في ظاهر الأمر على دعائم الدين وأساس التقاليد ، وتأثيرها متشعب بعيد المدى . فهي تطبع الشخصيات بطابعها ، وتنشئ الأسرة على غرارها ، وتمس في القومية صميمها ، وتبسط سلطانها على الخلافات الدولية والمشكلات العالمية

والجانب الشخصي الخالص منها يتناوله التحليل النفسي الذي اتسعت عنوته وكثرت تجاربه ومشاهداته منذ أوائل القرن العشرين ، وهو يتقصى حياة الفرد من مستهل طفولته وبيئته الباكرة ومحاولة اخضاعه للناموس الأدبي السائد والحالات النفسية التي اشتملت عليه ، ويكشف عن تأثير النوازع والمحرمات الجنسية في هذا الطور الخطير من أدوار الحياة وما يليه من أدوار

وتبدأ الآداب الجنسية تلك المحظورات والمحرمات التي يلقاها الإنسان في طفولته . فحين يلقى الطفل من مفتتح تربيته وبدء يقظته ألا يلمس أعضاء خاصة من جسمه لغير داع ، ويكتم عنه سر مجيئه للعالم إلى أن يجاب إذا أعرته حب الاستطلاع الغريزي في الأطفال بالإلحاح في السؤال ، بأجوبة غير مطابقة للواقع ، وكثيراً ما يهدد بالعقاب ، ومن ثم ينشأ الطفل وقد اقترنت في نفسه للمسألة الجنسية فكرة الجريمة وخواطر الرهبة والخوف ، ويبلغ هذا الشعور من نفسه كل مبلغ حتى يستقر في عقله الباطن ، وعلماء النفس يردون أسباب « السادية » — أو الرغبة في إيلام الغير — و « الماسوشية » — أو الرغبة في إيلام النفس — إلى هذا الشعور بالجريمة من الناحية الجنسية ، « فالسادي » مثلا رجل أشد شعوراً بالجريمة للمرأة ، لأنها في عرفه وحسب الآداب التي نشأ في حجرها وتمكنت من عقله الباطن قد استغوته واشتركت معه في معاصي الصحة إلى حضيض الابتذال وأفسدت عليه صفاء تفكيره وطهارة حسه وصلاح مسلكه ، فهو من ثم حريص على إيذائها والثأر منها ، ويصحب ذلك الشعور في غمار الإثم رغبة ملحة في الإيذاء والتنكيل بالغير ، لا يستشعر بواعثها ولا يدري أسبابها ، لأنها قد تسربت إلى ما وراء الوعي وكمنت هناك تعمل عملها وتبعث سمها ، وقد أخذ المشرفون على تربية الأطفال في مختلف الأمم يدركون هذه الحقائق

وعهد الطفولة ومطالع الشباب هو تلك الفترة من العمر الحافلة بالنزوات ومظاهر الطيش والنفور من المحرمات ، وهي في تلك السن طبيعية مألوفة ولا يحول ضده الأمن عن التورط في العثرات والكثير من الخطايا في مختلف الأدوار ، ولكن لساحة المحرمات الجنسية واستقلال محروماتها تعامل في هذا الصدد معاملة خاصة وينظر إليها حين أخرى حتى يسبق إلى الطفل الشعور بأن لها شأناً آخر مغايراً لسائر الشؤون ، فإذا سرق الطفل شيئاً أو كذب أكذوبة فهو لا يثير شديد استنكارنا ونبالغ لزجرها ولا نحس انه قد ارتكب زلة لا تغتفر وأتى أمراً إداً . ولكن أدنى عاقبة وأيسر خروج على القواعد المرعية في مسائل الجنسية يستدعي التقريع الشديد والمؤاخذة القاسية حتى يقع في روع الطفل انه قد ارتكب كبيرة من الكبائر وأحدث حدثاً في

الآداب وأفسده ، يتعذر إصلاحه ، وهذا التهويل والاصطناع يثير في نفسه الكثير من الوساوس ويوحي إليه أنه قد أصبح في عداد المجرمين ، وليس من شأن هذا الشعور أن ينهاه عن الخطأ ويصرفه عن الضلال ، وإنما يعلمه أن يحتاط لنفسه في إخفاء جريرته ، وأن يتحرى عن اقترافها وما يحسن من أفعالها أنها مستورة خفية لا يعلمها أحد ، وحسبه ما يتناوح في نفسه من لواعج وما يلم بها من حسرات ، شديد الحرص على أن ينتقم لنفسه من الذين يحرمونهم الحق فيكشف المستور من أخطائهم الجنسية ، وركون الطفل إلى الغش والنفاق والمداراة في عصابة السن وريعان النشأة يمهد له أسباب ممارستها في الكبر ، فيصبح منافقا مرائيا ومضطهدا قلما يلتذ تعذيب الغير ورؤيته يلام الناس والإيقاع بهم والاعتداء عليهم . ومن سخرية القدر أن يكون ذلك كله نتيجة منطقية للمحاولة البارة الصالحة التي يقوم بها الآباء الأفاضل ليجنبوا أولادهم سوء السبيل ويلقنوهم الحرص على الفضيلة والنفور من الرذيلة !

ومن الضرورة البالغة ألا نخوف الأطفال بخطر الجريمة ووساوس الخوف ، في حين أن نفس الطفل الغضة الناشئة في حاجة ماسة إلى أن تغتذي بأسباب الاستبشار والغبطة ، والتمتع بالحياة والتأهب لتلقي مشكلاتها بأعصاب سليمة هادئة ونفس قوية صحيحة ونشاط جسم وافر . وإذا أردنا أن نخرج من الأطفال رجالا شجعانا صرحاء لا التواء في طباعهم ولا صغار في أخلاقهم ، فعلينا أن نعودهم من الصغر بحيث يكون ذلك في الكبر سهلا ميسوراً . والأساس الذي يجب أن تقوم عليه الآداب الصحيحة هو أن الغرائز لا تقاوم ، وإنما تهذب تهذيبا وتصقل صقلا ، ولا يتم ذلك إلا بتعهدها في أوائل العمر ، لأن الغريزة إذا حوربت ولعب في إبان ترعرعها كان لذلك أثره السيء في مختلف مراحل العمر ، واضطرها إلى أن تبدو في صور أخرى شوهاء وأساليب ممسوخة . ووظيفة التربية هي استثمار الغرائز وسياستها ، ومن آخر نتائج الآداب القديمة أنها فرقت بين العقل والغريزة تفريقا شديداً ، ومهدت بذلك السبيل لانقسام الشخصية وتوزيع جهودها وجعل النفس ميدانا تحتدم فيه معارك حامية الوطيس بين مختلف الأهواء ومتنافر الأفكار . ويزيد في خطورة الأمر أن الحضارة قائمة إلى حد كبير على كبت الغرائز وإخضاعها للأغراض الاجتماعية ، فالمشكلة الحادة التي تواجهها الحضارة الحديثة هي محاولة التوفيق بين مقتضيات الحضارة ومطالب الغريزة الجنسية ، والملاءمة جهد الطاقة بين النظر إلى الدنيا من الدين والآداب السائدة ، والنظر إليها من الطبيعة

والمسألة الجنسية بالنسبة إلى الفرد حاجة من حاجات الجسم والنفس ، ولا تقل أهمية لكيانه عن الطعام والشراب ، وحقيقة أن الإنسان قد يعيش عزبا في حين أنه لا يستطيع الحياة بدون الطعام والشراب ، ولكن من الوجهة النفسية تتعادل الرغبتان ، والإفراط في كبت تلك الغريزة يزيد الحاجة يقظة وشدة ، وإذا طال الحرمان واشتد الكبت أصبحت المسألة الجنسية الشغل الشاغل

ومسألة المسائل وعصرت الفكر وعطت على القلب وتسللت إلى حاجيها العادات والأعراض ، وقد تصدر من الأفراد حينئذ أعمال غير لائقة بالسداد ممعنة في الالتواء ، وعدم تناول الموضوع في صراحة ووضوح واعتراف بالحقائق يجعله يشغل حيزاً أكثر مما كان ينبغي أن يشغله حتى يستشري الداء وتستعصي المشكلة ولا علاج لذلك إلا طرح المسألة على بساط البحث الحر ، وأن يعيرها القائمون بالتربية عنايتهم ، وإهمال هذا الموضوع وإحاطته بالكتمان هو الذي جعل المشكلة الجنسية في العصر الحاضر تتحدى المفكرين وتستعصي على البحث والارتياء . والرجل المهووس بالشهوة يعيش في أفق محدود محطم القوى مصدع المآرب ، كذلك الرجل الذي يمضي وقته وجهده في محاربتها والانتصار على إغراءاتها ، ومن ثم كان هناك وجه شبه بين حياة الناسك المتشدد والغوي المستهتر ، لأن أحدهم مشغول بالاستجابة لمطالب الشهوة والآخر منهوك مستهلك في محاربتها ومغالبتها . والرجل السليم لا يحصر فكره في نفسه على هذا النحو ، بل يرى في الحياة من المصاعب والمتع ما يستدعي الاهتمام ، ويصرفه عن الانكباب على النفس والتفوق في حصر الخواطر الشهوانية التي يحدث من إطالة في كبت الرغبات وتركها ظمأى هائمة أو من جراء الإفراط في مطاوعتها والاستسلام لسلطانها وإطالة التفكير في المسألة الجنسية هو بعينه ضرب من ضروب الحرمان كما أن الرجل الذي يفرط في اختزان المواد الغذائية هو في الأغلب قد عانى آلام المجاعة والإملاق . والصعوبة الأساسية التي يمكن أن تتاح ماثلة في يقظة الغرائز مع المحافظة على توازنها وعدم الاسترسال في تغذية إحداها على حساب اطراح غيرها وإهدار حقوقه

وتبرز الناحية الاجتماعية من المسألة الجنسية عندما ننتقل من دراسة الفرد في ذاته إلى دراسة علاقته بالمرأة ، وهنا تختلف الآراء وتتخاصم المعتقدات التي تدور حول توضيح طبيعة تلك العلاقة وشرح الأساس الذي يجب أن تقوم عليه ، وهل تتغلب فيها النواحي النفسية على العوامل الطبيعية المحضة . والرأي الأعم والأصح في نظري أن الحب يزيد ويقوي كل صفات الشخصيتين ، وتبدو الزوجية في الواقع ليس مثلاً أعلى للعلاقة الزوجية

ونلتقي هنا بمسألة الأسرة ، ولنشوء الأسرة تاريخ طويل وتطورات كثيرة ، وأكتفي هنا بتقرير أن الأسرة الأبوية ـ الأسرة القائمة على سلطة الأب ـ انتصرت في المراحل الأخيرة من ذلك التطور على الأسرة القائمة على الأمومة . واستتبع ذلك نشوء طائفة من الآداب والتقاليد تدعم أركان ذلك الانتصار وترفع بنيانه ، وجاءت الأديان بعد ذلك وتوجت هذا الانتصار وأسبغت عليه روعة القداسة ، واستلزم ذلك نشوء أفكار ساخطة من جنس المرأة وعقلها ، لأنه بدون خلق سور منيع من أمثال هذه الأفكار يتهدد نظام الأسرة الأبوية الاضمحلال . إذ تصبح الأبوة التي يقوم أساسه على هذا النظام موضعاً للشك وهدفاً للأقاويل . وقد خطت الديانة المسيحية خطوة أخرى بعيدة في هذا الموضوع وذلك بمطالبة الرجال بالتزام حدود العفة في المسائل الجنسية ، وساعد

على هذه الأشياء في آدابها وعقب البادية في الدعوة إلى الزهد والنسك ، وأطل على تقوية هذا الفرض وتأكيده في العصور الحديثة ظهور شخصية المرأة واستردادها بعض حقوقها ومطالبتها بالمساواة ، وشعورها أنه من الحق أن يقيد غيرها بالآداب التي فرضت عليها فرضا

واستدامة العلاقة الزوجية أو شبه استدامتها موجود بين بعض الحيوانات ، حيث يستدعي حفظ النوع أن يلازم الذكر الأنثى أحيانا في عهد صغارها . فالطيور مثلا على الأنثى منها أن تطيل الرقاد على بيضها لتفقسه ، وأن تقضي زمنا في الحصول على القوت ، والقيام بالصغار يتعذر في بعض الأحيان ومن ثم ينشأ التعاون بين الذكر والأنثى . والطيور من أجل ذلك أمثلة باهرة للعصبية من الناحية الجنسية ، كذلك في الإنسان فقد تعاون الأب والأم في مصلحة النسل وخاصة في أوقات المخاطر والقلاقل ، ولكن في أوقات استقرار الحضارة وانبساط رواق الأمن فقد الحكومة تقوم إلى حد كبير بوظيفة الأب وتنهض بدوره في الحماية واستدفاع الخطر . ولو سارت الحضارة خطوات في هذا السبيل فإنه من المحتمل أن يتبع ذلك تحول في الآداب والأخلاق ونشوء عادات وتقاليد تلائمه ، وإذا عمدت الحكومة إلى التدخل في تربية الأطفال وتعليمهم وقامت بحاجاتهم بطلت وظيفة الأب إلى حد كبير وتقلصت سلطته على الأسرة . ووظيفة الأب في الأسرة الحيوانية هي حماية الأسرة كما في الأسرة الإنسانية . ولكن في الجماعات المتمدنة يقوم بالحماية الشرطة ، فإذا قامت الحكومة بإعالة الأطفال وتربيتهم ألغت تلك الحالة الاقتصادية وجود الأب وقد تتبعه الآداب حينئذ وجهة أخرى

على أن مسألة هدم الأسرة ليست من الأمور المرغوب فيها والتي يتلقاها المفكرون بالترحيب ، لأنه سيمكن الحكومات من أن تصوغ الأطفال على نمط واحد وتضعهم في قوالب متشابهة وتربيهم تربية محرومة من حرارة الحنان الأبوي ورقة الأمومة ، وتهيء المكان لظهور شعب حربي جامع محاسن لاتفاق مساوئ والثبات ، فإذا لم يسبق ذلك وجود قوة دولية تامة الدعائم عتيدة النفوذ تقي الإنسانية أخطار الحروب والمطامع ، استهدف العالم لأخطار تربية وطنية متطرفة لا تعرف هوادة ولا تطيق اعتدالا ، وعمدت كل أمة على نقض بنيان غيرها من الأمم واجتثاث أصولها

ونستخلص من ذلك أن المستقبل مليء بالاحتمالات ، وأن الحالة الراهنة ليست حالة استقرار من جهة الآداب الجنسية ، ولو قامت الآداب الجنسية على أسس بريئة من سيطرة الأوهام وأحكام الخرافات لما اشتد أمرها هذه الشدة حتى أصبحت لها الصدارة في مشكلات العصر الحديث ، وليست هي كل شيء في الحياة ، وليس كل خير في الحياة موقوفا عليها منوطا بها ، والرجال الذين قاموا بأجل خدمات للإنسانية لم تكن المسألة الجنسية هي التي حفزتهم على النهوض بها . والرغبة في فهم الدنيا والحرص على إصلاحها هما الداعيان إلى التقدم وهما ركنان من سيطرة المسألة الجنسية

على أدهم

فلسفة الملابس

ثياب المرء تؤثر في نفسيته وتفكيره

بقلم الدكتور أمير بقطر

ما هذه القيود الثقيلة التي كبّل بها الإنسان نفسه ؟ وما هذه السلاسل التي أوثق بها بدنه ؟ علام هذه السراويل التي تكاد تلتصق بالجسم فتخنقه خنقاً ؟ وهذه الأحذية الضيقة التي تضغط أصابع القدم حتى تكاد تميتها ؟ وفيم هذه الأحزمة التي يشدها الرجال والنساء حول أوساطهم حتى تتقلص أمعاؤهم ؟ ولم هذه الأرداء التي تحرم مسام الجلد من الهواء الطليق الشافي ، وكريات الدم من أشعة الشمس فوق البنفسجية ، وتنكر على بني الإنسان أول مبدأ من مبادئ الحرية ؟

أين الحرية التي ينشدها المرء ، وتزهق لأجلها النفوس من ثورات الشعوب ؟ ألم يجن هو عليها بيده ، فقضى عليها في مهدها ، وبدأ بتجريد نفسه منها ، بما جرّه عليه من الثياب ، جرياً وراء الزينة لا وقاية من الحرارة والبرودة كما يزعم البعض ؟

ترى ماذا كان يكون حال الإنسان لو ظل محتفظاً بنفسه كما أرادته الطبيعة أن يكون ، قبل أن يخصف أوراق التوت فيتزر بها ، ويبعث الشك فيختبئ في ثناياها ، وقبل أن يتقمص رداء الحشمة والحياء في جسمه العاري ، فيأمن التبذل في جسمه المكسو بالثياب ؟ ترى هل كان يكون أطهر قلباً ، وأخلص نية ، وأشف سريرة ، وأصح جسماً ؟

من العجيب أن أقل الناس ثياباً ، هم الشماليون ، أكثرهم حضارة ، وأشدهم صحة . فسكان الشمال في أوروبا وأمريكا ، وهم أكثر بني الإنسان حضارة ، لا يرتدون من الثياب إلا ما يقيهم من البرودة ، وهم الذين ابتكروا لهم أندية العري ، وعباد الطبيعة الذين يقطعون مئات الأميال سيراً على الأقدام ، في الجبال والغابات والأحراش عراة أو ما يقرب من ذلك . وسكان أواسط أفريقيا كذلك يعرون من الملابس ، ويمشون كالحيوانات ، ويمرحون في جوف الفلا عراة الأبدان ، ويقضون أيامهم في أحضان الطبيعة كما كان يقضيها أجدادنا منذ مئات الألوف من السنين . وهل صدق أحد كبار الرحالة في قوله إن أشد القوم حباً للطبيعة أقلهم تعلقاً بالملابس ، وإن الناس يزداد شغفهم بالطبيعة كلما بعدوا عن البحر الأبيض المتوسط ؟

• • •

ان للملابس عنصر هام من عناصر البيئة كالمناخ والاقليم والطعام ونظام الأسرة ونوع التربية . ومن ثم كان لهذه العناصر كلها أثرها في حياة المرء وحسبه ، في تفكيره وإحساسه ، ومسلكه وشخصيته . ذكر الكاتب الأدبي المعظم « اميل لودفج » في مؤلفه الأخير « النيل » أن الملك فؤاد الأول رحمه الله قال له في سياق الحديث إنه يختلف تفكيراً في ملابسه العسكرية عنه في ملابسه المدنية . والناس في ملابس السهرة ، أو « الردنجوت » أو « السموكن » باتقانها واناقتها وجلال مظهرها ، يحسون شيء من العظمة والوثوق بالنفس واحترام الغير لهم . والرجل (أو المرأة) الذي لا عيب في هندامه يجتذب الناظر اليه عناية اليد القوية ، والنظير المظهر ، ويملأ عينيه منه ، وإن علت مرتبته ، بعكس من علم أن هناك نقصاً في ثيابه ، كتمزق أو فتق أو رتق ، فانه يشعر بالضعة والحنق ، ويظل مطرقاً حييا ، وإن كان محدثه دونه مرتبة . ولهذه المسألة أهمية لا يستهان بها في تكوين الشخصية ، لأن المرء الذي يتهاون في هندامه فترة من الزمن ، تلازمه صفات الجبن والحياء وعدم الوثوق بالنفس ووهن الشخصية كل حياته . وقد لا يستطيع التخلص من هذه العيوب ، وإن تمكن من تحسين ملابسه والتأنق في هندامه بعد ذلك . وهذا المرض النفساني الذي يسمونه Inferiority Complex ينشأ من عيب الهندام ، كما قد ينشأ من عيب الخلقة . والأم الحكيمة هي التي تعير هذه المسألة ما هي جديرة به من العناية ، فلا تدع أطفالها يخرجون بملابس قذرة أو ممزقة (وقد يكون العيب مقصوراً على ضياع زر من أزرار السترة) ، وهذا تضع أساساً متيناً لشخصياتهم في مستقبل حياتهم . أرأيت رجلا يشغل منصباً عالياً ولكنه معروف بالحياء والخجل وعدم الجرأة في مواجهة محدثيه ؟ ابحث عن أصل هذه العلة تجدها في عيب طبيعي في خلقته ، كان يعير به في صغره ، أو تجد انه تهاون في ملابسه في مرحلة من مراحل حياته ، والمسئول عنها في الغالب أهله وذووه . وقد صدق الفرنسيون في قولهم القميص يكون الرجل la chemise fait l'homme

ومن الغريب أن رجال الدين في أرديتهم الرهبة يشعرون كأنها توحي اليهم الاتزان والورع والكرامة ، بما لها من التأثير النفساني الساحر . وفي بعض البلدان التي يسمح فيها لهؤلاء أن يخلعوا ملابسهم الدينية ، ويستبدلوها بملابس عادية في مناسبات استثنائية كالسمر والسياحة ، وجد أن رجال الدين هؤلاء لا يلتزمون في ثيابهم العادية المستوى الأخلاقي الذي يكونون عليه في ثيابهم الدينية . وقد اعترض بعضهم على بعض المدارس الالزامية في مصر الذين يرتدون الملابس الأوربية ، وبنوا اعتراضهم على أن هذه الأخيرة هي شخصياتهم ، وهذا لا سبيل الى انكاره ، بيد أن هنالك وجهاً آخر لهذه المسألة وهو أن مجرد ارتداء الجبة والقفطان يوحي الى صاحبها صفات الاتزان والاعتدال والتحفظ من الوقوع في الزلل (١) . والفتاة التي يحفل أهلها في شراء « الفساتين » الطويلة لها انما يجنون عليها وهم لا يعلمون اذ أن ظهورها في مثل هذا الهندام يشعرها بنضجها قبل الأوان ،

(١) وبهذا أريد بهذه العبارة أن أوفق أصحاب الاعتراض على رأيهم

ويدفعها الى الغرور والتيه والاعجاب بنفسها في مرحلة الطفولة البريئة . والصبي الذي يحرم من السراويل القصيرة في سن مبكرة ، ويلبس « الياقة » العالية وربطة الرقبة الغالية الثمن ، انما يقفز نحو الرجولة قفزة سريعة قد تزل فيها قدمه فيسقط الى الحضيض . ولا بدع اذا شاهدنا الصبيان والفتيات في الرابعة عشرة من أعمارهم في بعض البلدان الحديثة يقلدون الرجال والنساء، وهم بعد ناعمو الاظفار ، وربما أمثالهم في الثامنة عشرة في الشمال ، في أوضاعهم وصحة حركاتهم وسكناتهم البريئة ، يتقطرون غضاضة وحلاوة في طفولتهم

رأيت مرة في مدرسة ثانوية في أمريكا فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تتهادى في ثوبها الحريري الانيق ، وقد غطى وجهها كثيف من المسحوق الرشيق ، وهي تختال تيها ودلالا ، وتصطنع التثقل والتبطء في مشيتها جيئة وذهابا . فأسرت الى معلمتها أن أمها هي التي جنت عليها بتعويدها هذه الازياء في هذه السن المبكرة . وقد أردت أن أعلم شيئا عن مدى تفكير الفتاة فسألتها : ماذا تريدين أن تعملي في حياتك بعد التعليم الثانوي ؟ فأجابت على الفور قبل أن آتي على الكلمة الاخيرة من سؤالي : « لست أريد أن أنهي دروسي الثانوية لاني أبحث عن عمل في أحد البيوت المالية ، وأود أن أكون سكرتيرة لأحد رجال الأعمال » ولا أنسى مدرسة تجريبية ملحقة باحدى الجامعات الاميركية ، حضرت فيها ذات مرة حفلة راقصة اعتادت أن تقيمها مساء كل سبت لطلبتها ، تحت اشراف بعض معلميها ومعلماتها . ولم أكد أصدق ما رأت عيناي ، حينما شاهدت تلاميذ السنة الاولى (الثانوية) في ملابس « السموكنج » ، وتلميذاتها في فساتين السهرة « الدكولتيه » ، يقلدون الكبار في السير والحركة وآداب الحديث و (اتيكيت) الرقص ، وضحكت كثيرا عندما شاهدت بعض هؤلاء الصبية الذكور يخرج متأبطا ذراع طفلة مثله ليصحبها الى منزل أهلها ، كما يفعل الكبار تماما . خرجت من هذه الحفلة وأنا أتعجب كيف يسمح أولو الامر لهذه الفاكهة الحية أن تقطف من أشجارها قبل نضجها

ان المدرسة في حاجة الى الناصح المبصر ، ولعل الرأي الذي ذكرناه بالصفحة السابقة ، يوحي اليها الرحمة والتضحية والحنان والاشفاق المريض ، فاذا ما خلعت هذه الملابس كان مسلكها في النادي مسلك غيرها من الفتيات . واذا ارتدى أحدنا الملابس الرياضية ، أحس بدافع قوي يدفعه الى لعب الكرة أو حمل الاثقال أو الاتيان بحركات رياضية في نشاط ورغبة . وليس السبب هو الحرية التي يشعر بها المرء في هذه الحال فقط ، وانما هي الحالة النفسية التي يكون عليها ، والجو الخاص الذي تخلقه هذه الملابس . والدليل على ذلك أن الواحد منا اذا تجرد عن جميع ملابسه في غرفة لا يكون فيها سواه ، يكون أكثر حرية منه في ملابس الرياضة ، ومع ذلك لا يشعر بما يدفعه الى اللعب شعوره بهذا الدافع في ملابس الرياضة

وقد استرعى نظري في مدينة نيويورك ظاهرة غريبة ، وهي أن الكلفة قد أمعنت في الاحياء

الفقيرة التي لا تستطيع أهلها الاستمتاع بمباهج البحر صيفاً ، وشاشات من الماء تنصب في الشوارع المصرية للأطفال خاصة ، وتفتح في ساعات معلومة من النهار ، فيهرع إليها الأطفال من كل صوب بملابس السباحة المصنوعة الأزياء الجميلة الألوان . فما الذي يدعو هؤلاء أن يتسابقوا في تخير هذه الملابس والتفنن في ألوانها وأزيائها ؟ أليس هو الجو الذي تخلقه ، والأثر الذي تتركه في نفوسهم وما يتوهمون — فضلاً عما تعاني الخواطر — من أنهم وإخوانهم الذين يغشون الشواطئ سواء بسواء ؟

وهذه السيدة الانجليزية تلميذة غاندي ، ألم تخلع ملابسها الانجليزية وترتدي ثياباً هندية وطنية حتى يكون الجو الذي تعيش فيه مبادئ غاندي ، وتترعرع فيه فلسفته كاملاً لا غبار عليه ، فلا تشوبه ملابس انجلوسكسونية لا تتفق وتلك الفلسفة ؟

وقد يلذ للقراء أن يعلموا أن كاتبة مصرية فذة ، وأديبة ذائعة الصيت تهوى الريف ، لا يطيب لها خاطر ، إلا إذا استعاضت عن ثيابها الأوروبية الضيقة جلابيب فضفاضة ، وجلست بين نساء الريف تتحدث إليهن كأنها واحدة منهن

ومما لا ريب فيه أن المرأة المصرية في زيها الأوربي الحديث أدعى إلى احترام الناس لها منها في زيها القديم ، وأشد اعتداداً بذاتها ، وأسرع حركة وخاطراً ، وأقل عرضة لمعاكسة السفهاء . ومع جمال المرأة الهندية في لباسها الوطني الرشيق ، وألوانه التي تتفق وبشرتها السمراء ، فإني كلما شاهدتها تسير في شوارع أوربا وأمريكا ، أحس بما تحس به من الخجل والحياء وتثاقل الخطى ، مما تحمل ثيابها في طياتها من معاني الاستعمار ، ومعاني الضعف وملابساته ، وعدم مساواتها بالرجل

ومن أغرب ما رأيت من أثر الملابس في نفسية صاحبها ، فتاة من شمال أوربا زفت إلى شاب من أسرة مصرية طيبة ، مسرفة في مراعاة التقاليد ، محافظة على العادات القديمة إلى أبعد حد ، مع اندماجها في الأوساط الراقية . ونزولاً على رغبة الأسرة استبدلت الفتاة جميع ملابسها بملابس وطنية ، فوضعت نقاباً شفافاً على وجهها ، واتزرت بملاءة حريرية سوداء ، وعصبت رأسها بعصابة من لونها ، ومست عينيها بمرود من الكحل إرضاء لزوجها . وقد رأيتها بعد سنوات في أحد المحال التجارية وكأنها ولدت في صميم الحسين ، ورأيتها مرة أخرى في ملابسها الأوربية في شرفة الكونتننتال تتأهب لدخول قاعة السكري ، فإذا بها حيية مسرفة في الحياء ، بطيئة الحركة ، مسرفة في البطء . فقلت : سبحان مغير الأحوال !!!

انظر إلى ملابس السهرة وما توحيه إلى الرجال والنساء من الوقار والحشمة ، مع ما يبدو على سيقان النساء فيها من المظاهر المنافية للحشمة والوقار ، ومع ما يصحبها عادة من المخاصرة والرقص على نغمات « الجاز باند » ، واحتساء الشمبانيا ، فالكأس تتبع الكأس ، إلى ساعة متأخرة من الليل . وانظر إلى هؤلاء الراقصين والراقصات في ثيابهم المتأنقة ، كيف أنهم يتبدلون في كثير من

الاحوال ، فلا يراعون للحياء حرمة ولا ينصبون للتورع ميزانا . وانتقل من الحفلات الرسمية أو العادية الى حفلة مستهترة تكون الملابس فيها « بحلمنتيشية » النوم أو ملابس البحر ، وانظر كيف يسف أصحابها الى أحط القرارات . حدثت قراء « الهلال » من عهد ليس ببعيد عن حفلة كهذه سنوية يقيمها طلبة الطب في باريس ، وليس من مصلحة القراء في شيء أن أصدع آذانهم ، فأسترسل في وصف ما يحصل ويجب

وللملابس من أثر ما يدعو صاحبه الى الاتصاف بعزة النفس . أرأيت كثيرين من ذوي المظهر الحسن يتشاجرون ويعرضون ملابسهم للتمزيق ؟ ان الغلام الشاكي ، الشاكر من الثياب الرثة الممزقة ، يستحي في المصنوع المحترم اذا ما ارتدى في العيد حذاء جديداً أو فستاناً جديداً ، لأن الملابس تأثيرها السحري تخلق من صاحبه الثائرة الشاكية صبية حديثة وعقلية محترمة ، وليست الثياب في ذاتها هي التي تغير من عقلية المرء واحساسه ، وانما الثقة هي التي أكسبت نوعا خاصا من الثياب هذا الجو وذلك الاحترام

في السنوات الست أو أكثر التي تلت الحرب العظمى كانت المرأة في كثير من البلدان الأوروبية غير آبهة في ملابسها ، وكانت لا تشعر بالاحترام والعظمة التي كانت تشعر به أختها الاميركية التي لم تتأثر ماليتها ولم تنحط ثيابها . أما اليوم فالفتاة الأوروبية في معظم أوروبا لا تقل شعوراً بمثل هذه الصفات عن الاميركية ، نظراً لتحسن الاحوال وعودة المياه الى مجاريها

ولا جدال في أن حسن الهندام ونظافة الافراد تسير جنبا الى جنب . فالخادم النوبي في قفطانه الناصع البياض ، وحزامه الاحمر المشدود الى وسطه ، وطربوشه المائل على جبينه ، أشد مراعاة لقواعد النظافة كلها ، منه وهو في قميصه الطويل وسرواله القديم و « صديريه » و « طاقيته » . والبكباشي والضابط بوجه عام في ملابس الرسمية أقل منهم عناية بالنظافة منهم بالملابس الاخرى ، وهم أشد نظافة في « البيجامة » ، منهم في الجلباب ، التي يقوم فوق وظيفته للمروءة بوظيفة التدفئة والحشمة . . .

وللأزياء أثرها في الصحة والمنظر . فالمرأة قد تحسنت صحتها منذ أن عرضت ذراعيها وعنقها (وساقيها أحيانا) للهواء والشمس . والطلبة المصريون اضطروا الى العناية بشعرهم بعد أن اعتادوا خلع الطرابيش والبقاء مكشوفي الرؤوس في معظم الأوقات . والمرأة المصرية بفضل الملابس الأوروبية الحديثة أصبحت تكون سافرة رشيقة ، أو محتشمة ، بعد أن كانت في ملابس الوطنية الفضفاضة بدينة ، خشنة وكادت تكون في غير قليل من الاحوال طريفة كالسفرة ، منقبة ، بعد أن كانت حسناء . ولا يخفى أن الألوان والأزياء على اختلاف أنواعها تخلق من الثياب ضربا من الخداع البصري ، تختلط بواسطته الأوانس مع العوانس ، والعجائز المتصابيات مع الغيد الغانيات ، ويستوي فيه الأقوياء دون الصلات المنزلات ، والقوارير المترهلات والخياطات المرهفات في باريس

ومعلومات الحال في أمهات المدن يستطيع أن يحتفى من كثرة الملاهي ، شحنات الشعر ، مشواه الصيبي ، عروسا تتهادى ، فيتيم في حبها أجمل الشبان وأقوى الرجال

ومن المشاهد أن الناس حيثهم يهتمون بمعرى الملابس وأثرها حسن السيم فالطلبة ، حتى صغار التلاميذ منهم ، متى حل موعد الامتحان الشفوى ، تأنقوا في ملابسهم ، حتى يكون منظرهم شيقا لهم أمام ممتحنيهم . وقد شاهدت على التعليم في نيويورك بتجرب امتحنت من عدد كبير منهم وقد ظهرن بمظهر رائع من الأزياء المناسبة للمقام ، عدا ممن أبحثنا للنظر أثرا في سوى الشئون . والظاهر أن الناس كلما توغلوا في المدنية ازدادوا حساسية برأى الغير في هندامهم . وأذكر بهذه المناسبة أن سيدة كانت تجلس مع آخرين على مائدة في إحدى البواخر فوقعت على صدر فستانها قطرة من الطعام ، لا تكاد تراها العين ، فتكدرت جدا . وسألها الجالس أمامها : « أتخافين ألا تزول البقعة ؟ » فأجابت : « كلا ، ولكنى آسفة جدا لأنى أكون السبب في منظر قد لا يروق الجالسين أمامي »

• • •

ومنذ انتشار المبادئ الديمقراطية والآلات الصناعية كاد الفقير والغنى يستويان في ملابسهم في الممالك الغربية على الأقل ، وأصبح الهندام وحده في كثير من الأحيان لا يدل على مرتبة صاحبه . فقد يدخل الوزير والكاتب البسيط مثلا محلا عموميا فيهمل الأول ، ويبالغ في استقبال الثاني والترحيب به . وهنا ترى للبزة في الملابس الرسمية ، التي يستطيع الناظر إليها أن يحكم لأول وهلة على منزلة صاحبها في المجتمع ، ومرتبته على وجه التقريب في بعض الأحيان . فلو جلس ملازم ثان في الجيش أو البوليس في إحدى عربات الترام بجانب كبير من كبار الحكومة كان الأول موضع التبجيل والاحترام بعكس الثاني الذى قد يكون في نظر الجمهور موظفا بسيطا أو سائق سيارة أو خادما عند أحد الأعيان . والفلاحون في بعض قرى الريف عند رؤيتهم وكيل النيابة والخاص لأول مرة يحترمون الثاني لما تم عنه كسوته المزركشة دون الأول الذى لا يختلف عن عباد الله في شيء . ولا غرابة إذا كان الاقبال على مدرسة البوليس والحربية شديدا ، ولا غرابة إذا ما لبس الناس في النيابة ملابس الخدم والسعاة وأكثروا من أزرارها البراقة وأشرطتها الحمراء ، فالرسالة إذا حملها أحد هؤلاء تقبل في العين والرأس من المرسل إليه ، وقد تلقى في سلة المهملات إذا بعث بها مع سواه .

والأفراد والجماعات يحكمون أحيانا على صاحب الملابس أحكاما صارمة بغير مسوغ ، ففى انجلترا لا يحترمون الرجل إذا اشترى كسوة جديدة من الخلف ، مهما كانت ملابسه أنيقة ، لأن ذلك في عرفهم دليل الضعف ، ومبنى الوهن في شخصية صاحبه . ولذلك يعيرون الرجل بقولهم : "[illegible]" . وكم أعرف رئيسا لا يعين موظفا عنده أيا كانت مؤهلاته إذا كان طربوشه مائلا

على رأسه يمينا أو يسارا . وحدث مرة أن تقدم أحد هؤلاء الى وظيفة خالية ، وكنت أعلم أنه أهل لها ، فأوقفته قبل أن يدخل على الرئيس ونصحت له أن يكون طربوشه من رأسه ٩٠ درجة فحصل وشغل الوظيفة وسر منها . وأذكر من هذا القبيل أن أحد « كمسارية » الترام (وكان طربوشه قد كون زاوية حادة مع رأسه) سئل عن الساعة فقال إنها ١٢ وربع . فأجاب معظم الركاب كلا انها ١٢ تماما فأصر « الكمساري » على أنها ١٢ وربع . وكان بين الركاب شاب من أولاد البلد حاضر النكتة فقال: « معذور الكمساري لأن ساعته مضبوطة على الطربوش » !

ومن أهم المباحث في طبعة الملابس أثرها الاجتماعي . وإني أكتفي هنا بذكر ثلاثة أمثلة . أولها الطربوش في تركيا وكيف أن مصطفى كمال نفى عنه لاعتقاده أن له أثراً سيئاً في تكوين عقلية الشعب التركي ، وأن استعمال القبعة يشعر الأمة بالعقلية الأوربية ويبعدها عما يسمونه خطأ العقلية الشرقية . وعندما رأيت لأول مرة مؤذنا يدعو الناس للصلاة والقبعة على رأسه قلت لصديق التركي لم يحتفظ رجال الدين بزيهم القديم ؟ فقال لي اننا نريد أن تشعر الأمة كلها أننا أوربيون قبل كل شيء ، وأن هذا الشعور لابد أن يكون على مر السنين حقيقة . والمثل الثاني خاص بالمرأة . لأن النساء كوحدة عظيمة تكون نصف المجتمع أصبحت تشعر بمرتبتها الاجتماعية وحقوقها وواجباتها بعد أن تخلصت من قيود الملابس التي تحجبها عن المجتمع النشيط . والدليل على ذلك ان المرأة الفلاحة أو الصعيدية ، مع ما هي عليه من الجهل ، أكثر حرية من المرأة المتحضرة التي لاتزال أسيرة الحجاب . أما المثل الثالث فأقتبسه من إصلاحات الفاشية في إيطاليا . كانت طبقة الكناسين في إيطاليا الى عهد قريب طائفة فقيرة محتقرة ، كزميلتها طائفة الكناسين في مصر المغلوبة على أمرها . وكان معظم السبب في ذلك حقارة الملابس . أما الآن فانك إذا رأيت الكناس الايطالي في بدلته الرسمية وقبعته وحذائه حسبت أنه جندي نظامي . وقيل لي إن هذه الطائفة منذ أن زينها أولياؤها بهذا الزي موضع احترام الغير أسوة بغيرهم من العمال وصغار الصناع . وقد سبقت سويسرا مثلا إيطاليا في هذا الشعور ، وأخذ الكناس يرتقي حتى أصبح مرتبه الشهري اليوم عشرة جنيهات مصرية ، مع العلم أن متوسط النهاية العظمى في المرتبات هناك أربعون جنيها شهريا ولا يستثنى من ذلك إلا الوزراء تقريبا

• • •

ولا بد لنا من ذكر كلمة هنا عن الملابس وعلاقتها بالشذوذ الجنسي . ان الفتاة التي تميل كثيراً الى التزيي بزي الرجال ، والشاب الذي يميل كثيراً الى أزياء النساء فانهما في الغالب يخشى أن يكونا مصابين بشذوذ جنسي . وقد اصطلح العلماء على تسمية هؤلاء « بالزيين » باسم transvestism

وقد منع البوليس في أمريكا مثل هؤلاء من السير في الطرقات وعد مجرد ظهورهم فعلا معيبا فاضحا . ولا يخفى أن معظم هؤلاء يفعلون ذلك عن حسن نية وبقصد المزاح ولكن التمادي في

هذا العمل قد يدفع بعض ضعاف الأخلاق منهم الى الشذوذ للؤماً إليه . ويوجد منهم في عواصم أوربا عدد غير قليل

وهنا يجب التنبيه الى عيب يقع فيه الوالدون وذلك انهم رغبة منهم في تدليل بنيهم وبناتهم يلبسونهم أحيانا ثيابا غير ثيابهم ، ويستمر الصبي الى سن متأخرة في ارتداء الفستان ، وتستمر البنت في ارتداء السروال . وبذلك يكون أولئك الاطفال عرضة للوقوع في هذا الشذوذ ، لما قد توجه الملابس اليهم من الميل والسلوك مسلك الجنس الآخر . ومن حسن الحظ أن مثل هؤلاء الوالدين لا وجود لهم تقريبا في مصر

وكما أن الرجل تشتد رغبته في المرأة بنسبة بعدها عن الرجولة وقربها من الانوثة ، وان لم تكن صبيحة الوجه ، فكذلك تشتد رغبته فيها بنسبة اختلاف ملابسها عن ملابس الرجال . ومن الرجال من يكادون يغمى عليهم اذا شاهدوا امرأة في سراويل كالتي يلبسها الفرسان عند ركوب متن الجياد . وهناك حكاية معروفة عن فتاة كانت تشاهد مع شقيقها الصغير اللوحات الفنية في متحف الصور الوطني فلما اقتربا من صورة آدم وحواء سألت الفتاة الصبي أيهما آدم وأيهما حواء ؟ فأجابها الصبي الساذج وكيف أستطيع معرفة ذلك مادام عريانين ؟

* * *

ولست أريد أن أختم هذا البحث قبل أن أقول إن المبالغة في التأنق لا تقل عيبا عن الاهمال فيه . وليس أقبح صفة في الرجل على الأخص من الاغراق في العناية بالهندام . والمرأة التي لا تعتز بمسحة من الجمال قد تكون مقبولة اذا اتسمت ملابسها بالبساطة ، بعكس المبالغة فيها ، فانها تجعلها كرواية غريبة من الدرجة الثالثة طبعت طبعا أنيقا de luxe . وقد يكون منشأ الاغراق في حسن الهندام تغطية لبعض العيوب . فالرجل القبيح المنظر أو الطاعن في السن الذي يريد اخفاء حقيقته ، تشهد عليه ملابسه ، ولا يقف عند هذا الحد ، بل يجوب الشوارع العمومية ويطارد النسوة بعينه ونظرته ، انما هو (كوميدى) رواية هزلية متحركة . ومما يؤسف له أن معظم الأدباء وبعضا من أكابر القوم يهملون أمر الملابس اهمالا معيبا لانهم يحسبون على صيتهم الذائع ، وهم لا يعلمون أن للمظهر الخارجي في العالم الذي نعيش فيه لا يقل أهمية عن الحقيقة الواقعة ، ونسوا أن الاسترسال في اهمال هذه الناحية من الحياة يؤثر في حياتهم تأثيرا سيئا . فتتدهور أخلاقهم ، وتوهن عزائمهم ، وتضعف شخصياتهم من حيث لا يعلمون

[illegible]

قصة مصرية

شرف المهنة

بقلم الأستاذ أحمد عبد القادر المازني

كانت سوسو خيالية النزعة، متوقدة العواطف، ملتهبة الشعور

وكانت منذ عهد نضارة الشباب، جد مغرمة بارتياد دور السينما والمسارح لرؤية المواقف الغرامية المحببة وارواء عواطفها الظامئة من الارواء، ثم تعود الى دارها وهي تستعيد الى ذهنها تلك المناظر التي كانت تذكي نيران شعورها، وتزيد اتقاد عواطفها

وما عادت يوما الى دارها من السينما إلا ووقفت في غرفتها وحيدة أمام مرآتها، تتخيل أن على كتف منها عاشقا متيما يناجيها بحبه ويبثها غرامه. فتحاكي الحركات التي رأتها على الستار الفضي، وتلوي عنقها كأنما تضعه على كتف الحبيب وتمص شفتيها، وتعد شفتيها للقبلة المنشودة

ثم تقدم اليها طبيب يرجو زواجها

ورأته من النافذة شابا وسيم الوجه، معتدل الطول، رشيق الحركات، أنيق الثياب، فأعجبت به، وودت أن يقبل أبوها هذه الخطبة، وأن يتم زواجها به ما بين يوم وليلة

ثم حلت ليلة الزفاف. وطفقت تسائل نفسها أترى هذا الزوج بطلا من أبطال الغرام فيجيد تمثيل دوره كما يجيده أبطال الافلام؟ وهل ستنعم في مواقفها الغرامية كما نعمت جريتا جاربو، ومارلين ديتريش، ونورما شيرر وغيرهن من الممثلات الناجحات في فن الاغراء؟ ومضت تتأرجح بين الخاطرين حتى غمرها جو الزفاف فصدمت التخيل وأرغمت على أن تسلك المسلك الطبيعي، مسلك العروس

• • •

وسعدت أياما غير قليلة، فقد كان زوجها الدكتور خليل شابا رقيق العاطفة، وديع الاخلاق، رضي الطبع، وكان وسيما أنيقا مستملح الفكاهة، شهي الحديث. وكان الى جانب هذا يحبها حبا عميقا، ولكنه كان عاطفيا رزينا

وهذا غير ما تحلم به روحها

بيد أن قلبها كان طفلا في زمانه فكان لا يزال يحن الى تلك المواقف الغرامية السينمائية، ولا ينفك يتطلع الى التخيل. فكانت سوسو اذا ما جلست على الأريكة الى جانب زوجها، وطفقا

يتحادثان فيما وقعت عليه أعينهما في يومهما ، وما يعتزمان أن يعملاه في غدهما ، ظلت تنظر إليه وقلبها يشتد في خفوقه ، وهي تتوقع من حين الى حين أن ترى عينيه تبرقان ببريق الحب ، وشفتيه تتقمصان ابتسامة الشوق الى تقبيلها ، ويديه ترتعشان من فرط مايعانيه من الهوى المبرح ، وتتوقع من لحظة الى أخرى أن يهمس ، رغم وجودهما وحدهما في الحجرة ، بمناجاته الغرامية الحارة الملتهبة ، وأن يدفعه الحب فجأة فينحدر اليه ويثنى عنقها ثنية رائعة ، ويهبط بفمه على ثغرها المتعطش الى التقبيل ويطبع على هذا الثغر الجميل قبلة حية ندية

كان هذا ما تتوقع وما ترجو أن يكون ، فاذا به يضع يده فيما يشبه برودة الثلج فوق كتفها ، ويظل يتحدث ويتحدث ثم يميل عليها ويطبع قبلة . . ما أبردها ! على وجنتها ويقول لها : « أسعيدة أنت يا سوسو ؟ » فتهم أن تصيح في وجهه وتقول له : « كيف أكون سعيدة وأنا أجالس قطعة من الثلج لاتسرى في عروقه حرارة الحب ؟ ألم تركيب يكون حين حضرت وكلامك خامل وغيرها في مثل هذه المواقف الغرامية ! » ، ولكنها تكبح غضبها ، وتزدرد الكلمات التي تهم بالخروج من فيها وترسم في وجهه ابتسامة غامضة متكلفة وتقول له كاذبة : « كل السعادة يا حبيبي ، وأنت ؟ »

— أنا أسعد خلق الله طرا

لك الله من مسكينة لم يسعدها الحظ بزوج يجاذبها صبوة وكلاما في هذا الفن البديع ! !

وعاد الزوجان الى القاهرة وسارت الحياة بعد شهر العسل سيرها الطبيعي المألوف في كل الدور والمنازل وكان زوجها ككل الأزواج ، يغادر داره صباح كل يوم ، فيذهب الى المستشفى الذي يعمل فيه ومن ثم الى عيادته ظهراً فيمضي فيها ساعتين يؤوب بعدها الى داره وهو متعب مكدود ، فيتناول غداءه ثم يلتمس الراحة بعض الوقت

ويكون منه في المساء ما كان منه في الصباح

ويعود الدكتور خليل الى داره ليلا فيهوى فوق أحد المقاعد الوثيرة ويبقى فترة طويلة وهو في شبه إغفاء ، مغمض العينين ، ساكن الأعضاء ، لا يتحرك ولا يكاد ينبض فيه عرق ، ثم تدب فيه الحياة مرة أخرى

وكان الدكتور خليل رجلا مكافحا مناضلا في الحياة ، عظيم الطموح ، عريض الأمل ، ينشد الشهرة الطائرة ، والصيت الذائع ، وأن يزداد ثروته ، وتنمو على مر الأيام ليهيء لنفسه حياة طيبة هنيئة مرفهة ، فقد كان لايبعك يذكر ماعاناه من شظف العيش وهو طفل صغير ؟ ثم وهو فتى يدرس في المدارس الثانوية ، ثم وهو طالب في الطب . وانه ليذكر كيف مرت عليه أوقات كاد يتوقف فيها عن اتمام دراسته لأنه لم يكن يجد مايدفعه من المصروفات المدرسية ولا ماينفقه على نفسه في غصون العام وكم من عام قضاه ببدلة واحدة لاتتغير ولا تتبدل إلا كما تتغير كل بدلة من أثر لفحة الشمس والهواء

وما كان الفتى خليل ليعاني كل هذه الشدائد وذلك الفقر المدقع لو أن أباه المحامي العظيم عرف كيف يدخر لأبنائه شيئاً يستعينون به في حياتهم أو في مستهلها على الأقل، ولكنه كان رجلاً متلافاً مضياعاً، فأسرف يميناً وشمالاً، وترك أرملته المسكينة تعاني مر العذاب في تربية أولادها. لهذا نشأ خليل يعرف قيمة المال وأثره في الحياة، ويعرف أن من الجرم أن يتزوج الرجل وينسل أبناء، دون أن يفكر ويعمل على أن يهيء لهم حياة رغدة لا يقاسون فيها مثل ما قاسى، ولا يعانون فيها كالذي عاناه في حياته. ولهذا كان خليل يثابر على العمل، ويبذل كل ما يملك من جهد وقوة في سبيل الشهرة والثروة والغنى

بيد أن هذه الجهود كانت تستنفد كل وقته فلا تدع له إلا لحظات قصيرة يستطيع أن يقضيها مع زوجته الفتية الحبيبة. وباعدت هذه الجهود بينه وبينها، وكلما مرت الأيام وهو لا ينفك منكباً على عمله، دائباً على غايته، كانت شقة الخلف بينه وبين زوجته تزداد اتساعاً. غير أن الدكتور خليل كان غافلاً عما أحدثه في نفسها من الأثر السيء.

وانهار الصرح الجميل الرفيع الذي شيده خيال سوسو، وشعرت بهول الصدمة حين هبطت إلى أرض الحقيقة، ورأت نفسها ضحية وشهيدة

وراحت تفكر في حنق وكمد وحزن في هذه الحياة التي لا تفترق في كثير أو قليل عن حياة الحيوان. أي شيء فيها؟ أكل وشرب ونوم! وهكذا حياة الحيوان! فأي فرق بينها وبينه؟ وثارت نفسها ثورة مرعدة على هذه الحياة، وأصبحت تحس نفوراً من ذلك الزوج، وخيل إليها أنها إذا قنعت بهذه الحياة فلن يكون مصيرها إلا إلى الجنون المطبق

لقد مضت أشهر دون أن تسمع كلمة حب ترن في أذنيها ودون أن يخفق بها قلب. وسينقضي عمرها، ويطوى شبابها، ويذوي صباها دون أن تستمتع بالحياة والحب. وستهرم ويضرب الشيب في فوديها، وينحني عودها دون أن تتذوق حلاوة الغرام

* * *

وكانت تهم بدخول دار السينما وكان شاب واقفاً على الإفريز، وقد مد يده ليغلق باب السيارة بالمفتاح. وكان شاباً طويل القامة، وسيم المحيا، أنيق الثياب، من أولئك الشبان الذين ينفقون جل دخلهم على وجوههم وثيابهم، فوقعت عينه في طريقها إلى الباب، وراح يفحصها بنظرة الإعجاب

ولم يسع سوسو، وهي ترى قبالتها هذا الشباب الغض النضير، إلا أن ترمي عينيها إلى وجهه وتفحصهما غير مرة حتى إذا دنت منه وكادت تمر به ابتسمت في وجهه بسمة خفيفة طار من أثرها عقل الفتى، فأسرع إلى إغلاق سيارته وتبعها إلى شباك التذاكر. وما دريت سوسو لم كانت هذه الابتسامة منها، ولكنها لم تندم عليها فقد أصبحت بالفعل، وبالرغم من نفسها، ورأته

واقفا الى جانبها وهي تطلب لنفسها تذكرة ورأت نظرته متجهة الى اللوحة الموضوعة أمام العاملة فأيقنت أنه يريد أن يعرف أين سيكون مكانها ، فتعمدت أن تشير الى مقعد الى جانبه مقاعد خالية وكبحت جماح نفسها عن تلك نظرة عليه قبل أن تغادر مكانها ، بل سارت في طريقها في رشاقة وخفة وهي موقنة أن الفتى يكاد يلتهمها بنظراته ، كأنها كانت تحس بوخزة هذه النظرات في ظهرها . وجلست على مقعدها ، وتعمدت أن تضع حقيبتها على المقعد الخالي الى جانبها ، وما رأت عيناها شيئا مما كان هناك بل كانت تنظر من جانب عينيها الى ناحية الباب وخفق قلبها خفقة سريعة حين رأته قادما يتسلل بين الصفوف ليأخذ مكانه بين الجالسين

وتجاهلت قدومه ، وتظاهرت انها تطالع برنامج الحفلة حتى سمعت صوته الرخيم الذي زاد في خفوق قلبها ، وهو يقول لها :

— هل تسمح سيدتي !

فتجاهلت مرة أخرى أمر الحقيبة ، ورفعت أنظارها اليه في نظرة استفسار وقالت :

— نعم !

فتبسم وقال وهو يشير الى الحقيبة :

— هل تسمح سيدتي أن أخلي مكان هذه الحقيبة ، لم هل . .

وتردد وهو مايزال باسما فقالت وهي تتناول الحقيبة :

— طبعا . تفضل

وكانت يده أسبق من يدها ، فتلامست اليدان عفواً

وجلس الى جانبها وشاء أن يجذبها الى الحديث فقال :

— أنا آسف ياسيدتي اني أزعجتك ، ولو أنه كان هناك مكان آخر .

فابتسمت بسمة خفيفة وهي تدير رأسها اليه وقالت :

— لاداعي للأسف ، فاني لم اشتر إلا تذكرة واحدة لمقعد واحد

— كنت أود أن تكون سيدتي في راحة تامة

— وهذا ما اشعر به

— اذا كانت الحقيبة حملا ثقيلا فاني مناحب لحملها

فلم يسعها إلا أن تبتسم وتقول :

— انها خالية إلا من المناديل وما اليها

— مثل سيدتي تنوء بحمل الحرير

فتخضب وجهها ، وأعجبها هذا القول ، فياله من متكلم مبدع !

— ولما رأى صمتها خشي أن ينقطع حبل الحديث فقال :

ــ ثم هل تخشى سيدتى أن احتطف الضحية ؟

ورشقته بإحدى نظراتها الساحرة ، فغاب عن ناظريه ، ثم رجعت الى أحد مواقفها الغرامية وقالت :

ــ لا أظن أن هناك سبيلا للفرار

ــ ومن ثم الخوف ؟ واستطيع أن اسمع طروبتى رهينة عندك

ــ أراك مصراً على حمل الضحية . هل تريد ما فيها ؟

ــ ليتنى كنت فيها !

فضحكت وقالت :

ــ أتراها حقيبة سحر ؟ أهى كبيرة الى هذا الحد ؟

ــ كلا ولكن مثل يتعامل بين يديك ؟

ورأتها هذا الخيال الجميل مرة أخرى ، واحست أن ما علا أدب من الصفا ما يتلاشى من وقع هذه الكلمات المعسولة الجميلة الرائعة

● ● ●

وقال الفتى وهو منطلق بسيارته فى طريقه الى الجزيرة فالهرم :

ــ لقد كانت الرواية رائعة بديعة

ــ نعم وكان البطل مبدعا فى تمثيله . أرأيت كيف مثل دور العاشق المتيم حتى كاد يشرف منا العبرات ؟ انه ليخيل الىّ ان مثل هذا الغرام لا أثر له البتة فى الحياة الحقيقية

ثم بسم فى وجهها بسمة مشرقة وقال : ان لم يكن قد أسعدتك الايام بعد من ذلك الضرب البديع ، فأذكر العلى انك ستنعمين عنه وما هو خير منه فى القريب العاجل

ولم تسأل عما كان يشير اليه ، وكانت وهى منزوية فى ركن السيارة تشعر بعاملين متضاربين ، أحدهما المتعة بهذا الغرام الجديد الذى خيل اليها أنه سيكون نجماً مشرقة تسطع فى حياتها للعفة المظلمة ، وأحدهما خوف غامض ، واضطراب مستمر ، فقد كانت التجربة الأولى من نوعها فى حياتها الزوجية ، وما كانت تستطيع أن تعرف ما يمكن أن تكشف عنها

وراحت تختلس النظر الى هذا الفتى ، وتقابل ، عفوا ، بينه وبين زوجها ، فاذا بها ترى فتاها فتى وضاء المحيا ، مشرق الابتسامة ، براق العينين ، حلو النظرات ، والى جانبه رجل مكدود بادى الاعياء ، منغص العيش من فرط ما ناله من التعب ، متهالك على مقعده وهو لا يكاد يحرك ساكنا

وقطع عليها الفتى تيار خواطرها وقال باسما :

ــ لم أتشرف الى الآن باسم سيدتى

فقالت فى اختصار ــ سوسو

ــ ما أبدع وما أحلى وقعه على القلوب

وابتسم لها وقال ـ اسمى كامل

فمالت اختلاجة ابتسامة مثلها ثم قالت : هل لك أن تعود فى غد فى أخشى أن يعود زوجى قبل؟

فبدت عليه مظاهر الدهشة وقال : زوجك ؟

ـــ نعم فهل يدهشك أنى متزوجة ؟

ـــ لولا قولك ما حسبتك قد تجاوزت الثامنة عشرة من عمرك

● ● ●

والتقت به مرة ثانية وثالثة ، وكان كامل قد تبين رغبتها الخفية ، فضرب على وترها الحساس ، وراح ينشد لها أنشودة الحب ، ويرتل فى أذنيها آيات الغرام الصادق المكين ، ويهمس لها بنجوى هواه ، حتى استطاع أن يزلزل نفسها ، وأن يكتسح أمام هذا الهجوم الغرامى العنيف كل ما كان يساورها من خوف واضطراب من زوجها وغاص فى مقدمة عليه مما لا عهد لها به

وراحت سوسو تتمثل كاملا فى ذهنها ، وتقابل بينه وبين سماء الممثلين فى الحب ، أولئك الممثلين الذين طار صيتهم كل مطار ، وذاعت شهرتهم فى كل مكان ، فألفته يتقدمهم ويفوقهم فى أسلوبه ، وأحاديثه الشائقة ، وملحه النادرة ، وفى رشاقة حركاته ، وبديع مغازلاته ، وأن تنس لا تنس تهدج صوته ، والتماع عينيه ، وتخضب وجهه وهو يقول لها الى جانب منعة الحس :

ـــ لو انك اطلعت يا سوسو على ما يكنه لك هــذا القلب من الحب والغرام لعذلت وطرت وسعدت،ولـكنك كتبت أن تروعي وأن تمرعي حوفا على هذا القلب من هول ما يحتويه لك من حب رائع ، وعلى تلك الاضالع أن تتقصف ، فى هذا القلب الصغير بركان ثائر عظيم

وغلبها الحب والخيال على أمرها فكانت أعظم من كامل تلهفا الى اللقاء.

وحل اليوم العصيب،واستقلت السيارة الى جانب كامل، وانطلقت بهما فى طريق مصر الجديدة وكانا يتحادثان فاقتربت منه ، وقالت رداً على سؤاله :

ـــ نعم انى سعيدة . . . بك ، يا كامل

فطوقها بيده اليمنى ، وأدناها منه ، وغلبه الشوق كاملا فأحنى عليها رأسه ، وقبلها قبلة خاطفة وهم أن يعتدل فى جلسته وان يرى الطريق أمامه ، ولـكنها كانت ملهفة الى قبلة طويلة منعشة ، وكانت قد طوقت عنقه بذراعيها فاجتذبت رأسه اليها ، وشدت على عنقه

وكانت قدمه تشتد ضغطا على محرك السرعة فانطلقت السيارة القوية كالسهم ولم ير كامل السيارة الضخمة التى كانت واقفة الى جانب الافريز ، ولم يشعر إلا بهول الصدمة التى وقعت ثم غاب وغابت عن رشدهما . وتجمع الناس حول السيارتين ، وعلت الصيحات من هنا وهناك وتقدم أحدهم وقال :

ـــ نحن على قيد خطوات من المستشفى فلينقلا اليه أولا وتبق السيارتان مكانهما

واستدعي الدكتور خليل لفحص حالة المصابين، فدخل الغرفة التي وضعا فيها

ووقعت عينه على زوجته سوسو ممددة على المنضدة فبهت، واتسعت حدقتا عينيه، وسمر في مكانه. وظل ينظر اليها طويلا، ثم تحرك رأسه في حنق عظيم وفي غيظ ظاهر، وأرسل نظرة الى الشاب الآخر فاذا به يرى شابا أجنبيا لا يعرفه ولا يذكر أن نظره قد وقع عليه يوما

وأبى عقله أن يصدق عينيه فتقدم الى سوسو وتفرس في وجهها، وهو لا يصدق أنه يرى حقا زوجته. وراح يسائل نفسه، ما الذي أتى بها الى هذا المكان؟ وما علاقتها بهذا الشاب؟

وقالت الممرضة وهو ينظر اليها

— أتريد.. أن تعرف.. ما حدث!

وروت له ما سمعته من أن هذين المصابين كانا يستقلان سيارة اصطدمت بسيارة أخرى فحدث ما تراه عيناه. وكان الدكتور خليل يستمع الى حديثها ويفكر في هذا الموقف العصيب، وقد أمسى لا يخالجه شك في أن هذه الزوجة التي كان عظيم الاعتقاد في طهرها وعفافها كانت في رفقة هذا الشاب. وأدهشه ذلك حتى تبلد ذهنه فلم يعد يدري ما يدور حوله، ثم أيقظه من هذا الذهول صوت الممرضة وهي تقول له:

— هل يحتاج سيدي الدكتور الى أحد من مساعديه؟

فأومأ برأسه أن نعم وقال: «طبعا»

وانبعث خاطران عنيفان في ذهنه

لقد خدعته زوجته وغدرت به، ولكن القدر شاء أن يلقي بها وشريكها بين يديه متلبسين بالخيانة، وأهاب به أن يثأر لنفسه ولشرفه، وأن يقضي على حياة أحدهما أو كليهما ان أراد، ولن يعلم أحد

وهب الخاطر الثاني ثائرا غاضبا يسائله أي شرف هذا الذي يريد أن يدافع عنه اذا كان يريد أن يستغل مهنته ويحطها درجة للانتقام من خصمه؟ ثم ألا يكون هو قد خان شرف مهنته ان انتقم لنفسه؟ ان كانت زوجته قد غدرت بشرف أسلمه اليها، فسيكون مثلها ان غدر بشرف مهنته التي سلم اليه، واؤتمن عليه، فاطمأن الناس اليه

وتأرجح بين الخاطرين وظلت الكفتان تتبادلان الصعود والهبوط حتى غلب شرف المهنة، فأسرع الى خلع معطفه قبل أن يغلبه الضعف. وانكب على انقاذ زوجته التي غدرت به وشريكها في هذا الغدر من موت كان محققا

• • •

— خليل!

فقال دون أن يدير نظره اليها، وكان منهمكا في مزج الدواء: نعم؟

— أعرف أنى لا أمل لى فى صفحك وعفوك ، وإن كنت إلى حد ما لا أستحقهما ، ولكنى لا أحب أن تتركنى ومثل هذه الصورة البشعة عالقة بذهنك

وصمتت لحظة ، وظل خليل يعبث بما كان فى يده كأنما هو يسمع ما لا يهمه فى شىء .
واستطردت قائلة

كنت خيالية النزعة ، أشد ما تكون تخيلا ، وأبعد عن حقائق الحياة ، وكنت أعتقد أن كل غرام فى هذه الحياة يجب أن يكون شبيها بما رأته على المسرح العصبى . ولهذا اعتقدت أن قلبك لا يخفق بحبى ، وإنى سأقضى حياتى دون أن أستمتع بالحب ، وسأبقى زهرة شأن ما كنت أحسبه صحيحا مصمما . وكان من أثر هذه النزعة الخيالية الجامحة أن زلت قدمى تلك الزلة الأولى ، على أنى أحمد الله يا خليل إنى لم أسقط فى الهوة التى كنت قريبة أن أتردى فيها لو لم تقع تلك الحادثة للماركيز التى أنقذتنى من هوة السقوط والتى أرتنى البطولة الحقة المجردة عن الإعجاب والتعذيب لبطولتك يا خليل حين أنقذت حياتى وحين أنقذت حياة هذا الشخص فى حين كنت تستطيع أن تقضى على الحياتين معا . والتى أطارت من ذهنى هذه النزعة الخيالية وأرتنى الحياة .. على حقيقتها

وتريثت لحظة ثم استطردت قائلة :

— وما ذكرت لك كل هذا لأظفر بصفحك فلا أمل لى به كما أسلفت ، ولكنى أحب أن تظل صورتى فى ذهنك نظيفة من مثل هذا الدنس وتلك الشوائب

ولزمت الصمت وساد السكون فترة غير قصيرة ثم أدار خليل رأسه فى بطء واختلس نظرة إليها ، ورأى سوسو وقد شردت أنظارها ، ورأى عبراتها تتحدر على وجنتيها دون أن تفكر فى تجفيفها . واصطرع الحب والألم والغيرة فى قلبه ، فظل مطأطئ الهامة كأنما يحمل عصابا

— هل لك أن تسمعى منى ثم لك بعد ذلك أن تتركى . اسمعى أولا فلست أطيق أن أحيا وأنا أحمل على رأسى غضبك

فنظر إليها ونفذ فى عينيها ورأى الألم ، والندم يترجحان فى هاتين العينين ودفعه الحب الحقيقى العظيم فتقدم نحوها ، وأمسك تلك اليد التى امتدت إليه وقال : إنى صفحت فهل تصفحين

فانتثرت دموعها على يده وقالت : إن قلبك لعظيم وإن ذنبى لأعظم

فأحنى رأسه وطوى عنقها بذراعه وطبع على ثغرها قبلة الغفران

أحمد عبد القادر المازني

قطار السباق

[illegible]

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أرقى اعلات العربية

الانتحار

ماله وما عليه

(١) المدافعون عن الانتحار

قال سينكا الفيلسوف الروماني مهذب الامبراطور نيرون :

« ولو كان لي أن أختار بين موت مصحوب بالعذاب والموت الخالي منها ، فهلا أفضل هذا على ذاك ؟ وكما لي أن أختار السفينة التي تقلني والبيت الذي يحويني ، كذلك يجب أن يكون لي الحق في أن أختار الميتة التي أخرج بها من الحياة . وما من شيء يجب أن نعمل لاسترضائه شأنه موافقاً لرغبة النفس كالموت . وليت شعري ، لماذا أتحمل غصص الحياة وآلام الامراض وعذابات الظالمين حالة كوني أستطيع النجاة من جميع ذلك . ان الحياة ليست شراً يحتم على كل أمرىء معاناته . فان كانت تروقك فتمسك بها وابق فيها ، وان كانت لا تروقك فلك الحق في العودة من حيث أتيت »

● ● ●

وقالت شارلوت جيلمان في رسالة كتبتها قبيل انتحارها :

« ولماذا ينكرون على الانسان حق قتل نفسه : انهم يزعمون أولا أن الانتحار جبن ، ويقولون ثانياً إنه خطيئة . وكأني بهم يقولون ان الرجل الشجاع يجب أن يتحمل الآلام والعذابات للرحمة وان يشرب الكأس حتى الثمالة ، وان الرجل المؤمن يجب أن يحمل صليبه بالصبر ولا يحاول ارتكاب خطيئة القتل

« ولكن ما أروع شجاعة ذلك الطبيب الذي علم أن السرطان قد عاث يعشش في جميع أنحاء جسمه ، فتناول مسدسه وأفرغه في جمجمته قائلا : تلذذ لن يبلغ السرطان أربه من جسمي

« ... ان الموت الذي يودي بحياة الانسان بالطريق الطبيعي ليس في الحقيقة كارثة لا تطاق »

سطح جانبي للقطار يبين هيئة عرباته ، وواجهة مدببة من الامام مرطحة من الوراء ، وترى جوانبه غير مستوية في [illegible] شيئاً ما ، كي يقلل احتكاك الهواء بها وصنعت لذلك [illegible]

العربة الخلفية من القطار الانسيابي ، وتكاد تكون مستديرة الشكل ، وهذا القطار معروض الآن بمحطة سانت لازار ليشاهده الجمهور

إذ يسوي بذلك جميع أفراد البشر . فكيف عسى كارثة إذا ما لجأ إليه المرء ليقطع الطريق على الآلام والمصائب التي لا مسوغ لها ؟ »

• • •

وقال كاتب مجهول في رسالة بعث بها إلى مجلة هاربرز

« إني أعتقد أن الذين يحرمون الانتحار وينهون عنه إنما يفعلون ذلك مدفوعين برغبة الدفاع عن النظام الاجتماعي على وجه لا تدعو إليه الحاجة . فنحن ، شعباً ، مضطرون إلى الدفاع عن الحياة وإلى تبيان مزاياها الطيبة . ولكننا ، أفراداً ، لا يجوز لنا المفاضلة بين الموت والحياة لأننا لا نعلم عن الموت شيئاً فليس من العدل أن نوازن بينه وبين الحياة

« وأعتقد أيضاً أن الرغبة في الموت قوية في الإنسان كالرغبة في الحياة . إلا أن الأولى كثيراً ما تظل كامنة في النفوس إلى أن تصبح الشروط التي تفرضها الحياة ثقيلة باهظة . وكثيراً ما يتمنى الذين هم في سن الشباب أن يموتوا في هذه السن وألا يبلغوا الشيخوخة لأنهم لا يودون مواجهة مصائب الزمان . وقلما يريد أحدهم تحمل أعباء السنين وشرب الكأس حتى ثمالتها . وما أكثر الذين يعطفون على ذلك الذي مع فتاته فقال لمن جاءوا يعنفونه ويسمونه المريد : المريد ؟ كلا وألف كلا . . كيف ما عشته ؟

« إن سواد الناس يفضلون احتمال مضايقات الحياة التي لا تطاق على وضع حد لأنفاسهم . وهم يريدون أن يعيشوا إلى أقصى ما يستطاع ، وبذلك يتحملون من الأعباء ما يرزحون تحته »

• • •

وقال توماس أرنو في مقالة نشرتها له مجلة « دي نشرتشمان » : — « لقد زالت الفكرة القديمة التي كانت تقول بأن الذي ينتحر لا يجوز أن يدفن باحتفال رسمي ، بل يجب أن يلقى جثته كما يلقى جثة الحيوان . ولست أدري لماذا يرغم أفراد الجيل الحاضر على الخضوع لنظريات بالية سواء أكانت دينية أم سياسية . ولماذا يضطر الخالق مخلوقين مخلصين إلى أن تنتهي حياته بعد الآلام والعذابات ، ومن يضع حداً لحياته قبل أن تنهكه تلك الآلام والعذاب ؟ »

• • •

وقال بليني الفيلسوف الروماني « إن أعظم عزاء للإنسان في هذه الحياة هو أن الآلهة لا تستطيع أن تفعل جميع الأشياء التي يفعلها . فقد منحت علية نعمة القدرة على الانتحار مع أنها هي نفسها لا تستطيع أن تتمتع بهذه النعمة »

(٢) الذين يستنكرون الانتحار

قال السر أوليفر لودج الفيلسوف الانجليزي : « إن الانتحار هو أقل من جريمة تحمل الغير

درجة واحدة . ولو كنا حريصين على الخير والانتحار يعنى قتل المرء روحه قبل اكتمال نضجها فى الحياة . ترى لماذا يعمد المرء الى مثل هذين الطريقين ؟ انه يعتقد أنه لا شيء بعد هذه الحياة سوى العدم الدائم . ولكن اعتقاده خطأ فان المنتحر لا يتمتع بالفناء ولا يتخلص من عبء الآلام بمجرد خلعه ثوب الجسد . وربما كانت الحياة فى هذه الدنيا محفوفة بالمصائب والآلام فى وسعه أن ينسى تلك المصائب والآلام باهتمامه بخير الاجتماع »

* * *

وقال ماكس هرشوفر فى مقالة نشرتها مجلة ستاتسمنت : « ان المحافظة على النفس غريزة فى الانسان والحيوان على حد سواء . وهذه المحافظة هى عمل أدبى . وكل محاولة لقتل النفس هى مناقضة لكل مبدأ أدبى »

* * *

وقال ملاكشيب الكاتب الأميركى فى مقالة نشرتها مجلة « أميركان مركري » : « ان الذين يسوغون الانتحار يقعون فى مناقضة عجيبة ، فهم يقولون ان الحياة قد تكون حسنة يرتاح اليها ويتمتع بها كل فرد . ولكنهم يعرفون هذا الشيء الذى يمكن أن يكون جميلا – على حد قولهم – إلا إذا وافق هواهم . . على أن جمال الحياة لا يتوقف على العوامل المحيطة بها فقط بل على شعور المرء الداخلى واقتناعه بذلك الجمال »

* * *

وقال جون هاينس هولمز : « ان الانتحار هو الفرار من الحياة . والذى ينتحر يعترف بعجزه عن مواجهة صعاب الحياة وتحمل أعبائها . وهو كالجندى الذى يفر من ميدانه قبل انتهاء المعركة إما بالنصر أو بالخذلان . وبعبارة أخرى ان اقدامه على الانتحار هو بمثابة اعتراف منه بأنه عاجز عن أن يحمل المهام التى أخذ على عاتقه القيام بها فى الحياة »

* * *

وقال توكسودو كانو الكاتب اليابانى : « ان معظم حوادث الانتحار هى نتيجة اليأس والرغبة فى التخلص من حمل أعباء الحياة . والذى ينتحر يعجز عن خوض معمعة التجاريب والظروف . وهو إما ينتحر أملا فى الفرار من عذابات يقاسى من معاناتها ولا يهمه أنه بانتحاره يسبب الآلام المبرحة لأهله وذوى قرباه »

[خلاصة أقوال فريق من كبار المفكرين نشرت فى مجلة دايجست]

التعلل بالأماني

يفسد حياتنا ويفسد مباهجها

في خلال السنين الماضية تسنى لكاتب هذه السطور أن يوجه هذا السؤال الى نحو ثلاثة آلاف شخص وهو: «ما هي أمنيتك في هذه الحياة وما هو غرضك الأسمى؟». وقد أجاب أربعة وتسعون في المائة منهم بأنهم انما يتحملون مضض الحاضر على أمل التمتع بما يبلغهم السعادة في المستقبل!

أمثال هؤلاء الناس هم أهل الرأفة والشفقة. فهم يضحون بحقائق الزمن الحاضر طمعا بما قد يأتيهم في المستقبل. ويعرضون عن العاجل تعللا بالآجل. وسواد الناس هم من هذا القبيل، تجدهم في كل ميدان من ميادين الحياة وهم خياليون يتعللون بالأحلام والأوهام

ففي ميادين الأعمال والوظائف مثلا، تجد معظم الموظفين يقولون في أنفسهم انهم انما يقضون الأيام ويباشرون وظائفهم «مؤقتا» الى ان يتقدم المستقبل بما هو خير من حالة لا تليق بهم، ويضعهم في الحالة التي هم أهل لها

هناك موظفان في مصرف مالي قضت الأزمة المالية بخفض أجرتهما الى نصف ما كانت عليه، فقبل أولهما الخفض متذمرا متململا، وقبله ثانيهما بطيبة خاطر ونية حسنة. وأهمل الأول عمله حتى اضطر المصرف الى صرفه، وأحسن الثاني القيام بواجباته حتى سر رؤساؤه وأعادوا أجره بعد قليل الى ما كان عليه. وفي هذا المثل أبلغ عظة لكل من يتذمر من حاضره ويعلل نفسه بأماني المستقبل

وقد سأل كاتب هذه السطور مرة سيدة متزوجة: «ما هو الغرض الذي تعيشين من أجله؟» فأجابت: «اني أمضي الأيام معللة نفسي بأن أعيش الى أن يحال زوجي على «المعاش» ويتزوج أولادي وإذ ذاك أستريح وأقضي بقية أيام الحياة براحة وطمأنينة». وقد عاشت هذه السيدة حتى أحيل زوجها على المعاش وتزوج أولادها، ولكن زواجهم أورثها الحزن والسقم وقضى عليها. فلو ان هذه السيدة عملت ليومها من دون ان تنتظر غدها، لكانت حياتها أكثر فرحا وأوفر غبطة

وفي الواقع انه ما من امرىء في هذه الحياة يثق بمستقبله ثقة تامة ويعلم ما سوف يحدث له فيه بحيث يجوز له ان يضحي بحاضره. وهذه حقيقة لا يستطيع أحد انكارها. فمن أنكرها أو تجاهلها وجد الحياة مأساة مؤلمة. والعاقل هو من نظر الى حاضره نظرة جد واجتهد

لكل طارئة من طوارىء الزمن الذي هو فيه . هو ذلك الذي ينسى الماضي (إلا ما كان من عظاته) ويتجاهل المستقبل (إلا حيث يجب الاحتياط له) ويبذل منتهى جهده ليربح المعركة قبل ان ينقضي الزمن الحاضر وينضم الى سجل الأحداث . وليس من الشك ان كل ازمة تطرأ على الحياة انما تزيده قوة وتكسبه اختباراً

ومن الأماني التي يتعلق بها الكثيرون أن يأتيهم المال - بطريقة من الطرق - فيستمتعوا به ويعيشوا عيشة الدعة ، ويسافروا سائحين في جميع أنحاء العالم . ولكن الايام تمر بهم سراعاً من دون أن تتحقق أمنيتهم . فلا المال يأتيهم بطريقة من الطرق ، ولا هم يمتعون أنفسهم بالسفر والسياحة . والغريب أن معظم الذين يمتعون أنفسهم بالأسفار والسياحات ليسوا من طبقة الأغنياء ، ولا هم من أهل اليسر ، بل هم من العامة الذين يعيشون في عالم الحقائق لا في عالم الاحلام

والكثيرون من المتعلمين الذين اعتادوا في دور من أدوار حياتهم مطالعة الكتب النفيسة قد يصلون الى سن يستولي فيها عليهم الكسل ، فيكفون عن المطالعة والبحث والاستقصاء ويقولون في أنفسهم : سنقرأ الكتاب الفلاني متى سمح لنا الوقت ، وسنشهد الرواية الفلانية في فرصة أخرى . فهم يؤجلون تغذية عقولهم من يوم الى يوم غير عالمين انهم بعملهم انما يجنون على أنفسهم ويضعفون حب الدرس والاستعداد لان الفرصة التي ينتظرونها لن تسنح لهم على الوجه الذي يرجونه . وعليه تظل عقولهم على ما هي عليه ويظل العالم سائراً في طريقه . ولكن الرغبة الحقيقية فيهم تموت الى الابد

قال احد كبار الكتاب : « انا لو انفقنا عشر دقائق كل يوم في تغذية عقولنا وأرواحنا لكان في ذلك نفع كبير لنا . اما ان نؤجل هذه التغذية من يوم الى آخر او ان نعيش على امل هذه التغذية في المستقبل عندما تسنح الفرصة - ففي ذلك مضيعة الوقت وقتل الفائدة »

انك لا تستطيع ان تتجاهل الحاضر وتتعلق بالمستقبل ، حتى ان شغلت عقلك . ولكن أحسن منه ان تعنى به وبالحاضر معا . والا فانك تكون كمن يعيش في عالم الاحلام والخيالات . انك تعيش في الحاضر سواء أردت أم لم ترد . فهل تريد ان تنفصل منه ولا تحصل لك فيه غاية صالحة تسعى الى تحقيقها ؟ ان الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تحمله معك الى المستقبل هو معرفة قيمة الحياة وكيف تجعل خطة الحاضر محكمة . واذا وضعت هذه الخطة محكمة فانك تضع للمستقبل أساساً متيناً وتكون لك تلك القوة السحرية التي تمنحك كل ما تتمناه في هذه الحياة

[خلاصة مقالة للاستاذ وليم مارستون نشرت في مجلة ماي روتيرز]

الطب يجهل القلب

ما نعرفه عن القلب خطأ ووهم

لا تكاد تصدر جريدة أو مجلة علمية الا ونجد فيها أخبارا عن القلب وعن الامراض القلبية ليس بينها وبين الحقيقة صلة على الاطلاق . ولقد تقدم علم الطب تقدما عجيبا في هذا العصر ومع ذلك فكل طبيب يجهل علة من العلل ينسبها الى القلب . والقلب كثيرا ما يكون بريئا مما ينسب اليه

ان الكثيرين يجهلون أن من خواص قلب الانسان أنه يكيف نفسه بمقتضى البيئة أو الحالة التي قد يكون فيها . بل كثيرا ما يصلح نفسه مما أفسدته العوامل الاخرى . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا إن الاطباء لم يعرفوا القلب معرفة حقيقية الا منذ نحو ثلاثين سنة . فقد كان الطبيب حتى أوائل هذا القرن يضع السماعة (الستثكوب) على الصدر فاذا سمع آثار (خرير) بدت على وجهه علامات الاهتمام وتظاهر بالاضطراب . وكذلك كان يفعل اذا وجد النبض مضطربا ، ولعل أكثرنا يذكر ما كان يشعر به آباؤنا من الذعر اذا ذكر ضعف القلب أمامهم

أما اليوم فان الطبيب الاخصائي في أمراض القلب يعلم ان (الخرير) الذي قد يسمعه في قلب المريض ليس مدعاة للقلق . وان تقطع النبض قد يكون عرضا بسيطا من اعراض تهيج الاعصاب ، وان آثار الاجهاد التي تبدو على القلب او التهاب الرئتين قد تزول من تلقاء نفسها لأنه من خواص القلب انه يصلح نفسه مما افسدته العوامل الاخرى

وفي الواقع ان الطبيب ذا المعرفة المحدودة بأمراض القلب قد يسيء إلى العليل بايهامه ان حالة قلبه تبعث على القلق . لأن هذا القول يزيد الداء استفحالا وقد يقضي على المريض ، والأمثلة على ذلك كثيرة . ومن دواعي الأسف أن المجلات والصحف كثيرا ما تزيد الطين بلة بنشرها إحصاءات عن وفيات يزعم أنها بسبب الأمراض القلبية . ولا شك أن في تلك الاحصاءات مبالغات كثيرة ، بل ان جانبا منها لا يستند الى شيء من الحقيقة . ثم ان القلب هو مرآة جميع أعضاء الجسم . فاذا أصيب أحد هذه الاعضاء بمرض اضطر القلب أن يتحمل جانبا من العبء باعتباره الطلمبة العامة للجسم . ومما يجدر ذكره أن الانسان قلما يموت من مرض واحد فان أكثر الناس يموتون من مجموعة أمراض . وكما أن للثياب أزياء تتغير مع الزمن كذلك لتشخيص الأمراض أزياء . فمرض الشيخوخة قديما هو اليوم ضعف القلب . ولذلك يجب مقابلة احصاءات الماضي باحصاءات الحاضر ، وقد قامت بعض المعاهد الطبية ببحث احصائي دقيق عن انتشار أمراض القلب من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٣٠ فتبين لها أنه ليست ثمة أية زيادة في عدد الوفيات بالامراض القلبية بين الاشخاص الذين

تقل سنهم عن الخمسين . وإنما هناك زيادة طفيفة في تلك الوفيات بين الأشخاص الذين تختلف أعمارهم بين الخمسين والستين

ومن الغريب أن هذه الزيادة حتما ناشئة عن أسباب مستحبة لا مكروهة . فالطب قد خطا خطوات كبيرة في سبيل مكافحة التيفوئيد والحمى القرمزية والدفتريا والسل . وغني عن البيان أن الإنسان لابد أن يموت بمرض من الأمراض . ولما كانت وفاته بمرض من الأمراض المعدية أبعد احتمالا كانت وفاته بعلة قلبية أقرب الى الاحتمال

وليس المهم عدد الذين يموتون بالأمراض القلبية ، بل السن التي يموتون فيها بتلك الأمراض . والغريب أن ظهور أعراض هذه الأمراض إنما يكون على أشده في العقدين السابع والثامن من العمر

ومن الخرافات الشائعة أن قلوب الأشخاص الذين يفرطون في الألعاب الرياضية هي عادة متضخمة وأن هذا التضخم نتيجة الإفراط في الرياضة . على أن هذا التضخم زهيد جداً لا يمكن اكتشافه بأدق الوسائل الحديثة

وإليك طائفة من الأوهام الشائعة بين العامة بشأن القلب :

ان تعاطي الدخان أو الشاي او القهوة — حتى بكميات معتدلة — يضر القلب ضرراً بليغا

وان الرياضة البدنية تضر قلوب الأولاد الصغار

وان العقاقير اذا أعطيت بجرعات معتدلة تؤثر في القلب

وان المشروبات الروحية — الكحولية — تؤثر في القلب أكثر من تأثيرها في أي عضو آخر من أعضاء الجسم

وان برودة اليدين أو ازرقاق لون بشرتهما أو الخفقان أو سرعة التنفس — كل ذلك دليل قاطع على أن القلب مصاب بمرض عضوي مع ان الواقع قد يكون خلاف هذا

● ● ●

وتدل المباحث الطبية على أن أمراض القلب المزمنة ناشئة عن أربع علل رئيسية وهي : الزهري ، وحمى المفاصل ، وضغط الدم العالي ، وتصلب الشرايين

فالزهري يؤثر — لا في القلب وحده — بل في جميع أعضاء الجسم . ومن حسن الحظ أن في وسع الطب معالجته . ولو أمكن محو الزهري من العالم لزال على الأقل عشر الوفيات بالأمراض القلبية . أما حمى المفاصل فلم يتقدم الطب في مكافحتها حتى الآن . وربما كان ضغط الدم وتصلب الشرايين هما علة معظم الأمراض القلبية

ومن الأوهام الشائعة أن بعض أصناف الغذاء تسبب ارتفاعا في ضغط الدم . ولعل الأصح أن يقال ان الإفراط في تناول بعض الأغذية الغنية بالمواد البروتينية (كاللحم والسمك والبيض والجبن)

قد يؤدي الى زيادة الهم . ومن الامور المسلم بها أن الافراط في الاكل قد يؤدي الى السمن ، والاشخاص السمان اقصر عمراً — كما تدل الاحصاءات — من النحاف ، لان قلوب الاولين تضطر الى بذل مجهود كبير لسحب الدم وتوزيعه في الجسم

ومن الامور المعروفة أيضاً ان مقتضيات المعيشة في المدن تساعد على انتشار الامراض القلبية . وسكان الارياف — حيث الشمس والهواء الطلق — أقل تعرضاً لتلك الامراض . والرجال أكثر تعرضاً لها من النساء . والجهاز العصبي في الجسم والغدد الصم علاقة بالامراض القلبية أقوى مما يتصورها الناس عادة . فالغدة الدرقية والغدة الكظرية مثلاً تفرزان في الدم مواد تحمل القلب مجهوداً فوق طاقته

والمهم من كل ما تقدم ان نعلم ان أكثر ما يقال عن القلب وعن الامراض القلبية لا ينطبق على الواقع وان هذه الامراض ليست في ازدياد

[من مقالة للدكتور [illegible] نشرت في مجلة ريدرز دايجست]

هبوط قيمة المرأة

واخفاق النهضة النسائية

مما يسترعي انتباه الناس في جميع انحاء العالم أن مركز المرأة بعد الحرب العظمى الماضية يختلف عما كان عليه قبل تلك الحرب ، وان قيمتها الأدبية قد هبطت هبوطاً محسوساً . نعم انها لا تزال في بعض البلدان تجاهد في سبيل الحصول على حقوقها السياسية والقانونية — كما في فرنسا مثلاً — ولكنها في البلاد الاخرى قد نزلت عن مرتبتها السامية وخضعت لتطور الاجتماع . فالنظام الفاشستي في ايطاليا يعاملها بشدة وينص لها صراحة أن وظيفتها الوحيدة هي أن تكون أماً . وفي انكلترا قد أصبحت حشواً لا لزوم له إلا لتزيين المنزل . وفي البلاد الاخرى يقولون إن عدد النساء قد زاد حتى صار يجدر بكل رجل أن يتزوج اثنتين

وفي الحقيقة أن عدد النساء في العالم قد أصبح اليوم أكثر من عدد الرجال . ولكن هذه الكثرة العددية لا تغني الجنس اللطيف عما فقده من مقامه الادبي . وقد صدق من قال ان المرأة في هذا العصر تجري وراء اعمال جنسها واصلاحه وقد أورثها ذلك اضطراب مركزها أيضاً . فالنهضة النسوية التي شهدها العالم منذ نحو ثلاثين سنة والتي كان غرضها تحرير المرأة قد انتهت الى الاخفاق ، والدعوة التي قامت بها زعيمات النساء واستوجبت اعجاب العالم أجمع آلت الى الزوال ،

وصار الرجال يميلون الى تصديق النظم الدكتاتورية والتسليم معها بأن وظيفة المرأة الوحيدة هي أن تكون أماً . ومن دواعي الأسف أن المرأة في بعض الممالك لا تسلم بهذا قلباً ولا تصدق أن وظيفتها الوحيدة هي الامومة . وما ذلك إلا لأنها تريد الذهاب الى أقصى المستطاع لتتمتع بمسرات الحياة ، وهذا التمتع لا يتفق ووظيفة الامومة

وغني عن البيان ان المرأة في معظم أنحاء العالم قد نالت من الحرية قسطاً وافراً وصار لديها متسع من الفراغ بسبب شيوع الآلات والادوات المنزلية التي تغني عن جانب كبير من الاعمال اليدوية . ولكن الاختبار قد أثبت أنه كلما زاد فراغ المرأة نقصت قدرتها على العمل . فهي تضيق اليوم بالشؤون المنزلية من طبخ وكنس وغسل وكي ورفو وخياطة وحفظ حرب . فكل عمل من الاعمال المذكورة يمكن اختصاره اليوم بالآلات والادوات المنزلية التي تغني المرأة عن كثير من التعب الذي كانت تعانيه

ثم ان هنالك اختراعات أخرى — غير التي تعين ربة الدار على الاعمال اليدوية — تعينها على قتل السآمة والضجر . فالبيانو والتليفون والراديو والسينما — كل هذه تساعدها على ملء فراغها وقتل سآمتها . بل إن دور السينما في بعض المدن تفتح أبوابها في الصباح لتؤمها النساء اللواتي لا يعرفن كيف يملأن الفراغ

ويقولون لك ان المرأة تملأ فراغها بما يجتمع تشجيعها للفنون الجميلة . فهي تغشى دور السينما والأندية الموسيقية ومعاهد التمثيل وغيرها لملء الفراغ من وقتها ، ولكنها في الوقت عينه تشجع أنصار الفنون الجميلة والقائمين بها . ولولاهن لأغلقت تلك الدور والأندية ولحرم العالم لذة التمتع بها

وفي الواقع ان المرأة لا يهمها إلا ما يقع حولها ، ولا تعنى إلا بما يقع تحت حواسها . ولذلك تراها تحجم عن الكثير من الشؤون السياسية — إلا ما كان ماساً عصبها — ولا تهتم للمشاكل الدولية ولا الاستعمارية ولا حلولها . واذا اضطرت الى كسب قوتها عرفت حسبها فهي تفضل العمل في مصنع أو متجر أو حانوت على الذهاب الى المستعمرات حيث قد يكون حظها من النجاح أكبر

وعندما تدخل المرأة ميادين الاعمال تدرك لأول وهلة أن حولها من المنافسات من أفراد جنسها أكثر مما تحتمل الحال . والغريب أن الرجال قد يعملون معاً جنباً الى جنب — وأما النساء فقلما يحتملن بعضهن البعض وان كن أقدر من الرجال على كتمان ما يشعرن به . وفي الواقع أنهن أقدر على رؤية ما في غيرهن من أفراد جنسهن من شوائب ومعايب

ومن قبيل تحصيل الحاصل القول بأن المنافسة بين النساء قد بلغت أقصى درجات الحدة ، وهذه المنافسة تحمل كلا منهن تسعى الدور على منافستها بتجميل وجهها وتحسين مرآها ، حتى لقد

أصبح همها الوحيد ـ إذا كانت تعمل في مصنع أو محل ـ أن تكون جميلة الشكل جذابة للأعين حسنة الهندام لكي يعجب بها كل من يراها. حتى إن خزانة ثياب المرأة هي مصنع الأسلحة والذخائر التي تحارب بها أفراد جنسها، والثياب عندها هي الأسلحة، والأزياء ـ الموضة ـ هي الخطط الحربية.

وفي الواقع أن المرأة تعلم أنها إذا أرادت أن تحتفظ بما لها من السلطة على الرجل أو الحظوة لديه يجب أن لا تبدو أمامه دائماً بثوب معين، بل أن تبدو كل يوم بثوب جديد. وحب الظهور بأثواب جديدة أصبح في بعض البلاد منها في غيرها، ولكن خلق المرأة هو هو في جميع أنحاء العالم تغرى بشهوتها، وهي تطلب الثياب الجميلة لتستهوي الرجل من جهة، ولتتفوق على منافستها المرأة من جهة أخرى.

ومما يجدر بالذكر أن الشعور بالحياء عند المرأة هو اليوم أضعف مما كان في الماضي. وسبب ذلك كثرة اختلاطها بمجتمعات الرجال والإصغاء إلى أحاديثهم ولذلك تراها تسمع اليوم من الرجل قصصاً ما كانت جدتها لتسمح لأحد بأن يلقيها على مسامعها. وهي بدلاً من أن تؤنب الرجل على تلك الأقاصيص تشجعه على مواصلتها غيرها وتضحك منها ملء فيها.

ولم تكن المرأة قط تدعي المساواة بالرجل في كل شيء كما تدعي اليوم، مع أن المساواة في كل شيء ليست في مصلحتها ولا مصلحة العمران في شيء. أجل إنها تتعلم اليوم في المدرسة جنباً إلى جنب مع الرجل، ولكن هذا التعلم لا يفيدها شيئاً فهي لا تخترق المعمعة ولا تتحمل الجيش ولا تزاول المحاماة ولا تشتغل بالوزارة ولا تلبس ثياب الكهنوت ولا تشغل المناصب السامية في الشركات المالية والصناعية. فتحصيلها في المدرسة قلما يفيدها في معترك الحياة. فهي لن تشتغل بالرياضيات ولا بالجبر ولا بالهندسة ولا شيء من ذلك إلا إذا كان مفروضاً عليها بمزاولة مهنة التعليم. وهذا دليل على أن نظام تعليمها يجب أن يكون عملياً وأن يرمي إلى ما يفيدها في معترك الحياة. أما إخضاعها لنظام التعليم الذي يخضع له الرجل فليس من الحكمة في شيء. وعلى كل فإن تطور نظام الاجتماع قد خفض من قيمة المرأة الأدبية بوجه الإجمال. أي أن الرقي الحقيقي لم يشمل الناحية الأدبية أو المعنوية منها.

[ملخص مقالة للأستاذ [illegible] نشرت في مجلة [illegible]]

مغامرات بحار مخاطر

أسرار شائقة عن الحرب الماضية

من أغرب ما امتازت به الحرب العظمى الماضية دقة المعلومات التي كانت تحصل عليها وزارة البحرية البريطانية عن حركات الأساطيل الألمانية . فكثيراً ما كانت السفن الألمانية تبث الألغام سراً في منطقة معينة ، فلا ينقضي اليوم حتى تكون السفن الانجليزية قد طهرت تلك الألغام . وقد نشرت وزارة البحرية البريطانية أخيراً كتاباً أذاعت به سر حصولها على المعلومات الوثيقة عن حركات الأساطيل الألمانية . وخلاصة ذلك أنه كان في البحرية البريطانية في سنة ١٩١٤ غواص يدعى ميلر ، اشتهر بين رفاقه بالجرأة والشجاعة وقدرته على الغوص واحتماله ضغط الماء طويلا

وفي ذات يوم أصدرت وزارة البحرية أمرها الى الغواص ميلر ، بأن يذهب الى نقطة معينة في البحر قريبة من سواحل « كنت » وكان الانجليز قد أغرقوا فيها غواصة ألمانية ، على أن يغوص ويأتي ببعض المعلومات عن آلة معينة كانت في تلك الغواصة . فأطاع ميلر الأمر وغطس الى حيث كانت الغواصة ودخلها عن طريق ثقب كبير كان الطوربيد الذي أغرقها قد أحدثه في قعرها . وكان ميلر يحمل بيده مصباحاً كهربائياً قوياً ، فما دخل غرفة القائد حتى عثر على صندوق حديدي فيه كتب وأوراق ، فحمله وعاد به الى سطح الماء . وكانت تلك الكتب والأوراق تشتمل على « مفتاح الشفرة » السرية التي كانت السفن الحربية الألمانية تتخاطب بها في زمن الحرب . وكانت تلك الشفرة أنواعاً ، ومنها نوع خاص بالتخاطب مع القيادة العليا . وكانت الأوراق تحتوي أيضاً على خرائط للمناطق التي كانت الأساطيل الألمانية قد بثت فيها الألغام

وفي ذات يوم غطس ميلر على غواصة ثانية أخرى كان الانجليز قد أغرقوها على كثب من سواحل يوركشير . وكانت هذه الغواصة قد استقرت في قاع البحر بين صخور يصعب الورود في وسطها ، فاضطر ميلر أن يعود الى سطح الماء ويأخذ قنبلة خاصة يعود بها الى قاع البحر لنسف الصخور واختراق طريق للوصول الى الغواصة ، وهكذا كان . ولا تسل عن فرح ميلر إذ عثر في داخل الغواصة على صندوق حديدي مملوء بالأوراق والمستندات كالصندوق الذي عثر عليه في المرة الأولى . وقد اتضح فيما بعد أن هذه الأوراق والمستندات كانت تحتوي على « مفتاح » جديد للشفرة البحرية الألمانية وعلى خرائط حديثة لمناطق الألغام

وبلغ عدد الغواصات التي غطس عليها « ميلر » مما أغرقه الحلفاء ستين غواصة . وفي كل مرة كان يكتشف « مفاتيح » شفرة حديثة وخرائط لمناطق الألغام . وكان الحلفاء يستعملون هذه

هذه المعلومات في محاربتهم للالمان ، وهؤلاء يبحثون كيف يعرف الاخير أسرارهم

وغاص ميلر مرة على غواصة كانت قد أغرقت على مقربة من ساحل دوفر ، فرأى منظراً تقشعر منه الأبدان ، إذ رأى جثث الضباط والجنود وكأنها لا تزال على قيد الحياة وقد علا وجوهها الهلع والذعر . ويظهر أن الضباط حاولوا جميعهم فتحا رصاص المسدسات فراراً من عذابات الموت بالاختناق . والذين ظلوا بعد ذلك انتحروا . وكان الدم في جثثهم لا يزال ساخناً

ويقول ميلر انه في كل مرة كان يغوص فيها وراء الغواصات كان يجد الاسماك والحيتان والحيوانات البحرية المفترسة عاكفة على جثث النوتية الغرقى تنهشها نهشاً . والى ميلر يرجع الفضل في انقاذ شحنة من الذهب قيمتها خمسة ملايين جنيه كان الالمان قد أغرقوها مع الباخرة « لورنتك »

ولما وضعت الحرب أوزارها كوفئ ميلر بسخاء ، وأنعم عليه الملك جورج بوسامين رفيعين ، ودعاه هو وزوجته لزيارة قصر بوكنجهام حيث قص على الملك والملكة أخباراً مدهشة عن كيفية مكافحة حرب الغواصات

[خلاصة مقالة لكاتب مجهول نشرت في مجلة ستردي اڤننج بوست]

ماذا أفادتنا الحرب الاسبانية

دروس حربية وسياسية حديثة

كانت الدبابات من أهم أدوات القتال التي ظهرت في أثناء الحرب العظمى الماضية ، ويقول النقاد الحربيون إن الفضل الأعظم في انتصار الحلفاء في تلك الحرب يرجع الى تلك الدبابات والى ظهورها بعنصر المفاجأة . وعنصر المفاجأة من أهم عوامل الانتصار في ميادين القتال

وفي اسبانيا اليوم حرب طاحنة سيكون للدول الفصل في نتيجتها ، وجميع القواد العسكريين يراقبونها عن كثب ليستخرجوا منها العظات ، وأول عبرة يستفيدونها منها هي ازدياد قوة وسائل الدفاع . فالمدافع السريعة الحديثة تحصد المهاجمين حصداً رائعاً وتجعل هجومهم مغامرة خطرة . ولقد كان اختراع الدبابة في الحرب الماضية في مصلحة المهاجمين . فكانت الدبابة تهجم على الأعداء وتخترق صفوفهم غير عابئة بالعوائق والحواجز — من خنادق وحفائر وأسلاك شائكة — إلا أن آلة حديدة ظهرت في الحرب الاسبانية الأهلية وهي المدفع المقاوم للدبابات . وبفضل اختراع هذا المدفع صار في الامكان وقف هجوم الدبابة مواجهة . وهذا دليل على ازدياد قوة الدفاع في الحروب

ولكن يجب أن لا نسرع الى استنتاج النتائج الخطيرة على هذه القصة والى القول بأن عصر الدبابات قد انقضى . فستظل الدبابة من أهم أدوات القتال بشرط زيادة سرعتها وتحصينها ،

بحيث تتمكن من اجتياز المدفع المقاوم . وبعبارة أخرى يجب أن يكون مع كل دبابة مهاجمة دبابة تحميها من المدفع المقاوم لها

ومما يجدر بالذكر أن الحرب في اسبانيا قد أثبتت أن الدبابات قد فقدت مفعولها الحاسم ، ولهذا عدة أسباب أهمها أن القائمين باستعمال الدبابات وإدارتها ليسوا ذوي دراية بها ، والدبابات نفسها مصنوعة صنعة رديئة ، والقيادة العليا التي تتولى استعمالها لم ترسم لها خطة حربية ملائمة . وكثيراً ما تتحطم الدبابة في أثناء سيرها لسقوطها في هوة أو صدمها صخرة أو قد تتعطل بسبب علة ميكانيكية كل ذلك يجعل حكماً على الدبابات غير صحيح . ومما يجدر بالقول أن الذين يسوقون الدبابات في اسبانيا في الحرب الحاضرة لا يحسدون على مهمتهم فإنهم أشق الجنود في الحرب

وليس لدينا احصاءات دقيقة عن عدد الدبابات التي لدى كل من الفريقين المتحاربين . والأرجح أن لدى الحكوميين حوالى دبابة ، ولدى الوطنيين نحو أربعمائة إلى خمسمائة دبابة . وقد أثبت الاختبار أن الدبابات الإيطالية أخف وأضعف من غيرها ، وأن الدبابات الروسية أفضل منها ومن الدبابات الألمانية أيضاً . ولا يجوز توجيه انتقاد كبير للأخيرة لأن معظمها صنع سراً تحت ستار التكتم

ويكاد يكون من المحقق أن الدبابات تخفق في هجومها إذا كانت للمدافع المقاومة لها متوافرة ، إلا إذا لجأت الدبابات إلى المفاجأة . أضف إلى ذلك أن القوم في اسبانيا قد استنبطوا وسائل أخرى لمقاومة الدبابات وذلك بإطلاق القنابل اليدوية عليها ثم رشها بالقذوفات البترولية المحرقة فتشتعل الدبابة ويحترق الذين في داخلها إذ لا يستطيعون النجاة

وقد أثبت الاختبار أيضاً أن المدفع الألماني لمقاومة الدبابات هو أفضل المدافع التي من نوعه

أما باعتبار الحرب الجوية فإن العبرة التي نستخلصها من الحرب الاسبانية هي أن الطيارات ليست سلاحاً حاسماً ، وليس في وسعها كسب الحرب ، وإن كان الدمار والأضرار التي تلحقها بالمحاربين وغير المحاربين عظيماً جداً . وتدل اختبارات الحرب الاسبانية على أن الطيارات الروسية والطيارين الروس أفضل من الطيارات الألمانية والإيطالية والطيارين الألمان والإيطاليين . إلا أن الطيارات الإيطالية أمتن وأحسن من الطيارات الألمانية . وإذا كان لدى الجنرال فرنكو طيارات أكثر مما لدى الحكومة الاسبانية ، فإن الطيارات التي لدى هذه أقوى وأفضل . أما ضعف الطيارات الألمانية فسببه أن معظمها صنع سراً لأن معاهدة فرساي كانت تحرم على ألمانيا أن تصنع

ولننظر الآن إلى المدافع المقاومة للطيارات ، فلدى الألمان منها مدفع عيار قذيفته ٨٨ مليمتراً وتصل إلى ارتفاع ٣٦ ألف قدم ، ويطلق هذا المدفع خمس عشرة طلقة في الدقيقة . وهنالك مدفع آخر أصغر منه عيار قذيفته ٣٧ مليمتراً ولكنه شديد الفتك أيضاً . ولا شك أن أفضل سلاح قدمته ألمانيا لصديقها الجنرال فرنكو هو المدافع المقاومة للطيارات

[خلاصة مقالة للجنرال غولوفين في مجلة فورين أفيرز]

جنون الجماهير بالمال

شعوب تصاب بالجنون سعيا وراء الثروة

قال جون لوك الفيلسوف الانجليزي المشهور: «إن الفرق بين الجاهل والمجنون هو أن الجاهل يستخلص نتيجة خاطئة من مقدمات صحيحة. والمجنون يستخلص نتيجة صحيحة من مقدمات خاطئة فالمجنون الذي وجد رجلا نائما فقطع رأسه ليرى ماذا سيقول متى استيقظ، لم يخطىء في النتيجة التي استخلصها وهي أن النائم إذا استيقظ ووجد في حالته تغيراً تساءل عن سبب ذلك التغير. ولكنه أخطأ في مقدماته إذ فرض أن الرجل سيظل حيا بعد فصل رأسه عن جسمه»

وكما أن الجنون يصيب الأفراد كذلك قد يصيب الجماعات. والحوادث التي تدل على جنون الجماعات كثيرة تملأ صفحات التاريخ، وأكثرها — إن لم نقل كلها — خاصة بالشؤون المالية. ومن دواعي الأسف أنه لم يحاول أحد من المؤرخين أن يدون بالتفصيل حوادث الجنون الاجتماعي الذي أصيب به البشر من وقت الى آخر وكاد يزعزع أركان الحضارة

فقد حدث في التاريخ أن شعوبا وجماعات بأسرها كانت تصاب بشيء من الجنون في سبيل السعي وراء المال، وأن الملايين من الافراد كانوا يجرون وراء ثروة وهمية لا وجود لها إلا في مخيلاتهم. وإذا نحن ذكرنا الثروة فليس ذلك لأنها السبب الوحيد الذي يبعث على جنون الجماعات. فصفحات التاريخ ملأى بعوامل أخرى من عوامل ذلك الجنون. وقد جمع تشارلس ماكي في كتاب نشر في سنة ١٨٤١ تاريخ عدة عوامل كانت من أسباب ذلك الجنون. وفي مقدمة ذلك الكتاب أن للأفراد كما للجماعات أوهاما وتصورات، وقد يبدو لهم وهم يندفعون وراءها لا يلوون على شيء ولا يكترثون لشيء، فبعضهم يندفعون وراء المجد وغيرهم يندفعون وراء الثروة وآخرون وراء غرض ديني. وما الحروب الصليبية في العصور الوسطى سوى مثل من أمثلة جنون الجماهير في سبيل الدين. فقد صور لهم التعصب الديني أن عليهم بذل السعي لاستخلاص أرض المقدس واسترجاع قبر المسيح. وفي ذلك تدافعت شعوب أوربا نحو الشرق. وفي العصور المتوسطة أيضا أنفقت الجماهير نفس أموالها في سبيل البحث عن حجر الفلاسفة. وارتكبت في سبيل ذلك جرائم لا عداد لها. وصار الشعراء والمغامرون يستنبطون مختلف أنواع السموم ولا يحجمون عن تجربتها في غيرهم حتى صار تسميم الناس أمرا متفشيا لا يقترن ارتكابه بشيء من وخز الضمير. بل إن الرجل في ذلك العصر كان يقتل أخاه ولا يشعر بشيء من وخز الضمير أكثر مما يشعر به أحدنا اليوم عندما يقتل بعوضة. والغريب أن عادة التسميم انتشرت بين سيدات الطبقة الراقية في ذلك العصر حتى كن يتنافسن في عدد ضحاياهن

ومن ضروب جنون الجماهير — ولا يزال باقياً الى هذا اليوم في بعض الأنحاء — عادة المبارزة التي نشأت في الأصل بين الشعوب المتوحشة وتفشت بين الشعوب المتمدنة.

ومن تلك الضروب أيضاً المضاربات المالية المتفشية حتى الآن في معظم البلاد المتمدنة. ولعل أغرب تلك المضاربات ما كان خاصاً «بزهرة الخزامى». فقد بلغ من مضاربة الناس بها في هولندا في القرن السابع عشر أن هولندا كلها كادت تفلس، فافتقر أكثر الأغنياء وضاعت ثروتهم. قيل انه لم يكن في هولندا أحد يومئذ لا يضارب ببصيلات تلك الزهرة. وكان يؤتى بها من تركيا. وكان الناس يتنافسون في اقتناء الأصناف النادرة منها. وبلغ ما دفعه أحدهم في أربعين جذراً أو بصلة منها ما يساوي ثمانية آلاف جنيه بنقود ذلك العصر. وقيل ان غيره دفع ما يزيد على ذلك كثيراً. وكان سماسرة الخزامى يكسبون الأموال الوافرة بالبيع والشراء كما يفعل سماسرة البورصة في هذا العصر. وتاريخ هولندا مملوء بأخبار الثروات الطائلة التي كان الناس يكسبونها أو يخسرونها يومئذ في طرفة عين. قيل إن الألوف من ملاك البيوت والأراضي كانوا يبيعون أملاكهم بأثمان بخسة ليضاربوا. وأصيبت تجارة البلاد من جراء ذلك بخسائر فادحة حتى ضاقت الحكومة ذرعاً بالمضاربين وحارت في أمرها. ومع انها سنت القوانين لتقييد المضاربة إلا انها لم تستطع انقاذ الناس من الخراب والافلاس. ولم يرجع القوم عن جنونهم إلا بعد ما انتبهوا واذا أموالهم قد اضمحلت واذا الأغنياء منهم قد أصبحوا معوزين.

• • •

ومما وقع للهولنديين من جنون المضاربات وقع مثله للفرنسيين والانكليز، والأمثلة على ذلك لا تحصى. ومنها المضاربة التي اكتسحت فرنسا «بأسهم» مشروع وهمي يعرف بمشروع المسيسبي. ومؤسس ذلك المشروع رجل يسمى «جون لو» كان صديقاً للدوق دورليان الوصي على عرش فرنسا بعد وفاة لويس الرابع عشر. وكانت فرنسا يومئذ في حالة مالية يرثى لها. فأشار «جون لو» على صديقه الدوق دورليان بخفض قيمة النقد الفرنسي بنسبة الخمس. فربحت الحكومة من ذلك ربحاً عظيماً. واستطاعت ان تكفل للفرنسيين تخفيف الضرائب، وعاد الرخاء الوهمي الى فرنسا ردحاً من الزمن. ولكن رد الفعل ما لبث ان ظهر بعد ذلك. فخطر «لجون لو» انشاء شركة يكون لها وحدها حق التجارة على نهر المسيسبي وفي ولاية لويزيانا. وبعد قليل حولت تلك الشركة الى «بنك فرنسا الملكي». وأصدر هذا البنك أوراق بنكنوت بما قيمته ألف مليون «ليرة» من دون أن يكون لديه أي كمية من «الغطاء الذهبي». فانتشرت أوراق البنكنوت في طول البلاد وعرضها. وأصيب الناس بشبه جنون فأصبحوا يضاربون ويشترون «أسهم» شركة المسيسبي. ولم يسلم أحد في فرنسا من تلك المضاربة حتى كان الأمراء والكبراء والوجهاء يسعون الى مركز الشركة لشراء «أسهمها» ويضطرون الى الوقوف في الشارع ساعات طويلة حتى يجيء دورهم

وارتفعت أسعار الميسيسبي على أثر ذلك الرخاء الوهمي ، وبمرور الزمن فترت حماسة المضاربين فاستيقظوا من نشوة الأحلام التي كانوا فيه ورأى بعضهم أن يستبدلوا بأسهمهم نقوداً ، ولم تنجل لهم الحقيقة إلا حين ثبت لهم أنهم لا يستطيعون أن يقبضوا مليماً واحداً ثمناً لتلك « الأسهم » ، وأن الثروة التي كانوا يملكونها لم تكن سوى ثروة وهمية مؤسسة على الغش والخداع . وحاولت الحكومة الفرنسية إعادة الثقة إلى ورق النقد فكانت النتيجة أن قيمة النقد نفسه هبطت . وأدى ذلك إلى الذعر إلى حملة أسهم الميسيسبي ، وما هي إلا أيام حتى أفلست مصارف وبيوت مالية كثيرة ، وحوكمت شركات لا عداد لها . وعلى أثر ذلك أنشئ بنك فرنسا على أساس مالي صحيح فعادت الثقة إلى نفوس الناس

* * *

وحكاية شركة الميسيسبي تشبه حكاية شركة أخرى أنشأها « إيرل أوف أكسفورد » سنة ١٧١١ باسم « شركة البحار الجنوبية » وكان الغرض منها احتكار التجارة في جميع أنحاء القارة الأمريكية وما كادت « أسهم » هذه الشركة تطرح للبيع حتى خاطفتها الأيدي وارتفعت أثمانها ارتفاعاً فاحشاً ، وصار كل من يملك أرضاً أو عقارات يبيعها ليشتري بثمنها « أسهم » الشركة المذكورة . وكان الناس كيفما ساروا في إنجلترا وأمريكا الجنوبية لا يسمعون إلا أخبار الشركة والأرباح الوافرة التي ستعود على أصحابها وعلى جميع الذين اشتروا « أسهمها » ، وكان يخيل إلى من يسمع تلك الأحاديث أن الشعب الإنجليزي على بكرة أبيه قد تحول إلى مجموعة من المضاربين . وكان كل فرد يعلل نفسه بأنه سوف يصبح في المستقبل ذا ثروة عظيمة . ومما زاد الأمر انتشاراً أن عدة شركات فرعية نشأت من « شركة البحار الجنوبية » ومن هذه شركة قيل إن غرضها استنباط دولاب (عجلة) للحركة الدائمة . وشركة أخرى غريبة جاء في إعلان تأليفها « أنها تقوم بمشروع عظيم الفائدة ولكن لن يعلم أحد ما هو » ومع أن هذا الإعلان نفسه كان يكفي لإلقاء الريبة في نفوس الناس إلا أنهم أقبلوا على ذلك المشروع إقبالاً مدهشاً وكانوا يتدافعون بالمناكب لشراء « أسهمه » الغريبة وثمن كل سهم مائة جنيه . وقد بيع من تلك « الأسهم » في صباح يوم واحد ما قيمته مائة ألف جنيه . ولم يمض زمن طويل حتى أفلس جميع الذين اشتروا تلك الأسهم ، وفر مروجو الشركة من إنجلترا وفي طرفة عين تلاشت ثروات طائلة

هذا قليل من كثير من أنباء جنون الجماهير . وهو دليل على طمع الناس وتصديقهم كل ما يروى لهم من أخبار جمع الثروات الطائلة . ولو عقلوا لأدركوا أن خلق شيء من لا شيء محال وأن المال لا ينمو من دون رأس المال ، وإطلاق المال على أمل مضاعفته في طرفة عين — كل ذلك من مظاهر جنون الجماهير ... وستظل الجماهير عموماً تسعى وراء المال ووراء الخيال

[خلاصة مقالة للأستاذ روبرت مورتن نشرت في مجلة بوسطن بوست]

تقدم العلم والعالم

المواد المعقمة

اكتشف الانسان عدة مواد كيماوية تقتل الجراثيم والمكروبات على اختلاف أنواعها والاطباء يسمون هذه المواد المواد المعقمة أو المطهرة ولعل مقدمتها مادة حامض الكربوليك . ولعلها أوسع تلك المواد انتشاراً وأكثرها استعمالا وقد استعملها اللورد لستر شيخ الجراحين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لتطهير جروح العمليات . ولا يزال الجراحون يستعملونها الى هذا اليوم

ثم إن ليستر في انجلترا وباستور في فرنسا كانا أول من نبه الى وجوب تعقيم الجروح بالمواد الكيماوية . وكان العلماء قبلهم قد حاولوا اكتشاف مادة كيماوية معقمة ثم وفقوا الى ذلك توفيقا عظيما . وكان بعضهم يشير باعطاء البخور والمواد العطرية وما أشبه في غرفة العليل لطرد الميكروبات . وزعم أطباء القرن التاسع عشر أن الخل مادة معقمة . على أن العلم قد أثبت اليوم أن الحرارة هي أحسن الوسائل لقتل الميكروبات شرط أن تصل الى درجة معينة من الشدة . كما أن هنالك مواد كيماوية أخرى كمحلول السليماني واليود والفينول والكلوريد والبرمنجنات وطائفة أخرى لا نكاد نحصي من المواد

على أن الصابون هو من أفضل المواد المعقمة التي هي في متناول الجميع . وقد أثبت الاختبار أنه يقتل أكثر الميكروبات المعروفة ان لم تقل كلها . ولا شك أن استعماله يقي المرء امراضا مختلفة وشروراً أعظم

مخدر جديد للاسنان

من أنباء المجلات الطبية الاميركية أن الدكتور لوسرمان من كبار أطباء الاسنان بمدينة نيويورك وفق الى اكتشاف مخدر للاسنان يخدر كل ألم مهما كان شديداً ، حتى إنه يصلح للاستعمال عند خلع الاسنان . وقد جربه المكتشف في مئات من المرضى فكانت النتيجة تدعو الى أشد الارتياح . ويسمى هذا المخدر « نسول ابيو بروان » وقد فحصته لجنة من أطباء الأسنان بجمعية كولب بالولايات المتحدة فاتضحت لها فائدته وشرع أطباء مستشفى « بيت اسرائيل » (وهو من أكبر مستشفيات الاسنان بمدينة نيويورك) في استعماله على نطاق واسع

برودة الماء

من طبيعة الانسان أنه يميل الى شرب المثلوجات والمشروبات المبردة كلما اشتدت حرارة الجو المحيط به . ولا يشرب الماء في الصيف إلا اذا كان مبرداً . ومع أن الماء المبرد أو المثلوج قد يصلح بيئة للميكروبات فان المعدة لا تهضمه بالسرعة التي تهضم بها الماء الذي تكون درجة برودته متوسطة . وقد قام بعض الاطباء بمباحث ثبت لهم منها ان أفضل ما يكون ماء الشرب على درجة خمسين (مقياس فهرنهيت) من البرودة

فائدة الأفاويه

الملح من المواد اللازمة لغذاء الانسان والحيوان على السواء . ويظهر أن البشر كلما تقدموا في الحضارة احتاجوا الى ملح أكثر في طعامهم ويقال ان الانسان بدأ استعمال الملح في جميع موائده الغذائية منذ العصر الحجري ، وانه اعتاد يومئذ أن يلحس الصخور التي يتحجر عليها الملح . ومما تقدم في الحضارة واتسع الى تيار الترف صار يستعمل مختلف الافاويه والتوابل لتسهيل هضم أطعمته وجعل طعمها مقبولا . ذلك لأن امعاءه في المدنية وفي أسباب الترف أصبحت معدته ضعيفة لا تقوى على هضم الطعام بسهولة إلا اذا أضيفت اليه الأفاويه . وكان الشرقيون — ولا سيما القاطنون منهم بالمناطق الحارة — أكثر استعمالا للافاويه لحكمة تخفى على الكثيرين . وهي أن تلك الأفاويه تنشط الغدد التي تفرز العرق في جسم الانسان فاذا ما تصبب الجسم عرقا شعر المرء بشيء من البرودة التي يستطيبها في زمن الحر

حضارة الاسكيمو

المعروف عن الاسكيمو أنهم شعب متأخر في المدنية ولا يزال على فطرته الطبيعية . على أن الاستاذ جورجهان من أساتذة المتحف الانثروبولوجي بباريس قد درس تاريخ هذا الشعب درسا عميقا وانتهى منه الى القول بأن للاسكيمو حضارة قديمة لم تكن في وقتها أقل مرتبة من حضارة المصريين أو الصينيين . ومن دلائل تلك الحضارة ما تركه من رموز ونقوش — لا على جدران منازلهم فقط بل أيضا على أمتعتهم ومصنوعاتهم وجه الأجيال . ولا شك أن تلك الرموز والنقوش كانت ضربا من الكتابة لأن الذي يمعن في بحثها يجد أنها تقوم على أسلوب واحد ولا يمكن أن تكون قد وضعت عفوا أو أن يكون مصوروها اعتباطا . فالرموز والنقوش تتكرر في مواضع معينة كما تتكرر أحرف الهجاء في كتاباتنا مما يدل على أن الاسكيمو لم يكونوا يقصدون بها تصاوير ونقوشا مجردة من المعاني

ولقد تمكن الاستاذ جورجهان من فك طلاسم بعض النقوش أو الكلمات وفي مقدمتها كلمة القصة أو محل السحر ، والكلمة الدالة على باب القصة وغيرها من الكلمات . ومن عادات الاسكيمو الباقية حتى الآن أنهم عندما يرحلون من بلاد الى بلاد أخرى ينقشون على جدران منازلهم علامات يستدل منها من يزورهم فيما بعد على الجهة التي رحلوا اليها . فاذا لم تكن تلك النقوش والعلامات عرقة الكتابة فماذا عسى أن تكون الكتابة ؟

ساعة « بج بن »

في مدينة لندن ساعة كبيرة معلقة على برج مجلس البرلمان وتعرف باسم « بج بن » اذا قرعت يسمعها أهل لندن جميعهم . ويبلغ قطر دائرتها تسع أقدام ووزنها ثلاثة عشر طنا ويعجب بها الانجليز ويفتخرون بها لأنها من أضبط الساعات في العالم اذ لم يكن ضبطها . وتدل تقارير المرصد الفلكي بغرينتش على أن هذه الساعة تأخرت في السنة الماضية خمس مرات في كل مرة ثانية واحدة . وهذا منتهى الدقة في ضبط الوقت

سكان أميركا في العصور الخالية

لا يزال العلماء غير متفقين على هوية سكان أميركا الأصليين . فإن الدلائل متوفرة على أن الهنود الذين لا يزال في أميركا بقية باقية منهم لم يكونوا أول من استوطن القارة الاميركية . وجمهور العلماء على أن السكان الأصليين انقرضوا لسبب غير معروف ولم تبق لهم الا آثار ضئيلة. وقد جاءه اليوم الدكتور شولتز مدير متحف ولاية نبراسكا بأميركا بنظرية جديدة مؤداها أن القارة الأميركية ، كانت منذ نحو ثلاثين ألف سنة مأهولة بشعب لا يمت اليه الهنود الاميركيون الحاليون بصلة ، وأن هذا الشعب انقرض بسبب زوابع رملية هبت على القارة كلها لم تبق ولم تذر . وقد أثبت العلم أن هذه الزوابع هبت على أميركا قبل ذلك مرتين على الأقل في العصر الجيولوجي المعروف بالعصر البليوسيني ، فأبادت جميع الحيوانات ذوات الثدي ولم يبق منها حيا سوى الحاضر موجودة اليوم في المتاحف الأميركية

فن النحت في زمن الفراعنة

يزعم الاستاذ الكسندر شارف من أساتذة جامعة ميونخ بألمانيا ان فن النحت في زمن الفراعنة لم يكن هذا الفن المعروف ، وان التماثيل التي كان النحاتون يصنعونها في ذلك العصر لم تكن تشبه أصحابها في قليل ولا كثير ، لان غرض النحاتين يومئذ لم يكن سوى صنع تماثيل ترمز الى الملوك أو العظماء ، كما كان النحاتون اليونان يصنعون تماثيل ترمز الى الآلهة

ونظرية الاستاذ شارف هذه غريبة جداً ، وهو يقول ان النحات المصري لم يكن يهمه سوى صنع تمثال جميل المنظر يرمز الى الملك أو الكاهن أو الوزير المراد تخليده . وسواء أكان ذلك الشخص عظيما جميل الجسم فإن النحات كان يبرزه على وجه يدل على الصحة والقوة والبأس غير مراع وجوه الشبه بين الشخص الحقيقي وتمثاله ، وانما كان يكفي نقش اسمه على التمثال ليعتبره الناس تمثالا حقيقيا لمن نقش اسمه عليه . نحن من هذه المسألة

مرض البوريا والفيتامين

دلت المباحث التي قام بها فريق من أطباء الأسنان في اميركا على أن بين مرض البوريا ونقص الفيتامين « ج » علاقة متينة . وقد تحققوا وجود العلاقة من فحص مئات من المصابين بالبوريا فوجدوا أنه كلما نقص الفيتامين « ج » من الجسم كان مرض البوريا على أشده . وقد طلب مئات من أطباء الأسنان في الولايات المتحدة من المرضى المصابين بالبوريا أن يزيدوا كمية الفيتامين « ج » في دمهم ، حتى اذا ثبتت العلاقة بين ذلك المرض والفيتامين ثبوتا قاطعا أمكن وضع أسس المعالجة الحديثة للبوريا

أفعى البحر

لا يزال الجدال قائما بين علماء الحيوان بشأن الحيوان المعروف بأفعى البحر . فبعضهم يؤكد وجود هذه الأفعى وبعضهم ينكرها والمنكرون أكثر من المؤيدين . وقد جاءت الأنباء الآن بأن أحد طلبة جامعة كاليفورنيا عثر في جهة عرض الجبال الصخرية بأميركا على أحافير تمثال بحري من النوع المعروف عند علماء الحيوان باسم « موصاصور » وذلك في طبقة من الارض تعرف عند علماء الجيولوجيا بالطباشيرية وترجع الى نحو ستين مليون سنة مضت . وقد نقلت هيكل هذا الحيوان الى متحف جامعة كاليفورنيا وهي الوحيدة من نوعها في العالم

اللطخ الشمسية

المعروف عند علماء الفلك أن اللطخ أو الكلف الشمسية تظهر كل فترة من نحو احدى عشرة سنة. وفي شهر يوليو الماضي شوهدت طائفة من أكبر اللطخ الشمسية ورصدت بعضها مساحة احداها أكثر من ألف مليون ميل مربع أي ان تلك اللطخة أو الكلفة تسع كرة تزيد على عشرين ضعف الكرة الأرضية

سمكة منذ ألف مليون سنة

الحيوان البحري المعروف بالسمكة الهلامية أو قاموس البحر من أقدم الأحياء الحيوانية المعروفة وأبسطها. وأجسامها عبارة عن كتل هلامية شفافة اذا عصرت لم يبق منها شيء. وقد عثر العلماء على آثار هذه السمكة (أي على أحجار لها) في بعض الصخور في قعر المضيق العظيم بولاية أريزونا الاميركية. وهذه الصخور ترجع الى زمن لا يقل عن مليون سنة

لمحاربة السرطان

قدم أربعة وسبعون شخصاً من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي اقتراحاً يلتمسون فيه من الحكومة تخصيص مبلغ مليون دولار أو نحو مائتي ألف جنيه لمحاربة السرطان

في عالم الاحصاءات

من الاحصاءات الغريبة التي عنيت بها احدى شركات التأمين الاميركية احصاءات الأطفال الذين يتعرضون لمختلف الاصابات. وقد ثبت منها أن طفلاً واحداً من كل خمسة آلاف طفل يتعرض للموت بالاصابات المختلفة قبل بلوغه العاشرة، وأن ولداً واحداً من كل ألفين ومائتي ولد يموت بالاصابة قبل بلوغه الخامسة عشرة. والمراد بالاصابات هنا الأخطار التي تصيب الانسان في البيت أو الطريق أو ملاعبه ولا يراد بها الامراض

بعوض الملاريا

المعروف عند الأطباء أن أنثى البعوض الانوفلس هي التي تلسع الانسان وتسمم جسمه بمكروب حمى الملاريا. وقد أثبتت الاختبار أن هذه البعوضة تلسع الانسان عادة في الليل وقلما تتعرض له في النهار. والأرجح أن سبب ذلك أن الانسان أقدر على مطاردتها في النهار منه في الليل

نصوص العهد القديم

بين الآثار التي عثر عليها العلماء في رأس شمرا شمالي سوريا ألواح حجرية عليها نصوص تطابق حرفاً بحرف بعض النصوص الواردة في العهد القديم، فهي اذن دليل على المصدر الذي أخذت منه تلك النصوص

منافع الثوم والبصل

الثوم والبصل من البقول التي يسهل خزنها للاستعمال عدة أشهر خلاف غيرها من البقول التي تفسد بعد يومين أو ثلاثة أيام. وقد جربت منفعة الثوم والبصل عند جميع العلماء، فسعوا للوقوف على كنهها. ويوجد من أحدث المباحث العلمية التي قاموا بها ان في المادة التي تنبعث من الثوم والبصل وتدمع العيون مادة كيميائية تقتل الجراثيم والبكتيريا وهي سبب حفظ هذين البقلين من الفساد. فأما مادة البصل فتسمى «آليل الديهيد» وأما مادة الثوم فهي «الديهيد كروتونيك» ويسعى العلماء الآن لاستنباط وسيلة تمكن من الانتفاع بهاتين المادتين طبياً

لمنع تقلص المنسوجات الصوفية

لا يخفى ان المنسوجات الصوفية اذا وضعت في الماء تقلصت. وقد حاول علماء الكيمياء منذ أقدم الازمنة اختراع طريقة تعالج بها تلك المنسوجات بحيث يمنع تقلصها. وكان المظنون ان معالجتها بغاز الكلورين تحقق ذلك الغرض، ولكن ثبت ان الغاز المذكور يحلل بعض الصوف حتما ويزيل بعض متانته. وقد قرأنا في احدى المجلات العلمية الاخيرة ان مهندسا كيميائيا انكليزيا يدعى مستر هول قد وفق الى طريقة اذا عولجت بها المنسوجات الصوفية فانها لا تتقلص عند وضعها في الماء فضلا عن كونها تحتفظ بنعومتها. ولا يزال مخترع هذه الطريقة يكتم طريقته ولكن يظنون انها تقوم على تغطيس الصوف في محلول كيميائي يسمى سلفوريل الكلوريد مع اضافة مواد كيميائية أخرى اليه

علاج جديد للملاريا

من أنباء مجلة مونخ الطبية وهي من أشهر المجلات الطبية الألمانية ان الاستاذ اسكولي كبير أطباء المستشفى الخاص بالبرمو بايطاليا وفق الى معالجة الملاريا بطريقة جديدة وهي حقن المصاب بخلاصة الغدد الكظرية (الأدرينالين) بدلا من حقنه بالكينين أو باحدى مركباته. ويظهر أن هذه الطريقة قد أسفرت عن نتائج تدعو الى الارتياح. ويقول الاستاذ اسكولي ان فائدة الحقن بالخلاصة الكظرية تعود الى كونها تنقص كمية الدم التي في الطحال، والطحال كما لا يخفى هو البؤرة التي يسكن فيها ميكروب الملاريا. فاذا تناقصت كمية الدم التي في هذه البؤرة فانها لا تصلح لنمو الميكروب. ويظهر أن هذا العلاج يصلح في الحالات المزمنة كما في الحالات الحديثة

الطب عند أهل بابل

لا شك ان الطب نشأ في بابل منذ خمسة آلاف سنة نشأ علميا. فقد عثر العلماء حديثا على وصفات طبية ليست من قبيل الشعوذة بل هي وصفات حقيقية. مع ان الاطباء البابليين كانوا يستعملون بعض ضروب الشعوذة ولكنهم انما كانوا يجنحون اليها لانتشار الخرافات يومئذ بين الناس حيث كان الايحاء والاوهام يؤثران فيهم كما يؤثران في أهل هذا الزمن. على ان الطبيب البابلي كان يحتفظ دائما بالعقاقير والمواد والمستحضرات التي لا يستغني عنها زميله في هذا العصر. وكان للامراض عند القوم اسماء مختلفة وكانوا يطلبون تحليلات مختلفة ينطبق بعضها على تحليلاتنا لها

وكان علم الرياضيات عندهم يقوم على نفس الاسس التي يقوم عليها هذا العلم عندنا. وكانوا ماهرين في علم الحساب والمساحات وفي قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة وحساب الكسور. وبرعوا في علم الفلك والتنجيم بوجه خاص وكانت لهم نظريات فلكية عدة أخذها عنهم الفرس واليونان وغيرهم. أما معرفتهم بعلمي الكيمياء والجراحة فكانت ضئيلة لا تستحق الذكر. وانما حذقوا بعض الصناعات العملية مما كان له علاقة غير مباشرة بعلم الكيمياء

بين الهلال وقرائه

محاكم الجنايات

(بروكسون – البرازيل) ميشال أيوب

هل تختلف أحكام المحاكم الجنائية وقواعد العقوبات في الجمهوريات – كمصر – والولايات المتحدة – عنها في الممالك – كإنجلترا وألمانيا وإيطاليا مثلا ؟

(الهلال) تختلف نظم المحاكم كما تختلف نظم المحاكمات وقواعد العقوبات في جميع البلاد، بل قد تختلف في الجمهورية الواحدة باختلاف الولايات التي تتألف منها تلك الجمهورية. ويرجع هذا الاختلاف إلى عدة أسباب أهمها :

(١) مستوى البلاد العلمي والاجتماعي

(٢) عادات أهلها

(٣) أمزجتهم وميولهم الفطرية

وليس أدل على اختلاف قواعد العقوبات من اختلاف العقوبات التي تقررها المحاكم الجنائية في مختلف البلدان لمن يرتكب نفس الجريمة. مثال ذلك أن الذين يتعاطون المخدرات أو يروجون تجارتها أو يحرضون على إدمانها في الصين والحبشة يعاقبون بالموت، بحالة تكون عقوبتهم في مصر لا تجاوز غرامة ألف جنيه والسجن مدة لا تزيد على خمس سنوات. ثم إن بعض الحكومات تحكم بإعدام القاتل المتعمد القتل وغيرها تستبدل عقوبة الموت وتستعيض عنها بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة. وليس أدل على ذلك من عقوبات مختلف الجرائم في مختلف البلدان.

وكذلك الدول في نظم المحاكم والمحاكمات فبعضها يقضي بوجود «محلفين» – كما في إنجلترا وفرنسا. وبعضها لا يعترف بأولئك المحلفين ويكتفي بقضاة المحكمة فقط – كما في المحاكم الجنائية في مصر. ودرجات التقاضي تختلف باختلاف البلدان فبعضها تشتمل على محاكم ابتدائية واستئنافية ومحاكم نقض وإبرام، والبعض الآخر يشتمل على محاكم من درجة تختلف عن هذه. ثم إن بعض الدول تعتبر بعض الأعمال من قبيل «المخالفات» بينما أن غيرها تعتبرها «جنحا». وبعبارة أخرى – أن تبويب الأعمال المخالفة للقانون وتقسيمها إلى «مخالفات» و«جنح» و«جنايات» يختلف باختلاف أمزجة الشعوب ومبلغ رقيها ومستوى حضارتها

معرفة الحقيقة

(اللاذقية – سورية – الشرق) صبحي حسن

يعتقد الكثيرون أن من أسباب شقاء الإنسان جهله الحقيقة، ويزعم الآخرون أن جهل الإنسان الحقيقة من أهم أسباب سعادته لأن هذا الجهل هو الذي يحمله على السعي في هذه الحياة. فأي الفريقين على صواب ؟

(الهلال) لا نعلم ماذا تقصدون بالحقيقة. فهل أردتم حقيقة الحياة أو كنهها ؟ فمعرفة هذه الحقيقة قد تزيد طمأنينة الإنسان المؤمن رسوخا أو قد تزعزعها. فإذا عرف الإنسان أن هذه الحياة كلها عبث بالخلود من أسباب سعادته. ولكن إذا ثبت له أن الحياة فانية وأن القبر هو نهاية كل شيء – لا سمح الله – كان ذلك من أسباب شقائه. وعليه فإن المؤمنين بالله وخلود الروح يشعرون دائما شعورا كبيرا كلما تذكروا أن هذه مرحلة قصيرة يعانون فيها أصناف الشقاء ثم يعقبها نعيم خالد

ولا شك أن معرفة حقيقة الخلود – أو عدم الخلود – تؤثر في نفس الإنسان الذي يطمع دائما في التعويض بعد الموت عما فاته في هذه الدنيا الفانية. حتى إن المجرم الذي قضى حياته في ارتكاب موبقات يرجو – إذا كان يؤمن بالخلود – أن يغفر الخالق عنه قبل وفاته ليتمتع بالنعيم الدائم. فترى أنه لا بد للإنسان يرجو أن تثبت حقيقة الخلود ولا يرضى أن يكون الموت آخرة كل شيء. فمعرفة الحقيقة لا يمكن أن تكون سبب شقائه إلا إذا كانت تؤدي إلى الحقيقة أنه لا حياة بعد الموت

داء الخيانة

(النجف الأشرف — العراق) عبد الجبار الفاضل

قد استولى علي التشاؤم بعد مرور أعوام عديدة على جهاده مع ابن ... بالمشكلات ... ولكني أشعر بأن داء الخيانة هو الذي عطل ذلك . فهل هذا الداء مقصور على الشرق فقط أم هو متفش بين جميع أمم العالم ؟

(الهلال) يكاد هذا الداء يكون غريزة في الانسان . وقلما تجد أمة نجت منه ، فهو متفش في الشرق والغرب على السواء . ولكنه — ويا للأسف — أكثر تفشياً بين الشعوب الشرقية منه بين الشعوب الغربية . ولا بد من مرور الأجيال الطويلة حتى يرتفع ... من ... المجتمع البشري وتتحرر في ... من ... وربما قد يريحكم ... كم ... بل إن الفكرون ... وإن كان قد ... به ... ملايين من الرجال والنساء في العالم ، والتضحية إذا ...

سبب الضحك

(كركوك — العراق) ... الواحد عبد الصمد ...

لماذا نضحك ؟ ولماذا نضحك من بعض الأشياء دون غيرها ؟

(الهلال) الضحك هو انبساط الوجه الناتج عن حركة عضلات الوجه (ولا سيما عضلات ...) حركة ... تكون غير مقصودة ، مع ظهور ... يظهر ... يكشف عن الفرح والانشراح ... النفس . ويكون هذا مظهر ... إطلاق الهواء من الرئتين إطلاقاً متقطعاً وصوت يخرج من حلق ... لم يكن مصحوباً بصوت ويطبق الانسان ... التبسم

أما سبب الضحك فلم يستطع العلماء الوصول إليه حتى الآن . فهم لا يعرفون لماذا يضحك الانسان من منظر أو حركة أو عبارة دون غيرها . ولماذا تضحكنا حركات تشارلي تشابلن مثلا مع أننا لا نضحك من تلك الحركات نفسها إذا قام بها شخص آخر

وفي الواقع إن الانسان لا يضحك من حركة واحدة ولا من كلمة واحدة بل من مجموعة حركات أو كلمات . وقد ... على ... الضحك ... تجمع ... حركات أو ألفاظ على وجه ... غير منتظر . إلا ... لا يحل جميع ... والنوادر والأقوال التي تدعو إلى الضحك كما أن الاختبار يدل على أن ... هو ... فقد تضحك من شيء لا يضحك غيرك . وقد ... من نكتة لا ... وهذا دليل على أن المزاج ... علاقة بالضحك ... أصحاب الأمزجة ... لا يتأثرون ... التي ... أصحاب الأمزجة العصبية ، وقد يكون ... أن يضحك الرجل الانجليزي من ... يضحك الرجل الفرنسي

وخلاصة القول أن العلماء لم يتفقوا على تعليل الضحك ... صحيح

العقاقير والمستحضرات المضرة

(القاهرة — مصر) ع ع ف . ر

ما رأيكم في الأدوية والعقاقير والمستحضرات التي ... في ... التجميل هنا وفي الخارج كالادهان التي تستعمل ... للتجميل والأدوية التي تستعمل لإزالة ... والسوائل التي تستعمل ... البشرة وغير ذلك من عقاقير تقوية الشعر ومنع سقوطه وإزالة القشرة أو قشرة الرأس . وهل من الحكمة — وأنا ... في ... من العمر — أن أستعمل تلك العقاقير والمستحضرات ؟

(الهلال) لا ننصح لك باستعمال أي شيء منها من دون استشارة طبيب اخصائي . فإن أكثر هذه العقاقير والمستحضرات ... لاستدرار المكسب من جيوب ... والسذج . والكثير منها يضر ولا ينفع ... ومهما ... للمرأة فإنها لا تستطيع محاربة ... وما يحدثه الزمن على وجهها وجسمها من آثار التقدم في السن . على أن الطب يستطيع مساعدة الانسان على ... التشويه التي يسببها ... بشرط الاستعانة بطبيب ماهر لا ... أو ...

علاج السمن

(كربلاء ـ العراق) س . ك . ش

ما هو أحسن علاج لجعل الجسم نحيفاً ؟

(الهلال) هناك عدة وسائل لتنحيف الجسم وأصلحها حسن اختيار نوع الغذاء . والمعروف أن المواد النشوية والدهنية تسبب السمن . وفي كتب الأطباء أن الشبة (بشم الهند) دواء يستحسن به ونصيحة تؤخذ في الصيف والدوام عليها . وحبذا لو عرف سبب السمن وهو بسبب الخلل في تركيب الغدد فيسهل علاجه

والسمن إذا زاد على الحد الطبيعي أصبح مرضاً يجب السعي لإزالته بالاقتصار على أنواع معينة من الأغذية والرياضة في الهواء الطلق ولا بد من أن الكسل وعدم الحركة علة السمن فيجب تجنبهما

الشعور الطبيعي بالحب والكراهية

(كربلاء ـ العراق) وهبه

كثيراً ما أشعر بكره شخص لسبب لا أدركه . فإذا مثل بين هذا الشخص شعرت بالرغم مني بشعور الكره وأستحب البعد عنه وأمقته . فهل هذا الشعور خاص بي وحدي أم هو عام بين الناس ؟

(الهلال) شعوركم هذا شعور صادق في جميع الناس . لأن النفس ترتاح إلى من تحس الميل إليه وتنفر ممن يسيء إليها . بل إن الحيوان أيضاً يرتاح إلى من يحسن إليه ويعطف عليه . أما الشعور بالكراهية بغير سبب ظاهر فبعض العلماء يعلله بانبعاث تيار من الكهربائية المغناطيسية من الشخص غير المرغوب فيه لا يتفق وتيار الكهربائية المغناطيسية المنبعث من الشخص الواقف أمامه ، وهي نظرية لم يثبت صحتها حتى الآن . ولكن من أنصارها بعض كبار العلماء وفي مقدمتهم السر أوليفر لودج الفيلسوف الإنجليزي الكبير . والفرنسيون يقولون عن الشخص الذي يكرهونه بغير سبب ظاهر : « فلان ثقيل الظل أو ثقيل الدم أو ثقيل الجسم » ومن المحتمل أيضاً أن يكون سبب هذا الكره الذي يعدم استحسان الشخص المكروه ملامح الشخص المكروه أو حركاته وسكناته أو نبرات صوته أو إلى مجموع شكله أو ما إلى ذلك من الأسباب التي تقع تحت السمع أو البصر أو الشم أو الحس

سقوط الشعر

(بيروت ـ لبنان) أحمد الفراء

يقال إن شعر الرأس إذا بدأ يتساقط فلا علاج له ، ولكن لي صديقاً كان شعر رأسه بدأ يتساقط فنصحه أحدهم بدلك رأسه بسائل مزيج من قشر البيض مهروسة من قشر البصل ومثله من زيت السمك غير المكرر ومقدار ملعقة شاي من زيت الزيتون النقي . وقد جرب صديقي هذا المزيج فقوي شعره . فما رأيكم في هذا ؟

(الهلال) لا نظن للمزيج الذي ذكرتموه دواء ناجعاً يمنع سقوط الشعر ، فإن العلم لم يكتشف حتى الآن دواء أو عقاراً ينبت الشعر ، فبصيلات الشعر ونموها يتوقف على تدليك الرأس دلكاً مستمراً . أما المزيج الذي ذكرتموه أو غيره فقد ينشط بصيلات الشعر فعلاً فيحول ذلك دون سقوط الشعر إلى حد ما ، ولكن هذا التأثير يكون وقتياً لا يلبث أن يزول وهو لا يدوم طويلاً

ويظهر من أحدث المباحث التي قام بها العلماء أن أحسن وسيلة لإنماء البصيلات ومنع تساقط الشعر هو العلاج بخلاصة الغدد الصماء ، فإن خلاصة هذه الغدد تغذي بصيلات الشعر وتعيد إليه نموه الأصلي . على أن هذا العلاج شأنه لا يستطيع القيام به إلا الأطباء الأخصائيون . ونذكر أننا قرأنا منذ نحو سنتين مقالات عدة في هذا الشأن في بعض المجلات الطبية الأمريكية كانت تبحث عنه ويتحدث فيها بعض كبار الأطباء في نجاح هذا العلاج الأمريكي

إطالة الجسم

(بيروت ـ لبنان) وهبه

أيستطيع الإنسان اليوم أن يؤثر في جميع الغدد الصماء ويساعد على إطالة الجسم ؟

(الهلال) كلا ليس ذلك صحيحاً . ومع ذلك فإن استطالة الجسم هي نتيجة إفراز بعض الغدد الصماء إفرازاً غزيراً . وكثيراً ما تصبح هذه الاستطالة مرضاً خطيراً يفضي إلى الموت . وفي مصر اليوم شاب في نحو العشرين من عمره يكاد طوله يبلغ مترين ونصف المتر وهو يعالج في أحد المستشفيات

كتب جديدة

كنوز الفاطميين

للدكتور زكي محمد حسن

مطبعة دار الكتب المصرية . في ٢٩٠ صفحة ، ٦٤ لوحة فنية

يزكو الفن ويرقى في وسط الترف والرخاء ، لهذا ازدهر الفن الاسلامي في زمن الفاطميين ، حين كانت مصر مركز التجارة الرائجة بين الشرق والغرب ، تجبى منها الثراء والرخاء . وهذا الكتاب الجليل يتحدث عن الفن الاسلامي حين ازدهر وأينع في العصر الفاطمي

ومع أن هذا العصر لم يخلف آثاراً شامخة وعمائر ضخمة ، ولم يبلغ فنه في الزخرف ما بلغه في عصر المماليك من دقة وابداع ، إلا أنه قد فاق سائر عصور التاريخ الاسلامي في الفنون الفرعية (minor arts) أي صناعة أدوات الزخرف والزينة . وقد أبدع فيها كنوزاً عجيبة يتحدث عنها هذا الكتاب الجليل في دقة وإفاضة

يتناول القسم الاول منه التحف الفنية في قصور الفاطميين كما تصورها المصادر التاريخية والأدبية المختلفة ، فعرض ما ذكره مؤرخو العصر الوسيط كناصر خسرو والمقريزي عن خزائن القصر الفاطمي كخزانة الكتب ، والكسوات ، والجواهر والطيب والطرائف ، والفرش والأمتعة ، والسلاح وغيرها . وقد تحدث عنها جميعاً في إسهاب وتمحيص ، وأورد عنها شتى الروايات ، وتتبعها ليدلنا على ما تشتت أو ضيعها ، وتبعثرت في أثناء ما مر من أيام الشدة والضيق التي ألمت بمصر في منتصف القرن الخامس الهجري ، وقد أثبت وثائق وأسانيد اسلامية ومسيحية كتبت في أثناء هذه الفترة

ويتناول القسم الثاني ، الفنون الفرعية في العصر الفاطمي ، مبتدأ بالنحت والتصوير وأجمل حكم المذاهب الاسلامية فيهما ، واستعرض شتى الرسوم والنقوش في مصر وتونس وغيرها ، وأبان ما كان لها من الأثر في تطور الفن كما يبدو في الرسوم الباقية على الأبنية النورمندية بجزيرة صقلية . وأجمل صناعات هذا العصر صناعة النسيج والخشب والخزف والزجاج ، شرحها الكاتب شرحاً وافياً دقيقاً ، كما أفاض في الحديث عن صناعة التجليد والفسيفساء والحلي والمعادن ، في نظام وترتيب جميل . وانتهى من هذا القسم بفصل ممتع عن « العنصر الخطي » الذي كان أساس الزخرفة في الفن الاسلامي

هذه إحاطة وجيزة عن موضوع الكتاب الجليل ، الذي استفاد مؤلفه الاستاذ زكي محمد حسن أمين دار الآثار العربية من دراسة مجهدة متصلة سنوات طويلة ، بحث فيها واستقصى مجموعات من الأسفار العربية والغربية ، وطاف فيها بمتاحف أوربا دارساً منقباً ، حتى صار حجة في تاريخ الفن الاسلامي ، وحتى صار ما كتبه عنه من كتب وفصول مراجع قيمة يؤخذ بها . وكتابه هذا - كما يقول المستشرق الكبير

هاستوبعيت — يشهد بأن مؤلفه أصبح مؤرخاً للفن الإسلامي، له طريقة علمية بلغت الغاية دقة، وله في النقد حاسة قوية ناقدة.

وقد زين الكتاب بأربع وسبعين لوحة فنية عنى المؤلف بتمثيل نواحي الموضوع كلها. وذيل كذلك بثبت طويل من المراجع القيمة طالعها المؤلف وبحثها جميعاً، ثم ضمنها كتبه من الحواشي الكثيرة، وهي خير مرشد من يريد أن يدرس ويستقصي تاريخ الفن الإسلامي.

ولا شك أن دار الآثار العربية جديرة بثناء كل من تنبه هذه الدراسات القيمة، لما بذله من مجهود عظيم في اصدار شتى المؤلفات الأثرية والتاريخية إحياء لعيون العرب وإشادة بآثارهم. وقد كان إصدار «كنوز الفاطميين» في هذه الأيام عملاً موفقاً محموداً، فهو أجمل عيد لما تتأهب له القاهرة الآن احتفالاً بمرور ألف عام على تأسيسها، وخير تذكير بما كانت عليه في ماضيها المجيد من مدنية بارعة زاهرة

مذكرات نائب في الأرياف

للأستاذ توفيق الحكيم

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. في ٢٢١ صفحة

يشوق المرء أن يقرأ «ذكريات» سواه، كما يشوقه أن يذكر ما جرى في ماضيه. ولهذا كانت «المذكرات» و«الذكريات» من أمتع الكتب وأروجها. على أن ذكريات الأديب تمتاز على سواها بما تحفل به حياته من أحداث شائقة تخلو منها حياة الفرد العادي، لأن عقله أحد تفكيراً، وشعوره أدق إدراكاً، وخياله أرحب آفاقاً.

وإذاً فهذا الكتاب يعد أولاً أسلوباً طريفاً جميلاً، لأنه يصور فترة من حياة أديب ممتاز تصويراً بارعاً. فترة عاش فيها أديب مرهف الحس مثقف العقل في اصطدام واحتكاك مع الجريمة المنكرة يطالع وجهها صبح مساء. والأديب لا يتحدث عن الجريمة إلا حديث العطف والألم والرحمة، لأنه إنسان لا يحقد ولا يكيد بل يعفو ويأسو، ولهذا كان هذا الكتاب مقترناً بفكاهة رقيقة حية وإن كانت ساخرة لاذعة.

وإن كان الأستاذ الحكيم في مؤلفاته السابقة أديباً يسبح في آفاق الخيال، فهو في هذا الكتاب أديب ينغمس في غمرة الناس ووسطهم ليدرس حياتهم، ويتبين نقائصها، ويرسم صورها المختلفة. فهو يبين مساوىء «الإدارة» الحكومية في قرى الريف، وما تقترن بها من مساوىء ومظالم قاسية، ويصور «المأمور» المتطرس المتحكم، و«العمدة» المتملق المرائي، و«النائب» الذي يريد إرضاء رؤسائه لا أبناء وطنه، و«الطبيب» الذي ينظر إلى أبناء الشعب نظرته إلى البهيم السائمة.

وهو يدير هذا الحديث كله حول حادثة واحدة تقع أثناءه، فيجعل الكتاب قصة شيقة مطردة الأجزاء.

وإن كان الأستاذ الحكيم قد مهد طريقاً جديداً في الأدب العربي حين وضع «أهل الكهف» و«شهرزاد»، فهو يفتح في هذا الكتاب نوعاً جديداً من الكتابة الاجتماعية، يقترن فيه أسلوب «الأديب» وخياله، بعقل «الاجتماعي» وروحه، فيجمع فيه عنصر المتعة والطرافة، إلى جانب عنصر الفائدة والقيمة

في مصر الاسلامية

أخرجه الدكتور زكي محمد حسن
والاستاذ عبد الرحمن زكي

مطبعة المقتطف والمقطم . في ١٩٨ صفحة

دراسات شتى عن مصر في العصر الوسيط ، وضعها لفيف من خيار مؤرخينا المحدثين ، عرضوا فيها بعض جوانب المدنية الاسلامية في وادي النيل ، وألموا فيها بالأحداث التي توالت على مصر في العصور الوسطى ، وقدموها بها للاحتفال بمضي ألف سنة على تأسيس القاهرة

تبدأ هذه الفصول بمقالة عن تاريخ مصر الاسلامية أبان فيها الدكتور زكي محمد حسن أن الزعامة التي آلت الى مصر في العالم الاسلامي ليست وليدة العصر ، بل تقوم على دعائم قوية منذ فتح العرب مصر وفرضوا عليها دينهم ولغتهم ، وقاموا بحربها كما تمت جنسيتهم

واستعرض الاستاذ اسماعيل أبو العيس من خريجي معهد الآثار الاسلامية هذه الحقبة الطويلة من التاريخ في مقال مركز دقيق ، عني فيه ببحث شؤون الشعب عنايته بعرض نظام الحكومة

ويلي هذا بحث قيم للاستاذ جاستون فييت عن المواصلات في مصر في العصور الوسطى . وهو بحث طريف جديد وفق المؤرخ الكبير حقه من الدقة والشمول . وقد ترجمه عن الفرنسية الاستاذ محمد وهبي من خريجي معهد الآثار العربية ، فأحسن الترجمة رغم ما فيها من تعابير فنية كثيرة

وتحدث الاستاذ محمود احمد مدير ادارة الآثار العربية عن تاريخ القاهرة الاسلامية عصره ، فاستعرض آثارها ومساجدها ومنازلها الشهيرة في كلمة وافية قيمة تتخللها الصور الفنية البديعة

أما عواصم مصر الاسلامية الاربع : الفسطاط ، والعسكر ، والقطائع ، والقاهرة ، فقد كتب عنها الزميل الأول عبد الرحمن زكي فصلا دقيقا شاملا عن نشأتها وتطورها ومظاهر الحضارة والرخاء فيها ، وزين هذه بخرائط قيمة

وقد اختص الجامع الأزهر بفصل مستقل وضعه الاستاذ يونس مهران خريج معهد الآثار الاسلامية ، بحث فيه تاريخه منذ أنشيء الى يومنا هذا ، فأبان عن تطور عمارته ، ونظامه ، وطرق التدريس فيه ، وذيل بثبت عن شيوخه جميعا

ومن أجل بحوث الكتاب الفصل الوجيز الذي وضعه الدكتور زكي محمد حسن عن المصادر المهمة في دراسة التاريخ الاسلامي ، كالآثار وأوراق البردي والسكة وبحوث المستشرقين المحدثين . والكتاب في الجملة من المؤلفات التي يجدر بالعربي عامة ، والمصري خاصة ، أن يطالعها ويحتفظ بها

هندسة الكون

بحسب ناموس النسبية
للاستاذ نقولا الحداد

مطبعة المقتطف والمقطم . في ١٩٨ صفحة

يتعذر على من لم يدرس شتى فروع العلوم الرياضية دراسة دقيقة شاملة ، أن يفهم نظرية النسبية التي تمخض عنها ذهن العالم العبقري ألبرت أينشتين . بل ان كثيراً من علماء الرياضة يعترفون أنهم لا يفهمون من هذه النظرية المعقدة المتشعبة سوى مبادئها البسيطة . لهذا يغبط القارئ

العربي حين يجد بين يديه كتاباً موجزاً يتناول مسائل هذه النظرية في شيء من الوضوح لا يشق على من لم يجاوز درس الرياضيات البسيطة. وهو هذا الكتاب الذي وضعه الأستاذ مولا الحداد وعرض فيه جوانب قضايا النسبية مستمدة مما كتبه اينشتين مكتشف هذه النظرية ومما كتبه كبار كتابها المحدثين، بأسلوب يخلو على قدر الإمكان من الشروح الرياضية، وذلك بالاستعانة برسوم كثيراً ما تغني عن المعادلات الرياضية المعقدة. فجاء كتابه سهل التناول واضح العرض الى حد كبير

فتراه قد قسم الكتاب بفصل وجيز أوضح به للقارىء ما هو مقدم عليه من بحوث، ثم تلاه ببحث قصير عن هندسة الكون، ثم بأطراف علم الفلك، وقدمها مبسطة لمن لم يسبق له دراسة هذا العلم. واستطرد من هذا الى بحث معنى النسبية والتفرقة بين الحركة والسكون

والكتاب مقسم أربعة أقسام يبحث على التوالي في (١) ناموس النور (٢) النسبية الخاصة (٣) النسبية العامة (٤) بعض مقتضيات النسبية

ولا شك أن الأستاذ الحداد قد سد بهذا الكتاب العلمي ثغرة في التأليف العربي، وفي حاجة كثيرين ممن يريدون الاطلاع على هذه النواحي العلمية، فيحول جهلهم باللغات الأجنبية بينهم وبين ما يريدون

معاوية بن أبي سفيان

ويزيد بن معاوية

للأستاذ عمر أبو النصر

المطبعة الوطنية ببيروت كل منهما في ١٦ صفحة

يود كثير منا أن يدرسوا رجال تاريخنا العربي، فيحول دونها يرون أنهم لا يجدون كتباً وجيزة وافية عن هؤلاء الرجال، تغنيهم عما لا يتسع لهم من بذل الوقت والجهد في مطالعة الأسفار الضخمة المتشتتة، فيرسمون – كارهين – عنهم أحداث تاريخهم وأبطال ماضيهم. لهذا نعتقد أن الأستاذ عمر أبو النصر يؤدي خدمة جليلة باصداره كتباً سهلة تأخذ شكلة للموضوع عن كبار رجال التاريخ الاسلامي في الحرب والحكم والسياسة

وهذان الكتابان عن معاوية وابنه يزيد قد سبقتهما كتب أخرى عن رسول الله وخلفائه الراشدين. وهو يريد بهذه المؤلفات المتتابعة أن يستعرض التاريخ الاسلامي كله، وأن يظهر صانعيه ومعاصريه، بالتحدث عن أعماله وأحداثه الكبرى. وهو في هذا يتجنب التحيز لعصبية خاصة أو مذهبية معينة. ولا يحاول تمجيد هذا أو لصق عيب بذاك دون حق، وإنما يسعى الى تصوير الحوادث والوقائع تصويراً يعلو على علاقات الناس وما بقي لها من أثر في بعض النفوس

وللأستاذ أبي النصر في عرض تراجمه أسلوب طريف جميل، فتراه يبدأ الحديث عن معاوية بقصة محاولة اغتياله بيد أحد الخوارج، ويندرج من هذا الى شرح الموقف العصيب الذي وجد فيه. وهو ملجأ الى الاعتماد على أن يعرض السطور شتى الأحداث والوقائع، ويناقش ما يعترضه من آراء، ويحاول اثباتها أو نفيها، ويرجع في هذا الى بحوث العلماء المحدثين وخاصة المستشرقين منهم

ومن أحسن الفصول التي عقدها في كتابه الأول: سياسة معاوية، شيعة معاوية، معاوية في بيته، السلم عند معاوية، ثروة الدولة في

عهده . في هذه الفصول يظهر أسلوب المؤلف في البحث والدرس ، وفي قدرته على عرض أطراف الموضوع في صفحات قليلة

وفي كتابه عن يزيد صور كيف بدأ خلافته والجماعات الاسلامية تتحفز للثورة وتستعد للكفاح ، هذا الى أن يزيد لم يكن له من الحلم ولا من العقل ما يؤهله الى اجتذاب القلوب النافرة ، وضم الأطراف المشتتة . وأثبت صوراً كثيرة مما وقع فيه يزيد من أخطاء وهفوات ، وكيف أن خطله هو الذي أدى الى ما انتاب المسلمين في عهده من أحداث كثيرة

الشخصية

للأستاذ محمد عطية الأبراشي

مطبعة المعارف . في ١٩٨ صفحة

دراسة « الشخصية » شائقة ممتعة ، لأنها دراسة جامع لفضائل الانسان ورذائله ، دراسة تمكن المرء أن يحكم على الفرد حكماً صائباً ولهذا عني علماء النفس ببحثها وتحليلها على ضوء التجارب العلمية الحديثة ، ووضعوا في هذا عشرات من الكتب القيمة ، أما في اللغة العربية فلا نجد سوى هذا الكتاب ، الذي وإن كان مختصراً موجزاً ، الا أنه ألم بأطراف الموضوع جميعها

فهو يعرف الشخصية وعناصرها ، ويبين أوجه الاختلاف فيها ، ثم يتحدث عن العناصر الرئيسية التي تتكون منها الشخصية القوية ، كالجاذبية والذكاء والشجاعة وسداد الرأي والتفاؤل والتواضع . . ثم يتطرق الى الحديث عن وسائل تقوية الشخصية العملية ، وكذلك الشخصية المنكرة ، وما هي الأسباب التي تؤدي الى اضمحلالها وكيف يتجنب الانسان ، وغير ذلك من البحوث المتعلقة بالموضوع

ولعل ميزة هذا الكتاب أنه يخلو من جفاف الكتب العلمية ، لأنه يعتمد على ضرب الأمثلة وسوق الحكايات ، أكثر من سرد المصطلحات والمعايير العلمية المعقدة . وأسلوب الكتاب جزل لأن مؤلفه قد درس الأدب العربي قبل أن يدرس علم النفس ، فجاء شرحه واضحاً بيناً

فتح دارفور

للكابتن حسن قنديل

مطبعة العدل بالاسكندرية في ٥٠ صفحة

في سنة ١٩١٦ شق سلطان دارفور « علي دينار » عصا الطاعة على الحكومة المصرية ، فأرسلت حملة لاخضاعه وتأديبه . وقد كان من جنود هذه الحملة مؤلف هذا الكتاب ، فطلب اليه حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون أن يجمع عن الحملة كتاباً ، لأن حوادثها تتعلق بتاريخ مصر والسودان . فوضع هذه المذكرة التي تعد صفحة فخار للجندي المصري . وقد وصف الحملة منذ قيامها من مصر ، وسيرها في بلاد السودان ، الى أن انتصرت على السلطان الثائر . ووصف فيه كذلك دارفور وتاريخها ، وتحدث عن سلطانها وما كان له من بأس وسطوة ، ومن أموال ورقيق ، حديثاً طريفاً شائقاً . وفيه وصف الحياة الاجتماعية والأغاني الشائعة في هذه المناطق التي لا يليق بالمصري أن يجهلها لأنها جزء من بلاده

الأدب في شهر

الوطنية والانسانية

أخرج الكاتب الامريكي فريك رالف كتابا جديداً عن (الوطنية والانسانية) دعا فيه الى تحرير نظام عصبة الأمم واصلاحه. وقد أشار بصورة واضحة الى وجوب تضافر كل دول العصبة وقيامها بعمل مسلح اجماعي ضد الدولة التي تحدثها نفسها بالاعتداء على دولة أخرى. ومما قاله في مقدمة كتابه: «ان الدولة المنتسبة الى العصبة قد لا تجد من مصلحتها الاشتراك في حرب مع أية دولة معتدية، ولكن المسألة في رأي الكاتب ليست مسألة مصلحة بل مسألة دفاع عن مبدأ سامٍ انساني عام، لو صحت الدول اشتركت فيه فقد تصبح هي ضحية لهذا الاشتراك في يوم من الأيام». وضرب لذلك مثلا قوله ان انجلترا لو كانت قد حالت بين اليابان وبين الاعتداء على منشوريا، لما وقعت حرب الحبشة والحرب الاسبانية والحرب الأخيرة بين الصين واليابان، ولفازت المبادىء الانسانية على النظرية الوطنية الاستعمارية

مسرح في الهواء الطلق

في الأنباء الواردة من باريس أن المخرج المسرحي المشهور جاك كوبو بصدد العدة لافتتاح مسرح في الهواء الطلق في احدى ضواحي العاصمة الفرنسية

ويشتمل على هذا المسرح درامات المؤلفين الاغريق مثل أشيل وسوفوكليس واريستوفان والمنتظر أن هذا المسرح سيفتتح في مستهل الصيف بتمثيل رواية (أوديب الملك) التي اقتبسها أندريه جيد عن سوفوكليس

رمسيس الثاني

نشرت احدى الصحف الألمانية نبأ مؤداه ان الكاتب الانجليزي موريس بارنج يشتغل الآن بوضع قصة تاريخية عن الفرعون رمسيس الثاني، وان الكاتب الفرنسي بول كولارد سيقتبس منها رواية تمثيلية

مذكرات سيسيل سوريل

شرعت الممثلة الباريسية الذائعة الصيت سيسيل سوريل في نشر مذكراتها. وقد أشادت فيها بعبقرية دانونزيو وهنريك ايبسن وموليير. ومن أبدع ما قالته في حديثها عن المرأة والجمال والحب: «ان المرأة لا تعرف الحب الكبير لأنها تكره الثقافة التي تلهب الفكر والعواطف». وأضافت الى ذلك قولها ان الفكر هو قاعدة الجمال سواء عند الرجل أم عند المرأة، وان المرأة مهما بلغت من الجمال لا يمكن أن تفتن الرجل العصري إلا اذا كانت على جانب وافر من الثقافة وعمق التفكير

من يفوز بجائزة نوبل؟

ترشح انجلترا لجائزة نوبل في الأدب الروائي ألدوس هكسلي، وترشح فرنسا الشاعر بول فاليري، وايطاليا الكاتب مكسيمو بونتمبلي.

وأما أكاديمية ستوكهولم فتفكر في منح الجائزة لأديب صيني يدعى (تشانغ) كان قد وضع كتابا باللغة الفرنسية سماه (ونغتي) وصدره بول فاليري بمقدمة شائقة

لا خطر من حرب أوربية

وضع الكاتب الألماني (الفريد رازن) المشهور بعدائه الشديد للنازي والفاشيزم رسالة حاول أن يثبت فيها عجز إيطاليا وألمانيا عن اضرام نار حرب أوربية جديدة. ومما قاله ان ألمانيا لا مصلحة لها في البحر الأبيض المتوسط، وان تسليحها لن يتم على الوجه المطلوب ما دامت تشكو الحاجة الى المواد الأولى مما لن تشتبك في حرب جديدة مع انجلترا بعد الدرس الذي تلقته في الحرب الماضية. وأما إيطاليا فتقوم بمناورات سياسية وعسكرية يبعثها اليها خوفها من أن يكون في نية انجلترا انتزاع الحبشة منها يوما ما. ويرى الكاتب ان إيطاليا متى ضمنت بقاء الحبشة تحت سيطرتها وأمنت حقا غدر انجلترا فلا بد أن تعدل عن مغامرتها الطائشة في اسبانيا

في أكاديمية جونكور

انتخب الكاتب الفرنسي فرنسيس كاركو عضواً في أكاديمية جونكور. وهذه الأكاديمية تجمع عدداً من كبار أدباء فرنسا الأحرار، وتعتبر الهيئة الأدبية الثانية بعد الأكاديمية الفرنسية الرسمية. ولها جائزة مالية كبيرة تمنحها كل عام لأبدع قصة وصفية أو تحليلية. وأما فرنسيس كاركو فهو أديب اشتهر برسم طبقات الشعب الفقيرة ومختلف الأوساط الباريسية التي يعيش فيها جماعة العاطلين والمهاجرين وبنات الهوى

وله مؤلفات عن مصر لم يتصف المصريين فيها، ولم يحاول التعمق في دراسة عاداتهم وأخلاقهم، وان كان قد أجاد اجادة ملحوظة في رسم بعض نواحي تفكيرهم وبعض ألوان الحياة المصرية الخاصة بالطبقات العالية وفريق المتمولين المتمتعين من الأجانب الذين يعيشون في مصر

شارلي شابلن والاقتصاد الحديث

من المعروف عن الممثل العالمي شارلي شابلن انه رجل واسع الثقافة غزير الاطلاع. وقد دلت على ذلك محادثاته المشهورة مع طاغور وبرنارد شو. وقد نقلت صحيفة (العصر الجديد) الباريسية عن مجلة أمريكية أن شارلي أنجز وضع كتاب في (الاقتصاد الحديث) وان احدى دور النشر الكبيرة في انجلترا ستتولى طبعه

طبعة جديدة من كتاب الحلاج

أعلن في باريس في الشهر الماضي انه ستصدر طبعة جديدة للكتاب الذي وضعه المستشرق الشهير ماسينيون عن الحلاج وتصوفه. ونحن نعجب كيف لم يتقدم أديب عربي حتى اليوم لنقل هذا السفر العالي الى اللغة العربية

أدب الرحمة

أخرجت الكاتبة البولونية مدام مارتا فيركوفسكي قصة رائعة تصف الشقاء الذي يعانيه أطفال الشوارع في فرسوفيا. وقد راجت هذه القصة رواجا عظيما وبيعت منها ألوف النسخ، وعادت على صاحبتها بربح وافر قدر بخمسة آلاف جنيه. ولما كانت مدام فيركوفسكي سيدة ثرية فقد تبرعت بهذا المبلغ كله لانشاء ملجأ جديد لأبناء الشوارع

كفاح الصحراء

تتجه أنظار مصر الآن الى حدودها الغربية حيث تحشد الجنود وتعد الكتائب ، فيجب على المثقفين فيها أن يتبينوا مظاهر الحياة فى هذه الآفاق المجاورة ، كأن يقرأوا كتابا ككتاب « كفاح الصحراء » الذى صدر هذه الأيام بعد أن مات مؤلفه الصحفى الدينماركى الشاب (كنود هولمبو)

قام هذا الصحفى سنة ١٩٢٤ برحلة فى مراكش اتصل فيها ببدوها اتصالا وثيقا ، حبب اليه الحياة الشرقية والدين الاسلامى ، فاعتنق الاسلام ليجد فيه — كما قال — ما افتقد فيما مضى من هدوء النفس ورضا الضمير . وقد قام برحلة شاقة سنة ١٩٣٠ الى مكة مارا بصحراء افريقيا حيث ضل عشرة أيام كاد يهلك فيها ، ثم وقع فى قبضة البدو فلما علموا بأمره أطلقوا سراحه . وقد لاقى فى رحلته كثيرا من عنت السلطات الايطالية فى تلك المناطق ، فقبضوا عليه ذات مرة وأرسلوه فى سفينة الى بنغازى ، واضطروه أن يعدل عن رحلته الصحراوية ويستقل السفينة الى الاسكندرية . وهو يصف فى كتابه هذا مشاهد رحلته وصفا فيه كثير من العطف على مركز العرب السياسى ، وكثير من التبصر بشؤونهم الاجتماعية ، وكثير من النقد اللاذع للسياسة الأوربية هناك . وهو ممن يعتقدون أن اتحاد الشرق والغرب ميسور وضرورى ، ويقول فى هذا : « ان الشرق والغرب فرعا شجرة لو بحث كل منا فى أعماق قلبه لوجد جذورها ممتدة متأصلة فيها »

والكتاب على وجه الجملة يستحق أن يقرأ فى هذه الظروف التى تتجه فيها أنظار العالم كله الى هذه البقعة من ساحل البحر الأبيض المتوسط

شباب الاسلام

أصدر الدكتور مورى تيتس ، وهو من الاساتذة الامريكيين المتتبعين شئون الشرق الأدنى ، وتطور حياته الاجتماعية والفكرية ، كتابا وجيزا عن المشاكل التى تواجه شباب الاسلام فى هذه الآونة التى طغت فيها الحضارة الغربية على أفكاره وتقاليده وعقائده

واسم هذا الكتاب « الشباب الاسلامى ينظر الى الحياة » . وقد ساقه فى أسلوب الحديث القصصى ، وأدار الحديث فيه على لسان رجل مسن وحفيده الشاب منذ أن غادرا مدينة « كاشيجار » ذاهبين الى مكة والمدينة لاداء فريضة الحج . فأخذا يتحدثان عن شتى المشاكل التى تعرض لها ، وكل منهما يبدى رأيه فيها ، وهو رأى يناقض غالبا رأى الآخر ، وبهذا يبين ما اعترض تفكير المسلمين من التطور خلال الجيل الماضى

ولغة الكتاب سهلة بسيطة لانه كتب للشبان الامريكيين ليفهموا حياة هذا الشرق الناهض . وقد تحدث فيه حديثا موجزا عن حياة الرسول ونشأة الاسلام ، ثم استطرد الى بيان المركز السياسى فى شتى الدول الاسلامية ، ثم عن اتجاه التفكير فى الجيل الاسلامى الناشىء ، وما ينتظر أن يحدثه من ثورة اجتماعية فى القريب العاجل . والكتاب على وجه عام بريء مما يكتبه أولئك السائحون العابرون ، ومما يكتبه المتحاملون على الشعوب الاسلامية من أخطاء ومغامز

وكلاء الهلال

في الولايات المتحدة وكوبا وكندا والمكسيك والجهات المجاورة		Mr. Tofik Habab 85, Washington St., 85 New York, N.Y (U.S.A.)
في البرازيل		Snr. M.N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo (Brazil)
في اللاذقية	سوريا	الخواجه خلة سكاف
في انطاكية	سوريا	انيس افندي انطونيوس لاذقاني
في اسكندرونة	سوريا	السيد عبد الله قرى
في طرابلس الشام	سوريا	عبد الله افندي حسني - غرفة القراءة الامريكية
في حماه	سوريا	الشيخ طاهر النعسان
في دوما	لبنان	الخواجه ميشال خليل خير
في الناصرة	فلسطين	موسى افندي خميس
في بيروت	لبنان	وجيه افندي طبارة ٩ شارع اياس
في دمياط		زكريا افندي الحزاوي، ناظر مدرسة الحزاوي
في حلب	سوريا	عبد الودود افندي الكيالي صاحب المكتبة المصرية
في مكة وجدة والحجاز		هاشم افندي علي النحاس
في الارجنتين		Snr. Nicolas Younes Tres Sargentos 427 Buenos Aires (Argentine)
في جاوه		Mr. Abdollah Bin Afif—Cheribon Java
في اكوادور		Mr. William Garzozi Casila No. 797 — Guayaquil (Ecuador)
في القاهرة وضواحيها		عوض افندي فهمي

أخلاق الأدباء

بقلم الدكتور طه حسين بك
عميد كلية الآداب

«.. فالأدباء ناس من الناس لهم ما لغيرهم من الأخلاق، ولكنهم يمتازون بما يمتاز به أصحاب الفن الذين طبعوا عليه، من الحس المرهف الدقيق، والشعور القوي الرقيق، والمزاج العنيف، يظهر من أخلاقهم — على اختلاف ما فيها من الخير والشر — ما يميز من أخلاق غيرهم من الناس..»

سمعت الكتاب الذي أرسلته الى «الهلال» تريدني فيه على أن أتحدث الى قرائها عن أخلاق الأدباء، ثم التفت إلى صبي أحبه وأوثره، وسألته عن أظهر أخلاق الأديب فقال في لهجة الجد: «الثرثرة، وتضييع الأوقات وتصديع الرؤوس» ثم استأنى شيئا كأنما يفكر فيما قال ويتناوله بالتمحيص والنقد ثم استأنف حديثه فقال: «ولكن من غير الأدباء من يثرثرون ويضيعون الوقت ويصدعون الرؤوس، فلنقل إيثارا للدقة وحرصا على التحقيق، ان الأديب يتخذ الثرثرة صناعة وفنا وطابعا يطبع به حياته، وغاية ينفق فيه جهده، في حين يثرثر غيره عارضا الثرثرة لا مقصورا عليها ولا مدفوعا اليها بحكم الغريزة والطبع». وكذلك استطاع هذا الصبي أن يصور أظهر صفات الأديب في شيء من الغلو والاسراف، ولكن في شيء من الاصابة غير قليل. ولهذا الصبي عذره فيما أسرف وما غلا، فهو نفسه يحب الأدب ويكلفه ويوشك أن يشارك فيه، وربما كان الغلو من أخص صفات الأديب وأظهر خصاله، ولعل الغلو أن يكون الخصلة الأولى الجوهرية التي تنشأ عنها أخلاق الأديب والتي يصدر عنها الأديب فيما يفعل وما يقول. فالأديب من غير شك انسان صناعته الكلام لا يتكلم ليؤدي ما تعود الناس ان يؤدوه من المعاني فحسب، ولكنه يتكلم لأنه اتخذ الكلام غاية وغرضا. وهو لم يتخذ الكلام غاية وغرضا الا لأنه أضفى عليه من الروعة وأشاع فيه من الجمال ما جعله خليقا ان يتنافس الناس فيه ويتهالكوا عليه، وما جعله خليقا أن يطلب أشد الطلب ويرغب فيه أشد الرغبة، فيتيه به أصحابه ويتخذه منتجه تجارة تربح أحيانا ويدركها الكساد أحيانا أخرى. فالأديب اذن قد عمد الى الكلام الذي يتخذه الناس وسيلة الى تأدية أغراضهم وأداة الى أن يفهم بعضهم بعضا، فحوله عن وجهه وجعله غاية بعد ان كان سببا، وغرضا يقصد لنفسه بعد ان كان أداة يتوصل الى غيره. والذي مكن الاديب من أن يجعل الكلام غاية بعد ان كان وسيلة، وغرضا بعد ان كان أداة وسببا، انما كان هذا الغلو الذي ركب في طبعه والاسراف الذي كون